هذا الجزؤ الرابع من حاشية شيخ زاده
على
تفسير القاضى البيضاوى

شيخ زاده ـ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محى الدين الحنفى المعروف بشيخ زاده المدرس الرومى توفى سنة ٩٥١ احدى و خمسين و تسعمائة له من الكتب الاخلاصية فى تفسير سورة الاخلاص. تعليقة على شرح الهداية لابن مكتوم. حاشية على انوار التنزيل للبيضاوى مجلدات مطبوعة. حاشية اخرى على انوار التنزيل. شرح فرائض الراجية. شرح قصيدة البردة. شرح المشارق للصغانى. شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى و البيان. شرح الوقاية فى مسائل الهداية.

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

مكتبة الحقيقة

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١١	١٣٦٩	١٩٩١

هذا الجزؤ الرابع من حاشية شيخ
زاده على تفسير القاضي البيضاوى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الملائكة عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله مبدعهما اى موجدهما على غير مثال **قوله والاضافة محضة** اى معنوية وهى مالايكون المضاف فيها صفة مضافة الى معمولها امابان لايكون صفة نحو غلام زيد اويكون صفة ولكن لاتكون مضافة الى معمولها كفاطر السموات لان اسم الفاعل لايعمل اذاكان بمعنى الماضى فاذا لم يكن له معمول فكيف يضاف الى معموله فتكون اضافته معنوية تكسبه تعريفا مما اضيف اليه فيصح كونه نعتالله وفسر الفطر بالابداع وهوايجاد الشئ لاعلى مثال سبق والفطر بهذا المعنى غير شائع الاستعمال بل المشهوران الفطر بمعنى الشق ومنه فطرناب البعيراى طلع وفطر العجين الاستعجال فى خبزه قبل وقته واختماره ولما كان هذان المعنيان غير مناسبين للمقام فسر الفطر بالايجاد الابداعى وجعله مأخوذا من الفطر بمعنى الشق لوجود معنى الشق فيه وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصير وبمعنى خالق فعلى الثانى يكون رسلا حالا مقدرة مثل فادخلوها خالدين وعلى الاول لايخلو اماان يكون بمعنى الماضى او الحال والاستقبال فعلى الاول تكون اضافته محضة ويكون انتصاب رسلا بفعل مقدر اى وجعلهم رسلا لان اسم الفاعل اذاكان بمعنى الماضى لايعمل وعلى الثانى تكون اضافته لفظية مفيدة للتخفيف بحذف التنوين ويكون رسلا مفعولا ثانيا لجاعل بمعنى مصير واذا لم يتعرف بالاضافة لم يصلح صفة لله تعالى فيكون بدلا منه وكون اللفظ المشتق بدلا جائز على قلة **قوله اولى** صفة لرسلا ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة وتعليق الحكم بمجرد العدد لايدل على حكم الزآئد والناقص لانفيا ولااثباتا الااذا علق الحكم على عدد هو علة لذلك كقوله عليه الصلاة والسلام اذابلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فانه يدل على ثبوت ذلك الحكم فى الزآئد على ذلك العدد لافى الناقص عنه فتوصيف الاجنحة بماذكر من مثنى وثلاث ورباع لاينفى ان تكون اجنحة بعض الملائكة زآئدة عليها **قوله بالخواص والفصول** لف ونشر مرتب اى ان اختلاف الاصناف بالخواص واختلاف الانواع بالفصول لما امتنع ان يكون لذواتهم المشتركة تعين ان يكون مقتضى المشيئة الالهية **قوله والآية متناولة** اى ليس المعنى انه تعالى يزيد فى خلق الاجنحة فقط مايشاء على ان يكون الاصل المزيد عليه الجناحين او الاعداد المذكورة فى الآية بل المعنى انه تعالى يزيد على اصل المخلوق مايشاء من الاعضاء والجوارح الظاهرة ومن المعانى والفضائل السنية فالمعنى على هذا يزيد فى اصل المخلوق من الملائكة وغيرهم كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعنه عليه الصلاة والسلام ان مايشاء زيادته على اصل المخلوق هوالوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وعن قتادة هوالملاحة فى العينين وقيل هومتانة العقل وقوة التميز وقيل السخاء وقيل الرضى بالتقدير وقيل علو الهمة وقيل التواضع فى الشرف وقيل القناعة فى الفقر وقيل غيرذلك

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ماوكلهم الله عليه ويتصرفون فيه على ماامرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى مازاد عليها لماروى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد فى الخلق مايشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شئ قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة

مما تتناوله كلمة ما بعمومها و الحصافة بالحاء المهملة متانة العقل و احكامه فى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل وحصف بالضم حصافة اى استحكم و احصاف الامر احكامه ﴿قوله من تجوّز السبب للسبب﴾ لما كان الفتح و الاغلاق من عوارض الباب جعل الفتح مجازا عن الاطلاق و الارسال على طريق اطلاق اسم المسبب و ارادة السبب ﴿قوله من رحمة﴾ تبين او حال من ما الشرطية و لايجوز كونه صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف فان ما شرطية منصوبة المحل بيفتح و يفتح مجزوم بها فلذلك قرئ ما يفتحِ الله بكسر الحاء لالتقاء الساكنين و لو كانت موصولة لقرئ بضم الحاء سماها المصنف موصولا حيث قال لان الموصول الاوّل مفسر بالرحمة باعتبار ان الثانية موصولة بالاولى بحرف العطف فتكون الاولى موصولة بالثانية ايضا لان الوصلة تكون من الجانبين ﴿قوله واختلاف الضميرين﴾ اى ضمير لها وله بالتذكير و التأنيث مع كونهما راجعين الى ما اعتبارا لجانب المعنى اوّلا حيث فسر الاوّل بالرحمة و لما فسر الثانى اعتبر فيه اصل التذكير و ذكر ما يرجع اليه ﴿قوله و فى ذلك﴾ اى فى تفسير المرسل بالرحمة و عدم ابقائه على عمومه ليم الرحمة و العذاب و ابقاء الممسك على عمومه اشعار بذلك حيث لم يتعرّض لارسال العذاب و تعرّض لامساكه و فى الآية اشعار بذلك ايضا من حيث انه قدّم التعرّض لارسال الرحمة فى الذكر و من حيث انه نفى من يمسك الرحمة التى ارسلها الله تعالى نفيا مطلقا بان قال فلا ممسك لها و لم يقل لا ممسك لها غير الله و فى جانب ارسال ما امسكه الله نفى المرسل غيره و لم ينفه نفيا مطلقا بل استثنى فقال و ما يمسك فلا مرسل له من بعده اى غيره على ما وقع فى بعض التفاسير و ما فى ما يفتح الله شرطية منصوبة المحل بيفتح و يفتح مجزوم بها و مثلها و ما يمسك و من رحمة تبيين او حال من اسم الشرط و قوله من بعده اى من بعد امساكه فحذف المضاف لدلالة معناه و ذكر ثانيا حملا على لفظه حيث لم يفسر بمؤنث فبقى على اصل التذكير ﴿قوله ثم انكر الخ﴾ اشارة الى ان هل استفهام قصد به الانكار كأنه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بالمطر و الارض بالنبات فكيف تشركون المنحوت بمن له الملك و الملكوت و الافك بفتح الهمزة مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه و صرفه عن الشئ قال تعالى اجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا قرئ غير الله بالحركات الثلاث و قوله و على الاخير و هو ان يكون يرزقكم كلاما مبتدأ يكون اطلاق هل من خالق و هو عدم تقييده بكونه رازقا من السماء و الارض مانعا من اطلاق لفظ الخالق على غير الله تعالى لانه تم الكلام حينئذ عند قوله ليس خالق سوى الله موجودا فلا يصح اطلاقه على غيره تعالى و انتفاء المقيد لا يستلزم انتفاء المطلق فيجوز ان يكون هنا خالق سوى الله ليس برازق و قرأ حمزة و الكسائى بجرّ غير الله على انه صفة لخالق محمول على اللفظ و الباقون بالرفع محمول على محله لانه مبتدأ محذوف الخبر و من زائدة تقديره هل خالق غير الله فى الوجود و يرزقكم صفة خالق او هو خبر خالق و يحتمل ان يكون خالق مرفوع المحل باضمار يرزقكم و يرزقكم المذكور تفسيرا له اى هل يرزق خالق غير الله يرزقكم من السماء و الارض ﴿قوله فان الاستفهام بمعنى النفى﴾ تعليل لصحة البدل مع ان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا يجب نصبه فى كلام موجب نحو جاءنى القوم الا زيدا لانك لو ابدلت منه كان المبدل منه فى حكم الساقط فيؤدّى الى التفريغ فى الموجب فى الواقع بعد الا و هو لا يجوز فلا يقال جاءنى الا زيد لفساد المعنى فلم يبق الا النصب فلولا ان الاستفهام بمعنى النفى لوجب ان لا يجوز الابدال فى غير ﴿قوله او لانه فاعل خالق﴾ لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام فوجد شرط عمله ﴿قوله و قد نصب على الاستثناء﴾ كأنه قيل هل يرزقكم خالق الا الله و قد تقرّر انه يجوز النصب و يختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب و المستثنى منه مذكور ﴿قوله او كلام مبتدأ﴾ فانه لما نفى ان يكون فى الوجود خالق سوى الله بقوله هل من خالق غير الله توجه ان يقال ما سبب انتفائه فقيل لان الخالق ينبغى ان يكون رازقا لما خلقه و لا تتم الخالقية الا بالرازقية و الرازق من السماء بالامطار و من الارض بالانبات ليس الا هو فعلى هذا الوجه يكون فى الآية دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز و جل و اما على الوجهين الاوّلين فلا دلالة فيها على ذلك لان المعنى على ذينك الوجهين ليس خالق سوى الله صنعته ان يرزقكم و نفى الخالق المقيد لا يدل على نفى الخالق مطلقا غير الله و تقييد الخالق على تقدير ان يكون يرزقكم صفة ظاهر و اما تقييده على تقدير كون يرزقكم مفسرا للرافع و هو خالق محلا فلان المعنى حينئذ نفى رازقية خالق غير الله فيؤول المعنى الى نفى الخالق المقيد و هو ظاهر ﴿قوله فوضع فقد كذبت موضعه﴾ يعنى لا يصلح جزاء الشرط لان المعلق بالشرط حقه ان يكون بعده فى الوقوع و تكذيب الرسل واقع قبل تكذيب

(ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم و يرسل و هو من تجوّز السبب للسبب (من رحمة) كنعمة و أمن و صحة و علم و نبوّة (فلا ممسك لها) يحبسها (و ما يمسك فلا مرسل له) يطلقه و اختلاف الضميرين لان الموصول الاوّل مفسر بالرحمة و الثانى مطلق يتناولها و الغضب و فى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (و هو العزيز) الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم و اتقان ثم لما بين انه الموجد للملك و الملكوت و المتصرّف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال (يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها و الاعتراف بها و طاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الارض لا اله الا هو فانى تؤفكون) فمن اىّ وجه تصرفون عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره به و رفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق و جرّه حمزة و الكسائى حملا على لفظه و قد نصب على الاستثناء و يرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ و على الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (و ان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب و تنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية و الحث على المصابرة (و الى الله ترجع الامور) فيجازيك و اياهم على الصبر و التكذيب

(يا ايها الناس ان وعدالله) بالحشر والجزاء (حق) لاخلف فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) فيذهلكم التمتع بهاعن طلب الآخرة والسعى لها (ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر اوجمع كقعود (ان الشيطان لكم عدوّ) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوّا) فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم (انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء الامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) تقرير له اى أفمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ماهى عليه لحذف الخبر لدلالة (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة لحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث السببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لاتتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بمايصنعون) فيجازيهم عليه

قريش فلابدّ ان يكون الجزاء حقيقة ماهو المسبب عن تكذيب الرسل وهو التاسي استغنى بذكر سببه عنه وحقيقة قولك ان اكرمتنى الآن فقد اكرمتك امس ان اكرامك اياى الآن بعد اكرامى اياك امس فنفس اكرام المتكلم وان كان سابقا على اكرام المخاطب لكن عدّ المخاطب اياه متفرع على عدّ اكرامه للمتكلم فصلح جزاء بهذا التأويل والغرور بالفتح صيغة للمبالغة كالصبور والشكور وبالضم اما جمع غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس ﴿قوله عداوة عامة قديمة﴾ كأنه حمل تنكير عدوّ على التعظيم كتنكير رسل ويحتمل انه حمله على النوعية كما فى قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة لما نهى الله تعالى عن الاغترار بتسويل الشيطان الاصرار على المعاصى اعتمادا على عفو الله تعالى وسعة رحمته بقوله لايغرنكم بالله الغرور اتبعه بما يمنع العاقل من الاغترار به وقال ان الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا فلاتسمعوا قوله واشتغلوا بما يعنيكم من العمل الصالح الذى هو طريق محاربته وقهره لانكم ان تركتم معاداته وسلكتم سبيل ارضائه باتباعكم اياه فانه لايؤديكم الاالى السعير ﴿قوله تقرير له﴾ حيث انكر مساواة الفريقين فى الجزاء ﴿قوله لحذف الخبر لدلالة فان الله يضل من يشاء الآية﴾ وفى بعض النسخ لحذف الجواب وكلاهما صحيح فان من فى قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله يجوز ان تكون موصولة وان تكون شرطية ومحلها على كلا التقديرين الرفع بالابتداء والخبر والجواب محذوف واختلف فى تقديره فاختار المصنف انه كمن لم يزين له ذلك واستدل عليه بقوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجه دلالته على ذلك انه يقتضى ان يكون الكلام السابق مشتملا على ذكر من يهديه وهو من لم يزين له لان معنى تزيين سوء العمل والاضلال واحد فكأنه قيل فان الله يزين سوء العمل لمن يشاء ولا يزينه لمن يشاء واختار الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة لحذف الخبر والجواب لدلالة فلاتذهب نفسك عليهم فانه يقتضى سبق معنى ان نفسه تذهب عليهم حسرة ﴿قوله ومعناه فلاتهلك نفسك عليهم﴾ اشارة الى ان قوله فلاتذهب نفسك بفتح التاء والهاء ورفع نفسك كما هو قرآءة العامة من باب لاارينك ههنا من حيث ان النهى فى الظاهر متعلق بنفسه صلى الله عليه وسلم فنهاها عن ان تهلك عليهم حسرة واغتماما على غيهم واصرارهم على التكذيب والمراد نهى المخاطب عن اهلاك نفسه كما ان قولك لاارينك ههنا فى الظاهر نهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب والمراد نهى المخاطب ان يحضر هنالك اى عن ان تعاطى اسباب ذلك وقوله تعالى فلاتذهب نفسك من قولهم ذهب فلان اذاهلك والحسرة شدة الحزن على مافات من الامر وقوله للحسرات اشارة الى انتصاب حسرات على انه مفعول له وجوّز صاحب الكواشى انتصابها على الحالية على معنى لاتهلك نفسك حال صيرورة كلها حسرات بفرط التحسر او على معنى متحسرات كأنه قيل متحسرة الا انها جمعت للدلالة على تعدد حسراتها وتكررها ﴿قوله غير ان الاولين دخلتا على السبب﴾ فكأنه قال بعد مابين اختلاف جزاء الفريقين واوعد لاحدهما ووعد الآخر وذلك لسبب ان المسيئ ليس كالمحسن فى الجزاء ثم هذه الجملة متضمنة لاختلاف افراد الانسان بالاساءة والاحسان وان بعضا منها تميز عنده الاساءة من الاحسان والخير من الشر والبعض الآخر منها انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا مع تساوى تلك الافراد بحسب الحقيقة فلايكون ذلك باستقلال منهم بل هو مستند الى ارادة الفاعل المختار وبين ذلك بان قال فان الله يضل من يشاء الآية فكأنه قال وذلك بسبب ارادة الفاعل المختار له فان من علم منه اختيار الضلال يضله ومن علم منه اختيار الاهتداء يهديه كل ذلك على حسب مشيئته وقوله فلاتذهب نفسك عليهم حسرات جواب شرط محذوف اى اذا علمت ان الامر كلها بيدالله وتوقف على ارادته ومشيئته فلاتهلك نفسك اغتماما على عدم اهتدائهم بهدايتك والجزاء مسبب على الشرط ﴿قوله وجمع الحسرات للدلالة﴾ اى على كثرة افراد نفس اغتمامه او للدلالة على كثرة افراد مايكون سببا لاغتمامه من احوالهم القبيحة فعلى الاول تكون حسرات حقيقة وعلى الثانى تكون مجازا مرسلا على طريق اطلاق اللازم وارادة الملزوم ﴿قوله بل صلة تذهب﴾ كأنه اراد به صلته باعتبار تضمينه معنى الشرط ومعنى التحسر فكأنه قيل فلاتتحسر عليهم فيجوز حينئذ ان يكون انتصاب حسرات على انه مفعول مطلق له ﴿قوله او بيان للمتحسر عليه﴾ كأنه لما قيل له عليه الصلاة والسلام فلاتذهب نفسك حسرات فكأنه قال على من فقيل عليهم على ان عليهم متعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر ولايجوز ان تعلق بالظاهر لماذكرناه وقوله والفاآت الثلاث هى التى فى قوله أفمن زين له سوء عمله وفى قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وفى قوله فلاتذهب نفسك الخ للسببية فان الفاء التى لغير العطف لاتخلو عن افادة

معنى الترتب وهى التى تسمى فاء السببية وتختص بالجمل وتدخل على ما هو جزاء الشرط نحو ان لقيته فاكرمه ومن جاءك فأعطه وبدون تقدمها نحو زيد فاضل فاكرمه ويعرف دخولها على الجزاء بان يصح تقدير اداة الشرط قبل الفاء ويجعل مضمون الكلام شرطا لما بعدها كما فى مثالنا هذا فان المعنى فيه ان كان كذا فاكرمه قال تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب وقال تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها اى اذا كان عندك هذا الكبر فاخرج وقال رب فانظرنى اى اذا كنت لعنتنى فأنظرنى وقال فانك من المنظرين اى اذا اخترت الدنيا على الآخرة فانك من المنظرين والفاء الداخلة على المسبب اكثر من ان تحصى وكثيرا ما تكون الفاء السببية بمعنى اللام السببية وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كقوله تعالى فانك رجيم وتقول اكرم زيدا فانه فاضل وهذه الفاء تدخل على ما هو شرط فى المعنى كما ان الاولى دخلت على ما هو الجزاء فى المعنى فانك تقول زيد فاضل فاكرمه وتعكس وتقول اكرمه فانه فاضل والتى فى الآيتين الاوليين دخلت على السبب وكانت بمعنى اللام السببية ﴿قوله على حكاية الحال الماضية﴾ بيان لوجه مجيء قوله فتثير بلفظ المضارع مخالفا لأرسل مع انه عطف عليه ومعنى حكاية الحال ان يقدر ان ذلك الفعل الماضى واقع فى حال التكلم وانما يفعل هذا فى الفعل المشتمل على نوع غرابة كأنك تحضره للمخاطب وتصوره له ليتعجب منه ويفعل هذا ايضا فى الفعل المبهم للمخاطب فيستحضر ليحصل له الوثوق بحصوله فكذا يفعل فى الفعل السار او المحزن ليقوى السرور او الحزن كما ان مشاهدة الامر الغريب ادخل فى افادة التعجب من سماع خبره ﴿قوله ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية﴾ وجه ثان لوجه مجيء فتثير بلفظ المضارع وتقريره ان المراد بقوله فتثير الاخبار بان الرياح فى حال احداثها فارسالها تثير السحاب وان اثارتها مقارنة لحال ارسالها وهذا المعنى لا يفهم من لفظ الماضى وليس معنى تثير انها تثير السحاب حال التكلم كما هو المعنى على كونه لحكاية الحال الماضية بل معناه انها تثير حال احداثها بحيث كأن الاثارة من لوازم ذاتها وللتنبيه على هذا المعنى اسندت الاثارة الى الرياح والا فهى فى الحقيقة مسندة الى الفاعل المختار كسوق السحاب الى البلد الميت وقوله ويجوز ان يكون الخ وجه ثالث للاختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه بحسب اقتران مدلول احدهما بالماضى والآخر بالحال فانه لما كان الامر مستمرا فى جميع الازمنة وان كل واحد من التعبيرين مطابق للواقع عبر عن الماضى والحال بالاحوال تغليبا والمراد بلفظ الجمع فى قوله اختلاف الافعال وفى بعض النسخ اختلاف الاحوال ما فوق الواحد ﴿قوله وذكر السحاب كذكره﴾ يعنى ان المطر كأنه من معانى لفظ السحاب من حيث انه يصح اطلاق السحاب عليه مجازا بطريق اطلاق اسم السبب المادى على المسبب فيكون ارجاع ضميره به الى المطر المدلول عليه بلفظ السحاب من قبيل الاستخدام بهذا الوجه وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بالضمير العائد الى ذلك اللفظ معناه الآخر ﴿قوله او بالسحاب﴾ عطف على قوله بالمطر فيكون المراد بضمير السحاب وباسمه الظاهر معنى واحد وهو حقيقة السحاب وجعله سببا لاحياء الارض اما لكونه سببا ماديا لما هو سبب الاحياء او لكونه سببا بنفسه عند تبدل حاله الى المطرية ومبنى الوجهين تغاير السحاب والمطر بالذات ان كان احدهما سببا للآخر واتحادهما بالذات ان كان تغايرهما بسبب الاحوال والاوصاف كانه باعتبار تخلخله وانبثاثه سمى سحابا وباعتبار تكاثفه وتقاطره سمى مطرا فقوله او الصائر مطرا عطف على قوله سبب السبب ﴿قوله بعد يبسها﴾ لما كانت رطوبة الارض مبدأ الآثار المترتبة عليها من الانبات والتربية وصارت شبيهة للحياة التى هى مبدأ الحس والحركة الارادية وكان زوال تلك الرطوبة عن الارض شبيها بزوال الحياة عن الحيوانات استعير حياة الارض لرطوبتها وموت الارض ليبسها استعارة تصريحية ﴿قوله والعدول فيهما من الغيبة﴾ فى الآية اربعة مسانيد متعاطفة عدل فى كل واحد من الثلاثة الاخيرة عن سنن المعطوف عليه الاول وهو ارسل اما قوله فتثير فهو معدول عن سننه من وجهين من حيث مضارعته ومن حيث اسناده الى ضمير الرياح وارسل مسند الى ضمير اسم الله تعالى وقد ذكر للعدول بالوجه الاول ثلاثة اوجه وفرع على الوجه الثانى منها وجه اسناده الى ضمير الرياح واما قوله فسقناه مع قوله فاحيينا به فان كل واحد منهما معدول عن سننه من حيث انه مسند الى ضمير الغائب وهما مسندان الى ضمير المتكلم وذكر وجه عدولهما بهذا الوجه بقوله والعدول فيهما الخ وتقريره موقوف على بيان كون الاسناد الى ضمير اسم الله الذى هو علم الذات المتعينة فى نفسها والى بيان اشتمالها

(الله الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) قرأ نافع وحمزة والكسائى بتشديد الياء (فاحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع

على مزيد الصنع اما الاوّل فلان اسناد ارسل الى ضمير اسم الله وان افاد اختصاص الارسال به تعالى الا ان الاسناد الى ضمير المتكلم ادخل في افادة الاختصاص المذكور وادل عليه من حيث ان ضمير المتكلم اعرف المعارف والمسند اليه كلما كان اكشف واوضح كان الاسناد اليه ادخل في افادة اختصاص المسند واما بيان اشتمالها على مزيد الصنع فلان احداث الرياح واثارتها السحاب لا يتوقفان على سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض به بخلافهما وان الاوّلين وسيلة محضة اليهما وانهما مقصودان اصليان يترتب عليهما مصالح شتى اذا تقرّر هذا فنقول لما كانت الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى على الحشر والجزاء واثبات قوله ان وعد الله حق باثبات ماهو من دلائل القدرة الباهرة له تعالى على وجه يخصه ولا يشاركه احد مما سواه في شئ من ذلك ناسب ان يسلك في اسناده ماهو ادل على كمال القدرة اليه تعالى الى طريقة تكون ادخل في افادة الاختصاص فلذلك عدل من الغيبة الى التكلم في اسناد السوق والاحياء اليه تعالى ﴿قوله اى مثل احياء الموات نشور الاموات﴾ اى من القبور اشارة الى ان النشور مبتدأ والكاف في محل الرفع على انه خبر له ووجه المماثلة من وجوه احدها ان الارض الميتة كما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاجساد الميتة تقبل الحياة وثانيها كما انا نسوق السحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت فمن قدر على احياء الموات بالطريق المذكور يقدر على احياء الاموات وبعثها من القبور ولا فرق بينهما الا باحتمال اختلاف المادّة في المقيس عليه ولا احتمال لذلك في المقيس فان النشور الموعود هو احياء كل واحد من الاموات المخصوصة باعادة الروح الذى فارقه بعينه اليه بخلاف المقيس عليه فانه يحتمل ان يكون احياء الارض الميتة بان يساق اليها من الامطار والرطوبات غير الذى فارقها فليس لقائل ان يقول بناء على هذا الفرق القياس المذكور لا يثبت صحة مقدورية احياء الاموات لانه قياس مع الفارق فانه لا يلزم من مقدورية احياء الاموات بالحياة المبتدأة مقدورية احياء الاموات بحياتها الاولى لانا نقول هذا الفرق لا يضرّ لصحة القياس لانه لا مدخل لاحتمال اختلاف المادّة في صحة مقدورية احياء الاموات ﴿قوله فليطلبها من عنده﴾ يعنى ان قوله تعالى من كان يريد شرط وجوابه مقدّر وقوله فلله العزة جميعا دليل للجواب المقدّر اقيم مقام المدلول واستغنى عنه وليس جوابا له لوجهين احدهما ان العزة لله تعالى مطلقا وليست مشروطة بارادة احد اياها وثانيهما انه لابدّ في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط ولم يوجد ضمير وجميعا حال والعامل فيها الاستقرار فمعنى الآية من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهذا دعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده ويدل على صحة هذا التأويل ماروى انه قال عليه الصلاة والسلام ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عزة الدارين فليطع العزيز ثم بين طريق الطاعة وطريق طلب العزة عنده فقال اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع كلمة وذكر صفتها حملا على اللفظ كما في قوله اعجاز نخل منقعر ﴿قوله وصعودهما اليه مجاز﴾ لان انتقال الاعراض عن موضوعاتها مع بقائها على هوياتها المخصوصة مستحيل لان موضوعاتها من جملة مشخصاتها فاذا تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وفي قوله وصعودهما اشارة الى ارتفاع قوله والعمل الصالح بالعطف على الكلم الطيب فيكون كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح صاعدا اليه تعالى بصعود صحيفته اليه تعالى او بكونه مقبولا فيكون قوله يرفعه كلاما مستأنفا لبيان مايصعد العمل على ان يكون المستكنّ في يرفعه للكلم والبارز للعمل ويكون المعنى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بان يقبل بسببه لان طاعة الكافر مردودة ويؤيده نصب العمل الصالح على الاشتغال فان الضمير المرفوع حينئذ يكون للكلم اولبيان مايصعد الكلم الطيب وهو العمل على ان يكون المستكنّ في يرفعه للعمل والبارز للكلم ويكون المعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ولما كان الكلم الطيب مقبولا عند اهل السنة وان كان صاحبه عاصيا بين ان المراد بكون العمل رافعا للكلم الطيب كونه محققا للايمان ومقوّيا له ويرفعه كلام مستأنف اولبيان من يصعدهما فالمستتر المرفوع في يرفعه يرجع الى الله تعالى والبارز المنصوب الى كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح وقيل وحد الضمير المنصوب مع رجوعه الى شيئين ذهابا به مذهب اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك بعد قوله لا فارض ولا بكر وقيل لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود وقيل العمل الصالح مبتدأ ويرفعه خبره والمستتر فيه لله والبارز للعمل اى والعمل الصالح يرفعه الله اليه

(كذلك النشور) اى مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادّة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحياء انه تعالى يرسل ماء من تحت العرش فينبت منه اجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكنّ في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقوّيه اولله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك

وقيل المستتر ضمير العمل و البارز للكلم بمعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب اليه تعالى ومثل هذا فسر اكثر المفسرين وقيل عليه انه لايصح على مذهب اهل السنة لان الكلم الطيب مقبول عندهم بدون العمل الصالح اشار المصنف الى جوابه بان الرفع حينئذ بمعنى التقوية والتصديق اى العمل الصالح يزيده شرفا ﴿قوله فحيي بها وجه الرحمن﴾ يقال حياك الله اى ابقاك على انه من الحياة وقيل هو من استقبال المحيا وهو الوجه وهذا هو الملائم ههنا فمعنى حيي بها استقبل بها وجه الرحمن على سبيل الاستعارة التمثيلية روى عن الحسن وقتادة ان الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان الا ما قرّ في القلوب وصدقه الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح ردّ الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿قوله تعالى والذين يمكرون السيئات﴾ في انتصاب السيئات وجهان احدهما انها نعت لمصدر محذوف اولما في حكمه وتقديره يمكرون المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات لان ما اضيف الى المصدر مما هو وصف له في المعنى بمنزلة المصدر في انه يصح انتصابه بالفعل اللازم كالمصدر او هو مصدر من معنى يمكرون لامن لفظه والمعنى يسيئون السيئات لان المكر اساءة وثانيهما انها مفعول به على تضمين يمكرون معنى يكسبون ويعملون لان المكر كسب وعمل ودار الندوة هي التي بناها قصي بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة لان يتفقوا على رأى في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكروا به كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك والاثبات الحبس وقيل جرح موهن لايقدر المجروح معه على الحركة لما بين الله تعالى ان العزة انما تطلب بالطاعة وهي التوحيد والعمل الصالح بين ان العمل السيئ يذل صاحبه ويؤديه الى عذاب شديد في الدنيا والآخرة ﴿قوله لايوبه دونه﴾ يقال فلان لايوبه به اى لايبالى به ويقال بار عمله بورا اذا بطل وفسد ﴿قوله كما دل عليه بقوله﴾ فانه تعالى بين اولا كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب ثم بين كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه فان ما في الارحام قبل ان يكتسي صورة البشر بل بعده مادام في البطن لايعلم احد حاله كيف والام الحاملة لاتعلم منه شيأ فكيف بعلم غيرها ثم بين ان الاشياء كلها مقدرة في كتاب وان القلم فرغ من كتبه مقاديرها واحوالها فلا يعتريها التبدل والتغير بالمكر والحيلة وهذه الآية اشارة الى دلائل الانفس بعد الفراغ من ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الرياح فان دلائل القدرة الكاملة والعلم المحيط مع كثرتها منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فالله تعالى خاطب كفار قريش بان اصلكم ومبدأ خلقكم هو التراب بسبب انكم فروع آدم المخلوق من التراب فاذا كان التراب مبدأ اصلكم آدم عليه الصلاة والسلام يكون مبدألكم ايضا بواسطته ويمكن ان يقال ان اولاد آدم كلهم مخلوق من تراب ومن نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى بالآخرة الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة ﴿قوله من مصيره الى الكبر﴾ اشارة الى ان معنى الآية وما يعمر احد وعبر عنه بالمعمر باعتبار ان مصيره اليه ومن شأنه ان يعمر واحتيج الى هذا التأويل لان تعمير المعمر بمعنى ممدود العمر غير مستقيم لانه تحصيل للحاصل يعنى ان المراد من التعمير المد في العمر ومن المعمر من مصيره الى الكبر ويؤول امره اليه اذلا معنى لتعمير المعمر بمعنى ممدود العمر بالفعل لانه تحصيل الحاصل ولما كان المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر وانه سمى معمرا باعتبار مايؤول اليه كان ضمير عمره في قوله ولا ينقص من عمره راجعا الى المعمر بالمعنى المذكور اذلو كان المراد بالمعمر هو طويل العمر حقيقة وضمير عمره راجعا الى المعمر بهذا المعنى لزم ان يجتمع طوله ونقصانه في شخص واحد وهو محال فمعنى الآية ولا ينقص من عمر من شأنه ان يعمر بان يعطى له عمر ناقص من عمر غيره فقد نسب الى شخص واحد من شأنه ان يصير الى الكبر ان يكون ممدود العمر بوصوله الى حد الكبر وان يكون منقوص العمر بالنسبة الى غيره اى الى من هو اطول عمرا منه ولا استحالة فيه فقوله لغيره متعلق بقوله ينقص ولما كان المتبادر من قوله ينقص من عمر المعمر لاجل غيره ان يعمر الغير بما نقص من عمر المعمر وهو باطل فسره بقوله بان يعطى له عمر ناقص من عمر المعمر لغيره ذكر في ضمير عمره ثلاثة اوجه الاول ان يرجع الى ما اريد بالمعمر المذكور اولا ولما ورد عليه ان الشخص كيف يكون ممدود العمر ومنقوصه معا اجاب بان مد عمره بالنسبة الى من هو اقصر عمرا منه ونقص عمره بالنسبة الى من هو اطول منه عمرا والمستحيل ان يكون شخص واحد بعينه ممدود العمر ومنقوصه في نفسه لا بالنظر الى غيره وقوله لغيره متعلق بينقص اى لاينقص نقصا معتبرا بالنسبة الى غيره

وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقرآءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيي بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل (والذين يمكرون السيئات) المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأى في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لايوبه دونه بما يمكرون به (ومكر اولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لاتتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم ازواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) الا معلومة له (وما يعمر من معمر) وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر

ممن هو اطول منه عمرا كان المدّ ايضا معتبرا بالنسبة الى غيره الذى هو انقص عمرا و الثانى ان يرجع الى المنقوص عمره
المدلول عليه بذكر مقابله و الثالث ان يرجع الى المعمر لا باعتبار تعلق الفعل السابق به ﴿قوله او لا ينقص
من عمر المنقوص عمره﴾ اى و يحتمل ان لا يرجع ضمير عمره الى المعمر بل يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه
بذكر مقابله و يحتمل ان يرجع الى المعمر لا بمعنى من مصيره الى الكبر بل بان يكون كل واحد من الاسم الظاهر و الضمير
بمعنى من اعطى له العمر فكأنه قيل وما يعمر من احد ولا ينقص من عمره واعيد الضمير الى الاحد ﴿قوله ثقة
بفهم السامع﴾ وامنا من الالتباس اذ لا يذهب الوهم الى ان يكون المراد من الاحد الذى رجع اليه الضمير عين
الاحد الذى نسب اليه طول العمر لاستحالة ان ينقص عمر طويل العمر فيعلم كل احد ان المراد بالمعمر الثانى معمر
آخر كما فى المثال المذكور فكأنه قيل وما يعمر معمر و لا ينقص من عمر معمر و لا محذور فيه لان المعمر الثانى غير الاوّل
بالذات و ان اطلق على كل واحد لفظ المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر فان مفهوم المعمر تحته افراد كثيرة والفرق
بين الوجه الاوّل و بين قوله وقيل الزيادة الخ و بين قوله وقيل المراد الخ مع ان ضمير عمره فى الكل للمعمر المذكور
اوّلا ان الزيادة و النقصان فى الوجه الاوّل باعتبار النسب كما مرّ و فى الوجه الثانى باعتبار الشروط و الاسباب
و فى الوجه الثالث باعتبار ان من قدّر له اجل و كتب فى صحيفة عمره كذا و كذا مدّة و المراد بما ينقص من عمره
ما يمرّ من عمره فينقص شيأ فشيأ اذ اتصاف الشخص الواحد بالاوصاف المتضادّة لاجل اختلاف النسب فى الاوّل
و لاجل اختلاف الشروط و الاسباب فى الثانى و لاجل اختلاف المحمول فى الثالث لان المعنى ما يعمر ينقص من عمره
ما يقدّر له اصل العمر و يمضى من عمره شيأ فشيأ كما روى عن سعيد بن جبير انه يكتب فى ام الكتاب ان عمر فلان
كذا و كذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره ﴿قوله و عن
يعقوب و لا ينقص على بناء الفاعل﴾ و نقص يستعمل متعديا و لازما يقال نقصت الشئ نقصا و نقص الشئ
نقصانا فهو فى قرآءة الجمهور متعدّ ليس لازما و اما على هذه القرآءة فيجوز ان يكون لازما على معنى و لا ينقص
شئ من عمره و ان يكون متعديا على معنى و لا ينقص الله شيأ من عمره كما هو معنى قرآءة الجمهور ﴿قوله ضرب
مثل للمؤمن و الكافر﴾ اى بيان مماثلة لهما بالبحر العذب و الملح اى تشبيه المؤمن بالبحر العذب من حيث ان المؤمن
باق على الفطرة الاصلية و الوصف المقصود من حقيقة الانسان كما ان البحر العذب باق على الحالة الاصلية و الوصف
المقصود من حقيقة الماء و ان الكافر مغير عن الفطرة الاصلية و الكمال المطلوب منه كما ان البحر الملح كذلك فذكر
البحران و اريد المؤمن و الكافر و نفى الاستوآء لتفاوت ما فيهما من الوصفين كتفاوت ما بين البحرين و اذا لم يستو
المصدّق و المكذب فى الثبات على اصل الفطرة فلابدّ يفترقا فى المجازاة و اذا لم تقع بينهما التفرقة فى الدنيا فمن
ضرورية البعث و القيامة و لما استعير لفظ البحرين للمؤمن و الكافر كان قوله تعالى هذا عذب فرات و هذا ملح
اجاج مستعارا للبقاء على الحالة الاصلية و التغيير عنها او رد تعليلا لانتفاء استوآء البحرين مستعاراً لانتفاء الوصف
المقصود من كل واحد منهما بتشبيه عدم تساوى المؤمن و الكافر بعدم تساوى البحرين و اذا لم تقع بينهما تفرقة
فى الدنيا فمن ضرورية البعث و النشور تشبيها تمثيليا و هو التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة
من امور متعدّدة ﴿قوله تعالى هذا عذب فرات الخ﴾ فى موقع التعليل لانتفاء استوآء البحرين و شرابه
يجوز ان يكون مبتدأ و سائغ خبره و الجملة خبر ثان و ان يكون سائغ خبراً و شرابه فاعلا له لاعتماده على المبتدأ
يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اى سهل دخوله فى الحلق لعذوبته لا ينفر منه شاربه بل يجذبه طبعه للاعتدال
و سغته انا يتعدّى و لا يتعدّى و الفرات المتناهى فى العذوبة و الاجاج الماء الذى كان فى غاية الملوحة و المرارة
بحيث يحرق ما اصابه لملوحته من اجت النار تؤج اجيجا اى التهبت و الأجة شدّة الحرّ و توهجه و الشئ الذى له
ملوحة فى اصل خلقته يقال له ملح ماء كان او غيره و ما كان فيه ملوحة عارضة يقال له مالح فلا يقال للبحر اذا كان
فيه ملوحة مالح لانه ليس ماء جاوره ملح بل هو فى اصل خلقته كذلك و قول من قال ان ملح على فعل فى قرآءة
من قرأ مقصور من مالح لانه ضعيف لان اطلاق المالح على ماء البحر لغة شاذة و الاصل ان يقال ان ملحا بالفتح و الكسر
لغة فى ملح بالكسر و السكون ﴿قوله استطراد فى صفة البحرين﴾ لانه لا دخل له فى التمثيل و لا فى بيان
عدم التسوية ليكون من تتمة قوله هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج بل ظاهره افادة التسوية بينهما فاذا لم يكن له
مدخل فيما سيق له الآية تعين كونه استطرادا ﴿قوله كما انهما و ان اشتركا فى بعض الفوآئد لا يستويان﴾

(ولا ينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان
يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من
عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا و الضمير له
و ان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للعمر على
التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم
لا يثيب الله عبدا و لا يعاقبه الا بالحق وقيل
الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب
مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكون فيه ان
حج عمرو فعمره ستون سنة و الا فاربعون
وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره و ينقص
فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما
و عن يعقوب و لا ينقص على بناء الفاعل
(الا فى كتاب) هو علم الله او اللوح او الصحيفة
(ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ
او الزيادة و النقصان (و ما يستوى البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج) ضرب مثل للمؤمن و الكافر و الفرات
الذى يكسر العطش و السائغ الذى يسهل
انحداره و الاجاج الذى يحرق بملوحته
وقرئ سيغ بالتشديد و التخفيف وملح على
فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا و تستخرجون
حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين
و ما فيهما من النعم او تمام التمثيل و المعنى كما
انهما و ان اشتركا فى بعض الفوآئد لا يستويان
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود
بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده
و غيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن
و الكافر و ان اتفق اشتراكهما فى بعض
الصفات كالشجاعة و السخاوة لاختلافهما
فيما هو الخاصية العظمى و بقاء احدهما
على الفطرة الاصلية دون الآخر

متعلق بقوله لايتساوى المؤمن والكافر ﴿قوله او تفضيل للاجاج على الكافر﴾ من حيث ان الاجاج يشارك الفرات فى منافع كثيرة فان اللحم الطرىّ يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما والفلك تجرى فيهما ولا منفعة للكافر فالآية على هذا التوجيه مثل قوله اولئك كالانعام بل هم اضلّ وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشدّ قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل نسب الحلية الى كل واحد من البحرين مع انها انما تستخرج من الملح دون العذب وذكر فى توجيه الآية انه قد يكون فى البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح وتغلب عليه فى بعض المواضع فيتفق ان اللؤلؤ يستخرج من ذلك الموضع الذى عذب ماؤه وهو من مواضع الاجاج حقيقة ولفظ فيه فى قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر يجوز ان يكون صلة مواخر وترى بصرية تتعدّى الى واحد وهو الفلك ومواخر حال من الفلك وهو جمع ماخرة يقال مخرت السفينة الماء اى شقته اى ترى الفلك فى كل واحد منهما تشق الماء بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿قوله وحرف الترجى باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال﴾ اى ظاهر حال المخاطبين المنعم عليهم بهذه النعم فانه يدل على انه تعالى انما انعم عليهم بالبحرين ومافيهما من جلائل النعم ليستدلوا بها على وجوده ووحدانيته وانما قلنا باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال لعدم استقامتها نظرا الى حقيقة الحال لان الله تعالى يحيط علمه بانفس الامور وعواقبها فيستحيل عليه الترجى لانه لايتأتى ممن يعلم عاقبة الامر وتحقيق كلامه ان الآية الكريمة من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه معاملته تعالى مع المكلفين بان منحهم عظائم احسانه واظهرهم على دلائل قدرته واراد منهم ان يعرفوا حق احسانه ويشكروه بصورة معاملة من يرجو ويؤمل فعبر عن معاملته تعالى معهم بمعاملة اهل الرجاء ولما ضرب الله تعالى مثلا للمؤمن والكافر ثم ذكر على سبيل الاستطراد صفات البحرين ومافيهما من النعم ليستدلوا بها على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال قدرته كما اشار اليه بقوله ولعلكم تشكرون اشار الى الاستدلال عليه بوجه آخر وهو الاستدلال باختلاف الازمنة ومايؤدّى اليه من تسخير الشمس والقمر فقال يولج الليل فى النهار اى يدخله فيه ويأخذ من هذا ويزيد فى الآخر ويولج النهار فى الليل كذلك وتسخير الشمس والقمر جعلهما مذللين منقادين لما امر به من الطلوع والغروب على النسق المأمور به وعلى الوجه الذى يتعلق به مصالح العباد ومعايشهم وعدم امتناعهما عن شىء من ذلك ﴿قوله هى مدّة دوره﴾ فالمعنى كل من الشمس والقمر يجرى فى مدّته التى جعلها الله لهما فالقمر يقطع السماء فى كل شهر مرّة والشمس فى كل سنة مرّة وكل منهما يجرى الى ان يبلغ منتهى منازله فى دوره اوكل من الليل والنهار والشمس والقمر يجرى فى الدنيا على العادة المعروفة الى ان يجيئ الاجل المسمى عند الله تعالى فى نقض هذه العادة بقيام الساعة وانشقاق السماء وانتثار الكواكب ﴿قوله الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء﴾ من فطر السموات والارض وجعل الملائكة رسلا وارسال الرياح واحياء الموات وخلق الانسان من التراب وغير ذلك ﴿قوله وفيها اشعار الخ﴾ وجه الاشعار او تعليق الحكم بما هو متميز باوصاف معدودة يفيد علية تلك الاوصاف لذلك الحكم اى ذلك الذى فعل هذه الاشياء هو المتصف بالالوهية وانه مالككم ومربيكم بما يصلحكم وله الملك كله فله العبادة كلها وماتدعونه لايفعل شيأ من ذلك فلا يثبت له شىء من هذه الاخبار المترادفة والقران مايقرن به شيئان وعلى هذا الاحتمال يكون والذين تدعون معطوفا على قوله له الملك وعلى الاوّل يكون معطوفا على مجموع قوله ذلكم الله ربكم له الملك ﴿قوله لعدم قدرتهم على الانفاع﴾ اشارة الى ان معنى الآية وان تدعوهم لاينفعوكم ولم يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا فرضا مااجابوا الكم فيما تطلبونه منهم اما لعجزهم عن ذلك واما لتبرئهم منكم واو لمنع الخلوّ والفرق بين الدليلين ان الاوّل لاينافى اصل الاجابة وانما ينافى مايتفرّع عليها بخلاف الثانى فانه ينافيهما معا ولما بين الله تعالى عدم نفعهم فى الدنيا بين انهم فى الآخرة يتضرّرون بهم بقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى باشراككم بالله غيره على ان الشرك مصدر مضاف الى الفاعل وكفر اشراكهم اياهم مع الله بمعنى انكار حقيته وتقبيحه والشهادة على بطلانه او بمعنى انكار ان يكون من اشركوه بالله تعالى هو انفسهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون بل كنتم تعبدون من سوّل لكم ذلك من الشياطين ﴿قوله والمراد تحقيق ما اخبر به﴾ لانه اذا لم يكن اخبار احد من المخبرين مثل اخبار من احاط علمه بجميع المعلومات وعلم بما كان ومايكون قبل ان يكون وهو الله تعالى يكون ما اخبر به حقا واقعا لانه اذا نفى التماثل لمن يحيط علمه بجميع المعلومات فى كون علمه بالاشياء واخباره بها كما هى فى انفسها وعلى حقيقتها لزم ان يكون ما اخبر به حقا واقعا ﴿قوله وتعريف الفقرآء للمبالغة فى فقرهم﴾ يعنى ان الاصل ان يكون المبتدأ معرفة

او تفضيل للاجاج على الكافر بمايشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك وحرف الترجى باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هى مدّة دوره او منتهاه او يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) للدلالة على تفرّده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة (ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (مااستجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم يقرّون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفى ماتدعون لهم (ياايها الناس انتم الفقرآء الى الله) فى انفسكم ومايعنّ لكم وتعريف الفقرآء للمبالغة فى فقرهم كأنهم لشدّة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقرآء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتدّ به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا

والخبر نكرة ويكون المعنى الشيء الفلاني الذي تعرفه ثبت له الحكم الفلاني الذي لاتعلمه وقد يعرف الخبر ليفيد كونه مقصورا على المبتدأ مخصوصا به وههنا ليس الفقر مقصورا على المخاطبين لان الممكنات بأسرها مفتقرة اليه تعالى في اصل وجودها وتوابعه واجاب عنه بان التعريف هنا يفيد القصر الا ان المقصود ليس قصر اصل الافتقار بل المقصود قصر الكمال كما في مثل ذلك الكتاب وحاتم الجواد فان افتقار الانسان اشد واكمل من افتقار سائر الممكنات مع اشتراك الجميع في الامكان الذي هو مناط الافتقار وذلك لان الانسان هو المكلف بالاستكمال بحسب قوته الفطرية والعملية والاجتناب عن مطاوعة نفسه الامارة بالسوء واتباع قوته الشهوية والغضبية وسائر ماهو مغمور فيه من الشواغل الانفسية والآفاقية فلاجرم احتاج في صلاح احواله ورعاية ماكلف به الى امور كثيرة لايحتاج الى شيء منها سائر الممكنات وذلك كثير لكثرة مايختص به مما يتفرع على قوته النظرية والعملية مع كونه مغمورا بالشواغل والعوائق الانفسية والآفاقية **قوله المنعم على سائر الموجودات** اشارة الى ان الحميد كناية عن الملزوم وهو المنعم وانه تكميل لقوله هو الغني لانه تم به فائدة المقابلة وتعريض بانه مع استغنائه على الاطلاق جواد منعم على الاطلاق ومثله في كونه من قبيل التكميل

حليم اذا ما الحلم زين اهله ❁ مع الحلم في عين العدو مهيب

قيل في سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اكثر دعوة الكفار ازدادوا اصرارا وقالوا ان الله تعالى محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فنزل يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وهو مع استغنائه يدعوكم الى مافيه سعادتكم وفوزكم وانتم مع احتياجكم لاتجيبونه ثم قال تعالى على طريق الغضب والتهديد ان يشأ يذهبكم بمعنى ان استحقاقكم للهلاك قد تحقق ولا يتوقف الاهلاك الا على مشيئته فان يشأ يذهبكم ويأت بقوم اطوع منكم يطيعونه فيما امرهم به ونهاهم عنه ويستحقون بذلك فضله ورحمته وقيل ان الآية بيان لغنائه بغاية البلاغة وتقريره ان اذهاب الشيء انما يتوقف على محض المشيئة اذا كان مستغنى عنه بخلاف اذهاب مايحتاج اليه فانه يتوقف بعد المشيئة على انتفاء الحاجة اليه فانه لايقال ان شاء فلان هدم داره وانما يقال لو اتفق احتياجه اليها بوجه ما وشاء هدمها لهدمها والله تعالى لما علق اذهابهم على مجرد مشيئته ذلك ظهر استغناؤه عنهم فكأنه قال ان اقتضت حكمتي ظهور ملكي وعظمتي بخلق ماهو من دلائل كمال علمي وقدرتي وشواهد علو شأني وعزتي ان اخلق آت بخلق جديد يدل على ذلك وماذلك الاذهاب والاتيان بعزيز يغلب عليه تعالى بان يكون متعذرا عليه اومتعسرا ولفظ العزيز استعمله الله تارة في القائم بنفسه فقال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا ونحوه واستعمله تارة في القيام فقال وماذلك على الله بعزيز اي ذلك الفعل لايغلبه بل هو هين عليه وقوله عزيز عليه ماعنتم اي هو يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب **قوله ولاتحمل نفس آثمة** اشارة الى ان وزرت الشيء وهي وازرة بمعنى حملته فهي حاملة وان وازرة صفة محذوف لعلمه به وان الوزر بمعنى الحمل مستعار للاثم تشبيها له بالحمل في كونه مؤذيا لصاحبه لمادلت الآية على ان النفس الوازرة لاتحمل الاوزرها لاوزر غيرها احتيج الى التوفيق بينها وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه التوفيق ظاهر من تقرير المصنف وكل واحد من الاثقالين وان كان اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم لكنه اضاف احدهما اليهم دون الآخر لانه اضاف اثقالهم الى انفسهم حيث قال وليحملن اثقالهم ولم يضف اثقال الاضلال اليهم حيث قال واثقالا لكون اثقال ضلالهم اختصت بهم بالنسبة الى غيرهم اومن حيث ان اثقال ضلالهم اكمل اختصاصا بهم بالنسبة الى اثقال الاضلال لان ضرر الاول مقصور عليهم لايتعداهم بخلاف الثاني **قوله تعالى وان تدع مثقلة** اي تدع مثقلة بالذنوب غيرها الى حملها اي الى ان تحمل ماعليها من الذنوب لم تجب الى ذلك وان كان المدعو ذاقرابة للداعي ابنا او اباه او امه او اخاه قال ابن عباس رضي الله عنهما يلقى الاب او الام ابنه فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لااستطيع حسبي ماعلي فهذه الآية دلت على ان نفسا من النفوس لاتحمل عنها ذنبها كما ان الآية السابقة دلت على انها لاتحمل ذنب غيرها وترك مفعول تدع ليعم كل مدعو على طريق البدل بمعنى وان تدع احدا ممن يتصور منه الحمل فانه يعم كل فرد منهم على البدل فيحتمل ان يكون الفرد ذاقرابة للمثقلة وليس المراد العموم بمعنى من يتصور منه الحمل لانه لايمكن ان يكون الجمع المذكور ذاقربى للمثقلة فلا يصلح ان يرجع اليه ضمير كان في قوله ولو كان ذاقربى

(والله هو الغني الحميد) المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ماتعرفونه (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر اومتعسر (ولاتزر وازرة وزر اخرى) ولاتحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم (وان تدع مثقلة) نفس اثقلها الاوزار (الى حملها) تحمل بعض اوزارها (لايحمل منه شيء) لم تجب بحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها (ولو كان ذاقربى) ولو كان المدعو ذاقرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه

﴿قوله على حذف الخبر﴾ والتقدير ولو كان ذاقرابتها مدعوّها او جعل كان تامة على معنى و لو حضر او وجد ذو قربى لفات انتظام الكلام لانه يقتضي ان يكون المعنى ان دعت احدا الى حملها لايجيبها الى مادعته اليه و ان كان المدعوّ ذاقرابتها او و ان كان ذاقرابتها مدعوّها و لو كان المعنى لايحمل مدعوّها شيأ منه و لو وجد ذو قربى لفاتت الملاءمة لعموم اعتبار كونه مدعوّا ﴿قوله او غائبا عنهم عذابه﴾ فيكون بالغيب حالا من المفعول المقدّر لان تقدير يخشون ربهم يخشون عذاب ربهم لحذف المضاف و ان فسر بقوله غائبين عنه اى عن العذاب يكون حالا من الفاعل ﴿قوله و اختلاف الفعلين لما مرّ﴾ اى فى تفسير قوله تعالى فتثير سحابا من ان اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فقوله لما مرّ هو الدلالة على استمرار الامر ﴿قوله فانهم المنتفعون بالانذار لاغير﴾ اى لاغير المنذرين اذ لايستقيم حمل الكلام على ظاهره لظهور انه عليه الصلاة و السلام كان ينذر جميع الناس سوآء كانوا اهل الخشية ام لا وعدل عنه للتنبيه على ان الانذار الغير النافع كعدمه و ان غير اهل الخشية كأنهم لم ينذروا اصلا ﴿قوله تعالى و من تزكى﴾ اى بان يعمل خوفا من عذاب ربه بالغيب على حسب مايقتضيه الانذار و بفعل الطاعات و بترك المنكرات فان منفعة ذلك راجعة اليه و الله تعالى غنى عن العباد وهو جملة معترضة وقعت بين قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب و اقاموا الصلاة و بين قوله و مايستوى الاعمى و البصير الى قوله و ماانت بمسمع من فى القبور الآية لانه متصل بالاوّل و المقصود من الكل تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لما اظهر غضبه على من اتخذ من دون الله اندادا بقوله ان يشأ يذهبكم و اتبعه بالانذار بيوم القيامة و اهوالها و انه صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم هذه الآية فلم يتعظوا بها و لم ينتهوا عماهم عليه من الشرك و سوء الافعال التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له و خاطبه بان نعى اليه تمرّدهم و عنادهم و ان الوعظ لايؤثر فيهم و انهم لايخافون عقابه لانهم جهال لايتفكرون فى العاقبة و الوعظ انما يؤثر فيمن توقع انه لابدّ من المصير الى الله فيخشى عقابه و مثلهما مثل الاحياء و الاموات و ان مثل الكفر و الايمان الظلمات و النور و ان مثل الجنة و النار الظل و الحرور فانى تتساوى هذه الاشياء و على هذا التقدير ظهر انها معترضة و الكلام المعترض انما يؤتى به لتحقيق ماتقدم عليه و تأكيده فهذا الكلام جيئ به ترغيبا لهم اى لاهل الخشية و تقوية لنشاطهم على الخشية و اقامة الصلاة لانهما من جملة مايتزكى به فكأنه قيل و من فعلهما فنفعهما لايعود الا اليه ﴿قوله وقرئ و من ازكى فانما يزكى﴾ اصل ازكى تزكى على وزن تفعل ادغمت التاء فى الزاى ثم اتى بهمزة الوصل للابتدآء و اصل يزكى يتزكى على وزن يتفعل فادغمت التاء فى الزاى كما ادغمت فى الذال نحو يذكرون فى يتذكرون ضرب البصير مثلا للمؤمن من حيث انه ابصر طريق الفوز و النجاة و سلكه بخلاف الكافر فانه لما لم يبصره و لم يسلك فيه شبه بالاعمى و قيل المشبه بالاعمى هو الصنم و المشبه بالبصير هو الله عزوجل فيكون التمثيل مرتبا على قوله ذلكم الله ربكم له الملك و الذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير و هذه الاشياء جيئ بها على الاستعارة و التمثيل و على احسن وجوه الترتيب فانه تعالى لما ضرب الاعمى و البصير مثلين للكافر و المؤمن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر فى ظلمة الكفر و الباطل و المؤمن فى نور الايمان و الحق لان البصير و ان كان حديد النظر لابدّ له من نور يبصر به ثم ذكر مآل كل منهما فللمؤمن الظل و للكافر الحرور و قدّم الاعمى على البصير و الظلمات على النور و الظل على الحرور ليطابق فواصل الآى و يكون الكل على نسق قوله و الى الله المصير و لما تقدّم الاعمى فى الذكر لذلك ناسب تقديم ماهو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ﴿قوله و لا لتأكيد نفى الاستوآء الخ﴾ اعلم ان فعل الاستوآء مثبتا كان او منفيا لايكون الا بين شيئين او اكثر و من ثمة لزم العطف على فاعله و اسناده الى ضمير التثنية او الجمع نحو استويا و لايستوون فههنا نفى الاستوآء بين الاعمى و البصير بعطف احدهما على الآخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدّين و هما الظلمات و النور عطف الشفع على الشفع فاذا العطف المذكور يفيد انهما لايستويان ايضا و عطف فيه احد الضدّين على الآخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدّين الآخرين و هما الظل و الحرور عطف شفع على شفع و عطف احدهما على الآخر عطف وتر على وتر فاذا العطف يفيد عدم استوآئهما ايضا و لاحاجة فى افادة العطف هذا المعنى الى كلمة لا لابين المعطوف عطف شفع على شفع و بين المعطوف عليه و لابين المعطوفين عطف وتر على وتر و هذا ظاهر لان العاطف يقوم مقام العامل و هو الفعل المنفى فانه لو عطف الشفع على الشفع بان قيل و الظلمات

و قرئ ذو قربى على حذف الخبر و هو اولى من جعل كان تامة فانها لاتلائم نظم الكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه (و اقاموا الصلاة) فانهم المنتفعون بالانذار لاغير و اختلاف الفعلين لما مرّ (و من تزكى) و من تطهر من دنس المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) اذ نفعه لها و قرئ و من ازكى فانما يزكى و هو اعتراض مؤكد لخشيتهم و اقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (و الى الله المصير) فيجازيهم على تزكيتهم (و مايستوى الاعمى و البصير) الكافر و المؤمن و قيل هما مثلان للصنم و لله عزوجل (و لا الظلمات و لا النور) و لا الباطل و لا الحق (و لا الظل و لا الحرور) و لا الثواب و لا العقاب و لا لتأكيد نفى الاستوآء و تكريرها على الشقين لمزيد التأكيد و الحرور فعول من الحرّ غلب على السموم و قيل السموم ماتهب نهارا و الحرور ماتهب ليلا

والنور والظل والحرور لفهم ان الضدّين الاوّلين لايستويان وكذا الضدّان الاخيران الاانه زيد كلمة لافى قوله ولاالظلمات ولاالنور ولاالظل ولاالحرور ومايستوى الاحياء ولاالاموات لتأكيد النفى ثم بعد ذلك لم يكتف بان قيل ولاالظلمات والنور ولاالظل والحرور ومايستوى الاحياء والاموات كما قيل ومايستوى الاعمى والبصير بدون لافى الشق الثانى وهو شق المعطوف عطف الوترمع ان الظاهر يقتضى ان يقال كذلك لان المساواة لاتكون الابين شيئين فلايصح ان يقال لايستوى زيد ولاعمرو الاان يحكم بزيادة لابعد الواو العاطفة بل كررت كلمة لامع كل واحد من شق المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التأكيد فليقف هذا الاطناب لان هذا المقام قديخفى على بعض الطلاب قيل وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متسعة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو امر واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لايوجد فيها مايساوى هذا الواحد ﴿قوله ابلغ من الاوّل﴾ اى فى الدلالة على ضلال الكافر وحرمانه من الوصول الى ماينفعه ويصلح حاله فان الاعمى قديهتدى الى مقصوده بخلاف الميت فانه محروم منه رأسا ﴿قوله وقيل للعلماء والجهلاء﴾ فان تشبيه الجهلة بالاموات شائع ومنه قوله

❋ لاتعجبن لجهول ماس فى حلل ❋ فانه ميت وثوبه كفن ❋

لان الحياة المعتبرة هى حياة الارواح وذلك بالحكم والمعارف وحياة الانسان من حيث انسانيته لاتكون الابها ولاعبرة لحياة الاجساد بدونها لاشتراك البهائم فيها وترشيح الاستعارة اقترانها بمايلائم المستعار منه واعتبر الترشيح مقيسا الى التشبيه حيث قال ترشيح لتمثيل المصرّين اى تشبيهم لان الاستعارة لاتكون الابعلاقة التشبيه ولما استعير لفظ الاموات من معناه الحقيقى للكفار وهو كونه موصوفا بمن فى القبور رشح بمايلائم معناه الحقيقى وهو المقبورية ووجه كون الترشيح المذكور مبالغة فى اقناط رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهتدائهم بدعوته ان الترشيح حيث ماوقع تحققت المبالغة فى التشبيه من حيث ان الاستعارة تفيد المبالغة فى التشبيه فترشيحها بما يلائم المستعار منه يحقق تلك المبالغة ويقوّيها ﴿قوله محقين الخ﴾ يعنى ان قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل ارسلناك اى محقين او ملتبسين بالحق اومن مفعوله اى محقا او ملتبسا بالحق وان يكون نعتا لمصدر محذوف اى ارسالا ملتبسا بالحق ومصحوبا به وان يكون متعلقا بقوله بشيرا ونذيرا الاانه لايمكن ان يتعلق بهمامعا بل انما يتعلق على طريق التنازع وبايهما يتعلق يقدّر للآخر مايتعلق به ويكون حاصل المعنى ماشار اليه بقوله بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿قوله اهل عصر﴾ فسر الامّة بهذا المعنى لانه المناسب فى هذا المقام لان الامّة كل جماعة يجمعهم امر يشتركون فيه اما دين واحد اومكان واحد كامّة الاجابة او دعوة واحدة كامّة الدعوة او طريقة واحدة اوزمان واحد فقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون يصلح مثالا لهذه الثلاثة كأنه قيل مامن قرن فيماسلف الامضى فيه من يبشر اهل الطاعة بالجنة وينذر اهل المعصية بالنار الزاما للحجة عليهم وقوله الاخلافيهانذير خبرعن امّة ﴿قوله او عالم ينذر﴾ اى ينذر اهل عصره من الامّة راو يا مابلغه اليهم من امور الدين عن نبيه وهو اشارة الى جواب مايقال الامّة الواقعة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يكن فيها نذير فاوجه قوله تعالى وان من امّة الاخلافيهانذير ﴿قوله والاكتفاء بذكره﴾ جواب عما يقال لم اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية مع ذكرهما معاآنفا واجاب عنه بان النذارة والبشارة لما كان كل واحدة منهما من توابع الاخرى ولوازمها من حيث ان كل من ينذر على المخالفة يبشر على الموافقة جاز الاكتفاء باحداهما عن الاخرى ولان المقصود الاهم من البعثة هو الانذار لان الناس لتماديهم فى الغفلة والضلال وانهماكهم فى اتباع الشهوات واللذات وتقليد البطلة المصرّين على المنكرات كان احتياجهم الى النذير اهم لان التخلية عن الرذائل متقدّمة على التحلية بالفضائل وتقريره ان النذير بمعنى المنذر من العذاب اعم من النبى المخبر عن الله تعالى ومن العالم المخبر عن النبىّ وفترة عيسى عليه الصلاة والسلام لم يزل فيها من هو على دينه وداع الى الايمان وحين ارتحلوا وانقرضوا ولم يبق منهم احد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿قوله كالتوراة والانجيل﴾ اشارة الى ان المراد بالكتاب المنير ليس مطلق الكتاب ليتحد بالزبر ويعم الصحف وغيرها بل المراد به الكتاب الكبير المنور الموضح لمايحتاجون اليه وهو اربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان والمراد ههنا غير الفرقان لان المراد ماجاء به رسل الامم السابقة فلايكون معنى قوله جاءتهم رسلهم بهذه الثلاثة على هذا التقدير اى على عدم اتحاد الزبر بالكتاب

(ومايستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاوّل ولذلك كرّر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما انت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرّين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه منهم (ان انت الانذير) فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولاحيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم (انا ارسلناك بالحق) محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله (بشيرا ونذيرا) اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من امّة) اهل عصر (الاخلا) مضى (فيها نذير) من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم (وبالزبر) وبصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) اى انكارى بالعقوبة

ان كل واحد منهم جاء بها جميعا ضرورة ان من جاء بالزبر لم يجئ بالكتاب المنير بالمعنى المذكور وكذا من جاء به لم يجئ بالزبر وان جاء كل واحد منهم بالبينات لان كل نبي لابدّ له من معجزة كما ان الرسول النبي هو اخص منه لابدّ له من كتاب سماوي سوآء كان من قبيل الصحف او من نحو التوراة والانجيل بل معناه انهم جاؤا بها على التفصيل دون الجمع بان يجئ بعضهم ببعض منها كالبينات والزبر والبعض الآخر ببعض آخر منها كالبينات والكتاب المنير هذا على تقدير الفرق بين الزبر والكتاب واما على تقدير اتحادهما فالمعنى ان كل واحد منهم جاء بجميعهما ولا يكون حينئذ عطف الكتاب على الزبر من قبيل عطف الذات على الذات بل من قبيل عطف الصفات كما في مثل قولك جاءني الآكل والشارب عند اتحاد الموصوف بهما وقوله تعالى جاءتهم رسلهم في موضع النصب على انه حال من المفعول باضمار قد اى كذبوا رسلهم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والاستفهام في قوله تعالى فكيف كان نكير للتقرير فانه عليه الصلاة والسلام علم شدّة انكار الله تعالى عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه في مقام التسلية ﴿قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها﴾ التفات من الغيبة الى التكلم لان سوق الآية للحث والتحريض على النظر في عجائب صنعه وآثار قدرته ليجعل ذلك ذريعة الى علمه تعالى بصفات كماله وما يجوز له وما لا يجوز عليه ليؤدّي ذلك العلم الى خشيته لان الخشية نتيجة العلم كما اشار اليه استئناف قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قيل ما وجه التحريض على النظر في دلائل علمه بصفات كماله فاجيب بان ذلك يورث الخشية ولا يخشى منه الا العلماء ولما تقرّر ان سوق الآية للحث على النظر في عجائب صنعه عبر عما هو اشمل على مزيد الصنع وكمال القدرة بما هو ادخل في افادة اختصاصه به تعالى وقوله تعالى ثمرات منصوب على انه مفعول به لاخرجنا ومختلفا صفة الثمرات والوانها مرفوع بانه فاعل مختلفا كأنه قيل فاخرجنا به ثمرات مختلف الوانها ومختلفا لما اسند الى ظاهر الجمع المكسر لغير العقلاء جاء تذكيره ولو انث وقيل مختلفة الوانها لجاز كما تقول اختلفت الوانها ﴿قوله اجناسها﴾ كالرمان والتفاح والتين والعنب ونحوها ولكل منها اصناف معلومة وكيفيات مبصرة يصح تفسير لفظ الالوان بكل واحدة منها لغة وفي الصحاح اللون هيئة كالسواد والحمرة واللون النوع فان فسرت الالوان بالاجناس يكون قوله مختلفا الوانها صفة مؤكدة لثمرات لان الثمرة مع كونها اسم جنس يعم القليل والكثير انما جمعت للدلالة على قصد الانواع فتوصيفها بكونها مختلفة الاجناس انما هو لتأكيد ما دل عليه لفظ الجمع وان فسرت بالاصناف او بما هو من الكيفيات المبصرة تكون صفة مخصصة على معنى فاخرجنا به اجناس الثمار المختلف اصنافها والوانها بمعنى ان كل واحد من تلك الاجناس له اصناف مختلفة واختلاف اجناسها واصناف كل نوع والوانه مع اتفاق الماء والتراب دليل واضح على كمال قدرة صانعه والجدد بضم الجيم وفتح الدال الاولى جمع جدّة وهي الطريقة التي يخالف لونها لون ما يليها سوآء كانت في الجبل او في غيره ومنه جدّة الحمار وهي الخطة التي في ظهره تخالف لونه والخطة بمعنى الطريقة فعلة بمعنى المخطوط كالفرقة والقبضة وقوله اى ذو جدد اشارة الى ان المبتدأ هو المضاف المحذوف فلما حذف اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه والمعنى في الجبال ما هو ذو جدد يخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى الى ان من الجبال ما هو مختلف الوانه فتتلاءم القرائن الثلاث فان ما قبلها فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وما بعدها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى منهم بعض مختلف فلابدّ في القرينة المتوسطة بينهما من ارتكاب الحذف ليؤول المعنى الى ما ذكر فيحصل تناسب القرائن ﴿قوله جمع جديدة بمعنى الجدّة﴾ وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى الجدة وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الالوان للناظرين غير مختلفة والجدد بفتحتين اسم مفرد بمعنى الطريق الواضح البين الا انه وضع في الآية في قرآءة من قرأ به موضع الجمع اذ المراد الطرآئق والخطوط بقرينة وصفه بالجمع وهو البيض والحمر فان بيض صفة لجدد وحمر عطف على بيض وجدد مبتدأ ومن الجبال خبره قدّم عليه وهو الذي سوّغ الابتدآء بالنكرة وبيض صفة لجدد ومختلف صفة لجدد ايضا والوانها فاعل مختلف كما مرّ في نظيره وضمير الوانها للجدد ولا يجوز ان يكون الوانها مبتدأ ومختلف خبرا مقدّما عليه والجملة صفة جدد اذ كان يجب ان يقال حينئذ مختلفة لاسنادها الى ضمير المبتدأ ﴿قوله بالشدّة والضعف﴾ اشارة الى ان المعنى ان كل واحدة من الجدد البيض يخالف لونها لون غيرها بالشدّة والضعف مع اشتراك الكل في كونه ابيض فرب ابيض اشدّ بياضا من ابيض آخر واضعف من آخر وكذا كل واحد من الجدد الحمر تخالف حمرته حمرة الباقين بان يكون اشدّ منها حمرة او اضعف ويحتمل ان يكون المعنى

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) اى ذو جدد اى خطط وطرآئق فيقال جدة الحمار للخطة السودآء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدّة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف الوانها) بالشدّة والضعف

ان الجدد مختلف الوانها بان يكون بعضها ابيض و بعضها احمر فيكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة الا انه عبر عن اللونين بالالوان لتكثر كل منهما باعتبار محالهما وعلى الاول لاحاجة الى هذا التوجيه ﴿قوله عطف على بيض او على جدد﴾ فان كان عطفا على بيض يكون من تفاصيل الجدد كالبيض وان كان عطفا على الجدد لايكون داخلا فى تفصيله بل يكون قسيمه اى منها ذو جدد وسود واشار بقوله كأنه قيل الى انه متفرع على قوله او على جدد والغربيب هو الاسود المتناهى فى السواد فيكون تابعا للاسود مثل قان وناصع فى قولهم احمر قان وابيض ناصع والواو فى قول النابغة والمؤمن للقسم والمؤمن اسم فاعل مجرور بها والعائذات الحمائم التى عاذت بمكة والتجأت اليها وضمير يمسحها للطير والغيل والسند موضعان وجواب القسم فى البيت الذى بعده وهو قوله

۞ ماان اتيت بشئ انت تكرهه ۞ اذن فلارفعت سوطى الىّ يدى ۞

فكأنه قال والله المؤمن الطير العائذات ما اتيت بشئ انت تكرهه والا اذن فشلت يدى فمفعول المؤمن مضمر هو الطير والطير المذكور يفسره والعائذات صفة لذلك المضمر لا للمذكور لتقدمه عليه ومن حق الصفة ان تتبع موصوفها وقد يضمر الشئ ثم يفسر بماذكر بعده قصدا الى زيادة التأكيد بان يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ﴿قوله وهو تأكيد مضمر﴾ جواب عما يقال ان الغربيب تأكيد لاسود كما ان القانى تأكيد الاحمر والناصع تأكيد الابيض ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد فينبغى ان يقال وسود غرابيب كما يقال احمر قان وابيض ناصع فلم قدم التأكيد على المؤكد * واجاب عنه بان ماذكره انما يرد ان لو كان غرابيب تأكيدا لمابعده وليس كذلك بل هو تأكيد لمضمر يفسره مابعده والتقدير وسود غرابيب سود كما ان تقدير البيت والمؤمن الطير العائذات الطير ويفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاضمار والاظهار جميعا ﴿قوله كاختلاف الثمار والجبال﴾ اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه صفة لمصدر محذوف والمعنى ومن الناس والدواب والانعام نوع او صنف او بعض مختلف الوانه اختلافا كائنا كاختلاف الثمرات والجبال على ان قوله تعالى مختلف صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ والجار والمجرور قبله وهو من الناس خبره ولذلك عمل اسم الفاعل ﴿قوله ولهذا اتبعه الخ﴾ اى ولكون شرط الخشية ماذكر نزلت هذه الآية تابعة لقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء الى آخر مايدل على افعاله الدالة على كمال قدرته فانه تعالى لما عدد لنبيه صلى الله عليه وسلم اعلام قدرته الباهرة فقد حرضه على النظر فى آياته الدالة على عظمة شأنه وكمال كبريائه ليعرفه بصفات كماله ويخشاه حق خشيته والظاهر انه فصله عماقبله استئنافا جوابا لسؤال نشأ عماقبله فكأنه لما قيل الم تر الخ قال لم تخصصنى بهذا الخطاب فاجيب بانه انما يخشى الله من عباده العلماء لان العلم المترتب على النظر فى الآيات وآثار الصنع انما يحصل فيك وفيمن هو على صفتك فى التفكر والتدبر ﴿قوله ولو اخر انعكس الامر﴾ اى الحال فكان المعنى العلماء لايخشون الا الله وهو غير مستلزم للمقصود ولانه لاينافى ان يكون غير العلماء خائفا من الله والمقصود حصر الخوف من الله تعالى فى العلماء والمعنى الآخر وان جاء فى التنزيل فى قوله تعالى لايخشون احدا الا الله لكن ليس هو الغرض فى هذا المقام ﴿قوله فان المعظم يكون مهيبا﴾ اشارة الى وجه تشبيه التعظيم بالخشية من حيث اتحاد تعلقهما فان المعظم لكونه على اكمل الخلق واحسن الاحوال يخاف منه القاصرون فاستعير لفظ الخشية للتعظيم ثم اشتق من الخشية المستعارة لفظ يخشى ﴿قوله لدلالته﴾ اى لدلالة قوله ان الله عزيز غفور على عقوبة العصاة ومغفرة التائب من ذنبه والقادر على العقوبة والغفران حقه ان يخشى * فان قلت اىّ مدخل لقوله تعالى غفور فى الدلالة على انه تعالى يجب ان يخشى مع ان الوصف بالغفران موجب للرجاء دون الخوف * قلت ماذكرته انما يرد اذا ذكر التعرض لصفة الغفران فقط واما اذا قرن بمايدل على عزته وانتقامه من المسيء فحينئذ يكون المقصود بيان قدرته الكاملة وانه يفعل مايشاء وهذه الصفة توجب الخوف ﴿قوله يداومون قرآءته او متابعة مافيه﴾ اشارة الى ان يتلون يجوز ان يكون مضارع تلاه تلوّا بمعنى تبعه وان يكون مضارع تلاه تلاوة بمعنى قرأه وحمل يتلون على الاستمرار اخذا من كون ماعطف عليه مخالفا حيث كان على صفة الماضى وهو قوله واقاموا الصلاة وانفقوا ولولا ذلك القصد اى قصد الاستمرار لجيء به ماضيا كما فى قوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا وكون المقام مقام المدح يؤيد كون الفعل محمولا على الاستمرار فانك اذا قلت فى مقام المدح فلان يطعم الجائعين ويعين المضطرين فانما تريد ان شانه ودينه ذلك ولم يقصد الدلالة على الاستمرار

(وغرابيب سود) عطف على بيض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد الاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة شعر
والمؤمن العائذات الطير يمسحها *
ركبان مكة بين الغيل والسند *
وفى مثله مزيد تأكيد لمافيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون قرآءته او متابعة مافيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا

في اقامة الصلاة و الانفاق لان المراد بهما اقامة الصلوات الخمس و ايتاء الزكاة و هما لكونهما موقتين باوقات معينة لايتصور الاستمرار فيهما ﴿قوله فيكون ثناء على المصدقين﴾ يعني على تقدير كون المراد بكتاب الله جنس كتب الله تكون الآية مرتبطة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم الى قوله ثم اخذت الذين كفروا اقتص به حال المكذبين من الامم المتقدمين ثم اثنى بهذه الآية على المصدقين منهم كأنه قيل لما ارسل الى كل امة رسولا ينذرهم صاروا فريقين منهم من كذب رسولهم فاهلكهم ومنهم من صدقه فاولئك يرجون تجارة لن تبور وعلى تقدير ان يكون المراد بكتاب الله القرآن تكون مرتبطة بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء بين اولا ان العلم بصفات الله وافعاله يورث الخشية ثم بين ثواب العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه وفي الآيتين اشارة الى ان اول الواجب على المكلف النظر في مصنوعات الله ليؤديه ذلك النظر الى علمه تعالى بصفاته وافعاله ثم يؤدي ذلك العلم الى الخشية التي هي عمل القلب ثم ان تلك الخشية تؤدي الى الذكر باللسان الذي هو افضله واجمعه تلاوة القرآن ثم يؤدي ذلك الذكر الى العمل بالجوارح الذي هو افضله واجمعه اقامة الصلاة وهذه العبادات الثلاث هي المتعلقة بالقلب واللسان والجوارح كلها من قبيل تعظيم امر الله تعالى وبقي من الاعمال الدينية مايكون من قبيل الشفقة على عباد الله فان رجاء الله انما يتم بالشفقة على المحتاجين من خلقه واشير اليه بقوله وانفقوا مما رزقناهم مع ان الاقامة التي هي اتيان الشيء مستقيما مستجمعا لجميع ماله مدخل في حسنه وكماله يغني عن التعرض لمايدل على استمراره فان اقامة الصلاة والزكاة انما تحصل بالمواظبة عليهما في اوقاتهما المعينة لهما ﴿قوله تعالى سرا وعلانية﴾ مصدران في موضع الحال بتقدير مسرين ومعلنين اي غير قاصدين واحدا منهما بعينه في انفاقهم بل يقصدون به مجرد المعاملة مع خلق الله بالشفقة والاحسان كيف ماتيسر فان تيسر سرا فذاك والا فعلانية ولايمنعه ظنه ان انفاق العلانية رياء فان ترك الخير مخافة الرياء هو عين الرياء فعلى هذا يكون المقصود من العطف الدلالة على ان المقصود الحث على الانفاق مطلقا كيف ماتيسر وعلى قول الاخير يكون العطف لتقسيم الانفاق الى الفرض والنفل والحث على كل واحد منهما ويكون تعيين كل واحد من القسمين بما خص به من الوصف اشارة الى ان الاولى والمستحب في الصدقة المسنونة الاخفاء وفي المفروضة الاعلان كما ان المستحب في الصلاة المفروضة اعلانها وفي النافلة اخفاؤها ﴿قوله تحصيل ثواب بالطاعة﴾ اشارة الى ان التجارة استعارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه شبه تلك المعاملة بالتجارة وهي معاملة الخلق بعضهم لبعض بالبيع والشراء لنيل الربح والمعنى انهم يرجون بما اتوا من الطاعات المذكورة متاجرة الله تعالى ونيل ثوابه متاجرة لن تبور بضياع رأس المال بالهلاك او بالكساد بل يروج ويربح منها صاحبها ارباحا كثيرة وقوله يرجون اشارة الى انهم لايجزمون بنفاق تجارتهم ولايقطعون به بل يخافون ان لايقبل ماتوابه ففي الآية اشارة الى بطلان قول من قال انه يجب على الله تعالى ان يقبل طاعة عبده ويثيبه عليها ﴿قوله اي ينتفي عنها الكساد﴾ والبور في الاصل الهلاك وفسر قوله لن تبور بقوله لن تكسد ثم فسر انتفاء الكساد عنها بنفاقها عند الله يحتمل كل منهما على الكناية فان انتفاء البور لازم لانتفاء الكساد وكذا انتفاء الكساد لازم للنفاق والرواج فجعل لن تبور كناية عن لازمه وهو لن تكسد ولن تكسد كناية عن لازمه ايضا وهو تنفق فيكون قوله تنفق بهذا الاعتبار مدلول قوله لن تبور فكأنه قيل يرجون بما اتوا تجارة نافقة عند الله تنفق ليوفيهم بنفاقها فيكون نفاق طاعة العبد عنده تعالى معللا بتوفية اجر عمله لانه تعالى قيدها بذلك وهو معنى لام التعليل في ليوفيهم على تقدير تعلقها بمدلول لن تبور واما على تقدير تعلقها بمدلول الافعال المتقدمة فمعنى كون التوفية علة لها كونها غرضا لفاعل تلك الافعال من فعلها اي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض ووجب ان يعلم ان تعلقها بنفس الافعال المتقدمة انما هو على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون حالا لانه ان كان خبر ان لايجوز ذلك احترازا عن الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبي وعلى تقدير كونه حالا لايكون الفاصل اجنبيا من العامل واما اذا تعلقت بمحذوف دلت عليه تلك الافعال فيجوز ان يكون يرجون حينئذ حالا وخبرا لعدم المحذور فيهما جعل اللام على تقدير تعلقها بيرجون لام العاقبة لان غرضهم فيما فعلوا هو التجارة النافقة عند الله تعالى لاغير لان التعريف بالموصولية هناك للايماء الى وجه ثبات الخبر ثم جعل ذلك الايماء ذريعة الى تحقق الخبر اي جعله محققا ثابتا ولما ادى ذلك الغرض الى ان يوفيهم الله اجورهم اتى باللام ﴿قوله علة لمدلوله﴾ اي مدلول لن تبور فان التجارة اذا كانت

والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف انفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله (ليوفيهم اجورهم) علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم

او لمدلول ما عدّ من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم اوعاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على مايقابل اعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا (والذى اوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ماينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية (ثم اورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى اغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق

غير هالكة وكاسدة عند الله تدل على انها نافقة عند الله مقبولة عنده وقوله ليوفيهم اجورهم متعلق بهذا المدلول كأنه قيل ان التالين والمقيمين والمنفقين راجون تجارة غير هالكة ولا كاسدة عنده تعالى بل تنفق عنده ليوفيهم جزاء اعمالهم ولا تتعلق اللام بنفس لن تبور لان الامر العدمى لايكون علة حاملة للفاعل على الفعل ولا معلولا مرتبا عليه فى الخارج ﴿ قوله اولمدلول ماعدّ من افعالهم ﴾ اى ولا يجوز ان تكون اللام متعلقة بكل واحد من الافعال الثلاثة لان المعمول الواحد لا يتوارد عليه عوامل متعددة ولا يجوز تعلقها بها الا على سبيل التنازع واعمال واحد منها واضمار معمول غيره او حذفه كما هو المذكور فى كتب النحو فالاحسن ان تعلق بمدلول تلك الافعال اى فعلوا ليوفيهم بل لايجوز تعلقها بنفس الافعال الثلاثة المذكورة على سبيل التنازع على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون خبر ان لانه يستلزم ان يقع الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى لان خبر ان لايكون فى حيز شئ من تلك الافعال فيكون اجنبيا منها فلابد ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه تلك الافعال اى فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض ﴿ قوله اوعاقبة ليرجون ﴾ عطف على قوله علة لمدلوله جعل اللام على تعلقها بيرجون لام العاقبة لان رجاء التجارة النافقة عند الله تعالى هو لاجل ان يوفيهم ثواب اعمالهم وليس الاول معللا بالثانى ويجوز ان يكون التوفية عاقبة لرجائهم وقوله احقه مصدقا يعنى ان قوله مصدقا حال مؤكد من مفعول احقه المقدر المدلول عليه بقوله هو الحق ﴿ قوله ويرجون حال من واو وانفقوا ﴾ لم يجعله حالا من فاعل الافعال الثلاثة التى هى يتلون واقاموا وانفقوا لئلا يجتمع على معمول واحد عوامل بل جعله متعلقا بتلك الافعال على سبيل التنازع واعمل الاقرب وعلى تقدير ان يكون قوله انه غفور شكور خبر ان لابد فيهما من العائد فقدره بقوله لفرطاتهم والشكر فى حق العباد صرف كل واحد من اللسان والجنان والجوارح الى طاعة المنعم وفى حقه تعالى المجازاة على طاعة العباد والشكور من ابنية المبالغة ووجهه انه تعالى يقبل القليل من طاعة عباده فيضاعف لهم الجزاء والعيار المعيار الذى يقاس به غيره ويسوّى فان القرآن لكونه معجزا فى نفسه يكون دليلا على التصديق بانه وحى الهى فاذا وجد الوحى ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم علم اعجازه وصدق ماتقدم من الكتب وعلم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير استئناف جيئ به تعليلا للايحاء اليه فان من كان خبيرا بالبواطن بصيرا بالظواهر اذا خص احدا برسالته والايحاء اليه يكون ذلك حقا مبنيا على استحقاق الموحى اليه لذلك فهو كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله بين يديه معناه بين الجهتين المحاذيتين لليدين فهو ظرف للمكان ثم يستعار للزمان المتقدم تشبيها للزمان بالمكان ﴿ قوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه ﴾ فعلى هذين الوجهين يكون اورثنا عطفا على اوحينا ويكون المراد من الذين يتلون كتاب الله مؤمنى هذه الامة ويراد بالكتاب القرآن والمعنى اوحينا اليك القرآن ثم حكمنا بعدك بتوريثه او وضع الماضى موضع المستقبل وعبر عنه بالماضى لكونه محقق الوقوع وعلى التقديرين يظهر كون المعطوف متراخيا عن المعطوف عليه مع كونه ماضيا بالنسبة الى زمان الوحى فان حكمه تعالى بتوريث القرآن منه من صفاته الازلية ومتراخ عن مضمون قوله اوحينا اليك بمعنى استبعاد مضمون الحكم بتوريثه منه عن مضمون وحيه اليه قال نجم الدين الرضى فى شرحه للكافية وقد يجيئ ثم فى عطف الجمل خاصة لاستبعاد مضمون مابعدها عن مضمون ماقبلها وعدم مناسبته له كما فى قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فان بين توبة العبد وهى انقطاع العبد اليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيدا وهذا المعنى فرع التراخى ومجازه انتهى كلامه واجاب ثانيا بان اورثنا بمعنى نورثه الا انه وضع الماضى وضع المستقبل تنزيلا لما سيكون منزلة الكائن لكونه محقق الوقوع كقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف واجاب ثالثا بان اورثنا على حقيقته بناء على ان ليس المراد نورث القرآن بعده عليه الصلاة والسلام المؤمنين من امته بل المراد نورث جنس الكتب من الامم السالفة وقوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه جواب عما يقال الظاهر ان قوله تعالى ثم اورثنا عطف على اوحينا وان كلمة ثم تقتضى التراخى فى الزمان كأن يقال ثم نورثه بعدك المصطفين فامعنى مجيئ اورثنا على لفظ الماضى واجاب اولا بان ايراث الكتاب المصطفين بمعنى اعطائه اياهم كاعطاء الارث للوارث من غير كد وتعب فى طلبه وان لم يكن ماضيا بالنسبة الى زمان نزول الآية فكان الظاهر ان يقال ثم نورثه الا انه قيل اورثنا على لفظ الماضى بناء على ان المراد بالايراث الحكم بتوريثه منه عليه الصلاة والسلام والحكم متقدم على زمان نزول الآية فلذلك حكى واورثنا بلفظ الماضى وعطف على

اوحينا بكلمة التراخي الا ان تلك الكلمة لايجب ان تكون للتراخي الزماني البتة بل قد تكون لاستبعاد مضمون الجملة المعطوفة عن مضمون ماقبلها كما في هذا المقام فيكون مضمون الحكم بتوريثه منه مستبعدا عن مضمون الايحاء اليه وعلى قوله اوورثناه من الامم السالفة يكون معطوفا على قوله ان الذين يتلون كتاب الله كما صرح به فيكون المراد بالذين يتلون اعم من مؤمني هذه الامة وبالكتاب جنس كتب الله وبالذين اصطفينا هذه الامة ويكون اورثنا ماضيا محمولا على ظاهره والمعنى ثم اورثناهذا الكتاب الكريم هذه الامة بعد اعطاء تلك الامم الزبر والكتاب المنير ووجه انتظام الآيات بعضها ببعض انه تعالى اخبر اوّلا بانه مامن امة الاخلافيها نذير مؤيد بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم بين ان تلك الامم تفرّقوا فرقتين فرقة كذبوا رسلهم وماجاؤا به واليه اشار بقوله فقد كذب الذين من قبلهم الآية وفرقة صدّقوهم وآمنوا بهم وتلوا كتاب الله وعملوا بمقتضاه واليه اشار بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الآية ثم عطف على هذه القصة قوله ثم اورثنا الكتاب بكلمة ثم الدالة على التراخي وبلفظ الماضي في اورثنا لان ايراث الكتاب لهذه الامة متراخ عن ارسال النذر في كل امة على الطريق المذكور فان الايراث المذكور سابق وماض بالنسبة الى نزول هذه الآية فصح ايراده مقرونة بصيغة الماضي فعلى هذا يكون قوله تعالى والذى اوحينا اليك اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان ان توريث جنس الكتاب لهذه الامة انما هو حال كونه حقا مصدقا لمابين يديه ومعنى اورثنا اعطينا لان الميراث اعطاء قاله مجاهد يعني اورثنا استعارة تبعية شبه اعطاء الكتاب اياهم من غير كدّ وتعب في وصوله اليهم بتوريث الوارث فقوله الذين اصطفينا مفعول اوّل لاورثنا والكتاب مفعوله الثاني قدّم لشرفه اذلالبس وقيل اورثنا بمعنى اخرنا ومنه الميراث لتأخره عن الميت والمعنى اخرنا القرآن عن الامم السالفة واعطينا كموه واهلنا كم له وكلمة من في قوله من عبادنا يجوز ان تكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان تكون للتبعيض اى ان المصطفين بعض عبادنا لاكلهم ويؤيد الاوّل ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ثم اعطينا القرآن بعد الوحي اليك عبادنا المصطفين وهم امتك المسلمون فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا اى خيارا اهلا للشهادة على سائر الامم يكون هذا القرآن بينهم حكما واما مالهم الى يوم القيامة اكراما لهم وافضالا ثم قسمهم الى ثلاث طبقات فقال فمنهم ظالم لنفسه الآية مع كونهم مشرفين بشرف الاصطفاء والاضافة في قوله تعالى من عبادنا لان منشأذلك الشرف كونهم امة الاجابة لدعوة اشرف الرسل صلى الله عليه وسلم والمعصية لاتخرجهم من ذلك وعلى قول من يقول المراد بالظالم هو الكافر بقرينة انه تعالى اطلق لفظ الظالم في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما عظيما لايكون القسيم امة الاجابة ولايرجع ضمير منهم الى الموصول ولاتكون كلمة من للبيان بل للتبعيض ولاتكون الاضافة في عبادنا للتشريف المضاف بل لتعظيم المضاف اليه ويكون المراد بالعباد مطلق الخلائق وقوله تعالى سابق بالخيرات اى سابق الى الجنة بالاعمال الصالحة بامر الله تعالى وارادته روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الظالم لنفسه هو من مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذى لم يصرّ على كبيرة كما قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى على طريق الحق غير حائد عنه ومنهم سابق اى سبق على الظالم والمقتصد في الدرجات بسبب الخيرات التي عملها وقال الحسن الظالم الذى ترجحت سيئاته على حسناته والمقتصد الذى استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته روى اسامة بن زيد عن النبي عليه الصلاة والسلام قال سابقنا سابق الى الجنة ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه الصلاة والسلام قال السابق من هذه الامة يدخل الجنة بلاحساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة والظالم يحبس في طول الحبس حتى يظن ان لن ينجو فينالهم الرحمة ويدخلون الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وعن ابن عباس رضي الله عنهما الظالم اهل الاجرام يغفر لهم والمقتصد اصحاب اليمين يحاسبون حسابا يسيرا والسابق يدخل الجنة بغير حساب وقوله يحلون فيها اشارة الى ان الاحسان بدخول الجنة اعزّ واكمل من الاحسان بالتحلية حيث قال يدخلونها اوّلا وفيها تقع تحليتهم وتخصيص الاساور من بين وجوه زينة الجنة لكونها ادل على ان الجنة دار التنعم والاستراحة لان كثير الاعمال يحصل بالايدى فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال مع ان مطلق التحلي لايجامع الابتذال والاشتغال بنحو الطبخ وغسل الثياب فان التحلي يكون لمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي فارغا مستغنيا عن الابتذال بالخدمة وثانيهما اظهار استغنائه عما يعدّ من الحوائج الاصلية للانسان وعما يطلب

(جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة اوللذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول (يحلون فيها) خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية (من اساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين

لزيادة التنعم و الترفه فى اسباب المعاش وذلك لان التحلى لايكون الا بالاشياء العزيزة الوجود وباستعمالها فى غير موضع الحاجة وذلك يدل على انه لوكان له حاجة الى مالابدّ منه اويكون له مدخل فى زيادة تنعمه لصرفه الى ذلك فذكر التحلى كناية عن هذا الاستغناء و اشار الزمخشرى الى ان من تبعيضية فجعل مجرورها فى معنى النكرة فيفيد التعظيم كاتفيد النكرة فالمعنى يحلون فيها بعض من الاساور سابق على سائر افراد الاسورة فى الشرف كما سبق المسوّرون بهذا البعض على غيرهم ﴿قوله عطف على ذهب﴾ فان غير نافع و عاصم من السبعة قرأوا ولؤلؤ بالخفض عطفا على ذهب فيكون بيانا للاساور ايضا ومعنى كون الاساور من ذهب و لؤلؤ تركبها من هذين الجنسين حقيقة بان تصنع من ذهب مرصع باللؤلؤ اوكونها مصوغة من ذهب فى صفاء اللؤلؤ فكأنها مصوغة منهما ﴿قوله او همهم من اجل المعاش﴾ يعنى ان المراد حزن الدنيا وما كان فيها من الاهتمام فى تحصيل اسباب المعاش من المأكل و الملبس و المسكن و الحزن بالضم و السكون و الحزن بفتحتين لغتان بمعنى واحد كالبخل و البخل و العامة قرأوه بفتحتين يعنى انهم اذا دخلوا الجنة يقولون ذلك لانهم لما اكرموا بدار الكرامة و النعيم المقيم الذى لايزول ولايفنى ابدا وقد عانوا وقاسوا و الآن قد اذهب الله تعالى بفضله جميع ذلك عنهم و اكرمهم بالملك الدائم و النعيم المؤبد فبالضرورة حمدوا من فضلهم بهذه الكرامة الجليلة القدر ﴿قوله تعالى الذى احلنا﴾ اى انزلنا دار المقامة مفعول ثان لاحلنا لاظرف له و الا لوجب ان يتعدّى اليه الفعل بكلمة فى لانه مكان محدود و المقامة مصدر ميمى بمعنى الاقامة لان المصدر الميمى من المزيد يكون على صيغة المفعول كالمدخل و المخرج و الممزق و فى قوله دار المقامة اشارة الى ان الجنة دار الخلود التى لايتحوّل عنها ابدا من دخلها و لايموت بخلاف الدنيا فانها منزلة ينزلها المكلف و يرتحل عنها الى منزلة القبور و من القبور الى منزلة العرصة التى فيها الجمع و منها التفريق الى الجنة و الى النار و قد تكون النار لبعضهم منزلة الانتقال و اما الجنة فهى دار الاقامة مطلقا وكذا النار لاهلها و من فضله يتعلق باحلنا و من اما للعلة و اما لابتداء الغاية اى انزلنا بتفضله لاباعمالنا و استحقاقنا لان العمل مبناه زائل وثواب الجنة دائم لايزول ولاسيما ان العمل لايعادل عشر عشر النعم السابقة فكيف يستحق به العبد النعم الآجلة ﴿قوله لايمسنا﴾ حال من المفعول الاوّل لاحلنا او الثانى لان الجملة مشتملة على ضمير كل واحد منهما الا ان الاوّل اظهر ﴿قوله اذ لاتكليف فيها و لاكدّ﴾ استدلال بنفى السبب و هو التعب و المشقة على نفى المسبب و هو الفتور و الكلال الناشئ عنه * و لما ورد انه ما الفائدة فى نفى اللغوب اصالة مع ان انتفاءه يعلم من نفى النصب اذا انتفى لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب ضرورة فاذا قيل لم آكل يعلم منه انتفاء الشبع فلاحاجة بعده الى نفى الشبع * اجاب عنه بان انتفاء التابع وان كان يعلم من نفى المتبوع لكنه نفاه بعد ذلك قصدا للمبالغة فى بيان انتفائه و قيل النصب تعب البدن و اللغوب تعب النفس و نفى احدهما لايدل على انتفاء الآخر و اللغوب مصدر لغب يلغب لغوبا اذا اعيى و قرئ لغوب بفتح اللام وفيه وجهان احدهما مصدر ايضا كالقبول و الولوع و الثانى صفة لمصدر محذوف اى لايمسنا فيه لغوب لغوب كأنه يصف اللغوب بانه قد لغب اى اعيى و تعب على المبالغة كقولهم موت مائت و شعر شاعر ﴿قوله تعالى و الذين كفروا لهم نار جهنم﴾ عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله و مابينهما يتعلق بالذين يتلون كتاب الله و قد مرّ ان المراد بهم اما مؤمنوا هذه الامّة و الكتاب القرآن او المصدّقون من الامم السابقة و الكتاب جنس كتب الله فعلى الاوّل بين الله تعالى ثواب اهل الخشية الذين زادت خشيتهم بالمواظبة على تلاوة القرآن و العمل بما فيه من اقامة الصلاة و الانفاق على ذوى الحاجة ثم شرع فى بيان وعيد اضدادهم وهم المكذبون و على الثانى اثنى الله تعالى على المصدّقين من الامم السابقة بعد اقتصاص حال المكذبين منهم فى الدنيا ثم بين حال هؤلاء المكذبين فى الآخرة بعطف هذه الجملة على جملة ان الذين يتلون الآية على تقدير ان يراد منهم مؤمنوا هذه الامّة ومن الكتاب القرآن وان كان المراد منهم المصدّقين من الامم و بالكتاب الجنس يكون هذا عطفا على قوله ثم اورثنا بيانا لوعيد المخالفين من هذه الامّة بعد الفراغ من وعد الموفقين و المصطفين من عباده ﴿قوله لايحكم عليهم بموت ثان﴾ اشارة الى ان قوله لايقضى من قضى بمعنى حكم كما فى قوله تعالى و قضى ربك الاتعبدوا الااياه و فى الصحاح و قد يكون القضاء بمعنى الفراغ كما يكون بمعنى الحكم تقول قضيت حاجتى و ضربه فقضى عليه اى قتله كأنه فرغ منه وسم قاض اى قاتل وقضى نحبه اى مات و النحب المدّة و الوقت انتهى كلامه و قوله فيموتوا منصوب بحذف النون جوابا للنفى بان مضمرة فان المضارع ينصب بان مضمرة بعد الفاء بشرطين

(ولؤلؤ) عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع و عاصم عطفا على محلّ من اساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) همهم من خوف العاقبة اوهمهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى احلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذ لاواجب عليه (لايمسنا فيها نصب) تعب (ولايمسنا فيها لغوب) كلال اذ لاتكليف فيها و لاكدّ اتبع نفى النصب نفى مايتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم) لايحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولايؤذن لهم فيعتذرون (ولايخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد اسعارها

احدهما كونها للسببية و الثانی ان يكون قبلها امر او نهی او استفهام او نفی او تمن او عرض و قد وقعت الفاء هنا
بعد النفی فنصب يموتوا بحذف النون كما فی قولك ماتأتينا فتحدثنا ای مايكون منك اتيان و لا حديث انتفی السبب
وهو الاتيان فانتفی مسببه وهو الحديث ووجه القرآءة باثبات النون رفعه عطفا علی يقضی و ادخاله فی حكم
النفی ای لايقضی عليهم فلا يموتون ای انتفی الامران معا كقوله تعالی و لايؤذن لهم فيعتذرون ای فلا يعتذرون
ورجحت قرآءة الجمهور لان فيها نفی القضاء عليهم من حيث انه سبب الموت و اذا نفی السبب فالمسبب اشد انتفاء
وفی قرآءة الرفع نفی الامران جميعا مع قطع النظر عن السببية فالاول ابلغ و الجملة تفيد التأكيد و تشير الی الفرق
بين عذاب الدنيا و الآخرة فان عذاب الدنيا لايدوم و ان دام يتخلص المعذب منه بالموت وان لم يمت يعتاده البدن
بان يفسد مزاجه بحيث لايحس بالعذاب ﴿ قوله مثل ذلك الجزآء ﴾ اشارة الی ان محل الكاف فی كذلك النصب
علی انه صفة مصدر محذوف ای جزآء مثل ذلك الجزآء ﴿ قوله يفتعلون من الصراخ ﴾ اصل يصطرخون
يصترخون ابدلت التاء طاء للمناسبة بين الصاد و الطاء لانهما حرفا اطباق و حرفا استعلاء وحمل يصطرخون علی المجاز حيث
فسر بقوله يستغيثون علی طريق اطلاق المطلق علی المقيد فان الصراخ كما ذكره رفع الصوت ای بای وجه كان
و استعمل فی رفع الصوت مطلقا و الاستغاثة رفعه طلبا للغوث ﴿ قوله ربنا اخرجنا ﴾ مقول قول مضمر و ذلك
القول ان شئت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون ای يقولون فی صراخهم ربنا اخرجنا من النار و ان شئت قدرته
حالا من فاعل يصطرخون ای قائلين ربنا ﴿ قوله وانهم كانوا ﴾ عطف علی قوله بان استخراجهم بمعنی ان مرادهم
من قولهم غير الذی كنا نعمل العمل الصالح لكنهم جعلوا الغير صفة للعمل الصالح فانهم ارادوا نعمل صالحا آخر
غير العمل الصالح الذی كنا عملناه فی الدنيا اشعارا منهم بانهم لم يعملوا ماعملوه فی الدنيا الا بحسبانهم انه عمل صالح
فالان تميز عندنا الصالح من الطالح فاخرجنا منها نعمل غير الذی كنا نحسبه فی الدنيا صالحا فنعمله ﴿ قوله جواب
من الله و توبيخ لهم ﴾ ای يقول الله لهم مجيبا ذلك علی وجه التوبيخ و التقريع قيل هذا الزام الحجة عليهم بالعقل
و السمع فان التذكر من باب العقل و الانذار من باب السمع وما فی قوله مايتذكر نكرة موصوفة ای اولم نجعل لكم
من العمر فی الدنيا شيئا او عمرا او مقدارا يتذكر و يتعظ فيه بالكتب و مقالات الرسل من اراد ان يتذكر عن ابی هريرة
رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله عليه و سلم * اعذر الله الی امرئ اخر أجله حتی بلغ ستين سنة * وفی النهاية
ای لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث امهله طول هذه المدة و لم يعتذر كأنه جعل همزة اعذر اليه للسلب ای سلب
عذره و لم يقبل منه عذره كأنه رماه اليه وجعل قوله تعالی وجاءكم النذير معطوفا علی معنی او لم نعمركم لانه لايصح
العطف علی لفظه لاختلافهما خبرا و انشاء ويقال الشيب نذير الموت و فی الحديث * مامن شعرة تبيض الا قالت
لاختها استعدی فقد قرب الموت * ﴿ قوله و العطف ﴾ جواب عما يقال قوله تعالی وجاءكم النذير لايصح عطفه
علی قوله اولم نعمركم لاختلافه خبرا و انشاء و لا علی قوله نعمركم بان يكون داخلا فی حيز الاستفهام الانكاری ايضا
لعدم صحة المعنی ولا علی نعمركم لان لم لايدخل علی صريح الماضی * واجاب عنه بانه معطوف علی معنی اولم نعمركم
لان الاستفهام فيه للانكار ای انكار عدم التعجب من التعمير فكأنه قيل عمرناكم وجاءكم نذير ونظيره قوله تعالی
الم نشرح لك صدرك ثم قال ووضعنا لانه فی معنی قد شرحنا ووضعنا لان معنی الاستفهام التقرير ﴿ قوله
تعالی فذوقوا ﴾ امر اهانة وهذه الآية تؤيد قول من حمل قوله تعالی فمنهم ظالم لنفسه علی الكافر لانه ختم وعيد
الكافر بتسميتهم هذا الاسم و ظلمهم انهم وضعوا اعمالهم و اقوالهم و حياتهم فی غير موضعها قيل قوله تعالی ان الله
عالم غيب السموات و الارض استئناف فی معرض التعليل لدوام عذاب الكافر مع ان الله تعالی قال جزآء سيئة
سيئة مثلها و لا يزاد عليها والكافر ماكفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغی ان لايعذب الامثل تلك الايام فقال
تعالی انه يعلم من الكافر ان الكفر تمكن فی قلبه بحيث لو دام الی الابد لما اطاع الله فلذلك كان جزآء كفره المستوعب
مدة عمره مع تصميم عزمه علی الاصرار عليه ابدا ان عاش و لم يمت ابدا عذابا مؤبدا و الاظهر انه جواب آخر
لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا كأنه قيل لو رددكم الی الدنيا لم تعملوا صالحا لانه عالم غيب السموات و الارض
علل علمه بذلك بقوله انه عليم بذات الصدور فتكون الآية نظير قوله تعالی ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴿ قوله
يلقی اليكم مقاليد التصرف ﴾ ای مفاتيحه اشارة الی ان المعنی ان الناس خلفاء الله تعالی فی ارضه استخلفهم
فيها بعد ان خلقها مشتملة علی جميع مايحتاج اليه اهلها و سلطهم علی مافيها من المنافع و اسبابها كأنه قال

(كذلك) مثل ذلك الجزآء (نجزی كل كفور)
مبالغ فی الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو
يجزی علی بناء المفعول و اسناده الی كل
وقرئ يجازی (وهم يصطرخون فيها)
يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح استعمل فی الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته (ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذی
كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل
الصالح بالوصف المذكور للتحسر علی
ماعملوه من غير الصالح و الاعتراف به
و الاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا
يحسبون انه صالح و الآن تحقق لهم خلافه
(اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير) جواب من الله و توبيخ لهم و مايتذكر
فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر
و التذكر وقيل مابين العشرين الی الستين
وعنه عليه الصلاة و السلام العمر الذی
اعذر الله فيه الی ابن آدم ستون سنة و العطف
علی معنی اولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قيل
عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبی او الكتاب
وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب
(فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب
عنهم (ان الله عالم غيب السموات و الارض)
لايخفی عليه خافية فلا يخفی عليه احوالهم
(انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهی اخفی مايكون
كان اعلم بغيرها (هو الذی جعلكم خلائف
فی الارض) يلقی اليكم مقاليد التصرف فيها
وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة و الخلفاء
جمع خليف

خلقتها على هذا الوجه البديع لالان ترجع الىّ منافعها لانى غنىّ عن العالمين منزه عن شائبة الاحتياج بوجه
من الوجوه على وجه يستدعى التنزه عن الاحتياج وانى غنى عن العالمين بل استخلفتكم على هذه النعمة الجليلة
لتشكروها بالتوحيد والطاعة فقوله فمن كفر حينئذ من كفران النعمة ومرتب على الاستخلاف والافضال او على
قوله وقيل خلفا بعد خلف اى قيل معنى جعلكم خلائف جعلكم خلفا بعد خلف بان يكون اهل كل قرن خليفة
من سبقهم والمعنى حينئذ انكم شاهدتم فيمن سبقكم ماينبغى ان يعتبر به من هلاك بعضهم بالطوفان وبعضهم بالصيحة
وبعضهم بالريح العقيم وبعضهم بان ارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة ونحو ذلك وعلمتم ان ما اصابهم لم يصبهم
الا لكفرهم ويستقيم بذلك ان من كفر عليه جزاء كفره فالكفر على هذا الوجه يجوز ان يراد به مايقابل الايمان
وان يراد به كفران النعمة ﴿قوله بيان له﴾ اى لكون جزاء الكفر ووباله راجعا الى الكافر اقتضى لصاحبه
مقت الله الذى هو اهول الشدائد وخسار الآخرة الذى هو نهاية الخسران وتبين ان وبال كفره لايعود الا عليه
ومقت الله شدة غضبه والعمر كرأس المال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه فقد خسر خسرانا
مبينا ﴿قوله او لانفسهم فيما يملكونه﴾ فانهم كانوا يعينون شيأ من اموالهم لآلهتهم وينفقونه على سدنتها
ويذبحون عندها ﴿قوله لانه بمعنى اخبرونى﴾ على ان لايكون الاستفهام مرادا ويضمن أرأيتم معنى اخبرونى
فيتعدى الى اثنين احدهما شركاءكم والثانى الجملة الاستفهامية بقوله ماذا خلقوا فان أرأيتم يطلبه مفعولا ثانيا له
وينازعه اورونى فانها وان كانت بصرية لكنها تعدت الى الثانى بهمزة النقل وتكون المسئلة من باب اعمال الثانى على
مختار البصريين فيكون اورونى بدل اشتمال من أرأيتم للملابسة بين الاخبار والاراءة وقيل عليه ان المبدل منه
اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها فى البدل ولم تعد ههنا وايضا ابدال جملة من جملة لم يعهد فى كلامهم
واجيب عن الاول بان الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته وعن الثانى بانه شهادة على النفى
فلا تسمع وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة الثانية فى معنى الاولى ومبينة لها ابدلت منها ويحتمل ان تكون
الف الاستفهام فى أرأيتم على بابها ولاتتضمن هذه الكلمة معنى اخبرونى بل يكون استفهاما حقيقيا ويكون
قوله اورونى امر تعجيز ﴿قوله والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء﴾ اى للدلالة على ان الاصنام لم تكن فى الحقيقة
شركاء لله وانما هم الذين جعلوها شركاء فمعنى شركاءكم الشركاء بجعلكم وهذه الآية تقرير للتوحيد وابطال
للاشراك بتبكيت المشركين وارغام انفهم بان يطلب منهم دليلا يدل على مايدعونه على سبيل التنزل والتدرج
من الدليل القوى الى الضعيف والى الاضعف فان الاستناد فى خلق شئ ادل على الالوهية من الشرك مع الله
فى خلق بعض مخلوقاته او فى خلق جميع الاشياء وكذا الشركة فى خلق شئ ادل عليها من الكتاب لان الاول يدل
بالذات والثانى بالغير فان الشريك فى الخلق يستحق ان يكون شريكا فى الالوهية شركة ذاتية وام فى قوله تعالى
ام لهم شرك فى السموات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيكون قد اضرب عن الاستفهام الاول وشرع فى استفهام آخر
فكأنه بعد الاضراب عن الاستفهام قال ألهم شرك فى السموات على سبيل الانكار اى ليس لهم شرك فى السموات
فلم تدعوهم من دون الله ثم اضرب عن هذا الاستفهام وشرع فى استفهام آخر فقال ام آتيناهم يعنى الشركاء كتابا
فهؤلاء الشركاء على بينات وحجج وبراهين من ذلك الكتاب على انهم شركاؤه فلذلك تعبدونها يعنى ليس الامر كذلك
فلم تعبدونها وهذا اذا قلنا الضمير فى آتيناهم يرجع الى الشركاء واما اذا كان راجعا الى المشركين ففيه التفات
فكأنه قيل بل آتيناهم كتابا فانهم مستقرون على حجج مستمسكون بها على آلهيتها وليس الامر كذلك فلم تدعونهم
ولما بين انه لامستمسك لهم بوجه ما اضرب عن طلبه وبين ان امرهم ليس الا ان شياطينهم ورؤساءهم غروهم
فاغتروا بذلك روى ان من المشركين من يقول ان الله تعالى اله السموات وهؤلاء آلهة الارض وهم الذين قالوا امور
الارض من الكواكب والاصنام صورها ومنهم من يقول ان السموات خلقت باستعانة من الملائكة فالملائكة
شركاء فى خلق السموات وهذه الاصنام صورها ومنهم من يقول الاصنام شفعاؤنا عندالله ومانعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فانكر سبحانه وتعالى على الاول بقوله اورونى ماذا خلقوا من الارض وعلى الثانى بقوله ام لهم شرك
فى السموات وعلى الثالث بقوله ام آتيناهم كتابا الآية وان فى قوله تعالى بل ان يعد الظالمون نافية والمعنى مايعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا والغرور مايخدع به الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعنى مايعد الشيطان كفار
بنى آدم من شفاعة الالهة لهم فى الآخرة غرور باطل لما بين ان شركاءهم لاخلق لها ولاقدرة بين انه تعالى قادر على

(فمن كفر فعليه كفره) جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل اشتمال لانه بمعنى أخبرونى كأنه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى اىّ جزء من الارض استبدوا بخلقه (ام لهم شرك فى السموات) ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (ام آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذنا شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لابد فيه من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) لما تقرر نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عندالله يشفعون لهم بالتقرب اليه

مايشاء بقوله ان الله يمسك السموات والارض الخ والمعنى ان شركاءكم لما لم يخلقوا شيأ لا استقلالا ولا شركة ولم يكن لهم شفاعة عنده تعالى ولم يستحقوا لذلك ان يعبدوا فاعلموا انه تعالى هو المستحق لها لانه خالقهما وحافظهما ولا يؤوده حفظهما ولو لم يحفظهما لزالتا ويحتمل ان يقال لما بين عدم شركتهم قال ان مقتضى شركتهم زوال السموات والارض كما قال فى مواضع اخر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا ان دعوا للرحمن ولدا ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم فى اثبات المطلوب بطريق آخر كأنه تعالى قال شركاؤكم ماخلقوا من الارض شيأ ولا من السماء جزأ ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيأ من هذه الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون على ابقائها وحفظها كما لا يمكنهم ان يقولوا انهم احدثوها او شيأ منها اوّل مرّة فتبين ان لا معبود سواه ﴿قوله كراهة ان تزولا﴾ اشارة الى ان ان تزولا مفعول له وتقديره عند اهل الكوفة لئلا تزولا فحذفت لا واللام وقوله او يمنعهما ان تزولا اشارة الى انه مفعول به غير صريح لقوله يمسكهما بتضمينه معنى يمنعهما لان الامساك منع وحفظ اى يمنعهما من ان تزولا فاسقط الخافض واللام فى قوله تعالى ولئن زالتا لام توطئة القسم وهى فى اصطلاح النحاة عبارة عن لام دخلت على حرف الشرط بعد تمام القسم مظهرا او مضمرا فيكون ما يأتى بعد ذلك الشرط جواب القسم لا جواب الشرط وجزاء الشرط مضمر قال الرضى الاسترابادى فى شرح الكافية اذا تقدّم القسم اوّل الكلام ظاهرا او مقدّرا وبعده كلمة الشرط سوآء كانت ان او لولا او اسماء الشرط فالاكثر والاولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ويستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه اما فى ان فلقوله تعالى ولئن زالتا اذ الآية من هذا القبيل فلذلك كان فعل الشرط ماضيا قال ابن الحاجب فى الكافية واذا تقدّم القسم اوّل الكلام على الشرط لزمه المضىّ لفظا او معنى وكان الجواب للقسم لفظا فقول المصنف والجملة وهى قوله ان امسكهما من احد من بعده سادّة مسدّ الجوابين يريد به انها جواب القسم وسادّة مسدّ جواب الشرط ودالة عليه ولا يصح حمله على ما يفهم من ظاهره لانها لو سدّت مسدّهما لكان لها موضع من الاعراب من حيث انها سدّت مسدّ جواب الشرط ولا موضع لها من حيث انها سدّت مسدّ جواب القسم والشئ الواحد لا يكون معمولا وغير معمول ﴿قوله ومن الاولى زآئدة﴾ زيدت لتأكيد النفى لان قوله ان امسكهما من احد من بعده معناه ما يمسكهما احد من بعد امساكه اياهما وقيل من بعد زوالهما وقيل من بعده بمعنى سواه ومن الثانية على التقادير لابتدآء الغاية جعل قوله تعالى انه كان حليما غفورا استئنافا فى معرض التعليل لقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والمعنى انه تعالى انما امسكهما حلما منه وغفرانا حيث لم يعجل عقوبتهم بل اخرها الى قيام الساعة ولولا حلمه وغفرانه لعجل تعذيبهم بان يشقق السماء والارض ويهدمهما عليهم وتبتلعهم الارض لفظاعة مقالتهم فى الله تعالى بان له اندادا وشركاء ولو لم يكن المراد هذا المعنى لكان المناسب للمقام ان يقال انه قدير على الاحداث والامساك وانتصاب قوله تعالى جهد ايمانهم على المصدر ولك ان تجعله فى موضع الحال اى جاهدين وفى الصحاح قال الفرآء والجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك فى هذا الامر اى ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفرآء كلاهما بمعنى الطاقة اى اقسموا بايمانهم وبالغوا فى تأكيدها واكدوها بما هو غاية وسعهم واللام فى قوله لئن جاءهم نذير لام توطئة القسم وقوله ليكونن جواب القسم المقدّر اذ لم يحك فى الآية قسمهم بل انما حكى معنى كلامهم وسدّ مسدّ جواب الشرط وقوله لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركيب جاءنا لنكونن ﴿قوله اى من واحدة من الامم﴾ اى ممن كذب الرسل من اهل الكتاب كائنا من كان من اليهود والنصارى وغيرهما فان المكذبين احدى الامّتين والمصدّقين امّة اخرى فان قوله من احدى الامم لما كان شائعا فى الامم كلها صالحا لكل واحدة منها على البدل صار فى معنى النكرة فى الاثبات وقد يحمل على العموم والاستغراق بقرينة المقام كما فى نحو تمرة خير من جرادة اى كل واحدة من افراد التمر خير من كل جرادة فمعنى قوله ليكونن اهدى من احدى الامم ليكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن اىّ احدى الامم يفرض وعلى قوله او من الامّة التى يقال فيها هى احدى الامم يكون قوله من احدى الامم بمعنى من بعض الامم فيكون فى معنى النكرة المحمولة على التعظيم ويكون معناه ليكونن اهدى من افضل الامم واشرفها ﴿قوله اليهود والنصارى وغيرهم﴾ بدل من الامم لان كل واحد امم وفى الكواشى ليس المراد باحدى الامم احدى الامّتين دون الاخرى بل هما جميعا لان احدى شائعة فيهما لانها أصلح لكل واحدة منهما على البدل

(ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بدّ له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا ان امسكهما) ما امسكهما (من احد من بعده) من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادّة مسدّ الجوابين ومن الاولى زآئدة والثانية للابتدآء (انه كان حليما غفورا) حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدّا هدّا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم) وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامّة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة

دون العموم و الاستغراق فكيف ثبت به دعوى العموم و لعل النكرة فى الاثبات قد تحمل على العموم و الاستغراق بقرينة المقام كما فى قوله تمرة خير من جرادة اى كل واحدة من افراد التمر خير من كل جرادة فكذلك المعنى ههنا ليكونن اهدى من كل واحدة من الامم و من اىّ احدى الامم بفرض و ان كان المعنى ههنا ليكونن اهدى من افضل الامم فطريق ارادته منه انه لما كان فى معنى النكرة صح ان يقصد به التعظيم و التفضيل كما اشار اليه الزمخشرى فى قوله تعالى من اساور ﴿قوله على التسبب﴾ يعنى ان اسناد زادهم الى النذير او مجيئه اسناد مجازى من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان نفس النذير او مجيئه لا يزيدهم نفورا و انما ازداد نفورهم عن الحق بسبب النذير او بسبب مجيئه و نفورا مفعول به ثان لزادهم مثل زادهم الله مرضا و اما استكبارا فيجوز ان يكون بدلا من نفورا كأنه ما زادهم الا استكبارا و علوّا و ان يكون مفعولا له لنفورا اى ما زادهم مجيئه الا نفورا عن الحق لاجل الاستكبار اى ليكون لهم الكبرياء و العلوّ فى الارض اى فى بلادهم و ان يكون حالا من المفعول الاوّل لزادهم اى حال كونهم مستكبرين قاله الاخفش و قوله و مكر السيئ معطوف على استكبارا و حكمه فى الاعراب حكمه فى الاوجه و قد جوّز ان يكون معطوفا على نفورا فيكون مفعولا به و قوله و اصله و ان مكروا المكر السيئ يريد ان مكر السيئ من اضافة الموصوف الى الصفة كصلاة الاولى و مسجد الجامع بدليل قوله تعالى بعد ذلك و لا يحيق المكر السيئ حيث وصف المكر بالسيئ فلما حذف الموصوف بقى و ان مكروا السيئ و لما بدل ان مع الفعل بالمصدر صار و مكر السيئ اضيف المصدر الى نعته اتساعا كما فى صلاة الاولى ﴿قوله و قرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل﴾ يريد همزة السيئ المجرور فى قوله تعالى و مكر السيئ و اما السيئ المرفوع فى قوله و لا يحيق المكر السيئ فانه لا خلاف فى تحريك همزته و وجه قرآءتها بالاسكان انه استثقل اجتماع الحركات و من جملتها كسرتان على حرفين ثقيلين فخفف باسكان الهمزة مع ان حركتها حركة الاعراب و الاسكان فى حركة الاعراب بغير ادغام و لا وقف و لا اعلال منكر عند النحويين لان حركة الاعراب انما وضعت للفرق بين المعانى و اسكانها ابطال للحكمة فى وضعها و جوّزه سيبويه فى ضرورة الشعر كما فى قوله فاليوم اشرب غير مستحقب و قال الزجاج روى عن ابى عمرو ابن العلاء انه قرأ الى بارئكم باسكان الهمزة و يأمركم و ينصركم و ينصرهم و يشعركم باسكان الرآء هذا و رواية سيبويه باختلاس الكسر حيث قال سيبويه كان ابو عمرو يختلس الحركة من بارئكم و يأمركم و ما اشبه ذلك مما يتوالى فيه الحركات فيرى من يسمعه انه قد اسكن و لم يسكن من الاصمعى عن ابى عمرو قال سمعت اعرابيا يقول بارئكم فاختلس الكسر حتى كدت لا افهم الكسرة لعدم اشباعها فمن روى عن ابى عمرو الاسكان فى هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت و خفائه اسكانا فان معنى الاختلاس ان تلين الحركة و لا تشبعها بحيث يكون الذى تحذفه من الحركة اقل مما تأتى به و اسكان السيئ اهون من اسكان بارئكم و يأمركم لانه لا يمكن ان يقال ان حمزة انما اسكنه وقفا فظن الراوى انه يفعل ذلك وصلا و مذهب حمزة فى الهمزة المتطرفة اذا اسكنت فى الوقف ان يبدلها بجنس حركة ما قبلها و ما قبل الهمزة فى لفظ السيئ مكسور فيجب قلبها ياء لكنه استثقل اجتماع ثلاث يا آت الوسطى منها مكسورة فترك الهمزة ساكنة على حالها فهو اخف من ابدالها و يدل على انه انما اسكنها حال الوقف انه اسكن فى قوله و مكر السيئ دون قوله و لا يحيق المكر السيئ مع ان الحركة فى الثانى اثقل منها فى الاوّل لانها ضمة بين كسرتين و ذلك لان الاوّل تمام الكلام فيصح الوقف عليه دون الثانى و قال ابو اسحق الاسكان فيه لحن لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها و قال ابن القشيرى ما ثبت بالاستفاضة و التواتر عن النبى صلى الله عليه و سلم فلابدّ من جوازه و لا يجوز ان يقال انه لحن و لعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره افصح منه و ان كان فصيحا ايضا ﴿قوله فهل ينظرون﴾ يعنى ان النظر بمعنى الانتظار و الاستفهام بمعنى النفى اى فما ينتظرون الا سنة الله و طريقته فى الاوّلين و هى انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم و مكروا بهم و قوله سنة الله فيهم اشارة الى سنة الاوّلين من اضافة المصدر الى مفعوله و سنة الله من اضافته الى الفاعل لان الاهلاك ليس سنة الاوّلين و انما هو سنة الله تعالى فيهم فان المصدر يضاف الى الفاعل و المفعول بتعلقه بهما ﴿قوله اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب﴾ اشارة الى بيان المراد من لفظى التبديل و التحويل فى الآية و المعنى انك تعلم ان العذاب لا يبدّل بغير العذاب و لا يحوّل عن مستحقه الى غيره فيتم به تهديد المسيئ و الخطاب فى قوله فلن تجد عام كأنه قال لن تجد ايها السامع و قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم ﴿قوله استشهاد عليهم﴾ اى على كون سنة الله تعالى تعذيب المكذبين من غير تبديل و لا تحويل فانه تعالى لما ذكر الاوّلين

(فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) اى النذير او مجيئه على التسبب (الا نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) بدل من نفورا او مفعول له (و مكر السيئ) اصله و ان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدّل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف و قرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل (و لا يحيق) و لا يحيط (المكر السيئ الا باهله) و هو الماكر و قد حاق بهم يوم بدر و قرئ و لا يحيق المكر اى لا يحيق الله (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنة الاوّلين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا و لن تجد لسنة الله تحويلا) اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب و لا يحوّلها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم و قوله (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد عليهم بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام و اليمن و العراق من آثار الماضين (و كانوا اشدّ منهم قوّة و ما كان الله ليعجزه من شئ) ليسبقه و يفوته (فى السموات و لا فى الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قديرا) عليها

وسنته فى اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاوّلين فانهم كانوا يمرّون على ديارهم ويرون آثارهم وعلامات هلاكهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم واشدّ قوّة واذا لم يعجزوا الله تعالى ولم يفوتوه فانهم اولى بان لايعجزوه ولايسبقوه فيفوتوه ﴿قوله تعالى على ظهرها﴾ استعارة تخييلية شبه الارض بالدابة التى يركب الانسان عليها من جهة تمكنه وتعليه عليها ثم اثبت لها ماهو من لوازم المشبه به وهو الظهر ليكون دليلا على الاستعارة بالكناية * فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابل الوجه فهو من قبيل اطلاق الضدّين على شئ واحد * قلت صح ذلك باعتبارين فانه يقال لظاهرها ظاهر الارض من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والاحمال وانهم راكبوها ويقال له وجه الارض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان وان غيره كالبطن والباطن منها ﴿قوله بشؤم معاصيهم﴾ لمايين ان بين الدابة اى النسمة التى تدب عليها وبين الناس ملازمة بالشرطية والجزآئية ورد عليه ماوجه الملازمة بين الشرط والجزاء فانه تعالى اذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا فابال الدواب حتى يهلكوا اشار الى جوابه بقوله بشؤم معاصيهم وتقريره ان انزال المطر انعام من الله تعالى فى حق عباده فاذا لم يستحقوا الانعام بما اجترحوا من المعاصى قطعت الامطار عنهم بشؤم معصيتهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فلا تنبت شيأ فيموت جوعا جميع الحيوانات بطريق التبعية لهم فقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة كناية اريد بها اللزوم والمعنى انقطع عنهم ماهو سبب معاشهم وهو المطر فيموتون جميعا ويموت سائر الدواب ايضا تبعا لهم ويحتمل ان يكون مراده ان خلق الدواب نعمة فى حقهم فاذا كسبوا المعاصى يزيل الله تعالى نعمه وخص الدواب بالذكر من بين النعم لاشتمالها على وجوه المنافع ولكونها اقرب المركبات اليهم فان البسائط العنصرية اوّل عالم العناصر ثم من المركبات المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان فهى اقرب درجة للانسان فى عالم العناصر والحمدلله وحده وصلى الله على من لانبىّ بعده تمت سورة فاطر والحمدلله على كل حال

﴿سورة يس ثمانون وثلاث آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين﴾

﴿قوله يس كالم فى المعنى والاعراب﴾ ذكر فى الم احتمالات احدها ان يكون كل واحد من لفظ الف ولام وميم اسما لمسماه المعين الذى هو من حروف التهجى الا انها كتبت فى المصحف على صور مسمياتها لا على صور اساميها بناء على ان المقصود من ذكرها متقاطعة تهجى مسمياتها اى تعديد اسمائها ايقاظا وتنبيها لمن تحدّى بالقرءآن على ان المتلوّ عليهم مؤلف من عنصر كلامهم وبسائطه ليستيقنوا انه لوكان من عند غيرالله لما عجزوا بأسرهم عن الاتيان بمايدانيه مع كمال فصاحتهم كأنه قيل تنبهوا ان مايتلى عليكم كلام منزل من ربكم لصالح دينكم ودنياكم وانا مرسل به من عنده لاصلاح شأنكم بالايمان به وطاعته فان كنتم فى ريب منه فأتوا بسورة من مثله فانه كلام مؤلف من جنس ماتؤلفون منه كلامكم وتقصدون به اعجاز غيركم ولما كانت الكلم مركبة من ذوات المسميات وكان المقصود من ذكر الاسامى الدلالة عليها كتبت الاسامى على صور المسميات للدلالة على ذلك المعنى نحو الم على هذا الوجه مؤلف من جنس هذه الحروف واعرابه انه فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ حذف خبره تقديره هذا المتحدّى به من السورة او القرءآن وهذا الذى يتلى عليكم الم او حم او يس اى مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو المتحدّى به والمقصود من الاخبار بمضمون هذه الجملة الزام الحجة عليهم وتبكيتهم وان كان المراد بذكرها تعداد الحروف باساميها ليكون اوّل مايلقى الى السامع دالاً على ان المتلوّ وحى الهى لان مجرّد التلفظ باسماء الحروف وتعدادها مختص بمن خط ودرس واما من الامّى فمستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة فلايكون لها محل من الاعراب لعدم تركبها مع غيرها تركيبا يحوجها الى مايدل على مايعتريها من المعانى التركيبية ومن تلك الاحتمالات كون نحو الم اسما مركبا من تلك الاسامى سمى به السورة او القرءآن تنبيها على اعجازها من حيث ان تركيب كلماتها من جنس هذه الحروف التى هى مادّة كلامهم اى كل ملة فلوكانت من عند غيرالله تعالى لما عجزوا عن الاتيان بمثلها فيكون لها محل من الاعراب اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى هذا المتلوّ سورة كذا او هذه السورة مما انزل عليكم واما النصب بتقدير اتل سورة كذا ويدل عليه ان عليا رضى الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق او بنزع الخافض فيكون مقسما به مجرورا منصوبا باضمار حرف

(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصى (ماترك على ظهرها) ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على اعمالهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اىّ باب شئته

﴿سورة يس وعنه عليه الصلاة﴾
﴿والسلام يس تدعى المعمة تعم خير﴾
﴿الدارين صاحبها والدافعة﴾
﴿والقاضية تدفع عنه كل سوء﴾
﴿وتقضى له كل حاجة وهى مكية﴾
﴿وآيها ثلاث وثمانون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) كالم فى المعنى والاعراب

القسم وحذفه والمراد بحذفه مالايكون اثره باقيافي نحو الله لأفعلنّ يجوز النصب بنزع الخافض وحذفه واعمال فعل القسم المقدّر فان تقديره اقسم بالله ويجوز الجرّ باضمار حرف الجرّ وتقديره عن الامام الواحدي انه قال في الوسيط اختلف المفسرون في الحروف المقطعة في القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وانها مستأثرة لله تعالى بعلمها ونحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال ياداود ان لكل كتاب سرا وان سرّ القرآن فواتح السور فدعها وسل عماسوى ذلك وفسرها الآخرون انتهى كلامه فان من الاحكام الشرعية مايجب الايمان به لقيام الدليل السمعي عليه ولم يكن للعقل سبيل الى ادراك وجهه كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحدّ من السيف ويمرّ عليه المؤمن كالبرق الخاطف وكالميزان الذي يوزن به الاعمال مع انها لاثقل لها لكونه من خواص الاجسام وكمقادير اعداد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غيران يعلم مافيه من الفوائد لايكون اتيانه به الالمحض العبادة بخلاف مالو علم فائدته فانه حينئذ ربما يأتيه لتلك الفائدة فعلى هذا اذا تلفظ بشيء من هذه الفواتح مع انه لايفهم منه مايفهمه من سائر الآيات لايكون تلفظه به الا امتثالا للمامور به فيكون اقرب الى التعبد ﴿قوله بلغة طيّ﴾ فانهم يستعملون لفظ يس في ياانسان قال الزمخشري ان صح ان ابن عباس رضي الله عنه قال ان معنى يس ياانسان فوجهه ان يكون اصله انيسين فيكون لفظ ياحرف نداء وسين شطر انيسين قصر للتخفيف كما اقتصروا في ايمن على شطره لذلك فان ايمن الله اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وربما حذفوا منه النون فقالوا ايم الله وربما حذفوا الياء ايضا فقالوا ام الله وربما ابقوا الميم مضمومة فقالوا ام الله واورد عليه انه لايجوز اطلاق اللفظ المصغر على النبي صلى الله عليه وسلم لانه تحقيرله فانهم نصوا على ان التصغير لايدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه تصغير مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله ويدفعه ان صيغة التصغير قد تكون لاظهار العطف والتعظيم كما في قول الاحباء ولاسيما ان المتكلم بصيغة التصغير هوالله وهو لايفعل الا ماهو صواب وحكمة وقد تقدم للزمخشري في طه مايقرب من هذا البحث ﴿قوله وقرئ بالكسر بجير﴾ لان الكسر اصل في تحريك الساكن هربا من التقاء الساكنين واشار بقوله بالكسر الى انها ليست معربة مجرورة باضمار الباء القسمية بل انها مبنية محكية عن حال التهجي وهي حال الوقف على السكون والالكان جرّها بالفتح لعدم انصرافها للعلمية والتأنيث فتعين ان تكون محكية عن حال التهجي وهو حال الوقف على السكون ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز في الكلم التي يوقف عليها فيكون كسرها على لغة من يهرب حذرا من التقاء الساكنين اولانها لما حكيت عن حال التهجي استمرّ لها الوقف لانها في الاعم الاغلب تذكر على طريق التهجي فيقال صاد نون قاف فاشبهت المبني الذي اجتمع فيه ساكنان فعوملت معاملته وقوله بجير اشارة الى هذا الوجه ومثل هذا المبني يجوز بناؤه على الفتح لخفة كأين وكيف وعلى الضم كحيث لان الضم لقوّته يصلح ان يكون عوضا عما استحقه الاسم من الاعراب او على انه خبرمبتدأ محذوف اي هذه يس ويجوز ان تكون فتحة يس فتحة اعراب ويكون تقديره اتل يس وان تكون فتحة غير المنصرف للعلمية والتأنيث في موضع الجرّ بناء على ان يس مقسم به باضمار باء القسم اي اقسم بيس على ان يس اسم من اسماء الله تعالى او اسم من اسماء القرآن اي اقسم بالكتاب المسمى بيس او اسم من اسماء السورة اي اقسم بسورة تسمى يس ﴿قوله وامال الياء حمزة والكسائي﴾ لان يس عندهما اسم مركب من جملة الاسماء وقد وقعت الفها بعد الياء فاميلت لتناسب الياء واذا امالوا ياالتي هي حرف نداء فلأن يميلوا الياء من يس اجدر لان الحروف لاحظ لها من الامالة بطريق الاصالة فلذلك لايمال الى وعلى وحتى مع كون الفاتها مرسومة بالياء ﴿قوله وادغم النون﴾ في الشاطبية * ويس اظهر عن فتى حقه بدا * اي أظهر نون يس عمن اشير اليه بالعين في عن وهو حفص وبالفاء في فتى وهو حمزة وبلفظ حق وهما ابن كثير وابو عمرو وبالباء في بدا وهو قالون فتعين للباقين الادغام وهم ابن عامر والكسائي وابوبكر وورش ووجه الادغام ظاهر لان النون الساكنة قبل الواو تدغم فيها نحو من وال ووجه الاظهار ان حروف الهجاء حقها ان يوقف عليها مبنيا لفظها لكونها الفاظا مقطعة غيرمركبة مع العامل ﴿قوله ارسلوا على صراط﴾ اشارة الى ان على صراط متعلق بالمرسلين فان فعل الارسال يتعدى بعلى فانه يقال ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل

وقيل معناه ياانسان بلغة طيّ على ان اصله ياانيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر بجير وبالفتح على البناء كأين اوالاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث اواعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وابوبكر وحفص وروح وادغم النون في واو (والقرءآن الحكيم) ابن عامر والكسائي وابوبكر وقالون وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور

عليهم طيرا ابابيل وجوّز ان يكون خبرا ثانيا لقوله انك على معنى انه تعالى اقسم بالقرآن على ان محمدا صلى الله عليه وسلم جامع للوصفين كقوله هذا حلو حامض والحكيم بمعنى المحكم اى لايلحقه التغير وقيل بمعنى ذى الحكمة فانه ناطق بالحكمة وقيل بمعنى الحاكم فانه يحكم بما فيه من الاحكام ﴿**قوله** وان دل عليه لمن المرسلين التزاما﴾ لانه قد علم ان المرسلين على صراط مستقيم وحاصل ماذكره انه ليس المقصود من ذكر قوله على صراط مستقيم تخصيص المرسلين حتى يقال لاحاجة اليه بل وصف ماجاء به من الشرع صريحا فكأنه قال انك لمن المرسلين وان ماجئت به صراط مستقيم فسلك طريقة الاختصار بان جمع بين الوصفين فى نظام واحد ﴿**قوله** خبر محذوف﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو تنزيل اى منزل العزيز ويجوز ان يكون خبر يس اذا جعلته اسما للسورة اى هذه السورة المسماة بيس منزلة فالجملة القسمية على هذا اعتراض ﴿**قوله** باضمار اعنى او فعله﴾ اى نزله تنزيل العزيز الرحيم اضيف المصدر الى فاعله وتقديره على الاول والقرآن الحكيم اعنى تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر ﴿**قوله** او بمعنى لمن المرسلين﴾ اى او هو متعلق بفعل يدل عليه هذا اللفظ اى ارسلناك لتنذر ولا وجه لتعلقه بالمرسلين لان ارسالهم ليس لان ينذر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واقتصر على ذكر الانذار لانه المقصود الاهم من البعثة ﴿**قوله** قوما غير منذر آباؤهم الخ﴾ اشارة الى ان ما نافية والجملة المنفية صفة لقوما وهذا كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فتكون الآية نازلة فى حق قوم لم يبلغهم خبر نبى لتطاول مدة الفترة وجوّز ان تكون ما موصولة بمعنى الذى او تكون نكرة موصوفة فتكون مامع صلتها او صفتها منصوبة المحل على انها المفعول الثانى لتنذر ويكون العائد محذوفا والتقدير لتنذر قوما العذاب الذى انذر به آباؤهم او عذابا انذر به آباؤهم وان تكون مصدرية اى لتنذر قوما انذار آبائهم اى انذارا مثل انذار آبائهم وهذه الاوجه الثلاثة تدل على ثبوت الانذار لآبائهم الاولين ﴿**قوله** اى لم ينذروا فبقوا غافلين﴾ يعنى ان الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله فان النفى المتقدم سبب له كما فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فان الفاء داخلة على الحكم وما تقدمه سببه وعلى الوجوه الاخر داخلة على السبب للحكم المتقدم كقوله عليه الصلاة والسلام فى المحرم الذى وقصته ناقته * لاتقربوه طيبا فانه يحشر يوم القيامة ملبيا ﴿**قوله** تعالى لقد حق القول﴾ فيه وجوه اشهرها ان المراد من القول قوله تعالى لابليس لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى الصحاح حق الشئ يحق اى وجب ولما تعلق قوله تعالى لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك بمن تبع ابليس ونزل ذلك فى حقهم مؤكدا بالقسم ونون التأكيد وكان اكثر اهل مكة ممن علم الله منهم الاصرار على اتباعه وعدم الاعراض عنه الى ان يموتوا كانوا ممن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول والفاء فى قوله تعالى فهم لايؤمنون اى بانذارك اياهم داخلة على الحكم المسبب عما قبله ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا والغلّ مايشدّ به اليد الى العنق للتعذيب سواء كان من الحديد او غيره ﴿**قوله** فالاغلال واصلة الى اذقانهم﴾ اشارة الى ان ضمير هى راجع الى الاغلال ووجه وصول الغُل الى الذقَن اما كونه غليظا عريضا يملأ ما بين الصدر والذقن فعلى هذا تنوين اغلالا للتعظيم والفاء فى قوله فهى الى الاذقان وفى قوله فهم مقمحون فاء النتيجة فلا جرم يصل الى الذقن ويرفع الرأس الى فوق واما كون طوق الغل الذى يجمع اليدين الى العنق بحيث يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلايخليه يطأطئ رأسه فعلى هذا تكون الفاء فى قوله فهى الى الاذقان للتعقيب وفى قوله فهم مقمحون للنتيجة والاقماح رفع الرأس الى فوق مع غض البصر من قمح البعير فهو قامح اذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه او لبرودة الماء او لكراهة طعمه قال الزجاج يقال للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الماء فيهما رفعت رأسها لشدة البرد جعل الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ ليس هناك غلّ حقيق واقماح يتفرع عليه شبه الكفار المصممين على الكفر فى عدم ارعوائهم عنه وعدم التفاتهم الى الحق وعدم انعطاف اعناقهم نحوه بالمغلولين المقمحين فى عدم التفاتهم الى مسالكهم وعدم انعطاف اعناقهم نحوها وبمن احاط به سدّان والمطمورة حفرة يخبأ فيها الطعام عن الامام انه قال المانع من النظر فى الآيات والدلائل قسمان قسم يمنع من النظر فى الآيات التى فى انفسهم فشبه ذلك بالغل الذى يجعل صاحبه مقمحا لايرى نفسه ولايقع بصره على بدنه وقسم يمنع من النظر فى آيات الآفاق فشبه ذلك بالسدّ المحيط فان المحاط بالسدّ لايقع نظره على الآفاق

ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ بالجرّ على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين (ما انذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدّة حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيأ انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون (لقد حق القول على اكثرهم) يعنى قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (فهم لايؤمنون) لانهم ممن علم انهم لايؤمنون (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لاتغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لايلتفتون لفت الحق ولايعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (وجعلنا من بين ايديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فاغشيناهم فهم لايبصرون) وبمن احاط بهم سدّان فغطى ابصارهم بحيث لايبصرون قدّامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل

وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدًّا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان منه بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبيّ صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله (وسوآء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) سبق في البقرة (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) اى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى) الاموات بالبعث او الجهال بالهداية (ونكتب ما قدموا) ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم

فلا تبين له الآيات التي في الآفاق كما ان المقمح لا تبين له الآيات التي في الانفس فمن ابتلى بهما حرم من النظر بالكلية لان الدلائل والآيات مع كثرتها منحصرة فيهما كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم مع قوله وجعلنا من بين ايديهم الآية اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى في الانفس والآفاق انتهى كلامه والظاهر ان المراد بقوله من بين ايديهم ومن خلفهم ليس جهتي القدام والخلف فقط بل ما يعم الجهات الست وجهة القدام لما كانت اشرف الجهات واظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصهما بالذكر ويدل عليه ان المصنف جعل وجه الشبه كونهم محبوسين في مطمورة الجهل فان حفرة الجهل وظلمته تحيط بالجاهل من جميع جوانبه لا من امامه وخلفه فقط ﴿قوله ان يرضخ﴾ الرضخ بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة والمعجمة لغتان بمعنى وهو كسر الشيء بالحجر يقال رضخت رأس الحية بالحجارة فعلى هذا القول تكون الآية الاولى في مخزومي بعينه وهو ابو جهل عليه اللعنة والآية الثانية في آخر بعينه ويكون ضمير الجمع فيهما على قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم وقال القرطبي ان المخزومي الثاني هو الوليد بن المغيرة وكان هناك مخزومي ثالث قال والله لاشدخنّ انا رأسه بهذا الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خرّ على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال رأيت امرا عظيما رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل خطر بذنبه ما رأيت قط فحلا اعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ولما اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يؤمنون بانذار النبيّ اياهم وعلله بانهم ممن علم منهم اختيار الكفر والاصرار عليه بقولهم ذلك ولم يوفقهم للايمان والطاعة وجعلهم بمنزلة المغلول المقمح وبمنزلة من احاط به السدّ من جوانبه بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسدّ والاغشاء والاعماء فقال وسوآء عليهم ءأنذرتهم وسوآء خبر لما بعده اى انذارك وعدمه سيان عليهم وهو اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر فان الخبر في المعنى وصف قائم بالمبتدأ وعدل عن المصدر الى الفعل فقيل أأنذرتهم ليقرر معنى الاستوآء فينبغي ان تكون الموانع من جانب المشبه به ايضا متحققة في جميع جوانبه ويظهر بذلك ترتب قوله فاغشيناهم اى جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون على جعل السدّ والمعنى جعلناهم محاطين بالسدّ من جميع جوانبهم فاغشيناهم اى جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيأ اصلا والغشاء كالغطاء وزنا ومعنى وهو ما تغطيت به وقوله فاغشيناهم تقديره فاغشينا ابصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فحذف المضاف وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى مقصورا وهو مصدر الاعشى وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار يقال اعشاه الله فعشي يعشى عشى والمعنى اضعفنا ابصارهم عن ادراك الهدى كما اضعفت عين الاعشى والقرآءتان متقاربتان من حيث المعنى ويرضخ من رضخته اذا رميته بالحجارة وعلى هذا القول تكون كل واحدة من الآيتين في مخزومي واحد ولفظ الجمع فيهما على طريق قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم ﴿قوله انذارا يترتب عليه البغية المرومة﴾ اشارة الى وجه الجمع بين قوله لتنذر قوما وبين انما تنذر فان الاوّل يقتضي الانذار العام والثاني يقتضي تخصيصه بمن يتبع الذكر ويخشى وتقريره ان معنى الاوّل لتنذرهم على العموم كيف ما كان سوآء كان مفيدا او لم يكن ومعنى قوله انما تنذر ان الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من اتبع الذكر اى القرآن او ما فيه من التذكر والوعظ على ان يراد بالذكر القرآن الذى تقدم ذكره في قوله والقرآن الحكيم والتعريف للعهد في قوله انا نحن نزلنا الذكر او يراد به ما في القرآن من الآيات والتذكر والوعظ لقوله والقرآن ذى الذكر ﴿قوله وخاف عقابه قبل حلوله﴾ اشارة الى ان مفعول خشي مضاف مقدر وان بالغيب حال منه اى خشي عقاب الرحمن حال كون ذلك العقاب غائبا عنه وقوله او في سريرته اشارة الى انه حال من المنوىّ في خشي اى خشي حال كونه غائبا عن الناس في خلوته ﴿قوله ولا يغتر برحمته﴾ جواب عما يقال المناسب لذكر الخشية ذكر اسم ينبئ عن القهر والرحمن ينبئ عن اللطف والانعام والتنوين في قوله بمغفرة للتعظيم اى فبشره بمغفرة واسعة تستره من جميع جوانبه ﴿قوله الاموات بالبعث﴾ يعني ان كان نحيي الموتى بمعنى احياء من في القبور بالبعث يكون حقيقة والمقصود به الاشارة الى اصل آخر وهو الحشر بعد تحقق اصل الرسالة لما اقسم الله تعالى على انه ارسله لانذار العصاة بانتقام الملك القهار وتبشير المطيعين بالاجر الكريم اتجه ان يقال متى يكون ذلك ولم يظهر بكماله في الدنيا فاجيب عنه على طريق الاستئناف بان ذلك ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزيهم على حسب اعمالهم وان كان احياء الموتى مجازا عن هداية الجهال واخراجهم من الشرك الى الايمان

يكون وجه الاستئناف انه لما ذكر انه مرسل للانذار بين الحكمة فيه بقوله انا نحن نحيي الموتى اى الجهال الذين ماتت قلوبهم بخلوّها عن العقائد الحقة بان نملأ قلوبهم بنور الايمان والحكمة واخر ذكر الكتابة عن ذكر الاحياء مع انها متقدمة عليه فى الوجود تعظيما لامر الاحياء بالاشارة الى انه للحساب لان الكتابة انما تكون لاجل الحساب ومؤدية اليه فذكرها فى قوة ذكر الحساب وفسر قوله تعالى ماقدّموا بما عملوه من الاعمال الصالحة والسيئة وآثارهم بما خلفوه مما يضاف اليهم من اموالهم المحبوسة وتصانيفهم المدوّنة وماسنوه من السنن الحسنة والسيئة فاتبعهم على ذلك من بعدهم فان له اجر هذا واجر من عمل به من غير ان ينقص من اجورهم شئ وعليه وزر ذلك ووزر من عمل به من غير ان ينقص من اوزارهم شئ كما ورد فى الحديث «من سنّ سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزر العامل شئ» وسمى اللوح اماما لانه يؤتم به ويتبع ولا يخالف والمبين هو المظهر بلا مؤنة واللوح كذلك لانه مامن شئ الا كتب فيه بجميع احواله كأنه لما قال نكتب ماقدّموا قيل هل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك يفهم بعد التخصيص فكأنه قال بعد قوله نكتب ماقدّموا وآثارهم ليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ محصى فى امام مبين واصل الاحصاء العدّ استعير للبيان والحفظ لان العدّ يكون لاجلهما **قوله ومثل لهم** فان اضرب لما كان مشتقا من الضرب بمعنى المثال كان معنى اضرب لهم مثلا مثل لحالهم المتعلقة بارسالك اليهم مثلا اى قصة عجيبة الشان اى اورد مثالا لحالهم وقصتهم مثل تلك القصة فيكون المثل المقدّر بدلا من الملفوظ او بيانا له لان اضرب بهذا المعنى يتعدّى الى مفعول واحد وانما يتعدّى الى مفعولين اذا جعل اضرب بمعنى اجعل فيكون مثل اصحاب القرية مفعولا اوّلا له ومثلا مفعولا ثانيا اى اجعل مثل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء المشركين ليتخذوه مثلا لهم فى معاملتهم معك ويحترزوا من ان ينزل بهم مانزل باصحاب القرية فقول المصنف لتضمنه معنى الجعل ليس على ظاهره لانه يستلزم ان يكون المحذوف الذى هو مدلول الفعل المضمن فيه مفعولا ثانيا للجعل المضمن والمثل المقدّر مفعولا اوّلا فيبقى قوله بلا عامل ولو قال لكونه بمعنى الجعل لكان اظهر والمثل له معنى لغوى وهو الشبيه والنظير ومعنى عرفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده على طريق تشبيه القصة بالقصة ثم استعمل فى المضرب بطريق استعمال لفظ المشبه به فى المشبه ومعنى مجازى مستعار له من المعنى العرفى وهو الحال العجيبة والقصة الغريبة او الصفة البديعة تجوّزا من المعنى العرفى بعلاقة الغرابة تشبيها لكل واحدة منها بالقول السائر فى الغرابة لان القول السائر لايكون سائرا مشهورا بين الناس الا لغرابته فقوله تعالى مثل الجنة اى صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالقول السائر وقوله ولله المثل الاعلى اى له الوصف العجيب الشان ولما كان لاصحاب القرية مثل اى قصة عجيبة وهى انهم بعث اليهم رسل يدعونهم الى الله تعالى فآمن من آمن منهم ونجا ومن لم يؤمن هلك فانذر مشركى مكة بتذكيرهم قصة اهل انطاكية ان يحترزوا مما انزل بكفار اهل تلك القرية بسبب تكذيبهم الرسل **قوله اذجاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية** بدل اشتمال كأنه تعالى قال واضرب لهم وقت مجئ المرسلين مثلا اى مثل ذلك الوقت بوقت مجئ محمد وقيل فيه نظر لان ظرف الزمان كما لايجوز ان يكون وصفا للعين ولا حالا منه ولا خبرا عنه ينبغى ايضا ان لايكون بدلا منه والظاهر انه لامحذور فى كونه بدل اشتمال واذ الثانية وهى التى فى قوله اذ ارسلنا بدل من اذ الاولى كأنه قال واضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين والاصح ان تكون اذ الثانية ظرفا لجاءها اى جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم وانما جاؤهم من حيث انهم امروا به وآمرهم وان كان هو عيسى عليه الصلاة والسلام بالذات الا انه لما كان عليه الصلاة والسلام مأذونا فيه من قبل الله تعالى كان رسل رسول الله باذن الله له فى ذلك رسل الله فلذلك اضيف الارسال اليه تعالى ويؤيد هذا مسئلة فقهية هى ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل للموكل لاللوكيل حتى لاينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاوّل وفى هذا الاسلوب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لايذهب الى خاطرك ان اولئك كانوا رسل الرسول وانما هم رسل الله وقد كذبوا وتكذيبهم كتكذيبك قيل القول بكون القرية انطاكية ضعيف لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اوّل مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت ولذلك كانت احدى المدن الاربع التى يكون فيها بطارقة النصارى وهنّ انطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا

(وكل شئ احصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدّى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا اصحاب القرية) على حذف مضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدّر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية (اذجاءها المرسلون) بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه فى قوله (اذ ارسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنى وبولس وقيل غيرهما

(فكذبوهما فعززنا) فقوّينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذاغلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به
(بثالث) هو شمعون (فقالوا انا اليكم
مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا
الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما
فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض
ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على
ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال
لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم
بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر
اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه
الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك
حبست رجلين قال فهل سمعت مايقولانه قال
لافدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال
صفاه واوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد
قال وما آيتكما قالا ماتتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له
بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه
فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت
لوسألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى
يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر
آلهتنا لاتبصر ولاتسمع ولاتضر ولاتنفع ثم
قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا
بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني
ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم
ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء
فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون
وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه
فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل
فهلكوا (قالوا ما انتم الا بشر مثلنا) لامزية
لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال
ما بالا (وما انزل الرحمن من شئ) وحي
ورسالة (ان انتم الا تكذبون) في دعوى
رسالته (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون)
استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم
وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم
(وماعلينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو الحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا بينة

واهل هذه القرية المذكورة في القرآن اهلكوا لقوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون وفي كلام
المصنف اشارة الى التوفيق بين اهلاك اهل انطاكية بالصيحة وبين كونهم اوّل اهل مدينة آمنوا بعيسى عليه
الصلاة والسلام فان ايمان الملك في جمع ممن تبعه يكفي في صحة القول بان اهل انطاكية اوّل مدينة آمنوا بعيسى
عليه الصلاة والسلام وكذا اهلاك من لم يؤمن منهم بالصيحة يكفي في صحة اهلاك اهلها بها ﴿قوله فعززنا
فقوّينا﴾ قال في الكواشي فعززنا مخففا من عزه غلبه والمفعول محذوف اي غلبنا اهل المدينة برسول ثالث وعززنا
مشددا من القوّة والمفعول محذوف ايضا اي قوّينا المرسلين برسول ثالث لان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد
بعث الرسولين بعث شمعون تقوية لهما وكان شمعون الصفار رأس الحواريين فدخل المدينة متنكرا اي لم يعرّف
امره ورسالته فآل امره الى ان انس به الملك وذكر المصنف في حذف المفعول وجهين حاصل الاوّل ان الفعل ليس
منزلا منزلة اللازم بل له مفعول مقدّر حذف لدلالة القرينة عليه وكون ذكره معها بمنزلة العبث لانه اذا كان المقصود
من ذكر الجملة الفعلية الاخبار بوقوع الفعل من فاعله باعتبار تعلقه بمن وقع عليه الفعل دخل المفعول تحت قصد
الخبر وحاصل الثاني ان الفعل منزل منزلة اللازم غير مقدّر مفعوله الصريح من حيث ان المقصود اثباته لفاعله مع
اعتبار تعلقه بمفعوله الغير الصريح وبيان تعلقه بمفعوله ليس بمراد فان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وذكر
تدبيره اللطيف الذي عز به الحق وذل الباطل وليس بيان المعزز وتعلق الفعل به بمراد فيجب ان يصرح اللفظ على
قدر الحاجة ويطرح مازاد عليه ﴿قوله مطموس العينين﴾ اي لايتميز موضع عينيه عن جبهته والطموس
الدروس والانمحاء وقد طمس الطريق يطمس ويطمس اذا كان بحيث لايتميز عن جانبيه ﴿قوله فلما رأى شمعون ان
قوله قد اثر فيه نصحه﴾ اي اظهر امره وبدّل تنكيره ووافق صاحبيه فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون
من غير ان يزيد واللام لتأكيد في مرسلون لانه ابتداء اخبار منهم فلا يحتاج الى تأكيد والذي تقدّم على هذا الاخبار
هو دعوتهما الملك فقال لهما حتى انظر في امركما وأمر بحبسهما فلما خرجا من عنده تبعهما الناس فكذبوهما
وحبسوهما وتكذيب الاثنين في اخبارهما لاينافي كون اخبار الثلاثة جميعا ابتدائيا هذا حاصل كلام الكشاف
وفيه ان اخبار الثلاثة ليس ابتدائيا بل هو طلبي لانه كلام من المزيد الطالب والابتدائي هو اخبار الاثنين
ولما كان الاستواء في البشرية والاتحاد في الحقيقة النوعية مستلزما لعدم جواز اختلاف الافراد بحسب اللوازم
والخواص على زعمهم بناء على عدم اعتقادهم بانه تعالى فاعل مختار يفعل مايشاء ويحكم مايريد كنوا بقولهم
ما انتم الا بشر مثلنا عن انكار اختصاص المرسلين برسالتهم اليهم وعن اختصاص انفسهم بوجوب طاعة الرسل
عليهم ثم قالوا وما انزل الرحمن من شئ من الوحي السماوي ومن رسول يبلغ ذلك الوحي اليكم فكيف صرتم رسلا
وكيف يجب علينا طاعتكم وهو من تتمة هذه الكناية لانه ايضا يستلزم الانكار المذكور ويحتمل ان يكون شبهة اخرى
فانهم لما قرروا شبهتهم بالنظر الى المرسل وهي انه تعالى ليس بمنزل شيأ في هذا العالم فان تصرّفه في العالم العلوي
والآثار السفلية مستند الى الكواكب والاوثان صورها فالله تعالى خص اسم الرحمن للتعبير عن ذاته المقدسة
ردا عليهم لانه تعالى لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لاينزل رحمته وهو رحمن ﴿قوله ورفع بشر﴾
يعني ان ما في قوله ما انتم هي المشبهة بليس وهي تعمل عمل ليس كما في قوله ما هذا بشرا الا انها انما تعمل لمشابهتها
بليس في النفي فاذا انتقض النفي بالا لم يبق لها شبه فلم تعمل ﴿قوله الظاهر البين﴾ اشارة الى ان ابان بمعنى بان
ومعنى المبين البين صحته اي البين كونه بلاغا من قبل الله اي المبين للحق من الباطل لاقترانه بالدلائل القاطعة
والمعجزات الباهرة وفيه تسلية لانفسهم وتعريض لهم بان انكارهم الحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو محض عناد
واستكبار وحمية جاهلية اي نحن خرجنا من عهدة ماعلينا من طاعة ربنا حيث بلغنا رسالته اليكم وحققنا
صدقنا بالبينات القاطعة والمعجزات الباهرة وليس في وسعنا اجباركم على الايمان ولان نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا
ان اظهرتم الانكار لامرنا على وجه المكابرة وهذه الفائدة تتمة لما ذكره المصنف من ان قوله وماعلينا الا البلاغ
المبين جيء به ليحسن منهم ان يجيبوا بالاخبار برسالتهم مؤكدا بالقسم وان واللام والاستشهاد بعلم الله تعالى فان
من كذب في دعواه لو قال والله اني لصادق فيما قلته من غير اقامة البينة عليها لاستقبح منه ذلك ولم يسمع قوله
ولم يقتصر الا عن عجز عن اقامة الدليل واسكات خصمه ولم يبق لهم متشبث يتشبث به سوى هذه الكلمة اي الحلف
بالله وبعلمه فكان قولهم وماعلينا الآية بمنزلة البينة المحسنة ليمين المدعي فما كان جوابهم بعد هذا الا ان قالوا انا تطيرنا

بكم اى بكونكم بين اظهرنا ﴿ قوله تشاءمنا بكم ﴾ اصل التطاير التفاؤل بالطير فانهم يزعمون ان الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل مايتشاءم به ووجه تشاؤمهم بالرسل انهم دعوهم الى دين غير مايدينون به فاستغربوه واستقبحوه ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة فتشاءموا بمن دعا اليه كأنهم قالوا اعاذنا الله بماتدعون اليه ماسمعنا بهذا قبل مجيئكم فكنتم لنا بمنزلة الطير البارح مع مقتضى الرسالة انذار المرسل اليهم بمكروه يلحقهم واهليهم ومايتعلق بهم من اسبابهم ان لم يؤمنوا فلذلك تشاءموا بالمنذرين وقالوا سمعنا منكم مانطير به فكفوا عنه ولاتعودوا الى مثله لئن لم تنتهوا الآية اى والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم ودعوتكم ايانا الى التوحيد ورفض ديننا لنرجمنكم اى لنقتلنكم شر القتل وهو القتل بالحجارة وقيل وجه تطيرهم بهم حبس المطر عنهم فرأوه بشؤمهم والظاهر ان وجه التطير مااختاره المصنف وهو ان يكون ذلك ماذكره فى الآية من دعواهم الرسالة ودعوتهم اياهم الى مااستكرهته طبيعتهم الخبيثة والرجم القتل واصله الرمى بالحجارة كذا فى الصحاح قال قتادة لنرجمنكم اى لنقتلنكم وقيل فنشتمنكم اى لنرمينكم بالقول القبيح وليمسنكم بسبب الرجم والقتل المذكور مناعذاب اليم مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكأنهم قالوا لانكتفى بالشتم بل شتمنا يؤدى الى الضرب والايلام الحسى ﴿ قوله سبب شؤمكم ﴾ لما كان التطير بمعنى التشاؤم مطلقا كان الطائر بمعنى مايتشاءم به مطلقا فيتناول سوء العقائد والاعمال فلما اجابهم الرسل بان ما اصابكم من المكاره ليس بسببنا وانما سبب شؤمكم مامعكم من الحال وقوله وقرئ طيركم على لفظ المصدر وهو اسم جنس فيكون تفسيره اسباب شؤمكم وقرأ السبعة ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام بعدها ان الشرطية انكارا وتوبيخالهم على تطيرهم او توعدهم بالرجم والتعذيب عندماذكروا ووعظوا وقرئ آئن بالف بين الهمزتين وقرئ أأن بهمزة الاستفهام وان الناصبة اى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان ذكرتم وان ذكرتم بفتح الهمزة وكسرها بلااستفهام فيكون اخبارا بانكم تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين على مثال كيف وذكرتم بتخفيف الكاف اى شؤمكم معكم اين جرى ذكركم وهو ابلغ فى الدلالة على لزوم الشآمة بهم لانه اذا كان موضع ذكرهم مهبط الشؤم فكيف بمكان حلوا فيه بانفسهم فان المكان اذا كان بسبب ذكرهم فيه شؤما يكون المكان بسبب حلولهم فيه اشأم ﴿ قوله وجواب الشرط محذوف ﴾ اختلف سيبويه ويونس فى انه اذا اجتمع الاستفهام والشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه أان ذكرتم تطيرون وعند يونس تطيروا مجزوما فاختار المصنف قول يونس فمعنى كلامه ان جواب الشرط الذى يقوم مقام جواب الاستفهام محذوف ﴿ قوله وبفتح أن ﴾ اى بهمزة الاستفهام وان المفتوحة ﴿ قوله واين ذكرتم ﴾ بهمزة مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبعدها نون مفتوحة وتخفيف كاف ذكرتم واين هذه شرطية لامكانية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اى اين جرى ذكركم فطائركم معكم لدلالة ماتقدم عليه ﴿ قوله فمن ثم جاءكم الشؤم ﴾ اشارة الى ان المراد بالاسراف الاسراف فى ارتكاب المعاصى وان الاضراب عن قوله طائركم معكم وحده ولماتطيروا بالرسل وعدوهم سبب الشؤم اجابهم الرسل بان سبب شؤمكم مامعكم من سوء العقيدة والاعمال ثم قالوا بل هو اسرافكم فى العصيان فيكون قوله ائن ذكرتم مع جوابه المحذوف اعتراضا وقوله اوفى الضلال اشارة الى ان المراد به الاسراف فى الضلال وان الاضراب عن قوله ائن ذكرتم اى وعظتم وخوفتم تطيرون او يكون الوعظ سبب التطير لا والله بل سبب تطيركم اسرافكم فى الضلال وتماديكم فى الغى فلذلك تطيرتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به ويقال قصا المكان يقصو قصوا فهو قصى ويقال فلان بالمكان الاقصى والناحية القصوى فعلم من قوله من اقصى المدينة ان تلك القرية كانت مدينة متباعدة الاطراف وان دعوتهم بلغت الى اقصاها وتنكير رجل لتعظيم شأنه وقوله يسعى اى يعدو وقيل يقصد وجه الله بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها روى ان القوم عزموا على قتل هؤلاء الرسل فسعى هذا الرجل ليخلصهم وكان يكتم ايمانه وكان ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بستمائة سنة لانه كان من العلماء بكتاب الله رأى فيه نعته ووقت بعثته فآمن به ولم يؤمن بنبى احد الابعد ظهوره ﴿ قوله وقيل كان فى غار الخ ﴾ فى مقابلة ماسبق من قوله ان عيسى عليه الصلاة والسلام ارسل الى اهل انطاكية اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما الخ فرغب الرجل الساعى قومه فى اتباع الرجل بان قال انهم مرسلون فيجب اتباعهم فلما رغبهم فيه وكانوا امتنعوا كونهم مرسلين نزل درجة فقال انهم يعرفون الطريق المستقيم الموصل الى خير الدارين فلاجرم انهم يصلحون لان يتخذوا دليلا ومع ذلك انهم قوم لايخسرون باتباعهم شيأ من

(قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ماادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم (ائن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم اوتوعدتم بالرجم والتعذيب وقدقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ (بل انتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم اوفى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم اجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (ومالى لا اعبد الذى فطرنى) على قرآءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد بابرازه فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم مااراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال

دنياكم وترجعون بهم ملكا دائما ونعيما مقيما وقرأ حمزة ويعقوب ومالي باسكان الياء والباقون بفتحها ابرز الكلام في صورة النصيحة لنفسه وهو في صدد ارشاد قومه تلطفا في الارشاد حيث اسمع الحق على وجه لا يورث طالبي السمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح بارتكاب الباطل وامحاض النصح وفيه مع ذلك اشارة الى ان استحقاقه تعالى للعبادة بين لا خفاء فيه ومن يمتنع عن عبادته لا يمتنع الا بمانع من جهته ولا مانع من جانبي فلا جرم انا اعبده ﴿قوله تعالى ءاتخذ﴾ استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ ولما بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا يجوز عبادته لان كل ذلك حادث مخلوق مفتقر الى الغني المطلق وفي قوله ءاتخذ اشارة الى ان من دونه ليس باله لان المتخذ لا يكون الها وقوله ان يردن اصله يريدني اسكنت الدال لانه فعل شرط مجزوم بان وحذفت الياء التي قبلها لالتقاء الساكنين ولا تغن عني جواب الشرط والجملة الشرطية في محل النصب صفة لالهة او استئناف لا محل لها ولا في قوله لا تغن للنفي ولا يجوز ان تقع موقعها ما لان ما وضعت لنفي الحال نحو ما يفعل وما زيد منطلقا ولا لنفي الاستقبال نحو لا يفعل وجواب الشرط مستقبل ليس الا ﴿قوله لا تغني شفاعتهم﴾ صادق على وجهين الاول انهم يشفعون ولا تقبل شفاعتهم والثاني انهم لا شفاعة لهم فتغني وهذا هو المراد دون الاول لان الشفاعة يوم الجزاء مقبولة البتة اذ لا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له فيها والانقاذ التخليص اي لا يخلصوني من ذلك الضر والمكروه وقوله ولا ينقذون عطف على قوله لا تغن وعلامة العطف الجزم بحذف نون الاعراب لان اصله لا ينقذونني ثم قال اني اذا لفي ضلال مبين تعريض لهم بانهم على الضلالة وعلى خلاف ما عليه الرسل من الاهتداء ﴿قوله وقيل الخطاب للرسل﴾ المعنى على الاول فاسمعوا ايماني واطيعوني يا قوم وقيل فاسمعوا ما قلت من حال الرسل وحالكم ثم حالي لتفرقوا بين الحق والباطل فتتبعوا المرسلين وعلى الثاني فاشهدوا على الايمان ايها الرسل قيل اظهر ايمانه ليشغل القوم عن الرسل فلما سمعوا منه هذا وثبوا عليه فقتلوه وقيل رجموه بالحجارة كما قالوا لرسلهم لنرجمنكم قال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقطعوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل * فان قيل قال من قبل ومالي لا اعبد الذي فطرني وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي * فالجواب انه ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم آمن بالرب الذي دعوه اليه وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذي فطرني ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربي لان الكافر يقول حينئذ وانا ايضا آمنت بربي والمنادى في قوله ياليت قومي محذوف اي يا اصحابي او يا احبابي او نحوهما وذكر لكلمة ما في قوله تعالى بما غفر لي الآية ثلاثة اوجه الاول كونها خبرية اي موصولة بحذف العائد اي بالذي غفره لي ربي من الذنوب واستضعف بانه يكون متمناه على هذا ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة ولا وجه لتمنيه بل الوجه ان يتمنى علمهم بغفران ربه ذنوبه بالايمان وتصديق الرسل الا ان يقال الموصول عبارة عن المصدر اي بالغفران الذي غفر لي فيكون اشارة الى تعظيم الغفران واشتماله على اثابة عظيمة وتعظيم بليغ والثاني كونها مصدرية اي بغفران ربي اياي والباء في بما على الوجهين متعلقة بيعلمون والجار والمجرور في محل النصب على انه مفعول يعلمون والثالث كونها استفهامية واليه ذهب الفراء وبما غفر لي على هذا الوجه مفعول له والباء سببية متعلقة بغفر ورده الكسائي بانه كان ينبغي حينئذ حذف الفها لكونها مجرورة فان الاجود والاشهر ان ما الاستفهامية تحذف الفها عند انجرارها بحرف جر نحو عم يتساءلون وفيم انت من ذكراها وفناظرة بم يرجع المرسلون وقل مجيئها باثبات الفها على الاصل كما في قوله

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

والآية من هذا القبيل ان جعلت ما استفهامية ووجه الحذف ان لها صدر الكلام لكونها استفهاما ولم يمكن تأخير الجار عنها فقدم عليها وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة موضوعة للاستفهام فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة التصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب وقيل تحذف الف ما الاستفهامية دون انجرارها دون الخبرية للفرق بينهما ﴿قوله قيل له ذلك لما قتلوه﴾ يعني انه قيل له بعد قتله ادخل الجنة اما على انه اخبار بانك من اهل الجنة وانك تدخلها بعد البعث الا انه امر بدخولها في الحال لان الجزاء بعد البعث واما على انه اذن له في دخولها في الحال اكراما له كسائر الشهداء فانه قال في حقهم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا

(ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ) لا تنفعني شفاعتهم (ولا ينقذون) بالنصرة والمظاهرة (اني اذا لفي ضلال مبين) فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل (اني آمنت بربكم) الذي خلقكم (فاسمعون) فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شئ غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم

الى آخر الآية قال قتادة ادخله الله الجنة و هو فيها و قوله او لما هموا بقتله عطف على قوله لما قتلوه اى روى انه لم يمت بل لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله تعالى الى السماء فهو فى الجنة على ما قاله الحسن فعلى هذا يكون قوله ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى صادرا عنه فى حياته و على الاول يكون ذلك بعد قتله و على القولين يكون سبب تمنيه علم قومه بحاله ان يكون علمهم بها سببا فى اكتساب الايمان و العمل الصالح ليكون ذلك مفضيا لهم الى الخلاص من العذاب المخلد و يفوزوا بالثواب المؤبد و فى الحديث انه نصح قومه حيا و ميتا ﴿قوله بل كفينا امرهم بصيحة ملك﴾ روى انه لما قتل حبيب غضب الله تعالى له فعجل لهم النقمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فجعل طريق استئصالهم ما يتوصل به الى زجر نحو الطيور و الوحوش من صيحة عبد واحد مأمور فيه استحقار لاهلاكهم و هو ظاهر و ايماء الى تعظيم رسولنا صلى الله عليه و سلم و وجهه انه لما ظهر ان تحريك ريشة من جناح ملك و ادنى صيحة كان كافيا فى اهلاك مدآئن جماعات شتى علم ان انزال الجنود من السماء يوم بدر و الخندق كما يدل عليه قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها و قوله بالف من الملائكة مردفين و قوله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين و قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين كل ذلك لم يكن الا تعظيما لشأنه و اجلالا لقدره لا لاحتياجه الى الملائكة فى المظاهرة و المعاونة ﴿قوله و ما صح فى حكمتنا﴾ اشارة الى ان ما الثانية نافية كالتى قبلها فتكون الجملة جارية مجرى التأكيد للاولى يقال انتصر منه اى انتقم و قيل ما الثانية موصولة و محلها النصب عطفا على موضع جند اى من جند من الذى كنا منزلين قيل عليه انه يستلزم ان تكون من الاستغراقية مزيدة و مذهب البصريين غير الاخفش انه لا تزاد الا فى كلام غير موجب و لا يكون مجرورها الا نكرة فينبغى على قول من يقول ان ما الثانية اسم معطوف على جند ان يجعلها نكرة موصوفة اى و من عذاب كنا منزليه و الجملة بعدها صفة لها * فان قيل ما فائدة قوله تعالى من السماء و هو تعالى كما لم ينزل عليهم جندا من السماء لم يرسل عليهم جندا من الارض * فالجواب ان العذاب نزل عليهم من السماء فتبين ان النازل لم يكن جندا و انما كان صيحة اخذتهم و خربت ديارهم ﴿قوله على كان التامة﴾ اى ما وقعت الا صيحة واحدة و انكرت النحاة قرآءة الرفع و ضعفوها لاجل تأنيث الفعل و قالوا القياس فيه و فى نظائره تذكيره فانك اذا قلت ما قامت الا هند ضعيف و الجيد ما قام الا هند و ذلك لان الكلام محمول على معناه اى ما قام احد الا هند و كذا هنا ما وقع شئ الا الصيحة فلما كان هذا المراد اختار و التذكير الفعل ليؤذن لهم بهذا المراد و لكنه نظر الى ظاهر اللفظ و ان الصيحة فى حكم فاعل الفعل فانث الفعل لذلك و مثله قرآءة من قرأ فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بالتاء من ترى و عليه قول الشاعر و هو ذو الرمة * فما بقيت الا الصدور الجراشع * و القياس فيهما تذكير فعلهما لان المراد لا يرى شئ الا مساكنهم و ما بقى شئ منها الا الصدور و اذا فى قوله تعالى فاذا هم خامدون للمفاجأة و هى مكانية و ما بعدها مبتدأ و خبر اى فبذلك المكان هم خامدون و هو اشارة الى سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة و لم يتأخر عنها * قال الجوهرى خمدت النار تخمد خمودا سكن لهبها و لم يطفأ جمرها و همدت اذا طفئ جمرها و سطع الشئ سطوعا اذا ارتفع و الشهاب شعلة نار ساطعة ﴿قوله شبهوا بالنار﴾ اى شبهوا حال طريان الموت عليهم بالنار التى يسكن لهبها و لم يطفأ جمرها فاطلق عليهم اسم المشبه به و هو الخامد على طريق الاستعارة التصريحية و فى هذه الاستعارة رمز الى تشبيه الحى بالنار الساطعة فى ان كل واحد منهما يرتفع و يتحرك الى جهات مختلفة على حسب الدواعى المختلفة و الى تشبيه الميت القديم العهد بالرماد من حيث انه سكنت حركته الارادية بالموت ثم تحوّل جسده ترابا كالرماد

* و ما المرء الا كالشهاب و ضوءه *	يحور رمادا بعد اذ هو ساطع *
* و ما الاهل و الاموال الا و ديعة *	و لا بدّ يوما ان تردّ الودآئع *

و كأن الشاعر اخذ هذا المعنى من قوله صلى الله عليه و سلم * ان من فى الدنيا ضيف و ما فى يده عارية و ان الضيف مرتحل و العارية مردودة * و يحور بالحاء المهملة يرجع * قرأ الجمهور ياحسرة بالنصب و التنوين على انه منادى مشابه للمضاف من اجل طوله فانهم يعنون بالمشابه للمضاف اسما يجيء بعده شئ من تمامه اما معمول له نحو يا طالعا جبلا و ياحسنا وجهه و ياخيرا من زيد و اما نعت هو جملة او ظرف نحو يا حليما لا يعجل و يا جوادا لا يبخل و قوله

* ادارا بحزوى هجت للعين عبرة *	فماء الهوى يرفضّ او يترقرق *

(و ما انزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه او رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر و الخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك و فيه استحقار لاهلاكهم و ايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (و ما كنا منزلين) و ما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا و جعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك و قيل ما موصولة معطوفة على جند اى و مما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة و ريح و امطار شديدة (ان كانت) ما كانت الاخذة او العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل و قرئ بالرفع على كان التامة (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة و الميت كرمادها كما قال لبيد شعر

و ما المرء الا كالشهاب و ضوءه *

يحور رمادا بعد اذ هو ساطع *

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها و هى ما دل عليها (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن)

وقوله ❁ الا يانخلة من ذات عرق ❁ عليك ورحمة الله السلام ❁

فقوله ياحسرة على العباد من قبيل ياخيرا من زيد وعلى متعلق بحسرة والمعنى ياحسرة عليهم تعالى فهذا اوان حضورك اى هذه الحالة اى حال استهزآئهم بالرسل من حقها ان يتحسر منها والحسرة لاتدعى ولا يطلب اقبالها لانها مما لايجيب والفائدة فى ندآئها مجرد تنبيه المخاطب وايقاظه ليتمكن فى ذهنه ان هذه الحالة تقتضى الحسرة وتوجب التلهف فانك اذا قلت لمن هو مقبل عليك يازيد مااحسن ماصنعت كان ذلك ابلغ وآكد فى افادة المطلوب من قولك مااحسن ماصنعت لتصدّر الاولى بما ينبه المخاطب ويجعله متوجها لما يلقى اليه من المطلوب فكذا اذا قلنا اعجب مما فعلت فقد افدته انك متعجب مما فعله ولو قلت ياعجبا مما فعلت كان ابلغ فى افادة انك متعجب فكأنك قلت ايها العجب اقبل فهذا وقت اقبالك وحضورك وقوله تعالى مايأتيهم من رسول الآية استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن سبب التحسر عليهم فلايكون لهذه الجملة محل من الاعراب والالف واللام فى العباد قيل للعهد وهم الذين اخذتهم الصيحة من قوم حبيب فانهم لما كانوا بحيث مايأتيهم من رسول من الرسل الثلاثة يهديهم الى مافيه خير الدارين الا كانوا به يستهزؤن كانوا احقاء بان يتحسر عليهم حيث ضيعوا خير الدارين واستحقوا العذاب فهم المتحسرون والمتحسر عليهم وقيل لتعريف الجنس اى جنس الكفار المصرّين على التكذيب والاستهزآء فانهم ايضا احقاء بان يتحسروا على انفسهم حال استهزآئهم برسلهم ﴿قوله او يتحسر عليهم﴾ اشارة الى ان المتحسر عام والمعنى ان الامر لفخامته وشدته بلغ الى حيث كل من يتأتى منه التلهف اذا نظر الى حال استهزآئهم بالرسل تحسر عليهم وقال يالها من حسرة وخيبة على هؤلاء المحرومين حيث بدلوا الايمان بالكفر والسعادة بالشقاوة وقوله وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون اشارة الى ان المتحسر كل من يعتدّ منه بالتحسر كما فى قوله ويلعنهم اللاعنون فقد حكى عن حبيب انه حين قتل كان يقول اللهم اهد قومى وبعد ماقتلوه وادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون فصح ان يتحسر المسلم للكافر ويتلهف له وعليه وقوله على سبيل الاستعارة اى لان حقيقة التحسر مستحيلة على الله لانها مايلحق المتحسر من شدة الندم على وجه لانهاية بعده حتى يبقى حسيرا لاموضع فيه للزيادة على ذلك القدر من الندم كالبصر الحسير الذى لاقوّة فيه للنظر والبعير الحسير الذى لاقوّة له على المسير يقال حسر البعير حسورا اذا اعيى فهو حسير وحسر بصره اذا كل وانقطع نظره وتحسر الانسان على غيره تلهف ورقة تعتريه مما يلحق صاحبه من مشقة وشدة وغايته ان يستعظم ذلك الامر وينكر على ارتكابه كيف تورط فيه فالتحسر فى حق الله تعالى يراد به غايته فيكون كالالفاظ التى وردت فى حقه تعالى كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمنى واشار المصنف اليه بجعل المستعار له تعظيم الله تعالى لجنايتهم على انفسهم والفرق بين ان يكون ياحسرة على العباد تحسرا من الله عليهم مثل كون ياعجبا مما فعلت تعجبا من القائل وبين ان يقوله الله تعالى لافادة ان هذه الحال من حقها ان تحضر فيها الحسرة وان اصحابها احقاء بان يتحسروا على انفسهم او يتحسر عليهم كل من يتأتى منه التحسر اوكل من يعتد بتحسره من الملائكة والمؤمنين ان قوله ياحسرة على العباد على الاول انشاء التحسر من القائل مثل كون ياعجبا لانشاء التعجب منه وغايته ان يحمل على المجاز لامتناع حمله على الحقيقة وعلى الثانى يكون المقصود منه الاخبار بان هذه الحال من حقها ان تحقق فيها الحسرة من اصحابها او من غيرهم ولا يلزم ان يكون من يقول ياحسرة ويا ندامة متحسرا ونادما لا حقيقة ولا مجازا ﴿قوله ويؤيد قرآءة ياحسرتا﴾ وجه التأييد ان اصله ياحسرتى قلبت الياء الفا لان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة فان نحو ياغلامى يخفف على وجهين حذف الياء اكتفاء بالكسرة وقلبها الفا لما ذكر فيكون ياحسرتا من القلب ﴿قوله ونصبها لطولها﴾ اى لكونها شبيهة بالمنادى المضاف فى طولها بالجار المتعلق بها وقيل انها مصدر مؤكد لفعلها المضمر وكلمة على حينئذ متعلقة بذلك الفعل المضمر والمنادى محذوف تقديره ياهؤلاء تحسروا حسرة اوياقوم تحسروا حسرة وقوله بالاضافة الى الفاعل او المفعول فيكون العباد فاعلين للحسرة فان العباد الهالكين يتحسرون على انفسهم وكذا الملائكة والمؤمنون يتحسرون على الكفار حين كذبوا الرسل او حين شاهدوا عذابهم على معنى انهم يتحسرون على غيرهم حين يرون عذابهم او يتحسر عليهم غيرهم وقرئ ياحسره بالهاء المبدلة من تاء التأنيث وصلا وكأنهم اجروا الوصل مجرى الوقف لما مثل حال كفار مكة بحال اصحاب القرية فى تكذيب الرسول الناصح وبين اهلاكهم بصيحة واحدة عقبه بان سجل عليهم بانهم قد علموا

فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على انفسهم ويؤيده قرآءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول وياحسره على العباد باجرآء الوصل مجرى الوقف

ان المهلكين بسبب تكذيب الرسل غير منحصر فيهم بل هم طوائف كثيرة فلم لا يعتبرون بهم و القرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود و استدل على ان كم هنا خبرية لانه ابدل منها ماليس استفهاما و هو قوله انهم اليهم لا يرجعون و الاستفهامية لا يعمل فيها ماقبلها فلا يقال سرت كم فرسخا و كم الخبرية محمولة عليها لمشاركتها اياها فى افادة الابهام فقوله لان اصلها الاستفهام يريد به ان الاستفهامية اصل فى ان لا تكون معمولة لماقبلها و الخبرية محمولة عليها لا ان احداهما اصل للاخرى بحسب نفس اللفظ لان كل واحدة منهما اصل بنفسها و لكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام و الخبر فلما كان يروا معلقا عن كم كانت كم منصوبة المحل على انها مفعول اهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا ﴿قوله بدل من كم على المعنى﴾ اى لا من حيث اللفظ لان الم يروا لما لم يعمل فى كم لفظا لا يعمل فى بدله ايضا بل العامل فى كم لفظا هو اهلكنا فلو كان انهم اليهم لا يرجعون بدلا من كم من حيث اللفظ لوجب ان يكون معمولا لاهلكنا ايضا لان البدل على نية تكرار العامل و لو سلطت اهلكنا على انهم لاختل المعنى اذ لا معنى لقولنا اهلكنا انتفاء رجوعهم و اهلكنا كونهم لا يرجعون فوجب ان يكون بدلا من كم على المعنى و ان يكون معمولا لما عمل فى كم معنى و هو الم يروا لان الفعل المعلق ممنوع من العمل لفظا و عامل معنى و تقديرا لان معنى قولك علمت لزيد قائم علمت قيام زيد كما هو كذلك عند انتصاب الجزءين لفظا فمن ثمة جاز عطف الجزءين المنصوبين على الجملة المعلق عنها نحو علمت لزيد قائم و بكرا قاعدا فيكون المعنى ماذكره من قوله الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم مع ان كم مفعول اهلكنا لفظا و لقائل ان يقول كما لا يصح ان يكون بدلا على اللفظ كما ذكره لا يصح ايضا ان يكون بدلا على المعنى لان كونهم غير راجعين اليهم ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل و ليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل و لا يكون بدل اشتمال اذ يصح ان يضاف الى ما ابدل منه و هذا لا يصح هنا فانه لا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم و فى بدل الاشتمال لو قلت اعجبتنى الجارية ملاحتها او سرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبتنى ملاحة الجارية و سرق ثوب زيد و لا يصح الاضافة ههنا فلا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم و يمكن ان يقال انه من قبيل بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين اليهم عبارة عن اهلاكهم بالكلية و المعنى الم يروا ان خروجهم من الدنيا ليس كخروج احدهم من منزله الى السوق او بلد آخر ثم يعود الى منزله عند اتمام مصلحته هناك بل هو مفارقة من الدنيا ابدا و فى اعجبتنى الجارية ملاحتها او سرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبتنى ملاحة الجارية و سرق ثوب زيد و قيل هو بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين عبارة عن اهلاكهم لانه لازم له عبر به عنه تجوزا ﴿قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون﴾ قرئ بالتخفيف و التشديد و اجمعوا على تخفيف ان و رفع كل على انه مبتدأ و جميع خبره و محضرون خبر ثان فان خفف لما كانت ما صلة للتأكيد و ان مخففة من الثقيلة و اسمها مضمر و هو ضمير الشان او الامر و اللام فى لما هى الفارقة بين المخففة و النافية فانه اذا خففت المكسورة جاز الغاؤها و اعمالها و الالغاء اكثر من الاعمال كقوله تعالى و ان كلا لما ليوفينهم و تلزمها اللام مع التخفيف سواء اعملت ام اهملت اما مع الاهمال فللفرق بين المخففة و النافية و اما مع الاعمال فالمطرد هكذا قال ابن الحاجب و هو خلاف مذهب سيبويه و سائر النحاة فانهم قالوا المعملة لا تلزمها اللام لحصول الفرق بالعمل فمعنى الآية و ان الشأن كل واحد من المهلكين مجموع مع الآخر مضموم محضرون لدينا للحساب و الجزاء و لما بين الاهلاك بين ان من اهلكه ليس بمتروك على حاله بل بعده جمع و حساب و حبس و عقاب و لو ان من اهلكه ترك بعده لكان الموت راحة كل حى و نعم ماقال من قال

❁ ولو انا اذا متنا تركنا ❁ لكان الموت راحة كل حى ❁

❁ و لكنا اذا متنا بعثنا ❁ و نسأل بعدها عن كل شئ ❁

و ان شدد لما تكون ان نافية بمعنى ما و لما بمعنى الا اى و ما كل الا جميع كقولهم نشدتك بالله لما فعلت كذا اى ما سألتك الا ان تفعل و كقوله ان كل نفس لما عليها حافظ اى ما كل نفس الا عليها حافظ و لما اشار بقوله و ان كل لما جميع لدينا محضرون الى انه يحشر الاجساد الميتة و يحييهم ذكر مايدل على امكانه قطعا لاستبعادهم اياه و اصرارهم على انكاره فقال و آية لهم الارض الميتة الآية آية مبتدأ و لهم صفتها و الارض الميتة مبتدأ ثان و احييناها خبر الثانى و الجملة خبر الاول و هو آية و لعل الوجه فى خلوها عن العائد كونها فى تأويل احياؤنا الارض الميتة و يحتمل ان يكون آية لهم مبتدأ و الارض الميتة خبره و احييناها صفة الارض * و لما ورد عليه ان الارض معرف باللام

(الم يروا) الم يعلموا و هو معلق عن قوله (كم اهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ماقبلها و ان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم و قرئ بالكسر على الاستئناف (و ان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء و ان مخففة من الثقيلة و اللام هى الفارقة و ما مزيدة للتأكيد و قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية و جميع فعيل بمعنى مفعول و لدينا ظرف له او لمحضرون (و آية لهم الارض الميتة) و قرأ نافع بالتشديد (احييناها) خبر للارض و الجملة خبر لآية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة و هى الخبر او المبتدأ و الآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية

فكيف توصيفها بالجملة الخبرية وهى نكرة * اجاب عنه بان اللام التى تكون للعهد الذهنى يشار بها الى الحقيقة من حيث وجودها فى ضمن بعض الافراد كما فى قولك ادخل السوق عند سوق معهود معين و ارادة الجنس من حيث هى هى منتفية لان الدخول لا يتعلق بحقيقة السوق بل انما يتعلق بفرد منها لا بعينه فيكون المعرّف بلام العهد الذهنى فى معنى النكرة فيعامل معاملتها فلذلك صح توصيفه بالجملة الخبرية كما فى قوله * ولقد امرّ على اللئيم يسبنى * و يحتمل ان يكون الارض الميتة مبتدأ مبتدأ او خبر مبتدأ و احييناها استئنافا كأنّ قائلا قال كيف تكون الارض آية فقال احييناها و قال ابو البقاء آية مبتدأ و لهم خبره و الارض مبتدأ و الميتة صفته و احييناها خبره وهذه الجملة مفسرة للجملة الاولى ﴿قوله قدّم الصلة﴾ يعنى ان تقديمها يفيد اختصاص المأكولية بالحب وان لا يؤكل غيره و ليس كذلك فاوجه التقديم اجاب بانها قدمت لتفيد انحصار معظم ما يؤكل و يعاش به فى الحب فحاصله ان التقديم لحصر الكمال لا لحصر المأكولية فهو من قبيل حاتم هو الجواد ولا فتى الا على ﴿قوله فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف﴾ اى باختلاف مدلوله لان الجنس مقول على المختلفين بالحقيقة فلا يحتاج الى ان يجمع فانه يدل عليه بخلاف ما يدل على النوع فانه يجمع اذا اريد به الاصناف المختلفة لذلك النوع لان النوع يقال على افراد حقيقة واحدة فلا يدل على اختلاف الاصناف فيجمع ليدل على ذلك فلذلك جمع النخيل و الاعناب فان النخيل و النخل بمعنى واحد والواحدة نخلة ﴿قوله ليطابق الحب﴾ علة للنفى لا للمنفى لان المطابقة للحب انما تحصل بذكر التمر لا بعدم ذكره يريد انه اختير النخل على التمر لان المقام مقام تعداد النعم المترتبة على حياة الارض و تبيين الآية الدالة على كمال قدرته و النخيل فى انفسها من جلائل النعم و من دلائل كمال القدرة ثمورها وان ذكرها فى قوة ذكر الثمور فلذلك ذكر النخيل دون الثمور * فان قيل قوله احييناها يكفى للاستدلال على جواز احياء الموتى فما فائدة قوله فاخرجنا منها حبا و ما بعده * قلنا فائدته الدلالة على كمال حياتها بحيث يثبت لها جميع منافعها فان موت الارض استعارة ليبسها و زوال رطوبتها التى هى مبدأ انبات النباتات و تربيتها فيكون حياتها مستعارا لثبوت تلك الحالة لها لكن لثبوتها مراتب مختلفة بعضها اكمل من بعض فقوله و اخرجنا منها حبا الخ بمنزلة ان يقال احييناها احياء كاملا ﴿قوله اى شيأ من العيون﴾ على ان من للبيان قدّم هذا الوجه لان زيادة من فى الاثبات قول مرجوح تفرّد به الاخفش ذكر اوّلا ان ضمير ثمره راجع الى الجنات باعتبار المذكور وثانيا انه راجع الى الله عزوجل و المعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر و مقتضى الظاهر ان يقال من ثمرنا لقوله و فجرنا وجعلنا و اخرجنا لكن عدل عن التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات وتشديد فجرنا و فتحنا للتكثير لا للتعدية لان فجرنا و فتحنا الثلاثيين ايضا متعديان ﴿قوله عطف على الثمر﴾ اشارة الى ان ما موصولة مجرورة المحل عطفا على ثمره اى ليأكلوا من ثمره و من الذى عملته ايديهم فعلى قرآءة الجمهور الامر واضح لانهم قرأوا وما عملته ايديهم باثبات الهاء لكون العائد الذى هو عائد الى الموصول حاصلا فى قرآءتهم و اما على قرآءة حمزة و الكسائى و ابى بكر فان كانت ما موصولة يكون العائد محذوفا كما حذف فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا بالاجماع قال مكى فى مغربه و من قرأ و ما عملت بغير هاء كان الاحسن ان تكون ما فى موضع خفض و تحذف الهاء من الصلة و يبعد ان تكون نافية لانك تحتاج الى اضمار مفعول لعملت و فى اللباب و على قرآءة الكوفيين غير حفص ان كانت ما نافية لا يقدر ضمير و لكن المفعول محذوف اى عملت ايديهم شيأ من ذلك و على قرآءة غيرهم الضمير يعود على ثمره و مراد مكى ما ذكره المصنف من ان حذف معمول عملت حال كونه صلة احسن من حذف مفعوله غير صلة اذ هو بعيد و مراد صاحب اللباب بان كانت نافية على قرآءتهم لا يكون المفعول المحذوف ضمير الثمر فقط بل ما يرجع الى جميع ما اضافه الله تعالى الى نفسه من المخرج و الجنات المجعولة و العيون المفجرة و ثمار تلك الجنات لان ايديهم لم تعمل شيأ منها ولا ضرورة تدعو الى تخصيص المفعول بواحد منها ﴿قوله تعالى سبحان الذى الآية﴾ سبحان علم دال على التسبيح فان العلم كما يكون علما للاشخاص كزيد وعمرو و الاجناس كاسامة يكون للمعانى ايضا ومنه سبحان للتسبيح و تبين مفعوله بالاضافة اليه نحو سبحان الله و سبحان الذى خلق الازواج * فان قيل كيف اضيف والعلم لا يضاف * قلنا الذى لا يضاف هو علم الاعيان و ما هو علم المعنى يجوز اضافته و يجب حذف فعله اى سبح تسبيحا اى نزه عن صفات النقص تنزيها الله الذى خلق الازواج الانواع و الاصناف كلها من غير ان يشاركه فيه غيره فكيف يجوز ان يشرك به ما لا يخلق شيأ ابدا بل هو مخلوق مصنوع و عن ان يكون عاجزا عن احياء الموتى مع انه مبدئ

(و اخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدّم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل و يعاش به (و جعلنا فيها جنات من نخيل و اعناب) من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف و لا كذلك الدال على الانواع و ذكر النخيل دون الثمور ليطابق الحب و الاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع و آثار الصنع (و فجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف و الفجر و التفجير كالفتح و التفتيح لفظا و معنى (من العيون) اى شيأ من العيون فحذف الموصوف و اقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش (ليأكلوا من ثمره) ثمر ما ذكر و هو الجنات و قيل الضمير لله على طريقة الالتفات و الاضافة اليه لان الثمر بخلقه و قرأ حمزة و الكسائى بضمتين و هو لغة فيه او جمع ثمار و قرئ بضمة و سكون (و ما عملته ايديهم) عطف على الثمر و المراد ما يتخذ منه كالعصير و الدبس و نحوهما و قيل ما نافية و المراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم و يؤيد الاوّل قرآءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها (افلا يشكرون) امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع و الاصناف (مما تنبت الارض) من النبات و الشجر (ومن انفسهم) و من الذكر و الانثى (و مما لا يعلمون) و ازواجا مما لم يطلعهم الله عليه و لم يجعل لهم طريقا الى معرفته

الازواج كلها والاعادة كالابدآء بل هي اهون ولما امر بالشكر بقوله افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة له وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال ردّا عليهم سبحان الذى خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيأ والزوج خلاف الفرد ويقال للانواع ازواج لان كل نوع زوج لقسيمه قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فانه سمى كل نوع زوجا فعلى هذا يقال للنوعين زوجان كما يقال هما زوج لاوتر وهما سيان وسوآء **قوله** نزيله ونكشفه عن مكانه اى مكان الليل ونظهر ظلمته اشارة الى ان المستعار له ازالة ضوء النهار عن الاماكن التى يقع عليها ظلمة الليل بحيث تكون تلك الظلمة ظاهرة منكشفة والمستعار منه سلخ الجلد عن الشاة شبه ازالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلدى عن الشاة فاطلق اسم السلخ عليها ثم اشتق منه نسلخ فهو استعارة تصريحية تبعية قال الفرآء الاصل الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول فتنظر الظلمة لما استدل باحياء الارض الميتة وهى مهاد ومكان لسكانها استدل بالليل والنهار وهو زمان لهم وبين الزمان والمكان مناسبة **قوله** داخلون فى الظلام وهو اوّل الليل واظلم القوم اى دخلوا فى الظلام مثل اصبحوا فاذا للمفاجأة اى ليس لهم بعد ذلك امر سوى الدخول فيه **قوله** تعالى والشمس تجرى لمستقرّ لها الشمس مبتدأ وتجرى خبره ولك ان تعطف الشمس على الليل على معنى وآية لهم الشمس فيكون قوله تجرى فى موضع الحال اى جارية وقيل فى الكلام حذف مضاف تقديره تجرى لجرى مستقرّ لها وعلى هذا فاللام أجلية اى لاجل جرى مستقرّ لها والصحيح انه لاحذف وان اللام بمعنى الى ويدل عليه قرآءة بعضهم الى مستقرّ والمستقرّ اما اسم مكان اى تسير الى موضع تستقرّ فيه اى تنتهى اليه ولا تتجاوز عنه كاستقرار المسافر اذا قطع مسيره ووجه الشبه الانتهاء اليه وعدم التجاوز عنه وان كان لاحدهما استقرار دون الآخر وذلك الموضع كبد السماء اى وسطها شبه بطؤ حركتها فيه بالوقفة والاستقرار وحيرى تأنيث حيران مثل عطشان وعطشى يقال دوّمت الشمس فى كبد السماء اى ابطأت وصارت كأنها لاتمضى واما مصدر ميمى واللام لام العاقبة اى تجرى بحيث يترتب على جريها استقرارها على نهج مخصوص بان تستقرّ فى كل برج شهرا وتبلغ نهاية ارتفاعها فى الصيف ونهاية انخفاضها فى الشتاء من منازلها فى السماء اى تجرى لان يستقرّ كل واحد من ارتفاعها وانخفاضها فى حدّ معين من مسافة سيرها فى بروجها الاثنى عشر على وجه يأخذ الليل من النهار فى نصفه الاطول والنهار من الليل فى نصفه الآخر ويترتب عليه اختلاف الفصول الاربعة وتهيئة اسباب معاش الارضيات وترتيبها **قوله** او لمنتهى مقدّر لكل يوم من المشارق والمغارب فيكون المستقرّ اسم مكان كالاوّل وذلك المكان فى الوجه الاوّل تنتهى اليه الشمس فى آخر السنة وفى هذا الوجه تنتهى اليه فى كل يوم ولا تتجاوز عنه **قوله** او لمنقطع جريها فالمستقرّ على هذا زمان اى تجرى الى زمان استقرارها وانقطاع حركتها وذلك الزمان يوم القيامة وقرئ لامستقرّ بلا النافية للجنس وبناء مستقرّ على الفتح ولها الخبر وقرئ لامستقرّ لها بالرفع والتنوين على ان لا بمعنى ليس وعاملة عملها ومستقرّ اسمها ولها فى محل النصب خبرها على معنى انها لاتستقرّ فى الدنيا بل هى دآئمة الجريان وقوله على كل مقدور وبكل معلوم مستفاد من ترك المفعول به **قوله** والقمر قدّرناه منازل قرأ الكوفيون وابن عامر بنصب القمر باضمار عامله على شريطة التفسير والباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو برفعه اما على انه مبتدأ وقدّرناه خبره واما بالعطف على الليل والمعنى وآية لهم القمر ولا بدّ ههنا من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فلذلك قدّر المصنف مضافا وهو مسيره اى موضع سيره فيكون منازل مفعولا ثانيا لقدّرنا على تضمينه معنى صيرنا وان كان المضاف المقدّر سيره يكون انتصاب منازل بنزع الخافض والمعنى قدّرنا سيره فى منازل وقيل تقديره قدّرنا له منازل فيكون مفعولا به ثم حذفت اللام واوصل الفعل بنفسه وحرف الجر مراد وقيل منازل حال اى ذا منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة والعذق بالكسر الكباسة وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم والشماريخ جمع شمراخ او شمروخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة لان عود العذق اذا قدم وعتق دق وتقوّس واصفرّ والقديم ما تقادم فى العادة الا ترى انه لايقال لمدينة بنيت من سنة انها مدينة قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة واختلف فى وزن عرجون فقيل هو فعلول فنونه اصلية لا فعلون لان فعلونا ليس فى كلامهم وقال الزجاج هو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وهو حسن من جهة المعنى ولكنه ضعيف من جهة انه لانظير له فى كلام القوم وقرئ كالعرجون بكسر العين وفتح الجيم وفى الصحاح

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقرّ لها) لحدّ معين ينتهى اليه دورها شبه بمستقرّ المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هنالك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجوّ تدويم * او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدّر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لاتعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لامستقرّ لها اى لاسكون فانها متحركة دآئما ولامستقرّ على ان لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدّرناه) قدّرنا مسيره (منازل) او سيره فى منازل وهى ثمان وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوّاء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدّم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل ما مرّ عليه حول فصاعدا

البزيون بالضم السندس وهو مارق من الحرير والاستبرق هو ماغلظ منه ﴿قوله في سرعة سيره﴾ فان القمر
اسرع سيرا حيث يقطع فلكه في شهر بخلاف الشمس فانها ابطأ منه فانها لاتقطع فلكها الا في سنة فهي لاتدرك
القمر في سرعة سيره فانه تعالى جعل سيرها ابطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت
بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسافة شئ واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث في بقعة
واحدة بقدر مايخرج النبات من الارض والاوراق والثمار من الاشجار وبقدر ماينضج الثمار والحبوب ويختل
بذلك تعيش الحيوان وكذا لاينبغي للشمس ان تدرك القمر في آثاره ومنافعه مع قوة نورها واشراقها فان لكل
واحد منهما آثارا ومنافع تخصه وليس للاخر ان يدركه فيها وكذا ليس لها ان تدركه في مكانه بان تنزل منازله
وتجرى حيث جرى فانه قدر لكل واحد منهما فلك على حياله فان القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة
وكذا ليس لها ان تدركه في سلطانه اي ان تجامعه كائنا في سلطنته واشعة نوره وذلك بالليل اي ليس لها ان
تجامع القمر بالليل فتطمس نوره والسلطان الوالي ويطلق على الحجة والبرهان واراد بسلطان القمر نوره الذي
هو برهان لوجوده ﴿قوله وايلاء حرف النفي الشمس﴾ يعني الظاهر ان يقال فلا ينبغي للشمس ان تدرك
القمر على انه نتيجة الكلام السابق فانه لما قال والشمس تجرى لمستقر لها اي الى حد معين تنتهي اليه ولا تتجاوز
عنه فان الشمس كل يوم تطلع من مشرق وتغيب في مغرب ستة اشهر فتنتهي الى اقصى المشارق والمغارب
في زمان الصيف ثم ترجع الى تلك المشارق والمغارب فتطلع فيها وتغرب ستة اشهر فتنتهي الى غاية انخفاضها
في زمان الشتاء فذلك حدها في الانخفاض لاتعدوه كان ذلك حدها في الارتفاع ولا تعدوه فلزم منه انها لاتدرك
القمر في سرعة سيره فالظاهر انه نتيجة له الا ان فاء النتيجة تركت تعويلا على فهم السامع وجعل حرف النفي في حيز
الشمس وادخلت عليه للدلالة على ماذكره والفرق بين لاالشمس ينبغي لها وبين لاينبغي للشمس ان الاول ابلغ
وآكد في افادة انها مسخرة فان قولك انت لاتكذب بتقديم المسند اليه فيه تقوية الحكم المنفي وتقريره فهذا اشد
لنفي الكذب من لاتكذب لما فيه من تكرار الاسناد المفقود في لاتكذب فكذا قولك لاالشمس تدرك ولا تدرك
الشمس ﴿قوله تعالى سابق النهار﴾ الجمهور على حذف التنوين تخفيفا وقرئ سابق النهار بالتنوين والنصب
على حذف التنوين لالتقاء الساكنين لما كان نفس الليل سابقا على النهار والنهار طارئا عليه والمطروء سابق على
الطارئ لامحالة فسر قوله تعالى ولا الليل سابق النهار بان الليل لايعجز النهار من ان يتصل به ويجيء عقيبه بل
يتعاقبان فهو كالنتيجة لقوله وآية لهم الليل نسلخ منه وقيل المراد بالليل والنهار القمر والشمس فمعنى قوله ولا الليل
سابق النهار لايتسهل للقمر ان يكون ذا سلطان في النهار بل تراه فيه جرما لانورانية ولا بهاء فيه فضلا عن ان يزيل
سلطان الشمس ﴿قوله والضمير للشموس والاقمار﴾ لما كان المذكور الشمس والقمر وجيء بضمير الجمع اعتذر
بان هنا شموسا واقمارا باعتبار مطالعهما ولما ذكر مطالعهما فكأنه ذكر شموس واقمار فجيء بضمير الجمع لذلك قال الزجاج
ومعنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل من انبسط في شئ فقد سبح فيه ومن ذلك السباحة في الماء والفلك هو
الجسم المستدير والسطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة
الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة
فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق المفسرون على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهي
كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع * قال الامام ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة
على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المرفوع
لايخرج بذلك عن كونه سقفا وكذا كونه على جبال والظاهر ان الضمير في قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم
عائد على هؤلاء العباد قال الراغب الذرية اصلها الصغار من الاولاد وان كانت تقع على الصغار والكبار في التعارف
وتستعمل في الواحد والجمع واصلها الجمع قال تعالى ذرية بعضها من بعض وذرية ضعافا واستعمالها في النساء
مجاز من قبيل تسمية المحل باسم الحال وهو المراد بقوله لانهن مزارع الذرية عن حنظلة انه قال كنا في غزاة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى امرأة مقتولة فقال ما كانت هذه تقاتل الحق خالدا وقل لاتقتلن ذرية
يعني النساء واذا كان ضمير لهم وذريتهم ليس واحدا كان المناسب ان تكون الالف واللام في قوله في الفلك المشحون
لتعريف الجنس كما في قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون وقوله وترى الفلك فيه مواخر وقوله فاذا

(لاالشمس ينبغي لها) يصح لها ويتسهل
(ان تدرك القمر) في سرعة سيره فان ذلك
يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في
آثاره ومنافعه اومكانه بالنزول الى محله
او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي
الشمس للدلالة على انها مسخرة لايتيسر لها
الا ما اريد بها (ولا الليل سابق النهار) يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك
بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره (وكل)
وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه
والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما في الذات
او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها (في فلك
يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم
انا حملنا ذريتهم) اولادهم الذين يبعثونهم الى
تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن
مزارعهم

ركبوا في الفلك الى غير ذلك كان تعريف الفلك فيه للاشارة الى الجنس من حيث وجوده في ضمن بعض الافراد وهو المسمى تعريف العهد الذهني والمعنى وآية لهم انا سخرنا لهم البحر والريح وجعلنا لهم اتخاذ السفن يركبونها ويسيرون بها في البحر كما يسيرون في البر ﴿قوله وتماسكهم فيها اعجب﴾ يعني ان تسخير البحر والفلك كما انه نعمة في حق الذرية نعمة في حقهم ايضا لانه لما كان تماسكهم انفسهم في الصبر على القرار فيها اشق واعجب كانت النعمة في حقهما اتم وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام على ان يكون تعريف الفلك للاشارة الى حصة معينة فالمعنى انا حملنا اولادهم فعلى هذا كان الظاهر ان يقال انا حملناهم وذريتهم لان انفسهم ايضا محمولون في فلك نوح الا انه قيل حملنا ذريتهم بتخصيص الحمل للذرية لكونه ابلغ في الامتنان بكمال النعمة في حقهم فانه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليصهم من الغرق فلما قيل حملنا ذريتهم افاد الكلام ان نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم بل هي متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة حيث حملنا معكم اولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي لكم نسل ولا عقب ويحتمل ان يقال انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين لما كانوا كفارا لا فائدة في وجودهم قال حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر لا يقول حملت الصندوق انما يقول حملت ما فيه ﴿قوله او من السفن والزوارق﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام والاول على تقدير ان يراد به الجنس ﴿قوله فلا مغيث لهم يحرسهم﴾ اشارة الى ان الصريخ فعيل بمعنى مفعل اي مصرخ وهو المغيث يقال اصرخه اذا اغاثه ويقال استغاثني فاغثته * قال الجوهري المصرخ المغيث والمستصرخ المستغيث يقال استصرخني فاصرخته والصريخ صوت المستصرخ والصريخ ايضا الصارخ وهو المغيث والمستغيث ايضا وهو من الاضداد انتهى كلامه وفي اكثر نسخ هذا الكتاب او فلا استغاثة وهو مبني على ان يكون الصريخ صوت المستغيث كما في قولهم اتاهم الصريخ وفي بعض النسخ او فلا اغاثة وكذا في الكشاف والظاهر انه مبني على ان يكون الصريخ عبارة عن صوت المستغيث وان يكون نفي الاستغاثة كناية عن نفي الاغاثة لانه لم ينقل ان صريخا مصدر من اصرخ بمعنى اصراخ واغاثة ومعنى الآية فلا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولاهم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب قد يكون بدفع العذاب من اصله وقد يكون بدفعه بعد وقوعه فاشار تعالى الى انتفاء كلا طريقي الخلاص عنهم اشار الى انتفاء الاول بقوله فلا صريخ لهم يدفع عنهم الغرق والى انتفاء الثاني بقوله ولاهم ينقذون بعد الوقوع فيه ولو سلم انهم يخلصون من الموت بسبب عدم الغرق لكن لا محيص لهم من الموت اصلا اذا تم المسمى اي المدة التي قدرها الله لهم منه ﴿قوله تعالى الا رحمة﴾ منصوب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليها والاستثناء مفرغ اي ولا ينقذهم من الغرق احد اذا اردنا اغراقهم الا ان نفعل نحن ذلك الانقاذ لرحمة صادرة منا ولتمتع بالحياة الى حين قدر لآجالهم وقيل منصوب على المصدر اي الا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم تمتيعا الى اجل يموتون فيه وقيل انتصابه بنزع الخافض اي الا برحمة وقيل على انه مستثنى منقطع اي ولاهم ينجون من الغرق البتة ولكن رحمتي هي التي تنجيهم ﴿قوله الوقائع التي خلت﴾ اي وقعت قبلكم من عقوبات الله تعالى للامم الماضية الذين كذبوا رسلهم اي اتقوا ان ينزل بكم مثلها واتقوا ما حل بكم من العذاب المعد في الآخرة بعد هذا اليوم والوقائع الماضية باعتبار تقدمها صارت كأنها بين ايديهم وباعتبار ادبارها صارت كأنها خلفهم واحوال الآخرة باعتبار ان مصيرهم اليها كانت كأنها بين ايديهم وباعتبار انها تكون بعد هلاكهم كانت خلفهم وقس عليه الباقي ﴿قوله كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض﴾ ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء يريد ان معنى هذه الآية مثل معنى تلك الآية في ان المراد بهما التخويف مما احاط بهم من العذاب من كل جانب اينما ساروا فهو امامهم وخلفهم محيط بهم بحيث ليس في وسعهم ان يتخلصوا عنه بالهرب فان الله تعالى قادر على ان يهلككم بالخسف او باسقاط الكسف اي اذا قيل لهم اتقوا عذابا محيطا بكم من جوانبكم وجواب اذا محذوف وهو اعرضوا حذف لدلالة قوله الا كانوا عنها معرضين كأنه قال اذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة على ان قوله وما تأتيهم الخ كالتذييل للكلام السابق ﴿قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا الآية﴾ اشارة الى انهم اخلوا بجميع التكاليف لان جملتها ترجع الى امرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا فلم ينفقوا ﴿قوله

وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (في الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) ينجون من الموت به (الا رحمة منا ومتاعا) الا لرحمة ولتمتيع بالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم بالغرق (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم

من لويشاء الله اطعمه ﴾ مفعول انطعم واطعمه جواب لو وجاء مجرّدا عن اللام لجواز ذلك عند علماء العربية والافصح ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما حول قولهم في جواب المؤمنين من لو يشاء الله اطعمه على استهزآئهم من حيث ان الكفرة سمعوا قول المؤمنين لو شاء الله لاغنى فلانا او أعزه ونحو ذلك مما اشتمل على تعليق الامور بمشيئة الصانع المختار ثم سمعوا منهم قولهم انفقوا مما اعطاكم الله من المال فاجابوهم بقولهم انطعم الخ بالاستفهام الانكاري والمعنى انطعم المقول فيه هذا القول فيما بينكم وهذا القول وهو التعليق وان كان قولا حقا في نفسه لكنهم معطلة لايؤمنون بالصانع ولايقرّون بتعليق الامور بمشيئة فلا يتصوّر ان يكون هذا القول منهم في جواب المؤمنين عن اعتقاد وجدّ فيكون تهكما واستهزآء ﴿ قوله وقيل قاله مشركوا قريش ﴾ قال مقاتل بن سليمان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للمشركين اعطونا مازعمتم من اموالكم انها لله ونصيبه يعنون ماحكاه الله عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فسألوهم نصيب الله من اموالهم فقالوا انطعم من لم يطعمه الله وهذا مما تمسك به البخلاء بقولهم لانعطى من حرمه الله وذلك باطل فانه تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء لينظر كيف عطف الغنى وصبر الفقير فمنع الدنيا من الفقير لابخلا وامر الغنى بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير بما فرض له في الدنيا من مال الغنى ولااعتراض لاحد في مشيئة الله تعالى وحكمه في خلقه ﴿ قوله حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ﴾ مبنى على ان يكون قوله ان انتم الا في ضلال مبين اى ماانتم الا في خطأ بين من كلام الكفار للمؤمنين يعنون به ان الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم لايقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع مالم يشأ الله فلاقدرة لنا على الاطعام فكيف تأمروننا بالاطعام ولم يكن في الضلال الاهم لانهم فتشوا مالم يكلفوا به وضيعوا الامر والامتثال به فانه تعالى اذا رزق عبدا شيأ وملكه اياه لاينقطع عنه ملكه واذا اوجب فيه حقا وامره بادآئه لايكون للعبد ان يمتنع عنه ويقول انت اعطيتنى هذا من عندك فاعط فلانا من عندك ايضا ولاتأمرنى بالاعطاء فيما هو مالى وان لم تعطه من عندك مع قدرتك عليه فانا ايضا لااعطيه موافقة لمشيئتك فان من كان له في يد غيره مال وله في خزانته ايضا مال فهو مخير ان اراد اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء وليس لمن في يده المال ان يقول لمالكه مافي خزانتك اكثر مما في يدى فاعطه منه ﴿ قوله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم الخ ﴾ على معنى انكم في ضلال مبين في التكلم بهذا الكلام على وجه الاستهزآء بالمؤمنين وفي التمسك به في ترك الانفاق على المحتاجين ﴿ قوله يعنون وعد البعث ﴾ اى الوعد المدلول عليه بقوله تعالى اتقوا مابين ايديكم وماخلفكم اى متى الساعة التى تعدوننا بمجيئها وتأمروننا بالاتقاء من عذابها وبالانفاق ليضاعف لنا اجره فيها يقولون ذلك انكارا لحقيتها واستبعادا لوقوعها وان في قوله ان كنتم صادقين للشرط فتستدعى جزآء ومتى للاستفهام فلاتصلح جزآء والجواب قيل هو وان كان في صورة الاستفهام لكنه في المعنى انكار فكأنهم قالوا ان كنتم صادقين في الاخبار بوقوع البعث فقولوا متى يقع ﴿ قوله ينتظرون ﴾ فان قيل هم ما كانوا منتظرين بل كانوا يجزمون بعدمها قلنا نعم الاانهم جعلوا منتظرين نظرا الى قولهم متى يقع لان من قال متى يقع الشئ الفلانى يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه واعتبر في ذكر الصيحة وجوه تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اى لايحتاج معها الى ثانيه وثالثها تأخذهم اى تعمهم بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها وفي قوله تعالى يخصمون سبع قراءآت الاولى ماروى عن حمزة انه قرأ يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا جادله والمفعول محذوف اى يخصم بعضهم بعضا والثانية ماروى عن ابيّ انه قرأ يختصمون على الاصل والثالثة يخصّمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد اسكنت تاء يختصمون فادغمت في الصاد فالتقى ساكنان فكسر اوّلهما والرابعة بكسر الياء اتباعا للخاء والخامسة يخصّمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد المكسورة نقلوا الفتحة الخالصة التى في تاء يختصمون بكمالها الى الخاء فادغمت في الصاد فصار يخصّمون باخلاص فتحة الخاء واكمالها والسادسة يخصّمون باخفاء فتحة الخاء واختلاسها وسرعة التلفظ بها وعدم اكمال صوتها نقلوا شيأ من صوت فتحة تاء يختصمون الى الخاء تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والسابعة يخصّمون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد المكسورة والنحاة يستشكلون هذه القرآءة لاجتماع الساكنين على غير حدّهما اذ لم يكن اوّل الساكنين حرف مدّ ولين وان كان ثانيهما مدغما ﴿ قوله في شئ من امورهم ﴾ اشارة الى ان التنكير في توصية للتعميم وان المعنى لايقدرون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة

(قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله اطعمه) على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقرآء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقرآء وتوفيقهم له (ان انتم الا في ضلال مبين) حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ماينظرون) ماينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصّمون) يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لايشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوّز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون توصية) في شئ من امورهم (ولا الى اهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة

واذالم يقدروا عليها يكونون اعجز عما يحتاج الى زمان طويل من اداء الواجبات ورد المظالم ونحوهما لان القول ايسر من الفعل فاذا عجزوا عن ايسر ما يكون من القول تبين ان الساعة لاتمهلهم فى شىء ما واختار التوصية من جنس الكلمات لكونها اهم الكلمات بالنسبة الى المحتضر والعاجز عنها يكون اعجز عن غيرها ثم بين مابعد الصيحة الاولى فقال ونفخ فى الصور اى نفخ فيه اخرى كقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون الجمهور على اسكان واو الصور وفيه وجهان احدهما انه القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام والثانى ان الصور جمع صورة كصوف جمع صوفة ويؤيد هذا الوجه قرآءة بعض القرآء ونفخ فى الصور بفتح الواو وهذه النفخة نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ﴿قوله وقرئ بالفاء﴾ بناء على ان الاجداف لغة فى الاجداث كالثوم والفوم فان قيل اين يكون فى ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال * فالجواب ان الله تعالى يجمع اجزاء كل ميت فى الموضع الذى اقر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه يقال نسل الثعلب ينسل وينسل بكسر السين وضمها اى اسرع فى عدوه واذا المفاجأة بعد قوله ونفخ فى الصور اشارة الى كمال قدرته تعالى والى ان مراده لايتخلف عن ارادته حيث حكم بان النسلان وهو سرعة المشى وسرعة العدو يتحقق فى وقت النفخ ولا يتخلف عنه مع ان النسلان لايكون الا بعده بمراتب وهى جمع الاجزاء المتفرقة والعظام المفتتة وتركيبها واحياؤها وقيام الحى نسلانه فان قيل قال فى آية فاذاهم قيام ينظرون وقال ههنا فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقد قرئ كل واحد منهما فى موضعه باذا المفاجأة فيلزم ان يكونا بمعنى * والجواب من وجهين الاول ان القيام لاينافى المشى السريع لان الماشى قائم ولاينافى النظر ايضا والثانى ان القيام والنظر لكونهما فى زمان يسير وعقبهما النسلان بلا مهلة كان كأن الكل واقع فى زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا ﴿قوله تعالى قالوا ياويلنا﴾ ويل منادى اضيف الى ضمير المتكلمين وويل كلمة عذاب كان ويح كلمة رحمة والمعنى يقول الكفار تعال ياويلنا فهذا زمانك واوانك وقيل هو منصوب على المصدر اى هلكنا ويلا والمنادى محذوف كأنهم قالوا لبعضهم ياهؤلاء ويلالنا فلما اضيف حذفت اللام الثانية كراهة اجتماع المثلين وقال الكوفيون اللام الاولى هى المحذوفة واصله عندهم وى لنا على ان وى كلمة برأسها ولنا جار ومجرور ثم خلطت اللام الجارة بوى حتى صارت لام الكلمة فقيل ويله وويلك وويلى قيل فيكون المعنى ياهؤلاء العجب منا او العجب لنا لان وى كلمة تعجب وهو تأويل ضعيف اقول وى هذه ليست وى التى للتعجب بل مقصورة من ويل التى هى كلمة عذاب ﴿قوله وقرئ ياويلتنا﴾ فان ويل قد تدخل عليها تاء التأنيث فيقال ويلة كقول الشاعر * عليه ويلة وعليك اخرى * ﴿قوله وفيه ترشيح﴾ حيث استعير الرقود للموت ثم قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو الطلب والانتباه فهو ترشيح حيث استعير الرقود ورمز الى ان مبنى الكلام تشبيه الموت بالرقود وتحقيق الكلام من بعثنا من قبورنا ونحن اموات فيها وظاهر النظم يشعر بان الكلام على حقيقته لا استعارة فيه ولا ترشيح وانهم لحيرتهم وتفرق عقولهم يظنون انهم نيام فاستيقظوا فسألوا عن الموقظ وروى انه يخفف عنهم فيما بين النفختين فيستريحون استراحة النائم ثم يبعثون فيعاينون القيامة فحينئذ يدعون بالويل تحسرا على استراحتهم بين النفختين ويسألون من أنبهنا من مرقدنا هذا وقيل اذا رأوا اهوال يوم القيامة هان عليهم ما كانوا فيه من عذاب القبر حتى كان ذلك كالنوم فى جانب ماصاروا اليه ولم يقل فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون ياويلنا مع انه اقوم لينسلون لانه لو قيل كذلك لكان يقولون فى موضع الحال لينسلون اى ينسلون قائلين وليس المعنى هكذا لان قولهم ياويلنا قبل ان ينسلوا عقب النفخ وانما ذكر النسلان باذا المفاجأة للاشارة الى انه تعالى يجمع اجزاءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم فى وقت النفخ مع ان ذلك لابد له من الجمع والتأليف ﴿قوله ومن بعثنا﴾ اى وقرئ بكسر الميم فى من على انها حرف جر لا استفهامية وبعثنا مصدر مجرور بها فمن الاولى تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا اى من رقادنا وان يكون اسم مكان اى من موضع رقادنا ومضجعنا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن لان المصدر يفرد مطلقا ﴿قوله وما مصدرية او موصولة﴾ اى هذا الذى ترونه وعد الرحمن وصدق المرسلون اى موعوده المصدوق فيه المرسلون وعلى التقديرين هذا مبتدأ وماوعد الرحمن خبره ويجوز ان يكون هذا صفة لمرقد ويعضده قرآءة من وقف على هذا ثم ابتدأ فقال ماوعد الرحمن على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو او هذا ماوعد الرحمن او مبتدأ خبره محذوف ﴿قوله معدول عن سننه﴾ فان السؤال

(ونفخ فى الصور) اى مرة ثانية وقد سبق فى سورة المؤمنين (فاذاهم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا ياويلنا) وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او للمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا ابعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث فارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال

(ان كانت) ما كانت الفعلة (الا صيحة واحدة) هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وازواجهم في ظلال) جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قرآءة حمزة والكسائي في ظلل (على الارآئك) على السرر المزينة (متكئون) وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارآئك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارآئك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه

لما كان عن الباعث كان الظاهر ان يقال في جوابه بعثكم الرحمن لكنه عدل عنه واجيب بانه البعث الموعود به والذي صدق المرسلون في الاخبار تقريعا على كفرهم به وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث بان يقولوا ياويلنا ما هذا البعث الذي وعد الله به على ألسنة رسله ﴿قوله تعالى محضرون﴾ دليل على ان كونهم ينسلون اجباري لا اختياري اي فاذا هم مجتمعون لدينا من غير ان يتخلف منهم أحد ويحضرون مواقف الحساب كما ان ينسلون معناه يسرعون الى موقف حساب ربهم ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله فاليوم لا تظلم نفس شيأ اي لا ينقص من ثواب طاعتها ولا يحمل عليها معصية غيرها وقوله فاليوم منصوب بلا تظلم وشيأ مفعول له او مصدر اي شيأ من الظلم فقوله لا تظلم نفس لامان المؤمن وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ليأس الكافر * قيل ما الفائدة في ايثار طريق الخطاب عند الاشارة الى بأس المجرم والعدول عن الخطاب عند الاشارة الى امان المؤمن * فالجواب ان قوله لا تظلم نفس شيأ يفيد العموم وهو المقصود في هذا المقام فانه تعالى لا يظلم احدا مؤمنا كان او كافرا واما قوله لا تجزون فيختص بالكافر لان الله تعالى يجزي المؤمن بما لم يفعله من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الالهي يختص برحمته من يشاء كما انه يجزيه من جهة الاعمال فلذلك ترك الخطاب في الاول وجاء الثاني بالخطاب وقوله من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش والنشاط * قال الجوهري الفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس فرحا ذا نشاط من التنعم فلما فسر الفاكه بالمتلذذ المتنعم وجب ان يكون قوله من الفكاهة بفتح الفاء وانما يكون من الفكاهة بالضم ان لو فسر فاكهون بمازحون وقيل فاكهون بمعنى اصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وعاسل وقرئ فكهون بالقصر وضم الكاف وهو لغة في فكهون يقال رجل فكه وفكه كما يقال رجل حذر وحذر ونطس ونطس قال في الصحاح النطس المبالغة في التطهر وكل من ادق النظر في الامور واستقصى علمها فهو متنطس يقال منه رجل نطس ونطس اي ذكي دقيق النظر في الامور ﴿قوله وهما خبران لان﴾ يعني قوله في شغل ظرف مستقر خبر ان وفاكهون خبر ثان ويجوز ان يكون فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به ظرف فاكهون ويعلم انه ليس بشغل فيه تعب ويجوز ان يكون في شغل حالا من ضمير فاكهون وقرئ فاكهين وفكهين بالنصب على الحال وفي شغل ظرف مستقر خبر ان وقرأ الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون بضم فسكون ﴿قوله جمع ظل كشعاب﴾ جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل او جمع ظلة كقباب وقلال جمع قبة وقلة وقرأ حمزة والكسائي في ظلل بضم الظاء والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل والظلة هو الستر الذي يسترك من الشمس وقرئ في ظلال بكسر الظاء والالف ﴿قوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارآئك﴾ هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه وخبره اما في ظلال اي هم ونساؤهم اللواتي كن لهم في الدنيا وقيل هم الحور العين وقيل يجوز ان يكون الكل مرادا ثابتون ومستقرون في ظلال لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقيل هم يخلون بهن لا يقع عليهن ابصار غيرهن وعلى الارآئك جملة مستأنفة على ان يكون متكئون خبر مبتدأ محذوف وعلى الارآئك متعلق به او خبر ثان ويعضده قرآءة من قرأ متكئين بالنصب على الحال من المنوي في الخبر الذي هو في ظلال لان الحال ضرب من الخبر او متكئون وفي ظلال متعلق به وكذا على الارآئك ويجوز ان يكون في ظلال حال من المستكن في متكئون ويجوز ان يكون هم تأكيدا للمستكن في شغل اذا جعل ظرفا مستقرا خبرا لان وازواجهم عطف عليه اي على المستكن في شغل كذا قيل وفيه نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبر ان ونظيره ان يقال ان زيدا في الدار قائم هو وعمرو على ان يجعل هو تأكيدا للضمير في قولك في الدار وفي الدار خبر ان وقائم خبر ثان ويجوز ان يكون تأكيدا للمستكن في فاكهون وازواجهم على هذين الوجهين عطف على الضمير المؤكد المستكن اما في الظرف او في اسم الفاعل لافادة ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارآئك تحت الظلال وفي ظلال حال من مجموع هم وازواجهم وعلى الارآئك متكئون خبر ثان او ثالث والارآئك هي السرر في الحجال واحدتها اريكة وهي لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وهي بيت يزين بالثياب والاسرة واتكاؤهم عليها اشارة الى الفراغ وقوله هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة فيها وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لا جوع فيها لان التفكه ليس لدفع ألم الجوع وتنكير فاكهة للتعظيم اي فاكهة لا توصف جمالا وبهجة وكمالا ولذة كما روي ان الرمانة منها تشبع السكن وهو اهل الدار وكل ما هو من نعيم الجنة فانما يشارك نعيم الدنيا في الاسم دون الصفة ﴿قوله كاشتوى﴾ تمثيل لكون بناء افتعل الشيء بمعنى فعله

لنفسه واجتمل اى شوى لنفسه وجل والجميل الشحم المذاب يقال جل الشحم جلا واجله واجتمله اى اذابه فمعنى مايدّعون مايدعون به لانفسهم اى مايصح ان يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب * قال الامام ليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم مايدعون لانفسهم اى لهم ذلك فلا حاجة الى الدعاء كما ان الملك اذا طلب مملوكه منه شيأ يقول لك ذلك فيفهم منه تارة انك تجاب الى مطلوبك واخرى الردّ اى ذلك حاصل لك فلم تطلبه اى لهم مايدعون ويطلبون فلا طلب لهم ولهم الطلب والاجابة فان الطلب من الملك والمخاطبة معه فى حق آنجه بلاواسطة لذة بليغة ومنصب عظيم واصل يدّعون يدتعيون على وزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ماقبلها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال فصار يدّعون ﴿ قوله اومايدّعونه فى الدنيا ﴾ على ان الادّعاء هو الاتيان بالدعوى فان اهل الجنة كانوا يدّعون فى الدنيا ان الجنة ودرجاتها ومافيها من النعيم المقيم لهم ويدّعون ان لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لامولى لهم فقال تعالى لهم فى الجنة مايدّعونه فى الدنيا ﴿ قوله اومايتداعونه ﴾ اشارة الى ان يفتعلون بمعنى يتفاعلون والمعنى ان كل مايطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم بلاطلب ﴿ قوله اويتمنونه ﴾ اشارة الى ان يدّعون يفتعلون من الدعاء بمعنى التمنى اى كل مايتمنونه فهو حاصل لهم ﴿ قوله ومامو صولة ﴾ ويدّعون صلتها اوموصوفة بمعنى شئ ويدّعون صفتها والعائد محذوف ﴿ قوله سلام بدل منها ﴾ اى ممايدّعون كأنه قيل لهم سلام اى يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم قيل اذا كان بدلا كان مايدّعون خاصا والظاهر انه عام فى كل مايدّعونه واذا كان عاما لم يكن بدلا منه ﴿ قوله اوصفة اخرى ﴾ اى لما هذا اذا جعلتها نكرة موصوفة ويدعون صفتها اما اذا جعلتها بمعنى الذى تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا وتنكيرا ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبرها ﴾ اى خبر مايدّعون ولهم متعلق بسلام بمعنى مايدعونه سلام خالص لهم لاينازعهم فيه منازع ﴿ قوله اوخبر محذوف ﴾ اى هو او ذلك سلام وقوله اومبتدأ اى سلام لهم ﴿ قوله وقرئ بالنصب على المصدر ﴾ اى سلم الله عليهم فى الجنة سلاما اكراما لهم على مافسر به على انه من التحية او من السلامة ﴿ قوله اى يقوله الله ﴾ اشارة الى ان قولا مصدر مؤكد لفعله المحذوف ومن رب صفة لقولا ﴿ قوله ويحتمل نصبه على الاختصاص ﴾ قال الزمخشرى وهو الاوجه يعنى ان انتصابه على المدح بتقدير اعنى اوجه من ان ينتصب على المصدرية لفعل محذوف لان المقام مقام المدح من حيث ان هذا القول صادر من رب رحيم فى مقام التعظيم فكان جديرا بان يفخم امره ويعظم قدره ويكون جملة مستقلة مفصولة عما سبق روى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فيرفعون رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم مادامو اينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته فى ديارهم * وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وهو قول المصنف انه تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم ﴿ قوله وانفردوا عن المؤمنين ﴾ يعنى ان الامتياز كما يقتضى الفاعل للتميز يقتضى مفعولا يتعدّى اليه بعن او بمن وهو غير مذكور بالآية فذكر فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انه يقال للمجرمين امتازوا عن المؤمنين حين يسار بهم الى النار كما يسار بالمؤمنين الى الجنة الثانى ان يقال لهم امتازوا واعتزلوا عن كل خير والثالث انه يقال لهم ليتميز بعضكم عن بعض فى النار والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا اوصاه اى ألم اوص اليكم على لسان الادلة السمعية والعقلية والم انصبهما لكم بحيث تأمر انكم بعبادة الرحمن وتزجرانكم عن عبادة غيره وجعل عبادة غيره عبادة الشيطان والشيطان لايعبده احد ولم يرو ذلك عن احد لان العبادة هنا بمعنى الاطاعة والانقياد ﴿ قوله وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة ﴾ لان ماضيه فعل بكسر العين وكسر حرف المضارعة ماعدا الياء فى باب فعل لغة ﴿ قوله وأحهد ﴾ بابدال عين اعهد حاء وهى لغة هذيل وأحد بابدال العين حاء ثم ابدال الهاء حاء وادغام الحاء فى الحاء ﴿ قوله عدوّ مبين ﴾ اى ظاهر العداوة ووجه عداوته انه لما اكرم الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام عاداه ابليس حسدا والعاقل لايقبل من عدوّه وان كان يلقيه اليه خيرا اذ لا امن من مكره فان ضربة الناصح خير من تحية العدوّ ﴿ قوله للعهد بشقيه ﴾ وهما الانتهاء عن متابعة الشيطان والاقبال على عبادة الرحمن وكون الجملة لبيان

او مايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادّع علىّ ماشئت بمعنى تمنه علىّ او مايدّعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله (سلام) بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) اى يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرّقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة تميم (انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وان اعبدونى) عطف على ان لاتعبدوا (هذا صراط مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشقه الآخر

مايقتضى شق العهد مبنى على كون هذا اشارة الى مجموع ماعهد اليهم وكونها لبيان مايقتضى شقه الآخر مبنى على كونه اشارة الى الشق الآخر منه ﴿قوله والتنكير للمبالغة والتعظيم﴾ يعنى ان المقام بحسب الظاهر يقتضى تعريف المسند ليفيد الحصر بان يقال هذا الصراط المستقيم اوهذا هو الصراط المستقيم حتى يدل على ثبوت الاستقامة للصراط الموصى به اليهم وانتفائها عن غيره لان الصراط المستقيم ليس الا ذلك الصراط اذليس وراء ترك متابعة سبيل الشيطان والاقبال على متابعة سبيل الرحمن شئ من الاستقامة وتنكير صراط مستقيم بحسب الظاهر يدل على انه فرد من جملة الصرط المستقيمة وليس كذلك فامعنى التنكير اجاب عنه بان وجهه الدلالة على ان هذا الصراط لارتفاع شأنه وعلو طبقته فى كونه صراطا مستقيما بلغ مبلغا لايمكن تعيينه والاشارة اليه بخصوصية ثابتة له فى استقامته واستجماعه جميع مايحسن ان يكون الصراط عليه وانه لاسبيل الى الدلالة عليه سوى ان يعبر عنه باسم جنسه كأنه قيل وصيت اليكم بهذا الصراط لانه فى غاية الاستقامة ونهاية الرفعة وعلو الطبقة وجوز ان يكون التنكير فيه للافراد والبعضية بناء على ان قوله وان اعبدونى بمعنى وحدونى وخصونى بالعبادة والتوحيد بعض مايجب التصديق به وصاحب الكشاف جعل حمل التنكير على البعضية على التوبيخ على العدول عنه اى بنى ارادة البعضية على التوبيخ على معنى ان هذا الصراط مع انحصار الاستقامة فيه وكونه اقوم الصرط اقل حاله ان لااعوجاج فيه ولايضل سالكه فابالكم تعدلون عنه كالعدول عن الطريق المعوج قبل كيفية اضلاله انه يأمر بترك عبادة الله وعبادة غيره وان لم يقدر عليه يسول لهم امرا يفضى الى ترك عبادة الله والغفلة عنه بسبب الاشتغال به كحب الرياسة والجاه ونحوهما ثم قال افلم تكونوا تعقلون هلاك من قبلكم بطاعة ابليس عليه اللعنة قرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة وهى الخلقة كفطرة وفطر وقرئ جيلا بالياء المثناة من اسفل يقال جيل من الناس اى صنف منهم كالعرب والروم ﴿قوله والجبل الخلق﴾ اى المخلوق وقوله هذه جهنم يقال لهم لمادنوا من النار هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا الآية وفى هذا الكلام مايوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه احدها قوله اصلوها امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم الثانى قوله اليوم يعنى ايام لذاتك قد مضت وهذا اليوم وقت عذابك وصليك يقال صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق من باب علم الثالث قوله بما كنتم تكفرون على وجه التذكير والتقريع فان حياء الكفرة من المنعم اشد الآلام ﴿قوله تعالى اليوم نختم على افواههم﴾ كأنهم لماقيل لهم الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان جحدوا وقالوا ماعبدناه وماطعناه فى شئ من المنكرات فيختم الله على افواههم اويفعل بافواههم مالايمكنهم ان يتكلموا بالسنتهم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم﴾ اى اعمينا قلوبهم اولو نشاء لاذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لايبدو لها جفن ولاشق فكانوا بحيث لوتبادروا الطريق ليسلكوه لبعض مقاصدهم لم يقدروا عليه فكيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم ومعناه نقدر ان نفعل بهم فى الدنيا ذلك كما انطقنا جوارحهم فى العقبى وهم قد استحقوا ذلك بكفرهم لكننا لم نعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا ويشكروا نعمتى عليهم وهذا قول الحسن والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل وعطاء وقتادة معناه ولو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم عن الضلال الى الهدى فاستبقوا الصراط فاهتدوا الى صراط الحق وابصروه فانى يبصرون اى كيف يبصرون لكن لمالم نشأ ذلك لم نفعل بهم ذلك وذكر فى وجه نصب الصراط وجوها اربعة الاول والثانى ظاهران وحاصل الثالث انه منصوب على انه مفعول به لكن بلا واسطة تضمين بل بجعل الصراط مسبوقا لامسبوقا اليه من قولهم استبق الصراط اى جاوزه وتركه كمايترك السابق المسبوق والمعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يجاوزوا الصراط الذى اعتادوا سلوكه وان يسلكوا غيره لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لايقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ماوراءه من المسالك كالعميان يهتدون فيما الفوا به دون غيره والرابع ان ينتصب على الظرف اى فى الصراط والمعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الصراط الذى اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا والمسخ تحويل الصورة الى ماهو اقبح منها ﴿قوله او بتضمين الاستباق معنى الابتدار﴾ وابتدر يتعدى بنفسه يقال ابتدروا السلاح اى تسارعوا اخذه من المبادرة وهى المسارعة وقوله وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اى ويجوز ان يكون انتصاب الصراط على انه مفعول به لقوله استبقوا بان يجعل الصراط مسبوقا

والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا بتخفيف جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بماكنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (اليوم نختم على افواههم) نمنعها من الكلام (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف (فانى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره

بطريق التجوّز اذ الصراط مسبوق اليه لامسبوق الا انه جعل مسبوقا بان شبه المسبوق اليه فى كونه متروكا بترك السابق المسبوق فمعنى استبقوا الصراط خلفوا الصراط المعهود بينهم و سلكوا غيره ﴿قوله بحيث يجمدون فيه﴾ يقال جمد يجمد جمدا و جمودا و هو مقابل ذاب و يجوز ان يكون يخمدون بالخاء لقوله فاذاهم خامدون والاختلف فى المسخ فعن ابن عباس رضى الله عنهما لمسخناهم قردة و خنازير و اشار اليه المصنف بقوله بتغيير صورهم و قيل لمسخناهم حجارة و قيل لاقعدناهم على ارجلهم و ازمناهم و اشار اليهما المصنف بقوله و ابطال قواهم والمكانات جمع مكانة بمعنى المكان كالمقامات جمع مقامة بفتح الميم و هو موضع القيام ﴿قوله و قيل ولا يرجعون عن تكذيبهم﴾ والظاهران المعنى لمسخناهم مسخا يبطل قواهم فلا يستطيعون معه الاصرار على التكذيب ولا الرجوع عنه كما ان المعنى على الاوّل لمسخناهم مسخا يلزمهم مكانهم لا يقدرون معه ان يذهبوا امامهم ولا ان يرجعوا خلفهم ﴿قوله المكسورة لقلب الواو ياء﴾ وادغمت و كسرت الضاد قبل الياء الساكنة لتسلم الياء ثم كسرت الميم اتباعا للضاد و الصىّ على وزن فعيل صوت الفرخ و نحوه يقال صأى الفرخ يصأى صئيا اذا صاح والقرآءة المشهورة ضم الميم فى مضيا و فتحها و كسرها شاذ ﴿قوله لشمول الرحمة لهم﴾ فان رحمة الله تعالى تعم المؤمن و الكافر فى الدنيا ﴿قوله و قرأ عاصم و حمزة ننكسه﴾ و الباقون ننكسه بفتح النون الاولى واسكان الثانية و ضم الكاف مخففة من نكسه ينكسه نكسا اى قلبه على رأسه فانتكس و الولد المنكوس الذى يخرج رجليه قبل رأسه و بناء التنكيس للتكثير لكثرة الاحوال التى تتقلب على الانسان الموجبة الى الهرم على حسب كثرة الاحوال التى يترقى فيها الصبى الى ان يبلغ اشدّه فانه خلق على ضعف فى جسده و خلق على عقل و علم ثم يتزايد و ينتقل من حال الى حال الى ان يستكمل قوّته و يعقل ماله و ماعليه فاذا انتهى طفق يتنكس فى الخلق و يتناقص حتى يرجع الى حال تشبه حال الصبىّ فى ضعف جسده و قلة عقله و خلوّه عن العلم ﴿قوله ردّ لقولهم ان محمدا شاعر﴾ اشارة الى انه كلام مبتدأ غير متعلق بما قبله و قيل عادة الله فى كتابه المجيد انه فى كل موضع ذكر فيه اصلين من الاصول الثلاثة و هى الوحدانية و الرسالة و الحشر ذكر الاصل الثالث منها و ههنا ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففى توصية بنى آدم عليه الصلاة و السلام بتخصيصهم العبادة اياه واما الحشر ففى قوله اليوم نختم على افواههم و اصلوها اليوم و غير ذلك فلما ذكرهما و بينهما ذكر الاصل الثالث و هو الرسالة فقال و ما علمناه الشعر و ماينبغى له و وجه كونه ردّا لقولهم ان محمدا شاعر و ان مايتلوه عليهم شعر انه كناية عن انه ليس بشاعر و ان مايتلوه ليس بشعر لان كون ماانزل عليه و بلغ اليه شعرا ملزوم مستلزم ان يكون المنزل المبلغ علمه الشعر و بلغه اليه شعرا فنفى اللازم و اريد نفى الملزوم ثم قال و ماينبغى له ان يقول الشعر اى ماتحصل و مايثبت له ذلك لو طلبه من قولهم بغيته فانبغى اى طلبته فوجد و حصل فانه عليه الصلاة و السلام ماكان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه مكسرا روى الحسن انه صلى الله عليه و سلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام و الشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر رضى الله عنه يانبىّ الله انما قال الشاعر كفى الشيب و الاسلام للمرء ناهيا * فقال عمر رضى الله عنه اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل و ماعلمناه الشعر و ماينبغى له فالله سبحانه كما جعله اميا لايهتدى للخط و لايحسنه و لايحسن قرآءة ماكتبه غيره و مع ذلك كان مدينة العلم جامعا لعلوم الاوّلين و الآخرين لتكون الحجة اثبت و شبهة المرتابين فى حقية رسالته ابطل جعله ايضا بحيث لواراد ان يقول الشعر لم يتأت له ذلك و لم يتسهل له فانه لوكان شاعرا لدخلت الشبهة على كثير من الناس فى ان ماجاء به يقوله من عند نفسه لانه شاعر صناعته نظم الكلام و لذلك عقبه بقوله و يحق القول على الكافرين لانه اذا انتفت الريبة لم يبق الا المعاندة فيحق القول عليهم * قال الامام وماينبغى له اى الشعر لايليق بمثله و لايصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ و الوزن و الشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى و الشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى ان يتخيل معنى يأتى به لاجل ذلك اللفظ و لان احسنه ماكان اكثر مبالغة و مجازفة و اغراقا فى الوصف وكلها تستدعى الكذب وجل جناب الشارع عنه فما هو الا اكتساب سماوى و تنزيل الهى فعلى هذا الشعر هو الكلام الموزون المقفى الذى قصدالى وزنه قصدا اوليا و اما من يقصد المعنى فيتفق ان يكون مايدل عليه من اللفظ موزونا لايكون شاعرا و لاذلك اللفظ شعرا فلايكون نحو قوله صلى الله عليه و سلم * انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب * شعرا قاله يوم حنين حين نزل و دعا و استنصر و قوله * هل انت الا اصبع دميت * و فى سبيل الله مالقيت *

(ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل و قيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتىّ والعتىّ ومضيا كصئىّ والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ماعهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم و اقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه و انتقاص بنيته و قواه عكس ماكان عليه بدء امره و قرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ و النكس اشهر (افلا يعقلون) ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما و زيادة غير انه على تدرج و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (و ما علمناه الشعر) ردّ لقولهم ان محمدا شاعر اى ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لايماثله لفظا ولامعنى لانه غير مقفى و لا موزون وليس معناه مايتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة و نحوها

(وماينبغي له) ومايصح له الشعر ولايتأتى له ان اراد قرضه على ما اخترتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثل ذلك كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اى ومايصح للقرآن ان يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله (وقرآن مبين) وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قرآءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) ويجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث (انعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدآئع الفطرة وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

اصبحت لااحمل السلاح ولا *

املك رأس البعير ان نفرا *

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم اوفمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) اى مايأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر (افلا يشكرون) نعم الله في ذلك اذلولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة

قاله لما اصاب اصبعه حجر فدميت اى لايكون نحوه شعرا لعدم قصده الى الوزن والقافية قصدا اوليا ويؤيد ذلك انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه مايكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولايسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا ﴿قوله على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز﴾ فالرجز مستفعلن ست مرات نحو هل انت الا اصبع مستفعلن مستفعلن دميت فعولن هو مقطوع مخبون والقطع هو حذف ساكن الوتد ثم اسكان المتحرك كحذف نون مستفعلن ثم اسكان لامه والحذف ان تسقط السبب الثاني كاسقاط تن من فاعلاتن فقوله على ان الخليل متعلق بقوله هل انت الا اصبع كما ذكرنا واما قوله انا النبي لا كذب فمجزوء والجزء ان يحذف العروض والضرب ﴿قوله وقد روى انه حرك الباءين﴾ اى في القول الاول بان فتحها في لا كذب وكسرها في المطلب وكسر التاء الاولى اى التي في دميت من غير اشباع الكسرة وسكن التاء التي في لقيت فلا يكون شئ منهما شعرا اصلا ﴿قوله يتلى في المعابد﴾ اشارة الى ان القرآن بمعنى المقروء والقرض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته والشعر قريض ﴿قوله تعالى لينذر﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه قوله ان هو الا ذكر اى انزل عليه لينذر ﴿قوله فان الغافل كالميت﴾ لايتعقل ولايتفكر فالمراد بالحي حي القلب بان يميز المصلحة من المفسدة معملا قلبه فيما خلق له لامضيعا اياه واستعيرت الحياة للعقل بجامع التكميل والتزيين وعلى الثاني استعيرت للايمان لكونه سبب الحياة الابدية فعلى هذا قوله من كان حيا بمعنى من كان مآل امره الى الايمان والحياة مسببه ولما كان الايمان في علم الله محقق الوقوع قيل كان حيا اى مؤمنا ثم ان الله تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها فقال اولم يروا الآية اى اولم ينظروا نظرا اعتبار يا انا خلقنا لاجلهم انعاما كائنة من جملة ماتفردنا باحداثه بمحض قدرتنا وارادتنا من غير استعانة بالجوارح لانه تعالى منزه عن ذلك شبه اختصاص آثاره وتفرده في احداثها باختصاص مصنوع بمن عمله بيديه فان معمول الشخص بيديه اخص به مما تملكه من معمول غيره فاستعمل فيه عمل اليد مع تنزهه عن الجوارح والعمل بها على سبيل الاستعارة التمثيلية ليفيد المبالغة في الاختصاص وانعاما مفعول خلقنا وهو جمع نعم وهي الماشية الراعية واكثر مايقع هذا الاسم على الابل ويجمع ليشمل انواعها المختلفة من الابل والبقر والغنم ﴿قوله متملكون بتمليكنا اياهم﴾ اشارة الى ان الفاء في قوله فهم لها مالكون سببية وان الجملة معطوفة على مقدر اى خلقنالهم انعاما فملكناها اياهم فهم يملكونها ويتصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لايزاحمون ولايمنعهم احد من التصرف فيها وقوله او متمكنون من ضبطها فعلى هذا يكون المالك بمعنى القادر والقاهر من ملكت العجين اذا اجدت عجنه والاول اوجه لان قوله وذللناها لهم وتقسيمه الى الركوب والاكل يدل على الضبط والقهر فدل مالكون على ان احدا لايمنعهم من التصرف فيها ودل وذللناها لهم على انها لاتمتنع من التصرف فيها بما اراد صاحبها وعلى الوجه الثاني يكون وذللناها لهم عطفا تفسيريا على قوله مالكون وليس بقوي والاصل ان قوله مالكون يجوز ان يكون من ملك اليد والتصرف وان يكون من الملك بمعنى الضبط والتذلل واستشهد على استعمال الملك في معنى الضبط بقول ابن هرمة حين سئل كيف انت فقال

❊ اصبحت لااحمل السلاح ولا ❊ املك رأس البعير ان نفرا ❊

❊ والذئب اخشاه ان مررت به ❊ وحدي واخشى الرياح والمطرا ❊

والمعنى ظاهر ﴿قوله ركوبتهم﴾ بفتح الرآء وزيادة تاء التأنيث لان فعولا اذا كان بمعنى المفعول يفرق بين مذكره ومؤنثه بالتاء فيقال ناقة حلوبة وركوبة وحمولة اى محلوبة ومركوبة ومحمول عليها فرقا بينه وبين فعول بمعنى فاعل نحو امرأة صبور وشكور ﴿قوله اى مايأكلون لحمه﴾ ارتكب التقدير لان القسم المقابل للركوب لابد ان يكون من افراد الانعام وقوله وقيل جمعه قد عد بعضهم دخول التاء على هذه الزنة شاذا وجعل الركوبة جمعا اى اسم جمع لا انه جمع حقيقة اذلم ترد في ابنية التكسير هذه الزنة وعد بعضهم ابنية اسماء الجموع ولم يذكر فيها فعولة وان قرئ ركوبهم بضم الرآء فلابد من حذف المضاف امامن الاول اى فمن منافعها كما تقول لصاحبك من منافعك عطاؤك لي واما من الثاني اى ذو ركوبهم ويجوز ان يكون المصدر بمعنى المفعول كضرب الامير فعلى هذا لاحذف في الكلام ويرجع بحسب المعنى الى قرآءة الجمهور بفتح الرآء ﴿قوله او المصدر﴾ لاختلاف انواعه بحسب اختلاف متعلقه وهو اللبن والمخيض والزبد والسمن والاقط والرآئب المخيض اللبن الذي قد مخض واخذ زبده والرآئب لبن ذو روبة مثل تامر ولابن والروبة خميرة تلقى في اللبن ليروب واتصال قوله تعالى واتخذوا من دون

الله آلهة بماقبله انه حال مقرّرة لنهاية غيهم وضلالهم اى انا فعلنالهم مايوجب شكرهم وهم اتخذوا من دوننا مالايستطيع نصرهم ومع ذلك هم جندلهم محضرون بحفظه والتعصب له والذبّ عنه وقوله او محضرون اثرهم فى النار مبنى على ماقيل ان كل من عبد شيأ من دون الله فانه يؤمر يوم القيامة باللحوق بمعبوده فعبدة الاوثان يجعلون يوم القيامة جندا لهم يجمعون اليها ثم يحضرون النار جميعا قال تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآية يقال حزبه امر اى اصابه والفاء فى قوله تعالى فلايحزنك جزآئية اى اذاسمعت قولهم فى الله انه له شريك او ولدا وقيل انك كاذب شاعر وتألمت من اذاهم وجفائهم فتسل باحاطة علمى بجميع احوالهم اى بان اجازيهم على تكذيبهم اياك واشراكهم بى ﴿قوله تسلية ثانية﴾ والتسلية الاولى قوله اناخلقنالهم كذا وكذا ليشكرونى فعكسوا الامر واتخذوا من دونى آلهة وترتيب النظم انه تعالى بعدمارد عليهم قولهم انه شاعر اتى بقوله اناخلقنالهم الآيات وعلموا انه المنفرد بها فكان عليهم ان يشكروها و يخصوا العبادة بمنعمها ومع ذلك كابروا وعاندوا واتخذوا من دونه آلهة اشركوها به وقابلوا مثل تلك النعم الجليلة بهذه الشنعة القبيحة وهذا ليس بادنى من معاملتهم معك بالتكذيب والتهجين ثم اتى بقوله اولم ير الانسان الآية تسلية ثانية فيكون عطفا على قوله اولم يروا اناخلقنالهم واسلوبهم فى التعكيس يعنى انا كنا تولينا احداث تلك النعم لتكون ذريعة الى ان يشكروها فجعلوها وسيلة الى الكفران كذلك خلقناهم من اخس الاشياء ليخضعوا و يتذللوا فاذاهو خصيم مبين ﴿قوله حيث يجب منه﴾ بان رتب مخاصمة الملك الجبار على خلقة من هو اصله من احقر الاشياء باذا المفاجأة والافراط فى الخصومة مستفاد من صيغة الخصيم لانها للمبالغة ومن تنكيرها ايضا ﴿قوله ومنافاة﴾ بالنصب عطف على افراطا للتفسير لان كل واحد من الخصمين ينفى قول الآخر فتكون المخاصمة منافاة والتخاصم تنافيا وعلل كون انكار الحشر افراطا فى الخصومة بكونه جحودا للقدرة على ماهو اهون مماعمله وقدر عليه فى بدء خلقه وقوله ومقابلة للنعمة عطف على افراطا وقوله بالعقوق متعلق بمقابلة وقوله روى ان ابىّ بن خلف اشارة الى ان الآية نزلت فى حقه وانه المراد بالانسان وقدثبت فى اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لابخصوص السبب فالآية وان نزلت ردّا عليه فى انكاره البعث فهى عامة تصلح ردّا لكل من ينكره ﴿قوله بعد ماكان ماء مهينا مميز منطيق﴾ اى ليس المعنى لوقاحته وقلة حيائه لاينظر الى خسة عنصره و يمتد الى مخاصمة العزيز القهار بل المعنى انه ينكر البعث واحياء الاجساد البالية والعظام النخرة ولاينظر الى بدء حاله وانه لم يكن فى بدء خلقه كما هو الان وانما كان مواتا جمادا وشيأ مهينا فاحيى وقوّم باحسن تقويم وجعل له اعضاء مختلفة فجمع الموادّ واعادة قواه ظاهرة وباطنة ليس باعجب من بدء خلقه من اجزآء النطفة وهو يجادل فى احياء العظام ولايتفكر فى بدء قوّة الفهم والتمييز وقوّة النطق التى يعرب بها الحى فى ضميره وجمع جسمه الذى احيى بعدما كان ماء مهينا اعجب واغرب من مجرّد جمع الموادّ واعادة الاحياء فقوله خصيم على هذا التوجيه بمعنى ناطق واختياره على الناطق لان التكلم مع الغير على وجه المخاصمة اعلى مراتب النطق واكملها ولم يرض المصنف بهذا التوجه لان الاوّل انسب بمقام التسلية ﴿قوله امرا عجيبا﴾ قدمرّ فى اوّل هذه السورة ان المثل يستعار للامر العجيب تشبيهاله بالمثل العرفى وهو القول السائر فى الغرابة ولاشك ان نفى قدرة الله على البعث مع انه من جملة الممكنات وانه على كل شئ قدير من اعجب العجائب ﴿قوله وتشبيهه بخلقه﴾ مرفوع معطوف على نفى القدرة و بوصفه متعلق بتشبيهه اى القادر على كل شئ وصاحب الكشاف جعل اشتمال قوله من يحيى العظام وهى رميم على تشبيه القادر على كل شئ بمن يوصف بالعجز وجها ثانيا لتسميته مثلا بناء على ان المثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه وزنا ومعنى فمعنى الآية حينئذ وضرب لنا شبها بالمخلوقين وجعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبدأه الغريب * قال الجوهرى فى الصحاح الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام تقول منه رمّ العظم يرمّ بالكسر رمة اذابلى فهو رميم وانما قال تعالى من يحيى العظام وهى رميم بدون الهاء مع انه خبر عن مؤنث لان فعيلا وفعولا قديستوى فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدوّ وصديق انتهى واذاصار اسما لمابلى من العظام بالغلبة على وزن رغيف لايحتمل الضمير فلايؤنث ﴿قوله ولعله فعيل بمعنى فاعل﴾ جواب عمايقال الظاهر ان رميم فى الآية فعيل بمعنى فاعل وقدتقرّر ان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث فينبغى ان يقال وهى رميمة لكونه خبرا عن مؤنث فماله لم يدخل الهاء * وتقرير الجواب نعم انه فى الاصل صفة بمعنى الفاعل الا انه صار بالغلبة اسما لمابلى

(واتخذوا من دون الله آلهة) اشركوها به فى العبادة بعدمارأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة وعلموا انه المتفرّد بها (لعلهم ينصرون) رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لايستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدّون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم فى النار (فلايحزنك) فلايهمك وقرئ بضم الياء من احزن (قولهم) فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم مايسرّون ومايعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذاك ان تتسلى به وهو تعليل النهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذاهو خصيم مبين) تسلية ثانية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ماهو اهون مماعمله فى بدء خلقه ومقابلة للنعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابىّ بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعد مارمّ فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذاهو خصيم مبين فاذاهو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عمافى نفسه (وضرب لنا مثلا) امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عماعجزوا عنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث

من العظام بمعنى الرفت و الرفات فالاسم لايحتمل الضمير كالرغيف لايؤنث* واجاب ثانيا بانالانسلم انه بمعنى فاعل بل يجوز ان يكون بمعنى المفعول لان رمّ قد يستعمل متعديا فيقال رممته و فعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث نحو قتيل و ذبيح ﴿قوله من رممته﴾ يعنى ان رميما انمايكون بمعنى المفعول اذا استعمل رمّ متعديا ﴿قوله فيؤثر فيه الموت﴾ اى ينجس بالموت كسائر الاعضاء كماهو مذهب الشافعية فان عظام الميتة نجسة عندهم من جهة ان الحياة تحلها فيطرأ عليها الموت فتنجس به و عند الحنفية عظم الميتة وشعرها و عصبها طاهر بناء على ان الحياة لاتحلها فلايؤثر فيها الموت و يقولون معنى احياء العظام فى الآية ردّها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس* واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر دليلا و لاشبهة بل اكتفى بمجرّد الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم ائذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد أئذا متنا وكنا ترابا و عظاما أئنا لمبعوثون قال من يحيى العظام وهى رميم على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله و نسى خلقه اى نسى انا خلقناه من تراب ثم من نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلناله من ناصيته الى قدمه اعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى اودعناه ماليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذين بهما استحق الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرّد الاستبعاد فهل لايستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة اصلا و يستبعدون اعادة النطق و العقل الى محل كانافيه ومنهم من ذكر شبهة و ان كانت فى آخرها تعود الى مجرّد الاستبعاد وهى على وجهين الاوّل انه بعد العدم لم يبق شيأ فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله قل يحييها الذى انشأها اوّل مرّة يعنى انه كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا كذلك يعيده و ان لم يبق شيأ مذكورا الثانى ان من تفرّقت اجزاؤه فى مشارق العالم ومغاربه و صار بعضه فى ابدان السباع و بعضه فى حواصل الطيور و بعضه فى جدران المنازل كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصارت اجزاء المأكول داخلة فى اجزاء الآكل فان اعيدت اجزاء الآكل فلايبق للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه و ان اعيدت الاجزاء المأكولة الى بدن المأكول و اعيد المأكول باجزائه فلايبق للآكل اجزاء فابطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله وهو بكل خلق عليم ووجهه ان فى الآكل اجزاء اصلية و اجزاء فضلية و فى المأكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صارت الاجزاء الاصلية للمأكول فضليا من اجزاء الآكل و الاجزاء الاصلية للآكل وهى ما كانت قبل الآكل هى التى يجمع وتعاد مع الآكل و الاجزاء المأكولة مع المأكول والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل و يجمع الاجزاء الفضلية للمأكول وينفخ فيها الروح وكذلك يجمع اجزاؤه المتفرّقة فى البقاع المتباعدة بحكمته وقدرته ﴿قوله بعلمه﴾ اى بعلمه الزائد على ذاته لانه يعلمها بذاته بان يكون علمه عين ذاته كماهو مذهب البعض ﴿قوله فيعلم اجزاء الاشخاص الخ﴾ تفريع وبيان لقوله وكيفية خلقها و قوله او احداث مثلها عطف على اجزاء الاشخاص الخ بين ان كيفية اعادة المخلوقات على احد وجهين الاوّل ان تجمع اجزاؤها المتفرقة و يضم بعضها الى بعض على النمط السابق و الثانى ان تحدث مثلها بعد ماصارت نفيا محضا وعدما صرفا بحيث لم يبق لها هوية متميزة و لاخصوصية خارجية و هذا التقسيم مبنى على ان الاختلاف فى ان فناء الاجسام عبارة عن انعدامها وكونها نفيا محضا او عن تفرّق اجزائها وخروجها عن الانتفاع بها كما ذهب اليه من لم يجوّز اعادة المعدوم بعينه اى بجميع عوارضه المشخصة من المعتزلة كابى الحسن البصرى و الكرامية لانهم مسلمون قائلون بالمعاد الجسمانى ولم يجز عندهم اعادة المعدوم بعينه و لم يتيسرلهم القول بانعدام الاجسام بطريق انعدام اجزائها بالكلية و الا لم يمكنهم القول باعادتها قال صاحب المواقف هل يعدم الله الاجزاء البدنية ثم يعيدها او يفرّقها و يعيد فيها التأليف الحق انه لم يثبت ذلك و لانجزم فيه نفيا و لااثباتا لعدم الدليل على شئ من الطرفين و قوله تعالى كل شئ هالك الاوجهه لايرجح احد الاحتمالين لان هلاك الشئ كمايكون باعدام اجزائه يكون بتفريقها و ابطال منافعها انتهى معنى كلامه بقى الكلام فى انه على تقدير ان يعدم الله الاجزاء ثم يعيدها هل تكون الاجسام المعادة عين المبتدأة او مثلها الظاهر انها عين المبتدأة لان المتبادر من المعاد الجسمانى هو اعادة عين الاوّل لامثله وهو جائز عند اكثر المتكلمين من اهل السنة والمعتزلة فقول المصنف او احداث مثلها مع قوله فيمابعد او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها محل تأمل والذى يبلغ اليه فهمى ان ضمير مثلها فى قوله او احداث مثلها راجع الى المخلوقات لاالى الاجزاء وان فناء الاجسام ان كان عبارة عن اعدام اجزائها تكون اعادتها عبارة عن اعادة تلك

او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظام ذوحياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها الذى انشأها اوّل مرّة) فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه و المادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض و القوى التى كانت فيها او احداث مثلها

(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار (فاذا انتم منه توقدون) لاتشكون فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (اوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما اومثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر (بلى) جواب من الله لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما امره) انما شأنه (اذا اراد شيأ ان يقول له كن) اى تكوّن (فيكون) فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادّة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب مماقالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء * وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لااعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرّة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

الاجزاء بعينها اى بجميع عوارضها المشخصة واعادة الاجزاء الاصلية للاجسام بعينها لاتستلزم اعادة الاجرام بعينها كيف وان اهل الجنة جرد مرد واهل النار ضرس احدهم مثل جبل احد فلذلك حكم بان الاجسام المعادة مثل المبتدأة فى اصول الذات وصفاتها وفيه ايماء الى ان الاجزاء الاصلية معادة باعيانها والله اعلم **قوله كالمرخ** وهو بالخاء المعجمة شجر صغير الورق والعفار بالعين المهملة شجر آخر تقدح منه النار وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى اختصا بالمجد يؤخذ منهما غصنان على قدر المسواكين وهما يقطران ماء فيحك بعضهما ببعض فتخرج منهما النار باذن الله تعالى نبه تعالى على وحدانيته وكمال قدرته على احياء الموتى بمايشاهدونه من اخراج النار المحرقة اليابسة من العود الندى الرطب فان الشجر الاخضر بمافيه من الماء البارد الرطب اذا اخرج منه النار اليابسة وهما لايجتمعان فكيف يستبعد ان يخلق الحياة فى العظام النخرة **قوله لاتشكون فى انها نار خرجت منه** مستفاد من قوله تعالى منه توقدون بتقديم منه **قوله على المعنى** فان لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لانه جمع شجرة كثمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة ونظيره فى الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فان ضمير منها وعليه راجعان الى شجر من زقوم انث الاوّل وذكر الثانى لذلك **قوله اومثلهم فى اصول الذات وصفاتها** فان المعاد هو الاوّل والاشتمال على الاجزاء الاصلية للاوّل وان امتاز كل واحد منهما عن الآخر بحسب اختلاف الامور الخارجية عن هوية الشخص وعينه **قوله وعن يعقوب يقدر** اى بدل بقادر ووجهه ظاهر واما وجه القرآءة الاولى وهى القرآءة بزيادة الباء على اسم الفاعل مع انها لاتزاد فى الايجاب ومعنى الكلام ههنا ايجاب لان الاستفهام انكارى وانكار النفى ايجاب فوجه زيادتها فيه الاكتفاء بوجود صورة النفى ولفظه وهو الوجه فى الايجاب ببلى المختصة بايجاب النفى المتقدّم ونقضه فهى ههنا لنقض النفى الذى بعد الاستفهام اى بلى انه قادر كقوله ألست بربكم قالوا بلى اى بلى انت ربنا **قوله مشعر بانه لاجواب سواه** وجه الاشعار ان جواب الاستفهام التقريرى ينبغى ان يكون من المخاطب بان يقرّ ويقول بلى فاذا بادر المستفهم الى الجواب فكأنه قال لم يتوقف وهل يذهب الوهم الى جواب سواه فان من قدر على خلق الاكبر يقدر على خلق الاصغر بدأ واعادة **قوله وهو تمثيل** يعنى ان حقيقة الحال ان شأنه تعالى اذا اراد شيأ ان يكوّنه بقدرته وارادته فيتكوّن من غير توقف وامتناع وليس هناك قول كن للامر بالتكوين لان الامر بالتكوين ان كان حال وجود المكوّن فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذلامعنى لانه يأمر المعدوم بان يوجد بنفسه الا ان اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه قدرة الله تعالى فى المراد من غير توقف وامتناع ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف فاستعير قوله كن فيكون من امر المطاع للمطيع لتأثير قدرته فى المكوّن وليس هناك قول ولا آمر ولا مأمور حقيقة وانما هو وجود الاشياء بالتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وقيل جرت سنة الله تعالى فى تكوين الاشياء بان يقول هذه الكلمة والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا الكلام فيكون الكلام على الحقيقة وقوله قطعا لمادّة الشبهة علة لقوله وهو تمثيل **قوله عطفا على يقول** والجمهور على رفع قوله فيكون بناء على انه فى تقدير فهو يكون على انه يكون جملة اسمية معطوفة على اسمية مثلها وهى قوله امره ان يقول له كن **قوله مالكا للملك كله** اشارة الى ان الملكوت بمعنى الملك وقرئ ملكة كل شئ بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك كل شئ ومعنى الكل واحد والملكوت ابلغ الجميع فانه فعلوت من الملك والواو والتاء فيه للمبالغة كالجبروت والرغبوت فانها مصادر دالة على المبالغة قال الفاضل الطيبى ان هذه السورة من فاتحتها الى خاتمتها فى تقرير امّهات علم الاصول وجميع المسائل المعتبرة التى اوردها العلماء فى مصنفاتهم بابلغ وجه واتمه ثم فصل وجه ذلك الى ان قال انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون كالفذلكة للمذكورات وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون كالخاتمة المشتملة على اسرار عجيبة قصرفيها الافهام وتكل من شرحها الالسن والاقلام ولهذا قال حبر الامة ابن عباس رضى الله عنهما ماقال من ان ماروى فى فضل يس انما هو لهذه الآية قيل انما جعل يس قلب القرآن اى اصله ولبه لان المقصود الاهم من انزال الكتب بيان انهم يحشرون وانهم جميعا لديه محضرون وان المطيعين يجازون باحسن ماكانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرّر فى هذه السورة بابلغ وجه واكمله وروى عنه انه عليه الصلاة

والسلام قال * اقرأوا سورة يس على موتاكم * قال الامام وذلك ان الانسان حينئذ ضعيف القوة وكذا الاعضاء لكن القلب يكون مقبلا على الله بكليته فاذا قرئت هذه السورة الكريمة تزداد قوة قلبه ويشتد تصديقه بالاصول فيزداد اشراق قلبه بنور الايمان وتتقوى بصيرته بلوامع العرفان

سورة الصافات مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

﴿قوله والصافات﴾ الصف ان يجعل الشئ على خط مستقيم تقول صففت القوم فاصطفوا اذا اقمتهم على خط مستقيم لاجل الصلاة والحرب والصافات جمع صافة وواو القسم فيها بدل من الباء والاصل اقسم بالصافات ثم حذف الفعل لدلالة الجار المتعلق به وابدلت الواو من الباء لاشتراكهما فى المخرج وتقاربهما فى المعنى لان الالصاق والجمع متقاربان فى المعنى وصفا مصدر مؤكد ومثله زجرا وقيل صفا مفعول به على ان يكون بمعنى المصفوف وذكرا يجوز ان يكون مفعولا به للتاليات وان يكون مصدرا لمعنى التاليات وهو موافق لماقبله وقيل مفعول الصافات والزاجرات غير مراد والمعنى الفاعلات لذلك وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها او اقدامها او اجنحتها فى الهوآء واقفة منتظرة لامر الله تعالى وقول المصنف بالملائكة الصافين فى مقام العبودية يدل على ان مفعول الصافات غير مراد وقوله الزاجرين الاجرام او الناس او الشياطين وقوله التالين آيات الله يدل على ان مفعول الزاجرات والتاليات مراد * نقل عن الراغب ان الزجر طرد بصوت ثم يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت وفى الصحاح الزجر المنع والنهى وزجر البعير اى ساقه والزجر ايضا العيافة وهو ضرب من التكهن يقول انه يكون كذا وكذا وقال فى فصل العين من باب الفاء عفت الطير اعيفها عيافة اى زجرتها وهى ان يعتبر باسمائها ومساقطها واصواتها والعائف المتكهن انتهى كلامه والعيافة نوع تدبير لان التدبير فى الامر ان ينظر الى مايؤول اليه دابره وعاقبه وذلك حاصل فى الزجر بمعنى العيافة فقول المصنف الزاجرين الاجرام العلوية اى التى يعتبرونها ويدبرون امرها وكذا قوله والارواح المدبرة لها تفسير للزجر بالاعتبار والتدبر ﴿قوله او بطوآئف الاجرام﴾ عطف على الملائكة فى قوله اقسم بالملائكة الصافين وزاد لفظ الطوآئف لانه جمع طائفة يقال طائفة صافة وطوآئف صافات ولم يحتج الى زيادة الطوآئف على تقدير ان يكون المقسم به الملائكة اكتفاء بالتأنيث اللفظى فيها فيكون التقدير والملائكة الصافات وقوله بالملائكة الصافين رعاية لجانب المعنى وجلايا جمع جلية من جلوت الامر اى اوضحته وكشفته وجلايا قدسه كاشفاته وموضحاته * قيل لايجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرأون من هذه الصفة * واجيب بوجهين الاول ان الصافات محمولة على الملائكة باعتبار موصوفاتها المقدرة وهما المحمولة على الملائكة حقيقة فانه يقال جماعة صافة والثانى انهم مبرأون من التأنيث المعنوى فاما التأنيث اللفظى فلا كيف وهم يسمون بالملائكة وعلامة التأنيث حاصلة فيه والمراد من الاجرام المرتبة كالصفوف العناصر والافلاك والكواكب وقوله المرتبة كالصفوف اشارة الى ان الصافات بمعنى المصفوفات مثل عيشة راضية فى ان المبنى للفاعل اسند الى المفعول به ويقال رصصت الشئ ارصه رصا اى الصقت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص وتراص القوم فى الصف اى تلاصقوا والمراد بالجواهر القدسية الملائكة ﴿قوله مبارزة العدو﴾ اى مقابلته يقال فلان يبارز فلانا اى يعارضه ويفعل مثل فعله وفلان يبارز الريح سخاء ذكر المصنف فى المقسم به وهو الصافات اربع حالات والموصوف بالصافات الثلاث واحد فى غير الاحتمال الثانى وثلاثة فيه الاجرام المرتبة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية فيكون العطف على هذا من قبيل عطف الذوات الموصوفة بعضها على بعض وفى باقى الاحتمالات من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الموصوف كما فى بيت زيابة فان الذى صبح فغنم فآب هو الحارث * ثم ان الزمخشرى رحمه الله ذكر فى الفاء المفيدة للترتيب والتعقيب اذا وقعت بين الصفات المتعاطفة ثلاثة قوانين الاول ان تدل على ترتيب الصفات فى الوجود كما فى بيت زيابة والثانى ان تدل على ترتيبها فى الرتبة والفضيلة بان يكون بعض الصفات ارفع قدرا وافضل من الباقية فتكون الباقية متأخرة عنه بهذا المعنى وان لم تتأخر عنه فى الوجود كما فى الآية اذا اتحد الموصوف بالصافات الثلاث فان الفاء تفيد ترتيب الصفات فى الفضل بان يكون للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس فان حمل على ان الاول افضل من الثانى تكون الفاء دالة على ان الوصف الثانى متأخر عن الاول فى الفضل وان حمل على ان الثانى افضل

﴿سورة الصافات مكية وآيها مائة﴾
﴿واحدى او ثنتان وثمانون آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الآلهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوآئف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لايفترون او بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرآئعه او بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لايشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله * يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب * فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس

من الاوّل تكون دالة على ان الثانى اعلى مرتبة من الاوّل وابعد منزلة منه كما يقال ذلك فى ثم والثالث على ترتيب الموصوفات فى الفضل والشرف كما اذا قلت رحم الله المحلقين فالمقصرين فان الفاء تدل على ان المحلقين افضل من المقصرين بناء على ان الحلق افضل من التقصير وان التقصير متأخر عنه فى الفضل ثم انه جوّز فى الآية على تقدير تعدد الموصوف وكون الفاء لترتيب الموصوفات فى الفضل ان تكون الطوآئف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا وان يكون الامر على عكس هذا والعقل يجوّز قانونا رابعا وهو ان تكون الفاء دالة على ترتيب الموصوفات فى الوجود ولم يعتبره الزمخشرى اذ ليس للفاء دلالة على ان بعض الذوات متأخر عن البعض فى الوجود وقول المصنف والرتبة عطف على الوجود فى قوله والفاء لترتيب الوجود يريد ان الفاء اما لترتيب الوجود اى وجود الصفات اذا كانت لعطف الصفات واختلافها فان الصف كمال والزجر تكميل وابهر التكميل افاضة الخير التى هى التلاوة بعد المنع عن الشرّ وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من السياقة كنى بها عن القوّة واما لترتيب الرتبة والفضل اى لترتيب رتبة الموصوفات وفضلها اذا كانت لعطف الذوات واختلافها او لترتيب رتبة وجود الصفات وفضلها اذا كانت لعطف الصفات واختلافها وجوّز ان تكون الفاء فى الآية لترتيب الوجود من حيث ان الفضل بعد الكمال وافاضة الخير بعد المنع عن الشرّ وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من السياقة التى كنى بها عن القوّة وترتيب الفضل بينها على حسب ترتب وجودها اعنى ان الفاء فى الآية من الترقى من الفاضل الى الافضل ومنه الى الابهر فضلا على عكس قولك فالمقصرين فان الفاء فيه للتنزل من الافضل الى الفاضل ﴿قوله وادغم ابو عمرو وحمزة﴾ يعنى انهما قرآ بادغام التاء من الصفات والزاجرات والتاليات فى صاد صفا وزاى زجرا وذال ذكرا وكذلك فعلا فى والذاريات ذروا وفى الملقيات ذكرا وفى العاديات ضبحا بخلاف عن خلاد فى الاخيرين وكذلك اتفقا فى ادغام بيت طائفة فى سورة النساء مع انه ليس من اصل حمزة الادغام فى مثله وابو عمرو جارى على اصله من ادغام المتقاربين فحمزة خالف اصله وقرأ الباقون بالاظهار فى جميع ذلك لاختلاف المخارج ﴿قوله والفائدة فيه﴾ اشارة الى دفع ما يقال من انه تعالى اقسم فى اوّل هذه السورة على ان الاله واحد واقسم فى اوّل سورة الذاريات على ان القيامة حق والجزآء واقع فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع فالمقصود من القسم فى مثل هذه المطالب اما اثبات المطلوب عند المؤمن او عند الكافر وعلى كلا التقديرين فلا فائدة فيه اما على الاوّل فلأن المؤمن يقرّ به من غير حلف واما على الثانى فلأن الكافر لا يقرّ به سوآء حصل الحلف ام لم يحصل والجواب ان هذا القسم فى مثل هذا الموضع ليس للاثبات بل للتنبيه على شرف المقسم به ولتأكيد ما حقق بالادلة القاطعة وتأكيد المطالب المثبتة بالدلائل اليقينية طريقة مألوفة عند العرب وقد انزل القرآن على لغتهم وعلى اسلوبهم فى محاوراتهم فان امر التوحيد وصحة البعث والجزآء قد حقق بالدلائل القاطعة فى مواضع شتى من القرآن العظيم فلا يبعد ذكر القسم تأكيداً لتلك الدلائل وتقريراً لمدلولاتها على انه لما اقسم بهذه الاشياء على ان قوله ان آلهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو دليل يقينى على التوحيد فكأنه قيل انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا فيه ليحصل لكم العلم بالتوحيد لانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴿قوله يتناول افعال العباد﴾ لانها موجودة بين السماء والارض فلما ثبت ان كل ما حصل بينهما فالله ربه ومالكه فقد ثبت ان فعل العبد حصل بخلق الله والحكم على الاعراض بكونها حاصلة بين الشيئين لا يستلزم تحيزها بالذات لانها اذا كانت حاصلة فى الاجسام الحاصلة بين السماء والارض يصدق عليها انها حاصلة بينهما ﴿قوله والمشارق مشارق الكواكب﴾ لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فلذلك جمع المشارق هنا ويجوز ان يكون المراد مشارق الشمس وجمعت مع ان الشمس انما تشرق فى كل واحد من الايام فى موضع معين باعتبار جميع السنة فان لها فى جميع السنة مشارق ومغارب كثيرة تطلع فى كل يوم من مشرق وتغرب فى مغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين اراد بهما مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما اكتفى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لدلالة قوله ورب المشارق عليه وذكر للاكتفاء عن ذكر المغارب ثلاثة اوجه مبنى الاوّل على ان المغارب ايضا مراد او حذف من اللفظ لدلالة المشارق عليه لان تعدد المشارق يستلزم تعدد المغارب كما ان نفس المشرق يستلزم المغرب وعلى الوجهين الاخيرين كان ذكر المغارب مطوى بحسب اللفظ مطوى بحسب الاعتبار ايضا لان الشروق

وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا (ان آلهكم لواحد) جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مرّ غير مرّة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس فى السنة وهى ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ فى النعمة

ادل على القدرة من الغروب لان الاحداث اقوى حالا من الاعدام و ابلغ فى النعمة لان الاحتياج الى النور اشدّ واقوى من الاحتياج الى الظلمة ﴿قوله وماقيل انها﴾ اى مشارق الشمس فى السنة مائة و ثمانون على ان مشارقها حال كونها آخذة فى الارتفاع هى بعينها مشارقها حال كونها آخذة فى الانتقاص فكيف يقال ثلاثمائة وستون *اجاب عنه بان من سافر خمسة ايام بائتا كل ليلة فى موضع و مرتحلا عنه فى صباح تلك الليلة ثم رجع فى اليوم السادس الى ماعنه سافر بائتا فى المواضع التى بات فيها و مرتحلا عنها فمن عدّ مواضع نزوله و ارتحاله بعدّها عشرة و لا يعدّها خمسة بناء على ان اوقات بياته لما كانت عشرة كانت مواضع ارتحاله عشرة نظرا الى اختلاف الاوقات فكذا المشارق و المغارب انما تختلفان باختلاف اوقات الطلوع و الغروب ضرورة ان الارتحال واقع فى وقت آخر فتختلف المراحل و المنازل و المشارق و المغارب على حسب اختلاف الاوقات ﴿قوله تعالى بزينة الكواكب﴾ قرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين و الباقون بغير تنوين وقرأ ابوبكر الكواكب بالنصب و الباقون بالخفض و اختار المصنف فى القرآءة اضافة زينة الى الكواكب ووجه الاضافة باربعة اوجه و الزينة فى الوجهين الاخيرين اسم لمايزان به الشئ كالليقة اسم لماتلاق به الدواة و يصلح مدادها و الاضافة فى الوجه الاوّل من اضافة العام الى الخاص للبيان كخاتم فضة و مايزان به السماء يعم الكواكب و غيرها فاضيف اليها للبيان و فى الوجه الثانى بمعنى اللام و الزينة المعتبرة بالنسبة الى الكواكب كما انها مما تزان بها السماء فهى ايضا مما تزان بغيرها من اضوآئها واشكالها الحسنة كتشكل الثريا و بنات نعش و نحوهما فاحتمل ان يكون المراد بالزينة نفس الكواكب على ان الاضافة بيانية و ان يكون مايزان به الكواكب على ان الاضافة بمعنى اللام و الزينة فى الوجه الثالث مصدر كالنسبة و الحطة اضيف الى المفعول و المعنى انازينا السماء الدنيا بان زينا الكواكب فيها بجعلها مشرقة مضيئة ذات اشكال حسنة و مطالع و مسائر على الحكمة فانها انما زينت السماء لحسنها فى انفسها و اصله بزينة الكواكب و هى قرآءة ابى بكر عن عاصم كما مرّ و الاضافة فى الوجه الرابع من اضافة المصدر الى فاعله والمعنى انازيناها بان زينتها الكواكب بتزيينها وسائر احوالها ﴿قوله وركوز الثوابت الخ﴾ اشارة الى جواب مايقال من انه ثبت فى علم الهيئة ان الكواكب الثوابت مركوزة فى الكرة الثامنة وان السيارات ماعدا القمر مركوز فى الكرات الست المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب *اجاب عنه اوّلا بالمنع فقال ان تحقق اى لانسلم تحقق ذلك اذلم يتم دليل الفلاسفة عليه و ثانيا بتسليمه و انه لاينافى الحكم بان المزين بها هو السماء الدنيا لان اهل الارض اذا نظروا اليها يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فمحل الزينة بالنسبة اليهم انماهو هذه السماء ﴿قوله وحفظا منصوب باضمار فعله﴾ فهو مصدر مؤكد لفعله المضمر اى و حفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لان العطف على هذا الوجه قددل على اضمار الفعل كقولك افعل و كرامة فان من معلوم ان الاسماء لاتعطف على الافعال فيعلم ان المعنى افعل ذلك و اكرمك كرامة و يحتمل ان يكون منصوبا بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى اناخلقنا الكواكب زينة للسماء و حفظا من الشياطين كما فى و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ومن كل شيطان متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا مؤكدا او بالفعل المضمر ان جعل مصدرا مؤكدا و المارد المتمرّد العاق و هو الذى يخرج عن الطاعة ﴿قوله تعالى لايسمعون﴾ قرآءة حفص وحمزة و الكسائى بتشديد السين و الميم فاصله يتسمعون و القرآءة بالتشديد ابلغ فى نفى الاستماع لانه اذا نفى عنهم التسمع بعد ماحفظ منهم السماء نفى عنهم السماع باولوية و التسمع طلب السماع يقال تسمع فسمع اوفلم يسمع و تسمع لايتعدّى الا بالى فلذلك اختار ابو عبيد القرآءة بالتشديد و قال لوكان مخففا لم يحتج فى تعديته الى كلمة الى حيث يقال سمعت فلانا يحدث وسمعت حديثه و اجيب عنه بان المخفف قديتعدّى بالى *فان قلت اىّ فرق بين سمعت فلانا يحدث وسمعت اليه يحدث وسمعت حديثه و الى حديثه *قلت ان المعدّى بنفسه يفيد الادراك و المعدّى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك فتكون هذه الآية سوآء قرئت بالتشديد او التخفيف ابلغ فى نفى السماع من قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون لانها على التقديرين تدل على كونهم ممنوعين من الاصغاء الذى هو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع اولى وفيها ايضا تهويل عظيم لمايمنعهم عنه و هو ظاهر وقوله كلام مبتدأ اى لاتعلق له بماقبله من جهة الاعراب اى لامحل له من الاعراب وان كان متعلقا به من جهة المعنى بان يكون استئنافا كأنه لماقيل وحفظا من كل شيطان مارد اى وحفظناها حفظا منهم سئل بان قيل فمايكون حالهم اذا وكيف تحفظ السماء

وماقيل انها مائة وثمانون انما يصح لولم تختلف اوقات الانتقال (انازينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب و الاضافة للبيان و يعضده قرآءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجرّ الكواكب على ابدالها منه او بزينة هى لها كاضوآئها و اوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قرآءة ابى بكر بالتنوين و النصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها و بين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها بجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة برمى الشهب (لايسمعون الى الملأ الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدماحفظ السماء منهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولاعلة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك ان تكرمنى ثم حذف ان واهدارها كقوله *الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى* فان اجتماع ذلك منكر و الضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لمايمنعهم عنه ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم

منهم فاجيب عن الاوّل بانهم لا يسمعون وعن الثانى بقوله ويقذفون والمعنى انهم لايسمعون اى لايتطلبون السماع الى الملأ الاعلى وهم مقذوفون بالشهب مدحوزون عن ذلك الامن امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب ولاتمهله وقوله ولايجوز جعله صفة لكل شيطان لان الشيطان الذى لايسمع اولا يستمع لاوجه لحفظ السماء منه وكذا لاوجه لجعله علة للحفظ بان يكون المعنى والتقدير وحفظناها منهم لئلا يسمعوا الى كلام الملائكة ثم تحذف اللام بناء على ان حذفها من ان وان شائع فى كلامهم فيبقى ان لايسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها كما فى قول من قال

※ الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ※ وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ※

فان اصله ان احضر الوغى حذف ان لدلالة ان اشهد عليه فلو لم يقدر ان ليكون احضر فى تقدير المصدر لزم عطف المفرد على الجملة وهو غير مستقيم وانما قلنا انه لاوجه له لان كل واحد من هذين الحذفين على انفراده وان كان غير مردود لكن اجتماعهما تعسف يورث تعقيدا لفظيا يجب صون القرآن عن مثله والملأ الجماعة وحدت صفته وهى الاعلى نظرا الى افراد لفظه وسميت الملائكة ملأ اعلى لانهم يسكنون السموات والانس والجنّ هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض ﴿قوله من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده﴾ بين ان ليس المراد من يقصد منهم صعود السماء لاستراق السمع من جانب يرمى من جميع جوانب السماء بل المراد يرمى من الجانب الذى يصعد منه اىّ جانب كان من جوانب السماء قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وذكر المصنف لانتصابه وجوها اربعة مبنى الوجه الاوّل والثانى منها على ان يكون الدحور مصدر قولك دحره يدحره دحرا ودحورا اذا طرده وابعده فهو اما مفعول له اى يقذفون بالشهب للدحور والابعاد اومصدر مؤكد ليقذفون لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل ويقذفون قذفا ويدحرون دحورا لانهما لما كانا متقاربين جاز ان يقام احد الفعلين مقام الفعل الآخر او المصدر مقام المصدر على التبادل ولم يلتفت الى احتمال كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كما فى قوله وحفظا لعدم الحاجة الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالعامل المذكور وكونه حالا مبنى على ان يكون مصدرا بتقدير المضاف اى ذوى دحور اوعلى ان يكون المصدر بمعنى المفعول اى مدحورين ولم يلتفت الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالمذكور ومبنى الوجه الثالث وهو كونه حالا بمعنى مدحورين على ان يكون الدحور جمع داحر كقاعد وقعود فدحورا بمعنى داحرين اى مدحورين وانتصابه على الحال ليس الاعلى هذا التقدير ومبنى الوجه الرابع على ان يكون دحورا جمع دحر كدهر ودهور والدحر ما يرمى به ويطرد فيكون انتصابه على اسقاط الخافض اى يقذفون من كل جانب بدحور ﴿قوله ويقوّيه القرآءة بالفتح﴾ اى يقوّى كون الدحور بضم الدال جمع دحر وان انتصابه بنزع الخافض وفى الطيبى قال ابن جنى القرآءة بفتح الدال على وجهين احدهما انه من المصادر التى جاءت على فعول بفتح الفاء وثانيهما على ان يكون المعنى ويقذفون من كل جانب بدحر وهو ما يدحر به على حذف حرف الجرّ وارادته انتهى والحاصل ان الدحور بالفتح اذا لم يكن مصدرا يكون لمبالغة اسم الفاعل كالصبور والشكور فيكون صفة لمصدر مقدّر بمعنى يقذفون قذفا دحورا على طريق اسناد الشئ الى سببه مجازا او يطلق الداحر على آلة الدحر نحو سيف قاطع فيحتاج الى تقدير الجار ﴿قوله وهو يحتمل ايضا﴾ اى الدحور بالفتح كما يحتمل كونه بمعنى الآلة الداحرة يحتمل ان يكون مصدرا او صفة له ﴿قوله دآئم او شديد﴾ يقال وصب يصب وصوبا اى دام والوصب المرض والوجع فقوله او شديد بمعنى النسبة من الوصب وهو الالم اى ذو وجع وشدّة كتامر ﴿قوله ومن بدل منه﴾ وهو المختار لان لايسمعون غير موجب فيكون مرفوع المحل ويجوز ان يكون فى موضع النصب على اصل الاستثناء ﴿قوله والمراد اختلاس كلام الملائكة﴾ يعنى ان الخطف هو الاختلاس والاستلاب بسرعة والخطفة مصدر بمعنى المفعول اى لاتسمع الشياطين كلام الملائكة مصغين اليهم آذانهم الا الشيطان الذى استلب شيأ من كلام الملائكة مسارقة فلحقه شهاب ثاقب اى كوكب مضيء كأنه يثقب الهوآء بضوئه وقال عطاء سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم ﴿قوله ولذلك عرف الخطفة﴾ يعنى ان الكلام الذى استلبه الشيطان لما كان كلام الملأ الاعلى نفى عنه استماعه كان ذلك معهودا متقدم الذكر حكما وكناية لان السماع لايتعلق الا بالكلام فصح ان تعرف الخطفة بلام العهد الخارجى ﴿قوله واصلهما اختطف﴾ ولما اريد الادغام اسكنت التاء وقلبت طاء فادغمت الطاء فى الطاء فاجتمع ساكنان الخاء والطاء

(ويقذفون) ويرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو مايطرد به ويقوّيه القرآءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا (ولهم عذاب) اى عذاب آخر (واصب) دآئم او شديد وهو عذاب الآخرة (الا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف (فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأنّ كوكبا انقض

المدغمة فكسرت الخاء لان الكسر اصل في تحريك الساكن فاستغنى عن الهمزة فصار خطف ووجه من قرأ خطف بفتح الخاء ظاهر وهو ان نقل حركة التاء اليها ومنهم من قرأ خطف بكسرتين والتشديد ووجهها انه لما كسرت الخاء لالتقاء الساكنين كسرت الطاء ايضا اتباعا لحركة الخاء ﴿قوله وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير﴾ وهو الطبقة العليا من طبقات الهواء الملاصقة لكرة النار * اشارة الى جواب مايقال ان المفهوم من هذه الآية انه تعالى زين السماء بالكواكب لمصلحتين الاولى ان يحصل لها زينة وبهجة والثانية ان يحفظها بتلك الكواكب من الشيطان المارد بان يرميه بها فيلحقه شهاب ثاقب وهو مع بعده عقلا من حيث ان هذه الشهب لو كانت تلك الكواكب بعينها لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة مخالف لقول من قال ان الشهاب بخار مشتعل ليس من كواكب السماء فما وجه التوفيق بينهما وايضا جعلها رجوما للشياطين يوجب النقصان في زينة السماء وكان الجمع بين كونها زينة وبين كونها سببا لحفظ السماء بان يرجم بها الشياطين كالجمع بين المتناقضين * اجاب عنه اولا بان ذلك القائل انما قال ذلك القول تخمينا وظنا لا تحقيقا ويقينا اذ من الجائز ان يكون في السماء غير الثوابت والسيارات نجوما اخر للرجم سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون مما في اقطار السموات ونجوم الارضين ومايعلم جنود ربك الا هو وثانيا بان سلم ذلك القول ومنع كونه مخالفا لما يفهم من هذه الآية ومن قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان الذهن وان تبادر من ظاهرهما الى ان الشهب المقذوفة ومصابيح الرجوم هي الكواكب المركوزة في السماء الا انه ليس فيهما مايدل عليه صريحا ﴿قوله الشياطين تتصعد﴾ من قبيل قوله ولقد امر على اللئيم يسبني ﴿قوله وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان كون الشهاب هو البخار المشتعل بصعوده الى الاثير مناف لما قيل من انه حدث بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبل ميلاده عليه الصلاة والسلام حتى ان الحكماء الذين تقدموا ميلاده عليه الصلاة والسلام بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه فكيف يمكن الجمع بين كون شهاب الرجوم بخارا مشتعلا وبين كون حدوثه مخصوصا بزمان ولادته عليه الصلاة والسلام كما روى عن الشعبي انه قال لم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة فاتوا عبديا ليل الثقفي وكان قد عمي فقالوا قد سيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم فقال لم قالوا ان النجوم تتهافت من السماء فقال لهم لا تعجلوا فان كانت نجوما تعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهي لامر حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف قال الشعبي فما مكثوا الا يسيرا حتى اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اجاب عنه بقوله ان صح انه حدث بميلاده صلى الله عليه وسلم فالمراد بحدوثه كثرة وقوعه او كونه رجما للشياطين وابعادا لان الظاهر انه كان يحصل قبل ذلك فصارت كثرة وقوعه في زمانه صلى الله عليه وسلم معجزة له ﴿قوله واختلف في ان المرجوم الخ﴾ اشارة الى سؤال وجواب اما السؤال فهو ان اهل التفسير اتفقوا على ان المرجوم لا يصل الى مراده البتة واختلفوا في سببه على وجهين لانه اما ان يتأذى به فيرجع او يحترق فيهلك فكيف يجوز في الشياطين مع اشتهارهم بمعرفة الحيل الدقيقة ان يذهبوا الى موضع يعلمون ان يصيبهم فيه مثل هذه المصيبة مع خيبتهم عن مقصودهم * واما الجواب فهو ان الصاعد المرجوم لابد ان يتأذى او يحترق واما كون كل صاعد يلحقه الرجم فغير لازم لانهم انما يمنعون بالشهب من المصير الى موضع الملائكة فيتفق ان يرجم ويصيبه الشهاب وقد لا يتفق فلا يصيبه ذلك فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعضها جاز لهم الاقدام على الصعود لاستراق السمع طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب البحر ﴿قوله ان الشيطان من النار﴾ لقول ابليس خلقتني من نار ولقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب تقدر الشياطين ان تصعد الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل ان تحترق النار بالنار الخ يعني انه يحتمل ان الشياطين مع كونهم مخلوقين من النار نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم والضعيف يضمحل ويتلاشى بالقوى ﴿قوله يعني ماذكر من الملائكة الخ﴾ فسر قوله تعالى ام من خلقنا بما ذكر من مخلوقاته من اول السورة الى هنا وحمل من على التغليب ولم يلتفت الى قول من قال ان المراد بقوله من خلقنا الامم الماضية كعاد وثمود بشهادة ان كلمة من تذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا ممن قبلهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما بالهم آمنين من العذاب واستدل على ما اختاره من التفسير بوجوه الاول انه لو كان المراد

وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم (أهم اشد خلقا ام من خلقنا) يعني ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب

بمن خلقنا الامم الماضية لناسب تقييده بالبيان ولما ابقاه على اطلاقه ولم يقيد ظهر ان المراد به هو المذكور سابقا لان المطلق لابدّان يحمل على المقيد ولم يسبق للامم الماضية ذكر ليحمل هذا المطلق عليه بخلاف الاشياء المعدودة قبل فيجب ان يحمل عليها والثانى مجيئ قوله فاستفتهم أهم اشدّ خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة بعد عدّ هذه الاشياء فيكون مابعد الفاء مرتبا على ماسبق من هذه الاشياء والثالث قرآءة من قرأ ام من عددنا وهو ظاهر والرابع قوله فى بيان الفرق بينهم وبين من خلقه انا خلقناهم من طين لازب فانه انما يصلح للفرق بينهم وبين هذه الاشياء المعدودة لابينهم وبين من قبلهم والخامس ان المراد بقوله فاستفتهم الى قوله من طين لازب اثبات المعاد باثبات قدرته على اعادتهم ببيان انه خلق ماهو اشدّ خلقا بالاضافة اليهم ومن قدر على الاشدّ كيف لايقدر على الاضعف مع ان قدرته ذاتية لاتتغير وبعد اثبات القدرة على الاعادة بين قابلية المحل لها بقوله انا خلقناهم من طين لازب وبثبوتها اثبت المعاد فعلى هذا لايكون المراد ممن خلقنا الامم الماضية لان تلك الامم ليست اشدّ من خلقهم حتى يقال ان من قدر على خلق تلك الامم مع شدّتهم كيف لايقدر على خلق مثلهم فى الضعف والرخاوة بل خلق احدهما كخلق الآخر فى الشدّة والضعف ووجه استلزام القول بحدوث العالم القول بتولد الانسان الاوّل من الطين ان القول بوجوب الابوين ونطفهما فى تولد كل واحد من افراد الانسان يؤدى الى قدم النوع مع قدم العالم ويمتنع القول بحدوث العالم ﴿قوله وتقريره﴾ اى تقرير كون الآية لاثبات المعاد ورد استحالتهم اياه ان صحة المعاد تتوقف على امرين الاوّل ثبوت قدرة الفاعل عليه والثانى قابلية المادّة له وقد اثبت الاوّل بقوله أهم اشدّ خلقا ام من خلقنا واثبت الثانى بقوله انا خلقناهم من طين لازب وهو التراب الممزوج بالماء وقوله اما لاعترافهم بحدوث العالم فان الاعتراف بالحدوثية يستلزم العلم بان تولد كل فرد من افراد الانسان من نطفة ابويه لايذهب الى غير النهاية بل لابدّ من الانتهاء الى انسان يتكوّن ابتدآء ولايكون مسبوقا بالابوين فثبت ان الاعتراف بحدوث العالم يستلزم القول بان الانسان الاوّل يتولد من الطين وكذا يستلزم الاعتراف بقصة آدم ﴿قوله وشاهدوا﴾ عطف على قوله وقد علموا وقوله فلزمهم ان يجوّزوا اعادتهم كذلك اى بطريق التولد من الطين من غير ان يسبقهم ابوان ومواقعتهما ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء﴾ اى من عجبت اشارة الى ان قرآءة الباقين بفتحها على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اوكل من يصح منه ذلك اى عجبت من انكارهم للبعث ممن قدر على هذه المخلوقات العظيمة ﴿قوله تعالى من طين لازب﴾ صلصال لاصق يلصق باليد واللازب واللازم بمعنى واحد وقد قرئ لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازم الممازج واكثر اهل اللغة على ان الباء فى اللازب بدل من الميم والمراد بخلقهم من طين لازب خلق اصلهم آدم عليه الصلاة والسلام منه فيكونون مخلوقين منه بواسطة خلقه منه ويحتمل ان يكون المراد خلق جميع الناس منه ووجهه ان الانسان انما يتولد من المنى ودم الطمث والمنى انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذآء والغذآء اما حيوانى واما نباتى والكلام فى كيفية تولد الحيوان الذى صار غذآء كالكلام فى تولد الانسان فثبت ان الاصل فى الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان جميع افراد الانسان متولد من الطين اللازب وانه قابل للحياة وانه تعالى قادر على احيائه وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فى جميع الاوقات والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل والمعنى لو كان العجب جائزا علىّ لعجبت من كمال قدرتى او ممن ينكر البعث او ممن هذه افعاله والروعة الدهشة والهيبة يعنى ان العجب دهشة تعترى الانسان عند رؤية ماخفى سببه فيستعظمه لخروجه عن حدّ القياس وهو لايجوز عليه تعالى شأنه علوّا كبيرا فلذلك كان شريح يقرأ بفتح التاء وينكر على من قرأ بضمها ويقول ان الله لايعجب من شئ وانما يعجب من لايعلم فبلغ ذلك ابراهيم النخعى فقال ان شريحا معجب برأيه فقرأها من هو اعلم منه يعنى عبدالله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما ومعنى بل فى قوله بل عجبت الاضراب اضرب عن الامر بالاستفتاء اى لاتستفتهم فانهم معاندون مكابرون لاينفع فيهم الاستفتاء ولايتعجبون من قدرة الله تعالى على خلق هذه المذكورات ولايستدلون بها على قدرته على الاعادة وانما يتعجب منها مثلك ممن له انصاف ونظر صحيح موفق من عندالله ﴿قوله بالغون فى السخرية الى قوله اويستدعى بعضهم﴾ اشارة الى ان سين يستسخرون يجوز ان تكون للتأكيد والمبالغة وان تكون للطلب وهذه الجملة المتعاطفة متعلقة بالاضراب السابق وتقرير لعنادهم ومكابرتهم وتوضيح المقام ان القوم لما بالغوا فى استبعادهم الحشر وقالوا ان من مات وصار ترابا وتفرقت اجزآؤه فى العالم كيف يعقل

ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقرآءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لابينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد وردّ استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوآء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادّة ومادّتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاوّل انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوّزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق مالا يعتدّ به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اوّلا وقدرته ذاتية لاتتغير (بل عجبت) من قدرة الله وانكارهم البعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها اوعجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوّزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) واذا وعظوا بشئ لايتعظون به واذا ذكر لهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون مايرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته

(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) اصله أنبعث اذا متنا فبدّلوا الفعلية بالاسمية وقدّموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشدّ استنكارا فهو ابلغ من قرآءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرآءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية (اوآباؤنا الاوّلون) عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد (قل نعم وانتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائى نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) جواب شرط مقدّر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كأمر كن فى الابدآء ولذلك رتب عليها (فاذاهم ينظرون) فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وازواجهم) واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين

عوده بعينه وبلغ استبعادهم الى ان كانوا يسخرون ممن يقول بالحشر اراد الله تعالى تبكيتهم بهذا الاستبعاد والزام الحجة عليهم ووضع له طريقين الطريق الاوّل ان يذكر لهم مايدل على صحة الحشر مثل ان يقال الم تعلموا ان من قدر على الاشدّ الاصعب قادر على الاضعف الاهون والطريق الثانى ان يرسل اليهم رسولا ويحقق انه رسول من عنده بالمعجزات الدالة على انه رسول حق صادق فى جميع ما اخبر به ثم يخبر ذلك الرسول بان البعث والقيامة حق ثم انه تعالى لما سلك كل واحد من الطريقين ولم ينتفعوا بشئ منهما اضرب عن محاجتهم وبين بلادتهم وعدم فهمهم للدلالة العقلية بقوله واذا ذكروا لايذكرون وبين عدم انتفاعهم بالطريق الثانى بقوله واذا رأوا آية يستسخرون ﴿قوله فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام﴾ ولو لا ان قوله او آباؤنا الاوّلون مفصول من مبعوثون بالهمزة لما جاز عطفه على ضميره المرفوع المتصل من غير تأكيده بنحوه قيل عليه لو كان آباؤنا معطوفا على ضمير لمبعوثون لكان مبعوثون عاملا فيه ايضا بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لايعمل ماقبلها فيما بعدها بل الاوجه ان يكون آباؤنا مبتدأ محذوف الخبر تقديره او آباؤنا مبعوثون حذف لدلالة ماقبله كما ذكر سيبويه ان عمرا فى قولك ان زيدا قائم وعمرو مرفوع بالابتدآء حذف خبره للعلم واللام فى قوله لزيادة الاستبعاد متعلق بقوله مفصول ووجه زيادة الاستبعاد ان بعث من كان ترابا وعظاما اذا كان مستبعدا بالنسبة الى مجرّد البعث كان بعث من بعد زمان بلائه وتفتت اجزآئه ابعد زيادة البعد ومن قرأ بسكون الواو على انها او العاطفة التى لاحد الشيئين او الاشياء والمعنى انبعث نحن او آباؤنا لم يجز عنده العطف على ضمير لمبعوثون لعدم الفصل ﴿قوله وانما اكتفى فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه﴾ يعنى اكتفى بقوله نعم اى تبعثون مع ان الاستبعاد البليغ الذى ذكروه بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لايزول بمجرّد ان يقال نعم بل لابدّ من تأكيده بقسم كما فى قوله تعالى قل اى وربى انه لحق وقوله لسبق مايدل على جوازه الخ وهو البرهان اليقينى القطعى المدلول عليه بقوله فاستفتهم فهذه الجملة المتعاطفة متعلقة بالاضراب السابق تقريرا لعنادهم ومكابرتهم فمعنى قول المصنف وانما اكتفى به فى الجواب اشارة الى انه لما ثبت بالبرهان القطعى امكان البعث وجوازه وقامت المعجزات القاهرة الدالة على صدق من اخبر عن وقوعه كان مجرّد قوله تعالى قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع فقد بين الامكان بالدليل القطعى وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعى ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر الممتنع وقوله لسبق مايدل على جوازه اى فى قوله فاستفتهم أهم اشدّ خلقا ام من خلقنا فانه اقام البرهان القاطع على ان البعث امر ممكن فى نفسه وعلى ان المجيب بقوله نعم تبعثون وانتم صاغرون اذلاء والمخبر صادق فى جميع ما اخبر به كان مجرّد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع فلذلك اكتفى فى الجواب والدخور اشدّ الصغار والذل ﴿قوله اذا كان ذلك﴾ اى اذا وقع البعث فانما هى صيحة واحدة فكيف تستبعدونه وتستصعبونه لما كانت بعثتهم مسببة بالزجرة ناشئة عنها جعلت اياها للمبالغة فى سببيتها لها وهذه الصيحة لاتأثير لها فى الحياة بدليل ان الصيحة الاولى استعقبها الموت والثانية الحياة فدل ذلك على ان الصيحة لااثر لها فى الموت ولا فى الحياة بل الموت والحياة ليسا الا بخلق الله اياهما عند الصيحتين واما نحن فلا نعلم حكمتهما ولا يعلم الا هو فانه يفعل مايشاء بحكمته روى ان الله تعالى يأمر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فينادى ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزآء المتفرّقة قوموا باذن الله تعالى ﴿قوله فانما البعثة﴾ اشارة الى ان هى راجعة الى البعثة المدلول عليها بنعم لان المعنى نعم تبعثون ﴿قوله وامرها فى الاعادة﴾ اى امر الزجرة فى ترتب الاعادة عليها من غير توقف وامتناع كأمر كن فى ترتب الابدآء عليه كذلك وهذا لاينافى ان تكون كن عبارة عن تعلق القدرة ﴿قوله وقد تم به كلامهم﴾ وقال ابو حاتم تم كلامهم بقوله ياويلنا ووقف عليه وجعل مابعده من قول البارى تعالى قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اليوم المذكور فى قوله مالك يوم الدين اى لامالك فى ذلك اليوم الا الله وسمى القضاء فصلا لانه فصل الخصومة ﴿قوله او امر بعضهم لبعض﴾ اى بعض الملائكة لبعض وفسر الازواج بالاشباه لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فسر به حيث قال * وهم نظرآؤهم واشباههم من العصاة * كما فى قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اى اشكالا واشباها ويقال عندى من هذا ازواج اى امثال والرجل مع زوجته سميا زوجين لكونهما متشابهين وكذلك كل قسم من عدد الزوج مثل الاخر ﴿قوله او قرناءهم من الشياطين﴾ قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال

مقاتل نحشر كل كافر مع شيطانه فى سلسلة ﴿قوله وهو عام مخصوص﴾ جواب عما يقال ماوجه ان يحشر مع
الظلمة كل ما كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون الله وان يساقوا الى الجحيم مع ان بعضهم عبد المسيح بن مريم عليه
الصلاة والسلام ومنهم من عبد الملائكة * وتقرير الجواب ان قوله وما كانوا يعبدون وان كان عاما فى كل مايعبدونه
الا انه خصص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون كما خص به قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقال مقاتل المراد بما تعبدون هو ابليس وجنوده واحتج
بقوله تعالى ان لاتعبدوا الشيطان ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى فى قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله
حيث ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهو يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر وعلى ان كل
وعيد ورد فى حق الظالم فهو مصروف الى الكفار ومما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون ﴿قوله
فعرّفوهم﴾ مأخوذ من تفسير ابن عباس رضى الله عنهما حيث فسره بقوله دلوهم على طريق النار ﴿قوله
احبسوهم﴾ فان وقف يتعدى ولا يتعدى فانه كما يقال وقفت الدابة تقف وقوفا يقال وقفتها وقفا قال المفسرون
لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط كذا فى معالم التنزيل هذا على تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى احشروا الذين
ظلموا جمعهم وسوقهم الى الجحيم والامر بالسوق انما يكون فى حق من يقف ولا يبعد انهم اذا قاموا من قبورهم
وقفوا هنالك لحيرة لحقتهم بمعاينة اهوال القيامة وان تكون الفاء فى قوله فاهدوهم للترتيب فى الذكر كما فى مثل قولك
اجبته فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال وعقيبه لان مضمون الجملة الثانية عقيب مضمون الاولى
فى الزمان فيكون ذكر قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وسوقهم اليها انما يكون
بعد حبسهم فى موقف الحساب فترتيب الذكر ليس على وفق ترتيب الوجود حتى يجاب عنه بان الواو لاتدل على
الترتيب ويجوز ان يكون الترتيب فى حقهم ان يعرفوا اولا انهم اهل النار وهذا طريقها ويؤمر بسلوكها ثم اذا
انتهوا الى موقف الحساب يؤمر بالوقف للسؤال ثم بان يساقوا منها الى النار وفى حق غيرهم لايبدأ بتعريف
طريق الجحيم وانما يساقون الى الموقف ثم يقفون الى ماشاء الله وانما يبدأ به فى حقهم تعجيلا لمساءتهم وحسرتهم
وقيل يجوز ان يكون المراد بالسؤال فى قوله وقفوهم انهم مسئولون مايذكر بعده وهو قوله مالكم لاتناصرون بل
تقادون الى سوقكم الى النار فعلى هذا يكون هذا الموقف ومايكون فيه من السؤال غير موقف الحشر ومافيه
فلا يرد ماذكر ايضا ولعل مايوجد فى بعض النسخ من قوله مع جواز ان موقفه متعدد بدل قوله مع جواز ان يكون
موقفه فقوله والواو لاتوجب الترتيب جواب عما يقال كيف ذكر قوله وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم
الى صراط الجحيم مع انه انما يكون الحبس والسؤال قبله وقوله مع جواز اى جواز ان يكون سبب الوقف فى هذا
الموقف هو هذا السؤال وموضعه الجحيم وهذه النسخة اقرب واوجه وما اشار اليه المصنف من الايراد وجوابه
انما يرد ان لو كان المراد بقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم سوقهم الى الموقف وهم واقفون عقيب مابعثوا من
قبورهم وكان فاء التعقيب فى فاهدوهم للدلالة على ان مضمون الهداية الى صراط الجحيم واقع عقيب الحشر الى
الموقف بحسب الزمان فيرد ان الوقوف للسؤال واقع بينهما فلم اخر عنهما ﴿قوله وهو توبيخ﴾ اى لوم لهم بالعجز
عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا اى متناصرين وهو تعريض لابى جهل فانه قال يوم بدر نحن جميع
منتصرون فقيل له يوم القيامة مالكم غير منتصرين والتعريض خلاف التصريح يقال عرّضت لفلان وبفلان
اذا قلت قولا وانت تعنيه والتقريع التعنيف ﴿قوله منقادون﴾ يقال استسلم الشئ اذا انقاد له وخضع والمعنى
بل هم اليوم اذلاء لاحيلة لهم فى دفع تلك المضار يقال اسلمه اى خذله والتسالم التصالح وما فى مالكم استفهامية
فى موضع رفع بالابتداء وخبره لكم ولاتناصرون فى موضع النصب على انه حال من الضمير المجرور فى لكم وعامله
معنى الاستقرار فى لكم ﴿قوله عن اقوى الوجوه﴾ ذكر لليمين ثلاثة اوجه الاول انه مستعار من يمين الانسان
التى هى اقوى العضوين واشرفهما وانفعهما استعيرت لاقوى الوجوه واشرفها وانفعها تشبيها لها بذلك العضو
فى القوة والشرف والنفع ومعنى قول الاتباع لرؤسائهم انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى عن اقوى الوجوه واشرفها
وهو الدين او خيرها وانفعها انكم تأتوننا مظهرين لنا ذلك وترون ان اقوى الوجوه وانفعها ماتضلوننا به وتدعوننا
اليه وترونا ان مقصودكم الدعوة الى اقوى الوجوه قال الزجاج تأتوننا عن اليمين اى من قبل الدين فتروننا ان الدين
الحق ماتفتنوننا به وقيل معنى قولهم اتاه عن اليمين انه اتاه من قبل الخير وناحيته فصدّه عنه واضله فالمعنى قال

(وما كانوا يعبدون من دون الله) من
الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم
وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على
ان الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى
صراط الجحيم) فعرّفوهم طريقها ليسلكوها
(وقفوهم) احبسوهم فى الموقف
(انهم مسئولون) عن عقائدهم واعمالهم
والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان
يكون موقفه (مالكم لاتناصرون) لاينصر
بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع
(بل هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم
وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام
طلب السلامة او متسالمون كأنه يسلم بعضهم
بعضا ويخذله (واقبل بعضهم على بعض)
يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء
(يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ
ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين) عن اقوى الوجوه وايمنها
اوعن الدين او الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح
فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان
الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما
ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة
والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف
فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق
(قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين) اجابهم
الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين
فى انفسهم وثانيا بانهم مااجبروهم على الكفر
اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه
لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان

(فحق علينا قول ربنا انا لذآئقون فاغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لامحيص لهم عنه وان غاية مافعلوا بهم انهم دعوهم الى الغيّ لانهم كانوا على الغيّ فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغوآء غاو فمن اغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليها (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) ردّ عليهم بان ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذآئقوا العذاب الاليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم منه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار

الاتباع للقادة انكم كنتم في الدنيا تأتوننا من قبل الدين والحق والطاعة فتضلوننا عنها وتنفروننا عن امر الشريعة وقول المصنف كانكم تنفعوننا نفع السانح صريح في ان مراده المعنى الاول والسانح ماَمرّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تتيمن به فان ماَمرّ من جهة يسارك الى يمينك يعرض عليك يمينه واليمين من اليمن فلذلك يتيمنون به بخلاف البارح وهو ماَمرّ من يمينك الى يسارك فانه يبعد عنك يمينه فيتشاءمون به والثاني انه مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان اليد اليمنى سبب القوّة والقهر عبر بها عنه فيكون قوله تعالى عن اليمين حالا من فاعل تأتوننا اي تأتوننا اقوياء قاهرين فتبعناكم خوفا منكم وكذا في الوجه الثالث وهو ان يكون اليمين بمعنى القسم والحلف اي تأتوننا مقسمين حالفين فتبعناكم اعتمادا على حلفكم وحاصله انكم اضللتمونا فاجابهم الرؤساء بانه انما يصح قولكم اضللتمونا ان لو كنتم في انفسكم على الحق وليس كذلك بل كنتم ضالين في انفسكم ثم قالوا ما كنتم عليه من الضلال والكفر انما كان باختياركم ذلك مع تمكنكم من الايمان وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط وجبر يسلب عنكم ذلك التمكن والاختيار بل ضللتم باختياركم والزمخشري جعل مجموع الكلام جوابا واحدا بان جعل معنى قوله بل لم تكونوا مؤمنين وجعل قوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان بيانا لصحة اختياركم وله وجه ﴿قوله كان امرا مقضيا﴾ مبني على ان يكون قوله انا لذآئقون في محل النصب على انه مفعول المصدر وهو قول ربنا وان القول بمعنى الوعيد وانهم لم يحكوا الوعيد كما هو ولم يقولوا لزمنا قول ربنا انكم لذآئقوا العذاب بل عدلوا عن الخطاب الى التكلم بذلك عن انفسهم وفسر قوله اغويناكم بانهم دعوهم الى الغي وجعل قوله انا كنا غاوين استئنافا لبيان ماتدعو الرؤساء الى دعوة الاتباع الى الغي ﴿قوله وفيه ايماء الخ﴾ اي في قوله انا كنا غاوين من غير ان يتعرض لسبب غوايتهم اشارة الى معنى آخر غير ماذكر وهو انا اي ان الفريقين كانا في علم الله وقضائه غاوين وان غوايتكم في الحقيقة ليست مستندة الى اغوائنا لان كل غواية لو استندت الى اغوآء غاو سابق لزم التسلسل وهو محال لان مجموع الغوايات المندرجة في السلسلة من حيث هو مجموع غير كل واحد منها فله علة خارجة عن السلسلة وتلك العلة هي ماشار اليه فيما قبل بقوله فحق علينا قول ربنا ﴿قوله وقرئ بنصب العذاب﴾ والجمهور على جرّ العذاب باضافة لذآئقوا اليه وهو الوجه عند من قرأ بحذف النون ومن قرأ بنصب العذاب مع حذف النون فانه اجرى النون مجرى التنوين في حذفه عند ملاقاة الساكن كقوله احد الله الصمد وقوله ولا ذاكر الله الا قليلا اصله ولا ذاكر الله بتنوين ذاكر ونصب الله حذف التنوين لالتقاء الساكنين لا للاضافة والا لوجب جرّ اسم الله والرواية بنصبه وذاكر مجرور عطف على مستعتب وهو قول الشاعر

* فذكرته ثم عاتبته * عتابا رقيقا وقولا جميلا * فالفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا *

المعنى ذكرته مابيننا من المودّة ثم عاتبته على فعله القبيح فالفيته اي فوجدته غير راجع بالعتاب عن ذلك ولا تائب عنه فعبر عن عدم التوبة بعدم ذكر الله لان التائب من القبيح لايخلو عن ذكر الله ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كما في قوله * قليل التشكي للمهم يصيبه ﴿قوله وهو ضعيف في غير المحلى باللام﴾ اي حذف النون وتقديره ضعيف عند النحاة بعد حذفه اذا كان فيه الالف واللام كقوله

* الحافظوا عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورآئهم نطف *

ووجه الحذف فيه ان اللام موصول وقد طالت الصلة بنصب المفعول فجاز التخفيف بحذف النون كما حذفت في الموصول في قوله

* ابني كليب ان عميّ اللذا * قتلا الملوك وفككا الاغلالا *

فلما كان حذف النون لاجل التخفيف لم يكن لحذفه تأثير في الحكم فينصب مابعده كما في حال قيام النون واما اذا عرى عن الالف واللام وحذف منه النون فذلك الحذف لايكون الا للاضافة فيجب ان يكون مابعده مجرورا عندهم ﴿قوله وعلى الاصل﴾ وهو اثبات النون ونصب العذاب وهو معطوف على قوله على تقدير النون اي كما قرئ لذآئقوا العذاب بالنصب وحذف النون قرئ لذآئقون العذاب باثبات النون ﴿قوله الا مثل ماعملتم﴾ اي في الدنيا وقد عملتم سيئا وشرا فلذلك جزيتم سيئا وشرا الجزآء اهل الكفر والعصيان مماثل لاعمالهم من حيث ان الجزآء سيئ كالعمل ومن حيث انه على مقدار العمل غير مضاعف عليه ﴿قوله استثناء منقطع﴾ بمعنى لكن والمفهوم من كلام المصنف ان المستثنى منه ضمير تجزون وهم الكفرة كانه قيل وماتجزون ايها الكفرة الاجزآء

مماثلا لعملكم فى المقدار و فى كونه سيئا كالعمل لكن عباد الله المخلصين الموحدين فان جزآءهم يضاعف اضعافا كثيرة تفضلا منه تعالى عليهم فاستثناؤهم من المشركين باعتبار ان جزآءهم مماثل لعملهم و ان جزآء الموحد يضاعف و قيل ان المستثنى منه ضمير لذآئقون اى لكن الموحدون لهم رزق معلوم فى الجنة بدل العذاب الاليم للكفرة و على التقديرين عباد الله المخلصين ليسوا داخلين فى المستثنى منهم وهم المخاطبون الكافرون ﴿قوله و لذلك فسره بقوله فواكه﴾ اشارة الى ان قوله فواكه عطف بيان للرزق وقيل هو بدل منه بدل الكل من الكل بناء على ان رزقهم كله فواكه يأكلونها للتلذذ لا للحاجة لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات وقيل هو بدل البعض من الكل و المقصود من ابداله منه التنبيه بالادنى على الاعلى اى لما كانت الفواكه حاضرة ابدا كان مايؤكل للغذآء اولى بالحضور و قرأ الكوفيون و نافع المخلصين اذا كان فى اوله الف و لام حيث وقع بفتح اللام و الباقون بكسرها و المعنى على الفتح ان الله تعالى اخلصهم و اصطفاهم بفضله و على الكسر انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى ﴿قوله باناء فيه خمر﴾ يعنى ان الكأس يطلق على الزجاجة مادام فيها خمر و الا فهو قدح و اناء وقد يطلق على الخمر نفسها كما فى قول الاعشى

* وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها *
* لكى يعلم الناس انى امرؤ * اتيت المعيشة من بابها *

يقول رب كأس شربتها الطلب لذة الخمر و كأس شربتها التداوى من خمارها لما ذكر الله تعالى مأكل المخلصين ومسكنهم ذكر بعده صفة مشربهم فقال يطاف عليهم و هو فى موضع الحال من المستكن فى على سرر او فى مكرمون اى مطوفا عليهم بكأس و من معين صفة لكأس و تفسيره بقوله اى ظاهر للعيون لكونه جاريا على وجه الارض مبنى على ان المعين اسم مفعول من عانه بعينه اى نظر اليه بعينه و فى الصحاح عنت الرجل اصبته بعينى فانا عائن و هو معين على الاعلال و معيون على الاصل مثل مبيع و مبيوع فهو مفعول من العين بمعنى حاسة الرؤية وقوله او خارج من العيون مبنى على ان المعين مفعول مأخوذ من عين الماء و هو منبعه و مخرجه و الماء المعين اى الذى له عين يظهر و يخرج منها جاريا و المعين بهذا المعنى من صفات الماء فانه الذى ينبع من العين اى يخرج و يجرى و توصيف خمر الجنة به و اطلاقه عليها اما حقيقة بناء على انها تجرى فى الانهار كالماء قال الله تعالى و انهار من خمر و الظاهر ان مايجرى فى الانهار له عين يخرج منها و اما استعارة مبنية على تشبيهها بالماء فى استجماعها لما يطلب منها لكمال لذتها ﴿قوله و كذلك قوله تعالى بيضاء﴾ يعنى انها ايضا من صفات الماء وصفت بها الكأس لصفائها و صفاء مافيها و توصيف الكأس باللذة اما من قبيل توصيف الذات بالمصدر للمبالغة فى اتصافها بمدلوله اى كأس لذيذة كأنها نفس اللذة و اما من قبيل توصيف الشئ بالصفة القائمة به اى بالشئ مثل رجل كرم بناء على ان اللذة تأنيث لذ بمعنى لذيذ و فى الصحاح شراب لذ ولذيذ بمعنى و اللذ النوم فى قول الشاعر * ولذ كطعم الصرخدى تركته * يعنى ان الموصوف المقدر فيه هو النوم لان معنى اللذ هو النوم و الصرخدى الخمر نسبة الى صرخد و هو موضع بالشام ينسب اليه الخمر اى رب نوم لذيذ كطعم الشراب الصرخدى تركته خشية الحوادث ﴿قوله تعالى لا فيها غول﴾ صفة لكأس ايضا و بطل عمل لا و ان تكررت لتقدم خبرها يقال غاله الشئ و اغتاله اذا اخذه من حيث لم يدر قال الواحدى الغول حقيقته الاهلاك و فى الصحاح غاله غولا و اغتاله اهلكه و الغول و الغائلة المهلك و منه الغول بالضم شئ توهمته العرب و لها فيه اشعار كالعنقاء فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبى لا فيها اثم وقال قتادة وجع البطن وقال ابو عبيدة ان تغتال عقولهم وقيل ليس فيها غائلة الصداع لانه قال فى موضع آخر لا يصدعون عنها وقال اهل المعانى الغول فساد يلحق المرء خفية و خمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد منها السكر و ذهاب العقل و وجع البطن و الصداع و البول و لا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة ﴿قوله و قرأ حمزة و الكسائى﴾ ينزفون هنا و فى الواقعة بضم الياء و كسر الزاى و وافقهما عاصم على مافى الواقعة فقط من انزف الشارب اذا ذهب عقله من السكر او نفد شرابه و المعنى انهم لا تذهب عقولهم عنها و لا تنزف خمورهم بل هى باقية ابدا و الباقون بضم الياء و فتح الزاى من نزف الشارب ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر و ذهب عقله و يجوز ان يكون من انزف ايضا بالمعنى المتقدم و من النوادر ان يكون الثلاثى متعديا و اذا نقلته الى باب الافعال يكون لازما نحو نزف الشارب الخمر فانزف هو و نحو كببته فأكب و قشعت الريح السحاب فأقشع ﴿قوله نجل العيون﴾ هو بضم النون و سكون الجيم جمع نجلاء فى الصحاح النجل

(اولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام و تمحض اللذة و لذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة مايقصد للتلذذ دون التغذى و القوت بالعكس و اهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) فى نيله يصل اليهم من غير تعب و سؤال كما عليه رزق الدنيا (فى جنات النعيم) فى جنات ليس فيها الا النعيم و هو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك و كذلك (على سرر) يحتمل الحال او الخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه او فى مكرمون و ان تعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر او خمر كقوله

وكأس شربت على لذة

(من معين) من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون و هو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان مايكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة و كذلك قوله تعالى (بيضاء لذة للشاربين) و هما ايضا صفتان لكأس و وصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب و وزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته *
بارض العدى من خشية الحدثان *

(لا فيها غول) غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده و منه الغول (و لاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف و منزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى و عطف على مايعمه لانه من اعظم فساده كأنه جنس برأسه و قرأ حمزة و الكسائى بكسر الزاى و تابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه و اصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله و نزحت الركية حتى نزفتها (و عندهم قاصرات الطرف) قصرن ابصارهن على ازواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء

بالتحريك سعة شق العين و الرجل انجل و العين نجلاء و الجمع نجل و رجل أعين وامرأة عيناء اى واسعة العين و الجمع فيهما عين و اصله فعل بالضم يقال رجال عين و نساء عين و البيض جمع بيضة و هو المعروف و المراد به هنا بيض النعام والمكنون المصون المستور من كننته اى جعلته فى كنّ وهو الستر و البياض الذى يشوبه بعض من الصفرة احسن الوان الابدان عند العرب قال ذو الرمّة * بيضاء فى برج صفرآء فى غنج * كأنها فضة قدمسها ذهب * وقيل شبهت المرأة ببيض النعام فى تناسب اجزآئها فان البيضة من اىّ جهة اتيتها كانت فى رأى العين متناسبة الاجزآء و قد لاحظ بعض الشعرآء هذا المعنى حيث قال

* تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى * لهن اختلافا بل اتين على قدر *

وقيل فى معنى المكنون انهنّ عذارى صحيحات مصونات عن الكسر قال الفرزدق

* خرجن الىّ لم يطمثن قبلى * وهنّ اصح من بيض النعام *

وذكر المكنون مع انه صفة جمع فينبغى ان يؤنث نظرا الى اللفظ ﴿قوله و مابقيت من اللذات الا﴾ اشار بايراد هذا البيت الى ان عادة العرب الحديث على الشرب و الاحاديث جمع حديث و هو الخبر قل اوكثر على غير القياس ﴿قوله وقرئ بتشديد الصاد﴾ اى و الدال و معناها انك من الذين يعطون الصدقة و هذا المعنى لا يناسب قوله أئذا متنا و كنا ترابا و عظاما بل الملائم له ان المصدّقين من التصديق و ان يكون المعنى كان لى قرين يقول انك ممن يصدق بالبعث بعد ان يصير ترابا قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا و قيل كان من الانس و قال مقاتل كانا اخوين و قيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها و اشترى احدهما دارا بالف دينار و اراها صاحبه فقال كيف ترى حسنها فقال مااحسنها ثم خرج فتصدّق بالف دينار و قال اللهم ان صاحبى قد ابتاع هذه الدار بالف دينار و انا اسألك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امرأة حسنة بالف دينار فتصدّق هذا بالف دينار لاجل ان يزوّجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفى دينار فتصدّق هذا بالفى دينار رجاء ان يعوضه الله تعالى من بساتين الجنة ماشاء فاطلع شريكه على مافعله بماله فقال اين مالك قال تصدّقت به ليعوّضنى الله فى الآخرة خيرا منه فقال انك لمن المصدّقين لطلب الجزآء فى الآخرة فانكر مافعله فبين الله انه بعد ما يبعثان يوم القيامة يعطى الله المتصدّق دارا من قصور الجنة و بساتين من بساتين الجنة فيتمكن فيها بالبهجة و السرور ثم ان الله يزوّجه من الحور العين و يعطيه ما طلب فى الجنة و هما اللذان قص الله خبرهما فى سورة الكهف بقوله و اضرب لهم مثلا رجلين الآية ﴿قوله اى ذلك القائل﴾ اى الذى قال آنفا انى كان لى قرين قال الواحدى و محيى السنة قال المؤمن لاخوانه فى الجنة هل انتم مطلعون الى اهل النار لننظر و اكيف منزلة اخى فقال اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت فاطلع فرأى اخاه فى وسط الجحيم و قيل ان فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار و ان كان القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يكون المعنى هل تحبون ان تطلعوا و تعثروا على اهل النار لاريكم ذلك القرين المكذب بالبعث فاحب قرينه المسلم ان يراه فاطلع فرأى قرينه المكذب فى وسط الجحيم فان سوآء الجحيم وسطها قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى بذلك لاستوآء المسافة منه الى الجوانب ﴿قوله و عن ابى عمرو مطلعون فاطلع﴾ اصله مطلعونى فحذفت الياء كما تحذف فى رؤس الآى و بقيت الكسرة دليلا عليها فاطلع بضم الهمزة و نصب العين اما على انه ماض مبنى للمفعول او على انه مضارع منصوب بان المقدرة بعد الفاء فى جواب الاستفهام كما فى قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا و قوله مطلعون من اطلعه غيره فاطلع هو و قوله فاطلع بمعنى طلع فان اطلع يستعمل لازما و متعديا يقال طلع علينا فلان و اطلع كاكرم و اطلع بالتشديد ماضيا بمعنى واحد و ان جعل اطلع ماضيا مبنيا للمفعول يكون القائم مقام الفاعل ضمير القائل لاصحابه ماقاله و تكون الهمزة للتعدية فانه يقال طلع زيد و اطلعه غيره و لا يجوز ان يكون القائل فى هذه القرآءة الله عزوجل و لا الملائكة بل هو القائل المذكور او لا يقول لاصحابه فى الجنة هل انتم مطلعون اياى على حال ذلك القرين فاطلع انا يعنى انظروا الى حاله حتى انظر فان نظرى اليه متوقف على نظركم اليه لانه ليس من أدب المجالسة ان يستقل احد الجلساء بامر دون اصحابه و يجوز ان يخاطب ذلك القائل الملائكة و يقول يا ملائكة الله عزّ وجلّ هل انتم مطلعونى على حال قرينى فاطلع انا عليها اقرنائى من اهل الجنة و المعنى اطلعونى لاطلع انا اقرنائى و قال ابو البقاء هذه القرآءة بعيدة جدا لان النون فى مطلعون ان كانت للوقاية فهى لا تلحق الاسماء و ان كانت للجمع فلا تثبت فى حال الاضافة فان اسم الفاعل اذا ذكر بعده ضمير المتكلم او المخاطب لا يذكر معه النون و لا التنوين تقول

(كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون من الغبار و نحوه فى الصفاء و البياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

و مابقيت من اللذات الا *
احاديث الكرام على المدام *

و التعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل و تساؤلهم عن المعارف و الفضائل و ما جرى لهم و عليهم فى الدنيا (قال قائل منهم) فى مكالمتهم (انى كان لى قرين) جليس فى الدنيا (يقول أئنك لمن المصدّقين) يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدّق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزآء (قال) اى ذلك القائل (هل انتم مطلعون) الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم (فاطلع) عليهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف و كسر النون و ضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير و الفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع (فرآه) اى قرينه (فى سوآء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكنى بالاغوآء وقرئ لتغوين و ان هى المخففة و اللام هى الفارقة (ولولا نعمة ربى) بالهداية و العصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها

زيد ضاربي وهما ضارباك وهم ضاربوك ولا يجوز هم ضاربوني ولا هم ضاربونك الا في الشعر الا انه قد قرئ مطلعونِ وجمع بين النون وضمير المتكلم والقياس مطلعيّ بياء مشددة وكسر العين لان الاصل مطلعوي باضافة مطلعون الى ياء المتكلم سقطت النون بالاضافة ثم ابدلت الواو ياء فادغمت كما في مسلميّ وقوله عليه الصلاة والسلام أو مخرجيّ هم * وذكر المصنف لهذه النون وجهين الاول انها نون الجمع وان الحال ليست حال الاضافة فان مطلعون وان كان على صورة الاضافة ليس بمضاف حقيقة لان اصله مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل ورد عليه بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يقال ان المتصل وضع موضعه فانه لا يقال زيد ضارب اياي لانه لا يصار الى المنفصل الا اذا تعذر المتصل ولم يتعذر ان يقال مطلعي وضاربي ويمكن ان يجاب عنه بمنع الاقتدار على المتصل حال ثبوت النون والتنوين قبل الضمير فيصير الموضع للمنفصل فيصح التوجيه المذكور والوجه الثاني ان هذه النون نون الوقاية الا اسم الفاعل شبه في اتصال نون الوقاية بالفعل المضارع لما بينهما من المواخاة كأنه قيل هل انتم تطلعون واصله مطلعونني بنونين نون الوقاية ونون الجمع فحذفت احدى النونين والياء ايضا اكتفاء بالكسرة ﴿قوله انحن مخلدون منعمون﴾ يريد به الاشارة الى المعطوف عليه المحذوف وهو جملة قوله نحن مخلدون منعمون وهي مقدرة بعد الهمزة عطف عليها قوله فما نحن بميتين فقوله عطف على محذوف جواب عما يقال كيف جاز دخول همزة الاستفهام على فاء العطف في قوله تعالى افما نحن بميتين فان همزة الاستفهام تقتضي صدر الكلام وفاء العطف تقتضي وسط الكلام وتقدم شيء يعطف بها ما بعدها عليه فكيف يجتمعان * وتقرير الجواب ان الذي عطف عليه بالفاء مقدر بعد الهمزة اما تقدير مخلدون فقد دل عليه قوله بميتين واما تقدير منعمون فقد دل عليه قوله بمعذبين ﴿قوله ونصبها على المصدر﴾ يعني انه مستثنى مفرغ معرب على حسب العامل اي منصوب بميتين نصب المصدر بالفعل الواقع قبله في مثل قولك ما ضربت زيدا الا ضربة واحدة كأنه قيل افما نحن نموت موتة الا موتتنا الاولى وقيل على الاستثناء المنقطع اي لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا والموتة المستفهم عنها هي ما تكون في الجنة والتي كانت في الدنيا خارجة عنها ﴿قوله كالكفار﴾ فانهم معذبون في حالة يتمنون فيها الموت كل ساعة قيل لبعض الحكماء ما الذي هو شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت ﴿قوله تقريعا له﴾ حيث كان ينكر البعث والثواب الدائم للمطيع ﴿قوله او معاودة﴾ عطف على قوله تمام كلامه يعني ان ذلك القائل لما تم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين على صورة الاستفهام ومقصوده التقرير والتحدث بنعمة الله تعالى عليه والابتهاج والسرور بحاله فان تذكر الخلود في الجنة لذة دونها كل لذة والبجح الفرح يقال بجح به من باب علم وبجحته انا تبجيحا فبجح اي فرحته ففرح ﴿قوله وهو ايضا يحتمل الامرين﴾ اي كونه من كلام ذلك القائل وكونه من كلام الله تعالى ﴿قوله أذلك﴾ اشارة الى الرزق المعلوم المعد لعباده المخلصين وقصة القائل المتعلقة بقرينه ذكرت استطرادا بين الكلامين المتصلين فانه تعالى لما ذكر كرامات المخلصين ومن كراماتهم كونهم على سرر متقابلين وعلى الشراب متحادثين الى ان قال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله أذلك خير نزلا الآية ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الآخر في الخيرية الا انه جاء بهذا الكلام على سبيل السخرية به او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم كان ذلك خيرا في معتقدهم وان الكفار لما اختاروا ما أدى الى شجرة الزقوم كان الواجب ان يكون خيرا في معتقدهم فنسب الخيرية اليها بحسب اعتقادهم اياها في تلك الشجرة وفيما يؤدي اليها فسئلوا عن الافضل منهما وان لم يكن في احدهما فضل في نفس الامر توبيخا للكافرين على سوء اختيارهم وقيل الزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس شيء منه جسم احد تورم فمات فسميت باسم هذه الشجرة الشجرة التي وصفها الله تعالى بقوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ﴿قوله محنة وعذابا﴾ الجوهري قال الخليل الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون ومعنى الآية جعلنا هذه الشجرة عذابا لهم يعذبون بها في النار بان يكلفوا تناولها فيشق عليهم ذلك ويقال فتن الرجل فتونا اذا اصابته فتنة فذهب ماله او عقله وكذلك اذا اختبر وامتحن قال تعالى وفتناك فتونا والفاتن المضل عن الحق والكافرون لما سمعوا ذكر كون هذه الشجرة في النار افتتنوا به في دينهم وتوسلوا به الى الطعن في القرآن والنبوة والتمادي في الكفر فمعنى الآية انا جعلنا ذكر كون هذه الشجرة في النار مما افتتن الكفار به في دينهم ولم يعلموا ان من خلق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجرة لانه اذا جاز ان

(افنحن بميتين) عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم) شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم فيها وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق

يكون فى النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لايجوز مثله فى هذه الشجرة قال الكلبى لما نزلت هذه الآية
قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته
زقينا فأتت بزبد وتمر وقال تزقوا فان هذا الذى يتوعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم ردا
لقولهم انه تمر وزبد وفيه ايماء الى دفع استبعادهم ان تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وذلك ان الشئ انما يهلك
بمصادفة مايخالفه من جهة العنصر والطبيعة ويقوى بما يوافقه فيهما وتلك الشجرة لما نبتت فى ارض جهنم وكان
اصل عنصرها النار لزم ان تبقى فى النار ولاتحترق بها بخلاف سائر الاشجار فانها لما لم تنبت فى النار لم تبق فيها
كالسمك فانه لما تولد فى الماء بقى فيه ولم يغرق بخلاف مالم يتولد فى الماء من الحيوانات فانه لايبقى فى الماء بل يغرق
﴿قوله مستعار من طلع التمر﴾ يعنى ان الطلع موضوع لمايطلع من النخل وهو الكم قبل ان ينشق سمى به التمر
لطلوعه منه كل سنة شبه تمر شجرة الزقوم بتمر النخل فى الشكل او فى الطلوع من الشجر فاستعير اسم المشبه به وهو الطلع
للمشبه وهو تمر شجرة الزقوم ﴿قوله وهو تشبيه بالمتخيل﴾ والتشبيه التخييلى مايكون المشبه فيه مما لاتحقق له
فى الخارج بل لاتحقق الا فى الوهم فالشياطين ورؤسهم وان كانوا موجودين الا انهم غير مرئيين للانسان وليس لهم
بالنسبة الى الانسان صورة محققة فى الخارج ولكنهم اعتبروا صورة قبيحة للشيطان بطريق التخييل وهو اعمال
القوة الواهمة ثم شبهوا به طلع شجرة الزقوم اى تمرها * قال الامام ان الناس لما اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل
والصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة
كمال الفضل فى قول نسوة يوسف ان هذا الا ملك كريم كذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين فى القبح وكراهة النظر
﴿قوله ولعلها سميت بها لذلك﴾ اى لعل ذلك الصنف من الحيات سميت بالشياطين لاشتمالها على الاعراف
وهو جمع عرف وهو ماعلى رقبة الفرس من الشعر فعلى هذا لايكون التشبيه من قبيل تشبيه المحسوس بالمتخيل بل يكون
تشبيها بما له تحقق فى الخارج ﴿قوله لغلبة الجوع﴾ فان المضطر ربما يستريح من الضرر الذى فيه بما يقاربه
فى الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد يجوز ان يفزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول تلك الشجرة مع خشونتها
ونتنها ومرارة طعمها او ان الزبانية يجبرونهم على اكلها تكميلا لعذابهم ﴿قوله اى بعد ماشبعوا منها الخ﴾ اشارة
الى ان المراد من التراخى المستفاد من كلمة ثم التراخى الزمانى بان يمر عليهم بعد غلبة العطش عليهم واستسقائهم
بما يدفع عطشهم زمان طويل زيادة فى عذابهم ثم يغاثون بما هو اضر من الاول ثم يجوز ان يكون المراد به التراخى
فى الرتبة من حيث انه وصف لطعامهم بتلك الكراهة والبشاعة بان شبهه برؤس الشياطين ثم ذكر شرابهم بما هو اكره
وابشع ﴿قوله لشرابا من غساق او صديد﴾ قال المصنف فى تفسير سورة عم والغساق مايغسق اى يسيل
من صديد اهل النار وقيل هو الزمهرير انتهى كلامه ولايخفى ان حمل الغساق على الزمهرير لايستقيم ههنا فتعين حمله
على الصديد ويمنعه ايضا عطف الصديد عليه باو وقيل الغساق الدم والقيح الاسود الذى يسيل من اعضاء اهل النار
والصديد ماء اصفر يسيل منها فيصح العطف حينئذ والحميم الماء الحار المتناهى فى الحرارة والشوب بفتح الشين
مصدر بمعنى الخلط والمزج اخبر الله تعالى فى القرآن ان اهل النار لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا
وقال فى موضع آخر وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم واخبر فى هذه الآية ان لهم بعد ماشبعوا منها لشوبا من حميم
بيان لمايشاب به اى يمزج بشرابهم الحميم فى مقابلة مزج الزنجبيل والكافور والمسك بشراب اهل الجنة قال تعالى
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ويسقون
من رحيق مختوم ختامه مسك وقيل الشوب عام فى كل ماخلط بغيره ويحتمل ان يكون مراد المصنف بقوله والاول
مصدر سمى به هذا المعنى بل هو الاولى فيكون قوله تعالى من حميم صفة لشوبا للتهويل والتفخيم فان الحميم يشوى الوجوه
ويقطع الامعاء ﴿قوله الى دركاتها او الى نفسها﴾ يعنى ان مايفهم من الآية وهو انهم بعد اكل الزقوم وشرب
الحميم يرجعون الى الجحيم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم فاوجه اجاب اولا بان المراد بالجحيم
الدركات التى اسكن كل واحد منهم فى كل واحدة منها وانهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى دركاتهم فانه يذهب بهم
عن منازلهم ودركاتهم الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يملؤا بطونهم ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم فهذا
لاينافى ان تكون شجرة الزقوم فى الجحيم غاية مافى الباب انهما ليسا فى منازلهم وثانيا بانهما خارجان عن الجحيم بناء على
انهما نزل يقدم اليهم قبل دخولها فيأكلون ويشربون ثم يدخلونها ولما كان لفظ الرجوع آبيا عن هذا المعنى فسره

(انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) منبتها
فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
(طلعها) حملها مستعار من طلع التمر
لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع من الشجر
(كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح
والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق
فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها
لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة
او من طلعها (فمالؤن منها البطون) لغلبة
الجوع او الجبر على اكلها (ثم ان لهم عليها)
اى بعد ماشبعوا منها وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم)
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم
يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم
مايشاب به والاول مصدر سمى به (ثم
ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى
دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل
يقدم اليهم قبل دخولها

وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم

ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء
في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم
يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار
بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر
وبحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك
(اكثر الاولين وقد ارسلنا فيهم منذرين)
انبياء انذروهم من العواقب (فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة
والفظاعة (الا عباد الله المخلصين) الا الذين
تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ
بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب
مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب
قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا
آثارهم (ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل
القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين أيس
من قومه (فلنعم المجيبون) اي فاجبناه احسن
الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف
منها ما حذف لقيام ما يدل عليه (ونجيناه واهله
من الكرب العظيم) من الغرق او اذى قومه
(وجعلنا ذريته هم الباقين) اذ هلك
من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة
اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير بنيه وازواجهم (وتركنا عليه في
الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا
الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون
عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول
تركنا محذوف مثل الثناء (في العالمين) متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية
من الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزي
المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من التكرمة
بانه مجازاة له على احسانه (انه من عبادنا
المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا
لجلالة قدره واصالة امره (ثم اغرقنا
الآخرين) يعني كفار قومه (وان من شيعته
لابراهيم) ممن شايعه في الايمان واصول
الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع
او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون
سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات
الله عليهم (اذ جاء ربه) متعلق بما في الشيعة
من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر
(بقلب سليم) من آفات القلوب

بالمصير والدخول وثالثا بانهما خارجان عن الجحيم وانهم يدخلونها ويعذبون فيها فاذا جاعوا جاؤا الى الزقوم واذا
عطشوا جاؤا الى الحميم وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فيسألون ان يردوا الى الجحيم فهم كذلك يردون في العذاب
﴿ قوله ويؤيده ﴾ فيه انه ما الفرق بين المنقلب والمرجع مع ان كل واحد منهما بمعنى العود حتى تكون احدى
القراءتين مؤيدة لهذا المعنى دون الآخر ﴿ قوله والاهراع الاسراع الشديد ﴾ الجوهري قوله تعالى وجاءه قومه
يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا ويحضه على الاسراع وهو بمعنى قول المصنف
كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم يقال ازعجه اي اقلقه وقلعه من مكانه وقوله تعالى ولقد ضل قبلهم تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم باني قد ارسلت قبلك رسلا الى الامم الماضية فكذبهم قومهم فصبروا واستقروا على
دعوتهم الى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك الا البلاغ ﴿ قوله الا الذين تنبهوا بانذارهم ﴾ اشارة الى ان المراد
بالمنذرين الكفار منهم والاستثناء منقطع بمعنى لكنهم نجوا مما اهلكوا به ﴿ قوله فاخلصوا دينهم لله ﴾ تفسير
للمخلصين بكسر اللام على قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر وقد مر ان الباقين قرأوا بفتح اللام وفسره بانهم
الذين اخلصهم الله لدينه اي اصطفاهم لطاعته ﴿ قوله والمقصود خطاب قومه ﴾ لان هذا الكلام يقصد به
الزجر والتعنيف وذلك لا يليق الا بهم ﴿ قوله شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها ﴾ فان قوله ولقد ضل
قبلهم اكثر الاولين الى آخر الآية يدل اجمالا على انه تعالى ارسل الى الاولين رسلا انذروهم من العواقب فلم ينتهوا
بانذارهم فآل امرهم الى شدة وفظاعة والآن شرع في تفصيل قصص الانبياء ووقائعهم فالقصة الاولى حكاية
حال نوح عليه الصلاة والسلام حين نادى ربه ان ينجيه مع من نجا من الغرق وقيل نادى ربه اي استنصره على كفار
قومه وقدر فوالله لدلالة قوله فلنعم المجيبون عليه والفاء في قوله فلنعم المجيبون تدل على ان حصول هذه الاجابة
مرتب على ذلك والحكم المرتب على الوصف المشتق يقتضي كونه معللا به وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص
سبب حصول الاجابة واشار الى ان اللام الداخلة على نعم لام جواب لقسم مقدر والى ان المخصوص بالمدح ايضا
محذوف لدلالة نعم عليه ﴿ قوله اذ هلك من عداهم ﴾ تعليل للحصر المستفاد من قوله تعالى هم الباقين قيل
كان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فلما استوت سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على
الجودي وخرج من السفينة بمن معه مات من كان معه من الرجال والنساء الا هذه الاولاد الثلاثة فتناسلوا وتوالدوا
فالناس كلهم بعد طوفان نوح عليه الصلاة والسلام لم يتناسلوا الا منهم فسام ابو العرب وفارس والروم وحام
ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج ﴿ قوله هذا الكلام ﴾ اشارة الى ان جملة سلام على
نوح في العالمين في محل النصب على انها مفعول تركنا وتقدير الكلام على القول الثاني وتركنا عليه في الامم ثناء
حسنا فحذف المفعول به وبه تم الكلام ثم ابتدأ جل ذكره فقال سلام على نوح في العالمين وهو في المعنى تفسير لمفعول
تركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا هو هذا الكلام وهو سلام من الله عليه ﴿ قوله متعلق بالجار والمجرور ﴾ يعني انه
بدل من قوله في الآخرين وهذا اشارة الى سؤال مقدر وهو انه اذا كان معنى قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين
من الامم ان يسلموا عليه تسليما ويدعوا له فما معنى للعالمين فانه كالتكرار لقوله في الآخرين ومحصول الجواب ان
قوله في العالمين ادل على الشمول والاستغراق من قوله في الآخرين فذكر بعده لئلا يخرج احد ممن يدخل
في العالمين من الملائكة والثقلين من اهل التسليم والدعاء لنوح عليه الصلاة والسلام فمعنى قوله سلام على نوح
في العالمين على ان يكون سلام على نوح مفعول تركنا اي تركنا عليه الدعاء بثبوت هذه التحية له من الملائكة والثقلين
جميعا ﴿ قوله من التكرمة ﴾ علل هذه التكرمة السنية بكونه من اولي الاحسان ثم علل كونه محسنا بان كان
عبدا مؤمنا اظهارا لجلالة محل الايمان ورفعه واصالة امره وجعل الدنيا مملوءة من ذريته وتبقية ذكره الجميل
في ألسنة العالمين ﴿ قوله او غالبا ﴾ اي في غالب الفروع واكثرها فيكون معنى من شيعته ممن شايعه في الشريعة
اصولها وفروعها ويؤيد هذا المعنى قول ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وشيعة الرجل اتباعه
وانصاره من شايعه شياعا اي تبعه وقوله اذ جاء ان كان معمولا لاذكر المقدر كما هو المشهور يكون مفعولا به
له وان كان عامله ما في الشيعة من معنى المشايعة يكون ظرفا له والمعنى ان من شايع نوحا في اصول علم الشريعة
او فيها مطلقا حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم وقيل عليه لا يجوز ان يكون العامل ما في الشيعة من معنى المشايعة
لانه يستلزم الفصل بين المعمول وعامله باجنبي وهو لابراهيم فانه اجنبي من شيعته ومن اذ وايضا لام الابتداء تمنع

او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم (ائفكا آلهة دون الله تريدون) اي أتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او أمنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله (فنظر نظرة في النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم

ان يعمل ما قبلها فيما بعدها فان اللام في لابراهيم لام ابتداء دخلت على اسم ان للفصل بينه وبينها بظرف هو خبر ان ﴿قوله خالص لله﴾ اشارة الى ان المراد من العلائق كل علاقة تكون لغير الله وان سليم يجوز ان يكون بمعنى فاعل اي سالم وخالص وعلى قوله او مخلص له بمعنى المفعول اي بقلب اخلصه الله من الشرك والشك او من التعلق بغيره تعالى ﴿قوله ومعنى المجيء به ربه﴾ يعني ان حقيقة المجيء بالشيء موضع كذا نقله من مكانه وهذا المعنى لا يتصور فيما نحن فيه قال الطيبي ناقلا عن المطلع معنى المجيء به ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه كما يعرف مجيء الغائب وحضوره فضرب المجيء مثلا لذلك انتهى يريد انه شبه اخلاص ابراهيم عليه الصلاة والسلام قلبه لربه ومعرفة الله تعالى كون ذلك الاخلاص منه موجودا بالمجيء بالغائب محضر احد فعرفه واحواله فاستعير هذا التركيب للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وعلى ما ذكره المصنف شبه اخلاص ابراهيم قلبه لله بالمجيء به متحفا اياه فاستعير له ذلك ﴿قوله ماذا تعبدون﴾ استفهام توبيخ وتفريع على تلك الطريقة وقوله آلهة مفعول به لقوله تريدون قدم عليه للعناية لانهم يقدمون الذي شأنه اهم والاهم ببيانه يعني الآلهة ودون ظرف لتريدون وافكا يجوز ان يكون مفعولا له اي اتريدونهم للافك قدم على المفعول به لان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم والافك اسوء الكذب يقال كافحه اذا استقبله بوجهه ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه للايضاح والتبيين * ولما ورد ان الافك معنى والالهة ذوات واعيان فكيف يعبر عن اسم المعنى باسم العين ويبدل منه * اجاب عنه بوجهين الاول انه جعل الآلهة افكا في انفسها للمبالغة في افك من يتخذها آلهة والثاني ان المراد بالآلهة عبادتها وهي اسم معنى كالمبدل منه ويجوز ان يكون حالا من فاعل تريدون او من مفعوله وهو آلهة والمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين او مأفوكا فيها ﴿قوله لكونه ربا للعالمين﴾ فان الحوادث كما تحتاج في حدوثها الى المحدث تحتاج في بقائها الى من يبقيها او يربيها والتربية تبليغ الشيء الى كماله شيأ فشيأ فهي من النعم التي تستوجب شكر من انعم بها وان لا يترك عبادته فلذلك علل المصنف كونه حقيقا بالعبادة بكونه ربا للعالمين واشار بهذا التفسير والتعليل الى ان قوله رب العالمين اريد به لازمه وهو كونه حقيقا بالعبادة مجازا مرسلا او كناية ﴿قوله والمعنى انكار ما يوجب ظنا﴾ يصد او يجوز او يقتضي فالمعنى على الاول انه في حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين وحقيقا بعبادة المكلفين فما الذي افادكم ظنا بما فيه من اوصافه يكون ذلك الظن سببا لاعراضكم عن عبادته الى عبادة الاصنام فمعنى الاستفهام تجهيلهم في حقه تعالى باعتبار الوصف وكذا على الثالث وتقديره انه في حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين مالكا لامورهم متصرفا فيهم بالقهر والقدرة التامة فما الذي افادكم ظنا باتصافه بوصف يقتضي الأمن من عقابه وقد عصيتموه وعبدتم غيره والمعنى على الثاني ما ظنكم برب العالمين اي شيء هو في ذاته وما الذي افادكم ظنا بان حقيقته المخصوصة ما هي حتى جوزتم كون الاصنام ندا له فان ند الشيء ما يشاركه في حقيقته الخاصة وتجويز اشراك غيره به يتوقف على معرفة حقيقته فعلى هذا معنى الاستفهام تجهيلهم في حقه تعالى باعتبار حقيقته الخاصة وعلى التقادير الثلاثة يحصل الالزام وينقطع الكلام وهو ظاهر ويثبت ان الاشراك افك وباطل وهو معنى قوله كالحجة على ما قبله ﴿قوله فرأى مواقعها الخ﴾ اي نظر في عين النجوم ونفسها في السماء ولما لم يكن النظر في نفس النجوم مما يستدل به على شيء من الاحكام جعل نظره اليها ليتوسل الى رؤية احوالها من مواقعها واتصالاتها وهي مما يستدل بها ﴿قوله ولا منع منه﴾ جواب ما يقال من ان النظر في علم النجوم او كتابها غير جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليه * وتقريره انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال بها حرام مطلقا لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه انه مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل مع ان فيه فائدة اخرى وهي انه فعل ما يفعل الناظر في النجوم ليستدل بها على الحوادث من جهتها واراد به ان يوهمهم ان النجوم تدل على انه سيسقم غدا في مخرجه ان خرج معهم الى موضع عيدهم فاراهم انه يريد ان يتخلف عنهم في منزله لئلا يتزايد به ما يحدث بسبب الحركة فوقع عندهم انه كذلك فاعرضوا عنه مولين الادبار فانهم كانوا منجمين يقفون بها على امورهم فعاملهم على مقتضى عادتهم احتيالا للتخلف عنهم فانه عليه الصلاة والسلام لما كلمهم في الاصنام ونهاهم عن عبادتها فلم يقبلوا منه اراد ان يريهم ما قال في الاصنام من انها لا تضر ولا تنفع ولا تقدر ان تدفع عن نفسها من اراد بها سوأ فكيف عن غيرها بان يكسرها وكان يحتال الى ان يخلو بيت الاصنام فراقب الفرصة وانتظر عيدا لهم يخرجون فيه الى الصحراء

جلة فدعوه يومئذ الى الخروج معهم فاحتال للتخلف عنهم بماذكر ﴿ **قوله** على انه مشارف السقم ﴾ متعلق بقوله استدل واشارة الى جواب مايقال انه عليه الصلاة والسلام لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله كاذبا * وتقرير الجواب ان تسمية الشئ باسم مايؤول اليه امره ليس بكذب بل هو واقع فى القرآن والحديث نحو انك ميت وانهم ميتون اى ستموت وسيموتون وقوله عليه الصلاة والسلام * من قتل قتيلا فله سلبه * اى من سيقتل وكما تقول لمن رأيته متجهزا للسفر انك مسافر والعدوى مجاوزة الطاعون والجرب ونحوهما من صاحبه الى غيره ﴿ **قوله** او بصدد الموت ﴾ فيكون سقيما بالفعل بطريق التورية على انه حامل للموت فى عنقه ومن يحمل الطاعون فهو سقيم لحامل الموت اولى روى انه مات رجل فجأة فقيل سبحان الله مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه ﴿ **قوله** من روغة الثعلب ﴾ وهى ذهابه فى خفية وحيلة يقال راغ الى كذا اى مال اليه سرا عبر عن ذهابه اليها بالروغ من حيث انه توسل اليه بان اوهمهم سقمه واعتذر به فى التخلف عنهم روى ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام رآى انهم وضعوا بين يديها طعامهم الذى اصلحوه للعيد وقالوا اذا كان حين نرجع رجعنا وجدنا طعامنا وقد باركت الاصنام فيه فأكلناه مباركا نافعا فلما نظر اليها والى مابين يديها من الطعام قال الاتأكلون فلما لم تجب الاصنام قال مالكم لاتنطقون على وجه الاستهزآء بها واشارة الى انحطاط حالها عن حال عبدتها وهو وان كان خطاب جماد لكنه صح من النبى لانه يعبر عما فى ضميره من الاستدلال على بطلان مايتوهم فيها وعدى راغ الثانى بعلى لما انه مع الضرب المستولى عليهم من فوقهم الى اسفلهم فيكون الاستعلاء حقيقيا او لشرف الفاعل وكراهة المفعول فالاستعلاء مجازى وان كان اليمين بمعنى احدى اليدين يكون ضربا ملابسا باليمين وان كان بمعنى الحلف كانت الباء للسبب ﴿ **قوله** كما شرحه فى قوله ﴾ فى سورة الانبياء من فعل هذا بآلهتنا دفع لما يتوهم من التناقض بين هذه الآية وبين مافى سورة الانبياء من قوله من فعل هذا بآلهتنا فانه سؤال عن الكاسر فيقتضى عدم علمهم بان الكاسر هو ابراهيم فاجيبوا بانا سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر وهذه الآية تدل على انهم ابصروه يضربهم باليمين ويكسرهم فاقبلوا اليه يسرعون ليكفوه فدفعه بما دفع به الزمخشرى حيث قال فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرآئهم فلما رجع الجمهور من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها لتبارك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا اى انقبضوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها قال اولئك النفر على سبيل التورية والتعريض سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم والثانى انه عليه الصلاة والسلام كسرها وذهب ولم يشعر بذلك احد وكان اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس يؤيد الثانى ﴿ **قوله** تعالى يزفون ﴾ حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعلقه بما قبله او بما بعده ﴿ **قوله** من زفيف النعام ﴾ يريد ان اصل الزفيف للنعام وهو اشد عدوها يقال زف الظليم الذكر من النعام يزف بكسر الزاى زفيفا اى عدا واسرع فى المشى مع تقارب الخطو وزف القوم فى مشيهم اى اسرعوا ومنه الآية المذكورة على قرآءة غير حمزة فانهم قرأوا بفتح الياء وكسر الزاى وتشديد الفاء وفسره فى الكواشى بقوله يسرعون فى المشى مع تقارب الخطو فان قرئ بضم الياء مجهولا او معلوما فهو من ازفه غيره اى حمله على الزفيف وقرئ يزفون على وزن يعدون ويزفون على وزن يعزون والحدآء سوق الابل وحملها على سرعة المشى بالنغمات فلما اقبلوا اليه مسرعين ادركوه واخذوه وعاتبوه على كسر الاصنام وقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها فقال لهم على طريق التوبيخ اتعبدون ماتنحتون ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا له عند ذلك لزم ان يكون الشئ الذى لم يكن معبودا اذا حصل فيه آثار تصرفه صار معبودا له وفساد ذلك واضح عند كل من له ادنى تمييز ﴿ **قوله** وما تعملونه الى قوله او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون ﴾ اشارة الى ان ما فى وماتعملون موصولة او مصدرية على ان لايكون المصدر بمعنى الحدث بل بمعنى المعمول وعلله بان المقصود من قوله والله خلقكم وماتعملون الاحتجاج على المشركين فى بطلان عبادة منحوتهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولا العابد لما قدر المعبود ان يصور نفسه ويشكلها وهذا المعنى لايستفاد منه ظاهرا الا بان يحمل ما على احد التفسيرين فانه على كل واحد منهما يكون ماتعملون عبارة عن معمولكم كما ان ماتنحتون فى معنى منحوتكم فتطابق الجملة

وذلك حين سألوه ان يعبد معهم (فقال انى سقيم) اراهم بانه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى واراد انى سقيم القلب لكفركم اوخارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة دآء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة دآء *

(فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة (فقال) اى للاصنام استهزآء (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (مالكم لاتنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء اوان الميل بمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم اولمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن اصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف او يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ماتنحتون) ماتنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وماتعملون) اى وماتعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون

او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان معمولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف اومجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان (فارادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث امرنى ربى وهو الشام اوحيث اتجرد فيه لعبادته (سيهدين) الى مافيه صلاح دينى والى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده اولفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم او يكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالتهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لابه لان صلة المصدر لاتتقدمه ولا يبلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستبعد قبل اوانه اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة

المدعى وهو الانكار لعبادتهم لمنحوتهم ولو كان المعنى والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن الكلام بهذا المعنى حجة عليهم ولم تحصل مطابقة بينه وبين الانكار لعبادتهم لمنحوتهم وقوله وشكلها وان كان بفعلهم اشارة الى وجه جعل الشئ الواحد مخلوقا لله تعالى ومعمولا لهم فانه بحسب جوهره مخلوق لله تعالى وبحسب شكله معمول لهم ولا يلزم من القول بان شكلها بفعلهم استقلال قدرتهم حتى لايكون مخلوقا لله تعالى بل اراد به ان يكون لقدرتهم مدخل فيه حيث كسبوه بمباشرة اسبابه فلا يرد انه جعل الشكل مقابلا للجوهر فى ان احدهما بخلقه تعالى وان الآخر بفعل العبد مع ان جميع الاشياء مخلوقة لله تعالى من جواهر الاشياء واشكالها وغيرهما وانث ضمير جوهرها وشكلها مع رجوعه الى مافى وماتعملونه نظرا الى ان المراد به الاصنام «**قوله** فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم الخ» اشارة الى ان الاحتجاج يستفاد من الآية على تقدير كون ما مصدرية وان المصدر على حقيقته لا بمعنى المفعول بناء على ان المنحوت من حيث انه منحوت يتوقف على فعلهم وهو النحت وفعلهم وهو النحت بخلق الله اى موقوف على خلق الله والفعل الموقوف على خلق الله يستلزم كون المفعول الموقوف عليه كذلك ورجحه على كونها موصولة بانه يستلزم حذف العائد دونه وعلى كون المصدر بمعنى المفعول بانه مجاز «**قوله** وهى شدة التأجج» التأجج والاجيج تلهب النار يقال أجت النار تؤج اجيجا واجتهافتأججت لما اورد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حجة على قومه بكونهم مبطلين فى امرهم ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر للعامة عجزهم ومغلوبيتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما بنوا حائطا من حجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه بالحطب واشعلوه نارا وطرحوه فيها «**قوله** الى مافيه صلاح دينى اوالى مقصدى» الاول مبنى على انه قصد المهاجرة من ارض قومه الى موضع يتجرد فيه لعبادة ربه ولم يعين موضعا بعينه فيؤل معنى قوله سيهدين الى ان يستخار لى موضعا يكون فيه صلاح دينى ويبلغنى اليه والثانى مبنى على انه قصد موضعا بعينه واراد بقوله سيهدين انه سيرشدنى الى مقصودى الذى امرنى ربى بالمهاجرة اليه وهو الشام وهو نشر على غير ترتيب اللف ولم يقل المصنف الى مهاجرى بل قال الى مافيه صلاح دينى لان الصلاح اهم المهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام فالحمل عليه اولى «**قوله** وانما بت القول» اى لم يقل مايدل على الطمع والرجاء لحصول الهداية بل قال مايدل على انه قاطع وجازم بحصولها فان سين الاستقبال تدل على الجزم بوقوع الفعل قال فى المفصل ان سيفعل جواب لن يفعل وذلك لسبق وعد الله تعالى بهدايته بان قال له اذهب من ارض الكفر الى ارض الشام فانى سأهديك فبت القول فى حصول الهداية منه تعالى بناء على وعده بها وحيا بما ذكره «**قوله** لان لفظ الهبة غالب فيه» يعنى ان اغلب مايستعمل فيه لفظ الهبة فى القرآن هو الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال مقاتل لما قدم ابراهيم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لى من الصالحين «**قوله** او يكون حليما» عطف على يبلغ اوان الحلم «**قوله** عليه» اى على حلمهما «**قوله** فلما وجد» اشارة الى ان فى الآية اختصارا والمعنى فبشرناه بما سأله من الولد الصالح فرزقناه اياه فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومصالحه فالسعى مفعول بلغ وهو المشى السريع دون العدو ويستعمل للجد فى الامور وهو المراد ههنا «**قوله** فقيل معه» اى السعى مع ابيه فكلمة مع متعلقة بالسعى المحذوف حذف لدلالة المذكور عليه ومنع تعلقها بالسعى المذكور بناء على ان معمول المصدر لايتقدم عليه ومنع ايضا تعلقها ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعى معا وهو باطل اذ لاشك ان بلوغ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك الحد متقدم على بلوغ ولده اياه ووجه اقتضائه ذلك ان مع للمصاحبة وهى مفاعلة فتكون بين اثنين فيجب ان يكون مدخول مع مشاركا ومقارنا للآخر فى تعلقه بمضمون العامل فى مع ففى قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان يجب ان يكون دخولهما السجن مقارنا لدخول يوسف عليه الصلاة والسلام اياه لايقال فقول بلقيس اسلمت مع سليمان على ماذكر يقتضى كون اسلامهما معا وليس كذلك لانا نقول لايبعد ذلك فلعله عليه الصلاة والسلام وافقها او لقنها «**قوله** وتخصيصه» اى وتخصيص الاب بكون سعى الولد معه والحال ان المقصود بيان قوة الساعى وبلوغه حد السعى ويكفى فى بيان هذا المقصود ان يقال فلما بلغ السعى اى حد السعى من غير ان يقيد السعى بكونه مع ابيه واجاب عنه اولا بمنع كون الاطلاق كافيا فى بيان المقصود لان غير الاب قد يعنف الولد بتكليفه مايشق عليه فبلوغه السعى مع غير الاب لايدل على قوته وبلوغه حد السعى

بخلاف الاب فانه لوفور شفقته و عطفه على ولده لايستسعيه فيمايشق عليه و بلوغ الولد السعي مع ابيه يدل على قوّته اى قوّة الولد و بلوغه حدّ السعي ﴿قوله والاظهر ان المخاطب﴾ اى بقوله يابنيّ واذبحك اختلفت الصحابة و التابعون فى ان الولد المأمور بذبحه اسمعيل او اسحق فمنهم من قال انه اسحق وكانت هذه القصة بالشام ومنهم من قال انه اسمعيل وكانت القصة بمكة و كلا الفريقين روى ماقاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن الامام ابى منصور انه قال لاحاجة بنا الى معرفة ذلك الولد بعينه ولو كان بناحاجة اليه لبين الله عزوجل واحتج المصنف على انه اسمعيل بخمسة وجوه الاوّل انه يفهم من اسلوب الآية ان الذبيح هو الذى وهب له اثر الهجرة وقد ثبت عند اهل التواريخ ان ذلك هو اسمعيل و الثانى انه تعالى لماحكى عن خليله عليه الصلاة و السلام انه استوهب منه ولدا صالحا حيث قال رب هب لى من الصالحين و عقبه بقوله فبشرناه بغلام حليم بالفاء وذكر بعده قصة الرؤيا والذبح واتم القصة بقوله سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين كما اتم بمثله سائر القصص المذكورة فى سائر السور الكريمة ابتدأ بحديث اسحق وبشارته ومايتعلق به بان عطف قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الآية على قوله فبشرناه بغلام حليم ولايخفى ان هذا الاسلوب يدل على ان الذبيح هو الغلام الحليم وان البشارة باسحق بشارة مغايرة للبشارة الاولى وان اسحق غير الغلام الحليم الذى هو الذبيح و الثالث قوله عليه الصلاة السلام «انا ابن الذبيحين» ولايخفى انه عليه الصلاة والسلام ابن اسمعيل لا ابن اسحق ﴿قوله ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة﴾ روى عن عبد المطلب انه حين اخذ فى حفر زمزم وكانت قداندفنت جعلت قريش تهزأ به فقال اللهم ان سقيت الحجيج ذبحت بعض ولدى فلما سق الحجيج منها اقرع بين ولده فخرجت القرعة على عبد الله فقالت اخواله بنو مخزوم افدابنك اى أعط فدآءه وأنقذه من الذبح فجاء بعشر من الابل فاقرع بينها و بين ابنه فخرجت القرعة على ابنه فزاد عشرا فاقرع بينهما فخرجت كذلك على ابنه فلم يزل يزيد عشرا وتخرج القرعة على ابنه الى ان بلغها المائة فخرجت على الابل فنحرها بمكة فى رؤس الجبال وروى انه لما باشر حفر زمزم وليس له يومئذ ولد سوى الحارث نازعته قريش فنذر ان ولدله عشرة نفر ثم بلغوا ان يمنعوه و يدفعوا عنه اذى من يتعرّض له بالسوء لينحرن احدهم عند الكعبة فلما تموا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره فاطاعوه فاقرع بين ولده الى آخر القصة و الرابع ان الذبح و الفدآء كانا بمكة ولم يروان اسحق كان قدم مكة فى صغره و ممايدل على ان الذبح كان بمكة وان الذبيح هو اسمعيل ان قرنى الكبش كانامنوطين بالكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت و احترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال والذى نفسى بيده لقدكان قبل الاسلام ان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقدوحش يعنى يبس رواه محيى السنة والخامس انه تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن ورآء اسحق يعقوب فلمابشرها باسحق بشرها بولادة يعقوب منه نافلة فالامر بذبح اسحق قبل ظهور يعقوب منه خلف لماوعد لها من النافلة فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد فى يعقوب منه وكون الامر بالذبح بعد ولادة يعقوب منه ينافى قوله فلمابلغ معه السعي الآية فانه يدل على ان الامر بالذبح وقع حين كان مراهقا ﴿قوله ومارووى انه صلى الله عليه وسلم﴾ اشارة الى دليل من قال بان الذبيح هو اسحق والى جوابه ﴿قوله مثل ذلك﴾ اى كان فيما كتب اليه من يعقوب اسرآئيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ﴿قوله ماذا ترى﴾ ان قرئ بفتحتين يكون مضارع رأى الذى من الرأى بمعنى الاعتقاد فى القلب ومايخطر به وهو يتعدى الى مفعول واحد وهو ماذا اى فانظر اىّ شئ ترى لامن رؤية العين لانه لم يأمره ان يبصر شيأ وانما امره ان يدبر فى امر عرضه عليه وهو الذبح ويقول فيه برأيه ولامن رؤية القلب المتعدية الى مفعولين لانه لم يكلفه ان يقطع فيما عرضه عليه انه على صفة كذا وانما يسأله عمايبديه قلبه ورأيه اى شئ هل هو الامضاء او التوقف وان قرئ بضم التاء وكسر الرآء يكون من الرأى المذكور ايضا الا انه نقل بالهمزة الى باب الافعال فيتعدى الى مفعولين حذف فى الآية ثانيهما اى فانظر ماترى اباك من الامضاء او التوقف ﴿قوله من الرأى﴾ اى لامن رؤية العين فانه شاور ولده ليعلم رأيه ولم يأمره بان ينظر بعينه ليبصر شيأ ﴿قوله وانما شاوره فيه﴾ يعنى ان المقصود من المشاورة ان يعمل المستشير برأى المستشار فيما اختاره له وذلك انما يتصوّر اذالم يتعين عنده احد الطرفين لا اذا تعين كما فى هذه الحالة فلافائدة فى المشاورة فان الامضاء الذبح متعين عنده اجاب عنه بانه انما شاوره ليعلم ماعنده فان علم منه الجزع و عدم الصبر على الذبح ينصحه ويحمله على الصبر والثبات وان علم منه التسليم

(قال يابنيّ انى ارى فى المنام انى اذبحك) يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبدالله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبدالله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلايناسبها الامر بذبحه مراهقا ومارووى انه صلى الله عليه وسلم سئل اىّ النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرآئيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوآئد من الراوى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه انجزع ويأمن عليه انسلم وليوطن نفسه عليه فيهوّن عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابوعمرو يميل فتحة الرآء وورش بين بين

و الرضى لامر الله تعالى يامن زلته و يباشر الامر لامتثال امر الله تعالى و هو آمن من مخالفته و لان فى تقديم اعلام ما امره الله تعالى به فى حقه على طريق المشاورة تهوينا للبلاء على نفسه من حيث انه حمله على ان يراجع نفسه و من راجع نفسه قبل حكم الله فيها يجدها متوطنة على قبوله و هذا الطريق اقرب فى تهوين البلاء من اخذه على غفلة قائلا انى اذبحك لان الله امرنى بذلك ﴿ قوله فحذفا دفعة ﴾ اى فحذف الجار و المجرور دفعة او حذف الجار اوّلا و وصل الفعل الى الضمير فصار ما تأمره ثم حذف العائد و التقدير افعل امرك على ان الامر بمعنى المأمور به والكاف عبارة عن المأمور ﴿ قوله و لعله فهم من كلامه الخ ﴾ جواب عما يقال من اين علم اسمعيل عليه الصلاة و السلام ان الذبح مأمور به حتى قال افعل ما تؤمر به من وحى *وتقرير الجواب انه فهم من قوله رأيت فى المنام انى اذبحك انى رأيت فيه ما يكون تعبيره ذبحك بان امر بذلك فى منامه او انه علم ذلك باستدلال عقله *وتقريره انه نبى رأى فى منامه انه يعالج ذبح ولده و معلوم عنده ان الانبياء لطهارة نفوسهم و قوة اتصالها بعالم الملكوت لا يجد الشيطان سبيلا الى ان يلقى اليهم الخيالات الباطلة فيكون ما رأوه فى نومهم و تمثل فى نفوسهم و مرآتهم حقا و اقعا قبل ذلك او سيقع بعده و الذبح لم يقع قبل فعلم انه سيقع و انه لا يقدم على مثله الا بامر فلذلك حكم بان الذبح مأمور به فقال افعل ما تؤمر به ﴿ قوله وقيل كبه على وجهه ﴾ اى صرعه فاكب على وجهه و هذا من النوادر فانه يقال افعلت انا و فعلت غيرى يقال كب الله عدوّا لمسلين و لا يقال اكب قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اضجع ابراهيم عليه الصلاة و السلام ابنه على جنبه على الارض قال له الابن يا ابت اشدد رباطى حتى لا اضطرب و اكفف عنى ثيابك حتى ينضح عليها من دمى فينقص اجرى و تراه امى فتحزن و احدد شفرتك و أسرع امرارها على حلقى ليكون اهون علىّ فان الموت شديد فان اتيت امى فاقرأ عليها السلام منى و ان رأيت ان تردّ قميصى الى امى فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عنى فقال له ابراهيم عليه الصلاة و السلام نعم العون انت يا بنى على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله و قد ربطه و هو يبكى و الابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يعمل و روى انه شحذ الشفرة و أمرّها على حلقه فلم تقطع فحدّها مرّتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك و هى لا تقطع شيأ قال السدى ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى على وجهى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى و ادركتك رقة تحول بينك و بين امر الله و انا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين و نودى يا ابراهيم منه قد صدّقت الرؤيا وجواب لما محذوف وقيل جوابه و تله للجبين و الواو زائدة وقيل هو قوله و ناديناه و الواو زائدة ايضا كقوله فلما ذهبوا به و اجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب و اوحينا اليه ﴿ قوله بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴾ اشارة الى الذبح بالكسر اسم لما يذبح كالطحن فانه اسم للدقيق المطحون و بالفتح مصدر و كذا الذبح بالفتح والى جواب ما يقال كيف احتيج الى الفداء و قد اقام الله بذل و سعه فى اتيان مقدمات الذبح و صدق عزمه مقام الذبح حيث قال صدقت الرؤيا فانه يدل على سقوط التكليف بحقيقة الذبح بفعل ما فى حكمه فلا يحتاج بعده الى الفداء لان الفداء انما هو التخليص من الذبح بدله *وتقرير الجواب ان اللازم من قيام فعل ما فى حكم ذبح الولد مقام ذبحه سقوط ذبح ذلك الولد و لا يلزم من سقوط ذبحه سقوط الذبح بالكلية فاذا لم يسقط اصل الذبح فلا بد له من محل يتعلق به و لما لم يتعلق بالولد لزم ان يتعلق ببدله و يتم به الفعل ﴿ قوله قيل كان كبشا من الجنة ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم عليه الصلاة و السلام فتقبل منه فكان مخزونا فى الجنة ﴿ قوله و الفادى على الحقيقة ابراهيم ﴾ لان الفادى من يعطى الفداء لما لزم عليه من حق غيره و ينقذه منه و ذلك هو ابراهيم فانه ذبح الكبش و أنقذ ابنه و الفادى على الحقيقة ليس هو الله تعالى بل هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح و موجبه فاوجه جعله تعالى فاديا فى قوله و فديناه بذبح عظيم يقال فداه اذا اعطى فداءه فانقذه و افتدى منه بذلك اشترى منه نفسه بشئ و المصنف اجاب عنه بوجهين الاوّل ان مبنى الكلام على المجاز فى المفرد بان يكون فديناه بذبح اعطيناه ذبحا و خلصناه بدله و فداءه و الثانى ان مبنى و فديناه على المجاز فى الاسناد من قبيل اسناد الفعل الى الآمر به كبنى الامير ففى كلام المصنف لف و نشر مرتب ﴿ قوله و ليس فيه ما يدل عليه ﴾ اشارة الى ما اورده صاحب التقريب على هذا الاستدلال بقوله فيه نظر اذ ليس فى الآية ذكر النذر و لا لزوم الذبح بل ان الله تعالى تفضل عليه بالفداء و ايضا هو شرع من قبلنا انتهى و اجاب عنه الشارح الطيبى بانه قد روى ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا لله ذبيح و هذا نذر بذبحه و لهذا لما بلغ الغلام معه حدّ السعى قيل له اوف بنذرك فقال لولده انى

والاضافة الى المأمور و لعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق و ان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر و لعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد و الاخلاص و انما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح او على قضاء الله (فلما اسلما) استسلما لامر الله و سلم الذبيح نفسه و ابراهيم ابنه و قد قرئ بهما و اصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه (و تله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض و هو احد جانبى الجبهة و قيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه و كان ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم (و ناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم و الاتيان بالمقدمات و قد روى انه أمرّ السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع و جواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال و لا يحيط به المقال من استبشارهما او شكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله و التوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله و اظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما و احتج به من جوّز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة و السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر و لم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها (و فديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى و اى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة و قيل وعلا اهبط عليه من ثبير و روى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة و الفادى على الحقيقة ابراهيم و انما قال و فديناه لانه المعطى له و الآمر به على التجوّز فى الفداء او الاسناد و استدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة و ليس فيه ما يدل عليه

اري في المنام اني اذبحك على معنى ارى فيه ماتعبيره ذبحك واما لزوم الذبح فلانه لولم يلزم لم يحتج الى الفدآء وشرع من قبلنا اذالم ينسخ فنحن متعبدون به على حسب الخلاف ﴿قوله وبهذا الاعتبار وقعا حالين الخ﴾ جعل الزمخشري هذه الآية نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين في ان الحال في كل واحدة منهما حال مقدرة اذ لم يمكن كونها حالا محققة لان الحال المحققة يجب ان تكون ثابتة لذي الحال وقت تعلق العامل بذي الحال والخلود ليس بثابت للداخلين وقت دخولهم وكذا النبوة ليست ثابتة للمبشر به وقت البشارة وايضا ان المبشر به معدوم وقت وجود البشارة وعدمه يستلزم عدم النبوة والصلاح ايضا لان عدم الموصوف يستلزم عدم الصفة وايضا اذا وجد المبشر به لا توجد النبوة الا بعد زمان مديد فكيف تجعل النبوة حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند صدور الفعل منه او تعلقه به وليس النبوة كذلك اذ لا وجود لها وقت البشارة حقيقة وهو ظاهر ولا تقدر لان التقدير لا يتصور من المعدوم وقوله وبهذا الاعتبار اى باعتبار جعل كل واحد من النبوة والصلاح مقضيا مقدرا وقعا حالين من غير احتياج الى تقدير وجود المبشر به وهو اسحق والمقصود الرد على صاحب الكشاف حيث جعل نبيا حالا مقدرة من اسحق بتقدير المضاف العامل في الحال على ان يكون المعنى وبشرناه بوجود اسحق نبيا اى بان يوجد مقدرة نبوته وبنى كلامه على ان الحال سوآء كانت محققة او مقدرة صفة قائمة بذي الحال عند تعلق العامل وذلك يقتضي وجود ذي الحال عند تعلق العامل به مقارنا لاتصافه بمضمون الحال لان اتصاف شئ بشئ متفرع على وجود الموصوف فلذلك اوجب تقدير المضاف في جعل قوله تعالى نبيا من الصالحين حالين من اسحق فقال المصنف لا حاجة الى ذلك التقدير اذ التقدير مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وهذا القدر كاف في كونهما مقدرتين لان تقدير النبوة والصلاح صفة قائمة باسحق حال تعلق البشارة به فانه كانه مبشر به مقدر النبوة والصلاح ايضا غاية مافي الباب ان يكون لفظ مقدر اسم مفعول من التقدير ولا يكون تقدير النبوة من قبل اسحق بل يكون ممن يبشر به وكون اسحق معدوما وقت البشارة انما ينافي كونه مقدر النبوة والصلاح عند تعلق البشارة به بكسر دال مقدر بخلاف فتح الدال فانه لا ينافي كونه مقدر النبوة وقت البشارة لكن تقدير خلود انفسهم يجوز ان يكون صفة ثابتة لهم وقت الدخول فصح ان تكون حالا مقدرة منهم وكذا كون المبشر به مقدرا نبوته صفة ثابتة له وقت البشارة فجاز كونها حالا مقدرة ايضا ثم اعترض على كون الآية نظير فادخلوها خالدين بناء على ان الحال حلية وصفة لذي الحال فتقتضي محلا موجودا لان الحلية لا تقوم بالمعدوم ولا شك ان المبشر به في الآية معدوم وقت تعلق البشارة به فلا يمكن اتصافه بها لا بحقيقة النبوة ولا بكونها مقدرة في حقه لان ثبوت شئ لآخر فرع ثبوت المثبت له فلا يصح ان تكون النبوة حالا مقدرة ايضا بخلاف الخلود فان الداخلين موجودون حال الدخول فيمكن اتصافهم بتقدير الدخول وان لم يكونوا موصوفين بحقيقة الدخول في ذلك الوقت فافترقا فرقا بينا لان الحالية لها سبيل في احدهما دون الآخر ثم اجاب بان التنظير مبني على تقدير المضاف وجعله عاملا في الحال وهو الوجود لا فعل البشارة ولا خفاء في صحة اتصاف المبشر به وقت تعلق الوجود بكونه مقدر النبوة فصح كون نبيا حالا مقدرة بهذا التقدير مثل كون خالدين حالا مقدرة بهذا التقدير غاية مافي الباب ان تقدير الدخول من قبل ذي الحال وان الداخلين هم الذين قدروا خلودهم بخلاف تقدير النبوة فانه ليس من قبل المبشر به ولا يلزم في الحال المقدرة ان يكون التقدير من قبل ذي الحال فقول المصنف ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها محل بحث واما قوله وبهذا الاعتبار وقعا حالين الخ فكلام حق لا غبار فيه وتقريره ان كون نبيا من الصالحين حالين من المبشر به لا يتوقف على تقدير مضاف هو العامل فيهما وانما يتوقف على اعتبار كون كل واحد من النبوة والصلاح مقدرا مقضيا في حق المبشر به ومثل هذه الاحوال لا يستدعي وجود ذي الحال وانما يلزم وجوده اذا كانت الحال من الصفات الحقيقية لانها هي التي تقتضي وجود موصوفاتها واما الصفات الاعتبارية فلا بل يكفي في وقوعها حالا مقارنة اعتبارها ليتعلق العامل بذي الحال ﴿قوله ومع ذلك﴾ اى ومع ارتكاب تقدير المضاف على الوجه المذكور لا تصير هذه الآية نظير قوله فادخلوها خالدين اقول انها نظيرله في ان الحال في كل واحدة منهما حال مقدرة غاية مافي الباب ان المقدر في هذه الآية اسم مفعول من التقدير وفي تلك اسم فاعل منه والحال المقدرة لا يجب ان يكون التقدير فيها من قبل ذي الحال البتة بل الامر موكول ومنوط بما يقتضيه المعنى والمقام ﴿قوله ومن فسر الغلام باسحق الخ﴾ جواب عما يقال المتبادر من عطف قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا على قوله وبشرناه بغلام حليم ان اسحق غير الغلام الحليم الذي هو الذبيح فكيف يتأول

(وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) سبق بيانه في قصة نوح (كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) لعله طرح منه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير مشروط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته

وفى ذكر الصلاح بعد النبوّة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى اولاده (وعلى اسحق) بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرآئيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبرّكنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله او على نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد مننا على موسى وهرون) انعمنا عليهما بالنبوّة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون او الغرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس ابن ياسين سبط هرون اخ موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف ابىّ وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه او أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون احسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنىّ بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم ورب آبائكم الاوّلين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن ينافيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اذ الظاهر ان الضمير لالياس (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين) سبق بيانه (وانكم) يا اهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه (مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) اى ومساء او نهارا وليلا (الذى)

القول بان الغلام الذبيح هو اسحق وان المبشر به فى البشارتين واحد وتقرير الجواب ان مقتضى العطف تغاير البشارتين وهو حاصل وان فسر الغلام باسحق بناء على ان البشارة الاولى تتعلق بولادته والثانية بنبوّته والمعنى وبشرناه بنبوّة اسحق بعد ما امر بذبحه واخرت البشارة بنبوّته عن الاولى ولا يجوز ان يبشره الله تعالى بولادته ونبوّته معا ثم يأمر بذبحه لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا لانه مع هذا العلم لا يحتمل الامر بالذبح على حقيقته ﴿قوله وفى ذكر الصلاح بعد النبوّة﴾ جواب عما يقال ما فائدة ذكر الصلاح بعد ذكر النبوّة اى مع انها تستلزم الصلاح فان كل نبىّ صالح فذكرها يغنى عن ذكره فاجاب بان الفائدة فى ذكر الصلاح بعد ذكر النبوّة تعظيم لشأنه حيث لم يكتف فى مقام المدح بما يدل عليه التزاما بل مدحه واثنى به عليه صريحا ﴿قوله بالفعل على الاطلاق﴾ جملة حالية اى وايماء بان الصلاح حال كونه ملحوظا على الاطلاق اى مع قطع النظر عن تقييده بكونه صلاح نفسه فقط بل ما يتناوله وصلاح قومه غاية للنبوّة لتضمنها معنى الكمال والتكميل فيكون كمال قومه وصلاحهم غاية لنبوّته وفى اكثر النسخ متعلق بالتكميل اى تكميل الامة بحملهم على الاعمال الصالحة مطلقا فلما تضمنت النبوّة تكميل الامة بالصلاح كان النبى الكامل بالصلاح من جملة الصالحين من الامة بسبب تكميله اياهم بالصلاح الذى هو غاية النبوّة فكان ذكر كونه من الصالحين بعد ذكر نبوّته ايماء بانه الغاية للنبوّة بالفعل على الاطلاق وهو بالباء السببية المتعلقة بالايماء ﴿قوله البليغ فى بيانه﴾ جعل استبان مبالغة أبان بمعنى أوضح بناء على ان الكتاب بكماله فى بيان الاحكام وتمييز الحلال عن الحرام كأنه يطلب من نفسه ان يبينها ويحمل نفسه على ذلك يقال بان الشئ بيانا اى ظهر ظهورا وابانه اى اوضحه ﴿قوله تعالى اذ قال﴾ ظرف لمحذوف اى انه مرسل من المرسلين حين قال لقومه ألا تتقون وهو استفهام بمعنى الامر ثم ذكر ما هو السبب لذلك الامر وهو عبادتهم لبعل ﴿قوله وقيل البعل الرب بلغة اليمن﴾ يقولون من بعل هذه الدار اى من ربها وسمى الزوج بعلا بهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردّهنّ وقال هذا بعلى شيخا ﴿قوله احسن الخالقين﴾ اى المقدّرين فان الخلق حقيقة فى الاختراع والانشاء والابداع ويستعمل ايضا بمعنى التقدير وهو المراد به ههنا لان الخلق بمعنى الاختراع لا يتصوّر من غير الله تعالى حتى يكون هو احسنهم ﴿قوله بالنصب على البدل﴾ او المدح والباقون بالرفع اما على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو الله ربكم واما على ان الجلالة مبتدأ وما بعدها خبره وروى عن حمزة انه كان اذا وصل نصب واذا وقف رفع وهو حسن جدا اذ فيه جمع بين الروايتين ﴿قوله وانما اطلقه﴾ اى اطلق احضارهم ولم يبين ما يحضرون فيه ولم يقيده به اكتفاء بدلالة القرينة عليه وهى التكذيب او لان اطلاقه تقييد له عرفا ﴿قوله مستثنى من الواو﴾ يعنى انه مستثنى متصل من فاعل فكذبوه دلالة على من لم يكذبه فلذلك استثنى ولا يجوز ان يكون مستثنى من ضمير لمحضرون استثناء متصلا لان ضمير محضرون عبارة عن المكذبين فاستثناء المخلصين من ذلك الضمير يستلزم ان يكون المخلصين داخلين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا الكونهم عباد الله المخلصين وجعله منقطعا مع صحة الاتصال من غير تكلف لا وجه له ﴿قوله لغة فى الياس﴾ على ان الياس اسم عبرانى تارة يستعملونه على اللفظ وتارة يزيدون عليه ياء ونونا ولعل لهذه الزيادة وجها عند اهل اللغة كما ان سينا فى قوله تعالى طور سينا وفى قوله تعالى وطور سينين بزيادة الياء والنون وقيل جمع الياس على الياسين جمع السلامة واطلق على نفس الياس ومتبعيه كما يقال المهلبون للمهلب واتباعه وردّه الزمخشرى بانه اذا جمع العلم جمع سلامة او ثنى لزمته الالف واللام لانه اذا جمع وثنى تزول علميته فيقال الزيدان والزيدون والزينبات وقيل الياسين جمع اليامىّ المنسوب الى الياس اصله الياسيين حذفت ياء النسبة كما حذفت فى اعجميين اصله اعجميين ﴿قوله وقيل محمدا او القرآن﴾ عطف على قوله ابا الياس اى قيل المراد بياسين فى قوله آل ياسين سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام على قول من قال يس اصله يا انيسين تصغير انسان اقتصر على نصفه الاخير فكأن المعنى يا آل محمد واتباعه وقوله وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو الليث فى تفسير سورة يس روى عن ابى حنيفة انه قال يس بمعنى محمد وروى معمر عن قتادة قال يس اسم من اسماء القرآن انتهى فالمعنى سلام على آل محمد او سلام على اهل القرآن او اهل غيره من كتب الله والكل بعيد اذ لم يسبق لشئ من ذلك ذكر حتى يقال وتركنا عليه هذه التحية فقوله اذ الظاهر تعليل للبعد وعدم المناسبة ﴿قوله داخلين فى الصباح﴾ اشارة الى ان مصبحين حال من فاعل تمرون وانه من اصبح التامة وقوله بالليل عطف على الحال قبلها اى ملتبسين بالليل والمراد من عطفه عليه اما تخصيص مرور اهل مكة على سدوم بوقت الصباح ووقت المساء

الذى هو خلاف الصباح لا الليل كله او تعميم للاوقات كلها من الليل و النهار و اليه اشار بقوله او نهارا و ليلا

قوله ولعلها وقعت تعليل لتخصيص مرورهم على سدوم بوقتى الصباح والمساء ويحتمل ان يكون وجه التخصيص ان من يسافر فى تلك الديار يكون غالب مشيه فى طرفى النهار فيكون مروره عليها فى احد الوقتين

قوله واصله الهرب من السيد الخ يعنى ان الاباق حقيقة فى هرب المملوك من سيده واطلق على هرب يونس من قومه على طريق الاستعارة تشبيها له بالهرب من السيد حيث لم يأذن له ربه ويجوز ان يكون مجازا مرسلا من قبيل اطلاق المقيد على المطلق كاطلاق لفظ المرسن على انف الانسان روى ان يونس لما دعا قومه الى الله تعالى كذبوه فاخبرهم ان العذاب نازل بهم الى ثلاثة ايام وخرج من بينهم ينتظر هلاكهم فاتاهم مقدمات العذاب فأخلصوا لله تعالى بالدعاء والتضرع بان فرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا الى الصحراء فتضرعوا الى الله تعالى واستغفروه فصرف الله تعالى عنهم العذاب وقبل توبتهم وكان يونس ينتظر هلاكهم و يتفاهو كذلك رأى بعض من مر عليه من اهل تلك المدينة فسأله عن حالهم فقال بخير وعافية فلما علم انهم لم يهلكوا استثقل ان يرجع اليهم مخافة ان ينسب الى الكذب ويعير به فذهب مغاضبا اى مستنكفا خجلا حتى اتى قوما فى سفينة فحملوه معهم وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت ولم تجر فقال ملاحوها يا هؤلاء ان فيكم رجلا عاصيا لان السفينة لا تفعل هذا الا اذا كان فيها رجل عاص فقال البحارون جربنا مثل هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرج سهمه نرميه فى البحر لان غرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس عليه السلام فقال الملاحون نحن احق بالمعصية من نبى الله تعالى ثم اعادوا الثانية والثالثة فخرج سهم يونس عليه الصلاة والسلام فى كل ذلك فقال يا هؤلاء انا والله العاصى فتلفف فى كسائه ثم قام على رأس السفينة فرمى نفسه فى البحر فابتلعته السمكة فاوحى الله تعالى الى السمكة ان لا تكسرى منه عظما ولا تقطعى منه وصلا لانى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وروى ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر اكبر منه فلما استقر فى جوف الحوت احس انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حى فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد فى مثله وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس فى بطن الحوت فسمعت الملائكة فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل فى ارض نصيبين والعراء من التعرى وهو الفضاء والصحراء الخالية عن النبات والاشجار المظلة وقد صار فى بطن الحوت كالفرخ المنتوف لا شعر عليه وقد رق بدنه وضعف بحيث لا يطيق حر الشمس وهبوب الرياح فانبت الله له شجرة من يقطين قال اهل اللغة هو كل شجرة ليس لها ساق ولها ورق عريض وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد هو القرع فكان يستظل بها وقيل كانت وعلة تجيئه ويشرب من لبنها لا تفارقه حتى اشتد وقال مقاتل مر الزمان على الشجرة فيبست فحزن يونس لذلك حزنا شديدا وبكى فاوحى الله تعالى اليه تبكى على شجرة نبتت فى ساعة وتلفت فى ساعة ولا تبكى على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم

قوله فقارع اهل فان المساهمة القاء السهام على وجه القرعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك يقال له بلغت فسبى منهم تسعة اسباط ونصف سبط وبقى سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيب النبى ان ائت حزقيا الملك وقل له يوجه تلقاءهم نبيا قويا امينا فانى القى الرعب فى قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فجاء شعيب الى حزقيا الملك فاخبره بذلك فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك باخراجى وهل سمانى لك باسمى فقال لا ولكنى امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فابى يونس ان يخرج وقال ان فى بنى اسرائيل انبياء اقوياء غيرى فألحوا عليه فخرج يونس من بينهم مغاضبا للنبى وللملك ولقومه فاتى بحر الروم فركبها وفى التيسير انه حين يبست شجرة اليقطين بكى يونس فاوحى الله اليه بكيت على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف فى يد الكفار

قوله داخل فى الملائكة على ان الهمزة فى ألام كالهمزة فى أصبح وأمسى وقوله او آت بما يلام عليه او مليم نفسه * الجوهرى يقال الام الرجل اذا اتى بما يلام عليه ومنه لام فلان غير مليم وفى المثل انى لاثم مليم ابو عبيدة يقال ألمته بمعنى لمته

قوله وقرئ بالفتح اى بفتح الميم على انه اسم مفعول من لام يلوم وهى شاذة والقياس ملوم

ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء (افلا تعقلون) افليس فيكم عقل تعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين) وقرئ بكسر النون (اذ ابق) هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) المملوء (فساهم) فقارع اهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب

الظالمين وقيل من المصلين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه وان من اقبل عليه فى السرآء اخذ بيده عند الضرآء (فنبذناه) بان حملنا الحوت على لفظه (بالعرآء) بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر اونبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) اى فوقه (شجرة) مظلة عليه (من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لايقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره (وارسلناه الى مائة الف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم (اويزيدون) فى مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه اوفجددوا الايمان به بمحضره (فمتعناهم الى حين) الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بماختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين اصحاب الشرآئع الكبرآء واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جاريا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله

مثل مصون لانه من ذوات الواو ولكن من قرأ بالياء اخذه من ابم على كذا مبنيا للمفعول ومثله فى ذلك شيب الشئ فهو مشيب ودعى فهو مدعى والقياس مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو ﴿ قوله وقيل من المصلين ﴾ روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال وهب من العابدين وقال الحسن وما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا ﴿ قوله بان حملنا الحوت على لفظه ﴾ يعنى ان الاسناد فى نبذنا مجازى من قبيل الاسناد الى السبب الحامل على الفعل ﴿ قوله من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه ﴾ تفسير لليقطين كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل روى ذلك عن الحسن ومقاتل وقال البغوى المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين فظهر من هذا القول ان بيان الشجرة باليقطين يرد قول من زعم ان الشجر فى كلامهم مايقوم على ساقه بل الصحيح انه اعم من ذلك وقوله تعالى والنجم والشجر لادليل فيه وهو من قبيل استعمال اللفظ العام فى احد مدلولاته وقيل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له قال الواحدى الآية تقتضى شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين كان مغروسا ومرفوعا لينتفع بظله اذ لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به ﴿ قوله هم قومه الذين هرب عنهم ﴾ فيكون المراد بقوله وارسلناه اليهم قبل الخروج من بينهم بناء على تكذيبهم اياه وقد وعده الله تعالى بانزال العذاب عليهم الى ثلاثة ايام لكفرهم ولاينافيه ذكر الارسال بعد ذكر خروجه من بطن الحوت لان الواو لمجمع المطلق والمعنى ولكنا ارسلناه الى مائة الف او يزيدون فصدقوه بعد مفارقته اياهم حين جاءهم العذاب فمتعناهم اى فصرفنا عنهم العذاب وابقيناهم الى اجلهم المسمى او المعنى وارسلناه اليهم ثانيا بعد خروجه من بطن الحوت بان قلنا له عد اليهم وكن بينهم وسددهم فعاد اليهم فجددوا الايمان به بحضرته وقد آمنوا حين نزول العذاب او المعنى وارسلناه ثانيا الى قوم آخرين ﴿ قوله فى مرأى الناظر ﴾ اشارة الى ان كلمة او لتشكيك المخاطبين وابهام الامر عليهم لا لاشك من المتكلم لاستحالة الشك على الله تعالى ﴿ قوله معطوف على مثله فى اول السورة ﴾ اراد به قوله تعالى فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل عليه انهم عدوا فصل المعطوف عن المعطوف عليه بجملة واحدة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التراكيب فكيف فصله عنه بجمل كثيرة وقصص متباينة واجيب بان الفصل وان كثر مغتفر فى عطف الجمل اذا كانت لفواصل ملائمة للمعطوف عليه موصولا بعضها ببعض وما فى المثال المذكور من عطف المفرد حيث عطف فيه خبزا على لحما ﴿ قوله وساق الكلام فى تقريره الى قوله موصولا بعضها ببعض ﴾ اشارة الى ان كثرة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه لاتمنع صحة العطف اذا كان الفاصل بينهما موصولا بالمعطوف عليه بغير واسطة او بواسطة ووجه الاتصال فى الآية من هذا القبيل يعرف بالتأمل * فان قلت عطف الاستفتاء الثانى على الاول يقتضى ان يكون الاستفتاء الثانى مرتبا على خلق السموات والارض كاستفتاء الاول فاوجهه * قلت وجهه ان تلك الاجرام العظيمة كما دلت على قدرته على البعث دلت على تنزيهه تعالى عن اتخاذ الاناث اولادا وعن خلق الملائكة اناثا ﴿ قوله ثم امر ﴾ كلمة ثم ليست فى موضعها لان المذكور فى النظم الفاء وام فى قوله تعالى خلقنا الملائكة جاز ان تكون منقطعة بمعنى بل التى تكون للانتقال من كلام الى كلام آخر وهمزة الاستفهام للانكار التوبيخى بمعنى اخلقنا الملائكة اناثا وهم حاضرون خلقنا اياهم وجاز ان تكون متصلة معادلة للهمزة حيث كانت التى قبلها معادلة للهمزة معها بمعنى اى التى لطلب التعيين كأن المستفهم يدعى ثبوت احد الامرين عنده ويطلب تعيينه منهم قائلا اى هذين الامرين تدعون احدهما ان تثبتوا لرب العالمين ماتستنكفون منه ولكم ماتشتهون وثانيهما ان تكون الملائكة اناثا وانكم حضرتم خلقنا الملائكة فرأيتم انا خلقناهم اناثا فاذا لم يمكنهم تعيين واحد منهما حصل تبكيتهم وظهر بطلان قولهم نقل عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واحياء من العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح قالوا الملائكة بنات الله تعالى وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات ان الملائكة بنات الله وهو باطل وثانيهما انهم اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس السليم واما الخبر الصادق واما نظر العقل وكل ذلك مفقود اما الحس فظاهر اذ لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد بقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وقوله لم يكن معرفته بالعقل الصرف فان ثبوت لوازم الماهية لها لما لم يكن مشروطا بخصوصية احد الوجودين وكانت ثابتة لها حال وجودها فى العقل ايضا امكن معرفة ثبوتها لها بالعقل الصرف والانوثة من اللوازم الخارجية فلا يمكن معرفة ثبوتها وعروضها الا بالمشاهدة وكذلك الخبر الصادق لان الذين يخبرون من هذا

وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة

الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهو المراد بقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فبان نطالبهم بالدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا ما يدل عليها ظهر بطلان مذهبهم وهو المراد بقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ﴿ قوله لاختصاص هذه الطائفة بهما ﴾ اى لتفردها بهما وهو تعليل لوجه القصر وقوله حيث جعل المعادل بيان انه تعالى قصر الانكار عليهم وقوله لعدم ما يقتضيه تعليل لكون قولهم ولد الله ناشئا عن الافك وهو صرف الكلام عن الحق الى الباطل ﴿ قوله وقرئ ولد الله ﴾ باضافة الولد الى الجلالة على انه خبر مبتدأ محذوف حذف للعلم به اى يقولون الملائكة ولده وقرأ العامة ولد الله على ان ولد فعل ماض مسند الى الجلالة اى اتى بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا والجمهور على فتح همزة اصطفى على انها همزة استفهام دخلت على الافتعال والمقصود من الاستفهام الانكار والاستبعاد يعني اتقولون ان الله اختار البنات على البنين مع نقصانهن ورضي بالاخس الادنى مالكم اى ما اذا حملكم على هذا القول بغير حجة مع انه خلاف مقتضى العقل افلا تذكرون ما ركز في العقول من ان من هو في اعلى مراتب التنزه عما سواه من سمات العجز والنقصان يستحيل في شأنه ان يتصف بما نسبتموه اليه حذفت همزة الافتعال استغناء عنها بهمزة الاستفهام فان شأن همزات الوصل سقوطها في الدرج ﴿ قوله او على الاثبات ﴾ اى او على ان المقصود منه الاخبار لا الاستفهام وذكر له طريقين اضمار القول او ابداله من ولد الله وعلى التقديرين يكون من كلام الكفرة ﴿ قوله ذكرهم باسم جنسهم ﴾ مبني على ما قالوا من اتحاد الجنس بين الجن والملائكة فمن خبث من الجن ومرد وكان شرا فهو شيطان ومن طهر واطاع ربه وكان خيرا فهو ملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولهذا فسر قوله تعالى الا ابليس كان من الجن بقوله اى من الملائكة فهو يجعل الاستثناء في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس متصلا ومن قال بان الملائكة بنات الله تعالى اراد به ذلك الحي منهم وقيل هم خزان الجنة وعلى القول بان الجن اسم جنس بمعنى من له الاجتنان عن الابصار وتحته نوعان الملك والشيطان يكون التعبير عن الملائكة بلفظ الجنة ذكرا لهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذا المرتبة اى حطا من درجتهم ان يبلغوا مرتبة ان يكون بينهم وبين الله تعالى نسبة الولادة وان يثبت له تعالى جنسية جامعة بينه وبينهم مثل ان يقال للرجل انه حيوان فانه وضع منه وتنقيص يقال وضع من فلان اذا حط عن درجته واعترض الامام على تفسير الجنة بالملائكة فقال هذا القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد بالجنة غير ما تقدم ﴿ قوله وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن ﴾ اى تزوج منهم قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن اى ساداتهم وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا وروى ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله وابليس اخوان فالله سبحانه هو الاخ الكريم الخير وابليس هو الاخ اللئيم الشرير وهذا مذهب المجوس القائلين باله الخير واله الشر وعليه فالمراد بالجنة والله اعلم في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هو الشياطين وبالنسب نسب الاخوة وهذه الآية رد وتقبيح لمذهب تلك الطائفة لعنهم الله قال الامام وهو اقرب الاقاويل عندي ﴿ قوله ان الكفرة ﴾ مبني على تفسير الجنة بالملائكة اى والحال ان الملائكة عالمون بان الكفرة القائلين بهذه المقالة مبالغة في تعظيم الملائكة كاذبون معذبون بتلك المقالة والمراد من ايراد هذه الجملة الحالية المبالغة في تكذيب المشركين بعد ما كذبهم بقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث سماهم بالجنة ووضع من قدرهم فهو على اسلوب قولك ان الذى مدحته وعظمته هو الذى يعلم انك كاذب وهو الذى يسعى في نكالك وخزيك ﴿ قوله او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة ﴾ يعني ان فسرت الجنة بالجن المقابل للانس كما في قول من قال بالمصاهرة يجوز ان يرجع ضمير انهم الى الانس المعهودين وهم الكفرة القائلون بالمصاهرة اى والحال ان الانس عالمون بان الذين يعظمونهم كاذبون معذبون ويجوز ان يرجع الى الجن اى والحال ان الجن عالمون بان انفسهم يحضرون النار ويعذبون فيها لان فيهم من آمن بالبعث والجزاء والحساب وصدق النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في سورة الجن ولو كان بينهم وبينه تعالى نسب لما عذبهم وكذا ان فسرت الجن بالشياطين يجوز الامران في ضمير انهم ويكون المعنى كما تقرر في تفسيرها بالجن ﴿ قوله منقطع ﴾ ومعناه ولكن المخلصين ناجون وان فسر ضمير انهم بالانس العام كما اشار اليه المصنف يكون الاستثناء

وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما اولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى او ابدال من ولد الله (مالكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (افلا تذكرون) انه منزه عن ذلك (ام لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته (فأتوا بكتابكم) الذى انزل عليكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) في العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون

متصلا وعلى التقديرين يكون قوله سبحان الله عما يصفون اعتراضا بين المستثنى والمستثنى منه وان كان استثناء من واو يصفون يكون المعنى لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما يليق به ﴿قوله تعالى فانكم وما تعبدون﴾ الواو فيه عاطفة وما موصولة منصوبة المحل عطفا على اسم ان وما انتم عليه ما نافية وانتم اسمها وبفاتنين خبرها وعليه متعلق بفاتنين وضمير عليه لله والجملة صلة من او صفة له وما مع ما اتصل بها في موضع رفع خبر ان والمعنى فانكم ومعبودكم مفسدون للناس اشارة الى ان الفاتن بمعنى المضل والمفسد وان مفعوله محذوف اى ما انتم بمضلين بسبب اغوائكم احدا بحمله على المعصية والجرأة على الله بمخالفته وعصيانه من قولك فتن فلان على فلان امرأته اذا افسدها عليه وحملها على عصيان زوجها ﴿قوله ويجوز ان يكون وما تعبدون الى قوله سادا مسد الخبر﴾ معطوف على معنى ما ذكره في تفسير الآية فكأنه قال الواو في وما تعبدون للعطف وخبران جملة ما انتم عليه بفاتنين ويجوز ان يكون بمعنى مع فحينئذ يكون وما تعبدون سادا مسد الخبر ثم ابتدأ جملة اخرى فقال وما انتم على ما تعبدونه بفاتنين فعلى هذا ضمير عليه لما تعبدون وعدى الفاتن بعلى لتضمنه معنى البعث والحمل اى ما انتم باعثين او حاملين احدا على عبادته على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم والجمهور على كسر لام صال واصله صالي على وزن فاعل من صلى فلان النار يصلى صليا اى احترق فاعل كقاض ثم سقط التنوين حال الاضافة وقرئ صال الجحيم بضم اللام وذكر المصنف لها وجوها ثلاثة الاول ان يكون جمع صال واصله صالون حذف نونه للاضافة وواوه لالتقاء الساكنين فحذفها الكاتب من الخط اتباعا للخط على لفظ الوصل وجاز جمعه مع قوله من هو حملا له على معنى من فان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة منها قوله تعالى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها قوله ومنهم من يستمع اليك ثم قال وجعلنا على قلوبهم ومنها قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى حيث افرد في كان وجمع في هودا او نصارى والثاني ان اصله صائل كما مر ثم قدم لام الكلمة الى موضع عينها فصار صالئ ثم خفف بحذف لام الكلمة بعد قلب المكان فبقيت اللام مضمومة وتجرى وجوه الاعراب على اللام في الاحوال الثلاث ويقال هذا صال ورأيت صالا ومررت بصال فيصير بحسب اللفظ مثل باب من قولك هذا باب ورأيت بابا ومررت بباب ﴿قوله على القلب كشاك﴾ يريد ان صال نظير شاك في مجرد اعتبار المكان فيهما الا في بناء الكلمة ايضا فان صال من المعتل اللام كما ذكر وشاك من الاجوف فان اصله شائك ففعل فيه قلب المكان فصار شاكي فاعل كقاض * قال الجوهري في باب شوك الشوكة شدة البأس والحد في السلاح وقد شاك الرجل يشاك شوكا اى ظهرت شوكته وحدته فهو شائك السلاح وشاكي السلاح ايضا مقلوب منه وقال في باب شك ورجل شاكي السلاح اذا كان ذا شوكة وحدة في سلاحه قال الاخفش هو مقلوب من شائك انتهى قال الطيبي فكأنه لا اتفاق على كون شاكي مقلوبا والثالث ان اصله صالي وهو مفرد كما في الوجه الثاني الا انه حذفت لامه استثقالا حذفا منسيا واجرى الاعراب على عين الكلمة وهذا اسهل من الحذف بعد القلب فانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجرون الاعراب على العين ويعضد هذا الوجه قراءة قوله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون ﴿قوله ويحتمل الخ﴾ معطوف من حيث المعنى على كون جملة قوله الا عباد الله المخلصين استثناء من لمحضرون فان فيه اشارة الى ان الاستثناء من كلام الله اى جملة المستثنى منه وهي قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون من كلام الله تعالى بلا شبهة فيكون ما بينهما من الاعتراض ايضا من كلامه تعالى وكذا قوله فانكم وما تعبدون الخ وذكر ههنا انه يحتمل ان يكون الجميع من كلام الملائكة حتى تتصل حكاية كلامهم بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون فيكون الكلام من هنا الى قوله وانا لنحن المسبحون قصة واحدة كما قررها بقوله كأنه قال الخ ﴿قوله ثم اعترفوا بالعبودية الخ﴾ وذلك لانهم اذا اعترفوا بتفاوت مراتبهم في المعرفة والقربة والمشاهدة وبتفاوت مواضع عبادتهم في السماء وبتفاوت ما ينتهون اليه من امر الله في تدبير العالم فقد اعترفوا بانهم عبيده لا بناته المعبودون كما زعمت الكفرة وذلك لان التفاوت لا يكون الا لكونهم عبيدا مأمورين مسخرين لحكم الله تعالى غير ان لكل واحد منهم في كل باب امرا لا يتجاوزه الا باذن الله ﴿قوله فحذف الموصوف الخ﴾ يريد ان تقدير قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وما منا احد الا له مقام معلوم على ان احدا مبتدأ والا له مقام صفة ومنا المتقدم خبر المبتدأ قيل عليه ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان الا له مقام ليس صفة للمبتدأ المحذوف ولا منا خبر له بل الحق ان منا صفة للمبتدأ

(فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما انتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قوله ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية (وما منا الا له مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين يعذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها (وانا لنحن الصافون) في اداء الطاعة ومنازل الخدمة

المحذوف وجملة قوله الاله مقام معلوم خبر والتقدير ما احدمنا الاله مقام وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح ولا يجوز كون الاله مقام في موضع الصفة لانهم قدنصوا على ان الالا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها بذلك فارقت غير اذا كانت صفة لتمكن غير في الوصف وعدم تمكن الا فيه وعند الكوفيين هو من قبيل حذف الموصول وابقاء الصلة اى وما منا الا من له مقام معلوم ﴿قوله المنزهون الله﴾ قدّر مفعول المسبحون لان سوق الكلام للانكار على من يجعل بينهم وبينه تعالى نسبا وذلك يقتضى ان يكون مفعول المسبحون مرادا اى كيف يصح ذلك الجعل وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه ننزهه عما لا يليق به ولم يقدّر مفعول الصافين اذ لا دخل لاعتبار تعلقه بمفعوله في الانكار المذكور بل يتم ذلك بان يقال نحن اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم في اداء الطاعة ومنازل الخدمة نصطف فيه على حسب ما امرنا به ﴿قوله وما في ان واللام الخ﴾ جواب عما يقال الآية تدل على حصر الاصطفاف في مواقف الطاعة والتسبيح على الملائكة وما اكتفى بذلك الحصر بل اكد ذلك بان واللام فما وجهه مع ان البشر ايضا يصطفون ويسبحون * وتقرير الجواب ظاهر ﴿قوله وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين﴾ عطف على قوله حكاية اعتراف الملائكة فيكون مرتبطا بقوله تعالى فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يستفتيهم ويسألهم على وجه الانكار والتقريع عن وجه هذه القسمة ثم امره بان يثنى على المؤمنين ويصفهم بالاعمال الصالحة من اداء الصلاة بالجماعات وتسبيح الله تعالى وتنزيهه عن ما اضاف اليه الكفرة مما لا يجوز في حقه وبين ان كل واحد منهم له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في يوم القيامة على حسب عمله الصالح تقريعا للكفرة بان لا منزلة لهم عند ربهم لخلوهم عن الطاعة وتوغلهم في الجهالة ﴿قوله تبارك وتعالى وان كانوا ليقولون﴾ ان هي المخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان والامر اى ان الشان والامر كان كفار مكة ليقولون كذا وكذا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وفي الاتيان بان المخففة واللام الفارقة دلالة على انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه فاكذبين اول امرهم وآخره لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون اردفه بما يقوّى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولقد سبقت كلمتنا ثم فسر الكلمة بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فيجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف او عطف بيان لكلمتنا او منصوبة المحل باضمار اعنى اى هي انهم لهم المنصورون او اعنى بالكلمة هذا الكلام الذى حكمه حكم الكلمة المفردة من حيث ان كلماته انتظمت لمعنى واحد كانتظام حروف الكلمة المفردة والحاصل ان كلماته لما اجتمعت وتضامت صارت كأنها شئ واحد ﴿قوله وهو باعتبار الغالب﴾ جواب عما يقال ما وجه الحصر المستفاد من هذه الكلمة وقد غلبوا في بعض الاوقات * وتقرير الجواب ان حصر الغلبة والنصرة فيهم مبنى على ان الغالب كونهم منصورين غالبين والحكم للغالب وذلك لان المقضى بالذات انما هو ذلك وما وقع في بعض الاحيان من الانهزام انما كان لعارض ادّى اليه فان الانهزام من قبيل القضاء المعلق بما يليق بهم كمخالفة امرهم الوالى وطمع الدنيا والعجب والغرور وامثال ذلك ولا شك ان ما وقع لعارض قليل بالنسبة الى ما هو المقضى بالذات ويمكن ان يقال انهم هم المنصورون في الدنيا على اعدائهم بكونهم مؤيدين بالحجج القاطعة الدالة على صدقهم وحقية امرهم وانهم هم الغالبون بها عليهم في الدنيا كما انهم غالبون عليهم في العقبى بالسعادات الابدية ولا ينافى كون الاستيلاء والغلبة الظاهرة للكفار على ندرة لحكمة اقتضت ذلك ﴿قوله والمراد بالامر الخ﴾ جواب عما يقال ان الامر بابصارهم يقتضى حصول الحالة وقت الامر بالابصار والحالة التي تنالهم حينئذ ليست موجودة وقت الامر بل هي منتظرة بعده فما وجه الامر بابصارهم ﴿قوله وسوف للوعيد لا للتبعيد﴾ كما تقول اصبر سوف ترى حالك تريد به التخويف والوعيد لا التسويف والتبعيد اذا قلته وانت بصدد الايذاء والعقاب * فان قلت ان كونها للوعيد لا ينافى كونها للتبعيد مع صحة معنى التبعيد هنا ايضا فان ما قضى له عليه الصلاة والسلام من التأييد والنصرة وثواب الآخرة جاز استبعاده فما معنى قوله لا للتبعيد * قلت لما حمل سوف على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين ان لا تكون للتبعيد لانها لو كانت للتبعيد لما فهم منها معنى الوعيد لانا لا نقول بعموم المشترك ﴿قوله شبهه بجيش الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم استعارة تمثيلية شبه حال العذاب النازل بهم بعدما انذروا به فانكروه بحال جيش انذر بهجومه قومه بعض نصحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فاغارهم وقطع دابرهم فان ذلك التعبير حقيقة في هذه الهيئة المشبه بها فاطلق على الهيئة الاولى مجازا على طريق التمثيل وما نقل عن الفراء من ان العرب تكتفى

(وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدى الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له عن السوء (وان كانوا ليقولون) اى مشركوا قريش (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) كتابا من الكتب التي نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها في معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وابصرهم) على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدامه (فسوف يبصرون) ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد (افبعذابنا يستعجلون) روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب

(فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له اولمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ما افاض عليهم وعلى ما اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿ سورة ص مكية وآيها ست ﴾
﴿ او ثمان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين

بذكر الساحة عن القوم يدل على ان التصرف فى لفظ الساحة وماذكره المصنف ابلغ فى افادة التهويل واحسن موقعا فى النفوس ثم اشار الى ان ساء فعل ذم بمعنى بئس وان المخصوص بالذم محذوف وهو صباحهم واللام فى المنذرين للجنس لا للعهد ليحصل به التفسير بعد الابهام فلو حملت على العهد لا يحصل ذلك فان افعال المدح والذم موضوعة للمدح العام والذم العام اى لمدح المخصوص وذمه بجميع محاسن جنس الفاعل وقبائحه وذلك انما يكون بكون الفاعل معرفا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بها نحو نعم صاحب القوم زيد ﴿ قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ﴾ اسم فاعل من بيت العدو اذا اوقع بهم ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا فالجيش المبيت هم الذين ساروا نحو العدو ليلا فوصلوا ديارهم ومنازلهم وقت الصباح فاوقعوا بهم من النهب والغارة ماشاؤا فيه فصباح الجيش المذكور وقت غارتهم فان عادة المغيرين ان يغيروا صباحا فلذلك خص الصباح بالذكر وان لم يتعين ان يكون نزول العذاب بهم فى ذلك الوقت ولما تضمن قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ان يكون الصباح زمان غارتهم فى الاهم الاغلب ايده ونوره بانهم سموا الغارة صباحا وان وقت وقتا آخر تسمية للشئ باسم زمانه ومحله ﴿ قوله تأكيد الى تأكيد ﴾ يعنى انه كرر قوله فتول عنهم حتى حين على انه تأكيد منضم الى تأكيد فانه ذكر اولا تأكيدا للوعد المذكور بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فان معناه اترك مقالة الكفار ثقة بما وعدناه من اظهار الاسلام على سائر الاديان وغلبة المسلمين فهو تأكيد للوعد السابق وذكره ثانيا تأكيدا الى تأكيد ويحتمل ان يكون معنى كل واحد مما ذكر ثانيا من قوله وتول عنهم حتى حين وقوله وابصر فسوف يبصرون تأكيدا لما ذكر اولا بضم احدهما الى الآخر وقوله واطلاق بعد تقييد يعنى ان قوله اولا وابصرهم قيد بالمفعول فيكون قوله فسوف يبصرون مقيدا ايضا وان لم يذكر المفعول لدلالة المقام وفى هذه الآية اطلق كل واحد من الفعلين عن التقييد بالمفعول للتعميم ﴿ قوله لاختصاصها به ﴾ ادخل الباء على المقصور عليه يريد ان الرب بمعنى المالك فمعنى رب العزة صاحبها ومالكها فيفهم من اضافته اليها اختصاصها به وليس المراد ان الاضافة من حيث هى تفيد اختصاص المضاف اليه بالمضاف اذ من الظاهر انه ليس كذلك بل المراد بالعكس ﴿ قوله او لمن اعزه ﴾ اشارة الى انه يجوز ان يكون المراد بالعزة العزة المخلوقة الكائنة بعض خلقه لا العزة الذاتية الازلية التى هى من صفاته تعالى فيكون المعنى ان العزة الحادثة وان كانت صفة قائمة بغيره تعالى الا انها مملوكة له مختصة به يضعها حيث شاء قال تعالى وتعز من تشاء والعزة هى الغلبة والقوة وهى لا تكون الا بكون القدرة فى غاية الكمال كما ان الربوبية لا تكون الا بكمال الحكمة والرحمة المستلزمة للعلم والحياة والمشيئة فقوله رب العزة يندرج فيه جملة صفاته الثبوتية كما يندرج فى قوله تعالى سبحان ربك جملة صفاته السلبية لانه تنزيه له تعالى عن جميع مالا يليق بالالوهية ومن جملة ما يصفونه به ان له شركاء شفعاء عنده فلما قيل عما يصفون نزه عن الشريك وهو اشعار بالتوحيد ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون النعم المحمود عليها مشتملة على ما انعم الله تعالى به على المرسلين واتباعهم من النصرة على المشركين وكون جند الله هم الغالبين اخره عن التسليم لان المناسب ان يؤخر ما يتعلق بالاتباع عما يتعلق بالمتبوع

﴿ سورة ص ثمانون وثمانى آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ص ﴾ الجمهور على اسكان الدال لان هذه الحروف التى فى اوائل السور فى الاصل اسماء لمسمياتها التى هى عنصر كلامهم وبسائطه موضوعة لتهجى مسمياتها اى لتعديدها باسمائها فان التهجى تعداد الحروف باسمائها ويقال لمسميات حروف التهجى لانها تتهجى اى يتعلق بها التعداد باسمائها وحق الاسماء العارية عن العوامل ان تذكر موقوفة الاواخر ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة والمعادلة والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فالواو فى والقرآن على هذا بمعنى الباء كما اذا كانت للقسم قال الشيخ ابو على وليس فيه اكثر من جعل الواو بمنزلة الباء فى غير القسم وقرئ ايضا بفتح الدال من غير تنوين وذكر فيه ثلاثة اوجه الاول البناء على الفتح كأين وكيف هربا من اجتماع الساكنين واختار الفتحة لخفتها والثانى ان يكون معربا منصوبا بفعل القسم بعد حذف حرف القسم وجعله نسيا منسيا كما قيل فى قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اى من قومه فحذف الجار وجعل كالمنسى واوصل الفعل الى المجرور بنفسه فنصبه فكذا

هنا اذا الاصل اقسم او احلف بصاد فحذف الجار نسيامنسيا واضمر فعل القسم ونصب ص كقولهم الله لأ فعلنّ
بالنصب وامتنع صرف ص للعلية والتأنيث بناء على انها علم للسورة والثالث ان يكون علما مجرورا باضمار حرف
القسم كما تقول الله لأ فعلنّ بالجرّ وفتح في موضع الجرّ لمنع الصرف والفرق بين الحذف والاضمار ان في الحذف
لايبقى اثر المحذوف في المعمول بل يكون المحذوف متروكا اصلا فيتعدى الفعل بنفسه الى المعمول كما في واختار موسى
قومه بخلاف الاضمار فان المضمر وان كان متروكا لفظا فانه باق من حيث الاثر كما في الله لأ فعلنّ بالجرّ ففي مثالنا على
تقدير الحذف والايصال يكون ص منصوبا باقسم نفسه وعلى تقدير الاضمار العمل لحرف الجرّ المقدّر وعمل اقسم
في الجار والمجرور جميعا او في المجرور ولكن بواسطة الجار المقدّر ويجوز ان يكون انتصاب ص على انه مفعول به
لفعل مقدّر على تأويل اقرأ او اتل ص وان يكون فعلا ماضيا من صاد يصيد وبصاد صيدا على معنى صاد محمد قلوب
العباد وقرئ ايضا بالجرّ والتنوين باضمار حرف القسم كقولهم الله لأ فعلنّ الا انه صرف ونوّن لكونه اسما للكتاب
والتنزيل فليس فيه الا العلية ويجوز صرفه على تقدير كونه اسما للسورة ايضا مع تحقق العلية والتأنيث حينئذ لان
التأنيث المعنوي انما يكون متحتم التأثير اذا لم يكن ثلاثيا ساكن الوسط كهند وص ولذلك قرئ بالضم من غير
تنوين على انه اسم للسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اي هذه ص ومنع الصرف للعلية والتأنيث وحاصل كلام
المصنف ان ص اما اسم او فعل من المصاداة وعلى تقدير كونه اسما لايخلو اما ان يكون اسما للحرف او للسورة
او يكون اسما من اسماء الله تعالى وفي تفسير الامام النسفي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قسم باسم من اسماء
الله تعالى وعلى تقدير كونه اسما للحرف لايخلو اما ان يكن ذكره للتحدي وتقدمه دلائل الاعجاز بمنزلة قرع
العصا للايقاظ والتنبيه كأنه قيل تنبهوا ان ماتلي عليكم كلام رب العالمين فاسمعوا واطيعوا حكمه فان كنتم في ريب
منه فأتوا بسورة من مثله من كلام مؤلف من جنس ماتألفون منه كلامكم او يكون ذكره لانه رمز به الى كلام
هو جزؤ منه كقوله قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت وعلى تقدير كونه اسما للسورة وكانت تسميتها به تنبيها على
اعجازها من حيث انها مركبة من جنس ماهو مادّة كلامهم ومع ذلك اعجزتهم معارضتها واتيان مثلها لايخلو
اما ان يكون ذكره لانشاء القسم بمسماه او الاخبار بان هذا ص على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى هذه السورة
التي اعجزت العرب بكمال بلاغتها وفصاحتها والواو في قوله تعالى والقرآن للقسم على جميع هذه التقادير الا اذا جعل
ص مقسما به على ان يكون اسما للسورة او اسما للحرف ويكون قسما بحرف من حروف المعجم او اسما من اسماء
الله تعالى او مفتاح اسمه الصمد او صادق الوعد فان الواو حينئذ تكون للعطف لا للقسم لانهم استكرهوا توارد
القسمين على مقسم عليه واحد قبل مضيّ جواب القسم الاوّل ﴿قوله او الامر بالمعادلة﴾ على التحدي ولم يذكر
مايدل على قوله ان محمدا لصادق على تقدير ان يكون الجواب المحذوف ذلك ولو قال دل عليه مافي ص من الدلالة
على التحدي او الامر بالمعادلة او الرمز الى نحو صدق محمد لكان اولى ﴿قوله او قوله بل الذين كفروا﴾
عطف على قوله مافي ص يريد ان الجواب المحذوف هو قوله ماكفر به من كفر لخلل وجده فيه حذف لدلالة الاصل
عليه فان بل موضوعة لنفي حكم سبق حقيقة او توهما واثبات ماينافضه فينبغي ان يقدّر قبلها ماينافض كون
الكفرة في تكبر عن قبول الحق وهو انه عليه الصلاة والسلام ليس فيه مايوجب الكفر به بل هو نبي صادق فيما
ادّعاه وانما كفر به من كفر لتكبره عن قبول الحق وشقاقه اي خلافه وعداوته له عليه الصلاة والسلام فان بل
تقتضي رفع حكم توهم قبلها واثبات ماينافضه فيكون بل اضرابا عن الجواب المحذوف ان جعل الجواب ما كفر
به من كفر الخ ﴿قوله وعلى الاوّلين﴾ اي على ان يكون دليل الجواب مافي ص من الدلالة على التحدي او من
الدلالة على الامر بالمعادلة يكون الاضراب ايضا من الجواب المقدّر لكن من حيث اشعار ذلك الجواب
بمعنى قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه وكم في قوله تعالى كم اهلكنا مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم
لابتدآء الغاية والمعنى كم اهلكنا من قرن اي من امّة من الامم الخالية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب
وقيل نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب طلبا للخلاص فلم ينفعهم ذلك لانه كان حالة اليأس ﴿قوله اي ليس
الحين حين مناص﴾ اشارة الى ان اسم لا المشبهة بليس محذوف وحين مناص منصوب على الخبرية ووجه من
جعلها مشبهة بالفعل صحة دخول تاء التأنيث عليها ولا التي لنفي الجنس مشبهة بالحرف وهو ان فلذلك تعمل
عملها فلاوجه لدخول التاء عليها ووجه من جعلها نافية للجنس انها كثيرة الاستعمال ولا التي بمعنى ليس

على تأويل الكتاب (والقرآن ذي الذكر)
الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف مذكورا
للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد
او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر
او للعطف ان جعل مقسما به والجواب
محذوف دل عليه مافي ص من الدلالة على
التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز
اولواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله
(بل الذين كفروا في عزة وشقاق) اي ما
كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين
كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق
وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به
وعلى الاوّلين الاضراب ايضا من الجواب
المقدّر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد
بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر
مايحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة
على شدّتهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما
يجب عليهم النظر فيه (كم اهلكنا من قبلهم
من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا
وشقاقا (فنادوا) استغاثة او توبة واستغفارا
(ولات حين مناص) اي ليس الحين حين
مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها
تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم
وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد
المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولاحين
مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره
اي ولا ارى حين مناص

انما تكون فى الشعر فوجب ان يحمل ماورد فى القرآن على الشائع الكثير لا على النادر القليل وان كانت نافية للجنس وعاملة عمل ان يكون انتصاب حين مناص على انه اسمها ويكون خبرها محذوفا والتقدير ولات حين مناص لهم كما تقول لا غلام سفر لك واعرب اسمها لكونه مضافا وقيل هى نافية للفعل المقدّر بعدها وحين مناص منصوب بذلك المقدّر اى لات ارى حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لامرحبا بهم ولا اهلا ولا سهلا اى لا اتوا مرحبا ولا وطئوا سهلا ولا اهلوا اهلا وقرئ برفع حين على انه اسم لا بمعنى ليس وخبرها محذوف اى لات حين مناص حاصلا لهم وقد اشار الى هذه القرآءة وجهها سابقا عند بيان ان لا فى لات هى المشبهة بليس بقوله وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين فمن قرأ بنصب حين جعلها محذوفة الاسم ومن قرأ برفعه جعلها محذوفة الخبر وقوله اومبتدأ وجه ثان لقرآءة الرفع وهو ماشار اليه صاحب الكشاف بقوله وعن الاخفش ان ماينتصب بعدها منصوب بفعل مقدّر وما يرتفع بعدها مرفوع بالابتداء وقوله محذوف الخبر صفة لكل واحد من الاسم والمبتدأ ﴿قوله طلبوا صلحنا﴾ اى طلبوا منا والحال ان الاوان ليس اوان الصلح فاجبناهم ان ليس الحين حين ابقاء ومسالمة وضع البقاء موضع الابقاء كما يوضع العطاء موضع الاعطاء وقيل جاز ان يحمل على الظاهر على انه كناية عن نفى الابقاء وذكر للقراءة بكسر حين وجهين الاوّل ان تجرّه لات كما ان لولا تجرّ الضمائر ذكر فى شرح الرضى فى بحث لعل ان لولا الداخلة على الضمير المجرور حرف جرّ لا متعلق لها عند سيبويه فلم لا يجوز ان تكون لات حين مناص ولات اوان من هذا القبيل وتمام البيت

❁ أومت بكفيها من الهودج ❁	لولاك هذا العام لم أحجج ❁

والثانى يتوقف بيانه على بيان وجه الكسر فى اوان فى البيت المذكور وبيان وجه الكسر فيه يتوقف على بيان كسر اذ فى قوله

❁ جالك ايها القلب القريح ❁	ستلق من تحب وتستريح ❁
❁ نهيتك عن طلابك ام عمرو ❁	لعاقبة وانت اذ صحيح ❁

اى الزم تجملك وحياءك لا تجزع جزعا قبيحا فانى قد نهيتك عن مطالبتك اياها وذكرت لك سبب نهيى عنها وهو سوء عاقبة الهوى ووخامتها وانت اذ ذاك اى فى زمان النهى صحيح القلب فلم تقبل نصحى ولم تنته بنهيى فلا حيلة بعده سوى الصبر الجميل ووجه كسر اذ ان اصله اذ ذاك فحذف ذاك ووضع التنوين موضعه فالتقى ساكنان الذال والتنوين فحرّك الذال بالكسر لانه الاصل فى تحريك الساكن فصار اذ ووجه كسر اوان ان اصله اوان صلح فحذف منه المضاف اليه ووضع التنوين موضعه ثم كسرت النون المفتوحة وان لم يجتمع ساكنان تشبيها لاوان باذ لانه زمان قطع منه المضاف اليه ونوّن عوضا عنه كاذ فصار ولات اوان بالكسر والتنوين اذا تقرّر هذا فنقول ان حين وان لم يكن مقطوعا عن الاضافة منوّنا عوضا عنها حتى يشبه فى ذلك باذ فيكسر حملا عليها الا انه لما كان مضافا الى مناص المقطوع عن الاضافة المنوّن عوضا عنها صار كأنه هو المقطوع المنوّن لتنزيل المضاف والمضاف اليه بمنزلة شئ واحد بسبب الاضافة فلما كان الحين ظرفا منزلا منزلة المقطوع عن الاضافة المنوّن عوضا ناسب فى ذلك لقوله لات اوان فكسر حملا عليه وهو المراد بقول المصنف ثم حمل عليه مناص اى حمل عليه حين فى ولات حين مناص حيث جعل مكسورا مثله وليس محمولا على ظاهره لانه فى صدد بيان وجه القرآءة بكسر حين ولا كلام فى كسر مناص ولو قال ثم حمل عليه حين تنزيلا له منزلة ما اضيف هو اليه اعنى مناص لكان اظهر واسلم من المسامحة ولعل الوجه فى ارتكابها تأييد تنزيل المضاف والمضاف اليه بمنزلة شئ واحد حتى صح لذلك ان يعبر بكل واحد منهما عن الآخر وقوله ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن مبنى على التنزيل المذكور وذلك لان ضمير اضافته راجع الى الحين وهو ليس بمضاف الى غير المتمكن وهو الضمير بل المضاف اليه انما هو مناص فجعل اضافة المناص الى الضمير بمنزلة اضافة الحين اليه بناء على ذلك التنزيل ولما بين وجه كسر حين على وجه ظهر انها ليست بسبب اقتضاء العامل اياها بل كانت كسرة بنائية تعرض لوجه بنائه بقوله ثم بنى الحين الخ فان قيل لما جعل حين بمنزلة المقطوع عن الاضافة كفى ذلك فى بنائه كما ذكر فى بناء قبل وبعد فاى حاجة الى اعتبار كونه مضافا الى غير متمكن فى وجه بنائه قلنا انما يكفى فى بناء الاسم كونه مقطوعا عنها حقيقة مثل قبل وبعد واما كونه بمنزلة المقطوع عنها بناء على اتحاده بما هو مقطوع عنها بوجه ما فلا يكفى ذلك فى كونه سببا بناء وان كفى فى مناسبته باوان فلذلك احتيج فى بنائه الى اعتبار

وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لاحين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله
طلبوا صلحنا ولات اوان ❁
فاجبنا ان لات حين بقاء ❁
اما لان لات تجرّ الاحيان كما ان لولا تجرّ الضمائر فى نحو قوله
لولاك هذا العام لم احجج ❁
اولان اوان شبه باذ ❁
لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن

اضافته الى غير المتمكن اى الى غير المعرب وفى شرح الرضى ومعنى المتمكن كون الاسم معربا وماقيل من ان الاضافة
الى الضمير لاتوجب البناء كما فى غلامك وغلامه يمكن دفعه بان يقال سلمنا انها لاتوجب البناء الا انه لايلزم منه
ان لاتكون مجوّزة له فان مناسبة المبنى تجوّز البناء لكن يرد على ماقيل من ان مناص اذا لم يبن مع كونه مقطوعا
عن الاضافة الى غير المتمكن واجتماع الامرين فيه فلأن لايبنى الحين مع بعده عن غير المتمكن وعدم كونه مقطوعا
عن الاضافة حقيقة اولى ﴿قوله ولات بالكسر﴾ يعنى ان الاكثر تحريك لات بالفتح حال الوصل وقرئ
بكسرها كجير واماحال الوقف فمنهم من يقف كمايقف على الاسماء المؤنثة ومنهم من يقف كمايقف على الفعل الذى يتصل به
تاء التأنيث ﴿قوله ولايرد عليه﴾ اشارة الى ماذكره صاحب الكشاف من ان اتصال التاء بحين فى مصحف
عثمان رضى الله عنه لايدل على زيادتها على حين لانه كم وجد فى المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط فلعل هذا
من جملتها * اجاب عنه المصنف بانه امام المصاحف فالاصل اعتبار خطه والمتابعة له الافيما قام الدليل على مخالفته
مثل ان يوصل فيه الحرف ويدل الدليل على قطعه او يقطع ويقوم الدليل على وصله فاذاثبت هنا ان التاء كتبت
موصولة يحكم بكونها مزيدة عليه اذلادليل على خلافه لجواز ان يكون حين وتحين لغتين بمعنى ويدل عليه قوله
العاطفون تحين لامن عاطف اى حين لامن عاطف ﴿قوله والمناص المنجى﴾ اى موضع النجاة والفوت من
الخصم على انه مفعل من ناصه ينوصه اذا فاته اريد به المصدر ويقال ناص ينوص اى هرب ويقال ايضا ناص
ينوص اى تأخر ومنه ناص عن قرنه اى تأخر عنه جبنا والذى يفهم من تفسير المصنف ان قوله تعالى فنادوا
لم يعتبر تعلقه بالمفعول بل المعنى انهم فعلوا النداء على طريق الاستغاثة او التوبة لطلب النجاة والخلاص من العذاب
والحال ان ليس الحين حين النجاة وقال الكلبى كانوا اذا قاتلوا فاضطرّوا نادى بعضهم لبعض مناص اى عليكم
بالفرار فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيرى فعلى هذا يكون التقدير فنادوا
مناص فحذف لدلالة مابعده عليه وقيل فيكون قدحذف المفعول وهو بعض ماينادون به وهو مناص والتقدير
فنادوا بعضهم بهذا اللفظ ﴿قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر﴾ اى لان او من ان جاءهم لماحكى الله تعالى
عن الكفار كونهم فى عزة وشقاق اتبعهم بذكر كلماتهم الفاسدة فانهم قالوا ان محمدا مساو لنا فى الخلقة الظاهرة
والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل انه يختص من بيننا بهذا المنصب العالى فنسبوه
الى السحر والكذب ثم تعجبوا من دعوته الى التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا فان الاستفهام فيه بمعنى
التعجب ولهذا قالوا ان هذا لشئ عجاب والها مفعول ثان لجعل لانه بمعنى صيّر اى صيرهم الها واحدا فى قوله
وزعمه لان ذلك فى العقل محال اذلايقدر احدان يجعل الجماعة انسانا واحدامثلا ﴿قوله بليغ فى العجب﴾
فان العجاب بمعنى العجيب وهو الامر الذى يتعجب منه الا ان العجاب ابلغ منه والعجّاب بالتشديد ابلغ من العجاب
بالتخفيف كما ان الكرّام مشدّدا ابلغ من المخفف ﴿قوله ولاتمل كل الميل عليهم﴾ اى لاتظلمهم يقال مال عليه
اذاظلمه ﴿قوله ويدين لكم﴾ اى يطيعكم الدين الطاعة ودان له اى اطاعه ﴿قوله قالوا نعم وعشرا﴾
وعد منهم باعطاء تلك الكلمة بشرط ان يتركهم ولايلزمهم العدول عما يدينون ويترك ذكر آلهتهم وقوله عليه
الصلاة والسلام قولوا * لااله الاالله * الزام باعطاء ماوعدوه قبل ان يتحقق منه الترك لان الامر والالزام ينافى الترك
فكيف يصح ان يطلب منهم انجاز ماوعدوه مع الالزام عليهم والجواب ان مقصوده صلى الله عليه وسلم عرض
الكلمة التى يطلبها منهم بعد تركهم وآلهتهم لاالالزام فى الحال * فان قيل ماوجه قوله عليه الصلاة والسلام ان
اعطيتكم ماسألتم من ترك ذكر آلهتكم مع ان اعطاء هذا المسئول اياهم يستلزم ترك ذكر كلمة التوحيد لانها ذكر
لآلهتهم بالنفى وهذه الكلمة لايصح تركها * قلنا لعله عليه الصلاة والسلام اضمر ان لايذكر آلهتهم بصريح اسمائهم
﴿قوله وانطلق اشراف قريش﴾ اشارة الى ان الملأ الاشراف لامطلق الجماعة كما فى الصحاح ويقال
للاشراف ملأ لانهم اذاحضروا مجلسا امتلأت العيون من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم والتبكيت اسكات الخصم
بالفصاحة والزامه بالحجة ﴿قوله قائلين بعضهم لبعض امشوا﴾ بيان لحاصل المعنى لاتقدير لكون ان مفسرة
لمفعول صريح القول المقدر فانه خلاف المشهور فلذلك لم يأت بان فيه ﴿قوله يشعر بالقول﴾ فان ان المفسرة
لاتفسر الامفعولا مقدرا للفظ دال على معنى القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم فان نادينا دال على ان
ان يا ابراهيم مفسر لمفعول مقدّر للفظ دال على معنى القول وذلك اللفظ هو ناديناه وقد يفسر به المفعول الظاهر

ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها
بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال
وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به
فى الامام ولايرد عليه ان خط المصحف خارج
عن القياس اذمثله لم يعهد فيه والاصل
اعتباره الافيما خصه الدليل ولقوله
* العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون
زمان مامن مطعم * والمناص المنجى من ناصه
ينوصه اذافاته (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم)
بشر مثلهم اوامى من عدادهم (وقال
الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير
غضبا عليهم وذمالهم واشعارا بان كفرهم
جسرهم على هذا القول (هذاساحر) فيما
يظهره معجزة (كذاب) فيما يقول على الله
تعالى (أجعل الآلهة الهاواحدا) بان جعل
الالوهية التى كانت لهم لواحد (ان هذا
لشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف
ماأطبق عليه آباؤنا وماتشاهده من ان الواحد
لايفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ
مشدّدا وهو ابلغ ككرّام وكرام وروى انه
لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش
فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقدعلمت مافعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك
لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء
قومك يسألونك السؤال فلاتمل كل الميل
عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذاتسألونى
قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك
والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسألتم
أمعطىّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال
قولوا لااله الاالله فقاموا وقالوا ذلك
(وانطلق الملأ منهم) وانطلق اشراف
قريش من مجلس ابى طالب بعد مابكتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان امشوا)
قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا)
واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتهافلاتنفعكم
مكالمته وان هى المفسرة لان الانطلاق

من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا (ان هذا لشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له اوان هذا الذى يدعيه من التوحيد اويقصده من الرياسة و الترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى اويريده كل احد اوان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه (ماسمعنا بهذا) بالذى يقوله (فى الملة الآخرة) فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا اوفى ملة عيسى عليه السلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ماسمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (ءانزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم اوادون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم مايبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لايصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (ام عندهم خزآئن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزآئن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لامانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لايغلب الوهاب الذى له ان يهب كل مايشاء لمن يشاء

كقوله تعالى اذ اوحينا الى امك مايوحى ان اقذفيه فى التابوت والمختار انه لايجوز ان يفسر به مفعول صريح القول ظاهرا كان اومقدرا وروى عن الزمخشرى انه قال وامافعل القول فيجيئ بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لايقال قلت له ان قم وذلك لان التفسير يقتضى سبق المبهم ليوضحه المفسر ويبين ان المراد به ماهو ولا فائدة فى تقدير مقول القول مبهما ثم تفسيره بنفس المقول بل يتعدى اليه فعل القول اولا فيقال قلت له قم مثلا وقد جوز بعضهم ذلك مستندا لقوله تعالى ماقلت لهم الا ماامرتنى به ان اعبدوا الله وجعل قوله ان اعبدوا الله تفسيرا لما فى قوله ماامرتنى ومامفعول ظاهر لامرتنى الذى فيه معنى القول ولا استدلال بالمحتمل وتمثيل المجوز لتفسيرها لمفعول صريح القول بقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا فقال التقدير قائلا بعضهم لبعض ان امشوا واجيب بان صريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول فى عدم الظهور اوبان انطلق متضمن معنى القول لان المنطلقين من مجلس يتذاكرون ماجرى فيه ويتكلمون به وحاصل الجواب الثانى منع كونه تفسيرا لصريح القول المقدر ببيان انه تفسير لمفعول انطلق باعتبار تضمنه معنى القول ورد عليه ان تضمن انطلق معنى التقاول بما جرى فى ذلك المجلس لادخل له فى كون ان هذه مفسرة لمفعول انطلق وانما يكون ذلك ان لوكان مدخول ان ماجرى بينهم فى المجلس وليس كذلك وسكت المصنف عن تقدير قول المنطلقين بماجرى فى المجلس لئلا يرد عليه ماذكر ولانه لامدخل له فى هذا الغرض اصلا ولاهو لازم للانطلاق عن مجلس التقاول قطعا وانما اللازم بحسب العادة المألوفة ان ينطلقوا متقاولين غير ساكتين فلذلك كان ذلك مشعرا بالقول ومؤديا معناه مثل الامر فى قولك امرتك ان قم فقوله قائلين بعضهم لبعض تصريح بما اشعر به انطلق وبيان لحاصل المعنى لاتقدير للقول ليكون ان امشوا تفسيرا لمفعوله على خلاف المختار وقوله وقيل المراد عطف على قوله لان الانطلاق على انه وجه ثان لكون انطلق دالا على معنى القول مؤديا معناه وتقريره ان ليس المراد بقوله وانطلق الملأ منهم ذهبوا عن مجلس التقاول بل انهم اندفعوا اى خاضوا وشرعوا فى القول وهم حاضرون فى ذلك المجلس فقالوا امشوا اى اكثروا واجتمعوا فان مفسرة له من غير ارتكاب تضمين * الجوهرى مشت المرأة تمشى مشاء بالمد اذا كثر ولدها ومشت الشاة اذا كثر نسلها وناقة ماشية كثيرة الاولاد فقولهم امشوا امادعاء لهم بالكثرة والازدياد اوامر بالاجتماع والاتفاق ﴿قوله وقرئ بغير ان﴾ اى وانطلق الملأ منهم امشوا على اضمار القول اى قائلين امشوا بخلاف مااذا قرئ بان فالقول حينئذ ليس بمقدر بل يشعر به انطلق كامر ﴿قوله فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا﴾ اى يحتمل ان يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش ودينهم الذى هم عليه فانها متأخرة عما تقدم عليها من الاديان والملل ويحتمل ان يراد بها ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هى آخر الملل من اهل الكتاب وعلى التقديرين يكون فى الملة ظرفا لغوا لسمعنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف على انه حال من اسم الاشارة والملة الآخرة بمعنى الملة المترقبة اى ماسمعنا ان تخذ مثل هذا يعنون به توحيد الله تعالى كائنا فى الملة المترقبة ﴿قوله وليس فى عقيدتهم الخ﴾ اشارة الى ان بل هم فى شك اضراب عن انكارهم صدق النبى صلى الله عليه وسلم وكون القرآن من عندالله على سبيل البت والقطع بقولهم هذا ساحر كذاب وان هذا الا اختلاق اخبر اولا انهم يقطعون فى انكار الامرين ثم اضرب عنه وابطل كون ذينك القولين منهم عن اعتقاد وصميم قلب ببيان انهم شاكون مترددون فى حقية القرآن وصدق النبى صلى الله عليه وسلم فحين نظروا الى نظم القرآن واعجازه والى كون النبى صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالمعجزات الباهرة قالوا بحقيتهما وحين نظروا الى لزوم كونهم تابعين بعد ماصاروا رؤساء متبوعين وعسر عليهم الخروج من تقليد الآباء وترك العادات المألوفة قالوا ببطلانهما لكن لا على طريق الجزم وماوقع منهم من صورة البت والقطع فى بطلان امرهما انما حملهم على ذلك توغلهم فى الحسد لاانهم يعتقدون ذلك ويقطعون به لقوله تعالى بل هم فى شك من ذكرى ثم اضرب عن كونهم على الشك ببيان انهم لايستمرون عليه وانمايشكون الى ان يمسهم العذاب ودل على ماقلنا من ان قوله بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن قوله بل هم فى شك من ذكرى قول المصنف فاذا ذاقوه زال عنهم شكهم والانسب ان يكون اضرابا عن مجموع الجملتين السابقتين المبنية احداهما على حسدهم والاخرى على شكهم وهما ان هذا الا اختلاق وبل هم فى شك وقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا تأكيد وبيان لقوله ان هذا الا اختلاق كما فى الكشاف حيث قال فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد فانه لو جعل الاضراب من قوله بل هم فى شك من ذكرى وحده لم يكن لذكر الحسد هنا معنى ﴿قوله بل أعندهم خزآئن رحمته﴾ اشارة

الى ان ام منقطعة بمعنى بل و همزة الاستفهام الانكارى فهو اضراب عن الكلام الاوّل باسلوب مغاير لاسلوب ماسبق عليه من الاضراب فانهم لما حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله تعالى من فضل النبوّة بقولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وحكى الله تعالى ذلك عنهم اضرب عن الحكاية اى انتقل منها الى انكار ان تكون خزآئن الرحمة فى تصرّفهم يقسمونها على من ارادوا واشار باضافة خزآئن الرحمة الى الرب العزيز الوهاب الى اختصاصه به تعالى وانه هو المتصرّف فيها و وصف نفسه بالعزّة وهى الغلبة والقهر ردّا لزعمهم انهم احقاء بالنبوّة منه صلى الله عليه وسلم لشرفهم وترؤسهم يريد ان القاهر على خلقه المتصرّف فى خزآئن رحمته كيف يشاء ليس لاحد ان يمنعه من ذلك يهب لمن يشاء مايشاء ومعنى المبالغة فى صيغة الوهاب الاشارة الى خطر الموهبة وعظم قدرها وهى النبوّة وفى جعلها رحمة موهوبة دلالة على انها ليست بمكتسبة بل هى موهوبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده ﴿قوله ثم رشح ذلك﴾ اى ربى ما افاده قوله ام عندهم خزآئن رحمة ربك نفيا واثباتا بقوله ام لهم الآية فان نفى ملك هذا العالم الجسمانى مع انه بعض خزآئنه يربى ويقوّى انتفاء ملك جميع خزآئنه عنهم بلا شبهة ﴿قوله اى ان كان لهم ذلك﴾ لما برزوا فى صورة من له ملك السموات والارض وتعلقوا بما يتعلق به من تدبير الخلائق وقسمة الرحمة بينهم واشعروا بان عندهم من الحكمة مايميزون به بين من هو حقيق باعطاء النبوّة وبين من لايليق بها قيل لهم على طريق التهكم البليغ ان كان كذلك كما زعموا فليصعدوا فى اسباب الارتقاء الى العرش عن مجاهد وقتادة انه اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وكل مايوصلك الى شئ من باب اوطريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز ﴿قوله وقيل المراد بالاسباب السموات﴾ استدل حكماء الاسلام بهذه الآية على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب الحوادث العالم السفلى لانه تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ماذكرنا ﴿قوله اى هم جند من الكفار﴾ اشارة الى ان جند خبر مبتدأ محذوف ومن الاحزاب صفة ومهزوم خبر ثان له وهنالك صفة اخرى لجند وقيل هو ظرف لمهزوم واشارة الى ان الموضع الذى تقاولوا وتكلموا بالكلمات السابقة فيه هو مكة والمعنى انهم جند من جملة الكفار الذين تحزبوا وتجمعوا على الرسل بالتكذيب سيصيرون منهزمين فى الموضع الذى ذكروا فيه هذه الكلمات اى سيهزمون بمكة وقيل هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل الى يوم الخندق ومعنى الآية على تقدير ان يكون هنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم ان هؤلاء الحمق الذين وضعوا انفسهم فيماهم ليسوا من اهله اى فى مرتبة ان يقولوا ءانزل عليه الذكر من بيننا وهو قول عظيم لاستلزامه الاعتراض على الله تعالى وهو لايليق باحد من خلقه تراهم عن قريب منهزمين فمن اين لهم التدابير الالهية اوفلا تكترث بمايقولون ولاتبال بهم ﴿قوله وقيل للتعظيم﴾ لان ما المزيدة تستعمل تارة للتحقير كما فى قوله تعالى مثلا ما بعوضة وتارة للتعظيم كما فى قوله * وحديث ماعلى قصره * اى حديث عظيم على قصره ثم ان معنى التعظيم لما لم يكن مناسبا للمقام ومحصول الكلام حمله على الهزء والتهكم ثم قال وهو لايلائم مابعده اى جعلها مزيدة للتعظيم على سبيل الهزء لايلائم قوله مهزوم من الاحزاب وانما الملائم له جعلها للتقليل ﴿قوله من الانتداب﴾ بيان لقوله حيث وضعوا فيه انفسهم * الجوهرى ندبه لامر فانتدب له اى دعاه له فاجاب وقوله

* ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد *

يقال غنى بالمكان اى اقام وغنى اى عاش وقبله

* ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وآل اياد *

* جرت الرياح على مقرّ ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد *

وفى الصحاح وبعد اياد بدل وآل اياد والاياد التراب الذى يجعل حول الحوض اوالخيطان يقوّى به او يمنع به ماء المطر ﴿قوله مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده﴾ يريد ان اصل ذوالاوتاد ان يستعمل فى ثبات الخيمة بان تشدّ اطنابها على اوتاد مركوزة فى الارض فان اطنابها اذا شدّت عليها كانت ثابتة فلا تقلعها الريح على الارض ولاتؤثر فيها ثم استعير لثبات العز والملك وفرعون الذى ثبت ملكه واستحكم بالاوتاد شبه ملكه بالبيت المطنب استعارة بالكناية واثبت له الاوتاد تخييلا وان اريد بالاوتاد جموعه تكون استعارة تصريحية ﴿قوله نصب اربع سوار﴾ فتكون الاوتاد حقيقة لا استعارة والسوارى جمع سارية وهى الاسطوانة والظاهر ان عادا ومن بعده معطوف على قوم نوح واولئك الاحزاب جملة مستأنفة لامحل لها والمعنى ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم

ثم رشح ذلك فقال (ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما) كأنه لما انكر عليهم التصرّف فى نبوّته بان ليس عندهم خزآئن رحمته التى لانهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزؤ يسير من خزآئنه فمن اين لهم ان يتصرّفوا فيها (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية (جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب) اى هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرّف فى الامور الربانية اوفلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة *

فى ظل ملك ثابت الاوتاد *

مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده اوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشدّ بعضا كالوتد يشدّ البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمدّ يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة) واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب (اولئك الاحزاب) يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم

(ان كل الا كذب الرسل) بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو امامقابلة الجمع بالجمع اوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (ومانظر هؤلاء) وماينتظر قومك اوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله تعالى (الا صيحة واحدة) وهى النفخة (مالها من فواق) من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين اورجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنابه اوالجنة التى تعد للمؤمنين وهومن قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنانظرفيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على مايقولون واذكرعبدناداود) واذكرلهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفربه واناب فاالظن بالكفرة واهل الطغيان اوتذكرقصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك مالقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذوأيد وآد واياد بمعنى

فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب اى اولئك الاحزاب مع كال قوتهم اذا كانت عاقبتهم هى الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين واولئك اشارة الى قوم نوح وعاد الخ واللام فى الاحزاب للعهد والمعهود هوالاحزاب المذكور فى قوله من الاحزاب يعنى ان قوم نوح وعادا الى آخر المذكورين هم الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم اى داخلا فى جنسهم ومعدودا فى عداد آحاد ذلك الجنس فالمقصود بقوله اولئك الاحزاب بيان ما اجمل فى قوله من الاحزاب ووجه كون التكذيب المسند اليهم مبهما انه لم يصرح اولا بانهم كذبوا الرسل ام غيرهم ولم يبين ان كل حزب كذبوا الرسل كلهم او بعض الرسل وهو الذى ارسل اليهم فقوله ان كل الا كذب الرسل ازال ذلك الابهام وبين ان كل واحد منهم كذب جميع الرسل* ولما ورد على هذا البيان انه معلوم ان كل واحد من المكذبين انما كذبوا رسولهم ولم يتعد تكذيبهم الى غيره *اجاب عنه المصنف بوجهين الاول انه من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى انقسام الآحاد على الآحاد اى كذب كل واحد منهم الرسول المبعوث اليه كما فى قولك القوم ركبوا دوابهم والثانى انه اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا من حيث ان الجميع فى حكم الرسول الواحد نظرا الى اتحاد المرسل والمرسل ﴿قوله مشتمل على انواع من التأكيد﴾ منها مجرد تكرير التكذيب ومنها ايضاحه بعد ابهامه ومنها نوع تكرير حيث اخبراولا بتكذيبهم بما يدل على وصف زائد على مجرد الاخبار بالتكذيب ثم اخبربه على طريق النفى والاستثناء ومنها مافى الجملة الاستثنائية من اثبات التكذيب على وجه التأكيد والتخصيص فان كلمة كل تفيد التأكيد وان النافية تفيد الحصر والتخصيص فلما كذب كل واحد من هؤلاء الاحزاب الرسل اشد التكذيب وابلغه استحقوا العذاب فحق عقاب اى استوجبوا ذلك فوجب اذا عقابهم كذب قوم نوحا او الرسل بشهادة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاهلكوا بالطوفان وعاد هودا فاهلكوا بالريح وفرعون موسى فاهلك ومن معه بالغرق وثمود صالحا فاهلكوا بالصيحة وقوم لوط لوطا فاهلكوا بالخسف ومدين شعيبا فاهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿قوله فانهم كالحضور﴾ اى حاضرون على انه جمع حاضر كقعود وقاعد يعنى ان الاصل فى اسم الاشارة ان يشار به الى مشاهد محسوس فان اشير به الى غيره فذلك انمايكون لتنزيله منزلة المشاهد وجميع الاحزاب من اهل مكة والاحزاب المذكورين فى قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ وان كانوا غائبين لكن يجوز تنزيلهم منزلة المشاهد لكونهم حاضرين مميزين فى الذهن بسبب الذكر اللفظى ولما جعلوا حاضرين صح قوله ومانظر هؤلاء بلفظ الحال ولما قال فحق عقاب بين ان هؤلاء المكذبين وان لم يعذبوا فى الدنيا اولم يتم عذاب عما اصابهم فيها فهو كأنه واقع بهم لغاية قربه منهم لقرب زمان وقوعه وهو يوم القيامة فانها فى غاية القرب منهم فلذلك جعلوا منتظرين لها كالرجل الذى ينتظر الشئ ويمد طرفه اليه يترقب فى كل آن حضوره ﴿قوله من توقف مقدار فواق﴾ فان الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل مقدارا ما ثم تحلب فما بين الحلبتين من الزمان يسمى فواقا فان فسر الفواق فى الآية بهذا المعنى احتيج الى تقدير مضاف الى الفواق يكون ذلك المضاف صفة لمقدر والمعنى ومانظر هؤلاء الاصيحة واحدة موصوفة بانها اذاجاء وقتها لاتتوقف ولا تتأخر زمان مابين الحلبتين وان فسر بالرجوع والترداد على ان يكون الفواق من افاقة المريض وهى رجوعه الى الصحة كالجواب فى الاجابة فلاحاجة حينئذ الى الحذف والتقدير فيكون مالها من فواق صفة مؤكدة لوحدة الصيحة والمعنى انها صيحة واحدة بحيث لاتثنى ولا تردد بان لايتخلل بينها انقطاع وسكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لايفيق منها ولا يستفيق واذا رجع الى الحالة الاولى يقال افاق واستفاق ﴿قوله فان فيه يرجع اللبن الى الضرع﴾ اشارة الى ان الفواق المعنى الاول وهو مابين الحلبتين من الزمان فيه معنى الرجوع ايضا من حيث انه اسم للزمان الذى يرجع فيه اللبن الى الضرع ﴿قوله وهو من قطه﴾ يعنى ان القط المفسر بالقسط النصيب من الشئ مأخوذ من قطه بمعنى قطعه لان القط من الشئ قطعة منه حكى الله تعالى عن الكفار ثلاث جهالات الاولى تعجبهم من امر النبوة واثباتها وحكاه بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر الآية والثانية تعجبهم من التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا والثالثة استهزاؤهم بالحشر والحساب والجزاء بقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على مايقولون ﴿قوله واذكرلهم قصته﴾ مبنى على ان يراد بقوله اذكر الذكر اللسانى وقوله او تذكر قصته مبنى على ان يراد به التذكير القلبى *الجوهرى ذكرت الشئ بعد النسيان تذكرته وذكرته بلسانى وداود بدل من العبد اوعطف بيان له وذا الايد صفة له وأيد صفة مشبهة من آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد

و قوى وذو الايد بمعنى الايد ﴿قوله دليل على ان المراد به القوة فى الدين﴾ والعبادة لا فى البدن وجه دلالة التعليل به على ذلك مع ان كونه ذا الايد يجوز ان يكون لقوة بدنه قال تعالى وألنا له الحديد انه لما علل ذلك بقوله انه اوّاب اى رجاع الى مرضاة الله تعالى علم ان المراد بالقوة القوة فى الدين لا فى البدن لان كونه رجاعا اليها لايستلزم كونه قوى البدن * فان قلت كما ان القوة مطلقا تحتاج فى تقييدها وتخصيصها الى دليل كذلك الاوّاب فانه بمعنى الرجاع مطلقا فلابد من تخصيصه وحمله على معنى الرجاع الى مرضاة الله تعالى من دليل مخصص * قلت نعم ان مفهوم الاوّاب مطلق ايضا لكن اذا اسند الى انبياء الله تعالى او اوليائه يفهم منه بحسب العرف الرجوع الى طاعته ومرضاة الله تعالى ولا يتبادر الذهن الا الى هذا المعنى ﴿قوله قدمر تفسيره﴾ اى فى سورة الانبياء فى تفسير قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اى تقدس الله تعالى اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلقه الله تعالى فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير كأن قائلا قال كيف سخرن فقال يسبحن ومعه متعلقة بسخرنا او بيسبحن اى سخرنا الجبال كائنة مع داود يسبحن مع داود اذا سبح اى كلما سبح داود سبح معه الجبال والطير وقال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقد ذكر فى كيفية تسبيح الجبال وجوه الاوّل ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبال حياة وعقلا وقدرة ونطقا فحينئذ تسبح الله تعالى كما تسبحه الاحياء العقلاء والثانى قول القفال ان داود عليه الصلاة والسلام اوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له فى الجبال دوى حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا روى محمد بن اسحق ان الله لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش يأخذ باعناقها وهى مصغية الى صوته والثالث ان يسبحن بمعنى يسبحن من السباحة وهى السير والتقلب شدد للتكثير اذ روى ان الله سخر الجبال حتى انها كانت تسير معه حيث ما سار وقيل لما سارت الجبال معه بتسيير الله تعالى اياها وكان ذلك سببا حاملا لمن رآها كذلك على التسبيح تعجبا اسند التسبيح اليها مجازا ﴿قوله ويسبحن حال وضع موضع مسبحات﴾ فان قوله تعالى انا سخرنا الجبال اخبار عما مضى فالمناسب بحسب الظاهر ان يقال مسبحات ولكنه عدل عنه الى يسبحن لحكاية الحال الماضية واستحضارها فى نظر السامع حتى يشاهد حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ ويتعجب من القدرة الربانية ﴿قوله وعن ام هانى﴾ الطيبى عن البخارى ومسلم وغيرهما عن عبدالرحمن قال ما حدثنا احد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير ام هانى فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمانى ركعات ثم قال ياام هانى هذه صلاة الاشراق ﴿قوله تعالى والطير محشورة﴾ الجمهور على نصبهما على ان الطير معطوف على الجبال ومحشورة على يسبحن اى وسخرنا له الطير مجموعة اليه من كل ناحية ولم يراع المطابقة بين الحالين اى لم يقل والطير يحشرن بلفظ الفعل ليطابق قوله يسبحن لان الاصل فى الموضعين ان يؤتى بهما على لفظ الاسم ليطابق قوله سخرنا الا انه عدل فى التسبيح الى لفظ المضارع للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وهذه الدلالة غير مقصودة فى الحشر فجئ به على لفظ الاسم على الاصل وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن لدل على ان الحشر يوجد من حاشرها شيأ فشيأ والحاشر هو الله ولا نكتة فى اعتبار التدريج لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فلذلك حشرها ﴿قوله لاجل تسبيحه﴾ اشارة الى ان ضمير له راجع الى داود بحذف المضاف والى ان هذه الجملة الاسمية كما تدل على موافقتهما لداود فى التسبيح تدل ايضا على دوام موافقتهما له فيه وثباتهما عليه لان اوّاب صيغة مبالغة وهى انما تكون بالدوام والثبات على التسبيح بخلاف قوله يسبحن معه فانه انما يدل على مجرد الموافقة ثم ذكر انه يجوز ان يكون ضمير له راجعا الى الله تعالى وان الاوّاب كناية عن المسبح المكرر للتسبيح والمكثر له على ان بناء المرجع للتكثير والمبالغة حيث ذكر الاوّاب وهو كثير الرجوع الى التسبيح بشهادة المقام واراد ملزومه وهو المرجع للتسبيح المكثر له لان المرجع للشئ رجاع اليه بفعله مرة بعد اخرى ويرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع ﴿قوله وكثرة الجنود﴾ روى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وفى الكشاف قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف رجل مستلئم يحرسونه والمراد بالمحراب الغرفة والمستلئم لابس اللأمة وهى الدرع والغيلة اسم من الاغتيال * الجوهرى الغيلة ان يخدع صاحبه

(انه اوّاب) رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) قدمر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضيئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر (كل له اوّاب) كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح (وشددنا ملكه) وقوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادّعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدّعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته

(وآتيناه الحكمة) النبوة او كمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام تمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به امابعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع (اذ تسوّروا المحراب) اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوّروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ في (اذ دخلوا على داود) بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوّروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسوّر عليه ملائكة على صور الانسان في يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحدّ (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسطه وهو العدل (ان هذا اخي) بالدين او بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولي

ويذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله ﴿قوله الحكمة النبوة﴾ بها فسرها ابن عباس وهي في عرف الحكماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة الافعال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية ﴿قوله وفصل الخطاب﴾ مبني على ان يكون بمعنى القطع وهو التمييز بين الشيئين وان الخطاب بمعنى تخاطب الخصمين وان تمييز تخاطبهما عبارة عن تمييز ما هو الحق من الخطابين عما هو باطل منهما وقوله او الكلام الملخص اشارة الى ان فصل الخطاب بمعنى الخطاب المفصول اي الكلام المبين الذي لا التباس فيه على ان الفصل بمعنى المفصول وهو ضدّ الكلام الملتبس المختلط الذي لا يتبين فيه المراد ﴿قوله يراعى فيه﴾ بدل او عطف بيان من قوله ينبه المخاطب على المقصود ﴿قوله فصل لا نزر ولا هذر﴾ اي وسط لا قليل ولا كثير فان قوله لا نزر ولا هذر صفتان كاشفتان للفصل وقيل هما صفتان مستقلتان بان يكون الفصل بمعنى الفاصل والنزر القليل التافه وقد نزر الشئ بالضم ينزر نزارة اذا قل والهذر الكثير يقال هذر كلامه كفرح اذا كثر في الخطأ والباطل والاسم منه الهذر بالتحريك وهو الهذيان اي فصل بين الحق والباطل ومع هذا لا نزر ولا هذر بكسر الذال يقال رجل هذر بكسر الذال وهذرة على مثل همزة وهذار ومهذار اي كثير الكلام ﴿قوله استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه﴾ فان القصة ان كانت معلومة واستفهم عنها يكون الاستفهام للحث والتحريض على اشاعتها واعلام الناس بها اي كأنك ما علمتها حيث تخفيها ولا تؤدي حقها من الاشاعة وان لم تكن معلومة يكون الاستفهام عنها للتعنيف واللوم على التقاعد عن استعلامها وللتشويق الى استماعها لكونها من الانباء العجيبة التي حقها ان تسمع ولا تخفى على احد ﴿قوله والخصم في الاصل مصدر﴾ جواب عما يقال ان الخصم هنا الجماعة لقوله اذ تسوّروا واذ دخلوا وفزع منهم قالوا فالظاهر ان يقال نبأ الخصماء اذ قيل كانت الجماعة جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة المدّعي والمدّعى عليه والشهود والمزكين فاجاب بانه مصدر خصمه خصما مثل ضافه ضيفا فصح لذلك اطلاقهما على الجماعة قال تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴿قوله اذ تسوّروا﴾ اي صعدوا حائط المحراب ونزلوا اليه من فوق فان السور هو الحائط المرتفع والتسوّر تصعد السور وتعليه كما يقال تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة الانسان لينبهاه على زلته فطلبا ان يدخلا عليه من باب الغرفة فمنعهما الحرس فتسوّروا المحراب فنزلوا عليه من فوق روي ان بعض المعربين ومنهم ابو البقاء ومكي جعلوا اذ معمولا للنبأ ان لم يرد به القصة والمعنى هل اتاك الخبر الواقع وقت تسوّرهم المحراب ورده الزمخشري بان النبأ الواقع في ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبأ الواقع فيه هو التحاكم والذي اتى النبيّ صلى الله عليه وسلم هو خبر ذلك التحاكم وقصته لا نفسه واجاب عنه المصنف بان عدم صحة اتيان نفس ذلك النبأ لا يستلزم عدم كون النبأ عاملا في اذ لجواز ان يكون عاملا فيه ويقدر مضاف اي هل اتاك قصة نبأ الخصم فيتحد بحسب المعنى مع قوله نبأ تحاكم الخصم اذ تسوّروا ﴿قوله على ان المراد به الواقع في عهد داود﴾ وهو التحاكم احترازا عن ان يراد به قصة ذلك التخاصم وخبره ﴿قوله او ظرف لتسوّروا﴾ اي تسوّروا المحراب في الوقت الذي دخلوا فيه على داود ﴿قوله نحن فوجان﴾ اشارة الى ان خصمان خبر مبتدأ محذوف والى وجه الانطباق بين صيغة التثنية في خصمان وبين ما مرّ من ان الخصم عبارة عن الجماعة وصح اطلاقه عليهم لكونه مصدرا في الاصل وحاصل الانطباق انه اطلق الخصم على جميع الجماعة ثم جعلهم خصمين على تأويل الفريقين والجماعتين وقوله على تسمية مصاحب الخصم خصما اشارة الى وجه تسمية الجميع خصما مع ان التخاصم والتحاكم حقيقة انما كان بين اثنين منهم لقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة الآية ﴿قوله على الفرض﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على ما هو المشهور والملائكة لا يقع منهم البغي على احد فكيف يبغي بعضهم على بعض فهذا الكلام منهما كذب والملائكة معصومون من الكذب * واجاب بانه انما يلزم الكذب ان لو ارادا الاخبار بصدور البغي عنهما حقيقة وليس كذلك بل المقصود فرض المسئلة وتصويرها في انفسهما ﴿قوله ولا تشطط﴾ قرأ الجمهور ولا تشطط بضم التاء وكسر الطاء الاولى وفك الادغام كقوله ومن يرتدد منكم عن دينه من اشط في القضية اشطاطا اي جار فيها وبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء الاولى من شططت الدار تشطط وتشط شطا وشطوطا اي بعدت وقرئ ولا تشطط على ان بناء التفعيل للتكثير وقرئ ولا تشاطط من المفاعلة والكل من الشطط وهو مجاوزة الحدّ والمقصود من الامر والنهي الاستعطاف ﴿قوله وقد يكنى بها عن المرأة﴾ اي يعبر عنها على سبيل الاستعارة وقوله والكناية

(والتمثيل)

التمثيل الخ اشارة الى ان النعجة هنا استعارة و بيان لوجه اختيار سلوك طريق الاستعارة دون التصريح باسم
المرأة وذلك ان مقصود الملكين مما فعلا ليس حقيقة التحاكم والتخاصم بل المقصود ابرازانفسهما في صورة المتخاصمين
في واقعة تشبه واقعة داود عليه الصلاة والسلام مع اوريا وهي انه عليه الصلاة والسلام اراد ان تكون امرأة
اوريا له على الوجه المشروع مع ان عنده امثال تلك المرأة وان تعرض تلك الواقعة عليه ليحكم بحكم لزم منه
اعترافه بكونه مثل من حكم عليه في ترك الاولى ويتنبه لزلته فيشتغل بالتوبة والاستغفار فلما كان المقصود من تحاكمهما
التعريض بحاله عليه الصلاة والسلام كان المناسب ان يكنى عن المرأة لا ان يصرّح بها لان الكناية عنها ادخل
في التعريض والتورية من التصريح واختيار طريق التعريض لكونه ابلغ في التوبيخ من حيث انه اذا انتبه
المعرّض به كان اوقع في نفسه واجلب لخجالته وحيائه مع ما فيه من مراعاة حسن الادب ﴿قوله اجعلني
كفلها﴾ اي اعولها وانفق عليها والمعنى طلقها لاتزوّجها او اعطنيها واجعلها كفلي اي نصيبي ﴿قوله
غلبني في مخاطبته اياي﴾ فيكون الخطاب مصدر خاطبه في الكلام اي غلبني في المخاطبة بان اتى بما لا اقدر على
ردّه من الجدال وعلى الثاني يكون مصدر خاطب من الخطبة للمبالغة بان تصدر الخطبة من كل واحد منهما على
قصد ان يغلب صاحبه ويغتنم بالمخطوبة دونه ﴿قوله على تخفيف غريب﴾ يعني ان من قرأ عزني حذف
النون عن احدى الزايين تخفيفا كما يقال في ظللت ومسست ظلت ومست وفي احسست احست كراهة التضعيف الا
ان تخفيف عز لم يشتهر مثلها ﴿قوله ولعله قال ذلك﴾ جواب ما يقال كيف قال لقد ظلمك قبل ان يسمع كلام
صاحبه قال ابن الانباري لما ادّعى احد الخصمين اعترف الثاني بما ادّعاه الاوّل فحكم داود بعد اعترافه وقيل ان
معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقال الامام ابو منصور فشهد الشهود بذلك فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
مضمومة الى نعاجه *قال الامام للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة
منه وثانيها انها دلت على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة وقيل ان داود احب امرأة اوريا فاحتال
في قتل زوجها بان ارسله الى غزوات حتى استشهد ثم تزوّج بها فارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في
واقعة تشبه واقعته مع اوريا وعرّضا بتلك الواقعة فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك
فاشتغل بالتوبة وابطل الامام هذا القول بوجوه منها ان الله تعالى وصفه قبل شرح هذه القصة وبعده
باوصاف تنافي كونه عليه الصلاة والسلام متصفا بهذا الفعل المنكر وبعد ما ابطله بالدلائل القاطعة قال ان قال
قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها ثم اجاب عنه بوجوه منهـا
ان كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردّونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت
اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلائل التي ذكرناها والقول الثاني الذي يدل على
صدور الصغيرة منه فيه روايات الاولى ان هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه بالقبول ثم خطبها داود فآثره اهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه والثانية قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها ثم اتفق ان
قتل زوجها في جهاد اعدآء الله تعالى وكان بعث الجيش للجهاد فرضا عليه وكان زوجها من جملة من تعين للجهاد
فبعثه معهم لاسقاط الواجب عن ذمته من غير ان يتوهم منه قصد قتله وهلاكه فلما بلغ خبر قتله داود لم يجزع كما جزع
على غيره من جنده اذ هلك ثم تزوّج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة
عند الله تعالى والثالثة انه كان اهل زمان داود عليه الصلاة والسلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى
يتزوّجها وكان ذلك عادة معهودة فيهم فاتفق ان عين داود عليه الصلاة والسلام وقعت على تلك المرأة فاحبها
فسأله النزول فاستحيى ان يردّه ففعل وهي ام سليمان عليه الصلاة والسلام فعوتب به لما ان ذلك لا يليق به فان حسنات
الابرار سيئات المقرّبين فعلى كل واحدة من هذه الروايات الثلاث لم يلزم في حق داود عليه الصلاة والسلام الا ترك
الافضل والاولى والقول الثالث ان يحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود بل توجب
الحاق مدح عظيم وهو انه روي ان جماعة من الاعدآء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه الصلاة والسلام وكان له
يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوّروا المحراب فلما دخلوا عليه
وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا وصنعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس
في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود عليه الصلاة والسلام الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن

(فقال اكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها
كفلي اي نصيبي (وعزني في الخطاب)
وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج
لم اقدر ردّه او في مغالبته اياي في الخطبة يقال
خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا
حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني
وعزني على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم
محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه
وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه
او على تقدير صدق المدّعي والسؤال مصدر
مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر
بالى لتضمينه معنى الاضافة

داود انما فتناه وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها فغفرنا له ذلك ثم تقول هذه الالفاظ لا يدل شئ منها على ماذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه الصلاة والسلام منهم دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم ثم دعاه علو شانه فى الفضل والكرم الى ان يميل الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هى الفتنة لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب من ذلك الهم واناب فغفر له بقوله فغفرنا له ذلك اى ذلك القدر من الهم والعزم الثانى انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم يتعين منهم ان قصدهم ذلك بئس ما عملت حيث ظننت فيهم هذا الظن الردى فنزله منزلة الابتلاء والامتحان ثم استغفر ربه واناب فغفر له ذلك الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه الصلاة والسلام حيث دخلوا عليه لقتله الا انه عليه الصلاة والسلام استغفر لذلك العازم على قتله ورجع الى الله فى طلب المغفرة لذلك فقوله فغفرنا له ذلك اى فغفرنا له ذلك الذنب منه لاجل حرمة داود وقدره عندنا ولم نرد شفاعته وذكر غير ذلك من الاحتمالات ثم قال فاذا حملت الآية على احد هذه المحامل لا يلزم اسناد شئ من الذنوب الى داود عليه الصلاة والسلام فحملها عليها اولى مع انه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال له تعالى فى اول الآية اصبر على ما يقولون وتحمل منهم ما كان من وجوه سفاهتهم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه الصلاة والسلام قد صبر على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الآية على ما ذكرناه واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا ﴿قوله الشركاء الذين خلطوا اموالهم﴾ يدل على ان داود عليه الصلاة والسلام حمل النعجة على حقيقتها فكيف يفسر الخطاب بالمبالغة فى الخطبة مع ان الخطبة لا تكون الا فيما يصلح للتزويج وقد فسره بها حيث قال او فى مغالبته اياى فى الخطبة والجواب انه فسره بها بناء على ان جعل النعجة مستعارة للمرأة وجعل قوله وان كثيرا من الخلطاء مبنيا على انه عليه الصلاة والسلام شبه حالهم بحال الخلطاء من حيث اطلاع بعضهم على اشياء الآخر واملاكه ثم قال كل ما يملكه احد الخلطاء من الاشياء النفيسة يطلع عليه صاحبه فيرغب فيه فيفضى ذلك الى زيادة المخاصمة وبغى بعضهم على بعض ﴿قوله اضرب عنك الهموم طارقها﴾ وتمامه * ضربك بالسيف قونس الفرس * اى اضربن فحذفت النون الخفيفة فبقيت الباء مفتوحة طارقها بدل من الهموم بدل البعض والقونس عظم ناتئ بين اذنى الفرس وهو موضع ناصيته اى ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها كما يضرب بالسيف قونس فرس العدو عند اقبالها واللام فى ليبغى على ان تكون النون الخفيفة محذوفة مقدرة لام جواب قسم محذوف وعلى الاول لام التأكيد وقوله الا الذين آمنوا استثناء متصل من قوله بعضهم ﴿قوله وهم قليل﴾ اى هم مبتدأ وقليل خبره قدم عليه وما مزيدة وقيل هى موصولة والتقدير وقليل الذين هم كذلك فهم مبتدأ وخبره محذوف وهو كذلك والمعنى ان الموصوفين بهذه الصفة وهى الايمان واصلاح العمل قليلون ﴿قوله استخلفناك على الملك فيها﴾ اى جعلناك اهل تصرف نافذ الحكم فيها وهو معنى كون العبد خليفة الله فى ارضه لان حقيقة الخلافة لا تتصور الا ممن يتصور منه الغيبة لان خليفة الرجل من يخلفه بعد غيبته وينفذ حكمه فى رعيته فلما امتنعت الحقيقة كان معنى استخلاف الله تعالى العبد جعله نافذ الحكم بين عباده ﴿قوله بحكم الله﴾ يحتمل انه جعل الحق اسم الله تعالى وقدر المضاف اى بحكم الحق اى الله وانه جعل الحق بمعنى الصواب وفسره بحكم الله تعالى لانه لا يحكم الا بالصواب ﴿قوله تعالى فيضلك﴾ منصوب على جواب النهى وقيل مجزوم عطفا على لا تتبع وانما فتحت اللام لاجتماع الساكنين فهى نهى عن كل واحدة على حدة والاول فيه النهى عن الجمع بينهما وقد يترجح الثانى بهذا المعنى وفاعل فيضلك يجوز ان يكون ضمير الهوى وان يكون ضمير المصدر المفهوم من لا تتبع اى فيضلك اتباع الهوى والمراد بالدلائل المنصوبة ما يعم الدلائل العقلية والنقلية ﴿قوله بسبب نسيانهم﴾ اشارة الى ان ما مصدرية واجار متعلق بالاستقرار الذى تضمنه لهم وكذا يوم الحساب متعلق به ظرف له اى لهم عذاب شديد يوم القيامة بنسيانهم القضاء بمقتضى الدلائل العقلية والنقلية اى بتركهم سلوك سبيل الله تعالى وضلالهم عنه وقيل يوم الحساب متعلق بنسوا على انه مفعول به ومعناه بما تركوا الايمان بيوم الحساب او بتركهم العمل لذلك اليوم ويؤيده قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فانه تذكير عن نسيان يوم الحساب اى ما خلقت ما بينهما من المكلفين

(وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط (ليبغى) ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود انما فتناه) ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار (واناب) ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا هذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب (فغفرنا له ذلك) اى ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولا تتبع الهوى) ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يوم الحساب تقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى

لاعمالهم فلا آمرهم ولاناهيهم بل خلقتهم لامتحنهم واكلفهم واذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم بالثواب والعقاب وذلك لابدّ ان يكون يوم الحساب اى وذلك يقتضى وجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا لان مدّة هذه الحياة قليلة وان صفاءها مشوب بالكدر فلا تصلح دار جزاء بل هى دار ابتلاء فقط والجزاء يكون فى دار اخرى

﴿قوله خلقا باطلا﴾ اشارة الى ان باطلا صفة مصدر محذوف وعلى قوله ذوى باطل يكون فى موضع الحال من فاعل خلقنا ويحتمل ان يكون حالا من مفعوله اى عاريا عن الحكمة وعلى قوله او للباطل يكون مفعولا له بان يكون الباطل بمعنى العبث واللعب وموضوعا موضعه فان شرط حذف اللام من المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل فلابدّ ان يكون مصدرا او مأوّلا به ﴿قوله مثل هنيئا﴾ تمثيل فى كون الصفة موضوعة موضع المصدر فان هنيئا صفة لمصدر محذوف اى كلوا اكلا هنيئا حذف المصدر ووضع هنيئا موضعه كما اقيم هنيئا مريئا فى قوله فكلوه هنيئا مريئا مقام المصدر وهما صفتان لمقدّر اى كلوا اكلا هنيئا مريئا ﴿قوله بسبب هذا الظنّ﴾ فان ظنّ ان لاحكمة له تعالى فى خلق العالم كفر بالحشر والنشر واثبات السفه له تعالى فيكون سببا للويل والهلاك ﴿قوله ليدل على نفيه﴾ اى على نفى انه تعالى خلقها عبثا متعلق بقوله لانكار التسوية فان انكار اللازم ونفيه يدل على انكار الملزوم ونفيه ﴿قوله والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة﴾ فان الحكمة تقتضى ان يكون الفضل والفوز فى الدنيا للمؤمن والويل والخيبة للمفسد الفاجر والغالب فى الدنيا ان يكون التفاضل والوسعة والرخاء للكافر والفاجر والضيق والعناء للمؤمن والصالح فى امر التفاضل فان الغالب ان تكون الكفار اوسع حالا واطيب عيشا بالنسبة الى المؤمنين فى الدنيا ﴿قوله تعالى كتاب﴾ خبر مبتدأ مضمر اى هذا كتاب وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ مضمر او خبر ثان ولا يجوز على المختار ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يجوز عند الجمهور ان يتقدّم النعت الغير الصريح على الصريح ومن يرى ذلك استدل بظاهر الآية ولا استدلال بالمحتمل ﴿قوله تعالى ليدبروا﴾ متعلق بانزلناه واصله ليتدبروا فادغمت التاء فى الدال وقرئ لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتاءين حذفت احداهما قال الحسن تدبر آياته اتباعه واشار المصنف الى انه من دبره اى تبعه والدابر التابع وعليه قرآءة والليل اذا دبر اى تبع النهار قبله فيكون التدبر بمعنى الاطلاع على مايدبر ظاهر هذا النظم اى يتبعه من التأويلات الصحيحة فالتدبر كالتعطر والتنعم فى كونها لايجاد اصل الفعل لنفسه وقوله اوليستحضروا على ان يكون التذكر بمعنى استحضار ماذهل عنه مع بقاء ارتسامه فى المدركة لكن انقطع التفاتها اليه لا الى حدّ النسيان حتى تحتاج فى تحصيله الى تجشم كسب جديد وتحصيل استعداد آخر بترتيب المقدّمات المناسبة له والاحكام الاجتهادية وان كانت مستنبطة من النص بتعدية حكمه الى غير المنصوص لكنه كالمركوز فى عقول اهل الاستنباط من حيث تمكنهم من معرفتها بما عندهم من النصوص الواردة فيما يشارك موضع الاجتهاد فى العلة فاستنباطها من النصوص شبه استحضار المذهول عنه واحتمل لذلك ان يراد بالتذكر الاستنباط المذكور مجازا ﴿قوله اذ ما بعده تعليل للمدح﴾ علة لكون المخصوص بالمدح المحذوف هو سليمان لا داود وتقريره ان ما وقع بعده تعليل للمدح وهو حال من حال سليمان فان ضمير عليه لسليمان عند جمهور المفسرين فيكون الممدوح هو سليمان لاغيره ﴿قوله مرجعه﴾ اى التسبيح يريد ان اوّاب يجوز ان يكون كناية عن انه مكثر التسبيح لان من كان مكثرا لشئ يلزمه ان يكون رجاعا اليه فكنى بذكر انه رجاع للتسبيح عن ملزومه * الجوهرى الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوآئم والرابعة على طرف الحافر والسنبك طرف مقدّم الحافر وقيل الصافن هو الذى يجمع يديه ويسويهما من الصفن وهو الجمع بين الشيئين ضاما بعضهما الى بعض ومن الاوّل قول الشاعر

* الف الصفون فمايزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا *

يريد ان هذا الفرس الف القيام على ثلاث قوآئم وسنبك الرابعة وكسيرا منصوب بما يزال وقيل حال من الضمير فى مما يقوم اى كأنه من جنس ما يقوم على ثلاث قوآئم فى حال كونه كسير القائمة الاخرى ومن الثانى ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من سرّه ان يقوم له الناس صفونا فليتبوّأ مقعده من النار اى واقفين صافين اقدامهم ويقال جاد الفرس يجود فهو جواد اى يجود بالعدوّ ويسرع فى الجرى ويقال فرس جود اى كثير الجرى ويجمع على جياد كحوض وحياض وسوط وسياط والصفون على ما فسره الجوهرى صفة مدح للخيل لان صفونها كناية عن كونها عربية بدوية لان الصفون صفة لازمة لها وكذا ان فسر بمطلق القيام او القيام جامعة يديها باضافة اياهما فانه صفة

ماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا) خلقا باطلا لاحكمة فيه اوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرّع بالشرع كقوله وماخلقت الجنّ والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظنّ بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظنّ (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله (ام نجعل المتقين كالفجار) كأنه انكر التسوية اوّلا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاوّل باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ماتقتضيه الحكمة او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها (كتاب انزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك (وليتذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما يعرف الامن الشرع وارشاد الى ما لايستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاوّل والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه اوّاب) رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجعه له (اذ عرض عليه) ظرف لاوّاب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشىّ) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو

روى انه عليه الصلاة و السلام غزا دمشق و نصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى (فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى) اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله * مثل بعير

السوء اذ أحبا * اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير و نافع بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فاخذ يمسح بالسيف مسحا (بالسوق والاعناق) اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كؤوس وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) اظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولدله ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطاه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل الى الطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف

بمدوحة حال وقوفها فوصفها بالصفون والجودة يجمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها ﴿قوله لانه بمعنى آثرت﴾ كما يقول المخير بين الشيئين اخترت هذا اى آثرته واحببت ايضا يستعمل بمعنى آثر قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى والاصل على هذا ان يقال احببت حب الخير على ذكر ربى الا انه ضمن احببت معنى انبت فعدى تعديته كأنه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى اى جعلته نائبا عنه فظهر منه انه لايلزم ان يكون المضمن من لوازم المتضمن بل يكفى ان يكون الحرف المذكور صلته ﴿قوله وقيل هو بمعنى تقاعدت﴾ من قولهم احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء قال الشاعر

* تبا لمن بالهون قد ألبا * مثل بعير السوء اذ أحبا *

قوله تبا من التباب وهو الهلاك وألب اى اقام ولزم المكان ولم يبرح عنه بالضرب ونحوه فالمعنى على هذا قعدت عن ذكر ربى من اجل حب الخير وحب الخير مفعول له ﴿قوله شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها﴾ فذكر التوارى واريد الغروب فيكون توارت استعارة تبعية يقال جارية مخبأة اى مخدرة مستترة ﴿قوله فاخذ يمسح بالسيف مسحا﴾ اشارة الى ان طفق بمعنى اخذ لان طفق واخواته يفيد شروع فاعله فى مضمون الخبر الا ان مسحا منصوب بفعل مقدر هو خبر طفق اى وطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لايكون الامضارعا فى الاغلب والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والباء فى بالسوق زائدة مثلها فى قوله وامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسح رأسه وبرأسه بمعنى واحد والمعنى فاخذ يمسح بالسيف سوقها واعناقها اى يقطعها اى يقطع سوقها واعناقها بالسيف والعلاوة رأس الانسان مادام فى عنقه يقال ضرب علاوته اى قطع رأسه ﴿قوله وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كؤوس وعن ابى عمرو بالسؤوق﴾ على وزن فعول جمعات الواو المضمومة من سووق همزة كما فى أجوه وادؤر اصلها وجوه وادور واصل سؤق فى قرآءة ابن كثير سوق على وزن فعل بواو ساكنة قبلها ضمة ابدلت الواو همزة مع انها ليست بمضمومة تنزيلا لضمة مايلاصقها وهو السين منزلة ضمها وجعلا لضمة السين كأنها على الواو كما ابدلت الواو همزة فى موقن لذلك قال صاحب التيسير فى سورة النمل قرأ قنبل عن ساقيها وفى ص بالسؤق وفى الفتح على سؤقه بالهمزة فى الثلاث والباقون بغير همزة انتهى كلامه وقنبل والبزى رويان عن ابن كثير ورواة الهمز مختصة بقالون والبزى والستة الباقية من الشيوخ متفقون على القرآءة بغير همزة على تقرير صاحب التيسير والله اعلم ﴿قوله فاجمعت الشياطين على قتله﴾ لانهم كانوا يقدرون فى انفسهم ان يستريحوا مما هم فيه من تسخير سليمان عليه الصلاة والسلام اياهم على التكاليف الشاقة والاعمال المسخرة الدائمة بموته فلما ولدله ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ينفك مانحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده ولانخليه فعلم بذلك سليمان فامر السحاب حتى حملته وغذا ابنه فى السحاب اى رباه فيه يقال غذوته اغذوه اى ربيته خوفا من مضرة الشياطين فابتلاه الله لاجل هذا الخوف بموت هذا الولد فالقى ميتا على كرسيه فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه وعلى القول بانه فتن لترك الاستثناء فالجسد الملقى على كرسيه هو شق غلام اى نصفه فانه لما ولد جئ به وهو على كرسيه فوضع على حجره ﴿قوله ليكون معجزة لى مناسبة لحالى﴾ انما طلب الملك من بين سائر المعجزات لان الغالب فى زمنه عليه الصلاة والسلام الملك فطلب مثل ذلك ليكون حجة على نبوته لان معجزة كل نبى كانت من جنس الغالب فى زمانه كالسحر فى زمان موسى عليه الصلاة والسلام والابرآء من الجذام والبرص فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فتحداهم بابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى والفصاحة فى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم فتحداهم باقصر سورة من كلام ذى العزة والكبرياء فكذا سليمان عليه الصلاة والسلام فانه كان ملكا ومع ذلك استوهب من ربه ملكا زائدا خارقا للعادة بتسخير مالم يسخر للانس وهو الرياح والشياطين والطير فسخر له ذلك وكذا سخر له من الملك مالم يتيسر لغيره مثل ذلك فانه ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث قليلا حتى هلك ثم سار الى هرمز ثم الى بلاد الترك وجاز بلاد الصين ثم رجع الى بلاد الفرس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام آمنا وبنى بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وتفقد الطير وكان من حديثه مع صاحبه آصف ماذكره الله تعالى فى كتابه الكريم وغزا فى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وافرنجة ونواحيها والله اعلم بحقيقة الحال والحاصل انه عليه الصلاة والسلام

حتى مضى اربعون يوما عدد ماعبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به (لم) وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لايضره (قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى) لايتسهل له ولايكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى

لا ينبغي لاحد ان يسلب بعدمي هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظم لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء (انك انت الوهاب) المعطى ما تشاء لمن تشاء (فسخرنا له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح (تجرى بامره رخاء) لينة من الرخاوة لاتزعزع اولا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد (حيث اصاب) اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين في الاصفاد) عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلاترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يتسلط عليه غيرك عطاؤنا (فامنن اوامسك) فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن في الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له ومابينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لايكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا (وحسن مآب) وهو الجنة (واذكر عبدنا ايوب) هو ابن عيص بن اسحق عليهم السلام وامرأته ليا بنت يعقوب (اذ نادى ربه) بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له (انى مسنى) بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) الم وهو حكاية لكلامه الذى ناداه فيه ولو لاهى لقال انه مسه

لم يطلب ماطلبه منافسة فى الملك اى رغبة فيه وحرصا على الاستقلال بالنعمة وحسدا على غيره بل انما طلبه ليكون معجزة له وعين الملك لذلك كما ذكر ﴿ قوله او لايصح لاحد من بعدي لعظمته ﴾ اى وليس المقصود من قوله لاينبغي لاحد من بعدى استقلاله به بحيث لايعطى احد مثله ليكون منافسة فى الملك وحرصا عليه بل المقصود منه توصيف الملك بكونه عظيما وكنى عنه بذكر لازمه ولا شئ فى ان تتعلق همة العبد ويستوهب من مولاه نعما جليلة والطافا عظيمة وانما المحذور فى ان يتمنى زوالها عن غيره وقيل انما قال ذلك لان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكأنه قال يا الهى اعطنى مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها ولا اكون مشغول القلب بهامع القدرة عليها ليصير ثوابى اكمل وافضل واجزل ولذلك كان يأكل خبز الشعير وينسج ورق النخل ويأكل من كدّيده ويجلس مع المساكين ويقول انا مسكين جالس مع المساكين ﴿ قوله لاتزعزع ﴾ الزعزعة تحريك الشئ يقال زعزعته فتزعزع وريح زعزعان وزعزع اى تزعزع الاشياء ولاينافيه قوله تعالى فى آية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره لان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بامره كانت لينة طيبة ﴿ قوله قرن بعضهم مع بعض ﴾ شدّد للكثرة يقال قرنت الشئ بالشئ اى وصلته به قال الامام ابو منصور كان عليه الصلاة والسلام اذا امتنع احد منهم من العمل له بالبناء والغوص وغير ذلك قيده بالغل وهو ما يجمع ايديهم الى اعناقهم يدفع به شرّهم عن الخلق والعملة منهم تبنى له الابنية الدقيقة البديعة ومنهم من يستخرج له من البحر الجواهر واللآلى والحلى الثمينة قال مقاتل كان سليمان عليه الصلاة والسلام اوّل من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿ قوله ولعل اجسامهم شفافة صلبة ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لايراهم مع كثافة اجسادهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولانراها ولانسمعها وذلك سفسطة وان كانت اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمنع ان يكون موصوفا بقوّة شديدة يقدر بها على مالايقدر عليه البشر لانه تتفرق اجسادهم وتمزق بالرياح القاصفة فلاتطيق تحمل الاشياء الثقيلة بل تتأثر منها فتتفرق اجزاؤها فتموت فى الحال وايضا فالاجسام اللطيفة لاتقبل التقييد بالاصفاد والاغلال فاجاب اوّلا بان اجسامهم لطيفة وان اللطافة لاتنافى الصلابة بمعنى الامتناع عن التفرق فلكونها لطيفة لاترى ولكونها صلبة يمكن تقييدها وتحمل الاشياء الثقيلة وثانيا بانهم مع لطافة اجسامهم لما كانوا مسخرين مذللين لطاعته بتسخير الله تعالى اياهم له عليه الصلاة والسلام كان قادرا على كفهم عن الاضرار للخلق فشبه كفه اياهم عن ذلك بالاقران فى الصفد ثم اشتق من الاقران بهذا المعنى المجازى لفظ المقرنين فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين من الشرور ومقرنين صفة لآخرين ﴿ قوله وسمى به العطاء ﴾ كما فى قول على بن ابى طالب رضى الله عنه من برّك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك اى من احسن اليك فقد قيدك وقيل

* وقدت عليك رقابها مغلولة * ان العطاء اسار كل مؤمل *

شبه الاحسان بالاسار لانه يتوسل به الى ربط من احسن اليه كالاسار وقوله وفرقوا بين فعليهما الى فعلى الصفد بمعنى القيد وبمعنى العطاء فجعل فعل الصفد بمعنى الشر ثلاثيا وبمعنى الخير رباعيا على عكس وعد واوعد فان الثلاثى فيه للخير والنفعة والرباعى للشر والمضرة ﴿ قوله وفى ذلك نكتة ﴾ اى فى كون اصفده للخير نكتة وهى ان الهمزة فى اصفده للسلب اى ازال مابه من قيد الحاجة بان اعطاه مايدفع عنه حاجته بخلاف اوعده فانه لغة اصلية موضوعة للشر والتهديد ﴿ قوله غير محاسب على منه وامساكه ﴾ اى لاحرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت فكان عليه الصلاة والسلام ان اعطى اجر وان لم يعط لم يأثم بخلاف غيره قال الحسن ماانعم الله على احد نعمة الاعليه تبعة الا سليمان فانه اعطى ولم يكن عليه تبعة وقوله او من العطاء فان كان حالا من العطاء يكون التقدير هذا عطاؤنا كثيرا واسعا وان كان متعلقا به يكون التقدير اعطيناك بغير حساب ولاتقدير والمقصود على التقديرين الدلالة على كثرة الاعطاء ﴿ قوله وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين ﴾ والظاهر حينئذ ان يكون بغير حساب حالا من المستكن فى الامر اى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى وثاقك لاتبعة عليك فى شئ منهما ﴿ قوله اذ نادى ربه بدل ﴾ ولايجوز ان يكون اذ معمول اذكر لان الذكر المأمور به لايتصور ان يكون فى ذلك الوقت ﴿ قوله وهو حكاية لكلامه ﴾ اى قوله انى مسنى الشيطان بضمير المتكلم حكاية لكلامه اى نداه ودعاه بهذا

اللفظ ثم حذفت الباء لان حذفها من ان وان شائع كثيرا فان قرءآة العامة بفتح همزة انى وقرئ بكسرها على اضمار القول او على اجرآء النداء مجراه ﴿ قوله لمافعل بوسوسته ﴾ يعنى ان الذى اصابه بالنصب ليس الا الله جل ذكره واسند الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه سببا فيما مسه الله به فان الشيطان وسوس الى ايوب عليه الصلاة والسلام وطاوعه فيما وسوس فابتلاه الله تعالى بذلك ﴿ قوله اولسؤاله ﴾ عطف على قوله لمافعل بوسوسته وقوله امتحانا لصبره علة لقوله مسه بذلك اى والاسناد الى الشيطان لان الله تعالى مسه بذلك لسؤال الشيطان اياه منه عز وجل حسدا على ايوب وبغيا عليه حيث سمع تجاوب الملائكة بالصلاة عليه حين ذكره الله عندهم واثنى عليه كما ورد فى الحديث ان عبدى ان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم روى ان الشيطان قال الهى عبدك ايوب قد انعمت عليه بجميع انواع النعم واصنافها وشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لتحوّل عما هو عليه من شكرك وعبادتك فقال تعالى انى اعلم منه انه يعبدنى ويشكرنى وان لم يكن له سعة فى الدنيا فقال ابليس يارب سلطنى على جميع ماانعمت به عليه فسلط على كل شئ من ماله وبنيه الا على قلبه ولسانه وزوجته فطفق ابليس يباشر سبب هلاك امواله واولاده وزوال صحة جسمه فكلما سعى فى هلاك صنف من امواله اهلكه الله تعالى لسؤال ابليس ذلك وكان يجيئ لايوب فى صورة القيم على ذلك الصنف ويخبره بهلاكه وانه لم يبق منه شئ وان يقوم على غيره فيجيبه ايوب عليه الصلاة والسلام بقوله الحمد لله الذى اعطانيها واخذها عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود فى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل وليس لى ان افرح حين اعارنى وان اغتم واجزع حين قبض عاريته الله اولى بجميع ما اعطانى فله الحمد حين اعطانى وحين اخذمنى والقصة مفصلة فى البغوى ﴿ قوله فيكون اعترافا بالذنب ﴾ وذلك على الوجه الاوّل ظاهر اذ قوله مسنى الشيطان بنصب معناه حينئذ اصابنى تعب منك بسبب مافعلته لوسوسة الشيطان وهو اعتراف صريح به واما على الوجه الثانى فكونه اعترافا منه ليس بظاهر لان المعنى حينئذ انه اصابنى منك تعب بسبب ان الشيطان سأل منك ذلك فاىّ ذنب منه فى ان عذبه الله تعالى اجابة لسؤال غيره الا ان يقال ان الشيطان انما سأل منه تعالى بناء على زعم انه ان ابتلى بنزع ماهو فيه من النعم والعافية قصر فى طاعته تعالى والرضى بقضائه باظهار الجزع ثم انه لما ابتلى به ودعا ربه فى كشف ذلك البلاء عدّ ذلك تقصيرا فى الرضى بالقضاء هضما للنفس والا فالتضرّع الى الله تعالى فى كشف الضرّ لاينافى الصبر والرضى ﴿ قوله اومراعاة ﴾ وجه ثان لاسناد المس الى الشيطان لان مآل ماتقدّم واحد وهو الاسناد الى السبب وحاصله ان ايوب عليه الصلاة والسلام تأدب فى دعائه حيث لم ينسبه الى الله تعالى مع انه فاعله ولايقدر عليه الا هو ﴿ قوله اولانه وسوس الى اتباعه ﴾ فالذى مسه من النصب والعذاب هو مافعل اتباعه من رفضهم واخراجهم اياه من ديارهم الى الصحرآء واسنده الى الشيطان لكونه سببا حاملا لهم على ذلك بوسوسته اليهم * قرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد وهو اشدّ البلاء قيل النصب مااصابه فى بدنه والعذاب مااصابه فى سائر ماله من النعم وفيه بعد وقرئ بنصب بفتح النون وسكون الصاد على انه المصدر يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وقرئ بفتحتين وهو لغة فى نصب بالضم والسكون نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وقيل الذى هو بالضم والسكون جمع نصب بفتحتين نحو اسد واسد ووثر ووثر وقرئ نصب بضمتين وهو تثقيل نصب بضم وسكون وفيه بعد لما تقرّر ان مقتضى اللغة تخفيف فعل بضمتين كعنق لاتثقيل فعل كقفل ﴿ قوله حكاية لما اجيب به ﴾ اى لما انقضت مدّة بليته دعا ربه فقيل له اركض برجلك واختلف فى مدّة بلائه فعن انس رضى الله عنه يرفعه ان ايوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب لبث ثلاث سنين ولم يزد عليها يوما وقال كعب كان فى بلائه سبع سنين وسبعة اشهر وستة ايام وكان مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرآئيل تختلف فيه الديدان ولايقربه احد غير زوجته رحمة تسأل الناس من صدقاتهم وتأتيه بطعامه ويحمد الله معه اذا حمد وايوب على ذلك لايفتر عن ذكر الله تعالى فصرخ ابليس لعنة الله عليه صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارضين فقال لهم اعيانى هذا العبد الذى لم ادع له مالا ولا ولدا حتى جعلته قرحة ملقاة فى كناسة فلم يزد الا صبرا ورضى فاعينونى عليه فانه ابطل جميع مااهلكت به من مضى من الهالكين فقالوا نشير عليك من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته فقالوا عليك بامرأة ايوب فقال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهى تطلب صدقة الناس فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك ياامة الله قالت هو ذاك الذى تسيل قروحه وتتردد الديدان

والاسناد الى الشيطان بواسطة ان الله مسه بذلك لمافعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه اولسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ماكان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارّة وباردة فاغتسل من الحارّة وشرب من الاخرى (ووهبنا له اهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرّقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ماكان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم

فى جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلة جزع فوسوس اليها و ذكرها ماكانت فيه من النعيم و الاموال و ذكرها جمال ايوب وشبابه و مافيه من الضرر و ان ذلك لاينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة و قال ليذبح هذه ايوب لى حتى يبرأ مما هو فيه فجاءت تصرخ حتى قالت الى متى يعذبك ربك اين المال و اين الجمال و اين الاولاد و الاصدقاء فقد دلنى معالج على ان تذبح هذه له و تستريح فقال ايوب انه عدوّ الله ابليس اتاك و نفخ فى فيك لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله حرام علىّ ان ذقت شيأ مما تأتين به من الطعام و الشراب بعد فاعزبى عنى فلا اراك فطردها فذهب فلما نظر ايوب ان ليس عنده طعام و لاشراب خرّ ساجدا و دعا ربّه فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله و الركض هو الدفع القوىّ بالرجل و منه ركض الفرس و ظاهر اللفظ يدل على انه حين ركض الارض نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه و شرب فذهب بهما ما به من الدآء من ظاهره و باطنه و المفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما و شرب من الاخرى و قيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارّة اغتسل فيها فلم يبق عليه من دآئه شئ ظاهر الاسقط و عاد اليه شبابه و جماله احسن ما كان ثم ضرب برجله اليسرى فنبعت عين اخرى باردة فشرب منها فلم يبق فى جوفه دآء الا خرج فقام صحيحا و كسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من اهل و مال و ولد الا و قد ردّ اليه مضاعفا فخرج حتى جلس على مكان شريف ثم ان امرأته قالت ان كان طردنى هو فالى من اكله ادعه يموت جوعا لارجعنّ اليه فرجعت فلم تجده و رأت شابا صاحب حلة قعد فى مكان شريف فهابت ان تسأله عنه فدعاها ايوب فقال ما تريدين يا امة الله فبكت و قالت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا فى الكناسة لاادرى اضاع ام ما حاله ثم جعلت تنظر اليه و هى تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال انا ايوب الذى امرتنى ان اذبح لابليس فانى اطعت الله و عصيت الشيطان و دعوت الله فردّ علىّ ما ترين ﴿قوله تعالى و لاتحنث﴾ الحنث الاثم و يطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله لكونه سببا و هذا الكلام يدل على انه تقدّم منه الحلف على ضرب اهله و اختلفوا فى سبب يمينه و اختار المصنف ما ذكره من انها خرجت لحاجة و ابطأت فحلف على ضربها لذلك و لم يلتفت الى ما ذكر من ان الشيطان قال لها الذى اصابكم من البلايا لم يصبكم به الا انا فان الله تعالى سلطنى على اموالكم و اولادكم و على جسد زوجك ففعلت فيكم جميع ما ترين من البلايا فان اردت ان اردّ عليكم جميع اموالكم و اولادكم و سائر ما زال عنكم من الاسباب و القوى فاسجدى لى فقالت امهلنى حتى اتفكر فذكرت ذلك لايوب فحلف و قيل قال لها ان زوجك ان استغاث بى خلصته من هذا البلاء و قيل قال لها ان ذبح و قرّب لى عناقا او ان شرب الخمر برئ فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف لذلك و قيل ان امرأته كانت تخدم الناس لتحصيل القوت و فى يوم من الايام لم تقدر على القوت فباعت احدى ذؤابتيها برغيف ثم باعت الاخرى فى يوم آخر فلم يبق لها ذؤابة و كان ايوب عليه الصلاة و السلام اذا اراد ان يتحرك فى مضجعه تعلق بذؤابتيها فلما لم يجد الذؤابة وقع فى قلبه خاطر ردى فحلف لذلك و لم يلتفت المصنف الى مثل هذه الاقاويل لبعدها فى حق اهل بيت النبوّة و لما كانت بريئة من الخيانة و حسنة الخدمة لزوجها حلل الله تعالى يمينه باهون شئ عليها لحسن نيته فيما حلف ﴿قوله و لايخل به شكواه الى الله﴾ جواب عما يقال كيف وجده صابرا و قد شكا اليه حيث قال رب انى مسنى الضرّ و مسنى الشيطان بنصب و تقرير الجواب ان الشيطان عدوّ و الشكاية من العدوّ الى الحبيب معناها الاستعانة منه و الالتجاء و التحصن بكنف الحبيب و ظل حمايته و ذلك لايسمى جزعا كتمنى العافية و طلب الشفاء مع ان الآلام كانت فى جسده و الهوامّ على بدنه فتذكر الشكوى و قيل انه لما طالت مدّة الآلام اخذ الشيطان يوسوس اليه بالقنوط من رحمة الله و الحمل على الجزع و الشكاية من فوات الحالة الاولى و كذا شرع فى ان يوسوس الى امرأته و الى سائر الناس انه لو كان نبيا لكان له عند الله جاه و منزلة و لايبتليه بمثل هذه البلية مدّة مديدة حتى روى انه ارتدّ بعض من آمن به منهم فلما خاف ان تؤثر فتنة الشيطان فى القلب و الدين تضرّع الى ربّه فى دفع شرّه و ذلك لاينافى الصبر لانه لايجوز الصبر على مفسدة القلب و الدين بل سبيله الاستغفار و اصلاح الحال باىّ طريق امكن و انما الصبر على مخالفة النفس و الهوى ﴿قوله تعالى و اذكر عبادنا ابرهيم﴾ و المقصود من جمع هذه القصص الاعتبار كأنّ الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما فى الدنيا احد كان اكثر نعمة و لامالا و لاجاها من داود و سليمان و ما كان اكثر بلاء و محنة من ايوب فتأمل فى احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لاتنتظم لاحد فان

(و خذ بيدك ضغثا) عطف على اركض و الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش و نحوه (فاضرب به و لاتحنث) روى ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام و قيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة و ابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك و هى رخصة باقية فى الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما اصابه فى النفس و الاهل و المال و لايخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لايسمى جزعا كتمنى العافية و طلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين (نعم العبد) ايوب (انه اوّاب) مقبل بشراشره على الله تعالى (و اذكر عبادنا ابراهيم و اسحق و يعقوب) و قرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له و اسحق و يعقوب عطف عليه (اولى الايدى و الابصار) اولى القوة فى الطاعة و البصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة و العلوم الشريفة

العاقل لابدّله من الصبر على المكاره واذكر ايضا صبر ابراهيم حين القى فى النار وصبر اسحق حين عرض على الذبح وصبر يعقوب عليه الصلاة والسلام حين فقد ولده وذهب بصره * قرأ الجمهور اولى الايدى باثبات الياء فى الايدى على انه جمع يد وقرئ ايضا اولى الايد بحذف الياء والايد القوّة * الجوهرى آد الرجل يئيد ايدا اشتدّ وقوى والايدى والايد القوّة والظاهر ان المصنف قرّر قرآءة الجمهور فيكون قوله اولى القوّة فى تفسير قوله تعالى اولى الايدى بناء على انه جعل الايدى جمع اليد وجعل اليد عبارة عن القوّة لا عن نفس الجارحة المخصوصة لان كل احد كذلك فلا يصلح للمدح وانما عبر عن القوّة باليد لانها سبب التقوّى على اكثر الاعمال وبها يحصل البطش والقوّة والابصار حمل على بصر القلب ويسمى البصيرة وهى القوّة التى يتمكن بها الانسان على ادراك المعقولات وتخصيص المعقولات بما يتعلق بالدين مستفاد من خصوصية الموصوف باولى الابصار وفيه تعريض بالزمخشرى حيث قال وتفسير الايد بطرح الياء بالقوّة قلق غير متمكن اى لا يستقرّ مع عطف الابصار عليه فانه لا يناسب اليد بمعنى القوّة وانما يناسب اليد بمعنى الجارحة المستعملة فى القوّة مجازا لعطف الابصار عليه وكان المعنى اولى القوّة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فلم يتمكن عطف الابصار على الايد بمعنى القوّة لذلك المعنى ﴿قوله لان اكثرها بمباشرتها﴾ اى اكثر الاعمال لا يتأتى بدون اليد فتكون اليد من لوازمها ويكون ذكر الايدى كناية عنها لان اليد سبب وآلة لها فتكون مجازا مرسلا كما فى الوجه الاوّل ﴿قوله بخصلة خالصة﴾ اى صافية لا يشوبها غيرها وهو اشارة الى ان خالصة صفة لمحذوف يبينه ذكرى الدار على انه خبر مبتدأ محذوف يرجع اليها وان الذكرى مصدر بمعنى التذكر الذى هو نقيض النسيان اى وتلك الخصلة الصافية استغراقهم فى ذكر الآخرة واشتغالهم بذكرها عن ذكر الدنيا * فان قيل كيف يكونون خالصين لله وهم مستغرقون فى الطاعة وفيما هو سبب لها وهو تذكر الآخرة * اجاب عنه المصنف بان استغراقهم فى تذكر الآخرة ليس الا استغراقهم فى الشوق الى لقاء الله تعالى على وجه يرضى عنهم ويرضون عنه ولما لم يكن ذلك الا فى الآخرة استغرقوا فى تذكرها والاشتغال بما يؤدّى الى لقائه على ذلك الوجه وهو خلوصهم فى الطاعة ﴿قوله واطلاق الدار﴾ مع ان المراد الدار المقيدة بكونها آخرة للاشعار بان حقيقة الدار منحصرة فيها لا يتبادر الذهن عند اطلاق اسم الدار الى غيرها وذكر لاضافة خالصة الى ذكرى وجهين الاوّل انها اضافة بيانية اى من قبيل اضافة الشئ الى ما يوضحه ويبينه فان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى فتبينت بالاضافة والثانى انها من اضافة المصدر الى فاعله على ان تكون خالصة مصدرا بمعنى الخلوص كالعاقبة والعافية والمعنى بان خلصت لهم ذكرى الدار واما اضافة ذكرى الى الدار فيجوز ان تكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى اخلصناهم بسبب ذكرهم الآخرة ووجل قلوبهم منها او ما يكون فيها مما لا يحصى وان تكون من اضافته الى المفعول فيه على السعة وهو ظرف فى المعنى والمفعول به محذوف اى ذكرهم الوقوف او الحساب او نحوهما فيها وعلى هذا ففى الكلام حذفان حذف المفعول به وحذف الجار كذهبت الشام وقيل المراد بالدار الدنيا وبالذكرى الصبر والثناء الجميل ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم والمعنى تلك الخصلة الصافية ثناء الناس لهم فى الدنيا فالدار على هذا ايضا ظرف كالوجه المذكور آنفا نحو يا سارق الليلة وعندنا فى قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يجوز ان يكون من صلة الخبر وان يكون من صلة محذوف دل عليه الخبر وهو لمن المصطفين اى وانهم مصطفون عندنا ولا يجوز ان يكون من صلة هذا الظاهر لانه فى صلة الالف واللام وما كان فى الصلة لا يتقدم على الموصول واسماعيل وذو الكفل واليسع قوم آخرون من الانبياء تحملوا الشدآئد فى دين الله تعالى روى ان اليسع وذا الكفل كانا ابنى عم وكان اليسع فى اربعمائة من الانبياء فى زمان ملك ظلوم فقتل الملك منهم ثلاثمائة وبقى ذو الكفل مع من بقى منهم فكفلهم وجعل يطعمهم ويسقيهم وكساهم حتى نجوا فمن ذلك سمى ذا الكفل وفى شرح الرضى وقد ينكر العلم قليلا فاما ان يستعمل بعده على التنكير نحو رب زيد لقيته وقولك لكل فرعون موسى لان رب وكل من خواص النكرات او يعرّف وذلك بان يأوّل بواحد من الجماعة المسماة فتدخل عليه اللام كقولك

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ❊ شديدا باعباء الخلافة كاهله

او بالاضافة نحو قوله

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم ❊ بابيض ماضى الشفرتين يمانى

وفيما نحن فيه ايضا كان يسع او ليسع من الاعلام المشتركة فعرف باللام على ارادة اليسع الفلانى او الليسع الفلانى

فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعميان (انا اخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى (ذكرى الدار) تذكرهم للآخرة دآئما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان اولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من ابناء جنسهم المفضلين عليهم فى الخير جمع خير كشرّ واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت (واذكر اسمعيل واليسع) هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرآئيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع

﴿قوله ولقبه﴾ اى و فى سبب لقبه بذى الكفل ﴿قوله او نوع من الذكر﴾ وهو القرآن يريد ان التنوين فى ذكر للنوعية ومطلق الذكر هو القرآن لما ذكر الله تعالى بابا من ابواب القرآن ونوعا من انواعه وهو الباب الذى ذكر فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال هذا نوع من القرآن ثم شرع فى باب آخر من ابوابه وهو ما يذكر فيه الجنة و اهلها فقال وان للمتقين الخ ﴿قوله وهو من الاعلام الغالبة﴾ اختلف فى جنات عدن فقال قوم هى معرفة بشهادة قوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده حيث وصفها باسم الموصول فدل على انها معرفة وقال آخرون هى نكرة اذ ليس عدن بعلم وانما هو كقولك جنات اقامة والعدن فى اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به والمصنف ردّ عليهم بان ماذكرتم حاله فى اصل الوضع ثم صار علما بالغلبة وجنات عدن سواء كان معرفة او نكرة يجوز كونها بدلا من حسن مآب لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس واما كونها عطف بيان لحسن مآب على تقدير كونها معرفة فلا يجوز عند البعض وجوّزه الزمخشرى والمصنف فان الزمخشرى خرّج فى مواضع جواز عطف البيان وان خالف متبوعه تعريفا وتنكيرا منها قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ﴿قوله وانتصب عنها﴾ ظاهر العبارة يشعر بان مفتحة حال من نفس جنات عدن وذا لايجوز اذ جنات تابع لاسم ان ومعمول لها تبعا فيلزم ان يكون الحال ايضا معمولا لها وانّ لاتعمل فى الاحوال بل هى حال من الضمير المستتر فى للمتقين وذلك الضمير لما كان راجعا الى الجنات وعبارة عنها تسامح فقال وانتصب عنها اى عن الضمير الراجع اليها المنوى فى للمتقين والمعنى ان جنات عدن استقرّت للمتقين حال كونها مفتحة الابواب والابواب فاعل مفتحة والالف واللام فيه بدل من الضمير العائد الى ذى الحال اى ابوابها وهو قول الكوفيين وانكر البصريون ذلك بناء على ان الحرف لايكون عوضا عن الاسم ولايقوم مقامه وقالوا ان مفتحة فيها ضمير الجنات ولذلك انث والابواب بدل من ذلك الضمير بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال لان الابواب بعض الجنات وهى مشتملة عليها وقيل الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اى مفتحة لهم الابواب منها كما حذف منه فى قولهم السمن منوان بدرهم وردّ عليهم بالفرق بينه وبين مانحن فيه لان ضمير المبتدأ قد يحذف باسره فيجوز حذف بعضه ايضا بخلاف الصفة فانها لاتحذف اعتمادا على القرينة من حيث انها فضلة يتم الكلام بدونها فاذا لم يصرح بها لايكتفى بالقرينة اذ يفوت الغرض المقصود منها ﴿قوله وقرئتا مرفوعتين﴾ على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او انهما خبران لمحذوف اى هو جنات عدن مفتحة لهم ﴿قوله او متداخلان﴾ بان يكون متكئين حالا من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة ويدعون حالا من ضمير متكئين لاحالا ثانية من ضمير لهم ويجوز ان يكون حالا منه اى من ضمير لهم فيكونان حالين متعاقبين ﴿قوله لدات﴾ اى متساويات فى السن وقيل انهنّ لدات لازواجهنّ مساوية لهم فى السن اى بعضهم لدة لبعض * الجوهرى لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوّله لانه من الولادة وهما لدان والجمع لدات ولدون وهذه ترب هذه اى لدتها ووصف الله تعالى احوال اهل الجنة فى هذه الآية فبدأ بذكر مساكنهم فاشار الى انها بساتين وانها موضع اقامة وان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وبين بقوله متكئين انهم لايتقيدون فيها بشغل وعمل ينافى الحبور والراحة ثم بين سعة عيشهم بالوان الفاكهة ولما بين حال مسكنهم ومأكلهم ومشربهم ذكر امر المنكوح وبين انهنّ لاينظرن الى غير ازواجهنّ وانهنّ على سنّ واحد ﴿قوله اولا نتخذناهم﴾ اشارة الى ان ام المتصلة لابدّ ان تقع بعد اداة الاستفهام ويكون معها معنى اى ولما كان عدم رؤية الطاغين اياهم لازما لغيبتهم كنوا عنه فقالوا تعجبا وتحسرا مالنا لانرى اى ما اعجب امرنا حيث لم يكونوا معنا فى النار ثم انكروا على انفسهم فى الاستسخار منهم بقولهم ءاتخذناهم سخريا ثم عادوا الى الاستفهام على انهم فى النار لكن خفى عليهم مكانهم ومالت عنهم ابصارهم لكونهم فى ناحية اخرى من النار فقالوا ام زاغت عنهم الابصار فأم على هذا متصلة بقولهم مالنا وان لم تكن للاستفهام فان لفظ الاستفهام يكفى فى معادلة ام المتصلة الا ترى ان همزة التسوية جعلت معادلة ام فى قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم هذا ان قرئ ءاتخذناهم على لفظ الاستفهام وكانت متصلة فيكون المعنى انهم بعدما تحسروا على غيبتهم عنهم بكونهم من اهل الجنة انكروا على انفسهم كل واحد من الامرين الاستسخار منهم وتحقيرهم فان عدم الالتفات الى الشئ من لوازم تحقيره ويكنى به عنه ﴿قوله او منقطعة﴾ عطف على قوله معادلة فتكون ام بمعنى بل وهمزة الانكار

تلذذ فان التغذى للتحلل ولاتحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) لاينظرن الى غير ازواجهنّ (اتراب) لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهنّ لبعض لاعجوز فيهنّ ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ماقبله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع (هذا) اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا (وان للطاغين لشرّ مآب جهنم) اعرابه ماسبق (يصلونها) حال من جهنم (فبئس المهاد) المهد المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (حميم وغساق) وهو على الاوّلين خبر محذوف اى هو حميم والغساق مايغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى وغساق بتشديد السين (وآخر) اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى مذوقات او انواع عذاب اخر (من شكله) من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة (ازواج) اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية مايقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها (لامرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لامرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار باعمالهم مثلنا (قالوا) اى الاتباع للرؤساء (بل انتم لامرحبا بكم) بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا (انتم قدّمتموه لنا) قدّمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ماقدمناه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) اى الاتباع ايضا (ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) اى الطاغون (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم (أتخذناهم سخريا) صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار

والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم (ان ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لابدّان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال (تخاصم اهل النار) وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يامحمد للمشركين (انما انا منذر) انذركم عذاب الله (وما من اله الا الله الواحد) الذى لايقبل الشركة والكثرة فى ذاته (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض ومابينهما) منه خلقها واليه امرها (العزيز) الذى لايغلب اذا عاقب (الغفار) الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعوّ به هو الانذار (قل هو) اى ماانبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم عليه السلام (نبأ عظيم انتم عنه معرضون) لتمادى غفلتكم فان العاقل لايعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فامرّ واما على النبوّة فقوله (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) فان اخباره عن تقاول الملائكة وماجرى بينهم على ماورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لايتصوّر الابالوحى، واذ ظرف لعلم او متعلق به او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الىّ الا انما انا نذير مبين) اى لانما كأنه لما جوّز ان الوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على مامرّ فى البقرة

وام المنقطعة يصح ان تقع بعد الخبر والاستفهام فان قرئ اتخذناهم على الخبر يكون المعنى انهم بعد مااخبروا عن انفسهم بما صنعوا بالمسلمين من الاستهزآء والسخرية على سبيل الندم والتحسر اضربوا عن ذلك الاخبار بالاخذ فى الانكار اشارة الى ان ليس الموضع موضع الاخبار عما صنعوا بهم بل الانكار لما حملهم على ذلك الصنع السوء من زيغ ابصارهم عنهم وكلال افهامهم عن معرفة قدرهم وعلوّ شأنهم وكونهم على الحق المبين وان قرئ على الاستفهام فالمعنى انهم انكروا على انفسهم ماصنعوا بهم ثم اضربوا عنه وانكروا على انفسهم ماهو اليق بالانكار لكونه حاملا لهم على ذلك اى دعا الى ذلك زيغ ابصارنا عنهم فى الدنيا فلا نعدّهم شيأ وكلال افهامنا حيث خفى علينا حقيقة حالهم ومانظرنا منهم الا الى ظواهرهم ورثاثة الهيئة اى دناءتها وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لامرحبا بكم من باب الخصومة ولما شرح الله تعالى نعيم المتقين وعقاب الطاغين عاد الى تقرير النبوّة والتوحيد والبعث المذكور فى اوّل السورة فبدأ بتقرير النبوّة بما يتضمن وعيد المشركين بان وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو اصل التوحيد وثنى وعيدهم بتوصيف الاله الواحد عز وجل بانه قهار ثم اتبعه بما هو وعد للموحدين وهو قوله رب السموات الآية فان مالكيتها تشعر بالاتصاف بصفات الجلال والجمال ومنها تربيته بجوده واحسانه بايصال خلقه الى درجات كماله ﴿قوله لان المدعوّ به هو الانذار﴾ علة لتقديم مايشعر بالوعيد وتكريره يعنى انما قدمه وكرره لان السبب الحامل على ندآء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقل يامحمد هو انذارهم وقوله تعالى هو مبتدأ ونبأ خبره وعظيم اى جليل القدر صفة نبأ وانتم عنه معرضون ايضا صفة وعنه متعلق بمعرضون ﴿قوله فان اخباره عليه الصلاة والسلام عن تقاول الملائكة﴾ اشارة الى ان المراد باختصام الملأ الاعلى وهو الملائكة عبارة عما جرى بينهم من التقاول فى شأن آدم عليه الصلاة والسلام حين قال تعالى للملائكة على لسان ملك انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الخ سمى ماجرى هناك من السؤال والجواب مخاصمة ومناظرة مجازا تشبيها له بها وقيل المراد اختصامهم واغتباطهم لبنى آدم ومافيهم من الفضائل وتقاولهم بان اختصاصهم بمزيد الكرامة والشرف لاى سبب هو ويجيبهم البعض الآخر بان ذلك الكفارات والدرجات كما ورد فى حديث الاختصام انه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الله فى احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وماهنّ قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه فى السبرات وفى بعض الروايات فى المكاره والسبرة الغداة الباردة قال من فعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وقال ثم ما الدرجات قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة فى الليل والناس نيام قال قل اللهم انى اسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب علىّ واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموهنّ فوالله الذى نفسى بيده انه الحق * وفيه روايات اخر حاصل جميعها ماكتب ويجوز انه تعالى ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم اجمالا اختصاص الملائكة اوّلا فى القرءآن ثم بينه ثانيا مفصلا فى منامه ﴿قوله واذ ظرف لعلم او متعلق به﴾ ولم يتعرض الزمخشرى لهذا الوجه ولعل وجهه انه لم يجد فائدة فى نفى علمه عليه الصلاة والسلام وقت الاختصاص واختاره المصنف وقدمه على الوجه المبنى على الحذف على ان نفى علمه بهم وقت الاختصاص على وجه الاستغراق يقتضى نفى علمه بشئ من اوصافهم واحوالهم وذلك يستلزم ان لايعلم اختصامهم ثم اذا علمه واخبر عنه من غير سماع ومطالعة كتاب ثبت انه نبى يوحى اليه ﴿قوله اى لانما﴾ اشارة الى ان محل انما انا نذير النصب بنزع الخافض والتقدير مايوحى الىّ الا لانما انا نذير اى للانذار فحذف الجار وهو غير مراد فانتصب المجرور بايصال الفعل اليه او وهو مراد فيكون فى موضع الجرّ كما هو المشهور فى مثله والقائم مقام الفاعل على هذا الىّ فان كان فى محل الرفع على انه القائم مقام الفاعل يكون المعنى مايوحى الىّ الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرّط فى ذلك فان ماك جميع مااوحى اليه عليه الصلاة والسلام هو الانذار وفى المعالم وقرأ ابو جعفر انما بكسر الالف لان الوحى قول امين فتكون الجملة متضمنة لهذا الاخبار وقال الزمخشرى على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ثم فسر ذلك القول بقوله وهو قولى لكم انما انا نذير ﴿قوله فان القصة﴾ بيان لكونه بدل اشتمال من اذ يختصمون بناء على ان قصة الاختصام مشتملة على مضمون هذه الجملة مع امور اخرى هى التقاول

الجارى بين الملائكة وآدم وابليس وسموا بالملأ الاعلى لانهم كانوا فى السماء وقت التقاول ﴿قوله غير انها اختصرت﴾ حيث لم يذكر فى هذا المقام كلام الملائكة فلذا لم يذكر آدم وكلامه * ولما ورد ان يقال ان كان المراد بملأ الاختصام الملائكة وآدم وابليس فليس الاختصام والتقاول فيما بينهم بل كان بين الله وبينهم لان الله تعالى هو الذى قال لهم وقالوا له وان جعلت الله من قبيل الملأ الاعلى على سبيل التغليب فقد ابعدت المرمى * اجاب عنه اوّلا بان المقالة الجارية بينهم وبين الله تعالى جعلت واقعة بين الملأ الاعلى بناء على ان تكون مقاولته تعالى اياهم بواسطة ملك بان اوحى الله الى ملك من الملائكة ان يقول اى وهو الذى قال لسائر الملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وهو القائل لهم اسجدوا لآدم والقائل لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ والقائل لآدم انبئهم باسمائهم فيكون اسناد هذه الاقاويل اليه تعالى مجازا لكونه سبب اقواله وثانيا بتعميم الملأ بان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة على سبيل التغليب وهو ضعيف ﴿قوله عدّلت خلقته﴾ اى هيئته الهيئة التى لا يبقى بعدها الا نفخ الروح فيه والفاء فى قوله تعالى فقعوا له ساجدين يدل على انه لما تم نفخ الروح فى الجسد امر الله تعالى الملائكة بان يقعوا له ساجدين سجدة التحية والاكرام فان قع امر من وقع يقع فكذا قول المصنف فخرّوا بكسر الخاء على لفظ الامر ﴿قوله وصار﴾ فسر كان بصار اشارة الى ان وجود كفره انما كان وقت ابائه واستكباره من الازمنة الماضية لا فى جميع الازمنة الماضية فان كان ليس بموضوع لاستمرار خبره لاسمه فى جميع الازمنة الماضية بل مطلقا فى جنس الاوقات الماضية فصح ارادة اىّ وقت منها وصح ارادة وقت ابائه واستكباره عنه وصح ايضا ارادة جميع الازمنة الماضية وذلك اذا حمل على وجود كفره فى علم الله تعالى ﴿قوله خلقته بنفسى﴾ اشارة الى ان خلقت بيدىّ استعارة لتفرّده بخلقه تشبيها لتفرّده بالايجاد باختصاص ما عمله الانسان بيديه كما مرّ فى سورة يس فى تفسير قوله مما عملت ايدينا ولما كفى فى افادة هذا المعنى توحيد لفظ اليد بين وجه تثنيته وقيل ان قوله او اختلاف الفعل اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم * خمرت طينة آدم اربعين صباحا * وقوله وترتيب الانكار عليه اشارة الى فائدة توصيف المسجود له بمضمون الصلة وهو خلقت بيدى فى مقام الانكار على ترك السجدة له وذكر فيها وجهين الاوّل ان ذلك الوصف داع الى السجود والتعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم والثانى ان ذلك الوصف هو الذى صرف ابليس من السجود لآدم وابى واستكبر ان يسجد لغير الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو من طين وان نفسه مخلوق من النار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى فى مقام الانكار على ترك السجود والتوبيخ عليه ما هو الصارف عنه بزعمه توبيخا له على اعتباره مع ان وجود ما يدعو الى السجود اقوى منه وهو امر الله تعالى له بالسجود فضل الساجد على المسجود له لا يصلح مانعا وصارفا له عن الامتثال لامره تعالى بالسجود للمفضول ﴿قوله وترتيب الانكار عليه﴾ اى على كون المسجود له مخلوقا له تعالى من غير توسط اما للاشعار بان ذلك الوصف داع الى التعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم او للاشعار بان كونه مخلوقا له تعالى هو الذى تشبث به اللعين فى ترك تعظيمه قال كيف يستحق المخلوق لان يسجد له ويعظم من دون الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو مخلوق من طين وان نفسه مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فابى ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى ما هو الصارف عنه بزعم اللعين وانكر على تركه السجود لما خلقه بنفسه للاشعار بان ما زعمه صارفا لا يصلح صارفا عنه اذ للسيد ان يجعل بعض عبيده خادما للبعض ولو كان للخادم مزيد اختصاص بالسيد فكان شرف الخادم لا عبرة به مع وجود ما يدعوه الى خدمة المفضول وهو امر السيد بخدمة المفضول فان امر السيد واجب الاتباع سواء امر الفاضل بخدمة المفضول او بالعكس ﴿قوله وقيل استكبرت الآن الخ﴾ والمعنى على الاوّل ألاستكبارك تركت السجود ام لعلوّك وعلى الثانى ألاستكبارك الحادث تركت السجود ام لاستكبارك القديم المستمرّ ولم يرض به المصنف لان جواب ابليس لا يطابقه فانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وعاليا بالنسبة اليه وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه وايضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية واللطافة والنورانية خير من الكثافة والظلمانية ﴿قوله اى فاحق الحق واقوله﴾ اشارة الى ان الحق الاوّل منصوب بفعل مقدّر والثانى باقول المذكور ﴿قوله ان عليك الله ان تبايعا﴾ تمامه * تؤخذ كرها او تجيء طائعا *

بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سوّيته) عدّلت خلقته (ونفخت فيه روحى) واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته (فقعوا له) فخرّوا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقد مرّ الكلام فيه فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن الطاعة او كان منهم فى علم الله تعالى (قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ) خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه سجوده وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص (استكبرت ام كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوّق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار (قال انا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة او السماء او من صورة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مرّ بيانه فى الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القراءتين (قال فالحق والحق اقول) اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاوّل اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله * ان عليك الله ان تبايعا *

وجوابه (لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) ومابينهما اعتراض وهو على الاوّل جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاوّل على الابتدآء اى الحق يمينى اوقسمى او الخبراى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله

قد اصبحت ام الخيار تدّعى * علىّ ذنبا كله لم اصنع *

ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاوّل وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاوّل وبرفع الاوّل وجرّه ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين (قل مااسألكم عليه من اجر) اى على القرآن او على تبليغ الوحى (وما انا من المتكلفين) المتصنعين بما لست من اهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن (ان هو الاذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمنّ نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد وصدقه باتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت اويوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصرّ على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الاقوله قل ياعبادى وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاوّل صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ اوالزم

فان اسم الله تعالى مقسم به حذف منه حرف القسم واوصل الفعل اليه كان شخصا اخذ قهرا لان يبايع و اليافقيل له اقسم بالله ان الواجب عليك ان تبايع فلانا تؤخذ كرها لاجل ذلك ثم بعد المبايعة تردّ طوعا فتؤخذ بدل من تابع بدل الفعل من الفعل كما يبدل الاسم من الاسم **قوله تعالى لاملأنّ جهنم منك** اى من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم اى من ذرية آدم على ان من فى منهم بيان لمن تبعك واجمعين يجوز ان يكون تأكيدا للكاف فى منك وماعطف عليه وهو ممن تبعك اى لاملأنّ جهنم منك يا ابليس وممن تبعك من بنى آدم لااترك احدا من التابعين والمتبوعين وان يكون تأكيدا لضمير منهم اى لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك من جميع الناس لاتفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود مالايجوز منهم وهو الاغواء والاتباع **قوله وقرئا مرفوعين** اما رفع الاوّل فلماذكر من كونه مبتدأ حذف خبره اى فالحق قسمى لاملأنّ جهنم كقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون او من كونه خبرا لمبتدأ محذوف اى فانا الحق كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين واما رفع الثانى فبالابتدآء وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كما فى قول ابى النجم

* قد اصبحت ام الخيار تدّعى * علىّ ذنبا كله لم اصنع *

لان الرواية برفع كله ولابدّ من العائد وقرئا مجرورين ايضا اما الاوّل فمجرور على الحكاية وهو منصوب المحل باقول بعده كأنه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما لفظ به اوّلا وفسره الزمخشرى بقوله اى ولا اقول الا الحق كما فى قرآءتهما منصوبين ووجه القصر على تقدير النصب ظاهر لانه مفعول قدم على عامله وكذا على تقدير الجرّ لان الحق المجرور حينئذ منصوب محلا والجرّ على حكاية لفظ المقسم به فاذا قدّم على الفعل جاء القصر ايضا وعلى تقدير ان يجعل الحق الثانى حكاية عن الاوّل ومعربا باعرابه لايكون قوله والحق اقول معترضا بل يكون لمجرّد التأكيد كالتكرير قال الزمخشرى ومعناه التوكيد والتشديد اى تأكيد القسم وتشديده لانه اذا قيل وبالقسم الحق اقول واتكلم كان ذلك فى معنى تكرير القسم **قوله وهو سائغ فيه اذا شارك الاوّل** اى الوجه المذكور وهو الاعراب على حكاية اللفظ المتقدّم جائز فى الثانى اذا شارك الاوّل فى صورة الاعراب بان كانا منصوبين او مرفوعين او مجرورين ولايختص بالاخير لان المنصوبين ايضا مقسم بهما كالمجرور غير انه لابدّ فى المرفوع من تقدير الخبر فكانهما تفيد ماتفيده حكاية المجرور وهذا الوجه فى المرفوع والمنصوب فيه دقة ليست فيهما على تقدير عدم الحكاية اذلايهتدى اليه كل احد وفيه ايضا حسن حيث يقبله الطبع وينبئ عنه المقام وقوله وتخريجه على ماذكرنا اراد غير الحكاية يعنى ان المرفوع مبتدأ محذوف الخبر اى الحق قسمى والمجرور مجرور باضمار حرف القسم ونصب الثانى على انه مفعول مقدّم والجملة معترضة **قوله اذ الكلام فيهم** جواب مايقال ان من تبعك يعم الناس والجنّ فعلى هذا الظاهر ان يكون ضمير منهم للثقلين وضمير منك للشيطان وحده **قوله على ماعرفتم من حالى** اشارة الى ان قوله وماانا من المتكلفين انماهو للتنبيه على ماعرفوا من حاله لاللاخبار والالكان دعوى بلا بينة **قوله فأنتحل النبوّة** اى ادّعيها لنفسى كاذبا يقال انتحل شعر غيره اذا ادّعاه لنفسه **قوله وهو مافيه من الوعد** اشارة الى ان الاضافة فى نبأه بمعنى فى اى لتعلمن الخبر الذى فى القرآن او لتعلمنّ خبر صدقه على حذف مضاف والله اعلم

سورة الزمر سبعون وخمس آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله والظاهر ان الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثانى القرآن اراد بالوجه الاوّل كون تنزيل خبر مبتدأ محذوف والظاهر انه اراد بالكتاب هذه السورة لان الكتاب والقرآن وان كانا اسمين لمابين دفتى المصحف متناولان لجميع السور الاان الظاهر ان يختص الكتاب بالسورة حينئذ لوجود المخصص وهو الاشارة فان الاصل ان تكون الاشارة الى الموجود الحاضر فيكون المعنى هذا التنزيل تنزيل السورة من الله او كائن من الله واراد بالوجه الثانى كون تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف بعده خبره والظاهر ان يبقى الكتاب على اطلاقه لعدم المخصص والمعنى هذا تنزيل الكتاب ان كان من الله حالا من التنزيل والعامل فيها مافى هذا من معنى الفعل وهذا تنصيص على ان معانى الافعال تعمل سوآء كان ماهى فيه محذوفا او مذكورا وقيل اذا كان ماهى فيه محذوفا لاتعمل كما لاتعمل فى المتقدمة لضعفها وان كان حالا من الكتاب والعامل فيها التنزيل فكأنه قيل تنزيل الكتاب كائنا من الله وجاز مجيئ الحال من

المضاف اليه لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف الى مفعوله ﴿قوله ملتبسا بالحق﴾ اشارة الى ان بالحق متعلق بمحذوف فى موضع النصب على انه حال من الكتاب لما بين انه منزل من عند الله بين انه انما انزل ملابسا بالحق ويجوز ان يكون حالا من فاعل انزلنا اى انزلناه ملتبسين بالحق والصدق والصواب اى كل ما فيه حق يجب فيه الاعتقاد والعمل به وقوله او بسبب اثبات الحق اشارة الى انه متعلق بالانزال فيكون بيانا لما دل عليه الحكيم اجمالا ولما بين ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص على ان الدين هو الطاعة والعبادة واخلاصها لله تعالى ان يكون الداعى الى اتيانها مجرد الانقياد والامتثال من غير ان يشوبها شئ من الشرك والرياء وقوله تعالى مخلصا حال من فاعل فاعبد والدين منصوب بمخلصا وله متعلق به ﴿قوله وقرئ برفع الدين على الاستئناف﴾ فيتم الكلام على مخلصا ويكون له الدين مبتدأ وخبرا قصد به تعليل الامر بالعبادة لله تعالى على وجه الخلوص * ولما كان تقديم الخبر مفيدا لتأكيد الاختصاص المستفاد من الامر * ورد ان يقال فحينئذ يكون قوله الا لله الدين الخالص تكريرا له فما الفائدة فيه * اجاب عنه بانه تأكيد لذلك الاختصاص مع التصدير بحرف التنبيه الدال على ظهور الامر ﴿قوله والاطلاع على الاسرار والضمائر﴾ فيطلع على سر من اخلص له الطاعة ومن فعلها رياء وسمعة فلا يقبل الا ما خلص له ويضيع غيره ﴿قوله يحتمل المتخذين﴾ يعنى ان الموصول فى قوله والذين اتخذوا يحتمل ان يكون عبارة عن المتخذين بكسر الخاء وهم المشركون الذين اتخذوا غيره اولياء فيكون ضمير اتخذوا راجعا اليهم فالذين مبتدأ وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مقول مضمر وذلك المضمر مع معموله خبر المبتدأ والتقدير والذين اتخذوا من دون الله اولياء قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله وبذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما اى قرأ باظهار قالوا قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله * فان قيل لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله لانهم يزعمون انها تماثيل الكواكب او تماثيل الملائكة او تماثيل الصالحين الذين مضوا فيعبدونها رجاء ان تنفعهم عند الله ويجوز ان يكون خبر المبتدأ قوله ان الله يحكم بينهم فيكون ذلك القول المضمر مع مقوله فى محل النصب على الحال من فاعل اتخذوا اى فالذين اتخذوا قائلين كذا وكذا ان الله يحكم بينهم او يكون ذلك القول المضمر بدلا من صلة الذين التى هى اتخذوا اى والذين اتخذوا قالوا ما نعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم ويحتمل ان يكون والذين عبارة عن المتخذين بفتح الخاء اى والذين اتخذهم المشركون اولياء من الملائكة وما عبد من دون الله كعيسى وعزير واللات والعزى فحينئذ ضمير اتخذوا يكون راجعا الى المشركين الذين يدل عليهم سوق الكلام اذ يكتفى فى الاضمار ذكر ما يرجع اليه الضمير واولياء مفعول ثان لاتخذوا ومفعوله الاول محذوف وهو الضمير العائد الى الموصول والتقدير والذين اتخذهم المشركون من دون الله اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا لان هذا الكلام انما يصح ممن يعبد غير الله والمتخذون بفتح الخاء ليسوا كذلك والزلفى اسم مصدر بمعنى القربة والمنزلة وانتصابه لاقامته مقام المصدر المؤكد لعامله لانه متحد به فى المعنى اى ليزلفونا الى الله زلفى اى ليقربونا تقريبا وجوز ابو البقاء ان تكون حالا مؤكدة ﴿قوله والضمير﴾ اى ضمير الجمع فى قوله بينهم وهم يختلفون للكفرة ومقابليهم وقد تقدم ذكر الكفرة صريحا على الاحتمال الاول فى قوله والذين اتخذوا وذكر المؤمنين تقدم لدلالة سوق قوله الا لله الدين الخالص فان اهله المؤمنون وعلى الاحتمال الثانى كلاهما مذكوران دلالة والمراد بالكذب فى قوله تعالى من هو كاذب كفار وصفهم الاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة وانها تشفع لهم وتقربهم او قولهم الملائكة بنات الله بقرينة تعقيبه بما يبطله ويحتمل ان يكون المراد بالكفر كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم وذلك لا يليق الا بمن يصدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها فى الانعام فعبادتها غاية الكفران لنعمة المنعم الحق ﴿قوله اذ لا موجود سواه﴾ تعليل لقوله لاصطفى مما يخلق باعتبار تضمنه لما هو جواب لو حقيقة فان تقرير الكلام لو ثبت القول بانه اراد اتخاذ الولد لامتنع اجراؤه على حقيقته ولا يكون معناه الا انه اراد اصطفاء بعض خلقه وتخصيصه وتقريبه اليه كما يخصص ولده ويقربه وذلك لان حقيقة اتخاذ الولد ممتنع فى حقه تعالى لاستلزامه تركب ذاته من الماهية الكلية والتعين المنضم اليها ضرورة ان الولد والوالد متفقان بالحقيقة ومتمايزان بالهوية والتعين فيكون لكل واحد منهما ماهية نوعية وتعين منضم اليها وارادته تعالى لا يجوز ان تتعلق بالممتنع فلم يبق للقول بانه اراد اتخاذ الولد

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبد الله مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال (الا لله الدين الخالص) اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه اولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول او (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (ان الله لا يهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقدا البصيرة (لو اراد الله ان يتخذ ولدا) كما زعموا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له

سوى ماذكر ثم انه تعالى لما اصطفى بعض خلقه وقرّبهم اليه زعم الكفرة لجهلهم و انطماس عين بصيرتهم ان الذين اصطفاهم اولاده حقيقة من جهة تحقق لوازم الاولاد فيه من قربتهم اليه تعالى و كرامتهم عنده ولم يقتصروا على هذا القدر بل تجاوزوا الى جعلهم بنات الله تعالى فهم كذابون كفارون مبالغون فى الافترآء على الله و اذا ثبت ان تقدير الكلام ماذكر يكون جواب لو قولنا لامتنع اجرآؤه على حقيقته فحذف هذا الجواب فى الآية واقيم قوله لاصطفى مما يخلق مايشاء مقامه و لما تضمن هذا نفى ان يصطفى مايتحد معه فى الحقيقة المشتركة علله بقوله اذ لاموجود الخ و لما تبين بهذه العلة ان معنى ارادته تعالى اتخاذ الولد هو اصطفاء بعض خلقه تبين ان استحالة اتخاذ الولد عليه تعالى محقق لان المخلوق لايماثل الخالق حتى يكون ولدا له فتكون الآية من قبيل قوله

❁ ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ❁ بهن فلول من قراع الكتائب ❁

اى لو قيل انه تعالى اراد اتخاذ الولد يكون معنى ارادته ارادة اصطفاء بعض خلقه و لاخفاء ان هذا الاصطفاء ليس باتخاذ الولد فى شئ فاذن محال ان يقال ان يتخذ ولدا ﴿قوله ثم قرّر ذلك﴾ اى اثبت ان ماتصوّر من اتخاذ الولد فى حقه تعالى و هو اصطفاء بعض خلقه بان وحدته الذاتية وكونه قهارا اى غلابا لكل شئ موجود تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده فان الوحدة الذاتية تنافى المماثلة و قهاريته لكل شئ يوجد تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده ثم استدل على انه واحد لايشارك و قهار لايغالب بقوله خلق السموات الآية فان هذه الافعال من خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام تدل على ان كل واحد من متعلقات تلك الافعال مغلوب مقهور و لابد من قاهر يكون كل منها تحت تدبيره وقهره وانه واحد لاشريك له و الظاهر ان قوله تعالى يكوّر الليل على النهار كلام مستأنف لاتعلق له بماقبله و قيل انه حال من فاعل خلق و هو ضعيف من حيث ان تكوير احدهما على الآخر كان بعد خلق السموات و الارض الا ان يقال هى حال مقدرة و هو خلاف الاصل اذ لايصار اليه من غير ضرورة ﴿قوله يغشى كل واحد منهما الآخر﴾ اى يجيئ به اياه يقال غشيه بكذا غشيانا جاء به اياه و اغشاه اياه اى جاءه غيره يريد ان اصل التكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه يكورها كورا اذا لفها عليه وكل دور كور و معنى تكوير كل واحد من الملوين على الآخر كون كل واحد منهما خلفة بان يذهب هذا و يغشى مكانه ذاك واذا غشى مكانه ذاك كانما الف عليه و لبسه كما يلف الثوب على اللابس شبه التغشية بالالباس والتكوير فى الاحاطة فعبر بهما عنها استعارة تصريحية ثم اشتق من التكوير بمعنى التغشية لفظ يكوّر فكان استعارة تبعية فعلى هذا اعتبر التشبيه فى الفعل ﴿قوله او يغيبه﴾ اى الليل و النهار شبه كل واحد منهما بشئ ظاهر لف عليه ماغيبه ووجه الشبه التغييب اى لما كان كل واحد منهما يغيب الاخر شبه باللفافة التى يغيب الملفوف فيها بالستر والاحاطة ﴿قوله او يجعله كارّا عليه كرورا متتابعا﴾ هو كالوجه الاوّل فى انه اعتبر التشبيه فى الفعل حيث شبه التغشية اى تغشية كل واحد منهما الاخر على سبيل التتابع و التعاقب بتكوير العمامة و لف بعض اكوارها اثر بعض متتابعا على نسق واحد الا انه جعل وجه الشبه التتابع ﴿قوله نوع استدلال آخر﴾ اشارة الى ان ماتقدم من الدلائل الدالة على قهاريته و وحدته فلكية فان كل واحد من خلق السموات و الارض وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير الشمس و القمر متعلق بالفلك و بما يتصل به ولما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية السفلية٭ والقصيرى تصغير القصرى وهى الضلع الاسفل التى هى اقصر الضلوع ﴿قوله وثم للعطف على محذوف﴾ جواب عما يقال عطف قوله تعالى ثم جعل منها زوجها على قوله خلقكم من نفس واحدة على طريق عطف الجملة على الجملة يدل على ان خلق حوآء من ضلع آدم عليه الصلاة و السلام متراخ عن تشعيب الخلق الفائت للحصر من آدم و الظاهر انه ليس كذلك مع ان تشعيب الخلق الفائت للحصر من آدم لم يكن مقدما على خلق حوآء من ضلع آدم عليهما الصلاة والسلام ٭ واجاب عنه بثلاثة اوجه كلمة ثم على الوجهين الاوّلين على اصلها من كون المعطوف بها متأخرا عن حكم المعطوف عليه بحسب الوجود والزمان وعلى الثالث تكون ثم للتراخى فى الرتبة لان كل واحد من المعطوف عليه و المعطوف جيئ به للدلالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته فالجملة الثانية وان كان مضمونها مقدما على مضمون الاولى زمانا الا انه متأخر عنه رتبة من حيث ان مضمون الثانية ادل على كمال القدرة و ادخل فى كونها آية دالة على التفرد فى الالوهية و اجلب لتعجب السامع بالنسبة

(الى)

ثم قرّر ذلك بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة و التعين المخصوص و القهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات و الارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارّا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة (وسخر الشمس و القمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دوره او منقطع حركته (الا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب مافى هذه الصنائع من الرحمة و عموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) نوع استدلال آخر بما اوجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة و اعجب و فيه على ماذكره ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اوّلا من غير اب و ام ثم خلق حوآء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها مشفعا بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية

الى مضمون الاولى والثانى ادل عليها وادخل فى كونها آية واجلب لعجب السامع وذلك لان تشعيب الخلائق من نفس واحدة بطريق التناكح والتوالد عادة مستمرّة بخلاف خلق حوّآء من ضلع آدم فانه خارق للعادة اذلم تخلق انثى غير حوّآء من قصيرى رجل ﴿ قوله وقيل اخرج من ظهره الخ ﴾ جواب رابع تقريره انه ليس المراد من قوله خلقكم من نفس واحدة خلقهم على هيئتهم الآن حتى يرد ان خلقهم كذلك ليس مقدّما على خلق حوّآء كما يقتضيه عطف قوله ثم جعل منها زوجها عليه بل المراد خلقهم على هيئة الذرّ وهو اخراجهم من ظهر آدم كالذرّ وجاز ان يكون ذلك مقدّما على خلق حوّآء من ضلعه من حيث الزمان فحينئذ تكون ثم للتراخى الزمانى ولم يرض به المصنف لانه خلاف الظاهر ﴿ قوله وقضى اوقسم الخ ﴾ لما لم تكن الازواج الثمانية وهى الذكر والانثى من الاجناس الاربعة التى هى الابل والبقر والضأن والمعز نازلة من السماء ومتعلقة بالانزال فسر الانزال بما يصح تعلقها به وهو القضاء او القسمة وبين وجه العلاقة بين الانزال وبينهما بكون الانزال من توابعهما ولوازمهما فيكون ذكر الانزال وارادة القضاء من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم فيكون مجازا مرسلا ﴿ قوله اواحدث لكم باسباب نازلة الخ ﴾ تصوير لصورة الاسناد المجازى من جعل الازواج متعلق الانزال مع ان الانزال فى الحقيقة متعلق سبب حدوثها وبقائها كالاشعة والامطار للملابسة بينها وبين هذه الاسباب فجعل انزال اسبابها بمنزلة انزال انفسها ﴿ قوله بيان لكيفية خلق ماذكر ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى يخلقكم فى بطون امهاتكم جملة استئنافية لبيان ذلك وخطاب الاناسىّ والانعام بضمير العقلاء مبنى على تغليب العقلاء على غيرهم وقوله خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد خلق صفة للمصدر ليفيد النوعية من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى عاملة ويجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التأكيد قيل قوله تعالى فى ظلمات متعلق بخلق المجرور ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر مؤكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا بالبدلية او العطف الا ان يجعل فى ظلمات بدلا من بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها ويكون بدلا باعادة الجار فحينئذ يجوز تعلق الجار بيخلقكم ولا يضرّ الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل وليس باجنبى عنه ﴿ قوله او الصلب والرحم الخ ﴾ لم يرض به لان خلق الحيوان السوىّ ليس فى الصلب ﴿ قوله لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرّك ﴾ فان هاء الضمير اذا تحرّك ماقبلها تشبع حركتها فان كانت الهاء مضمومة تلحق بها الواو وان كانت مكسورة تلحقها الياء نحو له وبه ويرضه يشابه ضربه صورة حيث كان ماقبل الهاء المضمومة مفتوحا فيهما ويشبه برماه تقديرا لان اصله يرضاه فمن قرأه باشباع ضمة الهاء اعتبر مشابهته بنحو ضربه فى كون ماقبل الهاء متحرّكا والحق به الواو ومن حرّك الهاء ولم يلحق الواو نظر الى ان اصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف يجوز اشباع الضمة والحاق الواو فكذا اذا كانت فى حكم الباقية لما امر باخلاص العبادة لله تعالى وبين ان الدين الخالص ليس الا له وهدّد من اتخذ من دونه اولياء بان يحكم بينهم وبين الموحدين وساق دلائل الوهيته الى ان قال ذلكم الله ربكم وقصر به الالوهية اى استحقاق العبادة والربوبية بمعنى المالكية على المبدأ وهو من هذه افعاله بين ههنا ان طرق الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضرّ طلبوا دفعه من الله لعلمهم انه يزيل الضرّ وانّ الاصنام لاتضرّ ولاتنفع وان مبدأ الكل ليس الا الله واذا ازال ذلك الضرّ عنهم عادوا الى عبادة الاصنام لمنازعة الاوهام الباطلة والخيالات الفاسدة لمقتضى عقولهم وهو الالتجاء اليه فى جميع الاحوال فهم مذبذبون لايثبتون على شئ ﴿ قوله من الخول ﴾ اى بالتحريك وهو التعهد اى الرعاية والتحفظ وحسن القيام على الشئ فى الصحاح الخائل الحافظ للشئ يقال فلان يخول على اهله اى يرعاهم وخوّله الله الشئ اذا ملكه اياه وقد خلت المال اخوله اذا احسنت القيام عليه يقال فلان خال مال وخائل مال اى حسن القيام عليه ومنه ماجاء فى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا اى يتعهدنا ويطلب اوقات نشاطنا ولا يكثر علينا خوفا من الملال وقال ابو النجم

۞ اعطى فلم يبخل ولم يبخّل ۞ كوم الذرى من خول المخوّل ۞

ومطلعه * الحمد لله الكريم المجزل * ولم يبخل تأكيد يقال ابخلته اذا وجدته بخيلا وبخلته اذا نسبته الى البخل والكوم جمع كوماء كحمر وحمرآء والكوماء الناقة العظيمة السنام والذرى ويجوز ان يكون خوّله بمعنى جعله يخول من قولهم

وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذرّ ثم خلق منه حوآء (وانزل لكم) وقضى اوقسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح اواحدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية ازواج) ذكر اوانثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون امهاتكم) بيان لكيفية خلق ماذكر من الاناسىّ والانعام واظهار لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوّة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه افعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والمالك (له الملك لا اله الا هو) اذ لايشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنىّ عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم قرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرّك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم (واذا مس الانسان ضرّ دعا ربه منيبا اليه) لزوال ماينازع العقل فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه (ثم اذا خوّله) اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله

خال يخول اذا اختال و افتخر لان الغنىّ يختال ومنه قول العرب * ان الغنىّ طويل الذيل مياس * اى متبختر من ماس يميس اذا تبختر ومنه يجوز ان يتعلق بخوّله وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنعمة ﴿قوله اى الضرّ الذى﴾ اشار الى ان ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الضرّ وان مفعول يدعو محذوف وان قوله اليه على حذف المضاف ﴿قوله او ربه الذى﴾ على ان تكون ما بمعنى الذى ايضا مرادا بها ربه الذى كان يتضرّع اليه فكان الظاهر حينئذ ان يقال ما كان يدعوله الا انه ضمن يدعو معنى يتضرّع ويبتهل فلذلك عدّى بالى وكلمة ما يجوز اطلاقها على اولى العلم كما اشار اليه المصنف بقوله وما مثله الذى فى قوله اى وكلمة ما على الوجه الثانى تماثلها فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وفى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم فان كلمة ما فى الجميع بمعنى من حيث اطلقت على اولى العلم وكلمة ما فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى فى موضع الجرّ بالعطف على المجرور بحرف القسم كقوله والنهار اذا تجلى وهى موصولة بمعنى من اى ومن خلق الذكر والانثى وهو الله عزوجل والمراد من نسيانه ترك رعايته كأنه لم يدعه قط ولو اراد النسيان الحقيقى لما ذمه عليه ﴿قوله والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح﴾ جواب عما يقال كيف جعل عبدة الاوثان اندادا لله تعالى ليضلوا بنفسهم او باضلال غيرهم مع ان العلة الغائية يجب ان تكون مما يقصد من الفعل ويدعو الفاعل اليه وشئ من الضلال والاضلال ليس كذلك * وتقرير الجواب ان عاقبة الفعل شبهت بالعلة الغائية للفعل فى ترتبها عليه فاستعمل فيها لام العلة بطريق الاستعارة التبعية كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا ﴿قوله تعالى قل﴾ اى قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا ولا يصح كونه امر ايجاب او ندب او تخيير وهو ظاهر فلا محل له سوى التهديد والمبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه ﴿قوله فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى﴾ فانه لما عبر عن الاشتغال بالكفر بالتمتع وهو الانتفاع بما تشتهيه النفس اشعر ذلك كون الكفر فيه نوع تشهى لابتنائه على الاستمرار على المألوفات وموافقة الاسلاف من الآباء والامّهات ﴿قوله واقناط﴾ عطف على اشعار وهو مستفاد من قوله قليلا لانه لما قلل زمان تمتعه بكفره علم ان المراد بذلك الزمان مدّة بقائه فى الدنيا والحكم عليه بانه فى دار الابد من اصحاب النار مبالغة فى اقناطه من التمتع لانه كيف يتصوّر التمتع والتلذذ ممن يعذب ابدا فى النار ثم انه تعالى لما شرح صفات المشركين وتمسكهم بغير الله تعالى حال الاختيار اردفه بشرح احوال المحقين فقال أمن هو قانت الآية اصله ام من فادغمت الميم فى الميم فسر القنوت بالقيام بما يجب عليه من وظائف العبادات والاتيان بها مطلقا اى سوآء كان ذلك حال الانتصاب على الاقدام اولا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * كل قنوت فى القرآن فهو طاعة الله عزوجل * وام متصلة داخلة على من الموصولة وقوله هو قانت صلة من والموصول مع صلته فى محل الرفع على الابتدآء وخبره محذوف كما حذف معادل ام المتصلة والتقدير الكافر الذى جعل مع الله الها آخر وقيل له تمتع بكفرك قليلا خير ام المؤمن القائم بوظائف العبادات خير اى ايهما خير وان كانت ام المنقطعة المتضمنة معنى بل والهمزة تكون للاضراب عن الكلام السابق وهو قوله واذا مس الانسان ضرّ الى آخر الآية كأنه قيل دع ذلك الذم وقل لهم بل أمن هو قانت كضدّه او كالانسان المذبذب الذى قيل له تمتع بكفرك وان قرئ بتخفيف الميم تكون همزة الاستفهام داخلة على من بمعنى الذى ويكون خبره محذوفا تقديره أمن هو قانت كمن جعل لله اندادا او أمن هو قانت كغيره والاستفهام فيه للانكار وآناء الليل منصوب على الظرفية اى قانت ساعات الليل وفيه دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار وقرئ ساجد وقائم بالرفع فيهما على ان ساجد خبر ثان لهو فى قوله هو قانت وقائم عطف عليه والواو المتخللة بينهما مع عدم تخللها بين الاوّل والثانى لافادة الجمع بينهما اذ ليس المقصود مجرّد اتيان كل واحد منهما بل اتيانه مقارنا للآخر مجامعا معه لان افراد احدهما عن الآخر لا يعتبر فى الشرع بخلاف افراد القنوت بمعنى الطاعة فانه معتبر وان لم يتحقق فى ضمن الصلاة وقوله تعالى يحذر الآخرة يجوز ان يكون حالا من ضمير قانت او من ضمير ساجدا وقائما وان يكون مستأنفا جوابا لسؤال مقدّر كأنه قيل ما شأنه يقنت آناء الليل ويتعب نفسه فقيل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه والمعنى ليس من يفعل ما ذكر كمن لا يفعله وبعد ما نفى الاستوآء بين من يعمل ومن لا يعمل نفى الاستوآء بين من يعلم ومن لا يعلم على وجه ابلغ فى افادة النفى المذكور حيث ذكر الفريقين المتقابلين صريحا فى النفى الثانى ونفى الاستوآء بينهما بطريق الاستفهام الانكارى بخلاف الآية الاولى فانه لم يذكر فيها مقابل الفريق الاوّل ولم يصرّح بنفى المماثلة والمساواة بينهما بل استفيد بشهادة

(نسى ما كان يدعو اليه) اى الضرّ الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرّع اليه وما مثله الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح اليـاء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لا سند له واقناط للكافر من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من اصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (أمن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن بضدّه وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له اندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستوآء الفريقين باعتبار القوّة العلمية بعد نفيه باعتبار القوّة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاوّل على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر اولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام

فحوى الكلام ودلالة المقام على ان المراد ذلك والفارق فى اختيار هذا الطريق الايماء الى مزيد فضل العلم ثم قال
انما يتذكر اولوا الالباب يعنى ان هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال انما يعرفه اولوا الالباب * قيل لبعض
العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء
فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنفعة فطلبوه والجهال من الملوك
لم يعرفوا مافى العلم من المنافع فلهذا لم يطلبوه ولم يراجعوا مواضع تحصيله ثم انه تعالى لمانفى المساواة بين من
يعلم ومن لا يعلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المؤمنين ويعلمهم مايؤديهم الى السعادة الابدية
وهو الاتقاء والتجنب عن المخالفة بملازمة الطاعة فيما امر ونهى ثم بين لهم مافى الاتقاء من الفوائد فقال للذين
احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فقوله حسنة مبتدأ والجملة خبره وصح الابتداء بالنكرة لتقدم الخبر ولان التنكير
فى حسنة للتعظيم اى حسنة عظيمة لايصل العقل الى كنه كمالها والمراد بالاحسان احسان العمل بالايمان والطاعة
وحذف مفعول احسنوا للتعميم فان الحسنة المذكورة منوطة باحسان جميع الاعمال من العقائد والافعال والاقوال
والنيات والتروك وقوله فى هذه الدنيا متعلق بقوله للذين احسنوا وقيل انه متعلق بحسنة فينبغى ان تفسر
الحسنة حينئذ بالثلاثة المذكورة فى قوله عليه السلام * ثلاثة ليس لهم نهاية الامن والصحة والكفاية * وان يكون
قوله فى هذه الدنيا بيانا لمكان قوله حسنة فكأنه قيل هذه الحسنة فى اىّ دار هى فاجيب بانها فى الدنيا فهى جملة
مستأنفة لامحل لها من الاعراب ولا يجوز كونه صفة لحسنة لان الصفة لاتتقدم على الموصوف ولم يرض المصنف
بهذا القول لان الدنيا ليست بدار جزاء ولان قوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة يريد الحصر فلو حملت
الحسنة على حسنة الدنيا لكان المعنى ان حسنة هذه الدنيا لاتحصل الا للذين احسنوا وهو باطل واما لو حملناها
على حسنة الآخرة فقد صح الحصر واتضح المعنى فثبت ان حملها عليها اولى ﴿قوله فمن تعسر عليه التوفر
على الاحسان فى وطنه فليهاجر الخ﴾ اشارة الى ان الواو فى قوله وأرض الله واسعة استئنافية جيئ بها قطعا
لعذر من فرط فى الاحسان متعللا بتسلط الاعداء على الديار والاوطان كأنه قيل اتقوا ربكم لان للمتقين اجرا عظيما
وليس لتارك التقوى عذر البتة اذ غاية امره ان يتعلل فى تركه بتعسره عليه فى وطنه وهو لايصلح عذرا لانه قد ابتلى
به الانبياء والصالحون فهاجروا من اوطانهم ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا
ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يعنى ارتحلوا من مكة والآية حث
لهم على الهجرة الى حيث يأمنون فيه من تعرض الاعداء وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب استئناف
فانه لما حث على المهاجرة من الاوطان والعشائر والصبر على احتمال البلايا رغبة فى التوفير على التقوى توجه ان
يقال كيف نتحمل هذه المشاق ومالنا ان صبرنا على ذلك فاجيب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال مقاتل
اجرهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب وقوله اجرهم مفعول ثان ليوفى وبغير حساب فى موضع النصب على انه
حال من الاجر اى كائنا بغير نهاية لان كل شئ دخل تحت الحساب فهو متناه ومالا نهاية له كان خارجا عن الحساب
﴿قوله موحدا له﴾ يعنى ان اخلاص الدين له من لوازم وحدانيته وتفرده بالالوهية لما نبه الله على مزيد
فضل العلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبين لامته امورا تتعلق بها سعادة الدارين فقال اولا قل ياعبادى الذين
آمنوا الخ وقال ثانيا قل انى امرت واللام فى قوله وامرت لان اكون للتعليل والتقدير وامرت بما امرت به لان
اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة وقوله فى الدنيا والآخرة مستفاد من اطلاق قوله اول المسلمين ﴿قوله لان قصب
السبق﴾ اى احرازه والظفر به بين بذلك وجه كون تقدمه عليه الصلاة والسلام على المسلمين علة غائية لكونه
مأمورا بالاخلاص فى العبادة فان احراز قصب السبق فى امر الدين اذا كان منوطا بالاخلاص لا بالرياء كان امره
عليه الصلاة والسلام بذلك لاجل ان يكون مقدمهم فى الدارين والمعنى انا سابقون فى مضمار الدين ولما لم ينالوا قصب
السبق ولم يستحقوا حيازته الا على حسب السبق فى الاخلاص امرت به لان افوز بفضيلة التقدم الرتبى عليهم فى
الدارين ذكر الجوهرى من جملة تفاسير القصب انه كل ما اتخذه من فضة وغيرها وانه انابيب من جوهر وفى الحديث
بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب ﴿قوله او لان اكون اول من اخلص وجهه لله﴾ عطف على قوله لاجل
ان اكون فسره اولا بان قال وامرت بذلك اى باخلاص الدين لاجل ان اكون مقدم من دخل فى الاسلام بحسب
الرتبة والفضيلة فى الدارين بسبب كون اخلاصى اتم من اخلاصهم وفسره ثانيا بان قال امرت به لان اكون اول من

(قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة (وارض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (اجرهم بغير حساب) اجرا لايهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل (قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وامرت لأن اكون اول المسلمين) وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص اولان اكون اول من اخلص وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم

اخلص وجهه لله بحسب الزمان ويقتدى بى من امرته باخلاص الدين فان من امر غيره بما لم يفعله بنفسه لايؤثر وعظه ولايقبل قوله وفى اكثر النسخ او لانه اوّل من اسلم وجهه لله الخ فيكون معطوفا على قوله لان قصب السبق الخ ويكون وجها ثانيا لكون تقدمه عليه الصلاة والسلام علة غائية لكونه مأمورا بالاخلاص فيكون الوجه الاوّل مبنيا على ان يكون المراد بقوله تعالى لان اكون اوّل المسلمين الاوّلية بحسب الرتبة والشرف والوجه الثانى على ان يراد الاوّلية بحسب الزمان فالمصنف بين وجه التعليل على الاحتمال الاوّل بان السبق والتقدم فى الدين بحسب السبق فى الاخلاص وعلى الاحتمال الثانى بقوله اوّل من اسلم وجهه لله فيكون معنى الآية امرت لان اسلم واخلص وجهى لله بان اكون اوّل المسلمين اى اوّل من اخلص واسلم وجهه لله بحسب الزمان ليصح لى ان آمر غيرى بذلك ولا ادخل فى عداد من قال فيهم اتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم ﴿قوله والعطف لمغايرة الثانى الاوّل﴾ جواب عما يقال لما جعلت اللام فى قوله لان اكون للعلة كان مفعول امرت الثانية محذوفا وهو ما كان مفعولا لامرت الاولى وكان التقدير وامرت ان اعبد الله مخلصا له الدين كما اشار اليه بقوله وامرت بذلك فلزم ان يكون المعطوف عين المعطوف عليه ولا يصح عطف الشئ على نفسه * واجاب عنه بوجهين الاوّل انا سلمنا ان مفعول امرت الثانية مقدّر هو مفعول الاولى لكن لانسلم انه يستلزم اتحاد المعطوف والمعطوف عليه فان المعنى الواحد اذا كرر بان اطلق اوّلا وقيد ثانيا بما يرتبط به بوجه من الوجوه لايكونان متحدين وما نحن فيه من هذا القبيل اذ التقدير امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لان اكون من السابقين والحكمة فى تكرير الامر بذلك مطلقا ومقيدا ما ذكره المصنف من اشعار ان الاخلاص كما يستحق ان يؤمر به لذاته يستحق ان يؤمر به لاجل ما يستلزمه من السبقة فى الدين والوجه الثانى لانسلم ان مفعول امرت الثانية محذوف بل هو ان مع الفعل المذكور بعدها واللام زائدة فالثانية مغايرة للاولى من حيث ان الاولى امر باخلاص العبادة والثانية امر بالتقدم فيه وفى دعوة نفسه الى ما دعا اليه غيره ﴿قوله لعظمة ما فيه﴾ اى ما فى ذلك اليوم من الامور العظام وهو تعليل لتوصيف اليوم بالعظم ﴿قوله امر بالاخبار عن اخلاصه﴾ جواب عما يقال ما معنى التكرير فى قوله تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى ﴿قوله خائفا﴾ خبر ثان لكان فى قوله عن كونه مأمورا وكون المأمور به اخبارا عن اخلاصه مبنى على ان تقديم المفعول فى قوله الله اعبد يفيد الاختصاص وان يكون مخلصا عطفا على اخلاصه اى الاخبار عن اخلاصه وعن كونه مخلصا له دينه الاوّل مستفاد من تقديم المفعول والثانى من تقديم العبادة بقوله مخلصا له دينى فالمأمور به بهذه الآية شيئان الاوّل اخبار عن تخصيصه العبادة لله تعالى بان لايعبد احدا سواه والثانى الاخبار عن كون تلك العبادة خالصة عن السمعة والرياء وقوله وان يكون مخلصا له دينه لم يوجد فى بعض النسخ ولا وجه له ﴿قوله قطعا لاطماعهم﴾ مفعول له لقوله امر بالاخبار وطمعهم ما روى ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تنظر الى ملة ابيك عبد الله وملة جدك عبد المطلب وسادة قومك كانوا يعبدون الاصنام فنزل قوله تعالى قل انى امرت الى آخر الآيات ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون هذه الآية امرا بالاخبار عن تخصيصه العبادة لله وتمحيضها من الشرك رتب عليه ما بعده بزيادة من دونه فى آخره فانه لولا ان التقديم يفيد الاختصاص لكان قوله الله اعبد بمعنى اعبد الله ولكان المقابل له اعبدوا ما شئتم من غير ان يزيد فى آخره قوله من دونه قيل ان كفار قريش لما ايسوا من ان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم قالوا خسرت ان خالفت دين آبائك فنزل قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اى هم الذين خسروا ويحتمل ان يكون الذين خسروا صفة للخاسرين ويكون الخبر لهم فى قوله لهم ظلل او محذوف دل عليه قوله هو الخسران المبين ﴿قوله لانهم جمعوا وجوه الخسران﴾ بيان لوجه القصر والتخصيص المستفاد من قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة فانه من قبيل قولك المنطلق زيد فى افادة القصر ولما كان الخاسرين ليسوا بمنحصرين فيما ذكر حمله على حصر الكمال كما فى نحو هو الرجل اى هو الكامل فى الرجولية الجامع ما فى الرجال من مرضيات الخصال فان من ضل بنفسه واضل اهاليه من الازواج والاقارب والخدم وسائر الاصحاب والعشائر وصرفهم عن طريق الجنة التى هى الجامعة لجميع السعادات الابدية وادخلهم النار التى لايعقل ما فيها من وجوه الخسران والشقاء فانه لا خسران اعظم من خسرانه وخسران اهله هذا على تقدير ان يكون المراد باهليهم اهليهم الذين كانوا فى الدنيا وقد اضلوهم فيها وقيل اصحاب النار خسروا انفسهم واهليهم حيث لايكون لهم اهل فى النار

والعطف لمغايرة الثانى الاوّل بتقيده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة فى الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة ما فيه (قل الله اعبد مخلصا له دينى) امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا انفسهم) بالضلال (واهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده

(وقد)

وقدكان لهم اهل فى الدنيا يستأنسون بهم لان اهلهم الذين فى الدنيا ان كانوا كفارا وكانوا معهم فى النار فهم سبب
زيادة حسرة ووحشة لهم لاسبب انس وراحة وان كانوا من اهل الجنة فقدذهبوا عنهم ذهابا خرجوا عن كونهم اهلا لهم
ابدا وقال ابن عباس رضى الله عنهما خسروا اهليهم لان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا فى الجنة واهلا من
الحور العين والغلمان فمن لم يعمل بطاعته تعالى كان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعته تعالى فقدخسروا
اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ﴿قوله مبالغة فى خسرانهم﴾ الوجه فى افادة الاستئناف المبالغة
ان الاستئناف انمايكون فى مقام الاهتمام بالحكم المبين والاعتناء بشأنه ولايعتنى بشئ الا اذا كان بالغا اقصى مراتبه
وكذا تصدير الحكم بحرف التنبيه يدل على تفخيم شأنه كأنه قيل بلغ خسرانهم فى الفظاعة الى حيث لاتصل العقول
اليه فتنبهوا له وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر يفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فى مقابلته كلا خسران
﴿قوله اطباق من النار﴾ اى قطع عظيمة منها جمع طبق يقال طبق من الشئ اى معظم منه نحو مضى طبق من
الليل وطبق من النهار اى معظم منه ونحو اتانا طبق من الناس اى جماعة عظيمة ويطلق ايضا على مايستر الشئ ويغطيه
ولما ورد ان يقال الظلة ماعلا الانسان فكيف سمى ماتحتهم من قطع النار ظلة * اشار الى جوابه بقوله هى ظلل
للآخرين اى انها ظلل بالنسبة الى من تحتهم وهم المنافقون لقوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وتلك
القطع فرش بالنسبة للمشركين لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش والمعنى ان النار تحيط بهم من
جميع الجوانب ﴿قوله ذلك العذاب﴾ يعنى ان ذلك اشارة الى الظلل المحيطة بهم الا انه ذكر اسم الاشارة لتأويل
المشار اليه بالعذاب اى ذلك الذى وصف من العذاب يخوّف الله به عباده ثم خوّفهم بابلغ تخويف فقال ياعبادى
فاتقون بطاعتى ﴿قوله فعلوت منه﴾ اى من الطغيان يدان وزنه فى الاصل ذلك لان اصله طغيوت ولام
الكلمة هى الياء لانها من الطغيان ثم قدمت الياء على الغين وقلبت الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار وزنه فلعوت
بتقديم اللام على العين ﴿قوله كالرحموت﴾ فانه مبالغة فى المصدر بمعنى الرحمة الواسعة والملكوت الملك الواسع
فالطاغوت ايضا بمعنى الطغيان المتجاوز الحدّ ثم وصف به الذات الموصوفة به للمبالغة فى اتصافها بالطغيان
بحيث صارت كأنها عين الطغيان كما يقال رجل عدل ولذلك اختص لفظ الطاغوت بالشيطان وصار بالغلبة علما له
لايطلق على غيره حقيقة كما لايطلق النجم المعرف باللام على غير الثريا اطلاقا حقيقيا وذلك لكمال الشيطان
فى الطغيان وتميزه به عن جميع ماعداه وقد يطلق على غيره مثل كعب بن الاشرف وامثاله تشبيها له بالشيطان
فى كونه رأس الضلال ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون بناء الطاغوت للمبالغة فى المصدر وكون اطلاقه على الاعيان
والذوات للمبالغة فى اتصافها بالطغيان اختص بالشيطان * فان قيل ماعبد الشيطان احد وانما عبدوا الصنم
فالجواب ان الداعى الى عبادة الصنم هو الشيطان فكانت عبادة الصنم بمنزلة عبادة الشيطان ﴿قوله واقبلوا اليه
بشراشرهم﴾ اى بكليتهم وفى الصحاح الشراشر الاثقال الواحدة شرشرة يقال القى عليه شراشره اى نفسه حرصا
ومحبة وهذا المعنى مستفاد من عدم ذكر صلة قوله وانابوا الى الله حيث لم يقل وانابوا اليه بقلوبهم اوبالسنتهم اونحو
ذلك ﴿قوله وضع فيه الظاهر﴾ يعنى ان المراد بقوله عبادى عباده الذين اجتنبوا الطاغوت وانابوا لاغيرهم
لان قوله فبشر عبادى مرتب على قوله والذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى على معنى اذا كان لهم البشرى فبشرهم
وحمل العباد على غير ماذكر سابقا يستلزم تفكيك النظم والنكتة فى وضع الظاهر موضع الضمير بعد الاحتراز عن
تفكيك النظم الدلالة على انهم كما يستحقون البشارة لاجتنابهم وانابتهم يستحقونها ايضا لكونهم يستمعون القول
فيتبعون احسنه اى لكونهم نقادا يميزون بين الحق والباطل بناء على ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعليته
للحكم المذكور فلو قيل فبشرهم لفهم ان استحقاقهم للبشارة انما هو لاجل اجتنابهم وانابتهم فلما وضع الظاهر
موضع الضمير فهم ان ذلك الاستحقاق لاجل مجموع مالهم من الاوصاف الثلاثة والمصنف لم يجعل الاستماع
واتباع الاحسن مبدأ وعلة لاستحقاقهم البشارة بل جعله مبدأ اجتنابهم حيث قال للدلالة على مبدأ اجتنابهم
وانهم اى وعلى انهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل وفيه اشارة الى ان القول لعمومه يتناول كل قول من قول
الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول من سلف من المؤمنين والكفار فيتبعون احسنه اى احسنه عاقبة
ومدلولا وهو مايكون مؤدّاه طاعة الله تعالى واتباع الحق والاعراض عن الباطل ويؤثرون من بين الاقوال
مايكون مدلوله افضل فافضل وقيل المعنى يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون الاحسن وهو القرآن

(الا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى
خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير
بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران
ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم ظلل من النار)
شرح لخسرانهم (ومن تحتهم ظلل) اطباق
من النار هى ظلل للآخرين (ذلك يخوّف
الله به عباده) ذلك العذاب هو الذى يخوّفهم
به ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعبادى فاتقون)
ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطى (والذين
اجتنبوا الطاغوت) البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة
فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة
فى النعت ولذلك اختص بالشيطان
(ان يعبدوها) بدل اشتمال منه (وانابوا
الى الله) واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه
(لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل
اوالملائكة عند حضور الموت (فبشر عبادى
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه)
وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد فى الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل

﴿قوله وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها﴾ لان حصولها فى النفس امر حادث لامحالة فلا بدّ من فاعل و قابل اشار الى الفاعل بقوله اولئك الذين هداهم الله و الى القابل بقوله اولئك هم اولوا الالباب فان الانسان مالم يكن سليم العقل كامل الفهم امتنع حصول المعارف الحقية فى قلبه بل يغلب عليه تقليد عادات اهل زمانه و اتباع مايدعو اليه وهمه و هواه و الحصر المدلول عليه بقوله هم اولوا الالباب حصر الكمال لان العقول المغلوبة وجودها كعدمها ﴿قوله ءانت مالك امرهم﴾ همزة الاستفهام لما اقتضت صدر الكلام و الفاء العاطفة اقتضت سبق المعطوف عليه كان ينبغى ان لايصح اتصال احداهما بالاخرى لاستلزامه اجتماع المتنافيين الا انهما اتصلا فى الآية بناء على ان اداة الاستفهام داخلة تقديرا على الجملة المحذوفة التى عطفت عليها الجملة الشرطية فلا محذور فى اجتماعهما صورة و من شرطية مرفوعة المحل على الابتدآء و قوله أفانت تنقذ اى تخلص جزآء الشرط مرفوع المحل على انه خبر المبتدأ و الفاء الثانية فاء الجزآء و الفاء الاولى للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب فى أفانت و الهمزة الاولى لانكار مضمون الجملة المحذوفة و التى عطفت عليها و الهمزة الثانية هى الاولى كرّرت لتأكيد معنى الانكار و الاستبعاد و امتنع حملها على الانكار الابتدآئى لحصوله بالهمزة الاولى و الهمزة الداخلة على الجزآء مؤكدة لما افادته الهمزة الاولى فعلى هذا يكون من فى النار من اقامة الظاهر موضع الضمير كأنه يقول افانت تنقذه و هذا الوضع طريق لتأكيد الانكار لان الضمير انما يحصر الذات التى استحقت العذاب فى الدنيا و لاشك ان انقاذ من فى النار ابعد من هداية من استحق العذاب فى الدنيا و هو معنى قوله وضع من فى النار موضع الضمير لذلك اى لتأكيد الانكار و الاستبعاد و عطف عليه قوله و للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف يعنى ان قوله من فى النار عبارة عمن حقت عليه كلمة العذاب لانه قائم مقام الضمير و من حكم عليه بالعذاب لا يوصف به اذ هو غير واقع فيه و انما يوصف به اذا وقع فيه بعد و لما وضع من فى النار موضع ضمير من حكم عليه بالعذاب علم منه ان المحكوم عليه بالعذاب منزل منزلة الواقع فيه لامتناع الخلف فى حكم الله تعالى فعبر عنه بمن فى النار لذلك و نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذه من فى النار فان اصل الكلام افانت تهدى من هو منغمس فى الضلال فوضع النار موضع الضلال وضعا للمسبب موضع السبب لقوة امره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدى كما تعقب الاستعارة بالترشيح لكون الانقاذ انسب بمن هو فى النار من الهداية قيل المراد بكلمة العذاب قول الله تعالى لاملأن جهنم منك و ممن تبعك و قيل هى قوله هؤلاء للنار و لاابالى و قوله تعالى افانت تنقذ من فى النار معناه انت لاتقدر عليه بل ان الله تعالى هو الذى يقدر عليه لاغير لما تقرر من ان تقديم الفاعل المعنوى على الفعل و ايلاءه همزة الانكار يدل على ان الكلام فى الفاعل لا فى الفعل اى لست انت الفاعل لهذا الفعل بل فاعله هو الله تعالى وحده و قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب الآية على هذا التوجيه جملة واحدة كرّر فيها اداة الاستفهام داخلة على جزآء الشرط و على قوله يجوز ان يكون الخ تكون جملتين الاولى شرطية محذوفة الجزآء و الثانية جملة مستأنفة و تقدير الآية ءانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تهديه او افانت تخلصه من استحقاق العذاب ثم استأنف كلاما آخر للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب و هو فى الدنيا كالواقع فيه و للاشعار بالجزآء المحذوف فقال افانت تنقذ من فى النار فانه يدل على جزآء الجملة الاولى و يفسره فعلى هذا الفاآن كلتاهما للعطف الاولى للعطف على المحذوف و الثانية للعطف على الجملة الاولى و الهمزة الثانية كالاولى فى كونها للانكار ابتدآء لا للتأكيد المستفاد من الاولى ثم انه تعالى لما شرح خسران الكفار و بين ان لهم من فوقهم ظللا من النار ذكر احوال اضدادهم و هم الذين اجتنبوا الطاغوت و اقبلوا الى الله تعالى بشر اشرهم و وعدهم باشياء احدها قوله تعالى لهم البشرى و ثانيها لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اى لهم فى الجنة منازل رفيعة و فوقها فى الجنة ارفع منها و هذا كالمقابل لما ذكره فى شرح خسران الكفار بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل و العلالى جمع علية و هى الغرفة و هى فعيلة و اصلها علووة ابدلت الواو الثانية ياء و ادغمت و قيل هى علية بالكسر على فعلية ﴿قوله بنيت بناء المنازل على الارض﴾ اشارة الى فائدة توصيف العلالى بكونها مبنية مع العلم بانها لاتكون الا كذلك و توضيح ماذكره من الفائدة ان قوله مبنية ذكر تمهيدا لقوله تجرى من تحتها الانهار فالعلالى اذا بنيت بناء المنازل على الارض بان كان لها صحن بنيت عليه كالمنازل السفلى يتأتى معه جرى الانهار من تحت العلالى كما تجرى من تحت الغرف السفلى من غير تفاوت بينهما

(اولئك الذين هداهم الله) لدينه (و اولئك هم اولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم و العادة و فى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله و قبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره ءانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكرّرت الهمزة فى الجزآء لتأكيد الانكار و الاستبعاد و وضع من فى النار موضع الضمير لذلك و للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه و ان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار و يجوز ان يكون أفانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك و الاشعار بالجزآء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت تلك الغرف (وعد الله) مصدر مؤكد

﴿قوله لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد﴾ تعليل لقوله مصدر مؤكد وتقديره ان قوله وعد الله مصدر مؤكد لضمون الجملة لا محتمل لها غيره مثل اعترافا فى قولك له علىّ الف درهم اعترافا ومثله يسمى تأكيدا لنفسه مع انه تأكيد لمضمون الجملة المتقدمة الا انها لما لم يكن لها محتمل غير المصدر جعلت كأنها نفس المصدر فسمى تأكيدا لنفسه وعلل ذلك بان قوله لهم غرف مبنية فى معنى الوعد وفى مثله يجب حذف عامل المفعول المطلق لكون الجملة المتقدمة بمنزلة النائب عن عامله والتقدير وعد الله تلك الغرف وعدا ثم حذف الفعل مع فاعله ثم اضيف المصدر الى فاعله ثم انه تعالى لما شرح ما اعدّه لكل واحد من فريق الكفار والمؤمنين بما يليق به من الثواب والعقاب وتضمن ذلك كونه تعالى صانعا بالغا مدبر الحكمة عظيم القدرة نبه على ما يدل على كمال حكمته وقدرته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى من السحاب ماء * وقال الامام لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها فان من شاهد اختلاف احوال النبات فيها تنبه الى ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلابدّ من الانتهاء الى ان يصير مصفرّ اللون متحطم الاعضاء والاجزآء ثم تكون عاقبته الموت فحينئذ تعظم رغبته عن الدنيا ولذاتها فاذكر من حال النبات مثل ضربه الله تعالى للدنيا وسرعة زوالها والينابيع جمع ينبوع وهو اما الموضع الذى يجرى فيه الماء من خلال الارض بمنزلة العروق المنبسطة فى الجسد او نفس الماء الجارى والينبوع يفعول من نبع الماء اذا خرج وسال ومضارعه ينبع بالحركات الثلاث فى عين الفعل وكلها لغات فان كان الينبوع بمعنى المنبع كان نصب ينابيع على المصدر اى سلكه سلوكا فى ينابيع او ادخله ادخالا فيها على ان تكون ينابيع ظرفا للمصدر المحذوف فلما اقيمت مقام المصدر جعل انتصابها على المصدر وان كانت بمعنى النابع كان انتصابها على الحال اى نابعات ﴿قوله لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور﴾ اى ينفصل ويرتفع يعنى ان العرب تقول هاج النبت اذا تم جفافه ويبسه مع ان الهيجان والثوران هو الارتفاع والذهاب عن الموضع بناء على ان النبات اذا تم جفافه يصير بمنزلة الهائج والثائر لان الشئ يسمى باسم ما يؤول اليه كما يسمى العصير خمرا وفتات الشئ ما تكسر منه من قولهم فتّ الشئ اى كسره والتفتت التكسر ثم انه تعالى لما بالغ فى بيان وجوب الاجتناب عن عبادة غير الله تعالى ووجوب الانابة اليه قلبا وقالبا ووعدلهم البشارة بالمثوبة الحسنى ثم عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم على شدّة حرصه على هداية اهل الضلال بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب الآية ثم بين خساسة الدنيا وسرعة زوالها بان مثل حالها بحال النبات بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يحصل الا لمن شرح الله صدره للاسلام اى افمن فسح ووسع قلبه لقبول الايمان فهو على نور اى بصيرة ويقين من ربه روى انه قيل له عليه الصلاة والسلام ما هذا الشرح قال نور يقذفه الله فى القلب فينفسح القلب وينشرح فقيل ما علامة ذلك الخ والكلام فى افمن شرح الله صدره كالكلام فى افمن حق وتقدير الآية اليس هذه الخصائل الحميدة منوطة بتوفيق الله تعالى وعنايته فمن شرح الله صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وطبع عليه فلم يهتد اوليس اولوا الالباب والعقول السليمة كغيرهم فمن شرح الله صدره الخ وحذف خبر من لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم وقساوة القلب غلظته وصلابته بحيث يصير كالشئ المصمت الذى لا يدخله شئ ولا ينفذ فيه شئ يقال حجر قاس اذا كان صلبا مصمتا ﴿قوله عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد﴾ يعنى ان شرح الصدر عبارة عن تهيئة النفس الناطقة وتقوية استعدادها لقبول الاسلام على طريق ذكر المحل وارادة الحال فان الصدر محل القلب الذى هو المنبع للروح الحيوانى الذى تعلق به النفس اوّلا لطافته فذكر الصدر واريد به النفس بهذه العلاقة ولما كان التعلق حاصلا بين كل منهما قال للروح المتعلق بالنفس بدل ان يقال للروح المتعلق للنفس ﴿قوله وهو ابلغ﴾ اى فى الدلالة على تأبيهم عن قبول الحق وبيان الابلغية موقوف على معرفة الفرق بين تعدية القسوة بكلمتى من وعن فانها اذا عدّيت بمن كانت من سببية كما فى قولك اطعمه من الجوع اى من اجله وبسببه قال تعالى مما خطاياهم اغرقوا واذا عدّيت بعن كانت للمجاوزة على اصلها بناء على تضمين القساوة معنى الاباء كأنه قيل للآية قلوبهم من ذكر الله بسبب تما كما اذا قلت اطعمه عن الجوع يكون المعنى اشبعه مبعدا اياه عن الجوع فمعنى من ذكر الله ان ذكر الله احدث فى قلوبهم القساوة واذا قلت عن ذكر الله لم يكن معناه ذلك بل يكون المعنى ان قلوبهم اشتدت وابت عن قبول الحق وذكر الله بسبب تما اذا تقرر هذا الفرق ظهر ابلغية التعبير الاوّل بالنسبة الى الثانى لان القاسى من الشئ من اجل نفسه اشدّ تأبيا عن قبوله من القاسى عنه بسبب آخر * فان قيل ذكر الله تعالى سبب لحصول

لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد (لا يخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال (الم تر ان الله انزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومجارى كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع فنصبها على المصدر او الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه) اصنافه من برّ وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته (فتراه مصفرّا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بانه لابدّ من صانع حكيم دبره وسوّاه او بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغترّ بها (لاولى الالباب) اذ لا يتذكر به غيرهم (افمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتدآء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشدّ تأبيا من قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم (اولئك فى ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلىّ وابى لهب وولده

النور والحضور وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعل فى هذه الآية سببا لحصول القسوة فى القلب * فالجواب انه اذا كانت النفس خبيثة الجوهر مجبولة على الطبيعة البهيمية بعيدة عن الفضائل الروحانية فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة فان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس فانه يسوّد وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح ويذكر كلام واحد فى مجلس واحد فيستطيبه شخص ويستكرهه آخر وماذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس فلا يبعد ان يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والاطمئنان فى النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق فى النفوس الخبيثة الشيطانية ﴿قوله تأكيد للاسناد﴾ لما فيه من تكرار اسناد التنزيل اليه تعالى وبه يتأكد الاسناد ويتقوى الحكم وقد تقرر ان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلى فى نحو انا سعيت فى حاجتك قد يفيد تخصيص الخبر الفعلى به ردا لمن زعم انفراد غير المسند اليه بذلك الخبر او زعم مشاركة الغير به فى الخبر الفعلى واذا كان تنزيل القرآن مختصا به تعالى كان المنزل مفخم الشان رفيع القدر لامحالة وكان احسن من سائر الاحاديث لكونه كلام اللطيف الخبير العليم الحكيم ﴿قوله وتشابهه تشابه ابعاضه﴾ لما فسر قوله احسن الحديث بالقرآن العظيم وهو كتاب واحد من جملة الكتب المنزلة والشئ الواحد لا يوصف بالتشابه فلذلك جعل تشابهه عبارة عن تشابه اجزآئه وابعاضه فان بعضه يشبه البعض فى صحة معانيه وفى الانباء عن الحق والصدق ومافيه من منافع المكلفين وفى تناسب الفاظه وتوافقها فى الفصاحة والبلاغة وتجاوب نظمها ومعانيها فى التبكيت والاعجاز ولما اطلق التشابه ولم يقيده ببيان مافيه التشابه لم يعين المصنف مافيه التشابه بل حمله على مايصلح ان يراد به فى هذا المقام ﴿قوله جمع مثنى او مثنى على مامرّ فى الحجر﴾ قال فى سورة الحجر المثانى من التثنية او الثناء فانه مثنى اى تكرر قرآءته والفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالاعجاز والبلاغة ومثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى فقوله ههنا جمع مثنى بضم الميم وفتح الثاء وتشديد النون على انه اسم مفعول من ثنيته تثنية اى جعلته اثنين لان المراد ههنا مطلق التكرير والاعادة كما تجيئ صيغة التثنية لمجرد التكرير كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ونحو لبيك وسعديك وحنانيك بمعنى اقامة بعد اقامة ومساعدة بعد مساعدة ورحمة بعد رحمة فان القرآن العظيم يثنى ويكرر فى التلاوة فلا يمل كما جاء ولا يخلق على كثرة الرد وايضا يكرر مافيه من القصص والانباء والاحكام والاوامر والنواهى والوعد والوعيد للتقرير والتأكيد فان النفوس لكونها مجبولة على الميل الى عالم الشهادة وقضاء الحظوظ العاجلة معرضة عن الاستماع لحكمه وحفظه وتدبر فحواه والعمل بمقتضاه مالم يتكرر عليها مرة بعد مرة اخرى وقوله او مثنى بضم الميم وسكون الثاء وفتح النون على انه من الثناء اى مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او بكسر النون اى مثنى على الله بما هو اهله وقوله كتابا الظاهر انه بدل من احسن الحديث ويجوز ان يكون حالا منه وقوله متشابها صفة لكتابا وقوله مثانى بفتح الياء صفة ثانية واليه اشار المصنف بقوله وصف به كتابا وهو جواب لما يقال الكتاب واحد فكيف وصف بالجمع والتفاصيل جمع تفصيل وهو جعل الشئ فصلا فصلا وتمييز بعضها عن بعض بجعل ابعاض الكتاب واقسامه تفاصيل لكون كل واحد منها فصلا متميزا عن غيره ﴿قوله او جعل تمييزا﴾ عطف على قوله وصف به كتابا اى ويجوز ان يكون انتصاب مثانى على انه تمييز من متشابها من جهة مثانيه لا على انه صفة حتى يرد اشكال توصيف الواحد بالجمع ﴿قوله وتركيبه من حروف القشع﴾ يعنى ان بين اقشعر والقشع اشتقاقا كبيرا لان فى اقشعر معنى القشع مع زيادة فهما مشتركان فى اصل المعنى والحروف الاصلية ولا يخل بذلك اختصاص احدهما بحرف زآئد ليدل على معنى زآئد والقماط حبل يشد به قوآئم الشاة عند الذبح وكذلك مايشد به الصبى فى المهد يقال قمطت الشاة والصبى بالقماط اقمط قمطا ويقال اقمطر الامر اشتد واستغلق ﴿قوله والاطلاق﴾ اى اطلاق ذكر الله وعدم التعرض لصفة من صفاته التى يذكر بها للاشعار بان مبنى امره تعالى على الرأفة والرحمة فاذا ذكر تعالى لا يخطر بالبال من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فتلين جلودهم بذكره تعالى كما تقشعر بذكر وعيده ﴿قوله وذكر القلوب الخ﴾ جواب عما ذكره الزمخشرى بقوله * فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت القلوب بها ثانيا * ومحصول جوابه منع انفراد الجلود عن القلوب اولا بناء على ان الجلود لما ذكرت مقرونة بالخشية اولا فكأنها ذكرت مقرونة بالقلوب لكون الخشية من عوارض القلوب فكأنه قال وذكر القلوب هنا لكونها مذكورة اولا بذكر ماهو من عوارضها ثم انه تعالى لما انكر كون من شرح صدره للاسلام فاهتدى كمن

(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتدآء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثانى) جمع مثنى او مثنى على مامرّ فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الرآء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها (ذلك) اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فماله من هاد) يخرجهم من الضلالة

م على قلبه فقسا بيانا لتفاوت حالهما فى الدنيا انكر كون من يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن منه بيانا لتفاوت
لهما فى العقبى فقال افمن يتقى بوجهه الآية فكأنه قال أيستوى من هداه الله ومن يضلله فمن يتقى بوجهه سوء
ذاب كمن هو فى رحمة الله وجنته ﴿قوله بجعله درقة﴾ هى الترس التى تعمل من الجلد فان الاصل فى التستر
وقاية النفس من المخاوف هو الترس فمن لم يجده يستتر ويتقى بيده اى يقى بها وجهه لكون الوجه اعز الاعضاء عليه
حيث انه محل الصباحة والحسن ومجمع الحواس الشريفة حتى كأن الانسان عبارة عنه ومن يلقى فى النار يلقى
ولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له والحاصل ان من كان
ر على الاتقاء جعل كل ماسوى الوجه وقاية لوجهه ثم قيل لمن يقع فى النار انه يتقى بوجهه منها لا وقاية له سوى
جهه فيكون ذلك كناية عن انه لاقدرة له على الاتقاء البتة له اصلا ونظيره قول النابغة

* ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب *

لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فهو كناية عن انه لا عيب فيهم بوجه من الوجوه فكذا ههنا فان الاتقاء
النار بالوجه كيف يكون اتقاء منها وهو فى نهاية الملابسة لها شبه وجهه بالترس ودل عليه بجعله آلة الاتقاء فهو
قبيل الاستعارة التخييلية والواو فى قوله تعالى وقيل للظالمين للحال من فاعل يتقى بوجهه اى وقد قال لهم الخزنة
قوا عقوبة كسبكم ويجوز ان تكون للعطف فيكون المعطوف من تمام صلة افمن اى افمن يتقى بوجهه سوء
ذاب وقيل له ذق جزاء كسبك كمن ليس بهذه الصفة وجمع الضمائر فى آخر الآية لان كلمة من تصلح للجمع ثم انه
لى لما بين كيفية عذاب القاسية قلوبهم فى الآخرة بين كيفية وقوعهم فى عذاب الدنيا فقال كذب الذين من
لهم اى من قبل كفار قومك انبياء الله تعالى وحججه فاتاهم العذاب بسبب تكذيبهم فهو تهديد لكفار مكة
سلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما لقى من كفار قومه ﴿قوله لو كانوا من اهل العلم﴾ اشارة الى ان يعلم منزل منزلة
لازم حيث لم يقصد تعلقه بشئ ما وان جواب لو محذوف لما بين الله تعالى بهذه الآيات فوائد عظيمة ومواعظ بليغة
ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس الآية ﴿قوله والاعتماد فيها على الصفة﴾
ى ان قوله قرآنا حال موطئة وعربيا صفتها وذلك لان الحال ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به ثم ان المشهور
تكون مبينة لها بالذات وقد تكون مبينة لها بالغير وهو الحال الموطئة فانها لا تبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها
الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة وذكر الموصوف توطئة لما هو الحال
يقة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا ويجوز ان يكون قرآنا منصوبا على المدح اى منصوبا بتقدير اعنى ﴿قوله
ختلال فيه بوجه ما﴾ اى بوجه من الوجوه المستغرقة المستفادة من كون عوج نكرة فى سياق النفى فان غير
معنى النفى فلذلك كان غير ذى عوج ابلغ من مستقيما اذ ليس فيه ما يدل على انه مستقيم من جميع الوجوه ﴿قوله
ختص بالمعانى﴾ يعنى ان العوج بكسر العين لا يختص به الاعيان بل هو مختص بالمعانى كما ان العوج بفتح العين
ص بالاعيان يقال فى دينه عوج وفى العصا عوج والمقصود ههنا وصف القرآن يعنى معانيه باستقامتها
عدم التناقض والاختلال فيها بوجه ما لان استقامة الفاظه قد علمت بقوله قرآنا عربيا اى فى اعرابه وبيانه
قصد فيه من المعنى ﴿قوله وقيل بالشك﴾ عطف على قوله بوجه ما اى وقيل المراد بالعوج الشك واللبس
غير ذى شك ولبس استشهادا عليه بقول الشاعر فى حق القرآن

* وقد اتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب *

جه الاستشهاد ان الشاعر وصف القرآن باليقين وقابل اليقين بقوله غير ذى عوج ومقابل اليقين هو الشك
اللبس فعلم ان العوج يطلق على الشك واللبس ولم يرض المصنف بهذا القول لانه تخصيص للعوج ببعض
لوله فان عوج اليقين هو الشك لامحالة وكون العوج المذكور فى البيت بمعنى الشك انما يدل على ان الشك
جملة مدلوله ولا يدل على ان ليس له مدلول غيره وقد شاع عند اهل اللغة ان العوج بالكسر بمعنى الاختلال
ختص بالمعانى مطلق فقول القائل تخصيص له ببعض مدلوله من غير دليل ﴿قوله علة اخرى مرتبة على الاولى﴾
اولا ان الحكمة فى ضرب هذه الامثال اتعاظهم بسبب ان يعلموا ما وعد الله للمتقين واوعد للعاصين وبين
يا ان ذلك لان يتقوا الله فى ان يوقع بهم ما وعدهم به من العذاب وقدم العلة الاولى لان التذكر متقدم
ى الاتقاء والاحتراز ثم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار نبه على ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقهم فقال

(افمن يتقى بوجهه) بجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره (وقيل للظالمين) اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) اى وباله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها (فاذاقهم الله الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (اكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى امر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له (غير ذى عوج) لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعانى وقيل بالشك استشهادا بقوله شعر

وقد اتاك يقين غير ذى عوج *
من الاله وقول غير مكذوب *

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة اخرى مرتبة على الاولى

ضرب الله مثلا الآية ﴿قوله مثلا﴾ مفعول ضرب بمعنى بين ورجلا بدل من مثلا وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثلا مثل رجل وشركاء مرفوع على الابتدآء وجاز الابتدآء بالنكرة لتخصيصها بالظرف المتقدم وفيه خبره ومتشاكسون صفة شركاء والجملة الاسمية منصوبة المحل على انها صفة رجل ويجوز ان تكون جملة ظرفية منصوبة المحل على انها صفة لرجل وشركاء فاعل للظرف ومتشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر يقال شكس شكاسة فهو شكس من باب علم اذا كان صعب الخلق ضيق البال وهذا مثل للمشرك الذي يعبد آلهة شتى وللموحد الذي يعبدالله وحده فالذي عبد الاصنام مثله كمثل عبد فيه شركاء ملاك بينهم اختلاف كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه لاستعماله في مهن شديدة صعبة واذا عنت له حاجة تدافعوه واحال كل واحد منهم الى غيره فهو متحير في امره لايدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجته والذي وحدالله وعبده كعبد خلص لواحد فاعتنى في خدمته واعتمد عليه في حاجته واى هذين العبدين اصلح حالا وافرغ بالا ﴿قوله على مايقتضيه مذهبه﴾ وهو آلهة شتى واثبات عبوديته لها فانه يقتضى ان يدعى كل واحد من معبوديه عبودية ذلك المشرك ﴿قوله بعبد﴾ متعلق بقوله مثل المشرك وكذا قوله في تحيره وقوله والموحد منصوب بالعطف على المشرك وهذا المثل في غاية الحسن في الدلالة على تقبيح الشرك وتحسين التوحيد * فان قيل لاحسن فيه لعدم انطباقه على عبدة الاصنام لانها جمادات لايتصور منها المنازعة والتشاكس * قلنا تشبيه شيء بآخر لايستدعى ان يكون وجه الشبه حالة موجودة في كل واحد من المشبه والمشبه به تحقيقا بل يكفي وجودها في احد الطرفين او في كليهما على سبيل التخييل والتأويل كما في قوله

* وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع *

فان وجه الشبه في هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حاصل اشياء مشرقة في جوانب شيء مظلم فهذه الهيئة غير حاصلة في المشبه به وهو السنن بين الابتداع الا على سبيل التخييل فان السنن والبدع ليستا من قبيل الاجسام حتى توصفا بالاشراق والاظلام حقيقة وكذا وجه التمثيل بين المشرك والعبد الذي فيه شركاء متشاكسون وكون امر المحتاج المشترك موكولا الى عناية الشركاء المتشاكسين وكونه متحيرا في امره بناء على انه كلما ارضى هو احدهم غضب الباقون واذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد يرده الى الآخر فانه لايوجد في المشبه الذي هو المشرك الاعلى وجه التخييل اشار اليه المصنف بقوله مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه فان تشاكس الشركاء وحيرة المشرك بسببه لايوجد فيه تحقيقا بل تخييلا بناء على مقتضى مذهب المشرك ﴿قوله قرأ نافع﴾ يعنى انه قرأ ابن كثير وابو عمرو ورجلا سالما بالالف وكسر اللام على انه اسم فاعل من سلم من كذا فهو سالم وقرأ الباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف وقرئ ايضا سلما بكسر السين وسكون اللام وبفتح السين وسكون اللام ايضا وهذه الثلاثة مصادر سلم وصف بها للمبالغة او على حذف المضاف اى ورجلا ذا سلامة الرجل اى ذا خلوص له من الشركة وقرئ ايضا ورجل سالم برفعهما على ان رجل سالم مبتدأ حذف خبره اى وهناك رجل سالم ﴿قوله وتخصيص الرجل﴾ اى وتخصيص كل واحد من المالك والمملوك بكونه رجلا حيث لم يقل ضرب الله مثلا شخصا او مملوكا سالما لشئ لان الرجل المملوك افطن لما يلحق به من تشاكس الملاك من المرأة والصبي وكذا الرجل المالك افطن لما يعود اليه من تفرد المملوك واختصاصه بخدمته وكونه مشتركا بين شركاء يستخدمه كل واحد منهم والمرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك ﴿قوله ونصبه على التمييز﴾ اى على التمييز المنقول من الفاعلية اذ الاصل هل يستوى مثلهما اى هل يستوى صفة العبد الذي فيه رجال متشاكسون وصفة العبد الخالص لواحد فان لفظ المثل قد يستعار للصفة والحال العجيبة تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه تمييزا من النسبة في يستويان لم يطابق التمييز لما انتصب عنه وهو ضمير يستويان الراجع الى الرجلين المنعوتين حيث افرد التمييز مع كون ما انتصب عنه مثنى فانه قد تقرر في النحو ان التمييز ان كان اسما يصح جعله لما انتصب عنه بان يكون نفس ما انتصب عنه كأبا في قولك طاب زيد ابا او يكون صفة لنفس ما انتصب عنه كأبوة في قولك طاب زيد ابوة علما يطابق فيهما ماقصد الا ان يكون جنسا كالابوة والعلم فان الجنس من حيث انه يتناول القليل والكثير لايطابق ماقصد وما نحن فيه من هذا القبيل فان الحال والصفة جنس فلذلك لم يطابق لماقصد والتمييز الذي يكون جنسا انما يطابق ماقصد اذا قصد به الانواع نحو طاب زيد علمين او علوما فيثنى

(ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل) مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف قرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اى هناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده

و يجمع على حسب ماقصد من الانواع مع كونه جنسا ﴿قوله على ان الضمير للمثلين﴾ يعني ان الظاهران يرجع
الضمير يستويان الى رجل ورجل لكن يجوز ان يرجع الى المثلين المذكورين تقديراً لان تقدير رجلا في الموضعين
مثلا رجلين فكان المثلان مذكورين تقديراً كأنه قيل يستوى المثلان مثلين فورد عليه ان يقال لاوجه لتمييز المثلين
بالمثلين اذ الشيء لايميز نفسه فان المعنى الحاصل من التمييز قدفهم من المميز الذى هو الضمير فان المصنف اشار الى
جوابه بقوله في الوصفية اى لامحذور في تمييز المثلين بالمثلين لان المراد بالمثلين الاولين مثلا الرجلين المنعوتين
بالاخيرين وهماجنسان مبهمان غير ملحوظين بخصوصية ما والمعنى هل يستويان الرجلان المذكوران صفتين اى
من حيث انهما صفتان وهذا كما تقول كفى بزيد وعمرو رجلين اى من حيث انهما رجلان اذا احتجت الى رجلين
وقسمت الناس رجلين رجلين ﴿قوله كل الحمد له﴾ اشارة الى ان اللام سواء كانت للاستغراق او للجنس
تفيد اختصاص كل فرد من افراد الحمد به تعالى اما على تقدير كونها للاستغراق فظاهر واما على تقدير كونها للجنس
فانه لوثبت شيء من افراد الحمد لغيره تعالى لثبت الجنس له في ضمن ذلك الفرد فلايكون الجنس مختصابه تعالى
لما بين الله تعالى خسران المشركين وسوء عاقبتهم وبين قبح مذهبهم بضرب المثل وثبت انه لا اله الا هو بين انه
مولى النعم كلها فقال الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون فكم ضربت الامثال و لايتفكرون فيها قيل ان كفار قريش قالوا
نتربص بمحمد عليه الصلاة والسلام ريب المنون يعني ننتظر به حتى يموت فنزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
فميت صفة مشبهة ينبغي أن لاتطلق على الموصوف الا اذا كان الموصوف متصفا بمأخذ الاشتقاق بالفعل الا انه
اطلق على الحي تنزيلا له منزلة الميت لكون الموت محقق الوقوع والحاصل ان الصفة المشبهة يجب ان تكون
بمعنى الماضي ولايجوز حملها على الاستقبال بخلاف اسم الفاعل فانه صفة حادثة يمكن حمله على الاستقبال فيقال
زيد مائت غدا اى سيموت الا انه اطلق الميت على الحي لالكونه للاستقبال بل لتنزيل الشيء المحقق الوقوع منزلة
الواقع ﴿قوله وقيل المراد به الاختصام العام﴾ اى لاالاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين
المشركين المتعلق بالدين فالضمير في قوله وانهم ميتون على الوجه الاول للمشركين الذين لم يقبلوا منه عليه الصلاة
والسلام هذه البيانات الواضحة الدالة على الوحدانية ولم يلتفتوا اليها فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم
بانكم ستموتون ثم تحشرون يوم القيامة فتخاصمهم بان تقول لهم بذلت مافي وسعي من التبليغ والارشاد ومازدتم به
الاباء عن الحق واستكبارا حسدا وانهم يعتذرون اليك بالاباطيل التي لاطائل تحتها والاعتذار عن كفرهم ولجاجهم
لما كان توجيهاله ودفعالحجته عليه الصلاة والسلام كان ذلك في صورة الاختصام فلذلك جعل الاختصام مشتركا
بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم حيث قيل تختصمون عند ربكم فيحكم بينكم بالحق ويميز المحق من المبطل فيجازى
كل واحد بماهو حقه فعلى هذا يكون التخاصم في الدين لا في المعاملات والتبعات وعلى الثاني يكون الضمير لعامة
الناس لاللمشركين خاصة ويكون المراد بالتخاصم التخاصم في طلب المظلوم الانتقام من الظالم باعتداء بعضهم على
بعض في الحقوق روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاتزال الخصومة يوم القيامة حتى يختصم الروح والجسد
فيقول الجسد انما كنت بمنزلة جذع ملق لا استطيع شيأ ويقول الروح انما كنت ريحا لا استطيع اعمل شيأ فيضرب
الله لهما مثل الاعمى والمقعد يحمل الاعمى المقعد فالمقعد يعمل ببصره ويعمل الاعمى برجليه ثم انه تعالى لما ذكر
الاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين المشركين فيما يتعلق بالدين بين ان لا اعظم من الكفر والتكذيب
بالله تعالى وانبيائه والافتراء عليه تعالى باتخاذ الصاحبة والولد والشريك فقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق اى بالتوحيد والقرآن اذجاءه من غير ريب وروية ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم مثوى للكافرين
﴿قوله واللام تحتمل العهد﴾ فيكون قوله للكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على كفر
من افترى على الله وكذب بالصدق ﴿قوله وهوضعيف﴾ اى الاستدلال بهذه الآية على كفر المبتدعة ضعيف
لان المبتدع وان كان كافرا في نفس الامر بناء على ان كل من كذب على الله وكذب بالصدق فهو كافر سواء كان
تكذيبه مفاجئا لماجاء الرسول به اوكان بعده بزمان مديد ووجه ضعفه ان الآية انماتدل على كفر من كذب وكذب
من غير توقف وتكذيب المبتدعة ليس كذلك فالاستدلال بها على كفرهم ضعيف ﴿قوله والذى جاء بالصدق
وصدق به للجنس﴾ اشارة الى وجه الاخبار عن الذى وهو مفرد بقوله اولئك هم المتقون يعني ان التعريف
بالموصول كالتعريف باللام في انه يجوز ان يكون للاستغراق فيكون جمعابحسب المعنى فان حقيقة من اتصف بمضمون جاء

وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع
اولان المراد هل يستويان في الوصفين
على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل
ومثل رجل (الحمد لله) كل الحمد له
لايشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم
بالذات والمالك على الاطلاق (بل اكثرهم
لايعلمون) فيشركون به غيره من فرط
جهلهم (انك ميت وانهم ميتون) فان
الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى
وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث
(ثم انكم) على تغليب المخاطب على
الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون)
فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في
التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك
واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا
في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل
مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل
المراد به الاختصام العام يخاصم الناس
بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا (فمن
اظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد
والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو
ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
من غير توقف وتفكر في امره (أليس في
جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم
مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس
واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم
مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه
مخصوص بمن فاجأ ماعلم مجيء الرسول به
بالتكذيب (والذى جاء بالصدق وصدق
به) للجنس المتناول للرسل والمؤمنين
لقوله (اولئك المتقون) وقيل هو النبي
صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه
كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي الرسول
صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر
رضى الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذى
وهو غير جائز

بالصدق و صدّق به باعتبار تحققه فى ضمن جميع افراده فى معنى الجمع فيصح الاخبار عنه باولئك فالذى جاء بالصدق هم الانبياء والذى صدّق به هم الاتباع وهم جماعة فلذلك قيل اولئك هم المتقون وقيل الذى جاء بالصدق المراد به واحد بعينه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان ذا اصحاب واتباع كان ذكره وحده فى قوة ذكرهم معه فاعتبر ذلك لجمع خبره فقيل اولئك هم المتقون كما قيل ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون واذا جاز ذلك فى العلم ففيما نحن فيه اجوز وقيل الذى جاء بالصدق هو سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن والذى صدّق ابو بكر والمؤمنون بعده ولما كان المصدّق بعده غير الجائى على هذا القول احتيج الى موصول آخر وحذف الموصول مع بقاء صلته لايجوز عند البصريين ويجوز عند الكوفيين كقوله * بئس الليالى سهرت من طربى * اى التى سهرت فيها ﴿قوله او صار صادقا بسببه﴾ اى ظهر صدقه بسبب نزوله اليه لان القرآن معجزته عليه الصلاة والسلام والمعجزة تصديق من الله تعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو تعالى لايصدّق الا الصادق فصار ذلك سببا لظهور صدقه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله فى الجنة﴾ متعلق بالاستقرار الذى تعلق به قوله تعالى لهم وهى كقوله ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدّعون وقوله عند ربهم اى فى حكمه وقضائه كما تقول الامر كذا عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى ﴿قوله تعالى ليكفر الله﴾ يجوز ان يكون من صلة المحسنين كأنه قيل الذين احسنوا ليكفر الله اى لاجل ان يمحو عنهم بحسناتهم اسوأ الذى عملوا يعنى الكفر بالايمان والكبائر بالطاعات ويجوز ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بماقبله اى اعطاهم مايشاؤن من فضله ورحمته ليكفر فقوله تعالى لهم مايشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه وقوله ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العذاب عنهم على اكمل الوجوه ﴿قوله خص الاسوأ﴾ جواب عما يقال من انه يفهم من نظم الآية ان تكون اعمال المحسنين مشتملة على السيئ والاسوأ والحسن والاحسن ويكون المكفر هو الاسوأ لا السيئ والمجزى به هو الاحسن لا الحسن وتقرير جوابه يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان افعل التفضيل اذا اضيف فله معنيان احدهما ان يقصد به الزيادة على مااضيف اليه اى زيادة الموصوف على من سواه من جملة مااضيف اليه فى اصل المبدأ الذى هو قدر مشترك بين المفضل والمفضل عليه وثانيهما ان يقصد تفضيله على كل ماسواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده ولاتكون اضافته لقصد تفضيله على المضاف اليه فقط بل لمجرد التخصيص والتوضيح كقولك نبينا افضل قريش اى افضل الناس مطلقا من بين قريش اذا تقرر هذا فقوله خص الاسوأ للمبالغة مبنى على ان تحمل الاضافة فى قوله اسوأ الذى عملوا على المعنى الاول وقوله او الاشعار الخ مبنى على ان تحمل على المعنى الثانى والاسوأ المضاف بهذا المعنى لايستدعى ان يكون لهم عمل آخر يشاركه فى كونه سوأ ويكون هذا ازيد منه حتى يرد ان يقال لزم ان يكفر الاسوأ دون السيئ بل انهم لاستعظامهم الذنوب يعدّون ماصدر منهم من الصغائر بالغا اقصى المراتب فى كونه ذنبا ومعصية من بين اعمالهم كأنه قيل ليكفر الله عنهم اسوأ الذنوب من بين اعمالهم واجاب عنه ثالثا بان اسوأ يجوز ان يجرّد عن معنى التفضيل ويكون بمعنى السيئ كما جرّد اعدل عن ذلك وكان بمعنى العادل لان المقصود ان بنى مروان كلهم جائرون وانهما عادلان من بينهم لان فيهم من يعدل وهما اعدلاهم قيل الناقص هو محمد الخليفة سمى به لانه نقص اعطية القوم حين استخلف والاشج عمر بن عبدالعزيز وكان فى رأسه شجة او ضربه فرس لمروان جده برجله والاسوآء جمع سوء على وزن افعال كقفره واقرآء ﴿قوله فيعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها﴾ يعنى ان ماذكره فى وجه تخصيص الاسوأ بالذكر لما لم يصلح وجها لتخصيص الاحسن جعل معنى الآية يعطيهم بمقابلة احسن اعمالهم وبسببها ثوابا مثل ثواب احسن اعمالهم بان يعدّ محاسن اعمالهم باحسنها لحسن اخلاصهم فيها فتكون اضافة الاحسن لزيادة المطلقة عبر الله تعالى عن اعمالهم الحسنة بالاحسن بالمعنى المذكور لانها عند الله كذلك لحسن اخلاصهم فيها فلا يرد مايقال مقتضى الآية ان يكون المجزى به الاحسن دون الحسن ﴿قوله مبالغة فى الاثبات﴾ علة لقوله انكار للنفى فان نفى النفى اثبات كأنه قيل الله كاف البتة ﴿قوله والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ بناء على الظاهر من ان قوله تعالى ويخوّفونك حال من العبد اذ المعنى اليس كافيك حال تخويفهم اياك بكذا كأنه قيل انه كافيه فى كل حال حتى فى هذه الحالة فانه قدجرت العادة على ان المبطلين يخوّفون المحقين بالتخويفات الباطلة فحسم الله مادّة هذه الشبهة بقوله اليس الله بكاف عبده ﴿قوله ويحتمل الجنس﴾ فيكون قوله ويخوّفونك كلاما مستأنفا ويكون قوله أليس الله بكاف عبده متصلا بماقبله من شرح

وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فادّاه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدّق به على البناء للمفعول (لهم مايشاؤن عند ربهم) فى الجنة (ذلك جزآء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان مايفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسوآء جمع سوء (ويجزيهم اجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذى كانوا يعملون) فيعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس

حوال المتقين و التخبيل افساد العقل و العضو والسادن الخادم القيم على الخدمة ثم انه تعالى لما بين وعيد المشركين
و عد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الاوثان فقال قل افرأيتم اى أتعبدون غير الله
خبرونى فان ارأيتم تستعمل بمعنى اخبرونى مجازا بناء على ان مشاهدة الاشياء و رؤيتها كانت طريقا الى العلم بها
صحة الاخبار عنها جعل الرؤية مجازا عن الاخبار بجامع السببية بطريق اطلاق اسم السبب و ارادة المسبب
جعل الاستفهام عن الرؤية مجازا عن طلب الاخبار بجامع الطلب و قوله ارأيتم يتعدى الى اثنين اولهما
تدعون و ثانيهما الجملة الاستفهامية و العائد الى المفعول منها قوله هن انث العائد تحقيرا لما يدعون من دونه
لانهم كانوا يسمونها باسم الاناث كالمنات و اللات و العزى و كانوا يقولون فى الملائكة ايضا هن بنات الله امره الله
عالى بان يحتج عليهم بان يحملهم اولا على ان يقروا بان خالق العالم هو الله تعالى و ان النفع والضر كله بيده ثم
قول لهم اخبرونى ان آلهتكم ان ارادنى الله بضر من مرض او فقر او شدة هل يقدرن على كشفه و ان ارادان
صيبنى بخير و صحة و عافية هل يقدرن على ان يمسكنها عنى و معلوم انهن لا يقدرن على شئ من ذلك فكيف اخاف
هن و لما كان هذا الاحتجاج مفحما لهم راغما لانفهم امره عليه الصلاة و السلام بان يقول لهم حسبى الله اى ثقتى
الله لانه هو الكافى اصابة الخير و دفع الضر و فرض المسئلة فى نفسه دون المشركين حيث قال ان ارادنى و لم يقل
ن ارادكم لان المراد تبكيت المشركين فى تخويفهم اياه عليه الصلاة والسلام بقولهم لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك
نهم خبل او جنون و هذا المقصود يقتضى فرض المسئلة فى نفسه ﴿**قوله** استعير الحال﴾ يعنى ان المكان
المكانة بمعنى واحد الا ان لفظ مكانة اطلق ههنا على الحال التى كانت المشركون عليها من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم و ارادة انواع المكر و الكيد به تشبيها الحال التى كانوا عليها بالمكان الذى كانوا فيه وقوله اعملوا
على مكانتكم امر تهديد اى اعملوا و اجتهدوا على حسب حالكم التى انتم عليها من بغض الحق و اهله فانى عامل فى اعلاء
الحق و اظهار الدين على حسب حالى و تأييدى من عند ربى ﴿**قوله** والمبالغة فى الوعيد﴾ يعنى حذف صلة
وله انى عامل للتعميم و ليذهب ذهن السامع كل مذهب فيما يغيظهم و يفرق شملهم و يبطل كيدهم و للاشعار بان
حاله لا يقف على حد فانه لو ذكر على مكانتى لربما يتوهم ان له حالة واحدة يستقر هو عليها فلما لم يذكر ذلك فهم
ن حاله لا تقف على حد يمكن الواصف من وصفه بل انها لا تزال على الترقى ساعة فساعة الى ان تنتهى الى اقصى
غايات الكمال ﴿**قوله** و لذلك﴾ اى و لكون قوله على مكانتى مرادا حذف لما ذكره رتب قوله فسوف تعلمون
لخ على قوله انى عامل على وجه التهديد و الايعاد بكونه منصورا عليهم فى الدارين فلو لم يكن الكلام السابق
شعرا بما يستلزم كونه عليه الصلاة و السلام منصورا عليهم فى الدارين لما صح تفريعه عليه ثم انه تعالى لما بالغ
ى ارشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طريق دعوة المشركين الى التوحيد و الطاعة و بين فساد مذهبهم تارة
الدلائل و البينات و تارة بضرب الامثال و تارة بذكر الوعد و الوعيد و كلما زاد الله تعالى بيانا و ارشادا زاد المشركون
طغيانا و ضلالا و كان ذلك يعظم على رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان شديد التأسف و التلهف على اصرارهم على
الضلال المؤدى الى العذاب الابدى كما قال تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين انزل الله قوله انا انزلنا
عليك الكتاب للناس الآية تسلية له عليه الصلاة و السلام كأنه قيل انك لست مأمورا بان تحملهم على الايمان
على سبيل القسر و القهر بل القبول و عدم القبول مفوض اليهم فمن اهتدى به فنفعه يعود اليه و من ضل فضرر
ضلاله لا يعود الا عليه ﴿**قوله** ملتبسا به﴾ اشارة الى ان قوله بالحق متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول
نزلنا و يجوز ان يكون حالا من فاعله بمعنى ملتبسين به و ان تكون الباء سببية متعلقة بانزلنا اى انزلناه بسبب
بيان ما فيه من الحق الذى تحتاج اليه الناس ثم انه تعالى لما قال ان كل واحد من الاهتداء و الضلال ليس
الا لصاحبه بين ان الهداية و الضلال لا يحصلان الا من الله تعالى فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية
جعل الهداية مثلا للحياة و اليقظة و جعل الضلال مثلا للموت و النوم فكما ان كل واحد من الحياة و اليقظة
من الموت و النوم لا يحصل الا بتخليق الله تعالى و ايجاده كذلك الهداية و الضلال لا يحصلان الا من الله تعالى
هذا وجه انتظام الآية بما قبلها و قيل وجه الانتظام انه ذكر حجة اخرى فى اثبات انه اله العالم لتدل على انه
بالعبادة احق من هذه الاصنام ﴿**قوله** تعالى يتوفى الانفس﴾ اى يقبضها و يستوفيها يقال اوفاه حقه
و وفاه اى اعطاه وافيا و استوفى حقه و توفاه بمعنى واحد ايضا اى قبضه من غير نقصان فقوله تعالى و التى لم تمت

خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة و السلام لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له و خوفه بما لا ينفع و لا يضر (فما له من هاد) يهديهم الى الرشاد (ومن يهدى الله فما له من مضل) اذ لا راد لفعله كما قال (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من اعدآئه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) اى ارأيتم بعدما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبنى بضر هل يكشفنه (او ارادنى برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عنى (قل حسبى الله) كافيا فى اصابة الخير و دفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير او شر روى ان النبى عليه الصلاة و السلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك و انما قال كاشفات و ممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا و حيث من المكان للزمان و قرئ مكاناتكم (انى عامل) اى على مكانتى فحذف للاختصار و المبالغة فى الوعيد و الاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة و نصرة و لذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزى اعدآئه دليل غلبته و قد اخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دآئم و هو عذاب النار (انا انزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم و معادهم (بالحق) ملتبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما انت عليهم بوكيل) و ما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى و انما امرت بالبلاغ و قد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) اى يقبضها

(فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردّها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (ويرسل الاخرى) اى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى اجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية حين الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها ومايعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (ام اتخذوا) بل أتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا يقدرون ولا تعلمون (قل لله الشفاعة جميعا) لعله ردّ لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها ولا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرّر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ

فى منامها فى محل النصب على تقدير ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها فحذف الناصب والموصوف لدلالة ماتقدّم عليهما وقوله فى منامها متعلق بهذا الفعل المقدّر اى يتوفاها فى وقت منامها مثل آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه فالنفس المائتة والنائمة يشتركان فى ان كل واحدة منهما مقبوضة لله تعالى بمعنى انه تعالى يقطع تعلقها عن الابدان وتصرّفها فيها ويفترقان من حيث ان النفوس النائمة يرسلها ويردّها الى البدن عند اليقظة ويستبق هذه الحالة الى اجل مسمى هو وقت الموت ويمسك النفس المائتة ولا يرسلها ولا يردّها الى يوم البعث*قال الامام لابدّ فى هذا المقام من مزيد البيان فنقول النفس الانسانية كناية عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه فى جميع الاعضاء فنقول انه فى وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه بحيث لا يتصرّف فى ظاهر البدن بالاحساس والتمييز ولا فى باطنه بالتنفس وذلك هو الموت واما فى وقت النوم فانه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن فقط حيث تتعطل حواسه الظاهرة باسرها لا عن باطنه لان النائم حىّ متنفس كما فى حال يقظته فالموت والنوم جنس واحد بهذا الاعتبار لكن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص ﴿قوله وماروى﴾ مبتدأ وقريب مما ذكرناه خبره وقوله فالنفس مبتدأ وقوله التى بها العقل والتمييز خبره وكذا قوله والروح مبتدأ والتى بها النفس خبره فهو رضى الله عنه اثبت فى بنى آدم شيئين وسمى احدهما نفسا والآخر روحا وجعل نسبة الروح الى النفس كنسبة الشعاع الى الشمس فى كونه متعلقا بها اثرا لها فان الروح الذى هو مبدأ النفس والحياة بمنزلة الشعاع للنفس التى هى مبدأ التعقل والتمييز فالله يقبض النفس عند النوم ولا يقبض الروح وعلى ماذكره المصنف ليس فى بنى آدم الاشئ واحد هو الجوهر المشرق النورانى يكون لابن آدم بحسب ثلاث احوال حال يقظة وحال نوم وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حالة اليقظة وباعتبار ظاهر الانسان فقط تثبت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه من الظاهر والباطن جميعا تثبت له حالة الموت ووجه كون ماروى قريبا مما ذكره المصنف ان النفس والروح وان كانا امرين متغايرين بالذات على ماروى الا ان المقبوض عند الموت مايكون متعلقا بباطن الانسان ومبدأ للنفس والحياة والامر كذلك على ماذكره المصنف والمقبوض عند النوم هو مايكون متعلقا بظاهر الانسان ومبدأ للتعقل والتمييز كما هو كذلك على ماذكره المصنف وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد وبرفع الموت لقيامه مقام الفاعل والوجه قرآءة العامة لذكر الفاعل باسمه الصريح فى اوّل الآية وهو الله تعالى ﴿قوله بل أتخذ قريش﴾ أتخذ بهمزة واحدة مفتوحة وهى همزة الاستفهام وحذف همزة افتعل للوصل يعنى ان أم فى قوله تعالى ام اتخذوا منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الانكارى اى دع طمع ان يتفكروا فيها فيستدلوا على كمال قدرته وحكمته فينقادوا لامره وحكمه وانظر الى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لا يملك شيأ شفعاء لهم عند الله وان كان قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية للاستدلال على ان الواجب على العاقل ان يعبد آلها موصوفا بهذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التى هى جمادات لا شعور لها فضلا عن القدرة والحكمة يكون وجه اتصال قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء الآية بما قبله ان يكون جوابا عما اورده الكفار على الدليل السابق بقولهم نحن لا نعبد الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضرّ وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل اشخاص كانوا عند الله من المقرّبين فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فاجاب الله تعالى بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء*وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا فى تلك الشفاعة من عبادة هذه الاصنام او من الاشخاص التى الاصنام تماثيل لها والاوّل باطل بالبداهة اذ لا يتصوّر صدور الشفاعة من الجماد الذى لا يملك شيأ ولا يعقل والثانى ايضا باطل لان يوم القيامة يوم لا يملك فيه احد شيأ من الاشياء فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ﴿قوله أيشفعون ولو كانوا﴾ يعنى ان مدخول الهمزة محذوف وهو يشفعون وان قوله ولو كانوا حال من فاعله اى أيشفعون حال تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم ﴿قوله ثم قرّر ذلك﴾ اى قرّر قوله قل لله الشفاعة جميعا ببيان اختصاص الملك له فى اليوم وفى يوم القيامة لان الشفاعة من الملك والملك له فكيف يشفع احد لاحد بغير اذن من له الملك ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من اعمالهم القبيحة وهو انك اذا ذكرت الله وحده بان تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار النفرة فى قلوبهم ووجوههم واذا ذكرت الاصنام والاوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة فى قلوبهم ووجوههم وذلك

دل على كمال جهالتهم وحماقتهم لان ذكر الله وتوحيده رأس كل خير ومفتاح كل سعادة وذكر الاصنام التى هى
الجمادات الخسيسة رأس كل الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام
من اقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد ﴿قوله ولقد بالغ فى الامرين﴾ وهما الاشمئزاز الذى هو
غاية النفرة والاستبشار الذى هو غاية الفرح والسرور وقوله حتى بلغ الغاية فيهما بيان لوجه المبالغة فيهما فان كل
واحد منهما غاية فى بابه فانه اذا امتلأ القلب سرورا ينبسط الروح الحيوانى الى ظاهر البدن فيتهلل بسبب بشره
وجهه واذا اشتد غيظه ينقبض الروح الى داخل القلب فيظهر فى اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة والامرضة
﴿قوله والعامل فى اذا المفاجأة﴾ جملة اسمية اى العامل فى اذا الاولى هو فعل المفاجأة العامل فى اذا الثانية
وهو فاجأوا لكن قوله اذا ذكر ظرف لذلك الفعل وقوله اذاهم مفعول به وليسا ظرفين له لان العامل الواحد
لا يعمل فى ظرفين من جنس واحد من غير ان يكون الثانى بدلا من الاول ولان فعل المفاجأة لابد له من مفعول به
لانه متعد جعل الزمخشرى تقدير الكلام فى وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار ففسر اذا المفاجأة
بالوقت وقد قالوا انه للمكان ولعل الداعى اليه رعاية المناسبة بين اذا الاولى والثانية * فان قلت ماذكره يؤدى الى
ان يكون للزمان زمان * قلنا انما يلزم ذلك ان لو لم يكن الوقت الثانى هو الوقت الاول بمعنى انهم يجعلون وقت الذكر
وقت الاستبشار من غير تلبث واما العامل فى اذا التى فى قوله واذا ذكر الله فهو قوله اشمأزت ثم انه تعالى لما حكى
هذا الامر العجيب الذى تشهد فطرة العقل بفساده امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول اللهم فاطر السموات
والارض اى ياخالق السموات والارض وياعالم السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اى قد علمت حالى وحال قومى هؤلاء وانى قد ابلغتهم واجتهدت فى النصح لهم واوضحت لهم دلائلك فاشمأزوا
فاحكم بينى وبينهم * انى لاعرف آية ماقرأها احد قط فسأل الله تعالى شيأ الا اعطاه اياه وهى قوله تعالى قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم انه تعالى لما حكى
هذه الجهالات وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا ويسأله ان يحكم
بينه وبينهم فيما كانوا فيه يختلفون ذكر فى وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما فى الارض من
الاموال وملكوا مثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من ذلك العقاب الشديد لم يقبل منهم ذلك وهو قوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا اى كفروا فوضعوا العبادة فى غير موضعها وظلموا انفسهم بذلك وثانيها وهو قوله تعالى
وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون اى ظهرت لهم انواع من العقاب لم يكن فى حسابهم ما يماثلها ويدانيها كما قال
عليه الصلاة والسلام فى صفة الثواب فى الجنة * فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * فكذا الحال
فى جانب العقاب والعياذ بالله تعالى وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا وكلمة ما يجوز ان تكون موصولة
اى سيئات اعمالهم التى اكتسبوها وان تكون مصدرية اى سيئات كسبهم ثم قال وحاق بهم اى احاط ونزل بهم من
كل الجوانب جزاء ما كانوا به يستهزؤن قدر الجزاء كما قدر فى قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى جزاء ما كنزتم
لان ما كانوا يستهزؤن به فى الدنيا من آيات الله وانبيائه لا معنى لاحاطته بهم به فى العقبى الا بذلك التقدير ثم انه تعالى
حكى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وهى انهم عند الوقوع فى الضر من نحو الفقر والمرض يفزعون الى
الله تعالى ويرون ان دفع ذلك لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خولهم اى اعطاهم نعمة تفضلا يقول احدهم انما اوتيته
على علم ﴿قوله اخبار عن الجنس﴾ حمل الانسان على الجنس واستدل عليه بقوله اكثرهم لا يعلمون لانه لو حمل
على المعهود وهم الذين اشمأزت قلوبهم عن ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره لما كان لتخصيص اكثرهم بانهم لا يعلمون
وجه لانهم كلهم كذلك وهذا الحمل لا ينافى وجه دخول المشمئزين والمستبشرين دخولا اوليا فى هذا الحكم وهو
تخصيصه تعالى بالدعاء اذا مسهم ضر وشدة فلذلك عطف هذه الجملة على قوله اذا ذكر الله وحده اشمأزت الخ بالفاء
السببية المؤذنة بانهم يجعلون اشمئزاز قلوبهم عن ذكر الله سببا للالتجاء اليه تعالى عند الشدائد انكارا عليهم فى هذا
الالتجاء وتعجيبا من حالهم لان السبب الصالح للالتجاء اليه عند الشدائد صدق الانقياد والانابة اليه وقت الرخاء
لا النفور عنه والاشمئزاز بذكره وهم يقيمون النفور والاشمئزاز المذكورين مقام الانقياد التام والانابة الدائمة
فيلتجئون اليه عند الشدائد وما هذا الا تعكيس فى التسبب الا ان الظاهر من عطف هذه الجملة على قوله واذا ذكر
الله وحده بالفاء ان يحمل الانسان على المعهود وان يكون المشمئز عن ذكر الله ملحوظا قصدا لما فى ضمن الجنس حتى

(واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت
ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى
الاوثان (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم
بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين
حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ
قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم
وجهه والعامل فى اذا المفاجأة (قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة)
التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى امرهم
وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر
على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) فانت
وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم (ولو أن
للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة)
وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص
(وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم فى الوعد (وبدا لهم سيئات
ما كسبوا) سيئات اعمالهم او كسبهم حين
تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه (فاذا مس
الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما
يغلب فيه

يكون العطف المذكور تقبيحا لحالهم وبيانا لمناقضتهم وتعكيسهم في التسبب حيث جعلوا ماهو سبب للاعراض عنه سببا للالتجاء اليه ﴿قوله وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم﴾ اى لانكار مناقضتهم انفسهم حيث تشمئز قلوبهم عن ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره ثم يرجعون اليه تعالى في الشدآئد دون آلهتهم وماهو الا مناقضة صريحة وتعكيس في التسبب يعني ان من حق الجملة المعترضة ان تؤكد كل واحدة من الجملتين اللتين وقعت هي معترضة بينهما والامر هاهنا كذلك لان الجملة المتقدمة اذا ذكر الله وحده الخ معناها انكار اشمئزازهم وكذا الجملة المتأخرة وهي قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر الخ انكار للالتجاء اليه تعالى بعد الاشمئزاز عن ذكر الله وحده والاستبشار بذكر غيره وما وقع معترضا بينهما وهو دعاؤه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى بامر منه بذلك تأكيد للانكار الواقع في الطرفين كأنه قيل يارب لايحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك بمثل هذه الجرآءات الا انت ﴿قوله فان التخويل مختص به﴾ اى بالاعطاء تفضلا ولايستعمل في الاعطاء بطريق المجازاة والمكافاة بل في ابتدآء العطية ﴿قوله على علم مني بوجوه كسبه﴾ على ان قوله تعالى على علم حال من الضمير المرفوع في اوتيته وان فسر ذلك بقوله اني سأعطاه يحتمل ان يكون حالا من الضمير المرفوع او المنصوب في اوتيته لتصريح الضمير في سأعطاه وان فسر بقوله على علم من الله تعالى بي ومن استحقاقي يتعين كونه حالا من الضمير المرفوع ﴿قوله والهاء فيه لما﴾ يعني ان كلمة ما في انما يحتمل ان تكون كافة وان تكون موصولة فالضمير المنصوب في اوتيته على الاول يرجع الى النعمة من حيث ان المراد بها شئ من النعمة او من حيث ان المراد بها الانعام وعلى الثاني يرجع الى ما اى الذي اوتيته على علم مني ومن الله تعالى بي وباستحقاقي اياه * فان قلت كيف يحتمل انها موصولة وحق الموصولة ان تكون مفصولة في الخط عن ان * اجيب بان خطين لايجري القياس فيهما خط المصحف وخط العروضيين وانث ضمير النعمة في قوله تعالى بل هي فتنة اعتبارا بلفظ النعمة ﴿قوله وهو رد لما قاله﴾ كأنه قيل ما خولناك اياها لما تقول بل هي فتنة اى ابتلاء وامتحان لك ليظهر للناس أتشكر تلك النعمة ام تكفر * وكلمة ما في قوله تعالى فما اغنى عنهم يجوز ان تكون نافية او استفهامية اى ماينفع او اي شئ ينفع ما كسبوا من المال عند حلول العذاب المدلول عليه بقوله فاصابهم سيئات ما كسبوا وهو معطوف على قوله قد قالها الذين من قبلهم ﴿قوله او جزآء اعمالهم﴾ على ان يراد بالعقوبات السيئات التي هي جزآء ما كسبوه من المعاصي وكلمة ما على الوجهين موصولة * ولما ورد ان يقال عقوبة العاصي عدل تقتضيه الحكمة فكيف يصح ان تسمى سيئة * اجاب عنه بقوله وسماه سيئة على طريق المجاز المرسل تسمية للشئ باسم متعلقه فان الجزآء الذي اصابهم انما اصابهم في مقابلة اعمالهم السيئة ونكتة المجاز الرمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ووجه الرمز ان قوله ما كسبوا يعم جميع اعمالهم فاذا عبر عن جزآء ما كسبوا بالسيئات لكونها في مقابلة السيئات كان ذلك رمزا اليها بملاحظة اضافتها الى جميع ما كسبوا من العقائد الباطلة والاقوال والافعال الفاسدة او عد كفار مكة ومن كان بمثل حالهم فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين اى بفائتين عذاب الله في الدنيا والآخرة ثم رد عليهم زعمهم فيما اوتوا من المال وسعة الحال بقوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق على من يشاء لايتعلق البسط بحسن حيلته في كسبه ولا الضيق ببلادته فيه ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلابد لذلك من سبب وسبب ذلك ليس عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في غاية السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع والانجم والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وعالم من النبات فلما اثبتنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلي صحة قوله الله يبسط الرزق لمن ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضي به المشتري * ولا النحس يقضي علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاضي القضاة تعالى وجل

ثم انه تعالى لما اطنب في تفصيل الوعيد اردفه بشرح كمال قدرته وفضله واحسانه في حق العبيد فقال قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم ﴿قوله افرطوا في الجناية عليها﴾ يريد انه ضمن الاسراف معنى الجناية فعدى بعلى لذلك وقوله لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا الظاهر انه قوله اولا وثانيا اشارة الى ترتيبهما في كونهما

والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما اوتيته على علم) على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقه او علم من الله بي وباستحقاقي والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هي فتنة) امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن اكثرهم لايعلمون) ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيئات ما كسبوا) جزآء سيئات اعمالهم او جزآء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان او التبعيض (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وماهم بمعجزين) بفائتين (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم) افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا

دلولى الآية بناء على ان التفضل لايكون الابعد المغفرة ويحتمل ان يكون اشارة الى ترتيبهما فى كونهما مداولى
لآية بناء على انها اذا دلت على النهى عن اليأس من تفضله فدلالتها على النهى عن اليأس من مغفرته اولى لان المذنب
الم يغفر له لايتفضل عليه بالدرجات وقوله واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين يعنى ان قوله تعالى الذين اسرفوا على
انفسهم ليس بعام فى حق جميع المشركين وان دخلوا دخولا اوّليا فيمن افرطوا فى الجناية على انفسهم بالافراط
فى المعاصى بناء على ان لفظ العباد اذا ذكر مضافا اليه تعالى يراد به المؤمنون فى عرف القرآن وان كان عرف اهل
اللغة لايقتضى اختصاصه بهم لان الخلائق باسرها عباده مملوكون وفى قبضة قدرته مسخرون فلا يرد ان يقال نهى
العباد عن القنوط من رحمة الله بمنزلة امره بان يطمعوا ويرجوا رحمته تعالى والكريم اذا امر بالرجاء فلا يليق به
الا الكرم بالمغفرة والتفضل فى حق عامة المكلفين من المؤمنين والمشركين ويعارضه نصوص كثيرة فاوجه التوفيق
واذا خص العباد بالمؤمنين بشهادة الاضافة يكون معنى الآية اطماع المؤمنين بانه تعالى يغفر جميع ذنوبهم من
الصغائر والكبائر فان من قال لااله الاالله محمد رسول الله ينجو من النار قطعا اماقبل الدخول فى جهنم واما بعد
الدخول فيها كما قال المصنف رحمه الله يغفرها عفوا ولو بعد تعذيب اى يسترها جميعا بان يمحوها من عفا الدار اى
عدمها * واعلم ان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى يغفر جميع ذنوب المؤمنين ويعفو عنها قطعا وان هذا العفو والغفران
يقع على وجهين تارة يقع ابتداء وتارة بعد ان يعذب فى النار مدة ثم يخرج من النار ويعفى عنه * فان قيل اذا كانت جميع
الذنوب مكفرة بعفو الله تعالى ومغفرته فما الحاجة الى التوبة فان التوبة يراد بها اسقاط العذاب فاذا سقط العذاب
بعفو الله تعالى فاى حاجة الى التوبة مع انها واجبة على العاصى عندنا وان لم تكن شرطا فى العفو والغفران * اجيب
بان فائدتها اسقاط العذاب عمن تكون مغفرته مسبوقة بالعذاب وان كان يحتمل ان يغفر له ابتداء من غير توبة وسبق
تعذيبه بحكم مشيئته لا بحكم ملكه وجبروته والمعتزلة قيدوا قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا بالتوبة وحملوا
هذا المطلق على ما قيد فى مواضع اخر دفعا للتناقض الا ان قولهم بالتقييد فى غير هذا الموضع محل نظر اذ لم يصرح
فى شئ من المواضع بان المغفرة متوقفة على التوبة وغاية ماذكر انه تعالى ذكر المغفرة بعد ذكر التوبة وهو لايستلزم
عدم حصول المغفرة بدونها كما لايستلزم ذكر الانابة والاخلاص بعد ذكر المغفرة عدم حصولهما بدونها
كما فى هذه الآية والمصنف ردّ على الزمخشرى فى تقييد المغفرة بالتوبة بان التقييد خلاف الظاهر فلا يصار اليه
الا ضرورة ثم استدل على ان غفران ماعدا الشرك من الذنوب مطلق غير مشروط بالتوبة بوجوه الاوّل قوله
تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ووجه الاستدلال به ان الشرك الغير المغفور هو
الذى لم يتب عنه ضرورة ان المشرك اذا تاب من شركه واسلم يغفر له شركه فيكون المراد بما دون الشرك المغفور لمن يشاء
ما لم يكن مسبوقا بالتوبة والا لم يتطابق النفى والاثبات والثانى التعليل المستفاد من قوله تعالى انه هو الغفور الرحيم
فانه لاشتماله على صيغتى المبالغة وهما صيغتا فعيل وفعول يدل على ان الغفران والرحمة مطلقان غير مقيدين
بالتوبة لان كونهما فى غاية الكمال انما يكون اذا كانا غير مشروطين وكذا ما فيه من الدلائل على الحصر يدل ايضا
على ان غفرانه ورحمته تعالى فى غاية الكمال ومن وجوه كمالهما كونهما غير مشروطين بالتوبة والثالث انه
تعالى لم يكتف بتوصيف ذاته بالمغفرة البالغة الذى هو فى قوة الوعد بها بل اردفه بتوصيفها بالرحمة البالغة بها فان
قوله الرحيم يفيد فائدة زائدة على مايستفاد من قوله الغفور فان قوله الغفور اشارة الى محو مايوجب العقاب
وقوله الرحيم اشارة الى التفضل بالثواب ومن هذا شأنه لايليق به ان تكون مغفرته مشروطة بالتوبة والرابع
تقديم مايستدعى عموم المغفرة وهو ان عبر عن المذنبين بلفظ العباد المشعر بالذلة والمسكنة وان اضاف اللفظ
المذكور الى نفسه بياء الاضافة ولاشك ان اللائق بالكريم الرحيم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج من غير
تقييد واشتراط بشئ وان شرف الاضافة اليه يدل على الامن من عذابه مطلقا تاب اولم يتب والخامس ان تخصيص
ضرر اسرافهم بهم وارجاعه اليهم توصيف لهم بجهل وخامة عاقبة الاسراف وهو ايضا يشعر بان تكون مغفرته
لهم غير مشروطة بشئ والسادس انه تعالى اطلق النهى عن القنوط من الرحمة وهو فى قوّة الامر برجاء الرحمة
مطلقا والكريم اذا امر بالرجاء والرحمة مطلقا فهو آمر برجاء المغفرة مطلقا بطريق الاولى والسابع ان اطلاق
الرحمة وعدم تقييدها بنوع منها اطماع فيها بجميع وجوهها فتقييد المغفرة بالتوبة ينافى اطلاق الرحمة والثامن
ان تعليل النهى عن القنوط من الرحمة بقوله ان الله يغفر الذنوب يدل على اطلاق المغفرة اذ لاوجه لتعليله بالمغفرة

(ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد
تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل
على الاطلاق فيما عدا الشرك قوله ان الله لايغفر
ان يشرك به الآية والتعليل بقوله
(انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة
الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
مايستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة
على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى
عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة
واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع
الاسم الظاهر موضع الضمير لدلالته على انه
المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع
وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال
ما احب ان لى الدنيا ومافيها بها فقال رجل
يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال
ألا ومن اشرك ثلاث مرّات

المقيدة والتاسع انه تعالى قال اوّلا ياعبادى فكان الظاهر ان يقول بعده لاتقنطوا من رحمتى الا انه تعالى قال لاتقنطوا من رحمة الله بوضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بان رحمته غير مشروطة فضلا عن مغفرته والعاشر التأكيد بالجميع فانه تعالى لو قال يغفر الذنوب من غير تأكيد بقوله جميعا لحصل اصل المعنى لكنه اردفه بقوله جميعا ليدل على كمال مغفرته ومن جملة كمالها كونها غير مشروطة بالتوبة وقوله عليه الصلاة والسلام ما احب ان لى الدنيا ومافيها بها اى بهذه الآية والباء فى قوله بها للمقابلة والمعنى ما احب ان املك الدنيا ومافيها بهذه الآية وذلك لانه تعالى وعد فيها المسرفين من عباده ان يغفر لهم ذنوبهم جميعا ونهاهم عن ان يقنطوا من رحمة الله الواسعة وهى ارجى آية فى حق عصاة المؤمنين فقال رجل على سبيل الاستبعاد ومن اشرك اى وذنوب من اشرك على انه معطوف على قوله تعالى الذنوب جميعا اى ويغفر ذنوب من اشرك ايضا فلعل الصحابى نظر الى عموم قوله ياعبادى لمن آمن واشرك فقال وذنوب من اشرك ايضا وسكوته عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يكون لتعليم التأنى او لانتظار الوحى او لاجتهاد على رأى من يجوّزه له عليه الصلاة والسلام * روى فى سبب نزول هذه الآية وجوه قيل انها نزلت فى اهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من قتل النفس وعبد الاوثان لايغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم ولعلهم قالوا ذلك حين سمعوا قوله تعالى فى آخر الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى ان قال والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فنزلت جوابا لهم اى قل لهؤلاء المشركين عنى ياعبادى اى ياخلقا انا مالكم اصرفهم فى حكمى كيف اشاء وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان وحشيا كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى آية نزلت عليك من القرآن هى قوله والذين لايدعون مع الله الها اخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وانى قد فعلت هذه الاشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فكتب ذلك وارسله الى وحشى فقال وحشى ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح وانا لا ادرى ماقدر عليه ام لافنزل ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى وكتب وحشى اليه ان فى هذه الآية شرطا ايضا وهو قوله تعالى لمن يشاء ولا ادرى ايشاء ان يغفر لى ام لافنزل قوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فكتبه الى وحشى فلم يجد فيه الشرط فقدم المدينة فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين عامة قال عليه الصلاة والسلام بل للمسلمين عامة وقيل نزلت فى اناس اصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية فلما جاء الاسلام اشفقوا ان لايقبل الله تعالى توبتهم وقيل نزلت فى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا بان امروا بالتكاليف الشرعية من القتال وغيره فلم يصبروا عليها فارتدوا والعياذ بالله * قال الامام العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فنزول هذه الآيات فى هذه الوقائع لايمنع من عمومها ﴿ **قوله** وماروى ﴾ مبتدأ ومابعده عطف عليه وقوله لاينفى عمومها خبر المبتدأ وهو جواب عن سؤال مقدّر وهو ان ماذكرته من الادلة الدالة على ان المغفرة ليست مقيدة بالتوبة معارض بهذه الروايات فانها تدل على ان هذه الآيات نازلة فى حق المشركين او المرتدّين او فى المسرفين مطلقا من المشركين وعصاة المؤمنين ومن المعلوم انه لايغفر الشرك والارتداد الا بشرط التوبة فتكون المغفرة المذكورة فى الآية مقيدة بالتوبة كما ذهب اليه المعتزلة * وتقرير الجواب ان نزولها فى حق المشركين والمرتدّين لايستلزم كون المغفرة مشروطة بالتوبة بل الآية باقية على عمومها وتقييدها بالتوبة فى حق الكفرة يستفاد من الدليل المنفصل نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فان مثل هذا النص يدل على ان مغفرة الشرك مشروطة بالتوبة والانتهاء عنه وتخصيص الشرك من بين الذنوب بان مغفرته متوقفة على التوبة لاينافى بقاء الآية على عمومها فى حق مغفرة الذنوب * قال صاحب الكشاف وانما ذكر الانابة اثر المغفرة ودعاهم بذكرها الى التوبة لئلا يطمع طامع فى حصول المغفرة بدون التوبة وللدلالة على انها فيها شرط لازم لاتحصل بدونها فاجاب المصنف عنه بقوله وكذا قوله وانيبوا الى ربكم الآية فانه ايضا لاينفى عموم الآية اى عموم الذنوب المذكورة فيها للذنوب المتوب عنها وغير المتوب عنها فان الانابة انما ذكرت ههنا للحث عليها لكونها واجبة على العاصى فان الآية

وماروى انها نزلت فى اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا اوفى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالتعذيب

السابقة انما تدل على انه تعالى يصح منه ان يغفر الذنوب جميعا عفوا اى من غير توبة وسبق تعذيب ولا تدل على حصول المغفرة قطعا لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب حتى يقال اذا حصلت مغفرة الذنوب جميعا بطريق العفو والتفضل فاى حاجة الى التوبة والحث عليها وايضا فاوجه الوعيد بالعذاب مع كون جميع الذنوب مغفورا ابتداء فى حق كل احد ومعنى الآية ارجعوا الى ربكم من الشرك والذنوب واسلموا له اى اخلصوا له التوحيد والعمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وهو استئناف غير معطوف على المنصوب فلذلك رفع فيستحسن الوقف على ماقبله ﴿قوله القرآن﴾ جواب عما يقال الظاهر ان المراد ان ماانزل الى هذه الامة انما هو القرآن والقرآن كله احسن فامعنى الامر باتباع احسنه وتقرير الجواب ان المراد بقوله احسن ماانزل اليكم احسن ماانزل الى بنى آدم على ان الخطاب لبنى آدم والمعنى اتبعوا احسن وحى او كتاب انزل اليكم وهو القرآن كله او المراد بما انزله فى الاوجه القرآن والمراد باحسنه ماقى ضمنه من المأمور بها فانها احسن من المنهى عنها لامحالة او من العزائم فانها احسن من الرخص او من الناسخ فانه احسن من المنسوخ لان النسخ عبارة عن انتفاء حكم المنسوخ واثبات حكم آخر مكانه فلما كان الناسخ هو المعول عليه من حيث حكمه كان احسن فى حقنا ورجح احتمال ان يكون المراد باحسن القرآن ماهو اظهر تأدية الى النجاة والسلامة لكونه اشمل واكثر فائدة ﴿قوله لان القائل بعض الانفس﴾ وهى الانفس الكفرة كأنه اراد ان التنكير فيها للنوعية وعبر عن النوع بالبعض فان النفس الكافرة نفس من جنس النفوس قال الاعشى شاكيا من قومه حين قعدوا عن نصره

٭ دعا قومه حولى فجاؤا لنصره ٭	وناديت قوما بالمسناة غيبا ٭
٭ ورب بقيع لو هتفت بجوه ٭	اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا ٭

يريد افواجا من الكرام ينصرونه مغضبين اى يحمولين على غضب اى غضب والمسناة العزم والبقيع موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى ومنه بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة والغرقد صنف من الشجر كأنه لما تقاعد قومه عن نصرته دعا ومعنى قوله قوما بالمسناة غيبا امواتا مقبورين تشبيها لهم بالاموات المقبورة فى غيبتهم وعجزهم وشبه القبر بالمسناة لانه اذا قبر الميت صارت الاحجار المركومة مسناة فوق الميت واراد بالبقيع المقبرة تشبيها لهم بالغرقد وتنكير كريم فيه للتكثير يريد اتانى افواج من الكرام ينصرونى لانه فى صدد مدح نفسه وبيان ان الكرام من الرجال لا يخذلونه وحمل التنكير على الافراد يخل بالمقصود ﴿قوله ياحسرتا﴾ قرأ العامة ياحسرتا بالف مبدلة من ياء الاضافة فان الاصل ياحسرتى والعرب تبدل ياء الضمير الفا فى الاستغاثة فتقول ياويلتا ويانداما هربا الى خفة الالف مع الفتحة بالنسبة الى الياء والكسرة وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين الاصل والعوض ومافى قوله على مافرطت مصدرية اى على تفريطى والجنب والجانب والناحية بمعنى يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته ويقال فرطت فى جنبه وفى ناحيته اى فى حقه والوامق المحب ومقه يمقه ومقا بكسر العين فيهما اى احبه فهو وامق وحرى تأنيث حران مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقطع اصله تتقطع ﴿قوله وهو كناية الخ﴾ اى اثبات التقصير فى جنب الله تعالى وناحيته كناية عن اثباته لذاته لان اثبات الامر فى مكان الرجل يستلزم اثبات ذلك الامر فى نفسه كما فعل زياد الاعجم فى مدح عبدالله بن الحشرج حيث جمع السماحة والمروءة والندى فى قبة تنبيها بذلك على ان محلها ذو قبة واراد بجعل محلها ذا قبة اختصاص الاوصاف المذكورة بابن الحشرج ثم لما رأى ان غرضه لا يتم بجعل محلها ذا قبة لوجود ذوى القباب فى الدنيا جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج فتم غرضه بذلك لان كون تلك الاوصاف فى قبة مضروبة على الممدوح من لوازم كونها فيه فكنى الشاعر بكونها فى تلك القبة عن كونها فيه ولا فرق بين ذكر الله نحو المكان والجنب والجانب وتركه فى تأدية اصل المعنى الا انه اذا ذكر يكون كناية فيكون الكلام ابلغ فاذا قيل فرطت فى جنب الله فكأنه قيل فى الله اى فى ذاته فلا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر اى فرطت فى حقه وهو طاعته فيما امر به ونهى عنه ﴿قوله وقيل فى ذاته﴾ على ان يجعل جنب الله كناية عن ذات الله ايضا لا بتقدير فى حق ذات الله بل بتقدير فى ذات طاعة الله والفرق بين الوجهين ان المضاف مقدر قبل الجنب الذى كنى به عن الذات فى الوجه الاول وبعده فى الوجه الثانى ﴿قوله وقيل فى قربه﴾ اذ الجنب القرب يقال فلان يعيش فى جنب فلان اى فى قربه وجواره والمعنى على هذا فرطت فى قرب الله وجواره ﴿قوله باهله﴾ اى باهل الله تعالى بمعنى اهل دينه وطاعته قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله وفرط فيها حتى سخر من

(واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) القرآن او المأمور به دون المنهى عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) بمجيئه فتتداركون (ان تقول نفس) كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

شعر

ورب بقيع لو هتفت بجوه ٭

اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا ٭

(ياحسرتا) وقرئ بالياء على الاصل (على مافرطت) قصرت (فى جنب الله) فى جانبه اى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

شعر

اما تتقين الله فى جنب وامق ٭

له كبد حرى عليك تقطع ٭

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

شعر

ان السماحة والمروءة والندى ٭

فى قبة ضربت على ابن الحشرج ٭

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر. (او تقول لو ان الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته

اهلها و كلمة ان فى قوله وان كنت هى المخففة من الثقيلة و اللام هى الفارقة بينها و بين النافية واسمها ضمير الشأن المجمل والجملة فى محل النصب على انها حال من فاعل فرطت كأنه قال فرطت فى حال كونى ساخرا من الساخرين ولم يقنع بتفريطه فى طاعة الله تعالى وسخريته باهل الطاعة حتى عدّ فى زمرتهم واشتهر بذلك • واعلم انه تعالى لما خوّفهم بالعذاب بقوله من قبل ان يأتيكم العذاب بين انهم عند نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكم عليهم بثلاثة انواع من الكلام فالاوّل قوله ان تقول نفس ياحسرتا والثانى قوله او تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين والثالث قوله او تقول حين ترى العذاب الآية تحسروا اوّلا على التفريط فى طاعة الله تعالى وثانيا تعللوا بفقد الهداية وثالثا تمنوا الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المحسنين اعتقادا وعملا وكلمة أو فى هذه الاقوال لمنع الخلوّ لا لمنع الجمع اذ يجوز ان يجتمع هذه المقالات ويقولوا بها جميعا فاجاب الله عن كلامهم بان قال بلى قد هديت الى الدين بالوحى الحق وانزال القرآن وان تعللك بفقد الهداية باطل واعذارك زآئلة بما جاءك من الآيات القرآنية الا انك كذبت بها قائلا انها ليست من عند الله تعالى وتكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين باختيار الكفر على الايمان والضلال على الهدى بعد وضوح البيان ولما كانت كلمة بلى مختصة بايجاب النفى ولا تقع جوابا لغير النفى وليس فى واحدة من تلك المقالات لفظ النفى حتى يحسن ان يجاب عنه ببلى جعلها جوابا عن مقالتهم الوسطى وهى قولهم لو ان الله هدانى واحتاج الى اعتبار ما فيه من معنى النفى لان معناه انه تعالى ما هدانى لان لفظة لو اذا دخلت على المثبت تفيد معنى النفى فورد عليه انّ بلى لما كانت جوابا عن المقالة الوسطى كان ينبغى ان تقترن بها فلم فصلت عنها فاجاب عنه بان اقتران الجواب بتلك المقالة يفرق القرآئن بان يتخلل كلام الغير بين مقالتهم وتأخير تلك المقالة عن المقالة الثالثة لأن يقترن جوابها مخل بالنظم المطابق للوجود فتعين ان تذكر تلك المقالات على وفق ترتيبها فى الوجود ثم يجاب من بينها عما يستدعى ان يجاب عنها ﴿ قوله وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآيات على ان العبد مستقل بفعله لا تأثير لقدرة الله تعالى فيه من حيث انه تعالى ردّ قولهم انه تعالى ما هدانا الى الحق بقوله بلى قد هديتكم و بينت لكم آياتى لكنكم كذبتم بها واخترتم الضلالة على الهدى فانما جاء التقصير من قبلكم وهذا يدل على ان قدرة الله تعالى لا تأثير لها فى شقاوتهم والا لكان لهم ان يقولوا نعم جاءتنا الآيات لكنك خلقت فينا التكذيب وصرفتنا عن التصديق بها وايضا انه تعالى وصفهم على وجه الذم والتوبيخ بتكذيب الآيات والاستكبار عن الايمان بها والاهتداء بهداها والكفر والاسراف فلو لم يكن لهم استقلال فى هذه الافعال لما صح هذا الذم ولا شك ان استدلالهم هذا باطل لان غاية ما فى الباب انه تعالى ردّ ما تضمنته مقالتهم الوسطى ببيان انه هداهم لكن استحبوا العمى على الهدى وذمّهم باسناد تلك الافعال اليهم وذلك لا يستدعى استقلال قدرتهم بها بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرتهم مدخل فيها ﴿ قوله وتذكير الخطاب ﴾ اى فى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت بفتح التاء من الجميع مع ان الظاهر كسر التاء على خطاب النفس الا انها فتحت نظرا الى جانب المعنى لان النفس عبارة عن الكافر ﴿ قوله والجملة حال ﴾ اى من الموصول على طريق كلمته فوه الى فىّ بناء على ان الرؤية بصرية وان كانت من رؤية القلب تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان وقرئ وجوههم مسودّة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودّة اما حال او مفعول ثان ﴿ قوله بفلاحهم ﴾ وهو الظفر بالبغية اىّ بغية كانت والنجاة من جهنم من جملتها فسر المفازة التى هى اسم بمعنى الفوز اوّلا بمعناها الحقيقى وهو الفلاح والظفر بالخير على اتم الوجوه والمعنى وينجى الله المتقين مما ناله المتكبرون من سواد الوجه والثوآء فى الجحيم بسبب ظفرهم وفسرها ثانيا بالنجاة وبين وجهها بان النجاة من العذاب اهم اقسام الفوز والظفر بالخير واكمل افراده فصح صرف مطلق الفوز اليها وارادتها منه وحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى ينجيهم بسبب مفازتهم ونجاتهم وهى الاعمال الصالحة لان نفس النجاة ليست سببا لتنجيتهم بل سببها هو الاعمال الصالحة او الى انه يجعل المفازة التى اريد بها النجاة مجازا مرسلا عن العمل الصالح على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان العمل سببها وفسرها ثالثا بالسعادة الازلية ورابعا بالعمل الصالح وبين وجهها بان اطلاق الفوز عليهما من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان كل واحد منهما سبب للفوز والفلاح اى ينجيهم فى حال انهم لا يمسهم السوء بمفازتهم اى بسعادتهم او بصلاحهم اى بصلاح اعمالهم على انه صلة لا يمسهم او انه حال من الذين اتقوا وان كان استئنافا لبيان المفازة لا يكون له محل من الاعراب فكأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء ثم انه تعالى

(بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) ردّ من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرآئن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودّة) بما ينالهم من الشدّة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو (أليس فى جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) وقرئ وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى او لقوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وهو حال او استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشرّ وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه

لما اطال الكلام فى الوعد و الوعيد عاد الى دلائل الا آلهية و التوحيد فقال الله خالق كل شئ جعل كل شئ متناولا للشرّ و الخير و الكفر و الايمان ردّا على المعتزلة المنكرين لكونه تعالى خالقا للشرّ و لافعال العباد و قوله لا يملك امرها الحصر المذكور مستفاد من تقديم الظرف فانه يفيد الاختصاص تأكيدا للاختصاص المستفاد من اللام و هو معنى قوله و فيها مزيد دلالة على الاختصاص جعل ملك مفاتيح السموات و الارض كناية عن كونه مالكا لها قادرا على جميع التدابير المتعلقة بها بناء على ان ملك مفاتيح الشئ لازم لملك نفس ذلك الشئ و التصرّف فيه فاثبت الله لذاته المتعالى اللازم للدلالة على ثبوت الملزوم و فيه اشكال بناء على ما ذكر فى الفرق بين المجاز و الكناية من ان المجاز لاشتماله على القرينة الصارفة عن ارادة الموضوع له لا يجوز فيه ارادة الموضوع له بخلاف الكناية فان المقصود فيها هو المعنى الكنائى و هو الملزوم مع جواز ارادة الموضوع له و هو اللازم و فيما نحن فيه لا يصح ارادة حقيقة المفاتيح اذ ليس ثمة مفاتيح و لا اغلاق الا ان يجعل اثبات المقاليد للسموات و الارض استعارة تخييلية منبهة على تشبيههما باشياء ذوات ابواب و ان ابوابها مغلقة بذوات مفاتيح ثم يجعل ما يدل على اختصاص تلك المفاتيح به تعالى و هو قوله له مقاليدهما كناية عن كونه تعالى مالكهما و المتصرّف فيهما بالحفظ و انواع التدابير ﴿قوله كذا كير﴾ فانه جمع ذكر على الشذوذ كما ان المحاسن جمع الحسن على خلاف القياس * قال الامام النسفى الاقليد اصله بالفارسية اكليد فعربته العرب و تكلمت به فصار عربيا كما اذا طرأ الاستعمال على المهمل فانه يخرج عن كونه مهملا و يصير مستعملا ﴿قوله متصل بقوله و ينجى﴾ يعنى انه معطوف عليه عطف احد المتقابلين على الاخر اى ينجى الله المتقين بمفازتهم و الذين كفروا اولئك هم الخاسرون فان مفردات احدى الجملتين مقابلة للاخرى من حيث المعنى و هاتان الجملتان لما سيقتا لبيان انه تعالى يجازى كل واحد من اهل التقوى و الكفر على حسب افعالهم اعترض بينهما ما يؤكد هذا المعنى لانه تعالى اذا كان خالق كل شئ و كانت الاشياء كلها موكولة اليه و كان مالكا لخزآئن السموات و الارض لزم كونه تعالى مطلعا على افعال المكلفين مجازيا عليها قال الامام الغزالى فى المقصد * المهيمن معناه فى حق الله تعالى انه القائم على خلقه باعمالهم و ارزاقهم و آجالهم و انما قيامه عليها باطلاعه و استيلائه و حفظه و كل مشرف على كنه امر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه و الاشراف يرجع الى العلم و الاستيلاء يرجع الى كمال القدرة و الحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعانى اسمه المهيمن ﴿قوله و تغيير النظم﴾ جواب عما يقال من ان قوله تعالى و ينجى الله الذين اتقوا جملة فعلية و قوله و الذين كفروا بآيات الله جملة اسمية و لا يحسن عطف الاسمية على الفعلية * و تقرير الجواب ان مقتضى الظاهر ان يقال و يهلك الكافرين الا انه غير النظم الى ما وقع فى التنزيل لنكتتين الاولى الاشعار بان ما اصاب المتقين من الحسنة فمن الله تعالى بفضله و رحمته و ما اصاب الذين كفروا فمن انفسهم حيث خسروا حظها بسوء اختيارهم و حاصل النكتة الثانية انه تعالى لغاية كرمه صرّح بوعد المتقين و اضافه الى نفسه و لم يصرّح بوعيد الكفار فضلا عن ان يضيفه الى نفسه ﴿قوله او بما يليه﴾ عطف على قوله بقوله و ينجى اى هو متصل بقوله الله خالق كل شئ و هو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات و الارض اى كمال قدرته و حكمته هكذا و من كفر بذلك و جحد ان الامر كذلك اولئك هم الخاسرون ثم ذكر ان المراد بآيات الله دلائل قدرته ان كان قوله له مقاليد السموات و الارض كناية عن قدرته و ان فسر المقاليد بما روى عنه عليه الصلاة و السلام يكون المراد بآيات الله كلمات توحيده و تمجيده ﴿قوله اى أفغير الله اعبد﴾ يعنى ان قوله أفغير الله منصوب باعبد * و لما ورد ان يقال كيف يجوز ذلك و الظاهر ان اعبد مفعول لتأمرونى فانه يقتضى مفعولين اولهما ياء المتكلم و ثانيهما اعبد الا ان مفعول الامر لما وجب ان يكون مفردا لفظا او تقديرا و ههنا وقع جملة وجب ان تقدر ان المصدرية لتكون الجملة فى تأويل المفرد فيكون تقدير الكلام تأمرونى ان اعبد فيكون اعبد صلة ان المصدرية فان جعل غير الله منصوبا باعبد لزم منه ان تقدّم معمول الصلة على الموصول و ذا لا يجوز * اشار الى منعه بقوله و تأمرونى اعتراض اى بين المفعول و فعله و المعنى أفغير الله اعبد بامركم و وجه المنع ان اعبد اذا لم يكن مفعول تأمرونى لم يحتج الى تقدير ان المصدرية حتى يلزم تقدّم معمول الصلة على الموصول ﴿قوله استلم﴾ امر الحاضر من قولهم استلم الحجر اذا لمسه اما بالقبلة او اليد اى بتقبيله بنفسه او بالاشارة باليد و تقبيلها كما يفعل بالحجر الاسود ﴿قوله لفرط غباوتهم﴾ متعلق بقوله قالوا استلم فان امرهم اياه عليه الصلاة و السلام بذلك بعد ما تبين انه تعالى خالق الاشياء كلها و ان التصرّف فيها جميعا موكول

(له مقاليد السموات و الارض) لا يملك امرها و لا يتمكن من التصرّف فيها غيره و هو كناية عن قدرته و حفظه لها و فيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزآئن لا يدخلها و لا يتصرّف فيها الا من بيده مفاتيحها و هو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته و قيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير و عن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا آله الا الله و الله اكبر و سبحان الله و بحمده و استغفر الله و لا حول و لا قوّة الا بالله هو الاوّل و الآخر و الظاهر و الباطن بيده الخير يحيى و يميت و هو على كل شئ قدير و المعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها و يمجد و هى مفاتيح خير السموات و الارض من تكلم بها اصابه (و الذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) متصل بقوله و ينجى الله الذين اتقوا و ما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها و تغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله و فى هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم و للتصريح بالوعد و التعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه و المراد بآيات الله دلائل قدرته و استبداده بامر السموات و الارض او كلمات توحيده و تمجيده و تخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة و الثواب (قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون) اى أفغير الله اعبد بعد هذه الدلائل و المواعيد و تأمرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك و قالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم

ويجوزان ينتصب غير بمادل عليه تأمرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع اعبد كقوله * احضر الوغى * ويؤيده قرآءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك) اى من الرسل (لئن اشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامّة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخيرتان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرّح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) ردّ لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وماقدروا الله حق قدره) ماقدّروا اعظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لايليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولامجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض مطوية فى حكمها

اليه فان مقاليدها جميعا بيده غاية الجهل والغباوة ﴿قوله ويجوز ان ينتصب غير﴾ لما كان انتصاب غير الله باعبد مستلزما بحسب الظاهر تقديم مافى حيز الصلة على الموصول دفعه اوّلا بجعل قوله تأمرونى اعتراضا بين المفعول وفعله لئلا يرد تقديمه ودفعه ههنا بانه ليس منصوبا باعبد المذكور بل بمادل عليه مجموع قوله تأمرونى اعبد اى وتقولون لى اعبد غير الله لان الامر نوع من القول والتعبيد ولامحذور فى كون غير منصوبا باعبد هذا لكونه مقولا للقول المدلول عليه بالجملتين المذكورتين لان القول لايستدعى ان كما يستدعيها الامر كأنه يقول قدتقرر ان مقول القول يكون جملة محكية فلايحتاج الى ان بخلاف مفعول الامر لانه لابدّ ان يكون مفردا فان اتفق كونه جملة يحتاج الى ان لفظا او تقديرا لتكون الجملة فى تأويل المفرد ﴿قوله على ان اصله﴾ اى اصل الكلام على تقدير ان لايكون تأمرونى اعتراضا ويكون غير منصوبا بمضمون الجمله ﴿قوله وقرأ ابن عامر تأمروننى﴾ بفك الادغام وسكون الياء وقرأ نافع تأمرونى بحذف نون الوقاية وفتح الياء وقرأ الجمهور بادغام نون الرفع فى نون الوقاية وفتح الياء ابن كثير مع الادغام ﴿قوله كلام على سبيل الفرض﴾ لما كان الاصل فى تعليق الحكم بكلمة ان ان يكون المعلق عليه محتمل الوقوع ومتساوى الطرفين والله تعالى عالم بان الرسل عليهم الصلاة والسلام لايشركون ولايحبط عملهم البتة فلم يظهر وجه تعليق حبط اعمالهم على اشراكهم وتأكيده بالقسم مع انه غير محتمل اجاب عنه بانه تعليق على سبيل الفرض والتقدير لاعلى سبيل عده محتمل الوقوع وبيان حكمه ثم بين ان المراد من فرضه امور ثلاثة تهييج الرسل وتقوية عزيمتهم على الثبات على التوحيد واقناط الكفرة عن الانابة على اعمالهم والاشعار على حكم الامّة فان الرسل مع كرامتهم عند الله اذا حبطت اعمالهم وخسروا بالاشراك فالامّة اولى بذلك ﴿قوله وافراد الخطاب﴾ جواب عما يقال كيف قال لئن اشركت على التوحيد مع ان الموحى اليهم جماعة ﴿قوله واطلاق الاحباط﴾ جواب عما يقال احباط عمل المرتدّ ليس بمطلق بل هو مقيد بشرط موته على الكفر عند الشافعية لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فلم يعتبر هذا الشرط فى هذه الآية وكذا الخسران فى الآخرة لايكون بمجرّد الشرك بل يكون بالموت عليه وعند الحنفية يحصل الاحباط بمجرّد الشرك * واجاب عنه بوجهين الاوّل ان اطلاق كل واحد من الاحباط وخسران الآخرة يحتمل ان يكون من خصائص الرسل من حيث ان منزلتهم عند الله تعالى لما كانت اعلى واعز من منازل الامّة فلو فرض ان واحدا منهم قد ارتدّ والعياذ بالله تعالى ليهلكنه الله تعالى بلامهلة لشدّة غضبه على ردّته فيحبط عمله ويخسره فى الآخرة البتة فلاحاجة فى حقهم الى تقييد الاحباط وخسران الآخرة بالموت على الردّة لكون الموت على الردّة لازما لارتدادهم المفروض والثانى ان هذا المطلق محمول على المقيد فى آية اخرى والمعنى ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ان مت على الشرك ﴿قوله وعطف الخسران عليه﴾ كعطف قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله والمعنى ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ﴿قوله ماقدروا اعظمته فى انفسهم﴾ اشارة الى ان قدر المخفف فى الآية بمعنى قدّر المشدّد وزاده بيانا بقوله وقرئ بالتشديد من غير ان يتعرض لاختلاف المعنى بالتشديد وفى الصحاح قدرت الشئ اقدره قدرا بمعنى قدّرته من التقدير ومعنى التقدير لما كان راجعا الى المعرفة والعلم لان كنه ذاته لايقدره ولايعلمه احد فكيف ينكر على الكفار بانهم ماعرفوه حق معرفته قدّر المضاف فقال ماقدروا اعظمته فى انفسهم حق عظمته ﴿قوله تعالى والارض جميعا قبضته﴾ جملة اسمية فى موضع الحال من مفعول قدروا الله اى ماعظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقرئ قبضته بالنصب اى فى قبضته وهو ضعيف لان هذا الظرف محدود فلابدّ فى تعلق الفعل به من كلمة فى على رأى البصريين واما الكوفيون فانهم يجوّزون نصب المحدود ايضا فيقولون زيد دارك بالنصب اى فى دارك ومثله عند البصريين يحتاج الى اعتذار فلذلك اعتذر المصنف عنه فقال تشبيها الموقت بالمبهم ﴿قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه﴾ برفع الاسمين جملة اسمية معطوفة على ماقبلها وقوله بيمينه متعلق بمطويات او خبر ثان او حال من الضمير فى مطويات ﴿قوله على طريقة التخييل والتمثيل﴾ يعنى انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان تشبه صورة منتزعة من متعدّد باخرى مثلها فتذكر الالفاظ الدالة على صورة الثانية ويراد بها الصورة الاولى فيكون مجموع تلك الالفاظ استعارة تمثيلية ولايكون فى شئ من مفردات ذلك المجموع تصرف بحسب هذه الاستعارة بل تكون هى باقية على حالها من حقيقة او مجاز فلا يراد بقوله والارض جميعا قبضته اثبات الطى واليمين له لابحقيقتهما ولابمجازهما بل اعتبارانما هو لمجموع الكلام

(وان)

وان المقصود منه التنبيه على عظمته تعالى والدلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه كالشئ المقبوض بين احد فان التصرف فيه يسير كما ان المقصود من قولهم شابت لمة الليل الدلالة على استنارته وذهاب ظلمته بذلك الطريق من غير التعرض لاثبات اللمة له حقيقة ولا مجازا واللمة بكسر اللام الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن والقبضة بالفتح المرة من القبض وبالضم المقدار المقبوض بالكف اى هى اسم له وقد تطلق القبضة بالفتح على ذلك المقدار اما على طريق تسمية الشئ بالمصدر للمبالغة او على تقدير ذو مثل رجل عدل **﴿قوله عن اشراكهم﴾** على ان تكون ما فى قوله عما يشركون مصدرية وقوله او مايضاف اليه من الشركاء على انها موصولة اى عن الذين يشركونهم به ثم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بطريق آخر يدل ايضا على كمال عظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ فى الصور الآية **﴿قوله خر ميتا او مغشيا عليه﴾** اشارة الى ان الصعقة يحتمل ان يراد بها الموت وان يراد بها الفزع الشديد من شدة الصوت فانهم اختلفوا فى الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام وخر موسى صعقا وهو لم يمت بل خر مغشيا عليه وعلى هذا القول فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور فى سورة النمل بقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله والنفخ فى الصور على هذا القول لايكون الا مرتين نفخ الصعقة الذى هو بعينه نفخ الفزع ونفخ البعث وقيل الصعقة عبارة عن الموت وقد دل القرآن على تحقق نفخ آخر يؤدى الى الفزع والخوف الشديد وعلى هذا القول فالنفخة تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهى المذكور فى سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان فى هذه السورة ويؤيده ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصور فقال القرن وان عظم دآرته مثل مابين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق ثم ينفخ فيه نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية اجتمعت الارواح كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها منه كالنحل والزنابير ويأتى كل روح الى جسده رواه الامام ابو الليث قال ابن عباس عند نفخة الصعق يموت من فى السموات ومن فى الارض الا جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويبقى جبرآئيل وملك الموت ثم يميت الله جبريل ثم يميت ملك الموت وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهدآء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى صلوات الله عليه وسلامه لانه صعق مرة ولايصعق ثانيا وقيل هم الحور العين وسكان العرش والكرسى وقال قتادة الله اعلم بهم وليس فى القرآن ولا فى الاخبار مايدل على من هم **﴿قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى﴾** يدل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخى وعن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال اجل **﴿قوله واخرى يحتمل الرفع والنصب﴾** الرفع على اقامة المصدر مقام الفاعل دون اقامة الظرف والنصب على عكسه * قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة الحاقة فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السماك نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور وهو فى الصور فاعراب قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى كاعراب هذه الآية بعينه فى جواز الوجهين فلذلك قال المصنف واخرى يحتمل الرفع والنصب بناء على ان موصوفها المحذوف يحتملهما لما تقرر فى النحو انه اذا لم يوجد المفعول به فالظرف والمصدر متساويان فى القيام مقام الفاعل واما اذا وجد فهو متعين له **﴿قوله او متوقفون﴾** يحتمل ان يراد بالقيام البعث من القبور وان يراد التوقف بالمكان لاستيلاء الحيرة والدهشة عليهم قرأ العامة فاذاهم قيام برفع قيام على انه الخبر وقرئ بنصبه على انه حال من ضمير ينظرون وينظرون هو الخبر ومعنى النظر فى المشهور هو تقليب البصر لطلب الابصار وقوله او ينتظرون عطف على قوله يقلبون فيكون النظر بمعنى الانتظار كما فى قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اى انتظرونا ولما ذكر يوم القيامة ذكر من احوال ذلك اليوم اشياء اولها قوله واشرقت الارض بنور ربها اى اضاءت وتنورت عرصة القيامة وارض الموقف بنور ربها اى بعدله وقضائه بالحق بين عباده فاستعير النور للعدل تشبيها له بالنور فى ان كل واحد منهما سبب لتزيين البقاع وظهور الاشياء كما شبه ضد العدل وهو الظلم بالظلمة تشبيها بليغا فى قوله عليه الصلاة والسلام * الظلم ظلمات يوم القيامة * واضافة النور بهذا المعنى اليه تعالى لايحتاج الى تأويل لانه صفة قائمة بذاته تعالى كعلمه وقدرته **﴿قوله ولذلك﴾** اى ولكون المراد

(سبحانه وتعالى عما يشركون) ما ابعدوا على من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم اوما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) خر ميتا او مغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبرآئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه اخرى) نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى يحتمل الرفع والنصب (فاذاهم قيام) قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر (ينظرون) وهو حال من ضمير والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون مايفعل بهم (واشرقت الارض بنور ربها) بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه

(ووضع الكتاب) الحساب والجزآء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيئ بالنبيين والشهدآء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لايظلمون) بنقص ثواب اوزيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) جزآءه (وهو اعلم بما يفعلون) فلايفوته شئ من افعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه اومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (الم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) ابهم القائل لتهويل مايقال لهم (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولاينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة

بنور الرب عدله القائم به اضاف اسم الرب الى الارض فان اضافته اليها تؤذن بانه تعالى مالكها ومدبرها وانه الذى يزينها من غير توسط شئ من خلقه بان ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها فلما قيل ان رب الارض نوّر ارضه بنوره كان المناسب ان يراد بالنور الذى ينوّر الارض ويزينها الصفة القائمة به تعالى وهو عدله الذى لاشئ ازين للبقاع منه ولا اعمر لها غيره وتفسيره بالنور المخلوق له لايناسب تلك الاضافة وقيل المراد بالنور المضاف اليه تعالى نور يخلقه فى القيامة ويلبسه وجه ارض الموقف فتشرق به الارض من غير شمس ولاقمر فالنور بهذا المعنى وان لم يكن صفة قائمة به تعالى الا انه صح اضافته اليه تعالى لان الاضافة يكتفى فيها بادنى ملابسة ولما كان ذلك النور من خلقه تعالى شرفه باضافته الى نفسه فان اضافته اليه تؤذن باختصاصه به بان لايكون بتوسط نير مثل الشمس والقمر ﴿قوله الحساب والجزآء﴾ يعنى ان وضع الكتاب عبارة عن الشروع فى الحساب والجزآء لان وضعه من لوازم الشروع فيهما فافراد الكتاب حينئذ على مقتضى الظاهر وان اريد به صحائف الاعمال يكون المعنى ووضعت الكتب فى ايدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم ليقرأوها ويكون افراد الكتاب لكونه اسم جنس مغنيا عن صيغة الجمع ولما بين تعالى انه يحضر فى محفل القيامة جميع مايترتب عليه فصل الخصومات بين بعده ان يوصل الى كل احد حقه وعبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولاها قوله تعالى وقضى بينهم بالحق وثانيتها قوله وهم لايظلمون وثالثتها قوله ووفيت كل نفس ماعملت ورابعتها قوله وهو اعلم بما يفعلون فانه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لايقضى بالحق لاجل عدم العلم والمقصود المبالغة فى تقرير ان كل مكلف يصل اليه حقه ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيامة على سبيل الاجمال وقال ووفيت كل نفس ماعملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم بين كيفية احوال اهل الثواب وختم به السورة فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا والسوق الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصد وذلك يكون بالعنف والدفع لقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا وزمرا فى الموضعين منصوب على الحالية مشتق من الزمر وهو الصوت وقيل القلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر اى قليل المروءة ﴿قوله فتحت ابوابها﴾ جواب اذا وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح بوصول الكفار اليها بخلاف ابواب الجنة فانها مفتحة قبل مجيئ اهلها اكراما لهم واستقبالا لخدمتهم وتهيئة لاسباب اكرامهم لئلا ينتظروا ويشهد له قوله تعالى فى آية اخرى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيئ بالواو فى قصة اهل الجنة ولم يؤت بها فى قصة اهل النار كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت بالواو الحالية ﴿قوله وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة﴾ يعنى ان حتى فى الموضعين حرف استئناف ومابعدها كلام مستأنف لايتعلق بما قبلها من حيث الاعراب وقد استؤنف بعدها فيهما جملة شرطية هى قوله تعالى اذا جاؤها الا انه حذف جواب اذا الثانية للدلالة على ان ثواب اهل الجنة لايحيط به الوصف وحق ذلك الجزآء المقدر ان يقدر بعد خالدين لان موضعه بعد تمام الشرطية بمتعلقاتها وماعطف عليها اى حتى اذا كانت هذه الاشياء كان ما كان من وجوه الكرامة وتمام النعمة ﴿قوله وقتكم هذا﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان الظاهر ان المراد باليوم فى قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا يوم القيامة ولا اختصاص ليوم القيامة بهم فلم اضيف اليهم وتقريره ان المراد باليوم وقت الشدة ولاخفاء فى اختصاص ذلك الوقت بهم واستعمال اليوم فى وقت الشدة شائع كثير ﴿قوله وفيه دليل الخ﴾ لاتكليف ولاوجوب بتحسين العقل وتقبيحه عند الاشاعرة ويدل عليه ان الملائكة بينوا انهم مابقى لهم عذر ولاعلة بعد مجيئ الرسل وتبليغ الكتب ولو لم يكن ذلك شرطا فى استحقاق العذاب لما بقى لهذا الكلام فائدة ﴿قوله ابهم القائل لتهويل مايقال لهم﴾ فان ابهامه يدل على ان الاهتمام والعناية متعلقة ببيان مايقال لهم لان المهم فى مقام التهديد واظهار الوعيد انما هو بيان مايقال لهم لابيان ان قائله من هو ﴿قوله اللام فيه للجنس﴾ لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وقد تقرر ان فاعل باب نعم وبئس اما اسم معرف بلام الجنس اومضاف الى المعرف بلام الجنس والآية من قبيل الثانى ولما ورد ان هذه الآية تشعر بان علة ثوآئهم واقامتهم فى النار هو تكبرهم عن الحق من حيث ان بناء الحكم على المشتق يفيد عليه المأخذله وقد سبق ان علية ماقالوه هو ان كلمة العذاب حقت على الكافرين وبينهما تناف اجاب عنه بان تعليله بالتكبر ونحوه من القبائح تعليل له بعلته القريبة وتعليله بانه تعالى حكم عليهم بالشقاوة تعليل بالعلة البعيدة لان الحكم المذكور علة لتلك القريبة كما يدل عليه الحديث ﴿قوله اسراعا بهم الى دار الكرامة﴾ اشارة الى جواب مايقال

ان السوق لكونه منبئا عن العنف والهوان معقول في حق من يذهب به الى موضع العذاب واما اهل الجنة فانهم اذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة بهم الى السوق وتقريره ان العنف والهوان خارج عن حقيقة السوق وهي عبارة عن الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصد وقد يكون خيرا له بايصاله سريعا الى موضع الراحة وقد يكون شرا بايصاله الى ضد ذلك فكل واحد من العنف والهوان ومن ضدهما انما يستفاد من السوق بمعونة المقام وقرآئن الحال وقيل المراد بسوق الكافرين انفسهم وبسوق المتقين مراكبهم فالاول للعنف والثاني لتعجيل الكرامة لقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ﴿قوله والفاء للدلالة على ان طبتم سبب لدخولهم وخلودهم﴾ حيث رتب الامر بدخولهم خالدين على طبتم بالفاء السببية واستدلت المعتزلة بهذه الآية على ان احدا من المكلفين لا يدخل الجنة الا اذا كان طيبا اي طاهرا عن كل المعاصي بالعصمة الالهية او بالتوبة النصوح والا فهو من اهل النار والمصنف اشار الى الجواب عنه بقوله وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره يعني ان كون الطيب سببا لدخول الجنة لا يستلزم ان يكون طريق الطيب التوبة فقط بل يجوز ان يكون طريقه العفو او الشفاعة ﴿قوله يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة﴾ تشبيها له بالارض الحقيقية التي هي ارض الدنيا في كونه موضع الاستقرار لا على الحقيقة لان الجنة في السماء لا في الارض فارض الجنة بمعنى منازل اهلها من اجزآء السماء وقوله الذي استقروا فيه اشارة الى ان تعريف الارض للعهد الخارجي والمعهود ماهو مقر كل واحد من اهلها وليس المراد جميع ارض الجنة لان كل واحد من اهلها يقول هذا القول وليس له جميع ارض الجنة بل له من ارضها ماهو مقره ومثواه وقولهم واورثنا الارض نتبوأ بمعنى ملكنا اياها بان وفقنا للاتيان باعمال اورثتنا الجنة من قولهم اورث العمل الفلاني لفلان امر كذا تشبيها له لحصوله بعد ذهاب العمل بالوراثة والعمل بالمورث وتخليف العمل اياه بالايراث واشتق منه اورثنا واسند الايراث اليه تعالى لانه هو الموفق لاتيانه او بمعنى مكننا من التصرف فيها كانشاء من غير منازع كما يتصرف الوارث فيما يرثه كذلك فشبه التمكين المذكور بالايراث فالارض استعارة تصريحية لمستقرهم واورثنا استعارة تبعية لمكنا وقوله تعالى نتبوأ في موضع الحال من مفعول اورثنا وحيث ظرفه كما اشار اليه المصنف بقوله في اي مقام اراده من جنته الواسعة واشار باضافة جنته وتوصيفها بالسعة الى ان اهل الجنة لا يتبوأ احدهم مكان غيره لسعة مكانه بحيث لا يحتاج معها الى مكان غيره وان كان ظاهر قوله حيث نشاء يوهم خلاف ذلك هذا اذا حمل حيث على المكان الحسي الجسماني الذي يصح تمانع اهله فيه وتدافع بعضهم بعضا وان حمل على المقامات المعنوية والجنات الروحانية فمن تبوأ في واحد منها صح ان يتبوأ فيه غيره ايضا لان حصول مقام معنوي لاحد لا يمنع حصوله لآخر ﴿قوله محدقين﴾ اي محيطين من حففت بالشيء اي احطت به ولهذا قيل لا واحد لحافين لان الاحاطة بالشيء لا تتحقق من واحد وانتصاب حافين على الحال لان الرؤية بصرية ومن مزيدة عند الاخفش وقيل لابتدآء الغاية على معنى ان ابتدآء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله ويسبحون في موضع الحال من الملائكة او من المنوي في حافين على التداخل وكذا بحمد ربهم في موضع الحال ايضا اي مسبحين الله تعالى حامدين له اي ترى الملائكة يوم القيامة عند فصل القضاء بالحمد على هذه الاحوال ﴿قوله والقائلون هم المؤمنون﴾ لا جميع من قضي بينهم من المكلفين لان الكفار لا يصلون في الآخرة الى ما يحمدون بمقابلته ﴿قوله وطي ذكرهم﴾ اي ذكر القائلين حيث بني الفعل للمفعول اورد كلمة او بناء على ان قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يحتمل ان يكون لشرح احوال الملائكة في الثواب وبيان ان دار ثوابهم جوانب العرش واطرافه بعد شرح ثواب البشر وبيان ان دار ثوابهم هي الجنة فيكون قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم مشعرا بان ثوابهم عين ذلك التحميد والتسبيح وان اعظم درجات الثواب استغراق عقول العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ويكون قوله تعالى وقضي بينهم بالحق معناه وقضي بين الملائكة بالحق للدلالة على انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة في باب المعرفة والطاعة وان كل واحد منهم لا يتعدى ولا يتجاوز عما حد له من المراتب ثم انهم لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وههنا نكتة وهي ان الملائكة لما خاطبوا المتقين بقولهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده بقوله لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة بخلاف الملائكة فانهم لما قضي بينهم بالحق وقالوا الحمد رب العالمين لم يحمدوا الله تعالى لاجل ذلك

وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لا يعتريكم بعد مكروه (طبتم) طهرتم من دنس المعاصي (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طبتم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب (واورثنا الارض) يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم اجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) اي حوله ومن مزيدة او لابتدآء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذآئذهم هو الاستغراق في صفات الحق (وقضي بينهم بالحق) اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) اي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرآئيل والزمر

القضاء بل حمدوه لكونه رب العالمين وهو يشعر بكونهم ارفع طبقة في باب المعرفة فان من حمد المنعم لاجل انعامه الواصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمده لصفات كماله وعلوّ شانه وكبريائه فانه اكثر استغراقا في باب المعرفة ويحتمل ان يكون قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش من تتمة شرح ثواب المتقين * وتقريره ان يقال ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقد ظهر منه انهم في الجنة مشتغلون بحمد الله تعالى وبذكره بالثناء بين الله تعالى انه كما ان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد فكذلك حرفة الملائكة الحافين حول العرش الاشتغال بالتسبيح والتحميد ثم قال وقضى بينهم بالحق اي بين البشر ثم * هنا ما يتعلق بسورة الزمر والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

﴿ سورة غافر ثمانون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة ﴾

روي عن ابن عباس انه قال الحواميم كلها مكية وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل وعن ابن مسعود ان الحواميم ديباج القرآن ﴿ قوله اماله ابن عامر ﴾ اي برواية ابن ذكوان عنه وابو بكر عن عاصم فانهم امالوا حا من حم في السور السبع امالة محضة وامالة نافع برواية ورش وابو عمرو بين الفتح والكسر بان لا يفتحها فتحا خالصا وقرأ الباقون بالفتح الخالص والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة فان حقها ان يوقف على كل واحد منها ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز في الكلم التي يوقف عليها وقرئ بضم الميم ايضا على ان حم خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ما بعده وبفتح الميم ايضا وتلك الفتحة يحتمل ان تكون حركة بناء حرك الاسم بها هربا من التقاء الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها كما في اين وكيف وان تكون حركة اعراب بان ينصب الاسم بفعل مقدر اي اقرأ حم ولم ينوّن لمنع صرفه للعلمية والتأنيث على ان الكلمة اسم للسورة او العلمية وشبه العجمة اذ ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل ويتم الوقف على حم ورفعها على انها خبر مبتدأ محذوف ونصبها بفعل مضمر ولا يجوز الوقف عليها ان رفعتها على انها مبتدأ خبره تنزيل او جعلتها قسما تقديره بحم تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره فيكون تنزيل مبتدأ والظرف بعده خبره * قال الامام الاقرب ههنا ان يقال حم اسم لهذه السورة مرفوع المحل على الابتداء وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب والتنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل ﴿ قوله لعل تخصيص الوصفين الخ ﴾ يعني انه تعالى لما بين ان حم تنزيل الكتاب وان منزله هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على الاجمال وصف نفسه في مقام تحقيق امر التنزيل بكونه عليما لا يخفى عليه شيء المستلزم لكونه بالغ الحكمة وبكونه عزيزا غالبا لا يغلب اصلا المستلزم لكونه كامل القدرة وكون المنزل كامل القدرة يحقق كون المنزل منه معجزا لا يمكن معارضته وكونه بالغ الحكمة يحقق كون التنزيل متضمنا للحكم والمصالح بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولولا كونه عزيزا حكيما لما كان المنزل منه معجزا متضمنا للحكم فذكر هذين الوصفين في هذا المقام يحمل السامع على التشمير عن ساق الجد للاستماع ويزجره عن التهاون والتواني فيه وقوله الدال على القدرة والحكمة صفة لقوله ما في القرآن وخلاصة التعليل ان تخصيص الوصفين لاجل ما في القرآن اي التنبيه عليه وتحقيقه فان كون المنزل كامل القدرة بالغ الحكمة يحقق ذلك ويؤيده لا محالة الا ان الظاهر على هذا ان يقال فانهما يدلان عليه ويحققانه وجعله دليلا عليهما من قبيل الاستدلال بالمعلول على العلة كما في البرهان الآني وهو ما يجعل فيه المعلول حدا اوسط مثل ان يقال هذه الخشبة محترقة وكل ما هي محترقة فقد مسها النار فهذه الخشبة مسها النار وجعل الصفات الباقية لتحقيق ما في القرآن من الترغيب في التوبة والترهيب عن الاصرار على المعصية والحث على ما هو المقصود من القرآن وهو الاعراض عما يشغل سرّه عن الحق والتبتل اليه بشراشره ﴿ قوله والاضافة فيها حقيقية ﴾ دفع لما يرد على قوله صفات اخر للفظ الجلالة وهو ان الموصوف معرفة وما ذكره بعده سوى قوله العزيز العليم ذي الطول نكرات من حيث ان الاضافة فيها لفظية لكون المضاف صفة اضيفت الى معمولها من حيث ان غافر وقابل اسما فاعل اضيفا الى معمولهما وشديد صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها وقد تقرر ان ما اضيف اضافة لفظية لا يتعرف بالاضافة بل يبقى نكرة على حاله فلا يوصف به المعرفة * وتقرير الدفع ان اسمي الفاعل في الآية ليسا مضافين الى معمولهما بناء على ان اسم الفاعل

(لكونه)

﴿ سورة المؤمن مكية وآيها ثمانون وخمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص

لكونه بمعنى الحدوث انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال وليس معنى غافر الذنب وقابل التوب انه تعالى يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا لان صفاته تعالى منزهة عن التجدد و التقيد بزمان دون زمان بل المراد ثبوتهما ودوامهما له تعالى ولما فقد شرط عمل اسم الفاعل ولم يكن مضافا الى معموله كانت اضافته معنوية للتعريف فصح وقوعه صفة للمعرفة وقد نقل عن سيبويه انه قد نص على ان كل ما كانت اضافته غير معنوية جاز ان تجعل محضة اى معنوية الا الصفة المشبهة وانما استثنى الصفة المشبهة لانها ليست بمعنى الحدوث فلا يشترط فى عملها الزمان المخصوص فتكون عاملة البتة وتكون اضافتها لفظية دآئما فلا تتعرف بالاضافة فوجب ان يحمل التعريف فى قول المصنف والاضافة حقيقية على العهد الخارجى والمعهود اضافة لفظى القابل والغافر لما تبين من ان اضافة لفظ شديد لفظية البتة فلذلك احتاج المصنف فى تصحيح وقوعه صفة للمعرفة الى وجهين آخرين فقال واريد بشديد العقاب الخ عطفا على قوله والاضافة حقيقية فانه جعل شديد العقاب فى تأويل مشدده اى فى تأويل اسم الفاعل الذى اريد به الدوام والثبوت فتكون الاضافة فيه معنوية لانه لا يعمل حينئذ فلا يكون مضافا الى معموله والوجه الثانى لوقوع قوله تعالى شديد العقاب صفة للمعرفة ان اصل الكلام وتقديره الشديد عقابه معرفا بلام التعريف الا انه حذف منه حرف التعريف ليشاكل ماقبله ومابعده لفظا مع الامن من التباس الموصوف به وجهالته فانهم كثيرا مايغيرون كلامهم من قانونه للازدواج ومنه قوله عليه الصلاة والسلام * ارجعن مأزورات غير مأجورات * والاصل وازرات من الوزر فاخرج على لفظ المفعول فصار موزورات فقلبت الواو الفا فصار مأزورات ليزاوج مأجورات وقرآءة بعضهم الحمد لله بضم الدال واللام تارة وبكسرها اخرى وقولهم مايعرف سحادليه من عباد ليه والاصل سحادله والسحادل الذكر والعباد لان الخصيتان فثنى الوتر ليزاوج الشفع ﴿قوله او ابدال﴾ عطف على قوله صفات اخر اى ويحتمل ان يكون الكل ابدالا بناء على ان شديد العقاب وان كان بمعنى الدوام والاستمرار لما كانت اضافته لفظية لم يصلح لان يكون صفة للمعرفة فتعين كونه بدلا منها فجعل ماعداه ايضا ابدالا ليتوافق النظم فان جعله وحده بدلا من بين الصفات مشوش للنظم مع ان توسيط البدل بين الصفات وان جاز فى النحو الا ان علماء المعانى يستقبحونه لان الصفات تدل على ان المقصود هو الموصوف دونها والبدل يدل على انه المقصود دون متبوعه وهما متنافيان ﴿قوله وتوسيط الواو الخ﴾ جواب عما يقال ما الحكمة فى ان هذه الصفات كلها سردت من غير عاطف الا قابل التوب فانه انفرد من بينها بتوسيط الواو بينه وبين ماقبله وذكر له ثلاث فوآئد الاولى انه لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة اى لافادة اجتماعهما فى موصوف واحد بالنسبة الى طائفة واحدة وهى طائفة المذنبين التائبين كأنه قيل يجامع بين محو الذنوب وقبول التوبة فى حق المذنبين التائبين بان يمحو ذنوبهم بتوبتهم وبان يجعل تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها فقبول التوبة كناية عن انه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات والا لما قبلها لانه تعالى لا يقبل الا مايكون طاعة وليس المراد افادة مجرد اجتماع الوصفين فى موصوف واحد لان اجرآء الصفات المتعاقبة بدون العاطف يفيد اجتماعها فيه فلما كان الاجتماع فى الموصوف مستفادا بدون ذكر العاطف وجب ان يكون ذكره لافادة معنى زآئد صونا للكلام البليغ عن الالغاء فالمراد اجتماعهما فيه بالنسبة الى متعلق واحد والفائدة الثانية لتوسيط العاطف انه لافادة تغاير الوصفين فانه لو لم يذكر العاطف لربما توهم اتحادهما وان ذكر ثانيهما انما هو لمجرد الايضاح والتفسير ولما ذكر العاطف اضمحل هذا الاحتمال ضرورة استحالة عطف الشئ على نفسه والفائدة الثالثة له انه لافادة تغاير موقع الفعلين اى متعلقهما بان يكون الغفران بالنسبة الى من لم يتب من اصحاب الكبائر والقبول بالنسبة الى التائبين عنها وذلك لان الغفر فى اللغة الباس الشئ وستره بما يصونه عن الدنس والغفران والمغفرة من الله تعالى ان يصون العبد من ان يمسه العذاب والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال لا بالمقال وحده فانه فعل الكذابين ولما كان الغفران عبارة عن الستر وان معنى الستر انما يعقل بالنسبة الى الشئ الموجود الباقى فينبغى ان يكون قوله تعالى غافر الذنب انه غافر الكبائر وان لم يتب عنها صاحبها فان المراد بالذنب الكبيرة لان الصغيرة لا تبقى بل تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها فلما لم تبق لم يكن وجه لتعلق الغفران والستر بها فان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة ويدل عليه هذه الآية لان قوله تعالى غافر الذنب مذكور فى مقام المدح العظيم فينبغى ان يحمل على مايفيد اعظم انواع المدح وهو كونه غافرا للكبائر قبل التوبة والمعتزلة قالوا معناه انه تعالى غافر الذنب اذا استحق العبد غفرانه

واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها

اما بالتوبة و اما بالطاعة التى هى اعظم منه فان فاعل المعصية لايخلو اما ان يكون قد اتى قبل تلك المعصية بطاعة كان ثوابها اعظم من عقاب تلك المعصية اولم يكن اتى بها فان كان الاوّل كانت هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها و ان كان الثانى كانت المعصية كبيرة فلايزول عقابها ﴿قوله والطول الفضل بترك العقاب المستحق﴾ الطول الفضل مطلقا باى شئ كان الا ان حمله على الفضل بترك العقاب الذى له ان يفعله عدلا بقرينة ذكره بعد ان وصف نفسه بكونه شديد العقاب فانه لما ذكر كونه ذا الطول بعد ان وصف نفسه بذلك لم يبين ان طوله بماذا كان ذلك قرينة على ان المراد انه ذو الطول فى الامر الذى سبق ذكره و هو فعل العقاب الذى استحقه المذنب فالآية تدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذى يحسن منه تعالى عدلا و على جواز العفو عن اصحاب الكبائر ﴿قوله وفى توحيد صفة العذاب﴾ وهى قوله شديد العقاب فانه ذكر قبله امران كل واحد منهما يقتضى زوال العقاب وهما كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده مايدل على اتصافه بالرحمة العظيمة وهو قوله ذى الطول فكان قوله شديد العقاب صفة واحدة مغمورة بصفات الرحمة فدل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح واوسع وان شأنه محض الرحمة والعقاب انما يكون بالعرض ﴿قوله فيجب الاقبال الكلى على عبادته﴾ اشارة الى فائدة توصيف نفسه بالوحدانية فانه تعالى انما وصف نفسه بانه اله موصوف بالصفات المذكورة ترغيبا فى عبادته و ترهيبا عن مخالفته وعصيانه وهذا المقصود انما يتم بكونه واحدا متنزها عما يشاركه ويساويه فى تلك الصفات لانه لوحصل معه اله آخر يساويه لما كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة ﴿قوله فيجازى المطيع والعاصى﴾ يعنى انه تعالى وصف نفسه بقوله اليه المصير تقوية للترغيب و الترهيب المذكورين لانه لوثبت كونه الها واحدا موصوفا بالصفات المذكورة من غير ان يكون بعد هذه النشأة حشر ونشر وحساب وجزاء لما توفرت الرغبة فى الاقرار بعبوديته والرهبة من سخطه وعقابه ثم انه تعالى لما قرر ان القرآن كتاب انزله ليهدى به فى امر الدين ذكر بعده احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال مايجادل فى آيات الله اى فى دفع آياته بالتكذيب والانكار مثل ان يقول مرة انها سحر ومرة انها شعر وانها اساطير الاوّلين ﴿قوله بالطعن و ادحاض الحق﴾ اشارة الى دفع مايقال كيف خص المجادلة بالذين كفروا مع ان المؤمنين يجادلون فيها ايضا وتقرير الدفع ان الجدال نوعان جدال فى تقرير الحق و جدال فى تقرير الباطل و الاوّل حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى وجادلهم بالتى هى احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا لنوح عليه الصلاة والسلام يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا والمراد بالجدال المذكور فى هذه الآية هو الجدال فى تقرير الباطل وادحاض الحق غاية الامر انه اطلق ههنا اعتمادا على تقييده فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والمطلق يحمل على المقيد عند اتحاد الحادثة ودحوض الحجة بطلانها ﴿قوله بالتنكير﴾ اى تنكير جدالا الدال على التنويع والتمييز بين جدال وجدال ﴿قوله مع انه﴾ اى مع ان الجدال لحل عقده ليس جدالا فيه بل هو جدال عنه فان الجدال فى الشئ انما يكون اذا كان ذلك الشئ مشكوكا عند المجادل او منكرا يريد المجادل بالجدال فيه ردّه وابطاله ولاشك ان من يجادل لحل عقده وقطع مطاعن اهل الزيغ عنه ليس مقصوده الاتقرير الحق وتحقيقه لاادحاضه وتزييفه فهو لايجادل فيه وانما يجادل عنه فان الجدال عن الشئ يستدعى كون ذلك الشئ مقررا محققا عند المجادل وكون مقصوده من الجدال تقريره وتحقيقه للخصم ودفع الشبه والمطاعن عنه فلاحاجة الى تقييد الجدال المذكور فى هذه الآية بقوله بالطعن وادحاض الحق ﴿قوله تعالى فلايغررك﴾ جواب شرط محذوف والتقدير اذا تقرر عندك بشهادة ربك ان المجادلين فى آيات الله كفار وقد تحقق عندك ان الكفار اشقى الناس وان ماهم فيه من النعيم متاع قليل وظل زائل ثم ان مرجعهم الى الجحيم فلا ينبغى ان تغتر بان امهلهم واتركهم سالمين فى ابدانهم واموالهم يتقلبون فى البلاد اى يتصرفون فيها للتجارات المربحة فانى وان امهلتهم سآخذهم وأنتقم منهم كما فعلت باشكالهم من الامم الماضية ثم كشف عن هذا المعنى بقوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم قرأ الجمهور فلا يغررك بفك الادغام وهى لغة الحجاز وقرئ فلا يغرك بالادغام وفتح الراء وهى لغة تميم ﴿قوله وناصبوهم﴾ اى عادوهم وحاربوهم ﴿قوله ليتمكنوا﴾ يعنى ان الاخذ بمعنى الحبس والاسر الذى يتمكن به من اصابة المأخوذ بما ارادوه من التعذيب والاهلاك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليأخذوه اى ليقتلوه ويهلكوه بطريق التعبير عن المسبب بلفظ السبب لان القتل مسبب عن الاخذ والمصنف رجح الحقيقة على المجاز حيث امكن الحمل عليها وحمله على المعنى المجازى فى قوله فاخذتهم لتعذر الحمل على

(الحقيقة)

والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على عبادته (اليه المصير) فيجازى المطيع والعاصى (مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلايغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود (وهمت كل امة) من هؤلاء (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) بما لاحقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فاخذتهم) بالاهلاك جزاء لهمهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب

الحقيقة و المعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزآءهم على ارادة عزيمة اخذه أن اخذتهم و هذا معنى قوله جزآءهم
و الظاهر من نظم الآية ان قوله تعالى فاخذتهم متفرّع على جميع مانسب الى كفار الامم السالفة من التكذيب و الهمّ
بالاخذ و المجادلة بالباطل لان المصنف جعله مسببا عن قوله وهمت كل امّة برسولهم ليأخذوه ولمزيد المناسبة
بين الاخذين ثم انه تعالى بعد ماذكر مافعله بالمكذبين من الامم السالفة من قوله تعالى فاخذتهم قال وكذلك
حقت اى ومثل الذى حق على اولئك المكذبين من العقاب حقت كلمتى ايضا على هؤلاء الذين كفروا من قومك
فهم على شرف نزول العقاب بهم ومحل الكاف فى قوله تعالى وكذلك النصب على انه صفة محذوف اى حقت كلمة
ربك الموجبة للعذاب على كفار قومك وهى وعيده بقوله لأملأن جهنم او حكمه الازلى بالشقاء والعذاب
المخلد حقا اى وجوبا وثبوتا مثل ذلك اى مثل ثبوتها على الكفار الماضية ويحتمل ان يكون الكاف فى محل الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر كذلك ثم استأنف الاخبار بانه حقت كلمة الله عليهم بالعذاب ﴿قوله على
ارادة اللفظ او المعنى﴾ لف ونشر مرتب فان قوله تعالى انهم اصحاب النار فى محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك
بدل الكل من الكل نظرا الى لفظ كلمة ربك واتحاد مدلوله مع مدلول البدل صدقا او بدل الاشتمال نظرا الى ان
معناه وعيده اياهم بقوله لأملأنّ جهنم او حكمه الازلى بشقائهم وقيل انه فى محل النصب بناء على ان اصله لانهم
اصحاب النار بحذف لام التعليل وايصال الفعل اليه حيث لم يكن مرادا فكان فى محل النصب اوكان مرادا
فكان فى محل الجرّ فالمصنف لما علل وجوب كلمة العذاب عليهم بالكفر حيث قال لكفرهم لم يحتج الى تعليله بقوله
أنهم اصحاب النار بحذف لام التعليل بل جعله بدلا ثم انه تعالى لما جعل على المجادلين فى آيات الله بالكفر وبوجوب
كلمته تعالى الموجبة للعذاب عليهم لكفرهم بين فضيلة من صدّق بان اشرف طبقات المخلوقات وهم حملة العرش
و الحافون حوله شفعاؤهم عند الله تعالى ويطلبون منه تعالى فى حقهم اشياء كثيرة ذكرها بقوله فاغفر للذين تابوا
و اتبعوا سبيلك الآية ﴿قوله تعالى الذين يحملون﴾ مبتدأ ويسبحون خبره ومن حوله فى محل الرفع بالعطف
على قوله الذين يحملون اخبر عن الفريقين بانهم يسبحون ويفعلون كذا وكذا قيل حملة العرش اربعة من الملائكة
احدهم على صورة الملائكة و الثانى على صورة ثور و الثالث على صورة بشر و الرابع على صورة اسد واذا كان يوم
القيامة تكون حملته ثمانية يدل عليه قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فقوله تعالى الذين يحملون
العرش يحتمل ان يكون المراد بهم الذين يحملونه الآن وهم الاربعة وان يكون المراد الذين يحملونه يوم القيامة وهم
الثمانية ولاشك ان حملة العرش اشراف الملائكة واكابرهم ويدل عليه ماروى انه تعالى امر جميع الملائكة
ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وايضا لما كان حملهم اياه وحفيفهم حوله
مجازا عن حفظهم وتدبيرهم له وجب لهم ان يكونوا افضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة
الاجسام الى الاجسام ولما كان العرش اشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبر العرش يجب
ان تكون افضل الارواح المدبرة للاجساد روى ان حملة العرش ملائكة ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد
خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لاتتفكروا فى عظمة ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه
فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات والمروق الخروج وانه ليتضاأل من عظمة الله تعالى حتى
يصير كأنه الوصع وهو بالصاد المهملة طير صغير مثل العصفور وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضرآء
و بين القائمتين من قوآئمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورآئهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا الأيمان على الشمائل مامنهم احد
الا وهو يسبح بما لايسبح به الاخر وقال الله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
و التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لاينبغى و التحميد الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح عبارة عن
نعوت الجلال التى هى تنزيه ذاته تعالى عما يوجب حاجة ونقصانا والتحميد عبارة عن صفات الاكرام وهى الصفات
الثبوتية التى يستحق بها الحمد فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
﴿قوله لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح﴾ فان الحمد هو الثناء بصفات اكرامه وهى صفاته الثبوتية وانهم
فى اغلب الاحوال يصفونه تعالى بتلك الصفات ويحمدونه وانما يذكرونه بنعوت جلاله التى هى تنزيه ذاته عما لا يليق

(وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده او قضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) لكفرهم (انهم اصحاب النار) بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى (الذين يحملون العرش ومن حوله) الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح

به اذا احتاجوا الى الرد على من يصفه بما يؤدى الى مالا يليق به او ظهر لهم مايدل على كمال عظمته ﴿قوله اخبر عنهم بالايمان الخ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى قوله ويؤمنون به مع انه لايخفى على احد ايمانهم بالله لاسيما بعد الاخبار عنهم بانهم يسبحون بحمد ربهم فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لايكون الابعد الايمان بالله تعالى * وتقرير الجواب ان الكلام الخبرى لايجب ان يكون لافادة نفس الحكم او لازمه البتة بل قد يذكر لاغراض اخر والغرض ان الحكمة ههنا اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالايمان والصلاح فى مواضع من القرآن مع ان ايمانهم وصلاحهم لايخفى على احد قال تعالى بعد ذكر كل نبى انه من عبادنا المؤمنين وانه لمن الصالحين اظهارا لشرفهما ووجه الاظهار ان تخصيصه من بين صفاتهم الجميلة فى مقام المدح دليل واضح على شرفه وفضله بالنسبة الى سائر اوصافهم مع ان جميع اوصافهم اوصاف شريفة لما قيل ان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف واذا دل تخصيصه بالذكر فى مقام المدح على شرفه دل توصيف اهله به على تعظيمهم وقدمر ان سوق الآية لتعظيم اهله من حيث ان اشراف طبقات المخلوقات يبالغون فى محبتهم ونصرتهم والدعاء لهم بالمغفرة والخلاص من عذاب الجحيم والحكمة الاخرى فى الاخبار عنهم بالايمان الاشعار بان حملة العرش والحافين حوله انما يعرفون ربهم بالنظر والاستدلال لابطريق المعاينة والمشاهدة كما زعمه المجسمة القائلون بانه تعالى متمكن على العرش لانه تعالى لما اخبر عنهم على سبيل المدح والثناء بانهم يؤمنون بوجوده تعالى بجنانهم وقلوبهم فهم منه ان ايمانهم به انما هو عن برهان لاعن مشاهدة وعيان وانهم محجوبون عن ادراكه بابصارهم ولو كان الامر كما زعمه المجسمة لكان حملة العرش والحافون به يشاهدونه ويعاينونه فلا يصح ان يقال انهم يؤمنون به بالجنان بل لايجوز ان يوصفوا الا بالمشاهدة والعيان ولو حمل ايمانهم على التصديق المتفرع على المشاهدة لما كان ايمانهم بوجوده تعالى موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شئ حاضر مشاهد لايوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله تعالى على سبيل المدح والثناء والتعظيم دل على انهم آمنوا به تعالى عن برهان لاانهم شاهدوه حاضرا جالسا هنا نقله الامام عن صاحب الكشاف ثم قال رحمه الله صاحب الكشاف لولم يحصل فى كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا وقال بعد ذلك قد ثبت ان كمال السعادة منوط بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون الاول مقدما على الثانى فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله تعالى وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلماء بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالتقديس اشتغلوا بالاستغفار للمؤمنين من غير ان يقدموا الاستغفار لانفسهم وهذا يدل على انهم مستغنون عن الاستغفار لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله عليه الصلاة والسلام * ابدأ بنفسك * ولقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم مع ان خواص البشر فضلا عن عوامهم محتاجون اليه كما قال تعالى واستغفر لذنبك ظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم والمختار عندنا ان الخواص من بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بنى آدم سوى الانبياء افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم ثم ان الآية دلت على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين من المؤمنين لان قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا يدل على انهم يستغفرون لكل المؤمنين وقد ثبت ان صاحب الكبيرة مؤمن فوجب دخوله تحت شفاعة الملائكة واستغفارهم الذى هو طلب المغفرة والمغفرة لاتذكر الا باسقاط العذاب عن المؤمن المذنب وقولهم فاغفر للذين تابوا معناه والله اعلم للذين تابوا من الكفر واتبعوا سبيل الايمان ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ فانه تعالى لما ذكر ايمانهم ذكر انهم يستغفرون لمن كان بمثل حالهم فنبه على ان الاشتراك فى الايمان ادعى شئ الى النصيحة وان كان الاشتراك المذكور بين سماوى وارضى ﴿قوله وهو بيان ليستغفرون او حال﴾ يعنى ان قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ مقول قول مضمر اى يقولون ربنا وهذا المضمر اما فى محل الرفع على انه عطف بيان لقوله يستغفرون او فى محل النصب على انه حال من فاعل يستغفرون اى يستغفرون قائلين ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك يعنى ان قوله رحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية لما ذكره من الاغراق كأن ذاته تعالى رحمة وعلم يسعان كل شئ يقال اغرق النازع فى القوس اذا استوفى مدها وعموم الرحمة وان كان يستفاد من جعلها فاعلا الا ان عمومها على تقدير جعلها تمييزا للفاعل يكون ابلغ لان نسبة ذاته تعالى الى الاشياء كلها اظهر من نسبة رحمته اليها فلما اسندت

(ويؤمنون به) اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم مايوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة (ربنا) اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما

الوسعة الى ذاته تعالى وجعلت الرحمة تمييزا لها كان ذلك ابلغ فى الدلالة على عمومها ﴿قوله وتقديم الرحمة﴾ مع ان وسع علمه اظهر واتم بالنسبة الى سعة رحمته فكان الظاهر ان يقدم ما كانت وسعته اتم واظهر فان كل موجود غير الله تعالى وان نال من رحمته نصيبا مطيعا او عاصيا الا ان بعض الموجودات تتعلق به نعمته من وجه آخر بخلاف العلم فانه لا يعزب عن علمه شئ ما ﴿قوله للذين علمت منهم التوبة﴾ جواب عما يقال ان قوله تعالى فاغفر للذين تابوا رتب بالفاء السببية على سعة رحمته وعلمه كل شئ فوجب ان يكون الغفران مسببا عن كل واحد من الرحمة والعلم وكونه مسببا عن الرحمة ظاهر فاوجه كونه مسببا عن العلم *وتقرير الجواب ان الملائكة لما علموا انه تعالى لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر لمن تاب عن الشرك واتبع سبيل التوحيد والايمان كان معنى كلامهم ربنا اغفر لمن علمت منه شرط الغفران وهو التوبة عن الشرك والتحلى بالايمان والطاعة فظهر بهذا ان ما بعد الفاء مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم ﴿قوله وهو تصريح بعد اشعار﴾ جواب عما يقال لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب فعلى هذا لا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم *وتقريره ان الاول رمز واشارة الى اسقاط العذاب والثانى تصريح به تأكيدا ومبالغة ثم انهم لما طلبوا من الله تعالى ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقد وعد الله تعالى بان يدخل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله جنات عدن اما ابتداء او بعد ان يدخلهم النار ويعذبهم بها بقدر عصيانهم وايضا انه تعالى وعد بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وقوله تعالى ومن صلح فى محل النصب اما بالعطف على الضمير فى وادخلهم كأنه قيل ووعدت من صلح من آبائهم والجمهور على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وقرئ بضمها يقال صلح فهو صليح كما يقال فسد فهو فاسد وفسد فهو فسيد ﴿قوله العقوبات﴾ وهى اجزية الاعمال السيئة وتسميتها سيئة اما لانها تسوءهم واما لان السيئة اسم للزوم وهو الاعمال السيئة فاطلق على اللازم وهو جزاؤها ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح﴾ جواب عما يقال معنى قوله تعالى وقهم السيئات على كل واحد من التفسيرين وقهم من ان تصيبهم اجزية اعمالهم السيئة ولا فرق بين هذا المعنى ومعنى قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار بلا فائدة *واجاب عنه بوجهين الاول ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء بحفظهم من عذاب الجحيم بخصوصه وقولهم وقهم السيئات دعاء بحفظهم من جميع العقوبات من عذاب الجحيم وعذاب القبر ومواقف القيامة والحساب والصراط والسؤال ونحوها فهو تعميم بعد التخصيص والثانى ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء للاصول وهم الذين تابوا عن الشرك واتبعوا سبيل الاسلام وقولهم وقهم السيئات دعاء للاتباع وهم الآباء والازواج والذريات ﴿قوله او المعاصى﴾ عطف على قوله العقوبات فيكون تفسيرا ثالثا للسيئات فالملائكة طلبوا من الله تعالى اولا ان يقيهم عذاب الجحيم ثم طلبوا ان يتفضل عليهم بالمثوبات فقالوا وأدخلهم جنات عدن ثم طلبوا ان يصونهم فى الدنيا عن الاعمال الفاسدة والعقائد الباطلة ثم عللوا طلب هذه الصيانة بان الصيانة عنها فى الدنيا سبب للرحمة فى الآخرة بالوقاية من عذاب الجحيم والفوز بجنات النعيم فقالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فجعلوا وقاية السيئات شرطا للفوز بالرحمة التى هى نعمة غير منقطعة بازاء الاعمال المنقطعة وملك عظيم بمقابلة الاعمال الحقيرة وقدتم هنا ما يدل على فضل الايمان وتعظيم اهله ولما كان المقصود من ذكره تفريع المجادلين فى آيات الله وتوبيخهم ببيان رذالة الكفر وخذلان اهله عاد الى شرح احوالهم وبين انهم فى القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ولات حين مناص فقال ان الذين كفروا ينادون أى تناديهم خزنة جهنم حين رأوا اعمالهم قد احصاها الله ودخلوا النار جزاء لها ومقتوا انفسهم اشد المقت قائلين لمقت الله وهو جواب قسم محذوف كأنه قيل والله لمقت الله والمقت اشد البغض وهو مستحيل فى حقه تعالى فالمراد ابلغ الانكار والزجر ﴿قوله لمقت الله اياكم﴾ يعنى ان المقت مصدر اضيف الى فاعله وحذف مفعوله لدلالة مفعول المقت الثانى عليه ﴿قوله تعالى اذ تدعون﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول اى مقتكم الله اذ تدعون الآية احتاج الى تقدير العامل لانه اذا لم يقدر فلا يخلو من ان يكون الظرف معمول قوله لمقت الله او معمول من مقتكم او معمول قوله تدعون لا سبيل الى الاول لانه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو الخبر فان قوله لمقت الله مبتدأ ومصدر مضاف الى فاعله واكبر خبره ومن مقتكم متعلق باكبر والمصدر الثانى مضاف الى فاعله ايضا وانفسكم مفعوله والمصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بعدم تمامه بدونه ولا الى الثانى لاختلاف

وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم) اياها (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك انت العزيز) الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيئات) العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة فكأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه

الزمانين لانهم انما مقتوا انفسهم فى النار لاحين دعوا الى الايمان ولا الى الثالث لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف ولما بطلت الاقسام باسرها تعين ان يكون معمولا لمحذوف وقول صاحب الكشاف انه منصوب بالمقت الاوّل لعله ارادبه انه دال على ناصبه عبر عن المدلول بلفظ الدال او بنى كلامه على ان الظرف يتسع فيه مالا يتسع فى غيره كما نقل عن ابن الحاجب انه قال فى الامالى اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاوّل كان المعنى لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم فى الآخرة وليس فيه سوى الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو اكبر الذى هو الخبر وهو جائز لان الظرف متسع فيه ﴿قوله الا ان يأوّل بنحو الصيف ضيعت اللبن﴾ استثناء من قوله ولا للثانى اى يجوز ان يكون اذ ظرفا للمقت الثانى بناء على ان مقتهم انفسهم وان كان فى الآخرة لاحين مادعوا الى الايمان فكفروا الا ان سبب ذلك المقت لما كان حاصلا حين مادعوا صار المقت كأنه واقع حين الدعوة كما فى المثل المذكور فانه يضرب لمن حرم من مراده الآن بسبب صدر عنه فيما مضى فيجعل الحرمان كأنه واقع فيما مضى يروى ان امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهت صحبته لكبر سنه فطلقها فتزوّجها شاب فقير فدعتهما الضرورة الى ان بعثها الشاب الى زوجها الاوّل لطلب المعروف والاحسان فما اعطاها شيأ فقالت له لم صيرتنى محرومة فقال لها الصيف ضيعت اللبن فيضرب لكل من يشابه حاله حال تلك المرأة بكسر تاء الموحدة المخاطبة سوآء كان المضروب له مذكرا او مؤنثا واحدا او جمعا لان الامثال لا تغير ولا يخرج المثل عن كونه من باب الاستعارة ﴿قوله او تعليل للحكم﴾ عطف على قوله ظرف لفعل والحاصل ان مقتهم انفسهم ان فسر بانهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء فى الدنيا يكون زمان احد المقتين مغايرا لزمان الآخر ويكون الكلام محمولا على التقديم والتأخير كأنه قيل والله لمقت الله اياكم فى الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وان فسر مقتهم انفسهم بمقت بعضهم بعضا على معنى ان الاتباع يشتدّ مقتهم للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء ايضا يشتدّ مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كما فى قوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضكم بعضا فيكون زمان المقتين واحدا وهو وقت ان عاينوا العذاب يوم القيامة ويكون اذ تدعون تعليلا لكون مقت الله اياهم اكبر ويكون المعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم بعضا لاتباعكم هوى انفسكم وايثاركم الباطل على الحق من حيث انكم كنتم تدعون الى ما فيه السعادة الابدية فتأبونه ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى اماتتين واحياءتين اثنتين على ان اثنتين صفة مصدر محذوف قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك كانوا امواتا فى اصلاب آبائهم فاحياهم الله فى الدنيا ثم اماتهم الموتة التى لابدّ منها ثم احياهم يوم البعث والنشور فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فسروا الاماتة بايم خلقهم امواتا ابتدآء وتصييرهم امواتا بازالة الحياة عنهم وتبعهم الزمخشرى والمصنف فى ذلك التفسير * ولما ورد على هذا التفسير انه كيف يصح والحال ان الاماتة انما تتعلق بالحىّ بازالة الحياة عنه لان تعلقها بما لايكون مسبوقا بالحياة تحصيل الحاصل والتنظير بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم غير معقول اذ ليس فيه انه تعالى اماتهم بل المذكور فيه كونهم امواتا والموت لكونه عبارة عن عدم الحياة لايستدعى سبق الحياة وانما يستدعيه ان لو كان عبارة عن زوال الحياة وليس كذلك فظهر الفرق ولم يبق للتنظير وجه * واجاب عنه المصنف بقوله فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتدآء وتصييرا وتقريره انا لانسلم ان الاماتة معناها ازالة الحياة بل هى تستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ ميتا ابتدآء وثانيهما تصييره ميتا كما فى التصغير والتكبير فانه يستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ صغيرا وكبيرا كما فى قول من قال سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وقد يكون بمعنى تصييره صغيرا بعد كبره وكبيرا بعد صغره فصح التفسير المذكور وان سلمنا ان الاماتة تصيير الشئ ميتا بازالة الحياة عنه وانها لايصح اطلاقها حقيقة على ايجاد الشئ ميتا ابتدآء لكن لانسلم انه لايصح تفسيرها بالمعنى المجازى المتناول لكل واحد من المعنيين فان لفظ الاماتة حينئذ يكون حقيقة تصيير الحى ميتا ومجازا فى الايجاد ميتا تشبيها لاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين للشئ بدل الآخر بنقله من احد الوصفين الى الآخر حقيقة فصح ان يستعار لفظ الاماتة لاختيار انشاء الشئ ميتا مع كون انشائه حيا مقدورا للفاعل لكونه بمنزلة تصييره ميتا بعد كونه حيا وان تفسر الاماتة بالمعنى المتناول لكل واحد من المعنيين على طريق عموم المجاز فقوله احد مقبوليه معناه احد مقبولى

ولا للثانى لأن مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزآء اعمالهم الخبيثة الا ان يأوّل بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد ﴿ قالوا ربنا امتنا اثنتين ﴾ اماتتين بان خلقتنا امواتا اوّلا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتدآء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر

صنوعه فان البعوضة و الفيل مثلا يقبل كل و احد منهما كل و احد من وصفي الصغر و الكبر بدل الآخر فاختيار
فاعل احد الوصفين المقبولين لمصنوعه يشبه تصييره موصوفا به و صرفه عن الآخر و كذا اختيار ايجاده ميتا
ل ايجاده حيا بمنزلة تصيير الحيّ ميتا ﴿قوله اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه﴾ تعليل لعدم
حال القائل الاحياءة الاولى فى الاحياءين يعني ان مقصود الكفار من قولهم ربنا امتنا اثنتين الخ اعترافهم بما كانوا
ر ونه فى الدنيا وهو حياة القبر والبعث لا الحياة الاولى اذ لا انكار لاحد فيها كانهم اجابوا عن ندائهم بقوله لمقت الله
بر من مقتكم انفسكم بان الانبياء دعونا الى الايمان بالله و اليوم الآخر و كنا نعتقد كما تعتقده الدهرية ان لا حياة
د الممات فلم نلتفت الى دعوتهم و دمنا على ما كنا عليه من الكفر و الاعتقاد الباطل ثم بعد ذلك قد شاهدنا ما انكرناه
ستبعدناه حين ماقاسينا شدائد الموتين و الحياتين فاعترفنا بانا خاطئون فى انكار ذلك فوجب ان يفسر الاماتتان
كانت عقيب حياة الدنيا و ما كانت عقيب حياة القبر لسؤال فانهم بعد ما سئلوا فى القبر يموتون ثانيا الى ان ينفخ
ث و ان يفسر الاحياءتان بما كانت فى القبر و ما كانت يوم البعث لا الاحياءة الاولى لان الاعتراف بها لم يكن
د انكار و على هذا يكون معنى الاماتة ظاهرا غير محتاج الى التأويل ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون المقصود
اخبارهم مشاهدة الاماتتين والاحياءتين الاعتراف بما غفلوا عنه بسبب معاينته جعلوا مشاهدتهما للاعتراف به
الوا فاعترفنا بذنوبنا بالفاء الدالة على سببية ماقبلها للاعتراف المذكور ﴿قوله نوع خروج من النار﴾ يعني
تنكير خروج للنوعية وكذا تنكير قوله من سبيل كأنه قيل فهل الى خروج سريع او بطيء شيء من السبيل او اليأس
قع دون ذلك فلا خروج و لا سبيل الى ذلك وهذا كلام من غلب عليه القنوط بذكره تعللا اى اكتفاء و قناعة بذكر
روج عن الخروج حقيقة يقال علله بالشيء اى ألهاه به كما يعلل الصبيّ بالشيء عما يلهيه عن لبن امّه و لو كان
ادهم الاستفهام عن تأتى الخروج لكان الجواب لا او نعم و لم يجابوا بذلك بل ببيان سبب خلودهم فى النهار
نوطهم من الخروج منها و هو اصرارهم فى دار العمل على اقبح المعاصي فلذلك جوزوا فى دار الجزاء باهول
ذاب و هو الخلود فى النار و القنوط من الخلاص عنها ﴿قوله تعالى ذلكم﴾ مبتدأ و بانه خبره و الضمير فى
ه ضمير الشان و الامر اى ذلكم الخلود و العذاب بسبب كفركم بوحدانية الله تعالى و ايمانكم اى تصديقكم بالاشراك به
﴿قوله وحده﴾ مصدر فى موضع الحال من الجلالة و جاز كونه معرفة لفظا لكونه فى قوّة النكرة كأنه قيل
حدا و منفردا فان شرط الحال ان تكون نكرة لعدم الحاجة الى تعريفها ثم تعالى لما بين للكافرين القانطين من الخروج
النار ماهم عليه من الخلود و العذاب السرمد بسبب اعراضهم عن التوحيد و تصديقهم بالاشراك به بين ان الاشراك
اعظم الذنوب لكونه معاندة للبرهان الساطع مبنيا على محض التقليد و اتباع الهوى فقال هو الذى يريكم
ته رعاية لمصالح اديانكم و ينزل لكم من السماء رزقا رعاية لمصالح ابدانكم فان الآيات بالنسبة الى حياة الاديان بمنزلة
رزاق بالنسبة الى حياة الابدان و لما تفرّد سبحانه و تعالى فى حصولهما لعباده فقد اسبغ عليهم نعمه ظاهرة و باطنة
ن غير ان يشاركه فى ذلك احد مما تخذه المشركون شركاء فبان ان من اشرك به شيأ من ذلك فقد ضل ضلالا مبينا
استحق عذابا مهينا ثم بين ان دلائل الوحدانية و كمال القدرة و العلم لغاية ظهورها كالامر المركوز فى العقول الا ان عدم
تدائهم بها الى الحق انما هو لعدم اقبالهم عليها و تفكرهم فيها و ما يهتدى بها الا من ينيب اليها و يعرض عن التقليد
الانهماك فى اتباع الهوى طالبا للرشاد و طامعا فى الفوز يوم التناد و لما قرّر هذا المعنى التفت الى المنيبين و امرهم
لاعراض عن غير الله و الاقبال اليه بالكلية فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك و الالتفات الى غير
﴿قوله خبران آخران﴾ اى عن قوله هو الذى يريكم آياته و الصمدية السيادة و الصمد السيد لانه يصمد
يه فى الحوائج اى يقصد من صمده يصمده صمدا اى قصده ﴿قوله من حيث المعقول و المحسوس﴾ متعلق
وله صمديته و قوله الدال صفة لعلوّ صمديته و قوله فان من ارتفعت بيان لوجه دلالته على التفرّد فى الالوهية * و اعلم
الرفيع يحتمل ان يكون بمعنى المرتفع و تكون الدرجات عبارة عن صفات الجلال و الاكرام و يحتمل ان يكون الرفيع
عنى الرافع و تكون الدرجات عبارة عن درجات الانبياء و الاولياء فى الجنة و عن مراتب المخلوقات فى العلوم
الاخلاق الفاضلة و نحو ذلك و المصنف اشار بقوله فان من ارتفعت درجات كماله الخ الى ان رفيع بمعنى مرتفع
ان المراد بالدرجات صفات كماله التى هى من قبيل المعقولات فقوله تعالى رفيع الدرجات يدل على علوّ صمديته من
يث المعقول و العرش من جنس الجسمانية المحسوسة فكان قوله ذو العرش اى خالقه و مالكه و مدبره دالا على

(واحييتنا اثنتين) الاحياءة الاولى و احياءة
البعث و قيل الاماتة الاولى عند انخرام
الاجل و الثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال
و الاحياآن ما فى القبر و المبعث اذ
المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا
عنه و لم يكترثوا به و لذلك تسبب بقوله
(فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها
من اغترارهم بالدنيا و انكارهم للبعث
(فهل الى خروج) نوع خروج من النار
(من سبيل) طريق فنسلكه و ذلك انما
يقولونه من فرط قنوطهم تعللا و تحيرا
و لذلك اجيبوا بقوله (ذلكم) الذى انتم فيه
(بانه) بسبب انه (اذا دعى الله وحده)
متحدا او توحد وحده فحذف الفعل و اقيم
مقامه فى الحالية (كفرتم) بالتوحيد (و ان
يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله)
المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب
السرمد (العليّ) عن ان يشرك به و يسوّى
بغيره (الكبير) على من اشرك و سوّى
به بعض مخلوقاته فى استحقاقه العبادة
(هو الذى يريكم آياته) الدالة على التوحيد
و سائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم (و ينزل
لكم من السماء رزقا) اسباب رزق كالمطر
مراعاة لمعاشكم (و ما يتذكر) بالآيات التى
هى كالمركوز فى العقول لظهورها المغفول
عنها للانهماك فى التقليد و اتباع الهوى
(الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال
عليها و التفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر
فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين)
من الشرك (و لو كره الكافرون) اخلاصكم
و شق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش)
خبران آخران للدلالة على علوّ صمديته من
حيث المعقول و المحسوس الدال على تفرّده
فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال و كان العرش الذى
هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته
لا يصح ان يشرك به و قيل الدرجات مراتب
المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش
او السموات او درجات الثواب و قرئ
رفيع بالنصب على المدح

(يلق الروح من امره) خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد النبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والامر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية (لينذر) غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح واللام مع القرب ويؤيد الثاني (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تلاقي الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم او ظاهرون

علو صمديته من حيث المحسوس فان من كان محل تصرفه وتدبيره اعظم كانت صمديته ونفاذ قدرته اتم واقوى وان كان المراد بالدرجات مراتب المخلوقات يكون الرفيع بمعنى الرافع فانه تعالى رفع درجات الانبياء والاولياء في الجنة ورفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة والارزاق والآجال وجعل لكل واحد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل نوع من الاجسام درجة فجعل بعضها ارضية سفلية كدرة وبعضها فلكية علوية مشرقة وبعضها من جواهر العرش والكرسي وان كانت الدرجات عبارة عن مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش يحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع وبمعنى المرتفع وكذا ان كانت عبارة عن السموات كما قال سعيد ابن جبير هي سماء فوق سماء والعرش فوقهن ﴿قوله تعالى يلق الروح﴾ الصحيح ان المراد به الوحي سمى روحا تشبيها له بالروح من حيث ان الروح سبب لحياة الاجسام والوحي سبب لحياة القلوب فان حياة القلوب انما هي بالمعارف الحاصلة بالوحي فلما كان الوحي سببا للحياة صار بمنزلة الروح فسمى روحا واعلم ان ما سوى الله تعالى اما جسماني واما روحاني فبين الله تعالى بهذه الآية ان كلا القسمين مسخر تحت تسخيره تعالى اما الجسماني فاعظمه العرش فقوله تعالى ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام وقوله يلق الروح الخ يدل على ان الروحانيات ايضا كالجسمانيات مسخرات لامره والباء في قوله باظهار آثارها صلة الامر اي الملائكة مسخرات لامره باظهار الوحي وتبليغه الى الانبياء استعير الروح للوحي لانه يحيى به القلب بخروجه من الجهل والحيرة الى المعرفة والطمأنينة ثم بين الوحي بالامر بمعنى طلب الخير والبعث عليه وهو ان يتحلى المكلف بما امره به الشارع وندبه اليه ويتخلى عما نهاه عنه وكرهه وفسر الامر به ليتناول الامر والنهي بالمعنى المشهور وليعلم ان ليس المراد به الامر بمعنى الشان لعدم ملاءمته لهذا المقام فقوله لانه امر بالخير اي لان الوحي بعث على ما هو الخير للمكلف فيما يأتيه ويذره وقوله او مبدأه عطف على قوله امر فيكون وجها ثانيا لكون قوله من امره بيانا للروح بمعنى الوحي او لانه مبدأ الامر بالخير الاول على ان يفسر الوحي بالكلام الذي تلقيه الى غيرك خفية والثاني على ان يفسر بالارسال وفي الصحاح الوحي الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيته وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والوحي بمعنى الكلام الخفي الذي ألقاه الله تعالى الى الانبياء بواسطة الملك سمى روحا لكونه سببا لحياة القلب وكذا الوحي بمعنى رسالة الملك روح باعتبار وامر باعتبار آخر وهو كونه مبدأ لامر الملك المبلغ له هذا على ان يكون قوله والآمر هو الملك المبلغ على لفظ اسم الفاعل ويحتمل ان يكون قوله او مبدأه عطفا على قوله الوحي اي ويجوز ان يراد بالروح مبدأ الوحي وهو الملك الذي يبلغه ويكون من امره ايضا بيانا للروح بمعنى مبدأ الوحي ويسمى الملك المبلغ أمر الكمال امتثاله اوامر الله تعالى قال تعالى لا يسبقونه بالقول ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون او لكونه واسطة بينه تعالى وبين انبيائه في تبليغ ما امره الله تعالى به اليهم واستعير له الروح لكونه مبدأ للوحي الذي به حياة القلوب ومشبها بالروح الذي به حياة الابدان فقوله تعالى يلق الروح معناه على هذا ينزل الملك المبلغ للوحي الذي هو امره على من يختاره للنبوة ويكون قول المصنف والامر هو الملك المبلغ على لفظ المصدر ﴿قوله والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح﴾ واسناد الانذار الى من يشاء حقيق كما في قوله بنت العملة المدينة واسناده الى الله تعالى مجازي كما في بنى الامير المدينة وكذا اسناده الى الروح ﴿قوله واللام﴾ مبتدأ ويؤيد الثاني خبره اي اللام تؤيد كون المستكن راجعا الى من يشاء كما يؤيد ذلك قرب المرجع اليه والوجه في تأييد اللام ذلك ان المستكن فيه لو كان راجعا الى الجلالة لكان المفعول له فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو القاء الروح فينبغي ان يقال انذارا بدون اللام والذي يؤيد الثاني بخصوصه هو مجموع اللام وقرب المرجع اليه فان مجرد اللام انما يؤيد عدم كونه راجعا الى الجلالة ولا يؤيد رجوعه الى من بخصوصه لجواز رجوعه الى الروح ايضا وهذه اللام متعلقة بقوله يلق وانتصاب يوم التلاق على انه مفعول به للانذار وليس ظرفا له لان الانذار لا يكون فيه وانما يكون به ﴿قوله يوم هم بارزون﴾ يجوز ان يكون بدلا من قوله يوم التلاق بدل الكل من الكل فيكون مفعولا به من حيث المعنى وان يكون ظرفا للتلاق لان التلاق يقع في يوم بروزهم وان يكون ظرفا لقوله لا يخفى اي لا يخفى على الله منهم شيء في يوم بروزهم وهذا على قول من يجوز ان يعمل ما بعد لا فيما قبلها وقوله لا يخفى يجوز ان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من ضمير بارزون وان يكون خبرا ثانيا ﴿قوله والاعمال والعمال﴾

(العمال)

عمال و العمالة بتخفيف الميم رزق العامل و اجر عمله اى لينذر يوم يلقى فيه كل عامل اجر عمله ﴿ قوله لا يسترهم
شئ ﴾ من جبل او اكمة او بناء لان الارض فيه بارزة قاع صفصف و ليس عليهم ثوب يسترهم بل هم عراة مكشوفوا
الرؤس و الارجل كما جاء فى الحديث * يحشر الناس حفاة عراة غرلا * و الغرل جمع اغرل و هو الاقلف الذى لم يختن
﴿ قوله او ظاهرة نفوسهم ﴾ اى منكشفة غير محجوبة بغواشى الابدان على زعم من لا يقول بالمعاد الجسمانى وقيل
المراد ببروزهم اسرارهم قال تعالى يوم تبلى السرائر اى تنكشف الاسرار و الابلاء و الابتلاء فى الاصل الاختبار الذى
يكون للكشف فاطلق على غايته وقيل بروزهم عبارة عن بروز اعمالهم ﴿ قوله و ازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا ﴾
من انهم اذا استتروا بالحيطان و الحجب لا يراهم الله و تخفى عليهم اعمالهم و هو جواب عما يقال قوله تعالى لا يخفى على الله
منهم شئ بيان و تقرير لبروزهم فكأنه قيل يوم هم صائرون بحيث لا يخفى على الله منهم شئ و هو تعالى لا يخفى
عليه منهم شئ فى جميع الايام فما معنى تقييده بذلك اليوم * و تقريره انه ليس المقصود عدم خفاء شئ منهم عليه تعالى
بل المقصود به هو ازاحة ما يتوهمه متوهم فانهم كانوا يتوهمون فى الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان و الحجب لا يراهم الله
و تخفى عليه اعمالهم فاخبر انهم صائرون ذلك اليوم الى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه كما قال تعالى
و لكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴿ قوله حكاية لما يسأل عنه ﴾ يعنى انه مقول قول مضمر اى يقال
لهم فى ذلك اليوم لمن الملك اما بلسان المقال او بلسان ظاهر الحال و يدل على الاول ما روى من انه اذا احضر الاولون
و الآخرون يوم التلاق و برزوا لله جميعا نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول جميع من حضر فى محفل القيامة لله الواحد
القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به و بما اعتقدوا بمدلوله فى الدنيا التى هى مزرعة الآخرة
المنزلة الرفيعة و الكفار يقولونه تحسرا و صغارا و ندامة على تفويتهم هذا الذكر الجميل فى الدنيا وقيل السائل و المجيب
هو الله تعالى وحده و ذلك بعد فناء الخلق و لما قرر ان الملك لله تعالى فى ذلك اليوم ذكر نتائج كون الملك و الامر له
فى ذلك اليوم لا يشاركه فيه احد فقال اليوم تجزى كل نفس و هو داخل فى حكم القول المضمر ﴿ قوله فيصل
اليهم ما يستحقونه سريعا ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا اخذ فى حساب الخلق لم يقل اهل الجنة
الا فيها و لا اهل النار الا فيها ﴿ قوله اى القيامة ﴾ ذكر لتأنيث لفظ الآزفة وجهين الاول تأنيث مسماه و هو يوم
القيامة و الثانى صفة لموصوف مؤنث و هى الخطة و هى الخطب العظيم و الامر الصعب و الآزفة فاعلة من ازف
الامر اذا قرب و هو من باب علم و يوم الآزفة منصوب على انه مفعول به لانذرهم لانه المنذر به و المقصود التنبيه
على ان يوم القيامة قريب كقوله اقتربت الساعة قيل لها آزفة لكونها قريبة و ان استبعد الناس مداها اذ كل ما هو
آت فهو قريب وقيل المراد بيوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فانهم عند ذلك ترتفع قلوبهم من مقارها من شدة
الخوف وقيل يوم الآزفة يوم حصول الاجل لانه تعالى وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق و يوم هم بارزون ثم قال
بعده و انذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم و يوم حضور الاجل من جملة الشدائد
و الامور الصعاب و ان المرء الكافر عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه بحيث ترتقى قلبه الى حنجرته من شدة
الخوف و يبقى كاظما ساكتا عن ذكر ما فى قلبه من شدة الخوف و الغم و لا يكون له حميم و لا شفيع يدفع عنه ما به من انواع
الخوف و القلق ﴿ قوله كاظمين على الغم ﴾ اى ساكتين حال امتلائهم غما و كربا و غيظا يقال كظم الغيظ اذا امسك
على ما فى نفسه من الغم و الغيظ بالصبر و عدم اظهار الاثر من قولهم كظم القربة اذا ملأها ماء و شدفاها و المعنى انهم
لا يمكنهم ان ينطقوا و يشرحوا ما عندهم من الحزن و الخوف من شدة الكربة و غلبة الغم عليهم و المقصود من الآية
تقرير امرين احدهما الخوف الشديد و هو المراد من قوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين و الثانى العجز عن الكلام
و هو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام و بث الشكوى حصل له نوع خفة و سكون و اذا لم يقدر
عليه عظم قلقه و اشتد حاله ﴿ قوله لانه على الاضافة ﴾ اى لان المعنى على الاضافة اى اذ قلوبهم لدى
حناجرهم بناء على ان التعريف اللامى بدل من التعريف بالاضافة و لما كان قوله اذا القلوب فى معنى اذ قلوبهم
باضافة القلوب الى اصحابها جاز انتصاب الحال عن الاصحاب المجرور بالاضافة لان العامل المعنوى يجوز ان يعمل
فى الحال فيجوز ان تعمل فيها الاضافة كأنه قيل اضيف اليهم القلوب حال كونهم كاظمين ﴿ قوله او منها ﴾ اى
او هو حال من نفس القلوب على معنى حال كون القلوب كاظمة على كرب و غم مع بلوغها الحناجر او هو حال
من الضمير المستكن فى قوله لدى الحناجر فان القلوب مبتدأ و لدى الحناجر خبره و فيه ضمير مستكن انتقل اليه من

لا يسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم و سرائرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) من اعيانهم و اعمالهم و احوالهم و هو تقرير لقوله هم بارزون و ازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم و لما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب و ارتفاع الوسائط و اما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق و تحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد و الاعمال هيئات توجب لذتها و المها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق و ادركت لذتها و المها (لا ظلم اليوم) بنقص الثواب و زيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا (و انذرهم يوم الآزفة) اى القيامة سميت بها لازوفها اى قربها او الخطة الآزفة و هى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى الحناجر) فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا و لا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى و جمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين

متعلقه وكاظمين حالمنه * ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان يقال كيف يجوز ان يكون كاظمين حالا من القلوب او ضميرها مع انه قد جمع جمع السلامة وهو مختص بمن يعقل اشار المصنف الى جوابه بقوله وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء يعني انه لما أسند الى القلوب ماهو من افعال العقلاء وهو الكظم جمعت جمع العقلاء كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴿قوله على انه حال مقدرة﴾ لانهم غير كاظمين حقيقة وقت الانذار ﴿قوله ولاشفيع مشفع﴾ يعني ان قوله تعالى يطاع مجاز بمعنى يجاب وتقبل شفاعته لان حمله على اصل معناه يستلزم خلو الكلام عن الفائدة لان انتفاء شفيع يطيعه الله تعالى حقيقة معلوم بالضرورة من حيث ان المطيع حقيقة يكون اسفل حالا من المطاع وليس فى الوجود من هو اعلى حالا من الله تعالى حتى يكون تعالى مطيعا له فوجب حمل الاطاعة على الاجابة كما فى قوله

* رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع *

اى لم يجب ﴿قوله والضمائر﴾ اى التى فى قوله يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شئ وانذرهم اذ القلوب لدى حناجرهم الظاهر ان هذه الضمائر للكفار الذين يجادلون فى آيات الله وينادون يوم القيامة بان يقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم فيكون قوله تعالى ماللظالمين موضوعا موضع ضمير الكفار المعهودين فمعنى الآية الحكم عليهم بانهم ليس لهم حميم ولاشفيع مشفع وقد اتفق اهل الملة على انه لاشفاعة فى حق الكفار فلادلالة فى الآية على نفى الشفاعة عن عصاة المسلمين كما قال به المعتزلة بناء على ان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم غاية مافى الباب ان هذه الآية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فقول المصنف وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم اى على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع اشارة الى جواب ذلك وتقريره ان الاصل فى حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هنالك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل فى هذه الآية معهود سابق وهم الكفار المجادلون فى آيات الله فوجب ان ينصرف الحكم بانتفاء الحميم والشفيع اليهم لا الى عامة الظلمة لانفسهم ﴿قوله النظرة الخائنة﴾ اشارة الى ان خائنة اسم فاعل وانه صفة لمحذوف هو النظرة واسناد الخائنة الى النظرة مجاز لان الخائن الناظر فانه خان الشارع حيث لم ينته عما نهى عنه بان نظر نظرة حرمها عليه والتقدير يعلم النظرة الخائنة للاعين حذف الموصوف ثم حذفت اللام من الخائنة واضيفت الى الاعين اضافة معنوية بمعنى اللام ﴿قوله او خيانة الاعين﴾ اشارة الى جواز كون الخائنة مصدرا بمعنى الخيانة كالعافية والكاذبة وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين امام رفوع المحل على انه خبر آخر لهو فى قوله تعالى هو الذى يريكم مثل قوله يلقى الروح الا ان يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم ذكر استطرادا احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد هذا الخبر بالتعليل والاستطراد المذكور عن اخواته اعنى قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح وهذا الوجه هو الذى اختاره المصنف ويحتمل ان لايكون له محل من الاعراب بناء على انه فى قوة التعليل للامر بالانذار فانه تعالى لما امر بانذارهم يوم الآزفة ومايعرض لهم من شدة الغم والكرب وان الظالم لايجد له فيه من يحميه ويشفع له ذكر انه تعالى مطلع على جميع مايصدر من الخلائق سرا وجهرا وبين انه عالم لايخفى عليه مثقال ذرة فى السموات والارض والحاكم اذا بلغ فى العلم الى هذا الحد وجب ان يكون خوف المجرم منه اشد واقوى * واعلم ان افعال العباد على قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب فافعال الجوارح اخفاها خائنة الاعين فاذا كانت مع كونها فى غاية الخفاء معلومة لله تعالى فعلمه تعالى بسائر افعال الجوارح يكون اولى واظهر ثم بين بقوله تعالى وماتخفى الصدور ان افعال القلوب ايضا معلومة لله تعالى فدلت الآية على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم ثم انه تعالى لما بين احاطة علمه بذلك بين انه لايحكم الا بما يستحقه المكلف ويليق به تشديدا لخوف المكلف ﴿قوله وقضائه بالحق﴾ فان من يسمع مايقولون ويبصر مايفعلون اذا قضى قضى بالحق ويستفاد منه الوعيد ايضا ثم انه تعالى لما بالغ فى تخويف الكفار باحوال الآخرة اردفه بتخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا فى الارض الآية والمعنى ان العاقل من اعتبر بحال غيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى آثارا فى الارض من الحصون والقصور والعساكر فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وان هؤلاء الحاضرين شاهدوا آثار اهلاكهم فباى وجه أمنوا ان يصيبهم مثل مااصاب السابقين وقوله تعالى فينظروا يجوز ان يكون مجزوما بعطفه على يسيروا

او من مفعول أنذرهم على انه حال مقدرة (ماللظالمين من حميم) قريب مشفق (ولاشفيع يطاع) ولاشفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين (وماتخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه مامن خفى الا وهو متعلق العلم والجزآء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلايقضى بشئ الا وهو حقه (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لايقال فيه انه يقضى اولا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على مايقولون ويفعلون وتعريض بحال مايدعون من دونه (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود

(وان)

ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام ﴿قوله وانما جيء بالفصل﴾ يعني ان هم ضمير فصل قد توسط بين اسم
ن وهو معرفة و خبرها الذى هو قوله اشدّ منهم و هو نكرة وحق الفصل ان يقع بين معرفتين كما فى قوله تعالى اولئك
م المفلحون اولئك هم الخاسرون وجوابه ظاهر وهو ان افعل من لما شابه المعرفة فى عدم دخول الالف و اللام
ليه حيث لا يقال الاشد منهم كان فى حكم المعرفة ﴿قوله وقيل المعنى وا كثر آثارا﴾ اى قيل ان قوله آثارا ليس
اخل فى حيز اشدّ منهم بان يكون معطوفا على قوّة بل هو منصوب بعامل مقدّر معطوف على اشدّ كما فى قوله

❊ ياليت زوجك قد غدا ❊ متقلدا سيفا و رمحا ❊

ن رمحا منصوب بمقدّر اى وحاملا رمحا لان تقلد الشيء بالشيء تعليقه عليه و جعله بمنزلة القلادة فى العنق يقال
دت المرأة فتقلدت هى و لا يصح هذا فى الرمح فلذلك احتيج الى تقدير ناصب ومثله

❊ علفتها تبنا و ماء باردا ❊ حتى غدت همالة عيناها ❊

ى حتى مضت الشاة و عيناها تفيض اى وسقيتها ماء باردا لان الماء ليس مما يعلف ولم يرض المصنف بهذا
قول لعدم الحاجة الى التقدير لصحة المعنى بدونه فانهم كما انهم اشدّ منهم قوّة اشدّ منهم آثارا ايضا ويدل عليه قوله
الى وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين * فان قيل ماذكر فى مثل قوله علفتها تبنا و ماء باردا ومتقلدا سيفا و رمحا يستلزم
ذف المعطوف مع بقاء حرف العطف وانه ممتنع * اجيب بانا لا نسلم امتناع ذلك مطلقا و انما الممتنع ان يحذف
معطوف مع جميع متعلقاته و اما اذا بقى شيء من معمولات المحذوف فلا نسلم امتناعه كما فى قوله تعالى و الذين تبوّؤا
دار و الايمان اى وألفوا الايمان و قول الشاعر * وزججن الحواجب و العيونا * اى وكحلن العيون كذا فى شرح
بخارى للكرمانى رحمه الله تعالى ﴿قوله لا يؤبه بعقاب دون عقابه﴾ اى لا يتذكر و لا يتنبه لعقاب قد غفل عنه
د معاينة عقابه نعوذ بالله من ذلك * الجوهرى ابهت للامر آبه ابها وهو الامر تنساه ثم تتنبه له ثم انه تعالى لما سلى
سوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله و بيان عاقبة امرهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى
ليه الصلاة و السلام فقال ولقد ارسلنا موسى الآية ﴿قوله والعطف لتغاير الوصفين﴾ يعنى انه من قبيل
طف الخاص على العام تفخيما لشأنه ﴿قوله تعالى الى فرعون وهامان وقارون﴾ خص هؤلاء الثلاثة بالذكر
ع انه عليه الصلاة و السلام مرسل الى القوم كلهم لان هؤلاء الثلاثة كانوا مدبرى امورهم فكان خطابهم و دعوتهم
نزلة خطاب القوم كلهم فان فرعون ملكهم و هامان وزيره و قارون بمنزلة الملك من حيث كثرة امواله و كنوزه
﴿قوله أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اوّلا﴾ فانه لما جاء اوان ولادة موسى عليه الصلاة و السلام اخبر
نجمون فرعون بانه قد حان ولادة مولود يظهر عليك و يزول ملكك على يده فامر بقتل ابناء بنى اسرآئيل و ابقاء
اتهم احياء احتيالا فى دفع ما انذر به الكهنة ففعلوا ذلك زمانا طويلا ثم امسك فرعون عن قتل الولدان مخافة
ن يفنى بنى اسرآئيل وتقع الاعمال الشاقة كلها على القبط فلما بعث موسى عليه الصلاة و السلام ودعاه الى الايمان
التوحيد واظهر المعجزات القاهرة فعند هذا امر بقتل ابناء الذين آمنوا معه لئلا ينشأوا على دين موسى فيتقوّى
بهم و ضمير الجمع فى قوله قالوا اقتلوا لفرعون و ذوى الرأى من قومه ﴿قوله كانوا يكفونه﴾ يعنى ان فرعون
ما قال هذا الكلام من اجل انه كان فى خواص قومه من يمنعه من قتل موسى بناء على اعتقاد انه ساحر
ضعيف لا يمكنه ان يغلب سحرتك فان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا صادقا فى دعواه و انهم
جزوا عن جوابه فقتلوه و يحتمل ان يكون سبب منعهم اياه انهم اعتقدوا بقلوبهم كون موسى عليه الصلاة و السلام
صادقا فى دعواه لما عاينوا من معجزاته الباهرة فمنعوه من ذلك خوفا من ان يعاجلهم الله تعالى بالهلاك و يحتمل ان
حدا لم يمنع فرعون من قتل موسى عليه الصلاة و السلام و انه كان يحب ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول
تله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح الا انه لوقاحته و جبنه قال ذرونى اقتل موسى و غرضه منه
خفاء خوفه و اراءة قومه انه لا يخاف شيأ يصيبه بمخالفته ﴿قوله و تعلله بذلك﴾ اى جعل فرعون منع قومه اياه
لة لعدم قتل موسى دليل على تيقنه بحقية امر موسى عليه الصلاة و السلام و انه يخاف ان قتله عاجله الله تعالى
لعقوبة اوانه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه من قتله فيفتضح عند الناس و يؤيد ذلك تجلده بقوله
ليدع ربه فان مثله انما يصدر من الخائف المرآئى فلما سمع موسى عليه الصلاة و السلام قوله لم يأت فى دفع شره الا بان
ستعاذ بالله و اعتمد على فضله و رحمته فلا جرم صانه الله تعالى عن كل بلية و اوصله الى كل امنية و قيض له انسانا اجنبيا

اللام عليه و قرأ ابن عامر اشدّ منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع والمدآئن الحصينة وقيل المعنى وا كثر آثارا كقوله متقلدا سيفا و رمحا * (فاخذهم الله بذنوبهم و ما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الاحكام الواضحة (فكفروا فاخذهم الله انه قوىّ) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى المعجزات (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد ابين المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان لعاقبة من هو اشدّ الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اوّلا كى يصدّوا عن مظاهرة موسى (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع و وضعُ الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم و الدلالة على العلة (وقال فرعون ذرونى اقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله و يقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة تعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبيّ فخاف من قتله او ظن انه لو جادله لم يتيسر له ويؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعاء ربه (انى اخاف) ان لم اقتله (ان يبدّل دينكم) ان يغير ما انتم عليه من عبادتى و عبادة الاصنام كقوله ويذرك وآلهتك (او ان يظهر فى الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب و التهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية و قرأ ابن كثير و نافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء و الهاء و رفع الفساد

حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ فى تسكين تلك الفتنة فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وهذا استفهام على سبيل الانكار ﴿قوله لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة﴾ وهو السبب الاصلى فى كون اجتماع الناس لاداء الصلوات الخمس والجمعة والاعياد والاستسقاء ونحوها سنة ﴿قوله ولم يسم فرعون﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام استعاذ من كل متكبر اى كل متعظم عن الايمان ولم يذكر فرعون بخصوص اسمه لثلاث فوائد الاولى تعميم الاستعاذة من كل متكبر اى متعظم والثانية رعاية حق تربية كانت من فرعون له فى صغره فلذلك لم يصرح بكونه عدوا يستعاذ من شره والثالثة الدلالة على العلة التى حملت موسى عليه الصلاة والسلام على هذه الاستعاذة وهى ان يجتمع فى الانسان كونه متكبرا قاسى القلب وكونه منكرا للبعث والجزاء فان مجرد التكبر وغلظة القلب وان كان يحمل الانسان على ايذاء الناس الا انه اذا اقر بالبعث والحساب يمتنع منه خوفا من جزاء ظلمه بخلاف ما اذا لم يؤمن بالبعث والقيامة فانه يشتد توغله فى الظلم والايذاء لاقتضاء طبيعته اياه وارتفاع ما يمنعه عنه وهو الاقرار بالبعث فكل من اجتمع فيه التكبر والانكار للبعث كان اظلم واطغى وبالاستعاذة من شره اليق واحرى ﴿قوله عدت فيه وفى الدخان بالادغام﴾ اى بادغام الذال فى التاء بجعلها دالا كما فى اذكر ﴿قوله من اقاربه﴾ قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله عنه فى سورة القصص وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فعلى هذا يكون قوله من آل فرعون صفة ثانية لرجل متعلقة بمحذوف اى كائن من آل فرعون وقيل كان اسرائيليا فعلى هذا يكون من آل فرعون متعلقا بيكتم والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون قال وهب انه كان خازن فرعون وكانت امرأته ماشطة بنات فرعون اظهرت الايمان فقتلها فرعون وذبح اولادها قبل قتلها على وجهها فتكلمت اولادهم يا امه أبشرى بالجنة من ربك واصبرى انك على الحق واعلمى ان عذاب ربك اشد من عذاب فرعون ثم اظهرت آسية ايمانها فقتلها بعد قتل الماشطة واظهر زوج الماشطة ايمانه وهو خازن فرعون وجادل فرعون وقومه بعد كتمه ايمانه مدة وقتله فرعون مع السحرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله والثالث ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو افضلهم * روى ان المشركين لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه ﴿قوله او وقت ان يقول﴾ فان ان يقول وان لم يكن مصدرا صريحا الا انه فى تأويل المصدر فجاز ان يقام الوقت مقامه كما فى قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى وقت خفوقه وصياحه قيل عليه اقامة المصدر مقام الوقت لا تجوز الا فى المصدر الصريح ولا تصح فيما هو فى تأويل المصدر فلا يقال آتيك ان يصيح الديك بمعنى وقت ان يصيح وقد نص عليه النحاة ﴿قوله وحده﴾ استفادة الحصر من تعريف الجملة كما فى قولك زيد الكريم وصديق زيد اى لا غيره ﴿قوله من المعجزات والاستدلالات﴾ يعنى البينات بمعنى الدلائل الواضحات يتناول المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة وما اقامه من البراهين الدالة على الوحدانية كقوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الآيات ﴿قوله احتجاجا عليهم واستدراجا لهم﴾ فان مجيء البينات من قبل ربهم تقوية لشانها واحتجاج عليهم بوجوب اتباعها واذعان حكمها واستدراج لهم الى الاعتراف بموسى وحقية امره فانهم اذا سمعوا انه جاءهم بالبينات من ربهم دعاهم ذلك الى التأمل فى امره بخلاف ما لو قيل من ربه ﴿قوله ثم اخذهم بالاحتجاج﴾ يعنى انه احتج اولا على ان اقدامهم على قتله منكر بالبرهان العقلى الذى يفيد القطع بكونه منكرا ثم احتج عليهم ثانيا بما يفيد الظن به لابتنائه على الاحتياط ﴿قوله لا يتخطاه وبال كذبه﴾ الحصر مستفاد من تقديم الخبر على المبتدأ ﴿قوله فيحتاج﴾ منصوب بان المقدرة بعد الفاء الواقعة فى جواب النفى واشار به الى جواب ما يقال لا نسلم انه على تقدير كونه كاذبا فى دعوى حقية ما اظهره من الدين يقتصر ضرر كذبه عليه ولا يتخطاه الى غيره اذ قد يغتر جماعة فيقعون فى المذهب الباطل والاعتقاد الزائغ ثم ان اغترارهم ذلك قد يؤدى الى ان يقع بينهم وبين من يخالفهم فيه من المخاصمات والمحاربات ما يختل به نظام العالم ولما تعدى ضرر كذبه الى غيره كيف يصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه * وتقرير الجواب انه على تقدير كونه كاذبا لا يقدر ان يحمل الناس على

(وقال موسى) اى لقومه لما سمع كلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من اقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى او غريب موحد كان ينافقهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديق زيد (وقد جاءكم بالبينات) المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله

قبول مااظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله وقدرتكم على ان تمنعوه من اظهار مقالته ومادعا الناس اليه فصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴿ قوله فلا اقل من ان يصيبكم بعضه ﴾ اشارة الى جواب مايقال وان يك صادقا يصبكم كل الذى يعدكم لان من يصيب بعض مايعده دون البعض هم الكهان والمنجمون واما الرسول الصادق الذى لايتكلم الا بالوحى فانه يجب ان يكون صادقا فى كل مايقوله فما وجه ذكر البعض فى هذا المقام * وتقرير الجواب ان مدار هذا الاحتجاج على المبالغة فى التحذير عن قتله بان يقال احتمال اصابة بعض مايعده المتفرع على احتمال صدقه كاف فى التجنب على قتله فالتجنب عنه مع احتمال اصابة جميع مايعده اولى ويحسن هذا الاسلوب ايضا ان فيه اظهار الانصاف وترك اللجاج والتعصب وذلك انه لما فرضه صادقا فى جميع مااخبر به كان الواجب ان يفرع عليه اصابة جميع ماوعد به ولم يفعل ذلك بل قال يصبكم بعض الذى يعدكم فنقص بعض مايكون على تقدير صدقه ليريهم انه ليس بكلام من اعطى الكلام حقه تاما وافيا فضلا عن ان يتكلم جزافا ومبالغة وتعصبا ومن انصف فى كلامه يسمع الخصم كلامه ولا يرده عليه فلذلك كان كلامه بليغا مقبولا عند البلغاء * وتقرير الجواب الثانى ان المراد ببعض الموعود هو عذاب الدنيا فانه عليه الصلاة والسلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا اصابهم فى الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض ماوعدهم به وخصوا عذاب الدنيا مع ان صدقه عليه الصلاة والسلام يستلزم ان يصيبهم جميع ماوعد به من عذاب الدارين لكون عذاب الدنيا اظهر احتمالا عندهم وكافيا فى تجاوزهم عن قتله * واجيب ايضا بان المراد كل الذى يعدكم فان البعض قد يراد به الكل كما فى قول لبيد

* تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس حمامها *

قوله تراك خبر محذوف اى انا تراك واو بمعنى الى اى الى ان يرتبط الحمام بعض النفوس اى كلها وكأنه قال الى يوم القيامة لان ارتباط الموت بكل النفوس انما يكون فيه فعلى هذا التوجيه ينبغى ان يكون يرتبط منصوبا الا انه سكن الطاء للضرورة والمصنف رد هذا الجواب برد سنده وهو كون البعض فى بيت لبيد بمعنى الكل فقال لانه اراد بالبعض نفسه ومعنى كلام لبيد انا على هذه الصفة حتى اموت وليس مراده حتى يموت جميع الناس لانه يكون يوم القيامة ومن المعلوم انه لايبقى الى ذلك اليوم ﴿ قوله احتجاج ثالث ﴾ احتج به الرجل المؤمن على انه يجوز قتل موسى وايذاؤه ويمكن تقريره على وجهين الاول ان الاقدام على قتله مبنى على زعم انه مسرف فى ارتكاب الزيف والكذب ولا وجه لهذا الزعم لانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى اقامة البينات واظهار المعجزات وقد هداه اليهما فهو رجل واجب التعظيم والاكرام دون التكذيب والايلام والثانى ان هذا الاحتجاج مبنى على تسليم كلام الخصم وارخاء العنان كأنه قال سلمنا انه مسرف كذاب الا انا لانسلم انه يجب عليكم تعرضه بالقتل والايذاء لانه تعالى لايؤيد امر أمثاله بل يخذله ويهلكه عن قريب فلا وجه للالتفات اليه والاشتغال بشأنه وعرض به لفرعون بانه مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادعاء الربوبية والله لايهدى من هذا شأنه بل يفضحه ويهدم امره ثم ان المؤمن من آل فرعون لما استدل على انه لايجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذى توعدهم به فى قوله يصبكم بعض الذى يعدكم فقال ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين الآية ﴿ قوله تعالى ظاهرين ﴾ حال من الضمير فى لكم والعامل فيها وفى قوله اليوم ماتعلق به لكم ﴿ قوله ومساهمهم ﴾ اى صاحب سهم ونصيب معهم ولما قال المؤمن ماقاله فى الذب عنه عليه الصلاة والسلام قال فرعون مااريكم الا ماارى وهو يجوز ان يكون من الرأى وان يكون من الرؤية بمعنى العلم يقال رأى فيه رأيا بمعنى اعتقد فيه اعتقادا ورآه بعينه اى أبصره ورآه بقلبه اى علمه والمعنى على الاول مااشير اليكم برأى سوى ماذكرته من انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولما نقل رأى من الرأى الى باب افعل عدى الى الضمير المنصوب ثم استثنى استثناء مفرغا فقيل الامااري وعلى الثانى مااعلمكم الامااعلمت فيتعدى الى مفعولين ثانيهما الامااري وقوله وقلبى ولسانى متواطئان عليه بيان لحاصل المعنى على الاحتمالين وقد كذب فى الاخبار عن مواطأة قلبه لسانه فان قلبه مملوء بالخوف الشديد من جهة موسى عليه الصلاة والسلام لكنه كان يتجلد عند قومه ﴿ قوله لامن ارشد ﴾ يعنى ان صيغة فعال قد تبنى من افعل نحو ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسأر فهو سأر ولم يجعل قرآءة رشاد بتشديد الشين من ارشد الرباعى لان بناءه منه نادر غير منقاس بل مقصور على السماع ﴿ قوله او للنسبة ﴾ عطف على قوله للمبالغة ورشد بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى فان كان الرشاد بالتشديد صيغة مبالغة من الثلاثى يكون معناه كثير الرشد وان كان

(وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها *

او يرتبط بعض النفوس حمامها *

مردود لانه اراد بالبعض نفسه (ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لايهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين (فى الارض) ارض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون مااريكم) مااشير اليكم (الامااري) الا مااستصوبه من قتله (وما اهديكم) وما اعلمكم الا مااعلمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه (الاسبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لامن ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات

صيغة مبالغة من الرباعى يكون كثير الارشاد وان كان للنسبة الى الرشد كان المعنى الاسبيل ذى الرشاد والعاج عظم الفيل والواحدة عاج والعوّاج صاحبه وبائعه والبت الطيلسان من وبر أو صوف والبتات من يعمله او يبيعه والبت ايضا يطلق على كساء من صوف كما فى قوله

من كان ذا بت فهذا بتى ❊ مقيظ مصيف مشتى
اخذته من نعجات ست ❊ سود نعاج كنعاج دست

اى يكفينى لقيظى وشتائى والقيظ حرارة الصيف ﴿قوله تعالى وقال الذى آمن﴾ صرح بفاعل قال ولم يضمره عطفا على ماقبله من اقواله لتخلل الاخبار عن قول اللعين بينهما فذكر فاعله صريحا لازالة الشبهة وهذا هو الجواب عن قوله فيما بعده بآيات وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى لانه تقدمه قول فرعون فى قوله وقال فرعون ياهامان ابن لى الآيات ولما اصرّ فرعون على ان الرأى الصائب ليس الاقتله واخلاء العالم من فتنته قال المؤمن ياقوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه والتعرّض له بالسوء مثل يوم الاحزاب * واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه ومن يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا الاشكال ذكر ههنا قولان الاوّل ان فرعون لما قال ذرونى اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن انه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضى ابقاء موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب قتله بل الاقدام على قتله يوجب الوقوع فى ألسنة الناس بالكلمات القبيحة فالاولى تأخير قتله ومنعه من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا يقتصر وبال كذبه عليه بهذا الطريق من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب يعنى انه ان كان كاذبا فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدى المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لانه هو المسرف الكذاب والقول الثانى ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه فيما مضى فلما قال فرعون ذرونى اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وجادله بالتى هى احسن وقال ياقوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه الخ ﴿قوله مثل ايام الامم الماضية﴾ اشارة الى ان ظاهر المقام يقتضى ان يقال مثل ايام الاحزاب لان الاحزاب باسرهم ليس لهم يوم واحد بل لكل حزب يوم على حدة اى وقعة هائلة وعذاب شديد يقال ايام العرب للوقائع العظيمة والاهوال الشديدة على طريق ذكر المحل وارادة الحال الا ان جمع الاحزاب وتفسيره بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اغنى عن جمع اليوم فان جمع الاحزاب وتفسيره بالطوآئف المختلفة المتباينة الازمان فى الاماكن يرفع الالتباس ويبين ان المراد به الايام كما ان اضافة البطن الى الجمع فى قوله * كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا * اغنت عن جمع البطن للعلم بان الجمع العظيم لا يأكلون فى بطن واحد فاستغنى بدلالة الاضافة على المراد عن ان يقال فى بعض بطونكم ﴿قوله مثل جزآء ماكانوا عليه دأبا﴾ اى دآئما يقال دأب فى العمل اى دام عليه وكان ذلك عادة له والدأب العادة والشان احتاج الى تقدير المضاف بعد المثل الثانى لانه تفسير للمثل الاوّل بان يكون بدلا منه او عطف بيان له وقد اضيف المثل الاوّل الى اليوم الذى عبر به عن عقوبة تكذيب الاحزاب انبياءهم فلابدّ ان يكون المثل الثانى ايضا مضافا الى نحو ما اضيف اليه الاوّل حتى يكون عبارة عن الاوّل وموضحا له ﴿قوله فلا يعاقبهم بغير ذنب﴾ يعنى ان المؤمن اتم كلامه بقوله وما الله يريد ظلما للعباد للدلالة على انه تعالى انما اهلك الاحزاب المتقدمين لذنب استحقوا به الهلاك وهو تحزبهم على انبيائهم فكل من كذب نبيه وتعرّض له بالسوء يخاف عليه مثل مااصاب هؤلاء لان تخلية الظالم من غير انتقام ظلم بالمظلوم والله تعالى منزه عن ارادة الظلم فضلا عن نفس الظلم والمعنى مايريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب وهذه الآية فى عذاب الدنيا لان عقوبة تكذيب الاحزاب قد عجلت لهم فى الدنيا ثم قال وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد والتنادى مصدر تنادى القوم اى نادى بعضهم بعضا اصله تناديا بضم الدال ثم كسروها لاجل الياء وحذف الياء حسن فى الفواصل كقوله يوم التلاق اصله يوم التلاقى سمى يوم القيامة يوم التناد لان الناس ينادى بعضهم بعضا للاستغاثة كقولهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او يتصايحون بنحو قولهم ياويلنا من بعثنا ياويلتنا مالهذا الكتاب او ينادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم اى من عذاب النار حقا قالوا نعم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وقرئ يوم التنادّ بتشديد الدال على انه مصدر تنادّ من ندّ البعير اذا هرب ونفر ويدل على صحة هذه القرآءة قوله تعالى

﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم ﴾ فى تكذيبه والتعرّض له ﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ مثل ايام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ مثل جزآء ماكانوا عليه دأبا من الكفر وايذآء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث انّ المنفى فيه نفى حدوث تعلق ارادته بالظلم ﴿ وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد ﴾ يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفرّ المرء من اخيه

(بعد)

مدذلك يوم تولون مدبرين و قول الضحاك انهم اذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا
لملائكة فيه صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله تعالى و الملك على ارجائها وانتصاب يوم التناد اما على
ه ظرف اخاف كأنه خاف عليهم فى هذا اليوم لما يلحقهم من العذاب ان اصرّوا على التكذيب والايذاء واما على انه
مفعول به على ان يكون تقدير الكلام انى اخاف عليكم عذاب يوم التناد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
اعرب باعرابه وقوله تعالى يوم تولون مدبرين يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا بتقدير اعنى
لا يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة ثم ان المؤمن اكد التهديد فقال مالكم من الله من عاصم
م نبه على قوّة ضلالتهم وشدّة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فماله من هاد ثم ان ذلك المؤمن وبخ قوم فرعون
ن الكفر والشك فى البينات القاطعة عادة قديمة فيكم حتى كذبتم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فى دعوى
رسالة وقد جاءكم يوسف عليه الصلاة والسلام بالبينات اى بالمعجزات التى من جملتها تعبير الرؤيا وبالدلائل الدالة
لى الوحدانية التى منها قوله يا صاحبى السجن ءأرباب متفرّقون خير ام الله الواحد القهار وهذا يدل على ان يكون
عون يوسف هو فرعون موسى فانه عاش فرعون يوسف الى زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو فرعون
خر وملوك مصر تسمى فراعنة كما تسمى ملوك الروم قياصرة وملوك العجم اكاسرة والمعنى على ان ملك مصر
زمان يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام هو الذى كان ملكها فى زمن موسى عمر الى زمن موسى والمشهور
ن اهل عصر موسى وفرعون لم يروا يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فينبغى ان يكون مقصود مؤمن آل
عون توبيخ اهل عصره بحال آبائهم الاقدمين ﴿قوله او سبطه﴾ عطف على قوله يوسف بن يعقوب والسبط
لد الولد روى ان يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام ارسل اليهم واقام فيهم عشرين
نة نبيا ﴿قوله ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده﴾ اى لم يقولوا ذلك تصديقا لرسالة من اتى بعد
سف كيف وقد شكوا فى رسالته وكفروا بها وانما قالوه تكذيبا لرسالة من بعده مضموما الى تكذيب رسالته وجعلوا
لهم هذا اساسا لهم فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك جزما بان لا يبعث بعده رسول ويحتمل ان يقولوه جزما
لك مع الشك فى رسالة يوسف اى لن يبعث الله من بعده من يدعيها بعده لانه لا يأتى احد بمثل ما اتى به يوسف
ن الخوارق ﴿قوله وقرئ ألن يبعث﴾ بادخال همزة التقرير على قولهم لن يبعث على ان يحمل كل واحد منهم
احبه على ان يقرّ بالجزم بان لا يبعث بعده رسول ﴿قوله مثل ذلك الاضلال﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل
نصب على انه صفة مصدر محذوف لقوله يضل اى يضل الله كل مشرك شاك فى الدين بعد وضوح الحجج والبراهين
ضلالا مثل اضلال الله اياكم حين لم تؤمنوا برسالة يوسف وقد جاءكم بالبينات ﴿قوله لانه بمعنى الجمع﴾ يعنى
ن الموصول الاوّل وان كان مفردا للفظ الا انه مجموع المعنى فصح ان يبدل منه اللفظ الموضوع للجمع بدل الكل
ن الكل ابدل منه تفسيرا وبيانا لوجه كونهم مسرفين شاكين اذ لا شك ان الجدال بغير حجة اما بناء على التقليد المجرّد
 بناء على الشبهات الحسية اسراف باطل وشك فى غير موضعه ﴿قوله وافراده للفظ﴾ جواب عما يقال
لى تقدير ان يكون كبر مسندا الى ضمير من ينبغى ان يقال كبروا لما مرّ انه بمعنى الجمع كأنه قيل يضل الله المسرفين المرتابين
تقرير الجواب ان من مفرد اللفظ ومجموع المعنى فابدل الذين يجادلون منه نظرا الى جانب المعنى وافرد
ضمير العائد اليه فى كبر نظرا الى جانب اللفظ * قيل عليه انه اعتبار اللفظ بعد اعتبار جانب المعنى واهل العربية
تجنبون عنه * واجيب بان هذا شئ نقله ابن الحاجب ولم يساعده غيره فهو غير مسلم ولو سلمناه فلا نسلم ان اعتبار
لفظ هنا متأخر عن اعتبار المعنى بل الامر بالعكس فانه روعى فيه لفظ من اوّلا حيث قيل من هو مسرف ثم معناه
نيا حيث ابدل منه الذين يجادلون الآية ثم عاد الامر الى رعاية جانب اللفظ ايضا حيث افرد الضمير الراجع اليه
ليس هذا من قبيل ما يجتنب عنه اهل العربية ﴿قوله على حذف مضاف﴾ ليعود ضمير كبر اليه ولو لم يعتبر
لحذف لكان ضمير كبر مع افراده راجعا الى الذين وهو غير صحيح لعدم المطابقة بينهما ولقائل ان يقول لا نسلم انه لا بدّ
ن ارتكاب حذف المضاف فى هذا الوجه لجواز ان يرجع ضمير كبر حينئذ الى الجدال المدلول عليه بقوله يجادلون
 فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى ويكون التقدير كبر جدالهم مقتا اى كبر مقت جدالهم على ان مقتا تمييز
قول من الفاعلية ﴿قوله او بغير سلطان﴾ عطف على كبر فى قوله وخبره كبر فالتقدير الذين يجادلون فى آيات الله
ثون او مستقرّون فى غير سلطان اتاهم كبر مقتا مثل ذلك الجدال القبيح فاجيب بطبع الله على قلوبهم فوضع

(يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارّين منها (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرّر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاوّل لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان) بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة (أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم

قوله على كل قلب متكبر جبار موضع على قلوبهم تسجيلا عليهم بالتكبر والتجبر واشعارا بعلة الطبع المذكور
﴿قوله على وصفه بالتكبر والتجبر﴾ مع انهما من صفات صاحب القلب والقلب آلة له فيهما الا انه شاع اسناد
الوصف القائم بالانسان الى مبداه وآلته كقولهم رأت عيني وسمعت اذني واسناد التكبر والتجبر الى القلب من هذا
القبيل ويجوز ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويقال ان تقديره على كل ذي قلب متكبر لتطابق هذه القرآءة قرآءة
عبد الله ابن مسعود فانه قرأ على قلب كل متكبر جبار فان الموصوف بالتكبر والتجبر على قرآءته هو صاحب القلب
فتتوافق القرآءتان فان المعنى على الاضافة على كل قلب شخص متكبر جبار بخلاف ما اذا لم يقدر المضاف في القرآءة
بالتنوين فانه يصير الموصوف بهما حينئذ هو القلب لا صاحبه الذي هو الموصوف بهما في قرآءة ابن مسعود
﴿قوله من صرح الشئ﴾ فانه بالتشديد كما يستعمل متعديا بمعنى اظهره يستعمل ايضا لازما بمعنى ظهر وفي الصحاح
الصرح القصر وكل بناء عال وفي المجمل الصرح بيت واحد يبنى مفردا ضخما طويلا في السماء وقيل الصرح البناء
الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد ﴿قوله بيان لها﴾ يحتمل ان يكون المراد ان قوله اسباب السموات
بدل او عطف بيان لقوله الاسباب ويحتمل ان يكون المراد انه منصوب باضمار اعني والاول اولى لان الاصل عدم الاضمار
﴿قوله وفي ابهامها ثم ايضاحها﴾ يعني انه لو قيل من اول الامر لعلي ابلغ اسباب السموات لتم المقصود
الا انه ذكر الاسباب اولا على الابهام ثم اوضحها بقوله اسباب السموات لفائدتين الاولى تفخيم شأن الاسباب التي
امّل بلوغها لان ايضاح الشئ بعد ابهامه انما يكون للاعتناء بشأنه والتنبيه على جلالة قدره والثانية تشويق السامع
الى معرفتها فان النفس توّاقة الى ما لم تنله فذكر الاسباب مبهمة لتتشوق نفس هامان الى معرفة المراد منها
ثم اوضحها ليكون ايرادها على نفس تيقظت وتشوقت الى معرفتها فحصل المقصود من ايرادها وكل ما يوصلك الى الشئ
فهو سبب له واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها ﴿قوله ولعله اراد ان يبنى له رصدا الخ﴾
يعني ان الظاهر ان فرعون لم يقصد ان يبنى له هامان بناء رفيعا يصعد منه الى السماء لان فرعون ليس من المجانين الذين
لا يعلمون امتناع ذلك بداهته والا لما صح من الله تعالى ان يرسل اليه رسولا ويكلفه الايمان به والامتثال
لامره وان يحكي عنه شدة شكيمته وعلوه في الاسراف وانما قلنا ان امتناع ذلك معلوم بالبداهة لان كل احد يعلم
بالبداهة ان ليس في وسع البشر ان يبنى ما هو ارفع من ارفع الجبال وان من نظر الى السماء من اسفل ما هو ارفع الجبال
ثم نظر اليها من اعلى ذلك الجبل لا يجد تفاوتا في نسبة السماء اليه بان تكون في احدى الحالتين اقرب اليه
منها في الحالة الاخرى ومع هذا العلم كيف يقصد العاقل ان يبنى بناء يصعد منه الى السماء وفرعون من العقلاء
فلا وجه لان يسند اليه مثل هذا القصد وان ذهب بعض اهل التفسير الى انه قد قصد ذلك وذكر حكاية طويلة
في كيفية بناء ذلك الصرح ولما كان قول هذا البعض بعيدا كل البعد ذكر المصنف في وجه امره لهامان ببناء الصرح
وجهين اولهما انه اراد بالصرح الرصد في موضع عال وبالاسباب الكواكب التي هي اسباب سماوية يتوصل بها
الى الاطلاع على الحوادث الارضية وباطلاعه الى اله موسى ان يطلع الى انه هل ارسل موسى عليه الصلاة
والسلام اولا وثانيهما ان فرعون كان من الدهرية وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا
ان العالم لم يزل موجودا كذلك من غير ان يستند الى صانع خارج من المجموع من حيث هو مجموع ولم يزل الحيوان
مثلا من النطفة والنطفة من الحيوان لا الى نهاية وهؤلاء هم الزنادقة وفرعون كان منهم وغرضه من هذا الكلام ايراد
شبهة في نفي الصانع الذي هو اله العالم وتقريرها انا لا نرى شيأ نحكم عليه بانه اله العالم فكيف نحكم بوجود ما لم نره
اما انا لا نراه فلأنه لو كان موجودا لكان في السماء وما في السماء لا يراه اهل الارض الا بصعود السماء ولا سبيل لنا
الى صعود السماء فلا سبيل لنا الى رؤية الاله الذي هو رب موسى والحكم بوجوده الا بتقليد رجل لا نعلم أصادق
هو ام كاذب ثم ان فرعون اراد المبالغة في بيان انه لا يمكن الصعود الى السماء فامر هامان بان يبنى له صرحا يصعد
منه الى السماء ليعترف بعجزه عنه مع انه اقدر اهل الارض فيتحقق امتناع الصعود الى السماء ويظهر به امتناع الوصول
الى معرفة اله العالم بطريق الرؤية والاحساس وهذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس السليم
والخبر الصادق ونظر العقل ولا يلزم من امتناع كون الحس طريقا الى معرفة الله تعالى امتناع معرفته مطلقا
وقد بين موسى لفرعون ان الطريق الى معرفة الله تعالى انما هو النظر والاستدلال بالآثار كما قال ربكم
ورب آبائكم الاولين وقال رب المشرق والمغرب الا ان فرعون بسبب خبثه ومكره تغافل عنه وألقى الى الجهال

وقرأ ابن عامر وابن ذكوان قلب بالتنوين على
وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم
رأت عيني وسمعت اذنه او على حذف مضاف
اي على كل ذي قلب متكبر (وقال فرعون
ياهامان ابن لي صرحا) بناء مكشوفا عاليا من
صرح الشئ اذا ظهر (لعلي ابلغ الاسباب)
الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق
للسامع الى معرفتها (فأطلع الى اله موسى)
عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على
جواب الترجي ولعله اراد ان يبنى له رصدا
في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله
اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره
من اله السماء متوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله
بالله وكيفية استنبائه (واني لاظنه كاذبا)
في دعوى الرسالة

(انه)

لما كان الطريق الى الاحساس بهذا الاله منتفيا وجب نفيه وتكذيب من يدعى انه رسول من قبله ﴿ قوله
مثل ذلك التزيين ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى زين له وصده تزيينا
صدا مثل ذلك التزيين والصد والمعتزلة لما ابوا من اسناد التزيين والصد اليه قالوا المزين والصاد هو الشيطان ونحن
ول ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا آخر لا الى نهاية لزم التسلسل فى الشياطين
الدور وهو باطل ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات الى واجب الوجود وان الفاعل الحقيق
الله تعالى وان اسناده الى الشيطان فى نحو قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم باعتبار ان له مدخلا فيها بوسوسته
﴿ قوله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح ﴾ اى بفتح الزاى لانه جرى ذكر الله موسى ومن قرأ وصد على بناء
الفاعل اسنده الى ضمير فرعون وحذف مفعوله اى صد قومه عن الهدى والرشاد ضد الغواية وكلاهما من صفات من
سلك السبيل والاضافة فى سبيل الرشاد من قبيل اضافة السبب الى المسبب اى سبيلا يرشد سالكه ويأمن من الغواية
﴿ قوله تمتع يسير ﴾ يعنى ان المتاع اسم بمعنى المتعة وهى التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة لان وقوعه خبرا
ن الحياة الدنيا يمنع منه وان التنكير فيه للتقليل وفى الصحاح المتاع السلعة والمتاع ايضا المتعة وهى ما تمتعت به
لما كانت هذه الحياة الدنيا ولذآئذها سريعة الزوال وكانت الآخرة دار القرار ظهر ان العاقل ينبغى ان يسعى
فيما يسعده فى دار الابد ويتمتع فى الدنيا بما يبلغه الى سعادة الآخرة لان الدآئم خير من المنقضى قال بعض العارفين
لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة
ذهب باق ولما بين ان سبيل الرشاد هو التجافى عن دار الفناء والغرور والانابة الى دار الابد والخلود بين كيف تحصل
المجازاة فى الآخرة فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها فى الاستحقاق * قال الامام فان قيل
كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد فى كفره انه طاعة وايمان فلهذا
السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد
فى حق فسقه انه جناية ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم كان عقابه منقطعا وما يقوله المعتزلة
من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دآئما بل هو منقطع
ايضا فمقابلته بعذاب دآئم تكون على خلاف قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ﴿ قوله وفيه دليل على ان
الجنايات ﴾ اى سوآء كانت فى النفوس او الاعضاء او الاموال تغرم بمثلها لانه تعالى بين ان جزآء السيئة سيئة مماثلة
لها فدلت الآية على وجوب رعاية المماثلة بينهما وان الزآئد على المثل غير مشروع ﴿ قوله ولعل تقسيم العمال ﴾
فى قوله من ذكر او انثى وقوله تعالى اولئك مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبره وتعريف المسند اليه بالاشارة للتنبيه
على ان المشار اليه جدير بالحكم المذكور وبعد اسم الاشارة لاجل الاوصاف المذكورة بعد المشار اليه كما فى قوله تعالى
اولئك على هدى من ربهم فان المشار اليه وهم المتقون قد عقب باوصاف هى الايمان بالغيب واقامة الصلاة
والانفاق مما رزقناهم ثم قيل اولئك على هدى للتنبيه على ان كونهم على الهدى عاجلا وفوزهم بالفلاح آجلا من
اجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة فكذا الحال ههنا فانه عرف المسند اليه بايراده اسم اشارة للتنبيه على ان
فوزهم بدخول الجنة وكونهم مرزوقين فيها بغير حساب من اجل اكتسابهم عملا صالحا حال اتصافهم بالايمان
ووجه دلالة هذا الاسلوب على تغليب جانب الرحمة ان الجزآء المذكور قد علق على ان يعمل العامل صالحا واحدا
من الصالحات بشرط الايمان فان صالحا فى قوله من عمل صالحا نكرة فى سياق الاثبات فلا تعم فجرى مجرى ان يقال
من ذكر كلمة او خطى خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة او تلك الخطوة مرة واحدة فكذا
ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب وان زنى
وان سرق ومن قال ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب منها يبقى خالدا فى النار ابدا فقد خالف هذا النص الصريح ولا خفاء
فى دلالة هذه الآية على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب حيث دلت على ان الصالح الواحد
يؤدى الى النعيم الدآئم وما اكتسبه صاحبه من السيئات وان كثرت معفو اما ابتدآء واما بعد ان يعاقب بما يماثله
﴿ قوله وان ثوابه ﴾ اى ثواب العمل اعلى من اجل الايمان لان ما ذكر من الثواب العالى لما جعل مشروطا
بالايمان دل ذلك على ان علو ذلك الثواب من اجل الايمان ﴿ قوله عن سنة الغفلة ﴾ اى عن غفلة كالسنة وهى
بكسر السين فتور يتقدم النوم فالاضافة فيه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء ﴿ قوله ومبالغة

(وكذلك) ومثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى (ياقوم اتبعونى اهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزآء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك (وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له

فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه﴾ فان تكرير ندآئهم باضافتهم الى نفسه يدل على انه ناصح لهم مخلص فى حقهم وان له مزيد شفقة واهتمام برشدهم فيكون مقابلة نصحه لهم بالاساءة والايذآء فى غاية القباحة فيكون المقصود من هذا الندآء مع ماذكر بعده من المنادى له توبيخ قومه باساءتهم اليه فى مقابلة نصحه لهم فان قوله تعالى مالى جملة اسمية والاستفهام فيه للتوبيخ وادعوكم فى موضع الحال من المنوىّ فى الخبر وتدعوننى عطف عليه ويحتمل ان تكون الجملة المعطوفة مع ماعطفت عليه كلاما مستأنفا لبيان الحال المستفهم عنها كأنه قيل كيف حالى معكم وهى انى ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان والتوحيد وتدعوننى الى النار بالاشراك ﴿قوله وعطفه على الندآء الثانى﴾ جملة اسمية اى وعطف قوله وياقوم مالى ادعوكم على قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وانما عطف عليه لاشتراكهما فى ان كل واحد منهما بيان وتفسير لما اجمل فى قوله اهدكم سبيل الرشاد فان الذى آمن نادى قومه اوّلا وامرهم بان يتبعوه فيما هو عليه ووعدلهم فى مقابلة اتباعهم اياه بان يهديهم سبيل الرشاد وذلك السبيل مجمل محتاج الى البيان والتفسير ثم ناداهم ثانيا وادخل هذا الندآء على ماهو بيان لما اجمله اوّلا فان قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ذم للدنيا بسرعة زوالها وتعظيم للآخرة بانها دار تستقرّ وتبقى ولايطرأ عليها الفناء وان اهلها يقرّون فيها من غير امد وانقضاء والمقصود منه ان يبين ان سبيل الرشاد ان لاينهمك المرء فى حظوظها ولذآئذها لعدم استقرارها وبقائها وان يسعى ويجتهد فيما يسعده فى دار الابد والبقاء ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون الكلام الذى دخل عليه الندآء الثانى بيانا لما قبله لم يعطف الندآء الثانى على الندآء الاوّل لان الندآء حكمه حكم مادخل عليه من الكلام فاذا دخل على كلام لو انفرد عن الندآء لم يدخله العاطف لايدخل العاطف على الندآء ايضا واذا دخل على مايجوز دخول العاطف عليه يجوز دخول العاطف على نفس الندآء ايضا وقد دخل الندآء الثانى فى الآية على ماهو بيان المجمل وتفصيل له فلم يجز عطفه عليه لان البيان لايعطف على المبين لكونه بمنزلة عطف الشئ على نفسه لكمال الاتصال بينهما فكذا لم يجز عطف الندآء الداخل على البيان على مادخل على المبين ﴿قوله فان مابعده ايضا تفسير لما اجمل فيه﴾ علة لقوله وعطفه على الندآء الثانى كأنه قيل انما قلنا ان الندآء الثالث معطوف على الندآء الثانى لانه يشارك الثانى فى كونه تفسيرا لما اجمل فى الاوّل تصريحا وتعريضا فان الندآء الاوّل تصريح بان السبيل الذى يدعوهم اليه سبيل الرشاد وتعريض بان سبيل قومه سبيل الغواية والضلال وكل واحد من السبيلين مجمل فقوله بعد الندآء الثالث ادعوكم الى النجاة تفسير وبيان للسبيل المصرّح به بان مآله النجاة من النار وقوله وتدعوننى الى النار بيان للسبيل المعرض به بان مآله النار ولما شارك الندآء الثالث للثانى فى ان كل واحد منهما تفسير لما اجمل فى الاوّل عطف الثالث على الثانى ﴿قوله او على الاوّل﴾ عطف على الثانى فى قوله وعطفه على الندآء الثانى اى ويجوز ان يكون الثالث معطوفا على الاوّل لكون مدخوله مغايرا لمدخوله بحيث لايكون تفسيرا له فان قوله مالى ادعوكم الى النجاة ليس من جنس قوله اهدكم سبيل الرشاد من حيث ان مدخول الندآء الاوّل يدل على الملاطفة ومحاض النصح والشفقة ومدخول الثالث يدل على الغلظة والمخالفة بينه وبينهم وانه محق وانهم مبطلون والوعيد بان مصيرهم الى النار ﴿قوله بدل او بيان﴾ يعنى ان قوله تدعوننى لأكفر بدل من قوله تدعوننى الى النار وفيه تعليل لمضمون متبوعه بان الكفر ماادّى الى الخلود فى النار ﴿قوله والدعاء كالهداية﴾ جواب عما يقال مابال فعل الدعاء حتى عدّى اوّلا بالى وثانيا باللام * واجاب بان تعديته بكل واحدة منهما لغة شائعة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له ﴿قوله والمراد نفى المعلوم﴾ وهو ربوبية مايزعمونه شريكا له تعالى كأنه قيل واشرك به ماليس شريكا له فى الربوبية فهو من باب نفى الشئ بنفى لازمه على سبيل الكناية فان عدم العلم بربوبية الشريك من لوازم عدم كونه شريكا فى الواقع وانما حمله على الكناية لان عدم العلم بالشئ لايكون سببا لانكار القوم فى دعوتهم اياه الى اشراكه به تعالى واتى بقوله تدعوننى جملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لاثبوت لها واتى بقوله وانا ادعوكم جملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها ﴿قوله اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها الخ﴾ يعنى ان مؤمن آل فرعون بعدما ردّ عليهم مادعوه اليه من الكفر والاشراك بقوله لاجرم استدل به على بطلان ربوبية الاصنام ويمكن تقريره بثلاثة اوجه الاوّل ان تنكير دعوة فى سياق النفى يدل على ان الاصنام لاتدعو الخلق الى عبادة انفسها اصلا ومن حق المعبود ان يدعو الناس الى عبادته بارسال الرسل وانزال الكتب وهذا الشأن منتف عن الاصنام بالكلية لانها فى الدنيا جمادات لاتستطيع شيأ

ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه وعطفه على الندآء الثانى الداخل على ماهو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاوّل فان مابعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا وتعريضا او على الاوّل (تدعوننى لأكفر بالله) بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (واشرك به ماليس لى به) بربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابدّ لها من برهان واعتقادها لايصح الا من ايقان (وانا ادعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة ومايتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة على التعذيب والغفران (لاجرم) لاردّ لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله (ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها مايقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها

ن دعاء غيرها وفى الآخرة اذا انشأها الله تعالى حيوانا ناطقا تبرّأ من عبدتها والثانى ان الاصنام كيف تكون ربا
ليس لها دعوة مستجابة من قبل عبدتها فان العبدة وان كانوا يدعون الآلهة لكنها لاتستجيب لداعيها حتى
ثبت لها دعوة مستجابة فلما لم تثبت لها دعوة مستجابة قيل ليس لها دعوة لان الداعى اذا دعا ولم يستجب له
كأنه لم يدع فقوله وليس له دعوة بتنكير دعوة فى سياق النفى الدال على الاستغراق مبنى على جعل الدعوة
لغير المستجابة كلادعوة او على تسمية المسبب وهو الاستجابة باسم السبب الذى هو الدعاء حيث ذكر الدعوة
واريد الاستجابة مجازا مرسلا لعلاقة السببية والثالث كالثانى بحسب المعنى الا انه قدر المضاف فى قوله ليس له
دعوة اى ليس له استجابة دعوة اصلا ﴿قوله وقيل جرم بمعنى كسب﴾ اى قيل لارد لما دعوه
اليه من الكفر والاشراك وقوله جرم فعل بمعنى كسب وفاعله المستكن فيه راجع الى الدعاء الذى دل عليه
تدعوننى لاكفر بالله واشرك به وانّ انمع مافى حيزها مفعول جرم بمعنى كسب ومعناه كون دعائهم اياه الى
الاشراك وعبادة الاصنام سببا فى بطلان تلك الدعوة والعبادة كأنه قيل انكم تزعمون ان دعاءكم الى الاشراك
يبعثنى على الاقبال عليه والحال انه سبب للاعراض عنه وظهور بطلانه ﴿قوله وقيل فعل﴾ عطف على
قوله وجرم فعل بمعنى حق فعلى هذا يكون جرم اسم لامبنيا على الفتح لافعلا ماضيا كما هو كذلك على الوجهين الاولين
﴿قوله ويؤيده﴾ اى يؤيد كون جرم بالفتحات اسم لاقولهم لاجرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء
ووجه التأييد ان جرم فيه اسم لا بلاشبهة وان فعلا وفعلا اخوان يجيئان بمعنى واحد كالرشد والرشد والعدم والعدم
وانهما لغتان بمعنى واحد فكما ان معنى لابدّ انك تفعل كذا لابدّ لك من فعله فكذلك معنى لاجرم ان ما تدعوننى اليه
ليس له دعوة لاجرم ان لهم النار اى لاقطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لاانقطاع لاستحقاقهم ولاقطع
لبطلان دعوة الاصنام اى لاتزال باطلة ولا ينقطع ذلك فينقلب حقا ولما بلغ مؤمن آل فرعون فى باب النصيحة
الى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم عند معاينة العذاب حين لاينفعكم
الذكر وهو كلام مجمل فى باب التخويف بعد تفصيل وجوهه ولما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه
وخوفوه بالقتل فعوّل فى دفع مكرهم وكيدهم على الله تعالى حيث قال وافوّض امرى الى الله كما رجع موسى
اليه تعالى حين خوّفه فرعون بالقتل فقال انى عذت بربى وربكم من كل متكبر قال مقاتل لما قال المؤمن
هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه فذلك قوله تعالى فوقاه الله سيئات
ما مكروا وقال الضحاك ارادوا قتله فتراءى له جبل فصعده فكان من يأتيه من جنود فرعون تأكله السباع
او رجع عنه فيقتله فرعون وقيل انهم قتلوه مع السحرة فعلى هذا يكون ضمير فوقاه راجعا الى موسى ﴿قوله
الغرق او القتل او النار﴾ الاول على ان يكون المراد بآل فرعون نفس فرعون وقومه والثانى ان يكون المراد به
طلبة المؤمن والثالث على ان يكون قوله النار خبر محذوف وهو ضمير سوء العذاب او بدلا منه فان كان المراد
بسوء العذاب الغرق او القتل يكون الاستئناف لبيان حالهم بعدما حاق بهم سوء العذاب من الغرق او القتل
وان كان المراد به النار يكون الاستئناف لبيان كيفية تعذيبهم المدلول عليه بقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب
ويكون قوله يعرضون استئنافا آخر لبيان كيفية تعذيبهم بها ﴿قوله مثل يصلون﴾ اى يدخلون من قولك
صليت العود نارا اذا ادخلته النار وقوله يعرضون لكونه بمعنى يحرقون يفسر هذا المضمر بمعنى انه يدل على اضماره
فان احراقهم بالنار انما يكون بعد ادخالهم فيها فكأنه قيل يصلون النار يعرضون عليها واستدل بهذه الآية على
ثبوت عذاب القبر اذ ليس المراد بها انهم يعرضون عليها فى الدنيا لان العرض المذكور فيها ما كان حاصلا فى الدنيا
فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة فدلت الآية على ثبوت العرض لارواحهم كما روى
عن ابن مسعود انه قال ان ارواح آل فرعون فى اجواف طير سود تغدو وتروح الى النار يعرضون على النار كل
يوم مرتين فيقال يا آل فرعون هذه داركم وهذا يؤذن بان العرض ليس بمعنى التعذيب والاحراق بل هو بمعنى
الاظهار والابراز وان الكلام على القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض فان اصله عرضت الحوض
على الناقة بسوقها اليه وايرادها عليه فكذا هنا اصل الكلام النار تعرض عليهم اى على ارواحهم بان تساق
الطير التى ارواحهم فى اجوافها الى النار وعن مقاتل وقتادة والسدّى والكلبى رحمهم الله تعرض روح كل
كافر على النار غدوّا وعشيا ما دامت الدنيا وعن نافع عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى
كسب ذلك الدعاء اليه ان لادعوة له بمعنى
ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدّ
من لابدّ فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى
لاقطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى
لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم
لاجرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وان
مردنا الى الله) بالموت (وان المسرفين)
فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء
(هم اصحاب النار) ملازموها (فستذكرون)
فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب
(ما اقول لكم) من النصيحة (وافوّض امرى
الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله بصير
بالعباد) فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم
المفهوم من قوله (فوقاه الله سيئات ما مكروا)
شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى (وحاق
بآل فرعون) بفرعون وقومه واستغنى
بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل
بطلبة المؤمن من قومه فانه فرّ الى جبل فاتبعه
طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف
حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب)
الغرق او القتل او النار (النار يعرضون عليها
غدوّا وعشيا) جملة مستأنفة او النار خبر
محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل
ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل
يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم
على النار احراقهم بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه
ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على
النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة

ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة رواه الشيخان فى صحيحيهما ﴿ **قوله** وذكر الوقتين يحتمل التخصيص ﴾ لجواز ان يكتفى فى القبر بتعذيبهم بهذا النوع من العذاب فى هذين الوقتين وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فامّا ان ينفس عنهم او يعذبوا بنوع آخر من العذاب ويحتمل ان يكون ذكر الوقتين كناية عن الدوام كما فى قوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا *فان قيل الغدوّ والعشيّ انما يحصلان فى الدنيا واما فى القبر فلا وجود لهما فيه فكيف يمكن حمل الآية على عذاب القبر *قلت انما هو امر تقديرىّ بحسب بكرة يوم الدنيا وعشيته ﴿ **قوله** فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ويوم تقوم معمول لقول مضمر حكى به الجملة الامرية التى هى قوله ادخلوا بهمزة وصل على انه امر من دخل يدخل وآل فرعون منادى حذف حرف النداء منه واشدّ العذاب مفعول به وقرئ بهمزة القطع على انه امر للملائكة من أدخل يدخل وآل فرعون مفعوله الاوّل واشدّ العذاب ثانى مفعوليه قال ابن عباس يريد به الوان العذاب الذى كانوا يعذبون به منذ اغرقوا ﴿ **قوله** ويحتمل عطفه على غدوّا ﴾ فلا يكون معمولا لاذكر بل يكون ظرفا لقوله يعرضون اى يعرضون على النار فى هذه الاوقات كلها وعلى تقدير كونه معمولا لاذكر يكون وجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما ختم قصة آل فرعون عند قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشدّ العذاب وانجرّ الكلام فى تلك القصة الى شرح احوال اهل النار ذكر الله تعالى عقيبها قصة المناظرات التى تجرى بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال واذكر اذ يتحاجون الآية اى يتخاصمون ثم شرح خصوماتهم وفصلها بقوله فيقول الضعفاء للرؤساء هل تقدرون على ان تدفعوا عنا نصيبا من العذاب يقصدون بذلك توبيخ الرؤساء وايلام قلوبهم والمبالغة فى اظهار عجزهم لانهم يعلمون ان الرؤساء لا يقدرون على تخفيف شئ من العذاب ﴿ **قوله** او ذوى تبع ﴾ على ان يكون قوله تبعا مصدرا بمعنى الاتباع يقال تبع القوم تبعا اذا مشى خلفهم واخبار الضعفاء عن انفسهم بانهم كانوا اتباعا للرؤساء مبنى على اضمار المضاف او على انه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل بمعنى ذى عدل او عادل ﴿ **قوله** ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون ﴾ فان اغنى قد يتعدّى بنفسه فيقال اغناه الله وقد يتعدى بكلمة عن فيقال مايغنى عندك هذا اى مايجزى عنك وماينفعك واذا عدّى بعن لا يتعدّى الى مفعول آخر بنفسه وقد عدّى ههنا الى قوله نصيبا فذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاوّل انه مفعول لفعل مقدّر دل عليه مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا والثانى ان يضمن مغنون معنى حاملين والثالث ان ينتصب على المصدر كانتصاب شيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فان شيأ فيه فى موضع اغناء فكذلك نصيبا وقوله من النار متعلق به وكل فى قول الرؤساء انا كل فيها مرفوع على الابتدآء فى قرآءة العامة وفيها خبره والجملة خبران وكل وان كان لفظه نكرة الا انه جاز الابتدآء به لكونه معرفة من حيث المعنى لان التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اى كلنا فيها والمصنف اشار اليه بقوله نحن وانتم وهذا كقوله تعالى فى آل عمران قل ان الامر كله لله فى قرآءة ابى عمرو ﴿ **قوله** فانه لا يعمل فى الحال المتقدّمة ﴾ يعنى ان المستكنّ فى الظرف معمول له فكون قوله كلا حالا من المستكنّ فيه يستلزم ان يكون معمولا له ايضا والظرف وان جاز ان يعمل فى الظرف المتقدّم لا يعمل فى الحال المتقدّمة فلا يجوز ان يقال قائما فى الدار زيد ويجوز ان يقال كل يوم لك ثوب قيل عليه قد اجاز الاخفش ان يعمل الظرف فى الحال المتقدّمة اذا توسطت الحال نحو زيد قائما فى الدار وزيد قائما عندك والآية من هذا القبيل لان كلا فيها قد وقع بين المسند اليه الا ان يقال مراد المصنف بقوله ولا يجوز جعله حالا انه لا يجوز عند الجمهور ولما اجاب الرؤساء اياهم بانا لو قدرنا على الاغناء لاغنينا انفسنا وبانه تعالى قد حكم بين العباد بما يستحقه كل احد فلا معقب لحكمه اعرض الضعفاء عن المتبوعين والتجأوا الى خزنة جهنم وهم القوّام بتعذيب اهلها طمعا فى التخفيف بدعائهم لهم ﴿ **قوله** او لبيان محلهم فيها ﴾ اى محل الخزنة فى النار على ان لا يكون النار وجهنم اسمين لمسمى واحد بل يكون جهنم اسما لموضع فى النار هو اشدّ المواضع قعرا وبعدا فيها من قولهم بئر جهنام اى بعيدة القعر يعاقب فيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع تكون اعظم خزنة النار قدرا ودرجة عند الله تعالى فلما عرفت الكفار ان الامر كذلك استعانوا بهم من بين خزنة النار فقوله ويحتمل ان يكون جهنم الخ من تتمة قوله او لبيان محلهم فيها ﴿ **قوله** قدر يوم ﴾ اشارة الى ان قوله يوما ظرف لقوله يخفف ومفعوله

وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (ويوم تقوم الساعة) اى هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (اشدّ العذاب) عذاب جهنم فانه اشدّ مما كانوا فيه او اشدّ عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوّا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوّز (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فكون من صلة لمغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكنّ فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدّمة كما يعمل فى الظرف المتقدّم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) اى لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوم (من العذاب) شيأ من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه

(محذوف)

وف ومن العذاب بيان لذلك المحذوف اى يخفف شيأ من العذاب فى مقدار يوم واحد من ايام الدنيا ثم اشار الى
از ان يكون يوما مفعول يخفف بتقدير المضاف اى يخفف عنا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يخفف و انما يخفف
يه و من العذاب بيان لذلك المقدر الذى سألوا ان يخفف عنهم فاجابهم الخزنة موبخين اياهم على ترك اجابتهم دعوة
سل فى الدنيا بقولهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اى كيف تدعو ربنا بما ذكرتم و قد تركتم اجابتكم دعوة
سل بتصديقهم والايمان بهم بل كفرتم بهم وكذبتم بالآيات ﴿قوله اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم﴾ اى لا تنفع
شرطين احدهما ان يكون المشفوع له مؤمنا و الثانى حصول الاذن فى الشفاعة ولم يوجد شئ من هذين
شرطين و ليس قولهم فادعوا الرجاء المنفعة و لكن للدلالة على الخيبة ثم صرحوا بانه لا اثر لدعائهم فقالوا و مادعاء
كافرين من اضافة المصدر الى فاعله بمعنى مادعاء الكافرين لانفسهم و يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى
وله اى ومادعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم الا فى ضلال ثم انه تعالى لما بين ان الكفار لا ينصرون فى الآخرة
ة ذكر ان النصرة فى الدنيا و الآخرة لمن تكون فقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بهم و صدقوهم فقد وعد
تولى نصرة اهل الحق من الرسل واتباعهم فى الدنيا والآخرة ونصرتهم فى الدنيا تكون من وجوه منها ان ينصرهم
ة و البرهان فان اهل الزيغ حجتهم داحضة بخلاف حجة المحقين فانه يمتنع ان يتطرق اليها الخلل والفتور ابد الآباد
سمى الله تعالى هذه النصرة سلطانا فى غير موضع وهى اقوى من سلطنة الدنيا لانها قد تبطل و قد تتبدل بالفقر
ذلة بخلاف سلطنة الحجة و منها ان ينصرهم بان يجعل الظفر و القهر و الغلبة فى المحاربة لهم على اعدآئهم
لم يرو يكون الرسول مغلوبا فى المحاربة و ان اتفق ان يقع لبعض من المحقين نوع من انواع المكاره من قبل
دآئهم كما وقع ليحيى و زكريا و بعض آخر من الانبياء عليهم الصلاة و السلام فانه تعالى قد انتقم لهم من اعدآئهم
الدنيا ولو بعد حين ألا ترى ان يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا على يد بخت نصر ومنها انهم منصورون
ح و التعظيم ايضا فان اعدآءهم و ان غلبوا عليهم فى بعض الاحيان الا انهم لا يقدرون على اسقاط مدحهم
ألسنة الناس و اسقاط تعظيمهم و محبتهم من قلوبهم فهم منصورون فى الدنيا باحد هذه الوجوه لا محالة و فى
آخرة ايضا باعلاء درجاتهم فى مراتب الثواب وتعذيب اعدآئهم فى دركات العقاب و انما آثر قوله و يوم يقوم
شهاد على قوله و فى الآخرة للايذان بان السلطان العظيم اذا خص بعض اوليائه بالاكرام و التشريف بمحضر
شهاد والجمع العظيم يكون ذلك الذ و ابهج بالنسبة الى الكرامة فى الخلوة والمراد بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد
م القيامة من الملائكة و الانبياء و المؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا و اما الانبياء
هم يحضرون يوم القيامة ليشهدوا على الامم بالتصديق و التكذيب قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
جئناك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فانهم يشهدون على الناس ايضا يوم القيامة قال تعالى و كذلك جعلناكم
ة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا ثم انه تعالى بين ان اكرام الانبياء و تشريفهم
ون فى يوم القيامة بان يحصل لاعدآئهم فيه امور ثلاثة الاول انهم لا ينفعهم شئ من المعاذير البتة و الثانى ان لهم
نة وهذا يفيد انحصار اللعنة فيهم و هى الاهانة و الاذلال و الثالث اختصاصهم بسوء الدار و المقصود من بيان
رام الانبياء فى زمان اهانة الاعدآء تعظيم ثواب الانبياء لان الاشياء تعرف باضدادها ﴿قوله و عدم نفع
عذرة الخ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار الا انها لا تنفعهم
وجه الجمع بين هذا و بين قوله و لا يؤذن لهم فيعتذرون * وتقرير الجواب ان قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل
على انه ليس عندهم عذر مقبول نافع و صدقه لا يستلزم انهم يذكرون الاعذار و لكنها لا تنفعهم بل يصدق
لا يعتذروا اصلا فان من لم يعتذر اصلا يصدق ان يقال انه لم يعتذر بما ينفعه فلا منافاة بينهما ان كان سلب النفع
تفاء اصل المعذرة و اما ان كان سلب النفع عنها مبنيا على انهم يذكرون الاعذار ولكنها لا تنفعهم لبطلانها فحينئذ
تاج فى دفع التناقض الى اعتبار تعدد الاوقات فان يوم القيامة يوم طويل فجاز ان يعتذروا فى وقت آخر بان
عوا من الكلام بان يقال لهم اخسأوا و لا تكلمون ثم انه تعالى لما بين انه ينصر الانبياء و من آمن بهم فى الدنيا
الآخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة فقال ولقد آتينا موسى الهدى ﴿قوله وتركنا عليهم بعده﴾
ارة الى ان قوله اورثنا مستعار لتركنا عليهم بعده لتعذر حمله على اصل معناه لان الايراث الحقيقى انما يتعلق
ال و النكتة فى اختيار طريق التجوز الاشعار بان ميراث الانبياء ليس الا العلم و الكتاب الهادى فى باب الدين

﴿قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ ارادوا به الزامهم للحجة و توبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء و تعطيلهم اسباب الاجابة ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ فانا لا نجترئ فيه اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم و فيه اقناط لهم من الاجابة ﴿و مادعاء الكافرين الا فى ضلال﴾ ضياع لا يجاب ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ بالحجة و الظفر و الانتقام لهم من الكفرة ﴿فى الحياة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد﴾ اى فى الدارين و لا ينتقض ذلك بما كان لأعدآئهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة و الانبياء و المؤمنين ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ بدل من الاول و عدم نفع المعذرة لانها باطلة اولانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين و نافع بالتاء ﴿و لهم اللعنة﴾ البعد من الرحمة ﴿و لهم سوء الدار﴾ جهنم ﴿و لقد آتينا موسى الهدى﴾ ما يهتدى به فى الدين من المعجزات و الصحف و الشرآئع ﴿و اورثنا بنى اسرآئيل الكتاب﴾ و تركنا عليهم بعده

﴿قوله من ذلك﴾ اشارة الى الهدى خص الكتاب بكونه متروكا لهم بعده لان سائر مااهتدى به فى امر الدين قدار تفع بموته ﴿قوله هداية وتذكرة﴾ يعنى ان هدى وذكرى يجوز ان يكونا مفعولين لهما وان يكونا مصدرين بمعنى اسم الفاعل وقعا موقع الحال وانتصبا على الحالية والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى مايكون دليلا على شئ آخر وليس من شرطه ان يذكر شيأ آخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذى يكون كذلك وكتب الانبياء مشتملة على هذين القسمين فان بعضها دلائل فى انفسها وبعضها مذكرات لما ورد فى الكتب الالهية المتقدمة ﴿قوله واستشهد بحال موسى﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فاصبر مرتب على قوله انا لننصر رسلنا وان قوله ولقد آتينا موسى الهدى كالجملة المعترضة اوردت بينهما للبيان والتأكيد لنصرة الرسل كأنه قيل اذا سمعت ماوعدت به من نصرة الرسل ومافعلنا بموسى من ايتائه اسباب الهدى والنصرة على فرعون وقومه وابقاء آثار هداه فى بنى اسرآئيل بعده فاعلم ان الله ناصرك كما نصرهم واصبر على اذى المشركين فان العاقبة لك ﴿قوله وتدارك فرطاتك﴾ قيل المصدر فى قوله تعالى واستغفر لذنبك مضاف الى المفعول اى لذنب امتك فى حقك والظاهر انه تعالى يقول مااراد ان يقول وان لم يجز لنا ان نضيف اليه ذنبا وقيل هذا تعبد من الله تعالى لرسوله ليزيد به درجة وليصير ذلك سنة لمن بعده ﴿قوله ودم على التسبيح والتحميد لربك﴾ اشارة الى ان المقصود من ذكر العشىّ والابكار الدلالة على المداومة عليها فى جميع الاوقات بناء على ان الابكار عبارة عن اوّل النهار الى نصفه والعشىّ عبارة عن نصف النهار الى اوّل النهار من اليوم الثانى فيدخل فيهما كل الاوقات وقيل المراد بهما طرفا النهار كما قال اقم الصلاة طرفى النهار وكثيرا مايذكر طرفا الشئ ويراد كله ﴿قوله بل هو المسيح بن داود﴾ يعنون به الدجال فان اليهود قالوا فى صدد الانكار لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج صاحبنا الدجال ويبلغ سلطانه البرّ والبحر وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فالآية وان نزلت فيهم او فى مشركى مكة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذلك قال المصنف الذين يجادلون عام فى كل مجادل مبطل سوآء كان من اليهود او من مشركى مكة او غيرهما فهو تعالى لما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون فى آيات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه الله تعالى على ان الداعية التى دعتهم الى تلك المجادلة الباطلة الكبر الذى فى صدورهم اى فى قلوبهم عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع القلب فكنى به عنه وفسر الكبر اوّلا بالتكبر عن الحق والتعظم عن تعلمه والتفكر فيه وفسره ثانيا بارادة التقدّم والرياسة على النبىّ والمؤمنين وان لايكون احد فوقهم فلذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعوا آياته خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت يده وامره ونهيه لان النبوّة تحتها كل ملك ورياسة وفسره ثالثا بانه ارادة ان تكون لهم النبوّة دونه حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ام يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله وقوله لوكان خيرا ماسبقونا اليه واعتبرت الارادة فى هذين الوجهين لان نفس الرياسة والنبوّة ليستا فى قلوبهم ﴿قوله ببالغى دفع الآيات﴾ على ان يكون ضمير ببالغيه راجعا الى الكبر بمعنى التكبر والتعظم من الانقياد للحق بتقدير المضاف اى ماهم ببالغى مقتضى كبرهم وهو دفع الآيات فانى انشر انوارها فى الآفاق واعلى قدرك وانفذ امرك ونهيك بين العباد ﴿قوله او المراد﴾ مبنى على ان يكون الكبر بمعنى ارادة الرياسة او ارادة الاختصاص بالنبوّة فيكون كل واحد منهما مرادا ﴿قوله فالتجئ اليه﴾ فى السلامة من كيد من يحسدك ويتكبر عن متابعتك ﴿قوله وهو بيان لأشكل مايجادلون فيه بامر التوحيد﴾ اى لاشبهة بذلك فى كونه معظم مايجب الاعتقاد به فان اوّل مايجب على المكلف بعد الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وبالرسالة ان يعتقد بحقية البعث والجزآء فان الاعتقاد بها هو الذى يحمل المكلف على رعاية احكام الشرع وان المجادلة فيها اصل المجادلة فى كل شئ ومدارها لان من اعترف بالبعث والحساب يترك المجادلة فى آيات الله تعالى رأسا ويجتهد فى رعاية جميع ماجاء به الشارع من الاحكام فعلى هذا يكون قوله اشكل اسم تفضيل من الشكل بمعنى المثل وتكون الباء فى قوله بامر التوحيد صلة الشكل ولم توجد كلمة الباء فى اكثر النسخ فينبغى ان يكون امر التوحيد حينئذ منصوبا بنزع الخافض وفى الصحاح الشكل بالفتح المثل والجمع اشكال يقال هذا اشكل بكذا اى اشبه به ومقصود المصنف من هذا الكلام الاشارة الى وجه اتصال قوله تعالى لخلق السموات والارض الآية بقوله ان الذين يجادلون فى آيات الله الآية فان امر البعث كان مما يجادلون فيه وينكرونه بل هو مبنى مجادلتهم فى كل مايجادلون فيه واشبه بامر التوحيد من بين جميع مايجادلون فيه فلا جرم

من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على اذى المشركين (ان وعد الله حق) بالنصر لايخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) وأقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشىّ والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البرّ والبحر ويسير معه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوّة والملك لايكون الا لهم (ماهم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات او المراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالهم وافعالهم (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها اوّلا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لأشكل مايجادلون فيه بامر التوحيد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) لانهم لاينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهوآءهم

احتج الله على حقيته بانكم تعترفون بان خالق السموات و الارض هو الله تعالى و بانها خلق عظيم لايقادر قدره وان خلق الانسان بالقياس اليه شئ قليل مهين لاسيما خلقه على وجه الاعادة فمن قدر على خلقها مع عظمها كيف يعجز من خلق ماهو احقر منها واهون وهذا الاحتجاج ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لان الاستدلال بالشئ على غيره على ثلاثة اوجه الاوّل ان يقال من قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد والثانى ان يقال من قدر على شئ وجب ان يقدر على مثله وهو استدلال صحيح لما تقرّر ان حكم الشئ حكم مثله الثالث ان يقال من قدر على الاعظم الاقوى وجب ان يقدر على الادنى الاضعف بالاولوية وهذا استدلال فى غاية الصحة و القوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ﴿قوله الغافل والمستبصر﴾ يعنى ان المراد بالاعمى من عمى قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها وبالبصير من ابصرها واستدل بها وهو احتجاج آخر على حقية البعث و الجزآء واشار اليه المصنف بقوله فينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت ﴿قوله وزيادة لا فى المسئ﴾ اراد بزيادتها مجرّد ذكرها لا ذكرها خالية عن المعنى ويشهد عليه قوله لان المقصود الخ* اعلم ان الاخفش ذهب الى ان كلمة لا الواقعة بين فاعلى فعل الاستوآء زآئدة انما وقعت واستدل عليه بان فعل الاستوآء مثبتا كان او منفيا لايكون الا بين اثنين او اكثر ومن ثم لزم العطف على فاعله واسناده الى ضمير التثنية او الجمع ولا يصح اسناده الى كل واحد من المتقابلين بانفراده لاستحالة قيامه وحده فلو قيل لايستوى زيد ولا عمرو وجب ان تجعل لا زآئدة وذهب الجمهور الى انها ليست بزآئدة بل يؤتى بها لتفيد نفى مساواة كل واحد من المتقابلين للآخر فيما يخصه من المعانى والاوصاف والمعنى فى الآية نفى مساواة المحسن للمسئ فيما يستحقه من الحقارة والهوان ونفى مساواة المسئ للمحسن فيما له من الفضل و الكرامة كأنه قيل ومايستوى المؤمن الذى عمل صالحا و المسئ ولا المسئ و المؤمن ﴿قوله والعاطف الثانى﴾ وهو ما فى قوله والذين فانه ثان بالنسبة الى ما فى قوله والبصير يعنى ان البصير عطف على الاعمى عطف فرد على فرد نفى استوآءهما اوّلا ثم عطف مجموع الموصول وما عطف عليه عطف فرد على فرد على مجموع الاعمى والبصير عطف شفع على شفع فافاد انهما لايستويان ايضا لان المجموع الثانى يغاير المجموع الاوّل بحسب الوصف وان اتحدا بحسب الذات فان مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المحسن والمسئ الا انهما متغايران بحسب الوصف فان الطائفتين اللتين نفيت المساواة بينهما عبر عنهما اوّلا بالاعمى والبصير وثانيا بالمؤمن والمسئ الفاجر ولا تغاير بينهما الا بحسب الوصف بناء على ان المقصود بالوصفين الاوّلين مغاير لما قصد بالوصفين الاخيرين ﴿قوله او الدلالة بالصراحة والتمثيل﴾ هذا على ان يكون المقصود بما ذكر من الوصفين اوّلا عين ماذكر منهما ثانيا بان يكون الاعمى مثلا للمسئ والبصير مثلا للمؤمن العابد فحينئذ لايكون بين الشفعين الاخيرين فرق الا بان يدل احدهما على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا فان الشفع الثانى حينئذ وان اتحد بالشفع الاوّل بحسب الذات وبحسب ماقصد بهما من الوصفين الا ان احدهما يدل على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا ﴿قوله تذكرا ما قليلا تذكرون﴾ يعنى ان قليلا صفة لمصدر محذوف ليتذكرون وما لتأكيد معنى القلة والمعنى انهم وان كانوا يعلمون ان التبصر خير من الغفلة ولا يستويان وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انهم يتذكرونه تذكرا قليلا والمراد لايتذكرونه ﴿قوله والضمير﴾ اى ضمير يتذكرون ان قرئ بياء الغيبة للناس المدلول عليه بقوله ولكن اكثر الناس لايعلمون فان اكثرهم ينكرون البعث والحساب فلا يتذكرون عدم استوآء المحسن والمسئ او للكفار المدلول عليه بقوله ان الذين يجادلون فى آيات الله ووجه القرآءة بتاء الخطاب اما تغليب المخاطبين فيكون التوبيخ اشمل حيث يتناول غير الذين اخبر عنهم بقوله ان الذين يجادلون واما الالتفات الى المجادلين المذكورين بعد الاخبار عنهم واما كونه مقولا لقول مضمر اى قل لهم قليلا ما تتذكرون قيل التغليب وان كان اعم واشمل لكنه غير مناسب للمقام بخلاف الالتفات فانه اتم فائدة وانسب للمقام لان العدول من الغيبة الى الخطاب فى مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والانكار البليغ ﴿قوله لوضوح الدلالة على جوازها﴾ علة لانتفاء الريب فى مجيئها فان ما قام الدليل الواضح على امكانه وجواز وقوعه اذا اجتمع الرسل المتصفون بالمعجزات على الاخبار بوقوعه يكون وقوعه مقطوعا به بلا ريب ومن جملة دليل جوازها ماذكر آنفا بقوله لخلق السموات والارض وماذكر بعده بقوله ومايستوى الاعمى والبصير وهذا يدل على ان الحكمة تقتضى وقوعها فهو تعالى لما استدل على جواز وقوعها وبين قضاء الحكمة بوقوعها ذكر بعده انها آتية لا محالة ثم امرنا بعبادته ووعدنا الاثابة فى مقابلتها فقال ادعونى استجب لكم فانه لما كانت الحكمة فى وقوعها

(ومايستوى الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) والمحسن والمسئ فينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسئ لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ماتتذكرون) اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لا يصدّقون بها لقصور نظرهم على ظاهر مايحسون به

مجازاة كل واحد من المحسن والمسيء على وفق عمله امرنا باحسان العمل ليحسن جزآؤنا وبين ان جزآء المستكبرين عن عبادته سوء الجزآء واختلف الناس في المراد بقوله ادعونى فقيل انه امر بالسؤال والتضرع وقيل انه امر بالعبادة واستدل عليه بقوله تعالى بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتى فانه لولا ان المراد بالدعاء مطلق العبادة لكان المناسب ان يقال بعده ان الذين يستكبرون عن دعائى ومسألتى ولما اردفه بقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى علم ان المراد بالدعاء العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء عبر عن الاثابة بالاستجابة رعاية للتشاكل ويدل على صحة هذا التفسير ماروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الدعاء هو العبادة * ثم قرأ هذه الآية * ومن حمل كلا من الدعاء والاستجابة على ظاهره ورد عليه ان يقال كيف يحمل عليه وقد قيل بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتى وكان الظاهر حينئذ ان يقال ان الذين يستكبرون عن دعائى فاشار المصنف الى جوابه بقوله وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته اذ الاستكبار الصارف عن العبادة متحد به ادعاء للمبالغة فى استلزام كل واحد الآخر فان من استكبر عن مسألة الاحسان من الكريم المنان يستكبر عن عبادته وطاعته ايضا ومن استكبر عن طاعته يستكبر عن مسألة فضله واحسانه فصح بذلك تنزيل كل واحد منهما منزلة الآخر وارادته بدله واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد بالعبادة فى قوله يستكبرون عن عبادتى هو الدعاء وعبر عن الدعاء بالعبادة ليعلم ان الدعاء باب من ابوابها كما ورد فى الحديث * ان الدعاء مخ العبادة * فان الدعاء هو الخضوع للبارى مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال افضل العبادة الدعاء لما حث الله تعالى عباده على عبادته ذكر دلائل دالة على وجوده وكمال قدرته ووفور رحمته وبالغ حكمته ليكون ذلك أدعى لهم الى عبادته ودلائل وجوده تعالى وقدرته اما فلكية او عنصرية فبدأ بايراد الدلائل الفلكية فقال الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية وهى كالتعليل للامر بالدعاء كأنه قيل انى انعمت عليكم بهذه النعم الجليلة قبل ان تسألوها ومن هذا شأنه كيف لا يستحق العبادة وكيف لا يستجيب دعاء عبده فيما سأله ﴿قوله ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس﴾ لف ونشر مرتب فان الليل لكونه باردا رطبا تضعف فيه القوى الحركة ولكونه مظلما يؤدى الى سكون الحواس فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة اشتغالها واعمالها ﴿قوله يبصر فيه او به﴾ تصريح بان النهار ظرف الابصار او سببه وليس فاعلا له ليظهر ان اسناد الابصار اليه مجاز مبنى على الملابسة من جهة الظرفية او السببية والوجه فى دلالة هذا الاسناد المجازى على المبالغة فى اتصاف الفاعل الحقيقى للابصار به انه لو قيل وجعل لكم النهار لتبصروا فيه او به لم يفهم الا كون النهار ظرفا للابصار او سببا له ولما جعل نفس النهار مبصرا فهم ان النهار لكمال سببية الابصار وكثرة القوة الباصرة فيه جعل كأنه هو المبصر وان فعل الفاعل الحقيقى اذا اسند الى وقته مثلا مثل ان يقال صام نهاره او نهاره صائم يفهم انه لكثرة صومه فى النهار وقوة ملازمته للصوم فيه صح ان يوصف نهاره بكونه صائما وكذا الابصار ﴿قوله ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال﴾ جواب عما يقال حق المقابلة يقتضى ان يقال والنهار لتبصروا على وفق قوله لتسكنوا ولم يقل هكذا بل قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال * وتقرير الجواب انه عدل عن مقتضى الظاهر للدلالة على المبالغة المفهومة من الاسناد المجازى ﴿قوله لا يوازيه فضل﴾ يعنى ان تنكير الفضل لتعظيمه ولو قيل لمفضل لدل تنكيره على تعظيم ذات المفضل ولا يعلم صريحا ان عظمته أهى لعظم افضاله ام لعظم غيره ﴿قوله لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم﴾ اى رفعة شأنها وعلو قدرها فى الصحاح الوقع بالتسكين المكان المرتفع علل الشكر بامرين احدهما الجهل بالمنعم فان من اعتقد ان هذه النعم ليست من الله تعالى كيف يشكره كالدهرية مثلا فانهم يزعمون ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها وواجبة الدوران المستدعى لاختلاف اوضاعها واوضاع ما فيها من الكواكب وان النعم الحاصلة فى العالم السفلى مستندة اليها فمع هذا الاعتقاد كيف يشكرون المنعم الحقيقى وثانيهما ان يعتقد الرجل ان كل العالم من الله تعالى حاصل بتخليقه وتكوينه الا انه لاستغراقه فى نعم الله تعالى عليه ودورها عليه فى كل لحظة وآن وعدم ذوقه ألم فقدانها قد ينسى قدرها ويغفل عن كونها نعمة جليلة فيترك شكرها لذلك ثم اذا ابتلى بفقدان شئ منها فحينئذ يعرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعياذ بالله ان يحبسه بعض الظلمة فى بئر عميق مظلم مدة مديدة فانه حينئذ يعرف قدر نعمة الهوآء الصافى وقدر نعمة الضوء ﴿قوله وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم﴾ يعنى ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر الناس الا انه وضع الظاهر موضع الضمير ليفهم اختصاص كفران

(النعمة)

﴿وقال ربكم ادعونى﴾ اعبدونى ﴿استجب لكم﴾ اثبكم لقوله ﴿ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء ﴿الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس ﴿والنهار مبصرا﴾ يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم

النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه فان وضع المظهر المعرّف باللام موضع المضمر يفيد اختصاص الحكم به لانه من باب الله يستهزئ بهم والله يبسط الرزق لمن يشاء فان مثل هذا الاسلوب لو لم يحمل على الاختصاص لكان تخصيص الاسم الظاهر بالذكر وتعريفه باللام في مقام الاضمار خاليا عن الفائدة ولا يجوز اخلاء كلام البليغ عنها ﴿قوله اخبار مترادفة﴾ يعني ان اسم الاشارة مبتدأ وما بعده من الالفاظ الاربعة اخبار له اشار الى المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد غيره واخبر عنه بانه الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانه لا ثاني له وكل واحد من هذه الاوصاف يخصص سابقه ويقرّره والوقف على كل شيء لازم لئلا يلتبس ما بعده بكونه صفة شيء ولما قرّر ما يدل على وجود الموصوف بالصفات المذكورة قال فانى تؤفكون اي اذا تقرّر هذا البيان الواضح كيف صح لكم ان تصرفوا عن توحيده وعبادته الى عبادة غيره ثم بين ان هذه الضلالة ليست مختصة بهم بل هي ثابتة في كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يستدل بها على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وتقاعد عن طلب الحق وخوف العاقبة فانهم جميعا أفكوا عن الحق وحرموا من التحلي به مجازاة لجحودهم بالآيات وتكذيبهم اياها وتركهم الاستدلال بها وفسر قوله تعالى يؤفك الذين بقوله أفك عن الحق اشارة الى ان لفظ المضارع في الآية الكريمة بمعنى الماضي عدل اليه لحكاية الحال الماضية واستحضارها اي انهم جميعا أفكوا أفكا مثل أفك قومك ثم زاد في البيان وتقرير دلائل وحدته فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي ذات قرار تستقرّون فيها والقرار في المكان الاستقرار فيه يقال قررت بالمكان بكسر العين اقرّ قرارا قال ابن عباس رضي الله عنه قرارا اي منزلا في حال الحياة وبعد الممات وقيل سكن الارض وجعلها مستقرّة ليمكن التصرّف عليها والسماء بناء اي قبة مبنية مرفوعة فوقكم لمصالحكم وحوائجكم لان السماء في نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الارض والدلائل المذكورة الى هنا من دلائل الآفاق وهي كل ما هو غير الانسان من كل هذا العالم ثم ذكر شيأ من دلائل الانفس بقوله وصوّركم فاحسن صوركم واستدل اوّلا بحدوث صورة الانسان وثانيا بحسن صورته وثالثا بانه رزقه من الطيبات فالمذكور هنا خمسة دلائل اثنان منها من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس ﴿قوله والتخطيطات﴾ اراد بها ما بين كل عضوين من الخطيطة وهي الارض التي لم تمطر بين ارضين ممطورتين * والبركة النماء والزيادة وتبارك الله اي بارك الله مثل قاتل وتقاتل الا ان فاعل يتعدّى وتفاعل لا يتعدّى كذا في الصحاح * قال الامام وتفسير تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات وقال النسفي اي جل الله ودامت بركاته وتتابعت خيراته ويستعمل تبارك في موضع تعالى * لما اخبر الله تعالى بان الذي فعل بكم كل ذلك هو الله ربكم فرع عليه قوله فتبارك الله رب العالمين اي تعالى وتعظم عن ان يكون له شريك في العبادة اذ لا شريك له في شيء من تلك النعم ﴿قوله المتفرّد بالحياة الذاتية﴾ اي لا حيّ كذلك الا هو والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة الاسمية مثل صديقي زيد وفسر الدعاء بالعبادة بقرينة قوله مخلصين له الدين لان الدين هو الطاعة ﴿قوله قائلين له﴾ يعني ان قوله الحمد لله رب العالمين مقول قول مقدّر في موضع الحال من فاعل فادعوه فيكون داخلا في حيز الامر قيدا له ويؤيده هذا التفسير ما روي عن ابن عباس انه قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿قوله فانها مقوّية لادلة العقل منبهة عليها﴾ جواب عما يقال اذا كان عليه الصلاة والسلام منهيا عن عبادة غير الله ابدا بالدلائل العقلية القائمة قبل مجيء البينات وهي الدلائل المتقدمة الدالة على ان اله العالم من ثبتت له صفات العظمة والجلال ومن دبر في ملكه بما ذكر من الافعال فما وجه قوله نهيت ان اعبد غيره تعالى لما جاءني البينات * وتقرير الجواب ان بداهة العقل وان كانت شاهدة على ان عبادة الممكن العاجز في حدّ ذاته قبيحة مستنكرة الا ان الدلائل السمعية لما جاءت مقوّية لادلة العقل صح تقوية النهي عنها بوقت مجيء الادلة السمعية بمعنى اني نهيت نهيا متأكدا عن عبادة غيره تعالى وقت مجيئها فكانت ادلة الشرع منبهة على الادلة العقلية من حيث كونها متضمنة لادلة العقل كقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكأنه قيل نهيت ان اعبد ما تعبدونه وقت مجيء البينات المتناولة لادلة العقل والسمع وكونه منهيا عنها قبل ورود الشرع بمجرّد ادلة العقل لا ينافي تقوية النهي بمجيء الادلة المتناصرة المتعاضدة فان مجيئها اقوى وابلغ في ابطال طريق اهل الشرك وهذا السؤال والجواب لا يرد على مذهب اهل السنة اذ لا نهي ولا وجوب عندهم الا بعد ورود الشرع الا ان المصنف اجاب عنه بطريق التسليم ثم انه لما بين انه نهي عن عبادة

(ذلكم) المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقرّرها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فانى تؤفكون) فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) اي كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة (وصوّركم فاحسن صوركم) بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحيّ) المتفرّد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) اي الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) من الحجج او من الآيات فانها مقوّية لادلة العقل منبهة عليها

غير الله تعالى بين انه امر بعبادة الله تعالى فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين اى انقاد او اخلص له دينى الاوّل على ان يكون قوله اسلم لرب العالمين من قولهم اسلم امره الى الله اى سلم وذلك انما يكون بالرضى والانقياد لحكمه والثانى على ان يكون من قولهم اسلمت له الشئ اذا جعلته سالما خالصا له وعلى التقديرين يكون مفعول اسلم محذوفا اى اسلم امرى له او ان اسلم واخلص توحيدى وطاعتى له ثم انه تعالى لما استدل على ثبوت الاله القادر العليم باربعة من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والارض والسماء وبثلاثة من دلائل الانفس وهى نفس التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكر من دلائل الانفس كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فقال هو الذى خلقكم من تراب الآية قيل المخلوق من التراب هو آدم عليه الصلاة والسلام وحكم بكون المخاطبين من اولاده مخلوقين من التراب ايضا لكونهم مخلوقين منه بواسطه خلق ابيهم منه وقيل لاحاجة فى صحة الحكم بكون كل فرد من افراد الانسان متكوّنا من التراب الى ذلك بناء على ان كل انسان فهو مخلوق من المنىّ والمنىّ مخلوق من الدم والدم انما يتكوّن من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والاغذية الحيوانية لابدّ ان تنتهى الى النباتية والالزم ان تتسلسل الحيوانات الى غير النهاية والنبات انما يتولد من الماء والتراب فثبت بذلك ان كل انسان متكوّن من التراب الذى يصير نباتا ثم نطفة ثم علقة الى آخر الاطوار التى ينفصل الولد بعد تمامها من بطن امه الا انه تعالى ترك ذكر تلك الاطوار ههنا لاجل انه تعالى ذكرها فى سائر الآيات * واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان على ثلاث مراتب اولاها مرتبة الطفولية وثانيتها مرتبة بلوغه الاشدّ وثالثتها مرتبة الشيخوخة وهذا ترتيب مطابق لمقتضى العقل وذلك لان الانسان فى اوّل عمره يكون فى التزايد والنماء الى ان يبلغ الى حدّ الكمال والوقوف عن النماء من غير ان يحصل فيه نوع من انواع الضعف والانحطاط وهذه المرتبة هى التى عبر عنها بقوله ثم لتبلغوا اشدّكم والمرتبة الثالثة ان يتراجع ويظهر فيه اثر من آثار الضعف والانحطاط وعبر عن هذه المرتبة بقوله ثم لتكونوا شيوخا اى وبعد ان اخرجكم اطفالا يبقيكم ويربيكم لتبلغوا اشدّكم ثم يبقيكم ويربيكم لتكونوا شيوخا او لتبلغوا اشدّكم ثم لتكونوا شيوخا ولما استدل بهذه التغيرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذى يحيي ويميت اى كما ان تلك التغيرات تدل على وجوده فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل عليه ايضا **قوله** فاذا اراده اى اراد تكوينه يعنى ان القضاء بمعنى التقدير عبر به عن لازمه الذى هو ارادة تكوينه كأنه قيل اذا قدر شيا واراد تكوينه يكون سريعا من غير توقف على العدد والموادّ **قوله** نتيجة ماسبق من افعاله المذكورة بقوله هو الذى جعل لكم الليل الى هنا فكأنه قيل فمن هذه افعاله علم انه لايعسر عليه شئ ولا يتوقف وجود آثاره الا على تعلق ارادته بوجودها لكمال قدرته ونفاذ مشيئته واشار بقوله فلا يحتاج فى تكوينه الى عدّة وتجشم كلفة الى ان المراد بتكوينه الاشياء بكلمة كن سرعة تكوينه اياها من غير ان يحتاج فيه الى عدّة ومادّة واستعمال آلة تعينه * قال الفاضل التفتازانى فى التلويح ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الكلام مجاز عن سرعة الايجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته على المقدورات تمثيلا للغائب اعنى تأثير قدرته فى المراد بالشاهد اعنى امر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وانما وجود الاشياء بالخلق والتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة ثم قال وذهب بعضهم الى انه حقيقة وانه تعالى قد اجرى سنته فى تكوين الاشياء على ان يكوّنها بهذه الكلمة وان لم يمتنع ان يكوّنها بدونها ومعنى قوله كن فيكون ان يقول له احدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد به الكلام الازلى القائم بذات الله تعالى لا الكلام اللفظى المركب من الحروف والاصوات لانه حادث فيحتاج الى خطاب آخر فيتسلسل ولانه يستحيل قيام الصوت والحرف بذاته تعالى ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على اعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بلا خطاب بل التكليف ايضا ازلى ولابدّ ان يتعلق بالمعدوم على معنى ان الشخص الذى سيوجد مأمور بذلك وبعضهم على ان الخطاب الازلى لايسمى خطابا حتى يحتاج الى مخاطب انتهى كلامه ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون فى آيات الله بالانكار والتكذيب ثم عجب منهم بقوله أنى يصرفون عن التصديق بها وهذا كما يقول الرجل لمن لايسمع نصحه الى ان يذهب بك تعجبا من غفلته وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدأ محذوف او منصوبا على الذم وعلى هذه الاوجه يكون قوله فسوف يعلمون جملة مستأنفة مسوقة للتهديد ويجوز ان يكون مبتدأ خبره قوله فسوف يعلمون والفاء فيه لتضمن

(وامرت ان اسلم لرب العالمين) ان انقاد له او اخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم (ثم لتبلغوا أشدّكم) اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا قرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ بالكسر وشيخا كقوله طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشدّ (ولتبلغوا) ويفعل ذلك لتبلغوا (اجلا مسمى) وهو وقت الموت او يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من الحجج والعبر (هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى امرا) فاذا اراده (فانما يقول له كن فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدّة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ماسبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والموادّ (الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن او بجنس الكتب السماوية (وبما ارسلنا به رسلنا) من سائر الكتب او الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) جزاء تكذيبهم

(المبتدأ)

المبتدأ معنى الشرط وقوله من سائر الكتب على ان يفسر الكتاب بالقرآن ومابعده على ان يفسر بجنس الكتب ففيه صنعة اللف والنشر ﴿قوله اذ المعنى على الاستقبال﴾ جواب عما يقال ان اذ للماضى فكيف يكون ظرفا ليعلمون وهو مقرون بعلم الاستقبال فما هو الا مثل قولك سوف اصوم امس * وتقرير الجواب ان اذههنا بمعنى اذابشهادة عامله والامور المستقبلة اذا كانت متيقنة الوقوع تنزل منزلة ماقد وجد وانقضى ويعبر عنها بلفظ الماضى للتنبيه على كونها محققة الوقوع ﴿قوله وهو على الاوّل﴾ اى قوله يسحبون على تقدير ان يكون قوله والسلاسل معطوفا على الاغلال ويكون قوله فى اعناقهم خبرا عنهما يكون حالا من الضمير المجرور فى اعناقهم على معنى ان الاغلال والسلاسل يضافان الى اعناقهم حال كونهم مسحوبين اى مجرورين تجرّهم خزنة جهنم فى الحميم وهوالماء الذى تناهى حرّه والسحب الجرّ بعنف ومنه السحاب لان الريح تجرّه ويقال سحب ذيله اى جرّه ومن قرأ والسلاسل منصوبا جعله مفعولا مقدّما ليسحبون المبنى للفاعل وجعل تقدير الكلام اذالاغلال فى اعناقهم ويسحبون السلاسل ومن قرأ مجرورا عطفه على الاغلال اعتبارا بمعنى الكلام فان المعنى اذ اعناقهم فى الاغلال والسلاسل ويسحبون فى هذه القرآءة على بناء المفعول ﴿قوله اواضمار الباء﴾ عطف على قوله حملا على المعنى فيكون جملة والسلاسل يسحبون فى موضع الجرّ عطفا على الجملة الاسمية التى اضيف اليها اذ ﴿قوله يحرقون﴾ من قبيل تفسير اللفظ بلازم معناه فان يسجرون معناه يملؤون نارا بان تكون اجوافهم مملوءة بها فان من كان فى النار وكانت هى محيطة به وصارت اجوافهم مملوءة بها لزمهم ان يحرقوا بها على اعظم الوجوه وافظعها والعياذ بالله ﴿قوله والمراد﴾ اى من قوله تعالى اذالاغلال الى هنا بيان كيفية عقابهم حيث بين انه يكون فى اعناقهم اغلال وسلاسل ثم بين انهم يسحبون بتلك السلاسل فى الحميم المسخن بنار جهنم ثم بين انهم يملؤون بها كائنين فيها ثم يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع اين ما كنتم تشركون من دون الله رجاء شفاعتهم ادعوهم ليغيثوكم ويشفعوا لكم وهو نوع آخر من تعذيبهم ﴿قوله وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم﴾ جواب عما يقال كيف يقولون انهم ضلوا عنا وهم مقرونون مع آلهتهم كما يدل عليه قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿قوله غابوا عنا﴾ اى عن اعيننا وان كانوا قائمين اى غير هالكين فى انفسهم على ان يكون قولهم ضلوا عنا من قول العرب ضلت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شئ قائم اى غير هالك لكنك لاتهتدى اليه وقوله اوضاعوا عنا على ان يكون من ضل بمعنى ضاع وهلك تنزيلا لوجودهم منزلة الضياع والهلاك لفقدهم النفع الذى يتوقعونه منهم وان كانوا مع المشركين فى جميع الاوقات ﴿قوله مثل هذا الضلال﴾ وهو ضلال آلهتهم عنهم بمعنى غيبة الآلهة عن نظرهم او بمعنى ضياع الآلهة عنهم بفقدان مايتوقعه العبدة منهم وضلال الكافرين الذى شبه بهذا الضلال اما ضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة من العقائد والاعمال وعدم اهتدائهم اليه اصلا واما ضلالهم عن آلهتهم بحيث لو طلبوا الآلهة لم يصادفوها اى لم يجد احد منهما الآخر وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض الخ يؤيد الاحتمال الاوّل فان الظاهر ان قوله ذلكم بما كنتم تفرحون اشارة الى اضلال الله تعالى اياهم وان ماذكر بعده بيان لسببه ولايخفى ان كونه سببا لضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة اظهر من كونه سببا لضلالهم عن آلهتهم فان فرحهم واختيالهم بالاباطيل التى كانوا يشتغلون بها فى الدنيا يكون سببا لاضلال الله تعالى اياهم عما ينفعهم فى الآخرة وعدم توفيقه اياهم لذلك ولايظهر كونه سببا لاضلاله تعالى اياهم عن آلهتهم وجعل ذلك اشارة الى العذاب المذكور بقوله اذالاغلال فى اعناقهم لايخلو عن بعد فيكون المعنى حينئذ ذلك العذاب الذى نزل بكم بما كنتم تفرحون والباء فى قوله تعالى بما كنتم للسببية وفى قوله بغير الحق صلة الفرح والمرح شدّة الفرح والنشاط وقوله تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف واحد ﴿قوله الابواب السبعة﴾ مأخوذ من قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم ﴿قوله وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين﴾ ليناسب عجز الكلام صدره فانه مصدّر بلفظ ادخلوا فالمناسب ان يقال فى عجزه فبئس مدخل المتكبرين وتقرير جوابه ان فوات التناسب بينهما انما يكون ان لو لم يقيد الدخول بالخلود لان الدخول غير الثوآء الذى هو الاقامة ولايستلزمه ايضا واما اذا قيد به فقد استلزمه بل اتحد معه بحسب المفهوم فحصل به التناسب بين العجز والصدر ثم انه تعالى لما فرغ من ذم المجادلين فى آيات الله وبيان عقوبتهم فى الآخرة فرّع عليه قوله فاصبر يا محمد على ايذائهم اياك بسبب تلك

(اذالاغلال فى اعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال اومبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاوّل حال وقرئ والسلاسل بالجرّ حملا على المعنى اذالاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال واضمار الباء ويدل عليه القرآءة به والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذاملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اى ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم اوضاعوا عنا فلم نجد منهم ماكنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتدبه كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل هذا الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لايهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدّرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوآء عبر بالمثوى

المجادلات ثم قال ان وعدالله حق وعنى به ما وعد رسوله من نصرته ومن انزال العذاب على اعدآئه ﴿قوله فلذلك﴾ اى فلكون ان الشرطية مؤكدة بما المزيدة لتأكيد معنى الشرط لحقت نون التأكيد فعل الشرط فان نون التأكيد انما تلحقه اذا اكدت كلمة ان بما ولا تلحقه اذا لم تؤكد بها فلا يقال ان تكرمنى اكرمك بل يقال اما تكرمنى قيل ماذكر من تلازم نون التأكيد وما المزيدة انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخفيف ﴿قوله وهو جواب نتوفينك﴾ جواب عما يقال الظاهر ان قوله او نتوفينك معطوف على قوله نرينك ففى الكلام شرطان اشتركا فى جزآء واحد وهو قوله تعالى فالينا يرجعون فيلزم ان يكون كل واحد من الشرطين المذكورين سببا للجزآء المذكور بعدهما وهو انتقامه تعالى منهم فى الآخرة وكون الشرط الاول سببا له غير معقول لان تعذيبهم فى الدنيا بمرأى النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون سببا لانتقامه تعالى منهم فى الآخرة وان جعل قوله تعالى فالينا يرجعون جوابا للشرط الثانى وحده بقى الشرط الاول بغير جزآء وتقرير جوابه ظاهر ثم قال ويجوز ان يكون جوابا لهما فيكون المقصود من الشرطية تقرير قوله ان وعدالله حق على ان يكون المراد بالوعد تعذيب المجادلين بعذاب الآخرة فيقدره ببيان ان تعذيبهم فى حياته لا يسقط عنهم عذاب الآخرة بل انهم يعذبون فيها البتة سوآء عذبوا فى حياته اولم يعذبوا ﴿قوله اذقيل﴾ تعليل لقوله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك روى عن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كم عدة الانبياء فقال «مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر» ولما كان الذين يجادلون فى آيات الله قد اقترحوا معجزات زآئدة على ما اظهر الله تعالى على يده كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وغير ذلك مع كون ما اظهره من المعجزات كافية فى الدلالة على صدقه سلاه تعالى بانزال قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وقوله تعالى منهم يجوز ان يكون صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلاله لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن قصصنا مبتدأ مؤخرا والجملة اما صفة لرسلا وهو الظاهر او استئناف فكأنه تعالى قال له ثم انت من جملة الرسل المبعوثين الى الامم وليس فيهم احد اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكان قومهم ابدا يقترحون عليهم اظهار المعجزات الزآئدة على الحاجة عنادا وعبثا ولم يكن احد من اولئك الرسل اتى قومه بشئ من المعجزات من قبل نفسه وما استقل فى اتيان شئ مما اقترحوه من المعجزات الزآئدة على قدر الحاجة ولم يقدح ذلك فى نبوتهم فكذا الحال فى اقتراح قومك عليك اى ان ما نأتيهم به من الآيات هو ما قدره وقسمه لك وليس اختيار شئ منها موكولا اليك ثم قال تعالى على سبيل التهديد والوعيد فاذا جاء امر الله قضى بالحق ثم انه تعالى لما اطنب فى تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم وتفصيل وجوه انعامه على عباده فقال الله الذى جعل لكم الانعام وهى الازواج الثمانية الابل والبقر والضأن والمعز فانها ثمانية باعتبار ذكورتها وانوثتها وقال الزجاج الانعام الابل خاصة وفى الصحاح اكثر استعمال اسم النعم فى الابل وهو فى الاصل المال الراعية ومن فسر الانعام فى الآية بالابل خاصة فسر قوله لتركبوا منها بقوله لتركبوا الكبار منها ﴿قوله فان من جنسها ما يؤكل الخ﴾ اشارة الى ان كلمة من فى الموضعين للتبعيض وعلى ان المراد بالانعام الازواج الثمانية تكون من لابتدآء الغاية ﴿قوله تعالى ولتبلغوا﴾ عطف على قوله لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا وقوله بالمسافرة عليها اشارة الى متعلق قوله عليها وقوله وعلى الفلك تحملون ادخال منة اخرى فى هذه المنن على سبيل الاستطراد وهى المنة بخلق سفائن البحر للمسافرة عليها فى البحر ﴿قوله وانما قال على الفلك﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال فى الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين لان الفلك وعاء وظرف لحملها فلم قيل عليها بكلمة الاستعلاء «فاجاب عنه بقوله للمزاوجة اى ليزاوج ويطابق قوله وعليها فان محمولات الانعام لما كانت مستعلية عليها ذكرت كلمة على فيها فى موضعها ومحمولات الفلك وان لم تكن مستعلية عليها الا انه ذكرت كلمة الاستعلاء فيها ايضا للمشاكلة ﴿قوله وتغيير النظم فى الاكل﴾ حيث جيئ فى الركوب بلام الغرض لا فى الاكل مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما من الفوآئد المحصلة من الانعام والمصالح المترتبة على خلقها وتقرير جوابه ان الاكل وما فى حكمه من منافع الجلود والالبان والاصواف الغالب فيها اقتضاء حق الضرورة الطبيعية من دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد بخلاف الركوب والمسافرة عليها فان الغالب فيها اقتضاء حاجة حق العبادة ومراعاة امر الدين وما اتاه الانسان باقتضاء الضرورة الطبيعية لا يكون عبادة لان مبنى العبادة مخالفة هوى النفس باختيار ما حسنه الشرع وندب اليه فلا يكون الاهتمام بالاكل

(فاصبر ان وعدالله) بهلاك الكافرين (حق) كائن لامحالة (فاما نرينك) فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية فلذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر (او نتوفينك) قبل ان تراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة (وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء امر الله) بالعذاب فى الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون) المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر (ولكم فيها منافع) كالالبان والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بالمسافرة عليها (وعليها) فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) وانما قال على الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة

وما فى حكمه كالاهتمام بالركوب والمسافرة عليها من حيث ان الثانى من قبيل العبادات التى خلق الانسان لاجلها دون الاوّل فللاشارة الى هذا الفرق بينهما جيء فى الثانى بلام العلة دون الاوّل ﴿ قوله لانه يقصد به التعيش والتلذذ ﴾ والفرق بين ما اختاره وما نقله مع اتفاقهما فى ان الركوب والمسافرة عليها يبنيان غالبا على رعاية الامر الدينى والانتداب الى ما ندب اليه الشارع انه اختار ان الاكل وما فى حكمه مما تقتضيه الطبيعة وتلجئ اليه الجبلة الحيوانية والمقصود منه اوّلا وبالذات انما هو رعاية مقتضى الطبيعة وان جاز ان يكون بعض ما وقع رعاية لمقتضى الطبيعة وسيلة الى رعاية الحقوق الشرعية وواقعا بطريق اتباع الشارع وامتثال امره فلما كان الغالب فى الاكل ونحوه رعاية مقتضى الطبيعة وفى الركوب والمسافرة رعاية الامر الدينى فرق بينهما بان جعل الثانى علة حاملة على خلق الانعام دون الاوّل ومحصول ما نقله ان الاكل وما فى حكمه من قبيل المباحات التى لا يتعلق بها نفع أخروى بخلاف الركوب والمسافرة عليها فانهما غالبا يكونان لاغراض دينية ويؤدّيان الى مثوبات اخروية فلذلك فرق بينهما بما ذكر ولعل وجه ضعفه ان وقوع الفعل باقتضاء الطبيعة اياه اظهر فى الدلالة على عدم كونه لغرض دينى من دلالة كونه من قبيل المباحات عليه فان كثيرا من المباحات يكون لغرض دينى ﴿ قوله اوالفرق بين العين والمنفعة ﴾ فان الركوب منفعة مستفادة من الانعام مع بقاء اعيانها بخلاف الاكل فانه ليس من المنافع المتفرّعة على بقاء اعيانها بل انما يكون باهلاك اعيانها ولا يخفى ان لام الغرض انسب بالمنافع المتفرّعة على العين مع بقائها بحالها بالنسبة الى الانتفاع بالعين باهلاكها فانه بمنزلة ان يقال خلقت فلانا لاهلاكه وقد تسامح فى جعل الاكل من قبيل الاعيان والظاهر ان يقال للفرق بين ما يكون من منافع العين وبين ما يكون اهلاكا لها وانتفاعا باهلاكها ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل المتكثرة قال بعده ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون يعنى ان كل واحدة من هذه الآيات التى عددناها ظاهرة باهرة لا وجه لانكار شىء منها ﴿ قوله وهو ناصب اىّ ﴾ يعنى ان قوله تعالى تنكرون غير مشتغل عن العمل فى اىّ بان قدّر عاملا فى ضميره بل هو عامل فيه الا انه وجب تقديمه على ناصبه لاقتضائه صدر الكلام ولو قدّر كونه مشتغلا عنه بضميره لكان الاولى رفعه فان قولك ايهم ضربته مثل قولك زيد ضربته فى ان المختار رفع الاسم فيهما لان النصب يحتاج الى حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه انما يكون بعامل معنوى لا يظهر قط حتى يقال حذف واضمر ﴿ قوله والتفرقة بالتاء فى اىّ ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال فاية آيات الله بتاء التأنيث لكون اىّ عبارة عن المؤنث لاضافته اليه فلم عدل عن مقتضى الظاهر وتوضيح الجواب ان الفرق بين المؤنث والمذكر بالتاء وعدمه قياس شائع فى الانواع الاربعة من الصفات وهى اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب بياء النسبة كضاربة ومضروبة وحسنة وبصرية بخلاف افعل التفضيل وافعل الصفة والاسماء الجامدة فالفرق بالتاء فيها قليل غريب كاسامة وحمارة واىّ من قبيل الاسماء الجامدة فالاصل فيه عدم الفرق لذلك مع ان الفرق فيه اغرب من الفرق فى سائر الاسماء الجامدة لانه موضوع لابهام موضوعه ولا يقصد فيه التمييز اصلا فتكون التفرقة فيه بعيدة كل البعد وان جاء الفرق على قلة كقوله

۞ باىّ كتاب ام باية سنة ۞	ترى حبهم عارا علىّ وتحسب ۞

والظاهر انه ارادباىّ فى قوله والتفرقة بالتاء فى اىّ اغرب ما وقع فى غير النداء فان اللغة الفصيحة الشائعة ان تؤنث اىّ الواقعة فى نداء المؤنث كما فى قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ولا يسمع ان يقال يا ايها المرأة واعلم انه لما كان معظم المقصود فى هذه السورة الكريمة ذم المجادلين وبيان فساد طريقتهم وما ذكر فى اثنائه من دلائل الوحدانية وكمال القدرة والحكمة والرحمة انما ذكر تقريعا لهم بسبب اعراضهم عن تأمل تلك الدلائل والاهتداء بها الى الحق ختم السورة الكريمة ببيان ان هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله وقد حصل الكبر العظيم فى صدورهم انما كان السبب الكلى فى عدولهم عن الحق وانهماكهم فى الضلال هو طلب الرياسة والتقدّم على الغير فى المال والجاه ومن المعلوم ان من ترك الانقياد للحق طلبا لهذه الاشياء الفانية والحظوظ العاجلة فقد باع السعادة الابدية بلذة يسيرة فانية فبين الله تعالى فساد هذه الطريقة واحتج عليه بقوله افلم يسيروا فى الارض الآية يعنى انهم لو ساروا فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمرّدين ليس الا الهلاك والبوار مع ان الهالكين المتقدّمين كانوا اكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين وحيث لم تفدهم تلك المكنة العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هؤلاء الفقراء والمساكين ﴿ قوله والمصانع ﴾ وهى الحصون والمصنعة بفتح النون وضمها ايضا شىء كالحوض يجمع فيه ماء المطر ﴿ قوله

وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكونان لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته (فاىّ آيات الله) اى فاىّ آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اىّ اذ لو قدّرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اىّ اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشدّ قوّة وآثارا فى الارض) ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم

(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات والآيات الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزآئغة وشبههم الداحضة كقوله بل اداّرك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لانبعث ولانعذب وماأظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحكهم منه واستهزآئهم به ويؤيده (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزآء جهلهم واستهزآئهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية (سنة الله التى قدخلت فى عباده) اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولاصديق ولاشهيد ولامؤمن الاصلى عليه واستغفرله

﴿ سورة حم السجدة وآيها خمسون ﴾
﴿ واربع آيات مكية ﴾

ما الاولى نافية ﴾ يعنى لم تغن عنهم او استفهامية منصوبة باغنى اى اى شئ اغنى عنهم وفاعل اغنى هو ما الثانية سوآء كانت موصولة محذوفة العائد اومصدرية اى الذى كسبوه او كسبهم ﴿ قوله وسماها علما ﴾ مع ان الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه ان يسمى جهلا بناء على زعمهم فانهم يزعمون ان عندهم علما ينتفعون به وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علم الانبياء وما اظهروه من البينات ﴿ قوله او علم الطبائع ﴾ عطف على قوله عقائدهم الزآئغة والمراد بعلم الطبائع علم الفلاسفة فان الحكماء كانوا يصغرون علوم الانبياء ويكتفون بما يكتسبونه بنظر العقل ويقولون نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا ﴿ قوله او علم الانبياء ﴾ فيكون ضمير فرحوا للكفار كما فى الوجهين الاولين الا ان ضمير عندهم يكون للرسل والمعنى فرح الكفار فرح ضحك واستهزآء بما عند الرسل من العلم حيث لم يقبلوه ولم يمتثلوا احكام الوحى ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى نزل بالكافرين جزآء استهزآئهم وقيل كما ان المراد بالعلم علم الانبياء فالمراد بالفرح ايضا فرحهم والمعنى ان الرسل لما رأوا جهل الكفار واستهزآءهم فرحوا بما اوتوا من علم الوحى وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين جزآء جهلهم واستهزآئهم ﴿ قوله لامتناع قبوله حينئذ ﴾ فان الايمان انما ينفع اذا وقع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا له على الكفر والتكذيب ووقت رؤية البأس وهو شدة العذاب يكون المرء ملجأ الى الايمان ولا يكون مبنيا على مجرد تصديق الشارع واخباره بنزول البأس على من اصر على الكفر ومن عاين نزول ملائكة العذاب لايكون ايمانه كذلك فلا يقبل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولامتناع قبوله حينئذ لم يقل فلم ينفعهم ايمانهم بل قال فلم يك ينفعهم ايمانهم فانه ابلغ فى نفى النفع من لم ينفعهم ايمانهم لانه بمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم كما فى قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد فان أداة النفى اذا دخلت على الكون المتضمن لمعنى الفعل المنفى صار النفى كأنه توجه الى الفعل المنفى مرتين فكأنه قيل هذا الفعل من الشؤون التى عدمها راجح على وجودها البتة وانها من قبيل المحالات وارتفاع قوله ايمانهم يجوز ان يكون على انه اسم كان ويكون ينفعهم خبرها مقدما عليه وان يكون على انه فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشأن المستتر فيه ﴿ قوله والفاء الاولى ﴾ يعنى ان فى الآية اربع فاآت مترادفة الاولى فى قوله فما اغنى عنهم والثانية فى قوله فلما جاءتهم رسلهم والثالثة والرابعة فى قوله فلما رأوا وفى قوله فلم يك ينفعهم فالفاء الاولى تشبه فاء النتيجة فان قوله تعالى كانوا اكثر منهم الخ جملة مستأنفة لبيان اول حال من قبلهم وآخرها ليتبين سوء عاقبتهم وان ماجمعوه وكسبوه لم ينفعهم فى العاقبة فقوله فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا اى فما احدث ذلك لهم من النفع الا ان حرموا نفعه ووقعوا فى عكس ماتوقعوا من جمع الجنود والاموال وبناء شدآئد القصور والحصون والثانية فاء التفسير فان قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بمنزلة التفسير لنفى الغناء المدلول عليه بقوله فما اغنى عنهم ونظير الآية قولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقرآء فلم يواس اليتامى والارامل والفاء الثالثة وهى التى فى قوله فلما رأوا عاطفة له على مضمون قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم ومفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها فانه فى قوة ان يقال فلما جاءتهم رسلهم كفروا فان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وكفرهم بما جاؤا به ومترتبة عليه وكذا الفاء فى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم فانها عاطفة على قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ومفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها فان الايمان وقت رؤية البأس سبب لعدم نفعه لصاحبه ﴿ قوله اى سن الله ذلك ﴾ اى سن الله عدم قبول ايمان من آمن وقت رؤية البأس وعدم نفعه لصاحبه وقت معاينته له وهى سنة مطردة له تعالى فى الامم كلها ويجوز ان يكون انتصاب سنة على التحذير اى احذروا سنة الله المطردة فى المكذبين السابقين ﴿ قوله اسم مكان ﴾ يعنى ان هنالك فى الاصل اسم موضوع للاشارة الى المكان ولما اشير به فى الآية الى مدلول قوله لما رأوا بأسنا ولما للزمان تعين انه قد اشير به الى الزمان تشبيها له بالمكان فى كونه ظرفا للفعل كالمكان وكذلك قوله خسر هنالك المبطلون فانه لما ذكر قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر تعين كونه مستعارا للزمان لان اذا للزمان * فان قيل لم خص خسران الكافرين بوقت معاينة البأس وهم لم يزالوا فى خسران * قلنا نعم الا انه قبل معاينة العذاب كانوا متمكنين من الايمان النافع ولما عاينوا العذاب استقر خسارهم ولم يرج فلاحهم نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان وشر الشيطان * تمت سورة غافر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة حم السجدة خمسون واربع آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان جعلت حم اسما للسورة كانت فى محل الرفع على الابتدآء وخبره تنزيل وان جعلت مسرودة اى منزلة على نمط تعديد الحروف لتنبيه المخاطب وايقاظه لايكون لها محل من الاعراب ويكون تنزيل خبر مبتدأ محذوف اى هذا تنزيل وكتاب بدلا من تنزيل او خبرا بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هذا كتاب ﴿ قوله لكونها مصدّرة ببيان الكتاب ﴾ تعليل لافتتاحها بحم وجه التعليل ان معنى حم كما قيل قضى ماهو كائن لانه يقال حمّ الامر بضم الحاء وتشديد الميم اى قضى وقدّر وتم قال الشاعر * وليس لامر حمه الله رافع * وقال آخر الا ليقنى حمت لنفسى منيتى * ولما كانت هذه السورة مصدّرة بذكر الكتاب الذى قدّرت فيه الاحكام وبينت ناسب ان يفتتح بحم رعاية لبراعة الاستهلال وقوله متشاكلة فى النظم والمعنى تعليل لتسميتها بها فان هذه السور السبع لما كانت متشاكلة فى النظم والمعنى فى الاشتمال على ذكر الكتاب والافتتاح بحم والرد على المجادلين فى آيات الله والحث على الايمان بها والعمل بمقتضاها ناسب تسميتها باسم واحد ﴿ قوله للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية ﴾ اذ كل واحد من الرحمن والرحيم لكونه صيغة مبالغة اطلقت على الله ينبئ عن رحمة هى ابعد عن مقدورات العباد فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فاضافة تنزيل الكتاب الى من اتصف بهما تدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى تنوط بها المصالح كلها دينية كانت او دنيوية لان الفعل المقرون بالصفة لابدّ وان يكون مناسبا لتلك الصفة والامر فى نفسه كذلك لان القرآن مشتمل على كل مايحتاج اليه اهل هذا العالم المرضى والزمنى من الادوية وعلى كل مايحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على هذا العالم انزال القرآن عليهم ﴿ قوله ميزت باعتبار اللفظ والمعنى ﴾ اما تمييز بعض الآيات عن بعضها بحسب اللفظ فظاهر واما تمييزها بحسب المعنى فلاختلاف معانى الآيات القرآنية من حيث ان بعضها متعلق باحوال ذات الله تعالى وصفات تقدسه وتنزهه وبيان كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبعضها متعلق بعجائب احوال خلقه من السموات والارض والكواكب وتعاقب الليل والنهار ونحوها وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها فى قصص الانبياء واحوال الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه انواع من العلوم المختلفة مثل القرآن ﴿ قوله وقرئ فصلت ﴾ اى بفتح الفاء وتخفيف الصاد بمعنى فرقت آياته بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض اى انفصل باختلاف معانيها من قولهم فصل فلان من البلد فصولا اى خرج وانفصل ﴿ قوله او الحال من فصلت ﴾ اى مما اسند اليه فصلت وهو آياته وهو اما حال بنفسه وعربيا صفته او هو حال موطئة والحال فى الحقيقة عربيا وهى حال مؤكدة غير منتقلة * اعلم ان الاحوال اربع موطئة ومقدّرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مايبين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهى الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة تبين الحال فى الحقيقة كقرآنا فى قوله انا انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة للهيئة الثابتة فى الحال او فى الاستقبال فان كانت مبينة لها فى الاستقبال فهى الحال المقدّرة وان كانت مبينة لها فى الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال او مفارقة والاولى حال مؤكدة والثانية حال منتقلة ﴿ قوله يعلمون العربية او لاهل العلم ﴾ الاوّل على ان يعتبر تعلق يعلمون بالمفعول والثانى على ان ينزل منزلة اللازم ﴿ قوله وهو صفة اخرى لقرآنا ﴾ فيكون متعلقا بمحذوف اى قرآنا عربيا كائنا لهم وهو اولى من جعله متعلقا بقوله تنزيل او فصلت لان قوله عربيا صفة قرآنا وكذا بشيرا ونذيرا فلو لم يكن هو ايضا صفة له بل كان متعلقا بتنزيل او بفصلت لزم ان يفرق به بين الصفات * واعلم انه تعالى حكم على هذه السورة باشياء اوّلها كونها تنزيلا والمراد به المنزّل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولهم هذا الدرهم ضرب السلطان اى مضروبه ومعنى كونها منزّلا انه تعالى كتبها فى اللوح المحفوظ وامر جبريل ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤدّيها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل سمى بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان مانشأ من هاتين الصفتين لايكون الا كذلك وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) ان جعلته مبتدأ فخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاوّلين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدّرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قرآءته وفهمه (لقوم يعلمون) العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاوّل اولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف (فاعرض اكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لايسمعون) سماع تأمل وطاعة

وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين ورابعها قد فصلت آياته وقد ذكرنا انها كذلك وخامسها كونه قرآنا عربيا كائنا للعالمين بلغة العرب وبشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعاصين بالعقاب ﴿قوله جمع كنان﴾ وهو الغطاء وفي الكلام حذف تقديره قلوبنا في اكنة تمنعنا من فهم ماتدعونا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر ايضا ﴿قوله ومن الدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه﴾ اشارة الى فائدة زيادة كلمة من في قوله ومن بيننا مع انه لو قيل بيننا وبينك حجاب لاستفيد حصول الحجاب المانع عن التواصل في المسافة المتوسطة بينه وبينهم ومحصول كلامه ان فائدة كلمة من الدلالة على قوة الحجاب في كونه مانعا عن التواصل وذلك لان البين بمعنى المسافة المتوسطة بين المتكلم والمخاطب واضافته الى المتكلم تدل على ارادة الطرف الذي يلي المتكلم من تلك المسافة وكذا اضافته الى المخاطب تدل على ان المراد طرفها الذي يليه فلو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى مجرد حصول الحجاب في المسافة المتوسطة بينهم وبينه بخلاف مالو قيل من بيننا فانه يفهم منه ان مبدأ الحجاب طرفه الذي يلي المتكلم واذا عطف عليه بان قيل وبينك فهم ان ذلك الحجاب ايضا مبتدأ من الطرف الذي يلي المخاطب واذا كان حجاب واحد مبتدأ من كل واحد من ذينك الطرفين فمعلوم انه لابدله من منتهى وانه هو الطرف الآخر منهما فبالضرورة يكون ذلك الحجاب مستوعبا لمجموع مابينهما من المسافة بحيث لايبقى جزء منها فارغا عن هذا الحجاب ففائدة من الدلالة على قوة الحجاب وكماله في المانعية عن التواصل ﴿قوله وهذه تمثيلات﴾ اى قولهم قلوبنا في اكنة الى قولهم حجاب وانث ضمير القول لتأنيث الخبر او لكون كل واحد من الاقوال الثلاثة عبارة عن جملة شبهوا قلوبهم بالشئ المحوى المحاط بالغطاء المحيط به بحيث لايصيبه شئ من خارج من حيث نبوها وتباعدها عن ادراك الحق واعتقاده وشبهوا اسماعهم بآذان بها صمم من حيث انها تمج الحق ولاتميل الى استماعه وشبهوا حال انفسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال شيئين بينهما حجاب عظيم وحاجز منيع من ان يواصل احدهما الآخر ويوافقه وتعظيم الحجاب مستفاد من تنكيره ولقد بالغوا في وصف انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حيث اثبتوا بينهم وبينه ثلاثة انواع من الحجاب احدها الحجاب الخارجي المانع من الرؤية والابصار ثم حجاب الصمم ثم حجاب اكنة القلوب والقلب محل المعرفة والسمع والبصر اقوى مايستعان به في تحصيل المعارف فهذه الثلاثة اذا كانت محجوبة كان ذلك اقوى مايكون من الحجاب نعوذ بالله من ذلك فلذلك اقتصر على ذكر هذه الاعضاء الثلاثة ثم انهم لما وصفوا انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم اليه فرعوا عليه قولهم فاعمل اننا عاملون ﴿قوله لست ملكا الخ﴾ بيان لوجه كون قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم الآية جوابا عن قولهم قلوبنا في اكنة الآية* وتقريره ان حاصل ماذكروه من الاعراض عن قبول مادعاهم الرسول اليه يرجع الى امرين احدهما كون مادعاهم اليه مما تنبو عنه العقول والاسماع بناء على ان عقولهم السخيفة تستبعد امر التوحيد ونشر من في القبور وسائر مايكون يوم القيامة وثانيهما كون بشريته حجابا مانعا يمنعهم من تصديقه في دعوى الرسالة بناء على ان البشرية في زعمهم منافية للرسالة وانما هي من مناصب الملائكة وهو المراد من قولهم ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك فان عندنا ماينافي رسالتك وهو ان البشر لايكون رسولا وانت بشر مثلنا فكيف تدعى الرسالة وليس عندك ماتدفع به هذا الدليل فالله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم عما ذكروه من الامرين اما عن الثاني فبان يقول ماجعلتموه منافيا للرسالة وهو البشرية هو المصحح للرسالة لان ارسال الملك والجني الى البشر لايوافق الحكمة من حيث ان البشر لايمكنه ان يتلقى منهما مايلقى اليه كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما عن الاول فبأن يقول ان ماادعوكم اليه من التوحيد والاستقامة في العمل ليس مما تنبو عنه العقول والاسماع بل مما تقتضيه دلائل العقل وشواهد النقل ﴿قوله متوجهين اليه﴾ لما عدى فعل الاستقامة في الآية بكلمة الى وهو لايتعدى بها بل باللام ذكر لذلك وجهين الاول انه من باب التضمين والثاني ان الاستقامة بمعنى الاستواء وهو يتعدى بالى ﴿قوله وذلك﴾ اى الاستخفاف بالله وعدم الشفقة على خلقه من اعظم الرذائل لان انواع السعادة باسرها منوطة بامرين تعظيم امر الله والشفقة على خلقه فيكون الانصراف عنهما بالاشراك به وترك الانفاق في وجوه الخير من اعظم الرذائل ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى وفي تهديد المشرك على شركه وعدم ايتائه الزكاة دليل على ان المشرك حال شركه مخاطب بايتاء الزكاة

(وقالوا قلوبنا في اكنة) اغطية جمع كنان (مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك مايدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك او في ابطال امرنا (اننا عاملون) على ديننا او في ابطال امرك (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما آلهكم آله واحد) لست ملكا ولا جنيا لايمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ماتنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه اوفاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل (واستغفروه) مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لايؤتون الزكاة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

اذ لولاه لما استحق بعدم ايتائها الوعيد المذكور واذا كان مخاطبا بايتاء الزكاة يكون مخاطبا بسائر فروع الاسلام اذ لا قائل بالفصل ﴿قوله وقيل معناه لايفعلون مايزكى انفسهم﴾ والمعنى على هذا فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك وسوء العمل وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك فوضع موضعه المشركون الموصوفون بانهم لايفعلون مايزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة للاشعار بان الاستقامة اليه فى الافعال والتبرى من سوء العقائد والاعمال هو تزكية النفس ﴿قوله حال مشعرة﴾ وجه الاشعار ان الحال وصف لذى الحال واثبات الحكم للموصوف مشعر بعلية الوصف ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿قوله لايمنّ به عليهم﴾ فيتكدر بالمنة فان المنة تهدم الصنيعة يقال منّ عليه منة اى امتنّ عليه ومنّ بهذا المعنى لازم لايجيئ منه اسم المفعول الا بان يعدّى بحرف الجرّ فلابدّ ان يكون الممنون بمعنى الممنون عليهم على طريق الحذف والايصال وجميع مايعطيه الله تعالى عباده فى الاخرة تفضل منه تعالى وكرم وليس شئ منها بواجب عليه عند اهل السنة وما كان بطريق التفضل وان صح الامتنان به لكنه تعالى لايمن به عليهم فضلا وكرما ﴿قوله اولايقطع﴾ اى لايقطع اجرهم وثوابهم فى الآخرة بل هو دآئم ابدىّ ﴿قوله وقيل نزلت فى المرضى﴾ فالمعنى على هذا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى زمان اقتدارهم عليها لهم اجر غير مقطوع اذا عجزوا عنها بالمرض او الهرم او نحوهما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طائعا حتى اطلقه او اقبضه الىّ وقيل غير مقطوع بعد موتهم ايضا استدلالا بدلالة هذا الحديث ﴿قوله كأصح ما كانوا يعملون﴾ على حذف المضاف اى اكتب الاجر كأجر أصح ما كانوا يعملونه من الاعمال حال قدرتهم عليها ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للمشركين انما انا بشر مثلكم الآية امره ثانيا بان ينكر عليهم امرين اولهما كفرهم بالله تعالى بالحادهم فى ذاته وصفاته كالتجسيم واتخاذ الصاحبة والولد والقول بانه تعالى لايقدر على نشر الموتى وانه لايبعث من البشر رسولا وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له تعالى فقال عز من قائل قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا والاستفهام فيه للانكار ويجب ان يكون الكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له تعالى ضرورة انه عطف احدهما على الآخر فوجب التغاير ﴿قوله فى مقدار يومين﴾ اى لا فى نفس يومين لان اليوم لكونه عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها لايمكن حصوله قبل حدوث السموات والشمس والقمر وظاهر هذه الآية يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء ومافيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب فكيف يتحقق اليوم حال خلق الارض وعلى تقدير ان يتقدم خلق السموات ومافيها على خلق الارض لايمكن ان يحصل اليوم قبل ان يخلق الارض لان طلوع الشمس وغروبها انما هما بالنسبة الى الافق ولا افق قبل تحقق الارض فظهر انه لايتحقق اليوم قبل خلق الارض سوآء تأخر خلقها من خلق السماء ام تقدم عليه فلما لم يتحقق اليوم حين خلق الارض وجب ان يحمل قوله تعالى فى يومين على مقدار يومين او ان يجعل اليومان مجازا مرسلا عن الدفعتين على طريق الملزوم وارادة اللازم ﴿قوله ولعل المراد من الارض مافى جهة السفل﴾ اى من البسائط العنصرية التى هى الارض والماء والهوآء والنار فسر الارض بالمعنى المجازى المتناول لحقيقة الارض وسائر البسائط العنصرية واختار ان يكون المراد بخلق الارض بهذا المعنى فى يومين خلقها بنوبتين على معنى انه تعالى خلق لها فى النوبة الاولى اصلا مشتركا هو الهيولى الاولى التى هى حقيقة واحدة مشتركة بين جميع العناصر وخلق لها فى النوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت انواعا متمايزة على طبقات مختلفة والذى بعثه على تفسير الارض بالمعنى العام المتناول لجميع البسائط العنصرية انه تعالى ذكر فى مقام بيان مقدار آثار قدرته الكاملة وتفصيلها انه خلق الارض فى يومين وانه جعلها مشتملة على ثلاثة انواع من الصنع العجيب الاوّل انه خلق فيها جبالا شامخات ثابتات فوقها لاستقرارها والثانى انه بارك فيها اى زاد فى خيرها بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار من الوان النبات وانواع الخيرات وجميع مايحتاج اليه من الخيرات والثالث انه قدّر فيها اقوات اهلها مما يحدثه فى كل ناحية من نواحيها ثم ذكر استوآءه الى خلق السموات من غير ان يتعرّض لخلق ماعدا الارض من العنصريات مع ان ماعداها ايضا من جملة آثار قدرته الباهرة والمقام مقام تفصيلها فناسب لذلك ان يفسر الارض بمعنى يعم الجميع غاية مافى الباب ان يجعل الضمير فى قوله وجعل فيها رواسى من فوقها للارض الحقيقية على الاستخدام ﴿قوله

وقيل معناه لايفعلون مايزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) لايمنّ به عليهم من المنّ واصله الثقل اولايقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) فى مقدار يومين او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ماخلق فى اسرع مايكون ولعل المراد من الارض مافى جهة السفل من الاجرام البسيطة

﴿ثم خلق لها صورا﴾ يدل على انفكاك الصورة من الهيولى وهو خلاف ماثبت بالدليل اللهم الا ان يحمل التراخى المدلول عليه بكلمة ثم على التراخى فى الرتبة * فان قيل المستدل به على ثبوت امر يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض فى يومين لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يثبت بالسمع ووحى الانبياء ومن انكر الوحى والنبوة كيف يسلم هذه المقدمة وكيف يمكن الاستدلال بها على فساد مذهبه * اجيب بان الكفار يسلمون كون السموات والارض حادثين مخلوقتين له تعالى فيمكن ان يقال لهم كيف تعقل التسوية بين الاله القادر على خلق هذه الاجرام العظام وبين الاصنام الموصوفة بالعجز التام وبقى ان يقال فحينئذ لا يبقى لكونه تعالى خالقا للارض فى يومين نفع فى الاستدلال * واجيب عنه بانا لا نسلم ذلك بل به نفع فيه بناء على ان ذلك مذكور فى التوراة ومشهور عند اهل الكتاب وان كفار مكة كانوا يعتقدون فى حق اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم قد سمعوا هذه المقدمة منهم وسلموها واعتقدوا تحقيقها فبهذا الاعتبار كان لخلقه تعالى اياها فى يومين نفع فى الاستدلال ﴿قوله استئناف غير معطوف على خلق﴾ لما كان هذا النظم يوهم كونه معطوفا على خلق وكونه داخلا فى جملة الصلة بين فساد ذلك وهو وقوع الفصل بين اجزاء الصلة بالاجنبى وهو قوله تعالى وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ومنهم من قال انه معطوف على مقدر اى خلقها وجعل فيها رواسى احترازا عن لزوم هذا الفساد ﴿قوله مرتفعة عليها﴾ يعنى ان قوله من فوقها فى محل النصب على انه صفة رواسى وقوله ليظهر الخ بيان لفائدة قوله من فوقها يعنى ان الجبال التى اثبتت فوق الارض لمنعها عن الميلان لو كانت تحتها كاساطين الغرف او مركوزة فيها كالمسامير لمنعتها منه لكن الحكمة الالهية اقتضت كونها مرتفعة عليها لما ذكر من وجهين الاول ان يظهر للناظر مافيها من وجوه الاستدلال ومن جملة الوجوه ان الانسان اذا رأى بعينه كون الجبال الثقال مثبتة فوق الارض الثقيلة علم ان كل واحدة من تلك الاثقال التى بعضها فوق بعض مفتقرة الى ممسك وحافظ وماذلك الحافظ الممسك الا الله تعالى والثانى كون منافعها ظاهرة للطلاب والظاهر ان قوله معرضة بسكون العين وكسر الراء بمعنى ظاهرة من قولك عرضت الشئ فاعرض بمعنى اظهرته فظهر ومن النوادر ان يكون الثلاثى متعديا ثم اذا نقل الى باب الافعال يصير لازما نحو كببته فاكب ﴿قوله اقوات اهلها او اقواتا تنشأ منها﴾ يعنى ان المراد باقوات الارض ارزاق سكانها واضافتها الى الارض اما على حذف المضاف واما لكونها محلا لحدوثها فان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة فان الشئ يضاف الى فاعله والى مفعوله والى من ينتفع به وغير ذلك والمعنى على الاول انه تعالى قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وقدر فى كل قطر قوتا لاهل ذلك القطر وعلى الثانى انه تعالى خص لحكمته كل نوع من انواع الاقوات بقطر من اقطارها وجعل ذلك سببا لتعيش اهل البلدان بمراجعة بعضهم الى بعض للتجارة واكتساب الاموال ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ وقسم فيها اقواتها ﴿قوله فى تتمة اربعة ايام﴾ اى فيما يتم به اليومان الاولان اربعة ايام فالمراد بالتتمة ماتم به اليومان السابقان اربعة كأنه قيل كان نصب الرواسيات وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات فى يومين آخرين بعد خلق الارض فى يومين واشار بتقدير المضاف الى دفع مايتوهم من المنافاة بين هذه الآية وبين ماتكرر فى القرآن من ان خلق السموات والارض كان فى ستة ايام وذلك لانه نص فى هذه الآية على انه خلق الارض فى يومين ثم انه جعل فيها رواسى واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام ثم صرح بانه قضاهن سبع سموات فى يومين فيكون مجموع ايام خلق العالم ثمانية ايام والمذكور فى الآيات الاخر انها ستة ايام وبينهما منافاة ظاهرة ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة ويمكن دفع المنافاة بوجه آخر وهو ان الآيات الدالة على ان ايام خلق السموات والارض ستة لم يذكر فيها تقدير الاقوات فجاز ان يصرف اليومان من الثمانية اليه وتبقى الستة لماسواه والله اعلم ﴿قوله والى الكوفة فى خمسة عشر يوما﴾ اى فى خمسة ايام بها تمت العشرة الاولى خمسة عشر يوما ﴿قوله ولعله قال ذلك﴾ جواب عما يقال لو كان المعنى كما ذكرت لكان الظاهر ان يقال خلق الارض فى يومين وجعل فيها ثلاثة انواع من الصنع العجيب فى يومين آخرين لكونه ابين للمراد وابعد من الشبهة وايهام خلاف المراد * وتقرير الجواب ظاهر لمن تأمل فيه والفذلكة مأخوذة من قول الحاسب فذلك يكون كذا كالسبحلة والحوقلة المأخوذتين من سبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال سبحل المتعجب اى قال سبحان الله وفذلك الحاسب اذا كتب تفاصيل الاعداد ثم جمع تلك التفاصيل وكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا * فان قيل كيف يكون قوله فى اربعة ايام تصريحا بالفذلكة مع ان

ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته (وتجعلون له اندادا) ولا يصح ان يكون له ند (ذلك) الذى خلق الارض فى يومين (رب العالمين) خالق جميع ماوجد من الممكنات ومربيها (وجعل فيها رواسى) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار مافيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات (وقدر فيها اقواتها) اقوات اهلها بان عين لكل نوع مايصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها (فى اربعة ايام) فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة

الفذلكة تقتضى ان يتقدّم ذكر عددين او اكثر على وجه التفصيل وفى هذا الموضع لم يذكر العدد ان بل انما ذكر مدّة خلق الارض فقط * قلنا لانسلم انه يجب فيما تقدّم ذكرها صريحا بل يكفى فيها تقدّم العلم بها باىّ وجه كان والامر فيما نحن فيه كذلك لانه لما ذكر ان الارض خلقت فى يومين وكذا السموات السبع علم ان مافى الارض من الرواسى وسائر الخيرات خلق فى يومين آخرين بشهادة ماتكرر فى القرآن من ان خلق السموات والارض كان فى ستة ايام وعلى هذا الوجه كان قوله تعالى فى اربعة ايام تصريحا بالفذلكة لمدّة خلق الارض ومافيها ويجوز ان يكون المراد بقوله والتصريح على الفذلكة التصريح بما هو شبيه بالفذلكة لا انه فذلكة حقيقة لانه غيرمسبوق بذكر العددين ولانه فسر قوله فى اربعة ايام بقوله فى تتمة اربعة ايام اى فى اليومين الاذين تم بهما اليوما السابقان اربعة وهذا ليس بفذلكة بل هو بيان ابتدآء لمدّة خلق مافى الارض وماعليها ﴿قوله اى استوت سوآء﴾ على ان سوآء اسم بمعنى استوآء منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مقدّر والجملة صفة ايام اى فى اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ومن قرأ سوآء بالجرّ جعله صفة ايام فهو دليل على ان الجملة فى قرآءة النصب صفة له ايضا وقيل انتصابه على انه حال من احد ضميرى الارض اى مستوية والاوّل اولى لان المقام يقتضى توصيف الايام بانها مستوية لاتزيد ولاتنقص لاوصف الارض بذلك ﴿قوله هذا الحصر﴾ اى حصر مدّة خلق ماذكر من الارض ومافيها وماعليها فى اربعة ايام مستوية كائن لمن يسأل عنها ويقول فى كم خلق الارض ومافيها وما عليها ويكون السؤال سؤال استعلام لاسؤال استعطاء ويكون قوله للسائلين خبر مبتدأ محذوف صرح بالفذلكة بقوله كل ذلك خلق فى اربعة ايام سوآء ثم استأنف بان قال هذا الحصر والبيان لمن يسأل عن مدّة خلق ذلك وان كان للسائلين متعلقا بقوله وقدّر فيها اقواتها يكون السؤال سؤال استعطاء وهو طلب الخير فان اهل الارض كلهم طالبون للقوت محتاجون اليه ﴿قوله من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوى على غيره﴾ والاستوآء بهذا المعنى هو ضدّ الاعوجاج ونحوه استقام اليه ولما كان الاستوآء الى الشئ بهذا المعنى محالا على الله تعالى لاستلزامه الانتقال من مكان الى مكان * قال صاحب الكشاف والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك فجعل الاستوآء الى خلق السماء مجازا عن ملزومه الذى هو استدعاء الحكمة لخلقها من غير ان يعارضها صارف يصرفها عنه ﴿قوله والظاهر ان ثم لتفاوت مابين الخلقين﴾ اى بحسب الرتبة على سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى لان الكلام مع المعاندين المتمرّدين والمعنى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وفعل كذا وكذا واعظم من ذلك انه استدعت الحكمة ان يخلق السماء وهى شئ حقير ظلمانى كالدخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها الخ ومقصود المصنف من هذا القول دفع مايتوهم من المنافاة بين قوله ثم استوى الى السماء وخلقها وبين قوله أأنتم اشدّ خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسوّاها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها فان الاوّل يشعر بان السماء خلقت بعد الارض وبه قال ابن عباس والثانى يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء وبه قال قتادة والسدّى وهما متنافيان وجوابه المشهور بين المفسرين ان يقال انه تعالى خلق الارض اوّلا ثم خلق بعده السماء كما هو المفهوم من هذه الآية ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبسطها وبهذا الطريق يزول التناقض والمصنف اشار الى ردّ هذا الجواب بقوله ودحوها متقدّم على خلق الجبال من فوقها وتقريره ان دحو الارض كيف يكون متأخرا عن خلق السماء والحال ان خلق السماء على مايشعر به قوله ثم استوى الى السماء متأخر عن ارساء الجبال على الارض وتكثير خيرها وتقدير اقواتها ولايخفى ان هذه الاحوال لايمكن تحققها الابعد ان صارت الارض مدحوّة منبسطة اما ارساء الجبال عليها فظاهر واما تكثير خيرها فلانه مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لايمكن الابعد صيرورتها منبسطة وكذا تقدير الاقوات فيها فانها متفرّعة على تمييز اقطارها واطرافها واذا كان خلق السماء متأخرا عن هذه الاحوال المتأخرة عن الدحو استحال ان يكون الدحو متأخرا عن خلق السماء ضرورة كون الدحو متقدّما على الاحوال المذكورة المتقدّمة على خلق السماء كما يقتضيه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فلما لم يجز كون الدحو متأخرا عن خلق السماء لم يصلح الجواب المذكور جوابا وبقى التناقض بحاله فلذلك اعرض المصنف عنه واجاب عن سؤال التناقض بوجه آخر وهو ان يجعل قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها باقيا على ظاهره ويجعل كلمة ثم فى هذه الآية للدلالة على تفاوت مابين الخلقين لا للتراخى فى الزمان حتى

(سوآء) اى استوت سواء بمعنى استوآء والجملة صفة ايام ويدل عليه قرآءة يعقوب بالجرّ وقيل حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع على هى سوآء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدّة خلق الارض ومافيها او بقدّر اى قدّر فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت مابين الخلقين لا للتراخى فى المدّة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدّم على خلق الجبال من فوقها

يلزم التناقض ﴿قوله امر ظلمانى﴾ اشارة الى ان قوله وهى دخان من قبيل التشبيه البليغ والمعنى انه قصد وتوجه نحو السماء توجها يليق بذاته والحال انها امر مظلم عديم النور شبه الدخان فى بادى النظر وحمله على التشبيه لتعذر ان يكون المراد حقيقة الدخان وهو ما ارتفع من لهب النار ﴿قوله ولعله اراد به مادتها﴾ اى ولعله اراد بتلك المادة البخار المتصاعد من الماء الذى انقلب اليه من اول ما خلق الله تعالى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت من ذلك النظر ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبدا فقام فوق الماء اما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات فسمى الله تعالى ذلك البخار المتصاعد سماء والحال انه لم يكن على صورة السماء حال الاستوآء اليه حيث قال ثم استوى الى السماء وهى دخان على طريق تسمية الشئ باسم ما يؤول اليه ثم بين انه جعل ذلك البخار المظلم سبع سموات حيث قال فقضاهن سبع سموات هذا على ان يكون المراد بالامر الظلمانى المادة التى صورت بصورة السماء ثم ذكر انه يحتمل ان يكون المراد بذلك الامر الظلمانى الاجزآء التى لا تتجزأ فانها فى ابتدآء خلقها كانت اشياء مظلمة عديمة النور ثم اذا ركبت وجعلت سموات وكواكب شمسا وقمرا حدثت فيها صفة الضوء فحينئذ كانت مشرقة مستنيرة ولما كانت اول حدوثها مظلمة صح تسميتها بالدخان تشبيها لها به من حيث انها اجزآء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان فانه ليس له صورة تحفظ تركيبه ﴿قوله بما خلقت فيكما﴾ دفع لما يتوهم من ان قوله تعالى للارض والسماء ائتيا يستلزم ارادة ايجاد الموجود بالنسبة الى الارض لان الفاء فى قوله فقال لها وللارض لعطف مدخولها على قوله استوى وقد مر ان الاستوآء الى السماء عبارة عن ملزومه وهو اقتضاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضه ما يصرفه عن خلقه اياها فكان امرهما بالاتيان عقيب الاخبار باستدعاء الحكمة لخلق السماء بمعنى ارادة وجودها وارادة وجود الارض بعد الاستوآء الى السماء المتأخر عن خلق الارض فى يومين ارادة لايجاد الموجود والمصنف دفع لزومه بوجوه محصول الاول ان قوله فقال معطوف على مقدر والتقدير ثم استوى الى السماء اى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلقها فخلقها فقال لها وللارض بعد خلق ذاتهما ائتيا على ان يكون مفعول ائتيا محذوفا والمعنى أبرزا ما اودع فيكما من الاوصاف كتأثير العلويات فى السفليات وتأثير الاخرى عن الاولى وتبدل اوضاع الاولى وكيفيات الثانية وما يتفرع عليها من الكائنات المتنوعة ومحصول الوجه الثانى ان المراد بخلقهما تقديرهما والحكم بوجودهما فى اوقات معينة وبالامر باتيانهما ايجادهما طبق ما قدرهما ولا يلزم ايجاد الموجود بناء على ان الخلق السابق بمعنى التقدير فقوله تعالى خلق الارض فى يومين معناه انه قضى بحدوثها فى يومين وقضاء الله بانه سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشئ فى الحال فجاز ان يقضى الله تعالى بحدوث الارض فى يومين ثم يقول للسماء وللارض ائتيا فى الوجود والحدوث من غير ان يلزم منه ايجاد الموجود * ولما ورد ان يقال لما كان قوله تعالى خلق الارض فى يومين بمعنى انه قضى وقدر وجودها فى يومين كان قوله ثم استوى الى السماء اى الى خلقها بمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى تقدير السماء بعد تقدير الارض وتقدير كل واحد من الاشياء صفة ازلية لا يترتب بعضها على بعض فلا وجه لكلمة ثم فى قوله ثم استوى الى السماء * اجاب عنه بوجهين الاول ان ثم لترتيب رتبة التقديرين لا لترتيب زمانهما والثانى انها لترتيب الاخبار على الاخبار ومحصول الوجه الثالث ظاهر وقد عرفت ما فيه من ان دحوها اى دحو الارض متقدم على خلق الرواسى من فوقها المتقدم على خلق السماء فكيف يقترن خلقها مع الدحو وفيه ايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز الا ان يقال الاتيان المسند الى ضمير الارض غير ما اسند الى ضمير السماء فلا جمع بينهما فى لفظ واحد حكما ومحصول الرابع ان المراد بخلقهما ايجادهما وباتيانهما موافقة كل واحدة منهما صاحبتها فى كونها سببا مؤديا الى حدوث ما اريد توليده منهما ﴿قوله من المؤاتاة﴾ يعنى ان وزن آتيا وآتينا بالمد فيهما فاعلا وفاعلنا مثل قاتلا وقاتلنا وسارعا وسارعنا وانهما ليسا من الايتاء بمعنى الاعطاء على ان يكون وزنهما افعلا وافعلنا مثل اكرما واكرمنا وانما جعله من المؤاتاة لا من الايتاء بمعنى الاعطاء لان الاول متعد الى مفعول واحد والثانى الى مفعولين وحذف المفعول الواحد اسهل من حذف المفعولين ﴿قوله لاثبات الطوع والكره لهما﴾ لانهما من اوصاف العقلاء ذوى الارادة والاختيار والسماء والارض من قبيل الجمادات العديمة الارادة والاختيار فلذلك لم يكن المراد اثبات حقيقة الطوع والكره لهما بل المراد اظهار تأثير قدرته

(وهى دخان) امر ظلمانى ولعله اراد به مادتها او الاجزآء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قرآءة آتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما (طوعا او كرها) شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال

فيهما واستحالة امتناعهما عن التأثر عنها كما يقول الجبار لمن هو تحت يده لتفعلن هذا شئت او أبيت ولتفعلنه طوعا اوكرها يريد به ذلك الاظهار والاستحالة وان كان ذلك الشخص مما يصح اتصافه بحقيقة الطوع والكره الا ان مراد الجبار ليس اثباتهما له وانما مراده اظهار كمال قدرته وقوله وهما اى طوعا اوكرها مصدران وقعا موقع الحال اى طائعتين او مكرهتين ﴿قوله اي منقادين بالذات﴾ اى بالارادة والاختيار ﴿قوله والاظهر﴾ جواب عما يقال كيف خوطب الجمادات بقوله ائتيا وكيف اخبرن بقولهن اتينا مع انهن لسن اهلا للخطاب والجواب وتقرير جوابه انه من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير ان يتحقق هنا خطاب ولا جواب شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بالذات اى لا بالمشيئة والاختيار بامر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع له فيمتثل امره ولا يرد قوله بل يتلقاه بالقبول والامتثال فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها ﴿قوله وما قيل انه تعالى خاطبهما الخ﴾ اى قيل لا يبعد ان يخاطب الله تعالى اياهما ويأمرهما بالاتيان وان يجيباه ويمتثلا امره بان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف اليهما ويدل عليه قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فانه يدل على كونها عاقلة عارفة بالله وبتوجه تكليفه اليها وبعقوبة من قصر فى رعاية مقتضى التكليف وذلك كما انطق الله تعالى الجبال مع داود وانطق الايدى والارجل بالشهادة بما فعل اصحابهما قال المصنف وهذا القول انما يتصور ان لو كان المراد بالامر باتيانهما الامر بابراز ما اودع فيهما من الاوصاف والاوضاع والكيفيات والامر بان تأتى كل واحدة منهما صاحبتها اتيانا تقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض ليتحقق التأثير والتأثر المؤديان الى انتظام احوال اهل الارض واما ان اريد باتيانهما الاتيان الى الوجود والحدوث وهو الوجه الثانى او اريد باتيان الارض كونها مدحوة قرارا ومهادا لاهلها وباتيان السماء حدوثها على وفق التقدير الازلى وهو الوجه الثالث فلا يصح ذلك القول لان كون الشئ صالحا للخطاب قادرا على الجواب متفرع على وجوده والوجود حاصل على الوجهين المتطرفين فان السماء والارض حال توجه الامر بالاتيان الى الوجود اليهما او الى السماء وحدها كانتا معدومتين او كانت احداهما معدومة اذ لو كانتا موجودتين لما جاز ان يتوجه اليهما الامر بالاتيان الى الوجود لانه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود وان كانتا معدومتين او احداهما لم تكونا عاقلتين فاهمتين للخطاب قادرتين على الجواب فلا يتصور ان يقال لا يبعد فى ان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ويخاطبهما ويجيبا خطابه * فان قلت الوجود حاصل فى الارض على الوجه الثالث ولم يحصل فى السماء * قلت يجوز خطاب اثنين وجوابهما بمجرد صلاحية احدهما لهما ﴿قوله وانما قال طائعين﴾ جواب لما يقال السماء والارض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول كل واحد منهما متعدد سموات وارضون فكان ينبغى ان يقال طائعتين حملا على اللفظ او طائعات حملا على المعنى فلم قيل طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء * وتقرير الجواب انهما لما وصفا باوصاف العقلاء من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومكرهات عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما كقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴿قوله خلقا ابداعيا﴾ اى على طريق الاختراع لا على مثال لعل قيد الابداع مستفاد من كون اتمامهن والفراغ منهن حال كونهن سبع سموات متفرعا على الاستواء الى السماء حال كونها دخانا اى شيأ حقيرا مظلما كالدخان فيكون خلقها ابداعيا من غير ان يكون على مثال او مستفاد من قوله تعالى فى مواضع آخر بديع السموات واما قيد الاتقان فانه مستفاد من قوله تعالى فقضاهن اى اتمهن وفرغ من خلقهن فان قضاء الشئ اتمامه اما قولا كما فى قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه واما فعلا كما فى هذه الآية والاتمام فعلا انما يكون بان لا يكون فى المفعول خلل ونقصان وهو معنى الاتقان ﴿قوله والضمير للسماء على المعنى﴾ اى ضمير فقضاهن فان السماء وان كان مفردا لفظا الا انه فى معنى الجمع لتعدد مدلوله ويحتمل ان لا يرجع الى السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بل يكون ضميرا مبهما يفسره سبع سموات كضمير ربه رجلا * ورد فى اخبار انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة والظاهر انه ينبغى ان يكون المراد به انه خلق العالم كله فى مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر لكان مبدأ تلك المدة اول يوم الاحد وآخرها آخر يوم الجمعة ﴿قوله شأنها وما يتأتى منها﴾ اى من الحركات المختلفة والاوضاع المتجددة

(قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء امرها) شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره

(وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها (وحفظا) اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ فى القدرة والعلم (فان اعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم صاعقة) فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى (من بين ايديهم ومن خلفهم) أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان (الا تعبدوا الا الله) بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما ارسلتم به) على زعمكم (كافرون) اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق (وقالوا من اشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده

وكونها مزينة بالثوابت والسيارات الى غير ذلك من الشؤون والاحوال فسر الامر بالشأن فيكون واحد الامور فان الامر الذى هو مصدر قولك امرته بكذا امرا يجمع على اوامر ومعنى ايحاء الامر بهذا المعنى فى كل سماء جعل كل واحدة منها على ما يتأتى منها من الشؤون والامور بحيث تأتى السماء به اختيارا عند من يقول بان الافلاك لها نفوس تؤثر فى اجرامها بارادته واختياره او طبعا عند من لا يقول بذلك والايحاء فى الاصل الالقاء استعمل هنا فى اظهار ما اراده فى كل سماء وقيل اوحى الى اهلها باوامره على ان الامر مصدر امره بكذا والآمر هو الله تعالى والمأمور اهل كل سماء الا انه اضيف الامر الى نفس السماء للملابسة فانه تعالى كلف اهل كل سماء بتكليف خاص فمن الملائكة من بقى فى القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون رؤسهم ولما كان ذلك الامر مختصا باهل تلك السماء كان مختصا بتلك السماء ايضا بواسطة اهلها فصحت اضافته اليها

قوله فان الكواكب كلها ‹ يعنى ان المراد بالمصابيح جميع الكواكب المنيرة التى خلقها الله تعالى فى السموات من الثوابت والسيارات وليس كلها فى السماء الدنيا وهى التى تدنو وتقرب من اهل الارض فان كل واحد من السيارات مختص بسماء من السموات السبع والثوابت مركوزة فى الفلك الثامن الا ان كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا منا لا ينافى كونها زينة لها لانا نرى جميعها كالسرج الموقدة فيها **قوله** او من المسترقة ‹ وهى الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب منفصلة عنها لا يرجون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذلك الا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينتقص منها شئ والشهاب شعلة نار ساطعة والشهب جمعه **قوله** وقيل مفعول له ‹ لم يرض به لاحتياجه الى اعتبار الفعل المعلل وتغيير اسلوب النظم الى ما لا حاجة اليه ويمكن جعله مفعولا له بمجرد جعله معطوفا على آخر مثله ويكون التقدير وزينا السماء الدنيا بمصابيح تشريفا لها وحفظا وهو ليس بابعد من تقدير العامل ثم انه تعالى لما امره بان يجيب المشركين بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ثم يحتج عليهم بقوله ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز ان يكفر به ويجعل له انداد قال فان اعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة واصروا على الجهل والتقليد فقل لهم لم يبق فى حقكم علاج الا انزال العذاب الذى نزل على من قبلكم من المعاندين والانذار التخويف والصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيها له بها فى الشدة والهول **قوله** وهى المرة من الصعق او الصعق ‹ بسكون العين مصدر من المتعدى ومعناه الاهلاك وبفتح العين مصدر من اللازم بمعنى الهلاك يقال صعقته الصاعقة صعقا بفتح العين فى الماضى وسكونها فى المصدر اى اهلكته الصاعقة فصعق صعقا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المصدر اى هلك ومات **قوله** حال من صاعقة عاد ‹ اى من الصاعقة الثانية اى مثل صاعقتهم التى كانت وقت مجيئ الرسل اليهم فكذبوهم فالمراد كون متعلق الظرف حالا منها لان الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق فهى جثة والزمان كما لا يكون صفة للجثة لا يكون حالا منها ايضا ولا يجوز جعله صفة لصاعقة الاولى ولا ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى لان انذاره قومه المعرضين ليس فى وقت مجيئ الرسل الامم المكذبة ولا صاعقتهم كانت فى ذلك الوقت **قوله** من جميع جوانبهم ‹ ليس المراد الجهات الحسية والاماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبه بها من جهات الارشاد وطرق النصيحة فتارة جاؤا من جانب الانذار والتخويف واخرى من جانب التشويق والترغيب فيما اعد لاهل الايمان والطاعة ومرة من جانب البينات الدالة على حقية ما دعوهم اليه من التوحيد والاذعان بجميع ما شرع لهم من وجوه الطاعة ونحو ذلك واعمل كل رسول فى حق قومه كل حيلة حرصا على ايمانهم **قوله** او من قبلهم ومن بعدهم ‹ على ان يكون من بين ايديهم حالا من الرسل اى كائنين قبلهم وبعدهم او صفة لهم اى الرسل الكائنين من قبلهم ومن بعدهم * ولما ورد ان يقال الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبهم عاد وثمود بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون * اشار الى جوابه بقوله اذ قد بلغهم خبر المتقدمين **قوله** بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا ‹ اى يحتمل ان تكون كلمة أن فى قوله الا تعبدوا مصدرية وان تكون مفسرة لما جاءت الرسل به لان قوله جاءتهم يتضمن معنى القول **قوله** على زعمكم ‹ يعنى ان قوله ارسلتم به ليس اقرار منهم بكون اولئك الانبياء رسلا وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ثم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجمال اخذ فى تفصيل حال كل واحدة من هاتين

(الطائفتين)

انقتين فقال فاما عاد فاستكبروا الآية كان هو يهدّدهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه عنا بفضل قوّتنا
ّ الله تعالى عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة فان قولهم من اشدّ منا قوّة استفهام
د به النفى اغتروا بقدرة كائنة باقدار الله تعالى اياهم على بعض الاشياء و جحدوا قدرة من هو قادر على كل شئ
رة ذاتية غير مستفاد من غيره فاستحقوا ان يردّ عليهم بان نفيكم من هو اشدّ منكم قوّة جحد وانكار لما تعلمونه
قوله تعالى اولم يروا تقرير لعلمهم بذلك ثم ان المصنف فسر القوّة فى قوله تعالى هو اشدّ منهم قوّة بالقدرة
صيغة التفضيل تقتضى اشتراك المفضل و المفضل عليه فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل و لا اشتراك
تعالى و بين الانسان فى القوّة التى هى عبارة عن شدّة البنية و صلابتها المضادّة للضعف فانه تعالى منزه عن القوّة
ا المعنى و انه لا يوصف بالقوّة الا على معنى القدرة فوجب ان يراد بقوّة الانسان القدرة مجازا لكونها مسببة عن
ّة بمعنى صلابة البنية فتكون القوّة فى كل واحد من جانبى المفضل و المفضل عليه بمعنى واحد فيصح تفضل احدهما
الآخر فى القوّة بالمعنى المجازى ﴿قوله يعرفون انها حق و ينكرونها﴾ يريد ان الجحود هو الانكار مع العلم
﴿قوله وهو عطف على فاستكبروا﴾ و نظم الكلام هكذا فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق و كانوا
تنا يجحدون و المعنى انهم جمعوا بين الاستكبار اى طلب العلوّ فى الارض وهو فسق و خروج عن الطاعة بترك
حسان الى الخلق و بين الجحود بالآيات و هو كفر و ترك لتعظيم الخالق فيكون قوله تعالى و قالوا من اشدّ منا قوّة
يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة اعتراضا واقعا بين المعطوف و المعطوف عليه لبيان السبب الداعى
الاستكبار و الردّ عليهم فيما زعموه و لما جمعوا بين الوصفين اللذين هما اصل جميع الصفات الذميمة لاجرم سلط الله
هم العذاب فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى الصحاح الصرّ بالكسر برد يضرّ بالنبات و الحرث و الصرصر
ر لبنى الصرّ و يقال ايضا صرّ القلم و الباب يصرّ صريرا اى صوّت فيكون الصرصر تكرير صرّ ﴿قوله
أ الحجازيان﴾ ابن كثير و نافع و البصريان ابو عمرو و يعقوب بسكون الحاء فى نحسات على انه صفة مشبهة من
س على وزن علم اصله نحسات بكسر الحاء فاسكنت للتخفيف او على ان كل واحد من نحس و نحس بكسر الحاء
كونها لغة اصلية فى صفة فعل الا ان علماء التصريف لم يذكروا فى الصفة من باب فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة
س فيها فعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحور فهو احور و شبع فهو شبعان و سلم فهو سليم و بلى فهو بال او على انه
در وصف به كرجل عدل و فيه ضعف لان الاصل الفصيح فى المصدر الذى وصف به ان لا يجمع و قد جمع ههنا
كن ان يعتذر عنه بان جمع نحسات لاختلاف انواعه فى الاصل و قرأ الكوفيون و ابن عامر بكسر الحاء على انه
ة مشبهة من نحس كفرح فهو فرح و أشر فهو أشر و المعنى فى ايام مشئومات لان النحس مقابل السعد و نحوستها
الله تعالى ادام تلك الريح فيها على وتيرة و حالة واحدة لا تتغير و أهلك القوم بها لا كما يزعم المنجمون من ان بعض
ام قد يكون فى ذاته نحسات و بعضها سعدا استدلالا بهذه الآية فان اجزاء الزمان متساوية فى حدّ نفسها و لا تمايز
ا الا بحسب تمايز ما وقع فيهما من الطاعات و المعاصى و لا استدلال بالمحتمل ﴿قوله على قصد وصفه به﴾ اى
ف العذاب بالخزى و كون اضافة العذاب اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما تقول فعل السوء
ضافة و تريد الفعل السئ على الوصفية فاصل الكلام عذاب خزى اى عذاب ذليل مهان فخزى صفة مشبهة
له خزى فأعل كقاض ثم اضيف العذاب الى ما قصد توصيفه به فقيل عذاب الخزى كما قيل رجل صدق للدلالة
اختصاصه بتلك الصفة و استدل على ان اضافة العذاب الى الخزى على قصد وصفه بالخزى بقوله تعالى و لعذاب
خرة اخزى اى اذل و ازيد خوفا و خزيا فانه لولا ان المقصود توصيف العذاب بالخزى لما صح ان يجعل عذاب
خرة مقابلا لعذاب الدنيا لكون الاوّل اشدّ خزيا بالنسبة الى الثانى و لما ذكر الله تعالى قصة عاد اتبعها بقصة ثمود
و اما ثمود الجمهور على رفع ثمود غير منوّن لمنع صرفه للعلمية و التأنيث فانه اسم قبيلة و من نوّنه و صرفه جعله اسم
ل و هو الجدّ الاعلى لقبيلة و رفعه على الابتداء لان اما لا يليها الا المبتدأ و لا يجوز الاشتغال فيما بعدها الا نادرا قال
الحاجب و نختار رفع ما اضمر عامله بالابتداء اذا وقع بعد اما مع غير الطلب و لو كانت مع الطلب نختار النصب
يقع الطلب خبرا و اذا قدرت الفعل الناصب فقدّره بعد الاسم المنصوب هكذا و اما ثمود هدينا فهديناهم قالوا
اما لا يليها الافعال ﴿قوله فدللناهم على الحق﴾ اشارة الى ان الهداية عبارة عن الدلالة على ما يوصل الى
لوب سواء ترتب عليها الاهتداء ام لا و ليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية و فسرها

(اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة) قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على مالا يتناهى قوىّ على مالا يقدر عليه غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون انها حق و ينكرونها و هو عطف على فاستكبروا (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدّة بردها من الصرّ و هو البرد الذى يصرّ اى يجمع او شديد الصوت فى هبوبها من الصرير (فى ايام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا و قرأ الحجازيان و البصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر و قيل كنّ آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء و ما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزى و هو الذل على قصد وصفه به لقوله (و لعذاب الآخرة اخزى) و هو فى الاصل صفة المعذب و انما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (و هم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (و اما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج و ارسال الرسل و قرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده و منوّنا فى الحالين و بضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى

الزمخشري في سورة البقرة بالدلالة الموصلة الى البغية واستدل عليه بوجوه* ولما ورد عليه ان يقال لو كانت الهداية عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية لامتنع حصولها بدون الاهتداء مع انه تعالى اثبت الهداية بدون الاهتداء حيث قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد* اجاب عنه بان الهداية فيه مستعارة للدلالة المجردة تشبيها لها بالدلالة الموصلة من حيث انها مكنتهم من الاهتداء بحيث لم يبق لهم بعدها عذر ولا علة فصارت بذلك كأنها موصلة فسميت هداية لذلك واستدل المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد وذلك لانها تدل على انه تعالى بنصب الدلائل وبزيح العلل والاعذار الا ان الايمان يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا الاستدلال باطل لانه يستلزم ان يترك كثير من دلائل العقل والنقل منها قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله ولا بعد في ان يسند الفعل القبيح الى العبد لكونه مسببا عن اختياره السيء واكتسابه القبيح والتحقيق ان معنى استحباب العمى اختياره لان المحبة ليست باختيارية اتفاقا والاختيار والايثار اختياري والمؤثر مجموع امرين احدهما من الله تعالى والآخر من العبد فظهر ان في لفظ الاستحباب مايشعر بان قدرة الله تعالى هى المؤثرة ولقدرة العبد مدخلا ما وان الايمان مقدور لقادرين فتأمل فيه فانه دقيق عجيب ﴿ **قوله** واضافتها الى العذاب ﴾ اى اضافة الصاعقة الى العذاب الموصوف بالمصدر للمبالغة في كونه مهينا ليدل على شدة وقع الصاعقة وقوتها فان اضافتها اليه من اضافة النوع الى الجنس بتقدير من والمعنى فاخذتهم من جنس العذاب المهين الذى بلغ في افادة الهوان للعذاب الى حيث صار كأنه عين الهوان ما كان شديد الوقع كأنه صاعقة مهلكة والهون مصدر بمعنى الهوان والذلة وصف به العذاب للمبالغة اى عذاب مهين كأنه عين الهوان فالمبالغة استفيدت من ثلاثة اوجه الاول من استعارة لفظ الصاعقة للعذاب والثانى من اضافة الصاعقة الى العذاب والثالث من وصف العذاب بالهون ثم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال ويوم يحشر اعداء الله الى النار فيوم منصوب لمحذوف دل عليه مابعده من قوله فهم يوزعون تقديره يساق الناس يوم يحشر وقال ابو البقاء تقديره يمنعون يوم يحشر وقيل انه منصوب باذكر مقدرا اى اذكر يوم يحشر جميع الكفرة من الاولين والآخرين فهم يوزعون اى يحبس سوابقهم حتى يلحق بهم اواخرهم وهو عبارة عن كثرتهم قرأ الجمهور يحشر بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على بناء مالم يسم فاعله ورفع اعداء لقيامه مقام الفاعل وحتى غاية ليحشر واذا منصوب بشهد ومعنى التأكيد في كلمة ما ان وقت حضورهم النار لامحالة هو وقت الشهادة عليهم وهو كقوله تعالى أثم اذا ماوقع آمنتم به اى لابد لوقت وقوع العذاب من ان يكون وقت ايمانهم * روى انه صلى الله عليه وسلم ضحك يوما حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألون لم ضحكت قالوا لم ضحكت يارسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يقول يوم القيامة يارب أليس قد وعدتنى ان لاتظلمنى قال فان لك ذلك قال فانى لا اقبل علىّ شاهدا الا من نفسى قال او ليس قد كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيقول يارب قد اجرتنى من الظلم فلن اجير علىّ اليوم شاهدا الا من نفسى قال فختم على فيه وتكلم الاركان بما كان يعمل قال عليه الصلاة والسلام فيقول لهن بعدا لكنّ وسحقا عنكنّ كنت اجادل ﴿ **قوله** تعالى سمعهم ﴾ اى آذانهم وافرد لكونه مصدرا في الاصل وقوله ولعل المراد به نفس التعجب اى من غير ان يتحقق منهم سؤال وخطاب للاعضاء وهذا على ان تكون كيفية شهادة الاعضاء ان يظهر عليها احوال تدل على صدور تلك الاعمال منهم فيكون الجواب بقالوا انطقنا الله ايضا بلسان الحال ﴿ **قوله** اى ما نطقنا باختيارنا ﴾ اى حتى نستحق توبيخكم هذا على ان يكون لم شهدتم سؤال توبيخ وقوله او ليس نطقنا بعجب على ان يكون سؤال تعجب ﴿ **قوله** تمام كلام الجلود ﴾ فيكون معطوفا على قوله انطق كل شئ اى انطقنا الله الذى هذا كله شأنه فمن قدر عليه قدر على انطاقنا لامحالة وان تم كلام الجلود عند قوله انطق كل شئ كان قوله وهو خلقكم ابتداء كلام من الله تعالى لبيان ان من قدر على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وصيركم حيوانا ناطقا اول مرة اى في الدنيا ثم على بعثكم وارجاعكم الى موقف حسابه وجزائه كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء قيل كيفية نطقها وشهادتها عليهم ان يخلق الله فيها الحياة والقدرة على النطق فتشهد كما يشهد الرجل منا بما يعرفه وهذا القول لايتأتى على مذهب المعتزلة لان البنية شرط عندهم لحصول الحياة

(والعقل)

(فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر اعداء الله الى النار) وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهى عبارة عن كثرة اهل النار (حتى اذا ماجاؤها) اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ) اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حىّ ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما في الموجودات الممكنة (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا

قل و القدرة و اللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا للعلم و العقل فان قلنا انه تعالى غير تلك البنية
صورة خرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر القرآن يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع و البصر و الجلود
قلنا انه تعالى ماغير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع كونها عاقلة ناطقة فاهمة و انما يتأتى على مذهب اصحابنا لان البنية
ت شرطا للحياة و لا للعلم و لا للقدرة عندنا فهو تعالى قادر على خلق العقل و القدرة و النطق فى كل جزء من اجزاء
الاعضاء و قيل فى كيفية نطقها و شهادتها ان تظهر فيها احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان
ت الامارات تسمى شهادات كما يقال شهد العالم بتغيرات احواله على حدوثه ﴿قوله تعالى ان يشهد﴾
ضع النصب باسقاط الخافض من ان يشهد او الجر على ارادته لان استتر لا يتعدى بنفسه و قيل فى موضع الجر
تقدير المضاف اى مخافة ان يشهد اى كنتم تكتفون عند ارتكاب الفواحش بالتستر و الاستخفاء من الناس و لم تعلموا
عالى لا يعزب عنه مثقال ذرة من خفيات الامور و جلياتها حتى تخافوا من ان يفضحكم بان ينطق اعضاءكم
هدها عليكم و لكن ظننتم انه تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون اى لا يعلم مافعلتموه خفية مستترين بالحيطان و الحجب
ة الليل فلذلك اجترأتم على ارتكاب الفواحش خفية و ما علمتم انه تعالى مطلع عليها و مفضحكم بها بان ينطق
ر حكم و يشهدها عليكم فان طائفة من الكفار بلغ جهلهم الى ان ظنوا انه تعالى يعلم بعض الامور و يخفى عليه
ها عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما فى انفسنا و لكنه يعلم ما نظهره
ن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان و قرشى او قرشيان و ثقفى كثير شحم بطونهم
فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال آخر يسمع ان جهرنا و لا يسمع ان اخفينا و قال الثالث
ان يسمع ان جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فانزل الله تعالى و ما كنتم
رون الآية قيل الثقفى عبد ياليل و القرشيان ختناه ربيعة و صفوان بن امية ﴿قوله اذ صار ماضحوا﴾
لقوة العاقلة نعمة انعم الله تعالى بها على عباده ليتوسلوا بها الى تحصيل العقائد الحقية التى هى سبب سعادة الدارين
توسل بها الى شقاء الدارين فقد خسر خسرانا مبينا و هذه الآية نص صريح فى ان من ظن انه تعالى يخرج
علمه شئ من المعلومات فانه الهالك الخاسر و ان ظنه ذلك يرديه ثم قال فان يصبروا اى ان امسكوا
لاستغاثة و الجزع مما هم فيه انتظار الفرج زاعمين ان الصبر مفتاح الفرج لم يجدوا ذلك و تكون النار مثوى لهم
ثوآء و هو الاقامة و ذكر فى مقابلة صبرهم استعتابهم فقال و ان يستعتبوا بفتح ياء الغيبة و كسر التاء الثانية
بناء الفاعل اى و ان اظهروا الجزع و استغاثوا فى ازالة ما هم فيه من العذاب لم يعتبوا اى لم يجابوا الى ذلك فكان
هم و صبرهم سوآء فى ان شيأ منهما لا يؤدى الى الخلاص يقال عتب عليه اى وجد عليه و غضب و اعتبنى
اى عاد الى مودتى راجعا عن الاساءة و الاستعتاب طلب العتبى و هو اسم من الاعتاب بمعنى ازالة العتب
طاء و الاستعطاء فهو تعالى عاتب مغضب على المسئ بتعذيبه و المسئ مستعتب يطلب منه تعالى ان يعتبه
زيل عنه ما هو فيه من العقوبة و العذاب الا انه لا يكون معتبا و قرئ و ان يستعتبوا على بناء المفعول فما هم
عتبين على بناء اسم الفاعل من اعتب بمعنى رضى و ازال عنه اى ان استعتب احد منهم بان يطلب منهم ان يعتب ربه
ل ما يعتب ربه عليه لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار التكليف و الطاعة و اتوا دار الجزآء فاين يقدرون
عتاب ربهم ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد فى الدنيا و الآخرة على كفر اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذى
ه وقعوا فى ذلك الكفر فقال و قيضنا لهم قرناء اى جعلنا القرناء و قدرناها قيضا لهم اى بمنزلة القيض الذى
لى على اللب كما يستولى القيض على البيض و قيض البيضة قشرها فانهم لما صمموا على الكفر لم يبق لهم
اصدقاء الا الشياطين و هذا معنى قول الجوهرى قيض الله فلانا لفلان اى جاءه به و اباحه له اى قدره له
ان جمع خدن و هو الصديق و قيل قيضنا ليس من القيض بمعنى القشر بل هو من القيض بمعنى البدل و العوض
ل هذان ثوبان قيضان اذا كان كل واحد منهما مكافئا للآخر فى القيمة بحيث يصح ان يباع احدهما بالآخر
ضة اى مبادلة و هى بيع السلعة بالسلعة سمى بها لكونه معاوضة احد المتباعين بالآخر و لما كان عقد المقايضة
على مناسبة احد البدلين للآخر كان معنى الآية جعلنا و قدرنا قرناء السوء لهم قيضا اى مناسبا لهم بحيث يليق
عدوهم اخدانا و اصدقاء يقبلون ما دعوهم اليه و لم يرض بهذا الاحتمال لما فيه من التكلف و قد دلت الآية
ن كفر الكافر بارادة الله تعالى و مشيئته و ان لم يرضه لانه حكم بانه قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل و هذا

(و ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم و لا ابصاركم و لا جلودكم) اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة و ما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها و فيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا و عليه رقيب (و لكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم (و ذلكم) اشارة الى ظنهم هذا و هو مبتدأ و قوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم) خبران له و يجوز ان يكون ظنكم بدلا و ارداكم خبرا (فاصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا للشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (و ان يستعتبوا) يسألوا العتبى و هى الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) المجابين اليها و نظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص و قرئ و ان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (و قيضنا) و قدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض و هو القشر و قيل اصل القيض البدل و منه المقايضة للمعاوضة

يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر لانه تعالى لماقيض لهم اولئك القرناء بارادته وهو يعلم انهم يزينون لهم الباطل ويحملونهم على الكفر لزم ان يريد منهم ذلك التزيين ومايترتب عليه لان من فعل فعلا بارادته وعلم ان ذلك الفعل يفضى لامحالة الى اثر فذلك الفاعل لابدّان يكون مريدا لذلك الاثر ﴿قوله مابين ايديهم من امر الدنيا﴾ جعل امر الدنيا بين ايديهم لكونها حاضرة لهم كما يقال لمن يجيئ بعد الشخص انه خلفه وقيل مابين ايديهم الآخرة لانها قدامهم وهم متوجهون اليها وماخلفهم الدنيا لانهم يتركونها خلفهم ﴿قوله تعالى فى امم﴾ فى محل النصب على انه حال من الضمير المجرور فى عليهم اى حق عليهم القول حال كونهم فى جملة امم من المتقدّمين وشبه كلمة فى الواقعة فى الآية بمافى قول الشاعر * فى آخرين قدأفكوا * اى فانت فى جملة آخرين وفى عدادهم فى كونك مأفوكا عن احسن الصنيعة ولست باوحدىّ فى ذلك * واعلم انه تعالى لما وصف كتابه العزيز فى اوّل السورة باوصاف جليلة ثم اخبران اكثرهم اعرضوا عن تدبره وقبوله بين طريق اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا فى اكنة الى قوله فاعمل اننا عاملون وامر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم فاجاب بوجوه من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم طريقا آخر لاعراضهم عن القرآن فقال وقال الذين كفروا الآية ﴿قوله بالخرافات﴾ وهى الهذيان والاحاديث التى لا اصل لها قيل خرافة اسم رجل من بنى عذرة استهوته الجنّ وكان يحدّث بمارأى فكذبوه وقالوا لكل مايكذبونه من الاحاديث ولكل مايستملح ويتعجب منه خرافات وكان بعضهم يوصى بعضا اذا رأيتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن لاتصغوا الى قرآءته والغوا فيه اى افشوا فيه باللغو وهو ماليس له معنى مفيد ليخلط عليه مايقرأ فلا يتمكن من قرآءته ولا يتمكن اصحابه ايضا من سماعه قال مقاتل اى ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام فى وجهه حتى تلبسوا عليه ولما ذكر الله تعالى ذلك عنهم هدّدهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقنّ الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر فى القدر القليل الذى يؤتى به لاجل التجربة واذا كان الذوق وهو قدر قليل عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ﴿قوله المراد بهم هؤلاء القائلون﴾ يعنى ان التعريف فى قوله الذين كفروا للعهد الخارجى والمعهود هم الذين يقولون لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون للاستغراق فيدخل فيه القائلون دخولا اوّليا ﴿قوله سيئات اعمالهم﴾ يعنى ان الاسوء لم يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه ليفيد انه تعالى يجزيهم جزآء سيئات اعمالهم وجزآء اسوءها بل قصد الزيادة المطلقة واضافته الى ما عملوا لبيان انه بعض منه لا لتفضيله عليه كما يقال الاشج اعدل بنى مروان ولا يقصد به ان بنى مروان اهل العدل وان الاشج اعدلهم بل قصد به الزيادة المطلقة واضيف اليهم لبيان انه بعض منهم * فان قيل الموصوف بافعل على تقدير ان يحمل على الزيادة المطلقة يجب ان يكون بالغا غاية الكمال فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل فبقيت الشبهة وهى ان يجزون جزآء ماهو فى غاية القباحة من الاعمال مع انهم يجزون جزآء مالم يبلغ الى تلك الغاية * قلنا كل معصية من حيث كونها مخالفة للملك المتعالى فى غاية القباحة واليه اشار المصنف بقوله سيئات اعمالهم حيث جعل الاعمال السيئة مطلقا اسوء ﴿قوله اشارة الى الاسوء﴾ كون قوله جزآء اعدآء الله خبرا عن الاسوء ينافى تفسير قوله اسوء الذى عملوا بقوله سيئات اعمالهم فانه يفهم منه ان يكون تقدير الكلام ولنجزينهم بمقابلة اسوء ماعملوا فيكون الاسوء من قبيل الاعمال فكيف يخبر عنه بالجزآء فينبغى ان يحمل الآية على تقدير المضاف اى ولنجزينهم جزآء اسوء ماعملوا فكذا قول المصنف سيئات اعمالهم اى جزآء سيئات اعمالهم ﴿قوله فانها دار اقامتهم﴾ يعنى أن كلمة فى ليست للظرفية بل للتجريد والمعنى ان النار نفسها دارهم وهم خالدون فيها كما فى قوله تعالى لقدكان لكم فى رسول الله اسوة حسنة يعنى انه عليه الصلاة والسلام اسوة لكم والامام الرازى رحمه الله جعل كلمة فى للظرفية حيث قال لهم فى جملة النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم والمصنف اقتفى اثر الزمخشرى فى جعله اياه للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر مماثل للاوّل فى الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة فى كمال تلك الصفة فى الامر الاوّل حتى كأنه بلغ فى اتصافه بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه امر آخر موصوف بتلك كالنار مثلا فانها لما بلغت فى كونها دار الخلد بالنسبة اليهم مرتبة عالية صح معها ان ينتزع منها اخرى مثلها فى تلك الصفة ﴿قوله على ان المقصود هو الصفة﴾ اى المبالغة فيها ﴿قوله ينكرون الحق﴾ اى ينكرون مايعرفون انه حق فانهم يعلمون باعجاز القرآن انه كلام الله تعالى لاريب فيه وانما يجحدونه حسدا فلذلك كان بعضهم يوصى الى بعض ان لايسمع الى قرآءته عليه الصلاة

(والسلام)

(فزينوا لهم مابين ايديهم) من امر الدنيا واتباع الشهوات (وماخلفهم) من امر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) اى كلمة العذاب (فى امم) فى جملة امم كقوله * ان تك عن احسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قدأفكوا * وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجنّ والانس) وقد عملوا مثل اعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوّشه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) اى تغلبونه على قرآءته (فلنذيقنّ الذى كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار (ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون) سيئات اعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوء (جزآء اعدآء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزآء او خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزآء بما كانوا باآياتنا يجحدون) ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو

سلام وان يلغى فيه خوفا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به ثم جوّز ان يكون الجحود مجازا عن اللغو على طريق
السبب وارادة المسبب وقوله جزآء مصدر مؤكد لفعله الذى دل عليه قوله لهم فيها اى يجزون جزآء و يجوز ان
ن مفعولا له اى لهم ذلك الجزآء وان يكون منصوبا بالمصدر الذى قبله و هو جزآء اعدآء الله والمصدر ينصب
كما فى قوله فان جهنم جزآؤكم جزآء ثم انه تعالى لما بين ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد هو مجالسة
م السوء بين ان الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا الذين اضلانا ﴿قوله فانهما سنا
كفر﴾ سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل حيث قتل اخاه هابيل ثم انه تعالى لما ذكر قرناء الكفار وسوء عاقبتهم
قرناء المؤمنين واولياءهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وهم الملائكة ﴿قوله من حيث انه مبدأ الاستقامة﴾
من اقرّ بأن من هو رب العالمين ربه ومالكه ومدبر امره يستوجب الاستقامة والثبات على مقتضى اقراره بان
على شكره وثنائه باللسان وصرف جوارحه وحياته الى العمل والاعتقاد على وفق اقراره حتى يسلم لسانه
وارحه وقلبه من الاعوجاج بان يخالف بعضها بعضا فنسبة الاستقامة الى الاقرار نسبة المنتهى الى المبدأ
﴿قوله فيما يعن﴾ اى يعرض ويعترض لهم من الاهوال سوآء كان فى القبر او عند البعث او عند الموت ﴿قوله
افوا ماتقدمون عليه﴾ الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق بما وقع من المكروه من فوات نافع
حصول ضارّ والمعنى لاتخافوا ما انتم قادمون عليه من امر الآخرة فلن تروا مكروها ولاتحزنوا على ما خلفتموه
هل و ولد فانه تعالى يخلفه عليكم بخير ويعطيكم فى الجنة اكثر من ذلك واحسن ويجمع بينكم وبين اهاليكم
لادكم المسلمين فى الجنة ﴿قوله وان مصدرية﴾ ولا نافية لا ناهية لان ما فيه معنى الطلب لايصح ان يكون صلة
المصدرية على المشهور والفعل بعدها منصوب بان الا ان صاحب الكشاف والمصنف يجوّز ان ذلك والتقدير
ل عليهم الملائكة ملتبسين بان لاتخافوا اى بهذا القول وهو انه تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه
﴿قوله او مخففة من الثقيلة مقدرة بالباء﴾ اى يتنزلون بان لاتخافوا والهاء ضمير الشان ولا ناهية اى ينزلون
سين بهذه البشارة ان لاتخافوا من هول الموت ولا من هول القبر وافزاع يوم القيامة فان المؤمن ينظر الى حافظيه
ن على رأسه يقولان له لاتخف اليوم ولاتحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد وانك سترى اليوم امورا لم تر مثلها
هولنك فانما يراد بها غيرك ﴿قوله وهو اعم من الاوّل﴾ لان كل مطلوب لايلزم ان يكون بحيث تنزع
الشهوة الطبيعية لجواز كونه من الفضائل الروحانية والكمالات النفسانية ﴿قوله حال من ماتدعون﴾ اى
لموصول او من الضمير المحذوف اى ماتدعونه والمراد بالنزل الرزق المعدّ للنازل وهو الضيف كأنه قيل ولكم فيها
ى توعدونه حال كونه كالنزل للضيف واكرامهم فيها بما لايخطر بالهم فضلا عن ان يشتهوه او يتمنوه والعامل فيها
ق لكم اى ثبت لكم المدّعى حال كونه نزلا وقوله من غفور رحيم متعلق بمحذوف هو صفة لنزلا * واعلم انه تعالى
كر اوّلا وعيد من اعرض عن القرآن وتدبر معناه وذكر بعده فضيلة من اقرّ بالعبودية واستقام قلبا وقالبا بين ان
رتبة استكمال ذات النفس وجوهرها وانه من اشتغل بتكميل الناقصين بعد تكميل جوهر نفسه فانه اعلى شانا
سن حالا بالنسبة الى من اكتفى بتكميل نفسه واعرض عن الالتفات الى حال غيره فقال ومن احسن قولا ممن دعا
لله وهذا صريح فى ان الدعوة الى الله احسن من كل ماسواه وكل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل
ذه الآية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم يدعون الى الله تعالى
زات وبالحجج والبراهين وبالسيف والمرتبة الثانية دعوة العلماء فانهم يدعون اليه تعالى بالحجج والبراهين فقط
لماء ثلاثة اقسام عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وعالم بامر الله اما الاوّل فهو
استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا فى مشاهدته نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم
كام الاقدر مالابدّ منه والثانى وهو الذى يكون عالما بامر الله وغير عالم بالله هم الذين عرفوا الحلال والحرام
ئق الاحكام ولكنهم لايعرفون اسرار جلال الله تعالى وجماله واما العالم بالله وباحكامه فهم الجامعون لفضائل
ين الاوّلين وهم تارة مع الله تعالى بالحب والارادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجعوا الى الخلق
وا معهم كواحد منهم كأنهم لايعرفون الله واذا خلوا بربهم صاروا مشتغلين بذكره كأنهم لايعرفون الخلق
سبيل المرسلين والصديقين والمرتبة الثالثة للدعوة الدعوة بالسيف وهى للملوك فانهم يجاهدون الكفار حتى
وا فى دين الله وطاعته والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى وطاعته وهى

﴿وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجنّ والانس﴾ يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الرآء ﴿نجعلهما تحت اقدامنا﴾ ندسهما من الدوس انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ليكونا من الاسفلين﴾ مكانا او ذلا ﴿ان الذين قالوا ربنا الله﴾ اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ﴿ثم استقاموا﴾ فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وماروى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ فيما يعنّ لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر ﴿ان لاتخافوا﴾ ماتقدمون عليه ﴿ولاتحزنوا﴾ على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدّرة بالباء او ناصبة او لاتخافوا او مفسرة ﴿وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ فى الدنيا على لسان الرسل ﴿نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشيطان يفعل بالكفرة ﴿وفى الآخرة﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما تعادى الكفرة وقرناؤهم ﴿ولكم فيها﴾ فى الآخرة ﴿ما تشتهى انفسكم﴾ من اللذآئذ ﴿ولكم فيها ماتدّعون﴾ ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاوّل ﴿نزلا من غفور رحيم﴾ حال من ماتدّعون للاشعار بان ماتتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لايخطر ببالهم كالنزل للضيف

اضعف مراتب الدعوة الى الله فلما كانت كل واحدة من هذه المراتب داخلة فى الدعوة الى الله ظهر انه لا وجه لتخصيصها ببعض تلك المراتب وقيل نزلت الآية فى حقه عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى ومن احسن قولا تعجبا من المشركين الذين تواصوا باللغو فى قرآنه عليه الصلاة والسلام من انه لا قول احسن من قوله ولا قائل احسن قولا منه وهو يدعو الى الله تعالى ولا تهمة فيه ولانه يعمل بما يقول ويظهر دين الاسلام الذى هو دين ابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ **قوله** قاله تفاخرا به ﴾ اى ليس الغرض من قوله تعالى وقال اننى من المسلمين مجرد أن يتكلم بهذا الكلام بل المقصود التوصيف بانه يتكلم به ابتهاجا بما انعم الله تعالى عليه من نعمة الاسلام وان يتكلم به اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا فاحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاث اولاها الدعوة الى الله وثانيتها العمل الصالح وثالثتها التدين بدين الاسلام والافتخار ثم انه تعالى لما عدّ سيئات المشركين وبين سوء عاقبتها شرع فى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستمرار على دعوتهم الى الله وطاعته فقال ولا تستوى الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة ما هو عليه من دعوتهم الى الدين الحق والصبر على جهالتهم وترك الانتقام منهم والالتفات الى سفاهتهم وبالسيئة ما اظهروه من المخالفة والعناد بمثل قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكأنه تعالى قال يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزآء وحسن العاقبة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغى ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتى هى احسن ﴿ **قوله** وانما اخرجه مخرج الاستئناف ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال فادفع بالفاء الدالة على السببية لان نفى الاستوآء بينهما سبب للدفع بالاحسن * وتقرير الجواب ان صورة الاستئناف ابلغ فى الحث على دفع السيئة بالحسنة والحمل عليه لان اخراج الكلام على صورة الاستئناف انما يكون فى مقام الاهتمام بالحكم ﴿ **قوله** تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم ﴾ كلمة اذا فيه للمفاجأة والموصول مبتدأ وصلته قوله عداوة وفى الخبر وجهان احدهما اذا المذكورة المكانية وقوله كأنه ولىّ فى موضع النصب على الحال من الموصول كأنه قيل فبالحسنة من يعاديك يصير مشبها بالولىّ والفائدة منوطة بالحال والثانى كأنه مع ما اتصل به هو الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه والظروف تعمل فيها رائحة الفعل تقدمت على العامل او تأخرت ﴿ **قوله** تعالى واما ينزغنك ﴾ ان فيه شرطية وما مزيدة لتأكيد معنى الشرطية والاستلزام فلذلك لحقت نون التأكيد بفعل الشرط فانها لا يلحق الشرط بها ما لم تؤكد بما كما مرّ وفى الصحاح نزغ الشيطان بينهم اى أفسد ونزغه بكلمة اى طعن فيه مثل نخسه بعود او باصبع والمعنى ان الشيطان ان وسوس اليك بان ألقى فى خاطرك لا تقبل هذه الوصية وهى ان تدفع السيئة بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شرّه وكلمة من فى قوله من الشيطان ابتدآئية ونزغ صادر من جهته وان كان قوله نزغ بمعنى نازغ وهو الشيطان تكون كلمة من تجريدية على ان يجرد من الشيطان شيطان آخر ويسمى نازغا قال الشيخ ابن العربى قدس سره فى فتوحاته المكية روى ان اعرابيا من فصحاء العرب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع انه عليه الصلاة والسلام اوتى جوامع الكلم وانه انزل عليه كتاب معجز تعجز فصحاء العرب عن معارضته فقال له يا رسول الله هل فيما انزل عليك ربك مثل ما قلته فقال عليه افضل الصلاة والسلام وما قلت الاعرابى فقال قلت

۞ وحىّ ذوى الاضغان تسب عقولهم ۞	تحيتك القربى فقد يرفع النغل ۞
۞ وان جهروا بالقول فاعف تكرما ۞	وان ستروا عنك الملامة لم تبل ۞
۞ فان الذى يؤذيك منه استماعه ۞	وان الذى قد قيل خلفك لم يقل ۞

فقرأ عليه الصلاة والسلام ولا تستوى الحسنة ولا السيئة الآية فقال الاعرابى هذا والله السحر الحلال والله ما تخيلت ولا كان فى علمى انه نزل ويؤتى باحسن مما قلت اشهد انك رسول الله والله ما خرج هذا الا من ذى ال انتهى كلامه والال بالكسر هو الله عز وجل اى والله ما بلغ هذا الكلام الا من هو رسول الله جاء به من عند ربه لانه خارج عن وسع البشر امر ان تحيى من بينك وبينه عداوة وحقد تحية كتحيتك اقرباءك ويقال نغل الاديم بالكسر اى فسد والعامة تقول نغل قلبه علىّ اى ضغن ﴿ **قوله** الا ذو حظ عظيم ﴾ من الخير اى من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام لا يكون الا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية فان النفس اذا

(ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) قاله تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى عليه السلام وقيل فى المؤذنين (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) فى الجزآء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى احسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزآئد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم) اى اذا فعلت ذلك صار عدوّك المشاق مثل الولىّ الشفيق (وما يلقيها) وما يلق هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (وما يلقيها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغى كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جدّ جدّه او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شرّه ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك او بصلاحك

قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية و اذا كانت لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحملها و لم تشتغل بالانتقام
ان هذه السيرة لا يلقاها الاذو حظ عظيم من قوّة النفس و صفاء جوهرها و يحتمل ان يكون المعنى و ما يلقاها
و حظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه يكون قوله و ما يلقاها الا الذين صبروا مدحا لهم بفعل الصبر
ه و ما يلقاها الاذو حظ عظيم وعد باعظم الحظ من الثواب ثم انه تعالى لما بين فى الآية المتقدمة ان احسن الاعمال
قوال هو الدعوة الى الله تعالى و من المعلوم ان العمدة الكبرى فى طرق الدعوة اليه تعالى هى تقرير الدلائل
ة الحجج و البراهين الدالة على وجود الاله الموصوف بالفردانية والقدرة القاهرة و الحكمة البالغة شرع فى
تلك الدلائل فقال و من آياته الليل و النهار الآية فان تعاقب الليل و النهار على الوجه الذى يتفرّع عليه منافع
و مصالحهم و تذليل الشمس و القمر لما يراد منهما من اظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى و وحدانيته
علمه و حكمته ﴿قوله و المقصود تعليق الفعل بهما﴾ اى بالشمس و القمر و الجملة حالية لتقرير جهة
كال فان مقتضى الظاهر ان يقال لله الذى خلقهما تنصيصا على الامر بتخصيص السجود الذى هو نهاية التعظيم
ستحقه و هو رب العالمين على وجه يتضمن تعليل النهى عن سجود الشمس و القمر الا انه تعالى جمع الشمس
ر مع الليل و النهار على خلاف الظاهر اشعارا بانهما مع كونهما عبدين مأمورين مخلوقين من عداد ما لا يعقل
تار فحالهما ابعد عن كونهما مسجودين فقال خلقهنّ * فان قيل ما عدا الشمس من هذه الاربع ذكور فكان
ب تغليب الذكور على المؤنث الواحد فلم غلب الانثى الواحدة على الذكور * قلنا تلك الاربع المتعاطفة جماعة
عقل فلا يجوز ان يرجع اليها ضمير جماعة الذكور و انما يرجع اليها اما ضمير الانثى او ضمير الاناث لان الافصح
ع القلة ان يعامل معاملة الاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهنّ و اختير الثانى فى الآية و ما قيل من انه قيل
ن بضمير الاناث دون ضمير الانثى لان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث و فى جمع الكثرة ان يعامل
ة الانثى فان الافصح ان يقال الاجذاع كسرتهنّ و الجذوع كسرتها و المرجوع اليه فى الآية جمع قلة فلذلك
اليه ضمير الاناث مما لا وجه له لان المرجوع اليه فى الآية ليس لفظا واحدا موضوعا لما دون العشرة حتى
جمع قلة ﴿قوله فان السجود اخص العبادات﴾ به تعالى لان العبادة عبارة عن التذلل لله تعالى و تعظيم
و السجود نهاية التعظيم فيكون اخص به تعالى بالنسبة الى سائر وجوه العبادة و تقديم المفعول فى قوله تعالى
بدون للحصر و التخصيص فمن خص العبادة به تعالى لزمه ان لا يسجد لغيره ضرورة ان اختصاص مطلق
ة له تعالى يستلزم اختصاص اخص العبادة به بطريق الاولى فقوله فان السجود اخص العبادات علة للجواب
ف لقوله ان كنتم اياه تعبدون و تقدير الكلام ان كنتم اياه تعبدون لا تسجدوا لغيره قيل كان ناس يسجدون
و القمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب و يزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى فنهوا عن
الواسطة و امروا ان لا يسجدوا الا لله الذى خلق هذه الاشياء * فان قيل اذا كان لا بدّ فى السجود من قبلة معينة
علنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى * قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة له منافع عظيمة فى صلاح
الخلق فلو اذن الشرع فى جعلها قبلة فى الصلوات بان يتوجه اليها و يركع و يسجد نحوها ربما غلب على بعض
ام ان ذلك الركوع و السجود للشمس لا لله فللاحتراز هذا الوهم نهى الحاكم الشارع من جعل الشمس قبلة
الاحجار المعينة فانه ليس فى جعلها قبلة ما يوهم الالهية فكان المقصود من اتخاذ القبلة حاصلا بالتوجه اليها
ال المحذور المذكور فكان جعلها قبلة اولى قال السدّى لما نزلت هذه الآية قال المشركون لا تسجدوا
ت و العزى فنزل قوله تعالى فان استكبروا * فان قيل ان الذين يستكبرون يقولون نحن اقل و اذل من ان يحصل
لية لعبادة الله تعالى بالذات فلا نعبد الا من يشفع لنا عنده و يقربنا اليه و اذا كان قولهم هكذا فما الوجه فى
م مستكبرين عن السجود لله تعالى * اجيب بان ليس المراد بالاستكبار الاستكبار عن السجود لله تعالى بل المراد
كبار عن قبول قول رسول الله صلى الله عليه و سلم فى نهيه عن السجود لغير الله تعالى و المعنى فان استكبروا
تثال امرك و ابوا الا اتخاذ الواسطة فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله تعالى فان الملائكة المقربين
لله تعالى ينزهونه عن الانداد دائما و قيل يسبحون له اى يسجدون له و يسبحون فيه و قيل يصلون و فيها
د و غيره و جزاء قوله تعالى فان استكبروا محذوف و هو ما اشرنا اليه بقولنا فذلك لا يقلل عدد المخلصين
لدلالة قوله فالذين عند ربك يسبحون له عليه فانه علة للجزاء المحذوف اقيم مقامه و اشار الزمخشرى الى

(و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر لا تسجدوا للشمس و لا للقمر) لانهما مخلوقان مأمور ان مثلكم (و اسجدوا لله الذى خلقهنّ) الضمير للاربعة المذكورة و المقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم و لا يختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود اخص العبادات و هو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به و عند ابى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل و النهار) اى دائما لقوله (و هم لا يسأمون) اى لا يملون

الجواب المحذوف بقوله فدعهم وشانهم ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة شبه يبس الارض وخلوّها عن الخير والبركة بكون الشخص خاضعا ذليلا عاريا لايؤبه به لدناءة هيئته فاطلق اسم الخشوع عليه ثم اشتق منه خاشعة فهى استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة ولك ان تجعله من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ونما وربا الفرس اذا انتفخ من عدو اوفزع وهوالمراد ههنا لان المصنف فسره بقوله وانتفخت وقوله تزخرفت اى تزينت تفسير لقوله اهتزت فان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت الارض له وانتفخت ثم تصدّعت عن النبات ثم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة اليه انما تحصل بذكر دلائل وجوده واتصافه بصفات العظمة وذكر فيها دلائل وآيات كثيرة عاد الى تهديد من ينازع فى تلك الآيات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون فى آياتنا الآية والالحاد فى الاصل مطلق الميل والانحراف ثم خص فى العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اى الذين ينحرفون عن تأويل آيات القرآن من طريق الصحة والاستقامة نجازيهم على انحرافهم ثم نبه على انهم يلقون فى النار وان اضدادهم يأتون يوم القيامة آمنين ﴿قوله بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا﴾ لان الالحاد فيها كفر بالقرآن فلذا اكتفى بجواب الاوّل عن الثانى والذى يحكم به على البدل هو المحكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لايخفون علينا ﴿قوله او اولئك ينادون﴾ معطوف على قول محذوف استبعد هذا الاحتمال من وجهين الاوّل كثرة الفواصل بينهما والثانى تقدم من تصح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لايؤمنون وحق اسم الاشارة ان يشار به الى اقرب مذكور ﴿قوله والذكر القرآن﴾ فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات ولما بالغ فى تهديد الذين يلحدون فى آيات القرآن اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وانه لكتاب عزيز ان كان من العز الذى هو خلاف الذل يفسر بانه كثير النفع عديم النظير وان كان من عزه يعزه عزا بمعنى غلبه يفسر بانه منيع لايتأتى ابطاله وتحريفه فان القرآن وان كان لايخلو عن طعن باطل من الطاعنين وتأويل فاسد من المبطلين الا انه تعالى وقاه بحفظه وقدّر له فى كل عصر منعة يحفظونه ويحرسونه بابطال شبه اهل الزيغ والهوى وردّ تأويلاتهم الفاسد فهو غالب بحفظ الله تعالى اياه وكثرة منعته على كل من يتعرّض له بالسوء ﴿قوله لايتطرّق اليه الباطل من جهة من الجهات﴾ بان يذكر اظهر الجهات واكثرها فى الاعتبار وهو جهتا القدّام والخلف ويراد الجهات باسرها فيكون قوله لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه استعارة تمثيلية شبه الكتاب فى عدم تطرّق الباطل اليه بوجه من الوجوه بمن هو محمى بحماية غالب قاهر يمنع جاره من ان يتعرّض له العدوّ من جهة من جهاته ثم اخرجه مخرج الاستعارة بان عبر عن المشبه بما يعبر به عن المشبه به فقال لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله لايأتيه الباطل صفة ثانية لكتاب وقوله تنزيل من حكيم حميد تعليل لاتصاف الكتاب بالوصفين المذكورين فان كونه منزلا من حكيم يوجب كونه عزيزا كثير النفع عديم النظير وكونه منيعا غالبا لايتأتى ابطاله وكونه من حميد يستلزم كونه حقا لايتطرّق اليه الباطل ﴿قوله اوعما فيه﴾ عطف على قوله من جهة من الجهات اى لايأتيه الباطل مما فيه من الاخبار الماضية والآتية على ان الاخبار بمعنى المخبر بها ثم انه تعالى لما بين شرف آياته وعلوّ درجة كتابه رجع الى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لايضيق قلبه باعراضهم عن تدبر كتاب الله تعالى فقال مايقال لك الا ماقد قيل للرسل ﴿قوله وهو على الثانى﴾ لا على الاوّل اذ لايتصوّر ان تكون هذه الجملة من مقول الكفرة ذكر المفسرون ان سبب نزول قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا ان الكفار كانوا يقولون لتعنتهم هلا نزل القرآن بلغة العجم فاجيبوا بان الامر لوكان كما تقترحون لم تتركوا الاعتراض والتعنت ولم يرض الامام بقولهم وقال انه لايخلو عن الطعن فى القرآن لانه يقتضى تجويز ورود آيات لاتعلق للبعض منها بالبعض فلا يكون كتابا منتظما فضلا عن كونه معجزا ثم قال بل الحق عندى ان هذه السورة من اوّلها الى آخرها كلام واحد بعضه متعلق ببعض وهذا الكلام متعلق بما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وجواب له ايضا والتقدير انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمى الى القوم العرب على لسان النبىّ العربى وصح لهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة من هذا الكلام وفى آذاننا وقر منه فانا لانفهمه ولا نحيط بمعناه اما اذا نزل هذا القرآن بلغة العرب وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان

(قلوبكم)

(ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت (ان الذى احياها) بعد موتها (لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (فى آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها (لايخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى فى النار خير أمّن يأتى آمنا يوم القيامة) قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين (اعملوا ماشئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لايتأتى ابطاله وتحريفه (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لايتطرّق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) واىّ حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (مايقال لك) اى مايقول لك كفار قومك (الا ماقد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ماقال لهم كفار قومهم او مايقول الله لك الا مثل ماقال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب اليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا اعجميا) جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه

م فى اكنة منها و فى آذانكم وقر فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة
لها الى آخرها على احسن وجوه الانتظام واما على الوجه الذى يذكره الناس فيختل امر الانتظام فهو عجيب
﴿قوله انكار مقرر للتحضيض﴾ فان معنى التحضيض فى قوله لولا فصلت الانكار والتوبيخ واللوم على
فعل كما انها اذا دخلت على المضارع تكون للتحضيض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر
اضى للانكار فيكون انكارهم بقولهم أقرءآن اعجمى ورسول عربى اومرسل اليه عربى مقررا للانكار
اد من حرف التحضيض والاعجم يقال لمن لايفصح ولايفهم كلامه سوآء كان من العرب او من العجم ويقال
ه ايضا والاعجمى مثله اى يقال لنفس من لايفصح ولكلامه ايضا وزيادة ياء النسبة فيه للتأكيد
غة كما يقال فى احمر ودوار احمرى ودوارى ومنه زيادة ياء النسبة فى الاعجمى سمى بذلك لافة كانت فى لسانه
نسب الذات الى صفته للمبالغة فى اتصافه بها وليس النسب فيه حقيقيا بخلاف عجمى فان الياء فيه للنسب
يقال رجل عجمى اذا كان من الاعاجم منسوبا الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح * فان قلت قد ظهر
مك ان الاعجمى كما يقال لذات من لايفصح عن مراده لعجمة فى لسانه وان كان من العرب يقال ايضا لكلامه
الذى لايوضح المعنى المقصود وشئ منهما غير مقصود ههنا بل المراد بالاعجمى ههنا هو الكلام المنتظم على
عجم كما يدل عليه قوله انه جواب لقولهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم * قلت نعم الا ان مقصود المصنف بيان
الحقيق للفظ الاعجمى وهو لاينافى اطلاقه على الكلام المؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيها له بكلام
فصح من حيث انه لايفهم معناه بالنسبة الى العرب ﴿قوله وقرئ أعجمى﴾ بفتح العين بعد همزة الاستفهام
لام منسوب الى العجم ورسول عربى اومرسل اليه عربى وقرئ اعجمى ايضا بسكون العين بدون همزة
هام فيكون اخبارا بان القرءآن اعجمى والرسول او الامة المرسل اليهم عربى ﴿قوله على الاخبار﴾ اى
الاستفهام والانشاء والمعنى ولوجعلنا المنزل اعجميا لقالوا طاعنين فيه ومنكرين لكونه اعجميا لولا فصلت
لقالوا مستأنفين لبيان عدم كون آياته مفصلة ومبينة اعجمى وعربى اى المنزل اعجمى والمنزل عليه عربى
كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لبيان ماذكر ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى قرآءة اعجمى
زة الاستفهام يجوز ان يكون التفصيل بمعنى التفريق والتمييز لابمعنى التبيين ويكون المعنى ولوجعلنا المنزل
جميا لقالوا لايجوز ان يراد هذا المعنى لان الهمزة تدل على انكار التفصيل بمعنى التفريق وهو ينافى
يض عليه وانما قال يجوز لاحتمال ان يكون المعنى ماذكرناه اولا ﴿قوله والمقصود﴾ اى المقصود من قوله
ولوجعلناه قرءآنا اعجميا اما ابطال مااقترحوه بقولهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم بناء على ان ذلك يستلزم
صفى المنزل والمنزل عليه واما الدلالة على ماذكر والتعنت طلب زلة المخاطب ثم انه تعالى لما بين بطلان
حوه وانهم لاينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت وصف القرءآن بانه لوضوح آياته وسطوع براهينه
الحق ومزيل للريب والشك وشفاء من دآء الجهل والكفر والارتياب ومن ارتاب فيه ولم يؤمن به فارتيابه
نا من توغله فى اتباع الشهوات وتقاعده عن تفقد ماينجيه وبعده عما يرديه ويشقيه فقوله للذين آمنوا
لن يؤول امره الى الايمان لصفاء جوهر نفسه عن الكدورات النفسانية والاخلاق الردية ﴿قوله مبتدأ
ه فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم وقر﴾ احتاج الى تقدير ضمير مرفوع على الابتدآء فيكون وقر خبره
ذانهم بيان لمحل الوقر والمبتدأ الثانى مع خبره خبر الاول لانه لوجعل والذين لايؤمنون مبتدأ وفى آذانهم خبره
فاعل الظرف اوجعل فى آذانهم خبرا مقدما ووقر مبتدأ مؤخرا والجملة خبر الاول لورد ان يقال ماوجه اتصال
جملة بما قبلها مع ان ماقبلها قد اخبر فيه عن الكتاب بانه هدى وشفاء وفى هذه الجملة اخبر عمن لم يؤمن بانه
نه وقر فكانتا جملتين متباينتين فى الغرض والاسلوب فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى فلما قدر المبتدأ
اتصلت بالاولى لتحقق الجامع بينهما باعتبار المسند اليه فيهما ولما اخبر عن الكتاب بانه هدى لاولئك اخبر
نه وقر فى آذان هؤلاء وعمى عليهم فجعل نفس القرءآن وقرا كما جعل فى نفسه هدى ثم ذكر وجها ثانيا
ل الجملة الثانية بالاولى وهو ان لايكون قوله والذين لايؤمنون فى آذانهم مبتدأ بل يكون فى محل الجر
على قوله للذين آمنوا ويكون قوله وقر معطوفا على هدى على طريق العطف على معمولى عاملين مختلفين
ور مقدم على ماجوزه الاخفش واختاره المحققون من المتأخرين والوقر بفتح القاف الثقل فى الاذن وبسكونها

(ءاعجمى وعربى) أكلام اعجمى ومخاطب
عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال
للذى لايفهم كلامه ولكلامه وهذه قرآءة
ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ الباقون
أأعجمى لكون قالون وابى عمرو سهلا الثانية
وفصلا بينهما وورش ابدل الثانية الفا اذ سهلها
بلا فصل وابن كثير وابن ذكوان وحفص
سهلوا الثانية بلافصل وقرئ أعجمى وهو
منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار
وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت
آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها
عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم
باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لاينفكون
عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل
هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء)
من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون)
مبتدأ وخبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو
فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك
لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من
الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين
عطف ذلك على للذين آمنوا هدى

مصدر يقال وقرت اذنه بالكسر توقر وقرا اى صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين ووقر الله اذنه يقرها وقرا يقال اللهم قراذنه ووقرت اذنه على مالم يسم فاعله فهو موقور والمعنى ان الذكر ذو وقر لايصل الى اسماعهم صمت آذانهم عنه قرأ الجمهور وهو عليهم عمى بفتح الميم المنوّنة اى ذو عمى على معنى عميت قلوبهم وهو مصدر عمى يعمى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع كصدى يصدى صدى وقرئ عم بكسر الميم المنوّنة وهو صفة مشبهة وقرئ عمى بلفظ الماضى المسند الى ضمير القرآن وقوله فى آذانهم وكذا عليهم متعلق بمحذوف على انه حال من المصدر المذكور بعدهما لانه صفة له فى الاصل فلما قدّم عليه وقع حالا منه وليس متعلقا بالظاهر بعده لانه مصدر فلا يتقدّم معموله عليه ﴿ قوله اى هم ﴾ يعنى قوله تعالى اولئك لكونه اشارة الى ماعبر عنه بضمير الجمع فى آذانهم وعليهم ظاهر وضع موضع الضمير ﴿ قوله تمثيل ﴾ يعنى ان قوله اولئك ينادون من مكان بعيد استعارة تمثيلية شبه حالهم فى عدم قبولهم مواعظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لايفهم ولايقبل قول المنادى فكذلك هؤلاء لايقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم ﴿ قوله كما اختلف فى القرآن ﴾ اشارة الى وجه تعلقه بماقبله فانه تعالى لمابالغ فى وصف الكفرة بالعناد والتكذيب بنحو قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه سلاه عليه الصلاة والسلام بان قال له لست منفردا فيما بين الانبياء بالتأذى من قومه فانا قد آتينا موسى الكتاب فقبله بعض قومه وردّه آخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله اصحابك وردّه آخرون فقالوا قلوبنا فى اكنة ونحو ذلك ﴿ قوله وهى العدة بالقيامة ﴾ ومجازاة الخلق فيها وعدها بنحو قوله بل الساعة موعدهم وايضا قدسبق منه تعالى تقدير الاجل لتعذيب الكفار كقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى لولا ان قول ربك سبق فى تأخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة لقضى بين المصدّق والمكذب وفرغ من عذاب المبطلين وعجل اهلاكهم لاستحقاقهم بذلك ولكن الحكمة اقتضت امهالهم ثم قال لاتستوحش من سوء مقالتهم فى حقك وفى حق ماجئت به فانهم ان آمنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم فانه تعالى يجازى كل احد بمايليق به من الجزاء يوم القيامة ولما كان مظنة ان يقال ومتى يكون ذلك اليوم اجاب عنه بقوله اليه يردّ علم الساعة ﴿ قوله اذ لايعلمها الا هو ﴾ تعليل للحصر المستفاد من تقديم اليه على متعلقه فانه يدل على انه لايعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى وذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وماتخرج من ثمرة من اكمامها والثانى قوله وما تحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه والمعنى الى الله يضاف علم وقت وقوع القيامة واذا سئلت عنه فردّ العلم اليه بقولك الله اعلم به كما يردّ اليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنتاج وغيرهما ومن قرأ من ثمرات بلفظ الجمع قرأ من اكمامهنّ لامن اكمامها وذكر النحاة ان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهنّ والجذوع كسرتها والثمرات جمع قلة فالافصح ان يقال من اكمامهنّ والاظهر ان كلمة ما فى قوله وماتخرج نافية كالتى بعدها ويحتمل ان تكون موصولة مجرورة المحل عطفا على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم التى تخرج ومن ثمرات بيان ما ويجوز ان يكون حالا ومن الثانية لابتداء الغاية وما الثانية ليست الا نافية لعطف ولاتضع عليها ثم ينتقض النفى بالاوّل لوكانت بمعنى الذى معطوفة على الساعة ولم يجز ذلك ﴿ قوله الا مقرونا بعلمه ﴾ يعنى انه مستثنى مفرّغ من اعم الاحوال ولم يذكر متعلق العلم للتعميم فان ذهن السامع يذهب حينئذ كل مذهب من ذكورة الحمل وانوثته وحسنه وقبحه وان امّه تلقيه عند تمام الايام او قبله وان الثمرة تبلغ او ان النضج او تفسد قبله ونحو ذلك روى ان منصور الدوانقى اهمه مدة معرفة عمره فرأى فى منامه خيالا اخرج يده من البحر واشار بالاصابع الخمس فاستفتى فى ذلك العلماء فاوّلوه بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس وتلا قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باىّ ارض تموت ثم انه تعالى لما ذكر القيامة اردفه بذكر شئ من احوال يوم القيامة واوعد به القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم وهو ظرف لقوله قالوا والايذان الاعلام وهو فى قولهم آذناك مجاز عن القول اى قلنا لك لان حقيقة الاعلام لاتتصوّر فى حقه تعالى لان اهل القيامة يعلمون الله تعالى ويعلمون انه يعلم الاشياء كلها بحيث لايغيب عن علمه شئ مما يسرّون ومايعلنون ولفظ الماضى فى قولهم آذناك مبنى على انهم قالوا ذلك قبل

(اولئك ينادون من مكان بعيد) اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود او الذين لايؤمنون (لفى شك منه) من التوراة والقرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن اساء فعليها) ضرّه (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ماليس له ان يفعله (اليه يردّ علم الساعة) اى اذا سئل عنها اذ لايعلمها الا هو (وماتخرج من ثمرة من اكمامها) من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وما تحمل من انثى ولاتضع) مكان (الا بعلمه) الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم اين شركائى) بزعمكم

اديهم الله تعالى قائلا لهم اين شركائى فان الظاهر انهم يتبرأون من الشركاء او من الشهادة لهم بالشركة حين
ا حقيقة الحال ويقولون له تعالى تبرأنا اليك ويجوز ان يخاطبهم الله تعالى على سبيل التوبيخ ويقول لهم
الذين كنتم تشركون بى وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويجيبونه بقولهم
ك من قبل هذا الخطاب فقوله فيكون السؤال عنهم للتوبيخ تفريع على انهم تبرأوا من الشركاء قبل هذا الخطاب
داء اذلا وجه لان يقال لمن تبرأ من الشركاء اين شركاؤك سوى التوبيخ ﴿قوله او من احد يشاهدهم﴾ على
كون الشهيد من الشهود لامن الشهادة كما فى الاول وعلى هذا يكون قوله وضل عنهم جملة حالية بتقدير قد من
قالوا ويكون الضلال بمعنى الغيبة التى هى اصل معناه فانه يجوز ان لايبصروا آلهتهم فى ساعة التوبيخ
كان قوله تعالى آذناك مامنا من شهيد من كلام الشركاء على ماقيل يكون الشهيد من الشهادة لامن الشهود
لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال المتعلق بالعبدة لم يكن لقولهم مامنا من يشاهد العبدة المشركين
وحينئذ يكون ضلال الشركاء من العبدة بمعنى عدم نفعهم للعبدة بالشفاعة لهم لانهم اذا لم ينفعوهم فكأنهم
اعنهم لابمعنى حقيقة الغيبة لانهم هم المجيبون لماسئل عنهم العبدة ﴿قوله والظن معلق عنه بحرف النفى﴾ فان
ن القلوب تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد قائم وبالاسم المتضمن لمعنى الاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين
مى وعلمت اين جلست ومتى تخرج وبلام الابتداء نحو علمت لزيد قائم وبحرف النفى نحو علمت مازيد قائم وان زيد
وذلك لانها تقتضى ان تقع فى صدر الجمل وضعا فابقيت الجمل التى دخلت هى عليها على الصورة الجملية رعاية
ل هذه الحروف وان كانت فى تقدير المفرد من حيث المعنى فان التعليق ابطال العمل لفظا لامعنى فالجملة مع
يق فى تأويل المصدر مفعولا به للفعل المعلق كما كان كذلك قبل التعليق فالجملة المعلق عنها فى محل النصب به
وز بعضهم الوقوف على ظنوا على حذف المفعولين على معنى وضل عنهم ماكانوا يدعونهم وظنوهم آلهة ثم
أنف فقال مالهم من محيص وقول المصنف والظن معلق عنه رد لقول هذا البعض ثم انه تعالى لما بين ان هؤلاء
فار بعد ان كانوا فى الدنيا مصرين على اثبات الشركاء له تعالى يتبرأون منهم فى الآخرة ذكر ان الانسان فى جميع
قات متغير الاحوال لايثبت على منهج واحد فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ونقمة
رهان فقال لايسأم الانسان من دعاء الخير اى من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول والمعنى
لانسان فى حال اقبال الخير اليه لاينتهى الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ولايمل من طلبها ابدا وفى حال الادبار
رمان يصير آيسا قانطا من رحمة الله تعالى ﴿قوله من جهة البنية﴾ فان بناء فعول للمبالغة ومن جهة التكرير فان
قنوطا تكرير لقوله يؤوس من جهة المعنى وان كان مغايرا له من جهة اللفظ وفى القنوط معنى ليس فى اليؤوس
القنوط ان يظهر على المرء اثر اليأس فيضأل وينكس ثم انه تعالى بين ان الذى صار آيسا قانطا لو عاودته
ة والدولة يأتى بثلاثة انواع من القول الفاسد الموجب للكفر الاول هو قوله هذا لى والفرق بين ماذكره من
جهين ان اللام فى الاول للتعليل وفى الثانى للاختصاص ومعنى الدوام مستفاد من لام الاختصاص لان
تص باحد الظاهر انه لايزول عنه وذلك المسكين ان كان عاريا عن الفضائل واعمال البر فكلامه ظاهر
اد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله وتوفيقه فكيف يستحق
المسكين على الله تعالى بما انعم وتفضل عليه ببعض وجوه الفضل والاحسان فضلا آخر زائدا عليه فثبت
فساد قوله هذا لى بمعنى انه حصل باستحقاقى اياه وكذا ان اراد به انى مالكه وهو مختص بى لايزول عنى لانه
ال بالنعمة عن المنعم وذهول عن ان مقاليد السموات والارض بيد الله وانه اذا فتح على عبده بابا من ابواب
ه ليبلوه ايشكر ام يكفر فهو يقدر على ان يسده ويسلبه عنه والثانى من قوله الفاسد قوله وماأظن الساعة
فانه اذا عرض عليه البعث والجزاء وقيل له كل امرئ يجزى فى الآخرة بما اكتسبه فى الدنيا فمن اطاع
فله جزاء الحسنى ومن عصاه فله نار لظى فحينئذ يلتجئ الى انكار الساعة ويقول ماأظن انها تقوم والثالث قوله
على يقين من قيام الساعة ولو فرض انها تقوم وانا رددت الى ربى فانه يعطينى الحالة الحسنى كما اعطانى فى الدنيا
بب الاعطاء متحقق فيها ايضا وهو استحقاقى اياها واقتضاء ذاتى المجازاة بها فرد الله تعالى عليه قوله ان لى
للحسنى بان قال فلننبئن الذين كفروا اى لنقفنهم على مساوى اعمالهم ثم انه تعالى لما حكى اقوال من انعم عليه
د ضراء مسته حكى احواله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض عن المنعم والاعتراف بفضله واحسانه

(قالوا آذناك) اعلمناك (مامنا من شهيد) من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى مامنا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين (وضل عنهم ماكانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لاينفعهم او لايرونه (وظنوا) وايقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لايسأم الانسان) لايمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعائه الخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤوس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) حقى استحقه بمالى من الفضل والعمل او لى دائما لايزول (وماأظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لاينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس مااعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لايمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله

(واذا مسه الشرّ فذو دعاء عريض) كثير مستعار مماله عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذالطول اطول الامتدادين فاذاكان عرضه كذلك فاظنك بطوله (قل ارأيتم) اخبرونى (ان كان) اى القرءآن (من عندالله ثم كفرتم به) من غير نظر واتباع دليل (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لازيد ضلالهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) يعنى مااخبرهم النبى عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية ومايسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفى انفسهم) ماظهر فيمابين اهل مكة وماحل بهم اومافى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم انه الحق) الضمير للقرءآن اوالرسول اوالتوحيد اوالله (اولم يكف بربك) اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم تحصل الكفاية به ولاتكاد تزاد فى الفاعل الامع كفى (انه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء اومطلع فيعلم حالك وحالهم اواولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لايخفى عليه خافية (الا انهم فى مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لايفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وآيها ثلاث وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل لتطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق

والاشتغال بشكر نعمه الى الاشتغال بنفس النعمة والنظر لها ونأى بمعنى بعد والباء فى بجانبه للتعدية ونأى الجانب من الشكر يستلزم الانحراف عنه فلذلك فسره ثم جوّز ان يكون الجانب عبارة عن النفس ويكون المعنى تباعد عن الشكر بذاته وكليته لابجانبه فقط فانهم قد يحتشمون من التصريح باسم الشئ ويعبرون عن ذاته بالمجلس والمكان والجانب ونحو ذلك اشعارا لتعظيمه فيقولون حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز دون نفسه وذاته ﴿قوله مستعار مماله عرض متسع﴾ لتعذر الحقيقة لان الطول والعرض من صفات الاجرام فلا يتصوّر ان فى الدعاء واتساع العرض مستفاد من صيغة فعيل لانها للمبالغة وكل واحد من الطول والعرض مستعار للكثرة فيقال اطال فلان الكلام واعرض اى اكثر ﴿قوله اخبرونى﴾ فيه تجوّز ان الاول انه اطلق الرؤية واريد الاخبار لان الرؤية سبب للاخبار والثانى انه جعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب ثم انه تعالى لما بالغ فى وعيد المشركين وبين انهم يرجعون عن القول بالشرك والشهادة بكون مازعموه فى الدنيا انهم شركاء لله ذكر بعده كلاما آخر يوجب عليهم ان لا يبالغوا فى الاعراض عن القرءآن وقبول مافيه من امر التوحيد والنبوّة والحشر والجزاء فقال قل ارأيتم الآية ﴿قوله شرحا لحالهم﴾ فان من كفر بما نزل من عندالله بان قال هو اساطير الاوّلين اوكذا وكذا فقد كان مشاقا لله تعالى اى معاديا ومخالفا له خلافا بعيدا عن الوفاق ومعاداة بعيدة عن الموالاة ولاشك ان من كان كذا فهو فى غاية الضلال ولما كان محصول الآية انكم لما سمعتم هذا القرءآن اعرضتم عنه حتى قلتم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة ان العلم بكون القرءآن مما يجب ان يعرض عنه ويترك ليس مما يحصل بالبديهة وذكر العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوّة ليس كذلك فمن اعرض عنه وانكر مافيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل قبل المراجعة الى النظر والاستدلال كيف يأمن ان يكون منكرا لما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبا للعقاب الشديد فالاصرار على تكذيبه والاعراض عنه قبل المراجعة الى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لايجترئ عليه عاقل وعدهم ان يريهم آيات اخر بعد الذى اراهم بنزول هذه الآية الكريمة والآفاق جمع افق وهو الناحية من نواحى الارض وكذا آفاق السماء نواحيها واطرافها فلو لم يكن القرءآن والرسول الذى انزله هو عليه حقا لما وقعت الحوادث الآتية حسب مااخبر عنها وهى بالغيب ولما طابق مافيه من الاخبار المتعلقة بالنوازل الماضية لما هو المضبوط المقرّر عند اصحاب التواريخ والحال ان المخبر امى لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط اصحاب التواريخ ولما انصر حملة القرءآن ومن آمن به هذه النصرة الخارقة للعادة فان خذلان معادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعادى خلفائه وناصرى دينه فى كل زمان خارق للعادة وخارج عن المعهود فلو لم يكن امر الدين حقا لما كان لهم ذلك الثبات والاستقرار فان للباطل ريحا تخفق ثم يسكن ودولة تظهر ثم تضمحل ﴿قوله والباء مزيدة للتأكيد﴾ اى مزيدة فى فاعل يكف فان قوله بربك فى محل الرفع على انه فاعل يكف والمفعول محذوف والتقدير اولم يكفك ربك وانه على كل شئ شهيد بدل من ربك اى اولم يكفك ان ربك على كل شئ شهيد واصل المعنى سنريهم هذه الآيات اظهارا للحق وكفى بها دليلا على ذلك ووضع المظهر وهو قوله ربك وانه على كل شئ شهيد موضع ضمير الآيات فى قولنا وكفى بها دليلا للاشعار بالعلية لان هذه الآيات انما صلحت للدلالة على حقية ماهو الحق لكون منشئها من هو على كل شئ حاضر مطلع لايغيب عنه شئ كما قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله تعالى بين لهم مافيه كفاية فى الدلالة على حقية القرءآن او دين الاسلام او صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم السورة بقوله الا انهم فى مرية اى فى شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة وألا كلمة تنبيه بمعنى اعلم والله اعلم

سورة الشورى خمسون وثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله ولذلك فصل بينهما﴾ اجاب عما يقال انهم اجمعوا على انه لايفصل بين كهيعص وعلى انه يفصل ههنا بين حم وعسق فالسبب فيه وعما يقال انهما عدّا آيتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدّت آية واحدة فالسبب فيه ايضا بجواب واحد وهو قوله لعله اسمان للسورة * قال الامام واعلم ان الكلام فى امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لاسبيل اليه فالاولى ان يفوّض علمه الى الله تعالى ﴿قوله وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم﴾ فانها جميعا سور اوّلها حم واسم هذه السورة وان كان خماسيا كان

س ان تكتب حروفها موصولة الا انه فصل حم عن سائر حروف الاسم لما ذكر من المطابقة ﴿قوله مثل
هذه السورة من المعانى﴾ وهى الدعوة الى التوحيد و النبوّة و المعاد و تقبيح احوال الدنيا و الترغيب
ور الآخرة يريد ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه مفعول به ليوحى المبنى للفاعل و ذا اشارة
نئ سبق و هو حم عسق و المراد بايحاء مثل هذه السورة ايحاء مثل مافيها من المعانى لان مماثلة الموحى لهذه
ورة مماثلة معانيه لمعانى هذه السورة و قوله مثل ايحائها على ان الكاف صفة مصدر محذوف و لابدّ من تقدير
ر آخر مضاف الى اسم الاشارة اى ايحاء كايحاء ذلك اذ لامعنى لتشبيه الايحاء بنفس السورة و المقصود من
ه الايحاء بالايحاء تشبيه الموحى بالموحى فيتحد الوجهان من حيث المعنى ﴿قوله و انما ذكر بلفظ المضارع﴾
ى مقتضى المقام ان يذكر بلفظ الماضى ضرورة ان الوحى الى الذين من قبله امر قد مضى ﴿قوله و يوحى
الى اليك﴾ ولا يجوز اسناده الى ضمير كذلك الذى هو صفة مصدر محذوف لان الموحى هو المتلوّ لا الايحاء
ا عائله بخلاف مااذا كان كذلك مبتدأ فان يوحى يكون مسندا الى ضميره و يكون المعنى مثل ماتضمنه مثل
المتلوّ يوحى هو اليك و الى غيرك من الرسل اى تكرّر هذه المعانى فى القرآن و جميع الكتب السماوية
ما من ارشاد بليغ للاوّلين و الآخرين و لطف عظيم لجميع المكلفين ﴿قوله و الله مرتفع الى آخره﴾ جواب
ال ان يوحى المبنى للمفعول اذا كان مسندا الى ضمير المبتدأ او الى الجار و المجرور فاوجه ارتفاع لفظ الجلالة
ب عنه بانه فاعل فعل مضمر دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله اى يوحيه الله كما فى قوله

❁ ليبك يزيد ضارع لخصومة ❁ و مختبط مما تطيح الطوائح ❁

قائلا يقول من يبكيه فقيل المحتاج الى الحكم و الى نائله و الاختباط الاتيان لطلب المعروف و الطوائح الدواهى
﴿قوله مقرّرتان لعلوّ شأن الموحى به﴾ وذلك لان توصيف الموحى بكونه عزيزا يدل على كمال قدرته و توصيفه
ه حكيما يدل على كمال علمه و من المعلوم ان الاثر المسند الى من اتصف بكمال القدرة و العلم يكون فى اقصى المراتب من
الشأن و رفعة القدر ﴿قوله او بالابتداء﴾ عطف على قوله بما دل عليه يوحى فان الوحى فى قرآءة نوحى بالنون
ند الى فاعله و هو ضمير المتكلم لم يتجه السؤال عن تعيين الفاعل بان يقال من نوحى او من الموحى حتى يكون
الله فاعل فعل مضمر او خبر مبتدأ محذوف فتعين ان يكون رفعه على انه مبتدأ و مابعده خبره ﴿قوله و على
جوه الآخر﴾ اى على ان يكون لفظ الجلالة مبتدأ و قوله له مافى السموات خبره يكون قوله له مافى السموات
نافا ﴿قوله من عظمة الله و قيل من ادّعاء الولد له﴾ يعنى يحتمل ان يكون المقصود من بيان بلوغ هيبته و جلاله
حيث تكاد السموات ينفطرن تقرير عزته و حكمته فانه تعالى لما بين ان الموحى لهذا الكتاب هو الله العزيز
كيم بين و صف جلاله و كبريائه بهذه الآية و يحتمل ان يكون المقصود منه تصوير قباحة طريقة المشركين
ل عليه قوله بعد هذه الآية و الذين اتخذوا من دونه اولياء الله الخ كما قال فى سورة مريم تكاد السموات ينفطرن
تنشق الارض و تخرّ الجبال هدّا ان دعوا للرحمن ولدا ﴿قوله و هذا مطاوع فطر﴾ بمعنى شق يقال فطرته
طر اى شققته فانشق و بناء فعل منه للتكثير يقال فطرته فتفطر اى شققته شقوقا كثيرة فتشقق و فطر يستعمل
خلق ايضا و السبعة مع يعقوب اتفقوا على القرآءة بياء الغيبة الا ان اباعمرو و ابا بكر و يعقوب قرأوا من باب
عال و الباقون من باب التفعل و روى يونس عن ابى عمرو تتفطرن بتاءين مع النون و هو شاذ مخالف
س و الاستعمال لان العرب لاتجمع بين علامتى التأنيث فلا يقال النساء تقمن بل يقال و الوالدات يرضعن
قال ترضعن و الشاذ على وجوه شاذ عن القياس مع موافقة الاستعمال و شاذ عن الاستعمال مع موافقة
س و شاذ عنهما جميعا و هذا من قبيل الثالث و ذكر فى توجيهه ان التاء لتأكيد التأنيث كما انها لتأكيد الخطاب
لك ارأيتك ﴿قوله و تخصيصها على الاوّل﴾ اى و تخصيص جهتهنّ الفوقانية ان يفسر تفطر السموات
رض بتشققها من عظمة الله بخشية منه و اجلالا له كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
دعا من خشية الله و يدل عليه ان الاوصاف السابقة كلها مسوقة لبيان عظمة الله تعالى و علوّ شأنه فالمناسب
ن يجعل سبب تشققهنّ عظمة الله و لما كان فى جهتهنّ الفوقانية من نحو العرش و الكرسى و صفوف الملائكة
حين و المقدّسين حول العرش ادل الآيات على العظمة و الجلال كان المناسب ان يكون تفطر السموات
ئا من تلك الجهة بان ينفطر اوّلا اعلى السموات ثم و ثم الى ان ينتهى الى اسفلها بان لاتبقى سماء الاسقطت على

(كذلك يوحى اليك و الى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم) اى مثل مافى هذه السورة
من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله
اليك و الى الرسل من قبلك و انما ذكر بلفظ
المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة
على استمرار الوحى و ان ايحاء مثله عادته
و قرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك
مبتدأ و يوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر
و يوحى مسند الى اليك و الله مرتفع بما دل
عليه يوحى و العزيز الحكيم صفتان له مقرّرتان
لعلوّ شأن الموحى به كما مرّ فى السورة السابقة
او بالابتداء كما فى قرآءة نوحى بالنون و العزيز
و مابعده اخبارا و العزيز الحكيم صفتان
و قوله (له مافى السموات و مافى الارض
و هو العلىّ العظيم) خبران له و على الوجوه
الآخر استئناف مقرّر لعزته و حكمته (تكاد
السموات) و قرأ نافع و الكسائى بالياء
(يتفطرن) يتشققن من عظمة الله و قيل
من ادّعاء الولد له و قرأ البصريان و ابو بكر
ينفطرن و الاوّل ابلغ لانه مطاوع فطر و هذا
مطاوع فطر و قرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد
التأنيث و هو نادر (من فوقهنّ) اى يبتدئ
الانفطار من جهتهنّ الفوقانية و تخصيصها
على الاوّل لان اعظم الآيات و ادلها على
علوّ شأنه من تلك الجهة و على الثانى ليدل
على الانفطار من تحتهنّ بالطريق الاولى

وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقرّبة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (الا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاوّل زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته (والذين اتخذوا من دونه اولياء) شركاء واندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها (وما انت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم او بموكول اليه امرهم (وكذلك اوحينا اليك قرءآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرّر فى القرءآن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرءآنا عربيا حال منه (لتنذر ام القرى) اهل ام القرى وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او الاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاوّل واوّل مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرءآن

الاخرى وان فسر تفطرهنّ بتشققهنّ من ادّعاء الولد له كان الظاهر حينئذ ان يبتدئ انفطارهنّ من جهتهنّ التحتانية لانها الجهة التى منها جاءت كلمة الكفر لان المتكلم بها سكان الارض وهى تحت السماء ومع ذلك جعل مبدأ انفطارهنّ جهة فوقهنّ للدلالة على ان تلك الكلمة الشنعاء اذا اثرت فى خلاف جهتها فتأثيرها فيما كان فى جهتها اولى ﴿قوله وقيل الضمير للارض﴾ ولعل من قال به يجعل كلمة من زآئدة فى الاثبات ويدل عليه قول صاحب التيسير وقيل معناه تقارب السموات ان يتشققن فوق الارضين ﴿قوله فان المراد بها الجنس﴾ فتكون فى معنى الجمع فيصح ارجاع ضمير الجمع اليها ﴿قوله بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم﴾ جواب لما يقال من ان من فى الارض يعم الكفار فكيف تستغفر لهم الملائكة وقد ثبت انهم يلعنون الكفار كما قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا وجه لكونهم لاعنين لهم ومستغفرين * وتقرير الجواب انه لا منافاة بين لعنهم على شركهم وبين استغفارهم بمعنى السعى فيما يستدعى مغفرتهم وهو الايمان والتبرى من الكفر فان استغفارهم فى حق الكفار بطلب الايمان لهم وفى حق المؤمنين بالتجاوز عن سيئاتهم فيكون استغفارهم فى حق عامة من فى الارض محمولا على عموم المجاز فان قول من قال اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وأزل عنها ظلمة الكفر والفسوق والعصيان وان كان طلبا لسبب المغفرة لا لنفس المغفرة الا انه يصح ان يطلق عليه الاستغفار مجازا ﴿قوله وذلك﴾ اى الاستغفار بمعنى السعى المذكور لما ذكر الله تعالى ان الملائكة يستغفرون لمن فى الارض اشار الى انه يجيب دعاءهم ويغفر تعالى لا غيره فقال الا ان الله هو الغفور الرحيم ﴿قوله والآية على الاوّل﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم بقوله تكاد السموات يتفطرن على كل واحد من تفسيريه فان فسر بانهنّ يتشققن من عظمة الله تكون هذه الآية زيادة تقرير لعظمته فان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة فهو تعالى بين اوّلا كمال قدرته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهنّ ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم ثم ان الجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الكبرياء والجلال بالاستفاضة والقبول وتعلق بعالم الاجسام بالافاضة والتأثير فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذى لهم الى جناب ذى الجلال والاكرام وقوله ويستغفرون لمن فى الارض اشارة الى الوجه الذى لهم الى عالم الاجسام والتسبيح لكونه عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى مقدّم على التحميد الذى هو عبارة عن وصفه تعالى بكونه مولى النعم كلها ومعطى الخيرات بامرها فان كونه تعالى منزّها فى ذاته عما لا ينبغى مقدّما بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات فلذلك قال يسبحون بحمد ربهم واما ان فسر بانهنّ يتشققن من فظاعة قول المشركين من نسبة الولد اليه تعالى فوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها ما ذكره بقوله وعلى الثانى دلالة الخ ﴿قوله الاشارة الى مصدر يوحى﴾ فالكاف تكون فى محل النصب على انها صفة مصدر اوحينا ويكون قرءآنا مفعول اوحينا اى واوحينا اليك قرءآنا عربيا ايحاء مماثلا لذلك الايحاء اى ايحاء مفهما بلا لبس وسترة على ان الكاف فى كذلك نحو المثل فى قولك مثلك لا يبخل ﴿قوله او الى معنى الآية المتقدمة﴾ وهى قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اى اوحينا اليك حال كونه قرءآنا عربيا لا لبس فيه عليك لما كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمان المشركين متحزنا على اصرارهم على الشرك والضلال انكر الله تعالى عليه ذلك بقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والمعنى ان امثال هؤلاء المصرّين ليس فى وسعك وقدرتك ان تهديهم والله وحده هو القادر على ذلك والذى عليك هو الانذار فقط ثم قال واوحينا اليك مثل هذه الآية وما تضمنته من الانكار على حرصك الشديد على ايمانهم وتكرّر عليك فى القرءآن هذا النوع من الانكار حال كون ما يدل عليه قرءآنا عربيا لا يخفى عليك معناه لكونه لسانك وانت تنزله منزلة الكلام المبهم الملتبس حيث لا تترك الحرص البتة ﴿قوله اهل ام القرى﴾ قدّر المضاف لان نفس مكة لا يصح انذارها والعرب تسمى اصل كل شئ امه وسميت مكة ام القرى تشريفا لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولما روى من ان الارض دحيت من تحتها وبين من حولها بقوله من العرب ويجوز ان يبين باهل الارض كلها وتقييده بالعرب لا ينافى عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لان تخصيص الشئ بالذكر لا ينافى عموم الحكم لما عداه ﴿قوله وحذف ثانى مفعولى الاوّل﴾ والتقدير لتنذر ام القرى بعذاب الله تعالى على تقدير اصرارهم على الكفر حذف

انى للتهويل وتقدير الثانى وتنذر ام القرى ومن حولها يوم القيامة وحذف اوّل مفعوليه لايهام التعميم ﴿قوله
تراض لامحل له﴾ على قول من يجوّز الاعتراض فى آخر الكلام والمشهور انه لايقع الا بين متلازمين كالمبتدأ
لخبر والمعطوف والمعطوف عليه ﴿قوله والتقدير منهم فريق﴾ على ان فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتدآء
بنكرة لأمرين تقدّم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله فى الجنة ﴿قوله والضمير﴾ اى
ضمير المجرور فى منهم لما دل عليه يوم الجمع فان المعنى يوم جمع الخلائق فى موقف الحساب ﴿قوله بمعنى مشارفين
رّق﴾ جواب عما يقال كيف يكون حالا من المجموعين والجماعة الواحدة لايجوز ان يكونوا مجتمعين متفرّقين
حالة واحدة، واجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف وكونهم متفرّقين فيه مجاز عن
نهم مشارفين للتفرّق تسمية لما يقرب من الشئ باسم ذلك الشئ والثانى ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف
ونهم متفرّقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين للتفرّق فى ذلك اليوم وبتفرّقهم تفرقهم فى الدارين والاجتماع
الزمان لاينافى الافتراق فى المكان ثم انه تعالى لما بين ان اهل الجمع فريقان بين ان ذلك بمشيئة الله تعالى فمن علم
اختيار الهدى يهديه فيدخله بذلك فى جنته ورحمته ومن علم منه اختيار الضلال يضله ويجعله بذلك من اهل
سعير ﴿قوله ولعل تغيير المقابلة﴾ فان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء فى سخطه ونقمته وعدل عنه
ما هو ابلغ فى الوعيد فانه يدل على ان الذين ظلموا انفسهم ليس لهم احد يتولى امورهم ويعينهم ولا من ينصرهم
فع العذاب عنهم فهم معذبون ابدا لظلمهم انفسهم ولا شك انه ابلغ فى الوعيد من ان يقال ويدخل من يشاء فى سخطه
﴿قوله بل اتخذوا﴾ اشارة الى ان ام منقطعة فيجوز ان تقدر ببل التى للانتقال وبهمزة الانكار وبالهمزة
حدها وببل وحدها والمصنف قدّرها ببل وحدها اضرابا عن توصيفهم بانهم اتخذوا من دون الله اولياء على
يق التخصيص بعد التعميم للاشعار بان هذا الخاص مع كونه من افراد ذلك العام بلغ فى كونه ظلما الى حدّ
ج بذلك عن كونه معدودا فى عداده، وقيل ام هذه بمعنى همزة الانكار والتوبيخ وصفهم تعالى اوّلا بانهم
خذوا من دونه اولياء ثم قال له عليه الصلاة والسلام لست عليهم بوكيل وان هدايتهم ليست اليك ولو شاء الله
علها ثم اخبر عنهم بما وصفهم به اوّلا انكارا عليهم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما هدّد المشركين
وله الله حفيظ عليهم وبقوله والظالمون مالهم من ولىّ ولا نصير ثم حكم بانه هو الولىّ بالحق اردفه بما يدل على
ولىّ المؤمنين بالنصر والاثابة ومذل اعدآء الذين بالتعذيب والعقاب فقال وما اختلفتم فيه من شئ قيل انه حكاية
ل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فكأنه عليه الصلاة والسلام وكل الحكم الى الله فى امر الدين وغيره
كى الله تعالى ذلك فى القرآن المجيد ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب اى ذلك
ا كم بينى وبينكم هو ربى عليه توكلت ﴿قوله بالنصرة﴾ اى عن بنصره المؤمن المحق على الكافر المبطل
ى المؤمن اذا خالف الكافر فى شئ من الاحكام وتمسك فيه باصل من اصول الشرع وهى اربعة الكتاب والسنة
جماع الامة والقياس فقد تأيد بنصر الله تعالى ونص كتابه فان الاصول الثلاثة الاخيرة مستندة الى الاصل الاوّل
ى هو الكتاب غاية ما فى الباب انه لايجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله
بالاثابة﴾ اى عين المحق من المبطل يوم الفصل والجزآء بان يجازى كل واحد من المختلفين على حسب ما استحقه
يب المحق ويعاقب المبطل ﴿قوله تعالى ذلكم﴾ مبتدأ والله خبره وربى نعت لله وعليه توكلت واليه انيب
ر بعد خبر قدّم الظرف فيهما ليفيد الاختصاص ﴿قوله وقرئ بالجرّ﴾ اى على انه بدل من الهاء فى عليه واليه
على انه نعت للجلالة فى قوله فحكمه الى الله فيكون ما بينهما اعتراضا ﴿قوله يكثركم﴾ ضمير الجمع فيه للمخاطبين
لانعام وفيه تغليبان تغليب العقلاء فان كم ضمير العقلاء وتغليب المخاطب على الغائب فان مقتضى الظاهر ان يقال
رأكم واياهن اورد بدل اياهن ضمير المخاطب ﴿قوله فانه كالمنبع للبث﴾ جواب عما يقال هذا التدبير ليس
فا للبث والتكثير بل هو سبب له فلم قيل يذرأكم فى هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير ﴿قوله تعالى ليس كمثله
ى﴾ المشهور عند القوم ان الكاف زآئدة فى خبر ليس وشئ اسمها والتقدير ليس شئ مثله قال ابو البقاء ولو
كن زآئدة لفسد المعنى اذ يصير المعنى على تقدير عدم زيادتها ليس مثل مثله شئ وهو فاسد لان نفى المثل عن مثله
تلزم ان يكون له مثل لامثل لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وايضا فيه تناقض لانه اذا كان له مثل
ى لمثله مثل وهو نفس ذاته وقيل ان كلمة مثل هى الزآئدة كزيادتها فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به

منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع
عليه وفريقا منصوبين على الحال منهم اى
وتنذر يوم جمعهم متفرّقين بمعنى مشارفين
للتفرّق اومتفرّقين فى دارى الثواب والعقاب
(ولو شاء الله لجعلهم امّة واحدة) مهتدين
او ضالين (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته)
بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون
مالهم من ولىّ ولا نصير) اى ويدعهم بغير ولىّ
ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة
فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (ام اتخذوا)
بل اتخذوا (من دونه اولياء) كالاصنام
(فالله هو الولىّ) جواب شرط محذوف
مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولىّ بالحق
(وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير)
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم)
انتم والكفار (فيه من شئ) من امر من امور
الدين او الدنيا (فحكمه الى الله) مفوّض اليه
يميّز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة
والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل
متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله
(ذلكم الله ربى عليه توكلت) فى مجامع الامور
(واليه انيب) ارجع فى المعضلات
(فاطر السموات والارض) وقرئ بالجرّ على
البدل من الضمير او الوصف لالى الله وبالرفع
خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره (جعل لكم من
انفسكم) من جنسكم (ازواجا) نساء (ومن
الانعام ازواجا) اى وخلق للانعام من جنسها
ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا
او ذكورا واناثا (يذرأكم) يكثركم من الذرء
وهو البث وفى معناه الذرّ والذرو والضمير
على الاوّل للناس والانعام على تغليب
المخاطبين العقلاء (فيه) فى هذا التدبير
وهو جعل الناس والانعام ازواجا
يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير (ليس كمثله شئ) اى ليس
مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله
ذاته كما فى قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد
المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه
ويسد مسده كان نفيه عنه اولى

فقد اهتدوا وتقديره ليس كهو شيء وهذا القول ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بمعهودة وايضا زيادة المثل تستلزم ان يكون التقدير ليس هو شيء ودخول الكاف على الضمائر لايجوز الا في الشعر ولم يرض المصنف والزمخشري بهذين القولين بناء على ان القول بزيادة ماله فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد وجعلا المثل كناية عن الذات كما في قول العرب مثلك يجود ومثلك لايبخل وقول القبعثري مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فان البلغاء يثبتون لمثل الشيء وصفا او ينفونه عنه ويريدون اثبات ذلك الوصف لنفس الشيء اذ نفيه عنه على ابلغ وجه وآكده لانه بمنزلة اثبات الشيء او نفيه بالدليل وكدعوى الشيء بالبينة وذلك لان مثل الشيء انقص حالا منه كما هو القاعدة في باب التشبيه فالمشبه مع كونه انقص حالا من المشبه به اذا اتصف بصفة كمال او تباعد عن صفة نقصان فكون المشبه به متصفا بالاولى ومتباعدا من الاخرى اولى ومثله يسمى اثبات الشيء او نفيه بالطريق البرهاني وهذا الطريق لايتوقف على ان يتحقق لذلك الشيء مثل في الخارج حتى يقال نفي مثل مثله يستلزم اثبات المثل له وهو محال بل يكفي فيه ان يقدر له مثل ثم يحكم عليه بانه متصل بكذا او متخل عن كذا ليفيد ان الممثل به اولى بذلك ولو توقف ذلك على ثبوت المثل والنظير له في الخارج لكان قول القبعثري مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اشبه بالذم منه بالمدح ﴿قوله في سقيا عبد المطلب﴾ السقيا اسم بمعنى الاستسقاء روى ان عبد المطلب صعد اباقبيس مع رجال من بطون العرب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام يافع اى مرتفع يقدر على العدو واسراع المشي خرجوا مستسقين لانقطاع المطر عنهم مدة طويلة ﴿قوله لداته﴾ لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة والمراد بالطيب الطاهر لداته رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبت الطهارة والطيب الى لداته كناية عن طيب نفسه وطهارته ﴿قوله وقيل مثله صفته﴾ بناء على ان المثل والمثل الصفة كما في قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره فانه تعالى وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليست تلك الصفات الثابتة له تعالى كالتي تثبت لغيره تعالى وعلى القولين يكون قوله ليس كمثله شيء كلاما مستأنفا على سبيل التعليل لماقبله ﴿قوله خزائنها﴾ اشارة الى ان ملك المفاتيح كناية عن ملك الخزآئن لما ذكر الله تعالى وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم شرع في تفصيل ماتضمنه هذه السورة من المعاني فقال شرع لكم من الدين الآية اى بين لكم يا اصحاب محمد من الدين ماوصى به نوحا وهو اول انبياء الشريعة ومعنى شرع بين المسالك وفتح الطريق الى مرضاته والدين هو الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحياء شروطه وحدوده وخص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرآئع العظيمة والاتباع الكثيرة ﴿قوله وهو الاصل المشترك فيما بينهم﴾ يعني ان المراد بالدين الذي وصى به هؤلاء الانبياء اصول الدين وهي ماتطابقت الانبياء على صحته ولم يختلف باختلاف الشرآئع كالايمان بالله وحده لاشريك له وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿قوله او الرفع على الاستئناف﴾ فتكون ان مصدرية ويكون الفعل معها في تأويل المصدر كأنه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرق في اقامته فان الامر اذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرغون لعمارة دنياهم ويتوصلون بها الى اقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم ﴿قوله يجتلب اليه﴾ اشارة الى ان يجتبي مأخوذ من الجباية وهي طلب الخراج لامن الاجتباء بمعنى الاصطفاء لانه لايتعدى بالى بخلاف الجباية فان فيها معنى الضم فلذلك تعدى بالى فيقال يجتبي اليه اى يوفقه له ويقربه اليه رحمة واكراما لما بين الله تعالى انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان مظنة ان يقال فلم ذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وماتفرقوا الامن بعد ماجاءهم العلم يعني انهم ماتفرقوا الا من بعد ما اتاهم الاجماع على اقامة الدين المتفق عليه وعلموا بذلك ان التفرق ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك لاجل البغي الحاصل منهم والحسد والعداوة المستقرة بينهم المانعة من الاتفاق فلذلك ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ماسواه ويحتمل ان يكون البغي مصدر بغاه بمعنى طلبه ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة ثم انه تعالى اخبر انهم استحقوا العذاب بسبب تفرقهم الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان كل عذاب عنده اجلا مسمى اى وقتا معلوما والمصنف فسر المتفرقين في اصول الدين بالامم السابقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسر

ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زآئدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزآئنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شيء عليم) فيفعله على ماينبغي (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (ان اقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرع فتختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ماتدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبي اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين (ويهدي اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وماتفرقوا) يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة او طلبا للدنيا

الذين اورثوا الكتاب من بعدهم باهل الكتاب الذين تفرّق كل فريق منهم عن صاحبه بالانتساب الى كتاب غير كتاب الآخر فقوله من بعد ماجاءهم العلم بان التفرّق ضلال ناظر الى مااختاره من ان المراد بالتفرّق اختلاف الامم السالفة فى الاصل المشترك بين ارباب الشرآئع وقوله او العلم ببعثه عليه افضل الصلاة والسلام ناظر الى مانقله من ان المراد بالتفرّق تفرّق كل فريق من اهل الكتاب بالانتساب الى كتابه فعلى هذا يكون ضمير تفرّقوا لاهل الكتاب ويكون المراد بالذين اوتوا الكتاب من بعدهم المشركين وبالكتاب القرآن وقوله لايعلمونه كما هو ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرّقين الاسلاف وبالذين اورثوا الكتاب المعاصرين وقوله اومن القرآن ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرّقين مطلق اهل الكتاب وبالذين اورثوا المشركين ﴿قوله فلاجل ذلك التفرّق او الكتاب او العلم﴾ الاوّل على ان تكون الاشارة الى مصدر تفرّقوا والثانى على ان تكون الاشارة الى الكتاب الذى اريد به القرآن والثالث على ان تكون الاشارة الى المشروع المبين الذى هو الامر باقامة الدين والنهى عن التفرّق ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان تكون الاشارة الى الكتاب او الى ماجاءه من العلم يجوز ان تكون اللام فى موضع الى حتى تكون صلة ادع مذكورة صريحا وتفيد معنى التعليل ايضا قال الفرّآء والزجاج فى تفسيره فالى ذلك الدين الذى وصينا به الانبياء فادع الناس ﴿قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم﴾ يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بين شريفكم ووضيعكم فى تبليغ الشرآئع وفى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الىّ وقيل تقريره وامرت ان اعدل على ان تكون اللام زآئدة بدلا ان المصدرية كما فى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اى ان يبين لكم اى اسوّى بين شريفكم ووضيعكم فلااحابى احدا ولااخص البعض بامر اونهى ﴿قوله لاحجاج بمعنى لاخصومة﴾ الحجة فى الاصل البرهان والدليل ثم يقال لاحجة بيننا بناء على ان ايراد الحجة من الجانبين لازم للخصومة فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم ﴿قوله وليس فى الآية الخ﴾ ردّ لما قيل من انها نزلت قبل الامر بالقتال حين كونه عليه الصلاة والسلام مأمورا بالدعوة فقط ثم نسخت بآية القتال ومافعل بهم من القتل وتخريب البلاد وقطع النخيل والاجلاء انما وقع بعد نزول آية القتال ووجه الردّ ان هذه الآية انما تدل على المشاركة القولية معهم لانهم قدعرفوا صدقه عليه الصلاة والسلام بماقام من الحجج المتعاضدة وانما تركوا تصديقه والايمان به عنادا وبعدماظهر الحق وصاروا محجوجين به كيف يحتاج الى المحاجة القولية فلايبقى بعدذلك الاالسيف او الاسلام ﴿قوله تعالى والذين يحاجون﴾ مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وداحضة خبر الثانى والجملة خبر الاوّل والمعنى ان الذين يخاصمون فى دين الله تعالى نبيه قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم فى دين الله تعالى من بعد مااستجاب له الناس فاسلموا ودخلوا فيه ٭ قال الامام فى بيان مخاصمة اليهود فى دينه تعالى انهم قالوا ألستم تقولون ان الدين المتفق عليه يجب اخذه لاالذى اختلف فيه ونبوّة موسى عليه الصلاة والسلام وحقية كتابه معلومة بالاتفاق ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى واوجب فهذه حجتهم وحكم الله تعالى بانها داحضة اى باطلة وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه صدّقه تعالى بان اظهر المعجزات على يده وكل من صدّقه الله تعالى فى دعوى الرسالة بهذا الطريق فهو صادق فى دعواه فيجب الايمان به فاجماعهم هذا يستلزم بطلان حجتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادّعى الرسالة فصدّقه الله فى دعواه بان خلق على يديه معجزات بينة باهرة واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة دليلا على صدق مدّعى النبوّة يجب الاعتراف بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يكن دليلا عليه فى حق محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يكون دليلا فى حق موسى عليه الصلاة والسلام فجعله دليلا على صدق احدهما دون الآخر تحكم محض وعناد صرف لما عظم الله تعالى ماتضمنته هذه السورة الكريمة من المعانى بان بين بانه كرّر وحيه اليه عليه الصلاة والسلام فى القرآن المجيد والى من قبله عليهم الصلاة والسلام وبان اسند وحيه الى الله العزيز الحكيم ثم انكر على رسوله صلى الله عليه وسلم شدّة حرصه على ايمان المشركين وعدم اقتصاره على تبليغ رسالته اليهم وانذارهم يوم الجمع ومافيه من تعذيب المسيء على وجه يتضمن تهديدهم بان الله حفيظ عليهم وانهم مالهم من ولىّ ولانصير ثم بين استحقاقهم للتهديد المذكور بانهم خالفوا الدين المتفق عليه بين ارباب الشرآئع وهو الايمان بجميع مايجب الايمان به وطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه وعدم الافتراق فيه فشرع الآن فى بيان انه انما شرع ذلك الدين المتفق عليه بانزال الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والبينات فقال الله الذى انزل الكتاب

(ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى اجل مسمى) هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدّرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم مااقترفوا (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورّثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لايعلمونه كما هو او لايؤمنون به حق الايمان او من القرآن (مريب) مقلق اومدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرّق او الكتاب او العلم الذى اوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما امرت) واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى (ولاتتبع اهوآءهم) الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وامرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرآئع والحكومات والاوّل اشارة الى كمال القوّة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوّة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى امره (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فكل مجازى بعمله (لاحجة بيننا وبينكم) لاحجاج بمعنى لاخصومة اذ الحق قدظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل بفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد مااستجيب له) من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه اومن بعد مااستجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر اومن بعدمااستجاب له اهل الكتاب بان اقرّوا بنبوّته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) بمعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم

﴿قوله والشرع﴾ لفظ الميزان حقيقة فى آلة الوزن و يستعار للشرع تشبيهاله بالميزان العرفي من حيث انه توزن به الحقوق الواجبة الاداء سوآء كانت من حقوق الله تعالى او من حقوق العباد و يطلق على العدل و التسوية تسمية للشي باسم آلته فان الميزان آلة العدل فسمى باسمه و الشرع ينزل بانزال مبلغه وكذا العدل فانه ينزل بانزال الآمر به فى الكتب الالهية المنزلة بانزال مبلغها ﴿قوله او آلة الوزن﴾ اى و يجوز ان يكون المراد بالميزان معناه الاصلى و انزاله اما حقيقة كما ذكره الزمخشرى فى سورة الحديد من انه روى ان جبريل عليه الصلاة و السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلاة والسلام و قال مر قومك يزنوا به و قيل نزل آدم عليه الصلاة و السلام بجميع آلات الصنائع و اما مجاز عن انزال الامر باستعماله فى الايفاء و الاستيفاء ﴿قوله فاتبع الكتاب﴾ اشارة الى وجه ارتباط و مايدريك الخ بانزال الكتب و الميزان باى معنى يراد به يعنى ان قوله تعالى و مايدريك الآية كناية عن الترغيب فى اتباعهما و اقامة حدودهما قبل مفاجاة اليوم الذى توزن فيه الاعمال فيوفى لمن اوفى و يطفف لمن طفف ﴿قوله و قيل تذكير القريب﴾ عطف على قوله قريب اتيانها يعنى ان قريب فعيل بمعنى الفاعل ولا يستوى فيه المذكر و المؤنث عند سيبويه فكان الظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الساعة الا انه ذكر لكونه صفة جارية على غير من هى له و التقدير قريب اتيانها و قريب منه قول الزمخشرى و لعل مجيء الساعة قريب بتقدير المضاف و روى عن سيبويه انه انما لم يقل قريبة لان المراد ذات قرب يعنى انه على معنى النسب لا على معنى الحدوث فى احد الازمنة فان الصفات التى كانت كالفعل انما يفرق بين مذكرها و مؤنثها بالتاء اذا قصد بها الحدوث لانها حينئذ تشبه الفعل الذى مبناه على الحدوث فكما ان الفعل تلحقه التاء اذا اسند الى المؤنث فكذا الصفات التى كانت كالفعل فى معنى الحدوث فانها تلحقها التاء ايضا فتقول حاضت هند فهى حائضة و طلقت فهى طالقة و اما اذا قصد بها الاطلاق فلا تكون حينئذ بمعنى الفعل بل بمعنى النسب وان كانت على صورة اسم الفاعل كلابن و تامر بمعنى ذوى لبن و تمر اى لبنى و تمرى فلما لم تكن فى معنى الفعل لم تلحقها تاء التأنيث لعدم مشابهتها له معنى وان شابهته لفظا ﴿قوله او لان الساعة بمعنى البعث﴾ تسمية للحال باسم ما حل فيه ﴿قوله استهزآء﴾ فانه عليه افضل الصلاة و السلام لما هددهم بيوم القيامة قالوا مستهزئين متى تقوم الساعة و ليتها قامت حتى يظهر الحق أهو الذى نحن عليه ام ما تدعوننا اليه فانهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها فهم يطلبون وقوعها استبعادا لقيامها بخلاف الذين آمنوا فانهم مشفقون منها لعلمهم بانهم محاسبون و مجزيون بما عملوا فى الدنيا مع اعتنائهم بها اى مع اعتنائهم بها و اهتمامهم بشأنها اى يجمعون بين الخوف منها و الاهتمام بشأنها لتوقعهم ما فيها من الثواب ﴿قوله من المرية﴾ فقوله يمارون معناه فى الاصل تداخلهم المرية و الشك فيؤدى ذلك الى المجادلة فقوله فى تفسيره يجادلون تفسير له بمؤداه و لازمه و ان كان من المرى و هو التعرض لضرع الناقة لاستخراج ما فيه من اللبن يكون تفسيره بيجادلون حملا على الاستعارة التبعية بان شبه المجادلة بمماراة الحالب الضرع لاستخراج ما فيه من اللبن من حيث ان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿قوله اشبه الغائبات الى المحسوسات﴾ فان البعث مع كونه امرا ممكنا فى نفسه غير مستبعد من قدرة الله تعالى قامت على وقوعه دلائل قطعية فبلغ بكثرة شواهده مبلغ المحسوسات فان الكتاب المعجز مملوء بالاخبار عن وقوعه و العقول السليمة شاهدة على انه لابد من دار جزآء لئلا يكون تكليف الحكيم عبثا ﴿قوله بصنوف من البر لاتبلغها الافهام﴾ كثرة البر مستفادة من تنكير لطيف ومن صيغة فعيل لانها للمبالغة و كونها بحيث لاتبلغها الافهام مستفاد من مادته فان اللطف ايصال نفع فيه دقة و عظم قدر و لاتبلغ قوة المتفكر الى ادراك لطفه فى ترزيق عباده من بنى آدم و غيرهم و ان بذل جهده حيث جعله منوطا بترتيب العالم العلوى و السفلى و ما فيهما من الصنائع العجيبة و التدبيرات الغريبة بحيث يعجز عقل البشر عن معرفة ادنى شيء منها فضلا من استقصائها ﴿قوله اى يرزقه كما يشاء﴾ لما ورد ان يقال ان اضافة العباد وهو جمع الى ضمير اسم الله تعالى من طرق الاستغراق فتفيد انه تعالى لطيف بجميع عباده فالمناسب له ان يقال بعده يرزقهم جميعا برا و فاجرا و لايهلك الفاجر جوعا بمعاصيه فما وجه تخصيص ترزيقه بمن شاء * اشار الى جوابه بان المخصوص بمن يشاء هو نوع البر و صنفه و ذلك لاينافى عموم جنس بره لجميع عباده فانه تعالى يبرهم جميعا الا بمعنى ان جميع انواع البر و اصنافه تصل الى كل احد فانه مخالف للحكمة بل يصل بره اليهم على سبيل التوزيع بان يخص بنعمة واحد و آخر باخرى فيرجع بذلك كل واحد منهم الى الآخر فيما عنده من النعمة فينتظم به احوالهم و تتم اسباب معاشهم و صلاح دنياهم و عمارتها فيؤدى ذلك الى

(فراغهم)

(الله الذى انزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد و الاحكام (والميزان) و الشرع الذى يوزن به الحقوق و يسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن او حى باعدادها (وما يدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب و اعمل بالشرع و واظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك و يوفى جزآؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزآء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب (ويعلمون انها الحق) الكائن لامحالة (الا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما ورآءه (الله لطيف بعباده) يبرهم بصنوف من البر لاتبلغها الافهام (يرزق من يشاء) اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لايغلب

فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة ثم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم اشار الى ان الانسان مادام فى دار الكسب والاختيار لا بدّ له من السعى فى طلب الخيرات وفى الاحتراز عن القبائح والسيئات فان لطفه تعالى واحسانه وان لم يكن مقدّرا بقدر سعى العبد وعمله الا ان عادته تعالى قدجرت على ان جعله منوطا بسعى العبد وكسبه فقال من كان يريد حرث الآخرة نزدله الآية والحرث فى الاصل هو الزرع الحاصل بالقاء البذر فى الارض استعير للثواب الحاصل بمقابلة العمل **قوله** ولذلك اى ولكونه ثواب الآخرة حاصلا بعمل الدنيا **قوله** شيأ منها اى شيأ كائنا منها على ان منها متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله نؤته * قال الامام فان قيل ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب اولاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لاتصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى الا بالقاء البذر الصحيح فى الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا العبودية لله تعالى **قوله** انما الاعمال بالنيات واذا عمل لدنياه لا لآخرته فلا يثاب فى الآخرة على ذلك العمل شيأ قال تعالى فى طالب ثواب الآخرة نزدله فى حرثه ولم يذكر أيعطيه الدنيا ام لا بل بقى الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا مع ان الرزق المقسوم له يصل اليه بلا محالة للاستهانة بذلك والاشعار بانه فى جنب ثواب الآخرة كأنه ليس بشئ وصرّح فى حق طالب خير الدنيا بانه لا يعطيه شيأ من نصيب الآخرة تنصيصا على الفرق بين من اراد الآخرة وبين من اراد الدنيا وليس له من ثواب الآخرة نصيب البتة وبين ان طالب الآخرة يكون حاله ابدا فى الترقى والتزايد وان طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا ويكون محروما من ثواب الآخرة بالكلية **قوله** بل ألهم شركاء يريد ان ام هذه منقطعة فيها معنى بل والهمزة وبل للاضراب عما سبق وهو بيان انه تعالى شرع لهم من الدين ما وصى به الانبياء المتقدمين وان الذين يحاجون فى دين الله حجتهم داحضة عند ربهم اضرب عن هذا البيان واستفهم استفهام تقرير وتقريع بان قال ألهم شركاء اى نظرآء يشاركونهم فى الكفر والعصيان ويعاونونهم عليه بالتزيين والاغوآء وهم شياطين الانس والجن وسماهم شركاءهم من الطريق الباطل وسماه دينا للمشاكلة والتهكم **قوله** وقيل شركاؤهم اوثانهم وحينئذ ينبغى ان تكون الهمزة للانكار فان الجماد الذى لا يعقل شيأ كيف يصح ان يشرع لهم دينا والحال انه تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل فمن اين يدينون به من عند انفسهم بغير حجة تكون عذرا لهم فى التدين به واسناد الشرع الى الاوثان مع كونها بمعزل عن الفاعلية اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب او من قبيل اسناده الى ما هو على صورة الفاعل الحقيقى فى زعمهم فانهم يزعمون ان الاصنام صور الملائكة او المسيح او عزيرا وغيرهم من العباد الصالحين فانهم يزعمون ان هؤلاء العباد سوّلوا لهم ماهم عليه من الدين الباطل ودعوهم اليه وفى بعض النسخ صور من شبه لهم من التشبيه فالمعنى شبه لهم ان عبادته تنفعهم وتنجيهم **قوله** اى القضاء السابق سمى القضاء كلمة الفصل لان الفصل قد يطلق على قطع الحكم كما قال تعالى وهو خير الفاصلين ويطلق على القول الحق ايضا كما فى قوله تعالى انه لقول فصل ولا شك ان القضاء السابق كلام لفظى متلوّ ووعد صادق وقول حق فلذلك اطلق عليه كلمة الفصل ويحتمل ان تكون اضافة الكلمة اليه للملابسة على ان يكون الفصل بمعنى التمييز والفرق ويكون المعنى ولولا القضاء او العدة بالفصل اى الفرق بين مكذبى هذه الامّة ومكذبى الامم السالفة لانبيائهم لقضى بين هؤلاء وبين المؤمنين بمعاجلة عذابهم ولاهلكوا كما اهلك اولئك الامم **قوله** او المشركين وشركائهم على ان يكون المراد بالشركاء شياطينهم والاوّل على ان يكون المراد بالشركاء الاوثان **قوله** وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة احتاج الى تقدير المضاف لان كلمة لولا تستدعى تحقق مدخولها حال التكلم بها والذى يحقق حال التكلم هو تقدير تعذيب الظالمين لا نفس عذابهم وقرأ الجمهور وان الظالمين بكسر ان على الاستئناف ولما كان العذاب الاليم غالبا فى عذاب الآخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستئناف فبدأ باحوال الكفرة فقال ترى الظالمين اى ترى الكافرين يوم القيامة خائفين من جزآء كسبهم فى الدنيا او جزآء ما كسبوه فى الدنيا وهو الشرك او التكذيب وذلك الجزآء واقع بهم البتة خافوا اولم يخافوا فلذلك اوثر لفظ واقع على يقع مع ان المعنى على الاستقبال لان الخوف انما يكون من المتوقع لا الكائن ثم ذكر احوال المؤمنين وثوابهم فقال والذين آمنوا الآية **قوله** فى اطيب بقاعها بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او غيره ولا يدل على حصول مطالبهم وذلك مستفاد من اضافة الروضة الى الجنة فى مقام الامتنان فان الاضافة تنبئ عن

(من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه (نزدله فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فافوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على ماقسمناله (وماله فى الآخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (ام لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم (ولولا كلمة الفصل) اى القضاء السابق بتأجيل الجزآء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب اليم) وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) اى وباله لاحق بهم اشفقوا اولم يشفقوا

امتياز المضاف عن المضاف اليه وكون الامتنان بكونها اطيب بقاعها مستفاد من كون المقام مقام الامتنان **قوله** اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم - يعني ان قوله عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم فيدل على ان الاشياء حاضرة متهيئة عنده تعالى وليس ظرفا لقوله يشاؤن لانه على الاول يكون قوله مايشاؤن باقيا على عمومه ويكون المعنى جميع مايشتهونه حاصل لهم منه تعالى خاصة بخلاف الثاني فانه يدل على ان مايشاؤن عنده حاصل لهم منه او من غيره ولا يدل على حصول جميع مطالبهم ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل الصالح انما حصل بطريق الفضل لابطريق الاستحقاق **قوله** ذلك الثواب الذى - اشارة الى ان ذلك مبتدأ والذى خبره على حذف الموصوف وذلك الموصوف اما الثواب الذى اخبر الله تعالى بانه اعدّه لعباده او التبشير المدلول عليه بقوله الذى يبشر الله عباده فالاشارة على الاول الى ما ذكر سابقا من الكرامة المعدّة لهم وحذف الباء التي هي صلة يبشر كما في قولك امرتك الخير ثم حذف الضمير الراجع الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا فانهم لا يجوّزون حذف الجار والمجرور دفعة واحدة وانما يحذفونهما على التدريج الانادرا كما في قولهم السمن منوان بدرهم وعلى الثاني تكون الاشارة الى مدلول قوله الذى يبشر الله كما في قولك هذا اخوك لا الى المذكور سابقا اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا مايدل عليه والعائد الى الموصول محذوف ايضا لكن لا يقدر الجار والمجرور لان العائد حينئذ في حكم المفعول المطلق فيتعدى الفعل اليه بنفسه **قوله** وقرأ ابن كثير الخ - اختار المصنف قرآءة نافع وعاصم وابن عامر يبشر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وهو منقول من بشره يبشره بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع والتشديد فيه للتكثير لا للتعدية لان الثلاثي متعدّ بنفسه وقرأ الاربعة الباقية من السبعة يبشر بفتح الياء وضم الشين المخففة ولا فرق بين القرآءتين من حيث المعنى الا بان احداهما فيها معنى التكثير لا في الاخرى وعلى قرآءة يبشر من باب الافعال يكون منقولا من بشر بكسر الشين فانه لازم يتعدى بنقله الى باب الافعال يقال بشرت بكذا ابشر اى استبشرت به بخلاف بشرت بالفتح فانه متعد **قوله** على مااتعاطاه - اى اخوض فيه واباشره وفي الصحاح يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه **قوله** نفعا منكم - اشارة الى وجه جواز كون الاستثناء متصلا كما اشار اليه بعطف قوله وقيل الاستثناء منقطع فان ودّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ودّهم اهل قرابته اعترافا بفضلهم ورعاية لحقهم داخل في جنس النفع الواصل منهم اليه عليه افضل الصلاة والسلام غاية مافي الباب ان يكون اطلاق الاجر على مطلق النفع مجازا بان يكون الاجر عبارة عن العوض المالي الواجب في مقابلة العمل **قوله** ان تودّوني لقرابتي منكم - اى يجوز ان يكون المراد بالمودّة مودّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقربى القرابة بمعنى الرحم ويكون كلمة في في قوله في القربى بمعنى اللام متعلقة بالمودّة فيكون المعنى ان تودّوني لاجل قرابتي منكم كما يقال الحب في الله اى في حقه ومن اجله ويجوز ايضا ان يراد بالمودّة مودّة اهل قرابته ويكون القربى مصدرا كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة التي يراد بها الاقارب بتقدير المضاف اى ذوى القرابة واهلها فلا يكون قوله في القربى ظرفا لغوا متعلقا بالمودّة بل يكون ظرفا مستقرّا متعلقا بمحذوف منصوب على انه حال من المودّة اى الا المودّة ثابتة في القربى متمكنة فيها فتكون كلمة في على بابها كانهم جعلوا مكانا للمودّة ومقرّا لها كقولك لى في فلان مودّة وهذا النظم ابلغ من ان يقال الا مودّة القربى او المودّة للقربى * فان قيل كيف يصح ان يكون الاستثناء متصلا والحال انه يفيد كونه عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على تبليغ الوحي وانه لايجوز لوجوه اوّلها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء تصريحهم بنفي طلب الاجر فقال في قصة نوح عليه الصلاة والسلام وماأسألكم عليه من اجر الخ وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وسيد المرسلين فكيف يليق بشأنه ان يطلب الاجر على تبليغ الوحي والرسالة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام ايضا صرّح بنفي طلب الاجر فقال قل ماأسألكم عليه من اجر وماانا من المتكلفين وقال قل ماسألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه لقوله تعالى بلغ ماانزل اليك من ربك وطلب الاجر على طلب الواجب لايليق باقل الناس قدرا فضلا عن سيد الكائنات ورابعها ان متاع الدنيا اقل الاشياء واخسها بالنسبة الى الوحي الالهي وعلم النبوّة فكيف يصح في العقل ان يطلب اخس الاشياء بمقابلة اشرف الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوهم التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوّة فثبت بهذه الوجوه انه لايجوز منه عليه الصلاة والسلام ان يطلب الاجر على التبليغ البتة

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) في اطيب بقاعها وانزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى ما للمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه مالغيرهم في الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره (قل لااسألكم عليه) على مااتعاطاه من التبليغ والبشارة (اجرا) نفعا منكم (الا المودّة في القربى) ان تودّوني لقرابتي منكم او تودّوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لااسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودّة وفي القربى حال منها اى الا المودّة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله

روى انهالما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال علىّ وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرّب الى الله اى الاان تودّوا الله ورسوله فى تقرّبكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودّة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ومودّته لهم (نزد له فيها) اى فى الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنا حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب (شكور) لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (ام يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوّة او القرآن

فكيف يصح ان يصدر منه ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودّة فى القربى * اجيب عنه بانه من قبيل قول من قال

* ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب *

لان حاصله انا لااطلب منكم الاهذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر لان الاجر ما يجب بمقابلة العمل ومودّة اقربائه عليه الصلاة والسلام واجبة على قريش وقد روى عن الشعبى انه قال اكثر الناس على ان المراد بالقربى فى هذه الآية علىّ وابناه وصاحبته فكتبنا الى ابن عباس رضى الله عنه نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس الينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الاوقد ولده وكان له فيهم قرابة وان فرض انه عليه الصلاة والسلام لم يبعث اليهم نبيا ولم يبلغ اليهم وحى الله تعالى لان اقرباءه عليه الصلاة والسلام ذووا قرابتهم فكانت صلتهم والامتناع من ايذائهم واجبة بحكم المروءة الجبلية فودّتهم فى القربى لاتكون اجر التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر عن التبليغ فلا يكون عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على التبليغ الا انه عليه الصلاة والسلام سماها اجرا واستثناها منه تشبيها لها به وهذا القدر كاف فى صحة الاتصال ولان حصول المودّة بين المسلمين امر واجب لقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه الصلاة والسلام المؤمنون كالبنيان يشدّ بعضه بعضا * والآيات والاخبار فى هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودّة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها حق اشراف المسلمين واكابرهم اولى فكأنه قيل قل لااسألكم عليه اجرا الاالمودّة فى القربى ومن المعلوم ان المودّة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة فرجع حاصل الكلام الى انه لايسأل اجرا البتة

قوله روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم يريد ان ليس المعنى الاان تودّونى لقرابتى بل المعنى الاان تودّوا قرابتى ومن قرابته كل من حرمت عليهم الصدقة وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب وفى الحديث * حرمت الجنة على من ظلمنى فى اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه غدا اذا لقينى يوم القيامة * ومن ظن ان هذه نسخت بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم فقد غلط لانه لايصح ان ينسخ مودّة النبى صلى الله عليه وسلم فى كف الاذى عنه ولامودّة آله واقاربه ولا التقرّب الى الله تعالى بطاعته لان كل واحد منها من فرائض الدين واصوله فلا يتصوّر نسخه **قوله** وقيل نزلت عطف على معنى قوله ومن يكتسب طاعة سيما حب آله عليه الصلاة والسلام فانه يدل على ان قوله ومن يقترف عام فى كل من يكتسب حسنة ابابكر كان او غيره وعلى ان قوله حسنة عام فى كل طاعة سواء كانت مودّة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيرها كأنه قيل كل واحد من قوله ومن يقترف ومن قوله حسنة عام وقيل كل واحد منهما خاص والعامة على حسنا بالتنوين وهو مصدر على فعل نحو شكر وانتصابه على مفعول به وقرئ حسنى بالف التأنيث بلاتنوين وهو ايضا مصدر على وزن فعلى كالبشرى والرجعى وهو مفعول به ايضا ويحتمل ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اى خصلة حسنى لماحث على الحسنة المخصوصة وهى ان يودّوه عليه الصلاة والسلام لقرابته منهم ويودّوا قرابته اى اقرباءه ذكر ان كل من يقترف حسنة واحدة اى حسنة كانت يضاعفها له عشر اضعافا **قوله** بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة يعنى ان الشكر من الله تعالى يراد به هذا المعنى مجازا لان معناه الحقيق وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما لايتصوّر منه تعالى لامتناع ان ينعم عليه احد حتى يقابله بالشكر شبهت اثابته اهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيق من حيث ان كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير واكرامه لاجله **قوله** بل أيقولون اشارة الى ان ام منقطعة متضمنة معنى بل الاضرابية وهمزة التوبيخ والكلام المضروب عنه هو الاضراب الاوّل وهو قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وبيانه انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يتلو عليهم قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وساق الكلام الى ان انتهى الى الاضرب الاوّل أضرب عن الامر بالتلاوة الى السؤال على سبيل التقرير والتهكم اى اهم يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجنّ والانس واجرى الكلام حتى بلغ الى مقام الاضراب الثانى فوبخهم على امر آخر اعظم من الاوّل وهو نسبة الافتراء الى اكرم خلق الله تعالى فقال ام يقولون اى أيتفوّهون بهذه العظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم شرع من تلقاء نفسه هذا الذى دعاكم اليه وسماه دينا وذكر انه تعالى وصى به الانبياء السابقة وامرهم ان يتمسكوا به وان يأمروا اممهم بالتدين به وهذا معنى

(فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافترآء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربّه فاما من كان ذا بصيرة و معرفة فلا وكأنّه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافترآء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفى الافترآء عما يقوله بانه لوكان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لا مردّ له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان بالشرّ (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدّى الى مفعول ثان بمن او عن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علىّ هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرآئض الاعادة وردّ المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن شاء (ويعلم ما تفعلون) فيجازى ويتجاوز عن ايقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابى بكر ما يفعلون بالياء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها

قوله افترى على الله كذبا والمعنى ايقولون انه عليه الصلاة والسلام كاذب فى دعوى انه تعالى ارسله نبيا ودعوى ان القرءآن كلام الله تعالى اوحى اليه بواسطة الملك وانه مفتر عليه تعالى فى ذلك لانه تعالى لم يجعله نبيا ولم يوح اليه شيأ وانه انما ادّعى ذلك من تلقاء نفسه وقيل ام متصلة معادلة لهمزة الاستفهام المحذوفة والتقدير أيصدّقونك فيما تبلغه اليهم ام يقولون افترى على الله كذبا ولم يوح اليه شئ وعلى تقدير كونها منقطعة يكون هذا الاضراب معطوفا على الاضراب الاوّل وادخل فى افادة الانكار والتوبيخ منه لان اتباعهم شرع الشياطين وان كان قبيحا وشرّا عظيما الا انه ليس كجعل دعواه النبوّة ودعواه ان القرءآن كلام الله المنزل عليه الموحى اليه ادّعاء لهما من تلقاء نفسه افترآء عليه تعالى فى نسبة بعثه اليه وانزاله عليه لان دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام فى كل واحد منهما بلغت فى القوّة والكثرة الى حيث سقط معها احتمال كونه عليه الصلاة والسلام كاذبا مفتريا كأنه قيل أيجدون من انفسهم ان ينسبوا مثله الى الافترآء ثم الى الافترآء على الله وهو اعظم الفرى وافحشها ﴿ **قوله** استبعاد للافترآء عن مثله ﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان المقصود منه المبالغة فى استبعاد الافترآء عن مثله كأنه قيل من كان مثلك فى كونه اعرف خلق الله تعالى به واخشاهم منه واكرمهم عنده منزلة بحيث يكون آدم عليه الصلاة والسلام ومن دونه تحت لوائه كيف يصح ان يفترى عليه فان الافترآء عليه لا يصدر الا ممن كان مختوما على قلبه جاهلا بربّه ابعد خلق الله تعالى منه واما صدوره عمن هو مثلك فبعيد كل البعد وانما يتوهم ذلك منه ان لو كان ممن ختم الله تعالى على قلبه فكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل ومن البين انك لست كذلك فمن اين يتصوّر منك ان تفترى عليه تعالى وعن قتادة يختم الله على قلبك اى ينسيك القرءآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو كذب على الله وافترى لانساه القرءآن ولقطع عنه الوحى ولما عمل خيرا بسبب ختم قلبه فعلى هذا يكون الكلام استدلالا على عدم كونه مفتريا بانتفاء لازمه كما انه على الاوّل استبعاد لاصل الافترآء عليه ﴿ **قوله** استئناف ﴾ يعنى تم الكلام بذكر قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله ويمح الله الباطل ليس مجزوما بالعطف على جزآء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا لا معلقا بالشرط ولانه لو كان مجزوما به لما انعطف عليه ما بعده مرفوعا وهو قوله ويحق الحق وسقط لام الفعل منه لفظا لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطا ايضا حملا على اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشرّ وقوله سندع الزبانية استبعد الله تعالى اوّلا صدور الافترآء على الله تعالى عن مثله عليه الصلاة والسلام ثم اقام الدليل على انه عليه الصلاة والسلام ليس مفتريا وتقرير الدليل ان من عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه فلو كان عليه الصلاة والسلام مبطلا كذابا لما أيده بالقوّة والنصرة بل يفضحه ويكشف عن باطله ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكذابين المفترين على الله تعالى ثم انه تعالى لما انكر على المشركين ووبخهم على اتباعهم ما شرع لهم شياطينهم ونسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى اصل الافترآء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى وافحشها ندبهم الى التوبة وعرّفهم انه يقبلها من كل مسيئ وان عظمت اساءته فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ان من اوليائه واهل طاعته ويدل عليه اضافة التشريف فى عباده واقل ما لا بدّ منه للتائب الندم على الماضى والترك فى الحال والعزم على ان لا يعود اليه فى المستقبل ﴿ **قوله** لتضمنه معنى الاخذ والابانة ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب فلتضمنه معنى الاخذ تعدّى اليه بمن فيقال قبلته منه اى اخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ولتضمنه معنى الابانة والتفريق تعدّى بعن فيقال قبلته عنه اى عزلته وابنته عنه وقوله تعالى ويعفو عن السيئات معناه يعفو عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر كما ذكره الزمخشرى بناء على مذهبه وذلك لان عفو ما تيب عنه هو عين قبول التوبة والتجاوز عما تيب عنه فيتحد المعطوف والمعطوف عليه مع ان العطف يقتضى التغاير بل المعنى ان الله تعالى من شأنه ان يقبل التوبة من عباده اذا تابوا وان يعفو عن سيئاتهم صغيرها وكبيرها التى هى غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته او بشفاعة شافع وان لم يتوبوا وهو مذهب اهل السنة وقالوا ايضا لا يجب عليه تعالى شئ من قبول التوبة وغيرها واحتجوا عليه بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدّح بقبول التوبة ولو كان قبولها واجبا عليه لما حصل التمدّح العظيم به وقالت المعتزلة يجب ذلك عليه تعالى عقلا ﴿ **قوله** وقرأ الكوفيون غير ابى بكر ﴾ اى قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله من عباده وقوله بعده ويزيدهم من فضله والباقون بتاء الخطاب التفاتا للناس عامة أو خطابا للمشركين ﴿ **قوله** اى يستجيب الله لهم او يستجيبون الله ﴾ يجوز ان يكون قوله الذين آمنوا فى محل النصب

على انه مفعول به واصل الاستجابة ان تعدّى باللام كما فى قوله تعالى ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اى اجيبوا له ولرسوله فان استجاب واجاب بمعنى * قال صاحب الكشاف فى تفسير سورة القصص الاستجابة تتعدّى الى الدعاء بنفسها والى الداعى باللام ويحذف الدعاء اذا تعدّت الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه * فان قلت قد عدّى الى الداعى بنفسه فى قوله

* وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

قلت معناه فلم يستجب دعاءه مجيب على حذف المضاف الا انه حذف اللام للعلم بها كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون وفاعل يستجيب مضمر فيه يعود على الله ثم الاجابة يجوز ان يكون مجازا من الاثابة على الطاعة فان الطاعة لما شابهت الدعاء فيما يترتب عليها من الثواب كانت الاثابة عليها بمنزلة اجابة الدعاء فعبر عن الاثابة بالاجابة على سبيل الاستعارة كما يعبر بالدعاء عن الطاعة قال عطاء عن ابن عباس يستجيبهم اى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم ويجوز ايضا ان يكون الذين آمنوا فى محل الرفع على انه فاعل يستجيب ويكون المفعول محذوفا اى يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها على ان استجاب بمعنى اطاع او اجاب ويؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما روى انه قيل لابراهيم بن ادهم مابالنا ندعو فلا يجاب لنا فقال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى انه تعالى دعاهم وقرأ قوله ويستجيب الذين آمنوا فاشار بقرآءة قوله والله يدعو الى دار السلام الى انه تعالى دعاهم وبقرآءة قوله ويستجيب الذين آمنوا الى انه لم يجب الى دعائه الا البعض **قوله على ماسألوا** على ان تكون الاستجابة فعل الله ويكون المعنى ويجيب الله دعاء المؤمنين اذا دعوه بان تكون الاجابة على اصل معناها وقوله واستحقوا على ان يكون الفعل لله تعالى ويكون بمعنى الاثابة وقوله واستوجبوا له اى استحقوا به على ان الفعل لهم ويكون بمعنى الاطاعة **قوله لتكبروا** فان البغى قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى لفعلوا مايتبع الكبر من العلوّ فى الارض والفساد والوجه فى كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهى التكبر واذا وقع فى شدّة وبلية انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقد يكون بمعنى الظلم اى لظلم بعضهم بعضا ووجه تعلق الآية بما قبلها انه تعالى لما قال فى الآية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب الذى استحقوه بها اوانهم يستجيبون لربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا وكرما ورد عليه ان يقال مقتضى الآية على جميع التقادير ان يكون المؤمن فى سعة ورفاهية اما بان يجيب الله تعالى دعاءه او بان يزيده على ما استحقه من الكرامة والحال ان المؤمن كثيرا ما يبتلى بالشدّة وانواع البلية والفقر الى ان يموت ولا يظهر فيه اثر الاجابة والزيادة فكيف الجمع بين هذه الحالة وبين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى بان شأنه تعالى ذلك الا ان اثر الاستجابة لايجب ان يظهر فى الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان فى الدنيا على ما تقتضيه الحكمة فيفقر ويغنى ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم جميعا لهلكوا **قوله وهذا على الغالب** جواب عما يقال من ان البغى قد يكون مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عليه يبغى وكم من مبسوط له بضدّه * وتقرير الجواب نعم ان ذلك قد يكون الا ان الغالب ان يكون البسط مؤدّيا الى البغى والفقر مؤدّيا الى الانكسار والتواضع فلذلك جعل البغى مشروطا بالبسط **قوله فيقدر لهم ماناسب من شأنهم** روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه الصلاة والسلام عن الله عزّ وجلّ فى حديث طويل انه قال يقول الله عزّ وجلّ ما تردّدت فى شئ انا فاعله تردّدى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابدّ له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك انى ادبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير **قوله اذا اخصبوا** اى اذا اصابهم الخصب والرخاء وهو ضدّ اجدبوا اذا اصابهم الجدب والقحط وصاروا اليه **قوله انتجعوا** اى طلبوا وتضرّعوا من النجعة بالضم وهو طلب الكلا فى موضعه وتقول منه انتجعت فلانا اذا اتيته تطلب معروفه قال شاعرهم

(ويزيدهم من فضله) على ماسألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وافسدوا فيها بطرا اولبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية اوكيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ماناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا

❊ وقت جعل الوسمىّ ينبت بيننا ❊ وبين بنى رومان نبعا وشوحطا ❊

النبع والشوحط شجران يتخذ منهما القوس والنشاب والوسمىّ مطر الربيع الاوّل سمى به لانه يسم الارض اى يؤثر فيها سمة النبات نسب الى الوسم والمراد به مايتفرّع عليه من الغنى والخصب يعنى انهم لما مطروا واخصبوا اعدّوا المراكب وطلبوا القسىّ والاوتار والسهام وحاربوهم فصار كأن المطر والخصب انبت آلة الحرب وهى القسىّ والسهام وورومان بضم الرآء اسم رجل ثم انه تعالى لما بين انه لايعطيهم بما زاد على ماتقتضيه الحكمة لاجل علمه بان اعطاء ذلك يضرّهم فى دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه يرزقهم ولا يميتهم جوعا فقال وهو الذى ينزّل الغيث خص اسم الغيث بالذكر دون المطر لاختصاص الغيث بما ينزل رحمة ونفعا فانه اسم للمطر الذى يغيث الناس من الجدب ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون اسم الغيث منبئا عن معنى الاغاثة من الجدب خص بالمطر النافع دون الضارّ والاعم منهما ولما كان حصول النعمة بعد اشتداد البلية اقصى مراتب الاغاثة وجالبا لكمال الفرح والمسرة اردفه بقوله من بعدما قنطوا لمزيد الامتنان واستدعاء الشكر ﴿قوله وينشر رحمته فى كل شئ﴾ اشارة الى ان ضمير رحمته لله تعالى وان قوله تعالى وينشر رحمته بعد قوله وهو الذى ينزّل الغيث مع ان الغيث رحمة بالغة تعميم بعد التخصيص اى من باب عطف العام على الخاص كأنه قيل ينزّل الرحمة التى هى الغيث وينشر سائر انواع الرحمة ويجوز ان يكون ضمير رحمته للغيث ويكون المعنى وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ولما كان محصول هذه الآية بيان مايدل على تفرّده بالالوهية اورد آية اخرى تدل عليه فقال ومن آياته خلق السموات والارض الآية ﴿قوله من حىّ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان المبثوث فى السموات هو الملائكة فكيف يجوز اطلاق لفظ الدابة عليهم مع انه اسم لمايدب على الارض اى يمشى عليها وهم طيارون فى السماء لامشاؤن على الارض * اجاب عنه اوّلا بان الدابة مجاز عن الحىّ على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان الحياة سبب للدبيب فاطلق عليها اسم الدبيب وعلى الدابة ولاشك ان الملائكة احياء وثانيا بان المراد بالدابة معناه اللغوى وهو مايدب على الارض والدابة بهذا المعنى وان كانت مبثوثة فى الارض فقط الا انها رجعت مبثوثة فيهما بناء على ان مايكون فى احد الشيئين يصدق عليه انه فيهما فى الجملة ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح لامن العذب وقد يسند الفعل الصادر من واحد من الجماعة اليهم جميعا لوقوعه فيمابينهم فيقال بنو افلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ولما بين انه خلقها متفرّقة بين ان خلقها كذلك لا لعجز ولكن لمصلحة وهو قادر على جمعهم ايضا اى وقت شاء يعنى الجمع للحشر والجزآء والحساب فقال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴿قوله وهو﴾ مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير واذا يشاء ظرف لجمعهم لا لقوله قدير لان اذا ظرف لما يستقبل وقدرته تعالى ازلية وغير معلقة بالمشيئة ﴿قوله واذا كما تدخل على الماضى﴾ لما كان اذا للقطع والماضى هو الذى يدل على القطع كان دخوله على الماضى اصلا وعلى المضارع ملحقا به ولما كان الجمع المذكور فى قوله وهو على جمعهم اذا يشاء قدير جمعا للحساب والجزآء بين الله تعالى انه مطهر عبده المؤمن من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيامة فقال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصى لان مااصاب المذنبين من اهل الايمان من المكاره كالآلام والاسقام والقحط والغرق والصواعق ونحوها عقوبات على الذنوب السالفة ويعفو الله تعالى عن كثير من ذنوبهم فلايعاقب بها بحكم هذه الآية الكريمة * عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * والذى نفسى بيده مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الابذنب ومايعفو الله عنه اكثر * وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * خير آية فى كتاب الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم قال ياعلىّ مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا نكبة حجر الابذنب ومايعفو الله عنه اكثر وما عاقب الله عبده فى الدنيا بذنب فالله ارحم من ان يثنى عليه عقوبته فى الآخرة وما عفا الله عن عبده فى الدنيا من ذنب فالله اكبر من ان يعود فيما قد عفا عنه * رواه الواحدى فى الوسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المذنبين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لايرجع فى عفوه وهذه سنة الله تعالى فى ذنوب المؤمنين واما الكافر فلا يعاجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة والآية مخصوصة بالمذنبين من اهل الايمان واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصبيان والمجانين فما اصابهم من الم ونكبة فليثابوا به فى الآخرة او لحكمة لايعلمها

(وهو الذى ينزّل الغيث) المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزّل بالتشديد (من بعد ماقنطوا) ايسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولىّ) الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (ومابث فيهما) عطف على السموات او الخلق (من دابة) من حىّ على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) فى اى وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) فبسبب معاصيكم

الا الله تعالى مع ان قوله تعالى ما اصابكم و ايديكم خطاب مع من يفهم و يعقل فلا يدخل فيه الاطفال و المجانين و البهائم و منهم من انكر كون المكاره المذكورة اجزية للذنوب السالفة استدلالا بان الدنيا دار تكليف و الجزآء انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون اليوم تجزى كل نفس بما كسبت و لقوله مالك يوم الدين اى يوم الجزآء فاجمعوا على ان المراد به يوم القيامة و حملوا قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك المكسوب ازال هذه المصائب عليكم ﴿قوله و لم يذكرها﴾ اى و لم يذكر الفاء بل قرأ بما كسبت بغير فاء و الظاهر على هذه القرآءة ان تكون ما موصولة بمعنى الذى و بما كسبت خبرها و الموصولة التى صلتها فعل و ان تضمنت معنى الشرط الا ان ذلك يجوّز دخول الفاء فى خبرها و لا يوجبه و قيل انها شرطية حذفت الفاء من جوابها كما فى قوله تعالى و ان اطعتموهم انكم لمشركون و قوله من قال من يفعل الحسنات الله يشكرها فان الجواب اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء و لا يجوز حذفها عند جمهور النحاة و انما يجوز حذفها عند الاخفش و بعض البغداديين ثم انه تعالى ذكر آية اخرى تدل على وجود الاله القادر الحكيم و هى ان هذه السفن العظيمة التى فى عظمها و ثقلها كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه و عند سكون الرياح تقف و من المعلوم ان محرّك الرياح و مسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر على تحريكها و لا على تسكينها احد من البشر فيكون جرى السفن و وقوفها من الآيات الدالة على وجود الاله القادر الحكيم و وقوفها على الماء مع غاية ثقلها آية اخرى و فى تسخير السفن على الوجه المذكور حكمة بالغة و منة عظيمة له تعالى علينا فانه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب بالسفن الى الجانب الآخر و بالعكس حصلت المنافع العظيمة للتجار فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال السفن الجارية قرأ نافع و ابو عمرو الجوارى بالياء حال الوصل دون الوقف و قرأ ابن كثير بالياء حال الوصل و الوقف و الباقون بحذف الياء فى الوصل و الوقف فاثبات الياء على الاصل و حذفها للتخفيف و الجوارى جمع جارية و هى السائرة فى البحر و المراد بها السفن لحذف الموصوف لعدم الالتباس فان قوله فى البحر قرينة معينة للمراد فلا يرد ان يقال الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا يقال مررت بماش لان المشى من الصفات العامة و الجرى ليس من الصفات الخاصة بالسفن فلم حذف موصوفها و يجوز ان يقال الجوارى و ان كان فى الاصل من الصفات المشتقة كما ذكر الا انه صار بمنزلة الاسماء الجامدة لكونه اسما للسفن بالغلبة قال تعالى لما طغى الماء حملناكم فى الجارية يعنى السفينة فلا حاجة الى تقدير الموصوف و الاعتذار لحذفه و قوله فى البحر متعلق بالجوارى اذا لم ينزل منزلة الجامد بان يكون الجارية اسما للسفينة بالغلبة و يكون فى البحر حالا منه او صفة له اى كائنة فى البحر او الكائنة فيه و كذا قوله كالاعلام و اتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال و استشهدوا على اطلاق العلم على الجبل بقول الخنساء فى مرثية اخيها صخر

و ان صخرا لتأتم الهداة به ❁ كأنه علم فى رأسه نار

روى ان النبى صلى الله عليه و سلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا البيت قال قاتلها ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت فى رأسه نارا ﴿قوله فيبقين ثوابت﴾ كأنه اشارة الى ان يظللن ليس بمعنى انهن يركدن و يثبتن بالنهار دون الليل و هو اصل معناه يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل و لا وجه لتقييد ركودهن بوقت الظلول و هو النهار فالمناسب ان يكون يظللن رواكد بمعنى يصرن ثوابت بعد ما كانت جوارى برياح طيبة و قوله يبقين ثوابت بيان لحاصل المعنى ﴿قوله تعالى ان فى ذلك﴾ اى فى اجرآء السفن بارسال الريح الملائمة مع القدرة على اسكان الريح المستلزم لكونها ثوابت على ظهر البحر ﴿قوله لكل من وكل همته﴾ اى استعملها و استعان بها على الصبر اى على حبس النفس على النظر فى آيات الله تعالى و الاعتبار بها و التفكر فى آلائه المؤدى الى ادآء شكرها بقدر الطاقة فالشكر نتيجة الصبر على النظر و التفكر المذكورين ﴿قوله او لكل مؤمن كامل﴾ اى كامل فى رعاية حقوق الايمان و ثمراتها بان يكون آتيا بجميع ما كلف به من الافعال و التروك فيكون مجموع قوله صبار شكور كناية واحدة عن المؤمن الموصوف لان مرجع ما فيه من الاوصاف و الاحوال الى الصبر على مرارة الطاعة و مرارة كف النفس عن المحرمات اللذيذة للنفس الامارة و الى الشكر على ما اعطاه الله من النعماء فان المؤمن لا يخلو عن السرآء و الضرآء فان كان فى السرآء شكر و ان كان فى الضرآء صبر و لا يتبعهما

و الفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه و لم يذكرها نافع و ابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (و يعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها و الآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (و ما انتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (و ما لكم من دون الله من ولى) يحرسكم منها (و لا نصير) يدفعها عنكم (و من آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

و ان صخرا لتأتم الهداة به ❁
كأنه علم فى رأسه نار ❁

(ان يشأ يسكن الريح) و قرأ نافع الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته و حبس نفسه على النظر فى آيات الله و التفكر فى آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر و نصف شكر

فى تينك الحالتين الامن آمن بالله و اليوم الآخر وهذا كما يكنى بمجموع الطويل العريض العميق عن الجسم و بمجموع حى مستوى القامة عريض الاظفار عن الانسان **﴿قوله او يهلكهن﴾** اى او يهلك اصحابهن باغراق السفن بالريح العاصفة اى الشديدة يقال عصفت الريح اذا اشتدت و الايباق الاهلاك فقوله او يوبقهن معطوف على المجزوم قبله و هو يسكن و المعنى ان يشأ يوبقهن ثوابت على ظهر البحر باسكان الريح او يهلكهن فهو من حيث اللفظ معطوف على قوله فيظللن رواكد على ظهره لانه الذى تعلق به المشيئة و من حيث المعنى معطوف على ارسال الريح العاصفة المغرقة فاقتصر على المقصود و لم يتعرض لسببه اعتمادا على دلالة المقام عليه بل عطف المقصود الثانى على سبب المقصود الاول و اشار اليه بقوله و اصله او يرسلها فيوبقهن بعطفه على جواب الشرط مع ما عطف عليه فان يسكن جواب الشرط و قوله فيظللن عطف عليه و سبب مقصود منه و حذف من المعطوف السبب و اقتصر على المقصود للاختصار و عدم الالتباس كما اقتصر على المقصود فى قوله و يعف عن كثير فان انجاء الكثير بطريق العفو ايضا مسبب عن ارسال الريح عاصفة و قوله و يعف مجزوم معطوف على قوله يوبقهن فكما ان الايباق مسبب عن الارسال فكذا الانجاء و العفو **﴿قوله عطف على علة مقدرة﴾** قرأ من عدا نافع و ابن عامر من السبعة و يعلم بالنصب وذكر المصنف لهذه القرآءة وجهين الاول انه عطف على علة مقدرة للايباق المرتب على مشيئة ارسال الريح عاصفة كأنه قيل او ان يشأ يرسلها عاصفة فيوبقهن بما كسبوا لينتقم منهم و ليعلم الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم و اتباعه و يكذبونهم ان لا مخلص لهم من عقاب الله اذا عاقبهم فانهم اذا علموا ان السفن اذا ركدت على متن البحر باسكان الريح او غرقت فى البحر بارسالها عاصفة عرفوا ان لا محيص لهم من هذه الورطة غير الله تعالى فيعلمون لا محالة ان لا مخلص لهم من عقابه اذا عاقبهم و العطف على العلة المقدرة كثير فى القرآن منه قوله تعالى فى سورة مريم و لنجعله آية للناس تقديره لنبين له قدرتنا و لنجعله آية و قوله تعالى فى الجاثية خلق الله السموات و الارض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت اى ليدل بها على قدرته و لتجزى كل نفس الا ان ذلك فى هاتين الآيتين مع وجود حرف التعليل و لم يوجد فيما نحن فيه و الثانى انه معطوف على جزآء الشرط الا انه نصب باضمار أن كما تقول ما تصنع اصنع و اكرمك بالنصب و ان شئت قلت و اكرمك بالرفع على تقدير و انا اكرمك و اذا نصبت يكون باضمار أن و تكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه مبتدأ حذف خبره اى و شأنى اكرامك او و علىّ اكرامك فمعناه مثل معنى الرفع فى القطع و الاستئناف مع زيادة مبالغة فى المعنى و الكوفيون يسمون هذه الواو واو الصرف لكونها صارفة للمعطوف عن اعراب ما قبله و المعطوف على المجزوم اذا صرف عنه نصب **﴿قوله و نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة﴾** جواب عما يقال المضارع انما ينتصب بعد الواو و الفاء بان مضمرة اذا وقع بعد الاشياء الستة التى هى الامر و النهى و النفى و الاستفهام و التمنى و العرض و يعلم لم يقع بعد شئ منها فكيف جاز ان ينتصب بان مضمرة * و تقرير الجواب انه انتصب المضارع الواقع بعد الجزآء بان المضمرة كما ينتصب الواقع بعد الاشياء الستة تشبيها للجزآء بالاشياء الستة من حيث ان مضمون كل واحد منهما ليس محقق الوجود اما مضمون تلك الاشياء فظاهر و اما مضمون الجزآء فلكون وجوده مشروطا بوجود الشرط و وجود الشرط مفروض مقدر فلم يكن شئ منهما موجودا حقيقة فلما شابه الجزآء تلك الاشياء صار الواقع بعد الجزآء كالواقع بعدها فانتصب بان المضمرة و انتصب المضارع بعد الفاء فى قول الشاعر

> سأترك منزلى لبنى تميم ۞ و ألحق بالحجاز فاستريحا

يعنى ان المضارع غير ثابت المعنى كالتمنى و الترجى و نحوهما فلذلك جاز أن ينتصب ألحق و ما بعده و ان لم يقع بعد الاشياء الستة و لا بعد الجزآء قيل فى توجيهه انه لما كان مستقبلا ضارع النفى و حمله الرضى على ضرورة الشعر **﴿قوله بالرفع على الاستئناف﴾** ثم الاستئناف اما بجملة فعلية على ان يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل يعلم و اما بجملة اسمية على ان يكون فى محل النصب على انه مفعول يعلم و فاعله مستتر فيه راجع الى المبتدأ المقدر قبله اى و هو يعلم الذين الخ و على التقديرين تكون هذه الجملة معطوفة على جملة قوله و من آياته الجوارى اى و من آياته الدالة على كمال القدرة السفن الجارية فى البحر ثم ذكر ان وجه الدلالة انها مسخرة تحت امره الذى يتضمن تارة نفع من فيها و تارة بالعكس ثم قال و يعلم الذين يعاندون و لا يعترفون بآيات الله الباهرة ما لهم من محيص و هذه الجملة المنفية فى محل النصب لسدها مسد مفعولى العلم علق عنها الفعل بحرف النفى **﴿قوله و قرئ بالجزم﴾** فتكسر

(او يوبقهن) او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة و المراد اهلاك اهلها لقوله (بما كسبوا) و اصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (و يعف عن كثير) اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم و ينج ناسا على العفو عنهم و قرئ و يعفو على الاستئناف (و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم و يعلم او على الجزآء و نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب و قرأ نافع و ابن عامر بالرفع على الاستئناف و قرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم و انجاء قوم و تحذير آخرين (ما لهم من محيص) محيد من العذاب و الجملة معلق عنها الفعل

الميم لالتقاء الساكنين* ولما ورد ان يقال لو جزم يعلم بالعطف على يعف لزم ان يكون العلم من نتيجة اعصاف الريح وكونه كذلك غير ظاهر فاوجه الجزم* اشار الى دفعه بقوله فيكون المعنى او يجمع الخ يعني ان قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص تحذير لهم وبهذا الاعتبار يصح جعله من نتائج اعصافها والمعنى ان يشأ يعصف الريح فيجمع بين امور ثلاثة هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين فههنا فرق ثلاث فرقة هالكة وفرقة ناجية وفرقة محذرون غير الاولين ووجه كونه تحذيرا ان علمهم بذلك انما يكون باعلام الله تعالى اياهم واعلامه اياهم تحذير لهم ثم انه تعالى لما ذكر دلائل الوحدانية وكمال القدرة اردفهما بالتنفير عن الدنيا وتحقير شانها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال عز وجل من قائل وما اوتيتم من شيء الآية ونزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لا ينافي اتصالها بما قبلها بهذا الوجه **﴿قوله فجازت الفاء في جوابها﴾** اي في خبرها سمي الخبر جوابا نظرا الى تضمن المبتدأ معنى الشرط وقيل ما الاولى شرطية وهي في محل النصب على انه مفعول ثان لاوتيتم بمعنى اعطيتم والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وقدم المفعول الثاني لان له صدر الكلام وقوله من شيء بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع جواب الشرط فلذلك دخلت الفاء عليه ومتاع خبر مبتدأ محذوف اي فهو متاع وما الثانية موصولة مبتدأ وخير خبرها وقوله للذين متعلق بابقى نبه على خساسة الدنيا وانقراضها بتسميتها متاع الحياة الدنيا ثم وصف ثواب الآخرة بانه خير وابقى ثم بين ان هذه الخيرية بالنسبة الى من كان موصوفا بالصفات وجمع بينها وهي الايمان والتوكل على الرب تعالى لا على عمله نفسه والاجتناب من كبائر الاثم والفواحش ومغفرة الجاني والانتقام منه والاستجابة للرب تعالى اي اجابته الى ما دعاهم اليه من توحيده وطاعته **﴿قوله تعالى والذين يجتنبون﴾** في موضع الجر عطفا على قوله للذين آمنوا وكذا قوله والذين استجابوا لربهم بطريق عطف الصفة على الصفة لان الذات واحدة او في موضع النصب بتقدير اعني او الرفع بتقدير هم الاول يسمى نصبا على المدح والثاني رفعا على المدح **﴿قوله وبناء يغفرون الخ﴾** يعني ان هم مبتدأ ويغفرون خبره واذا منصوب بيغفرون والجملة الاسمية عطف على الفعلية قبلها وهي قوله يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون قدم المسند اليه في الجملة الثانية للدلالة على انهم الاخصاء المتميزون بالعفو عمن اغضبهم وآذاهم لا يذهب الغضب عقولهم كما يذهب عقول الناس والاخصاء جمع خصيص بمعنى المختص مثل قريب واقرباء يقال اختص بكذا اذا انفرد به وتميز والاضافة في قوله كبائر الاثم بمعنى من اي الكبائر من جنس الاثم قيل كبير الاثم هو الشرك* وقال الامام هو عندي ضعيف لان شرط الايمان قد ذكر وهو يغني عن ذكر الاجتناب عن الشرك فالظاهر ان يقال كبائر الاثم يعم كل كبيرة والفواحش جمع فاحشة وهي القبيحة وقيل هي المفرطة في القبح ثم قيل هما وصفان لعظائم الذنوب والعطف لتغاير الوصفين والموصوف واحد كانه قيل يجتنبون المعاصي وهي عظيمة عند الله في الوزر وقبيحة عند العقل والشرع وقال السدي المراد بالفواحش ههنا الزنى وقال مقاتل هي ما يوجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة **﴿قوله نزلت في الانصار﴾** لعله اشار به الى جواب ما يقال الاستجابة للرب تعالى أليس قد فهم من قوله تعالى للذين آمنوا وما ذكر بعده الى ههنا فما الفرق بينه وبين ما قبله حتى يعطف احدهما على الآخر* وتقرير الجواب انه من قبيل عطف الخاص على العام بان يكون ما سبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم عطف عليه الانصار الذين استجابوا لربهم الحسنى كمال الاجابة والانقياد للاشارة الى انهم لكمال استجابتهم كانهم ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون التعريف في المعطوف للعهد الخارجي* قال الامام فان قالوا أليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه فقد دخل في الايمان اجابة الله تعالى قلنا الاقرب عندي ان تحمل الاجابة على تمام الرضى بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة بوجه من الوجوه ولا يلزم منه معنى محصل فلذلك لم يلتفت اليه المصنف ومن امهات الفضائل اقامة الصلاة اي اتمام الصلوات الخمس برعاية جميع اركانها وشرائطها وسننها وآدابها **﴿قوله ذو شورى﴾** يعني ان شورى مصدر بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الافتاء والمعنى ان التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على الفعلية حيث قيل واقاموا الصلاة وامرهم شورى وبولغ فيه بجعل امرهم نفس الشورى مدحهم بذلك تنبيها على انه خصلة ممدوحة عن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم **﴿قوله على ما جعله الله لهم﴾** اي ليس المراد من الانتصار الانتقام ممن بغى عليهم وظلمهم مطلقا باي وجه كان بل المراد الانتقام على الوجه الذي عينه الله تعالى لهم وهو رعاية المماثلة وعدم التجاوز

(فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا فجازت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة) نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا واقاموا الصلاة (وامرهم شورى بينهم) ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون) على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل

عما حدّ لهم * عن النخعى انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال وجزآء سيئة سيئة مثلها الى غير ذلك والمقصود من هذه الآية وصفهم بالشجاعة لان البغى الذى هو الظلم والتعدّى انما يصيبهم من اهل الشوكة والغلبة واذا انتقموا منهم بالحدّ المشروع كراهة التذلل وردعا للجانى عن الجرآءة على الضعفاء فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم فى دين الله ولهذا قال العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيصير ترك العفو مندوبا اليه بان ادّى الى كف زيادة البغى وقطع مادّة الاذى دل عليه ماروى ان زينب اسمعت عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلا تنتهى فقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها * دونك فانتصرى * والاسماع السب ﴿قوله وهو لايخالف وصفهم بالغفران﴾ جواب عما يقال انه تعالى جعل العفو عن الجانى وغفرانه صفة مدح حيث جعله سببا لاستحقاق الثواب الباقى وهو يدل على ان ضدّه وهو الانتصار من الباغى صفة نقصان وقد جعل فى هذه الآية صفة مدح ايضا فكيف يكون كل واحد من المتقابلين صفة مدح * وتقرير الجواب ان الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغى هو الانتقام من الظالم الغالب فلا تقابل بينهما حتى يلزم من كون احدهما صفة مدح كون الآخر صفة نقصان والحاصل ان العفو على قسمين احدهما العفو الذى يكون سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجانى عن جنايته والثانى مايكون سببا لمزيد جرأة الجانى وازدياد سفاهته فآية العفو محمولة على القسم الاوّل وهذه الآية محمولة على القسم الثانى فلا مخالفة ﴿قوله ثم عقب وصفهم بالانتصار﴾ اى اورد عقيب وصفهم بالانتصار والشجاعة قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها لاجل المنع عن التعدّى والبيان لحدّ الانتصار ﴿قوله وسمى الثانية سيئة﴾ جواب عما يقال جزآء السيئة مشروع مأذون فيه وكل مشروع حسن فكيف سمى سيئة ثم انه تعالى بين ان العفو اولى فقال فمن عفا واصلح فاجره على الله وفى الحديث * اذا كان يوم القيامة ينادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى * ثم قال فى مقام التحريض على العفو انه لايحب الظالمين فدل ذلك على ان الانتصار لايكاد يؤمن فيه تجاوز الحدّ والاعتداء لانه يكون فى حال الغضب فربما يكون المجازى من الظالمين وهو لايشعر به وقال مقاتل المراد بالظالمين البادئون بالظلم واللام فى قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه لام الابتدآء دخلت على المبتدأ ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء فى فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لتضمنها معنى الشرط وقوله تعالى بعد ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير اى من بعد ظلم الظالم اياه فاولئك المنتصرون ما عليهم لاحد من سبيل بلوم او عقوبة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار ﴿قوله او يطلبون ما لايستحقونه﴾ تفسير ثان لقوله يظلمون الناس اعم من الاوّل يتناول الاضرار ابتدآء والمجازاة على سبيل الاعتدآء ولو كان تفسيرا لقوله ويبغون فى الارض بغير الحق لكان المناسب ان يؤخر عنه وان يقال ويطلبون بالواو دون او الا ان تفسير القاشانى يعين الاحتمال الثانى حيث قال يظلمون الناس ابتداء واعتدآء فى الانتصار ويبغون فى الارض بغير الحق يطلبون ما لايستحقونه او يتكبرون فيها ويعلون تجبرا ﴿قوله اى ان ذلك منه﴾ اللام فى قوله ولمن صبر موطئة للقسم ومن شرطية وقوله لمن عزم الامور جواب القسم المقدر ساد مسدّ جواب الشرط او لام الابتدآء ومن موصولة مبتدأ ونهاية صلته وغفر وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ وعلى التقديرين العائد الى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه اى ان ذلك منه لمن عزم الامور كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم والمعنى ان الصبر على الظلم والاذى والتجاوز عمن ظلمه لمن معزومات الامور التى ندب الله اليها فينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ويعزم عليه ولا يرخص فى تركه او من عزآئم الله التى لم تنسخ ولا تنسخ ابدا ﴿قوله تعالى يقولون هل الى مردّ من سبيل﴾ فى موضع الحال من الظالمين لان الرؤية بصرية وكذا قوله يعرضون وخاشعين وينظرون حال ايضا والطرف مصدر فى الاصل ولهذا لم يجمع قوله تعالى ومن يضلل الله اى ومن يغوه ويخلق فيه فعل الضلالة لاختياره ذلك ومباشرته اسبابه فليس له من يلى ارشاده ومعونته ومنع العذاب عنه ﴿قوله مما يلحقهم من الذل﴾ اشارة الى ان قوله من الذل متعلق بخاشعين ومن التعليل اى من اجل الذل والمصبور من حبس وقيد ليقتل ذكر الله تعالى حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اى

وهو لايخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجرآء واغرآء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدّى فقال ﴿ وجزآء سيئة سيئة مثلها ﴾ وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به ﴿ فمن عفا واصلح ﴾ بينه وبين عدوّه ﴿ فاجره على الله ﴾ عدة مبهمة تدل على عظم الموعود ﴿ انه لايحب الظالمين ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ بعد ما ظلم وقد قرئ به ﴿ فاولئك ما عليهم من سبيل ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون ما لايستحقونه تجبرا عليهم ﴿ ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ﴾ على ظلمهم وبغيهم ﴿ ولمن صبر ﴾ على الاذى ﴿ وغفر ﴾ ولم ينتصر ﴿ ان ذلك لمن عزم الامور ﴾ اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ﴿ ومن يضلل الله فما له من ولىّ من بعده ﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا ﴿ يقولون هل الى مردّ من سبيل ﴾ اى الى رجعة الى الدنيا ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ على النار ويدل عليها العذاب ﴿ خاشعين من الذل ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفى ﴾ اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف

خاضعين حقيرين لسبب مالحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها اذلة فى انفسهم كما ينظر من قدم ليقتل الى السيف فانه لايقدر ان ينظر اليه بملئ عينه ثم انه تعالى لما وصف حال الكفار حكى مايقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية فقوله تعالى وقال يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا وان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له اى الخسران فى الحقيقة لهؤلاء الذين حرموا منافع انفسهم واهليهم واهلكوها واهليهم باغوآئهم وتعريضهم للعذاب المخلد وحرموا الحور المعدّة لهم فى الجنة لو آمنوا بتركهم الايمان ثم انه تعالى لما اطنب فى ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ماهو المقصود من ذكرهما فقال استجيبوا لربكم اى اجيبوا داعى ربكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال فان اعرضوا عن استجابته ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم وذلك تسلية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين السبب فى اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان اى الجنس ويدل على ارادة الجنس قوله وان تصبهم فانه لولم يرد به الجنس لما رجع اليه ضمير الجمع والمعنى ان قلبهم مملوء بحب الدنيا يفرحون باقبالها ويغتمون بزوالها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلا يستجيبون لمن دعا الى سعادة الآخرة لذلك * واعلم ان نعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمى الانعام بها اذاقة بين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير فى الدنيا فرح وعظم غروره ووقع فى العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وذلك لجهله بحال الدنيا وبحال الآخرة ثم بين انهم اذا اصابهم سيئة اى حالة تسوءهم كالمرض والفقر والقحط فانهم يظهرون الكفران لما تقدم من نعم الله عليهم وينسون ويجحدون باوّل شديدة جميع ماسلف من النعم فقوله ان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اى فانه كفور وذلك للتسجيل على ان شان هذا الجنس كفران النعم ولهذا التسجيل اقام علة الجزآء مقامه فقال فان الانسان كفور بدل ان يقال فانه يذكر البلاء وينسى النعم ويحقرها ويترك شكرها ثم انه تعالى لما بين شان الانسان وانه فى حالتى الانعام عليه واصابته بشئ مما يسوءه مشتغل بالنعمة عن المنعم ان اعطى اغترّ وازداد حرصا ورغبة وان منع ازداد حزنا على فقده وكفرانا بين ان ملك السموات والارض لله تعالى وحده فله التصرّف فيها يبتلى تارة بالنعمة وتارة بالبلية فاللائق بمن انعم عليه ان لايغترّ بالنعمة بل يزداد بها الشكر للمنعم ويشتغل بطاعته وبمن ابتلى ببلية ان يعتقد انها انما اصابته من شؤم نفسه ويشتغل بالتوبة والاستغفار ويلتجئ الى عفو الله ورحمته

﴿**قوله** اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع مايتعلق به مشيئة الله تعالى﴾ وذلك لانه تعالى بين سبب اعراضهم عن الاستجابة لربهم بان حالهم الركون الى الدنيا والفرح باقبالها والحزن بزوالها والغفلة عن المنعم بها فضلا عن الاجتهاد فى طلب مرضاته والاجابة الى مادعا اليه من توحيده وطاعته فانكر منهم هذه الحال لكونها مؤدّية الى الاعراض المذكور ثم اكد هذا الانكار بان ملك السموات والارض له ومقاليد التصرّف فيها بيده يعطى ويمنع لاراد لقضائه ولامعقب لما حكم ليس لهم من الامر شئ وانما الامر يجرى بمشيئته فحيث يخلق مايشاء وان كان مخالفا لما يشتهونه فكيف يركنون الى مملوكه ويعرضون عن استجابة دعائه فظهر بهذا التقرير أن سوق الآية للدلالة على ان الكائنات مرتبطة بمشيئة الله تعالى وحده لادخل لمشيئة العبد فيها فناسب ذلك ان يقدم فى تفصيل قوله يخلق مايشاء ذكر مالايتعلق به مشيئة العباد وهو الاناث فانه لو بشر احد بان زوجته ولدت انثى ظل وجهه مسودّا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ويتردد فى انه يمسكه على هون أم يدسه فى التراب ﴿**قوله** اولان الكلام فى البلاء﴾ لانه قدم بيان حال الانسان اذا اذاقه الله الرحمة ثم شرع فى بيان حاله ان اصابته سيئة وبلاء فقال وان تصبهم سيئة وقوله لله ملك السموات والارض الآية تذييل له فناسب ان يقدّم فى التفصيل ذكر ماهو من جنس البلاء بزعم العرب روى ان واحدا من العرب بشر بمولودة فقيل له نعمت المولودة هى فقال والله ماهى بنعمت المولودة نصرها بكاء وبرها سرقة ﴿**قوله** او للمحافظة على الفواصل﴾ فانه لما قدم الاناث كانت فاصلة الآية الذكور على وفق قوله نكير وكفور وقدير ولهذه المحافظة ايضا عرّف الذكور مع تنكير قوله اناثا ﴿**قوله** او لجبر التأخير﴾ عطف على قوله ولذلك يعنى ان الوجوه المذكورة لما اقتضت تقديم الاناث ولزم منه تأخير الذكور مع ان حقهم التقديم لشرفهم وكونهم الاوّل فى الوجود جبر مالزم من نقص حقهم بالتعريف فان التعريف تنويه بالاسم وتشهير له ورفع لقدره بناء على ان التعريف يكون للعهد فكأنه قيل ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين

فى الدنيا اوالقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم) تمام كلامهم او تصديق من الله لهم (وماكان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى الهدى او النجاة (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لامردّ له من الله) لايردّه الله بعدما حكم به ومن صلة لمردّ وقيل صلة يأتى اى من قبل ان يأتى يوم من الله لايمكن ردّه (مالكم من ملجأ) مفرّ (يومئذ ومالكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدوّن فى صحائف اعمالكم يشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا) رقيبا او محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) اراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدّمت ايديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولايتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزآء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر فى الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء (يخلق مايشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوّجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع مايتعلق به مشيئة الله لامشيئة الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعدّهنّ

بلاء او لتطيب قلوب آبائهنّ او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرّف الذكور او لجبر التأخير

يذكرون في المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالي ولايغيبون عن الاذهان والخواطر ولايخفى ان مثل هذا التنويه يقاوم التنويه الحاصل بتقديمهم على الاناث ﴿قوله لانه قسيم المشترك بين القسمين﴾ فان القسم الثالث المدلول عليه بقوله او يزوّجهم ذكرانا واناثا هو من وهب له الصنفان جيعا فهو قسيم لمن وهب له انثى فقط كما ان من جعل عقيما قسيم للمشترك بين الاقسام المتقدمة وهو من وهب له اما صنف منهما او الصنفان جيعا والعقيم بمفهومه مفصح بكونه قسيما للمشترك بين الثلاثة فلم يحتج بذلك الى تغيير العاطف ليدل عليه بخلاف القسم الثالث وهو الذى زوّج له الصنفان فانه غير مفصح بكونه قسيما للمشترك بين القسمين الاوّلين فاحتيج الى تغيير العاطف ليدل على ذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا المراد به لوط وشعيب عليهما الصلاة والسلام اذ لم يكن لهما الا البنات وقوله ويهب لمن يشاء الذكور المراد به ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذلم يكن له الاالذكور وقوله او يزوّجهم ذكرانا واناثا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضوان الله عليهم اجمعين وقوله ويجعل من يشاء عقيما المراد به يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال المفسرون هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام فى كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى فى تكوين الاشياء كيف شاء فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما بين علمه وقدرته وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله كلمة ان مع ماعملت فيه فى موضع الرفع على انه اسم كان ولبشر خبرها ﴿قوله كلاما خفيا﴾ اشارة الى ان قوله الا وحيا منصوب على انه مفعول مطلق بناء على كونه موضوعا موضع كلاما لان الوحى بمعنى الكلام الخفى المدرك بسرعة ضرب من الكلام كما ان من ورآء حجاب وارسال الرسول ضربان آخران منه فان الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وكذا وانما قاله وكيلك اورسولك فصح وضع كل واحد منهما موضع المصدر كما تقول لا اكلمه الاجهرا والاخفية لانهما ضربان من الكلام وفسر الوحى بالكلام الخفى المدرك بسرعة وقيد الكلام بكونه خفيا لبيان ان كلامه تعالى القائم بذاته ليس من قبيل الاصوات وبكونه مدركا بسرعة لبيان انه ليس فى ذاته مركبا من حروف يعنى ان كلامه تعالى يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثل المعنى وارتسامه فى علم المتكلم تمثلا وقعيا ليس فى ذاته مركبا مما ذكر كتمثل المعانى بصورة خيالية مشتملة على اجزآء كثيرة من غير تقدم وتأخر بينها فاذا لم يكن الكلام الخيالى كالحسى فالعقلى والمعنوى اولى والمقصود من الحصر المذكور بقوله الا وحيا الى آخر الآية نفى الكلام بوجه يقتضى الحدوث كالكلام الحسى المعهود لنا ﴿قوله وهو ما يعم المشافه به﴾ اى تكليم الله البشر بهذا الكلام الخفى يجوز ان يكون بان يشاهده البشر ويواجهه كما روى انه عليه الصلاة والسلام حين عرج به الى السماء دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى اى انه عليه الصلاة والسلام شاهد ربه وسمع كلامه مشافهة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسرآء * فارقنى جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ روعك يامحمد ادن ادن * وفى حديث انس نحو منه قال ومن سمع صريف الاقلام كيف يستحيل فى حقه او يبعد سماع الكلام ﴿قوله وما وعد به﴾ عطف على قوله ماروى وقوله والمهتف به عطف على قوله المشافه به اى تكليم الله تعالى وحيا يعم الكلام المهتف به ايضا بان يكلمهم الله ويسمعون منه من غير ان يشاهدوا ذاته كما يسمع من الهاتف والهتف الصوت والهاتف من يسمع صوته ولا يرى شخصه والتكليم بهذا الطريق هو الذى سماه الله تكليما من ورآء حجاب والمراد به احتجاب السامع من الرؤية لا احتجابه تعالى من السامع لان الاستتار بالحجاب من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عن ان يحيط به ستر فيحجبه عن خلقه فالتكليم وحيا وان كان متناولا لكل واحد من قسمى التكليم من غير واسطة وهما التكليم مشافهة والتكليم من ورآء حجاب الا ان عطف قوله من ورآء حجاب عليه يخصه بالاوّل فقوله تعالى الا وحيا يحمل على التكليم بطريق المشافهة مع المشاهدة * واعلم ان الاشاعرة قالوا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يدل عليها هذه الالفاظ والعبارات ليس من جنس الحروف والاصوات وقالوا يصح ان يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحرف والصوت وقالوا كما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه ليس بجسم ولا فى حيز لا يبعد ايضا ان يسمع كلامه مع انه لايكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدى السمرقندى ان تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة

(وانما)

وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير) فيفعل مايفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وما صح له (ان يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموّجات متعاقبة وهو مايعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور لكن عطف قوله (اومن ورآء حجاب) عليه يخصه بالاوّل

وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام وهذا القول قريب من قول المعتزلة ومن سوى
الاشاعرة اتفقوا على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤلفة ثم صاروا فريقين الفريق
الاوّل الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف ولايقول به عاقل والفريق الثانى اطبقوا على انها حادثة ثم اختلفوا
فى انها هل هى قائمة بذات الله تعالى او يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام فالاوّل قول الكرامية والثانى قول المعتزلة
فكلام الله تعالى عندهم هو صوت يخلقه فى شئ وانه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره وقولهم هذا قول مخالف
للعرف واللغة فان الفعل انما يسند الى القائل لاالى الفاعل وصيغة اسم الفاعل انما تطلق على من قام به الفعل
لاعلى من اوجده فلا يقال لخالق السواد اسود ولالخالق الضلال ضال فوجب ان يكون المتكلم من يقوم به
الكلام لامن يخلقه ﴿قوله فالآية دليل على جواز الرؤية لاعلى امتناعها﴾ ردّ على المعتزلة القائلين
بان هذه الآية تدل على انه تعالى لايرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام تكليمه للبشر فى هذه الثلاثة التى هى التكليم
على طريق الوحى وقالوا الوحى هو الالهام الذى هو القذف فى القلب او المنام فالاوّل كما اوحى الله تعالى الى ام موسى
والثانى كما اوحى الى ابراهيم فى ذبح ولده والتكليم من وراء حجاب وهو ان يسمع كلامه الذى يخلقه فى شئ من غير
ان يبصر السامع من يكلمه كما كلم موسى والتكليم بان يرسل رسولا من الملائكة فيوحى الملك اليه كما كلم الانبياء
غير موسى ولما لم يتصوّر التكليم مشافهة فى حقه تعالى عندهم بناء على مازعموا من استحالة رؤيته تعالى لم يضرّهم
خروج المشافه به عن الحصر وحصروا الكلام وحيا فى الالهام والمنام ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من الله
تعالى ان يتكلم مع العبد حال مايراه العبد فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام والله تعالى نفى القسم
الرابع بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الاعلى احد هذه الاوجه الثلاثة والفاء فى قول المصنف فى فالآية دليل
فاء جواب الشرط المحذوف اى اذا حمل الوحى على الكلام المشافه به تكون الآية دليلا على جواز الرؤية لاعلى
امتناعها وانما تدل على امتناعها اذا فسر الوحى بما فسروا به وهو الالهام حال اليقظة والرؤيا حال المنام ﴿قوله
وقيل المراد به﴾ اى بقوله الاوحيا ﴿قوله او الوحى المنزل به﴾ عطف على قوله الالهام وقوله فيكون
تفريع على القول الثانى اى اذا كان قوله الاوحيا بمعنى الاان يكلمه وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وقوله
اومن وراء حجاب بمعنى او يكلم بغير واسطة ملك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام يكون قوله او يرسل رسولا بمعنى
او يرسل نبيا كما كلم امم الانبياء على ألسنة انبيائهم الاان تبليغ الرسول امته لايسمى ايحاء فى العرف فتفسير قوله تعالى
فيوحى باذنه مايشاء بان يقال فيبلغ اليه وحيه كما امره لايخلو عن بعد ﴿قوله ووحيا بماعطف عليه منتصب
بالمصدر﴾ لان شرط المفعول المطلق ان يوافق عامله من حيث المعنى لابحسب اللفظ والاشتقاق ووحيا يوافق عامله
فى المعنى لان الوحى بمعنى الكلام الخفى من ضروب مطلق الكلام وتقدير قوله او يرسل او ارسالا لكونه منصوبا بأن
المضمرة والارسال نوع من الكلام ﴿قوله ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين﴾ واقعين موقع الحال
لان ان يرسل فى معنى ارسالا وكما يصح ان يقع المصدر الصريح موقع الحال نحو اتيته ركضا ومشيا اى راكضا وماشيا
فكذا يصح ان يقع موقعه ماكان فى تأويل المصدر وكذا الجار والمجرور قديقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى
جنوبهم بعدقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى والذين يذكرون قائمين وكائنين على جنوبهم
فمعنى الآية على تقدير كون كل واحد من الثلاثة فى موقع المصدر الصريح وهو انمايقع موقع الحال اذا كان نوعا للفعل
لامطلقا فلايقال اتيته بكاء اى باكيا ولوسلم ان المصدر الصريح مطلقايقع موقع الحال فلانسلم ان ان مع الفعل كذلك
اذلايصح جاءنى زيد ان يمشى بمعنى ماشيا وان صح جاءنى زيدمشيانص عليه سيبويه ثم انه تعالى لمابين اقسام تكليمه مع
انبيائه عليهم السلام وهى انه تعالى يكلمهم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اماعيانا ومشافهة واما من وراء حجاب
قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا اى ومثل ذلك الايحاء والتكليم على الطرق الثلاثة اوحينا اليك روحا تحيى به
القلوب الميتة من عالم امرنا المنزه عن الزمان والمكان على ان تكون الاشارة الى التكليم المدلول عليه بقوله ان يكلمه
الله ويجوز ان ترجع الاشارة الى قوله او يرسل رسولا اى ومثل هذا النوع من التكليم وهو التكليم بارسال الرسول
كلمناك وهو قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ومحل الكاف النصب على انه صفة مصدر محذوف اى وحيا مثل ذلك
الوحى ﴿قوله ما كنت تدرى﴾ فى موضع الحال من الكاف فى اليك وكلمة مافيه نافية وقوله ماالكتاب
استفهامية وهو جملة اسمية استفهامية ومحلها النصب لسدّهامسدّمفعولى الدراية وهى معلقة عنها بحرف الاستفهام وقد

فالآية دليل على جواز الرؤية لاعلى امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع
او الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون
المرادبقوله (او يرسل رسولا فيوحى باذنه
مايشاء) او يرسل اليه نبيافيبلغ وحيه كما امره
وعلى الاوّل المراد بالرسول الملك الموحى
الى الرسول ووحيا بماعطف عليه منتصب
بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام
محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان
يكون وحيا وان يرسل مصدرين ومن وراء
حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرأ نافع اويرسل
برفع اللام (انه على) عن صفات المخلوقين
(حكيم) يفعل ماتقتضيه حكمته فيكلم تارة
بوسط وتارة بغير وسط اماعيانا واما من وراء
حجاب (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا)
يعنى مااوحى اليه وسماه روحا لان القلوب
تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك
بالوحى (ما كنت تدرى ماالكتاب ولا
الايمان) اى قبل الوحى وهو دليل على انه
لم يكن متعبدا قبل النبوّة بشرع وقيل المراد
هو الايمان بما لاطريق اليه الاالسمع

(ولكن جعلناه) اى الروح او الكتاب او الايمان (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاوّل (الذى له مافى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (الا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية قيل الا قوله﴾
﴿واسأل من ارسلنا وآيها تسع﴾
﴿وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرءآنا عربيا) اقسم بالقرآن على انه جعله قرءآنا عربيا وهو من البدآئع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام

* وثناياك انها اغريض *

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك

اتفق المسلمون على ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلا عن الكفر الا انه تعالى نفى عنه عليه الصلاة والسلام دراية الايمان والعلم به قبل ان يوحى اليه ونفى العلم يكنى به عن نفى المعلوم فى مثل هذا المقام فالمفهوم من الآية ان لا يكون عليه الصلاة والسلام قبل الوحى مؤمنا بالله وبوحدانيته الا انه لا يلزم من نفى الايمان عنه عليه الصلاة والسلام بقوله ولا الايمان ان يكون كافرا بل اللازم هو عدم الاعتقاد وذلك لان المراد بعدم الدراية الجهل البسيط وهو كون النفس ساذجة عن الاعتقاد والحكم لا الجهل المركب الذى هو الكفر والاعتقاد الباطل ولهذا كانت الآية دليلا على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن متعبدا قبل النبوّة بشرع لان التعبد به فرع الايمان به وقيل المراد بالايمان هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ويجوز ان يراد كمال الايمان والتوحيد الذى هو عليه وقيل المراد بالايمان شعائر الايمان ومعالمه كالصوم والصلاة ونحوهما ومن لم يتبين له شعائر الايمان كيف يتعبد بها واسم الايمان يطلق على الشعائر ايضا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى الصلاة واجمع اهل الكلام على ان الرسل قبل الوحى كانوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام * عن على رضى الله عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا ومازلت اعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت ادرى ما الكتاب ولا الايمان ولذلك انزل فى القرآن ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان قال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا من دين اسمعيل عليه الصلاة والسلام ومن ذلك الحج والختان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والمصاهرة وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرائعهم وفى الحديث * انه كان يوحد الله ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿قوله تعالى نهدى به من نشاء من عبادنا﴾ اى نعطى به صفة الاهتداء وهو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون مفعولا مقررا للجعل وان يكون صفة لنور او توصيفه تعالى بالذى له ملك السموات والارض للتنبيه على ان الذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض فبين الله تعالى اوّلا ان ما اوحى اليه الكتاب او الايمان يهدى ثم قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم ثم بين ان ذلك الصراط المستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الارض ثم قال الا الى الله تصير الامور وعدا للمطيعين ووعيدا للمجرمين

﴿سورة الزخرف ثمانون وتسع آيات مكية قال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اقسم بالقرآن﴾ فسر الكتاب المبين بالقرآن لا بجنس الكتب المنزلة وجعل الواو فيه واو القسم ليكون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد ويكون القسم المذكور من بدآئع الاقسام وان جعلت حم مقسما به كانت واو والكتاب المبين عاطفة اى بحم والكتاب المبين وان جعلت حم فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه حم او فى محل النصب على انه مفعول فعل محذوف اى اقرأ حم كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه قرءآنا جواب للقسم ولا يخفى ان القرآن لكونه مفخما عظيم القدر يصح جعله مقسما به ليتقوّى به المدّعى ويتأكد والمدّعى ههنا هو انه الذى جعل القرآن عربيا ولا نزاع لاحد فى كونه عربيا حتى يحتاج فى دفعه والردّ على من انكره الى تأكيد الحكم بالقسم والجملة الاسمية وان بل المقسم به حقيقة ما يستفاد من اسناد جعله قرءآنا عربيا الى ذاته العظيم الشان فكأنه قيل والقرآن المبين الذى أبان طريق الهدى من طرق الضلال وابان ما تحتاج اليه الامّة من الشريعة والدلائل الواضحة على انه ليس بسحر وكلام مفترى على الله واساطير الاوّلين بل هو الذى توليناانزاله على لغة العرب مشتملا على كمال الفصاحة والبلاغة فرجع خلاصة الكلام الى اثبات عظمته بعظمته فلذلك كان من الايمان البديعة الدالة على شرف القرآن وعزته بابلغ وجه وادقه لدلالته على انه ليس عنده شئ اعظم قدرا وارفع منزلة منه حتى يقسم به كانه لا اهم عنده من وصفه حتى يقسم عليه قصدا للاهتمام فى اثباته وتحقيقه فاقسم وجعله مقسما به للتنبيه على انه لا شئ اعلى منه فيقسم به فان الشاعر لما اراد المبالغة فى اثبات شرف ثغر المحبوبة اقسم عليه بان جعله مقسما به للاشعار بانه ليس شئ اعز منه يصلح لان يجعل مقسما به سواه فقال

وثناياك انها اغريض	ولآل توم وبرق وميض
واقاح منوّر فى بطاح	هزه فى الصباح روض اريض

(الاغريض)

لاغريض والغريض الطلع ويقال هو كل ابيض طرئ ويقال هو البرد والتؤم جمع تؤمة وهى حبة تعمل من
الفضة كالدرة وقيل هى اللؤلؤة ويقال ومض البرق يمض فهو وميض اذا لمع لمعانا خفيفا ولم يعترض فى نواحى الغيم
واقاح جمع الاقحوان وهو البابونج الذى حوله ورق ابيض ووسطه اصفر والبطاح جمع ابطح على غير القياس وهو
المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى وقال منوّر بالافراد فى وصف اقاح على تأويله بالجنس شبه صفاء أسنانها
صفاء اوراق الاقاح وروض جمع روضة من البقل والعشب واريض فعيل من ارضت الارض بضم ارآء
ذازكت ومبين فى قوله من حيث انه معجز مبين خبر بعد خبر لان وقوله او بين للعرب لكونه بلغتهم واساليب
كلامهم عطف على مبين للاشارة الى ان المبين كما انه يجوز ان يكون من أبان بمعنى اظهر يجوز ان يكون من أبان
بمعنى ظهر وقوله يدل على ان الله صيره كذلك خبر لمبتدأ وهو قوله والقرآن قصد بايراد هذه الجملة الاسمية بيان
كون الاقسام بالكتاب المبين استشهادا بما فيه على المقسم عليه ﴿قوله لكى تفهموا معانيه﴾ لما كانت
حقيقة الترجى والتوقع ممتنعة فى حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الامور جعل المصنف كلمة لعل
استعارة بمعنى لام كى وهو السببية الحاملة والحكمة الباعثة شبهت الحكمة الداعية الى الفعل بترجيه من حيث
كون كل واحد منهما مؤديا الى وجود الفعل فى الجملة وجعله الزمخشرى مستعارا بمعنى الارادة اى ارادة ان يعقلوا
ويفهموا اذلو كان اعجميا لما فهموه بان شبه الترجى بالارادة ويجوز ان يكون لعل مجازا مرسلا فى معنى الارادة على
طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان التوقع ملزوم للارادة ﴿قوله عطف على انا﴾ اى فيكون القسم السابق
واردا عليهما جميعا واهل مكة لما كذبوا القرآن وجعلوه كلاما مفترى حاصلا بتعليم البشر اقسم الله عزّ وجلّ على
انه الذى جعله قرءآنا عربيا ارادة ان يفهموا معناه وعلى ان القرآن لعلىّ رفيع الشأن فى المحل المنعوت بام الكتاب
وانه لعلىّ حكيم مثبت فى ام الكتاب وخبر ان قوله لعلىّ وفى ام الكتاب متعلق بالخبر وجاز ان يعمل مابعد اللام فيما
قبلها لان اصلها ان تكون فى الابتداء وانما اخرت لاجل ان والمعنى وان القرآن لعلىّ فى هذا المحل المكرّم وكذا
قوله لدينا متعلق بالخبر ايضا ويجوز ان يكون بدلا من ام الكتاب ويجوز ان يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا
صفتين له فى الاصل فلما قدّما عليه انتصبا حالين منه فيتعلقان بمحذوف ولا يجوز ان يكون شئ منهما خبرا له لان الخبر
يجب ان يكون قوله علىّ لاجل اللام لانها اذا لم تدخل على اسم ان ولا على ما تعلق بخبر ان وجب ان تكون داخلة
على الخبر ولا يجوز ان يكون الخبر غير ما اقترن به اللام ﴿قوله مجاز من قولهم ضرب الغرائب﴾ يعنى انه
استعارة تبعية شبه ابعاد الذكر وتنحيته عنهم مع اقتضاء الحكمة انزاله عليهم بذود الابل وابعادها من الحوض
واستعمل لفظ المشبه به وهو الضرب بمعنى الذود فى المشبه وهو اهمال الذكر وعدم اعماله ثم اشتق منه نضرب
ويحتمل ان يريد انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ما وجهه منتزع من متعدد بان يشبه حال الذكر فى تنحيته مع
تحقق دواعى انزاله والزام الحجة به عليهم بحال النوق الغريبة التى تذاد وتدفع عن الحوض بسبب ابل صاحب
الحوض فان الابل اذا وردت الماء فدخلت بينها ناقة غريبة تطرد وتذاد حتى تخرج من بينها * والقونس منبت
شعر الناصية وقيل العظم النابت بين اذنى الفرس واصل اضرب اضربن مؤكدا بالنون الخفيفة فحذفت النون
وابقيت الفتحة قبلها لتدل عليها والطارق ما يطرق بالليل فيكون طارقها بدل البعض من الهموم والصفح
الاعراض يقال صفحت عن فلان اصفح صفحا اذا اعرضت عنه او عن ذنبه والصفح ايضا الناحية والجانب
يقال نظر الىّ بصفح وجهه اى بعرض وجهه وناحيته والمصنف جعل الصفح بمعنى الاعراض وذكر لانتصابه
ثلاثة اوجه الاوّل انه مفعول مطلق من غير لفظ عامله لكونه موافقا له من حيث المعنى فان دفع الذكر عنهم
والامتناع من انزال القرآن المشتمل على الاوامر والنواهى والمواعظ والمصالح مع كونه متوجها اليهم لاقتضاء
الحكمة انزاله عليهم فى معنى الاعراض عنهم فكأنه قيل أفنعرض عنكم صفحا اى اعراضا بان نهملكم ونترككم
سدى فلا نأمركم ولا ننهاكم عن قتادة قال والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه اوآئل هذه الامة لهلكوا
ولكن الله تعالى كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ماشاء الله والثانى كونه مفعولا له على معنى أفنعزل
عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم والثالث كونه حالا من الفاعل بمعنى صافحين ومعرضين ثم نقل
قول من قال انه بمعنى الجانب والناحية فحكم بان انتصابه حينئذ يكون على الظرفية لنضرب لانه حينئذ
لا يكون مصدرا ولا علة لابعاد الذكر ولا هيئة للفاعل او المفعول به فتعين ان يكون ظرفا لنضرب اى أبعد عنكم

(لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف (فى ام الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغيير (لعلىّ) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلىّ واللام لا يمنع او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرآئب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها *
ضربك بالسيف قونس الفرس *

والفاء للعطف على محذوف يعنى أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك

الذكر جانبا كما يقول ضعه جانبا وامش جانبا اى فى جانب ثم ايدكون صفحا بالفتح بمعنى الجانب بقرآءة من قرأ بضم الصاد فان المشهور ان صفحا بالضم بمعنى الجانب لاغير فينبغى ان يكون صفحا بالفتح ايضا بمعنى الجانب ليتناسب القرآءتان ﴿قوله وحينئذ﴾ اى وحين اذقرئ بالضم يحتمل ان يكون ظرفا بمعنى الجانب كما ان المفتوح لغة فيه يحتمل ايضا ان يكون تخفيف صفح بضمتين فى جمع صفوح كرسل فى جمع رسول وصفوح مبالغة فى صافح بمعنى كثير الصفح والعفو عن الجانيين فيكون حالا من فاعل نضرب اى صافحين معرضين ﴿قوله وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم﴾ بناء على اسرافهم فى الجهل والعصيان والكفر والطغيان والمعنى ان ذلك الاسراف كيف يكون سببا للاعراض المذكور وهو فى الحقيقة سبب لترك الاعراض ﴿قوله على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم﴾ جواب عما يقال من انه كيف صح استعمال ان الشرطية فى مقطوع الوقوع فانهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لايشك فيه عاقل وحق كلمة ان أن تدخل على ماهو مشكوك الوقوع * وتقرير الجواب انها قد تستعمل فى مقام القطع للقصد الى تجهيل المخاطب ومانحن فيه من هذا القبيل فانه استعمل فيه كلمة ان توبيخا لهم بالجهل بانهم مسرفون فى الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك بالبراهين القاطعة فان استعمالها فى هذا المقام يخيل لهم ان الاصرار على ماهم عليه فعل من له شك فى كونه اسرافا فى الضلالة ونظيره قول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ﴿قوله وماقبلها دليل الجزآء﴾ بناء على ان ماذهب اليه البصريون من ان جزآء الشرط لايتقدم عليه ويقولون فى مثله انه حذف الجزآء اعتمادا على دلالة ماقبل اداة الشرط عليه ثم انه تعالى لما وصفهم بالاسراف فى الطغيان والتكذيب على رسوله صلى الله عليه وسلم قال وكم ارسلنا من نبيّ الآية وكم فيه خبرية فى موضع النصب على انه مفعول مقدم لارسلنا ومن نبيّ تمييز وفى الاوّلين متعلق بارسلنا او بمحذوف مجرور على انه صفة لنبيّ والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزآء فلاينبغى ان تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزآئهم لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال اتماما للتسلية ووعداله ووعيدا لقومه فاهلكنا اشدّ منهم بطشا اى فاهلكنا الاوّلين الذين هم اشدّ واقوى من قومك فى البطش وهو شدّة الاخذ فقوله اشدّ ظاهر وضع موضع ضمير الاوّلين للتنصيص على شدّتهم وقوّتهم والمعنى ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله تعالى اليهم الرسل فاستهزأوا برسلهم كانوا اشدّ بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا ومع ذلك اهلكناهم فليحذر قومك الذين سلكوا مسلكهم فى الكفر والتكذيب ان ينزل بهم مثل ماجرى على الاوّلين وبطشا تمييز لأشدّ وقيل حال من فاعل اهلكنا اى اهلكناهم باطشين او ذوى بطش ﴿قوله اى من القوم المسرفين﴾ وهم قوم قريش اذ ضمير منهم راجع الى قومه عليه السلام الذين خوطبوا بقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ولا يرجع الى الاوّلين لان المعنى لايساعد ذلك الا انه عبر عنهم ههنا بضمير الغائبين بناء على انه تعالى بعدما خاطبهم بذلك اعرض عنهم والتفت اليه عليه الصلاة والسلام تسلية عن استهزآئهم فصاروا غائبين فى موضع هذا الخطاب فلهذا عبر عنهم بضمير الغائبين ثم انه تعالى وبخ مشركى قريش وجهلتهم بانهم مع اعترافهم بقدرته تعالى وعلمه وعزته بقولهم خلقهنّ العزيز العليم يصرّون على الشرك والتكذيب ويجعلون له من عباده جزأ فقال ولئن سألتهم الآية ﴿قوله لعله لازم مقولهم﴾ جواب عما يقال من ان قوله تعالى خلقهنّ العزيز العليم الى آخر ماذكر من الاوصاف ان كان من قول اهل مكة كان الظاهر ان يقال الذى جعل لنا الارض مهادا وجعل لنا فيها سبلا وجعل لنا من الفلك والانعام ماتركبه ولايظهر وجه قوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون لانهم لاينشرون شيأ ولايقولون ايضا بالبعث حتى يقيسوه باحياء البلدة الميتة وان كان من قول الله تعالى مع ان اهل مكة هم المسئولون لزم ان يكون المجيب غير المسئول فاوجهه اجاب عنه اوّلا باختيار انه من قول الله تعالى الا انه لما كان لازم مقولهم الذى هو قولهم خلقهنّ الله او تفصيلا لما اجملوه بذلك المقول نزل منزلة مقولهم فان لفظة الله اسم علم للمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال فيكون متضمنا لهذه الاوصاف ومستلزما لها فكأنهم ذكروا عند ذكرهم هذا الاسم الشريف هذه الاوصاف كلها فصح بذلك جعلها مقولا لهم وظهر ايضا وجه قوله وجعل لكم بدل لنا ووجه قوله فانشرنا به بلدة ميتا لانه كلام الله تعالى حقيقة فكأنه قيل ليقولن خلقها الى الذى هذه اوصافه وعدل عن حكاية عين مقولهم الى اقامة لازمه مقامه او الى اقامة المفصل مقام المجمل الزاما للحجة عليهم حيث اعترفوا بمايستلزم تفرّده بالالوهية ثم عبدوا غيره

وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (أنْ كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزآء (وكم ارسلنا من نبيّ فى الاوّلين وما يأتيهم من نبيّ الا كانوا به يستهزئون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزآء قومه (فاهلكنا اشدّ منهم بطشا) اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاوّلين) وسلف فى القرءآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاوّلين (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم) لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع أخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم ومابعده استئناف (الذى جعل لكم الارض مهدا) فتستقرّون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك

(وانكروا)

وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وغباوتهم * واجاب ثانيا بان مقولهم وجوابهم تم عند قوله العليم وما بعده ابتدآء كلام من الله تعالى بذكر مصنوعاته التى لايشاركه فى شئ منها احد غيره لما وصف الكفار خالقهن بالعزيز العليم وصفه الله تعالى بتلك الاوصاف ايضا على انها من تتمة كلامهم وان لم يتفوّهوا بها ولم ينظروا الى كونها لازم مقولهم ولا تفصيلا لاجمال جوابهم للدلالة على ان الذى وصفوه بكمال العزة والعلم والقدرة هو الموصوف بان اسبغ عليهم هذه النعم الجليلة والآلاء العظيمة فكيف يكفرونها بعبادة غيره ونظيره فى كلام الناس ان يقول الرجل هذا المسجد بناه فلان العالم فيقول السامع لكلامه الزاهد الكريم فكأن ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات جيدة فوق ما تعرفه وازيد فى صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين فى حق رجل واحد ﴿قوله زال عنها النماء﴾ يعنى ان البلدة الميتة من قبيل التشبيه شبهت البلدة التى زال عنها النماء بالجسد الذى زالت الحياة عنه ﴿قوله مثل ذلك الانشار تنشرون من قبوركم﴾ يعنى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تنشرون انشارا مثل انشار البلدة الميتة من حيث ان كل واحد منهما احياء بعد الاماتة والمقصود ان انشار البلدة الميت كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقا فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ﴿قوله ما تركبونه على تغليب المتعدّى بنفسه الخ﴾ يعنى ان ركب بالنسبة الى الفلك يتعدّى بكلمة فى كقوله تعالى اذا ركبوا فى الفلك وبالنسبة الى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى لتركبوها فغلب ههنا المتعدّى بنفسه لقوّته على المتعدّى بواسطة فى فقيل تقدير قوله ما تركبون ما تركبونه والمراد تغليب احد اعتبارى الفعل على الآخر لا تغليب احد الفعلين على الآخر لان الفعل المتعدّى الى الفلك هو المتعدّى الى الانعام الا ان تعديته الى احدهما تحتاج الى آلة التعدية وتعديته الى الآخر لاتحتاج اليها وذلك لايوجب التعدّد فى نفس الفعل حتى يقال غلب احد الفعلين على الآخر وقوله ولذلك اى وللبناء على احد التغليبين الاخيرين عدى فعل الاستوآء بكلمة على فى ظهور ما يركبونه مع ان الاستوآء المتعلق بالفلك لايتعلق بظهره ولايتعدّى اليه الفعل بعلى بل بفى لكونه حاويا للمستوى وظرفا له ﴿قوله وجمعه للمعنى﴾ جواب عما يرد على قوله ظهور ما تركبون وهو انه لما اضيف الظهر الى ضمير ما تركبون افرد ضميره اعتبارا للفظ ما ولم يقل ظهورها فلم جمع لفظ الظهر مع افراد ما اضيف هو اليه * فاجاب عنه بانه جمع اعتبار المعنى ما اضيف اليه فان ما تركبون متناول لجنسى الفلك والانعام المشتملين على افراد واصناف كثيرة ﴿قوله معترفين بها حامدين عليها﴾ اى ليس المراد من ذكر النعمة بالقلب مجرّد تصوّرها واخطارها فى البال بل المراد انه ذكرها من حيث كونها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم مستدعية لطاعته والاشتغال بشكر نعمه فان من تفكر فى ان ما يركبه الانسان من الفلك والانعام اكثر قوّة واكبر جثة من راكبه ومع ذلك فقد كان مسخرا لراكبه يتمكن من تصريفه الى اىّ جانب شاء وتفكر ايضا فى خلق البحر والريح وفى كونهما مسخرين للانسان مع ما فيهما من المهابة والاهوال استغرق فى معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه وكمال قدرته وحكمته فيحمله ذلك الاستغراق على ان يتعجب ويقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اى مطيقين ضبطه وتسخيره كيف نشاء يقال اقرن له اى اطاقه وقوى عليه واقرنت لفلان اذا صرت قرناله اى معادلا وكفؤا له فى الشجاعة غير مغلوب له وقرئ مقرّنين بالتشديد والمقرّن الذى يجعل مقرنا لشئ اى مطيقا له يقال قرّنه فاقرن وقوله والمعنى واحد المراد به وحدة معنى المأخذ ولا ينافيه كون احد البناءين للتعدية والآخر للمطاوعة ﴿قوله واتصاله بذلك﴾ اى اتصال قوله وانا الى ربنا لمنقلبون بما قبله من وجهين الاوّل ان الركوب للانتقال وان يتذكر به النقلة العظمى ولايدع ذكره بلسانه وقلبه ليكون مستعدا للقاء الله تعالى غير غافل عنه والثانى ان الركوب مخطرا اى موقع فى خطر الهلاك وسبب من اسباب التلف اما ركوب السفينة فظاهر واما ركوب الدابة فانها لاتخلو من العثار والنفار والتقحم فى المضايق والمهالك بسبب من الاسباب فركوبها تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت عند الركوب ويعلم انه هالك لامحالة وان هلاكه انما هو انقلابه الى الله تعالى والى مقام حسابه فيستعدّ للقائه باصلاح احواله ﴿قوله اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف﴾ اى اعتراف الممكنات باسرها بانه ذو العزة البالغة والعلم المحيط وقدّر لفظة قد للاشارة الى انه حال من فاعل قوله ليقولنّ وبين به وجه اتصاله بقوله ولئن سألتهم ﴿قوله ولعله سماه جزأ﴾ اى ولعل الوجه فى التعبير عن الولد بالجزء الدلالة على استحالته على الواحد الحق كما سمى الولد بعضا لكونه بضعة من

(والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولايضرّ (فانشرنا به بلدة ميتا) زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الرآء (والذى خلق الازواج كلها) اصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدّى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لايكون قرينه الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى او لانه مخطر فينبغى للراكب ان لايغفل عنه ويستعدّ للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته

والده قال صلى الله عليه وسلم «فاطمة بضعة مني» والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم فان الوالد ينفصل منه جزء من اجزائه ثم ينزل ذلك الجزء ويتولد منه شخص آخر يماثل الوالد فولد الرجل جزؤ منه فاثبات الولد له تعالى يستلزم التركيب لان كل ماله جزء فهو مركب وكل مركب ممكن والامكان ينافي الوجوب الذاتي والتركيب ينافي الوحدة الذاتية فيكون التعبير بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة اثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ومنزه من الامكان والاحتياج الى الغير فالجعل ههنا بمعنى الحكم بالشيء والاعتقاد به كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا به ووصفوهم بالانوثة ويحتمل ان يكون ههنا بمعنى التصيير القولي ﴿قوله وقرئ جزأ بضمتين﴾ وهي قرآءة عاصم في قول ابي بكر في كل القرآن والباقون باسكان الزاي وبالهمزة في كل القرآن وهما لغتان واما حمزة فانه اذا وقف قال جزا بفتح الزاي بلا همزة ثم انه تعالى اضرب عن الاخبار بانهم جعلوا ولدا واخذ فيما هو أهم وهو الانكار عليهم والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له ولدا حتى جعلوا ذلك الولد شر الولدين وهو الاناث فانهن ابغض الاولاد عندهم ولو كان الامر كما زعموه وهو ان اتخذ لنفسه البنات واصفى عباده بالبنين لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال المولى الخالق لكل شيء وذلك مما تستحيله بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اذا آثرته به بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من دون ان يكون له فيه مشاركة ﴿قوله تعالى واذا بشر احدهم﴾ جملة وقعت موقع الحال ﴿قوله صار وجهه﴾ فسر الظلول بالصيرورة لكونها اوفق بالمقام واكثر الافعال الناقصة يستعمل بمعنى الصيرورة ولا يبعد كل البعد ان يكون على اصل معناه وهو ثبوت خبره لاسمه بالنهار دون الليل بمعنى يبقى في كل يومه متغير اللون ظاهرا عليه اثر الحزن والكآبة ﴿قوله وفي ذلك﴾ اي وفي قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ الى ههنا دلالات وذلك لانه تعالى اخبر عنهم بانهم اثبتوا الولد لله الواحد الحقيقي الواجب لذاته مع ان التركيب والامكان ينافيان الوحدة والوجوب واقبح من ذلك ما زعموه انه تعالى اتخذ اخس الجزءين لنفسه وآثر عباده باشرفهما وبين دناءة ما نسبوه اليه تعالى بقوله واذا بشر احدهم الآية وما بلغ في الدناءة الى هذا الحد كيف يجترئ العاقل على اثباته له تعالى ﴿قوله وتعريف البنين لما مر في الذكور﴾ يعني ان سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تأخرهن عن البنين وجودا وشرفا ولزم من ذلك تأخير البنين جبر ذلك بتعريفهم تشريفا وتعظيما كما نكرت البنات تحقيرا لهن واهانة وانما قلنا ان الكلام اقتضى تقديم البنات لان الكلام انما سيق لتوبيخهم وانكار انهم اثبتوا له تعالى اخس الاولاد ولانفسهم اشرفها فكان ذكر البنات هو الذي سيق له الكلام اصالة وذكر البنين وقع استطرادا لمزيد الانكار والتعميم ثم انه تعالى زاد في توبيخهم فقال اومن ينشأ وقول المصنف وجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة اشارة الى ان من الموصولة في محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدر معطوف على قوله وجعلوا له او على قوله ام اتخذ مما يخلق وان الواو عاطفة لذلك الفعل المقدر وان الف الاستفهام مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد الانكار المستفاد من فحوى الكلام على الاول اومن الهمزة التي تضمنتها ام المنقطعة على الثاني ولا يخفى ان ذم الاناث بان يقال في حقهن او جعلوا للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وان دل على ان التحلي والنشأة في الزينة وسعة العيش وان كان مباحا للنساء الا انه من المعايب ودلائل النقصان لان المتزين بالحلي لولا نقصانه في ذاته لما احتاج الى تزيين نفسه بالحلية فاقدام الرجل عليه يكون القاء لنفسه في الذل وذلك حرام لقوله صلى الله عليه وسلم «ليس للمؤمن ان يذل نفسه» وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله تعالى والتزين بزينة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي الاعاجم يقال للغليظ من اللباس خشن ومن الطعام واللباس ما هو الغليظ لا ما هو الرقيق الناعم ويقال تمعدد فلان اذا قنع بعيش معد بن عدنان ابي العرب وكانوا اهل غلظ في امر المعاش فقوله وتمعددوا اي كونوا مثلهم ودعوا التنعم وفي الحديث «عليكم باللبسة المعدية» ثم بين نقصان حالها بطريق آخر فقال وهو في الخصام غير مبين وهذه الجملة حال من فاعل ينشأ ﴿قوله واضافة غير اليه لا يمنعه﴾ جواب عما يقال كيف يعمل مبين فيما قبل المضاف وقد ثبت في النحو عدم جوازه* وتقرير الجواب ان ما ذكر في النحو انما هو اذا لم يكن المضاف كلمة غير فان ما بعد غير يجوز ان يعمل فيما قبلها بناء على ان غير فيها معنى النفي كأنه قيل وهو لا يبين في الخصام فكما جاز ان يعمل ما بعد كلمة لا فيما قبلها جاز ان يعمل ما بعد غير فيما قبلها ايضا ومنه مسئلة الكتاب من جواز زيدا غير ضارب فزيدا منصوب بضارب

وقرئ جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين) معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم به اشتد غمهم به كما قال (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجه مسود جملة وقعت خبرا (اومن ينشأ في الحلية) اي وجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات (وهو في الخصام) في المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي اومن هذه حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت

اذكر فى قوله تعالى غير المغضوب عليهم ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ﴾ بضم الياء وفتح النون
وتشديد الشين وقرآءة باقى السبعة بفتح الياء واسكان النون وفتح الشين من نشأ وناشأ على وزن يقاتل مبنيا
للفعول والتفعيل والمفاعلة والافعال قد يكون بمعنى واحد نحو علاه الله تعالى وعالاه فعلى كما يقال اعلاه الله
تعالى فعلا ويظهر من نقل هذه القراءآت انه اختار قرآءة العامة يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شببت فيهم ونشأ
وأنشأ بمعنى كذا فى الصحاح ﴿قوله كفر آخر﴾ اى غير كفرهم بالوجهين الاولين وهما اثبات الولد لرب العالمين
ونسبة اخس صنفى الولد اليه مع ايثارهم انفسهم على نفسه باشرفهما حيث قالوا الملائكة بنات الله ومن قرأ عند
الرحمن بكسر العين والنون الساكنة وفتح الدال جعله ظرفا ولما استحال حمل العندية على القرب المكانى وجب جعلها
استعارة لاختصاصهم بمزيد كرامة الله تعالى وتشريفه اياهم تشبيها لحالهم فى الاختصاص بمزيد الشرف والمكانة
بحال من يكون عند الملك وفنائه بحيث لا يحجبه عنه حاجب ولا بواب فاستعمل فى المشبه ما كان حقه ان يستعمل
فى المشبه به وقرئ عبد الرحمن وانثا بضمتين وهو جمع اناث مثل كتاب وكتب وحمار وحمر ﴿قوله وقرأ نافع
أشهدوا﴾ بادخال همزة الانكار والتهكم على اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للفعول فسهل الهمزة الثانية فجعلها بين الهمزة
والواو ولم تدخل بينهما الف الفصل اكتفاء بتسهيل الثانية وادخلها تارة كراهة لاجتماعهما فقال آ اشهدوا
فقوله وآ أشهدوا عطف على قوله ءاشهدوا والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والفعل على التقديرين
من الشهود بمعنى الحضور لا من الشهادة وقرأ العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للفعول وبرفع شهادتهم وقرئ
ايضا سنكتب بنون العظمة شهادتهم اى شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله تعالى بالنصب مفعولا به ﴿قوله
استدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها﴾ وتوضيح المقام يتوقف على تفصيل مذهب
اهل السنة واهل الاعتزال فى مسئلة ان الكائنات باسرها هل هى بارادة الله تعالى ومشيئته وانه لا يجرى فى ملكه
الا ما يشاء او بعض منها بارادة الله ومشيئته والبعض الآخر بكراهته وسخطه فذهب اهل السنة الى ان الكائنات
كلها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان بارادة الله تعالى ومشيئته وان ما كان طاعة من فعل العباد فهو بمشيئة
الله تعالى وارادته وقضائه وقدره ورضاه ومحبته وامره وما كان معصية منها فهو بمشيئته وارادته وقضائه
وقدره وليس بامره ولا برضاه ومحبته وقالت المعتزلة المعاصى ليست بارادة الله تعالى ومشيئته بل بكراهته
واستدلوا عليه بهذه الآية وبقوله تعالى فى سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون وتقريره ان لو معناه الامتناع
للامتناع وان عبادة الملائكة كفر فالله تعالى حكى عنهم عين ما ذهب اليه اهل السنة وهو قولهم لو شاء الله منا عدم
الكفر اى ترك عبادة غيره لتركناها وفاقا ومعنى الكلام انا ما تركنا عبادة غيره وكنا كافرين لانه تعالى لم يشأ منا ترك
عبادتهم بل شاء منا الكفر وعبادة غيره فلذلك فعلنا ذلك ثم انه تعالى ابطل منهم هذا القول بقوله ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون فثبت بهذه الآية بطلان القول بان الكفر بمشيئة الله تعالى وهو قول اهل السنة والمصنف
اجاب عن هذا الاستدلال بانه انما يتم ان لو كان ما توجه اليهم من الذم والتجهيل المستفاد من قوله تعالى ما لهم
بذلك من علم ان هم الا يخرصون لمجرد قولهم ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر ولا نسلم ذلك بل انما توجه اليهم
الذم والتجهيل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان فانه كيف يصح
الامر بالشئ وارادة خلافه فكان خلاصة كلام المشركين لو شاء الله تعالى منا عدم الكفر لما كفرنا وانما كفرنا
بسبب مشيئته تعالى كفرنا ومن المعلوم ان من شاء الكفر لا ينهى عنه فلا يكون الكفر منهيا عنه ومن المعلوم ان من
اراد الكفر يكون الكفر حسنا عنده فكيف تزعمون قبحه وتعيروننا بسببه فلما صرفنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط
استدلال المعتزلة بهذه الآية * واعلم ان ارادة الله تعالى ومشيئته موافقة لعلمه وتابعة له لا لامره فكل ما علم الله تعالى
فى الازل انه يوجد فقد اراد وجوده طاعة او معصية وما علم انه لا يوجد فقد اراد ان لا يوجد ولما علم من ابى جهل
الكفر لا الايمان اراد منه الكفر وكذا اراد من سائر العصاة والكفرة عصيانهم وكفرهم على حسب ما علم منهم
فى الازل وقالت المعتزلة ارادة الله تعالى مطابقة لامره فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده وكل ما نهى عنه فقد كرهه
وقولهم لو شاء الله ما اشركنا معناه لو شاء الله عدم اشراكنا لما اشركنا اى علمنا ان المشيئة قد تعلقت باشراكنا لا بعدم
اشراكنا ومقصودهم من هذا الكلام الاستدلال بانتفاء مشيئته تعالى عدم الاشراك على امتناع النهى عنه فان

وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى
وقرئ ينشأ وناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه
وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر
تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم
اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا
واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم
وقرئ انثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم)
أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا
فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم
بهم وقرأ نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآ أشهدوا بمدة بينهما
(ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على
الملائكة (ويسألون) اى عنها يوم القيامة
وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء
والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزأ وانه
بنات وهن الملائكة ويساءلون من المسائلة
(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اى
لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم
فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع
النهى عنها او على حسنها وذلك باطل
لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض
مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره
ولذلك جهلهم

قال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن او ادّعائهم ينطبق على صحة ماقالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) اى لاحجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين (وكذلك ماارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدّميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم) اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاوّل انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) اى وان كان اهدى اقناط للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولاتكترث بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرّأ من التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بدّ من التقليد فانه اشرف آبائهم (لابيه وقومه اننى برآء مما تعبدون) برئ من عبادتكم او معبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبرآء ككريم وكرام (الا الذى فطرنى) استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى اننى برآء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى

من لا يريد عدم الاشراك فقد اراد نفس الاشراك ومن اراد الاشراك كيف ينهى عنه والاستدلال بثبوت مشيئة الاشراك على حسنه بناء على ماعتقدوه من ان كل مراد مأمور به فيكون حسنا فذمهم الله تعالى وجهلهم فى قولهم لما اراد الله تعالى الكفر والاشراك من الكافر كان حسنا وامتنع النهى عنه وامره بالتوحيد والايمان بناء على ان المشيئة لايجب ان تطابق الامر بل يجوز ان تتعلق بالمأمور به والمنهى عنه وبالحسن وغيره لان شأن المشيئة ليس الا ترجيح بعض المقدورات على بعض بالوقوع ﴿قوله ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى﴾ وهو قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله تعالى فانه اصل بالنسبة الى ما زعموه من ان عبادة الملائكة حسن مأمور به ويمتنع النهى عنه وهذا القول من المصنف جواب ثان عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والمعاصى ليست بارادة الله تعالى ومشيئته كما سبق تقريره وقد اوضحنا ماجاب به عنه اوّلا بما لامزيد عليه * وتقرير هذا الجواب ان ماذكرتم من الاستدلال انما يتم ان لوكان قوله تعالى مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون مرتبطا بقول المشركين لو شاء الرحمن ماعبدناهم وابطالا لقولهم الكفر بمشيئة الله تعالى وليس كذلك بل هو متعلق باصل دعواهم وهو قول الزجاج ورده الزمخشرى بانه تمحل مبطل وتحريف مكابر وذلك لانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما حكى قولهم الاوّل بقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وابطله بقوله اشهدوا خلقهم الآية ثم حكى عنهم قولهم انهم بنات الله تعالى متمسكين فيه بانه تعالى اراد منهم ذلك وشاءه ثم حكم ببطلانه بقوله مالهم بذلك من علم وصرف هذا الابطال عما يليه الى كلام متقدم عليه تمحل بعيد وتحريف غير سديد والمصنف اشار الى دفع ماذكره الزمخشرى فى رد قول الزجاج ووجه كلامه بان جعل قول المشركين اتخذ الله ولدا وان الملائكة بناته اصل الدعوى الصادرة منهم وجعل مابعده من الآيات مسوقا للانكار عليهم والاشارة الى وجوه فساد ماادعوه وجعل قولهم لو شاء الرحمن ماعبدناهم جوابا منهم لما تضمنته الآيات السابقة من معنى الانكار والاحتجاج عليهم فى دعواهم الباطلة وهذا الجواب وان كان لايطابق مضمون تلك الآيات ولايدفعها الا انهم تشبثوا به لانقطاع حجتهم بحيث لم يبق لهم متشبث غير ذلك ولهذا جعله المصنف شبهة مزيفة ولما لم يكن قولهم لو شاء الله كفرا مستقلا منفصلا عن اصل الدعوى لم يكن ارجاع قوله تعالى مالهم بذلك من علم الى ماتقدم عليه تمحلا وتحريفا ﴿قوله ثم اضرب عنه﴾ اى عن نفى ان يكون لهم متمسك عقلى ثم اضرب عن نفى ان لهم متمسكا فيما ادعوه لامن جهة العقل ولا من جهة النقل الى بيان ان ليس لهم حامل يحملهم على ذلك الادّعاء الا التقليد المحض حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اى على سنة وطريقة * قال صاحب الكشاف وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر مستمر من قديم الزمان فقال وكذلك ماارسلنا من قبلك الآية اى وكما قالوا ذلك بالتقليد تمسك مترفوا الامم السالفة ايضا بالتقليد يقال اترفته النعمة اى اطغته والمراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء الذين آثروا النعمة واتباع الشهوات على الجدّ فى تحصيل سعادة الآخرة وظهر بهذا ان حب الدنيا وايثار لذاتها رأس كل خطيئة ﴿قوله وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير﴾ يعنى ان المأمور بقوله قل يجوز ان يكون النذير فيكون قل امرا ماضيا متعلقا بالنذير السالف حكاه الله تعالى فى القرآن على تقدير فقلنا له قل كذا وكذا ويجوز ان يكون امرا حاليا متعلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاوّل قرآءة من قرأ قال بدل قل اى قال النذير المرسل لمترفى قومه ويؤيده ايضا ماقالوا فى جوابه انا بما ارسلتم به بلفظ الجمع ولو كان الخطاب بقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الظاهر ان يجيبوه بان يقولوا انا بما ارسلت به فلما لم يكن المخاطب بقل رسول الله بل حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا لانفك من دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان هو اهدى مما كنا عليه فعند هذا انقطع طريق النصح والارشاد ولم يبق الا الانتقام منهم فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم الآية ﴿قوله وقرئ برئ وبرآء﴾ وهما صفتان بمعنى واحد مثل طويل وطوال لمن هو بالغ فى الطول وقرأ العامة برآء بفتح الباء والف وهمزة بعد الرآء وهو مصدر نعت به للمبالغة او بتقدير ذو البرآء ﴿قوله استثناء منقطع﴾ لان الفاطر تعالى غير داخل فى قوله ماتعبدون لانهم كانوا لايعبدون الا الاصنام ﴿قوله او صفة﴾ اى ويجوز ان تكون الا صفة بمعنى غير كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الا ان كلمة ما حينئذ تكون نكرة موصوفة لا موصولة ولا مصدرية لان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة قال ابن الحاجب وغير صفة حملت على الا فى الاستثناء كما حملت الا عليها فى الصفة اذا كانت تابعة لجمع منكر غير محصور لتعذر

(الاستثناء)

ريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغترّوا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد او القرءآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بما له من المعجزات اومبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحروانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرءآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين) اى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لايليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمة ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوّة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوّة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرّف فكيف يكون فيما هو اعلى منه (ورحمة ربك) هذه يعنى النبوّة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم مارزق منها لا منه (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) لولا ان رغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة

استثناء مثل لوكان فيهما آلهة الا الله والفطر الخلق ابتداء من غير مثال من قولهم فطرت البئر اذا انشأت حفرها من غير اصل سابق ﴿قوله سيثبتنى على الهداية﴾ جواب عما يقال كيف قال سيهدين بالتسويف مع ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مهديون لامحالة روى ان ابراهيم قال ذلك لابيه وقومه حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة ورأى اباه وقومه يعبدون الاصنام ﴿قوله كلمة التوحيد﴾ وهى ماتكلم به من قوله انى برآء مما تعبدون الا الذى فطرنى فان البرآءة من كل معبود سوى الله تعالى توحيد للمعبود بالحق بمنزلة ان يقال لا اله الا الله الذى فطرنى بين تعالى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل هذه الكلمة كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته ان وصى بها بنيه ليرجع المشرك منهم عن شركه بدعاء الموحد اياه الى التوحيد فكلمة لعل بمعنى لام كى ثم انه تعالى لما بين برآءة ابراهيم من التقليد وتمسكه بالدليل فانه دعا اباه وقومه الى التوحيد ووصاهم بالملازمة على هذه الطريقة اضرب عن هذه القصة الى ماذكر مما انعم به على اهل مكة وهم من عقبه صلى الله عليه وسلم فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم وقرئ بل متعنا اى يقول بل متعناهم بانفسهم واموالهم وسائر انواع النعم ولم اعاجلهم بعقوبة كفرهم حتى جاءهم الحق اى القرءآن ورسول مبين اى ظاهر الرسالة على ان يكون مبين من ابان بمعنى بان وظهر او مبين على ان يكون من ابان بمعنى اظهر وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوا الرسول باجابته فلم يجيبوه وعصوا وهو قوله فلما جاءهم الحق يعنى القرءآن قالوا هذا سحر الآية وقالوا استحقارا للرسول صلى الله عليه وسلم لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين اى من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف ﴿قوله اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية﴾ على ان يكون المنوى فى جعلها ضمير ذاته تعالى وتكون كلمة بل للاضراب عن الحكم بانه تعالى جعل تلك الكلمة باقية فى عقبه لما حكم بذلك اعترض على ذاته بطريق التجريد على منوال قول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ۞ ونام الخلى ولم ترقد

فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم بطول العمر وسعة الرزق فشغلهم ذلك عن استماع قول الناصح واراد بذلك الاعتراض المبالغة فى تعييرهم من حيث ان التمتع بزيادة النعم ينبغى ان يجعل سببا للشكر والتوحيد لا للشرك واتخاذ الانداد ونظير هذا الاسلوب ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك باحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله ثم انهم لما استحقروه صلى الله عليه وسلم ولم يعدّوه لائقا بمنصب النبوّة بناء على قولهم منصب الرسالة منصب عظيم فلا يليق الا برجل عظيم وان العظمة والشرف انما تكون بكثرة المال والجاه وهو صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ابطل الله تعالى شبهتهم هذه بان نزلهم منزلة من يدّعى اختصاص قسمة رحمة الله تعالى به فانكر عليهم ذلك فقال أهم يقسمون رحمة ربك وانكر كونهم المتولين لقسمة النبوّة حال عجزهم عن تدبير معيشتهم فى الحياة الدنيا والخويصة تصغير خاصة صغرها اشارة الى حقارة تلك المعيشة وهى مايعيشون به من منافع الدنيا واسبابها وهو يعم الحلال والحرام وجعل المعيشة بهذا المعنى حاصلة لهم بقسمة الله تعالى اياها بينهم يقتضى ان يكون الحرام رزقا كالحلال كما ذهب اليه اهل السنة من انه تعالى لما قسم بينهم الحلال قسم الحرام ايضا لان منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام وقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى مايعيشون به وهو يقتضى ذلك وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لان الرزق عندهم عبارة عن الملك والحرام لا يكون ملكا فلا يكون رزقا وقالوا انه لايكون ملكا لان الملك مايكون للشخص فيه يد محقة يدفع بها اليد المبطلة عنه عينا كان او منفعة واليد انما تثبت باسباب شرعية عينها الله تعالى لثبوت الملك والاختصاص للمالك وهى غير متحققة فى الحرام فلايكون ملكا وما لايكون ملكا لايكون رزقا وفيه ان الرزق لووجب ان يكون ملكا لوجب ان لاتكون البهائم مرزوقة اذ لا يتصوّر لها الملك وقد قال تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ﴿قوله واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره﴾ كالقوّة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سوينا بينهم فى هذه الاحوال كلها لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره فيفسد به نظام الدنيا ويخرب العالم فاوقع الله تعالى بينهم التفاوت ليسخر للاغنياء باموالهم الاجرآء والفقرآء بالعمل فينتفع الاغنياء بقوّة الفقرآء والفقرآء بنعمة الاغنياء وينتظم امر كل صنف منهم بالآخر ﴿قوله لحقارة الدنيا﴾ علة لقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن واشارة

الى ان الآية استئناف لبيان كون رحمة الله تعالى خيرا مما يجمعون قال الزجاج لما علم تعالى ان الآخرة احظ من الدنيا بقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون ذكر حقارة الدنيا ومافيها من المنافع الجسمانية بهذه الآية وقوله ومعارج عطف على سقفا والتقدير ومعارج من فضة لان الظاهر ان المعطوف يشارك المعطوف عليه فى قيوده وحذف لدلالة الاول عليه وكذا الكلام فى الابواب والسرر وقوله عليها يتكئون وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما يقال ظهر عليه اذا علاه قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه والمعرج آلة الصعود وهى المرقاة والسلم ﴿قوله ولبيوتهم بدل من لمن﴾ فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص ﴿قوله اوعلة﴾ اى ويجوز ان تكون اللام الثانية لعلة كما فى قوله وهبت له ثوبا لقميصه اى لاجل ان يخيطه قميصا ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا﴾ اى بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس الذى هو فى معنى الجمع او اكتفاء بالواحد عن الجمع لدلالة البيوت عليه فان قوله لبيوتهم يدل عن لكل بيت سقفا على حدة والباقون من السبعة سقفا بضمتين وقرئ سقوفا مثل فلس وفلوس وسقفا بفتحتين وهو لغة فى سقف بالفتح والسكون ﴿قوله وزينة او وذهبا﴾ يعنى ان الزخرف يجوز ان يكون بمعنى الزينة كما فى قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون معطوفا على قوله سقفا والمعنى لجعلنا لهم كذا اى لبيوتهم كذا وكذا زينة عظيمة فى كل باب يزينون بها بيوتهم من الاوانى والفرش وغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الذهب فيكون معطوفا على محل من فضة والمعنى لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وزخرفا فنصب عطفا على محل من فضة وفى الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه ومزوق والمزخرف المزين ومعنى الآية لولا ذلك لفعلنا بالكفار ماذكرنا ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة * فان قيل حيث لم يوسع على الكفار للفتنة التى ذكرت فهلا وسع على المسلمين ليجتمع الناس على الاسلام * اجيب بان التوسعة عليهم مفسدة ايضا من حيث انها تؤدى الى ان يكون الدخول فى الاسلام لاجل توسعة الدنيا وذلك من ديدن المنافقين فكانت الحكمة فيما دبره الله تعالى ثم انه تعالى اخبران جميع ماذكر انما يتمتع به فى الدنيا ثم يزول عن قريب فقال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى وان الامر والشان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا على ان اللام فى لماهى الفارقة بين ان المخففة من الثقيلة وبين النافية وماصلة مؤكدة ﴿قوله وقرئ به﴾ اى وقرئ بالاسكان مع ان وماقيل وان كل ذلك الامتاع وقيل ايضا وماكل ذلك الامتاع ﴿قوله وفيه دلالة﴾ وجه الدلالة ظاهر لانه جعل جميع ماذكره من زينة الدنيا متاعا يتمتع به الانسان مدة قليلة ثم يزول ويذهب ثم حكم بان الجنة ونعيم الآخرة للمتقين من الكفر والمعاصى لا للمشركين الذين الهاهم الانهماك فى شهوات الدنيا عن السعى فيما يؤدى الى سعادة الآخرة لانه قد ضاع منهم ماافنوا فيه اعمارهم وقد حرموا من سعادة الآخرة ايضا بخلاف المتقين وفيه ايضا اشعار بما لاجله لم يجعل ذلك الذى حكم عليه انه متاع الحياة الدنيا للمؤمنين ﴿قوله وهو﴾ اى الذى لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين انه اى ماذكر من زينة الدنيا تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به اى بما لهم فى الآخرة لما فيه اى فيما ذكر من الآفات والمصنف اشار بهذا الكلام الى جواب مايقال مرّ انه تعالى قد بين ان الدنيا ومافيها من انواع الزينة والشهوات لحقارتها عند الله تعالى لايليق الا بالكفار كما قال صلى الله عليه وسلم * لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء * ولولا كراهة ان يجتمع الناس على الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لوسعنا على الكفار بما لايكون اوسع منه لحقارة حطام الدنيا عندنا فورد ان يقال اذا كان توسيع حطام الدنيا على الكافر سببا لاجتماع الناس على الكفر كان توسيعه على المؤمن ايضا سببا لاجتماعهم على الايمان فلم لم يفعل ذلك فنزل قوله تعالى وان كل ذلك الآية للاشارة الى جوابه كانه قيل كما لم يوسع على الكفار كراهة الفتنة كذلك لم يوسع على المؤمنين لان متاع الدنيا لقلته لايصلح ان يكون مقصودا لذاته مع انه مخل ومفوّت لثواب الآخرة لما فيه من الآفات ومن جملتها انه لو وسع عليهم لاحبوها وآثروا الاسلام لاجلها لا لاجل الله تعالى وطلبا لمرضاته واتباعا لما نصبه من الادلة القطعية ولازدادوا حرصا وانهماكا فى الشهوات ولادى ذلك الى ان يقيض الله لهم شيطانا يزين لهم الباطل ويزلهم عن طريق الحق مجازاة لهم على ما آثروا الباطل على الحق ﴿قوله يتعام ويعرض﴾ مبنى على قرآءة يعش بضم الشين وهى قرآءة العامة من عشا يعشو بمعنى تعامى يتعامى اى ينظر نظر المعشى ولا آفة فى بصره واما اذا كان فى بصره آفة مخلة للرؤية فحينئذ يقال عشى يعشى كعمى يعمى وزنا ومعنى كما يقال عرج بالكسر فهو

ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال اوعلة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابوعمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف (ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون) اى ابوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا او وذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات التى قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات

رج اذا اصابته آفة فى رجله مخلّة بالمشى السوىّ وعرج بالفتح لمن مشى مشية العرجان وليست به آفة تقتضيها
ن القرآءة بفتح الشين ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى ومعناها بالضم ومن يتعام
ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتعامى اى يتجاهل ويتعال كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم قال الشاعر
❊ متى تأته تعشو الى ضوء ناره ❊ تجد خير نار عندها خير موقد ❊
نظر اليها نظر العشى لمايضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء ﴿قوله وقرئ يعشو﴾ باثبات
او على ان من موصولة عارية من معنى الشرط وينبغى على هذه القرآءة ان يقرأ نقيض مرفوعا ولم تنقل هذه القرآءة
ذلك على ان عدم سقوط الواو ليس مبنيا على كون من موصولة بل هى شرطية كما فى القرآءة الاخرى الا انه
ى الفعل الناقص بالصحيح فى ان يكون جزمه بحذف الحركة وقد حكى عن الاخفش انه قال هى لغة بعض العرب
﴿قوله وجمع الضميرين﴾ وهما ضمير الشيطان والعاشى فضمير الشيطان هو المنصوب فى قوله وانهم
رفوع فى قوله ليصدونهم وضمير العاشى هو المنصوب فى قوله ليصدّونهم والمعنى وان الشيطان ليصدّن العاشين
السبيل اعتبر معنى من بعد اعتبار لفظه فى قوله ومن يعش ونقيض له شيطانا وضمير يحسبون للعاشين اى ويحسب
شون انهم مهتدون روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلا اله
له والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما
ت ذلك اهلكتهم بالاهوآء وهم يحسبون انهم مهتدون وقطع المصنف بان ضمير قوله انهم مهتدون للشيطان
نى وهؤلاء الكفار العاشون يحسبون ان الشياطين مهتدون فقوله الضمائر الثلاثة مبتدأ وقوله الاوّل مبتدأ
وله خبر الثانى وضميره راجع الى من والجملة خبر المبتدأ الاوّل والتقدير الاوّل منها له والباقيان منها للشيطان
﴿قوله اى ما انتم عليه من التمنى﴾ يعنى ان فاعل ينفعكم مضمر فيه راجع الى التمنى المدلول عليه بقوله ياليت
وبينك فقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل لعدم النفع بتقدير حرف التعليل وقوله مشتركون بمعنى
حقون الاشتراك فيه ليصح معنى التعليل اشار اليه المصنف بقوله لان حقكم ان تشتركوا ﴿قوله بدل من
م﴾ متفرّع على كون قوله تعالى اذ ظلمتم بمعنى اذ صح وتبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا والا لما جاز كونه بدلا
لان المراد من اليوم يوم القيامة ووقت ظلمهم انفسهم هو وقت كونهم فى الدنيا فليس احدهما عين الآخر
بعضه ولا اشتمال بينهما وبدل الغلط لا يقع فى القرآن فلما كان تقدير الكلام لن ينفعكم اليوم وقت تبين ظلمكم
ت لم يبق لكم ولا لاحد غيركم شبهة فى انكم كنتم ظالمين صح كون الظرف الثانى بدلا من الاوّل لاتحادهما
ت وبقى هنا اشكال آخر وهو ان اليوم ظرف حالى واذ ظرف ماضى فلا يتحدان ذاتا الا ان يقال جرّدت كلمة
المطلق الزمان وايضا اليوم ظرف حالى وينفعكم للاستقبال لاقترانه بلن التى لنفى المستقبل فكيف يعمل الحدث
تقبل الذى لم يقع بعد فى ظرف حاضر الا ان يقال جرّدت كلمة لن هنا لمجرّد النفى ﴿قوله ويجوز ان يسند
ل اليه﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون فى محل الرفع على انه فاعل لن ينفعكم
ى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما يقتضيه قولهم البلية اذا عمت خفت والاعباء جمع عِبء بالكسر
ى الحمل الثقيل ﴿قوله وهو يقوّى الاوّل﴾ اى يقوّى ان يكون فاعل لن ينفعكم ضمير التمنى ويكون قوله
مشتركون تعليلا كما هو كذلك على قرآءة انكم بالكسر لان ان تقتضى صدر الكلام فيمتنع ان تكون مع
حيزها فاعلا لما قبلها ثم انه تعالى ذكر انه لا ينفع الدعوة والوعظ لمن سبقت عليه الشقاوة من الله فقال افانت
الصم الآية الا ان قول المصنف انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم يفهم منه انه تعالى نزّله
الله عليه وسلم منزلة من يقول انا اسمع الصم واهدى العمى مريدا به تخصيص القدرة عليهما به صلى الله عليه وسلم
على ان تقديم المسند اليه فى مثل انا سعيت فى حاجتك للقصر والتخصيص ردّا على من زعم انفراد غيره بالخبر
شاركة الغير له فيه على انه قصر قلب او قصر افراد ثم انه تعالى عجب من تخصيصه القدرة على ذلك به وانكر عليه
ه افانت تسمع الصم الآية وهذا المعنى غير ملائم بالمقام وسوق الآية بل الظاهر انه تعالى نزّله منزلة من يدّعى انه
على ذلك لاصراره على دعائهم مع تمرّنهم على الكفر قائلا انا اسمع واهدى على قصد تقوّى الحكم لا على قصد
صيص فجب تعالى من ادّعاء ذلك وانكر عليه فالوجه على هذا ان يقول من ان يكون قادرا عليه من غير توسيط
الفعل وتعريف الخبر فى قوله من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم لان ما اختاره من التعميم يفيد كون

وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دآئما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه (وانهم ليصدّونهم عن السبيل) عن الطريق الذى من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له (ويحسبون انهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاوّل له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان (قال) اى العاشى للشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما (فبئس القرين) انت (ولن ينفعكم اليوم) اى ما انتم عليه من التمنى (اذ ظلمتم) اذ صح انكم ظلمتم (انفسكم) فى الدنيا بدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امر صعب تعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوّى الاوّل (أفانت تسمع الصم او تهدى العمى) انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرّنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاؤهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين

وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لايخفى (فاما نذهبن بك) اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعدك فى الدنيا والآخرة (او نرينك الذى وعدناهم) او ان اردنا ان نريك ماوعدناهم من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) لايفوتوننا (فاستمسك بالذى اوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لاعوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسألون) اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) اى واسأل اممهم وعلماء دينهم (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون)

المخاطب ممن يدعى اختصاص الخبر به ﴿قوله وفيه اشعار بان الموجب لذلك﴾ اى وفى عطف قوله ومن كان فى ضلال مبين على العمى اشعار بان الموجب للصمم والعمى المدلول عليهما بلفظى الصم والعمى فانه تعالى لما وصفهم فى الآية المتقدمة بالعشى واصله النظر ببصر ضعيف وصفهم فى هذه الآية بالصم والعمى وما احسن هذا الترتيب فان الانسان فى اوّل اشتغاله بطلب الدنيا وميله الى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف ثم انه كلما ازداد اشتغاله بها واشتدّ اعراضه عن الفضائل الروحانية ازداد رمده فينتقل الى ان يصير اعشى ومن كونه اعشى الى كونه اعمى فالقوم بلغوا بسبب تصميمهم على الكفر وثباتهم على الغىّ والنفرة عن قبول الحق الى حيث كانوا اذا تلى عليهم القرآن كانوا كالصم واذا ظهرت المعجزات عليهم كانوا كالعمى فلذلك شبهوا بالصم والعمى واشير الى ان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لايخفى ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وطيب قلبه فقال فاما نذهبن بك ﴿قوله بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون﴾ قد اشتهر بين النحاة ان نون التوكيد لاتدخل الا على مستقبل فيه معنى الطلب كالامر والنهى والاستفهام والتمنى والعرض واما المستقبل الذى هو خبر محض فلا تدخل عليه نون التوكيد كلام القسم نحو والله لافعلنّ وما المزيدة على حرف الشرط لتأكيد معنى الشرطية والتعلق نحو فاما نذهبن فيكون مادخل على اوّله توطئة وايذانا لمادخل على آخره وهو معنى كونهما مستجلبين لها ومقتضيين اياها ثم انه تعالى لمابين انه لاينفع اجتهاده فى دعوة قومه الصم العمى وانهم لايرجعون عماهم عليه من الضلال المبين وانهم قد استحقوا العذاب الاليم بين ان احد الامرين متعين اما ان انصرك عليهم فى الدنيا واشفى به صدور المؤمنين او انتقم منهم فى الآخرة اشدّ الانتقام ثم قال اذا علمت هذا فأعرض عنهم واشتغل بما يهمك وهو التمسك بالقرآن الكريم لانك على صراط مستقيم ولما بين ان التمسك به صراط مستقيم يوصل الى منافع الدين بين ايضا تأثيره فى منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اى وان القرآن لشرف لك ولقومك من قريش حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله لهؤلاء وقال مجاهد القوم هم العرب فان القرآن لهم شرف حيث انزله الله بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون قريش وبنوا هاشم وبنوا عبد المطلب اكثر حظا منه ﴿قوله واسأل اممهم﴾ لما كان سؤال من مضى قبله صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ممتنعا احتيج الى تقدير المضاف وقيل لاحاجة الى تقدير المضاف بناء على ماروى عن ابن عباس قال انه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به الى المسجد الاقصى جمع له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصلّ بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لا اسأل لانى لست شاكا فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم * ما انا بالذى اشك وما انا بالذى اسأل * وانما لم يسأل مع كونه مأمورا بالسؤال لانه صلى الله عليه وسلم علم ان الامر ليس لايجاب السؤال عليه بدلالة ان السؤال يكون لرفع الالتباس ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشك فى ذلك فعلم بذلك ان المراد التقرير لمشركى قريش ونحوهم انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى ﴿قوله فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب﴾ علة لقوله فيكذب ويعادى له فان التوحيد لما كان امرا متفقا عليه كل الانبياء والرسل وجب ان لايكذب ويعادى لاجله فان التوحيد هو معظم ماجعلوه سببا لبغضه صلى الله عليه وسلم ومخالفته ﴿قوله يريد باقتصاصه﴾ اى ليس المقصود من ذكر هذه القصة بيان نفسها بل المقصود تسليته صلى الله عليه وسلم بان فرعون مع بلوغه فى عز الدنيا الى غاية الكمال لما صار مقهورا بأعوانه كان الامر فى حق اعدائك هكذا ومناقضة مقدمتهم القائلة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فانهم ارادوا بها القدح فى نبوّته صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى بايراد هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام بعد ان اورد المعجزات الباهرة التى لايشك فى صحتها عاقل اورد فرعون عليه ماقاله كفار قريش فى حقه صلى الله عليه وسلم من انه رجل حقير عديم المال والجاه الا ترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولا لسان فكيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان شبهته التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى صلى الله عليه وسلم ثم ان تلك الشبهة لم تقدح فى نبوّة موسى صلى الله عليه وسلم حيث بلغ رسالة ربّه فلم يقبلوها فانتقم الله تعالى منهم فاغرقهم اجمعين فلو كان فى هذه الشبهة مايدل على قدح امر النبوّة

(لنفعت)

عت فرعون فيما زعمه واذا لم تنفع ثبت بطلانها فهذا وجه كون ذكر قصة موسى و فرعون مناقضة و ابطالا
بهة كفار قريش ﴿ قوله تعالى اذاهم منها يضحكون ﴾ قيل انه عليه الصلاة والسلام لما القى عصاه فصارت
انا ثم اخذه فصار عصا كما كان ضحكوا و لما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا و استهزؤا من غير
يتأملوا ﴿ قوله فاجأوا وقت ضحكهم منها ﴾ لما ورد ان يقال ان كلمة لما لابدلها من عامل و ان العامل فيها
وابها و قد اجيب عنها فى الآية الكريمة باذا المفاجأة وهى لاتعمل وكذا ما بعدها لايعمل فيما قبلها فالعامل فى لما * اشار
جوابه بتقدير فعل المفاجأة وجعله عاملا يعمل النصب فى محل اذا على انه مفعول به و فى محل لما على انه ظرف هذا
صل ما ذكره الزمخشرى سؤالا وجوابا الا ان جعل اذا الفجائية منصوبة المحل بالفعل المقدّر غير منقول عن
حويين فان المنقول فى اذا الفجائية ثلاثة مذاهب وهى انها اما حرف فلا تحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف
ان و على التقديرين لاتكون معمولا لفعل المفاجأة مقدّرا لانه ان ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة
ى الظرف و العامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففى المكان الذى خرجت منه زيد قائم
ففى الوقت الذى خرجت زيد قائم و ان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة
لنا انه ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اى فبالحضرة الاسد اذ لاخفاء فى صحة كون ظرف
كان خبرا عن الجثة و كذا قولك خرجت فاذا الاسد صائلا و ان قلنا انها ظرف زمان كان الكلام على حذف
ضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اى ففى الزمان حضور الاسد و ان كان الاسم حدثا
ز ان تكون اذا ظرف زمان او ظرف مكان و لاحاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شئت قدّرت
الحضرة القتال او ففى الزمان القتال لصحة كون كل واحد من ظرفى الزمان و المكان خبرا عن الحدث ﴿ قوله
و هى بالغة اقصى درجات الاعجاز ﴾ اشارة الى دفع ما يقال ان قوله كل واحدة من تلك الآيات اكبر من اختها
لزم ان تكون كل واحدة فاضلة عن اختها و مفضولة عنها فى حالة واحدة و هو تناقض باطل * وتقرير الجواب انه
س المراد ظاهر ما يفهم من الكلام بل المراد المبالغة فى كون كل واحدة منها بالغة الى اقصى درجات الاعجاز
ث اذا ظهرت آية واحدة منها اىّ آية كانت يحسب الناظر انها اكبر من كل آية تقاس عليها و المراد به وصف
ل بالكبر لان كل واحدة منها اذا كانت بحيث يقول الناظر فى حقها انها اكبر من اختها مطلقا اى مما تقاس هى
من الآيات اى آية كانت لاجرم تكون كلها متساوية متماثلة فى هذا المعنى فقوله الا هى اكبر من اختها اى فى زعم
ظر ورأيه ﴿ قوله او الا و هى مختصة الخ ﴾ عطف على قوله الا و هى بالغة و جواب ثان عن سؤال التناقض
ريره انما يلزم التناقض ان لو كان المعنى كل واحدة منها اكبر من البواقى مطلقا اى من جميع الوجوه و ليس
ث بل المعنى ان كل واحدة منها اكبر من البواقى باعتبار الجهة التى تميزت هى عن البواقى بتلك الجهة
﴿ قوله كالسنين و الطوفان و الجراد ﴾ اى و القمل و الضفادع و الدم و الطمس و العصا و اليد البيضاء فانهم
وا بهذه الآيات فكانت عذابا لهم و آيات عظاما لموسى عليه الصلاة و السلام عذبهم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عما
ا عليه من الشرك و يتوبون ﴿ قوله على وجه يرجى رجوعهم ﴾ يعنى ان كلمة لعل استعارة تمثيلية شبه الله تعالى
لته معهم بمعاملة من يرجو و يتوقع و جعلها الزمخشرى مستعارة لمعنى الارادة و فرع عليه كلاما مبنيا على مذهبه
﴿ قوله نادوه بذلك فى تلك الحال ﴾ اى فى حال تضرّعهم لموسى عليه الصلاة و السلام بقولهم ادع لنا اى لاجلنا
مع ان مقام التعظيم ينافى النداء بالساحر فانه مباين للمعجزة فلا يكون دليلا على النبوّة بل منافيا لها فان السحر صفة
ومة و يحتمل ان يكون النداء بمعنى يا ايها العالم الحاذق بناء على ان يكون السحر فيهم فضيلة عظيمة و صفة
دة و ليس المراد يا ايها الذى غلبنا بسحره كما فى الوجه الاوّل بل يعظمونه بذلك النداء ﴿ قوله بعهده عندك ﴾
فى الآية اربعة اوجه و كلمة ما فى الثلاثة الاول منها مصدرية و فى الرابع موصولة و فسر العهد اوّلا بالنبوّة فانها
ى بعهد الله تعالى و ثانيا بوعد الله تعالى اياه عليه الصلاة و السلام باستجابته دعاءه و ثالثا بوعده تعالى اياه عليه
لاة و السلام بكشف العذاب عمن اهتدى و تاب و رابعا بالتوصية من قولهم عهد اليه بكذا اى وصاه به و اخذ
ه فيه على ان يفعل و الباء فى جميع الوجوه للسببية اى ادع الله لنا بسبب عهده الذى عندك من النبوّة او من
ابة دعوتك او بكشف العذاب عمن اهتدى او بالذى عهد اليك و وصاك به من الايمان و الطاعة الذين ابيت
وفاء العهد و الاظهر انها فى الوجه الاوّل و الرابع للقسم اى ادع الله لنا بحق ما عندك من النبوّة او بحق الايمان

فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اوّل ما رأوها و لم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها) الا و هى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات و المراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض و كقوله
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *
مثل النجوم التى يسرى بها السارى *
او الا و هى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (واخذناهم بالعذاب) كالسنين و الطوفان و الجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا ايها الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدّة شكيمتهم و فرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا (ادع لنا ربك) اى لتدع لنا فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوّة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى

او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (انا لمهتدون) بشرط ان تدعولنا

فاجأوا نكث عهدهم بالاهتدآء (ونادى فرعون) بنفسه او بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى او امرى او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (ام انا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير لما قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه (فلولا القى عليه اساورة من ذهب) اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوّقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وألقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (او جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم (فاطاعوه) فيما امرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتدّ غضبه (انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين) فى اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ (سلفا) سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت (ومثلا للآخرين)

و الطاعة الذين عندك وفى الوجه الثانى والثالث سببية ﴿قوله فوفيت به﴾ لعله مأخوذ من قوله عندك بدل اليك فان اصل العهد بمعنى التوصية ان يتعدّى بالى الا انه اورد بدلها لفظ عندك اشعارا بان تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا تصير ملغاة ﴿قوله بشرط ان تدعولنا﴾ كأنه جواب عما يقال كيف قالوا انا لمهتدون مع ان تسميتهم اياه بالساحر تكذيب له بمنزلة ان يقال غلبتنا بالسحر لا بالمعجزة فلست نبيا * وتقرير الجواب ظاهر ﴿قوله فاجأوا نكث عهدهم﴾ الظاهر على قياس ما ذكره فى قوله تعالى اذاهم منها يضحكون ان يقال فاجأوا وقت نكث العهد على ان يكون الفعل المقدّر عاملا فى لما ينصبه على الظرفية وفى اذا ينصبه على انه مفعول به الا انه اكتفى بذكر ما يدل على خلاصة المعنى ﴿قوله انهار النيل﴾ اى الانهار التى فصولها من النيل وطولون اسم رجل وتنيس بفتح التاء وتشديد النون وحاصل كلامه انه احتج بكثرة امواله وقوّة جاهه على فضيلة نفسه وعدم استحقاق موسى للرياسة ﴿قوله تحت قصرى الخ﴾ لما لم يمكن ان يكون النهر نفسه تحت الشخص احتيج الى تقدير شئ يكون النهر تحته ويكون تحت الشخص ايضا بواسطة كون ذلك الشئ تحت الشخص حسا كالقصر او معنى كالامر ويقال لما بين يدى الشخص انه تحت الشخص لكونه فى مكان اسفل من مكان الشخص والرتة بضم الرآء وتشديد التاء العقدة الحاصلة فى اللسان حيث تمنع سلاسة التكلم والجريان * فان قيل أليس ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى ان يزيل الرتة من لسانه بقوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاعطاه الله تعالى ذلك حيث قال قد اوتيت سؤلك ياموسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة * قلنا نعم انها زالت فكان عليه الصلاة والسلام فى غاية طلاقة اللسان وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملائه وانما عابه فرعون بما كان عرفه به فى الابتدآء فان موسى عليه الصلاة والسلام مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان عليه الصلاة والسلام فى لسانه حبسة حينئذ فوصفه فرعون بما عهده عليه تمويها لضعفه الذى كانوا علموه منه قبل ذلك وام منقطعة فتقدّر ببل والهمزة حمل قومه اوّلا على ان يقرّوا بسعة ملكه وكثرة اسباب عزه وشوكته ثم اضرب عنه وحملهم على الاقرار بكونه خيرا من موسى عليه الصلاة والسلام بناء على ما قدم من ذكر اسباب فضله وزعمه انه عليه الصلاة والسلام ضعيف حقير وقيل انها متصلة حذف معادلها واقيم ما هو السبب مقامه والاصل افلا تبصرون لكون علمهم بانه خير منه سببا عن الابصار ﴿قوله مقاليد الملك﴾ اى مباديه واسبابه المتقدمة عليه بحيث تكون بمنزلة المفاتيح له فان عادة القوم حينئذ انهم اذا جعلوا واحدا رئيسالهم سوّروه بسوار من ذهب وطوّقوه بطوق من ذهب فاحتج فرعون على عدم رسالته عليه الصلاة والسلام بانعدام هذا الامر فى حقه قرأ العامة فلولا ألقى على بناء المفعول وقرئ فى الشواذ ألقى على بناء الفاعل اى الله فيكون اساورة منصوبا على المفعولية وقرأ حفص اسورة على انه جمع سوار كاحمرة فى جمع حمار وهو جمع قلة والباقون اساورة على انه جمع اسوار كاعاصير جمع اعصار واصل اساورة اساوير بالياء فعوض تاء التأنيث منها بعد حذفها كما فى بطارقة وزنادقة اصلهما بطاريق وزناديق جمعا بطريق وزنديق وقيل بل هى جمع اسورة فهى جمع الجمع لا جمع اسوار وقرئ ايضا اساوير بالياء واساور بدون الياء والتاء ﴿قوله مقرونين به﴾ منضمين اليه يعينونه على امر النبوّة او يشهدون له بصدقه ﴿قوله او متقارنين﴾ على أن المراد اقتران بعضهم ببعض لا اقترانهم بموسى عليه الصلاة والسلام وهو كناية من كثرتهم واجتماعهم لانه اتم فى الاعتضاد من التفرّق ومحصول كلامه انه عليه الصلاة والسلام لو كان رسولا اصطفاه الله تعالى من عباده لطوّقه وسوّره بطوق وسوار من ذهب ولشيعه بمن عنده من الملائكة كما هو عادة السلاطين اذا جعلوا واحدا من خواصهم رئيسا لقومهم وليس عند موسى عليه الصلاة والسلام شئ من ذلك فكيف يكون نبيا ﴿قوله فطلب منهم الخفة﴾ يعنى ان سين استخف اما للطلب او للوجدان اى وجدهم جهالا عديمى العقل يغترّون بالتلبيسات الباطلة حيث اغترّوا بقوله أليس لى ملك مصر الخ ﴿قوله قدوة لمن بعدهم﴾ السلف سوآء كان مصدرا بمعنى المضىّ والتقدّم من قولك سلف يسلف سلفا مثل طلب يطلب طلبا وصف به الاعيان للمبالغة او جمع سالف كحرس وحارس لا يتعدّى باللام وقد عدّى بها فى الآية على طريق التنازع فلذلك فسره بالقدوة مجازا لان المتقدّمين يلزمهم ان يكونوا قدوة لمن بعدهم ثم الباذكر لقرآءة سلفا بضمتين ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون جمع سليف بمعنى الفريق المتقدّم كرغيف ورغف وكثيب وكثب والثانى ان يكون جمع سالف بمعنى المتقدّم كصابر وصبر والثالث ان يكون جمع سلف بفتحتين كخشب وخشب ﴿قوله وقرئ سلفا﴾ بضم السين وفتح اللام وذكر لها وجهين الاوّل ان يكون اصله

لفا بضمتين ابدلت ضمة اللام فتحة كراهة اجتماع الضمتين والثاني ان يكون جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة
رقة السالفة فعنى قوله تعالى فجعلناهم سلفا جعلناهم ثلة سلفت اى جماعة مضت فان الثلة بالضم هى الجماعة
الناس ﴿قوله وعظة لهم﴾ ليتعظوا به فلا يجترئوا على اتيان مثل افعالهم من الاصرار على مخالفة
سول واتباع الهوى فعلى هذا يكون المثل بمعنى الشبه والعبرة التى هى مثال يعتبر به ويستدل بتشابه الفعلين
ى تشابه الجزاءين وهو معنى كونهم عظة لمن بعدهم فانهم يشبه حالهم بحال قوم فرعون اذا دموا على العصيان
افون ان يعاقبوا بمثل عقابهم ﴿قوله او قصة عجيبة﴾ على ان يكون لفظ المثل مستعارا لها من معناه
رفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده والمثل لما كان مصدرا فى الاصل جاز اطلاقه على الواحد
الجماعة والمذكر والمؤنث ﴿قوله اى ضربه ابن الزبعرى﴾ وجعله مشبها للاصنام من حيث
النصارى اتخذوه آلها وعبدوه من دون الله وانت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى عليه الصلاة والسلام
ذا كان هو من حصب جهنم كان امر آلهتنا اهون قال اكثر المفسرين لما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على قريش
له تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا وغضبوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله
الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام * هو لكم ولآلهتكم ولجميع
م * فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى امه وقد علمت
النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا
هم فلما ضربه ابن الزبعرى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه فرح المشركون
هذا المثل وضحكوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم توقرا عن مجادلات السفهاء فانزل الله تعالى آية
الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية فالمثل على هذا التقرير بمعناه اللغوى
ال شرف الدين الطيبى رحمه الله المثل على قول ابن الزبعرى قوله فان كان هؤلاء يعنى المسيح وعزيرا
الملائكة فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم وانما سمى مثلا لما فيه من الغرابة من بعض الوجوه
ذلك فرح المشركون وضحكوا وضجوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه جعل المثل مستعارا
مر الغريب والقول العجيب الوارد فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة
جعل ضربه عبارة عن التكلم به فى حقه ﴿قوله او غيره﴾ عطف على ابن الزبعرى اى او ضربه غير
ن الزبعرى وهم بنوا مليح وهم الذين قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم ثم حكى ما قالوه فقال بان قال اى غير ابن
بعرى فانهم قالوا ان النصارى ضربوا المسيح مثلا للملائكة وعبدوه وزعموا انه ابن الله والملائكة اولى بذلك
﴿قوله وعلى قوله﴾ عطف على لفظ قوله فى قوله اى او قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله
الى واسأل وهو فى محل النصب على انه حال من فاعل قال اى قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى
سأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا فلما سمع المشركون ما قاله بنوا مليح ورأوا انه صلى الله عليه وسلم سكت ولم
ب توقرا عن مجادلات السفهاء فرحوا لظنهم انه عليه الصلاة والسلام صار ملزما به ﴿قوله والملائكة
لى بذلك﴾ اى بان يعبدوا وينسبوا اليه تعالى بالجزئية فكما ان النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون
يرا فكذا بنوا مليح يعبدون الملائكة ويجعلونهم بنات الله تعالى وهم اولى بذلك من المسيح وعزير معترضين
ى قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان قالوا كيف يصح
كار وقوع عبادة غير الله تعالى فى ملة من ملل الرسل المتقدمين مع ان بعض اهل الكتاب وهم النصارى يعبدون
سى عليه السلام ويقولون انه ابن الله ونحن افضل منهم قولا وفعلا لانهم عبدوا البشر وجعلوه ابن الله ونحن نعبد
لائكة المقربين الروحانيين ونقول انهم بنات الله بناء على ان المشركين الذين يعبدون الملائكة وهم بنوا مليح جعلوا
سيح مثلا وشبها للملائكة فى كونه معبودا من دون الرحمن ويحتمل ان يكون المثل مستعارا من المثل السائر لقولهم
جيب فى حق عيسى عليه السلام ويكون صديدهم وضجيجهم سرورا منهم بوجود من يوافقهم فى عبادة غير الله
الى ﴿قوله او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح﴾ معطوف على قوله النصارى اهل كتاب يعنى ان بعض
سرين ذكروا فى تأويل الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه آلها
فسهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله آلها كما تجعل النصارى المسيح آلها لانفسهم ثم عند هذا قالوا آلهتنا

وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به

وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدّون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا ءآلهتنا خيرام هو) اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خيرام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية (ما ضربوه لك الاجدلا) ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل والخصومة لالتمييز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الاعبد انعمنا عليه) بالنبوّة (وجعلناه مثلا) امرا عجيبا كالمثل السائر (لبنى اسرآئيل) وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولونشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال كما ولدنا عيسى من غيراب اولجعلنا بدلكم (ملائكة فى الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى

خيرام هو ذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا زعموا انه تجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لابدّ من احد هذين الامرين فعبادة هذه الاصنام اولى لان آباءنا واسلافنا كانوا متطابقين عليها واما محمد فانه متهم فى امرنا بعبادة نفسه فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قالوا مايريد محمد بهذا الاانا نعبده وانه يستأهل ان يعبدمع كونه بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر جعل محمد عيسى شبها لآدم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فى كونه بشرا يوهم كونه مستحقا للعبادة وعلى هذا معنى يصدّون يضجون بفتح الياء ويصيحون والضمير فى ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم يقال اضج القوم اضجاجا اذا جلبوا وصاحوا واذا جزعوا من شئ وغلبوا قيل ضجوا يضجون ضجيجا كذا فى الصحاح فعلى هذا قوله يضجون فرحا ينبغى ان يكون بضم الياء من باب الافعال فلما رأى المشركون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ولم يجب ابن الزبعرى صدّوا ورفعوا اصواتهم فرحا وظنوا انه صلى الله عليه وسلم صار ملزما بجدله على ماجرت العادة به من ان احد الخصمين اذا انقطعت حجته وصار مغلوبا اظهر الخصم الآخر الفرح والضجيج ﴿قوله وقيل هما لغتان﴾ فى الصحاح صدّ يصدّ صديدا اى اضج وصاح ﴿قوله اى آلهتنا خير عندك﴾ لما اختلف فى ان ابن مريم بمن ضرب مثلا فقيل انه جعل مثلا للاصنام وقيل للملائكة وقيل لمحمد عليهما الصلاة والسلام ذكر لقوله تعالى آلهتنا خيرام هو وجوها ثلاثة مرتبة على ترتيب اللف وجعل ضمير ام هو على الوجهين الاوّلين لعيسى عليه الصلاة والسلام وفى الوجه الثالث لمحمد عليه الصلاة والسلام وضربوا المثل بينه وبين آلهتهم استهزاء لاتمييزا للحق من الباطل ﴿قوله ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل﴾ والغلبة فى القول يعنى ان انتصاب جدلا على انه مفعول له للضرب وقيل هو مصدر فى موضع الحال اى الا مجادلين مخاصمين بالباطل لاتمييز بين الحق والباطل وكونه لاجل الجدل ظاهر اما على الوجه الاوّل فلانهم قد علموا ان المراد بقوله تعالى وماتعبدون هؤلاء الاصنام بشهادة المقام لانهم انما يعبدون الاصنام وكذا قوله عليه الصلاة والسلام «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم» اذ المراد بجميع الامم الذين هم عباد الاصنام الاان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه لما رأى كلام الله تعالى وكلام رسوله يعمان العقلاء وغيرهم بحسب الظاهر مع علمه بان المراد منه الاصنام انتهز الفرصة وجادل بالباطل فصرف معناه الى الشمول والتناول لكل معبود سوى الله تعالى وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل على ان الآية خاصة بالاصنام وعبادهم على ان ظاهر قوله تعالى وماتعبدون لغير العقلاء واما على الثانى فلان المشركين يعلمون ان عبادة النصارى للمسيح لم تكن بحكم الله تعالى وانما تمسكوا فى كونها بحكم الله عز وجل بكونهم اهل الكتاب ولايلزم ان يكون جميع مايفعله اهل الكتاب موافقا للكتاب فان النصارى انما عبدوه زاعمين ان الولد لابدّ له من اب واذ لم يكن اب من البشر علمنا انه ابن الله وانه يستحق لأن يعبد ومن المعلوم ان الولد من غيراب من البشر لايقتضى كون الولد ابن الله تعالى كآدم وحوآء عليهما الصلاة والسلام واما على الثالث فظاهر لان شيأ من افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله لايوهم كونه داعيا الى عبادة نفسه فكيف يقولون ان محمدا يريد ان نعبده كاعبد المسيح ﴿قوله وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة﴾ سوآء اوردت على قوله تعالى وماتعبدون من دون الله حصب جهنم بان المسيح قدعبد من دون الله مع انه ليس من اهل النار او على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان يقال انه عليه الصلاة والسلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح فان معنى قوله تعالى ان هو الاعبد أنه عبد كسائر العبيد فلا يستحق ان يعبد مع انا اصطفيناه وانعمنا عليه بالنبوّة وبعثناه يدعو الناس الى توحيد الله تعالى وطاعته فكيف يصح له ان يدعو الناس الى طاعة نفسه وان يكون من اهل النار ومن عبده فانما يعبد من سوّل له عبادته ولايعبده حتى يقال انه قدعبد فينتقض الايراد بان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ومن جملة ماانعمنا به عليه انا جعلناه مثلا اى عبرة عجيبة وآية بديعة كالمثل السائر لبنى اسرآئيل حيث خلقناه من غيراب كما خلقنا آدم من غيرابوين فهو مثل لهم يشبهون به مايرون من عجائب صنع الله تعالى فلاينكرونه ثم خاطب كفار مكة فقال ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة اى لونشاء لولدنا منكم يارجال مكة ملائكة كما ولدنا عيسى من غيراب اولونشاء اهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة فى الارض يكونون خلفا منكم كما يخلفكم اولادكم فان كلمة من قدتكون للبدل تقول اخذت هذا من ثوبى اى بدلا منه

بقوله تعالى ولو نشاء مرتبط بقوله وجعلناه مثلا وامرا عجيبا اى ولو نشاء لجعلنا منكم عبرة اعجب من خلق عيسى
من غيراب دلالة على قدرتنا على عجائب الامور وتخصيص الملائكة بالذكر للاشعار بالرد على من يزعم
ان لهم استحقاق الالوهية والعبادة وانهم بنات الله عزوجل ووجه الاشعار انهم على تقدير ان يخلقوا توليدا
لا يتولدون الا من اجسام والجسم لايتولد الا من الجسم فما يكون جسما متولدا من جسم كيف يستحق الالوهية
و الانتساب الى الله تعالى ﴿قوله لان حدوثه او نزوله الخ﴾ اشارة الى ان المعنى وان حدوثه او نزوله سبب
العلم بدنو الساعة بتقدير المضاف فى الموضعين ان كان المقدر اولا الحدوث والنزول فانهما سببان للعلم بدنو الساعة
لا لنفسها وان كان المقدر اولا الاحياء لايحتاج الى تقدير المضاف الآخر لان احياء الموتى لايدل على دنو الساعة بل
يدل على نفسها قرأ العامة لعلم بكسر العين وسكون اللام سمى المضاف المقدر علما لها مبالغة لكونه سببا للعلم بها
و بدنوها والثنية الطريق فى الجبل ﴿قوله ثم يقتل الخنازير﴾ الظاهر انه كناية عن منع الانتفاع بجميع ماهو
محرم فى شريعتنا واجراء جميع احكام هذه الشريعة فى جميع الانام بقتل من خالفها ﴿قوله الا من آمن به﴾ اى
بمحمد صلى الله عليه وسلم قال عليه افضل الصلاة والسلام *ليوشكن ان ينزل فيكم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويدفع الجزية وتهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام* ﴿قوله واتبعوا هداى او شرعى﴾ احتيج الى
تقدير مايضاف الى ياء المتكلم على ان يكون قوله واتبعون قول الله تعالى لان اتباع ذات الله تعالى مما لايتصور
بخلاف ما اذا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم بان أمر بان يقوله اى قل فاتبعون فلا يحتاج حينئذ الى تقدير شئ
قبل المنصوب بقوله اتبعون ﴿قوله الذى ادعوكم اليه﴾ وهو الاتباع المدلول عليه بقوله واتبعون وهذا
هو المعنى سواء كان القائل هو الله تعالى او رسوله وان جعل ضمير وانه للقرءآن يجوز ان يكون هذا اشارة اليه ايضا
﴿قوله تعالى ولأبين﴾ اللام فيه متعلق بمحذوف اى وجئتكم بها لابين لكم بين اولا ماجاءهم به ثم بين ما لاجله
جاءهم به *ولما ورد ان يقال هلا بين كل الذى يختلفون فيه *اشار الى جوابه بقوله وهو مايكون من امر الدين ﴿قوله
الفرق المتحزبة﴾ يقال حزب قومه فتحزبوا اى جعلهم احزابا اى فرقا وطوائف فكانوا كذلك كالنصارى فانهم
اختلفوا فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وصاروا بعده طوائف ثلاثا منهم النسطورية وهم قالوا المسيح ابن الله
ومنهم اليعقوبية وهم قالوا ان الله هو المسيح ومنهم المثلثة وهم قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامه ابيه فعلى هذا
ضمير من بينهم للنصارى فقط من جملة بنى اسرآئيل لان كل حزب من هذه الفرق الثلاث انما هو من جملة النصارى
واما ان اريد بالاحزاب اليهود والنصارى بناء على انهما تحزبا فى امره عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود لعنهم
الله زنت امه فهو ولد الزنى وقالت النصارى انه ابن الله فضمير من بينهم حينئذ لجميع بنى اسرآئيل فانه عليه الصلاة
والسلام بعث اليهم بالنبوة فخاطبهم جميعا بقوله قد جئتكم بالحكمة فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه واصر على
اليهودية قائلا بتأبيد دين موسى عليه الصلاة والسلام واليه الاشارة بقوله من بين قومه المبعوث هو اليهم وقيل
من زآئدة فالمعنى فاختلف الاحزاب بينهم على ان ضمير بينهم للاحزاب ﴿قوله تعالى من عذاب يوم اليم﴾
اى اليم عذابه كقوله فى يوم عاصف اى عاصف ريحه فقوله تعالى فلما جاء عيسى بالبينات الى قوله فاختلف الاحزاب
من بينهم كالتفصيل لقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه لما ضربوا ابن مريم مثلا لمن عبد من دون الله رد الله تعالى عليهم
فى اتخاذهم اياه معبودا بانه عبد لامعبود غاية الامر انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا يشبهون به مايرون من
الامر العجيب فلا يستبعدونه من قدرة الله تعالى ثم بين مقالته حين ماجاء قومه بالبينات وهى قوله قد جئتكم
بالحكمة لابين لكم ماتختلفون فيه من امر دينكم فاتقوا الله ولا تخالفوا دينه واطيعون فيما ابلغه عنه وهو امر ان
اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرآئع فمن كان حاله ومقاله هكذا كيف يتوهم فيه مايقوله النصارى فى حقه من كونه
مستحقا لان يعبد من دون الله مع ان جل همته الدعوة الى عبادة الله تعالى وتوحيده الا انا ماجعلناه مثلا بان خلقناه
من غيراب اختلفوا فى امره فصاروا فرقا ثلاثا فقالوا فيه ماقالوا بزعمهم الباطل وهو برئ منه ﴿قوله الضمير
لقريش﴾ فانه تعالى لما حكى عنهم ان منهم من ضرب ابن مريم مثلا ومنهم من فرح به ووقع فى الصديد ورفع
الاصوات شرع فى وعيدهم بانهم استحقوا بذلك عذابا شديدا وانه لايمنعهم من ذلك العذاب الاعدم قيام الساعة اى
الساعة التى يحاسب فيها المكلفون ويجازى كل امرء بما كسب وانها تأتيهم لامحالة فكانوا ينتظرونها ﴿قوله غافلون
عنها﴾ اشارة الى جواب مايقال مافائدة قوله وهم لايشعرون بعد قوله بغتة مع انه يؤدى مؤداه ويغنى عنه

عليه وقرئ لعلم اى علامة ولذكر على تسمية
مايذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده
حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس
والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام
فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد
عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل
النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرءآن
فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها
(فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون)
واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل
هو قول الرسول امر ان يقوله (هذا) هذا
الذى ادعوكم اليه (صراط مستقيم) لايضل
سالكه (ولا يصدنكم الشيطان) عن المتابعة
(انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بان
اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما
جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات او بآيات
الانجيل او بالشرآئع الواضحات (قال قد
جئتكم بالحكمة) بالانجيل او بالشريعة
(ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه)
وهو مايكون من امر الدين لا مايتعلق بامر
الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال
عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم (فاتقوا
الله واطيعون) فيما ابلغه عنه (ان الله هو ربى
وربكم فاعبدوه) بيان لما امرهم بالطاعة
فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرآئع
(هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع
الامر وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه
وسلم او استئناف من الله يدل على ماهو المقتضى
للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق
المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى او اليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث هو اليهم
(فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من
عذاب يوم اليم) هو القيامة (هل ينظرون
الا الساعة) الضمير لقريش او للذين ظلموا
(ان تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل
ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة
(وهم لايشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم
بامور الدنيا وانكارهم لها

(الاخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون) حكاية لماينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو اى الذى آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهى الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص مايعد من الزوآئد فى التنعم والتلذذ (وانتم فيها خالدون) فان كل نعيم زآئل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وقرئ ورثتموها شبه جزآء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها اوالجنة صفة تلك والتى خبرها اوصفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة

وتقرير الجواب ان مجيء الشيء بغتة اى فجأة يكون على وجهين الاول اى يجيء مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له والتفصى عن شدآئده الا انهم لايعرفون خصوص الوقت الذى يجيء فيه فهو فى اى وقت اتى يأتى بغتة والثانى انه يجيء والقوم غافلون عن اصل وقوعه مشتغلون بافعال من ينكر وقوعه رأسا غير مهيئين له بوجه ما والمراد باتيان الساعة بغتة ههنا اتيانها حال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد اتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية احترازا عن اتيانها بغتة على الوجه الآخر ﴿قوله يتعادون يومئذ﴾ اشارة الى ان يومئذ معمول لقوله عدو وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه اى يوم اذ تأتيهم الساعة لما ذكر الله تعالى مجيء الساعة بغتة ذكر عقبه بعض مايتعلق باحوال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الذين تكون الخلة الواقعة بينهم على الايمان والتقوى فان خلتهم لاتنقلب عداوة لانهم يشاهدون ثواب ماتعاونوا عليه من الطاعات فتزداد محبة كل واحد منهم لصاحبه فضلا عن ان تنقلب عداوة بخلاف العصاة ﴿قوله حكاية لماينادى به المتقون﴾ يعنى لفظ العباد وان كان يطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى الا ان المراد به المتقون خاصة بقرينة ذكره عقيب الآية السابقة مع ان عادة القرآن العظيم جارية على تخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين وفى الآية تشريف عظيم لهم من وجوه الاول انه سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة والثانى انه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده اضافه عليه الصلاة والسلام الى نفسه بالعبودية له فى حكاية تشريفه اياه ليلة المعراج والثالث انه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن حين يفزع الخلائق روى ان الناس حين يبعثون يفزع كل احد منهم فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤسهم منتظرين روحا وكرامة من ربهم الكريم فيتبعها قوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة وقوله انتم اكد المرفوع المتصل فى قوله ادخلوا بالمنفصل ليصح عطف الاسم الصريح عليه وهو قوله وازواجكم وتحبرون فى موضع النصب على الحالية اى مسرورين يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره والحبار الاثر وقد احبر به اى ترك به اثرا ﴿قوله او تزينون﴾ من قولك حبرته حبرا اذا حسنته وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه ويقال فلان حسن الحبر والسبر وحسن الحبر والسبر بالكسر والفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وقال الزجاج تحبرون اى تكرمون اكراما بالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل اى فى الوصف بالجميل ولما ذكر الجنة وانها موضع الحبور ذكر مافيها من النعم فذكر اولا المطاعم بقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب فيها الاطعمة ثم ذكر المشارب بقوله واكواب فيها الاشربة ثم انه تعالى لما فصل مافى الجنة بعض التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم ذكر تمام النعمة فقال وانتم فيها خالدون حذف العائد الى الموصول فى قوله ماتشتهى الانفس اى ماتشتهيه الانفس ومعناه ماتطلبه القلوب من شهواتها وتلذ الاعين اى تستلذه بنظرها وهذا حصر لانواع النعم لانها امامشتهاة فى القلوب واما مستلذة فى العيون ﴿قوله تعالى وتلك﴾ مبتدأ وقوله الجنة خبره والتى اورثتموها صفة الجنة اوالجنة صفة لتلك والتى اورثتموها خبر المبتدأ او التى اورثتموها صفة بعد صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلقة بمحذوف اى مستحقة به وفى الوجه الاول تتعلق الباء بمحذوف ﴿قوله لانه يخلفه عليه العامل﴾ اى لان الشأن ان العامل يخلف العمل بعد ذهابه ويستولى عليه ماينسب الى ذلك العمل من الجزآء كما يخلف الوارث المورث ويستولى على ماينسب اليه من امواله واملاكه بعد موته فكان العمل كالمورث والعامل كالوارث وجزآء العمل كالميراث فلما شبه الجزآء بالميراث استعير له اسم الميراث ثم اشتق منه اورثتموها استعارة تبعية ﴿قوله ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم﴾ يعنى انه تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا فى ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهذا السبب كرر ذكر التنعم بها تكميلا لرغباتهم فى الجنة ومايؤدى اليها من الاعمال الصالحة وتقوية لدواعيهم ﴿قوله بعضها تأكلون﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله منها تأكلون للتبعيض جيء بها للدلالة على كثرة ثمار الجنة وبقاء اعقابها فى شجرها بعد الاخذ فان اشجار الجنة مزينة بالثمار ابدا لايرى فيها شجرة عارية من ثمرها كما فى الدنيا فان اى ثمرة من ثمار الجنة تؤخذ نبت مكانها مثلها او اكثر ثم انه تعالى لما ذكر وعده فى حق المتقين اردفه بذكر وعيد المجرمين فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون واحتجت المعتزلة

بهذه الآية على القطع بخلود الفساق فى النار فقالوا لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب ان يكون كل واحد من الفريقين يخلد فى عذاب جهنم لقوله لا يفتر عنهم وقوله وهم فيه مبلسون وخالدون والمصنف اشار الى الجواب بان حمل المجرمين على الكافرين الكاملين فى الاجرام وعلله بانه تعالى جعل المجرمين قسيم المؤمنين بالآيات حال كونهم مخلصين فكل من آمن بالاخلاص يدخل تحت قوله تعالى ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون والفاسق من اهل الصلاة قد آمن بالله وآياته واسلم اى اخلص فى ايمانه فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد وهو يستلزم ان يكون المراد بالمجرمين الكفار وان يكون الوعيد المذكور مختصابهم ويدل عليه ايضا انه تعالى حكى عنهم ما يختص بالكفار وهو الكراهة للحق وقد حكاها الله تعالى عنهم بعد هذه الآية بقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والكراهة للحق مختصة بالكفار لان المراد بالحق اما الاسلام واما الرسول واما القرآن والمسلم لا يكره شيأ من ذلك فثبت ما قبل الآية وما بعدها يدلان على ان المراد بالمجرمين الكفار ﴿قوله آيسون من النجاة﴾ الجوهرى ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل والابلاس ايضا الانكسار والحزن يقال ابلس فلان اذا سكت غما فالمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من الفرج ﴿قوله وهم فصل﴾ عند البصريين وفائدته ان يفرق بين الخبر والصفة فانك اذا قلت زيد القائم ربما يتوهم السامع كون القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فلما جئت بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون ما بعدها خبرا لا صفة لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به والكوفيون يسمونها عمادا لكونها حافظة لما بعدها من ان تسقط عن الخبرية كعماد البيت فانه يحفظ سقف البيت من السقوط ﴿قوله مكسورا ومضموما﴾ وجه الكسر جعل المحذوف لاجل الترخيم فى حكم الثابت كما ذهب اليه الاكثرون ومن جعل الباقى بعد الترخيم اسما برأسه يقول يامال بضم اللام لكونه منادى مفردا معرفة ﴿قوله والمعنى سل ربنا﴾ يعنى ان طلب القضاء وان كان متوجها اليه تعالى ظاهرا الا ان المطلوب من حيث المعنى ان يسأل مالك خازن النار منه تعالى ان يميتهم فيستريحوا عما هم فيه من العذاب والا لكان نداء مالك ضائعا خاليا عن الفائدة روى انه يلقى على اهل النار الجوع بحيث يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك قيل فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم اربعين سنة وقيل لا يجيبهم مائة سنة وقيل الف سنة ثم يجيبهم ويقول انكم ماكثون مقيمون فى العذاب ويحتمل ان يكون المجيب هو الله تعالى كما قال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله يعنى ان قوله لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قرآءة من قرأ لقد جئتكم بالحق فان كان ما قبله مقولا له تعالى يكون هو من تتمة الجواب من حيث انه كالعلة للجواب بقوله انكم ماكثون وان كان ما قبله مقولا لمالك يكون هو جوابا منه تعالى بعد تمام جواب مالك ﴿قوله ولكن اكثركم﴾ اى كلكم لان الكفرة كلهم كارهون للحق اما طبعا او تقليدا ﴿قوله وهو لا ينافى ابلاسهم﴾ جواب عما يقال قد وصفهم الله تعالى آنفا باليأس من النجاة فكيف يطمعونها وينادون مالكا بذلك* وتقرير الجواب ان النداء المذكور انما ينافى وصفهم باليأس ان لو كان طلب الاماتة على وجه الترجى وليس كذلك بل هو على وجه التمنى وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا قضية ان لا خلاص لهم من ذلك العقاب فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء ثم انه تعالى لما ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم فى الدنيا فقال ام ابرموا امرا فانا مبرمون فام فيه منقطعة اضرب عن ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة الى ذكر حالهم فى الدنيا والابرام احكام الامر واتقانه اى بل احكموا امرا فى تكذيب الحق ورده او فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل نزلت فى تدبير كفار مكة فى المكر به عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ﴿قوله والعدول عن الخطاب﴾ يعنى انه تعالى خاطب كفار قريش حال نسبة كراهة الحق اليهم واخبر عنهم بطريق الغيبة حال نسبة ابرام المكر اليهم للاشعار بان الثانى اقبح من الاول لان الالتفات الى الغيبة فى مقام المخاطبة يكون لتحقير المخاطب واسقاطه من صلاحية المخاطبة معه فلما اوثرت هذه الطريقة فى نسبة الابرام اليهم اشعر ذلك بكونه اسوأ من كراهتهم ﴿قوله اوام احكم المشركون﴾ عطف على قوله ام ابرموا فى تكذيب الحق فاعل ابرموا على الاول الكفار الذين عبر عنهم بقوله تعالى ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون علل مكثهم وخلودهم فى النار اولا بكراهتهم للحق ثم اضرب عنه الى الاخبار بانهم لم يقتصروا على كراهة الحق بل ابرموا امرا فى تكذيبه ورده كأنه قيل ابرم هؤلاء الذين هم للحق كارهون امرا يقدرون انهم يكيدون به الحق ويبطلونه

(ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يختص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به (لا يفتر عنهم) لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) لا خلاص لكم بموت ولا غيره (لقد جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن اكثركم للحق كارهون) لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح (ام ابرموا امرا) فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته (فانا مبرمون) امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله

بالجدل فانامبرمون امرا فى ابطال كيدهم باظهار الحق و اثابة من اتبعه و تعذيب من خالفه ﴿ قوله تناجيهم ﴾
اى التكلم فيمابينهم على وجه المسارّة وترك المجاهرة و السرّ ماحدّث به نفسه و لم يكلم به غيره لاسرّا و لاجهرا ثم انه
تعالى اوجب المنفى المذكور فقال بلى اى بلى يسمعهما و يطلع عليهما و مع ذلك فالحفظة ملازمون يكتبون ذلك لما
قال بعض المشركين الملائكة بنات الله نزل قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اوّل العابدين تبكيتا لهم حيث
ادّعى الملازمة بين كينونة الولد له تعالى وكونه عليه الصلاة والسلام اوّل العابدين له اى ان كان ذلك وصح و ثبت
ببرهان صحيح فانا اوّل من يعظم ذلك الولد و اسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه و من
المعلوم ان اللازم منتف فانه عليه الصلاة والسلام اشدّ الناس نفرة من ان يعظم احدا على زعم انه ولد الله تعالى فيستدل
بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ﴿ قوله فان النبي يكون اعلم بالله الخ ﴾ اثبات و تعليل للملازمة المذكورة
﴿ قوله ولايلزم من ذلك ﴾ اى من تعليق كونه عليه الصلاة والسلام اوّل العابدين لذلك الولد كينونة الولد
و اتى بكلمة ان التى حقها ان تستعمل فى حق تعليق المحتمل بالمحتمل لكون كل واحد من كينونة الولد و عبادته له
عليه الصلاة و السلام من الامور المحتملة الوقوع لان صدق الشرطية لايستلزم صدق المقدم ولا كونه من الامور
المحتملة اذ المحال قد يستلزم محالا آخر كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكذا كينونة الولد له تعالى مما
يستحيل فى نفسه مع انه يستلزم ان يكون عليه الصلاة والسلام اوّل من يعبده من قريش ففرض وقوعها و حكم
بكونها مستلزمة لمحال آخر تبكيتان لمن زعم وقوعها و افحاماله ﴿ قوله بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه ﴾ فان
الشرطية المذكورة تدل على نفى كل واحد من كينونة الولد له تعالى و من عبادته عليه الصلاة و السلام لذلك
الولد اما دلالتها على نفى الولد فمن حيث انها مستلزمة لعبادته عليه الصلاة و السلام له و من المعلوم ان هذا اللازم
منتف فعلم من انتفائه انتفاء الملزوم و هو كينونة الولد له تعالى فثبت به ان الشرطية قد دلت على نفى الولد بواسطة ان
يضم اليها استثناء نقيض التالى فان استثناءه ينتج نقيض المقدم و اما دلالتها على نفى عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك
الولد المفروض كينونته فمن حيث ان تلك العبادة قد علقت بالمحال و جعلت مسببة عنه و من المعلوم ان الموقوف
على المحال محال ﴿ قوله و الدلالة ﴾ معطوف على قوله نفيهما اى بل المراد نفيهما و الدلالة على ان انكاره
للولد ليس لعناد بل مبنى على النظر و الاستدلال حيث استدل على نفيه بانه لو كان له ولد لكان هو عليه الصلاة
و السلام اولى الناس بتعظيمه و الاعتراف به بناء على استحالة ان يكون الاعرف بالله تعالى و بما يصح له و ما لايصح
و الاولى بتعظيم مايوجب تعظيمه تاركا له شديد النفرة عنه ﴿ قوله و قيل ﴾ اى و قيل ليس المعنى ان كان
للرحمن ولد و ثبت ذلك ببرهان قاطع و حجة واضحة فانا اوّل من يعظمه تعظيما لله تعالى بل المعنى ان زعمتم ان له تعالى
ولدا فانا اوّل من كذبكم وخالفكم فى زعمكم الباطل و وحد الله وخصص العبادة به تعالى او فانا اوّل من انف منه و من
عبادته على ان يكون العابد من العبد بمعنى الغضب يقال عبد يعبد عبدا فهو عابد و عبد اذا انف وغضب و فى الصحاح
العبد بالتحريك الغضب و الانف يقال عبد اى انف قال ابو عمرو و قوله فانا اوّل العابدين من الانف و الغضب والمعنى
ان كان للرحمن ولد كما تزعمون فانا اوّل من غضب للرحمن ان يقال له ولد و قيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد
فأنا اوّل من قال بذلك و عبد و وحد و لم يرض بالقولين الاوّلين لانه ليس لزعمهم ذلك مدخل فى كونه عليه الصلاة
و السلام اوّل العابدين لله تعالى الموحدين له و لا فى كونه عليه الصلاة و السلام اوّل الانفين منه فانه عليه الصلاة
و السلام سوآء اثبتوا لله ولدا و لم يثبتوا عابد لله تعالى موحد له و انف من اثبات الولد له فلم يكن للتعليق وجه
و فائدة وكذا لاوجه لكون ان نافية بمعنى ما كان لان الاخبار بقوله فانا اوّل العابدين بالفاء السببية الواقعة بعد
كلمة ان يستدعى ان يكون مابعد الفاء مرتبا على ماقبلها بان تكون للشرط و الجزآء فجعل ان فى مثل هذا الموضع
نافية خلاف الظاهر ﴿ قوله و هو دلالة ﴾ اى قوله تعالى فذرهم يخوضوا دليل على ان قولهم الملائكة
بنات الله و ان لله ولدا على ماروى ان النضر بن عبد الدار قال ان الملائكة بنات الله فنزلت جهل باطل
و قوله تعالى و يلعبوا دليل على ان ذلك القول اتباع هوى و قوله تعالى حتى يلاقوا الخ دليل على انهم مطبوع
على قلوبهم و المعنى قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ماقالوا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم فى اتباع الهوى
وحب الرياسة فاتركهم فى ذلك الباطل و اللعب حتى يصلوا الى يوم الجزآء فانهم ان لم يهتدوا بدعوتك و تبليغك
فقد حصل بها الزام الحجة و ازالة المعذرة فلا فائدة بعده فى تكرار الدعوة و الاستمرار فلم يبق الا تخليتهم و شأنهم

(قوله)

(ام يحسبون انا لانسمع سرّهم) حديث
نفسهم بذلك (ونجواهم) تناجيهم (بلى)
نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم)
ملازمون لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان
للرحمن ولد فانا اوّل العابدين منكم) فان النبي
يكون اعلم بالله و بما يصح له و ما لايصح و اولى
بتعظيم مايوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد
تعظيم ولده ولايلزم من ذلك صحة كينونة
الولد و عبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال
بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة
مشعرة بانتفاء الطرفين و ان هنا لاتشعر به
ولا بنقيضه فانها لمجرّد الشرطية بل الانتفاء
معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه
والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد و مرآء
بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل
معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اوّل العابدين
لله الموحدين له او الانفين منه او من ان يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتدّ انفه او ما كان
له ولد فانا اوّل الموحدين من اهل مكة و قرأ
حمزة و الكسائى ولد بالضم (سبحان رب
السموات والارض رب العرش عما يصفون)
عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها
اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر
الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها
وخالقها (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم
(ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم
الذى يوعدون) اى القيامة و هو دلالة على
ان قولهم هذا جهل و اتباع هوى و انهم
مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة

﴿قوله والظرف متعلق به﴾ يعنى ان فى السماء متعلق بقوله اله لانه فعال بمعنى مفعول من قولهم اله بفتح اللام الاهة اى عبد عبادة وفعال بمعنى مفعول كثير نحو كتاب وامام وقولنا الله اصله الاه فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دورانه فى الكلام فمن قرأ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله جعل الظرف متعلقا بقوله الله لان اصله اله والاله فى الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق فهو فى الاصل بمعنى المعبود وباعتبار الغلبة متضمن معناه وعلى التقديرين يصلح عاملا فى الظرف ﴿قوله والراجع مبتدأ محذوف﴾ لما ورد ان يقال صلة الذى لابدّ ان تكون جملة وليس فى الآية سوى قوله فى السماء اله فان جعلت قوله فى السماء متعلقا باله ولم تقدر شيأ لم تنعقد جملة وان جعلت اله مبتدأ وفى السماء خبره تنعقد جملة لكنها تكون خالية عن العائد وتكون مثل قولك هو الذى فى الدار زيد فلا وجه تصحيح الكلام * اجاب عنه بان تقدير الكلام وهو الذى هو فى السماء اله حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد الى الموصول وحذف العائد الى الموصول لطول الصلة بمعمول الخبر فان فى السماء متعلق باله وزاد الكلام طولا اذ المعطوف داخل فى حيز الصلة ﴿قوله ولا يجوز جعله﴾ اى لا يجوز جعل الظرف الذى حكم عليه بانه متعلق بالخبر خبرا لقوله اله لان الجملة حينئذ تبقى بلا عائد لكن لو جعل الظرف المذكور صلة للموصول وجعل اله خبر مبتدأ محذوف لجاز لان الظرف لاشتماله على العائد يصلح صلة وحينئذ تكون جملة هو اله لبيان ان كونه تعالى فيهما انما هو بالالوهية والربوبية دون الاستقرار ﴿قوله وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية﴾ وذلك لان الموصول مع صلته وقع خبرا لقوله وهو ومثل هذا التركيب يفيد الحصر لما تقرر من ان الخبر المعرّف تعريف الجنس قد يفيد حصر الجنس فى المبتدأ نحو عمر الشجاع اى الكامل فى الشجاعة كأنه لا اعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال ﴿قوله كالدليل عليه﴾ لان قوله وهو الحكيم العليم لما دل على اختصاص الالوهية به تعالى ايضا لان اختصاص لوازم الالوهية يستلزم اختصاص نفس الالوهية به فثبت به بطلان قول من قال الملائكة الكائنون فى السماء بناته والمسيح الكائن فى الارض ابنه ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر الخ﴾ اختار قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائى فانهم قرأوا يرجعون بالياء من تحت ليوافق ماقبله فانه عبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله ام ابرموا امرا الى هنا والباقون بالتاء من فوق وهو فى كليهما على بناء المفعول وقرئ بتاء الخطاب على بناء الفاعل ايضا وتبارك يحتمل ان يكون مشتقا من البركة بمعنى الثبات والبقاء او من البركة بمعنى كثرة الخير مثل كونه خالقا للسموات والارض ومابينهما فان من اختص به ملك السموات والارض ومابينهما يكون واجب الوجود لذاته ثابتا باقيا ازلا وابدا ويكون كثير الخير ايضا وعلى التقديرين يكون منزها عن ان يتخذ ولدا لان الولد لابدّ ان يكون من جنس الوالد ولا شئ فى الموجودات من هذا شأنه الا الله الواحد القهار ثم انه تعالى لما اطنب فى نفى الولد عنه تعالى اردفه بذكر ان لا شفاعة لمعبودهم عند الله فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى منهم عيسى وعزيرا والملائكة عليهم الصلاة والسلام فقال الا من شهد بالحق فانهم عبدوا من دون الله ولهم عند الله شفاعة ومنزلة ومعنى قوله شهد بالحق اى بانه لا اله الا الله وحده وهم يعلمون بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وفيه دليل على انه لا يتحقق ايمان ولا شهادة حتى يكون ذلك عن علم بالقلب لانه تعالى شرط مع الشهادة العلم وقيل معنى الآية لا يملك الشفعاء ان يشفعوا الا لمن شهد بالحق وهو المؤمن المخلص فحذف اللام او اوصل الفعل او الا شفاعة من شهد بالحق فحذف المضاف ﴿قوله ونصبه﴾ قرآءة حمزة وعاصم بكسر اللام والباقون بفتحها وذكر المصنف لنصبه ثلاثة اوجه الاوّل العطف على سرّهم اى يحسبون انا لا نسمع سرّهم ونجواهم وقول محمد عليه افضل الصلاة والسلام شاكيا منهم والثانى العطف على محل الساعة فانها مفعول المصدر اضيف اليه كأنه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا والثالث كونه مفعولا مطلقا لفعله المضمر اى وقال قيله وشكا شكواه الى ربه والقال والقيل والقول بمعنى واحد ثم قيل الفعل المضمر معطوف على قولنا المضمر قبل قوله ولئن سألتهم اى قلنا له عليه افضل الصلاة والسلام ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فانى يؤفكون وقال قولا آيسا من ايمانهم وهو قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فعلى هذا يكون تقدير قوله فاصفح عنهم فقلنا له اصفح عنهم اى لما كان آيسا من ايمانهم امرناه بالمتاركة والاعراض الكلى ﴿قوله بتقدير مضاف﴾ اى وعنده علم الساعة وعلم قيله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله وقيل هو قسم منصوب بحذف حرف القسم﴾ وايصال الفعل اليه محذوفا كما فى قولك الله لأفعلنّ او مجرور باضماره

(وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما) كالهوآء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه ترجعون) للجزآء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ماعبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين او المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرّهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجرّه عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه

كما فى قولك الله لافعلن كأنه قيل واقسم قيله او بقيله و الواو فيه لعطف الجملة القسمية على الجملة الشرطية و هى قوله لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اومرفوع على انه من قبيل قولك لعمرك لافعلن فان تقديره لعمرك قسمى لافعلن وكذا تقدير الآية وقيله يارب قسمى و اقسام الله تعالى بقيله رفع منه تعالى و تعظيم لدعائه و التجائه و جواب القسم على الاوجه الثلاثة قوله ان هؤلاء قوم لايؤمنون و يجوز ان يكون الجواب محذوفا مثل لينصرن او لافعلن بهم ماارید ﴿قوله تسلم منكم ومتاركة﴾ يريد انه عليه الصلاة و السلام لم يؤمر بان يحييهم و يسلم عليهم بل انما امر بالمتاركة اى اذا ابيتم القبول فامرى التسلم منكم و المتاركة ﴿قوله على انه من المأمور﴾ اى على ان قوله فسوف تعلمون من الذى امر بان يقول لهم * تم هنا مايتعلق بسورة الزخرف و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على من لانبى بعده و على آله و صحبه اجمعين

﴿سورة الدخان ست او سبع و خمسون آية مكية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله والقرآن﴾ لم يفسر الكتاب المبين بجنس الكتب السماوية و لا باللوح المحفوظ لان ضمير انزلناه يرجع الى الكتاب وهذا الحكم مختص بالقرآن من بين الكتب فيكون الكلام من قبيل قوله * وثناياك انها اغريض * فى كونه من بدائع الاقسام من حيث كون المقسم به و المقسم عليه من واد واحد و ذلك لان المقصود من المقسم عليه و هو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة تعظيم القرآن بانه كثير البركة حتى جعل الليلة التى انزل فيها مباركة بنزوله فيها فلما اكده بجعل القرآن مقسما به فقد اثبت عظمته بعظمته فكانا من واد واحد ﴿قوله ان كان حم مقسما بها﴾ فيكون حم مجرور المحل باضمار حرف القسم و لايجوز ان يكون منصوب المحل بحذف الجار و ايصال الفعل اليه لانهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار و اضماره ان المضمر لايكون مذكورا لفظا و يكون اثره باقيا فى الكلام و المحذوف هو المتروك اصلا لابقاءله بحسب لفظه ولا بحسب اثره وههنا اثر الجار قائم فى حم بشهادة جر المعطوف عليه و هو الكتاب ﴿قوله و الافالقسم﴾ اى وان لم يكن حم مقسما بها سواء جعلت تعديدا للحروف او اسماللسورة مرفوع المحل على انها خبر مبتدأ محذوف او نحو ذلك بكون واو والكتاب المبين للقسم و وصف الكتاب بالمبين لكونه مشتملا على بيان مابالناس حاجة اليه فى دينهم و دنياهم و هو من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان المبين فى الحقيقة هو الله تعالى ﴿قوله فى ليلة القدر او البرآءة﴾ و هى ليلة النصف من شعبان سميت ليلة البرآءة و الصك لان الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البرآءة فى هذه الليلة كما ان من يجبى الخراج اذا استوفى الخراج من اهله يكتب لهم البرآءة و ذهب الاكثرون الى ان ليلة القدر تكون فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر و قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فعلم منهما ان ليلة القدر من ليالى شهر رمضان و روى ابو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه سئل اى ليلة هى فقال *التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان و اطلبوها فى كل وتر* و اكثرهم على انها السابعة و العشرون منه و اختلف المفسرون فى هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر و قال عكرمة و طائفة آخرون انها ليلة البرآءة و احتج الاولون بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه فى ليلة القدر و قال ههنا انا انزلناه فى ليلة مباركة فلو لم يكن المراد بالليلتين واحدا لزم التناقض و الثانى انه تعالى قال شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فوجب ان تكون الليلة المباركة من ليالى رمضان لامن ليالى شعبان و لانه تعالى و صف الليلة المباركة بقوله فيها يفرق كل امر حكيم و قال فى ليلة القدر تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر اى تتنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل و رزق و حياة و موت و قيل بكل امر من الخير و البركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامره و قال ههنا رحمة من ربك و قال فى تلك الآية سلام هى و اذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى و احتج الآخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء منها الليلة المباركة و ليلة البرآءة و ليلة الصك و ليلة الرحمة و بماروى انها مختصة بخمس خصال منها ماقاله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فظهر بهذين الوجهين ان الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان ﴿قوله ابتدئ فيها انزاله﴾ جواب عما يقال ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة مع انه تعالى انزله فى جميع الشهور ولياليها و ايامها و روى ان عطية الحرورى سأل ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر و قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع انه تعالى انزل القرآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا و وقع

(فاصفح عنهم) فأعرض عن دعواهم ايسا من ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

﴿سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع او تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) والقرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فالقسم والجواب قوله (انا انزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر او البرآءة ابتدئ فيها انزاله

هذا فى نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور فى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك فى انواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل الله القرآن فى ليلة القدر من ام الكتاب الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة ﴿ قوله وبركتها لذلك ﴾ اى لا لذاتها لان اجزاء الزمان متشابهة بحسب ذواتها فان الزمان عبارة عن مدة ممتدة تقدرها حركات الافلاك والكواكب وانه فى ذاته امر واحد متشابه الاجزاء فلا يكون بعض اجزائه افضل من البعض الآخر لذاته والالزم ترجح احد طرفى الممكن على الآخر لا لمرجح وانه محال فوجب ان يكون امتياز الليلة المباركة عن سائر اجزاء الزمان بمزيد القدر والشرف بسبب انه حصل فيها امر شريف له قدر عظيم بارادة الفاعل المختار فانه لا يبعد عن الفاعل المختار ان يخصص وقتا معينا بامر شريف ويميزه بذلك عن سائر الاوقات التى قبله وبعده ومن المعلوم ان امر الدين اعز واشرف من امر الدنيا وان اعظم الاشياء قدرا من بين امور الدين هو القرآن لانه ثبت به نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل فلما خص الله تعالى تلك الليلة بانزاله فيها كانت لذلك كثيرة الخير والبركة ولو لم يكن فيها الا انزال القرآن الذى فيه خير الدين والدنيا لكفى ذلك بركة وشرفا لها مع ان لها شرفا وقدرا عظيما من وجوه اخر كنزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعم والارزاق وفصل الاقضية روى ان الملائكة تنزل الى الدنيا ليلة القدر ومعهم جبريل بالرحمة من الله تعالى والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وروى عنه عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والعمل فيها بطاعة الله افضل من العمل فى الف شهر ليس فيه ليلة القدر اى من العمل فى ثلاث وثمانين سنة واربعة اشهر وليلة القدر سميت بذلك لكونها ليلة تقدير الاعمال والارزاق والآجال ومعنى تقديرها اظهار مقاديرها واثباتها فى النسخ ودفعها الى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل سميت بذلك لكونها ليلة العظمة وهى ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهى خير من الف شهر قال ابن عباس تقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم الى اربابها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وقيل يبدأ فى ليلة البراءة باستنساخ الامور من اللوح المحفوظ وكتب الكتب بارزاق العباد وآجالهم وجميع الامور الحكمة الواقعة فى تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قيل ليلة البراءة مختصة بخمس خصال الاولى تفريق كل امر عظيم والثانية فضيلة العبادة فيها روى انه عليه افضل الصلاة والسلام قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يرفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان * والثالثة نزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب * والرابعة حصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق لوالديه او مصر على الزنى * والخامسة انه تعالى اعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه عليه الصلاة والسلام سأل ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة فى امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلث ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله تعالى فى هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة ﴿ قوله استئناف يبين فيه المقتضى للانزال ﴾ اى ان قوله تعالى انا كنا منذرين يتبين به مقتضى اصل الانزال وقوله فيها يفرق كل امر حكيم يتبين به ما يقتضى اختصاص ذلك الانزال بليلة مباركة فان جواب القسم وهو قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة يتضمن معنيين الاول انزال القرآن والثانى وقوع ذلك الانزال فى الليلة المباركة فعلل الاول بقوله انا كنا منذرين اى نخوف الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى الايمان والطاعة وذلك يقتضى ارسال الرسول وانزال الكتاب وعلل الثانى بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اى محكم متقن لا يبدل ولا يغير على ان الحكيم بمعنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع او كل امر ذى حكمة ملتبس بها بان يكون وقوعه على مقتضى الحكمة فان ما بين وفصل فى تلك الليلة من الامور كالآجال والارزاق وغيرهما كائن لا محالة على وفق الحكمة البالغة ومقتضاها ولما كان انزال القرآن الكريم من اجل الامور اختص انزاله بفرق

او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل امر حكيم) فان كونها مفرق الامور الحكمة او الملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها

الامور الحكمية والحكيم حقيقة فاعل الامر لانفسه فجعل الامر حكيما من قبيل الاسناد المجازى وقيل ينسخ من اللوح المحفوظ فى هذه الليلة مايكون فى تلك السنة من ارزاق العباد وآجالهم وجميع احوالهم من الخير والشر حتى حج الحاج فيكتب فلان لايحج وفلان لايحج حتى مايكون فى تلك السنة من الخصب والرخاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال انك لتلق الرجل يمشى فى الاسواق وقد وقع اسمه فى الموتى وعنه عليه الصلاة والسلام قال منقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اجرى اسمه فى الموتى ﴿قوله وقرئ يفرّق بالتشديد﴾ لكثرة المفرّقات ويفرق على بناء الفاعل ونفرق بنون العظمة ونصب كل امر فى كل واحدة من قرآءة يفرق بالياء ونفرق بالنون والفاعل فيهما هو الله تعالى ﴿قوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا﴾ اشارة الى ان قوله امرا منصوب على الاختصاص اى على المدح بتقدير اعنى وان قوله من عندنا متعلق بمحذوف هو صفة امرا اى اعنى امرا حاصلا من عندنا وكائنا من لدنا وصف به الامر زيادة على تفخيم الامر وتعظيمه فخمه اوّلا بان وصفه بقوله حكيم ثم زاد فى تفخيمه بان نكره ونصبه على الاختصاص ووصفه بقوله من عندنا واشار الى وجوه زيادة الفخامة بقوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا ﴿قوله لانه موصوف﴾ تعليل لجواز كونه حالا من امر وهو نكرة ولاينتصب الحال من النكرة المختصة الامقدما عليها وليس تعليلا لكونه حالا من ضمير حكيم لانه معرفة ويرد على كونه حالا من امر انه يلزم مجيء الحال من المضاف اليه فى غير المواضع المذكورة ﴿قوله وان يراد به مقابل النهى﴾ عطف على مايفهم من الوجوه المتقدمة فانها مبنية على كون الامر بمعنى الشان واحد الامور وذلك لانه لاخفاء فى ان الامر فى قوله كل امر حكيم بمعنى الشان وان المعنى كل شان ذى حكمة اى مفعول على ماتقتضيه الحكمة فيكون الامر فى قوله امرا من عندنا بمعنى الشان ايضا ان نصب بتقدير اعنى او على ان يكون حالا من امر او ضميره لانه حينئذ يكون عبارة عن الامر الحكيم المذكور اوّلا فذكر احتمال ان يكون منصوبا بتقدير اعنى او على الحالية من امر او ضميره فى قوّة ذكر انه بمعنى الشان ايضا لان ذكر الملزوم فى قوّة ذكر اللازم فلذلك عطف عليه قوله وان يكون المراد به مقابل النهى ثم بين ان انتصابه على تقدير ان يكون المراد به مايقابل النهى اما على انه مفعول مطلق ليفرق او لفعله المضمر او على انه حال من احد الضميرين وكونه مصدرا ليفرق اما مبنى على ان المعنى فيها يفرق كل شان حكيم فرقا او يؤمر بكل ذلك امرا من عندنا وذلك لان معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم ان كل ذلك يؤخذ ويفصل ويستنسخ من اللوح المحفوظ وهو بمعنى فيها يؤمر بكل شان ذى حكمة لانه تعالى اذا قضى بالشيء وقدره اى اظهر قدره واثبته فى نسخ الملائكة فقد اوجبه كما اذا امر به فيكون فرقا وامرا بمعنى واحد فلذلك صح ان يوضع امرا موضع فرقا وان يوضع يفرق موضع يؤمر والمصنف اشار الى كونهما بمعنى واحد بقوله من حيث ان الفرق به اى من حيث انّ فرق الشان الحكيم من اللوح واثباته فى نسخ الملائكة يكون بايجابه والامر به فيكونان بمعنى واحد وان كان حالا من فاعل انزلناه او مفعوله يكون المعنى على الاوّل آمرين وعلى الثانى مأمورا وعلى التقديرين لايكون من عندنا صفة لامرا بل يكون متعلقا بيفرق او يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لامر اى آمرين امرا كائنا من عندنا ﴿قوله اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب﴾ ولما كان المبدل منه وهو قوله انا كنا منذرين استئنافا يقصد به تعليل الانزال كان المقصود بالبدل ايضا ذلك ولم يتعرّض للبدل منه اشعارا بكونه فى حكم الساقط وان المقصود هو المبدل وزاد قوله بالكتب ليصح كونه تعليلا للانزال ﴿قوله لاجل الرحمة عليهم﴾ اشارة الى ان انتصاب رحمة على انها مفعول له للارسال ولو جعل انتصابها على انها مفعول به لقوله مرسلين لكان له وجه غايته ان تجعل الرسل انفسهم رحمة للمبالغة الا ان المصنف لم يلتفت اليه لان المبدل منه لما لم يعتبر فيه تعلق الفعل بالمفعول به بل كان معناه انا كنا فاعلين الانذار كان المناسب ان لايعتبر تعلق الفعل به فى البدل ايضا ويكون معناه انا كنا فاعلين الارسال ليتطابق البدل والمبدل منه فى ان كل واحد منهما منزّل منزلة اللازم ﴿قوله او علة ليفرق او امرا﴾ عطف على قوله بدل اى ويحتمل ان يكون قوله انا كنا مرسلين استئنافا لبيان علة فرق كل شان حكيم من اللوح اى لبيان علة الامر به فقوله او امرا معناه او للفعل الناصب لقوله امرا على المصدرية او الحالية والمعنى امرنا بكل شان حكيم امرا او انزلنا القرآن آمرين لان شأننا ارسال الرحمة وعدم امساكها وكون شانه تعالى ذلك يصلح علة لفصل الامور الحكمية ولامره بها لان كل واحد منهما من باب الرحمة اما الاوّل فظاهر واما الثانى فلانّ المقصود الاصلى من تكليف العباد تعريضهم

ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة ومابينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون (امرا من عندنا) اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا وضميره المستكنّ فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا او رحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالٰهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لاتحق الا لمن هذه صفاته

لمنافع و الرحمة لهم وهذه صفاته لان توسيط ضمير الفصل مع تعريف الخبر من جلة طرق الحصر ففيه تعريض بان آلهتهم لاتسمع و لاتبصر وليس لهم مدخل في تربية شيء من الكائنات العلوية و السفلية فمن انتفى عنه لوازم الربوبية بالكلية كيف يكون ربا ﴿قوله خبر آخر﴾ فان غير الكوفيين قرأوا رب السموات بالرفع على انه خبر بعد خبر اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات اوعلى انه مبتدأ ولا اله الا هو خبره ﴿قوله اى ان كنتم من اهل الايقان في العلوم الخ﴾ يعني يجوز ان يكون قوله موقنين منزلا منزلة اللازم ولايعتبر تعلقه بمفعوله الغير الصريح وان يكون بمعني موقنين في اقراركم بان خالق هذه الاجرام هو الله تعالى بان يعتبر تعلقه بمفعوله ولكن حذف ذلك المفعول لدلالة المقام عليه و قوله علمتم ان الامر كما قلنا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف مدلول عليه بما ذكر قبل الشرط وليس الجواب نفس ماذكر قبل الشرط على رأى الكوفيين ولامضمونه المقدر بعده على رأى البصريين لان كونه تعالى رب السموات والارض ومابينهما امر محقق على جميع التقادير وليس تحققه موقوفا على بعض التقادير والاعتبارات حتى يصح تعليقه بكونهم موقنين فلما لم يجز ان يجعل كونه تعالى ربا لماذكر في نفس الامر معلقا وموقوفا على كونهم موقنين جعل المعلق على ذلك علمهم بما ذكر قبل الشرط اما العلم الواقع قبل ذكر الشرطية او العلم المطلق بذكرها الاان الايقان على الثاني يكون مجازا عن الارادة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب اى ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا كونه رب السموات و الارض ومابينهما او كونه واحدا لاشريك له على ان يكون الجواب المحذوف مادل عليه ماقبل الشرط اومابعده من قوله لااله الاهو ﴿قوله وقرئا بالجر﴾ يعني من قرأ رب السموات بالجر على انه بدل من ربك وهم الكوفيون قرأهما بالجر ايضا على انهما بدلان او عطفا بيان لرب السموات ومن رفعه رفعهما ايضا على انهما بدلان اونعتان له اوخبر بعد خبر لقوله انه اوخبر مبتدأ مضمر ﴿قوله رد لكونهم موقنين﴾ الا انه انتقل فيه الى طريق الغيبة تحقيرا لهم و اعراضا عنهم حين افرطوا في العناد ولم يقبلوا رسول من يقرون انه خالق السموات والارض ومابينهما ولا كتابه ووجه انتظام الآيات من اول السورة الى هنا انه تعالى عظم كتابه المبين بان جعله مقسما به و اكده الاخبار بانه هو الذي تفرد بانزاله في ليلة شريفة كثيرة الخير و البركة و علل تخصيص تلك الليلة بالانزال بكونها مفرق الامور الحكمية الحاصلة من عنده تعالى و علل نفس الانزال بان شأنه و عادته انذار المعاندين بالعذاب بان يرسل اليهم رسلا مؤيدين بالكتاب السماوى لاجل الرحمة عليهم و اقتضاء الربوبية اياه ثم وصف ذاته المكرم باوصاف جليلة تحقيقا لربوبيته وارشادا الى ان الربوبية لاتحقق الالمن هذه اوصافه وسلك في قوله ان كنتم موقنين و قوله ربكم ورب آبائكم سبيل الخطاب ايهاما لحميتهم و توبيخا عليهم بان انزال هذا الكتاب و ارسال هذا الرسول انما هو من قبل من تقرون به و تقولون انه خالق السموات والارض ومابينهما فمالكم لاتقبلونهما ولاتؤمنون بهما مع انكم تدعون انكم موقنون في هذا القول و الاقرار ومن ايقن به يلزمه ان يستيقن ان ملكوت كل شيء بيده وانه يرحم من اطاعه و ينتقم ممن عصاه فمالكم لاتخافون عذابه لاصراركم على مخالفته وعصيانه ثم التفت من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم في شك يلعبون تحقيرا لشأنهم و ابعادا لهم عن موقف الخطاب لكون شأنهم التزلزل و الامتراء وكون افعالهم الهزؤ واللعب لعدم التفاتهم الى البراهين القاطعة وعدم تمييزهم بين الحق و الباطل و الضار والنافع و لمابين ان شأنهم الحماقة و الطغيان وعدم قبول الحق و الانتفاع به التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له و اقناطا من ايمانهم و بيانا لكونهم من اهل العذاب و الخذلان لامن اهل الرحمة و الغفران فقال فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين قابل انزال الكتاب من السماء بانزال العذاب منها عليهم على ان قوله تعالى يوم تأتي السماء مفعول به لقوله ارتقب يقال رقبته و ارتقبته نحو نظرته و انتظرته و اختلف اهل التفسير في هذا الدخان فذهب ابن مسعود رضي الله عنه الى ان المراد به مااصاب قريشا من القحط وشدة الجوع حتى اكلوا الكلاب و الجيف و العظام المحرقة و ذلك انهم لماعاندوا و ابوا عن متابعة الحق وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال «اللهم اشدد وطأتك على مضر و اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فاصابهم ذلك بسبب دعائه عليه الصلاة و السلام و المصنف اختار هذا القول ثم اشار الى ان اطلاق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع اما كناية حيث اطلق اللازم و اريد الملزوم اومجاز مرسل حيث اطلق المسبب واريد السبب فان شدة القحط والجوع مستلزمة وسبب لان يرى الهوآء مظلما كالدخان امامن ضعف البصر من شدة الجوع واما لتكدر الهوآء بسبب غلبة اليبس على الارض وكثرة ماتصاعد منها الى الهوآء من الغبار المكدر واما لان العرب يجعلون الدخان و الظلمة استعارة للشر الغالب من حيث ان كل واحد منهما

(رب السموات و الارض ومابينهما) خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) اى ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لااله الاهو) اذلاخالق سواه (يحيي ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا (بل هم في شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه و بين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار اولان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب و عظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار

يمنع تمام الابصار والسماء لاتأتى بالقحط والمجاعة فاسناد اتيانهما اليها من قبيل اسناد الحكم الى سببه لانهما يحصلان بعدم امطار السماء ﴿قوله او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة﴾ عطف على قوله يوم شدة ومجاعة فعلى هذا يكون الدخان مستعملا في معناه الحقيقى وهو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار مع الدخان وليس فيه فرجة يخرج منها الدخان ﴿قوله يخرج من قعر عدن ابين﴾ في الصحاح ابين اسم رجل نسب اليه عدن فقيل عدن ابين ويقال فلان ابين من فلان اى افصح منه ﴿قوله او يوم القيامة﴾ عطف على قوله يوم شدة ايضا اى ويحتمل ان يكون المراد بالدخان نفس يوم القيامة كما يحتمل ان يراد معناه الحقيقى واطلاق الدخان على يوم القيامة من قبيل اطلاق اللازم وارادة الملزوم وهو يوم القيامة فانه لشدة اهواله يظلم العين بحيث لايرى الانسان فيه الا ما توجه الا الظلمة مستولية عليه وكأن الفضاء كله مملوء دخانا وانكر ابن مسعود رضى الله عنه ان يكون المراد بالدخان غير ما اصاب اهل مكة من شدة الجوع واحتج عليه بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فاذا حملناه على القحط الذى وقع بمكة استقام الكلام فانه روى ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من اصحابه وناشدوه الله والرحم وقالوا يارسول الله استسق الله لنا فقد اصابنا شدة وواعده ان دعا لهم وكشف الله تعالى عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما ازالها الله تعالى عنهم استمروا على شركهم ولم يؤمنوا واما اذا حملناه على ظهور علامة من علامات القيامة او على ظهور نفس القيامة فلا يصح ذلك لانه عند ظهور علامات القيامة او ظهور نفسها لايمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولايصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون لانه حينئذ ينقطع التكليف فلايصح الايمان بعده فلايبق وجه لان يعدوا بالايمان على تقدير الكشف ويمكن ان يجاب عنه بان هذه العلامة لم لايجوز ان تكون كسائر علامات القيامة فى انها لاتوجب انقطاع التكليف ويصح الايمان بعد ظهورها ﴿قوله مقدر بقول وقع حالا﴾ يعنى ان قوله تعالى هذا عذاب اليم فى محل نصب على انه مقول قول مقدر اى يغشاهم قائلين هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب الآية فعند ذلك يقول الله تعالى كيف يتذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب والمعجزة وغيره وهو قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم ثم تولوا عنه ﴿قوله ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط الخ﴾ جواب عما احتج به ابن مسعود رضى الله عنه * وتقريره ان مجرد ظهور ماهو من اشراط الساعة لايوجب انقطاع التكليف وعدم اعتبار الايمان بعد ظهوره ولايوجب ايضا لزومه وعدم انكشافه فلايمتنع ان يغوث الكفار بالدعاء بان يقولوا يا ربنا اغثنا مما نحن فيه من غشيان الدخان ايانا فيكشفه الله تعالى عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ﴿قوله ومن فسره بما فى القيامة﴾ جواب عنه ايضا * وتقريره ان نفس القيامة لاتنكشف بعد ظهورها وان الايمان لايعتبر بعد ظهورها واتيانها الا ان قولهم ربنا اكشف عنا العذاب ليس المراد بالعذاب كشف نفس القيامة وازالتها بل معناه تمنى ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا كما حكى عن امثالهم انهم يقولون لو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون مأول بالشرط والتقدير والمعنى ان رددناكم اليها تعودون الى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب على اسلوب قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالكلام مبنى على الفرض والتقدير ﴿قوله فان ان يحجزه عنه﴾ اى يمنع قوله منتقمون عن ان يعمل فيما قبلها لاقتضائها صدر الكلام ﴿قوله وقرئ نبطش﴾ بضم النون وكسر الطاء من ابطشه اذا حمله على البطش ومكنه منه والبطش الاخذ بالشدة فقوله تعالى البطشة الكبرى على هذا يجوز ان ينتصب على انه مفعول به بجعلها باطشة بهم على الاسناد المجازى نحو جد جده او على انه مفعول مطلق لنبطش على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا ومفعول الابطاش محذوف للعلم به اى يوم نبطش الملائكة البطشة الكبرى ثم انه تعالى لما بين ان كفار مكة ليسوا موقنين بل هم فى شك يلعبون وامره عليه الصلاة والسلام بان ينتظر يوم تأتى السماء بشدة ومجاعة بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك ومن جملتهم قوم فرعون فقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بالامر والنهى بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة اى فى الشدة والبلاء فان حملت فى الآية على المعنى الاول يكون الاسناد فى قوله فتنا حقيقة عقلية لانه تعالى هو الذى اختبرهم بارسال موسى عليه الصلاة والسلام اليهم

او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من اين وكيف يتذكرون بهذه الحال (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ماهو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط (قليلا) كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة اوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة

فاختاروا الكفر على الايمان وعلى الثانى يكون مجازا عقليا من باب اسناد الفعل الى سببه لان المراد بالفتنة حينئذ ارتكاب المعاصى فانه تعالى كان سببا لارتكابهم اياها بان امهلهم ووسع رزقهم ﴿قوله وقرئ بالتشديد﴾ فيكون صيغة التفعيل فى فتنا اما للتأكيد او المبالغة فى الفتنة او لتكثيرها لكثرة متعلقها فان لكل فرد من القوم نصيبا من الفتنة فيكون ما للقوم كثيرا ﴿قوله بان أدّوهم الىّ﴾ على ان تكون ان مصدرية ناصبة للمضارع وهى توصل بالامر نحو امرته ان قم اى بالقيام والمعنى جاءهم بان ادّوا اى ملتبسا بهذا القول وعباد الله مفعول به طلب منهم ان يؤدّوا اليه بنى اسرآئيل بدليل قوله فأرسل معى بنى اسرآئيل ثم ذكر احتمال ان يكون عباد الله منادى ويكون المفعول محذوفا اى أعطونى الطاعة وقبول الدعوة يا عباد الله وعطف عليه جواز ان تكون مخففة والمعنى وجاءهم بان الشأن والحديث ادّوا الىّ عباد الله وقيل عليه وقوع الخبر فى هذا الباب طلبيا نادر وحمل الآية على النادر القليل بعيد ثم جوّز ان تكون هى المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول لان الرسالة تتضمن القول ﴿قوله بسلطان مبين﴾ اى بحجة واضحة يعترف بها ويتذلل لها كل عاقل ففى ذكره فى مقابلة العلاء شان لا يخفى كما فى ذكر الامين مع الادآء قيل انه عليه الصلاة والسلام لما قال وان لا تعلوا على الله الآية توعدوه بالقتل فقال وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون اى تقتلونى بالحجارة قال قتادة وكان ذلك عادتهم فى القتل وعن ابن عباس قال ان تشتمونى باللسان ﴿قوله وقرئ عت بالادغام﴾ اى بادغام الذال فى التاء قيل هى قرآءة حمزة وابى عمرو والكسائى ﴿قوله وان لم تؤمنوا لى﴾ اى ان لم تصدّقونى فيما بلغتكم عن الله تعالى اى لاجل ما أتيتكم به من السلطان المبين فاللام فى قوله لى لام الاجل ﴿قوله بعدما كذبوه﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فدعا ربه للعطف على مقدّر اى انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون سماه دعاء مع انه ليس بدعاء صريح لانه دعاء عليهم على سبيل التعريض كأنه قيل انهم قوم تناهى امرهم فى الكفر والعصيان وانت اعلم بهم فافعل بهم ما يستحقونه قرأ العامة ان هؤلاء بفتح انّ على اضمار حرف الجرّ ﴿قوله اى فقال أسر او قال ان كان الامر كذلك فأسر﴾ ولما كان عطف قوله فاسر على قوله فدعا ربه من قبيل عطف الانشاء على الاخبار بحسب الظاهر ذكر له وجهين الاوّل ان يضمر القول بعد الفاء اى فقال الله تعالى اسر بعبادى ليلا والثانى ان يكون فاسر جواب شرط محذوف كأنه قيل قال الله تعالى ان كان الامر كما تقول فاسر وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها على ان سرى واسرى لغتان بمعنى انه سار به ليلا ﴿قوله مفتوحا ذا الفجوة واسعة او ساكنا﴾ يعنى ان الرهو مصدر اما من قولك رها بين رجليه يرهو رهوا اى فتح او من قولك رها البحر اى سكن يقال افعل ذلك رهوا اى راهيا ساكنا فقوله البحر رهوا من قبيل رجل عدل اى راهى ساكن او وصف البحر بالمصدر للمبالغة او بتقدير ذى رهو والفجوة الفرجة المتسعة بين الشيئين اى اتركه على حاله منفتحا متفرّقا بين كل فرقين منه طريق متسع يابس وكان موسى عليه الصلاة والسلام امر بضرب البحر بعصاه حتى ينفلق طرقا وقام كل فرق فى الهوآء كالطود العظيم فلما عبر هو وبنوا اسرآئيل سالما خاف ان يدخله القبط مع فرعون ويعبروا كما عبر هو واصحابه واراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه اوّلا فانفلق فامر ان يتركه منفتحا ساكنا على حاله وهيئته من انتصاب الماء فى الهوآء وكون الطريق يبسا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه جميعا اطبقه الله تعالى عليهم فيغرقهم اجمعين قرأ العامة انهم مغرقون بكسر همزة ان على الاستئناف اخبر الله تعالى موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر على حاله ﴿قوله كثيرا تركوا﴾ يعنى ان كم خبرية للتكثير منصوبة المحل بتركوا وفى الآية اختصار والمعنى ففعل موسى ما امر به من ترك البحر رهوا فدخله فرعون وقومه فانطبق البحر عليهم فاغرقوا جميعا فحين ذلك تركوا بساتين كثيرة وكذا وكذا والنعمة بكسر النون ما انعم به عليك وبفتحها التنعم وغضارة العيش ﴿قوله مثل ذلك الاخراج﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف منصوب بفعله المحذوف المدلول عليه بقوله انكم متبعون وقوله كم تركوا وقوله اورثنا لان كل واحد من الاتباع والترك والايراث انما يحصل بعد الاخراج فعلى هذا يكون قوله تعالى واورثنا معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف وعلى قوله او الامر كذلك تكون الكاف مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف ويكون قوله واورثنا معطوفا على تركوا والمراد بايراثها نقلها اليهم نقل الميراث الى الوارث لان بنى اسرآئيل ليسوا ورثة للقبط حيث لم يكونوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء فنقلها اليهم يكون اشدّ عليهم واغيظ لهم فوق خروجها من ايديهم ﴿قوله وقيل غيرهم﴾ اى وقيل المراد بالقوم الآخرين

بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن ادّوا الىّ عباد الله) بان أدّوهم الىّ وارسلوهم معى او بان أدّوا الىّ حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول امين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة النهى ولذكر الامين مع الادآء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (ان ترجمون) ان تؤذونى ضربا او شتما او تقتلونى وقرئ عت بالادغام (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا علىّ ولا لى ولا تتعرّضوا الىّ بسوء فانه ليس جزآء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعدما كذبوه (أن هؤلاء) بان هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) اى فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا الفجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك (وأورثناها) عطف على الفعل المقدّر او على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنوا اسرآئيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر

غير بنى اسرآئيل لانهم لم يعودوا الى مصر ﴿قوله مجاز عن عدم الاكتراث﴾ وهو المبالاة والاعتناء بشأن الهالك يعني ان البكاء المدلول عليه بقوله بكت مجاز مرسل عن الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب وارادة السبب فان الاكتراث المذكور سبب مؤدّ الى البكاء عادة وحمله على المجاز لان مجرّد عدم البكاء مع قطع النظر عن كونه مترتبا على عدم الاكتراث لايدل على خساسة الهالك والآية مسوقة للدلالة عليها فان المراد بها التهكم بهم والدلالة على ان حالهم منافية لما عندهم من التعظيم على الناس والافتخار بما لديهم من اسباب العز والشرف ولابدّ مع حمل نفي البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بان شبهت السماء والارض بمن يصح منه الاكتراث وجعلت نسبة الاكتراث اليهما استعارة تخييلية دالة على التشبيه المذكور لكونه من توابع المشبه به ولولا هذا لما صح نسبة الاكتراث اليهما وكانت العرب اذا مات منهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت له الارض والسماء يعنون به ان المصيبة بموته عمت الخلق فبكى له الكل حتى الارض والسماء فاذا قالوا مابكت عليه الارض والسماء يعنون به ماظهر بعده مايظهر بعد موت ذوى الاقدار والشرف بمعنى انه كان بحيث لايعتنى بوجوده ولايكترث بهلاكه والتحقيق ان عدم بكاء السماء والارض عليهم كناية عن انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكى الارض بانقطاعه وانهم لايصعد الى السماء منهم عمل صالح ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكى السماء بانقطاعه قال مجاهد مامات مؤمن الابكت عليه السماء والارض اربعين صباحا ذكر الله تعالى ان حالهم مخالف لحال من يعظم فقده من المؤمنين ﴿قوله وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر﴾ اذا جاء وقت هلاكهم اولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل هلاكهم فى الدنيا ثم انه تعالى لما بين كيفية هلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه فقال ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين وهو قتل الابناء واستخدام النساء والرجال فى الاعمال الشاقة ﴿قوله بدل من العذاب﴾ اما على حذف المضاف اى من عذاب فرعون واما على المبالغة بجعل فرعون نفس العذاب ﴿قوله تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة﴾ كأنه قيل هل تعرفون من هو فى عتوّه وشيطنته ثم بين حاله فى ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين ﴿قوله لكثرة الانبياء فيهم﴾ علة لكونهم مختارين على جميع طوائف الناس فان بنى اسرآئيل مختارون بهذا الوجه على من عداهم من قوم كل عصر لفقد هذا المعنى فيهم ﴿قوله او على عالمى زمانهم﴾ فانه تعالى اختارهم على اهل ذلك الزمان بان وفقهم للايمان بالنبي المبعوث فى ذلك الزمان والاهتدآء بهداه وانجاهم مماهم عليه من العذاب المهين باهلاك اعدآئهم بالاغراق ﴿قوله نعمة جلية او اختبار ظاهر﴾ البلاء حقيقة فى الاختبار وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة ايضا مجازا من حيث ان كل واحد منهما يكون سببا وطريقا للاختبار يعامل الله تعالى باصابة كل واحد منهما للمكلف معاملة من يختبره ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان والبلاء فى الآية يحتمل ان يكون بمعنى النعمة لان الآيات التى آتاها الله تعالى بنى اسرآئيل كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحو ذلك نعم جلية اى ظاهر كونها نعمة ولم ينفرد بها موسى عليه الصلاة والسلام بل لكل واحد من بنى اسرآئيل حظ منها وان يكون بمعنى الاختبار لانه تعالى كان يمتحن بايتائها اياهم وينظر كيف يعملون * فان قيل ان كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحوها فلاشك انها فى انفسها نعم جلية فامعنى قوله تعالى مافيه بلاء مبين اى نعمة جلية * قلت لعل الكلام من قبيل قوله تعالى لكم فيها دار الخلد من حيث ان كلمة فى للتجريد ﴿قوله لان الكلام فيهم﴾ لان الله تعالى لما حكى عن مشركى قريش انهم تولوا واعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه حيث قال وانى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهدّدهم بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وضرب لهم مثلا قوم فرعون ومجيء رسول كريم اليهم وصدّهم اياه وتدمير الله تعالى اياهم وقطع دابرهم اعتبارا واتعاظا ذكر من قبائحهم ماهو اعظم من الاوّل وهو تكذيب الله تعالى اياهم لانهم يقولون لابعث ولاحساب ولاجزآء فظهر بهذا ان الكلام فيهم وان قصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار من مثل ماحل بهم ﴿قوله ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى﴾ جواب عما يقال القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية اى البعث بعد الموت وليس النزاع الافيه فكان من حقهم ان يقولوا ان هى الا حياتنا الدنيا ومانحن بمنشرين اى بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وقوله ان هى الاموتتنا الاولى يؤذن ان يكون النزاع فى الموت بان يكون المسلمون يثبتون موته

(فمابكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ماروى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فمابكت عليهم اهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) ممهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله ابناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) فى العلوّ والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بنى اسرآئيل (على علم) عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال (على العالمين) لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى (ما فيه بلاء مبين) نعمة جلية او اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم (ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولاقصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات

(ثانية)

ثانية وهم ينفونها بحصر الموتة في الاولى وليس الامر كذلك * وتقرير الجواب ان ماذكر انما يلزم ان لو كان المعنى ما الموتة الاولى وليس كذلك بل المعنى ما العاقبة الا الموتة الاولى يقصدون به انكار البعث بعد الموت كما لو قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وذلك انهم لما اخبروا بان عاقبة حياتكم هذه ونهايتها امران الموت ثم البعث انكروا ذلك بحصر نهاية الامر في الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيا وتوصيف الموتة بالاولى لايستدعي ان يثبت الخصم موتة ثانية فيقصدوا بذلك انكارها لان كون الشيء اولا لايستلزم وجود ما كان آخرا بالنسبة اليه كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وكما لو قال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق سواء ملك بعده آخر ام لا ﴿قوله وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة﴾ وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو جواب بوجه آخر اختاره صاحب الكشاف محصوله انهم لما اخبروا بالموتة التي تعقبها حياة انكروا ذلك بان حصروا الموتة التي من شأنها تلك في الموتة الاولى وهي ما كانت متقدمة على الحياة الدنيا الا التي تزيل تلك الحياة كما في الوجه الاول وليس مقصودهم من هذا الحصر انكار طريان الموت على الحياة الدنيا بل المقصود انكار ان يكون ذلك الموت تعقبه حياة ثانية فالحصر بهذا المعنى هو الذي يستفاد من ان يقال ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين ولما كان المتبادر من لفظ الموتة ما يزيل الحياة وكان اطلاقه على ما كان قبل الحياة الدنيا بعيدا وكان انكار البعث بهذه العبارة بعيدا ايضا لم يلتفت المصنف اليه ﴿قوله خطاب لمن وعدهم بالنشور﴾ يعني ان الكفار الذين انكروا البعث والنشور قالوا لمن وعدهم بذلك ان كان ذلك ممكنا معقولا فاجعلوا لنا احياء من مات من آبائنا ليستدل به على صدقكم في الوعد بالنشور ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام انكر به كون كفار قريش خيرا منهم * فان قيل ما معنى قوله تعالى أهم خير ام قوم تبع مع انه لاخير في كل واحد من الفريقين اما في كفار مكة فظاهر واما في قوم تبع فلانه تعالى ذمهم بقوله انهم كانوا مجرمين * اشار المصنف الى جوابه بقوله أهم خير في القوة والمنعة اي ليس المراد الخيرية في الدين بل المراد الخيرية في القوة والعدة كما في قوله اكفاركم خير من اولئكم اي وليس كفار قريش باقوى من قوم تبع ومن تقدم عليهم فقد اهلكناهم بجرمهم فكيف لايخافون ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء ﴿قوله تبع الحميري﴾ حمير قبيلة من اليمن سميت باسم ابيهم وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك في الدهر الاول قبل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لان اهل الدنيا يتبعونه وان تبع في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الاسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل سموا تبعا لانهم يتبعون آباءهم ويقتدون بهم في سيرتهم فالتبع بمعنى التابع والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الاعظم المسمى بالتبع واصله قيل بالتشديد فخفف كميت في ميت كأنه الذي له القول والامر والنهي ﴿قوله وحير الحيرة﴾ اي بنى الحيرة وهي قرية بقرب الكوفة كقولهم مدن المدائن بناها قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا مسلما من حمير سار بالجنود حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فبناها وكان قبل عهد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين عاما وكنيته ابو كرب واسمه اسعد وهو اول من كسا البيت سبعة اثواب وكان يعبد الاوثان ثم اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم وأرى في المنام ان يكسو البيت فكساه نوعا من الثياب ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافري ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فهو اول من كسا البيت واوصى به ﴿قوله بمآل قوم تبع والذين من قبلهم﴾ اشارة الى ان قوله والذين من قبلهم في محل الرفع بالعطف على قوم تبع كأنه قيل أهم خير ام هذان ثم بين مآلهما بقوله اهلكناهم تهديدا لكفار قريش ﴿قوله او حال﴾ اي من الضمير المستكن في الصلة وهي قوله من قبلهم فعلى هذا الوجه ايضا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع ثم اشار الى جواز ان يكون قوله والذين من قبلهم اهلكناهم مرفوع المحل على الابتداء وان يكون اهلكناهم خبره ثم ذكر سبب هلاكهم فقال انهم كانوا قوما مجرمين اي فمن اين يامن هؤلاء من باسنا وهم يسيرون بسيرتهم ﴿قوله ومابين الجنسين﴾ يعني ان من قرأ ومابينهما اول السموات والارض بالجنسين ومن قرأ بينهن نظر الى كون المرجع اليه جمعا ﴿قوله وهو دليل على صحة الحشر﴾ اي على ثبوته فانه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق لهوا وعبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما ومابينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال والهيئات ثم كلفهم بالايمان والطاعة على

وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شأنها ذلك الا الموتة الاولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين (ان كنتم صادقين) في وعدكم ليدل عليه (أهم خير) في القوة والمنعة (ام قوم تبع) تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (اهلكناهم) استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضي للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض ومابينهما) ومابين الجنسين وقرئ ومابينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها

الوجه المشروح بلسان نبيه الامين وكتابه المبين فاقتضى ذلك ان تميز المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لايكون فى الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابدّ من البعث والنشأة الاخرى لتجزى كل نفس بما كسبت فى دار التكليف فظهر بهذا وجه اتصال الآية بماقبلها وهو انه تعالى لماحكى مقال منكرى البعث والجزآء وهدّدهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا قبلهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزآء فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ﴿ قوله الابسبب الحق ﴾ يعني ان قوله الابالحق اى ملتبسا بالحق ماخلقناهما بسبب من الاسباب الابسبب الحق الذى هو الايمان او الطاعة او الجزآء ويجوز ان يكون فى موضع الحال من الفاعل اى ماخلقناهما فى حال من الاحوال الافى حال كوننا محقين عاملين بالحق ملتبسين به ثم انه تعالى لماذكر مايدل على انه لابدّ من البعث والجزآء ذكر عقيبه حال يوم البعث فقال ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اى وقت موعدهم على ان الميقات اسم للوقت المضروب للفصل والموعد مصدر بمعنى الموعود اى انه وقت لماوعدوا به من الاجتماع فى المحشر للحساب والجزآء سمى يوم البعث يوم الفصل لانه تعالى يفصل فيه بين الحق والباطل وبين اهل الجنة والنار وقيل لانه تعالى يفصل فيه بين المؤمن وبين مايكرهه ويفصل بين الكافر وبين مايودّه ويريده ويوم الفصل منصوب على انه اسم ان وميقاتهم خبرها واجمعين تأكيد للضمير المجرور فى ميقاتهم واجاز الكسائى والفرآء نصب ميقاتهم على انه اسم ان ويوم الفصل ظرف واقع فى موضع خبر ان اى ان ميقاتهم واقع فى يوم الفصل ﴿ قوله او صفة لميقاتهم ﴾ فيكون مرفوع المحل او منصوبه على القرآءتين فى موصوفه لكونه مبنيا على الفتح ﴿ قوله او ظرف ﴾ اى ويجوز ان يكون يوم لايغنى منصوبا على انه ظرف لفعل يدل عليه الفصل اى يفصل بينهم يوم لايغنى ولايجوز ان يكون بنفس الفصل لانه مصدر فلايجوز ان يفصل بينه وبين معموله باجنبي وهو قوله ميقاتهم اجمعين فانه وقع فاصلا بينهما فسر يوم الفصل بقوله لايغنى اى لاينفع ولايدفع ونكر مولى فى الموضعين للابهام والتعميم فان المولى يطلق على القريب والمعتق والمعتق وابن العم والجار والصديق والصهر وكل من ولى امر واحد فهو وليه ومولاه فواحد من هؤلاء اىّ واحد كان لايغنى عن مولاه اىّ مولى كان شيأ من الاغناء اى اغناء قليلا على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول مطلق ليغنى وان تنكيره للتقليل او التعميم فاذا لم ينفع بعض الموالى بعضا ولم يدفع عنه شيأ من العذاب بشفاعته له كان عدم حصوله ممن سواهم اولى ﴿ قوله الضمير لمولى الاوّل ﴾ يعني ضمير الجمع يرجع الى ماهو مفرد اللفظ لكونه فى معنى الجمع لانه عام لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى ولعل تخصيص المولى الاوّل بارجاع الضمير اليه من حيث ان الكلام حينئذ يكون محمولا على الافادة وان جعل الضمير لمولى الثانى يكون محمولا على الاعادة والتأسيس اولى من التأكيد وذلك انه تعالى حكم اوّلا ان احدا من الموالى لاينفع مولاه اىّ مولى كان ولاينصره بان يشفع فى حقه فان النصرة فى القيامة لاتكون الابالشفاعة اما فى دفع العذاب او تحصيل البغية ورفع المنزلة فان جعل الضمير لمولى الثانى تكون الجملة الثانية تأكيدا للاولى وان جعل للاوّل يكون المعنى كما ان الموالى لايملكون ان ينفعوا مواليهم لاينصرون ايضا اى لايملكون ان يغنى عنهم غيرهم ويشفع لهم وهذا معنى جديد غير الاوّل والتأسيس اولى من التأكيد ﴿ قوله ومحله الرفع ﴾ اى على انه بدل من واو لاينصرون اى لاينصر الامن رحم الله فينصره الله بالعفو عنه وقبول شفاعة الشافعين فى حقه بعد ان يأذن لهم فيها ويجوز ان يكون منصوب المحل على انه مستثنى متصل من واو ينصرون لما اشتهر من انه يجوز فيما بعد الا النصب على الاستثناء ويختار البدل اذا كان فى كلام غير موجب بشرط ان يكون المستثنى منه مذكورا والآية من هذا القبيل وقيل انه بدل من مولى الاوّل او مستثنى منه متصل اى لايغنى مولى الاالمؤمنون او الاالمؤمنين فانه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى حق بعض المؤمنين والاوّل ارجح لانه اقرب لفظا ومعنى * واعلم انه تعالى لما اقام الدليل على حقية البعث والقيامة ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم وعد الابرار بقوله ان المتقين فى مقام امين والزقوم فى لغة العرب اسم شجرة صغيرة الورق وثمرتها وافرة مرّة تكون بتهامة سميت به الشجرة التى وصفها الله تعالى بانها شجرة تنبت فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وثمرتها نزل اهل النار ﴿ قوله والمراد به ﴾ اى بالاثيم الكافر لامطلق ذى الاثم كافرا كان او فاسقا لان الاصل فى المفرد الذى دخل عليه حرف التعريف ان ينصرف الى المذكور سابقا الا ان يحمل على العموم والمذكور سابقا هنا هو الكفار فينصرف اليهم فان

(ماخلقناهما الابالحق) الابسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزآء (ولكن اكثرهم لايعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق من الباطل او المحق عن المبطل بالجزآء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (اجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزآئهم فى يوم الفصل (يوم لايغنى) بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لمادل عليه الفصل لاله للفصل (مولى) من قرابة او غيرها (عن مولى) اىّ مولى كان (شيا) شيأ من الاغناء (ولاهم ينصرون) الضمير لمولى الاوّل باعتبار المعنى لانه عام (الامن رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لاينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن اراد ان يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات (طعام الاثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه (كالمهل)

المفسرين قالوا المراد بقوله لايغنى مولى عن مولى الكفار وبقوله الامن رحم الله المؤمنون لان بعضهم يشفع لبعض وكذا بين الله تعالى بعد هذه الآية انه يقال للزبانية فى حقهم خذوه فاعتلوه الى قوله ان هذا ماكنتم به تمترون اى تشكون فيه ولاتؤمنون به ولايشك فيه الا الكافر ومراد المصنف من تخصيص الاثيم بالكافر والاستدلال عليه ان يجيب عن تمسك المعتزلة بهذه الآية على وعيد الفساق بناء على ان الاثيم من صدر عنه الاثم فيكون الوعيد المذكور هنا متناولا للفساق قيل نزلت الآية فى ابى جهل وقيل فى الوليد بن المغيرة ويؤيد الاول ماروى ان اباجهل كان يقول انا اعز اهل هذا الوادى واكرمه فيقال له فى الآخرة ذق انك انت العزيز الكريم اى المتعزز المتكرم كما قلت ذلك فى الدنيا ﴿ **قوله** وهو مايمهل فى النار ﴾ من المهلة اى يوضع فى النار ويترك فيها بالامهال والتؤدة حتى يذوب اختار ماروى عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما ان المهل كل مايذاب بالنار كالفضة والذهب والحديد والرصاص ونحوها وسمى بالمهل لانه يمهل فى النار حتى يذوب وقيل المهل دردى الزيت وقيل هو عكر القطران والكاف فى قوله تعالى كالمهل فى محل الرفع على انه خبر ان بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هو كالمهل وكذلك قوله تعالى تغلى فى البطون فى قرآءة من قرأ بالتاء الفوقانية فان الجمهور قرأوا بها فحينئذ يكون ضمير تغلى للشجرة وتكون الجملة خبرا آخر او خبر مبتدأ محذوف اى هى تغلى والمصنف جعل ضميره للطعام او الزقوم بناء على قرآءته بالياء من تحت او بناء على ان الاظهر ان الجملة حال من احدهما فان كان حالا من الطعام يكون العامل معنى النسبة والاضافة كما فى قولك زيد اخوك شجاعا كأنه قيل انسبه اليه غالبا الا ان الظاهر ان المراد بكون الجملة حالا من الزقوم كونها حالا من الضمير المستتر فى قوله كالمهل فان مافيه من الضمير وان كان راجعا الى شجرة الزقوم الا ان المراد منها نفس الزقوم لان اضافتها اليه للبيان غاية مافى الباب ان يكون المراد بالزقوم وهو الشجرة ثمرها فيكون العامل فى الحال معنى التشبيه المستفاد من الكاف ولم يرض بكون الجملة حالا من نفس المهل حتى يكون ضمير تغلى راجعا اليه بناء على ان الغليان فى البطن انما هو فعل الطعام قائم بنفس المطعوم لا بما تشبه به المطعوم وهو المهل فانه لا يوصف بانه يغلى فى البطون فكان اسناد يغلى الى ضمير المهل بعيدا غير ظاهر ﴿ **قوله** غليا نامثل غليه ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف ليغلى ﴿ **قوله** على ارادة القول ﴾ يعنى ان قوله تعالى خذوه الى آخر الآية فى محل النصب على انه مقول قول مضمر اى يقال للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه اى فجروه بغلظة وقهر يقال عتله اى ساقه بجفاء وغلظة والعتل الغليظ الجافى وفعله من باب ضرب يضرب يقال اخذ فلان بزمام الناقة فعتلها اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس وقادها قودا عنيفا ﴿ **قوله** كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ الظاهر ان يقال كان اصله ثم صبوا فوق رؤسهم الحميم الا انه اختار ذلك النظم لكونه عين نظم القرآن فى آية اخرى * ولما ورد ان يقال ما وجه جعل العذاب مصبوبا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعانى والصب انما يتعلق بالاجسام المائعة * اشار الى جوابه بان اصل المعنى الامر بصب نفس الحميم وهو الماء الذى كان فى غاية الحرارة الا ان الزبانية امروا بصب عذاب هو الحميم للمبالغة فى كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع انه سببه ﴿ **قوله** فى موضع اقامة ﴾ فسره به بناء على انه اختار قرآءة نافع وابن عامر فانهما قرأا مقام بضم الميم وهو موضع الاقامة والباقون بفتحها والمقام بالفتح فى الاصل موضع القيام خاصة ثم استعمل فى مطلق الموضع والمكان حتى قيل لموضع القعود والاضطجاع مقام وان لم يقم فيه اصلا فهو من الخاص الذى استعمل فى معنى العموم قال اهل السنة كل من اتقى الكفر صدق عليه انه متق فيدخل فى هذا الوعد قال المصنف المتقى فى عرف الشرع من يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك والثانية ان يجتنب كل مايوجب الاثم من فعل او ترك والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الخالق ويتبتل اليه بشراشره ﴿ **قوله** يأمن صاحبه ﴾ يعنى ان الامين من قولك امن الرجل امانا فهو امين وهو ضد الخائف ووصف المقام به مجاز لانه من صفة صاحبه فى الحقيقة ووصف به المحل على طريق عيشة راضية بمعنى ذات رضى يرضى عنها صاحبها ﴿ **قوله** للدلالة على نزاهته ﴾ اى تباعده عن وجوه السوء لكونه فى غاية البهجة والزينة فان الجنات والعيون من اقوى اسباب نزهة الخاطر وانفراجه عن الغم كما قيل ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن ﴿ **قوله** من البراقة ﴾ وهى التلألؤ واللمعان ﴿ **قوله** الامر كذلك الخ ﴾ يعنى ان الكاف اما فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او فى محل النصب على انها مفعول ثان لفعل الايتاء المدلول

وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت (تغلى فى البطون) وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما (كغلى الحميم) غليانا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان (الى سوآء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك انت العزيز الكريم) اى قولوا له ذلك استهزاء به اوتقريعا على ماكان يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك (ان هذا) ان هذا العذاب (ماكنتم به تمترون) تشكون او تمارون فيه (ان المتقين فى مقام) فى موضع اقامة وهو قرآءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم (أمين) يأمن صاحبه من الآفة والانتقال (فى جنات وعيون) بدل من مقام جيئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على مايستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان لان او حال من الضمير فى الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب او مشتق من البراقة (متقابلين) فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك

عليه بقوله ان المتقين فى مقام امين و قوله و زوّجناهم معطوف على ذلك الفعل المحذوف اى مثل ذلك آتيناهم و زوّجناهم و على الاوّل يكون معطوفا على يلبسون عدل الى لفظ الماضى لكون التزويج فى حكم الواقع وللدلالة على كونه نعمة جليلة و فضلا عظيما ﴿قوله قرناهم بهنّ﴾ يعنى ان تزويجهم بهنّ ليس معناه انشاء عقد التزويج لان التزويج بمعنى العقد لا يتعدّى بالباء فلا يقال زوجته بامرأة و تزوّجت بها بل يقال زوّجته امرأة و تزوّجتها و فى التنزيل فلما قضى زيد منها وطرا زوّجناكها و لو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل زوّجناك بها بمعنى كنت فردا فجعلناك شفعا بها قال ابو عبيدة معنى زوّجناهم بحور عين جعلناهم ازواجا بهنّ كما زوّج النعل بالنعل اى يجعل كل واحد منهما شفعا بالآخر ﴿قوله والحوراء﴾ اشارة الى ان الحور جمع الحوراء كما ان العين جمع العيناء اصله العين بضم العين كحمر فى جمع حمراء ثم كسرت العين لاجل الياء كما فى بيض و اصل الحور البياض يقال احورّ الشئ بمعنى ابيض وتحوير الشئ تبييضه و قيل لاصحاب عيسى عليه الصلاة و السلام الحواريون لانهم كانوا قصارين و قال مجاهد سميت نساء الجنة حورا لانه يحار فيهنّ الطرف من بياضهنّ وصفاء الوانهنّ ثم اختلفوا فى هؤلاء الحور العين فقال الحسن انهنّ من نساء الدنيا ينشئهنّ الله خلقا آخر وقال ابو هريرة انهنّ لسن من نساء الدنيا ﴿قوله يطلبون﴾ اشارة الى ان يدعون من صفة المتقين و ان وزنه يفعلون من قولهم دعا بكذا اذا استحضره فعلم منه ان الوقف على عين لازم لانه لو وصل يدعون بقوله عين لتوهم ان الدعاء فعل الحور العين و ان وزنه يفعلن فان صيغتى جماعة الذكور و الاناث يستويان فى باب الناقص فيقال الرجال يدعون و النساء يدعون و التقدير مختلف ﴿قوله لا يتخصص شئ منها بزمان ولا مكان﴾ مستفاد من اطلاق قوله بكل فاكهة و قوله تعالى يدعون يجوز ان يكون مستأنفا و ان يكون حالا من مفعول زوّجناهم و مفعول يدعون محذوف اى يدعون الخدم و يستحضرونهم بكل ما يقصد تناوله تفكها اى لمجرّد التنعم و التلذذ فان نعيم الجنة لا يقصد به الا ذلك ﴿قوله آمنين﴾ يجوز ان يكون حالا ثانية و ان يكون حالا من فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة و الضرر كالتخمة واخراج المزاج عن الاعتدال و التأدية الى الاسقام و الاوجاع ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لان الموتة الاولى ليست مما يذاق فى الجنة و المعنى لا يذوقون الموت فى الجنة ابدا لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة و حمل الاستثناء على الاتصال لما كان بعيدا بحسب الظاهر لان الموتة الاولى ليست من جنس ما يذاق فى الجنة ذكر ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ضمير فيها للدار الآخرة المدلول عليها بذكر ما يكون فيها من فصل المحق عن المبطل بالجزاء و الموت مما يذاق فى الآخرة لكونه اوّل احوالها و الثانى ان يكون الضمير للجنة و الموتة الاولى كأنها واقعة من حيث ان اهل السعادة يشاهدونها عند الموت و يرون منازلهم فيها فكانوا اذا ماتوا فى الدنيا فكأنهم ماتوا فى الجنة لكونهم مشارفين دخولها فصح بذلك ان تستثنى الموتة الاولى من موتهم فى الجنة و الثالث ان الاستثناء للمبالغة فى نفى الموت عن اهل الجنة بتعليقه بالمحال و هو ان تكون الموتة الاولى مما يمكن ذوقها فى المستقبل كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت على جميع التقادير الا على تقدير ان يستقيم ذوق الموتة الاولى فى المستقبل فانه حينئذ يجوز ان يذوقوها فى الجنة ومن المعلوم بالبداهة ان ذوقها فى المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالا لكونه موقوفا على المحال ومثله يسمى نفى الشئ بدليله و نظيره قول النابغة

❁ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❁ بهنّ فلول من قراع الكتائب ❁

يعنى ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكنه ليس بعيب بالاتفاق فثبت انتفاء العيب عنهم لكون ثبوته لهم موقوفا على المحال ﴿قوله وقرئ ووقاهم بالتشديد على المبالغة﴾ اى لا لاجل التعدية لان المخفف ايضا يتعدّى الى اثنين و احتج اهل السنة بقوله تعالى فضلا من ربك على ان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص عن النار و الفوز بالجنة و نعيمها فانما يحصل بفضل الله تعالى و رحمته و انه لا يجب عليه شئ من ذلك كما زعمت المعتزلة ﴿قوله وهو فذلكة للسورة﴾ الفذلكة فى الحساب اجماله بعد التفصيل بان يذكر تفاصيل الحساب اوّلا ثم تجمل تلك التفاصيل و يكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك من قبيل هذا القبيل لانه تعالى بعدما اقسم بالكتاب المبين على انه انزله فى ليلة مباركة بين ما يقتضى انزاله بان شأنه ارسال الرسل مؤيدين بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم مما يشقيهم ثم فصل ذلك و شرحه الى آخر السورة ثم اجمل ذلك بما معناه ذكر بالكتاب المبين قومك فانا سهلنا عليك تلاوته و تبليغه اليهم منزلا بلغتك ولغتهم وقيل معناه سهلناه على لسانك فتقرأ به من غير كتابة ولا نظر فى مكتوب استدل بعض

(و زوّجناهم بحور عين) قرناهم بهنّ ولذلك عدّى بالباء والحوراء البيضاء و العيناء عظيمة العينين واختلف فى انهنّ نساء الدنيا او غيرهنّ (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل و الضمير للآخرة والموت اوّل احوالها او الجنة و المؤمن يشارفها بالموت و يشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى و امتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) و قرئ ووقّاهم على المبالغة (فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء و تفضلا منه و قرئ بالرفع اى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره و فوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به

المعتزلة بقوله لعلهم يتذكرون على انه تعالى اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر * واجيب بان الضمير فى لعلهم راجع الى اقوام مخصوصين وهم المؤمنون فى علم الله تعالى وهذا على تقدير ان يكون الترجى مجازا عن الارادة ويجوز ان يكون على اصل معناه ويكون من قبل من شاهد نزوله مسهلا فصيح اللفظ واضح المعنى ﴿قوله ولما لم يتذكروا فارتقب﴾ اشارة الى ان الفاء فيه فاء الجواب لشرط محذوف اى ومن لم يتذكر به فارتقب فيهم ومفعول الارتقاب محذوف فى الموضعين اى فانتظر ما وعدناك من النصرة والظفر والعلو فى الدنيا والآخرة انهم منتظرون ما اوعدناهم به من العذاب فى الدنيا والآخرة اى صائرون الى ذلك وان لم يعتقدوه فينتظرونه او فانهم منتظرون ما يحل بك من دوائر الدهر كما قال تعالى خبرا عنهم نتربص به ريب المنون ولن يضرك ذلك * تم هنا ما يتعلق بسورة حم الدخان * بفضل الله الكريم المنان * والحمد لله وحده * وصلى الله على من لا نبى بعده

﴿سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله ان جعلت حم مبتدأ﴾ على انه اسم للسورة احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم لئلا يلزم الاخبار عن المنزل بتنزيل والتقدير تنزيل الكتاب من الله قال صاحب الكشف ففيه اقامة الظاهر مقام المضمر ايذانا بانه الكتاب الكامل ان اريد بالكتاب السورة وفيه تفخيم ليس فى قوله تنزيل من الله ولهذا لما لم يراع فى حم السجدة هذه النكتة عقب بقوله كتاب فصلت ليفيد هذه الفائدة مع التفنن فى العبارة وان اريد به الكتاب كله يكون الكلام من باب التشبيه البليغ على معنى ان تنزيل هذه السورة كتنزيل الكتاب كله فى ان الفائدة المترتبة على انزاله من التحدى به وكونه هدى للناس وشفاء لما فى الصدور مترتبة على انزالها وحمله الطيبى ايضا على التشبيه حيث قال يعنى تنزيل هذه السورة كتنزيل سائر القرآن فيكون فى قوله من الله العزيز الحكيم دلالة على وجه التشبيه فكونه من الله عز وجل دل على انه حق وصدق وصواب وكونه من العزيز دل على انه معجز يغلب ولا يغلب وكونه من الحكيم دل على انه مشتمل على الحكم البالغة وعلى انه محكم فى نفسه ينسخ ولا ينسخ انتهى ﴿قوله وقيل حم مقسم به﴾ فيكون فى محل النصب بحذف الجار وايصال الفعل اليه والمعنى اقسم بحم الذى هو تنزيل الكتاب اى منزله ان فى السموات الآية ﴿قوله وهو يحتمل ان يكون على ظاهره﴾ اى بان لا يقدر مضاف ويكون المعنى ان فى نفس السموات والارض لآيات لما فيهما من احوال دالة على وجود صانع قادر حكيم مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وكون الارض مهادا والسماء سقفا محفوظا ويحتمل ان يكون فى الكلام مضاف مقدر ويكون المعنى ان فى خلق السموات ويدل على هذا المحذوف قوله فيما بعد وفى خلقكم فانه لو لم يكن مبنيا على حذف المضاف لكان الظاهر ان يقال وفيكم بدل وفى خلقكم فان فى خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب لآيات باهرة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ﴿قوله ولا يحسن عطف ما﴾ يعنى ان كلمة ما فى قوله وما يبث موصولة فى موضع الجر عطفا على المضاف فى قوله وفى خلقكم لا على المضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور ولا يعطف عليه الا باعادة الجار سواء كان مجرورا بحرف الجر او بالاضافة فيقال مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ويقبح ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد لانه يشبه العطف على بعض الكلمة لان الضمير المتصل لشدة اتصاله بعامله صار كشئ واحد ثم ان قباحة العطف عليه لا تزول بتأكيده بالمنفصل مثل ان يقال مررت بك انت وزيد الا عند الجرمى فانه يقول ان اكد جاز والا فلا ﴿قوله باحد الاحتمالين﴾ اى المذكورين فى قوله ان فى السموات وهما كون الكلام على ظاهره او على حذف المضاف وكذا كلمة ما المعطوفة على المضاف يحتمل ان يكون عطفها عليه على حذف المضاف فى المعطوف ويكون المعنى وفى خلق ما يبث من آيات وهو الاظهر بحسب المعنى ليتلاءم المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون على ظاهره على معنى فى نفس ما يبث آيات كما فى قوله ان فى السموات والارض لآيات ولما كان كون نفس ما يبث آيات لا يخلو عن خفاء بخلاف كون خلقه آية بين وجه الاول بقوله فان بثه الخ يعنى ان نفس ما يبثه آيات لما فيه من وجوه الدلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته من بثه وتنوعه الخ ﴿قوله محمول﴾ اى فى ارتفاعه على محل ان واسمها * واعلم انه لا خلاف فى كسر تاء آيات فى قوله لآيات للمؤمنين لانها اسم ان وانما الخلاف فيما ذكر بعده فى الموضعين وهو آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون فان جمهور القراء غير حمزة والكسائى قرأوا برفع آيات فى الموضعين وهما قرأا بكسر التاء فيهما وبتوحيد لفظ الرياح ومبنى قراءة الرفع كونه معطوفا على محل

ولما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع او ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعدادا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيى به الارض بعد موتها) يبسها

ان واسمها فان محلها الرفع على الابتدآء او على الفاعلية على اعمال الظرف على رأى الاخفش ووجه قرآءة الكسر ظاهر وهو العطف على لفظ اسم ان فى قوله ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين فانه لاخلاف فى كسر التاء فيه على انها اسم ان كأنه قيل وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات كما تقول ان فى الدار زيدا وفى السوق عمرا وقوله يبسها على تشبيه الرطوبة الارضية بالروح الحيوانى فى كونها مبدأ التوليد والتنمية وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد ﴿ قوله ويلزمهما العطف على عاملين ﴾ اى ويلزم كل واحدة من القرآءتين عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين على قرآءة الرفع واما على قرآءة نصب آيات فان لفظ آيات حينئذ يكون معطوفا على اسم ان الذى هو معمول كلمة ان ولفظ اختلاف يكون معطوفا على خلق السموات الذى هو معمول كلمة فى وعلى التقديرين فقد عطف بحرف واحد وهو الواو معمولان وهما لفظا اختلاف وآيات على معمولين قبلهما وهما لفظا خلق السموات وآيات وكل واحد منهما معمول لعامل مخالف لعامل آخر فقوله فى والابتدآء او ان معناه احد العاملين فى والآخر الابتدآء او ان ورفع آيات بالعطف على محل ان واسمها واما ان نصب فالعامل الآخر حينئذ كلمة ان ومثل هذا العطف لايجوز مطلقا عند سيبويه وجمهور البصريين لان العاطف ينوب مناب العامل فهو عامل ضعيف لايقوى ان ينوب مناب عاملين مختلفين ولو ناب رافع وناصب لكان رافعا وناصبا فى حالة واحدة وهو لايجوز ومنهم من يجوّزه مطلقا ومنهم من يفصل ويقول ان كان احد العاملين جارّا وكان المجرور مقدّما نحو فى الدار زيد والحجرة عمرو جاز والا فلا وهذا العطف غير متحقق فى قوله تعالى آيات لقوم يوقنون سوآء قرئ مرفوعا او منصوبا لتكرير كلمة فى فى قوله وفى خلقكم فلم يكن العاطف نائبا عنها وانما يتحقق فى قوله لآيات لقوم يعقلون على كل واحدة من قرآءتى الرفع والنصب كما ذكر ﴿ قوله الا ان يضمر فى ﴾ اشارة الى توجيه اعراب الآية على رأى من لايجوّز العطف المذكور وهو ان يضمر العامل فى احد المعطوفين حتى لايلزم نيابة العاطف مناب عاملين الا ان اضمار حرف الجرّ وابقاء عمله نادر ضعيف جدّا الاترى انه لايجوز ان يقال مررت به وزيد بجرّ زيد واجيب عنه بانه لما تقدّم ذكر حرف الجرّ لفظا قويت الدلالة عليه فصار كأنه ملفوظ بخلاف المثال المذكور ونظير اضمار العامل فى احد المعطوفين قول الشاعر

﴾ أكل امرئ تحسبين امرأ ﴾ ونار توقد بالليل نارا ﴾

قدّر سيبويه وكل نار واضمر كل مع نار المجرور لتقدّم ذكره لئلايلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين فان النار المجرور معطوف على امرئ المجرور بكل ونارا المنصوب معطوف على امرأ المنصوب بتحسبين وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار اى فى تعاقبهما على المقادير المتقنة التى لاتتفاوت فى كل سنة صيفا وشتاء وربيعا وخريفا بان يزداد طول النهار على طول الليل تارة وتارة بالعكس ومايزداد فى النهار الصيفى مثلا يزداد مثله فى الليل الشتوى اى بتبدّل النهار بالليل وبالعكس او باختلاف مطالع الشمس فى ايام السنة ولاخفاء فى دلالته على وجود الفاعل المختار وعلمه وقدرته وحكمته وكذا فى دلالة ارسال الرياح المختلفة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية واللينة والعاصفة والحارة والباردة ونحوها وانشاء تلك الرياح المختلفة والسحاب وانزال المطر منه الى الارض الميتة واحيائها بتولد النبات وتشعبه شعوبا مختلفة الانواع وهى ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها المختلفة الانواع والاصناف والهيئات والالوان والطعوم والروائح وماذلك الا بتدبير العليم الحكيم تعالى شانه مااعظم برهانه ﴿ قوله ولعل اختلاف الفواصل الثلاث ﴾ وهى قوله للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون * واعلم ان العلم المستفاد من النظر فى الآيات والدلائل على ثلاث مراتب بعضها اقوى واكمل من بعض فاوّل المراتب مرتبة الايمان ثم مرتبة التصديق لان التصديق قدلايكون ثابتا بل يزول بالتشكيك بخلاف اليقين ثم مرتبة استحكام العلم وقوة اليقين فان مرتبة اليقين متفاوتة بالكمال والنقصان بحسب كثرة الدلائل وامعان النظر فيها فان النظر الصائب كلما تكرّر وتجدّد استحكم العلم وقوى اليقين وعبر عن هذه المرتبة بقوله تعالى لقوم يعقلون لان العقل المطلق ينصرف الى الكامل الذى تم استعداده للاستفاضة من المبدأ العالى الفياض ثم ان الآيات والدلائل المذكورة فى هذه الآيات الكريمة مختلفة الدقة والظهور اظهرها السموات والارض فالنظر الصحيح فيها يفيد العلم بانها مصنوعة لابدلها من صانع قادر على مايشاء فيؤدّى الى الايمان بالله تعالى والاقرار بوحدانيته وادق منها خلق الانسان وانتقاله من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخلق ماعلى الارض من صنوف الحيوانات والدواب من حيث ان التفكر فيها واحوالها

(وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القرآءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتدآء او ان الا ان يضمر فى او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور

(يستلزم)

ستلزم ملاحظة السموات والارض لكونها من اسباب تكوّن الحيوانات وانتظام احوالهم ولما كانت هذه
الآية ادق بالنسبة الى الاولى كان التفكر فيها مؤدّيا الى مرتبة اليقين وادق من هذه الآية الثانية سائر الحوادث
المتجدّدة فى كل وقت واوان من نزول المطر وحياة الارض بعد موتها وغير ذلك من حيث ان استقصاء النظر
فى احوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب هذه الحوادث ومحالها
وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الارض من حيث ان تجدّد هذه الحوادث انما هو لانتظام احوالها وتحقق
اسباب معاشها ولما كانت هذه الآية الثالثة ادق بالنسبة الى الاوليين وكانت متجدّدة حينا فحينا بحيث تبعث
على النظر والاعتبار وكلما تجدّدت كان النظر فيها مؤدّيا الى استحكام العلم وقوّة اليقين فلذلك جعل قوله للمؤمنين
فاصلة للآية الاولى وقوله لقوم يوقنون فاصلة الثانية وقوله لقوم يعقلون فاصلة للآية الثالثة وظهر بهذا
التقرير ان المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين من يؤول حالهم الى هذه الاوصاف ونظيرها قوله تعالى هدى للمتقين
فان الكتاب هدى للناس كلهم الا ان الانتفاع والاهتدآء به لما كان مخصوصا بالمتقين اى الصائرين الى التقوى
قيل هدى للمتقين فكذا الامر هنا فان الصائرين الى الايمان نظروا فى السموات والارض وآمنوا والصائرين
الى الايقان نظروا فى انفسهم وفى الدواب المبثوثة فى الارض فايقنوا والناظرين فى اختلاف الحوادث المتجدّدة
استحكم يقينهم بسببه ثم انه تعالى اشار الى هذه الآيات وحكم عليها بانها دلائله حال كونها متلوّة على رسوله صلى الله
عليه وسلم اسند التلاوة الى نفسه لكونه سببا حاملا لجبريل على تلاوته وقوله بالحق حال من الفاعل اى ملتبسين
بالحق او من المفعول اى ملتبسة به ويجوز ان تكون للسببية فتتعلق بنفس نتلوها اى نتلوها بسبب الحق واقامته
بين الخلق والفاء فى قوله تعالى فبأىّ حديث جزآئية اى ان لم تؤمنوا بهذه الآيات المتلوّة بالحق فبأىّ حديث
بعده تؤمنون والمقصود الدلالة على انه لا بيان ازيد من هذا البيان ولا آية ادل من هذه الآيات ولما لم يمكن حمل قوله
تعالى فبأىّ حديث بعد الله على ظاهره من حيث ان ما اضيف اليه يجب ان يكون من جنس ماقبله فى مثل
هذا التركيب وهو تعالى ليس من جنس الحديث ذكر له وجهين الاوّل انه من باب اعجبنى زيد وكرمه فان
معناه اعجبنى كرم زيد الا انه قدّم ذكر زيد للدلالة على تعظيم كرمه حيث جعل ذكر نفسه وسيلة الى ذكر كرمه فكذا
فى الآية قدّم اسمه تعالى لتعظيم ذكر آياته وللاشعار بان التجاوز عنها تجاوز عنه تعالى والوجه الثانى ان يحمل
الكلام على حذف المضاف ويجعل تقديم ذكره قرينة له والتقدير فبأىّ حديث بعد حديث الله اى بعد كتابه
وقرآنه وقد سماه حديثا فى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فحينئذ يكون المراد بالآيات الدلائل المتلوّة
ويكون عطفه على حديث الله من قبيل عطف الخاص على العام لان آياته المتلوّة هى حديث الله المقيد بكونه
دلائل وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته ويحتمل ان يكون المراد بها القرآن كما ان المراد بحديث الله ذلك
ويكون عطفه عليه لتغاير الوصفين ومن قرأ يؤمنون بياء الغيبة اعتبر موافقة قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون
ومن قرأ بتاء الخطاب جعل تقدير الكلام قل لهم فبأىّ حديث تؤمنون ﴿ قوله تعالى فبأىّ ﴾ متعلق بتؤمنون
قدّم عليه لان له صدر الكلام وقوله تتلى فى موضع الحال من آيات الله اى متلوّة ومستكبرا حال من المنوىّ
فى يصرّ وكأن لم يسمعها حال بعد حال على قول من يجوّز انتصاب حالين من ذى حال واحد اى يصرّ على الكفر
بآيات الله متعظما مشبها بغير السامع او حال من المنوىّ فى مستكبرا وكأن مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو
ضمير الشان والحديث اى كأنه لم يسمعها ﴿ قوله يرى غمرات الموت ثم يزورها ﴾ اوّله لا يكشف الغماء الا ابن حرّة
اشار بكلمة ثم الى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيته اياها مستبعدة مستنكرة عقلا وعادة وهو مع ذلك يزورها بعد
ايقانه اياها بالغ فى مدحه بالشجاعة بانه يقدم على غمرات الموت وشدآئده بعد رؤيتها والغماء الشدّة وغمرات
الموت شدآئد الحرب ثم انه تعالى لما بين شناعة من لم يؤمن بآيات الله بقوله فبأىّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون
اذا لم يؤمنوا بها مع ظهور كونها من آياتنا اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اى كذاب ﴿ قوله والبشارة
على الاصل او التهكم ﴾ فان البشارة قد تطلق على الاخبار بالخبر النافع المفيد للفرح والسرور مطلقا اى سوآء
كانت بما يوجب المسرّة او بما يوجب الحزن والمساءة وقد تطلق على الشرّ والخبر المؤلم اذا قرنت به كما فى هذه
الآية * قال الجوهرى البشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون بالشرّ اذا كانت مقيدة به كقوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم فعلى الاوّل تكون البشارة المذكورة فى هذه الآية محمولة على التهكم وعلى الثانى تكون على اصل

(تلك آيات الله) اى تلك آيات دلائله
(نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة
(بالحق) ملتبسين به او ملتبسة به (فبأىّ
حديث بعد الله وآياته تؤمنون) اى بعد آيات
الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى
قولك اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله
وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث
وآياته دلائله المتلوّة او القرآن والعطف
لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو
عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله
(ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) كثير الاثم
(يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ) يقيم على
كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثمّ
لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله
* يرى غمرات الموت ثمّ يزورها *
(كأن لم يسمعها) اى كأنه فخففت وحذف
ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصرّ
مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) على
اصراره والبشارة على الاصل او التهكم

(واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ وعلم انه منها (اتخذها هزؤا) لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزآء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشئ لانه بمعنى الآية (اولئك لهم عذاب مهين من ورآئهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم (ولا يغنى عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لا يتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرءآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشدّ العذاب (الله الذى سخر لكم البحر) بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه بامره) بتسخيره وانتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال بها اى سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف (انّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا (للذين لا يرجون ايام الله) لا يتوقعون وقائعه باعدآئه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارىّ فهمّ ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر

معناها وهو الاخبار بالشرّ حيث ذكرت مقارنة له ثم انه تعالى وصف الاثيم المذكور اوّلا بانه يصرّ على الانكار والاستكبار عن الايمان بالآيات معجبا بما عنده قيل نزلت الآية فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرءآن وسبب نزولها وان كان خاصا الا انها عامة فى كل من كان موصوفا بالصفة المذكورة ثم وصفه ثانيا بانه ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزآء فقال واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزؤا ﴿قوله لذلك﴾ اى لعلمه انه من آياتنا ﴿قوله وفائدته﴾ اى وفائدة العدول عن الظاهر وكان الظاهر ان يقال اتخذه هزؤا اى اتخذ ذلك الشئ الواحد الذى بلغه الا انه تعالى قال اتخذها اى اتخذ آياتنا هزؤا للاشعار بانه لا يقتصر على الاستهزآء بذلك الشئ الواحد الذى بلغه بل يخوض فى الاستهزآء بجميع الآيات التى انزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون ضمير اتخذها لشئ وتأنيثه لكون الشئ بمعنى الآية ﴿قوله من قدامهم﴾ قال صاحب الكشاف الورآء اسم للجهة التى يواريها الشخص اى يسترها من خلف كانت او قدام وجعل الوراء فى الآية بمعنى القدام لان شخص الكافر يوارى جهنم اذا نظر اليها من خلفه لانه متوجه اليها فيكون حائلا بينها وبين الناظر اليها والمصنف جوّز كونه بمعنى الخلف ايضا لكون جهنم خلفه بمعنى انها بعد موته ولما ذكر ان جهنم مصيرهم يعذبون فيها بين ان ما ملكوه فى الدنيا لا ينفعهم ولا يدفع عنهم شيأ من عذابها فقال ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ثم انه تعالى لما وبخهم على كفرهم بالقرءآن وذكر انواع ضلالهم فى حقه وهدّدهم عليها بوجوه متعددة جعله كالجبل المشار اليه بالحس ونكر خبره تنكير تعظيم وتهويل فقال هذا هدى اى كامل فى الهداية وليس بمظنة التكذيب والاستهزآء والذين كفروا به وكذبوه لهم عذاب فوق العذاب بسبب كفرهم به وتكذيبهم اياه ﴿قوله وقرئ منة﴾ بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء على المفعول له او على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف او لقوله سخر لكم لكونه بمعناه وفى الصحاح منّ عليه منّا اى انعم عليه ومنّ عليه منة اى امتنّ عليه امتنانا وقرئ ايضا منه بفتح الميم ورفع النون وضم هاء الضمير على ان المنّ مصدر مضاف الى الضمير وذكر لارتفاعه وجهين الاوّل انه فاعل سخر على الاسناد المجازى اى سخر جميع ذلك منه عليكم كقولك احيانى اقبالك علىّ وسدّد امرى حسن رأيك فىّ والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى تسخير ذلك منه عليكم ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد والعلم الكامل والقدرة البالغة اردفه بتعليم الاخلاق والافعال الجيدة فقال قل للذين آمنوا الآية حث المؤمنين على ترك المنازعة مع الكفار والتجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة ﴿قوله تعالى يغفروا﴾ مجزوم على انه جواب الامر والمقول محذوف لدلالة الجواب عليه ونظيره قوله تعالى فى سورة ابراهيم قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴿قوله او لا يأملون الاوقات﴾ مبنى على ان الايام تطلق على اوقات النعمة والمحنة جميعا ﴿قوله والآية نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ الا انه اختلف فى سبب نزولها فيه فقال ابن عباس رضى الله عنه انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله بن ابىّ غلامه ليستقى له الماء فأبطأ عليه فلما اتاه قال ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر رضى الله عنه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ عمر قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الآية وروى ان فنحاص اليهودى لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فبعث النبى صلى الله عليه وسلم حتى ردّه وقال مقاتل ان رجلا من بنى غفار من كنانة رهط ابى ذرّ الغفارى شتم عمر بمكة فهمّ ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل هذه الآية وقال القرطبى والسدى انها نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال قال الامام اكثر المفسرين يقولون انها منسوخة وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان ذلك نسخا ثم قال والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة فى المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة والمصنف اختار ما ذهب اليه الامام حيث لم يرض بقول من قال انها منسوخة بآية القتال اذ لا منافاة بين فرضية القتال مع الكفار الذين استكبروا عن الايمان وقبول الجزية وبين الامر بالاعراض عنهم وترك المنازعة معهم فى محقرات الامور ﴿قوله علة للامر﴾

(اى)

ى للامر بالمغفرة كأنه قيل انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزآء مغفرتهم يوم القيامة ﴿قوله فيكون تكير الخ﴾ نشر على ترتيب اللف فان اريد بالقوم المؤمنون المذكورون بقوله قل للذين آمنوا كان الظاهر ان ل ليجزيهم او ليجزى القوم معرّفا تعريف العهد الا انه نكر تعظيما لشانهم كأنه قيل ليجزى قوما اى قوم من شانهم صفح عن السيئات والتجاوز عن الاذيات وتجرّع المكاره والصبر عليها وان اريد به الكفار المذكورون بقوله ين لا يرجون ايام الله يكون وجه التنكير تحقيرهم وان اريد به كلا الفريقين يكون التنكير للشيوع والابهام وكذا له والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمها فانه من قبيل اللف والنشر المرتب ﴿قوله وقرأ ابن عامر وحمزة لكسائى لنجزى بالنون﴾ اى بنون العظمة كأنه قيل قل لهم اغفروا واصفحوا عن اذاكم ولا تكافئوهم باذيتهم ى نكون نحن الذين نجازيهم ونكافيهم وباقى السبعة قرأوا ليجزى بياء الغيبة مبنيا للفاعل اى ليجزى الله وقرئ جزى قوم بالياء التحتية مبنيا للمفعول ورفع القوم لقيامه مقام الفاعل وليجزى قوما على بناء المفعول ونصب قوما ى معنى ليجزى الخير او الشرّ قوما باسناد الفعل الى ضمير المفعول الثانى فان المفعول الثانى للافعال التى تعدّى اثنين يجوز اقامته مقام الفاعل تقول اعطى درهم زيدا وجزى يتعدّى الى اثنين تقول جزيت فلانا الخير فاذا ته للمفعول اقمت ايهما شئت مقام الفاعل واضمر ههنا الخير او الشرّ لدلالة قوله بما كانوا يكسبون عليه ﴿قوله جزآء اعنى ما يجزى به﴾ اى ويجوز ان يضمر الجزآء بمعنى ما يجزى به فان الجزآء قد يستعمل بمعنى ما يجزى به ى قوله تعالى جزآؤهم عند ربهم جنات لا الجزآء الذى هو مصدر جزيته بما صنع لانهم قالوا اقامة المصدر مقام اعل ضعيف مطلقا لاسيما مع وجود المفعول به فانه اذا وجد المفعول به تعين لان يقوم مقام الفاعل وعلى تقدير ة المصدر مقامه فى الجملة فانما يقوم مقامه بشرط ان لا يكون لمجرّد التأكيد فلا يقال ضرب ضرب لعدم الفائدة فان الشئ انما يقام مقام الفاعل اذا افاد اسناد الفعل اليه فائدة جديدة زائدة على ما افاده الفعل فلا يقال ضرب رب وانما يقال ضرب ضربة او ضرب شديد او الضرب الفلانى ونحو ذلك واذا كان الجزآء الذى اسند اليه ه يجزى بمعنى ما يجزى به يكون مفعولا ثانيا لا مصدرا وقوله ليجزى الخير او الشرّ او الجزآء من قبيل اللف والنشر تب ايضا فان اضمار الجزآء بمعنى ما يجزى به مبنى على انه يراد بالقوم العام المتناول للمؤمنين والكافرين ويكون ره للشيوع والابهام والمراد بالكسب ما يعم العفو والاساءة ثم انه تعالى لما ذكر اجمالا ان المرء يجزى بكسبه بين من كسب صالحا كالعفو عن المسيئ فانه يثاب وانه هو المنتفع بكسبه ومن كسب الاساءة يعاقب ويتضرّر بكسبه ه تعالى انما امر بالصالح ونهى عن السيئة رحمة للمكلف لا لنفع يعود اليه تعالى ثم لما بين ان نفع العمل الصالح مل وان مضرّة العمل السيئ عليه بين ان ذلك النفع والضرّ انما يكون بالمراجعة الى مقام العرض والحساب ين ان طريقة قومه عليه الصلاة والسلام كطريقة من تقدّم من الامم فانه تعالى انعم على بنى اسرآئيل نعما كثيرة م الدين والدنيا ومع ذلك لم يشكروا تلك النعم بل اختلفوا فى امر الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل ى والحسد حيث طلب كل فريق ان يكون هو الرئيس المتبوع حسدا واتباعا للهوى فصاروا الى التعادى ضارب وقتل الانبياء ومن حق العلم بحقيقة الحال ان يكون سببا للاتفاق على الحق وارتفاع الخلاف وكان م بها سببا لحصول الاختلاف فكذا كفار قومه عليه افضل الصلاة والسلام جاءتهم ادلة واضحة دالة على قة دينه عليه الصلاة والسلام ثم اصرّوا على الكفر واستكبروا عن الايمان والطاعة عداوة وحسدا ﴿قوله حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم﴾ اشارة الى انه لا حاجة الى تخصيص العالمين بعالمى زمانهم بناء ان الظاهر ان المراد تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الانبياء منهم فان عدد الانبياء فيما بين يوسف سى عليه الصلاة والسلام لا يعلمه الا الله فهذه الفضيلة مختصة ببنى اسرآئيل غير موجودة فى غيرهم فهم مفضلون هذا الوجه على سائر الامم ومما يختص بهم فلق البحر واغراق عدوّهم فيه بأسرهم وانزال المنّ والسلوى وانفجار ثنتى رة عينا من حجر صغير الى منازل الاسباط الاثنى عشر فى مدّة احتباسهم فى التيه ونحو ذلك وليس المراد تفضيلهم العالمين بحسب الدين والثواب * قال الامام محيى السنة فى تفسير العالمين اى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن من العالمين فى زمانهم اكرم على الله عز وجل ولا احب اليه منهم الى هنا كلامه ﴿قوله انهم لن يغنوا ك من الله شيأ﴾ تعليل للنهى عن اتباع اهوآئهم اى انك ان اتبعت اهوآءهم وملت الى اديانهم الباطل صرت قا للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شئ مما اراد الله بك من العذاب ان اتبعت اهوآءهم ثم بين الله

والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشرّ او الجزآء اعنى ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ولقد آتينا بنى اسرآئيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات (والنبوّة) اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما احل الله من اللذآئذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) ادلة فى امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبى عليه السلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) امر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع اهوآء الذين لا يعلمون) آرآء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما اراد بك

تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة بايصال الثواب اليهم وازالة العقاب عنهم
وهذه الجملة معطوفة على ماقبلها فتكون من تتمة العلة الثانية للنهي المذكور لان بيان ان ولي الظالم من هو ظالم
مثله بيان ان مثلك لا يوالي ظالما فكيف تتبعه وليبين ان المتقين عن الظلم لا يوالون ظالمين ان وليهم هو الله وحده
وانهم لا يفعلون شيأ مما يأتون ويذرون الا ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لمرضاته ﴿قوله بينات تبصرهم﴾
اي دلائل تعرفهم وفي الصحاح البصيرة الحجة والتبصير التعريف والايضاح جمع خبر هذا باعتبار ما فيه ثم انه تعالى
لما رغب في اتباع الشريعة ونهى عن اتباع آراء الجهال ذكر ان القرآن او اتباع الشريعة مع ما فيهما من البينات
الشافية والدلائل الواضحة بمنزلة البصائر في القلوب اذ يتوصل بكل واحد منهما الى تحصيل العرفان واليقين
ثم انه لما بين الفرق بين الظالمين وبين المتقين وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولا حظ لهم من ولاية الله تعالى بخلاف
المتقين فانه تعالى وليهم وناصرهم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين آمنوا وكلمة ام فيه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن بيان الفرق بينهما على الوجه المذكور
الى بيان الفرق بينهما بوجه آخر ويحتمل ان تكون مقدرة ببل وحدها او بالهمزة وحدها قوله تعالى ان نجعلهم
ساد مسد مفعولي حسب لان باب حسب اذا وقع بعده ان المشددة او المخففة او الناصبة تكون هي مع ما عملت فيه
سادة مسد المفعولين وههنا قد وقع بعد فعل الحسبان ان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين ونجعلهم من الجعل
بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين اولهما الضمير وثانيهما الكاف في كالذين والمعنى ان نجعلهم مثلهم وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سواء بالنصب والباقون بالرفع وعلى قراءة الرفع يكون محياهم مبتدأ ومماتهم عطفا عليه
وسواء خبرا للمبتدأ والجملة في موضع النصب على انها بدل من المفعول الثاني للجعل وهو الكاف لان الجملة تقع
مفعولا ثانيا نحو حسبت زيدا ابوه منطلق فلو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا فكذا يجوز جعل
الجملة بدلا من المفعول الثاني ﴿قوله لان المماثلة فيه﴾ اي في استواء المحيا والممات علة لكون الجملة بدلا
اذ لا معنى لانكار حسبان ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء وامواتا
امالافتراقها امواتا فان هؤلاء عاشوا على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي واما افتراقها امواتا فان هؤلاء
ماتوا على البشرى بالرحمة والرضوان وهؤلاء على اليأس من الرحمة والمصير الى الهوان ويجوز ان يكون
المعنى انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما
يفترقون في الممات فان المحسنين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان
وجوههم يوم القيامة مسفرة ضاحكة مستبشرة ولهم من الكرامات ما لا يعلمها الا الله تعالى بخلاف المسيئين فانهم
وان كانوا مكرمين في حياتهم كالمؤمنين بل قد يكون حالهم في الدنيا ارجح من حال المحسنين الا ان مماتهم ليس
كحياتهم فانهم مخذولون مهانون عند الموت وبعده فممات المسيئين لا يوافق حياتهم كما توافقت حياة المحسنين
ومماتهم في البهجة والكرامة وهذا اعني كون جملة سواء محياهم بدلا من الكاف انما هو على تقدير ان يكون ضمير
محياهم ومماتهم للمجترحين واما على تقدير كونه للمحسنين فلا يجوز ذلك لان المجهول مثلاهم المجترحون واستواء
الحالين وصف المشبه فلا وجه للبدلية وذكر لانتصاب سواء ثلاثة اوجه الاول ان يكون سواء بدلا من الكاف
بمعنى مستويا ويكون محياهم في محل الرفع على انه فاعل سواء بمعنى مستويا والثاني ان يكون حالا من الضمير
المرفوع المستكن في كالذين آمنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم وليس من الحكمة
ان يستوي محيا المجترحين ومماتهم كالمؤمنين بل يقتضي ان يكون احدهما مرحوما في الحالين ويكون الآخر
مرحوما حياة ليتمكن من القيام على مقتضى التكليف ولا يكون مرحوما موتا بمقتضى العدل والثالث
ان يكون سواء هو المفعول الثاني للجعل ويكون كالذين حالا من ضمير نجعلهم اي نجعلهم حال كونهم مثلهم
سواء وليس هو بقوي من حيث المعنى وعلى القراءة بنصب سواء على كل واحد من هذه الاوجه الثلاثة يريد
ان تكون حياة المجترحين كمماتهم لا انكار ان تكون حياة احد الفريقين كحياة الآخر ومماته كمماته فينبغي ان يكون
المعنى كذلك على قراءة الرفع ﴿قوله وان كان للثاني﴾ اي وان كان ضمير محياهم للموصول الثاني
وهو الذين آمنوا فحينئذ يجوز ان يكون قوله سواء حالا اي من الموصول الثاني وان يكون استئنافا على سبيل
التعليل للانكار اي لم يكن الفريقان على السواء لان المؤمنين سواء محياهم ومماتهم من حيث انهم على الطاعات

(وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) اذ
الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوآئهم
(والله ولي المتقين) فواله بالتقى واتباع الشريعة
(هذا) اي القرآن او اتباع الشريعة (بصائر
للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح
(وهدى) من الضلال (ورحمة) ونعمة
من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين
(ام حسب الذين اجترحوا السيئات) ام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (ان
نجعلهم) ان نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات) مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل
وقوله (سواء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان
الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى
انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة
والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قرآءة
حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على
البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية
والكاف حال وان كان للثاني فحال منه
او استئناف يبين المقتضي للانكار

(حياة)

حياة وعلى البشرى والرضوان مماتا بخلاف المجترحين ﴿قوله وان كان لهما﴾ اى ان كان الضمير للموصولين جميعا فحينئذ يكون سوآء بدلا من الكاف لان المماثلة تكون باستوآء الحالين او حالا من الموصولين جميعا اى من نفس الثانى والضمير الاوّل او استئنافا مقرّرا تساوى حالى المؤمنين بالنسبة اليهم فيكون تعليلا للانكار بحسب المعنى دالا على عدم المماثلة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لان هؤلاء متساووا المحيا والممات والممات فى الرحمة وهؤلاء تساووا المحيا والممات فى النقمة فان كل واحد من المحسن والمسيء يموت على حسب ما عاش عليه فالاوّل عاش على الهدى ومات عليه والثانى عاش على الضلال ومات عليه فانى احدهما يكون كالآخر * والحاصل انه تعالى لما انكر حسبان ان يستوى المسيء والمحسن كان مظنة ان يقال فاذا كيف الحال * فاجيب بان المؤمن يعيش حميدا ويموت سعيدا يعيش فى طاعة الرحمن ثم المرجع الى الرضوان والكافر يعيش فى طاعة الشيطان والمآب الى عذاب النيران فانى يستويان ومن قرأ محياهم ومماتهم بالنصب جعلهما ظرفى زمان كمقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى وقت مقدم الحاج ووقت خفوق النجم والعامل اما الجعل واما سواء والتقدير ان نجعلهم فى هذين الوقتين سوآء او نجعلهم مستويين فى هذين الوقتين ثم انه تعالى صرّح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون وساء هنا يجوز ان تكون للاخبار عن قبح حكمهم فتكون ما مصدرية وما يحكمون فى محل الرفع على انه فاعل ساء وان تكون لانشاء الذم بمعنى بئس فتكون ما نكرة موصوفة بمعنى شيأ كما فى قولك مررت بما معجب لك اى بشيء معجب لك ومحلها النصب على التمييز والمميز المنوى فى ساء اى بئس الشيء شيأ حكموا به ذلك والمخصوص بالذم محذوف وهو ذلك ﴿قوله كأنه دليل على الحكم السابق﴾ وهو ان الذين اجترحوا السيئات لا يساوون المحسنين بعد الممات وتقريره ان الحق هو الشيء الثابت الذى يقتضيه الدليل ويثبت كوجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب طاعته شكرا لاحسانه وحرمة مخالفته وعصيانه فالله تعالى لما خلق السموات والارض بسبب الحق ولاجل ظهوره ومن جملة حكمته وعدله لزم من ذلك ان ينتقم من الظالم لاجل المظلوم والتفاوت بين المسيء والمحسن وذلك يستدعى ان يحشر الخلائق ويحاسبوا ويجزى كل نفس بما عملت من خير او شرّ فثبت به ان حسبان جعل المسيء كالمحسن والتسوية بينهما بعد الممات امر منكر غير واقع ﴿قوله لانه فى معنى العلة﴾ بناء على ان الباء سببية اى بسبب الحق ولاجل ظهوره ﴿قوله وتسمية ذلك ظلما﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على ان نقص مقدوره تعالى كنقص الثواب وتضعيف العقاب لو وقع لكان ظلما مع انه لو فعل الله تعالى ذلك لم يكن منه ظلما لقوله وما الله يريد ظلما للعالمين فضلا عن ان يفعله * وتقرير الجواب ان قوله تعالى وهم لا يظلمون معناه انه لا يتحقق بهم فى الآخرة فعل لو فعله غيره تعالى لكان ظلما فان شيأ من الافعال لا يكون قبيحا ولا ظلما من حيث وقوعه منه تعالى فان اهل الملة اتفقوا على انه تعالى لا يظلم الناس شيأ الا ان اهل السنة يقولون ان شيأ من الافعال لا يكون ظلما بالنسبة اليه تعالى وانه لا يفعل بالناس فعلا لو فعله غيره لكان ظلما كما ان المراد بالابتلاء والاختبار فعل لو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر قبائحهم فقال افرأيت اى اخبرنى فيه تجوّز ان اطلاق الرؤية وارادة الاخبار على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الرؤية سبب الاخبار وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب وقوله تعالى من اتخذ مفعول اوّل لقوله ارأيت ومفعوله الثانى محذوف قدّر بعد قوله غشاوة وهو يهتدى وحذف لدلالة قوله فمن يهديه عليه وانما قدّر بعد غشاوة لئلا يتخلل بين الصلات العاطفة اى اخبرنى يا محمد ان هؤلاء المشركين الذين اتخذوا اهوآءهم آلهة يعبدونها ويطيعون امرها اى اطاعوا اهوآءهم حتى صاروا كأنهم يعبدونها هل يتوقع منهم ان يهتدوا ويتبعوا الهدى وقوله فمن يهديه استفهام بمعنى النفى وقوله على علم حال من الجلالة اى عالما بانه منكس البنية قد انقلب وجهه الى الجهة السفلية لا يرفع رأسه الى الفضائل الروحانية ولا يقبل هدى الله بل اخلد الى الارض واتبع هواه * قال الامام نظيره فى جانب التعظيم الله اعلم حيث يجعل رسالاته وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فنها مشرقة نورانية علوية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الحيوانية فهو تعالى يعامل كلا منهم بما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد بقوله واضله الله على علم فى حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فى حق المقبولين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى غشوة﴾ بفتح الغين وسكون الشين وباقى السبعة غشاوة بكسر الغين وقرئ بفتحها ايضا وهى لغة ربيعة وقرئ بضمها ايضا وهى لغة قليلة وقرئ غشوة بكسر الغين كما قرئ بفتحها ﴿قوله تعالى أفلا تذكرون﴾ اى ايها الناس

وان كان لهما فبدل او حال من الثانى وضمير الاوّل والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة او استئناف مقرّر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا او بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء (أفرأيت من اتخذ آلهه هواه) ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهته هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه (واضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تذكرون

(وقالوا ماهى) ما الحياة او الحال (الاحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيي) اى نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيي بعد ذلك اونموت بانفسنا ونحيي ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيي بعضنا او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس ورآء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الاالدهر) الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (ومالهم بذلك من علم) يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك ومايتعلق بها على الاستقلال اوانكار البعث اوكليهما (ان هم الايظنون) اذلادليل لهم عليه وانماقالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنابينات) واضحات الدلالة على مايخالف معتقدهم اومبينات لهم (ماكان حجتهم) ماكان لهم متشبث يعارضونها به (الاان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع *

فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على مادلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) فان من قدر على الابدآء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن اكثر الناس لايعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم القدرة بعد تخصيصها

بعقولكم ثم انه تعالى لما بين ضلالة المشركين بايثارهم متابعة الهوى على متابعة الهدى وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمان من علم منهم انهم لايؤمنون حكى عنهم شبهتهم فى انكار القيامة وفى انكار الاله القادر اماشبهتهم فى انكار القيامة فهى قولهم باهوآئهم التى عبدوها واطاعوها ليس مايقوله المؤمنون من الاحياء بعد الموت حقا وما الحياة الاحياتنا القربى التى نحن عليها واماشبهتهم فى انكار الاله الفاعل المختار فهى قولهم ومايهلكنا الاالدهر فانهم ينسبون الموت والحياة ونحوهما من الحوادث السفلية الى تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ويقولون لاحاجة فيها الى اثبات امر خارج عن هذا النظام المشاهد هوفاعل مختار مستند اليه الحوادث باسرها اما ابتدآء او بواسطة فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وانكار القيامة واهل الجاهلية كانوا اصنافا منهم من ينكر الصانع ويضيف الحوادث الى الدهر ومنهم من يثبت الصانع وينكر البعث والثواب والعقاب ومنهم من يشك فى البعث ولاينكره على سبيل البت والقطع ﴿قوله اى نكون امواتا ونحيي بعد ذلك﴾ جواب عمايقال الحياة متقدمة على الموت عند من ينكر حياة البعث فالمناسب لهم ان يقولوا ماهى الاحياتنا الدنيا نحيي ونموت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة *ومحصل الجوابين الاولين انا سلمنا ان الاصل ان يكون الترتيب فى الذكر على وفق الترتيب فى الوجود لكن لانسلم انه قد خولف هذا الاصل فى هذه الآية وانمايلزم ذلك ان لو كان المراد بالموت مايعقب الحياة ويزيلها وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بالموت كونهم امواتا حال كونهم نطفا وماقبلها من الاغذية وبالحياة الحالة الحاصلة بعد ذلك فى الدنيا او يكون المراد بالموت مايزيل حياتهم وبحياتهم بقاءهم فى الدنيا ببقاء اولادهم بعدهم فان بقاء اولادهم بعدهم حياة لهم مجازا ومبنى الجوابين الاخيرين منع دلالة الكلام على الترتيب فى الوجود على حسب الترتيب فى الذكر لان الواو للجمع المطلق ومع ذلك يحتمل ان يكون المراد من تعلق به الموت غير الذى تعلق به الحياة بان يكون المعنى يموت بعضنا ويحيي بعض آخر ويحتمل ان لايكون كذلك بان يكون المعنى يصيبنا الموت والحياة منها وليس ورآء ذلك حياة *وقال الامام انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الاحياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيي يعنى ان تلك الحياة منها مايطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنها مالم يطرأ عليها الموت بعد ذلك وهى فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد ﴿قوله ماكان حجتهم﴾ قرأ العامة بنصب حجتهم على تقديم خبر كان على اسمها وقرئ برفعها على الاصل ﴿قوله وانما سماه حجة﴾ جواب عمايقال الحجة انماتطلق على الدليل القطعى وقولهم فى معرض الاحتجاج على انكار البعث ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ليس بحجة بل هى شبهة ضعيفة جدا لان عدم حصول الشئ حالا لايستلزم ان يكون ممتنع الحصول مطلقا فان الحوادث كلها كانت معدومة من الازل الى اوقات حصولها وحدوثها ولو كان عدم الحصول فى وقت معين دليلا على امتناع الحصول مطلقا لكانت الحوادث كلها ممتنعة الحصول مطلقا وهو باطل بالضرورة الا انه تعالى سماه حجة بناء على حسبانهم ومساقهم فانهم يذكرون هذه الشبهة ويسوقونها فى معرض الاحتجاج بها اوسماه حجة لبيان انهم لاحجة لهم البتة لان من كانت حجته هذه الشبهة الضعيفة جدا لايكون له حجة البتة فيكون الكلام على اسلوب قولهم

تحية بينهم ضرب وجيع *فان من ابتدئوا بالضرب الوجيع فى اول التلاقى لايكون بينهم تحية البتة فقوله تحية بينهم ضرب وجيع فى قوة ان يقال سماه حجة للدلالة على انهم لاحجة لهم على امتناع البعث البتة ﴿قوله على مادلت عليه الحجج﴾ وهى التى استدل بها على وجود الاله القادر العليم الحكيم فى خلق السموات والارض وحدوث الحيوانات المبثوثة فى الارض وحدوث الحوادث المتجددة كأنه جواب عما يقال قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم كيف يكون جوابا لمن ينكر البعث ووجود الاله القادر على كل شئ ويقول ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيي ومايهلكنا الاالدهر فابطال كلامه بان يقال قل الله يحييكم مصادرة واثبات الشئ بنفسه* وتقرير الجواب انه انماتلزم المصادرة ان لو قيل فى ابطال قول من ينكر البعث ووجود الاله لاتنكرهما فان الله يجمعكم الى يوم القيامة وليس كذلك بل يوجه كونه جوابا له بان معنى قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم كيف تنكر البعث ووجود الاله القادر وقد ثبت وجوده بوجود الحوادث من السموات والارض والحيوان والانسان ومن قدر على الابدآء قدر على الاعادة ومن قدر على اعادة الاموات يقدر على اعادة آبائكم واتيانها فحجتكم داحضة وشبهتكم ضعيفة واهية ﴿قوله تعميم القدرة بعد تخصيصها﴾ فانه تعالى لما احتج بقدرته على الاحياء والاماتة على قدرته على الاعادة ثانيا وجمعهم للمجازاة بين انه قادر على جميع الممكنات سوآء كانت سماوية او ارضية واذا ثبت كونه قادرا على كل الممكنات

ثبت ان حصول الحياة فى الذوات التى وجدت ابتدآء ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصلت ابتداء فقد لزم من هاتين
مقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرّة الثانية ثم انه تعالى لما بين صحة القول بالحشر و النشر بهذين الطريقين
تفاصيل احوال يوم القيامة فاوّلها قوله و يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى يظهر خسران
الباطل لانهم لم يكونوا فى خسران قبله وانما خسروا يومئذ و الخسران عبارة من اضاعة رأس المال من غير
بنوب منابه و من المعلوم ان الحياة و العقل و الصحة كأنها رأس المال بالنسبة الى المكلف و التصرّف فيها لطلب
سعادة الاخروية بمنزلة تصرّف التاجر فى ماله لطلب الربح و من صرفها ايام حياته فى الكفر و المعاصى
يكتسب بها مايسعده فى الآخرة ثم انتقل الى دار الآخرة فقد ظهر له هنالك انه ضيع رأس ماله بغير شئ حيث
يجد فى ذلك اليوم الاالخيبة و الخذلان و عذاب النيران و يوم ظرف لقوله يخسر و يومئذ بدل منه و تنوين يومئذ
ن عوض عن المضاف اليه المقدّر و التقدير و يوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر المبطلون و الثانية
حوال القيامة ماذكره بقوله و ترى كل امة جاثية الظاهر ان الرؤية بصرية فيكون جاثية حالا من المفعول و الجثوة
م الشئ المجتمع و اجتماع كل امة معناه عدم اختلاطهم بامة اخرى و قيل جاثية اى جالسة على الركب كما يجلس
صما بين يدى الحاكم و مصدره الجثوّ و تجلس الامة على هذه الهيئة لكونها خائفة فلا تطمئن فى جلستها يوم الحساب
ال استوفز فى قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن هيبة و احتراما و الجذوّ اشدّ استيفازا من الجثوّ
الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه * قال الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فى حق تلميذه يحضر مجلسه
و قلبه متعلق بمصالحه

❁ يجئ من فضلة وقت له ❁	ليس له هم خلاف النزوع ❁
❁ منه ترى جلسة مستوفز ❁	قد شدّدت احاله بالنسوع ❁
❁ ماشئت من زهزهة الفتى ❁	بمصقلا باد لسق الزروع ❁

وع جمع نسعة و هى التى تنسج عريضا للتصدير و هو الحزام الذى فى صدر البعير و يشدّ بها فوق الاحمال لئلا
طرب و الزهزهة التحسين معرب من قولهم عند التحسين زهزه و ماابهامية و من بيانية و هو مقول قول مقدّر
وضع الحال من فاعل ترى اى ترى جلسة مستوفز قائلا فى حال تعليمى اياه زه زه و قلبه فى مصقلا باد لسق زرعه
مصقلا باد محل بجرجان ﴿قوله و قرأ يعقوب كل﴾ اى بالنصب على البدلية من كل امة الاولى ابدال نكرة
موصوفة من مثلها فان تدعى على هذه القرآءة فى موضع النصب على انه صفة لكل أو حال منه او مفعول ثان لترى
ان الرؤية قلبية فتكون جاثية ايضا كذلك و العامة على الرفع بالابتدآء و تدعى خبرها ﴿قوله اضاف صحائف
عمالهم الى نفسه﴾ مع انها اضيفت الى الامة فيما قبل حيث قيل الى كتابها و حاصل الجواب انه لامنافاة بين الاضافتين
كتابهم من حيث اشتماله على تفصيل اعمالهم و كتاب الله تعالى من حيث انه مكتوب بامره و قوله
هذا مبتدأ و كتابنا خبره اى يقال لهم هذا كتابنا و ينطق اما خبر بعد خبر او هو الخبر و كتابنا بدل من هذا او عطف
له و يجوز ان يكون ينطق حالا من كتابنا و العامل ما فى هذا من معنى الفعل ﴿قوله نستكتب الملائكة
الكم﴾ اى نامرهم بكتبها و اثباتها عليكم و النسخ فى الاصل هو النقل من اصل و يستعمل فى الكتب ابتدآء و قيل
نسخ هذا الكتاب من اللوح المحفوظ لما روى عن ابن عباس انه قال ألستم قوما عربا هل يكون النسخ
ن كتاب و فى الخبر ان الملائكة اذا كتبوا اعمال العباد و صعدوا بها الى السماء امروا ان يعرضوها على اللوح المحفوظ
جد كذلك فالمعنى على هذا ان الملائكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم و عملكم
يخفى علينا شئ ثم انه تعالى لما بين احوال القيامة من ان كل امة تدعى الى كتابها بين احوال كل واحد
لمطيعين و العاصين فقال فاما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته و احتجت المعتزلة بهذه الآية
حرمان الفاسق من الجنة لانه تعالى علق الدخول فى رحمته على اتيان مجموع الايمان و العمل الصالح
علق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز
ة و الجواب ان تعليق الحكم على الوصف لايدل على عدم الحكم عند عدم الوصف ﴿قوله اى فيقال لهم
تكم رسلى﴾ اشارة الى ان جواب اما محذوف و هو قوله فيقال هذا القول و ان المعطوف عليه بالفاء جملة مقدّرة
همزة و اكتفاء و استغناء من قبيل اللف و النشر المرتب ﴿قوله عادتهم الاجرام﴾ اى من حيث

(و يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) اى و يخسر يوم تقوم و يومئذ بدل منه (و ترى كل امة جاثية) مجتمعة من الجثوة و هى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب و قرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم (كل امة تدعى الى كتابها) صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاوّل و تدعى صفة او مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة و نقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) اعمالكم (فاما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر لخلوصه عن الشوآئب (و اما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول و المعطوف عليه اكتفاء بالمقصود و استغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (و كنتم قوما مجرمين) عادتهم الاجرام

انهم مع استكبارهم عن الايمان بالآيات ماكانوا عدولا فى اديان انفسهم بل كانوا فساقا فى ذلك الدين ايضا وهذا المعنى مستفاد من لفظ كنتم وبه يحسن وصف الكافر بكونه مجرما فى معرض الطعن فيه والذم له ﴿قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق الآية﴾ داخل فى حكم الاستفهام المذكور عطفا على استكبرتم اى اولم يكن الشان انه اذا قيل لكم ان وعد الله بالبعث والجزآء والعقاب حق والساعة لاريب فيها وكل واحد من الوعد والموعود حق الاوّل انه كائن نفسه والثانى بمعنى ان متعلقه كائن لامحالة قلتم ﴿قوله وقرأ حمزة بالنصب﴾ اى والباقون برفعها على انها مبتدأ والجملة المنفية بعدها خبرها او على انها معطوفة على اسم ان لانه قبل دخول ان مرفوع بالابتدآء او على محل ان واسمها معا على رأى من يقول كلمة ان مع اسمها لها موضع وهو الرفع بالابتدآء وما الاولى فى قوله ماندرى ماالساعة نافية والثانية استفهامية فى موضع الرفع على ان الساعة مبتدأ وهى خبرها والجملة فى موضع النصب بقوله ماندرى ﴿قوله اصله نظن ظنا الخ﴾ اشارة الى ان هذه الآية لابدّ فيها من تأويل لان المصدر الذى يكون للتأكيد لايجوز ان يكون مستثنى مفرّغا فلا يقال ماضربت الاضربا لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة ان يقال ماضربت الاضربت فانه قد تقرّر فى النحو انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع معمولاته مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول المطلق فانه لايفرّغ له عامله فلا يقال ماظننت الا ظنا لانه لافائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لايجوز لاتحاد مورد النفى والاستثناء وهو الظن والحصر انما يتصوّر حيث تغاير مورداهما فالمصنف ذكر فى تأويل الآية وجهين تقرير الاوّل ان مورد النفى محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الافعال ومورد الاستثناء كونه يظن ظنا كأنه قيل مانحن نفعل فعلا الا نظن ظنا فكلمة الا وان كانت متأخرة لفظا فهى متقدّمة فى التقدير فمدلول الحصر اثبات الظن لانفسهم ونفى ماعداه ومن جملة ماعداه اليقين الذى هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفى اليقين لكنه نفى ماعدا الظن مطلقا للمبالغة فى نفى اليقين ولذلك اكد بقوله ومانحن بمستيقنين وتقرير الوجه الثانى وهو ماذكره بقوله اولنفى ظنهم فيما سوى ذلك عطفا على قوله لاثبات الظن ونفى ماعداه فان متعلق الظن فى الموضعين مقدّر الا ان متعلق الاوّل عام ومتعلق الثانى خاص كأنه قيل مانظن فى شئ من المدركات الا ظنا فى هذا المدرك خاصة فاختلف مورد النفى والاستثناء باختلاف متعلق الظن فى الموضعين وفيه مبالغة لاتخفى وقال السكاكى التنكير فى قوله الا ظنا للتحقير والمعنى لانظن بالساعة شيأ من الظن الا ظنا ضعيفا لا اعتداد به فالمنفى جميع مراتب الظن والمثبت اضعف مراتبه فاختلف مورد النفى والاستثناء بهذا الوجه ﴿قوله ولعل ذلك قول بعضهم﴾ جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وبين قولهم ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين فان الاوّل يدل على انهم قاطعون بنفى البعث والثانى يدل على انهم شاكون فى امكانه ووقوعه وتقريره ان القوم لعلهم كانوا فرقتين فى امر البعث والقيامة فرقة منهم كانت جازمة بنفيها وهم المذكورون فى قوله تعالى ان هى حياتنا الدنيا وفرقة منهم كانت تشك وتتحير فيه من حيث انهم لكثرة ماسمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم من دلائل صحته ووقوعه صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الآية حكى الله تعالى اوّلا قول من يقطع بنفيه ثم اتبعه بحكاية قول الشاكين ﴿قوله على ما كانت عليه﴾ حال من سيئات ما عملوا على ان المراد منها اعمالهم السيئة ومن ظهورها ظهورها من حيث انها سيئات وقبائح وان كانت فى الدنيا مصوّرة بصورة مستحسنة مشتهاة تميل اليها الطباع والنفوس ﴿قوله بان عرفوا قبحها﴾ متعلق بقوله وبدا لهم ﴿قوله او جزآؤها﴾ اى ويحتمل ان يراد بسيئات اعمالهم جزآء الاعمال السيئة وتكون تسمية الجزآء سيئة من قبيل تسمية المسبب باسم سببه والا فالجزآء عدل فكيف يكون سيئة ﴿قوله نترككم فى العذاب ترك ماينسى﴾ اشارة الى انه من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان من نسى شيأ تركه ويحتمل ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية ﴿قوله تعالى ذلكم﴾ اشارة الى الامور الثلاثة التى جمعها الله تعالى عليهم من وجوه العذاب بقوله وقيل اليوم ننساكم ومأواكم النار ومالكم من ناصرين كأنه قيل انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم أتيتم بثلاثة انواع من الافعال القبيحة الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزآء والسخرية والانهماك والاشتغال بلذائذ الدنيا اشار الى الاوّلين بقوله اتخذتم آيات الله هزؤا والى الثالث بقوله وغرتكم الحياة الدنيا ﴿قوله اى يرضوه﴾ بان يرجعوا عن معصية ربهم الى طاعته بالتوبة عما سلف وباصلاح الحال فيما بقى لان ذلك اليوم لايقبل فيه عذر ولا توبة والاستعتاب طلب الاعتاب وهو الارضاء وازالة العتب

(واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود والمصدر (حق) كائن هو او متعلقه لامحالة (والساعة لاريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ماندرى ماالساعة) اىّ شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظنّ ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الا نظن ظنا اولنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله (ومانحن بمستيقنين) اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى امر الساعة (وبدا لهم) ظهر لهم (سيئات ما عملوا) على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزآؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو الجزآء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى العذاب ترك ماينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم ان لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الرآء (ولا هم يستعتبون) لايطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه

(قوله)

﴿قوله تعالى فلله الحمد الآية﴾ خبر فى معنى الامر اى اذا ثبت وتبين فى هذه السورة الكريمة ان تنزيلها تنزيل
تاب الكامل من الله العزيز الحكيم وثبت فيها ايضا مايدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته وثواب من
ه فيما امر به ونهى عنه وعقاب من خالفه وعصاه ثبت انه يجب تحميده والثناء عليه وتكبيره وتعظيمه وطاعته
ل ماكلف به فاحمدوه وهو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين جميعا فان مثل هذه الربوبية
ة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض وحق
ان يكبر ويعظم فاصل الكلام فالله احمدوا فعدل الى هذه الصيغة للدلالة على طلب دوام تخصيص الحمد به
لانه رب كل شئ فيجب على كل مربوب تخصيص الحمد به دائما وكذا قوله وله الكبرياء اصله والله كبروا فعدل
لما ذكرنا قرأ العامة بجر لفظ رب فى المواضع الثلاثة تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا للاشارة الى علة اختصاص
به تعالى وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو ﴿قوله وهو العزيز الحكيم﴾ يفيد الحصر بمعنى
عزيز الذى لايغلب والحكيم فيما قدّر وقضى ليس الا هو فعليكم طاعته والحذر من مخالفته والمواظبة على
ص التحميد والتكبير به تعالى شأنه * تم مايتعلق بسورة الجاثية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيد
لين وعلى آله وصحبه اجمعين آمين آمين

﴿سورة الاحقاف آياتها ثلاثون وخمس آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله الا خلقا ملتبسا بالحق﴾ يعنى ان قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف اى خلقا
ا بالحكمة والصواب ويجوز ان يتعلق بخلقنا اى ماخلقنا هذه المذكورات الا بسبب اقامة الحق بين الخلق
﴿قوله وبتقدير اجل مسمى﴾ قدّر المضاف لان خلق ماذكر ليس خلقا ملتبسا بالاجل المسمى بل بتقديره فانه
ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دارا للعمل ثم يفنيه وينشئ دار الاخرى لتكون دار الجزاء
هذا الاجل المسمى هذا الوقت الذى عينه الله تعالى لافناء الدنيا وهو آخر مدة بقاء هذا العالم والاجل فى اللغة
لشئ والمراد به ههنا اما آخر مدة بقاء العالم ومنتهاها او آخر مدة بقاء كل أحد وكلمة ما فى قوله تعالى عما انذروا
ان تكون موصولة اى عن الذى انذروه من هول ذلك الوقت وان تكون مصدرية اى عن انذارهم ذلك
و عن متعلقة بالاعراض ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على وجود الاله العزيز الحكيم العدل رتب عليه الردّ على عبدة
نام فقال قل ارأيتم ماتدعون من دون الله ﴿قوله اى اخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها﴾ اشارة
النكتة فى التعبير عن الاخبار الذى هو السبب عن الرؤية هى الحث على النظر والتأمل ثم طلب الاخبار بعده
تعالى أرونى بعد قوله ارأيتم يحتمل ان يكون تأكيدا له لانهما بمعنى اخبرونى وعلى هذا يكون المفعول الثانى
تم هو قوله ماذا خلقوا ومفعول الاوّل هو قوله ماتدعون ويحتمل ان لايكون مؤكدا له وعلى هذا تكون
ة من باب التنازع لان ارأيتم يطلب ثانيا وارونى كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه واعمل فيه الثانى
ف مفعول الاوّل وقوله من الارض بيان للابهام الذى هو فى قوله ماذا خلقوا وام فى قوله تعالى ام لهم شرك
ة اضرب عن الاستفهام الاوّل الى الاستفهام عن ان لهم مشاركة مع الله فى ملك السموات وخلقها فان
ك بمعنى المشاركة والمعنى ان العبادة عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم فلا تليق الا بمن صدر عنه اكمل
ه الانعام وهو من تفرّد بخلق الكائنات وترزيقها والتدبير فيها على اصلح الوجوه ومن لايقدر على شئ من
هذا العالم كيف يجوز اشراكه بالله العزيز الحكيم فانه لايجوز ان يشرك به فى العبادة الا من يشاركه فيما استحق به
ة وهو خلق الكائنات وتدبير امرها ﴿قوله وتخصيص الشرك بالسموات﴾ يعنى ان الظاهر فى
ماج على المشركين ان يقال اخبرونى ان الذين تعبدون من دون الله هل يعقل ان يضاف اليهم خلق جزء من اجزاء
عالم بالاستقلال فان لم يصح ذلك فهل يجوز ان يقال انهم اعانوا خالق العالم فى خلق جزء من اجزاء العالم اى
ن فى السموات والارض فان لم يصح ذلك ايضا صح ان الخالق الحقيق لهذا العالم هو الله تعالى وانه هو المنعم
اقسام النعم فيجب ان يخص العبادة به تعالى فكيف يصح ان يشرك به غيره فى استحقاق العبادة لكنه عدل عن
ب هكذا الى ماعليه نظم التنزيل لانه لو قيل ماذا خلقوا من اجزاء هذا العالم بالاستقلال ام لهم شرك فى
جزء من اجزائه لاحتمل ان يقولوا نشرك مانعبده وان لم يكن خالق شئ من اجزاء هذا العالم بالاستقلال

(فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء فى السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذى لايغلب (الحكيم) فيما قدّر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له * عن النبىّ عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وهى﴾
﴿اربع او خمس وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ماتقتضية الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ماقرّرناه مرارا (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة اوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدّر له (والذين كفروا عما انذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية (معرضون) لايتفكرون فيه ولايستعدّون لحلوله (قل ارأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات) اى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل فى انفسها اى فى خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية

الا ان له شركة ومدخلا فى ايجاد الحوادث السفلية من حيث انه تعالى جعله واسطة فى ايجاد تلك الحوادث وجعلها منوطة بتأثيره فلا يتم الاحتجاج عليهم حينئذ **قوله** تعالى من قبل هذا صفة لكتاب اى بكتاب كائن من قبل هذا الكتاب اذ لا يمكنكم الاحتجاج بالقرآن لانه ناطق بالتوحيد وبطلان عبادة غير الله تعالى يعنى ان جميع الكتب المنزلة تشهد بما انتم عليه من الشرك وتلخيص الاحتجاج عليهم اخبرونى عن دليل عقلى او ائتونى بدليل نقلى اما كتاب منزل او اثر اوسنة من آثار الاولين واخبارهم والاثارة البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من الشحم الاول وهى مصدر على وزن فعالة كالغواية والضلالة وقوله او بقية من علم صفة لاثارة اى بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين **قوله** وقرئ اثارة بالكسر مثل اقامة فى انه افعال من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا اى سطع واثار غيره اثارة واطلاق لفظ الاثارة على المناظرة من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان المناظرة سبب لاثارة المعانى اى ان لم تأتونى بكتاب يشهد بصحة الشرك فأتونى بمناظرة تثير المعانى تشهد بصحة ما انتم عليه **قوله** وأثرة هى بفتح الهمزة والثاء اسم من الاستئثار يقال استأثر فلان بالشئ اى استبد به وتفرد فمعنى او اثرة من علم او ائتونى بشئ اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة لغيركم به والاثرة بفتح الهمزة وسكون الثاء بناء مرة من اثر الحديث ورواته كأنه قيل او ائتونى بخبر واحد ورواية شاذة رويت عمن اوحى اليهم من الانبياء المتقدمين فانى قد قنعت فى الاحتجاج لكم بهذا القدر على قلته وعدم شهرته وشيوعه والاثرة بكسر الهمزة بمعنى الاثرة بفتحتين وبضم الهمزة اسم للحديث المأثور اى المروى كالخطبة اسم لما يخطب به **قوله** انكار ان يكون احد اضل من المشركين وذلك لان من فى قوله تعالى ومن اضل استفهامية بمعنى النفى والانكار وهو فى موضع الرفع بالابتداء واضل خبره ومن فى قوله من لا يستجيب له يجوز ان تكون موصولة وان تكون نكرة موصوفة وعلى التقديرين هى فى موضع النصب على انها مفعول يدعو اى يدعو من اذا دعى لا يسمع ولا يجيب لا فى الحال ولا فى المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية مع ان عدم استجابتهم امر مستمر فى الدنيا والآخرة اشعارا بان معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة اشد وافظع مما وقعت فى الدنيا اذ يتجدد هناك العداوة والتبرى نحو قوله تعالى وان عليك لعنتى الى يوم الدين فانه للاشعار بانه اذا جاء ذلك اليوم لقيت ما تنسى معه اللعن **قوله** لانهم اما جمادات اى لا تسمع ابدا ان كان المراد بمن لا يستجيب الاصنام **قوله** واما عباد مسخرون على تقدير ان يكون المراد به الملائكة او عيسى عليه الصلاة والسلام **قوله** يضرونهم لانهم سبب عذابهم لكونهم اما حصب جهنم مقرونون بهم فى العذاب واما منكرون لعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون فليسوا فى الدارين من عبادتهم ودعائهم الا على نكر ومضرة وكلمة من وهم وجمع العقلاء للتغليب ان كان المراد كل معبود سوى الله تعالى ولاسناد ما يسند الى العقلاء اليهم من الاستجابة والغفلة ان كان المراد الاوثان ويكون وصفها بترك الاستجابة على طريق التهكم بها وبعبدتها **قوله** مكذبين بلسان الحال او المقال الاول على تقدير ان يكون المراد به العباد المسخرين وقيل الاصنام ايضا تعادى عابديهم بلسان المقال بناء على انه تعالى يحييها يوم القيامة فتتبرأ من عبادتهم قائلة نحن متبرئون منكم ابدا ما امرناكم بعبادتنا ولا رضينا بها وانما فعلتم ذلك اتباعا لهواكم ولمن سول لكم ذلك ما كنتم ايانا تعبدون وكذلك الجن والشياطين اذا اجتمعوا فى النار مع الغاوين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا **قوله** وقيل الضمير للعابدين عطف على المفهوم مما سبق وهو ان يكون ضمير كانوا للمعبودين اى وقيل معنى الآية اذا حشر الناس وجمعوا يوم القيامة كان من يعبد غير الله اعداء لمعبوديهم لما اصابهم من العقوبة بسبب عبادتهم غير الله ولم يرض المصنف بهذا القول اذ لا وجه له سواء اريد بمن لا يستجيب الاصنام او العباد المكرمون او ما يعم الجميع اذ لا وجه لان يعادى العبدة الجمادات او العباد المكرمين وان كان مراد القائل ان ضمير كانوا الاولى للمعبودين وضمير الثانية للعابدين كما هو المفهوم من تقرير المصنف كان وجه عدم رضاه به لزوم تفكيك الضمير **قوله** اضراب يعنى أن كلمة ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى بل الاضراب عما ذكر سابقا ومعنى الهمزة الانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المناقض العجيب وهو انهم بتسميتهم اياه سحرا اعترفوا بانه كلام لا يقدر احد على مثله عادة ثم انهم وصفوه عليه الصلاة والسلام بانه تقوله من عند نفسه ثم قال انه كلام الله تعالى افتراء عليه ولو كان الامر كذلك لكانت قدرته عليه دون امة العرب معجزة له لكونه خارقا للعادة فكان ذلك تصديقا له عليه الصلاة والسلام من الله تعالى فلا يكون مفتريا لان الحكيم لا يصدق الكاذب ثم انه

(ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (او أثارة من علم) او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شئ اوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر (ومن دون اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار ان يكون احد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم او سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم (الى يوم القيامة) ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات او مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب

ى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته الضمير فيه للحق وجواب الشرط محذوف تقدير الكلام ان افتريته
ى سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى بعقوبة الافترآء عليه حذف لدلالة قوله فلا تملكون لى من الله شيأ ومعناه
قدرون على دفع عقابه عنى ان افتريت عليه فكيف افترى على الله من اجلكم وانتم لاتقدرون على دفع عقابه
ى ان افتريت ﴿قوله تندفعون فيه﴾ الاندفاع الخوض والشروع بالسرعة وكذا الافاضة يقال اندفع
رس اى اسرع فى مشيه ﴿قوله بديعا منهم﴾ يعنى ان البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع
كل شئ المبتدع الذى لا سبق له والمخترع لا على مثال سبق ويجئ بمعنى المبدع ايضا كما فى قوله بديع السموات
ارض لما حكى الله عنهم انهم طعنوا فى الآيات المتلوة عليهم وقالوا فى شأنها هذا سحر مبين وقالوا فى شأن من
ها عليهم انه اختلقها من عند نفسه ونسبها اليه تعالى بانها كلامه افترآء عليه وانه كاذب فى دعوى الرسالة
نت لهم مقالات اخر باطنة مثل قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى
لاسواق وقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانهم كانوا يقترحون عليه الآيات العظيمة
سألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب امره الله تعالى ان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل اى لست باول مرسل
ل الى البشر فانه تعالى قد بعث قبلى كثيرا من الرسل وكان كل واحد منهم بشرا يأكل ويشرب ويمشى
لاسواق وكانوا يدعون الى التوحيد وينهون عن الشرك وعبادة الاصنام وانهم لم يكونوا يأتون من الخوارق
عجزات الا ما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون بكل ما يسألون عنه من المغيبات وانما يخبرون بما اوحى اليهم منها
و احد منهم فكيف تنكرون منى ان ادعى الرسالة مع انى بشر متصف بلوازم البشرية وانا ادعوكم الى التوحيد
ها كم عن الشرك وانا لا اقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات كلها فان هذه الاشياء لا تقدح فى نبوتى
تكن قادحة فى نبوتهم ﴿قوله وقرئ بفتح الدال﴾ اما على انها صفة كالبدع بسكون الدال فان الصفة
جئ على وزن فعل كقيم وزيم يقال دين قيم اى ثابت مقرر او مستقيم وزيم * روى الجوهرى عن الاصمعى انه
اللحم الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان واما على انه جمع بدعة مقدر بمضاف اى ذا بدع والبدعة الامر المخترع
ى لم يكن موجودا قبل ﴿قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل﴾ اختلف فى ان المراد
ى عنه علمه بما يفعل به وبهم من احوال الدنيا ام من احوال الآخرة والمصنف حمله على ما هو اعم من احوال
يا والآخرة لعموم اللفظ وعدم المخصص * ولما ورد ان يقال كيف يصح منه عليه الصلاة والسلام ان يقول
درى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انه نبى معصوم من الكبائر والزلات المهلكة
ه قدوة السعدآء وارفعهم منزلة فى الدنيا والآخرة وان المؤمنين هم المنصورون وان جند الله هم الغالبون وان
ب الله هم المفلحون وان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان مصيرهم الى النعيم المقيم ومصير الكفار
الجحيم * اشار الى جوابه بقوله على التفصيل يعنى ان المنفى هو دراية خصوصات ما يفعل به وبهم فى الدارين على
صيل وذلك لا ينافى كونه عالما بما يفعل به وبهم فى الدارين على الاجمال ﴿قوله ولا لتأكيد النفى المشتمل على
عل بى﴾ جواب عما يقال من ان قوله بكم فى قوله ولا بكم معطوف على بى وهو فى حيز الاثبات لان العامل فيه
ل وهو مثبت فلم يكن ما عطف عليه من مواضع زيادة لا فكان القياس ان يقال ما يفعل بى وبكم * وتقرير الجواب
ا يفعل وان كان مثبتا فى نفسه الا ان النفى المذكور فى قوله ما ادرى مسلط على ما فى قوله ما يفعل لانه مفعول
ل المنفى فيكون مسلطا على ما فى حيزها وهو الصلة فيكون يفعل منفيا بهذا الاعتبار فتصح زيادة لا على ماهو
وف على معموله ﴿قوله وما اما موصولة﴾ يريد بها ما التى فى قوله ما يفعل بى لان ما التى فى قوله وما ادرى
ة لا غير واما الثانية ان كانت موصولة تكون منصوبة بقوله ادرى اى لا اعرف الذى يفعله الله بى وان كانت
ستفهامية تكون مرفوعة بالابتدآء ويفعل بى خبره والجملة سادة مسد مفعولى ادرى وقد علق عن العمل
ستفهام والمعنى ما ادرى اى شئ يفعل بى وقرأ العامة يفعل على بناء المفعول وقرئ مبنيا للفاعل ايضا وهو
تعالى ﴿قوله او استعجال المسلمين﴾ مجرور معطوف على اقتراحهم روى انه لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله
ى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه مهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فاخبر به اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا
لك فرج ما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا
ى قلت متى نهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت

(قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيأ) اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم (هو اعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزآء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين (وما انا الا نذير) عن عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة

بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهو شئ رأيته فى المنام و انا لا اتبع الا ما اوحاه الله الى ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا فى حق القرآن هذا سحر مبين قال له عليه الصلاة والسلام قل ارأيتم ان كان من عندالله وكفرتم به اى ألستم ظالمين فحذف لدلالة قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين عليه ﴿قوله وقد كفرتم به﴾ اشارة الى ان الواو فى قوله تعالى وكفرتم به حالية و قدمعها مقدرة ثم جوّز كونها عاطفة تعطف قوله كفرتم على فعل الشرط قبل وكذا الواو فى قوله تعالى وشهد شاهد فانها ايضا عاطفة تعطف مدخولها بما عطف عليه وهو قوله فآمن واستكبرتم اى تعطف جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرآئيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله ان كان من عندالله وكفرتم به والمعنى ان اجتمع كون القرآن من عندالله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرآئيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وكيفية شهادته على نزول مثله ان يقول ان مثله قد نزل على موسى عليه الصلاة والسلام فلا تنكروا نزوله على رجل مثله فى كونه مصدّقا بالمعجزات القاهرة فان التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على اصول الشرع كالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك وان اختلفا فى بعض الفروع والاحكام وقيل المثل فى قوله تعالى على مثله صلة والمعنى وشهد شاهد عليه اى على انه من عندالله والفاء فى قوله فآمن للدلالة على ان ايمانه مسبب عن الشهادة على نزول مثله فانه لما علم ان مثله قد انزل على نبى قبله وانه من جنس الوحى لا من كلام البشر وشهد عليه واعترف به كان الايمان نتيجة ذلك فآمن عقب تلك الشهادة بلا مهلة وجعل مجموع قوله وشهد شاهد الآية معطوفا على مجموع قوله ان كان من عندالله وكفرتم به لانه لو جعل وشهد معطوفا على كفرتم لكان قوله واستكبرتم تكرارا لقوله كفرتم من حيث المعنى خاليا عن الفائدة ﴿قوله وقيل موسى عليه الصلاة والسلام﴾ يعنى اختلف فى المراد بقوله وشهد شاهد من بنى اسرآئيل فذهب الاكثرون الى ان المراد بهذا الشاهد هو عبدالله بن سلام لما قدم المدينة وقيل انه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم﴾ فانه تعالى لما وصفهم بالكفر بما هو من عندالله والاستكبار عن الايمان به توجه ان يقال فكيف يكون عاقبة امرهم مع هذا الكفر والاستكبار فاجيب عن هذا القول المتوهم بان الله لا يهديهم ماداموا على الوصف المذكور الذى هو ظلمهم لانفسهم فاشعر بنفى هدايته اياهم انهم ضالون وبوضع الظالمين موضع ضميرهم ان سبب ضلالهم هو ظلمهم لانفسهم بالكفر والاستكبار ثم انه تعالى حكى عنهم مقالة اخرى باطلة فقال وقال الذين كفروا للذين آمنوا بعد ما حكى عنهم قولهم للحق وفى شأنه لما جاءهم هذا سحر مبين وقولهم افتراه ومقصودهم بهذه المقالة انكار نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم قيل نزلت حين قال كفار مكة ان عامة من يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم السقاط يعنون الفقراء والموالى مثل عمار وصهيب وابن مسعود وبلال رضى الله عنهم ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم فنزلت وقيل قالته اليهود حين اسلم عبدالله بن سلام واصحابه فنزلت وقيل كانت بريرة امرأة ضعيفة البصر فلما اسلمت كانت الاشراف من مشركى قريش يستهزؤن بها ويقولون لو كان والله ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه بريرة فانزل الله تعالى فيها وفى امثالها هذه الآية قيل لما قدم الرسول المدينة اتاه عبدالله بن سلام ونظر الى وجهه المنير فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمل فى سيرته وكلماته فتحقق عنده انه هو النبى المنتظر الذى بشرهم موسى عليه الصلاة والسلام ببعثته وشهد شاهد على مثل شهادة القرآن حيث قال اشهد انك رسول الله كشهادة القرآن فى نحو قوله محمد رسول الله فآمن بالقرآن وبكونه وحيا آلهيا هذا على ان يكون معنى قوله وشهد شاهد على مثله على مثل القرآن وشهادته وقيل معناه على مثل ما قلته من ان القرآن من عندالله على ان يرجع ضمير مثله الى كون القرآن من عندالله المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ان كان من عندالله وانكر جماعة كون المراد بالشاهد المذكور فى هذه الآية عبدالله بن سلام وقالوا ان حم نزلت بمكة وانما اسلم عبدالله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة الى المدينة واجيب بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وكثيرا ما تنزل الآية فيأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان توضع فى سورة كذا فى موضع كذا منها لكونه تعالى امره بذلك ومنها هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يضعها فى هذه السورة المكية فى هذا الموضع المعين واجيب ايضا بان قوله وشهد شاهد عطف على الشرط المقدم فيكون ان شرطين والمقدر بعدهما وهو نحو قوله ألستم الظالمين جواب عن كل واحد منهما

(قل ارأيتم ان كان من عندالله) اى القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله (وشهد شاهد من بنى اسرآئيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبدالله ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول (على مثله) مثل القرآن وهو ما فى التوراة من المعانى المصدّقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عندالله (فآمن) اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل عن الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان خيرا) الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام (ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالى ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه

شرط لايجب حصوله عند التكلم به فلا تكون شهادة عبدالله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة منافية لكون الآية
ت بمكة والتعليق بالشرط المترتب ثم وقوعه كما ذكر و وصف معجزة ظاهرة لكونه اخبارا عن الغيب على ماهو
ه ثم ان من انكر كون المراد بالشاهد المذكور فى الآية عبدالله بن سلام قال المراد به موسى عليه الصلاة والسلام
عليه الصلاة والسلام شهد على التوراة وهى مثل القرءآن من حيث اشتمالها على الشهادة بحقية نبوة سيد
سلين صلى الله عليه وسلم وسائر ماهو من اصول الدين من التوحيد والترغيب فى الطاعة والترهيب عن
افة والعصيان ونحو ذلك وقال الامام قيل ليس المراد من الشاهد شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله
ه وسلم موجود فى التوراة وان البشارة بمقدمه و بعثه حاصلة فيها فتقدير الكلام لو ان رجلا منصفا عارفا بالتوارة
بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لكنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق وقوله لاجلهم اى
ل ايمان الذين آمنوا على ان اللام للعلة لا للتبليغ بان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه
طاب لهم كما تقول قال زيد لعمرو والا لكان الظاهر ان يقال ماسبقتمونا اليه ﴿قوله ظرف لمحذوف﴾
اذ لازمة الاضافة وقد اضيفت الى قوله لم يهتدوا فلا يعمل فيها لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف وايضا هى
ى فلا يعمل فيها قوله فسيقولون لكونه للاستقبال والفعل الاستقبالى لايعمل فى الظرف الذى للمضى فلا يقال
كتب امس والفاء فى قوله فسيقولون سببية تقتضى ان يذكر قبلها مايكون سببا لقولهم هذا افك قديم فلذلك
مايكون عاملا فى الظرف وسببا للقول المذكور والمعنى واذلم يهتدوا بالقرءآن المبين والآيات البينات ظهر
ادهم فسيقولون كذلك هذا افك قديم كما قالوا انه اساطير الاولين ومعنى السين فيه انه يتحقق منهم هذا القول
مابعد حين مسببا عن العناد والاستكبار ﴿قوله وهو خبر لقوله كتاب موسى﴾ يعنى ان قوله كتاب
ى مبتدأ ومن قبله خبره قدم عليه وهذا الخبر المقدم ناصب لقوله اماما على الحالية كقولك فى الدار زيد
و قال الزجاج انتصب اماما بما دل عليه قوله ومن قبله كتاب موسى لان معناه وتقدمه كتاب موسى اماما
قدوة يؤتم به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بمافيه * قال الامام ووجه
ى هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا فى صحة القرءآن وحقية الدين بقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه
لاء الصعاليك فنزل هذا الكلام استشهادا بحقية التوراة على حقيتهما فكأنه تعالى قال والذى يدل على صحة
رآن والدين انكم لاتنازعون فى ان الله تعالى انزل التوراة على موسى وجعله اماما يقتدى به فاقبلوا حكمها
حقية امر محمد صلى الله عليه وسلم وحقية كتابه ودينه ﴿قوله اولما بين يديه﴾ من الكتب الالهية
قا اى القرءآن يصدق الكتب التى قبله اى كتاب كان فى ان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عندالله استشهد
حقية كتاب موسى بكونه اماما يقتدى به فى الدين ورحمة لمن آمن به وعمل صالحا بمافيه وعلى حقية القرءآن
نه مصدقا مطابقا له او لجميع ما بين يديه من الكتب الالهية ﴿قوله اومنه﴾ اى اوهو حال من كتاب
صصه بالصفة فان الحال من النكرة الغير المخصصة يجب تقدمها عليها ﴿قوله وفائدتها﴾ اى وفائدة
ل او فائدة الصفة من حيث كون نسبتها الى فاعلها مقيدة بمضمون الحال للاشعار بان كون القرءآن مصدقا للتوراة
ل كونه لسانا عربيا يدل على كونه وحيا الهيا كما ان مجرد كونه مصدقا لها يدل على انه حق ضرورة ان مايطابق
ق حق واما وجه دلالة التقييد على انه وحى الهى فان مايطابق العبرانى حال كونه لسانا عربيا لايتصور صدوره
لايعرف اللغة العبرانية فتعين كونه وحيا الهيا وقوله عربيا صفة لقوله لسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد
لا فان الحال لابد ان تكون مبينة للهيئة امابالذات او بالغير والاسم الجامد لايبين الهيئة بالذات فلا يصح ان يقع
الا بما يتبعه من الصفة فتكون حالا موطئة ﴿قوله اى يصدق ذالسان عربى﴾ هو النبى صلى الله
ه وسلم ﴿قوله علة مصدق﴾ اى متعلق به فان المفعول له يكون منصوبا بتقدير اللام اذا اشترك مع
ى الفاعل بان يكونا فعلين لفاعل واحد ومقارنين له فى الزمان فاذا فقد احد الشرطين او كلاهما يكون مجرورا
م ملفوظة فان قرئ لينذر بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير الكتاب كان الظاهر ان يقال انذارا وتبشيرا بتقدير
م فيهما لوجود شرطى النصب فيهما واما ان قرئ بتاء الخطاب او قرئ بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير البارى
ى اوضمير الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اتيان اللام ظاهر لاختلاف الفاعل فقول المصنف وفيه ضمير
تاب اوالله اوالرسول محل بحث وقوله وبشرى فى موضع النصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له وهو

(واذلم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرءآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى اولما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب فى مصدق اومنه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل لسانا عربيا مفعول مصدق اى يصدق ذالسان عربى باعجازه (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب اوالله اوالرسول ويؤيد الاخير قرآءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله

من المنصوبات اى للانذار والتبشير وقيل الاجود ان يكون قوله وبشرى مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو بشرى لان نصبه بالحمل على المحل انما يكون اذا كان الاصل فى المفعول له مطلقا النصب وليس كذلك بل الاصل فيه الجرّ والنصب ناشئ عنه ومتفرّع على الحذف والايصال ثم انه تعالى لما بين اختلاف احوال الناس فى قبول الدعوة الى الايمان وفى التمرّد والاصرار على الشرك والطغيان حيث قال فى اوّل السورة والذين كفروا عما انذروا معرضون ثم ساق الكلام الى ان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم الآية انزل قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى آخر الآيتين وبين بهما اختلاف احوال الناس فى قبول نصيحة الابوين ودعوتهما الى الايمان وعدم قبولهما واذا كان حال الناس مع الوالدين كذلك لم يبعد ان يكون حالهم مع النبي عليه الصلاة والسلام وقومه كذلك كأنه يقول امرنا الانسان فى حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال حملته امه كرها ووضعته كرها قرأ غير الكوفيين من السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين وهو مفعول ثان لقوله ووصينا على تضمين التوصية معنى الالزام عدّى الى مفعوله الثاني بنفسه باعتبار التضمين كأنه قيل الزمناه حسنا اى امرا ذا حسن لحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولك ان لا تعتبر التضمين وتجعل تقدير الكلام ووصيناه بامر ذى حسن على ان يكون بدلا من قوله بوالديه بدل اشتمال ثم حذف منه ماذكر آنفا وحذف الجار ايضا على طريق الحذف والايصال وعلى قرآءة الكوفيين يكون احسانا منصوبا بفعل مقدّر أى ووصيناه بوالديه بان يحسن اليهما احسانا على ان يكون بدلا من قوله بوالديه ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لوصينا على تضمينه معنى الزمناه وان يكون مفعولا له اى ووصيناه بهما احسانا منا اليهما ﴿ قوله وقرئ حسنا ﴾ بفتح الحاء والسين على انه صفة مصدر محذوف اى ايصاء حسنا وقيل هو مصدر ايضا كالحسن ونظيرهما البخل والبخل والشغل والشغل ﴿ قوله ذات كره او حملا ذا كره ﴾ على الاوّل يكون كرها حالا من الفاعل وعلى الثاني يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لفعله والكره والكره لغتان فى معنى المشقة كالشرب والشرب والضعف والضعف وقيل المضموم اسم للشئ المكروه قال تعالى كتب عليهم القتال وهو كره لكم والمفتوح مصدر كرهت الشئ اكرهه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فى مقام ذكر سبب التوصية وذلك يدل على ان حقها اعظم وان حصول المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار فى هذا الباب كثيرة ﴿ قوله ومدّة حمله ﴾ قدّر المضاف ليصح الاخبار بقوله ثلاثون شهرا ولو لم يقدّر المضاف لقيل ثلاثين بالنصب على انه ظرف واقع موقع الخبر وهو خلاف الرواية وايضا دلالته على المعنى المراد لا يخلو عن خلل لان كون الحمل والفصال فى ثلاثين شهرا ليس بصريح فى ان مدّتهما تمام ثلاثين شهرا والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى يقال فطمت الرجل عن عادته اى قطعته عنها فطمت الام ولدها اى قطعته عن اللبن ولم ترضعه وفصلت الرضيع فصلا وفصالا اذا قطعته عنه وذكر المصنف ان الفصال قد يطلق على وقت الفطام ايضا وايد كون المراد منه فى الآية نفس الفطام بقرآءة وفصله لان الفصل لا يطلق الا على وقت الفطام ﴿ قوله والمراد به الرضاع التام المنتهى به ﴾ جواب عما يقال المراد بيان مدّة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال * وتقرير الجواب انه لما كان المراد بيان مدّة الرضاع التام المنتهى بالفصل عبر به تعبيرا عن المراد باسم ما يجاوره وينتهى هو اليه وهو الفصال فيكون الفصال مجازا مرسلا عن الرضاع التام والعلاقة كون احدهما غاية للآخر ومنتهاه والنكتة فى ارتكاب المجاز التنبيه على ان المراد بالرضاع التام المنتهى الفصال ووقته ولو قيل وحمله ورضاعه ثلاثون شهرا لما كان فى العبارة دليل على كون المدّة المذكورة منتهية الى الفصال ونظيره ان الشاعر عبر مدّة عن العمر بالامد الذى هو غاية الزمان ونهايته فقال

كل حىّ مستكمل مدّة العمر ۞ ومود اذا انتهى امده

اى مدّة عمره فان الامد بمعنى الغاية ولا معنى لان يقال وهالك اذا انتهى غاية عمره فالمراد به مدّة العمر عبر به عنها للدلالة على ان المراد المدّة التامة المنتهية الى الموت ومود اسم فاعل من أودى فلان اذا هلك ﴿ قوله لانه اذا حط منه للفصال حولان ﴾ يعنى انه علم من هذه الآية ان مجموع مدّة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقد عين اربعة عشرون شهرا للفصال بقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا أسقطنا الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا بقى اقل مدّة الحمل ستة اشهر وعليه اجماع المسلين واما اكثر مدّة الحمل فليس

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (اولئك اصحاب الجنة خالدون فيها جزآء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكنّ فى اصحاب وجزآء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزآء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا (حملته امه كرها ووضعته كرها) ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدّة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قرآءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حىّ مستكمل مدّة العمر *
ومود اذا انتهى امده *

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدّة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء

القرآن مايدل عليه قال ابو علي ابن سينا بلغني وصح عندي ان امرأة وضعت بعد الرابعة من سني الحمل ولدا قد
ت اسنانه وحكي عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لجميع الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت
بلى لتسعة اشهر وربما وضعت فى الشهر الثامن وقلما يعيش المولود فى الثامن الا فى بلاد معينة مثل مصر
الغالب هو الولادة بعد التاسع واكثر مدّة الرضاع ثلاثون شهرا عند ابى حنيفة خلافا لهما فانهما قالا اكثر مدّة
ضاع سنتان وقال زفر ثلاث سنين واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ووجه الاحتجاج به
تعالى ذكر شيئين وضرب لهما مدّة واحدة وذلك يقتضي ان يكون جميع المذكور مدّة لكل واحد منهما كن قال
ل الدين الذى على فلان والدين الذى على فلان سنة يفهم منه ان يكون اجل كل واحد من الدينين سنة الا انه
الدليل على ان مدّة الحمل لا تكون اكثر من سنتين وهو قول عائشة رضى الله عنها لا يبقى الولد فى بطن امّه اكثر من
تين ولو بقدر ظل مغزل والظاهر انها قالت سماعا لان المقادير لا يهتدى اليها الرأى فبقى مدّة الفصال على ظاهره
هما قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهنّ حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ولزم ان الرضيع لا يمكنه
حوّل من الرضاع الى الطعام فى ساعة واحدة فلا بدّ من الزيادة على الحولين والحول يصلح لان يكون زمانا للانتقال
حال الى حال لاشتماله على الفصول الاربعة ﴿قوله ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع﴾ لما جمل الآية
يلا على ان اقل مدّة الحمل ستة اشهر وان اكثر مدّة الرضاع حولان بما ذكره من الوجه * وردان يقال لم يتعرّض
ان اكثر مدّة الحمل واقل مدّة الرضاع * فاجاب عنه اوّلا بان ما تعرض له منضبط حيث لم تر ان المرأة تلد لاقل من
ة اشهر وما جاءت به قبلها سقط وليس بولادة وكذا ما وقع بعد الحولين من الرضاع ليس برضاع اذ الرضاع
يكون مبنيا على الضرورة ولا ضرورة بعد تمام الحولين وما وقع بعده تناول جزء الادمى عن تشهى كتناول سائر
حرّمات فلا يكون رضاعا وما سكت عنه غير منضبط فان النساء قد تلد لتسعة اشهر ولاقل منها ولا كثر وكذا
ان استغناء الولد عن الرضاع غير مضبوط وهو ظاهر وثانيا بان تخصيصهما بالبيان لتحقق ارتباط حكم النسب
رضاع بهما فانه اذا ثبت ان الاشهر الستة اقل مدّة الحمل يثبت نسب من ولد فى هذه المدّة وتكون امّه مصونة
ن تهمة الزنى وارتكاب الفاحشة وكذا اذا ثبت ان اكثر مدّة الرضاع سنتان علم ان ما حصل بعد هذه المدّة من
ضاع لا يترتب عليه احكام الرضاع من كون المرضعة اما للرضيع وكون زوجها الذى لبنها منه أبا له فيحرم
نا كح بينهم ففى تخصيصهما بالبيان فائدة عظيمة هى دفع المضارّ واندفاع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل
ة من كتابه الكريم اسرار عجيبة ولطائف نفيسة تعجز العقول عن الاحاطة بها ﴿قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه﴾
يدهنا من جملة محذوفة مدلول عليها بقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اى فعاش بعد الفصال واستمرّت حياته
بقوله ووصينا الانسان اى اخذ ما وصيناه به حتى اذا بلغ اشدّه كمال عقله وقوّته وقوله اشدّه واربعين سنة مفعولا
بلوغ اى بلغ وقت اشدّه وتمام اربعين سنة فحذف المضاف واختلف المفسرون فى تفسير الاشدّ روى عن ابن
باس انه ثمانى عشرة سنة وقال اكثر المفسرين انه ثلاث او ثلاثون سنة لان هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل
ه بدن الانسان * قال الامام تحقيق الكلام فى هذا المقام ان يقال مراتب سن الحيوان ثلاث وذلك لان بدن
الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولاشك ان الرطوبة الغريزية غالبة زائدة على الحرارة
غريزية فى اوّل العمر وناقصة فى آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يقبل حصوله الا اذا حصل الاستواء
وسط هاتين المدّتين فثبت ان مدّة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام اوّلها ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على
حرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدّد فى ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو
ن النشو والنماء والمرتبة الثانية وهى المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية
ن غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة وهى المرتبة الاخيرة ان تكون
رطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين الاوّل هو النقصان الخفى
هو سن الكهولة والثانى هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة وساق الكلام الى ان قال فبلوغ الانسان الى
خر سن الاشدّ عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنماء وان بلوغه الى اربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدّة
شباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والنفس من وقت الاربعين تأخذ
الاستكمال ﴿قوله قيل لم يبعث نبىّ الا بعد الاربعين﴾ اى سنة * قال الامام هذا يشكل بعيسى عليه الصلاة

ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب
والرضاع بهما (حتى اذا بلغ اشدّه) اذا
اكتهل واستحكم قوّته وعقله (وبلغ اربعين
سنة) قيل لم يبعث نبىّ الا بعد الاربعين

والسلام فانه تعالى جعله نبيا من اوّل الصبي الا ان يقال الاغلب انه ماجاءه الوحي الابعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿قوله ألهمني﴾ الجوهري استوزعت الله شكره فاوزعني اى استلهمته فالهمني الراغب اوزعني معناه الهمني وتحقيقه اولعني بكذا او اجعلني بحيث ازع نفسي عن الكفران يقال وزعته عن كذا اى كففته عنه* الجوهري وزعته ازعه وزعا كففته فاتزع اى كف واوزعته بالشئ اغريته به فهو موزع به اى مغرى به واولعته بالشئ واولع به فهو مولع به بفتح اللام اى مغرى به ﴿قوله وذلك يؤيده ماروى﴾ ذلك مفعول يؤيد واشارة الى ان المراد من النعمة نعمة الدين او مايعمها وغيرها والمعنى ان ماروى يؤيد كون المراد من النعمة ذلك روى ان ابابكر رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم في تجارة الى الشام وهو ابن ثماني عشرة سنة وهو عليه الصلاة والسلام كان ابن عشرين فهو اقل منه عليه الصلاة والسلام سنا بسنتين فلما بلغ اربعين سنة ونبئ واوحى اليه آمن به ابوبكر ثم آمن ابواه ابو قحافة عثمان بن عمرو وام الخير بنت صخر بن عمرو فدعا ربه فقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت بها عليّ وعلى والديّ بالهداية والايمان وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله عزوجل منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا بقوله واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ذرية الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضي الله عنهم جميعا* واعلم ان هذا الداعي طلب من الله تعالى ثلاثة اشياء احدها ان يوفقه الله تعالى للشكر على النعمة والثاني ان يوفقه للاتيان بالطاعة المرضية عند الله تعالى والثالث ان يصلح له في ذريته ووجه الترتيب ان مراتب السعادات ثلاث اكملها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادة النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله تعالى ونعمائه والسعادة البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادة الخارجية هي سعادة الاهل والولد ولما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه ﴿قوله واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي﴾ لما ورد ان يقال ان اصلح يتعدى بنفسه قال تعالى واصلحنا له زوجه فما معنى تعديته في الآية بفي* اشار الى جوابه بان مطلوبه ان يجعل الله تعالى ذريته محلا للصلاح بان يجعله ساريا وراسخا فيهم بحيث يتمكن فيهم تمكن المظروف في الظرف وهذا المعنى يستدعي ان يعدى الفعل اليهم بكلمة في كما عدى بها يجرح في البيت المذكور مع انه يتعدى بنفسه فيقال جرحه واوّل البيت قوله

* وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي *

والعراقيب جمع العرقوب وهو العصب الغليظ في الساق المنتهي الى العقب وضمير تعتذر للناقة والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا وذي الضروع اللبن اى ان اعتذرت الى الضيف من قلة لبنها بسبب القحط اعقرها واذبحها واجعل نفسها بدلا من اللبن ولم يقل يجرح عراقيبها لما ذكر اى يحدث الجرح فيها ويجعلها محلا له بحيث يتمكن ويستقر فيها ثم ان الداعي استأنف بقوله اني تبت اليك واني من المسلمين للدلالة على ان الدعاء لايقع موقع القبول الا مع التوبة وكون الداعي من المسلمين كأنه قال انما قدمت على هذا بعد ان تبت من الكفر ومن كل قبيح وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وقضائه ﴿قوله فان المباح حسن﴾ اذ لاقبح فيه* وهو جواب عما يقال لم قال الله تعالى احسن ماعملوا مع انه يتقبل الاحسن ومادون ذلك* وتقرير الجواب ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لايتعلق به ثواب ولاعقاب فلذلك يقال له لغو ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما﴾ اى بفتح النون مبنيا للفاعل ونصب احسن على انه مفعول به وقرأ الباقون بالياء المضمومة فيهما على بنائهما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل والمعنى واحد لان الفعل وان بني للمفعول فمعلوم انه لله تعالى ﴿قوله كائنين في عدادهم﴾ اشارة الى انه في محل النصب على انه حال من ضمير عنهم ﴿قوله مؤكد لنفسه﴾ فانه لما اكد مضمون جملة لايحتمل لها من معنى المصادر غير الوعد صار تأكيدا لمعنى الوعد الذي تضمنته الجملة المتقدمة فكان تأكيدا لنفسه كما في قولك له عليّ الف درهم اعترافا ثم انه تعالى لما وصف الولد البارّ بوالديه وصف الولد العاق لوالديه فقال والذي قال لوالديه افّ لكما قرأ نافع وحفص افٍّ بالتنوين وكسر الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وهو صوت اذا صوّت به الانسان علم انه يتضجر واللام في قوله لكما للبيان اى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما كما في نحو هيت لك ذهب اكثر

(قال رب اوزعني) ألهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا (ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ) يعني نعمة الدين اومايعمها وغيرها وذلك يؤيده ماروى انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه (وان اعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عزوجل (واصلح لي في ذريتي) واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه

* يجرح في عراقيبها نصلي *

(اني تبت اليك) عما لاترضاه او يشغل عنك (واني من المسلمين) المخلصين لك (اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولايثاب عليه (ويتجاوز عن سيئاتهم) لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما (في اصحاب الجنة) كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد (الذي كانوا يوعدون) اى في الدنيا (والذي قال لوالديه افّ لكما) مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبدالرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لايوجب التخصيص وفي افّ قرآآت ذكرت في سورة بني اسرآئيل

المفسرين الى ان الآية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام والاقرار بالبعث والحساب وهو يأبى وقيل ليس المراد منه شخص معين بل المراد منه كل من دعاه ابواه الى الايمان فاباه وانكره قال الزجاج ومن اقتفى اثره هذا القول هو الصحيح ثم قال والذى يبطل القول الاول قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه تعالى بين ان هؤلاء حقت كلمة العذاب عليهم وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المسلمين لا ممن حقت عليهم كلمة العذاب والذين يقولون المراد باول الآية عبد الرحمن بن ابى بكر قالوا المراد بقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول هم القرون الذين خلوا من قبله من المشركين ماتوا قبله لا من ذكر بقوله والذى قال لوالديه اف لكما ومن قال ليس المراد به عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفا بهذه الصفة فانه يقول هذا الوعيد مختص بذلك الولد الموصوف ﴿قوله يقولان الغياث بالله﴾ كما يقال استغفر فلان اذا قال استغفر الله وفعل الاستغاثة يتعدى بنفسه تارة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وقال فاستغاثه الذى وفى الصحاح استغاثنى فلان فاغثته وتارة يتعدى بالباء فكان المصنف اشار الى ان الاصل يتعدى بالباء وان معنى وهما يستغيثان الله استعظاما لكفره وانكاره يقولان الغياث بالله منك ومن سوء حالك الا انه حذف الجار واوصل الفعل او ضمن الاستغاثة معنى السؤال فلا يحتاج الى تقدير الجار والواو فى قوله وهما واو الحال اى والذى قال لوالديه اف لكما وهما يسألان الغوث بالتوفيق للايمان ﴿قوله ويلك﴾ منصوب على انه مفعول مطلق لفعل محذوف ملاق له من حيث المعنى دون الاشتقاق مثل ويحه وويسه وويبه وهو من المصادر التى لم تستعمل افعالها اى اهلكك الله ويلا اى اهلاكا فحذف الفعل واضيف المصدر الى مفعوله وقيل انتصابه على انه مفعول به لفعل مقدر اى الزمك الله ويلك وعلى التقديرين الجملة معمولة لقول مقدر منصوب على الحالية اى يستغيثان الله قائلين ذلك وهو دعاء عليه بالثبور والمراد الحث على الايمان لا حقيقة الهلاك قال صاحب الكشف الويل فى الاصل دعاء بالثبور اقيم مقام الحث على الفعل او تركه اشعارا بان ماهو مرتكبه حقيق بان يهلك مرتكبه وان يطلب له الهلاك فاذا سمع المخاطب ذلك كان سماعه باعثا على ترك ماهو فيه والاخذ بما ينجيه وهو هنا الايمان بالله تعالى والبعث قرأ الجمهور ان وعد الله بالكسر على الاستئناف والتعليل وقرئ ان بالفتح على ان التقدير من ان وعد الله فحذف الجار واوصل الفعل فيقول الولد لهما ماهذا الذى تقولانه من امر البعث وتدعوانى الى الايمان به الا اساطير الاولين ﴿قوله لانه يدل﴾ اى لان نزول الآية فى حقه يدل على انه من اهل النار لذلك اى لسبب اتصافه بمضمون الصلة وهو تأفيفه لوالديه وانكاره البعث وانه اساطير الاولين وقوله لذلك مستفاد من تعقيب المشار اليه بالاوصاف المذكورة من التأفيف واخويه فان الحكم على مثل هذا المشار اليه من قبيل تعليق الحكم على الموصوف فيفهم منه علية الوصف لذلك الحكم كما ذكر فى بحث تعريف المسند اليه بالاشارة ﴿قوله وقد جب عنه﴾ حال من المنوى فى قوله من اهلها والجب القطع اى وقد قطع عن كونه من اهل النار ان كان موصوفا بمضمون ماذكر من الصلات بسبب اسلامه ﴿قوله مراتب من جزاء ماعملوا﴾ لما ورد على ظاهر الآية ان يقال كيف يجوز ان يقال فى حق اهل النار ان لهم درجات مع ان الدرجات انما تطلق على مراتب اهل الجنة واما مراتب اهل النار فانما يطلق عليها الدركات * اشار الى جوابه بان الامر كذلك فى عرف الشرع الا ان المراد بالدرجات هنا مطلق المراتب على طريق عموم المجاز بقرينة قوله ولكل فانه لما حكم على الدرجات بكونها ثابتة لكل واحد من الفريقين وجب حملها على المراتب مطلقا او على انها اطلقت على جزاء الخير والشر جميعا على جهة التغليب ثم اشار الى ان كلمة ما فى قوله ما عملوا موصولة بتقدير المضاف ومن بيانية او بمعنى الاجل وقوله او الدرجات عطف على قوله مراتب ﴿قوله تعالى وليوفيهم﴾ سواء قرئ بالياء من تحت او بالنون علة متعلقة بمحذوف اى وجعل الله ذلك ليوفيهم جزاء اعمالهم فحذف المضاف او وجعلنا ذلك لنوفيهم ثم انه تعالى لما بين انه يوصل حق كل احد اليه بين احوال اهل العقاب اولا فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار ويوم منصوب بقول مقدر اى يقال لهم اذهبتم يوم عرضهم والعرض يتعدى باللام وبعلى يقال عرضت له امر كذا وعرضت عليه الشئ اى اظهرته له وابرزته قال تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فالمعروض عليه اوله يجب ان يكون من اهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه فلابد ان يحمل العرض على التعذيب مجازا بطريق التعبير عن الشئ باسم مايؤدى اليه كما يقال عرض بنوا فلان على السيف اذا قتلوا به او يجعل باقيا على اصل معناه ويكون الكلام

(أتعداننى ان اخرج) ابعث وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يرجع واحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان (ويلك آمن) اى يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه (ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا اساطير الاولين) اباطيلهم التى كتبوها (اولئك الذين حق عليهم القول) بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه (فى امم قد خلت من قبلهم) كقوله فى اصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للامم (انهم كانوا خاسرين) تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر او من اجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم اعمالهم) جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى بالنون (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض

محمولا على القلب والاصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا اى تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون اليها ظاهرة مكشوفة ويحضرون عندها قبل ان يلقون فيها فيقال لهم اذهبتم الخ اى استوفيتم والنكتة فى اعتبار القلب المبالغة بادعاء ان النار ذات تمييز وقهر وغلبة ﴿قوله غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة﴾ لان الف الاستفهام دخلت على همزة القطع مسهلة بين الهمزة والالف ولم يدخل بينهما الف وهو مذهبه فى نحو أانذرتهم فتكون الهمزة المسهلة بمنزلة حرف المد للهمزة المحققة ﴿قوله وهما يقرآن بها﴾ اى بهمزة ممدودة كابن كثير هذا على رواية هشام عن ابن عامر ويقرآن بهمزتين محققتين ايضا اى من غير تسهيل الثانية وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر دون الاستفهام الا انه من حيث المعنى كالقرآءة بهمزة الاستفهام فان معنى الاستفهام فيها التقرير والتوبيخ كما فى قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم فكذا المعنى فى القرآءة على الخبر فان العرب توبخ بالخبر كما توبخ بالاستفهام ﴿قوله فابق لكم منها شئ﴾ استفاد معنى العموم من اضافة الطيبات لان اضافة الجمع تفيد العموم ﴿قوله بسبب الاستكبار والفسوق﴾ اشارة الى ان الباء فى قوله بما كنتم فى الموضعين سببية وما فيهما مصدرية وعذاب الهون معناه العذاب الذى فيه ذل وهوان علل الله تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن قبول الدين الحق والايمان بمحمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو ذنب القلب والثانى الفسق والمعصية بترك المأمور به وفعل ما نهى عنه وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثانى لان ذنب القلب اعظم تأثيرا من ذنب الجوارح لما كان اصرار كفار مكة على الشرك لانهماكهم فى لذات الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى فى حقهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قال تعالى واذكر اخا عاد اى واذكر لقومك هذه القصة ليعتبروا ويخافوا مثل حالهم فان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها من قومك مع انه تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فليعتبروا بحالهم وليتركوا الاغترار بما عندهم من زخارف الدنيا وليقبلوا على طلب الدين الحق فان الفائز من اتبع الحق لا من اتبع الهوى والشهوات ﴿قوله يعنى هودا﴾ عليه الصلاة والسلام فانه نسيب عاد وواحد منهم ﴿قوله اذ انذر﴾ بدل من اخا عاد بدل اشتمال ﴿قوله من احقوقف الشئ﴾ يريد ان بينهما اشتقاقا لان الحقف مشتق من احقوقف وليس الامر كذلك بل الامر بالعكس ﴿قوله بالشحر﴾ وهو اسم موضع من بلاد اليمن * الجوهرى شحر عمان وشحر عدن هو ساحل البحر بين عمان وعدن ﴿قوله الرسل﴾ على ان يكون النذر جمع نذير بمعنى المنذر وقيل انه فعيل بمعنى الانذار ﴿قوله والجملة حال﴾ من فاعل انذر او مفعوله اى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده فانه على تقدير ان يكون قوله وقد خلت حالا وقيدا لانذاره قومه لابد من اعتبار علم القوم بمضمون تلك الجملة ليكون اعتبار ذلك القيد مفيدا كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى اتكفرون والحال انكم عالمون بهذه القصة * فان قلت ما معنى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله او بعده مع ان المنذرين الذين سيبعثون بعده لا يصح ان يقال انهم خلوا ومضوا على زمانه * قلت هو امامن باب * علفتها تبنا وماء باردا * والتقدير هنا وقد خلت النذر من بين يديه وتأتى من خلفه وامامن قبيل تنزيل الآتى منزلة الماضى لكونه محقق الوقوع وهذا هو الملائم لفصاحة الكتاب المعجز ﴿قوله او اعتراض﴾ اى ويجوز ان تكون الجملة معترضة بين انذر وبين ان لا تعبدوا اى انذرهم بان لا تعبدوا الا الله او ان لا تعبدوا على ان تكون ان مصدرية او مفسرة لان انذر فى معنى القول اى نهاهم عن الشرك وانذرهم عن مضرته وقد انذر من تقدم من الرسل ومن يأتى بعده مثل ذلك ﴿قوله لتصرفنا﴾ فان الافك مصدر افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ ﴿قوله سحابا عرض فى افق من السماء﴾ يعنى ان العارض السحابة التى تعرض اى تبدو وترى من ناحية من السماء ثم تطبق السماء اى تغطيها ويصيب مطرها جميع الارض والضمير المنصوب فى قوله تعالى فلما رأوه يرجع الى ما فى قوله بما تعدنا اى فلما رأوا الموعود به من العذاب وعارضا حال او تمييز لان قوله رأوه من رؤية العين ﴿قوله والاضافة فيه لفظية﴾ لكونها من قبيل اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اى عارضا مستقبلا اوديتهم متوجها اليها وكذا اضافة ممطرنا فان اصله ممطر لنا اى يأتينا بالمطر فلذلك لم تفد الاضافة فيهما تعريفا للمضاف وهما مضافان الى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فان مستقبل صفة لقوله عارضا وممطرنا صفة لقوله عارض ﴿قوله اى قال هود بل هو﴾ احتاج الى اضمار القول لان الاضراب المذكور لا يصح ان يكون مقولا لمن قال هذا عارض وهو ظاهر وتعين كون القائل هودا عليه الصلاة والسلام مستفاد من قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه قال هود بل هو ولان الكلام فيما سبق

(اذهبتم) اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين (طيباتكم) لذائذكم (فى حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فابق لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر اخا عاد) يعنى هودا (اذ انذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض (الا تعبدوا الا الله) اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ انذار من مضرته (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له (وابلغكم ما ارسلت به) اليكم وما على الرسول الا البلاغ (ولكنى اراكم قوما تجهلون) لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض فى افق من السماء (مستقبل اوديتهم) متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) اى يأتينا بالمطر (بل هو) اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما (فيها عذاب اليم) صفتها

انما وقع بينه و بينهم و لو قدر قال الله بل هو ما استعجلتم به لانفك النظم ﴿ قوله هي ريح الخ ﴾ يعني ان قوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هي ريح وان يكون بدلا من ما في قوله بل هو ما استعجلتم ﴿ قوله وقرئ يدمر كل شئ ﴾ بالياء التحتانية المفتوحة و سكون الدال و ضم الميم و رفع كل على انه فاعل يدمر من دمر الشئ يدمر دمارا اذا هلك و على هذه القرآءة يكون العائد الى الموصوف محذوفا و التقدير يدمر كل شئ بهبوبها عاصفة و يجوز ان يكون العائد الضمير المجرور في ربها و يحتمل ان لا تكون الجملة صفة بل استئنافا و قوله كل شئ عبارة عن الكثرة لانه كم من شئ لم تدمره تلك الريح و كون التدمير بامر رب الريح معناه ان الدمار ليس يقتضيه طبيعة الريح لذاتها و ليس من باب تأثيرات الكواكب و القرانات ايضا بل هو امر حدث ابتدآء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم ﴿ قوله اذ لا توجد نابضة حركة ﴾ علة لكون كل ممكن ليس له قيام بنفسه يقال نبض العرق اى تحرك ﴿ قوله و في ذكر الامر و الرب و اضافته الى الريح فوآئد ﴾ فان الريح ليست من العقلاء المميزين حتى تكون مأمورة بالتدمير من قبله تعالى و انه تعالى رب كل شئ و ليست ربوبيته بالنسبة الى الريح فقط حتى يضاف الرب اليها الا انه اضيف اليها الرب للدلالة على عظم شأنها بكونها منسوبة اليه تعالى و مظهرا من مظاهر قدرته و على عظم شأن خالقها و يكون مثل هذا الشئ العظيم مملوكا له تعالى و منقادا لتصرفه فان تصريفه تعالى اياها من جهات مختلفة على وجوه متباينة يدل على كمال قدرته و نفاذ مشيئته و اكد هذا المعنى بذكر الامر و جعلها مأمورة من قبله عز و جل تشبيها لها بالعقلاء المميزين الذين لا يتوقفون في امتثال امر الآمر المطاع من حيث كونها منقادة مطاوعة لارادة الله تعالى و تكوينه فيها ما شاء روي انه احتبس عنهم المطر اياما فبعثوا قوما الى الكعبة للاستسقاء فجاؤها فاستسقوا لقومهم و اظهر الله تعالى لهم ثلاث قطع من السحاب على الوان مختلفة فقيل لهم اختاروا لقومكم واحدة من هذه القطع فاختاروا قطعة سودآء منها و قالوا انها اكثر مطرا فساقها الله تعالى الى ديارهم فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا فقالوا هذا عارض ممطرنا فاجابهم هود بان قال بل هو ما استعجلتم به لقولكم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فرأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال و المواشي تطير بهم الريح بين السماء و الارض فدخلوا بيوتهم و اغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب و صرعتهم و امالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال و ثمانية ايام لهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم و رمت بهم في البحر و لم يبق الا هود و من آمن به و كانوا قد اعتزلوا منهم و دخلوا في حظيرة و كانت التي تصيبهم ريحا طيبة هادية و كون الريح في حقهم بهذا الوصف و في حق الكفرة بما ذكر من الشدة معجزة له عليه الصلاة و السلام ﴿ قوله و التقدير و لقد مكناهم في الذي او في شئ ﴾ اشارة الى ان ما يجوز ان تكون موصولة و ما بعدها صلتها و ان تكون موصوفة و ما بعدها صفتها و ذكر لكلمة ان ثلاثة اوجه الاول انها نافية بمعنى ما و عدل عنها الى ان كراهة اجتماع المثلين كما قلبت لذلك الفها هاء في مهما اصله ماما عند الخليل و الثاني انها شرطية و الجملة الشرطية صلة ما او صفتها و جواب الشرط محذوف و الثالث انها صلة كما في قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه ❊ و يعرض دون ادناه الخطوب

اى يؤمل ما لا يراه و لا يصل اليه و الخطوب جمع خطب و هو الامر و الشأن العظيم اى تعرض الخطوب بينه و بين ادنى شئ مما يؤمله فلا يمكنه الوصول الى ادنى شئ منه و المعنى حينئذ و لقد مكناهم فيما مكناكم فيه و ان احوالهم كانت كاحوالكم و لستم باكثر منهم مكنة و قدرة فاذا قدرنا على اهلاكهم فنحن قادرون على اهلاككم ايضا و كونها نافية اصح الوجوه و المعنى حينئذ مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان و طول العمر و كثرة الارزاق و الاموال ثم انهم مع هذه القوة و البسطة ما نجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به عليهم ما يكون سببا لنجاتهم من عذابه و لنيل رحمته و احسانه فانهم ان استعملوا اسماعهم في سماع الدلائل و ابصارهم في ان ينظروا بها في ملكوت السموات و الارض و يشاهدوا عجائب مصنوعاته و يستدلوا بافئدتهم على معرفة الله و كمال قدرته و دقائق حكمته حيث هيألهم مما ينتظم به احوالهم ما يعجز عن احاطته افكار اولى الالباب فما استعملوا هذه القوى فيما يسعدهم بل صرفوها الى طلب الدنيا و لذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم شئ منها من عذاب الله تعالى و ما في قوله فما اغنى عنهم نافية لا استفهامية لان قوله من شئ يأبى عن كونها استفهامية اذ يصير التقدير حينئذ اى شئ اغنى عنهم من شئ ﴿ قوله صلة لما اغنى ﴾ اى ظرف معمول له منصوب به اى ما اغنى عنهم وقت

و كذلك قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم و اموالهم (بامر ربها) اذ لا توجد نابضة حركة و لا قابضة سكون الا بمشيئته و في ذكر الامر و الرب و اضافته الى الريح فوآئد سبق ذكرها مرارا و قرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها و يحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم و لا يتأخر و يكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم و قرأ عاصم و حمزة و الكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة و رفع المساكن (كذلك نجزي القوم المجرمين) روي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة و جاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة و كانوا تحتها سبع ليال و ثمانية ايام ثم كشفت عنهم و احتملتهم و قذفتهم في البحر (و لقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية و هي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا و لذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب و التقدير و لقد مكناهم في الذي او في شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه ❊

و يعرض دون ادناه الخطوب ❊

و الاول اظهر و اوفق كقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم و اشد قوة و آثارا (و جعلنا لهم سمعا و ابصارا و افئدة) ليعرفوا تلك النعم و يستدلوا بها على مانحها و يواظبوا على شكرها (فما اغنى عنهم سمعهم و لا ابصارهم و لا افئدتهم من شئ) من الاغناء و هو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما اغنى و هو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه و كذلك حيث

كونهم جاحدين وهذا ظرف يفيد فائدة التعليل بان يقال لانهم كانوا يجحدون اذ لا فرق بين ان يقال ضربته لاساءته وضربته اذ أساء فان الضرب لما كان مترتبا على ما اضيف اليه الظرف وهو الاساءة كان المضاف اليه بمنزلة العلة وكذلك حيث فانه ايضا ظرف جار مجرى التعليل من حيث ان ما اضيف اليه يترتب عليه الحكم ترتب المعلول على علته ﴿ قوله ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ﴾ فان قولهم فأتنا بما تعدنا من العذاب استهزآء به ﴿ قوله كحجر ثمود ﴾ الحجر منازل ثمود فى ناحية الشام وقرى قوم لوط فى ارض سدوم بالشام وقرى قوم هود باليمن فانها جميعا قريب من بلاد الحجاز والمراد باهلاك القرى المهلكة باليمن والشام اهلاك اهلها ولذلك قال لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا عن كفرهم * فان قيل دل ذلك على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم وهو مذهب المعتزلة القائلين بجواز تخلف مراد الله تعالى عن ارادته * والجواب ان المعنى انه تعالى فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة كالاختبار والامتحان اذا اسند اليه تعالى والمقصود من الآية تبكيت مشركى مكة وابطال زعمهم ان الاصنام شفعاؤهم عند الله وانهم يتقربون بها اليه تعالى كأنه قيل كيف تزعمون ذلك الا ترون انا اهلكنا عبدة الاصنام الساكنين فى حوالى بلاد الحجاز فهلا نصرهم اصنامهم قطع المصنف بان المفعول الاول لقوله تعالى اتخذوا محذوف وهو العائد الى الموصول ثم ذكر ان مفعوله الثانى اما قربانا واما آلهة ثم ذكر ان الثانى ان كان قربانا يكون آلهة اما بدلا من قربانا او عطف بيان له وان كان الثانى آلهة يكون قربانا اما حالا من آلهة قدم عليها لكون ذى الحال نكرة او مفعولا له على انه مصدر بمعنى التقرب كالكفران والشكران والغفران وهو فى سائر الاحتمالات اسم بمعنى ما يتقرب به وقال صاحب الكشاف لا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى ولم يذكر وجه الفساد ولعل وجه الفساد ان قوله من دون الله يأبى عن كون قربانا مفعولا وذلك لان المعنى يصير حينئذ اتخذوهم ما يتقرب بهم متجاوزين عن الله والمفهوم منه انه تعالى ذمهم بانهم لم يتخذوه تعالى ما يتقرب به بل عدلوا عنه واتخذوا الاصنام قربانا وهذا معنى فاسد لانه تعالى لا يتقرب به بل يتقرب اليه وهذا الفساد لا يتجه على تقدير ان يكون آلهة مفعولا ثانيا وقربانا حالا دخلت بين المفعولين لان معنى الذم حينئذ يكون متوجها الى ترك اتخاذ الله تعالى الها معبودا بالحق والعدول الى اتخاذ آلهة يتقربون اليها ولم يلتفت المصنف الى ما قاله لان معنى الذى على تقدير ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه يكون متوجها الى عدولهم عن عبادة الله تعالى الى عبادة الآلهة لان قربانا لما كان بدلا منه كان فى حكم الساقط وكان المفعول الثانى بحسب المعنى آلهة وكان المعنى اتخذوهم آلهة من دون الله والحال ان الاله هو الله وحده ولا فساد فى هذا المعنى ﴿ قوله غابوا عن نصرهم ﴾ اى ليس المراد غيبة الالهة باعيانها عنهم ولا ضياعها وهلاكها فى انفسها فان الضلال قد يكون بمعنى الهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر اى فى هلاك ويقال ضل الشئ يضل ضلالا اى ضاع وهلك وقد يكون بمعنى الغيبة كما فى قوله تعالى أئذا ضللنا فى الارض فانه بمعنى خفينا وغبنا كما فى قولهم ضل اللبن فى الماء وليست آلهة المشركين غائبة عنهم بذواتها هالكة فى انفسها وقوله ضلوا عنهم استعارة تبعية شبهت الآلهة بالاشياء الغائبة عنهم فى عدم نفعهم بها عند نزول العذاب وامتناع الاستمداد بها امتناع الاستمداد بمن ضل وغاب وهذا هو الذى اراده المصنف بقوله غابوا عن نصرهم ﴿ قوله صرفهم عن الحق ﴾ وهو التوحيد والطاعة اختار قرآءة من قرأ وذلك افكهم بالفتحات الثلاث على انه فعل ماض من افكه يأفكه بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر أفكا بفتح الهمزة وسكون الفاء اى قلبه وصرفه عن الامر فيكون ما فى قوله وما كانوا يفترون مصدرية فى موضع الرفع بالعطف على المبتدأ وهو ذلك وقيل على الضمير المرفوع فى افكهم وحسن ذلك الفصل بينهما بالضمير المنصوب فقام ذلك مقام التأكيد ويكون المعنى حينئذ وذلك الاتخاذ الذى كان مؤداه امتناع ما اتخذوه قربانا عن نصرهم وامتناع ان يستمدوا به امتناع الاستمداد بالضال صرفهم عن التوحيد والطاعة وكونهم مفترين على الله باتخاذ الشركاء وقرأ الجمهور وذلك افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء فيكون ذلك اشارة الى امتناع النصرة وضلالهم عنهم ويكون الافك مصدر أفك يأفك بمعنى كذب يكذب ويقدر المضاف قبل الافك ويكون المعنى وذلك الذى اصابهم من امتناع النصرة وامتناع الاستمداد بما اتخذوه سبب التقرب اليه تعالى اثر كذبهم الذى هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانهم يستحقون العبادة لكونهم قربانا وأثر كونهم مفترين على الله تعالى على ان يكون قوله وما كانوا يفترون معطوفا على افكهم وقرئ افكهم بالفتحات الثلاث وتشديد الفاء للمبالغة والتكثير اى صرفهم

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولقد اهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الرآء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك (وما كانوا يفترون)

(صرفا)

صرفا بليغا وقرئ ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء وضم الكاف على انه اسم فاعل من افكه اي صارفهم او قولهم الافك اى الكاذب او ذو الافك ثم انه تعالى لما بين ان الانس فريقان معرضون عما انذروا به وموحدون مستقيمون فى الامور بين ان الجن ايضا فريقان منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم يغفرله ويتخلص من عذاب اليم وان كافرهم معرض للعقاب العظيم فقال واذصرفنا اليك وهو منصوب باذكر فى قوله واذكر اخاعاد فانه معطوف على قوله اخاعاد اى اذكر اذصرفنا اليك نفرا اى اقبلنابهم نحوك ومن الجن صفة لنفر أو كذا يستمعون ويجوز ان يكون يستمعون حالا من نفرا لتخصيصه بالصفة وروعى معنى النفر حيث اعيداليه ضمير الجمع فى يستمعون ولو روعى لفظه وقيل يستمع لجاز ﴿ قوله اوالرسول ﴾ على طريق الالتفات من الخطاب فى قوله اولئك الى الغيبة فى حضروه ﴿ قوله تعالى فلما قضى ﴾ قرأ العامة على بناء المفعول اى فرغ من قرآءة القرآن وهو يؤيد كون هاء حضروه راجعا الى القرآن وقرئ على بناء الفاعل اى فلما اتم الرسول قرآءته وهى تؤيد عود الهاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف فى عدد ذلك النفر فروى عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم وفيه دليل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس وعن ذر بن جيش انهم كانوا تسعة احدهم زوبعة وهو رئيس من رؤساء الجن وعن قتادة انه قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وقيل نصيبين اسم بلد باليمن وقيل نصيبين ونينوى كانا من توابع ديار بكر والاول قرية بالشام والثانى قريب من الموصل ﴿ قوله روى انهم وافوا ﴾ اى صادفوا ووجدوا اختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل هو مأمور بانذار الجن والقرآءة عليهم ففعله امتثالا لذلك الامر او مروا وهو يقرأ القرآن فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فانبأه الله تعالى باستماعهم قرآءته وذهب الى كل واحد من القولين جماعة قال المفسرون لما مات ابو طالب وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجابة اهل مكة اياه خرج الى الطائف وحده يدعوهم الى الاسلام ويلتمس منهم نصرتهم اياه فى الدعوة الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه فى ذلك وقالوا انت اعلم بامرك ومالنا رغبة فى القبول منك وأغروا به سفهاء ثقيف فلما يئس من خير ثقيف انصرف الى الطائف راجعا الى مكة ووصل الى وادى النخلة ويقال له بطن مكة وسمى بوادى النخلة لان فيه نخلة فقام صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوادى يصلى العشاء الاخيرة وقيل قام فيه يصلى الفجر فمر به نفر من اشراف جن نصيبين فاستمعوا لقرآءته وآمنوا واجابوا لما سمعوا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وهو صلى الله عليه وسلم ماقرأ عليهم القرآن امتثالا لامر الله ولارآهم وروى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لامر ظهر فى الارض فذهبوا يطلبون السبب حتى بلغوا تهامة فمروا بوادى النخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى ويقرأ القرآن فاستمعوا لقرآءته وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن فجمع صلى الله عليه وسلم اصحابه لذلك فقال لهم انى امرت ان اقرأ القرآن على الجن الليلة فمن يتبعنى منكم قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبدالله بن مسعود قال لم يحضر معه صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد غيرى وقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذت اداوة ولا احسبها الاماء فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة فى شعب الحجون رأيت اسودة مجتمعة قال فخط لى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال ههنا حتى آتيك ومضى صلى الله عليه وسلم اليهم فرأيتهم يشيرون اليه فقام معهم ليلا طويلا حتى جاءنى مع الفجر فقال لى هل معك من وضوء قلت نعم ففتحت الاداوة فاذاهو نبيذ فقال صلى الله عليه وسلم ثمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منها ثم قام يصلى وفى رواية لمسلم ان ابن مسعود قال لم اكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لوكنت معه ﴿ قوله قيل انما قالوا ذلك ﴾ يعنى قيل فى جواب مايقال لم قالوا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع ان الظاهر ان يقولوا كذلك لان القرآن انزل من بعد عيسى المبعوث بعد موسى عليهما الصلاة والسلام روى عن عطاء والحسن ان من قال ذلك كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا اناسمعنا كتابا انزل من بعد موسى لان فى الجن طوائف مختلفة من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام كما فى الانس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون وعن ابن عباس ان الجن ماسمعت امر عيسى صلى الله عليه وسلم فلذلك قالوا ذلك ﴿ قوله تعالى مصدقا لما بين يديه ﴾ اى لكتب الانبياء وذلك ان كتب الانبياء

(واذصرفنا اليك نفرا من الجن) املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) اى القرآن او الرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) اتم وفرغ من قرآءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول (ولوا الى قومهم منذرين) اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى) قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ماسمعوا بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع

(ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفرلكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو مايكون فى خالص حق الله تعالى فان المظالم لاتغفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) هو معدّ للكفار واحتج ابوحنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لاثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم (ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) اذلاينجى منه مهرب (وليس له من دونه اولياء) يمنعونه منه (اولئك فى ضلال مبين) حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهنّ) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لاتنقص ولاتنقطع بالايجاد ابد الآباد (بقادر على ان يحيى الموتى) اى قادر ويدل عليه قرآءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شئ قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدّر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اولوا الثبات والجدّ منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرآئع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضرّ وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين

جميعا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وحقية امر النبوّة والمعاد وتهذيب الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعانى ﴿ **قوله** فان المظالم لاتغفر بالايمان ﴾ فان المسلم اذا كان ذميا ثم اسلم لاتسقط عنه حقوق العباد باسلامه ولايغفر عن الحربى الحق اذا كان ماليا ﴿ **قوله** واحتج ابوحنيفة ﴾ يعنى ان العلماء اختلفوا فى ان مؤمنى الجنّ هل يثابون بنعيم الجنة اولا فقيل لاثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا بقول الجنّ يغفرلكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وهو قول الحنفية قال لان العبد لايستحق الثواب بعمله وانما ينال ذلك بمجرّد الوعد الالهى تفضلا وكرما ولاوعد فى حق الجنّ الاقوله يغفرلكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فيقول بهذه المرتبة قطعا واما الاثابة بنعيم الجنة فموقوف على قيام الدليل ولم يقم عليه دليل * فان قيل كيف يحتج بقول الجنّ * اجيب بانه تعالى اذا حكاه من غير نكير فقد علم رضاه به فكان دليلا من هذه الجهة ثم انه تعالى لما ذكر من اوّل السورة الى هنا امر التوحيد والنبوّة ذكرههنا مايقرر امر المعاد فقال اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الآية فان المقصود منها الاستدلال على كونه قادرا على البعث بأن خلق ماذكر ادون من اعادة الشخص حيا والقادر على الاكمل لابدّ ان يكون قادرا على مادونه ﴿ **قوله** ولم يتعب ولم يعجز ﴾ يقال عيى بالامر يعيى من باب علم يعلم اذا تحير فيه ولم يهتد لوجهه وعجز عنه وهو كقوله تعالى ومامسنا من لغوب وهو التعب والاعياء تقول منه لغب يلغب لغوبا من باب دخل ﴿ **قوله** اى قادر ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بقادر فى موضع الرفع على انه خبر ان وزيدت الباء فى خبر ان مع انها لاتزاد فى الكلام الخبرى الا اذا كان مشتملا على النفى بليس او بما نحو ليس زيد براكب او ما زيد براكب بناء على ان المقصود اثبات القدرة لااثبات الرؤية فان الاستفهام الانكارى فى اولم يروا متوجه الى نفى القدرة لاالى نفى الرؤية وان النفى المذكور فى اوّل الآية مشتمل على ان وما فى حيزها فكأنه قيل اليس هو بقادر الا انّ اداة النفى ادخلت على فعل الرؤية للدلالة على ان نفى القدرة مع كون ثبوتها ظاهرا بينا بعيد عجيب فكأنه قيل قدرة من هذا شأنه على البعث بينة محسوسة فكيف لايبصرونها وينفونها ولما كان الانكار والتعجب المطلق لنفى الرؤية ظاهرا متعلقا بنفى القدرة بحسب المعنى صح دخول الباء فى خبر ان كما صح دخولها فى خبر ليس فى قولنا اليس هو بقادر ويدل على ان المعنى ذلك ان بلى لايجاب النفى بمعنى انها تنقض النفى المتقدّم سوآء كان ذلك النفى مجرّدا عن اداة الاستفهام نحو بلى فى جواب من قال ماقام زيد اى بلى قدقام زيد اوكان مقرونا بالاستفهام فانها ايضا لنقض النفى المذكور بعد اداة الاستفهام كقوله الست بربكم قالوا بلى اى بلى انت ربنا فلولا ان النفى فى قوله اولم يروا انه بقادر متعلق بالقدرة بحسب المعنى لكان الجواب ان يقال بلى انهم يرون انه قادر بان يجعل بلى لتقرير الرؤية لانها هى المنفى لفظا ومعنى حينئذ فلما جعلت مقرّرة للقدرة حيث قيل بلى انه على كل شئ قدير علم ان النفى متعلق بها من حيث المعنى ﴿ **قوله** والمعنى ان قدرته واجبة ﴾ يعنى ان قوله تعالى ولم يعى بخلقهنّ اشارة الى ان قدرته تعالى ذاتية لاتنقص ولاتنقطع بايجاد الاجرام العظام وغيرها وقرّر ذلك ببلى وما بعدها على سبيل التعميم ليكون كالبرهان على المقصود الذى هو القدرة على البعث ثم انه تعالى لما اثبت قدرته على البعث ذكر بعض احوال الكفار بعد البعث فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يقال لهم يوم يعرضون على النار اليس هذا بالحق والمقصود بهذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على ماكان منهم فى الدنيا من الانكار بما وعده الله تعالى من البعث والجزآء والفاء فى قوله فذوقوا للسببية اى اذا عرفتم انه الحق فذوقوا بسبب كفركم وتكذيبكم بوعد الله ووعيده فى قولكم ومانحن بمعذبين ﴿ **قوله** ومعنى الامر ﴾ جواب عما يقال من ان صيغة الامر تقتضى ان يكون المأمور فاعلا للمأموربه باختياره ولااختيار للكفار فى ذوق العذاب اذليس لهم الاقبول اثر قدرة الله تعالى والمحلية له فامعنى صيغة الامر ههنا فاجاب عنه بان ذلك من امر التكليف والامر ههنا ليس للتكليف بل هو للاهانة والتوبيخ والظاهر ان صيغة الامر لادخل لها فى التوبيخ بل هو مستفاد من قوله بما كنتم تكفرون الا ان الاهانة الواقعة بصيغة الامر لما كانت مسببة عن كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفادا من الامر ايضا لانه لما استفيد من الامر الاهانة المسببة عما يوجب التوبيخ استفيد منه التوبيخ ايضا والفاء فى قوله تعالى فاصبر عاطفة لهذه الجملة على ماتقدّم والسببية فيها ظاهرة اوهى فاء الجواب لشرط محذوف اى اذا سمعت وعلمت انى منتقم من الذين كفروا فاصبر على اذاهم اياك ﴿ **قوله** اولوا الثبات والجدّ ﴾ والصبر على

(اذى)

اذى معانديهم و مكذبيهم و هم الرسل كلهم على ما اختاره المصنف حيث جعل من للتبيين وقيل اولو العزم بعض الرسل وهم المأمورون بالجهاد والصابرون على اذى اعدآء الدين وقيل الصابرون على البلاء مطلقا وهم نوح حيث صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسمعيل على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال تعالى فى حق آدم ولم نجد له عزما وفى حق يونس ولا تكن كصاحب الحوت والصحيح ان الرسل كلهم اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل ولفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم وبصبرهم وثباتهم وما قيل ان جميع الرسل اولوا العزم الا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت والا آدم لقوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما والله اعلم لم نجد له قصدا الى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيا عن نزول العذاب ﴿قوله تعالى ولا تستعجل لهم﴾ قيل انه صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب على من ابى من قومه فامر بالصبر وترك استعجال نزول العذاب عليهم ثم اخبر ان العذاب نازل بهم فى وقته لا محالة وانه اذا نزل بهم صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار لهول ما عاينوا فان الشئ اذا مضى صار كأنه لم يكن وان كان طويلا ﴿قوله اى كفاية فى الموعظة او تبليغ﴾ وفى الصحاح الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية فقوله تعالى بلاغ معناه هذا يبلغ قدر الكفاية فلن يهلك بعذاب بعد هذا البيان او البلاغ الا من فسق وخرج عن الاتعاظ بمواعظ الله تعالى والاستفهام فى قوله تعالى فهل يهلك للنفى ﴿قوله ويؤيده﴾ اى ويؤيد كون قوله بلاغ من الابلاغ قرآءة من قرأ بلغ على الامر ﴿قوله وقيل مبتدأ خبره لهم﴾ الواقع بعد قوله ولا تستعجل اى لهم بلاغ اى وقت يبلغون اليه فحينئذ يتم الكلام عند قوله ولا تستعجل ويوقف عليه ولم يرض بهذا القول لان الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة التشبيهية بعيد جدا مع ان الظاهر ان يتعلق لهم بالاستعجال لا بالاستقرار المقدر ﴿قوله وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها﴾ قرأ الجمهور فهل يهلك على بناء المفعول وقرآءته بفتح الياء وكسر اللام على بناء الفاعل ههنا ظاهرة لان هلك يهلك من باب ضرب يضرب لغة شائعة وكونها من باب علم يعلم ليس شائعا * هذا آخر ما يتعلق بسورة الاحقاف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وثمان آيات مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه﴾ يعنى ان صد يجيئ لازما ومتعديا وما فى الآية يمكن حمله عليهما وفى الصحاح صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه فان حمل على المتعدى يكون عطفه على قوله كفروا من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على ان منع الغير عن الدخول فى الاسلام اشد توغلا فى الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لان يتوهم انه امر مغاير للكفر لا يدل عليه قوله الذين كفروا كما فى قوله تعالى وملائكته وجبريل وان حمل على اللازم يكون عطفه عليه للبيان والتفسير لان الامتناع من الدخول فى الاسلام هو الكفر لا غير ﴿قوله كالمطعمين يوم بدر﴾ قيل هم ستة نفر من اغنياء قريش اطعم كل واحد منهم الجنود الذين اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا الى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل كانوا اثنى عشر هؤلاء الستة والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان ابن امية والعباس بن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش يوما ﴿قوله اى ضائعة محبطة بالكفر﴾ يعنى ان كان المراد باعمالهم ما يعدونه مكارم ومحاسن يكون المراد باضلالها اما جعلها ضائعة بحيث لا يكون لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل فانها لا رب لها يحفظها ويعتنى بشأنها ويدبر امرها فكذا مكارم الكفار فان شيأ من ذلك لا يعتبر الا بالاسلام واما جعلها مغلوبة مغمورة فيه اى غائبة فى كفرهم وشركهم مضمحلة مستورة بظلمة الكفر

(ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا ابلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾
﴿وتسمى سورة القتال وهى مدنية﴾
﴿وقيل مكية وآيها سبع او ثمان﴾
﴿وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصد (اضل اعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله

كضلال الماء فى اللبن و اماجعلها ضلالا و غواية لان كل مالايقصد به وجه الله تعالى لايكون هدى و طاعة بل يكون ضلالا و معصية ﴿قوله او ابطل ماعملوه الخ﴾ عطف على قوله صلى الله عليه و سلم جعل الله مكارمهم ضالة اى ان كان المراد باعمالهم ماعملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه و سلم و منع عباد الله عن الدخول فى الاسلام فاضلالها جعلها بحيث لايترتب عليها ماقصدوا منها و ان يبطل سعيهم فيها و يجعلهم خائبين محرومين من مرادهم بتحقيق ماارداه من نصرة رسوله صلى الله عليه و سلم و ان بالغوا فى الكيد به و اظهار دينه على جميع الاديان او بالغوا فى منع الناس عن الدخول فيه ﴿قوله هم المهاجرين و الانصار الخ﴾ يعنى ان قوله و الذين آمنوا و عملوا الصالحات عام فى كل من آمن و عمل صالحا كما ان قوله و الذين كفروا و صدّوا عام فى كل من كفر و صدّ و ان التعريف فيهما ليس للعهد و الاشارة الى قوم مخصوصين و ماروى عن ابن عباس من ان الذين كفروا و صدّوا مشركوا مكة و ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات الانصار تخصيص من غير مخصص اذ لايظهر وجه التخصيص فيه الا ان جعل التعريف فى قوله (٣) و الذين آمنوا كذلك و ان جعل للعموم يكون التعريف فى الذين آمنوا ايضا للعموم لوجوب مقابلة الخاص بالخاص و العام بالعام ﴿قوله تخصيص للمنزل﴾ يعنى انه من عطف الخاص على العام المقدّر بناء على ان قوله و الذين آمنوا معناه آمنوا بجميع مايجب الايمان به بناء على حذف المفعول للتعميم مع الاختصار كما فى قوله تعالى و الله يدعو الى دار السلام اى يدعو جميع عباده و لاشك ان الايمان بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم من جملة افراد مايجب الايمان به فلابدّ لتخصيصه بالذكر بعد ذلك التعميم من نكتة و هى ماذكره من التعظيم لشأنه و الاشعار بانه الاصل فيه ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون تخصيصه بالذكر لتعظيم شأنه اكده بالجملة الاعتراضية الواقعة بين المبتدأ و الخبر الواردة على طريق الحصر مثل ذلك الكتاب و حاتم الجود فان امثال هذه التراكيب تفيد حصر الصفة على الموصوف لكمالها فيه بحيث يكون ماعداه بالنسبة اليه كأنه ليس بمتصف بما اسند اليه من الصفة فمعنى الحصر فى قوله و هو الحق ان القرآن هو البالغ فى كونه حقا منزها عن ان يشوبه شئ من وجوه البطلان لكون نظمه و معناه بالغا الى اقصى مراتب الكمال ﴿قوله و قيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ﴾ معطوف على ماسبق من حيث المعنى فان قوله و لذلك اكده يكذا اعتراضا على طريقة الحصر يشعر بان المراد بالحق ضدّ الباطل و ان قوله و هو الحق من ربهم معناه انه الذى لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و ان وجه الحصر كون المنزل عليه فى اقصى مراتب الحقية و وجه كونه مشعرا بذلك ان كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لمايستفاد من تخصيص المنزل عليه بالذكر انما يظهر اذا كان معنى الحقية عدم تطرّق الفساد اليه بوجه ما اذ لو كان معنى حقيته كونه ثابتا لاينسخ لماظهر كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لمايستفاد مماقبلها من تعظيم المنزل عليه لان النسخ عبارة عن بيان انتهاء الحكم لانتهاء علته و كون الحكم منسوخا بهذا المعنى لايوجب نقصانا حتى يكون عدم تطرّق النسخ اليه مظنة التعظيم و لما كان الكلام السابق مشعرا بان حقيته ان لايتطرّق اليه الفساد بوجه ما عطف عليه قوله و قيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ و لم يرض به لان الجملة الاعتراضية لايبقى لها فائدة يعتدّ بها حينئذ و هذا التقرير على ان تكون عبارة المصنف هكذا اعتراضا على طريقة الحصر و قيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ الا ان العبارة فى اكثر النسخ هكذا (٧) على طريقه فحينئذ يكون الكلام محل بحث لان تلك الجملة على تقدير ان يكون الحق بمعنى الثابت كيف تكون مؤكدة لمايستفاد من تخصيص المنزل بالذكر الا ان يقال كونه ثابتا لاينسخ كناية عن كونه حقا واجب الاتباع عاريا عن تطرّق البطلان اليه بوجه ما فحينئذ يظهر وجه التأكيد الا انه يبقى ان يقال لافائدة فى قوله على طريقه بعد قوله اكده لان الظاهر ان ضمير طريقه للتأكيد المدلول عليه بقوله اكده ﴿قوله و قرئ نزل﴾ الجمهور على بناء نزل للمفعول مشدّدا و قرئ نزل مشدّدا على بناء الفاعل و هو الله تعالى و ماعدا قرآءة الجمهور من الشواذ ﴿قوله سترها بالايمان﴾ على ان يكون بناء التفعيل للتكثير و المبالغة يقال كفرت الشئ اكفره بالكسر كفرا اى سترته فهو من باب ضرب و الذى هو ضدّ الايمان من باب نصر و تعدّى بالباء و هذا يدل على ان قوله تعالى اضل اعمالهم بمعنى جعلها مغلوبة مستورة فى كفرهم و ان المعنى ان اعمال الكفار و ان كانت من قبيل المكارم و الحسنات يجعلها الله تعالى غائبة مستورة فى غمرات كفرهم و ترك متابعتهم الحق المنزل من عند الله تعالى و ان سيئات المؤمنين يسترها الله تعالى اى بكنف ايمانهم و متابعتهم الحق المنزل ﴿قوله و هو تصريح بما اشعر به ماقبلها﴾ فان كل واحد من حكم الاضلال و التكفير قد رتب سابقا على الموصول

---

(٣) الذين كفروا للعهد و الاشارة الى قوم مخصوصين ينبغى ان يجعل التعريف فى قوله (نسخه)

(٧) اعتراضا على طريقه و حقيته بكونه ناسخا (نسخه)

او ابطل ماعملوه من الكيد لرسوله و الصدّ عن سبيله بنصر رسوله و اظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم المهاجرين و الانصار و الذين آمنوا من اهل الكتاب و غيرهم (و آمنوا بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له و اشعارا بان الايمان لايتم دونه و انه الاصل فيه و لذلك اكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر و قيل حقيته بكونه ناسخا لاينسخ و قرئ نزل على البناء للفاعل و انزل على البنائين و نزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) سترها بالايمان و عملهم الصالح (و اصلح بالهم) حالهم فى الدين و الدنيا بالتوفيق و التأييد (ذلك) اشارة الى مامرّ من الاضلال و التكفير و الاصلاح و هو مبتدأ خبره (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل و ان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل و اتباع هؤلاء الحق و هو تصريح بما اشعر به ماقبلها و لذلك تسمى تفسيرا

فاشعر ذلك بعلية مضمون الصلة له كما ان ترتيب الحكم على الموصوف يشعر بعلية الصفة له ثم ذكر صريحا سبب كل واحد من الحكمين المذكورين بعد ماذكر على سبيل الايماء ومثل هذا تسمية علماء البيان التفسير لكونه موضحا للعلة التي ذكرت ايماء واشعارا ﴿قوله مثل ذلك الضرب﴾ اشارة الى ان الكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف وان الضرب بمعنى التبيين وان المثل في العرف العام وان كان عبارة عن القول السائر المشبه مضربه بمورده وان ضربه استعماله فيما شبه بمورده على سبيل الاستعارة التمثيلية الا ان المراد بالمثل ههنا الحالة العجيبة تشبيها لها بالقول السائر في الغرابة المؤدية الى التعجب وان ضمير امثالهم يحتمل ان يرجع الى فريق المؤمنين والكافرين فانه تعالى بين حال الكافر بان كفره بلغ في كونه شرا له الى ان صارت مكارمه مغمورة في كفره بحيث لم يرشيأ من منافعه وبين حال المؤمن بان ايمانه بلغ في كونه خيرا له الى ان صارت سيئاته مكفرة مستورة بكنف ايمانه بحيث لم يرشيأ من تبعاتها ومضارها ولم يكتف بذلك بل انضم اليه اصلاح بالهم بان بدل الله تعالى سيئاتهم حسنات وهذه احوال عجيبة للفريقين بين بها الله تعالى (٩) للناس احوال انفسهم ليعتبروا ويتداركوا بعد ماوفقهم تعالى لصالح الاعمال والاخلاق فالمشار اليه بقوله تعالى كذلك هو معنى ماذكر من اول السورة الى قوله واصلح بالهم ﴿قوله او يضرب امثالهم الخ﴾ عطف على قوله يبين لهم احوال الفريقين او احوال الناس ويجوز ان لايكون المراد بامثالهم احوالهم العجيبة بل يراد به معناه اللغوي فان المثل في اللغة بمعنى الشبه والامثال بمعنى الاشباه والاشكال ويراد بضرب امثالهم واشباههم بيان مايشبه به انفسهم واعمالهم فانه تعالى شبه الكافر بمن يتبع الباطل على طريق التشبيه البليغ من حيث كونه متوجها الى الباطل ساعيا فيه فكأنه يتبعه اذليس ثمة اتباع باطل حقيقة بل ليس هناك الا ارتكاب باطل والاتيان به وكذا شبه المؤمن بمن يتبع الحق من حيث كونه متوجها اليه قاصدا اياه فصار كأنه يتبعه اى انه يتبع الحق وان الكافر يتبع الباطل اى كأنه هو ولما كان المقصود من تشبيه قسميهما تشبيه عمل الكافر باتباع الباطل وتشبيه عمل المؤمن باتباع الحق قال المصنف جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار اى شبيها شبه به حال الكافر وعمله وكذا جعل اتباع الحق مثلا لعمل المؤمن اى شبيها شبه به حال المؤمن وعمله وقال والاضلال مثلا لخيبتهم اى وشبه خيبتهم وحرمانهم من ثواب مكارمهم باضلالهم اياها وكونها كالبعير الضال الذى لايهتدى اليه صاحبه اذليس ثمة اضلال الثواب حقيقة وانما المتحقق هو الحرمان منه وقال وتكفير السيئات مثلا لفوزهم اى وشبه فوزهم بسعادة الآخرة بتكفير السيئات اذليس ثمة الافوز المؤمن بفضله تعالى ورحمته وعبر عنه بتكفير السيئات واصلاح البال فظهر انه تعالى بين من اول السورة الى قوله وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم مايشبه به اعمال الفريقين وعاقبة امرهما من خيبة احدهما وفوز الآخر ثم قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى يبين مايشبه به اعمالهم وعواقبهم ثم انه تعالى لما بين ان الذين كفروا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام اومنعوا الناس عنه ليس لهم من المكارم والاعمال الصالحة مايعتدبه وان بينهم وبين الذين آمنوا تباين الطريق من حيث ان احد الفريقين يتبع الباطل ويكون حزب الشيطان والفريق الآخر يتبع الحق ويكون حزب الرحمن امر المؤمنين ان يقتلوهم افضح قتلة بان يفصلوا مجمع حواسهم عن ابدانهم فقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فالفاء في قوله فاذا لقيتم فاء لجواب شرط محذوف وفي قوله فضرب الرقاب فاء جواب اذا وقوله فضرب مصدر مؤكد لفعله المحذوف لدلالة المصدر عليه وذلك الفعل المقدر هو العامل في فاذا ومنع ابو البقاء ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه فقال لانه مؤكد وهو احد القولين في المصدر النائب عن الفعل فقال بعضهم ناصب المفعول به في نحو ضربا زيدا هو المصدر المؤكد وقال آخرون هو عامله ﴿قوله والتعبير به عن القتل﴾ اشارة الى ان ضرب الرقاب كناية عن القتل عبر به عنه لكونه من لوازم القتل غالبا فان قتل الانسان غالبا يكون بضرب رقبته ﴿قوله ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن﴾ وذلك لان قصد المؤمن في محاربة الكفار ليس دفعهم عن نفسه حتى يقتصر على قدر مايدفعهم به عن نفسه فان من يضرب الصائل لدفعه عن نفسه لايضرب مقتله اولا بل يتدرج فيضرب اولا غير مقتله فان اندفع به فذاك والا يترقى الى درجة الاهلاك بل مقصوده رفع وجود الكافر عن وجه الارض بالكلية وتطهير الارض منهم فانه تعالى جعل الارض للمسلين مسجدا وطهورا والمشركون نجس ويجب تطهير المسجد من النجاسة وطرح من لايعبد الله تعالى عن محل عبادته فلذلك

---

(٩) للناس ليعتبروا ويتعظوا بها ويحتمل ان يكون ضمير امثالهم للناس فيكون المعنى يبين (نسخه)

(كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (امثالهم) احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) في المحاربة (فضرب الرقاب) اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة

كان ينبغي لمن يحاربهم ان يقصد مقتلهم اوّلا وهو الحلقوم والاوداج لكن لا يتهيأ ذلك حال الحرب الا نادرا فيضرب رقابهم ان امكن لكون ضربها مستلزما لقطع الحلقوم والاوداج المستلزم للموت والا فيضرب ايّ عضو امكن **قوله** تعالى حتى اذا اثخنتموهم غاية للامر بضرب الرقاب وايجابه لا لبيان غاية نفس القتل اذ لو كان لبيان غاية القتل لما جاز القتل بعد الاثخان مع انه يجوز الى ان يسلموا او يرضوا باعطاء الجزية وفسر اثخانهم باثخان قتلهم وتكثيره فيهم بحيث يعجز الباقين عن الاضرار بالمسلمين ويجوز ان تكون همزة اثخن للازالة والسلب كما في قولك اشكيته اي ازلت عنه الشكاية اي ازلت شكواه ويكون المعنى ازلتم ثخن الاعداء وقوّتهم بالقتل ومنه قولهم اثخن الصيد اذا ازال قوّته على التوحش بالجرح والوثاق وهو الاسر والشدّ لا يكون الا بعد اكثار القتل كما قال تعالى ما كان لنبيّ ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض **قوله** منا وفدآء مصدر ان لفعل محذوف لا يجوز اظهاره لما تقرّر في النحو من ان المصدر متى سيق تفصيلا لاثر مضمون جملة متقدّمة وعاقبتها وجب نصبه باضمار فعله والتقدير ماذكره المصنف والمراد بالمنّ ان يطلق الاسير الكافر مجانا ويترك من غير ان يؤخذ منه شيء والفدآء ان يطلق بان يؤخذ منه مال او اسير مسلم محبوس عندهم في مقابلته والاية محكمة عند الامام الشافعي وجماعة لاطلاق النبي صلى الله عليه وسلم ثمامة بعد عرض الاسلام عليه ثلاثة ايام فلما اطلقه في اليوم الثالث ذهب واغتسل ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وفدآء النبي رجلا من عقيل كان اسيرا عند ثقيف برجلين كانا من ثقيف اسيرين عنده صلى الله عليه وسلم فان الامام الشافعي يقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفدآء باسارى المسلمين والمنّ وعند ابي حنيفة واصحابه الامام مخير في الاسارى بين ان يقتلهم او يسترقهم او يتركهم اهل ذمة للمسلمين ولا يردّهم الى دار الحرب لا على وجه المنّ والاطلاق مجانا ولا على وجه الفدآء وقالوا الآية منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فان هذه الآيات نسخت المنّ والفدآء بالمال والفدآء باسرى المسلمين عند ابي حنيفة خلافا لصاحبيه في الفصل الاخير قال لا يجوز شيء من ذلك لئلا يعود وبالهم علينا ولئلا يكثر سوادهم قال مجاهد ليس اليوم منّ ولا فدآء انما هو الاسلام او ضرب العنق وهذا في مشركي العرب خاصة لانهم لا يسترقون ولا تقبل منهم الجزية واما في غيرهم ان شاء جعلهم الامام ذمّة وان شاء استرقهم وان شاء قتلهم **قوله** آلاتها واثقالها فان الاوزار جمع وزر وهو الحمل والثقل فيتناول آلات الحرب كلها كما قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها ❁ رماحا طوالا وخيلا ذكورا ❁

ومن فسر الاوزار بالآثام شبه الاثم بالحمل فسماه وزرا على طريق الاستعارة والوزر بايّ معنى كان انما هو على المحاربين لا على نفس الحرب فالمعنى حتى تضع اهل الحرب اوزارهم او حتى تضع الحرب اوزارها على حذف المضاف كما في واسأل القرية ومحصل المعنى افعلوا ماذكر من الاحكام الى ان تنقضي الحرب ولا يحتاج الى قتال مشرك لزوال شوكتهم بسبب اسلامهم او مسالمتهم فادام في الدنيا مشرك يعادي الاسلام والمسلمين فالحرب قائمة وقيل حتى لا يبقى احد من المشركين ولا يبقى دين الا الاسلام وذلك يكون عند نزول عيسى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنازير وتضع الحرب اوزارها اي ويسلم الناس حتى لا يبقى في الارض مشرك فعلى هذا يكون المراد بالاوزار اوزار اهل الشرك من الكفر والمعاصي **قوله** اي الامر ذلك وهو وجوب ضرب رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور ليقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله ثم انه تعالى بين ان قتالهم ليس طريقا متعينا للانتقام منهم بل لو اراد الله تعالى لاهلكهم من غير سيف ودم مهراق ومن غير تجنيد الجنود والانفاق ولو يشاء الله لانتصر منهم بجند من جنوده غيركم او ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او صيحة او غرق كما فعل بغيرهم من الامم ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اي ليختبر المؤمنين بالكافرين وبالعكس اي ليظهر منكم الطائع من العاصي فيجازي كل احد على حسب استحقاقه فان ظهور كل واحد من الاطاعة والعصيان بحسب تعلق العلم الازلي بهما لا يكفي في استحقاق الثواب والعقاب فان مناطهما تحقق حقيقة الاطاعة والعصيان(٧) لا العلم الازلي باستعداد العبد لهما وانهما سيصدران منهما وذلك التحقق انما يكون بان يكلف الله تعالى المؤمنين بجهاد اعدآء الدين ليتحقق ما في استعداد كل واحد من الفريقين وهذا معنى ما في التيسير من قوله اي ليظهر منكم ما في الازل من فعل الامر وتركه انتهى ولما كان كل واحد من امتثال الامر

(حتى اذا اثخنتموهم) اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدّوا الوثاق) فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فدآء) اي فاما تمنون منا او يفدون فدآء والمراد التخيير بعد الاسر بين المنّ والاطلاق وبين اخذ الفدآء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر يخير الامام بين القتل والمنّ والفدآء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب اوزارها) آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشدّ او المنّ والفدآء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم (ذلك) اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم باستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر

(٧) بان يختار المكلف طاعة المولى على متابعة الهوى او يختار عكس ذلك (منه)

(ومخالفته)

ومخالفته وطاعة الآمر وعصيانه متوقفا على الامر والتكليف امر المكلف ونهاه ليظهر مافى علمه الازلى ويتحقق ويعلم بالوقوع ويستحق لان يثاب او يعاقب بسبب اختياره طاعة مولاه على متابعة هواه اوبالعكس ولما كان التكليف المؤدى الى ذلك التحقق والاختبار مشابها للاختبار سمى اختبارا وبلوى واشتق منه قوله ليبلو فهو استعارة تبعية ثم انه تعالى لما امر بالجهاد وبين وجه الحكم فيه بين ثواب من امتثل به فقال والذين قتلوا فى سبيل الله الآية قرأ العامة قاتلوا وقرأ ابوعمرو ويعقوب وحفص قتلوا مبنيا للمفعول ﴿قوله فلن يضيعها﴾ تفسير لقوله تعالى فلن يضل اعمالهم بضم الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل وهو قرآءة الجمهور وقرئ يضل على بناء المفعول ورفع اعمالهم لقيامه مقام الفاعل وقرئ ايضا يضل بفتح الياء ورفع اعمالهم فاعلا له والفاء فى قوله فلن يضل جزائية لتضمن المبتدأ معنى الشرط وعن قتادة ان الآية نزلت يوم احد وقدفشت فى المسلمين الجراحات والقتل ﴿قوله او بينها لهم﴾ فان اهل الجنة اذا دخلوها يعرف كل واحد منهم منزله منها فكانوا اعرف بمنازلهم من اهل الجنة اذا انصرفوا منها الى منازلهم قال مقاتل الملك الذى وكل بحفظ عمله يمشى بين يديه فيعرّفه مااعطاه الله تعالى من درجات الجنة ﴿قوله او طيبها لهم﴾ من قولهم طعام معرّف اى مطيب ﴿قوله او حددها لهم﴾ من قولهم عرّف الدار اذا حددها والعرف والارف جمع عرفة وارفة وهما الحدود وقد حددها الله تعالى فى قوله وجنة عرضها السموات والارض ثم انه تعالى لما بين مايترتب على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصرة فى الدنيا زيادة على الحث على القتال ليزداد اقدامهم عليه فقال ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله ورسوله بالغزو والجهاد لاعلاء كلمة الله وقمع اعدآء الدين ومن نصرة الدين ايضاح دلائله وازالة شبهة القاصرين وشرح احكامه وفرآئضه وسننه وحلاله وحرامه ومن نصرة الله تعالى للعبد ارسال الرسل وانزال الكتب واظهار المعجزات والآيات وبيان مايؤدى الى جنة النعيم او عذاب الجحيم والامر بالجهاد الاكبر والاصغر والتوفيق للسعى فيها طلبا لمرضاة الله لاتباعالهوى ثم زاد فى تقوية قلوبهم فقال والذين كفروا فتعسا لهم فانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم ان الكفار ايضا تثبت اقدامهم فى قتال المؤمنين فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب وفيه مشقة عظيمة فازال هذا الوهم بان قال لكم الثبات والاقدام وعليهم العثار والاحجام فان التعس فى اللغة العثرة وهى الزلق وزلة الرجل وهو دعاء بالانتعاس وهو عدم الارتفاع والنهوض من العثرة ويكون نقيض لعاقانه دعاء بالانتعاش وهو الارتفاع والنهوض من العثرة قال الاعشى

❁ بذات لوث عفرناة اذا عثرت ❁ فالتعس اولى لها من ان اقول لعا ❁

واللوث بالفتح القوة وناقة عفرناة اى قوية والعفرنان الاسد سمى بذلك لشدته والالف والنون فيه للالحاق والعفر الرجل الخبيث الداهى والمرأة عفرة والعفريت من كل شئ القوى البالغ فى قوته وفى الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية الذى لا يرزأ فى اهل ولامال وماقبل هذا البيت

❁ كلفت مجهولها نفسى وشايعنى ❁ همى عليها اذا ما آلها لمعا ❁

الآل السراب والمعنى كلفت نفسى قطع المفازة المجهولة الاعلام اذا ما سرابها لمع ووافقنى همى على قطعها ملتبسا بناقة ذات قوة غليظة لاتتضرر من شئ فهى بحيث يكون العثار والانحطاط ابعد شئ من شأنها حتى لو فرض عثارها كانت احق بان يدعى عليها بالتعس والهلاك من حيث ان عثرتها مع كمال قوتها وسلامة اعضائها بعيدة كل البعد فتستحق لذلك ان يدعى عليها بان يقال تعسا وانما تستحق لان يدعو لها بان يقال لعا اذا عثرت من ضعفها والتعس الهلاك واصله الكب والانحطاط والسقوط على الوجه بسبب العثرة يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ولضده لعا اذا ارادوا قيامه وانتعاشه اى نهوضه من عثرته ﴿قوله والجملة خبر الذين﴾ يعنى ان قوله والذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة المقدرة المركبة من الفعل الناصب لتعسا مع معموله اى فتعسوا تعسا ودخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿قوله او مفسرة لناصبه﴾ اى ويجوز ان تكون الجملة المقدرة مفسرة لناصب الذين بان يكون قوله الذين كفروا منصوب المحل على انه من باب مااضمر عامله على شريطة التفسير فيكون منصوبا بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم فيكون ذلك المقدر معطوفا على قوله ويثبت اقدامكم اى يثبت الله اقدامكم ويتعس الذين كفروا فتعسوا تعسا وقوله تعالى واضل عطف على ناصب الذين وقوله لهم خبر مبتدأ محذوف اى الدعاء بالتعس والاضلال لهم واللام فيه كما فى هيت لك ﴿قوله وهو تخصيص﴾ اى الحكم

(والذين قاتلوا فى سبيل الله) اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا (فلن يضل اعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب او سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرّفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كأنما كان سكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرآئحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى

* فالتعس اولى لها من ان اقول لعا *

وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه (واضل اعمالهم) عطف عليه (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط) الله (اعمالهم) كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال

وضع الظاهر موضع المضمر (امثالها) امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قدخلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على اعدآئهم (وان الكافرين لامولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله وردّوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكاين من قرية هي اشدّ قوّة من قريتك التي اخرجتك) على حذف المضاف واجرآء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (اهلكناهم) بانواع العذاب (فلاناصر لهم) يدفع عنهم وهو ﴿ ٢٥٢ ﴾ كالحال المحكية (افمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن او مايعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصي (واتبعوا اهوآءهم) في ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التي وعد المتقون) اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد اوأمثل الجنة كمثل جزآء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى مثله تصوير المكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوّى بين الجنة والنار وهو على الاوّل خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين ومابينهما اعتراض لبيان مايمتاز به من هو على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة (فيها انهار من ماء غير آسن) استئناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وانهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لايكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوّز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وانهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لمايقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع مايستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بمايوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع امعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين اوتوا العلم) اى لعلماء الصحابة (ماذا قال آنفا) ماالذي قال الساعة استهزآء او استعلاما اذلم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لماتقدّم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير (الساعة) في قال وقرئ انفا (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهوآءهم) فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول (وآتاهم تقواهم) بين لهم مايتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزآءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (ان تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء اشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لايفزع له ولا ينفع (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

بان ذلك التعس والاضلال بسبب كراهتهم للقرآن وكفرهم به تخصيص السبب الذي اشير اليه بترتيب حكم التعس والاضلال على الموصول فانه يشعر بعلية مضمون الصلة وهو الكفر مطلقا لذلك الحكم وقدمرّ ان مثل هذا الاسلوب يسميه علماء البيان تفسيرا ﴿قوله كرّره﴾ فان اضلال اعمالهم التي عملوها وحسبوها خيرا واحباطها بمعنى واحد وكرّره لدفع وهم من يتوهم ان اضلالها مسبب عن الكفر بجميع مايجب الايمان به ولا يتحقق بمجرّد الكفر بالقرآن فلما فرّعه على الكفر به علم انه لاينفك عن الكفر به سوآء انضم اليه الكفر بسائر مايجب الايمان به ام لا ثم انه تعالى خوّفهم عاقبة كفرهم بمانزل بالامم المكذبة قبلهم بقوله افلم يسيروا اى أجهلوا وخامة الكفر فلم يسيروا ﴿قوله استأصل عليهم مااختص بهم﴾ وفي الكشاف دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه مايختص به من نفسه واولاده وامواله ففرق بينهما وجعل الثاني ابلغ ولعل تلك الابلغية مستفادة من حذف مفعول دمر فان حذفه يكون للتعميم ومن اتيان كلمة الاستعلاء فان اتيانها يشعر بتضمين دمر معنى اطبق واذا اطبق الله عليهم الدمار والهلاك لايتخلص ممايختص بهم شيء ﴿قوله من وضع الظاهر موضع المضمر﴾ فان الظاهر ان يقال ولهم امثالها بارجاع الضمير الى فاعل افلم يسيروا الى الذين في قوله عاقبة الذين من قبلهم والمعنى على الاوّل ولمن كذبك وكفر بك امثال ما للمتقدمين من العقوبة من حيث ان حقية دينك اظهر ودلائل صدقك اكثر بسبب تقدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام عليك واخبارهم عنك وانذارهم عن مخالفتك وعلى الثاني دمر الله على هؤلاء المتقدمين في الدنيا ولهم في الآخرة امثال مااصابهم في الدنيا لكن وضع الظاهر موضع الضمير توبيخا لهم وذمالهم على كفرهم واشعارا بعلة استحقاقهم لامثالها ﴿قوله امثال تلك العاقبة﴾ يريد ان ضمير امثالها امالعاقبة المذكورة في قوله عاقبة الذين او لمصدر دمر وهو التدمير وتأنيث مايرجع اليه لتأويله بالعقوبة او المهلكة او للسنة المدلول عليها لماعلم ان تدمير الله تعالى للكافرين من سنته الماضية وعادته القديمة كما قال سنة الله التي قدخلت فان قيل كيف يصح ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وان يكون المعنى ولهم امثال ماكان لمن تقدمهم من العقوبة مع ان من تقدمهم قد اهلكوا بامور شديدة كالاغراق في البحر والطوفان والخسف والمسخ والصيحة ولا كذلك من كفر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب انه يجوز ان يكون المعنى ان لهم في الآخرة امثال عقوبة الاوّلين في الدنيا او امثال مااصاب الاوّلين في الدنيا بناء على انهم قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل والاسر بيد المثل آلم واشدّ من الهلاك بسبب عام فكيف اذا كان بيد من دونه ﴿قوله تعالى ذلك﴾ اشارة الى تدمير المكذبين ونصرة المؤمنين عليهم ثم انه تعالى لما قال الله ولي المؤمنين وناصرهم بين مآل الفريقين في الآخرة اشعارا بان تمام النصرة يكون فيها فقال ان الله يدخل الذين آمنوا الآية ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله وكاين من قرية اى من اهل قرية على حذف المضاف فيه وفي قوله من قريتك اى من اهل قريتك التي هي مكة ﴿قوله على حذف المضاف﴾ فان المراد اهل القرية ولذلك قال اهلكناهم وقوله وهو كالحال المحكية جواب عما يقال انه امر قد مضى ﴿قوله افمن كان على بينة﴾ وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه ﴿قوله فعرى عن حرف الانكار﴾ اشارة الى ان تعريته عن حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم والغساق وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الاترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي فيها انهار وكأن قائلا قال ومامثلها فقيل فيها انهار ﴿قوله آسن من أسن﴾ يعني قرآءة آسن على صيغة فاعل هو على معنى الحدوث ﴿قوله ولهم فيها من كل الثمرات﴾ في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول اهل الجنة للذة لا للحاجة ﴿قوله كمن هو خالد﴾ في موضع رفع اى حالهم كحال من هو خالد في الاقامة الدائمة وقيل هو استهزآء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام اى أكمن وقيل في موضع نصب اى يشبهون من هو خالد فيما ذكرنا وقوله والذين اهتدوا يحتمل النصب والرفع ﴿قوله بغتة﴾ وقرئ بغتّة بوزن جربّة وهي غريبة لم يرد في المصادر مثلها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوى على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد ﴿قوله تعالى فانى لهم﴾ هو خبر ذكراهم والشرط معترض وقيل التقدير انى لهم الخلاص اذا جاء تذكرهم ﴿قوله تعالى فاعلم﴾ قال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بماقبله معناه اذا جاءتهم

مرض) ضعف في الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) جبنا ومخافة (فاولى لهم) فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم (طاعة وقول معروف) استئناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم
او حكاية قولهم لقرآءة ابيّ يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) اى جدّ وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام (ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم) تفاخرا على الولاية وتجاذبا عن الاسلام لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (اولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى ابصارهم) فلا يهتدون سبيله (افلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي (ام على قلوب اقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على ادبارهم) الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سوّل لهم) سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمني وفيه ان السؤل مهموز
قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن ردّه بقولهم هما يتساولان وقرئ سوّل على تقرير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم (واملى لهم) ومدّ لهم

الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الله ﴿قوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات﴾ اكرام من الله لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿قوله والله يعلم متقلبكم﴾ اى والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى الارحام ومثواكم مقامكم في الارض ﴿قوله محكمة مبينة﴾ وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشدّ القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قرآءة عبد الله سورة محدثة ﴿قوله فهل يتوقع منكم﴾ اشارة الى جواب ما يقال حق حرف الاستفهام أن يدخل على ما هو خبر سؤال عن مضمونه فما معنى دخول هذا على عسيتم * وتقرير الجواب انها دخلت على ما يتضمنه عسى من معنى التوقع قرأ نافع عسيتم بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحي اذا أبطأ عليهم فاذا انزلت سورة محكمة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون ﴿قوله وفيه ان السؤل مهموز﴾ اى وشرط الاشتقاق وجود معنى المأخذ في المشتق مع زيادة مفهوم الصيغة واجاب المصنف عن كونه مخالفا لقاعدة التصريف بان السؤال قد يستعمل معتل العين يقال سال يسال مثل خاف يخاف وهما يتساولان مثل يتقاولان وقرئ سوّل لهم على لفظ الماضي المبني للمفعول على ان يكون المبتدأ مضافا محذوفا ﴿قوله واملى لهم﴾ قرأ العامة واملى لهم بفتح الهمزة واللام على بناء الفاعل وهو ضمير الشيطان فيكون واملى عطفا على سوّل لا مستأنفا والمعنى زين وسهل لهم ركوب المعاصي واملى لهم اى مدّ لهم في الآمال والاماني وغرّهم بان يقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في آخر العمر تؤمنون وقيل فاعل أملى هو الله عز وجل فيتم الكلام عند قوله سوّل لهم ثم يبتدأ بقوله واملى لهم اى واملى الله لهم اى امهلهم وأخر العذاب عنهم توسعة عليهم ليمادوا في طغيانهم وقرأ ابو عمرو واملى بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على لفظ الماضي المبني للمفعول ولهم هو القائم مقام الفاعل والمعنى امهلوا ومدّ في عمرهم والفاعل هو الله عز وجل وقرئ واملى بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء على لفظ المضارع المبني للفاعل المسند الى ضمير المتكلم وحده وهو الله عز وجل على معنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم وامهلهم ثم انه تعالى لما بين ان الشيطان هو الذي سوّل للذين ارتدوا على ادبارهم ارتكاب الكبائر واملى لهم بين سبب ذلك التسويل والاملاء فقال ذلك اى ذلك التسويل والاملاء بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله قيل القائلون هم اليهود والكارهون هم المنافقون وقيل على العكس وقيل القائلون احد الفريقين والكارهون المشركون فان كان المراد بالذين ارتدوا على ادبارهم اليهود يكون ارتدادهم كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته وقد ايقنوا بحقية امره قبل بعثته وان كان المراد بهم المنافقين يكون ارتدادهم رجوعهم عن طاعة الله تعالى في الجهاد من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام واحكامه وعلى التقديرين فالمراد بالذين كرهوا الفريق الآخر والمشركون فان كان التقاول جاريا بين احد الفريقين والمشركين فهم لا يتوافقون في التوحيد والاقرار بالكتاب والنبي والحشر وما يتفرع عليه فان المشركين لا يقولون بشيء من ذلك بخلاف كل من الفريقين فان عامة المنافقين من اليهود وهم اهل كتاب فكل واحد من الفريقين لا يوافق المشركين الا في بعض الامر كالتكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعاون على محاربته وعداوته فان اليهود اتفقوا مع المشركين يوم الاحزاب وان كان التقاول بين احد الفريقين والآخر بان يكون القائل المنافقين فبعض الامر ما يسرونه الى اليهود مما يتعلق بعداوة الرسول وقول المنافقين كقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجنّ معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم والقعود عن الجهاد قالوا كل ذلك سرّا فيما بينهم فاخبر الله تعالى به عنهم * واعلم انه يعلم ذلك وغيره من اسرارهم فقال والله يعلم اسرارهم وقيل الاظهر ان قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا مكابرين في انكار نبوّته ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم ﴿قوله او في بعض ما تأمرون به﴾ على ان يكون الامر واحد الاوامر وعلى الاوّل يكون واحد الامور ﴿قوله فكيف يعملون

ويحتالون حينئذ ﴾ اشارة الى ان عامل الظرف محذوف و التقدير ماذكره و قوله يضربون حال من الفاعل ويجوز كونه حالا من المفعول ايضافانهم انما كرهوا القتال و اطاعوا من امرهم بتركه و القعود عنه خوفا من ان يضربوا من جهة وجوههم ان يثبتوا ومن جهة ادبارهم ان يفرّوا فكأنه قال ان كرهتم ماامرتم به من قتال الكفار خوفا من ان تضربوا من قبل وجوهكم وادباركم فكيف تحتالون فى الخلاص مما تخافون منه اذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم وادباركم فان كل من يتوفى على معصية الله تعالى فلائكة العذاب لايقبضون روحه الابان يضربوا وجهه ودبره كماروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ قوله تصوير لتوفيهم ﴾ يعنى ان المقصود من تقييد توفيهم بقوله يضربون وجوههم وادبارهم تصويره بالصورة التى كانوا يجبنون عن القتال خوفا من تلك الصورة ﴿ قوله مارضاه ﴾ فسر الرضوان بالمرضى لانهم لايكرهون رضى الله تعالى بل يرغبون فيه ويزعمون ان ماهم فيه سبب رضوانه حتى ان المشرك يطلب رضوانه بشركه ويقول ماعبد الصنم الاليقربنى الى الله زلفى ويشفع لى واستعمال المصدر فى معنى المفعول شائع فلذلك فسر الرضوان بالمرضى ﴿ قوله ام حسب الذين ﴾ ام فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الحكم بانه يعلم اسرار الذين كفروا الى انكار حسبان المنافقين ان الشان انه تعالى لن يبرز الغش الكائن فى قلوبهم للمؤمنين وعداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وان فى قوله ان لن يخرج الله مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر ومابعدها خبرها * قال الامام ويحتمل ان يقال كلمة ام هنا متصلة والكلام السابق الذى يليه همزة الاستفهام مايفهم من قوله والله يعلم اسرارهم فكأنه تعالى قال احسب الذين كفروا ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل باطل لانه تعالى يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان ام المنقطعة لاتكاد تقع فى صدر الكلام فلايقال ابتداء ام جاء زيد ولام جاء عمرو ﴿ قوله ولونشاء لاريناكهم ﴾ كأنه جواب عمايقال لقد فهم من قوله ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله تعالى يظهر ضمائرهم ويبرز سرائرهم فلم لم يظهرها * فاجاب عنه بانا اخرناها لمحض المشيئة لالتخوف منهم كمالاتفشى اسرار الاكابر خوفا منهم ﴿ قوله تعالى فلتعرفتهم ﴾ عطف على جواب لو فاللام فيه وفيماقبله لام جواب لو وفى عطفه عليه زيادة فائدة لاتحصل بدونه لان التعريف والاعلام لايستلزم ان يترتب عليه العلم والمعرفة فانه يقال عرفته ولم يعرف وعلمته ولم يعلم فلما عطف عليه قوله فلعرفتهم كان المعنى لونشاء لعرّفناكهم تعريفا يترتب عليه معرفتك اياهم باعيانهم بعلاماتهم التى نسمهم بها قال الزجاج المعنى لونشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام فى قوله ولتعرفنهم لام جواب قسم محذوف كأنه قال ولتعرفنهم والله الآن وقيل تعرف سيماهم وصورهم فى لحن القول اى اسلوبه فى مخاطباتهم لك لايقدرون على كتمان مافى انفسهم بل يخرجون كلامهم على اسلوب يدل فحواه ومعناه على فساد باطنهم يقال لحنه بالكسر يلحنه بالفتح لحنا اى فهمه فالمراد من القول قولهم اى لتعرفنهم فى لحن القول ومعناه حيث يقولون مامعناه التعليق كقولهم عند مجئ النصر انامعكم وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقولهم ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ونحو ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما لحن القول هو قولهم قالوا ان اطعنا لنا الثواب ولايقولون ماعلينا اذا عصينا من العقاب ﴿ قوله او امالته الى جهة تعريض ﴾ من قولهم لحن اليه يلحن لحنا اى نواه ومال اليه والتعريض ان يضمن الكلام دلالة على ماليس مذكورا فيه كماتقول فى محضر زيد ان البخل قبيح تريد به ان تصف زيدا بالبخل وتورية الخبر ستره واظهار غيره كقول ابى بكر رضى الله عنه حين كان يهاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم فسأله شخص وقال من هذا يريده صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه رجل يهدى الطريق قيل كان صلى الله عليه وسلم بعد هذا لايتكلم منافق عنده الاعرفه بقوله واستدل بفحوى كلامه على فساد دخلته الاانه لايظهر امره الى ان يأذن الله له فى اظهار امر المنافقين ولولم يميز عنده المنافق من غيره لماصح ان يمنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم ثم انه تعالى لماشرح احوال الكفرة والمنافقين خاطب المؤمنين بقوله والله يعلم اعمالكم وعدا لهم وبيانا لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فان المنافق له قول بلاعمل والمؤمن يعمل ويقول وانماقوله ذكر الله تعالى ومافيه صلاح نفسه وغيره ثم قال ولنبلونكم اى

(فكيف اذاتوفتهم الملائكة) فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وادبارهم) تصوير لتوفيهم بمايخافون منه ويجبنون عن القتال له (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم اتبعوا مااسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فاحبط اعمالهم) لذلك (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله) ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين (اضغانهم) احقادهم (ولونشاء لاريناكهم) لعرّفناكهم بدلائل تعرّفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف (ولتعرفنهم فى لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب (والله يعلم اعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقها

و لنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم من اطاع امرنا بانه قد تحقق منهم الاطاعة كما علمناهم بانهم سيطيعون فان الثواب
والعقاب انما يترتبان على العلم الذي يكون بوجود الاطاعة والعصيان لا على العلم بانهما سيوجدان ﴿قوله
تعالى ونبلو اخباركم﴾ اى نعلم اخباركم فان البلوى وهو الاختبار سبب العلم فاطلق اسم السبب واريد العلم المسبب
عنه ولو ابقى على ظاهره لكان المعنى ولنبلونكم حتى نعلم اخباركم ولا وجه له بل المراد حتى نعلم الاخبار التى
تخبرها عنكم وعن اعمالكم اهى حسنة ام قبيحة بان تجاهدوا وتصبروا وتخبر الناس عنكم باخبار حسنة
وهى انكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون والا فخلافها فالاخبار جمع خبر وهو الكلام الذي يخبر به
الناس عنهم وعن اعمالهم ﴿قوله فيظهر حسنها وقبحها﴾ اى حسن الاعمال وقبحها يعنى ان المقصود من
علم الاخبار من حيث حسنها وقبحها ظهور حسن الاعمال وقبحها فان ظهور الاخبار من حيث حسنها
وقبحها من توابع حسن الاعمال وقبحها فيستدل بظهور الاخبار على ظهور الاعمال واحوالها ﴿قوله
او اخبارهم عن ايمانهم﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد باخبارهم اخبارهم عن انفسهم بانهم مؤمنون
مطيعون للمؤمنين موالون وعن الكفار معرضون لا الاخبار التى يخبرها الناس عنهم وعن اعمالهم وقد
كشف الله تعالى صدقهم فيما اخبروا به عن انفسهم بان كلفهم بالتكاليف الشاقة ﴿قوله وقرأ ابوبكر الافعال
الثلاثة﴾ وهى قوله تعالى ولنبلونكم وحتى نعلم ونبلو بالياء والباقون بالنون ﴿قوله حذف المضاف لتعظيمه﴾
صلى الله عليه وسلم بالدلالة على انه لعلو قدره ومنزلته عند الله كانت المشاقة معه مشاقة مع الله تعالى لانه رسوله
وما عليه الا البلاغ فشاقته فى غاية الفظاعة * الجوهرى فظع الامر بالضم فظاعة فهو فظيع اى شديد شنيع جاوز
المقدار ﴿قوله ثواب حسنات اعمالهم بذلك﴾ اى بالكفر والصد ومشاقة الرسول * فان قيل قد تقدم فى اول
السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم فكيف يحبطها فى المستقبل * فالجواب انه يحتمل ان يكون معنى قوله فى اول
السورة اضل اعمالهم انه حكم ببطلان ثواب اعمالهم وقوله ههنا وسيحبط اعمالهم انه سيظهر بطلان ثوابها
فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فى اول السورة المشركين وليس لهم
اعمال مشروعة يستحقون بها الثواب فقال تعالى فى حق مكرماتهم انها ضائعة لبيان انه لا ينفع مع الكفر عمل
ويكون المراد بالذين كفروا ههنا اهل الكتاب مثل قريظة والنضير وقد كانت لهم اعمال شريفة قبل بعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم فاحبطها تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولم ينفعهم ايمانهم بالتوحيد والرسول
والحشر مع كفرهم به صلى الله عليه وسلم وان كان المراد بما فى هذه الآية المطعمين يوم بدر يكون المراد باعمالهم
ههنا مكايدهم التى نصبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وباحباطها عدم وصولهم بها الى مقاصدهم
واغراضهم وبما فى اول السورة ما ظنوه حسنة وباحباطها عدم الاعتبار بها ﴿قوله وليس فيه دليل على
احباط الطاعات بالكبائر﴾ اى على بطلانها بضياع ثوابها بسبب ارتكاب الكبائر وذلك لان عطف قوله ولا تبطلوا
اعمالكم على الاطاعتين وان كان من قبيل عطف المسبب على السبب كقولك اجلس واسترح وقم وامش وفهم منه
ان الاطاعة سبب لعدم احباط الاعمال وان المخالفة سبب لاحباطها الا انه ليس فيه دلالة على ان المخالفة بارتكاب
الكبائر مطلقا يحبطها وقد ثبت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان ما دون الشرك
لا يحبط العمل بل الامر فيه منوط بمشيئة الله تعالى فلا وجه للقطع بان ارتكاب الكبائر مطلقا يبطل العمل وانما
يجزم باحباط ما ثبت كونه محبطا بالنصوص القاطعة والآثار الصحيحة وهو الكفر والنفاق وقد ورد ان العجب
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وورد فى الحديث القدسى فى حق السمعة والرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك
فمن اشرك بى غيرى فى عمل عمله لى تركته وشركه وثبت به ان الاخلاص شرط لقبول العمل وما وقع منه رياء وسمعة
فهو مردود على صاحبه وما لم يقبل ابتداء لا يكون عملا فكيف يحبط وقد ورد فى حق المن والاذى انهما يبطلان
الصدقة فان صاحب المن كأنه يقول فى امتنانه فعلت هذا لاجلك وقصدت به اصلاح حالك ولولا ذلك لما فعلته وهذا
مناف للاخلاص فلهذا لا يثاب على صدقته ويقال له اطلب جزاءك ممن فعلته لاجله ولا يقبل الله تعالى الا ما كان
خالصا له وعن مقاتل انه قال ان اسدا وخزيمة اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك باولادنا وتركنا
اموالنا وعشائرنا وان العرب لم يؤمنوا بك الا من بعدما قاتلوك ولم نقاتلك فلنا عليك منة فنزل ولا تبطلوا اعمالكم
اى بالمن وقالت المعتزلة الكبيرة تحبط الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر فلهذا فسر الزمخشرى هذه الآية بقوله

(ونبلو اخباركم) ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر
حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم
وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ
ابوبكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير
ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى) هم قريظة والنضير والمطعمون يوم
بدر (لن يضروا الله شيأ) بكفرهم وصدهم
او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف
المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط
اعمالهم) ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون
بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بما
ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب
والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل
على احباط الطاعات بالكبائر

اى ولاتحبطوا الطاعات بالكبائر وذهب اهل السنة الى ان كل عمل صدر من اهله مستجمعا لجميع اركانه وشرآئطه فارتكاب الكبائر لايحبطه ولايزيل ثوابه ان الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولايحبط العمل بعداستكمال اركانه وشرآئط صحته وقبوله اذلادليل عليه عقلا ولانقلا وان ارادوا باحباط الكبيرة الحسنة ان المؤمن يرى ثواب حسناته كما يرى عقاب سيئاته الاانه قدتكثر السيئات على الحسنات عندالموازنة فلايبقى من حسناته مايعادل تلك السيئات ولامن ثواب حسناته مايقابل عقاب السيئات فحينئذ يصدق ان يقال ان سيئاته احبطت ثواب حسناته بمعنى انه لم يبق من ثواب الحسنات مايدفع عقوبة السيئات فنحن نقول بهذا المعنى وليس النزاع فيه وايضا الاحباط بهذا غيرلازم عندنا ولاعندهم بناء على قولهم انه تعالى يجب عليه عقاب العاصي وثواب المطيع ولايجوز العفو والشفاعة ﴿قوله ويدل بمفهومه﴾ اى بمايفهم من تقييد الحكم بنفي مغفرتهم بقولهم وهم كفار على غفران من لم يمت على الكفر ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالقتال بقوله فضرب الرقاب وبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ثم اكد وجوبه بقوله واطيعوا الرسول فان معظم المقصود منه تأكيد الامر بالجهاد والتشديد على من تركه جبنا ومخافة اذ تركه سبب لاحباط الاعمال فهذا يقتضي ان لايتهاون المكلف في امر الجهاد بل يجتهد ويسعى فيه ماامكن ثم ان تحقق المقتضي لايكفي في وجود المعلول بل ينبغي ان لايتحقق هناك مايمنع وجود المعلول فبين الله تعالى ان ليس هنا مايمنع من القتال اصلا فان المانع اما دنيوي او اخروي والكافر لاحرمة له لا في الدنيا ولا في الآخرة اما في الآخرة فلان الله تعالى لن يغفرله فيها واما في الدنيا فلانه لانصرة له في الدنيا بل انتم الاعلون فيها فلذلك رتب عليه قوله فلاتهنوا على انه جواب شرط محذوف اى اذاعلمتم وجوب الجهاد وتأكدامره فلاتضعفوا ولاتكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها تطلب المصالحة ﴿قوله ولاتدعوا﴾ اشارة الى ان قوله وتدعوا في نظم الآية مجزوم بالعطف على فعل النهي قبله والخور بفتحتين الضعف يقال خار الحر والرجل يخور خورا وخورة ضعف وانكسر ويجوز كونه منصوبا باضمار ان بعدالواو في جواب النهي كما في قوله لاتنه عن خلق وتأتي مثله * واصل اعلون اعليون فأعل قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة ﴿قوله شبه به تعطيل ثواب العمل﴾ يعني ان الوتر والترة في الاصل اهلاك ماتعلق بالرجل من اهل او مال او حميم وافراد الرجل عنه فشبه به تضييع عمله بابطال ثوابه ثم استعير لجانب المشبه اللفظ المستعمل في جانب المشبه به وهو الوتر والترة فاطلق الوتر واريد تضييع العمل ثم اشتق منه يتركم فكان استعارة تبعية والضمير المنصوب فيه واقع موقع الرجل في وترت الرجل ولابد من تضمين معنى السلب او التضييع ليتعدى الى المفعول الثاني بنفسه اى ان يتركم سالبا او مضيعا اعمالكم قال صلى الله عليه وسلم * من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله * اى افرد عنهما بان قتل اهله ونهب ماله ثم ان حب الدنيا والحرص على مافيها من اللذات والشهوات لما كان سببا للجبن عن الغزو والتخلف عنه بين الله تعالى ان الدنيا ومافيها من الحظوظ العاجلة لايصلح مانعا من الاقدام الى الجهاد ومايؤدي الى ثواب الآخرة لكونها بمنزلة اللهو واللعب في سرعة زوالها وفي انه لايترتب عليها بعدزوالها شيء من ثواب الآخرة التي فيها الحياة الباقية بخلاف الايمان والاتقاء من العصيان فانكم ان تؤمنوا وتتقوا يعطكم الله تعالى ثواب ايمانكم وتقواكم في الآخرة ثم بين انه لايسألكم جميع اموالكم لايتاء الاجر وانما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر في اموال التجارة ونصف العشر في نماء الارض وخارجها فطيبوا نفسا يقال غاض الكرام اى قلوا وفاض اللئام اى كثروا وقولهم اعطاه غيضا من فيض اى قليلا من كثير ﴿قوله تعالى فيحفكم﴾ عطف على فعل الشرط وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وتبخلوا جواب الشرط ويخرج عطف عليه والاحفاء المبالغة في كل شيء والاستقصاء فيه يقال احفى في المسئلة اذا الح وبالغ فيها وكذا يقال الحف السائل اذا الح والفاء في قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفاء يتبع السؤال وان الانسان لكونه مجبولا على الشح لايعطي بمجرد السؤال وانما يعطي شيأ اذا اتبع السؤال بالاحفاء ووجه الاشارة ان العطف بالواو قديكون للمتباينين وبالفاء لايكون الا للمتعاقبين او الشيئين اللذين يتعلق احدهما بالآخر والمصنف فسر الاحفاء بالجهد وهو المشقة لان طلب الكل مشقة عظيمة وتحميل مالايطاق يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها قال قتادة علم الله ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان وعدم طيب النفس بها فلم يسألها الذلك ولوسألها وألح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لاتبخلون بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلاتهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولاتدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولاتدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابوبكر وحمزة بكسر السين (وانتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم اعمالكم) ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذاقتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده عنه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولايسألكم اموالكم) جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج اضغانكم) ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القرآءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم

(قوله)

﴿قوله اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الخ﴾ اشارة الى ان انتم مبتدأ وها فى هؤلاء للتنبيه واولاء خبره والمعنى انتم
لاء الموصوفون الذين وصفناهم وكررت ها فى هؤلاء لتأكيد التنبيه ثم ابتدأ فقال تدعون كأنهم قالوا
وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله كأنه قيل انتم الذين طلبت منكم اليسير فكان منكم من يبخل عليه
كيف لو طلبت منكم الكل ﴿قوله او صلة﴾ عطف على قوله استئناف ولم يذكر مفعول قوله لتنفقوا ليعم
اينفقه الغازى على نفسه ومركبه ومالابد له منه فى الغزاة ومايتفقه من وجب عليه الزكاة والعشر وصدقة الفطر
نحوها ﴿قوله ناس يبخلون﴾ اشارة الى ان من موصوفة بجملة كما فى قول الشاعر

* رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع *

ن من فيه لايجوز ان تكون موصولة والالكانت معرفة ورب تختص بالنكرات فمن مبتدأ ويبخل صفته وقوله
كم خبره ﴿قوله وهو كالدليل على الآية المتقدمة﴾ يعنى ان قوله تدعون لتنفقوا سواء جعل استئنافا او صلة
هؤلاء كالدليل على انه تعالى لو احفاهم لبخلوا ﴿قوله لتضمنه معنى الامساك والتعدى﴾ والامساك يعدى
ن والتعدى بعلى فلو عدى بعلى لكان المعنى فانما يبخل متعديا على نفسه ﴿قوله فانه امساك عن مستحق﴾
لة لكونه متضمنا لكلا المعنيين فكونه علة لتضمنه معنى الامساك ظاهر وكونه علة لتضمنه معنى التعدى مبنى
لى ان الامساك عن المستحق تعدى عليه فالمنفق لاينفق على غيره وانما ينفق على نفسه فمن بخل بالانفاق فانما
سك عن نفسه ولايتعدى بالامساك الا على نفسه كمن بخل باجرة الطبيب وثمن الدواء وهو مريض فانه لايمسك
ن الطبيب وبائع الدواء وانما يمسك عن نفسه ولايعود ضرر امساكه الا عليه ثم حقق ذلك بقوله والله الغنى
ا عندكم من الاموال وانتم الفقراء الى ماعنده من الفضل والرحمة فلا يدعوكم الى الانفاق فى سبيله لاحتياجه الى
اعندكم من المال بل لتخالفوا هواكم وتتبعوا مرضاة ربكم وتستحقوا بذلك ماعنده من الثواب الجزيل ﴿قوله
عالى وان تتولوا﴾ معطوف على قوله وان تؤمنوا وتتقوا والمعنى وان تعرضوا عن الايمان والاتقاء عن العصيان
قوله ثم لايكونوا مجزوم معطوف على قوله يستبدل ويجوز فى المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم
الرفع تقول ان تأتنى آتك فاخبرك بالجزم والرفع جميعا وقد ورد العطف بالوجهين فى التنزيل بالجزم فى هذه الآية
بالرفع فى قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون فانه مرفوع لثبوت النون ﴿قوله والزهد
الايمان﴾ اى وفى عدم الرغبة فيه فان الزهد خلاف الرغبة تقول زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة
ى رغب عنه ولافرق بين التعديتين فى المعنى بخلاف رغب * الجوهرى رغبت فى الشئ اذا اردته ورغبت عن الشئ
ذا لم ترده وزهدت فيه ﴿قوله سئل عنه﴾ اى عن القوم الذين يقيمهم الله مقام من تولى واعرض عن الايمان
التقوى ويكون افضل واطوع منهم فضرب صلى الله عليه وسلم بيده على فخذ سلمان وقال هذا وقومه ثم قال والذى
فسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وثم فى قوله تعالى ثم لايكونوا مستعار لبعد من
ستبدله عنهم فى الفضيلة * هذا آخر مايتعلق بسورة محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله وحده

﴿سورة الفتح﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم﴾

﴿قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الفتح فى اللغة فتح المغلق كفتح الباب والقفل والمتاع وكفتح المغلق من العلوم
يطلق فى العرف على الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد
تح قيل المراد فى الآية فتح مكة وقد فتحت مكة سنة ثمان من الهجرة ونزلت الآية سنة ست بين مكة والمدينة بعد
جوعه من مكة وعام الحديبية هو العام الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
تحنا وعدله بالفتح وجيئ به على لفظ الماضى لكون الفتح بمنزلة الكائن الموجود من حيث كونه محقق الوقوع
الحديبية موضع قريب من مكة وعام الحديبية هو العام الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ن العمرة وصالحوه على ان يأتوا العام القابل روى انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة سنة ست من
هجرة فى ذى القعدة يريد العمرة ومعه الف واربعمائة من المهاجرين والانصار وغيرهما من قبائل العرب وقيل
لف وستمائة وساق سبعين بدنة واحرم من ذى الحليفة ليعلم الناس انه ماخرج محاربا وانما خرج زائرا البيت
معظما له ولما نزل بوادى الحديبية والحديبية اسم بئر بذلك الوادى وسمى الوادى باسم تلك البئر بعث قريش

(ها انتم هؤلاء) اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغنى وانتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم (وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لايكونوا امثالكم) فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع﴾
﴿رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾
﴿من الحديبية وآيها تسع وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة عظمها الله والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وامروه ان يقول له صلى الله عليه وسلم انا لا نرضى ان تدخل علينا مكة عامك هذا احترازا عن ان تقول العرب انه دخلها عليكم عنوة فانا لا نرضى بهذا القول ابدا فارجع عنا عامك هذا واذا جاء العام القابل نخرج منها فتدخلها باصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقيمون فيها ثلاثة ايام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على ان تكون الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين وقيل سنتين يامن فيهما الناس ويكف بعضهم عن بعض الى انقضاء مدة الصلح فامر صلى الله عليه وسلم علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم بالصلح انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث عثمان الى قريش يستأذنهم فى ان يدخل صلى الله عليه وسلم مع اصحابه مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان اليهم فاستأذنهم فى ذلك فابوا ان يأذنوا له وقالوا طف انت ان شئت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسوه عندهم ثلاثة ايام ولم يأذنوا له ان يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقى عندهم ثلاثة ايام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك الخبر لا ابرح حتى نأخذ القوم ودعا الناس الى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال لاصحابه بايعونى على الموت فبايعوه عليه وقال جابر بايعناه على ان لا نفر ثم رجع عثمان رضى الله تعالى عنه فاخبرانهم ابوا ذلك وبلغت قضية البيعة الى قريش فكبرت عليهم وخافوا ان يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب واردده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر الناس ان يحلوا من احرامهم بان ينحروا بدنهم ويحلقوا رؤسهم ونحر هو ايضا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجها الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذى انزل السكينة يعنى السكون والطمأنينة فى البيعة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا تصديقا مع تصديقهم الذى هم عليه ثم دخلوا فى العام القابل سنة سبع وقضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان فحج ابو بكر سنة تسع ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فلما كان نزول الآية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح ﴿ قوله او بما اتفق له ﴾ عطف على قوله بفتح مكة وقوله او اخبار عطف على قوله وعد ﴿ قوله وانما سماه فتحا ﴾ مع انه ليس بفتح بالمعنى العرفى للفتح ولا بالمعنى اللغوى اما الاول فلانه ليس بظفر على البلد واما الثانى فلانه ليس بظفر للمتعلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطرّوا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح كان سببا لامور اخر كانت منغلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى مدة قليلة خلق كثير كثروا سواد اهل الاسلام الى آخر ماذكره المصنف عن البرآء بن عازب رضى الله عنه انه قال تعدّون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث ترتب عليها من ظهور الاسلام وانتكاس احوال المشركين مالا يمكن وصفه فصارت كأنها مبدأ فتح الاسلام وقد قال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بعد الصلح فصار ذلك سببا لاسلام خلق كثير فى زمان قليل ﴿ قوله او فتح الروم ﴾ عطف على صلح الحديبية فان اهل الروم غلبت على اهل فارس فى تلك السنة وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوّة حيث كان عليه الصلاة والسلام وعد بوقوع تلك الغلبة فى بضع سنين وهو مابين الثلاث الى التسع فكانت كما وعد به فاظهر صدقه عليه الصلاة والسلام فكانت بذلك فتحا له عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله علة للفتح من حيث انه مسبب الخ ﴾ يعنى ان الغفران علة غائية للفتح متأخرة عنه فى الوجود الخارجى وعلة حاملة عليه بحسب الوجود الذهنى كما فى قولك اتخذت السرير لجلس عليه السلطان والعلة الغائية للحكم ينبغى ان تكون مسببة عنه وغفران الجرم يظهر كونه سببا للفتح الصادر منه تعالى فكيف يكون علة غائية له الا ان الفتح لما كان مسببا عن الافعال الحسنة الصادرة من العبد كالجهاد والسعى فى اعلاء الدين وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة ونحوها وكانت تلك الافعال مسببة عن الغفران من حيث كونه حاملا عليها صح ان يجعل الغفران علة للفتح بواسطة كونه علة لما هو علة للفتح وهى الافعال وجعل المصنف الغفران علة للفتح ردّ على صاحب الكشاف فى قوله فكيف جعل فتح مكة علة للمغفرة لان العلة الغائية للحكم متأخرة عنه فى الوجود الخارجى كما فى قولك ضربته تأديبا فان التأديب وان كان علة للضرب متقدمة عليه فى الوجود الذهنى الا انه غاية له متأخر عنه

وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها فدرّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جميع مافرط منك مما يصح ان يعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوّة (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة

بحسب الوجود الخارجي الا ان المقصود بيان كون المغفرة علة للفتح كما يقتضيه دخول لام العلة عليها الا بيان كون الفتح علة لها فالمناسب للمقام انما هو عبارة المصنف وفي قوله تبارك وتعالى انا فتحنا لك تعظيم لامر الفتح من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجل كرامتك عندي ولاجل جهادك في فتح مكة او صلح الحديبية وفي اظهار فاعل قوله ليغفر لك وينصرك اشعار بان كل واحد من المغفرة والنصرة دليل على الوهية وكونه معبودا بالحق لا يقدر عليه غيره ﴿ قوله نصرا فيه عز ومنعة ﴾ جواب عما يقال كيف اسند العزيز الى ضمير النصر مع ان العزيز من له النصر دونه وتقرير الجواب الاول ان صيغة الفعيل هنا للنسبة فالعزيز بمعنى ذي العزة كما ان راضية في قوله تعالى في عيشة راضية بمعنى ذات رضى فالمعنى نصرا ذا عز ومنعة لا ذل معه اي لا يترتب عليه الاعز المنصور وكونه ذا منعة تمنعه عن ان يصيبه سوء ومكروه فاسناد العزيز بهذا المعنى الى ضمير النصر حقيقة وتقرير الجواب الثاني ان العزيز هو المنصور وان ما تعلق به من النصر هو سبب عزته فوصف النصر بوصف متعلقه للمبالغة في عزة المنصور كما يقال جد جده للمبالغة في جد الفاعل الحقيقي ثم انه تعالى لما قال وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصرة فقال هو الذي انزل السكينة اي انزلها تحقيقا للنصر فانه تعالى قد ينصر رسله باهلاك اعدائهم بسبب من الاسباب وقد ينصرهم بتقوية قلوب انصارهم بان يرزقهم رسوخ الاعتقاد وازدياد اليقين فيثبتون على الحق حين تضطرب ضعاف القلوب واليقين فالسكينة بمعنى السكون والثبات كالبهيتة بمعنى البهتان فالمعنى انزل السكون والطمأنينة في قلوبهم بتقوية يقينهم ليزدادوا يقينا او بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم باظهارهم على عدوهم فيزدادوا يقينا ﴿ قوله علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله ﴾ ذكر في متعلق اللام وجوها الاول ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض فانه يدل على انه تعالى جعل المؤمنين جندا متعاونين على نصرة دينه واعلاء كلمته ليدخلهم الجنة ويعذب الكفار والثاني انها متعلقة بفتحنا فقوله او فتحنا عطف على قوله ما دل في قوله علة لما دل عليه اي او هو علة لقوله انا فتحنا لانه روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا له عليه السلام لما نزل قوله تعالى ليغفر لك الله هنيئا لك يا رسول الله ان الله قد غفر لك فما لنا عند الله فنزل ليدخل المؤمنين الآية فكأنه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم ﴿ قوله او انزل ﴾ اي او هو علة بما بعده لقوله انزل السكينة في قلوب المؤمنين معللا بقوله ليزدادوا الآية ولو كان متعلقا بنفس انزل من غير اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا فلا يخلو اما ان يكون كل واحد من ازدياد الايمان وادخال الجنة علة على حدة لانزال السكينة او يكون علة انزالها هي ادخال الجنة ويكون قوله ليزدادوا توطئة لذكره من غير ان يقصد بذكره التعليل بان يكون قوله ليدخل المؤمنين بدلا من قوله ليزدادوا بدل الاشتمال فان كان الاول كان المناسب ان يقال وليدخل عطفا على قوله ليزدادوا وان كان الثاني فهو عين ما نقله بعده بقوله وقيل انه بدل اشتمال فلا وجه لعطفه عليه فتعين انه انما يكون متعلقا بقوله انزل بعد اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا ﴿ قوله او ليزدادوا ﴾ فيه ان قوله عز وجل ويعذب المنافقين عطف على قوله ليدخل فلو كان قوله ليدخل متعلقا بقوله ليزدادوا لكان علة ازدياد المؤمنين ايمانا مجموع الادخال والتعذيب ولا دخل للازدياد المذكور في تعذيب المنافقين الا ان يقال اذا كان ازدياد الايمان سببا لدخول صاحبه الجنة واستحقاقه الكرامة يكون ايضا سببا لان يعذب اعداءه لان اكرام عدو الرجل اهانة له فما يكون سببا لاكرام عدو يكون سببا لتعذيب نفسه ﴿ قوله الا اذا جعل بدلا ﴾ فان اعراب البدل ليس بعامل حتى ينوب العاطف عنه فيعمل لنيابته عنه فلا يجوز العطف على البدل فيكون ما عطف عليه ظاهرا معطوفا على المبدل منه حقيقة ﴿ قوله تبارك وتعالى الظانين ﴾ صفة لطائفتي اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه ليست من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانها غير جائزة عند البصريين ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد فاضافة احدهما الى الآخر من اضافة الشيء الى نفسه فالاضافة في نحو صلاة الاولى ومسجد الجامع كالاضافة في سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع وصلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع والمراد بالساعة الاولى اول ساعة تتجدد عقيب الزوال وبالوقت الجامع يوم الجمعة فان ذلك اليوم جامع للناس في مسجده للصلاة حذف المضاف اليه في الجميع واقيمت صفته مقامه واضافة ظن السوء من هذا القبيل اذ التقدير كما ذكره المصنف ظن الامر السوء والسوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوءا فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك

(وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذي انزل السكينة) الثبات والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر ويدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) اي الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب

للاعداد و الغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا) على امتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه اوتصلوا له (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا او دآئما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره

حسن يحسن حسنا فهو حسن و هو فعل لازم بمعنى قبح و صار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوءا و مساءة اى احزنه نقيض سرّه فانه متعدّ و وزنه فى الماضى فعل بفتح العين و وزن ما كان لازما فعل بضم العين و فعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم و السوء بالفتح لفظ مشترك بين اسم الفاعل من اللازم و بين مصدر المتعدّى و قيل السوء بالفتح و الضم لغتان بمعنى كالكره والكره و الضعف و الضعف و الدآئرة فى الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت هى عليه الا ان اكثر استعمالها فى المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة فى المحبوب الذى يتداول و يكون مرّة لهذا و مرّة لذاك و الاضافة فى دآئرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة و المعنى اكذب الله ظنهم و قلب مايظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لايتخطاهم و لم يظفروا بالنصرة ابدا قيل الفائدة فى اعادة قوله تعالى ولله جنود السموات و الارض الاشارة الى ان لله جنود رحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما اياهم و ان له تعالى جنود عذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم فى جهنم و يدل على هذا الوجه انه تعالى ذكر جنود الرحمة قبل قوله ليدخل المؤمنين و المؤمنات جنات و ذكر جنود العذاب بعد قوله و اعدّلهم جهنم و ساءت مصيرا و يدل عليه ايضا انه تعالى قال عند ذكر الجنود ثانيا وكان الله عزيزا حكيما و قال عند ذكرهم اوّلا و كان الله عليما حكيما فان عادته تعالى فى كلامه المجيد ان يصف نفسه بالعزة فى مقام ذكر العذاب و الانتقام كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذى انتقام و قال فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر و قال العزيز الجبار ثم انه تعالى لما قال له عليه السلام انا فتحنا لك بطريق العدة و الاخبار امتنانا عليه بذلك بين فائدة ارساله شاهدا و مبشرا و نذيرا فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك اى على تصديق من صدقه و تكذيب من كذبه اى مقبولا قوله فى حقهم عند الله تعالى سوآء شهد لهم ام عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم و الخطاب فى قوله تبارك و تعالى لتؤمنوا بالله للنبى عليه الصلاة و السلام و لامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبى خاصة و مثله قوله تبارك و تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خصه عليه الصلاة و السلام بالندآء ثم عم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين و هم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه السلام يجب عليه ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد فى الحديث انه عليه افضل الصلاة و السلام قال * اشهد انى عبد الله و رسوله ﴿ **قوله** على ان خطابه عليه السلام منزل منزلة خطابهم ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز تخصيص الخطاب الثانى بالامة فى مقام توجيه الخطاب الاوّل اليه عليه الصلاة و السلام بخصوصه * اجاب عنه بان خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع فى مقام تخصيص الرئيس بالخطاب ﴿ **قوله** و تقوّوه بتقوية دينه و رسوله ﴾ تصريح بان الضمائر المذكورة فى قوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه راجعة الى الله تعالى لان ضمير رسوله ليس الا لله تعالى و كذا ضمير تسبحوه لان التسبيح لا يكون الا لله تعالى فلا وجه لان يجعل الضميران اللذان بينهما للنبى صلى الله عليه و سلم و ان جوّزه بعض اهل التفسير و جعل الجوهرى التعزير و التوقير بمعنى حيث قال التعزير التعظيم و التوقير و المفسرون حملوا تعزيره تعالى على تعظيمه بنصرة دينه و رسوله و تقويتهما و حملوا توقيره على تعظيمه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قرئ لتؤمنوا الى آخر الافعال الاربعة بالياء و التاء فياء الغيبة مبنى على اسناد الافعال المذكورة الى ضمير المرسل اليهم المدلول عليه بلفظ ارسلناك و تاء الخطاب على خطاب الرسول و الامة و تغليب المخاطب على الغائب و قرأ الجمهور و تعزروه بضم التاء و فتح العين و كسر الزاى مشدّدة و قرئ و تعزروه بضم التاء و سكون العين من اعزره بمعنى عزره و تعزروه بفتح التاء و ضم الزاى و كسرها مخففة و تعززوه بزايين معجمتين من العزة و معنى الكل واحد و عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان هذه الآية التى فى القرآن و هى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا هى ما قال فى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و حرزا للاميين انت عبدى و رسولى سميتك المتوكل ليس بفظ و لا غليظ و لا صخاب فى الاسواق و لا يدفع السيئة بالسيئة و لكن يعفو و يصفح و لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلفا عن البخارى فى هذه السورة ثم انه تعالى لما بين انه مرسل ارسله لما ذكر من الحكم و المصالح بين ان منزلته و قدره عند الله عظيم بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله تعالى حقيقة لان من بايعه عليه الصلاة و السلام على ان لا يفرّ من موضع القتال الى ان يقتل او يفتح الله لهم و ان كان يقصد بها رضى الرسول عليه الصلاة و السلام ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضى الرحمن و ثوابه

جنته وسميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التي هي مبادلة المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة في اشتمال كل واحد
نهما على معنى المبادلة وذلك في المبايعة ظاهر وكذا في المعاهدة المذكورة فانها ايضا مشتملة على المبادلة بين التزام
لثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه السلام بمرضاة الله تعالى عنهم واثابته اياهم جنة النعيم وملكا لايبلى
ى مقابلة ذلك الثبات فاطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم انه لما كان ثواب ثباتهم على
لحرب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله تعالى وانه عليه الصلاة
والسلام هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صار من بايعه عليه السلام على ذلك بمنزلة من بايع الله تعالى فقيل
نما يبايعون الله كأنهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة وان كان العقد معه عليه السلام ولما جعلت المبايعة
مع الرسول مبايعة مع الله تعالى وشبه تعالى بالمبايع اثبت له تعالى ماهو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على
طريق الاستعارة التخييلية فان المبايع لابد له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل ان تلك المبايعة انما
هي مع الله تعالى اكد هذا المعنى بان قيل يدالله فوق ايديهم كأنه قيل لاتظن ان الامر على خلاف ذلك
من يده يدالله تعالى فلما شبه الله تعالى بالمبايع اثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل والا فهو تعالى منزه
عن الجوارح وصفات الاجسام ﴿قوله تعالى انما يبايعون الله﴾ خبران ويدالله مبتدأ ومابعده خبره والظاهر
ان الجملة خبر ثان لان جيء به تأكيدا للاول ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال بل جعلها جملة حالية من ضمير
الفاعل في يبايعون اومستأنفة لتصوير المبايعة مع الله تبارك وتعالى فعلى هذا التقدير تكون اليد في الموضعين
بمعنى الاحسان والصنيعة قال الطيبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ماصنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان وعن ابن كيسان انها في الموضعين بمعنى القوة والنصرة والمعنى قوة الله تعالى ونصرته
فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق بنصرة الله لك لابنصرهم ومبايعتهم على النصرة والثبات فانه يقال اليد لفلان
اى القوة والنصرة وقيل هي فيهما بمعنيين ففي حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال
السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويدالله اى حفظه تلك المبايعة من الانتقاض
والبطلان فوق ايديهم كما ان احد المتبايعين اذا مد يده الى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على
يديهما ويحفظ يديهما الى ان يتم العقد لايترك واحدا منهما لان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل
انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال الله تعالى يدالله فوق ايديهم
يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين ﴿قوله نقض العهد﴾ يقال نكث العهد والحبل
فانتكث اى نقضه فانتقض ويقال اوفى بالعهد ووفى بالعهد اذا اتمه ويحتمل ان يراد بنكث العهد مايتناول عدم
مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لماروى عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لانفر فانكث احدنا البيعة الاجد بن قيس وكان منافقا اختبأ
تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ﴿قوله استنفرهم﴾ اى طلب منهم ان ينفروا ويخرجوا معه حين اراد المسير
الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب فتثاقل كثير من الاعراب الكائنين
حول المدينة وتخلفوا عنه وخافوا ان يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قدغزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا
اصحابه يعنون احدا فنقاتلهم فظنوا انه عليه السلام يهلك ولاينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم
وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام عنهم بما سيقولون في الاعتذار من تخلفهم
اذا رجع الى المدينة وعاتبهم في التخلف وبانهم لايكتفون بالاعتذار بل يتضرعون ويقولون ان تخلفنا وان كان مبنيا
على العذر عندانفسنا الا انا نسألك ان تسأل الله تعالى ان يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك الا انه
منعنا عنك مانع قوى ثم كذبهم في اعتذارهم واخبر بنفاقهم فقال يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم فان الشك
والنفاق هو الذي خلفهم وليس لهم عذر فيه سوى الشك ولما كان حاصل اعتذارهم ان تخلفهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم يدفع عنهم الضر وهو سوء الحال من اختلال حال الاهل والاموال ويجلب لهم النفع وهو السلامة
في انفسهم واموالهم قال الله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيأ الآية يعني انكم ايها المساكين تحترزون عن الضر
فتتركون امر الله تعالى وامر رسوله وتقعدون طلبا للسلامة فهل يمنعكم القعود والتخلف مما اراد الله بكم ان
اراد بكم الضر وقرئ بضم الضاد ايضا وهو تعريض برد قولهم شغلتنا وصلاحيته للاعتذار ثم انه تعالى اضرب

﴿ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴾ لانه المقصود ببيعته ﴿ يدالله فوق ايديهم ﴾ حال اواستئناف مؤكدله على سبيل التخييل ﴿ فمن نكث ﴾ نقض العهد ﴿ فانما ينكث على نفسه ﴾ فلايعود ضرر نكثه الاعليه ﴿ ومن اوفى بما عاهد عليه الله ﴾ وفى في مبايعته ﴿ فسيؤتيه اجرا عظيما ﴾ هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم ﴿ شغلتنا اموالنا واهلونا ﴾ اذلم يكن لنا من يقوم باشغالنا وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ فاستغفر لنا ﴾ من الله على التخلف ﴿ يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ﴾ تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيأ ﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿ ان اراد بكم ضرا ﴾ مايضركم كقتل اوهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿ او اراد بكم نفعا ﴾ مايضاد ذلك وهو تعريض بالرد

(بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كايال (وزين ذلك فى قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء اوهو وسائر مايظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا) هالكين عندالله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل اولانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذلا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى (سيقول المخلفون) يعنى المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوآئل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله) ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم عن مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) ان نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لايفقهون) لايفهمون (الا قليلا) الافهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول ردمنهم ان يكون حكم الله ان لايتبعوهم واثبات الحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم اولى بأس شديد) بنى حنيفة اوغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام فانه قال (تقاتلونهم او يسلمون) اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لاغير كما دل عليه قرآءة او يسلموا

عن تكذيبهم فى اعتذارهم الى ايعادهم بانه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار امر واخفاء غيره فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ماحملهم على التخلف فقال بل ظننتم الآية ﴿قوله الظن المذكور﴾ يعنى التعريف فى ظن السوء اما للعهد والمعهود ظنهم المتقدم وهو ظن ان لاينقلبوا لكثرة العدو وقلة انفسهم ويكون العطف لمجرد التسجيل عليه بالسوء والافهو من عطف الشئ على نفسه او للاستغراق فيكون المراد بالمعطوف سائر ظنونهم الزائغة لما تقرر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد به سائر افراده ﴿قوله هالكين﴾ اشارة الى ان البور جمع بائر من بار بمعنى هلك كالعوذ جمع عائذ وهى من الابل والخيل الحديثة النتاج ويحتمل ان يكون مصدرا فانه يقال بار بورا مثل هلك هلكا بناء ومعنى ولذلك يوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله وضع الكافرين موضع الضمير﴾ جواب عما يقال من فى قوله تعالى ومن لم يؤمن سوآء كانت شرطية او موصولة فى محل الرفع على الابتدآء والجملة المصدرة بان خبرها فاين العائد منها الى المبتدأ اجاب عنه بان الظاهر قائم مقام العائد على تقدير فانا اعتدنا لهم ثم انه تعالى لما ذكر من له اجر عظيم من المبايعين ومن له عذاب اليم فى السعير من الظانين ذكر بعد ولله ملك السموات والارض الى آخر الآية للدلالة على عظم الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته فى غاية العظمة وكذا يكون عذابه فى غاية الشدة ﴿قوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله﴾ حال من المخلفون اومستأنف لبيان مرادهم من قولهم ذرونا والمراد بكلام الله وعده بان تكون غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة فقال عليه الصلاة والسلام لايخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وجعل ذلك عوضا لهم عن غنائم اهل مكة اذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيأ وهذا القول هو الاشهر عند المفسرين والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل اى من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر وقيل المراد بكلام الله قوله لن تخرجوا معى ابدا بناء على ان القوم لما تخلفوا واطلع الله تعالى نبيه على باطنهم واظهر نفاقهم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا فالقوم ارادوا بقولهم ذرونا نتبعكم ان تبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه ولم يرض المصنف بهذا القول بناء على ان ذلك الكلام ورد فى غزوة تبوك لافى هذه الواقعة ﴿قوله واثبات الحسد﴾ عطف على قوله ردمنهم والمعنى فسيقولون تكذيبا لكم فيما اخبرتموهم من انه تعالى كذلك قال من قبل ماقال الله كذلك بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم والاضراب الثانى رد من الله تعالى لما زعموه من ان النهى عن اتباعهم لاجل الحسد واثبات لجهلهم شان النبى ومايصح ان يكون منه ومالايصح اثبت لهم فهما قليلا وهو فهمهم بظاهر من الحياة الدنيا ﴿قوله كرر ذكرهم﴾ فان المراد من المخلفين هم الذين منعوا عن الخروج الى خيبر فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا وهم جمع كثير من قبائل شتى دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من رجع عنه وحسن حاله فجعل تعالى لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام الى قوم اولى بأس شديد اى اولى قوة فى الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه تقبل توبته ويعطى الاجر الحسن فلولا انه تعالى بين انهم يدعون الى حرب اولى بأس شديد فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن لاستمر حالهم على النفاق كما استمر حال ثعلبة عليه فانه قد امتنع من ادآء الزكاة ثم اتى بها فلم يقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم واستمر على هذا الحال ولم يقبلها منه احد من الصحابة فعلم تعالى من ثعلبة ان حاله لاتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة فقال اذا اطعتم من دعاكم الى حرب اولى البأس الشديد تابوا وتؤجروا فى الدنيا والآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الخروج الى الحديبية يعذبكم عذابا اليما ﴿قوله او يسلمون﴾ الجمهور على رفعه بثبات النون عطفا على تقاتلونهم لوجوب احد الامرين عليهم بحيث لايكون لهما امر ثالث لان او لاحد الشيئين وينبئ عن الحصر كما فى قولك العدد زوج او فرد وقيل انه مرفوع على الاستئناف تقديره اوهم يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب باضمار ان بمعنى الاان يسلموا او بمعنى الى ان يسلموا فيكون مابعد او فى تأويل مصدر مجرور باو التى بمعنى الى واستدل المصنف بقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب اى على ان المراد بقوم اولى بأس شديد هم المرتدون والمشركون مطلقا سوآء كانوا مشركى العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين فمشركوا العجم لاتقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا

(عند)

ندالامام الشافعي رحمة الله عليه و اما عند الامام ابي حنيفة رحمة الله عليه فمشركوا العجم تقبل منهم الجزية
تقبل من اهل الكتاب و المجوس و الذين لايقبل منهم الاالاسلام او السيف انما هم مشركوا العرب والمرتدون
ط عنده ﴿قوله اذلم تتفق هذه الدعوة﴾ اى دعوة المخلفين الى قتال اولى البأس لم تتفق لغيرابي بكر فانه دعاهم
ى قتال بني حنيفة و هم اهل اليمامة و رأسهم مسيلمة الكذاب ووجه دلالة الآية على امامة ابي بكر انها اوجبت على
خلفين طاعة من يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا لمن يدعوهم الى قتال اولى البأس واوعد على
الفته حيث قال تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ومن
جب الله تعالى طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد باولى البأس اهل حنين وهم
يف و هوازن فلادلالة للآية على امامة ابي بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت في حياته عليه الصلاة والسلام
كون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين وقيل فارس والروم فتكون الآية دليلا على امامة
لانه هو الذي قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم ﴿قوله فصل الوعد﴾ اى المدلول عليه بقوله يؤتكم الله اجرا حسنا
اجمل الوعيد المذكور سابقا ولاحقا ﴿قوله فنعه الاحابيش﴾ وهو جمع احبوشة وهو الافراد من قبائل شتى
بشوا اى تجمعوا يقال حبش قومه تحبيشا اى جمعهم و الحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة
الحبش و التحبيش الجمع و التجميع يقال حبشت له حباشة اذا جمعت له شيأ قال سلمة بن الاكوع بينما نحن قائلون
نائمون وقت الظهيرة من القيلولة اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة نزل روح القدس
رنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وكان عثمان رضي الله عنه يومئذ بمكة فقال
ليه الصلاة والسلام ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المؤمنين ثم وضع احدى يديه على الاخرى
قال هذه بيعة عثمان وروى عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لايدخل
ار احد ممن بايع تحت الشجرة * وقال لمن بايعه من المؤمنين وهو جالس تحت الشجرة * انت اليوم خير اهل الارض *
قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يشعر بان يكون علم الله تعالى بما في قلوبهم من الاخلاص واقعا عقيب رضاه عنهم مع
علمه تعالى بذلك كان واقعا موجودا قد حصل قبل الرضى قبلية ذاتية لانه تعالى علم به فرضي عنهم الاان هذا انما
م اذا كانت الفاء في قوله فعلم ما في قلوبهم لبيان وقوع العلم عقيب الرضى وليس كذلك بل هي لبيان وقوعه عقيب
يعة ليعلم ان الرضى لم يكن لمجرد المبايعة فقط بل انما كان للمبايعة التي كان معها علم الله تعالى بصدقهم فيها والفاء
قوله فانزل السكينة لبيان ان انزال السكينة كان عقيب رضاه عنهم فانه تعالى لما رضي عنهم وقت مبايعتهم
قرونة بالاخلاص رزقهم طمأنينة النفس امابان شجعهم على طاعة الرسول فيما دعاهم اليه من البيعة فبايعوه
لى ان يقاتلوا الى الموت ولايفروا اوبان خوف المشركين والجأهم الى الصلح الموجب لسكون النفس وحصول
من ﴿قوله يعني مغانم خيبر﴾ وكانت ذات عقار واموال اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم وكان الله عزيزا
لبا حكيما في امره حكم لهم بالظفر و الغنيمة ولاهل خيبر بالسبي والهزيمة ثم ذكر سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي
ن الزمان الى يوم القيامة فقال وعدكم الله مغانم كثيرة ﴿قوله ايدي اهل خيبر وحلفائهم﴾ قيل كان اهل خيبر
بعين الفا وانه عليه الصلاة والسلام لما حاصر اهل خيبر هم حلفاؤهم من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال
سلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم
عب فنكصوا ﴿قوله اوعنوانا لفتح مكة﴾ عطف على قوله امارة قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح
كة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتأخر ذلك في السنة الآتية فجعل فتح خيبر صورة ما رآه في منامه من فتح مكة ﴿قوله
سلموا اولتأخذوا﴾ نشر على ترتيب اللف اى فجعل لكم هذه الغنيمة لتأخذوها ولتكون آية او كف ايديهم عنكم
سلموا اوليكون الكف آية ﴿قوله اوالعلة لمحذوف﴾ عطف على قوله والعطف على محذوف اى ويحتمل
لايكون الواو للعطف على العلة المحذوفة قبلها بان تكون الواو ابتدائية وتكون اللام لتعليل ما حذف بعدها
ولتكون آية فعل ذلك ﴿قوله يفسره قد احاط الله بها﴾ فان احاط قد اشتغل عن اخرى بتعديته بحرف الجر الى
ضمير ولا ينصبه او سلط عليه لكونه لازما لا ينصب بنفسه فيضمر ما يناسبه من حيث المعنى كما في نحو زيدا
رت به فانه مررت وان لم يصلح ناصبا للمفعول به الاانه يصلح مفسرا لما ينصبه بنفسه فان تقديره جاوزت
يدا مررت به وكذا قوله تعالى قد احاط الله بها لان الاحاطة مجاز من الاستيلاء واستيلاء الله تعالى على الغنيمة

في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا
كما توليتم من قبل) من الحديبية (يعذبكم عذابا
اليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج) لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن
هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد
(ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار) فصل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك
بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول
يعذبه عذابا اليما) اذ الترهيب ههنا انفع من
الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه
بالنون (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة) روي انه عليه السلام لما نزل
الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى
اهل مكة فهموا به فنعه الاحابيش فرجع
فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه
فأرجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام
اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة اواربعمائة
اوخمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا
ولايفروا منهم وكان جالسا تحت سمرة
اوسدرة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص
(فانزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون
النفس بالتشجيع او الصلح (واثابهم فتحا
قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة
اوهجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني
مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا
مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها) وهي ما يفيء على المؤمنين
الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم
خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) اى ايدي
اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح (ولتكون) هذه
الكفة او الغنيمة (آية للمؤمنين) امارة
يعرفون بها انهم من الله بمكان اوصدق الرسول
في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
من الحديبية اووعد المغانم اوعنوانا لفتح
مكة والعطف على محذوف هو علة لكف
اوعجل مثل لتسلموا اولتأخذوا اوالعلة
لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا
مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه

قضاؤه بها ويحتمل ان يكون اخرى فى محل الرفع على الابتدآء ولم تقدروا عليها صفته وهو المسوّغ للابتداء بالنكرة وقد احاط الله بها خبره وان يكون مجرورا برب المضمرة بعد الواو ولم تقدروا صفة لمجرور رب وقد احاط جواب رب ﴿قوله لما كان فيها من الجولة﴾ اى من تكرر الهزيمة والرجوع الى القتال يقال تجاولوا فى الحرب اى جال بعضهم على بعض فكانت بينهم مجاولات وبالجملة الجولة كناية عن كثرة العدوّ والاحتياج الى الجدّ القوىّ فى محاربتهم ﴿قوله وهى مغانم هوازن﴾ فانهم لم يقدروا عليها فى عام الحديبية وان قدروا عليها عقيب فتح مكة فى غزوة حنين ﴿قوله من غلبة انبيائه سنة﴾ اشارة الى ان سنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف ﴿قوله واستشهد به﴾ فان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه استشهد بقوله تعالى هو الذى كف ايديهم عنكم الى قوله من بعد ان اظفركم عليهم اذ معناه من بعد ما سلطكم عليهم وخوّلكم الظفر والغلبة عليهم وذلك انما يكون بان تفتح قهرا وغلبة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه انما فتحت صلحا لما روى ان اباسفيان طلب الامان لاهل مكة فعقد النبى صلى الله عليه وسلم الامان واستثنى رجالا مخصوصين امر بقتلهم وايضا انه عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عقارا ولا منقولا ولو فتحت عنوة لامر بخلافه ومن قال انها فتحت عنوة يقول انه عليه الصلاة والسلام دخلها مستعدّا للقتال لو قوتل وبعث خالد بن الوليد والزبير بن العوام وامرهما ان يدخلاها من طرفيها فدخل خالد اسفلها عنوة ودخل الزبير اعلاها ولم يتفق فى تلك الناحية قتل وحرب من جهة اهل مكة فامتنع الزبير عن قتلهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب الذى دخل منه الزبير وسبب امتناعه عن قسمة عقار مكة انها خلقت حرّة لا لاجل انها فتحت صلحا فلهذا لا يجوز عند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه بيع دور مكة ﴿قوله وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله﴾ فيه ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يستلزم نزول الآية قبله ولو سلم انه يستلزم ذلك فلم لا يجوز ان يكون من قبل القوّة باظفارهم عليها وكف ايدى كل واحد من الفريقين عن الآخر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه كما فى قوله تعالى انا فتحنا لك وقيل فى وجه ضعفه ان الظفر هو الفتح مطلقا سوآء كان عنوة او صلحا كما قال صاحب الكشاف فى اوّل السورة ان الفتح هو الظفر بالبلد سوآء كان عنوة او صلحا فان قلت احتجاج ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ليس مبنيا على ورود لفظ الظفر بل على تعديته بكلمة على الدالة على الاستعلاء والغلبة ولم يعبر الزمخشرى عن فتح البلد صلحا بالظفر عليه بل قال الظفر به اجيب عنه بانه يكفى فى تحقق الاستعلاء من جهة المؤمنين انهم باشروا عقد المصالحة بالطوع والاختيار بخلاف اهل مكة فانهم صالحوا عن اضطرار فتعدية الظفر بعلى ايضا لا يدل على فتحها عنوة واستدل المصنف على ان الكف المذكور كان عام الحديبية لا عام الفتح بقوله تعالى هم الذين كفروا الآية لان صدّهم وصدّ الهدى معكوفا كان عام الحديبية وقوله تعالى وهو الذى كفّ ايديهم عنكم اى بان حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم فى بلادهم بصدد الذب عن اهليهم واولادهم فالفرار من مثلهم فى غاية البعد كما ان ترك المسلمين اياهم بعدما ظفروا عليهم بعيد وايديكم عنهم بان حملكم على الرجوع عنهم وتركهم مع ان العادة المستمرّة فيمن ظفر بعدوّه ان لا يتركه بل يستأصله وقد اظفركم الله عليهم حيث هزمتم جيش الكفار وادخلتموهم بيوتهم كما روى ان اصحاب خالد بن الوليد هزموا اصحاب عكرمة وهم خمسمائة نفر وادخلوهم حيطان مكة ثم رجعوا سالمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى اظفر المسلمين عليهم بالحجارة ثم ادخلهم البيوت فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية النعمة قال تعالى هو الذى كف الخ على طريق الحصر استشهادا به على ما تقدّم من قوله سبحانه وتعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ووجه الاستشهاد ظاهر ثم انه تعالى اشار الى ان كف كل فريق عن صاحبه لم يقع من حيث انهم اصطلحوا وارتفع ما بينهم من الاختلاف والعداوة بل الاختلاف باق لبقاء سببه وهو انهم كفروا بالله وصدّوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدّوا الهدى معكوفا اى محبوسا عن ان يبلغ محله وهو الموضع الذى ينحر فيه وهو الحرم فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا ويقتلوا الا انه تعالى كف ايدى كل فريق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المسلمين المستضعفين ليخرجوا منها او تدخلوها على وجه لا يكون فيه ايذآء من فيها من المؤمنين والمؤمنات فقال هم الذين كفروا الآية والجمهور على نصب قوله تعالى والهدى عطفا على الضمير المنصوب فى قوله وصدّوكم ومعكوفا حال من الهدى اى صدّوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدّوا الهدى محبوسا ممنوعا عن ان يبلغ محله حذفت كلمة عن واوصل العكف الى البلوغ توسعا وذلك الجار المقدّر يجوز ان يتعلق بصدّوكم

(لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد احاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من اهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبنّ انا ورسلى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذى كف ايديهم عنكم) ايدى كفار مكة (وايديكم عنهم ببطن مكة) فى داخل مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد قيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم اوّلا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو بكر بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله) يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرئ الهدىّ وهو فعيل بمعنى مفعول

(وان)

ان يتعلق بمكوفا ويحتمل ان يكون قوله ان يبلغ محله مفعولا له علة للصدّ اى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله
وقرى بالجرّ عطفا على المسجد الحرام ولابدّ حينئذ من تقدير الجار اى وعن الهدى وبالرفع ايضا على انه مفعول
الم يسم فاعله بفعل مقدّر اى صدّ الهدى وقرى والهدىّ بكسر الدال وتشديد الياء واحده هدية مثل تمرة وتمر وهو
مايهدى الى الحرم من النعم ليذبح فيه * يقال عكفه عن كذا اى حبسه عنه ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه
فيه ويستعمل لازما ومتعدّيا فيقال عكفه عكفا فعكف عكوفا ﴿ قوله ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره ﴾
اشارة الى ان المحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى ودم الاحصار يختص بالحرم عندنا فلا يجوز ذبحه الا فى الحرم
وعند الامام الشافعى لا يختص به فيجوز ان يذبح فى الموضع الذى احصر به لنا قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدى محله بعد قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدى والمراد بالمحل الحرم بدليله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة
وقوله ثم محلها الى البيت العتيق والمراد بالحرم ماعدا البيت اذلا يراق فيه الدماء وللامام الشافعى ان دم الاحصار
انما شرع رخصة للتحلل من الاحرام قبل وقته وترفها والتوقيت بالحرم يشعر بالتضييق فيعود على موضوعه
بالنقض ولما ذكره المصنف من انه عليه الصلاة والسلام تحلل بنحره حيث احصر ونحن نقول ان بعض الحديبية
حرم فانه قد روى ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهدى المحصر بالحج
لا يذبح الا فى الحرم عند الحنفية الا انه لا يتوقت بالزمان بل يذبح فى اىّ وقت شاء عند ابى حنيفة وقالا يتوقت بالزمان
وهو ايام النحر كما يتوقت بالمكان واما المحصر بالعمرة فلا يتوقت بزمان بالاجماع والمضارب جمع مضرب بفتح الميم
وكسر الرآء وهى المواضع التى ضرب فيها خيامه ﴿ قوله ووطئتنا وطئا على حنق * وطأ المقيد نابت الهزم ﴾
استشهد به على ان الوطئ عبارة عن الايقاع والابادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطئ مستلزم
للاهلاك يقال وطئت الشئ برجلى وطئا ووطئ الرجل امرأته يطأ فيهما جميعا والحنق بالحاء المهملة الغظ الشديد
يقال حنق عليه بالكسر اى اغتاظ فهو حنق وأحنقه غيره فهو محنق والمقيد البعير المعقول الركبة والهزم
بكسر الزاى المعجمة ماتكسر من الضريع وبالرآء المهملة ضرب من الحمض وهو ماملح من النبات كالرمث والاثل
والطرفاء والخلة من النبات ماكان حلوا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها ويقال لحمها وخص المقيد
لان وطأته اثقل كما خص الحنق لان اتقاءه ورحمته اقل والمعنى اثرت فينا تأثير الحنق الغضبان كما يؤثر البعير المقيد
اذا داس النبت ﴿ قوله كان آخر وقعة للنبى صلى الله عليه وسلم بها ﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لم يغز بعدها
الا غزوة تبوك ولم يكن فيها قتال ﴿ قوله وهو ﴾ اى قوله تعالى ان تطأوهم بدل اشتمال من رجال اى ولولا
وطؤهم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات غير معلومين لكم باعيانهم انهم مؤمنون فان قوله لم تعلموهم فى موضع الرفع على
انه صفة لرجال ونساء وان كان قوله ان تطأوهم فى موضع النصب على انه بدل من الضمير المنصوب فى لم تعلموهم بدل
الاشتمال ايضا يكون المعنى لم تعلموا وطأهم ويشكل على هذا ان يكون قوله بغير علم متعلقا بقوله ان تطأوهم حالا
من الضمير المرفوع فيه لانه على تقدير ان يكون ان تطأوهم بدلا من الضمير وان يكون بغير علم حالا من فاعل
تطأوا يكون المعنى لم تعلموا ان تطأوهم غير عالمين بهم وهو يستلزم ان يعتبر نفى علمهم بهم مرّتين لان عدم علمهم بوطئهم
المؤمنين قد استفيد من قوله لم تعلموهم ان تطأوهم فيكون قوله بغير علم تكرارا الا ان يقال معنى عدم علمهم بوطئهم
اياهم غير عالمين بهم عدم علمهم بكونهم معذورين فى وطئهم اياهم بناء على كون ذلك الوطئ فى حال عدم علمهم
بكونهم مؤمنين فالظاهر على هذا ان يجعل قوله بغير علم متعلقا بمحذوف على انه صفة لمعرّة او يكون حالا من مفعول
فتصيبكم وقوله فتصيبكم معطوف على قوله ان تطأوهم ﴿ قوله وجواب لولا محذوف ﴾ وهو قوله لما كف
ايديكم عنهم وفى هذا المحذوف دليل على شدّة غضب الله تعالى على كفار مكة كأنه قيل لولا حق المؤمنين موجود
لفعل بهم مالا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة وخبر المبتدأ ايضا محذوف تقديره
ولولا رجال ونساء من اهل الايمان موجودون او بالحضرة فان مابعد لولا الابتدائية مبتدأ وخبره محذوف فقولك
لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت ﴿ قوله علة لما دل عليه كف الايدى ﴾
يعنى ان اللام فى قوله ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه سوق الآية وهو كف ايدى المؤمنين عن اهل مكة صونا لمن
بين اظهرهم من المؤمنين ليدخل الله فى رحمته فيكون تعليلا للكف بعد اعتبار تعليله بصون من بين اظهر اهل
مكة من المؤمنين والاحتراز من وطئهم بغير علم وليس علة لنفس الكف المذكور لانه قد علل بوجود رجال ونساء

ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان
ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة
والسلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم)
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
(ان تطأوهم) ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال
ووطئتنا وطئا على حنق *
وطأ المقيد نابت الهزم *
وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة
وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر
وقعة للنبى عليه الصلاة والسلام بها واصله
الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء
او من ضميرهم فى تعلموهم (فتصيبكم منهم)
من جهتهم (معرّة) مكروه كوجوب الدية
والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير
الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم
مفعلة من عرّه اذا عراه مايكرهه (بغير علم)
متعلق بان تطأوهم اى تطأوهم غير عالمين بهم
وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه
والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين
بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم
(ليدخل الله فى رحمته) علة لما دل عليه كف
الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين

من المؤمنين كأنه قيل كف ايديهم عنكم لئلا تطأوا الرجال والنساء المؤمنين المختلطين بهم من غير شعور بايمانهم فلا وجه لتعليله بشيء آخر ﴿ **قوله** اى فى توفيقه لزيادة الخير ﴾ اى الطاعة على تقدير ان يكون المراد بقوله من يشاء المؤمنين بين اظهر الكفرة فانهم لما رأوا لطف الله تعالى بهم حيث صانهم من وطئ المسلمين اياهم مع انه تعالى اظفرهم على اهل مكة وصان من اجلهم من عداهم ممن استوجب العذاب كان ذلك سببا لمزيد الشكر والخير والطاعة ﴿ **قوله** او الاسلام ﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد بمن يشاء المشركين الذين آمنوا بعد ذلك فان المناسب حينئذ ان يفسر الادخال فى الرحمة بالتوفيق للاسلام فان المشركين لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله حيث كف ايدى المسلمين عنهم بعدان غلبوا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بينهم من المؤمنين رغبوا فى مثل هذا الدين والانخراط فى زمرة المؤمنين ﴿ **قوله** لو تفرّقوا او تميز بعضهم من بعض ﴾ اشارة الى ان ضمير تزيلوا للفريقين من المؤمنين والكافرين وجاز ان يرجع الى المؤمنين فقط وان يرجع الى الكافرين فقط يقال زلت الشيء ازيله زيلا اى مزته وفرّقته وزلته منه فلم يزل اى ومزته فلم يتميز وزيلته فتزيل اى فرّقته فتفرّق ﴿ **قوله** مقدر باذكر ﴾ فيكون مفعولا به اى اذكر وقت جعلهم كقولك اذكر اذقام زيد اى اذكر وقت قيامه فيكون اذ ظرفا للفعل الذى اضيف هو اليه وقوله او ظرف لعذبنا او صدّوكم اى لعذبناهم حين جعلوا فى قلوبهم الحمية او صدّوكم فى ذلك الوقت وفى قلوبهم يجوز ان تعلق بجعل على انها بمعنى القى فيتعدّى الى واحد اى اذا القى الكافرون فى قلوبهم الحمية وان تعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدّم على الاوّل على ان جعل بمعنى صير اى صيروا الحمية حاصلة فى قلوبهم وحمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها فانهم حين صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن زيارة البيت قالوا ابناء على الحمية الناشئة عن الجهل والكفر بالله عز وجل انهم قتلوا ابناءنا واخواننا ثم اتوا يريدون ان يدخلوا علينا فى منازلنا فيتحدث العرب بانهم دخلوا علينا ثم على رغم انفنا واللات والعزى لايدخلون علينا فهذه هى حمية الجاهلية التى دخلت قلوبهم ومن تلك الحمية انهم استنكفوا من اشتمال كتاب الصلح على توصيفه تعالى باسم الرحمن وعلى توصيفه عليه الصلاة والسلام بوصف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المؤمنون منهم هذه الحمية الباطلة هموا ان يأبوا الا ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم اوّلا وان يبطشوا بهم فانزل الله تعالى السكينة فتحملوا شناعتهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا واتم الصلح بذلك قال الزهرى انما ساعدهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام لما خرج يريد مكة وبلغ الحديبية وقعت ناقته فزجرها الناس فلم تنزجر وبركت فألحوا عليها فلم تقم فقالت اصحابه خلأت القصواء فقال عليه الصلاة والسلام «ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال والذى نفسى بيده لاتدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها فلذلك ساعدهم فيما قالوا وصالحهم على مايريدون ﴿ **قوله** كلمة الشهادة ﴾ وهى لا اله الا الله وهى كلمة التقوى اذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف الله تعالى هذه الامّة بالمتقين فى مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الامّة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بان يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ولا بان يكتب محمد رسول الله فصارت هذه الكلمة مختصة بالمؤمنين فلذلك قال تعالى والزمهم كلمة التقوى اى جعلها شعار المتقين وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد فان المؤمنين ثبتوا على مقتضى الصلح ووفوا بالعهد بخلاف المشركين حيث نقضوا العهد وعادوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهو العهد الواقع فى ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها ﴿ **قوله** والمعنى صدقه فى رؤياه ﴾ يعنى ان صدق يتعدّى الى مفعولين الى الاوّل بنفسه والى الثانى بحرف الجرّ يقال صدقك فى كذا اى ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما فى هذه الآية وفى قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه دخل هو واصحابه مكة آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ومن المعلوم انه ليس من تخييل الشيطان تعين انه من وحى الرحمن او حى اليه انك ستدخل مكة مع اصحابك على الوصف المذكور الا انه تعالى اراه الدخول واقعا محققا لكونه فى حكم المتحقق ثم انهم لما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ماحلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فنزلت الآية ناطقة بانه تعالى لم يكذب فيما ارى نبيه من دخول مكة على

اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير او الاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم او مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرّقوا او تميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) بالقتل والسبى (اذ جعل الذين كفروا) مقدّر باذكر او ظرف لعذبنا او صدّوكم (فى قلوبهم الحمية) الانفة (حمية الجاهلية) التى تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ماروى انه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلىّ رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا (والزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها (وكانوا احق بها) من غيرهم (واهلها) المستأهل لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم اهل كل شئ وييسره له (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه

(الوجه)

جه المذكور اذ ليس فيما اراه الدخول فى عام ست وانما اراه مجرّد صورة الدخول وقد صولح على الدخول فى
سبع ﴿قوله بالحق ملتبسا به﴾ على ان يكون بالحق متعلقا بمحذوف على انه حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق
﴿قوله جوابه﴾ اى جواب لقوله بالحق على ان يكون قسما باسم الله او بنقيض الباطل وان كان بالحق حالا يكون
خلن جواب قسم مضمر وعلى التقديرين يكون الجملة القسمية مستأنفة لتحقيق صدقه تعالى فيما اراه من الدخول
الوجه الموصوف ﴿قوله تعليما للعباد﴾ اشارة الى جواب ما يقال الظاهر ان قوله تعالى لتدخلن وعد
ى بالدخول وقوله ان شاء الله تعليقٌ للوعود بالمشيئة فما وجه هذا التعليق فان الخبر انما يعلق ما اخبر به بالمشيئة اذا
وله تردد وشك فى وقوعه والله تعالى منزه عن ذلك فما وجه تعليق موعوده بمشيئته * اجاب عنه اوّلا بانه تعالى علق
ه بمشيئته تعليما للعباد لكى يقولوا فى عداتهم مثل ذلك لا لكونه شاكا فى وقوع الموعود وفيه ايضا تعريض بان
ولهم مبنى على مشيئة الله تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوّتهم وهذا معنى ما قيل استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثنى
لق فيما لا يعلمون وثانيا بان الموعود دخولهم جميعا وعلقه بمشيئته اشعارا بان بعضهم لا يدخل فكلمة ان ليست
ك بل للتشكيك وثالثا بمنع ان يكون التعليق من كلام الله تعالى اذ يجوز ان يكون من قبيل الملك الذى القى على
ى صلى الله عليه وسلم فى المنام كلام الله تعالى وهو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الآية فعلى هذا
كون لتدخلن استئنافا بل يكون تفسيرا للرؤيا فان ذلك الملك لما القى عليه عليه الصلاة والسلام فى رؤياه هذا
كلام الالهى ادخل فيه هذه الكلمة من تلقاء نفسه تبركا ثم انه تعالى لما رضى به ألقاه كذلك على لسان جبرآئيل
تعليق المذكور حكاية ما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وليس من قبله تعالى ورابعا بانه من كلام
سول فانه عليه الصلاة والسلام لما قص رؤياه على اصحابه استأنف فقال لتدخلنه ان شاء الله ﴿قوله اى محلقا
ضكم﴾ يعنى ان واو الجمع ليست لاجتماع الامرين فى كل واحد بل لاجتماعهما فى مجموع القوم * فان قيل محلقين
ل من الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا ولا مقصرا لان كل واحد من الحلق والتقصير
رج به الانسان من الاحرام ولا يقارن شىء منهما الاحرام * فالجواب انه حال مقدّرة * فان قيل قوله لا تخافون معناه
خائفين وهذا المعنى قد حصل بقوله آمنين فما الفائدة فى اعادته * فالجواب ان فيه كمال الامن لان أمنهم حال الدخول
قل ان يكون لاجل احرامهم او لاجل كونهم فى الحرم فان اهل مكة كانوا يجتنبون عن قتال الحرم ومن هو
خل الحرم وبعد الحلق او التقصير لا يبقى الانسان محرما فقوله لا تخافون بمنزلة ان يقال يبقى أمنكم بعد خروجكم
الاحرام الا ان هذا الجواب مبنى على ان يكون لا تخافون حالا من ضمير محلقين ومقصرين على التداخل فالظاهر
الجواب ما اشار اليه المصنف بقوله حال مؤكدة او استئناف ﴿قوله فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير
ك﴾ الموعود الى السنة القابلة وهى انكم لو لم تصالحوهم فى تأخير الدخول الى السنة القابلة ودخلتم عليهم
هذه السنة عنوة بالمقاتلة والحرب لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم ولاصابتكم منهم معرّة والفاء فى قوله تعالى
عاطفة للجملة التى بعدها على جملة لقد صدق الله رسوله دالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها
الذكر من غير ان يكون مضمون ما بعدها واقعا عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب
نم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان
كر الشىء ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره فكذا فى هذه الآية فان التعرّض لحكمة الشىء انما يصح بعد جرى
كره ليستروح اليه اى ليسكن ويطمئن الى ذلك الفتح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود وهو دخول المسجد
فتح مكة فكلمة الى فى قوله اليه صلة الاستروح وفى قوله الى ان يتيسر الموعود غاية له * قال الجوهرى استروح
ه اى استنام ثم قال فى فصل الميم استنام اليه اى سكن اليه واطمأن ﴿قوله ملتبسا به او بسببه﴾ فالباء على
وّل متعلق(٧) بارسل لا بالمحذوف ومحمد خبر محذوف اى هو محمد رسول الله والمبتدأ المحذوف راجع الى الرسول
ذكور فى قوله هو الذى ارسل رسوله فانه تعالى لما ذكر انه بجلال ذاته وعلوّ شأنه اختص بارسال رسوله
بسا بالهدى والدين الحق لذلك الخطب الجليل والامر الخطير توجه ان يقال من ذلك الرسول فاجاب عنه
ى طريق الاستئناف بقوله هو محمد رسول الله ثم ابتدأ بقوله والذين معه اشدّآء على الكفار تشريفا لهم وكرامة
وله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴿قوله تعالى سيماهم﴾ مبتدأ وفى وجوههم
ره ويحتمل ان يكون المراد بالعلامة الثابتة فى وجوههم ما يظهر عليها يوم القيامة من النور والبياض

فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى
الاوّلين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا فى النوم او النبى لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد او فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) ملتبسا به او بسببه او لاجله (ودين الحق) وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن او على نبوّته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (اشدّآء على الكفار رحماء بينهم) واشدّآء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة فى اكثر اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار

(٧) بمحذوف هو حال من مفعول ارسل وعلى الثانى هى سببية متعلقة (نسخه)

كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وقال يوم تبيض وجوه فان من توجه نحو الحق الذى هو نور السموات والارض لاجرم يقع عليه شئ من نوره كمن يحاذى الشمس يقع شعاعها على وجهه ويحتمل ان يكون المراد بها مايظهر عليها فى الدنيا من اصفرار الوجه فى النهار من طول السهر ومابقى على الجباه من تراب الارض لانهم كانوا يسجدون على التراب لاعلى الاثواب وكهيئة الخشوع والتواضع اللازمة للصلاة فانه من واظب على الصلاة يبقى عليه آدابها بعد خروجه منها (٩) كما قال عليه افضل الصلاة والسلام * من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار * الاترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لايكون وجهه فى النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة والاخلاص ولما كان السيما العلامة مطلقا وكان المراد بها ههنا العلامة الخالصة المترتبة على كثرة السجود بينها بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لها او يجوز ان يكون حالا من المنوى فى الخبر ﴿قوله اشارة الى الوصف المذكور﴾ وهو كونهم اشداء رحماء ركعا سجدا وكون سيماهم التى هى اثر السجود ثابتة فى وجوههم فقوله تبارك وتعالى ذلك مبتدأ ومثلهم خبره وفى التوراة حال من مثلهم والعامل فيها معنى الاشارة اى ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين التوراة والانجيل فانهم وصفوا بذلك فيهما ثم ابتدأ فقال كزرع اى هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله فى التوراة ثم ابتدئ بان قيل ومثلهم فى الانجيل كزرع فهما مثلان اى وصفان عجيبان لهم كما ذكره المصنف بقوله او مبتدأ خبره كزرع فانه معطوف على قوله عطف عليه فان جعل معطوفا على مثلهم الاول يكون مثلا واحدا فى الكتابين ويكون قوله كزرع مثلا مستأنفا غير مافى الكتابين اى هم كزرع وان جعل ذلك اشارة الى الوصف المبهم لاالى الاوصاف المذكورة قبل يكون قوله كزرع تفسيرا لذلك المبهم لاتمثيلا مستأنفا ومن كون ذلك للاشارة الى المبهم المفسر قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴿قوله شطأه اى فراخه﴾ الفرخ فى الاصل ولد الطائر ويجمع فى القلة على افرخ وافراخ وفى الكثرة على فراخ كرجال يقال افرخ الطائر اذا صار ذا فرخ بان خرج فرخه من البيضة ويقال ايضا افرخ الامر اذا استبان بعد اشتباه ويقال افرخ الزرع وفرّخ اذا انشقق وخرج منه فروعه بعد مانبت اصله فان الزرع اوّل مانبت فهو نبت وماخرج بعده فهو شطؤه فاوّل مانبت بمنزلة الام وماتفرّع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه وعن الاخفش اخرج شطأه اى اطرافه ولعله اخذه من شاطئ الوادى بمعنى جانبه ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ كالنهر والنهر والجمهور على سكون الطاء ﴿قوله وقرئ شطاه﴾ كعصاه نقلت حركة الهمزة الى الطاء الساكنة قبلها ثم قلبت الفا على لغة من يقول المراة والكماة ﴿قوله من الموازرة﴾ فيكون آزر فاعل من الازر وهو القوّة ﴿قوله او من الازار﴾ اى ويحتمل ان يكون آزر على وزن افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يؤزر وفى الصحاح الازر القوّة وقوله تعالى اشدد به ازرى اى ظهرى وآزرت فلانا اى عاونته والعامة تقول وازرته انتهى والمنوى فى آزره ضمير الزرع اى اعان الزرع الشطئ وقوّاه بقرينة ان فاعل اخرج ضمير الزرع اى اعان الزرع الا ان الامام النسفى جعل المنوى فى آزر ضمير الشطئ حيث قال فآزره فقوّى الشطئ اصل الزرع بالكثافة والنماء وهو صريح فى ان الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع وقيل آزره بمعنى ساواه فيكون الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع اى ساوى الشطئ الزرع الذى هو بمنزلة الام له فصار الشطئ مثل امه وعلى قامتها ﴿قوله فصار من الدقة الى الغلظة﴾ يعنى ان السين فى استغلظ للتحوّل كما فى استحجر الطين والظاهر ان ضمير استغلظ للزرع اى غلظ ذلك الزرع واستقام على قصبه وقوله يعجب الزراع يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اى معجبا اى استوى هذا الزرع على سوقه حال كونه بحيث يعجب زراعه اى يسرهم بقوّته وطول قامته ﴿قوله وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة﴾ اى لاصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال تعالى فى حق الذين آمنوا معه هم كزرع قيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعنى انهم فى بدء الاسلام يكونون قليلين ثم يزدادون ويكثرون ﴿قوله علة لتشبيههم بالزرع﴾ الموصوف فى نمائهم وتقوّى بعضهم ببعض اى جعلوا كالزرع فى النماء والقوّة ليغيظ بهم الكفار وهو علة لقوله تعالى وعدالله الذين آمنوا ومتعلق به اى وعدهم ذلك ليجعل الكفار ومغتاظين بسببهم وكلمة من فى منهم لتبيين الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لاللتبعيض لان ضمير منهم للذين آمنوا معه والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بعضا منهم بل كلهم مؤمنون مطيعون فلا معنى للتبعيض * هذا آخر مايتعلق بسورة الفتح والحمد لله مولى النعم كلها وميسر الآمال لاهلها

(٩) كاستنارة الوجوه بالنهار من طول ماصلوا بالليل (نسخه)

(ذلك) اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراة) صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره (اخرج شطأه) اى فراخه يقال اشطأ الزرع اذا أفرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقوّاه من الموازرة وهى المعاونة او من الازار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجر فى آجر (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظة (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوّته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله (وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

(سورة)

سورة الحجرات وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قوله او ترك عطف على قوله فحذف يعنى ان الجمهور قرأوا لاتقدّموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد
الدال المكسورة وفيها وجهان احدهما انه متعدّ وقصد تعلقه بمفعوله ومع ذلك حذف للتعميم اى ليذهب ذهن السامع
الى كل ما يمكن تقديمه من قول او فعل مثلا اذا جرت مسئلة فى مجلسه عليه الصلاة والسلام لايسبقونه بالجواب واذا
حضر الطعام لايبتدئون بالاكل واذا ذهبوا معه عليه السلام الى موضع لايمشون امامه الا لمصلحة دعت اليه ونحو ذلك
مما يمكن فيه التقديم وثانيهما انه وان كان متعديا فى الاصل الا انه نزل ههنا منزلة اللازم ولم يقصد تعلقه بمفعوله بل ترك
مفعوله رأسا فقوله تعالى لاتقدّموا بهذا المعنى لايكون فى معنى لاتتقدّموا بل هو نهى عن التقديم مع قطع النظر
عن ان المقدّم ماهو كما لايكون يعطى فى قولك فلان يعطى ويمنع بمعنى العطاء بل بمعنى الاعطاء مع قطع النظر عن تعلقه
بالمعطى اى يفعل فعل الاعطاء فكذا معنى الآية لاتفعلوا فعل التقديم رأسا وبالكلية **قوله او لاتقدّموا**
اى ويحتمل ان يكون التقديم لازما بمعنى التقدّم فانه يقال قدم بين يديه بمعنى تقدّم ومنه مقدّمة الجيش للجماعة
المتقدّمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدّم لان التقدّم بين يدى المرء خروج عن صفة المتابعة
واشعار بالاستقلال فى الامر فيكون التقدّم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان واشار المصنف الى هذا الاحتمال
بقوله او لاتتقدّموا وايده بقرآءة من قرأ لاتقدّموا بالفتحات الثلاث المتوالية وتشديد الدال اصله لاتتقدّموا فحذف
احدى التاءين كراهة اجتماع المثلين فى اوّل الكلمة وقرئ لاتقدموا بفتح التاء والدال وسكون القاف من قدم من سفره
يقدم قدوما من باب علم اى لاتقدموا الى امر من امور الدنيا قبل قدومه ولاتعجلوا عليه **قوله مستعار مما بين
الجهتين المسامتتين** اى الكائنتين فى سمت يدى الانسان يريد انه استعارة مبنية على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه
انه عبر عن الجهتين باليدين لكونهما على سمت اليدين فان جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة الشمال واقعة
على سمت اليد اليسرى فالتعبير باليدين من قبيل تسمية الشئ باسم مايدانيه ويحاذيه فاذا كان لفظ اليدين بمعنى
الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التى بينهما هى جهة الامام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست
امامه واذا قيل بين يدى الله امتنع ان يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه حال ماوقع من بعض الصحابة
من القطع فى امر من امور الدين قبل ان يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدّم فى المشى فى الطريق مثلا لوقاحته على
من يجب ان يتأخر عنه ويقفو اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها والمراد من الاستعارة تهجين
الحالة المشبهة فان الحالة المشبه بها لما كانت قبيحة مستهجنة فى العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كانت
ماشبه بها مستهجنة ايضا وهذا التهجين هو النكتة فى الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به
ويأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين بالنبى المرسل عليه الصلاة والسلام قال مجاهد والحسن
نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة كأنه قيل لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه الصلاة والسلام
وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى فامرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الى ان تزول الشمس وعند الامام الشافعى
ايضا يجوز اذا مضى من الوقت مايسع الصلاة عن البرآء قال خطبنا النبى عليه الصلاة والسلام يوم النحر فقال ان
اوّل ما نبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما هو لحم
عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن الصوم يوم الشك اى لاتصوموا
قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك فاتى بلبن فناولتنى فقلت انى صائم قالت عائشة قد نهى
عن هذا وتلت هذه الآية فقالت هذه فى الصوم وغيره وقيل هى عامة فى كل قول وفعل وهو الظاهر ارشدهم
الله الى ان يتأدبوا باتباع الشارع فى كل ما عنّ لهم من قول وفعل وايجاب وسلب ثم نهاهم وزجرهم عما ارتكبه بعض
القاصرين من رفع اصواتهم وندآئهم اياه من ورآء الحجرات وتركهم التصبر الى ان يخرج اليهم لان من خصه الله
تعالى بالمنزلة الرفيعة والكرامة العالية يجب ان يتهيب منه ويخفض بين يديه الصوت ولايجترأ على مناداته عند
اختياره الاستراحة والجائه الى الخروج اليهم استحياء **قوله وذكر الله تعالى تعظيما له** حيث جعل ذكر اسمه
تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ليدل على قوّة اختصاصه عليه الصلاة والسلام به اذ ذكره
بطريق العطف عليه يدل عليها لامحالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع ان يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها الذين آمنوا لاتقدّموا) اى لاتقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا او لاتتقدّموا ومنه مقدّمة الجيش لتقدّمهم ويؤيده قرآءة يعقوب لاتقدّموا وقرئ لاتقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم او مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم (ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته

قوّة اختصاص الكرم به و يؤيد هذا القول ان الله ذكر فى هذه الآية وفيما بعدها ارشاد الامة و تعليمهم ما يجب عليهم من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم و تعظيمه و التهيب منه و الاحتراز عما ينافى ذلك كالقطع بالامر قبل ان يحكم به و رفع الصوت بحضره و ندائهم اياه من ورآء الحجرات ونحو ذلك وانه تعالى اكد النهى عن التقديم بقوله واتقوا الله فانه تصريح بان من قدّم بين يدى الرسول يستحق عقابه تعالى فلولا قوّة اختصاصه عليه السلام بحضرته تعالى لما كان الامر كذلك ﴿قوله ولا تبلغوا به الجهر الدآئر بينكم﴾ لما كان رفع الصوت والجهر مؤدّاهما واحدفتوهم ان النهى الثانى كالتكرير للاوّل اشار الى الفرق بينهما بان معنى النهى الاوّل انه عليه الصلاة والسلام اذا نطق و نطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم فوق الحدّ الذى يبلغه صوته عليه الصلاة و السلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عليه الصلاة والسلام غالبا على اصواتكم ومعنى الثانى اذا كلمتموه وهو عليه الصلاة و السلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر فى القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذى يضادّ الجهر وهذا الفرق خلاصة مافى الكشاف و المصنف فرّق بينهما بان مدلول النهى الاوّل حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة و السلام و مدلول الثانى حرمة الجهر باصواتهم مع كونها ليست بارفع من صوته عليه الصلاة والسلام وهذا المعنى لا يستفاد من النهى الاوّل فلا تكرير و الترجيب بالجيم المنقوطة التعظيم يقال رجبته بكسر الجيم اذا هبته فهو مرجوب اى معظم ومنه سمى رجب لانهم كانوا يعظمونه فى الجاهلية و لا يستحلون فيه القتال وانما قيل له رجب مضر لانهم كانوا اشدّ تعظيما له ﴿قوله وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار﴾ فان النداء تنبيه للمنادى و استدعاء منه ان يستبصر اى يتحوّل من الغفلة الى البصيرة حتى يقبل استماع الكلام وفهمه فيكون تكريره استدعاء لمزيد الاستبصار و مبالغة فى التنبيه و الايقاظ و اشعارا بان كل واحد من الكلامين مقصود على حدة لقصد اقبال المخاطب على استماعه فانه اذا كان مؤدّاهما واحدا كما فى قولك يا زيد لا تنطق بالباطل و لا تتكلم الا بالحق لا يحسن تخلل النداء بينهما كما يحسن عند اختلاف المطلوب منهما ﴿قوله فيكون علة للنهى﴾ اى على طريق التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا اصواتكم و لا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثانى عند البصريين وللاوّل عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم وكراهته فحذف المضاف ولام التعليل اذ النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية و الفرق بين الوجهين ان المعلل هو الاوّل و الفعل المنهى فى الثانى كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذى تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم و اللام فيه لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدّى الى الكفر المحبط جعل كأنه مثله فادخل عليه لام العلة تشبيها لمؤدّى الفعل بالعلة الغائية ﴿قوله وكان جهوريا﴾ اى جهير الصوت يقال جهور بالقول اى رفع صوته وجهر مثله وهو رجل جهورى الصوت اى جهير الصوت قيل ان ثابت بن قيس مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب و عليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم ان فلانا وهو رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية كذا من المعسكر و عنده فرس فى طوله و قد وضع على درعى برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يستردّ درعى و أت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و قل له ان علىّ دينا يقضى دينى و فلان من رقيقى حرّ فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه و الفرس على ما وصفه فاستردّ الدرع و اخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة و ابن عباس رضى الله عنهم لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخ السرار و قال ابن الزبير ما حدّث عمر النبى عليه الصلاة والسلام بعد نزول قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم حديثا الا استفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ﴿قوله جرّبها للتقوى﴾ يشعر بان الامتحان ههنا مستعمل فى اصل معناه وهو التجربة ومن المعلوم انه لا يجوز ارادة ذلك المعنى ههنا بل المراد امتحان القلوب بالتقوى وتمرينها عليها و جعلها صفة راسخة فيها بطريق اللزوم و ارادة اللازم فان امتحان الشئ للعمل يستلزم ان يتكرّر صدور ذلك العمل منه مرّة بعد اخرى و ذلك يستلزم تمرّنه اى اعتياده و استمراره عليه والتمرّن التعوّد على الاشياء بحيث يكون قويا فيها متعوّدا عليها فقوله تعالى امتحن الله قلوبهم معناه قوّى قلوبهم فيها ومرّنها عليها فى الصحاح مرن الشئ يمرن مرونا اذا لان ومرن على الشئ يمرن مرونا و مرانة تعوّده و استمرّ و مرنت يده على العمل اذا صلبت

(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولا تبلغوا به الجهر الدآئر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (ان تحبط اعمالكم) كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى او لان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدّى الى الكفر المحبط وذلك اذا ضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس رضى الله عنه كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله عليه السلام فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة (وانتم لا تشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون اصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد ذلك يسرّانه حتى يستفهمهما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جرّبها للتقوى ومرّنها عليها

والتمرين التليين الان المصنف فسره بقوله جرّبها للتقوى ولم يقل عوّدقلوبهم التقوى وقواهالها ومرّنها عليها للاشارة الى ان اللام فى قوله للتقوى صلة قوله امتحن باعتبار اصل معناه لالكون امتحن مستعملا فى اصل معناه واشار بعطف قوله ومرّنها عليها على قوله جرّبها بالتقوى الى كونه تفسيرا للمرادفة ﴿قوله اوعرفها﴾ اى ويحتمل ان يكون مجازا عن المعرفة على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب لان الامتحان سبب للمعرفة فعلى هذا الاحتمال تكون اللام صلة محذوف هو حال من مفعول امتحن اى امتحنها وعرفها كائنة للتقوى كما فى قوله انت لها احمد من بين البشر اى انت كائن لها ﴿قوله او حزب الله قلوبهم بانواع المحن﴾ فيكون الامتحان على اصل معناه وهو الاختبار بالمحن والشدآئد فتكون اللام حينئذ للتعليل والمعنى امتحنها بالشدآئد لاجل التقوى اى لاجل ظهورها ﴿قوله اواخلصها للتقوى﴾ اى جعلها خالصة بان ازال عنها الملكات الردية والعادات الدنية فيكون امتحن الله قلوبهم استعارة تمثيلية من امتحن الذهب بان شبه تنقية القلوب عما سوى التقوى وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب الابريز وتخليصه من الخبث باذابته بالنار فاطلق عليها اسم الامتحان ﴿قوله بجملة مؤلفة من معرفتين﴾ وهى قوله اولئك الذين فان اولئك مبتدأ والموصول بصلته خبره ومثل هذا التركيب يفيد الحصر كما فى زيد المنطلق ففيه تعريض بان حال الذين لم يغضوا اصواتهم على خلاف حال هؤلاء الغاضين فيكون المبتدأ الثانى اسم اشارة يفيد ان المشار اليه جدير بما ذكر بعده من الحكم لاجل اتصافه بما ذكر قبله من مضمون جملة الصلة وهو التأدب فى حضرة الرسول بغض الصوت وكون الصلة دالة على بلوغهم اقصى الكمال لان المقام مقام المدح والتعظيم كانه قيل هم الذين شرفهم الله بامتحان القلوب وتمرينها على التقوى وفيه مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له حيث جعل ذلك سببا لاختصاص المشار اليهم بما يرد بعد اولئك من كون التقوى صفة راسخة لقلوبهم اوكون قلوبهم خالصة للتقوى طاهرة عما ينافيها من الرذآئل ﴿قوله من خارجها خلفها او قدامها﴾ لان ورآء الحجرات عبارة عن الجهة التى يواريها شخص الحجرة بجثتها اى من اىّ ناحية ولابدّ ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان ما فى داخلها من الجهة لايوارى عمن فيها بجثة الحجرة ﴿قوله وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة﴾ وجه دلالة من الابتدآئية على ذلك ان الورآء المعنىّ المذكور مكان مبهم يتناول كل جزء من اجزآء المسافة التى كانت خارج الحجرة فاذا دخلت عليه من الابتدآئية كانت تلك الجهة المبهمة على ابهامها مبدأ الندآء والمبدأ لابدّ له من المنتهى ولابدّ ان يكون غير المكان الذى ابتدئ منه الندآء وذلك لايكون الا بان يكون المنتهى داخل الحجرة لان الندآء لما ابتدئ من الجهة المسماة بالورآء وقد تقرر انها خارج الحجرة وانها مبهمة صح ان يكون كل جزء من اجزآئها مبدأ الندآء فلو فرض ان يكون المنادى خارج الحجرة لكانت تلك الجهة منتهى الندآء ايضا وهو غير جائز لاستلزامه ان تكون تلك الجهة الواحدة مبدأ ومنتهى ولو قيل ينادونك ورآء الحجرات بدون كلمة من لما دل عليه اى على كون المنادى داخل الحجرة فانه انما استفيد من جعل خارج الحجرة مبدأ الندآء واذا خلا الكلام عن كلمة من لايكون فيه دلالة على الابتدآء والانتهاء ولا يفيد ما هو المقصود منه فان انكارانهم ينادونه من الخارج وهو فى الحجرة وانكار هذه الصورة بخصوصها موقوف على اشتمال الكلام على من الابتدآئية ﴿قوله اوبانهم تفرقوا الخ﴾ اى ويجوز ان يكون منهم من تولى لندآئه من ورآء كل حجرة منها ورضى الباقون به فصاروا كأنهم نادوه جميعا من ورآئها قرأ الجمهور الحجرات بضمتين وهى جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهى الموضع يحجره الانسان لنفسه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع والحظيرة قطعة محجورة من الارض تعمل للابل من شجر لتقيها الحرّ والبرد ﴿قوله ولو ثبت صبرهم﴾ لما كانت كلمة لو حرف شرط وجب ان يليها الفعل ظاهرا اومقدرا فلذلك جعل قوله صبروا فى محل الرفع على انه فاعل فعل مقدّر واوّله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرا راجعا الى هذا المفرد وجعل دلالة كلمة ان على الثبوت دليلا على تعين ثبت لكونه مقدرا من بين الافعال ثم اشار الى الفرق بين ان يقال حتى تخرج اليهم والى ان تخرج اليهم بان حتى انما تدل على ما هو غاية فى نفس الامر مع قطع النظر عن الجعل والاعتبار فانها عامة فى كل نهاية سوآء كانت جعلية فى نفس الامر فالمعنى حتى لايجوز ان يكون لها غاية غير مدخولها لان ما هو غاية فى نفس الامر لايكون متعددا بخلاف الغيا بالى لجواز تعدد ما ينبنى على الجعل ﴿قوله اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حى بنى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم

لذنوبهم (واجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبرثان لانّ او استئناف لبيان ما هو جزآء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من ورآء الحجرات) من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدآئية فان المناداة نشأت من جهة الورآء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لابدّ وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورآئها امابانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورآئها اوبانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك اوامروا به اولانه وجد فيما بينهم (اكثرهم لايعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم) اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولاتقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه

... لا ... (لكان خيرا لهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم

﴿ والله غفور رحيم ﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول ﴿ ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ فتعرّفوا وتفحصوا روى انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدارتدّوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لايعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ﴿ ان تصيبوا ﴾ كراهة اصابتكم ﴿ قوما بجهالة ﴾ جاهلين بحالهم ﴿ فتصبحوا ﴾ فتصيروا ﴿ على مافعلتم نادمين ﴾ مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دآئر مع اللزوم ﴿ واعلموا ان فيكم رسول الله ﴾ انّ بما فى حيزه سادّ مسدّ مفعولى اعلموا باعتبار ماقيد به من الحال وهو قوله ﴿ لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ﴾ فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببنى المصطلق

فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة فألفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما فى اهله فلما رأتهم الذرارى اكبوا على آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج عليه الصلاة والسلام اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمى شاهد فقال اترضون شابه بن ضرار فرضوا ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴿ قوله مصدقا ﴾ حال مقدرة من الوليد اى آخذ الصدقة وهى الزكاة فانه كما يطلق على من يصدقك فى حديثك يطلق ايضا على من يأخذ صدقات السوام وفى الصحاح المصدّق الذى يصدّقك فى حديثك والذى يأخذ صدقات الغنم والمتصدّق الذى يعطى الصدقة وقوله تعالى ان المصدقين والمصدّقات اصله المتصدّقين والمتصدّقات قلبت التاء صادا وادغمت والاحنة الحقد والبغض الكامن ﴿ قوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد ﴾ اى بعثه اليهم بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا مستخفيا هل ترى شعائر الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر منهم ذلك فاستعمل فيهم مايفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد واتاهم وقت المغرب فسمع اذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين اى باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله فاخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزلت ﴿ قوله وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم ﴾ اى فى الفاسق والانباء كأنه قيل ان جاء فاسق اىّ فاسق كان بنبأ اىّ نبأ كان فتوقفوا فيه ولاتعتمدوا قول الفاسق وان من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذى هو نوع منه اخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر ﴾ استدل الشافعى بهذا التعليق على ان خبر الواحد العدل شهادة مقبولة فانه تعالى لما علق الامر بالتوقف على كون المخبر فاسقا علم ان لاتوقف فى خبر العدل لان خبر العدل لو لم يكن مقبولا لمابقى لترتيب الحكم على فسق المخبر فائدة وهذا من باب التمسك بمفهوم المخالفة واستدل ايضا على ان شهادة الفاسق لاتقبل بناء على انه تعالى اوجب التبين والتوقف فيما اخبر به الى ان يتبين حقيقة الحال والحكم كذلك قبل اخباره فلم يفد اخباره شيأ ونحن نستدل به على قبول شهادته فانه تعالى امر بالتأنى فى قبول شهادته لا بردّها وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو التأنى والثبات ترك التسارع الى ان يتبين الحال ﴿ قوله كراهة اصابتكم ﴾ فان مثله مفعول له بتقدير المضاف عند البصريين وتقديره عند الكوفيين لئلا تصيبوا ﴿ قوله بجهالة ﴾ حال من الضمير فى ان تصيبوا او قوله وتصبحوا عطف على قوله ان تصيبوا ومعناه فتصيروا فان اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها انه بمعنى دخول الانسان فى الصباح والثانى بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يراد به كونه فى وقت الصباح على حالة هى خير مما كان قبله والثالث انه بمعنى صار تقول اصبح زيد غنيا اى صار غنيا من غير ارادة وقت وهذا المعنى هو المراد منه فى هذه الآية وكذلك امسى واضحى وفى هذه الآية دلالة على ان الجاهل لابدّ ان يصير نادما على مافعله بعد زمان فعله وهو دآئم الندم على ماوقع منه مع تمنى انه لم يقع وتركيب حروفه لايعرى عن افادة معنى الدوام يقال ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اى اقام به ومنه المدينة ولزومه قديكون لعدم غيبته غيبة موجبة لبعده عن الخاطر وقديكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب ﴿ قوله من احد ضميرى فيكم ﴾ الاوّل مرفوع مستتر فيه او مستقرّ والثانى مجرور بارز وتقدير الكلام على ان يكون حالا من الضمير المرفوع انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم على حالة يجب تغييرها وهى انكم تريدون منه ان يطيعكم ويتبع رأيكم ويفعل ماتستصوبونه وتقديره على ان يكون حالا من الضمير المجرور انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم وانتم على حالة يجب عليكم ان تغيروها وهى ماذكر ويجب تغيير تلك الحال التى انتم عليها او هو عليه الصلاة والسلام عليها لانه عليه الصلاة والسلام لو فعل ما اردتم منه لعنتم اى لوقعتم فى شدة وهلاك او اثم ﴿ قوله ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة ﴾ اى لو لم يعتبر تقييد قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله بما بعده لم يكن لذكره معطوفا على قوله فتبينوا فائدة فان الجملة الشرطية التى عطف عليها قوله واعلموا مسوقة لتقريع من تسارع الى قبول قول الوليد حيث اشار عليه عليه الصلاة والسلام بان يوقع ببنى المصطلق

فلابدّ ان يكون للجملة التي عطف عليها مدخل في التقريع و ذلك انما يكون بان يكون مابعدها حالا من احد الضميرين فانه لوكانت جملة مستأنفة ولم تكن قيدا لما قبلها لم يكن لما قبلها فائدة فلا يكون لها حينئذ مدخل في افادة التقريع لانا لانسلم انه على تقدير ان يكون قوله لو يطيعكم الخ كلاما مستأنفا لايكون للامر فائدة لجواز ان يكون توبيخالهم بتنزيلهم منزلة من لايعلم انه عليه الصلاة و السلام بين اظهرهم او منزلة من لايعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قصر في تعظيمه و اراد ان يستتبع رأيه الصائب لآرآئه الفاسدة و طاعته عليه الصلاة و السلام له فيما استصوبه من تصديق الوليد و الايقاع ببني المصطلق ويكون قوله تعالى لو يطيعكم استئنافا لبيان فساد ماارادوه من طاعته عليه الصلاة و السلام ﴿قوله استدراك ببيان عذرهم﴾ اى عذر من اعتمد على كلام الفاسق و اشار الى الايقاع ببني المصطلق و هذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله تعالى و لكن الله حبب اليكم الايمان هم المخاطبون بقوله لو يطيعكم و معنى الاستدراك دفع توهم ان يكون الحامل على تصديقهم الوليد والاقدام على الايقاع ببني المصطلق هو محبة الظلم و الفساد في الارض بغير حق ببيان انه انما نشأ من محبة الايمان و كراهة الكفر ﴿قوله او بصفة من لم يفعل ذلك منهم﴾ عطف على عذرهم اى او هو استدراك ببيان صفته و هذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله لو يطيعكم من اعتمد على نبأ الفاسق و مال الى العمل بمقتضاه و يكون المخاطبون بقوله حبب اليكم الايمان الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ماسمعوه من الاخبار فسيق الكلام الثاني مدحا لهم في مقابلة من ذمهم باضطرابهم بكل ماسمعوه فكما ان الاولين مدحوا بما فعلوه مدح المتبصرون بما فعلوا ايضا و تحبيب الايمان فعل الله تعالى و الشخص لايحمد بما لايفعله من فعل غيره فينبغي ان يراد به ماهو فعلهم و هو ايثارهم الايمان و الطاعة على الكفر و العصيان ليصلح باعثا لان يثني عليهم بذلك كأنه قيل و لكن حالكم يخالف حالهم فلذلك وقاكم الله تعالى من الوقوع في العنت و على التقديرين صح الاستدراك بلكن فان الجملتين اذا عطف احداهما على الاخرى بلكن يجب ان يكون بينهما مغايرة بالنفي و الاثبات و ههنا و ان لم يتغايرا لفظا قدر تغايرهما معنى يقال بغض الرجل بضم الغين اى صار بغيضا و بغضه الله الى الناس تبغيضا فابغضوه اى مقتوه فهو مبغض و بغيض * فان قيل لم اختير لفظ المضارع على الماضي في قوله تعالى لو يطيعكم مع ان لو للماضي سوآء دخلت على الماضي او المستقبل كما ان ان للمستقبل على ايهما دخلت * اجيب بانه لم يقل لو اطاعكم للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله عليه الصلاة و السلام على مايستصوبونه و انه كلما عنّ لهم رأى في امر كان معوّلا عليه كما يقال فلان يقري الضيف و يحمي الحريم و يراد انه ديدن له و مستمرّ عليه فكلمة لو هنا تفيد امتناع الاستمرار لان وقوعهم في الهلاك او الاثم انما يلزم من استمراره عليه الصلاة والسلام على اطاعتهم فيما يعنّ لهم و يستصوبونه لان فيه انقلاب الرئيس مرؤسا لاسيما اذا كان الرئيس في منصب لايليق به ان يقطع الامر و يحكم الا اتباعا لما نزل من الوحي النازل و استمراره على اتباع رأى اهل الضلالة و ايثار طريق الضلال على طريق الهدى فلاجرم انه يكون مؤدّاه الهلاك و اما طاعته اياهم في بعض مايرونه فقد رخص الله تعالى في ذلك بل امره به استمالة لقلوبهم و تعليما لهم طريق الاجتهاد فلذلك قال في كثير من الامر و جعل الممتنع طاعته لهم في الكثير او في الكل ﴿قوله و الكفر تغطية نعمة الله بالجحود﴾ و هو الانكار مع العلم و اجل نعمه تعالى مايتوصل به الى الايمان و الطاعة و الثواب المؤبد كدلائل الوحدانية و العقل و التمييز و القوى و الاعضاء السليمة و سائر الاسباب المعينة للطاعة و الكافر على الاطلاق من اهمل مايتوصل به الى الايمان بالوحدانية و النبوّة و الكافر لسائر النعم من ترك شكرها و لم يصرفها الى ماخلق له و القصد العدل و هو ضدّ الجور و اصل الجور ان يظلم المرء نفسه بان يتعدّى حدود الله و من يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه فلذلك فسر الفسوق بالخروج عن القصد اى عن العدل و العصيان بمعنى الامتناع عن الانقياد شامل لجميع الذنوب و الفسوق مختص بالكبائر ﴿قوله لا للراشدين﴾ لانعدام شرط انتصاب المفعول له و هو ان يتحد الفاعل للعلة و المعلول لان الرشد فعل القوم و الفضل و الانعام فعل الله تعالى * و لما ورد ان يقال الرشد و ان كان صفة قائمة بالقوم الا انه مسبب عن فعله تعالى و هو التحبيب و التكريه فانه تعالى لو لم يحبب الايمان و يكرّه اليهم الكفر و العصيان لما رشدوا فصار الرشد بهذا الاعتبار كأنه فعل الله تعالى كالفضل و الانعام فجاز كونه تعليلا للراشدين لتحقق شرط انتصاب المفعول له فيه * اشار الى جوابه بقوله و الرشد و ان كان مسببا عن فعله تعالى الخ و تقريره ان المراد بالفاعل من قام به الفعل و اسند هو اليه لا من اوجده و من المعلوم ان الرشد قائم بالقوم و الفضل و الانعام قائمان به تعالى ﴿قوله او مصدر﴾ عطف على قوله

و قوله (ولكنّ الله حبب اليكم الايمان و زينه في قلوبكم و كرّه اليكم الكفر و الفسوق و العصيان) استدراك ببيان عذرهم و هو أنهم من فرط حبهم للايمان و كراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم و تعريضا لذم من فعل و يؤيده قوله (اولئك هم الراشدون) اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوىّ و كرّه متعدّ بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدّد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر و الكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود و الفسوق الخروج عن القصد و العصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله و نعمة) تعليل لكرّه او حبب و مابينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله و الرشد و ان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب و الرشد فضل من الله و انعام (و الله عليم) باحوال المؤمنين و ما بينهم من التفاضل (حكيم) حين يفضل و ينعم بالتوفيق عليهم

تعليل و شرط المفعول المطلق ان يتحد مع ناصبه فى المعنى و الفضل متحد من حيث المعنى مع التحبيب و التكريه فجاز كونه مفعولا مطلقا لكل واحد منهما من حيث ان كل واحد منهما افضل و انعام ﴿قوله و الجمع باعتبار المعنى﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال اقتتلتا على لفظ تثنية الغائبة لكون الفعل مسندا الى ضمير الطائفتين فلم قيل اقتتلوا على لفظ جمع المذكر الغائب * وتقرير الجواب ان كل طائفة جمع فيكون الطائفتان جماعتين الا انهما يكونان حال الاقتتال فى حكم جماعة واحدة لان نسبة التقاتل تجمعهما و يمتنع امتياز كل واحدة منهما عن الاخرى فصارتا فى معنى القوم و الناس فناسب بذلك ان يجمع الفعل المسند اليهما فلذلك قيل اقتتلوا وثنى ضمير بينهما مع كونه عبارة عما عبر عنه بضمير اقتتلوا لان كل واحدة من الطائفتين منفردة عن الاخرى حال الصلح و يظهر تثنيتهما فلذلك ثنى ضميرهما عند تعلق الصلح بهما و وجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما حذر المؤمنين عن اتباع النبأ الصادر من الفاسق بنى الحكم على تقدير ان يتفق ذلك و يلزم منه اقتتال طائفتين من المؤمنين كأنه قيل اذا وقع بينكم تنازع بناء على قول الفاسق و ادى الى التقاتل فعلى الامام ومن يقوم مقامه من الحكام ان يصلح بينهما بالصلح و الدعاء الى حكم الشرع و العمل بمقتضى اخوة الاسلام و بان يذكرهما قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى فان قبلا نصحه و رجعا عن الخلاف الى الوفاق فبها و الا فعليه ان يمنع الباغى منهما عن ذلك باى طريق امكن فان لم يمتنع و اصر على بغيه و اقدم على القتال فعلى الامام ان يقاتله الى ان يرجع الى حكم الشرع و اتباع الحق فقال تعالى و ان طائفتان من المؤمنين و لم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ تقبيحا لفعلهم لان الايمان من حقه ان يمنع مثل هذا العدوان و يقضى بالعدل و الاحسان وطائفتان مرفوع على انه فاعل فعل محذوف وجوبا لكونه مفسرا بفعل مذكور بعده وهو قوله اقتتلوا فلو ذكر الفعل الرافع لزم اجتماع المفسر و المفسر و هو غير جائز و نظيره قوله تعالى و ان احد من المشركين استجارك و انما قلنا انه فاعل فعل محذوف و لم نقل انه مبتدأ و ما بعده خبره لان كلمة ان حرف شرط فيجب ان تدخل على الفعل لفظا او تقديرا ﴿قوله الى حكمه او ما امر به﴾ يعنى ان الامر مصدر امر اى حكم فاما ان يكون على اصل معناه او يكون بمعنى المأمور به و هو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم و الباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة و منعة و امتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل و نصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم و يدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم و ان لم يذكروا مظلمة و اصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يتوبوا عن بغيهم و يجيبوا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم و لا يقتل اسيرهم و لا يجهز على جريحهم و لا يقسم فيئهم و اجهاز المجروح اتمام القتل عليه و المسارعة الى قتله قبل ان يموت بسبب ما فيه من الجراحة و يعدى بعلى و ما اتلفته احدى الطائفتين على الاخرى قبل ان يجتمعوا و يتجندوا او حين تفرقوا و فرغوا من المقاتلة فهو مضمون على من اتلفه بالاتفاق و ما اتلف حال القتال اى بعد التجند و قبل التفرق فان كانت الطائفة الباغية قليلة العدد بحيث لا منعة لها و لا قوة ضمنوا ما اتلفوه بعد ان فاؤا بالاتفاق ايضا و ان كانت كثيرة ذات منعة و شوكة ثم سكنت الحرب بينهم فلا يجب عليهم ضمان ما اتلفوه حال القتال الا عند الامام محمد بن الحسن فانه يوجب الضمان مطلقا و تفسير الآية بظاهره يؤيد مذهبه فان قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل يدل على لزوم الضمان مطلقا اذا فاءت الطائفة الباغية عن البغى قليلة كانت او كثيرة فان المراد بالاصلاح الواقع بعد فيء اهل البغى و ارتفاع المقاتلة ان يحكم الحاكم حكما ملتبسا بالعدل فيما وجب على كل واحدة من الطائفتين من ضمان ما اتلفوه حال المقاتلة حتى لا يؤدى ذلك الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى و من لا يوجب عليهم الضمان يحمل الآية على كون الفائية قليلة العدد و الاصلاح المذكور فى الآية على معنى اصلاح ذات البين اى الحالة الواقعة بينهما من العداوة و ما تؤدى هى اليه من المحاربة الى ان تصالحا و توافقا و رجعا الى ما تقتضيه الاخوة الاسلامية ﴿قوله بعد نسخ الشمس﴾ اى ازالتها اياه يقال نسخت الشمس الظل اى ازالته فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازدادت نسخا و زوالا و ذلك الى ان توازى الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه و اخذت فى الانحطاط اخذ الظل فى الرجوع و الظهور فلما كان الزوال سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال ﴿قوله و الغنيمة﴾ عطف على الظل و اطلاق الفيء على كل واحد منهما من قبيل التوصيف بالمصدر كما فى رجل عدل ﴿قوله لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة﴾ اى من حيث ان الشرطية

(القائلة)

﴿ و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ تقاتلوا و الجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالنصح و الدعاء الى حكم الله ﴿ فان بغت احداهما على الاخرى ﴾ تعدت عليها ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله ﴾ ترجع الى حكمه او ما امر به و انما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس و الغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين ﴿ فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ بفصل ما بينهما على ما حكم الله و تقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة

القاتلة فان فاءت فاصلحوا معطوفة على الشرطية القائلة فان بغت احداهما على الاخرى فقـاتلوا بفاء التعقيب
ا ان هذه الشرطية معطوفة على الشرطية الاولى وهى قوله تعالى وان طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فيكون
ضمون الشرطية الاخيرة واقعا بعد مقاتلة الحكام معهم كما ان مضمون الثانية واقع بعد اقتتال الطائفتين فالحكام
مأمورون اوّلا باصلاح مابين الطائفتين معا وقتالهم من بغت على الاخرى على تقدير عدم الفيء ومأمورون
ثانيا باصلاح مابينهما على تقدير ان تفيء من بغت على الاخرى الى امر الله تعـالى وترك المقاتلة مع خصمها
فلذلك قيل بالعدل وهو دون الاوّل ﴿قوله واعدلوا فى كل الامور﴾ اشارة الى فائدة قوله واقسطوا
بعد قوله فاصلحوا بينهما بالعدل والحال ان القسط بالكسر العدل وهمزة اقسط للصيرورة والقسط بالفتح الجور
وهمزته للسلب يقال اذا كان القسط زال القسط فقوله تعالى واقسطوا على كل واحد من التقديرين امر بالعدل وقد امر به
بقوله فاصلحوا بينهما فيكون تكرارا * وتقرير الجواب ان المأمور به اوّلا هو عدل فى الاصلاح الواقع بعد
المقاتلة والمأمور به ثانيا هو العدل فى الامور كلها والثانى ارفع درجة من الاوّل بكثير والسعف جمع سعفة وهى
اغصان النخل اذا يبست روى انه عليه الصلاة والسلام مرّ يوما على ملأ من الانصار فيهم عبدالله بن ابىّ المنافق
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فوقف عليهم يعظهم فبال حماره فامسك عبدالله بن ابىّ انفه وقال نح عنا
نتن حمارك فقد أذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبدالله بن رواحة فقال الحمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم الاطيب رائحة منك فمرّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وطال الكلام بين عبدالله بن ابىّ المنافق الخزرجىّ وبين عبدالله بن رواحة الاوسىّ حتى استبا وتجالدا وجاء
قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصىّ وقيل بالنعال والايدى وقيل بالسعف ايضا فنزل قوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه عليهم واصلح بينهم * فان قيل
عبدالله بن ابىّ كان منافقا والآية فى طائفتين من المؤمنين * قلنا احدى الطائفتين هما اصحاب عبدالله بن ابىّ وعشيرته
ولم يكن كلهم منافقين والآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمـان سـواء كان مؤمنا حقيقة
او ادّعاء وروى فى سبب نزول هذه الآية روايات اخر ويحتمل ان تكون كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب
جميعها ﴿قوله كما جاء فى الحديث﴾ وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى حق اهل البغى * ولا يطلب هاربها * فانه
روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * يا ابن ام عبدالله هل تدرى ماحكم
الله تعالى فيمن بغى من هذه الامة * قال الله ورسوله اعلم قال * لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها
ولا يقسم فيئها * ﴿قوله من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية﴾ كما ان
الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية وقوله الموجب للحياة الابدية اشارة
الى ان اخوّة الاسلام اقوى من اخوّة النسب بحيث لا يعتبر اخوّة النسب اذا خلت عن اخوّة الاسلام الا ترى انه
اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات الاخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد
لا يفيد الاخوّة وانما المعتبر الاصل الشرعى الا ترى ان ولدى الزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد
من الايمان وانما الحصر فكأنه لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر ﴿قوله وقرئ بين اخوتكم﴾
من اخوة جمع اخ وكذلك الاخوان قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من
الصداقة ويقع احدهما موقع الآخر ﴿قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ وجه اتصاله
بما قبله ان هذه السورة الكريمة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهى اما مع الله تعالى او مع رسوله او مع
غيرهما من ابناء جنسهم وهم على صنفين اما من اهل الايمان والطاعة او من اهل الفسق والمعصية والمؤمن المطيع
اما حاضر عندهم او غائب عنهم فهذه خمسة اقسام احدها متعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب رسوله وثالثها
بجانب الفساق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى فى هذه السورة خمس مراتب
قوله يا أيها الذين آمنوا وارشـدهم فى كل مرّة الى مكرمة هى قسم من الاقسـام الخمسـة فقال اوّلا يا ايها الذين
آمنوا لا تقدّموا بين يدى الله ورسوله وذكر الرسول لبيان ان طاعته طاعة الله تعالى لانها لا تعلم الا بقول الرسول وقال ثانيا
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبىّ لبيان احترامه عليه الصلاة والسلام وقال ثالثا يا ايها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على قول الفاسق بناء على انهم يريدون القاء الفتنة

(وأقسطوا) واعدلوا فى كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرّره مرتبا عليه بالفاء فقال (فأصلحوا بين اخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمـال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكنّ خيرا منهنّ) اى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

بينكم وقال رابعا ياايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم وقال ولاتنابزوا بالالقاب لبيان وجوب ترك ايذآء المؤمنين في حضورهم بالتحقير والتنقيص وقال خامسا ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن في حال غيبته بذكر مالوذكر في حضوره لتأذى به وهو ترتيب حسن حيث قدم الاهم على ماهو دونه فذكر جانب الله تعالى ثم جانب رسوله ثم ذكر مايفضي الى افتتان طوآئف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه واما المؤمن الحاضر او الغائب فانه لايؤذى المؤمن الى حدّ يفضي الى حدّ التقاتل وهيجان الفتنة وذكر في هذه الآية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعدّه ممن لايلتفت اليه واللمز ان يذكره في غيبته بما فيه من العيب وهذا دون الاوّل لان الساخر لايلتفت الى المسخور منه ولايعدّه شيأ ولايرضى ان يجريه على لسانه فضلا عن ان ينسب اليه شيأ من المعايب بل ينزله منزلة المسخرة الساقطة عن درجة الاعتبار بالكلية بخلاف اللامز فانه يلتفت الى من يلمزه ويجعل فيه شيأ فيعيبه به والنبز ان يدعو الانسان احدا باللقب السوء وهو دون الثاني لان النبز مجرّد التسمية لايقتضي وجود معناه اللغوي في المسمى كالاسماء الحسنة مثل سعيد ومحمود والالقاب المادحة مثل محيي الدين وشمس الدين بخلاف اللمز فان اللامز يضيف الى من يلمزه وصفا ثابتا فيه يوجب نقصه وحط منزلته وليس نسبة مجرّدة كأنه قيل لاتتكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لاتلتفتون اليهم اصلا وان عن هذا فلاتعيبوهم طالبين درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضيفوا اليهم مايسوءهم فلا تسموهم بمايكرهونه **قوله** لانه امامصدر نعت به المشهور في مصدر قام لفظ القيام يقال قام الرجل قياما وان القوم اسم جمع لاواحد له من لفظه مثل رهط ونفر الا انه يحتمل ان يكون ايضا مصدرا في الاصل بدليل قولهم قومة للمرّة من القيام وبدليل قول من قال اذا اكلت طعاما احببت نوما وكرهت قوما اى قياما فينبغي ان يجوز رجل قوم ورجلان قوم الا انه غلب في ان يوصف به الجمع وحينئذ يكون اطلاقه على جماعة الرجال من قبيل توصيفهم بالمصدر مبالغة مثل رجال عدل فان المصدر لكونه اسم جنس يصح اطلاقه على الكثير من آحاده ثم توصف الجماعة الموصوفة بذلك الجنس بالمصدر الذي اطلق على الكثير من آحاده ويحتمل ان يكون جمعا لقائم مثل ركب وصحب وزور في مثل راكب وصاحب وزآئر واختار الجوهري كونه اسم جمع حيث قال الرجال دون النساء لاواحد له من لفظه لان اهل العربية لم يجعلوا فعلا من ابنية التكسير الا الاخفش فالقوم سوآء كان مصدرا نعت به الجمع او كان جمع قائم يكون معناه في الآية لايسخر جمع قائمون ويكون الجمع القائمون مختصا بالرجال لان القيام بالامور وظيفة الرجال **قوله** وحيث فسر بالقبيلين جواب عما يقال كيف يختص القوم بالرجال مع انه مفسر بمايعم الرجال والنساء في نحو قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون لان قوم كل واحد من الانبياء والملوك يعم الرجال والنساء والآية صريح في اختصاصه بالرجال حيث عطف عليه قوله ولانساء وكذا قول زهير

❁ ومادرى وسوف اخال ادرى ❁ اقوم آل حصن ام نساء ❁

حيث قابل القوم بالنساء * وتقرير الجواب انا لانسلم ان القوم في مثله يعم القبيلين بل لايتناول الا الرجال واكتفى بذكرهم عن ذكر النساء ولوسلم انه يعم القبيلين فتناوله اليهما على سبيل التغليب لابحسب المفهوم **قوله** واختيار الجمع جواب عما يقال المنهى عنه في الآية هو ان يسخر جماعة من احد القبيلين من جماعة اخرى من ذلك القبيل لان القوم اسم جمع لرجل والنساء اسم جمع لامرأة فيلزم ان لايحرم سخرية واحد واحد والا لم يكن لاختيار اسم الجمع في كل واحد من القبيلين فائدة * وتقرير الجواب ان اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد بل لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ماوجب عليهم من النهي والانكار فيكونون شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه في المجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه الصلاة والسلام ليسمع مايقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه الصلاة والسلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم وضن كل رجل بمجلسه فلايكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لايجد مجلسا ويقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا

والقوم مختص بالرجال لانه امامصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزآئر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوّامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهنّ لانهنّ توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع

يجعلوا يتفسحون له حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اماًله كان يعيرها في الجاهلية فخجل الرسول صلى عليه وسلم ونكس رأسه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في استهزآء المشركين بفقرآء المسلمين وسخريتهم منهم فنهى الله المؤمنين ان يتخلقوا به تأديبا لهم روى ان قوله تعالى ولا نساء من نساء نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وقيل انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين ﴿قوله وقرئ عسوا﴾ اسمه الواو وان مع الفعل خبره فان المتأخرين على ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر مثل كان وان مع الفعل المضارع بعد اسمه في مثل عسى زيد ان يخرج في محل النصب على انه خبر عسى استدلالا بقوله عسى الغوير أبؤسا * وقوله لاتلحني اني عسيت صائما * اى لاتلمني يقال لحيت الرجل الحاه لحيا اي لمته ونقل من سيبويه منع كون ان يفعل خبره بناء على ان الحدث لايكون خبرا عن الجثة وان قوله ابؤسا وصائما مبنى على اجرآء عسى مجرى كان لتضمنه معنى كان واعتذر من جعله خبرا عن لزوم كون الحدث خبرا من الجثة بتقدير المضاف اما في الاسم نحو عسى حال زيد ان يخرج او في الخبر نحو عسى زيد صاحب ان يخرج وقال الكوفيون ان مع الفعل في مثله في محل الرفع على انه بدل مما قبله بدل الاشتمال لان عسى بمعنى ترجى وتوقع فمعنى عسى زيد ان يقوم ترجى زيد قيامه وانما غلب فيه بدل الاشتمال لان فيه اجمالا وتفصيلا كما تقرر ذلك في بحث البدل وفي ابهام الشئ ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشئ في النفس واذا قلت عسى ان يخرج زيد يكون ان يخرج فاعل عسى وزيد فاعل يخرج فاكتفى باسمه عن خبره لاغناء الاسم عنه ومنه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وهي لغة اهل الحجاز وعسى زيد ان يخرج لغة تميم وقرآءة العامة على لغة اهل الحجاز وقرآءة عسوا وعسين على لغة تميم ﴿قوله فان المؤمنين كنفس واحدة﴾ علة لجعل الملموز نفس اللامز فان المؤمنين اذا كانوا كنفس واحدة وكانت الافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس يكون مايصيب واحدا منهم كأنه يصيب الجميع كما اذا اشتكى عضو واحد من شخص اعترى سائر الاعضاء الحمى والسهر فاذا عاب مؤمن مؤمنا فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم ﴿قوله فمن فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه﴾ باعتبار كونه سببا للمز غيره اياه فقوله تعالى ولاتلمزوا انفسكم من قبيل الاسناد المجازى لان الاسناد بمعنى التعلق مطلقا وقرأ يعقوب ولاتلمزوا بضم الميم والنبز بفتح الباء اللقب مطلقا اى حسنا كان او قبيحا وخص في العرف بالقبيح وبسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه ويقال تنابزوا بالالقاب اذا لقب بعضهم بعضا والتلقيب ان يدعى الانسان بغير ماسمى به مما يكره المدعو ان يدعى به وهذا التخصيص عرفي ﴿قوله اى بئس الذكر المرتفع﴾ اى ليس المراد بالاسم مايقابل الفعل والحرف بل المراد به مايذكر به الشخص ويسمى مطلقا والمخصوص بالذم الفسوق وهو التنابز المنهى عنه ولما كان لفظ الاسم مأخوذا من سما يسمو سموّا بمعنى ارتفع ارتفاعا كان متضمنا لمعنى الارتقاء والاشتهار فان كان المراد تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين وتلقيبهم بهما يكون المعنى ما اقبح ذكركم اخوانكم من المؤمنين بفسق كان فيهم بعدما تابوا عنه وآمنوا بان تقولوا لهم يايهودي يانصراني اذهم كانوا يتنابزون بنحو ذلك كما قيل لام المؤمنين صفية فعلى هذا تكون جملة فعل الذم متعلقة بقوله ولاتنابزوا علة للنهى عنه ويؤيد هذا المعنى ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وان كان المراد به الدلالة على ان ارتكاب مانهى عنه من السخرية واللمز والنبز فسق وان الجمع بين ارتكاب ذلك وبين الايمان قبيح يكون المعنى بئس الذكر المرتفع ان يرتفع ذكركم بالفسق بسبب ارتكابكم لشئ مما نهيتم عنه من السخرية واللمز والنبز بعد ان ذكرتم بالايمان واشتهرتم به وتكون الجملة حينئذ متعلقة بجميع ماتقدم من قوله لايسخر قوم من قوم ولاتلمزوا ولاتنابزوا علة للنهى عن جميع ذلك ويكون تخصيص التنابز بالذكر في قوله او الدلالة على ان التنابز فسق لقربه ولقصد الاختصار مع عدم الالتباس في المراد من حيث ان التنابز انما يكون فسقا من حيث ارتكابه لما نهى عنه وهذه العلة متحققة في السخرية واللمز ايضا فيكون الجميع فسقا ﴿قوله وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن﴾ وتوضيح المقام ان كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان انه كثير في نفسه ولابد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرّف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى مايعرفه المخاطب بانه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور

وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولاخبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكنّ فهي على هذا ذات خبر (ولاتلمزوا انفسكم) اى ولايعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لاتفعلوا ماتلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولاتنابزوا بالالقاب) ولايدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن مايجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله ومايحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومايباح كالظن في الامور المعاشية

باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثير من غير تعيينه اىّ بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهو ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن مّا حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ويجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ماقل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس او الاستغراق لا يؤدّى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب من غيره وهو الظن القليل سوآء كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما اذا نكر الظن الموصوف بالكثرة فانه حرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدّى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اىّ نوع من انواعه ﴿قوله تعليل مستأنف للامر﴾ فان تنوين كثيرا لما كان بمنزلة تنوين ظنا لكونه بيانا للظنّ وعبارة عنه كانت آية الامر بمنزلة ان يقال اجتنبوا بعض الظن وهو كثير فعلل الامر بالاجتناب عنه بقوله ان بعض الظن اثم وهو ان يظن السوء بمن لا يعلم منه فسق قيل نزلت الآية فى رجلين اغتابا سلمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويقدم لهما المنزل ويهيئ لهما طعامهما وشرابهما وضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدّم سلمان الفارسى الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ شيأ فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له عليه الصلاة والسلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان لديه فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال عليه الصلاة والسلام ظللتم تأكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قال سفيان الثورى ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به والمراد بقوله تعالى ان بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا فى زمان الظن حرام فيه وانت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت ﴿قوله والهمزة فيه بدل من الواو﴾ قيل عليه كيف يكون الاثم من الوثم مع ان كل واحد منهما من باب على حدة فان وثم يثم من باب ضرب واثم يأثم من باب علم *الجوهرى الاثم الذنب والوثم الدق والكسر يقال وثم يثم وثما ضرب يضرب ضربا ﴿قوله تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب﴾ فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث فيه معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسسها يريد معنى التكلف فان تفعل من الجس وهو المس باليد ليعرف حال الشئ كالتلمس فى انه يحدث فيه معنى التكلف والطلب مرّة بعد اخرى والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيى منه من العثرات والعيوب والجمع عورات بالتسكين ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون الحس غاية الجس يقال للحس جس تسمية للشئ باسم مبداه فيقال للحواس جواس ﴿قوله تتبع الله عورته﴾ من باب المشاكلة اى جازاه على عثراته كقوله كما تدين تدان فان الدين الجزآء والمعنى تجازى كما تفعل ﴿قوله تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب﴾ المغتاب الاوّل اسم فاعل والثانى اسم مفعول والتقدير مختلف كلفظ المختار فاعلا ومفعولا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الاخ ميتا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك ان الهيئة المشبه بها افحش جنس التناول وافحشه فيكون التمثيل لتصوير الاغتياب باقبح الصور مع مبالغات فى تقبيحه احداها الاستفهام المقرّر اى الحامل للمخاطبين على ان يقرّوا بان احدا منا لا يحب ذلك الاكل الذى هو عبارة عن تناول عرض المغتاب فان الاستفهام التقريرى انما يحسن اذا كان الحكم مسلما عند كل احد فيكون مبالغة فى تقبيح الاكل وكذا اسناد الفعل الى أحد المتناول لكل احد يحملهم على ان يقرّوا بان احدا من الآحاد لا يحب اكله ففيه ايضا مبالغة فى تقبيح تناول العرض وكذا تعدية فعل المحبة الى ما هو فى غاية الكراهة وكذا ما ذكر بعده ﴿قوله تعالى ميتا﴾ منصوب على انه حال من المفعول وهو اللحم واللحم المنفصل عن الحى يوصف بانه ميت لقوله عليه الصلاة والسلام * ما ابين من حى فهو ميت * ويحتمل

(ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال اى يكسرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل منه عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرّر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك

(ان يكون)

ان يكون حالا من الاخ على رأى من يجوّز انتصاب الحال من المضاف اليه وفى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فدفعه بان اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا يؤلم ومع هذا هو فى غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة ﴿قوله والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا﴾ يعنى ان قوله فكرهتموه اما جواب شرط محذوف والمعنى انه ان صح وتقرّر انه يتعين لكم الاقرار بان احدا منكم لا يحب اكل جيفة اخيه فقد تحققت كراهتكم له وتقذركم منه والمقصود من تحقق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه وهو الغيبة كأنه قيل اذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذى هو الاغتياب او هو معطوف على محذوف قبله تقديره عرض عليكم هذا فكرهتموه اى يعرض عليكم هذا فتكرهونه فاستكرهوا ايضا نظيره ﴿قوله وشدّده نافع﴾ ضمير وشدّده للميت فان صاحب التيسير ذكر فى سورة الانعام انه قرأ نافع او من كان ميتا وفى يس الارض الميتة وفى الحجرات لحم اخيه ميّتا بتشديد الياء فى المواضع الثلاثة والباقون باسكانها ولم يذكر خلافا وقوله تعالى واتقوا الله عطف على ما تقدّم من الاوامر والنواهى اى واجتنبوا ولا تجسسوا ولا يغتب واتقوا الله ان الله تواب رحيم ختم كل واحدة من الآيتين بذكر التوبة فقال فى الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم اى يقبل توبة من تاب ويرحم من اليه اناب ثم انه تعالى لما بين مكارم الاخلاق بالنسبة الى المؤمن الحاضر اوّلا وبالنسبة الى الغائب ثانيا نهى عامة المكلفين عن التفاخر بالانساب فناداهم نداء عاما فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية يعنى انكم متساوون فى النسب من حيث انكم من ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وهما آدم وحوّاء عليهما الصلاة والسلام او من حيث انكم جنس واحد بحسب تولدكم من الاب والام وافراد جنس واحد لا يتفاوت بعضها على بعض كثير تفاوت بسببه فلا تفاخروا بالآباء والاجداد ثم بين ان مدار الفضل والشرف ما هو فقال انّ اكرمكم عند الله اتقاكم اى ليس لاحد فضل الا بالتقوى والشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب فان طبقات النسب التى عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحدة مما ذكر من هذه الطبقات داخلة فيما قبلها كما ذكره المصنف ﴿قوله تعالى لتعارفوا﴾ اصله لتتعارفوا فالجمهور على تخفيف احدى التاءين بحذفها وقرئ بادغام احدى التاءين فى الاخرى واظهارهما والمعنى ان الحكمة التى من اجلها جعلكم على شعوب وقبائل هى ان يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه الى غير آبائه ولا تتعارفوا بنسب غير ذلك لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد والنسب وان كان يعتبر عرفا وشرعا حتى لا تزوّج الشريفة بالنبطى الا انه لا عبرة به عند ظهور ما هو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما انه لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشى النسب وقارونى النشب لا قدر له عند المؤمن التقى وان كان عبدا حبشيا والامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها حيث انه ثابت مستمرّ غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله تعالى النسب بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الاولى ثم انه تعالى لما بين ان مناط الفضيلة والشرف هو التقوى وكان اصل التقوى هو الايمان والاتقاء من الشرك بين ان الايمان لا يكون باللسان وحده بل اصل الايمان هو العقد بالجنان فقال قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا فان الايمان هو التصديق بالجنان مع الثقة بحقيقة الصدق به وبصدق من اخبر ولم يحصل ذلك لكم ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا وانقدنا واخلصنا اجازهم ان يقولوا ذلك لقيام ما يدل عليه ويشعر به وهو اظهار الشهادتين وترك المحاربة ﴿قوله وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا الخ﴾ وذلك لان لكن للاستدراك وهو يقتضى كلامين متغايرين بالنفى والاثبات او بان يكون احدهما لطلب الفعل والآخر لطلب تركه وذلك لا يتحقق بان تكون احدى الجملتين خبرية والاخرى امرية كما فى هذه وانما يتحقق بان يكونا انشائيتين احداهما ناهية والاخرى آمرة بان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او بان يكونا خبريتين اولاهما نافية للايمان وثانيتهما مثبتة للاسلام بان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم الا انه عدل فى الآية الكريمة عن ايرادهما انشائيتين بان تكون الاولى ناهية احترازا عن هجنة ان يقول النبى المبعوث للدعوة الى الايمان لا تقولوا آمنا وينهى عن القول بالايمان وهو لا يليق باحد فكيف بالنبى وعدل عن ان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم احترازا عن الجزم باسلامهم والاعتداد بقولهم الخالى عن مواطأة القلب وهو غير مقبول

(تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) من آدم وحوّاء عليهما السلام او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوّة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصىّ بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سرّه ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا اسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار

(ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى لكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لايلتكم من اعمالكم) لاينقصكم من اجورها (شيأ) من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لايألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها (اولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه (يمنون عليك ان اسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لايستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن

فى الشرع فان صاحبه ليس بمسلم بل هو منافق ولايخفى عليك ان هذا الكلام ليس فيه بيان وجه الاستدراك بل هو بيان لما فى التعبير على مقتضى الظاهر من المحذور وان ما عدل اليه من النظم خال عن ذلك المحذور فالاولى ان يتعرض لتوجيه الاستدراك بان يقال قوله تعالى قل لم تؤمنوا فى قوة ان يقال قل لاتقولوا آمنا لان نفى الايمان عنهم فى مقام ادعائهم للايمان يتضمن النهى عن ادعائه فصح الاستدراك عنه بقوله ولكن قولوا اسلمنا حملا على المعنى كأنه قيل لم تؤمنوا فتكذبوا ولكن قولوا اسلمنا لتكونوا صادقين ﴿قوله توقيت لقولوا﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم معناه نفى الايمان عنكم فهو بهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما الفائدة فى هذا التكرير * وتقرير الجواب انه وان كان باعتبار اشتماله على نفى الايمان عنهم تكريرا للاول الا انه قد انضم اليه باعتبار كونه حالا من ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارا فان الاول تكذيب لهم فى دعواهم والثانى توقيت لما امروا به من القول اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة وهى ان لم يدخل الايمان فى قلوبكم بعد فان الواو فى ولما واو الحال وذو الحال الضمير فى قولوا قيد كونهم مأمورين بان يقولوا اسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الايمان فى قلوبهم اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير انه توقيت لقولوا ومعنى التوقع فى لما يدل على ان حصول الايمان فى قلوبهم متوقع سيحصل عند اطلاعهم على محاسن الاسلام فانهم قد آمنوا فيما بعد فان لما لنفى الفعل قد يتوقع ﴿قوله وقرأ البصريان لايألتكم﴾ بهمزة ساكنة بين الياء واللام من ألته حقه يألته من بابى ضرب ونصر والسوسى يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم بغير همز من لاته يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لاينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز وقيل من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من يلتكم على هذا فاء الكلمة وعلى كونها من لات عينها وهما بمعنى نقصه حقه * قال الامام معنى قوله لايلتكم انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المعروفة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بما يليق بفضله من الجزاء لاينقص منه نظرا الى ما فى حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها فى السوق درهما مثلا فاعطاه الملك درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية انه يعطى من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطى ما تتوقعونه باعمالكم من غير نقص ويؤيد ما قاله قوله تعالى عقيبه ان الله غفور رحيم ثم انه تعالى لما نفى الايمان عن الاعراب اشار الى ما يوجب نفيه عنهم وبين لهم ان حقيقة الايمان ما هو وان ادعاءه ممن يصح فقال انما المؤمنون الآية ﴿قوله اذا اوقعه فى الشك مع التهمة﴾ اى اذا اوقعه فى الشك فيما صدقه وآمن به وفى الاتهام لمن صدقه على ان الشك بالنسبة الى المخبر به والتهمة بالنسبة الى من اخبر بذلك بان ينسب تهمة الكذب اليه بعدما صدقه واعترف بان ما قاله حق يعنى ان المؤمن انما يكون مؤمنا بالتصديق بان يبلغ ذلك التصديق درجة اليقين بحيث لايطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك المشككك فيما يستقبل من الزمان ﴿قوله وثم للاشعار الخ﴾ جواب عما يقال من ان عدم الارتياب لاينفك عن الايمان لكونه داخلا فى مفهوم الايمان لما مر من ان الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب فكيف جعل متراخيا عن الايمان فان ثم للتراخى * وتقرير الجواب ان قوله آمنوا افاد انهم صدقوا تصديقا خاليا عن الارتياب حال الايمان من حيث ان الخلو عنه يعتبر فى مفهوم الايمان وقوله ثم لم يرتابوا افاد انهم لم يحدث لهم الارتياب فى كل زمان وان طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللاشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب على الايمان بكلمة ثم فالتراخى زمانى ﴿قوله فى طاعته﴾ فانها هى السبيل المؤدى الى مرضاة الله تعالى وثوابه ﴿قوله والمجاهدة بالاموال والانفس﴾ يعنى ان المجاهدة بالاموال لاتختص بتقوية الغزاة بما عنده من المال بل تعم جميع العبادات المالية وكذا المجاهدة بالانفس لاتختص بالغزو بل تعم جميع العبادات البدنية ﴿قوله تعالى هم الصادقون﴾ قصر افراد وتكذيب لاعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا انهم صادقون ايضا فى دعوى الايمان ﴿قوله لما نزلت الآية المتقدمة﴾ وهى قوله تعالى قالت الاعراب الى قوله اولئك هم الصادقون والمراد بهذه قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والاستفهام للتوبيخ والانكار اى لاتعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لايخفى عليه شئ ﴿قوله وهى النعمة التى لايستثيب موليها ممن يزلها﴾ اى لايطلب الثواب وهو العوض ومواليها اى معطيها يقال ازللت اليه نعمة اى اعطيتها وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها وازللت اليه شيأ اى اعطيت ﴿قوله من المن﴾ المن فى الاصل القطع قال تعالى فلهم اجر غير ممنون اى مقطوع ثم نقل منه الى معنى الانعام والافضال على المحتاج لمجرد قطع حاجته اى مع قطع النظر عن ان يثيبه المحتاج

(اى)

اى يعوّضه شيئا لاشتماله على معنى القطع يقال منّ عليه منا اى انعم عليه وافضل من غير استثابة وطلب عوض ثم انه قد يطلق ويراد به عدّ الصنوع منة وانعاما واعتبارا بشانه فيقال منّ عليه صنيعه اذا اعتدّه عليه واعتبره منة وانعاما وقيل النعمة الثقيلة من المنّ وهو رطلان يقال منّ عليه منة اذا اثقله بالنعمة ﴿قوله على مازعمتم﴾ دفع لما يقال من ان قوله بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ظاهره تسليم لايمانهم وهو ينافى قوله قل لم تؤمنوا ولما كان معناه حقيقة ومعنى قوله ان هداكم للايمان اى هداكم له على زعمكم اندفعت المنافاة مع ان المنافاة انما تحقق ان لو كانت الهداية مستلزمة للاهتدآء وليست كذلك لقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴿قوله وفى سياق الآية لطف﴾ جواب عما يقال قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا يقتضى بظاهره انهم سموا ما احدثوه اسلاما وهم ما كانوا يسمونه اسلاما بل يسمونه ايمانا لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا ففى الكلام نوع من المنافاة * فاجاب عنه بان فيه نوعا من اللطافة ومحصوله انه تعالى سمى ما صدر عنهم اسلاما لكونه اسلاما فى الحقيقة وان زعموا انه ايمان وسموه به وادرج فى تقرير اللطافة جواب ما دفعه بقوله آنفا على مازعمتم حيث قال بل لو صح ادّعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ﴿قوله لما فى الآية من الغيبة﴾ وهى فى قوله يمنون عليك ان اسلموا وقرأ الباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل لا تمنوا علىّ اسلامكم الخ هذا آخر ما تيسر لى بفضل الله وسعة رحمته واحسانه من ايضاح خفاء ما يتعلق بسورة الحجرات والحمد لله اوّلا وآخرا والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين والحمد لله على الاتمام والصلاة والسلام على خير الانام

﴿ سورة ق مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق ﴾

الحمد لله المنعم المنان والصلاة والسلام على سيد من ارسل بهداية نوع الانسان وعلى آله واصحابه الذين هم قادة اهل الايمان * الى سبيل السعادة والرضوان ﴿قوله الكلام فيه كما مرّ فى ص والقرآن ذى الذكر﴾ اما من حيث القرآءة فالجمهور على اسكان الفاء بناء على ان حروف التهجى اسماء لمسمياتها والاصل فى الاسماء العارية عن العوامل الوقف على السكون وقرئ قاف بفتح الفاء وقاف بكسرها وكلاهما لالتقاء الساكنين ووجه الفتح الاتباع لصورة الالف لانها منها ووجه الكسر كونه اصلا فى تحريك الساكن ولك ان تجعل المفتوح منصوبا باضمار الفعل ان جعلت قاف اسما للسورة كأنه قيل الزم قاف وعدم تنوينه لعدم صرفه باجتماع التأنيث والعلمية وان جعلته مقسما به بناء على انه من اسماء الله تعالى او من اسماء القرآن او السورة او على انه تعالى لما اقسم بنحو التين والزيتون اظهارا لشرفه كان اقسامه بالحروف التى هى سنام الكلام الشريف الذى هو منبع كل خير وسعادة اولى فوجه نصبه اما حذف حرف القسم نسيا منسيا وايصال فعله المحذوف اليه كما فى قولك الله لافعلنّ او اضمار حرف القسم وعدم جعله كالمنسىّ وفتح المقسم به فى موضع الجرّ لعدم انصرافه كقولك الله لافعلنّ بالجرّ واما من حيث الاعراب فان كان قاف مذكورا على سبيل التحدّى والتنبيه على الاعجاز كاذكر ان حروف التهجى فى اوآئل السور تنبيهات قدّمت امام المقروء ايقاظا للسامع حتى يقبل على استماع ما يرد عليه من الكلام الرآئق والمعنى الفائق فحينئذ لا يكون له محل من الاعراب بل يكون موقوفا على السكون وان كان اسما للسورة ولم يجعل مقسما به فحينئذ يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه قاف او فى محل النصب بتقدير اقرأ ونحوه وان جعل مقسما به فهو حينئذ اما مجرور على طريق الحذف والايصال او مفتوح فى موضع الجرّ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قاف جبل من زمردة خضرآء وروى من زبرجدة خضرآء محيط بالعالم وعليه اطراف السماء ومنه خضرة السماء لانها مقبية عليه اى كالقبة عليه اقسم الله تعالى بذلك الجبل * قال الامام وهذا ضعيف لانه لو كان كذلك لذكر حرف جواب القسم ليعلم كونه مستحقا لان يقسم به كقوله الله لافعلنّ كذا ويكون استحقاقه له مغنيا عن ذكر حرف القسم ولا يحسن ان يقال زيد افعلنّ كذا لانه لا يعلم كونه مقسما به الا بذكر حرف القسم ولانه لو كان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وقد كتب فى جميع المصاحف حرفا واحدا * ثم قال فان قيل انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما قلنا المنقول عنه ان قاف اسم جبل ولا يلزم منه ان يكون المراد ههنا ذلك وقيل معنى ق قضى ما هو كائن كما قالوا فى حم حمّ الامر اى قدّر وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفو ومعناه هذا قاف جميع الاشياء بالكشف وهذه السورة تقرأ فى صلاة العيد

(قل لا تمنوا علىّ اسلامكم) اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان) على مازعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتدآء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادّعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمنّ عليك بل لو صح ادّعاؤهم الايمان الله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سرّكم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

﴿ سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مرّ فى ص والقرآن ذى الذكر

لاشتمالها على قوله تعالى ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج ما قوله حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغى ان لاينسى الانسان فيه خروجه لعرصات الحساب ولايكون فى ذلك اليوم فرحا ولا يرتكب فسقا ولا فجورا وقدكان الشيخ الناسك البارع ابن الوفاء نوّر الله مرقده يقرأ هذه السورة الكريمة فى جميع خطبه * واعلم ان هذه السورة وسورة ص يشتركان فى افتتاح الكلام فى اوّلهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا فى ان اوّل السورتين وآخرهما متناسبان لانه تعالى قال فى اوّل ص والقرآن ذى الذكر وقال فى آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال فى اوّل ق والقرآن المجيد وقال فى آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فختمهما بما فتحتا به وايضا صدرت العناية فى اوّل السورة من ص الى تقرير الأصل الاوّل وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وصرفت العناية فى هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر والنبوّة لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم واختلف فى جواب القسم ماهو فقيل محذوف يدل عليه أئذا متنا والتقدير والقرآن المجيد لتبعثن حذف الجواب اعتمادا على قرينة مقالية متأخرة عن المقسم به وقيل التقدير ان محمدا رسول الله فحذف اعتمادا على دلالة قوله بعده بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وقيل التقدير ماآمنوا به بل عجبوا ادل عليه معنى قوله بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن المجيد انه كلام معجز دل عليه التحدّى بقوله ق والمضروب عنه ببل محذوف ايضا مثل ان يقال ماعجبوا مما هو عجب فى نفس الامر بل عجبوا مما ليس بعجب ونقل عن الراغب ان بل ههنا لتصحيح الاوّل وابطال الثانى اى ليس امتناعكم من الايمان بالقرآن لانه لامجد له ولكن لجهلكم ونبه بقوله بل عجبوا على جهلهم لان التعجب من الشئ يقتضى الجهل بسببه ويستلزمه ﴿قوله والمجيد ذو المجد﴾ يعنى ان المجد الشرف وتوصيف القرآن بالمجيد اما على انه من باب النسب كتامر ولابن بمعنى ذى تمر ولبن والقرآن ذو شرف على سائر الكتب باعتبار مافيه من العلوم والاعجاز اومن قبيل وصف الكلام بوصف قائله او بوصف من علمه وعمل به وقيل المجد السعة فى الكرم والقرآن كثير الكرم لان من طلب منه مقصودا فيه وجده واستغنى ببيانه وارشاده ﴿قوله انكار لتعجبهم مما ليس بعجب﴾ يعنى ان بل للاضراب وهو الاعراض عن الكلام الاوّل والعدول الى ماهو أهم فلما كان مابعد بل اهم كان منكرا بشهادة مقام التوبيخ فمعنى الانكار مستفاد من بل بمعونة المقام كأنه قيل انظر الى انهم تعجبون وانهم يتعجبون مماليس بعجب وقوله ان جاءهم اى من ان جاءهم ووجه الانكار ان حق من كان منهم ان يكون ناصحا لهم مشفقا عليهم يحذرهم والمحذر منه غاية المخاوف ونهاية المحاذير وبقى الكلام فى ان المضرب عنه بكلمة بل ما هو والظاهر انه مضمون الجملة القسمية فانه تعالى لما اقسم بالقرآن المجيد على حقية البعث اوعلى انه عليه الصلاة والسلام رسول مبعوث للانذار وانه يجب الايمان بكل واحد منهما اضرب عن الحكم المقسم به عليه الى توبيخ الكفار بالبعث والتعجب مماليس بعجب فقال بل عجبوا ﴿قوله اومن ابناء جلدتهم﴾ اى من القوم المختص بهم فانه ولد فيهم ونشأ بينهم وتربى بين اظهرهم وفى الصحاح الجلدة اخص من الجلد انتهى فيكون عبارة عن مزيد التعلق وكمال الاتصال ﴿قوله او عطف لتعجبهم من البعث﴾ اى عطف على قوله حكاية لتعجبهم وقوله تعالى فقال الكافرون على التقديرين معطوف على قوله عجبوا الا انه على الاوّل من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال فلاتكون الفاء العاطفة للتعقيب الزمانى بل للدلالة على ان مابعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لان تفصيل الشئ انما يصح بعد جرى ذكره وتكون كلمة هذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام متعينا للرسالة والاختيار لها وعلى الثانى يكون من قبيل عطف احد المتغايرين على الآخر فيكون هذا اشارة الى المبهم الذى يفسره قوله أئذا متنا فعلى هذا يجوز ان تكون الفاء للتعقيب الزمانى لجواز ان يكون تعجبهم من البعث عقيب تعجبهم من البعثة ﴿قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره﴾ جواب عما يقال كان الظاهر ان يقال بل عجب الكافرون فقالوا فلم عكس ﴿قوله والمبالغة فيه﴾ مبتدأ وقوله لانه ادخل خبره وضمير فيه للتعجب من البعث فرّق بين التعجبين بكون الثانى ادخل فى الانكار واوفق به على ان ادخل لتفضيل المفعول مثل اشغل من ذات النحيين ثم بين كونه ادخل فيه بقوله اذ الاوّل وهو تعجبهم من البعثة فلما كان الثانى ادخل فى الانكار بولغ فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مجملا ومبهما وابهام التعجب واجماله مبنيان على ابهام المتعجب منه واجماله فان كانت الاشارة الى مالم يذكر صريحا ولادلالة وهو الرجع البعيد وهما اوعادة اوامكانا يكون المتعجب

(منه)

والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مماليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم اومن ابناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم

منه مبهما فيكون التعجب ايضا مبهما وان كانت الاشارة الى المجمل المذكور دلالة وهو البعث المعبر عنه بعنوان مجمل
وهو المنذر به المدلول عليه بقوله منذر يكون التعجب ايضا مجملا ﴿قوله ثم تفسيره اوتفصيله﴾ مجرور بالعطف
على حكاية تعجبهم مبهما او مجملا على طريق اللف والنشر ﴿قوله اى أرجع﴾ يريد ان ناصب الظرف محذوف
لدلالة قوله ذلك رجع بعيد عليه اى ارجع احياء اذا متنا وصرنا ترابا والاستفهام للانكار والاستبعاد ﴿قوله
وقيل الرجع بمعنى المرجوع﴾ وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث
الجوهري تقول ارسلت فاجاءنى رجع رسالتى اى مرجوعها ويقال ما كان من مرجوع فلان عليك اى من مردوده
وجوابه ويقال هل جاء رجعة كتابك اى جوابه فعلى هذا يحسن الوقف على قوله وكنا ترابا ويكون قوله ذلك رجع
* بعيد من كلام الله لا من تتمة كلام الكفرة فلا يصلح دليلا ويكون ذلك اشارة الى قولهم أئذا متنا اى قولهم هذا فى
جواب من انذرهم بالبعث والجزاء جواب بعيد عن الصواب * فان قيل اذا كان الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب
يكون من كلام الله تعالى لا من كلام القوم فما الدال على عامل الظرف الواقع فى كلامهم وما العامل فى الظرف حينئذ
اجيب بان ناصب الظرف حينئذ مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث كأنه قيل انبعث اذا متنا بخلاف ما اذا كان
مصدرا بمعنى البعث فانه حينئذ يصلح ان يكون دالا على عامل الظرف اذ كلاهما من كلام القوم ثم انه تعالى اخبر بعلمه
ليستدل به على قدرته على مايشاء من خلقه ابداء واعادة فقال قد علمنا ماتنقص الارض منهم فان استبعاد البعث انما
نشأ من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل اجزاء كل واحد من الموتى وتمييز اجزاء كل واحد منهم عن اجزاء الآخرين
فازال هذا المنشأ ببيان انه تعالى عالم بتفاصيل ذلك قادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد ﴿قوله
واللام محذوف لطول الكلام﴾ كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه قد تقرر
فى النحو أن جواب القسم اذا كان جملة فعلية مثبتة فان كان فعلها ماضيا لزمها اللام فالاول لانكار تعجبهم من امر البعثة
والبعث والثانى لانكار تكذيبهم بالحق فى اول وهلة من غير تفكر ولاتدبر فان تكذيب مثل هذا الامر العظيم ومن
جاء به من غير تفكر فى غاية القباحة ولما ظرف زمان منصوب بكذبوا وقرئ لماجاءهم بكسر اللام الجارة الداخلة
على ما المصدرية وهى لام التوقيت اى وقت مجيئه اياهم كما فى قولك كتبته لعشر مضين اى عندها ﴿قوله
اذا جرج﴾ براء مهملة بين الجيمين من باب علم والجرج التقلق وجرج الخاتم فى اصبعى اى اضطرب من سعته
والفاء فى قوله تعالى فهم فى امر مريج جزائية للدلالة على انهم لما عدلوا عن الحق كان كل مايقولونه ويميلون اليه
باطلا لادليل عليه فلا يمكنهم الاقامة عليه قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ثم
ان القوم لما استبعدوا امر البعث والرجع ذكر الله تعالى مايدلهم على قدرته على البعث من عظيم خلقه فقال أفلم
ينظروا انكارا على تركهم النظر والاستدلال بمايدل على صحته دلالة ظاهرة واستبعادا لاستبعادهم اياه كأنه قيل
اينكرون البعث فلا ينظرون الى آثار قدرته الباهرة ليحملهم ذلك على الاعتراف بصحته وقوله فوقهم حال من
السماء وقيل الى السماء باعتبار تضمين النظر معنى الانتهاء ولم يقل فى السماء للدلالة على انه مجرد انتهاء النظر اليها
كاف فى ازالة استبعادهم فان النظر فى الشئ ينبئ عن التأمل واستقصاء النظر فيه بخلاف النظر اليه فانه لاينبئ
عنه وانما يدل على مجرد انتهاء النظر اليه ﴿قوله وهما علتان للافعال المذكورة معنى﴾ يعنى ان قوله
تعالى تبصرة وذكرى تنازع فيهما الافعال المذكورة من بناء السماء ومايتفرع على بنائها ومد الارض ومايتفرع
على مدها لكنهما انتصبا عن الفعل الاخير على رأى البصريين فى باب التنازع كأنه قيل انبتنا فيها ليتبصر
ويتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى آثار قدرته الباهرة فيستدل به على ان البعث اهون شئ عليه وهما
من حيث المعنى علتان لجميع ماتقدم اى فعلنا ذلك كله تبصيرا منا وتذكيرا لهم والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان
فى الاول آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وفى الثانية آيات متجددة مذكرة عند التناسى ﴿قوله وحب
الزرع﴾ اشارة الى انه من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بناء على ان الحب لايحصد وانما يحصد النبت
الذى فيه الحب ﴿قوله تعالى والنخل﴾ منصوب بالعطف على مفعول انبتنا وباسقات حال مقدرة من النخل
لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ويحتمل
ان يكون باسقات بمعنى حوامل من ابسقت الشاة اذا حلت * الجوهرى ابسقت الشاة اذا حلت وابسقت الناقة
اذا وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج فهى مبسق ونوق مباسيق ﴿قوله فيكون من أفعل فهو فاعل﴾ كأنه

وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم
يفسره مابعده او مجملا ان كانت الاشارة الى
محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله
لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان
يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة
الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا
متنا وكنا ترابا) اى أرجع اذا متنا وصرنا
ترابا ويدل على المحذوف قوله (ذلك رجع
بعيد) اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان
وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ماتنقص
الارض منهم) ماتأكل من اجسادهم بعد
موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ماهو
الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام
محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب
حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ
من التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل
الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
اوتأكيد لعلمه بها على ثبوتها فى اللوح المحفوظ
عنده (بل كذبوا بالحق) يعنى النبوة الثابتة
بالمعجزات او النبى او القرآن (لما جاءهم)
وقرئ لما بالكسر (فهم فى امر مريج)
مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج
وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه
ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين
كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار
قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها)
رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب
(ومالها من فروج) فتوق بان خلقناها ملساء
متلاصقة الطباق (والارض مددناها)
بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت
(وانبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف
(بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه
وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان
انتصبتا عن الفعل الاخير (ونزلنا من السماء
ماء مباركا) كثير المنافع (فانبتنا به جنات)
اشجارا وثمارا (وحب الحصيد) وحب
الزرع الذى من شأنه ان يحصد كالبر والشعير
(والنخل باسقات) طوالا او حوامل من
ابسقت الشاة اذا حلت فيكون من افعل فهو
فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها
وكثرة منافعها

اشارة الى مرجوحية الاحتمال الثانى لان الظاهر ان يقال مبسقات **﴿قوله وقرئ باصقات لاجل القاف﴾** وهى لغة بنى اسلم يبدلون السين صادا قبل القاف والغين والخاء والطاء اذا وليتها او فصل بينهما بحرف او حرفين **﴿قوله تعالى لها طلع نضيد﴾** يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل وان تكون حالا من الضمير المنوى فى باسقات ونضيد اى منضود بعضه فوق بعض يقال نضدت متاعه اذا وضع بعضه على بعض والمراد به اما كثرة الطلع وتراكمه او كثرة مافيه من الثمر **﴿قوله علة لانبتنا﴾** اى انبتناها رزقهم او مصدر لانبتنا لان فيه معنى رزقنا قال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعل خلقها تبصرة لعباده المخلصين لان الاستبصار بخلقها يختص بهم وقال رزقا للعباد مطلقا لان الخلائق كلهم مرزوقون بما يترتب على انزال الماء المبارك ولا يختص الرزق بعبد دون عبد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للنعماء وغير المنيب يأكل كما تأكل الانعام **﴿قوله تعالى واحيينا به﴾** عطف على قوله فانبتنا حل منكرى البعث ومستبعديه بقولهم ذلك رجع بعيد على النظر الى آثار قدرة الله تعالى فى هذا العالم وساق الكلام الى ان قال واحيينا به بلدة ميتا ورتب عليه قوله كذلك الخروج والكاف فى كذلك فى محل الرفع على الابتدآء والخروج خبره او بالعكس **﴿قوله لانهم كانوا اصهاره﴾** من حيث ان لوطا تزوّج منهم والاصهار اهل بيت المرأة وقيل ان لوطا عليه الصلاة والسلام كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم معارف لوط والتنوين فى قوله تعالى كل عوض عن المضاف اليه وهو اما اسم ظاهر مثل واحد او قوم او ضمير المذكورين اوّلا اى جميعهم كذب الرسل فان كان تقدير الكلام كل واحد منهم او كل قوم كذبوا الرسل فالظاهر ان اللام فى الرسل لتعريف الجنس اى كل واحد منهم كذب جميع الرسل بناء على ان من كذب رسولا لكونه منكرا للرسالة والحشر رأسا يكون مكذبا لجميع الرسل وان كان تقدير الكلام كلهم كذبوا الرسل يجوز ان تكون اللام فى الرسل لتعريف العهد والمعنى كل واحد منهم كذب رسوله وجميعهم كذبوا الرسل وان يكون لتعريف الجنس والمعنى كل واحد منهم كذب جميع الرسل قيل ان الرس بئر عند اليمامة كان عليها قوم كذبوا رسولهم حنظلة بن صفوان فاهلكهم الله تعالى وقيل ان الرس بئر القى فيها حبيب النجار صاحب يس لما جاء من اقصى المدينة يسعى ونصح قومه فكذبوه وقتلوه فاهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة وثمود كذبت صالحا وعاد هودا واصحاب الايكة وهى الغيضة كذبوا شعيبا وقوم تبع قيل انهم قوم من حمير من اهل اليمن وتبع لقب ملكهم وكانوا يعبدون النار وكان تبع اعجبه غلمان من فدك وكان يقربهم اليه ويكرمهم فاراد الغلمان ارشاده الى التوحيد والانقياد الى حكم كتابهم وكانوا من اهل التوراة من قوم موسى عليه الصلاة والسلام فاحتالوا لذلك حتى وصلوا الى مقصودهم فدعوه الى دينهم وكتابهم فقبله وتابعه ثم دعوا من على حاشيته وخاصته فقبلوه وفشا فى الناس ذلك وقالوا ان الملك ترك دينه فاجتمعوا اليه وقالوا انا لا نرضى بكون ملكنا على خلاف ديننا فانزل عن سريرك واترك الملك وان لم تفعل ذلك فادفع الينا هؤلاء الغلمان وكانت لهم نار فى اسفل الجبل يتحاكمون اليها فتحرق الظالم فتحاكموا اليها فجاء الفدكيون بالتوراة وجاء الحميريون باصنامهم فخرجت نار فاحرقت الحميريين ولم تحرق احدا من اصحاب التوراة ولما بين الله تعالى ان الرسل المتقدمين كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم عليهم كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا لمكذبيه ثم انه تعالى لما ارشدهم الى الاستدلال بما شاهدوا من عجائب ابدآء صنيعه على قدرته على البعث والاعادة اكد وجه الاستدلال بقوله افعيينا بالخلق الاوّل بالهمزة الانكارية الداخلة على الفاء العاطفة لتفيد نفى العجز عن الخلق الاوّل بسبب اعترافهم المستلزم للقدرة على الاعادة كأنه قيل بعد ماشاهدوا ماذكرنا من الخلق الاوّل وعلموا انا ماعجزنا عنه ولما لم نعجز عنه كما علموا كيف نعجز الخلق الثانى ثم اضرب عن انكار عجزه عن الخلق الاوّل بناء على اعترافهم بذلك كما تقرر بذكر دلائل الآفاق على منكرى البعث بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك الخروج شرع فى تقرير دلائل الانفس فقال افعيينا بالخلق الاوّل كأنه قال لاحاجة الى ذلك اذ فى انفسهم دليل على جواز ذلك ودخوله تحت قدرتنا ولما كان معنى الاستفهام النفى والانكار كان المعنى ماعجزنا عن الابدآء حتى نعجز عن الاعادة فنحن قادرون عليها ايضا ثم اضرب عن اقامة الدليل وحملهم على النظر والاستدلال الى بيان انهم ساقطون عن درجة الاستدلال ومتوغلون فى الاصرار على انكار الاعادة وتلك الحالة ليست من حيث انهم ينكرون الخلق الاوّل اذ هو بعيد عن العقل فان من لا ينكر الخلق الاوّل يلزمه الاعتراف بالثانى بطريق الاولى فاذا انكر الثانى مع الاعتراف بالاوّل كان

وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لأنبتنا او مصدر فان الانبات رزق (واحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) ارضا جدبة لانماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله ومابعده (واخوان لوط) سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره (واصحاب الايكة وقوم تبع) سبق فى الحجر والدخان (كل كذب الرسل) اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديدالهم (أفعيينا بالخلق الاوّل) أفعجزنا عن الابدآء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم يهتدلوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاوّل بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد

ذلك من اللبس والحيرة وعدم التدبر فلهذا قال بل هم فى لبس من خلق جديد من حيث ان الشيطان لبس عليهم واوقعهم فى حيرة واشتباه بان وسوس اليهم ان احياء الاجساد البالية والعظام النخرة خارج عن الوهم والعادة والامكان فان من انكر الاعادة مع اعترافه بالابدآء لايكون انكاره لها الالاجل اللبس والحيرة وعدم الاهتدآء الى النظر والعبرة وعرّف الخلق الاوّل لانه يعرف به كل احد ونكر الثانى لتعظيم شأنه وللاشعار بانه من الامور العظائم اى مما لاسبيل الى تعريفه والتعبير عنه بمايشير اليه بخصوصه وتنكير لبس ايضا للتعظيم كأنه قيل فى لبس اىّ لبس ﴿قوله تعالى ونعلم﴾ فى محل النصب على انه حال من فاعل خلقنا على تقدير ونحن نعلم ولايجوز ان يكون نعلم بنفسه اى من غير تقدير المبتدأ حالا لانه مضارع مثبت وهو لايقع موقع الحال الابالضمير وحده نحو جاءنى زيد يركب لابالواو وكذلك قوله ونحن اقرب اليه حال من فاعل نعلم فالآية بيان لكمال علمه ﴿قوله ماتحدّثه به نفسه﴾ اى بطريق الوسوسة والالقاء الخفىّ مبنى على ان تجعل ما موصولة وضمير تحدّثه للانسان وضمير به لما الموصولة التى هى عبارة عمايخطر بالبال ولماعدّى تحدّثه الى ضمير الانسان بنفسه عدّى الى ضمير المحدّث به بباء التعدية وان جاز ان يعدّى اليه بنفسه كما فى نطق به اى نطق اياه فخين مايعدّى اليه بالباء تكون صلة كما فى صوّت بكذا ونطق به ويجوز ان يجعل الانسان مع نفسه اى قلبه شخصين يجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يكلمها هو كما يقال حدّث نفسه بكذا واخرى تحدثه هى كما يقال حدثته به نفسه فلو جعلت كلمة ما فى الآية موصولة لكان ضمير به عبارة عن الصوت الخفى الذى تصوّته نفس الانسان وقد تقرّر ان فعل الوسوسة يعدّى بنفسه فتكون الباء صلة وان جعلت كلمة ما مصدرية يكون الضمير للانسان وتكون الباء لتعدية وسوسة النفس اليه لان الانسان ليس نفس الصوت الموسوس بل هو الموسوس اليه فان فعل الوسوسة يتعدّى الى الصوت الملقى بنفسه والى من يلقى اليه الحديث بواسطة الى والباء ﴿قوله تجوّز بقرب الذات لقرب العلم﴾ لماتعذر ان يحمل قرب الذات ومعيته على اصل معناهما لاستحالتهما فى حقه تعالى تعين الذهاب الى المجاز فان قرب الذات ومعيته لما كانا سببين موجبين للعلم مستلزمين له صح ان يطلقا ويراد بهما العلم المسبب اللازم لهما فكان المعنى نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من هذا العرق ﴿قوله والحبل العرق﴾ يعنى انه مستعار للعرق فان الحبل هو الرسن شبه العرق به فاطلق عليه اسم الحبل المشبه به والحبل بمعنى العرق لما كان اسم جنس يتناول العروق كلها اضيف الى الوريد الذى هو نوع من انواعه اضافة بيانية على طريق اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة ويحتمل ان يكون حبل الوريد من قبيل لجين الماء فى كونه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى وريد كالحبل والوريد ان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ﴿قوله اى يتلقن﴾ بمعنى يأخذ يقال لقنت الكلام بالكسر اى فهمته وتلقنته اى اخذته والتلقين كالتفهيم ﴿قوله وفيه ايذان الخ﴾ وجه الايذان انه تعالى لما كان اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزآئه الداخل فى اعضائه لزم ان يكون اعلم بحاله بالنسبة الى الملك المتنحى عنه القعيد عن يمينه وشماله ومن كان علمه بهذه المثابة كيف لايستغنى عن استحفاظ الملكين ﴿قوله مافيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية﴾ اى تقوية اشتغاله عنها يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه ﴿قوله اى عن اليمين قعيد﴾ يعنى ان قوله قعيد مبتدأ وعن الشمال خبره وحذف المبتدأ من الاوّل لدلالة الثانى عليه كما حذف خبران فى الجملة المعطوف عليها لدلالة ما ذكر فى الجملة المعطوفة فى قوله

* ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب *

اى فانى بها لغريب وقيار كذلك ومنه قوله

* رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن اجل الطوىّ رمانى *

اى كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا وقيل لاحذف فى الكلام لان فعيلا يصلح للواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير قال مجاهد عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات ﴿قوله ولعله يكتب﴾ اختلف فيما يكتبان قيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الامايؤجر عليه او يأثم به وروى عنه عليه الصلاة والسلام ان صاحب الشمال يرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فان ندم واستغفر الله منها ألقاها والاكتب واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال * صاحب اليمين أمير

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) ماتحدّثه به نفسه وهو مايخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفىّ ومنها وسواس الحلىّ والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوّت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح يرده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدّر باذكر او متعلق باقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على مايخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى مافيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزآء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه كقوله * وانى وقيار بها لغريب * وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (مايلفظ من قول) مايرمى به من فيه (الالديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معدّ حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح اويستغفر

(وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزآء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عندالموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدّته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر اوالموعود الحق اوالحق الذى ينبغى ان يكون من الموت اوالجزآء فان الانسان خلق له او مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدّتها اقتضت الزهوق اولاستعقابها له كأنها جاءت به اوعلى ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) اى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتفرّ عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة اوللكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبىّ والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاوّل قرآءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا ما لدىّ عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدىّ او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف

على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عليه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيأ وان لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة * وعن ثابت البنانى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا قال تعالى سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وارضى مملوءة من خلق يطيعوننى اذهبا الى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى الى يوم القيامة ﴿ قوله الذاهبة بالعقل ﴾ اشارة الى وجه استعارة السكرة لشدّة الموت وهو مشابهتها لسكرة الشراب فى كونها سببا لذهاب العقل والمراد بالحق الذى احضرته سكرة الموت اما حقيقة الامر الذى نطق به كتاب الله تعالى واخبر به رسله انه كائن وهو سعادة الميت اوشقاوته او الموعد الحق من البعث وما يترتب عليه فالحق على هذا ما قابل الباطل وعلى الاوّل مصدر بمعنى التحقق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت والجزآء فان كلا منهما حق ثابت وهذه الوجوه على تقدير ان تكون الباء فى بالحق للتعدية وان كانت للملابسة يكون الحق ايضا اما بمعنى حقيقة الامر وجلية الحال او بمعنى الحكمة والغرض الصحيح اى جاءت ملابسة باحدهما على انه صفة مشبهة ثابتة وعبر عما خلق له الانسان من الموت والجزآء بالحق لكونه مما ينبغى له ﴿ قوله او مثل الباء فى تنبت بالدهن ﴾ فانها للمصاحبة اى تنبت ومعها الدهن او ملتبسة بالدهن فالحق على هذا يجوز ان يكون بمعنى حقيقة الامر او بمعنى الموعود الحق او بمعنى ما ينبغى ان يكون اى جاءت ملتبسة بالحق باحد هذه المعانى ﴿ قوله وقرئ سكرة الحق بالموت ﴾ باضافة السكرة الى الحق للبيان لانها كائنة لامحالة كتبها الله تعالى على الانسان واوجبها له والباء فى هذه القرآءة للتعدية لانها لشدّتها سبب زهوق الروح وبطلان القوى والبنية فتكون كأنها جاءت به اولان الموت يعقبها فشبهت بالجائى به ويجوز ان تكون بمعنى جاءت ومعها الموت اى جاءت ملتبسة به ﴿ قوله والخطاب للانسان ﴾ اى المذكور فى قوله ولقد خلقنا الانسان فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ويجوز ان يكون الكلام محكيا بالقول المضمر اى يقال له ذلك الموت ما كنت منه تحيد ﴿ قوله اى وقت ذلك النفخ ﴾ قدّر الوقت المضاف لان ذلك اشارة الى مصدر نفخ وقد اخبر عن النفخ بانه يوم الوعيد فلو لم يقدّر الوقت كان المعنى ذلك النفخ يوم الوعيد والنفخ ليس بزمان فلا يحكم عليه بالزمان فلذلك قدّر المضاف ﴿ قوله ملكان احدهما يسوقه ﴾ اى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده من الجنة او النار والشهيد هو الكاتب الذى يشهد عليها بما عملت والسائق لازم للبرّ والفاجر اما البرّ فسياقه الى الجنة واما الفاجر فسياقه الى النار ﴿ قوله او ملك جامع للوصفين ﴾ فيكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة وعلى الاوّل من عطف الذات على الذات ﴿ قوله وقيل السائق نفسه ﴾ تشبيها لها بالسائق له من حيث جدّه فى المجئ اى جاءت مجدّة ساعية فكأنه قيل انها تسوق نفسها وسمى قرينه من الشيطان سائقا لانه يتبعه الى المحشر كالسائق الذى يتبع من يسوقه ﴿ قوله لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة ﴾ فان الحال من النكرة المحضة يجب تقدّمها على ذى الحال وبين صاحب الكشف كون نفس فى حكم المعرفة بقوله لان كل نفس فى معنى كل النفوس انتهى كلامه فلو قيل جاءت النفوس كلها لتأخرت الحال عنها لكون ذى الحال معرفة فجاز تأخرها وكذلك اذا كان ذو الحال فى حكم المعرفة ويجوز ان يقال كل نفس تخصص بالعموم تخصص الأحد فى مثل ما احد خير منك لانه بالعموم يكون المعنى كل فرد فرد اى كل واحد غير معين الذى هو مدلول النكرة وهو الوجه فى تخصيص النكرة بالعموم ويحتمل ان يكون جملة معها سائق وشهيد فى محل الجرّ على انها صفة للنفس او فى محل الرفع على انها صفة لكل ﴿ قوله على اضمار القول ﴾ اى يقال له لقد كنت فى غفلة والقول المقدّر اما صفة لكل نفس او حال والمعنى لقد كنت فى غفلة من هذا اليوم وما فيه وانت فى الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر به ما كنت تنكره فى الدنيا ﴿ قوله والكافات ﴾ بكسر التاء منصوب بالعطف على التاء للخطاب للذكر ﴿ قوله قال الملك الموكل عليه ﴾ جواب لما عسى ان يقال الظاهر ان الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة وقد تقرّر ان النفوس المؤمنة لها قرينان احدهما يكتب حسناتها والآخر يكتب سيئاتها فلم افرد القرين فى قوله وقال قرينه * وتقرير الجواب ان افراد القرين بناء على ان المراد به الجنس ولو جعل الخطابات السابقة

(للكافر)

الكافر لكان وجه افراد القرين ظاهرا لان قرين الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب حسنات فالقرين سوآء اريد به الجنس اوكاتب السيئات يكون قوله هذا اشارة الى ديوان عمله ويكون المعنى هذا ماهو مكتوب عندى حاضر لدىّ ولفظ هذا فى هذا التركيب مبتدأ وما اما موصولة بمعنى الذى وقوله هو مكتوب عندى صلتها والموصول مع صلته خبر هذا وقوله حاضر لدىّ خبر بعد خبر او موصوفة بمعنى شئ وقوله هو مكتوب عندى صفتها والموصوف مع صفته خبر المبتدأ وحاضر لدىّ خبر آخر وان كان المراد بقرينه الشيطان المقيض له للاغوآء كما يدل عليه قوله فيما بعد قال قرينه ربنا ما اطغيته يكون هذا اشارة الى العاصي ويكون عتيد بمعنى مهيأ لجهنم ويكون المعنى ان الشيطان يقول هذا العاصى الذى هو عندى او شئ هو عندى عتيد لجهنم مهيأ لها اعتدته لها بالاغوآء والاضلال ﴿قوله او لواحد﴾ وهو مالك خازن النار ولما كان تثنية ضمير ألقيا منافيا لكون الخطاب لواحد ذكر للتثنية وجهين احدهما الدلالة على ان تكرير الفعل للتأكيد كأنه قيل الق الق ولما لم يكن سبيل الى تثنية الفعل نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره والوجه فى كون تثنية الفاعل دليلا على تكرير الفعل انه لما ثنى الفاعل مع كونه واحدا فى نفس الامر علم ان اصله الق الق ثم حذف الفعل الثانى واتى بفاعله وفاعل الفعل الاوّل على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاوّل كما فى قوله

* فان تزجرانى يا ابن عفان ازجر * وان تدعانى احم عرضا ممنعا *

وثانيهما ان ألف القيا ليس ضمير التثنية بل هى الف مبدلة من النون الخفيفة اصله القين فابدلت الالف من النون فى حال الوقف ثم اجرى الوصل مجرى الوقف فقيل القيا فى حالتى الوصل والوقف ﴿قوله كثير المنع للمال﴾ ان كان الكفار من الكفر المقابل للايمان يكون وجه بناء المبالغة فيه كما ستر دلائل وحدانية الله تعالى ودلائل حقية مدعى الرسالة ستر ايضا سائر دلائل مايجب الايمان به مع ظهورها وقوتها ووجه المبالغة فى قوله مناع للخير انه مع كونه كفارا عنيدا لايقنع بهما بل يتخطى الى ان يمنع ماله عن كل مستحق يطلب شيأ من ماله حبا للمال وبخلا به على من يستحقه ومع كونه معتديا انه كما لم يؤدّ الحق المالى الى مستحقه يتعدّى الى ان يأخذ المال الحرام بطريق الربا ونحوه فان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة من حيث انهم يعذبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليتهم لثوابها ويحتمل ان يكون المراد بالخير الاسلام ويكون المعنى انه لايقنع بكفران النعمة بل يكون مناعا لغيره عن الايمان ﴿قوله وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل﴾ جواب عما يقال لم قيل ههنا قال قرينه بدون الواو وقيل فيما سبق وقال قرينه بالواو * وتقرير الجواب ان الجملة الاولى واردة بما يلاقونه عن قريب من نفخة البعث ومايترتب عليها من الاحوال الواقعة بعد البعث الى ان يلقى كل كفار عنيد فى جهنم ومنها قول القرين هذا مالدىّ عتيد فحقه ان يعطف على الجمل المذكورة قبله بخلاف الجملة الثانية فانها جملة مستأنفة فحقها ان تكون خالية عن العاطف كما فى الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما وقع فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الآيات * فان قيل فاين التقاول ههنا * قلنا لما قال قرينه هذا مالدىّ عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه قوله تعالى لاتختصموا لدىّ علم ان ثمة مقاولة بين الكافر وقرينه لكن طرح قول الكافر فى الذكر لدلالة قوله ربنا ما اطغيته عليه وقال الكافر اعتذارا عن كفره وعصيانه يارب ماعصيتك باختيارى بل لان الشيطان الذى قيضته لى اطغانى وحملنى على معصيتك فقال قرينه ربنا ما اطغيته فمقالة الكافر وان لم يصرّح بها اعتمادا على ذكر مايدل عليها وهو قول قرينه ربنا ما اطغيته الا انها لما كانت مقدرة ملحوظة فى النظم كانت موردا لان يسأل ويقال فماذا يقول قرينه حين ما قال الكافر ذلك فى حقه فاجيب عنه بان قيل قال قرينه فانه اذا حكى قول احد الخصمين اتجه ان يقال فماذا قال خصمه فيستأنف بان يقال قال خصمه كذا وهذه الآية تؤيد كون المراد بالقرين فى الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الموكل عليه * فان قيل لما قال القرين اوّلا فى حق الكافر هذا عندى وفى ملكى عتيد لجهنم هيأته لها باغوآئى اياه كيف يصح منه ان يقول ربنا ما اطغيته اى ماجعلته طاغيا مجاوزا حده فى العصيان * قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله اوّلا باغوآئى له وآخرا بقوله فأعنته عليه لكونه فى نفسه مائلا الى الفجور والحاصل ان الاغوآء بمعنى تزيين المعصية غير الاطغاء قال صاحب الكشف وهذه الآية لاتنافى

(ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله للسائق والشهيد او لملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجرانى يا ابن عفان ازجر *
وان تدعانى احم عرضا ممنعا *

او الالف بدل من نون التأكيد على اجرآء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عنه (معتد) متعدّ (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله آلها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيد او مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما اطغيته) كأنّ الكافر قال هو اطغانى فقال ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ماقبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مفهوم مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان فى ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغوآء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى

قوله هذا مالدىّ عتيد على معنى اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوآئى واضلالى على ماتوهم لان الاوّل نظير قول الشيطان ولاضلنهم ولاغوينهم اجمعين وقوله ربنا ما اطغيته نظير قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى انتهى كلامه وقيل فى رفع المنافاة صدر القولان من القرين فى حالين قال اوّلا حين مايسوقه انا فعلت ذلك اظهارا للانتقام من بنى آدم لكونه سبب لعنة الشيطان ثم اذا رآى العذاب وقال الكافر انه الذى اطغانى رجع عن قوله الاوّل وقال مااطغيته ﴿قوله وهو استئناف مثل الاوّل﴾ كان قائلا قال فاذا قال الله تعالى للقرين وخصمه حين تقاولا * فاجيب بانه قيل لاتختصموا لدىّ وقوله لدىّ يدل بمفهومه على ان الاختصام المنهى عنه هو الاختصام فى الموقف واما الاختصام فى الدنيا فغير منهى عنه بل هو واجب ﴿قوله عالمين بانى اوعدتكم﴾ توجيه لكون جملة وقد قدّمت اليكم حالا من فاعل لاتختصموا مع عدم مقارنة مضمونها لمضمون عاملها لان التقديم كان فى الدنيا والخصومة فى الآخرة وقد تقرّر أن اجتماع مضمون الحال مع مضمون العامل شرط والمعنى لاتختصموا وقد صح عندكم الآن انى قدّمت اليكم بالوعيد وزمان الصحة متحد مع زمان النهى ﴿قوله ويجوز ان يكون بالوعيد حالا﴾ اى ويجوز ان لاتكون الباء زآئدة ولامعدّية بان تكون للملابسة ويكون المعنى بان قدّمت اليكم متلبسا بالوعيد مايبدّل القول لدىّ والمراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر فى النار وبمجازاة العصاة على حسب استحقاقهم جزآء وفاقا وقوله تعالى لدىّ متعلق بالقول اى لاقول لى بوقوع الخلف فيه وكلمة ما فى قوله تعالى مايبدّل القول لدىّ نافية يعنى لايقع الخلف فى القول لدىّ الآن بل ينجز ويحقق مضمونه فاذا اريد نفى الفعل يقال زيد مايفعل شيأ واو اريد نفيه فى المستقبل يقال لايفعل وان يفعل ﴿قوله وعفو بعض المذنبين﴾ جواب عما يقال ماوجه التوفيق بين قوله تعالى مايبدّل القول لدىّ وبين آيات العفو والغفران فان الاوّل يدل على انه لايقع الخلف فى مضمون الآيات الواردة فى حق وعيد العصاة والعفو عن بعضهم ينافى مضمونها، وتقرير الجواب ان العفو انما ينافيه ان لوكانت الآيات الواردة فى حق الوعيد عامة فى حق جميع العصاة وليست كذلك بل هى واردة فى حق من تعلقت المشيئة بتعذيبهم بقرينة آيات العفو الواردة فى حق من تعلقت المشيئة بالعفو عنه فانه تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فلاتبديل فى القول بالعفو عن البعض ﴿قوله فأعذب من ليس لى تعذيبه﴾ اشارة الى جواب مايقال من انه تعالى دفع عنه كونه ظلاما للعبيد وهو يشعر بثبوت اصل الظلم له وهو تعالى لايظلم الناس شيأ من الظلم وما الله يريد ظلما للعباد فضلا عن ان يظلمهم * وتقرير الجواب ان نفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وذلك لانه لما جرت مقاولة التخاصم بين الكافر وقرينه ونهاهم الله عن التخاصم لديه اى فى دار الجزآء وموقف الحساب فقال لاتختصموا لدىّ حالين بانه لافائدة فيه حيث تعلمون انى اوعدتكم على الكفر والطغيان فى دار العمل والتكليف ولم تلقوا اليه سمعا ولا رفعتم اليه رأسا علل عدم كون التخاصم مفيدا بأن قال على طريق الاستئناف مايبدّل القول لدىّ وما انا بظلام للعبيد اى مايبدّل ماقدّمته من الوعيد فى حق كل كفار عنيد بالعفو عنهم بل انتقم منهم باخلادهم فى النار وعطف عليه قوله وما انا بظلام بصيغة المبالغة والمعنى لو عذبت عبدا ضعيفا منقاداً لامرى غير مستحق للتعذيب من قبلى لكان ذلك غاية الظلم ولست بظلام فاعذب من ليس لى تعذيبه فظهر بهذا ان نفى كونه ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وايضا تخصيص الشىء بالذكر لايدل على نفى ماعداه فنفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وقيل الظلام لكونه بناء النسبة بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فالمعنى وما انا بظالم ﴿قوله تعالى يوم نقول لجهنم﴾ يجوز ان يكون ظرفا لظلام واذا لم يظلم فى هذا اليوم فعدم كونه ظالما فى غيره اولى او ظرف لقوله مايبدّل او لمحذوف دل عليه ماقبله اى ذلك يكون يوم نقول ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر اى اذكر اوأنذر يوم فيكون مفعولا به وجوّز كونه معمولا لقوله ونفخ فى الصور وهو بعيد ﴿قوله جيئ به للتخييل والتصوير﴾ اى لتصوير امتلائها بالطلب حيث اجابت بقولها هل من مزيد وهو استفهام انكار كأنها قالت امتلأت بحيث لامزيد على ذلك الامتلاء تكثيرا لمن ادخل فيها من الجنة والناس والافليس ثمة سؤال وجواب حقيقة وطريق التخييل ان جهنم شبهت بمن له عقل وتمييز يسأل ويجيب وجعل اثبات لوازم المشبه به لها دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والمعنى انا نملأها من الجنة والناس كما كنا وعدنا بذلك بحيث لو قيل لها ذلك وهى عاقلة ناطقة لقالت ذلك على سبيل الانكار والتعجب من كثرة العصاة ﴿قوله او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ﴾ فتطلب الزيادة

(قال) اى الله تعالى (لاتختصموا لدىّ) اى فى موقف الحساب فانه لافائدة فيه وهو استئناف مثل الاوّل (وقد قدّمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل النهى اى لاتختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة اومعدّية على ان قدّم بمعنى تقدّم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (مايبدّل القول لدىّ) اى بوقوع الخلف فيه فلاتطمعوا ان ابدّل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما انا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جيئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ

(ليمتلئ)

يمتلئ بهاذلك الفراغ فالاستفهام فى قوله تعالى هل امتلأت لبيان اتساعها و انكار امتلائها و فى قولها هل من مزيد
تطلب الزيادة فيكون هذا السؤال والجواب قبل دخول جميع اهلها فيها بان يدخل الكفار باسرهم و يبقى فيها موضع
عصاة المؤمنين فتطلب جهنم (٣) المؤمنين فيردّ ايمانهم حرّها و يسكن ايقانهم غيظها فتسكت و على هذا الحمل ماورد
فى بعض الاخبار من ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه و المراد بالجبار المؤمن فانه جبار متكبر على سوى
الله تعالى ذليل متواضع لله عزوجل و روى انه لايلقى فوج ممن استحق لدخول جهنم الاذهب فيها و لا يملأها
ى لكونها صورة قهر الله تعالى الذى لانهاية له فتقول جهنم أليس قد اقسمت لتملأنى فيضع الله تعالى فيها قدمه
ى ماتقدّم من قوله سبقت رحمتى غضبى اى بان يضع فيها رحمته و ينظر اليها نظر الرحمة فيقول هل امتلأت فتقول
ط قط اى حسبى حسبى و ليس بى مزيد فينزوى بعضها فى بعض ضرورة انها اذا جاءت الرحمة تنزوى صورة
القهر ﴿قوله او انها من شدّة زفيرها وحدّتها﴾ فالاستفهام الاوّل للتقرير و الثانى اقرار بالامتلاء فى الحقيقة
لا انها نزلت نفسها منزلة طالب الزيادة و الكثرة لشدّة تغيظها على العصاة و اهتمامها بالانتقام منهم فتتمنى زيادة
الداخلين وكثرتهم ﴿قوله وقرأ نافع وابوبكر يقول بالياء﴾ اى بياء الغيبة و اسناد الفعل الى ضمير اسم الله تعالى
المتقدّم ذكره فى قوله الذى جعل مع الله و الباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدّم ذكره فى قوله لدىّ و قد قدمت و ماانا
بظلام ﴿قوله فيكون ذلك﴾ اى اذا انتصب يوم بقوله نفخ يكون ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى
يوم يقول لان الاشارة الى المتأخر جائزة لاسيما اذا كانت رتبته التقديم فكأنه قيل ذلك اليوم اى يوم تقول جهنم
هل من مزيد يوم الوعيد فلايحتاج الى ان يجعل تقدير الكلام وقت ذلك النفخ يوم تحقق الوعيد لان الاحتياج
اليه انما هو لكون ذلك اشارة الى النفخ و عدم صحة حمل يوم الوعيد على المصدر و اذا جعل ذلك اشارة الى اليوم
صح الحمل من غير تقدير المضاف ﴿قوله قربت لهم﴾ فان قيل الجنة مكان و الامكنة لاتقرب بل يقرب اليها
فما وجه تقرّبها * اجيب بان الجنة لاتزال ولايؤمر المؤمن فى ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكنه تعالى يطوى
المسافة التى بين المؤمن والجنة وهذا هو المراد بتقرّبها * فان قيل اسناد الازلاف بمعنى طى المسافة بينها و بينهم الى الجنة
ليس اولى من اسناده الى المؤمن فكيف قيل و ازلفت الجنة للمتقين ولم يقل و ازلفت المتقون * اجيب بانه اختير ذلك
لما فيه من اكرام المؤمن و بيان شرفه و انّه مما يمشى اليه و الظاهر ان قوله تعالى و ازلفت معطوف على قوله تقول
جهنم اى و يوم ازلفت ﴿قوله مكانا غير بعيد﴾ اشارة الى ان انتصاب غير بعيد على انه ظرف مكان
ازلفت كقولك اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد و الاصل ازلفت مكانا غير بعيد ثم حذف المكان للعلم به
واقيمت صفته مقامه و ان كان غير بعيد حالا من الجنة كان الظاهر ان يقول غير بعيدة الا انه ذكر امالكونه على
زنة المصدر كالزئير و الصليل و المصادر يستوى فى الوصف بها المذكر و المؤنث و الزئير صوت الاسد فى صدره يقال
زأر يزأر و يزئر زأرا و زئيرا و يقال صل السلاح ونحوه يصل صليلا اى صوّت و اما لغير ذلك ﴿قوله على اضمار
القول﴾ مبنى على القرآءة بتاء الخطاب ولاحاجة اليه على قرآءة ابن كثير و ذلك القول امامنصوب على انه حال
من المتقين اى مقولا لهم هذا الثواب و هذا الازلاف ماتوعدون و هو مع مقوله جملة معترضة بين البدل و المبدل
منه (٧) ﴿قوله بدل بعد بدل﴾ يشعر بكونه بدلا ثانيا من المتقين الاان صاحب الكشاف صرّح بانه بدل من كل
اوّاب حيث قال بدل بعد بدل تابع لكل و معنى التبعية وروده عقيب البدل من غير اتحاد المتبوع و لم يجعله بدلا
ثانيا من المتقين لان تعدّد البدل مع اتحاد المبدل منه لايجوز ﴿قوله ولايجوز ان يكون فى حكمه﴾ اى
فى حكم اوّاب فان اوّاب صفة لمحذوف والتقدير لكل عبد اوّاب و لايجوز ان يكون من خشى صفة لكل اوّاب لان
من لاتكون صفة له فلايقال الرجل من جاءنى جالس كما يقال الرجل الذى جاءنى جالس و الخشية و ان كانت تفسر
بالخوف الاان بينهما فرقا و هو ان الخشية خوف من عظمة المخشىّ وهيبته بخلاف الخوف فانه خشية من ضعف
الخاشى و يدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشى استعمل فيه الخشية و ان كان الخاشى قويا فى نفسه
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء و قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من
خشية الله و قال وهم من خشيته مشفقون مع ان الملائكة و الجبل اقوياء فى انفسهم و حيث كان الخوف من
ضعف الخاشى استعمل فيه الخوف قال لاتخافوا و لاتحزنوا و نحو ذلك ﴿قوله و بالغيب حال من الفاعل﴾
اى خشى حال كونه غائبا عن الاعين لايراه احد او من المفعول اى خشى عقاب الرحمن حال كون كل منهما غائبا

او انها من شدّة زفيرها و حدّتها و تشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم و الطالب لزيادتهم وقرأ نافع و ابوبكر يقول بالياء و المزيد اما* مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع و يوم مقدّر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلايفتقر الى تقدير مضاف (وازلفت الجنة للمتقين) قرّبت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا و تذكيره لانه صفة محذوف اى شيأ غير بعيد او على زنة المصدر اولان الجنة بمعنى البستان (هذا ماتوعدن) على اضمار القول و الاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل اوّاب) رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل او بدل من موصوف اوّاب و لا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لايوصف به او مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع و بالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه و هو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لايراه احد

(٣) امتلائها تحقيقا لقوله تعالى لاملأن جهنم فيطرح فى ذلك الموضع عصاة المؤمنين فيردها ايمانهم حرّها (نسخه)

(٧) على معنى يقال لهم و الاعتراض متعين فى قرآءة ابن كثير بالياء لاسناد الفعل الى المتقين (نسخه)

لايعرفه المكلف الابطريق الاستدلال ﴿قوله وتخصيص الرحمن﴾ جواب عمايقال كيف قرن الخشية بالاسم الدال على سعة الرحمة مع ان الظاهر قرنها بمايدل على العظمة والمهابة ﴿قوله ووصف القلب بالانابة﴾ مع ان الموصوف بالانابة التى هى الرجوع عن المعصية الى طاعة الله تعالى هو المكلف للاشعار بان الاعتبار فى الرجوع الى الله تعالى انماهو الرجوع بالقلب ﴿قوله سالمين او مسلما عليكم﴾ يعنى ان قوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها امامن السلامة او من التسليم وعلى التقديرين هى حال مقارنة لحصول كل واحد منهما حال الدخول وان كان التسليم بعدالدخول تكون حالامقدرة ﴿قوله تعالى ذلك يوم الخلود﴾ وقال ابو البقاء اى زمان ذلك يوم الخلود كأنه جعل ذلك اشارة الى ماتقدم من انعام الله تعالى عليهم بذلك اخبر الله تعالى اهل الدنيا ان ذلك الزمان زمان الاقامة الدائمة وان اهل الجنة لايرتحلون عنهافيبقى فى قلوبهم حسرتها وليس لقول الله تعالى ذلك فائدة بعدقوله ادخلوها لان المؤمنين يعلمون ان من دخل الجنة يبقى فيهاابدا فلافائدة لهم بالاخبار بذلك الاان يقال ان استماع ذلك يزيد تطرية النشاط وطمأنينة القلب ﴿قوله تعالى ولدينا مزيد﴾ اى زيادة على مايشاؤن او مايؤملون او مزيد عليه على ان يكون المزيد اسم مفعول كالمبيع قال انس وجابر رضى الله عنهما هو النظر الى وجه الله الكريم والظاهر ان مرادهما ان النظر المذكور افضل مالديه من المزيد والافق الجنة مزيد على كل مايؤملونه غيرذلك ثم انه تعالى لما اعلم منكرى البعث بمايلاقونه عن قريب من الموت والبعث والقاء المشركين فى العذاب الشديد خوفهم بعذاب الدنيا ايضافقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشدمنهم بطشا وكم منصوب بمابعده وقدم على عامله امالانها استفهامية وامالانها خبرية وهى تجرى مجرى الاستفهامية فى اقتضاء الصدارة ومن قرن تمييز وهم اشد صفة كم او صفة قرن وبطشا تمييز اشد والبطش الاخذ بشدة والجمهور على فتح القاف مع التشديد فى قوله فنقبوا والفاء فيه عاطفة على المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا فان كان التنقيب بمعنى الطواف وقطع المفاوز لاجل تفرج البلاد والتصرف فيها بقهرها والاستيلاء على اهلها كما فى قوله

* لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب *

تكون الفاء سببية للدلالة على ان شدة بطشهم وقوتهم عليه ابطرتهم وحملتهم على التنقيب وان كان بمعنى الجولان والدوران فيها حذرا من الموت كما فى قوله

* نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال *

تكون الفاء لمجرد التعقيب حيث كان سبب التنقيب مجرد الاحتراز عن الموت لاشدة البطش وقرئ فنقبوا بفتح القاف مخففا والتشديد للكثرة والمبالغة وقرئ فنقبوا بكسر القاف مشددا على امر المخاطبين كقوله تعالى فسيحوا فى الارض اى فسيروا فيهاهل تجدون محيصا من قهر الله تعالى او من الموت وقرئ ايضا فنقبوا بكسر القاف مخففا اى اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم من النقب يقال نقب البعير ينقب نقبا من باب علم اذا رقت خفافه من كثرة السير ومنه قوله * اقسم بالله ابو حفص عمر * مامسها من نقب ولادبر * اغفرله اللهم ان كان فجر * ﴿قوله اى لهم من الله﴾ اشارة الى ان من محيص مبتدأ محذوف خبره اى ملجأ ومفر من عذاب الله او من الموت ﴿قوله اى قلب واع﴾ حمل القلب المذكور فى الآية وهو مطلق على القلب الواعى لتظهر فائدة التقييد بقوله لمن كان له قلب فان كل انسان له قلب لامحالة وايضا بقى القلب على عمومه لزم ان يكون ماذكر فى هذه السورة تذكرة لكل انسان وليس كذلك لانه مايتذكر الااولوا الالباب والقلوب الواعية ولكنه اطلق القلب فى الآية للاشعار بان من ليس له قلب واع فكأنه لاقلب له لان المقصود من القلب الحفظ وهو فاقد من القلب الذى ليس له حفظ لانه المقصود منه وكل فاقد ماهو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله شهيد على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لان من ألقى السمع الى ماتلى عليه يكون حاضرا بشخصه لامحالة لاستحالة الاصغاء من القلب الغائب فلو لم يحمل الحضور على الحضور بذهنه لما ظهر فائدة التقييد ايضا واطلاقه فى الآية للاشعار بان من لايحضر بذهنه فكأنه غائب وكلمة او فى قوله تعالى اوألقى السمع لتقسيم حال المتذكر الى كونه تاليا بنفسه وكونه سامعا من غيره ثم انه تعالى لما احتج على منكرى البعث بما يدل على كمال قدرته وهددهم بما يلاقونه عن قريب من عذاب الآخرة ثم خوفهم بعذاب الدنيا عاد الى دليل آخر فقال ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام اى فى ستة

وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه اوبانهم ذووا الخشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو مالايخطر ببالهم ممالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (وكم اهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم اشد منهم بطشا) قوة كعاد وفرعون (فنقبوا فى البلاد) فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (هل من محيص) اى لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (ان فى ذلك) فيما ذكر فى هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) اى قلب واع يتفكر فى حقائقه (او ألقى السمع) اى اصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لايتفكر ولايتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام) مر تفسيره مرارا (ومامسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لمازعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

اوقات واحيان لان اليوم في اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر ومن قدر على ابدآء العالم باسره في مدة يسيرة كيف لا يقدر على البعث والاعادة وقوله تعالى وما مسنا من لغوب رد لما زعمت اليهود فانه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات فقال عليه الصلاة والسلام *خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والمدآئن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة* قالت اليهود ثم ماذا قال *استوى على العرش* قالوا قد اصبت لو اتممت قال *وما هو* قالوا ثم استراح يوم السبت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قال فاصبر على ما يقولون من الشرك والتشبيه *قال الامام وما قاله اليهود ونقلوه عن التوراة اما تحريف منهم او لم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض ولو كان خلق السموات ابتدئ يوم الاحد ونحوه لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفي لا يثبت لله تعالى صفة اصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه وفعله وقدرته وحياته هو حقيقته وعينه وذاته والمشبهة يثبتون لله تعالى صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستوآء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود في كلامهم هذا جمعوا بين المتنافيين واخذوا بمذهب الفلاسفة في المسئلة التي هي اخص المسائل بهم (٩) وهو الاستوآء على العرش فاخطأوا وضلوا في الزمان والمكان جميعا انتهى والفاء في قوله تعالى فاصبر للسبب اى اذا لم يسمعوا قولك ولم يهتدوا بارشادك فاصبر على ما يقولون من اباطيلهم واشتغل بعبادة ربك فانه عليه الصلاة والسلام له شغلان احدهما عبادة الله تعالى وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الحق وهذا قبل الامر بقتالهم امره الله تعالى بان ينزهه في بعض الاوقات من النهار والليل وخص ما قبل الطلوع والغروب من النهار لكونهما وقتي اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ولم يعين البعض الكائن من الليل اى بعض هو للاشارة الى ان الليل كله زمان الارتفاع عن الشواغل فلا وجه لترجيح بعض اجزآئه على بعض بخلاف النهار فانه محل الاشتغال بالمصالح فينبغي ان يعين وقت العبادة منه ليبقى سائر اوقاته لسائر المصالح وهذا على ان تكون كلمة من في قوله ومن الليل للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتدآء الغاية فيكون المعنى ومن اول الليل فسبحه الى ان يغلب عليكم النوم ونحوه ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وسبح بحمد ربك نزهه عما يقولون ولا تسأم من اباطيلهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذي هو امر الحشر والبعث قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماع نومك لغلبة الحرارة في بلدتهم ومن اوآئل الليل ايضا لانها ايضا وقت اجتماعهم والفاء في قوله فسبحه لتأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانها تتضمن معنى الشرط كأنه قيل واما من الليل فسبحه والتعليق بالشرط يفيد انه عند وجوده يجب وجود الجزآء **قوله تعالى وادبار السجود** قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر ادبر الشئ اذا تم وانقضى وانتصابه على الظرفية لان المصدر اقيم مقام الوقت اونحوه كما في نحو آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه ومعنى ادبار السجود وقت انقضاء الصلاة وتمامها وقرأ الباقون بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلاة آخرها وعقبها وانتصابه ايضا على الظرفية والركوع والسجود والتسبيح قد يعبر بها عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليها فلذلك فسر ادبار السجود بقوله واعقاب الصلاة واختار المصنف ان يكون التسبيح على اصل معناه وهو التنزيه ثم نقل كونه بمعنى الصلاة فعنى قوله وادبار السجود قيل اعقاب الصلاة روى عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم *من سبح الله تعالى في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر **قوله واستمع لما اخبرك به** يعني ان مفعول استمع محذوف اى استمع ما اقول لك من احوال يوم القيامة ثم اخذ في وصفه فقال يوم ينادي المنادي ويوم منصوب بفعل مضمر والتقدير يخرجون من القبور يوم ينادي المنادي وهو اسرافيل عليه السلام فانه ينفخ وينادي بما ذكره وقيل ان اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي ويحتمل ان ينزل

---

(٩) وهي القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام اياما معدودة وازمنة محدودة واخذوا بمذهب المشبهة في المسئلة التي هي اخص المسائل بهم وهي (نسخه)

(فاصبر على ما يقولون) ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وادبار السجود) واعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وخلف وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادي المناد) اسرافيل او جبرآئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء ولعله في الاعادة نظير كن في الابدآء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج

(يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزآء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال العيد (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) للجزآء فى الآخرة (يوم تشقق) تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف (الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

(سورة والذاريات مكية وآيها ستون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولد فانهنّ يذرين الاولاد او الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر

استمع منزلة اللازم ولا يقصد تعلقه بمفعول معين ويكون المعنى كن مستمعا ولا تكن كهؤلاء الغافلين المعرضين **قوله** بالحق متعلق بالصيحة اى حال منها اى يسمعونها ملتبسة بالحق الذى هو البعث وذلك اشارة الى وقت الندآء او الى وقت السماع اى ذلك الوقت يوم الخروج من القبور **قوله** من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل يعنى ان المراد بقرب المكان قربه بالنسبة الى اهل القبور كلهم ولما كان قرب المكان بالنسبة الى بعض الموتى يستلزم البعد بالنسبة الى من بعد من ذلك البعض فاستحال لذلك ان يكون مكان الندآء قريبا حقيقيا بالنسبة الى الكل على السوآء والمعنى يخرجون من قبورهم يوم ينادى المنادى بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء كأنه يناديهم من مكان قريب بالنسبة الى كل واحد منهم عن الضحاك انه قال يسمع البعيد كما يسمع القريب واكثر المفسرين على ان المراد قرب مكان الندآء الى السماء وان ذلك المكان هو صخرة بيت المقدس فانها اقرب الى السماء بالنسبة الى اجزآء الارض ثم اختلفوا فى مقدار قربها اليها فمنهم من قال انها اقرب اليها من جميع الارض باثنى عشر ميلا ومنهم من قال بثمانية عشر ميلا وقيل يسمعون الندآء من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم **قوله** بالتخفيف اى تخفيف الشين يعنى ان الكوفيين وابا عمرو قرأوا ههنا وفى الفرقان تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصله عند الكل تتشقق بتاءين والاوّلون حذفوا احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا التاء الثانية فى الشين ويوم تشقق يجوز ان يكون بدلا من يوم يسمعون وقيل انه بدل من يوم ينادى وفيه نظر لانه يستلزم تعدّد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدّم ان الزمخشرى منعه ويجوز ان يكون ظرفا للمصير اى يصيرون الينا يوم تشقق الارض وسراعا حال من الضمير المجرور فى عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل فى يوم تشقق المقدّر اى يخرجون سراعا يوم تشقق فيكون سراعا مبينا لهيئة الفاعل وعلى الاوّل يكون مبينا لهيئة المفعول معه لان التشقق عدّى اليه بحرف الجرّ كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم وان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بفحوى الكلام او الى الحشر المذكور بعده اى ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع **قوله** الا كنفس واحدة اى كخلق نفس واحدة وبعثها وهذا صريح فى ان الله تعالى لا يشغله شأن عن شان **قوله** تعالى نحن اعلم بما يقولون اى بما يقوله كفار مكة من تكذيبك وانكار البعث والفاء فى قوله فذكر فاء جواب شرط مقدّر اى اذا لم تكن جبارا لهم تجبرهم على الاسلام بل بعثت مبلغا فذكر اى فاقبل على عملك ودم عليه وذكر بالقرآن من يخاف ما اوعدت به من عصانى من العذاب وتارات الموت ما تكرر من سكرات الموت وشدآئده فانها تأخذ المحتضر مرة بعد اخرى * تم هنا ما يتعلق بسورة ق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

اوّل هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وما انت عليهم بجبار تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشار الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم ولم يبق الا اليمين فقال والذاريات ان ما توعدون من البعث والثواب والعقاب لصادق وكذا اوّل هذه السورة وآخرها متناسبان ايضا حيث قال فى اوّلها انما توعدون لصادق وقال فى آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون والذاريات جمع ذارية من ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا اى طيرته واذهبته والواو فيه للقسم والفاآت التى بعدها عاطفة وهذه المذكورات صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات او والنساء الذاريات للاولاد او الاسباب الذاريات للخلائق من عالم العدم الى فضاء الوجود او بالعكس فالسحب الحاملة الامطار فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالملائكة المقسمات الامور من خير وشر بين الخلائق على ما امروا به ثم اشار الى جواز كون موصوف الحاملات الرياح فانها تحمل السحاب كما تذرو التراب ونحوه او النساء فانهنّ يحملن الاولاد كما يذرين الاولاد او الاسباب التى تؤدّى ما ذكر من الحاملات الى الحمل على الاسناد المجازى **قوله** وقرئ وقرا بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقلة على تسمية المحمول الثقيل بالثقلة والجمهور على كسر الواو وهو اسم لما يوقر اى يحمل فان المطر محمول للسحاب وكذا السحاب

نول للريح وموصوف الجاريات اما السفن اوالرياح اوالكواكب وموصوف المقسمات اما الملائكة خاصة
مايعمهم وغيرهم اوالرياح ﴿قوله فان جلت على ذوات مختلفة﴾ قداشار فى تفسير الامور الاربعة المذكورة
وله تعالى والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات فالمقسمات الى جواز كونها امورا مختلفة متباينة بذواتها
الى جواز كونها امرا واحدا بالذات له اربعة اعتبارات والاوّل قول علىّ وابن عباس رضى الله عنهم قال علىّ وهو
لى المنبر سلونى قبل ان لاتسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكوّا فقال ماالذاريات ذروا قال هى الرياح قال
الحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وان كانت
ؤلاء الاربع صفات متغايرة لامر واحد هو الرياح يكون الموصوف فى الكل واحدا ويكون العاطف لعطف
صفات كما فى قوله ❊ الى الملك القرم وابن الهمام ❊ وليث الكتيبة فى المزدحم ❊
قوله ❊ يالهف ذيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب ❊
يكون تقدير الكلام والرياح الذاريات الى الجوّ حتى تنعقد سحابا فالرياح الحاملات للسحب التى هى اثقل
ن الجبال فالرياح التى تجرى بالسحب بعد حملها فالرياح التى تقسم اى تفرّق الامطار فى الاقطار فالفاء على الاحتمال
لاوّل لترتب الاقسام اقسم اوّلا بالرياح الذاريات فبالسحب الحاملات للامطار فبالسفن الجاريات فى البحر
بالملائكة المقسمات للامور ولما كانت هذه الامور الاربعة متفاوتة فى الدلالة على كمال القدرة قدّم فى الاقسام بها
هو ادل عليه واتم وتوضيح المقام ان الايمان الواقعة فى القرآن وان وردت فى صورة تأكيد المحلوف عليه الاان
قصود الاصلى منها تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة فيكون المقصود بالحلف به الاستدلال به
لى الحكم المحلوف عليه وهو ههنا صدق الوعد بالبعث والجزاء فكأنه قيل من قدر على هذه الامور العجيبة
خالفة لمقتضى الطبيعة يقدر على اعادة من انشأه اوّلا كقول القائل لمن انعم عليه وحق نعمك الكثيرة انى لاازال
شكرك اتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب
ى ترتب الاقسام بالامور المتباينة ان يقدّم ماهو ادل على كمال القدرة والرياح ادل عليه بالنسبة الى السحب لكون
رياح اسبابا لحدوثها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذى هو الريح ادل عليه بالنسبة الى
سفن وهذه الثلاثة لكونها من قبيل المحسوسات ادل عليه بالنسبة الى الملائكة الغائبين عن الحس اذ الخصم
ما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال ﴿قوله والا فالفاء لترتب الافعال﴾ اى وان لم تحمل
لامور الاربعة على موصوفات متباينة بالذات بل على موصوف واحد له اربعة اعتبارات تكون الفاء لترتيب
لاوصاف فى الوجود كما فى قولك جاءنى الاكل فالشارب فالصائم فقدّم من الصفات المذكورة ماهو متقدّم
ى الوجود فان الرياح تذرو الابخرة اوّلا فتحمل السحاب ثانيا فتجرى بالسحاب جريا ذا يسر ثالثا فتقسم المطر
ابعا وقوله تعالى ذروا مصدر مؤكد لقوله والذاريات وقيل ذروا مفعول به بمعنى مذروّا تسمية للمفعول بالمصدر
خلق الله وضرب الامير والمعنى والذاريات ترابا مذروّا والاوّل اشهر وقوله وقرا مفعول به للحاملات كما يقال
ل فلان عدلا ثقيلا والمصنف بين اعراب يسرا وقوله امرا مفعول به وهو عبارة عن المقسوم اياكان * قال
لامام الحكمة فى الايمان الواقعة فى القرآن وجوه الاوّل ان الكفار كانوا فى بعض الاوقات ينسبونه صلى الله
ليه وسلم الى المجادلة ويقولون انه عارف فى نفسه بفساد مايقوله وانه يغلبنا بقوّة الجدل لابصدق المقال كما ان
عض الناس اذا اقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبنى لعلمه بطريق الجدل وعجزى عنه وهو
ى نفسه يعلم ان الحق بيدى فلايبقى للمتكلم المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل
انه لو استدل بطريق آخر لقال خصمه فيه كقوله الاوّل فلايبقى له الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة
برهان والثانى ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل وتدع الديار بلاقع ثم انه عليه
سلام كان يكثر الايمان ولم يزده ذلك الا رفعة وبيانا فعلمت العرب بذلك انه لايحلف كاذبا والا لأصابته بشؤم
لايمان نكبات المكروه فى بعض الازمان والثالث ان الايمان التى اقسم الله تعالى بها كلها دلائل خرجت
ى صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة على الحكم المحلوف عليه فالمقصود بها الاستدلال على المحلوف عليه
لم تخرج فى صورة الدليل واخرجت مخرج الايمان لان المتكلم اذا شرع فى اوّل كلامه باليمين يعلم السامع انه
يد ان يتكلم بكلام عظيم فيصغى اليه تمام الاصغاء فبدأ بالحلف وادرج الدليل فى صورة اليمين حتى يقبل القوم

(فالمقسمات امرا) الملائكة التى تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها اومايعمهم
وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم
الامطار بتصريف السحاب فان حملت على
ذوات مختلفة فالفاء لترتب الاقسام بها باعتبار
مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تذرو
الابخرة الى الجوّ حتى تنعقد سحابا فتحمله
فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم
المطر

على سماعه فظهر لهم البرهان المبين فى صورة اليمين ﴿ قوله وما موصولة ﴾ محذوفة العائد اى ان ما توعدون به من البعث لصادق اى لذو صدق على ان بناء فاعل للنسب كتامر لان الوعد لايكون صادقا بل الصادق الواعد اومصدرية على معنى ان وعدكم لصادق اى لذو صدق كما اذا كانت موصولة والمصدرية لاتحتاج الى العائد ﴿ قوله ذات الطرآئق ﴾ على ان الحبك بضمتين جمع حبال كمثال ومثل او جمع حبيكة كطريقة وطرق والحباك والحبيكة الطريقة فى الرمل ونحوه ﴿ قوله او النجوم فانها تزينها كما تزين الموشى طرآئق وشيه بعد قوله ويتوصل بها الى المعارف فان لها طرآئق ﴾ هكذا فى بعض النسخ بين كون السماء ذات طرآئق معقولة مؤدية الى المعارف بقوله فان لها طرآئق فان المعارف لها طرق تؤدى كل واحدة من تلك الطرق اليها والسماء ذات تلك الطرق ثم قال او النجوم بالجر عطفا على الطرآئق بناء على ماقاله الحسن البصرى من ان حبكها نجومها فتكون الحباك بمعنى الزينة والحسن * قال الامام محيي السنة فى تفسيره ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المعنوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال الحسن حبكت بالنجوم وقال الامام ابو الليث ثم اقسم الله عز وجل بالسماء ذات الحسن والجمال وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ذات الخلق الحسن انتهى وفى الصحاح حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اى اجاد نسجه قال ابن الاعرابى كل شئ احكمته واحسنت عمله فقد حبكته فقوله تعالى ذات الحبك بمعنى ذات الزينة التى هى النجوم فانها مزينة للسماء من حيث كونها على طرآئق الوشى والوشى والشية كل لون يخالف معظم لون الحيوان والهاء فى شية عوض عن الواو الذاهبة من اوله كما فى عدة وقوله تعالى لاشية فيها اى ليس فيها لون يخالف سائر لونها يقال وشيت الثوب اشيه وشيا وشية فهو موشى وفى اكثر النسخ بعد قوله ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرآئق او انها تزينها كما تزين الموشى طرآئق الوشى فيكون ايضا اشارة الى ماقاله الحسن من ان حبكها نجومها وبيانا لوجه كون النجوم حبكا للسماء وهو ان الحبك ان كان بمعنى الطرآئق فالنجوم لما وقعت فى مواقعها على طرآئق كانت السماء المشتملة عليها ذات الطرآئق وان كان بمعنى الزين فوجه كون السماء ذات النجوم ذات الحبك اى ذات الزين ظاهر لان النجوم زينة لها فالسماء المشتملة على النجوم تكون مشتملة على الحبك لامحالة الا ان كون قوله او النجوم مجرورا بالعطف على الطرآئق فى قوله ذات الطرآئق يستلزم كونه قسيما للطرآئق وهو ينافى قوله فان لها طرآئق وكونه مرفوعا بالعطف على الطرآئق فى قوله والمراد بالطرآئق يستلزم ان لاتكون الحبك بمعنى الزينة وهو ينافى قوله وانها تزينها ويمكن ان يختار كونه مجرورا ويجعل عطف النجوم من قبيل عطف العام على الخاص فان النجوم يجوز ان تعتبر من حيث كونها طرآئق ومن حيث كونها زينة فيصح ان تجعل النجوم حبكا للسماء بمعنى انها طرآئق فيها وبمعنى انها زينة لها ﴿ قوله وقرئ الحبك ﴾ بضم الحاء وسكون الباء وهو مخفف من الحبك بضمتين كرسل فى رسل والحبك بكسر الحاء والباء كالابل والحبك بكسر الحاء وسكون الباء كالسلك والحبك بفتحتين كالجبل جمع حبكة كعقبة فى عقب والحبك بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم جمع نعمة والحبك بضم الحاء وفتح الباء كالبرق جمع حبكة بضمتين كبرقة وبرق او حبكة بضم الحاء وسكون الباء كظلمة وظلم فهذه ست قرآآت غير قرآءة الجمهور وهى بضم الحاء والباء فالمجموع سبع قرآآت ﴿ قوله ولعل النكتة فى هذا القسم ﴾ مع ان عدم ثباتهم على قول واحد امر مقرر لاينكره احد حتى يؤكد بالقسم الا انه اقسم عليه تعظيما للمقسم به من حيث كونه صالحا لبيان حال اقوالهم من اختلافها وتنافى اغراضها للاشتراك بينها وبين الحبك والطرآئق فى التباعد ذاتا ومؤدى كما ان القسم الاول لتعظيم المقسم به من حيث كونه صالحا لان يستدل به على المقسم عليه ﴿ قوله اذ لاصرف اشد منه ﴾ تعليل لقوله يصرف عنه من صرف باعتبار ان الصرف المدلول عليه بقوله من افك مطلق والمطلق يصرف الى الكمال كأنه قيل يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف اشد منه واعظم فعلل هذا المعنى بقوله اذ لاصرف اشد من الصرف عن الرسول او القرآن او الايمان وايضا الابهام المدلول عليه باسم الموصول يفيد المبالغة فى الاتصاف بمضمون الصلة كما فى قوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وايضا لما قيل من افك ولم يذكر المأفوك عنه دل ذلك على ان المراد من المأفوك عنه مايعم كل خير وسعادة فكأنه قيل يؤفك عنه من افك عن كل خير وسعادة وعلى هذا التقدير يكون الصرف المدلول عليه بقوله من افك عبارة عن الصرف الذى لاصرف اشد منه ولو لم يعتبر هذا المعنى لكان قوله تعالى يؤفك عنه من افك خاليا عن الفائدة مثل ان يقال يقتل المقتول ويضرب المضروب وقيل المعنى يصرف عنه الان من حكم عليه

(فى الازل)

(ان ما توعدون لصادق) جواب للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية (وان الدين) الجزآء (لواقع) لحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرآئق والمراد اما الطرآئق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى تسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرآئق او انها تزينها كما تزين الموشى طرآئق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة مجنون او فى القرآن او القيامة او امر الدين ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بالطرآئق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من افك) يصرف عنه الضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لاصرف اشد منه فكأنه لاصرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف فى علم الله وقضائه

الازل بانه مأفوك عن الحق بعدم طاعته للرسول عليه الصلاة و السلام و القرآن و عدم الايمان بهما فى جميع
كامهما الى القول المختلف و الوجه الاوّل اولى لان كون احوال الكائنات سابقا للقضاء السابق معلوم ليس
يانه كثير فائدة و على الوجهين يكون المقصود ذم اصحاب القول المختلف بكونهم مصروفين عن الحق و قيل
مدح للمؤمنين و المعنى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ﴿قوله على معنى يصدر افك من
ن عن القول الخ﴾ اى على ان تكون كلة عن للسببية بمعنى من اجل اى يصرف من صرف عن الايمان من اجل
ا القول المختلف و بسببه فانهم كانوا اذا رأوا احدا يريد ان يدخل فى الايمان يقولون انه ساحر و كاهن و مجنون
جادل يعلم طرق الجدال فيغلب من جادله و تكلم معه لا لاجل انه محق و ان من نازعه مبطل جاحد للحق
سر فوته بمثل هذه الاقوال المختلفة المتباينة عن الايمان ﴿قوله ينهون عن اكل و عن شرب﴾ يقال نهى الجمل
ى اذا كان عريقا فى السمن بالغا نهايته و جمل نهى و ناقة نهية اى ضخمة سمينة بالغة نهاية الجسامة و السمن و الانهاء
بلاغ و النهاية الغاية و قرآءة الجمهور يؤفك عنه من افك على بناء كل و احد من الفعلين للمفعول و قرئ يؤفك عنه
افك على بناء الاوّل للمفعول و الثانى للفاعل اى يصرف من صرف الناس عنه و قرئ يأفك عنه من افك على
الاوّل للفاعل و الثانى للمفعول عكس ما تقدّم اى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه ﴿قوله اجرى
ى اللعن﴾ اى استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيها للملعون الذى يفوته كل خير و سعادة بالمقتول الذى تفوته
ياة و كل نعمة ﴿قوله فى جهل يغمرهم﴾ يقال غمره الماء يغمره اى علاه و الغمرة الشدّة جعله على شدّة الجهل
عادة المقام و الخرّاص فى الاصل الذى لا يجزم بامر و لا يثبت عليه بل هو شاك متحير لا يقول ما قاله الا جزافا و خرصا اى
و تخمينا من غير يقين و لما كانت اللام فيه للعهد و المعهودون اصحاب القول المختلف و كانوا كذابين فيما
لو نه كان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه ثم وصفهم بانهم فى جهالة تغمرهم ساهون لاهون و كان المعنى لعن
ذابون فيما يقولونه و السهو ذهاب القلب عن الشئ ﴿قوله ساهون﴾ يحتمل ان يكون ساهون هو الخبر
غمرة ظرف له كقولك زيد فى بيته قاعد ﴿قوله اى فيقولون متى يوم الجزآء﴾ قدر القول المعطوف على يسألون
قوله ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول و ايان ظرف زمان بمعنى متى يوم الجزآء
ان اين ظرف مكان و ايان مركب من اى التى للاستفهام و آن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى فلما ركبا
علا اسما و احدا بنى على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى و ان الدين لواقع سألوا فقالوا يا محمد ايان يوم
زآء اى يوم القيامة قالوا ذلك تكذيبا منهم و استهزآء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام لانه ليس لطلب الجواب
وله تعالى يوم هم على النار يفتنون ليس جوابا له حقيقة حيث لم يتعين به ان المسئول عنه متى يقع لان جهلهم
وم الثانى اقوى من جهلهم بالاوّل و لا يجوز ان يكون الجواب بما هو اخفى من السؤال بل جئ به على صورة
واب تهديدا لهم و تحقيرا ﴿قوله اى وقوعه﴾ لما كان ايان يوم الدين جملة ظرفية و كان يوم الدين مبتدأ و ايان
ره وورد ان يقال ان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الزمان كما لا يقع خبرا عن الجثة فلا يقال زيد يوم الجمعة
يف وقع ايان ظرفا لليوم و الحين لا يقع ظرفا للزمان و انما يقع ظرفا للحدث فلا يقال يوم كذا فى زمان كذا أشار
سنف الى جوابه بقوله اى وقوعه و تقريره انهم لم يسألوا بايان عن نفس زمان الجزآء فى اىّ زمان هو بل مرادهم
ن وقوع الجزآء متى هو فجعلوا الزمان ظرفا للحدث الذى هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يقال كيف يقع
مان ظرفا للزمان فان عاد السائل و قال كما لا يجوز ان يكون الزمان ظرفا لنفس الزمان فكذا لا يجوز ان يكون
فا لوقوعه ايضا فلا يقال زمان جلوس زيد واقع فى يوم كذا او فى وقت كذا كما لا يقال يوم كذا فى وقت كذا يجاب
بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيات المتجدّدة و كانت الحقيقة المتعينة من مطلق الزمان باضافتها الى الحدث
جدّد منزلة منزلة ما اضيفت هى اليه من الحدث فى تجدّده جاز ان يجعل الزمان ظرفا لتلك الحقيقة فيقال وقوع
الجزآء فى اىّ زمان هو كما يقال جلوس زيد اىّ وقت هو و من هذا القبيل قولهم يوم العيد او النيروز واقع
فصل كذا فى سنة كذا كما يقال الجزء فى الكل و هذا جواب تحقيق فلو اجيب به من اوّل الامر لصح و كان
سر للكلام عن اعادة السؤال ﴿قوله اى يقع يوم هم﴾ اشارة الى ان يوم منصوب على انه ظرف لعامل
مر دل عليه كون السؤال عن زمان وقوعه و ان حركته حركة اعراب ﴿قوله او هو يوم هم﴾ اشارة الى انه
ل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف و ان حركته حركة بناء و انما بنى لاضافته الى الجملة التى لا يظهر فيها

و يجوز ان يكون الضمير للمقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف و بسببه كقوله ينهون عن اكل و عن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما و بسببهما و قرئ افك بالفتح اى من افك الناس عنه و هم قريش كانوا يصدّون الناس عن الايمان (قتل الخرّاصون) الكذابون من اصحاب القول المختلف و اصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما امروا به (يسألون ايان يوم الدين) اى فيقولون متى يوم الجزآء اى وقوعه و قرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون و فتح يوم لاضافته الى غير متمكن و يدل عليه انه قرئ بالرفع

الاعراب فان الكوفيين يجوّزون بناء الظرف و ان اضيف الى الفعل المضارع او الجملة الاسمية و عند البصريين لا يبنى الا ما اضيف الى فعل ماض كقوله على حين عاتبت وفسر يفتنون بقوله يحرقون لانه يقال فتنه بالنار اذا احرقه ءالجوهري الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون و يقال فتنت الذهب و الفضة بالنار اذا اذبتهما بالنار وعدّى بعلى لتضمنه معنى يعرضون وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم فى موضع النصب على انه حال من ضمير يفتنون وقوله جواب لسؤال اى جواب على منوال سؤالهم فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجابوا جواب معلم مبين لان جهلهم باليوم الذى يحرقون فيه بالنار اقوى من جهلهم بيوم الدين و ماهو اخفى من المسئول عنه كيف يصح ان يكون جوابا عنه فانهم لما قصدوا بما ذكروه فى صورة الاستفهام الاستهزآء بما او عدوا به قوبلوا بما هو فى صورة الجزآء اهانة لهم و تحقيرا ﴿قوله هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون﴾ يعنى ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم و ان قوله هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب و ان قوله هذا الذى كنتم به جملة اسمية ثم جوّز ان يكون هذا فى محل النصب على انه بدل من فتنتكم لكونه بمعنى عذابكم و المعنى ذوقوا هذا العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا تكذيبا به و هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا و قولهم فأتنا بما تعدنا و نظائره وقوله ايان يوم الدين من قبيل الاستعجال بصريح القول و يحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل و هو اصرارهم على العناد و اظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم انه تعالى لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال ان المتقين فى جنات و عيون وقد مرّ ان المتقى فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضرّه فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك و الثانية التجنب عن كل ما يؤثم والثالثة ان يتنزه عما يشغل سرّه عن الحق و يتبتل اليه بشراشره وما من متق الا و يدخل الجنة و يتنعم بنعيمها ﴿قوله تعالى آخذين﴾ حال من المنوى فى جنات و لما كان الاخذ عبارة عن القبول عن قصد و رغبة فسره بالقبول مع الرضى ﴿قوله ان يهجعون فى طائفة من الليل﴾ ولم يصرّح بقيد القلة اكتفاء عنه بتنوين طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون ما مزيدة يكون قوله يهجعون خبر كانوا و يكون قليلا منصوبا على الظرفية كما فى قولك قام كل الليل او بعضه او قليله ويكون من الليل صفة قليلا اى يهجعون فى طائفة قليلة كائنة من الليل و ان جعلت ما مصدرية يكون المصدر الذى اوّل به الفعل مرفوعا على انه بدل من اسم كان و هو الواو بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية اى كان فى قليل من الليل هجوعهم و ان كانت موصولة يكون بدلا ايضا من ضمير كانوا و يكون من الليل حالا من الموصول مقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اى كان المقدار الذى يهجعون فيه قليلا حال كون ذلك المقدار من الليل و يجوز ان تكون ما الموصولة فاعل قليلا كأنه قيل قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كائنا ذلك المقدار من الليل ﴿قوله ولا يجوز ان تكون نافية﴾ ردّ لمن جعل قليلا خبر كان واتم الكلام به على معنى كانوا من الناس قليلا كقوله و قليل ماهم و قليل من عبادى الشكور ثم ابتدأ بقوله ما يهجعون اى ما يهجعون من الليل و لا ينامون فى الليل اصلا و وجه الردّ ان ما النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به ﴿قوله و الليل الذى هو وقت السبات﴾ و صف الليل به للاشارة الى وجه المبالغة فى ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم فى وقت الاستراحة تكون استراحتهم فى غاية القلة لان النهار ليس وقتها و فى الصحاح الغرار النوم القليل والهجعة النومة القليلة و كلمة ما تزاد لتأكيد مضمون الجملة التى زيدت هى فيها وهى هنا زيدت فى جملة اخبرنا عن قلة هجوعهم فهى تؤكد تلك القلة و تحققها فى مادتها فتكون من طرق المبالغة فى تقليل نومهم ﴿قوله و فى بناء الفعل على الضمير اشعار﴾ و جه الاشعار ان تقديم الضمير و جعل الفعل خبرا عنه يفيد حصر الكلام اى هم الكاملون فى الاستغفار دون غيرهم و ذلك انما يكون لوفور علمهم بالله وكمال خشيتهم منه و استغفارهم اما قولى او فعلى بان يأتوا بعبادة تؤدى الى المغفرة ﴿قوله يستوجبونه على انفسهم﴾ اى يعدّونه حقا و اجبا عليهم و يشبهونه به فى صدق عزيمتهم على ايصاله لهم كما يقال يستكثرونه لما يعدّونه كثيرا و المقصود من توصيف الحق بذلك دفع ما يقال كيف يمدح المرء بان يثبت فى ماله حق للفقرآء اى نصيب اوجبه الله عليه فى ماله فان اغنياء المسلمين كلهم كذلك حيث اوجب الله تعالى عليهم الزكاة و العشر و نحوهما بل و على الكافر ايضا ان قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام اذ فى ماله حق معلوم للفقرآء غير انه اذا اسلم سقط عنه فان مات عوقب على تركه الادآء فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم و وجه الدفع ان ليس المراد بالحق ما اوجبه الله تعالى عليهم فى اموالهم بل المراد ما يؤثرون به

(ذوقوا فتنتكم) اى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون و يجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم و الذى صفته (ان المتقين فى جنات و عيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما اعطاهم راضين به و معناه ان كل ما آتاهم ربهم حسن مرضىّ متلقى بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد احسنوا اعمالهم و هو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم و ما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها و فيه مبالغات لتقليل نومهم و استراحتهم ذكر القليل و الليل الذى هو وقت السبات و الهجوع الذى هو الغرار من النوم و زيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) اى انهم مع قلة هجوعهم و كثرة تهجدهم اذا أسحروا اخذوا فى الاستغفار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرآئم و فى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله و خشيتهم منه (و فى اموالهم حق) نصيب يستوجبونه على انفسهم تقرّبا الى الله و اشفاقا على الناس

قرآء على انفسهم مع احتياجهم اليه شفقة على خلق الله تعالى و رغبة فيما عندالله من الاجر الباقى كأنهم يوجبون
ث على انفسهم ويجعلونه حقا ثابتا فى مالهم ﴿قوله للستجدى﴾ اى لطالب الجدوى وهو العطاء و المتعفف
فقير الذى يكف نفسه عن المسئلة و يتكلفه يقال عف عن الحرام يعف اى كف نفسه عنه ﴿قوله اى فيها دلائل
و وجوه دلالات﴾ يعنى ان الآية يجوز ان تكون بمعنى الدليل وان تكون بمعنى الدلالة فعلى الاوّل يكون المعنى
الارض فيها دلائل دالة على قدرة الله تعالى و حكمته و تدبيره و وحدانيته وهى المعادن و الحيوانات و الجبال
لانهار و البحار و انواع النبات وغيرذلك و على الثانى ان الارض دليل واحد فيها وجوه دلالات على ماذكر و قوله
الى آيات مبتدأ و فى الارض خبره قدّم عليه و قوله و فى انفسكم عطف على فى الارض و المبتدأ محذوف اى و فى انفسكم
ت فالضمير المنوىّ فى انفسكم كالمنوىّ فى خبر المبتدأ و ان رفعت آيات على انها فاعل قوله فى الارض على ماذهب
ه الاخفش فانه يجوّز اعمال الظرف وان لم يعتمد كان الضمير فى قوله و فى انفسكم كالضمير فى الفعل فى نحو قولك
م زيد وقعدا و قائم زيد وقعد والآيات الثابتة فى الانفس ايضا اما بمعنى الدليل اذ ما فى العالم شئ الا و فى الانسان له
ير يدل دلالته او بمعنى و جوه الدلالات من الهيئات النافعة و المناظر البهية ﴿قوله اسباب رزقكم﴾ من
مس و القمر و سائر الكواكب و اختلاف المطالع و المغارب الذى يترتب عليه اختلاف الفصول التى هى مبادى
صول الارزاق فعلى هذا تكون السماء بمعنى القبة الخضرآء ﴿قوله او تقديره﴾ فان الارزاق كلها مقدّرة من
سماء و لولا السماء لما حصل فى الارض حبة قوت بين الله تعالى قدرته التامة ليستدل بها على قدرته على البعث
رتب الآيات الثلاث ترتيبا حسنا فان الانسان لابدّ له من امور تسبقه فى الوجود و من امور تقارنه فى الوجود
من امور تلحقه بعد وجوده فالارض التى هى المكان لابدّ من سبقها ليوجد الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال
فى الارض آيات ثم ذكر من الآيات مايقارنه فى الوجود من الاجزآء و الاعراض فقال و فى انفسكم ثم ذكر مايلحقه
د وجوده و يحتاج اليه فى بقائه فقال و فى السماء رزقكم و ماتوعدون من الخير و الشرّ فان الثواب والعقاب و الخير
الشرّ كل ذلك مكتوب فى اللوح و هو فى السماء وكتب فيه من للجنة و من للنار فالمعنى ان ماترزقونه فى الدنيا
ماتوعدونه فى العقبى كل ذلك مقدّر مكتوب فى اللوح و هو فى السماء ﴿قوله اى مثل نطقكم﴾ يوهم ان ما فى
ل ما انكم مصدرية و ليست كذلك لانها انما تكون مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها فى تأويل المصدر
لافعل معها هاهنا بل هى مزيد للتأكيد و انكم تنطقون بعدها فى محل الجرّ لاضافة المثل اليها و ان مع ما فى حيزها
تأويل المفرد لوقوعها موقع المفرد و المصنف اشار اليه بقوله اى مثل نطقكم شبه الله تعالى تحقق مااخبر عنه
حقق نطق الآدمى و وجوده و هذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا و انه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه فى صدقه و تحققه
لشئ الذى تعرفه * فان قيل الفاء تستدعى كون مابعدها واقعا عقيب امر متقدّم عليها كالامر المتقدّم فى قوله
الى فورب السماء * اجيب عنه اوّلا بان الامر المتقدّم ههنا هى الآيات المذكورة كأنه قيل ان ماتوعدون لحق
برهان المبين ثم بالقسم و اليمين و ثانيا بان الامر المتقدّم هو القسم المذكور بقوله و الذاريات فالفاء ههنا هى الفاء
عاطفة لوقوع الفصل بين القسمين اقسم اوّلا بالمخلوقات و ههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى ﴿قوله و نصبه
ى الحال﴾ يعنى ان نصبه اما على انه حال من الضمير فى لحق و اما على انه صفة مصدر محذوف و قيل ان حركته
ركة بناء فى محل الرفع على انه صفة لحق و بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما بنيت غير لذلك فى قوله

* لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال *

ن غير هنا فى محل الرفع على انه فاعل لم يمنع مبنية على الفتح لاضافتها الى ان نطقت و نحوه لقد تقطع بينكم فيمن قرأ
فتح و قيل سبب بنائه مثل تركبه مع ما و ما حرف فخرج عن كونه محل الاعراب بالتركيب فبنى لذلك ﴿قوله و هو
ن كانت بمعنى شئ﴾ جوّز فى ما امرين كونها زآئدة للتأكيد و كونها نكرة موصوفة و فى الثانى نظر لعدم كون
صف مذكورا هنا * فان قال هو محذوف و التقدير مثل شئ حق اعنى انكم تنطقون او هو انكم تنطقون على
يكون انكم تنطقون فى موضع النصب باعنى او فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف * قلنا الاصل عدم الحذف
يصار اليه من غير ضرورة و ايضا قد نصوا على ان هذه الصفة لاتحذف لابهام موصوفها فالوجه ان تكون ما زائدة
تأكيد و يكون انكم تنطقون فى موضع الجرّ بالاضافة ﴿قوله على انه صفة لحق﴾ فان قيل كيف يصح ان
عل مثل صفة للنكرة مع انه معرفة بالاضافة الى المعرفة تقديرا لانه فى تقدير مثل نطقكم * قلنا كلمة مثل لتوغلها

(للسائل والمحروم) للستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان اووجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزآئها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ماانفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوّعة (افلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) اسباب رزقكم اوتقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وماتوعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة اولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاوّل يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد (مثل ما انكم تنطقون) اى مثل نطقكم كما انه لاشك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لاتشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكنّ فى الحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وانّ بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع

فى الابهام لاتتعرف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك فى قرآءة من قرأ مثل ما انكم برفع مثل فانه صفة لحق وما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان مستقل كالاول او على انه مع ماقبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقاء وعن الاصمعى انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال ممن الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف الى بصوت ضعيف رقيق فالتفت فاذا انا باعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأنى السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال فهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف ولم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه كذا فى الكشاف ﴿ قوله فيه تفخيم لشأن الحديث ﴾ حيث قرر اتيانه بالاجمال ثم فصله بقوله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة فان هل اتاك استفهام معناه التقريب والتعجيب والتشويق الى سماعه كما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى ص هل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وهذا الاسلوب انما يختار اذا كان الحديث الآتى به له فخامة وشأن عجيب ﴿ قوله وتنبيه على انه اوحى اليه ﴾ اى على انه ليس مما يعلمه بنفسه بل انما عرفه بان اوحى اليه فهو صادق فى دعوى الرسالة حيث يخبر عن الامور الماضية كما وقعت من غير مطالعة كتب التواريخ ولا مصاحبة اصحابها فلا سبيل للاخبار عنها الا انه اوحى اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره حقا مطابقا للواقع لان صاحب الوحى لاينطق عن الهوى فيكون اتيان ذلك الحديث اليه عليه الصلاة والسلام واخباره به من جملة الآيات الدالة على حقية البعث فعلم من هذا التقرير وجه ارتباط الآية بما قبلها كأنه قيل أفلا ينظر اصحاب القول المختلف الى ما يدل على صدقه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به وبحقية جميع ما جاء به عن ربه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابعاد لمكذبيه حيث بين فيه انه عليه الصلاة والسلام ليس اول من خالفه قومه من الانبياء وبين فيه ايضا هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام وقال الامام النسفى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها ان ايراد قصة الخليل ولوط عليهما السلام لكونها توطئة لما ذكر فى آخر القصة من قوله وتركنا فيها آية كأنه قيل ومن الآيات الواقعة فى الارض ما بقى من آثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفة بينهم ﴿ قوله ظرف للحديث ﴾ كما ذكره بعض الادباء من ان نحو القصة والنبأ والحديث والخبر يجوز اعمالها فى الظرف خاصة وان لم ترد بمعنى المصدر كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب والسر فى جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر تضمن معانيها الحصول والكون وقوله او للضيف لانه فى الاصل مصدر ضافه اى نزل به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد او للمكرمين اذا فسر بانهم مكرمون عند ابراهيم كأنه قيل اكرموا اذ دخلوا عليه ولا يجوز انتصابه باتاك لاختلاف الزمانين ﴿ قوله اى نسلم عليكم سلاما ﴾ يعنى ان مبنى النصب كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف ومبنى الرفع كونه مبتدأ حذف خبره وجاز الابتدآء بالنكرة لتخصيصها بالتقدم والسلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام ﴿ قوله وقرئ منصوبا ﴾ اى وقرئ فقالوا سلاما قال سلما كما قرئ قال سلاما ﴿ قوله اى انتم قوم منكرون ﴾ اى قوم لانعرفكم يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه رأى لهم حالا وشكلا على خلاف حال الناس وشكلهم فدل ذلك على انهم ليسوا من قومه فقال لهم ذلك اولانه عليه السلام كان بين اظهر قوم كافرين لايحيى بعضهم بعضا بما هو علم الاسلام فلما سمع منهم ما لم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا منه تعرفا عن حالهم كأنه قال انتم قوم لانعرفكم من انتم وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال فى نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم * فان قيل قال تعالى فى سورة هود فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره عليه السلام حصل بعد تقريب العجل اليهم وقال ههنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره فما وجه التوفيق * فالجواب ان الانكار الذى كان قبل تقريب العجل غير الانكار الحاصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم من اى بلدة ومن اى قوم والانكار الحاصل بعده

(هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) اى مكرمين عند الله تعالى اوعند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث او الضيف او المكرمين (فقالوا سلاما) اى نسلم عليكم سلاما (قال سلام) اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدآء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنوا آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى اهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين) لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم

عدم العلم بانهم دخلوا عليه بقصد الخير او الشرّ فان من امتنع من تناول طعام اهل البيت يخاف من شرّه
ؤمن من ضرره فان عادة من يجيئ للشرّ والضرران لا يتناول من طعام من يريد اضراره ﴿قوله اى منه﴾
المقصود ليس عرض جنس الاكل والحث عليه بل المقصود عرض الاكل مما قرّبه اليهم فلما كان منه مقدرا
فيه اشعار بكون العجل حنيذا اى مشويا كما صرّح به فى موضع آخر فقال بعجل حنيذ ﴿قوله فقام يدرج﴾ اى
ى ويمضى لسبيله يقال درج دروجا اى مشى ودرج اى مضى لسبيله ﴿قوله الى بيتها﴾ لما تكلموا فى زوجها
دتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى البيت ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة
﴿قوله تعالى فى صرّة﴾ حال من فاعل اقبلت اى اقبلت كائنة فى صرّة وقل لم يكن هنالك اقبال من مكان الى مكان
قبلت ههنا بمعنى اخذت وجلست يقال اقبل يفعل كذا بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون فى صرّة فى محل
صب على انه خبر فعل المقاربة وسماه المصنف مفعولا تشبيها بالمفعول وقدمرّ فى سورة الحجرات ان افعال المقاربة
ع الاسم وتنصب الخبر مثل كان والصرّة الصيحة الشديدة يقال صرّ يصرّ صرّا اذا صوّت ومنه صرير الباب
قلم والصرّة ايضا الجماعة وبها فسرها بعضهم اى فاقبلت فى جماعة من النساء كنّ عندها وهى واقفة متهيئة
مة واختلف فى حقيقة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل
عجب وهى عادة النساء اذا انكرن شيأ والصك فى الاصل ضرب الشئ بالشئ العريض والعاقر المرأة التى لا تحبل
صف به الرجل ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلما لم تلد فى صغرها وعنفوان شبابها
رسنها وبلغت سن الياس استبعدت ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اى انا عجوز ومع ذلك كنت فى الشباب
ا فكيف ألد وكانت يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يومئذ ابن تسع وتسعين
نة وقيل لما تعجبت قال لها جبريل عليه السلام انظرى الى سقف بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل
بسة فاذا هى مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون بامر الله تعالى ﴿قوله مثل ذلك
ى بشرنا به قال ربك﴾ يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انه صفة لمصدر قال ربك اى لا تستبعدى
شرنا به فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به وهو العليم القدير ﴿قوله سأل عنه﴾ اى عن الامر العظيم الذى
سببا لنزولهم مجتمعين فان الخطب انما يستعمل فى الامر العظيم والفاء فيه للتعقيب اى بعدما علمت انكم
ئكة وان الملائكة لا ينزلون الا لامر عظيم لانهم عباد مكرمون عند الله تعالى فلا يرسلهم الا لامر عظيم فاذلك
ر وقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة استدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط وقوله مسوّمة منصوب
انه صفة حجارة او على انه حال من المنوىّ فى قوله من طين او من حجارة وحسن ذلك لكون النكرة موصوفة
ار والمجرور بعدها اى حال كونها مرسلة من خزانة الله تعالى او معلمة قيل مكتوب على كل حجر منها اسم
حبه وقوله عند ربك ظرف لمسوّمة واللام فى المسرفين لتعريف العهد اى مسوّمة لهؤلاء المسرفين لا لكل
رف فيكون من وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة اعدادها لهم واسرافهم فاحشتهم التى قال تعالى
حقها ما سبقكم بها من احد من العالمين ﴿قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها﴾ اى بان كنا سببا لخروجهم حيث
له عليه الصلاة والسلام فأسر باهلك بقطع من الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسيئ فان القرية ما دام فيها
منون لم تهلك ﴿قوله غير اهل بيت﴾ يعنى لوطا وبنيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به
اتحادهما وهو ضعيف لان صدق الناطق والضاحك مثلا على الانسان لا يدل على اتحاد مفهوميهما لكن يدل
انهما صفتا مدح والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت
من لنا ولو كنا صادقين اى بمصدّق فيما حدثنا وفى الشرع عبارة عن التصديق الخاص وهو تصديق الرسول
جميع ما علم مجيئه به ضرورة اى فى جميع ما علم كونه من الدين ضرورة وهو فعل القلب واما افعال الجوارح
فروع الايمان وثمراته اللازمة له المتفرّعة عليه فالايمان يستتبع الاسلام الذى هو فعل الجوارح فكل
من مسلم من غير عكس فان المنافق مسلم وليس بمؤمن قال تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فظهر ان المسلم
من المؤمن واطلاق العام على الخاص لا يدل على اتحاد مفهوميهما ﴿قوله وتركنا فيها﴾ اى فى قرى قوم
معطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها اى فاخرجناهم منها ثم اهلكناها وما ابقينا منها الآية اى علامة
على انا اهلكناها واختلف فى ان الآية ما هى فقيل هى ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل هى

(قال ألا تأكلون) اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اوّل ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما رأى اعراضهم (فاوجس منهم خيفة) فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشرّ وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله قيل مسح جبرآئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق صلى الله عليه وسلم (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فاقبلت امرأته) سارة رضى الله عنها الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرّة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اوّل اقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) اى انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم ايها المرسلون) لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم السلام وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسوّمة) مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحدّ فى الفجور (فاخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة

مافيها من الحجارة الملقاة المنضودة التي رجموا بها وقيل الآية نفس القرية وجعل اعلاها اسفلها قال السدي
ومقاتل كانوا سمائة الف فادخل جبريل عليه الصلاة والسلام جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها حتى سمع
اهل السماء صوتهم ثم قلبها ثم ارسل عليها الحجارة ثم تبعت الحجارة شرّادهم ومسافريهم واصبح ابراهيم عليه الصلاة
والسلام جالسا في مسجده فرأى الدخان ساطعا وبين ابراهيم وبينهم اربعة فراسخ فلما رأى الدخان علم ان العذاب
نزل بهم ﴿قوله فانهم المعتبرون بها﴾ علة لتخصيص الخائفين بكون تلك الآية عبرة لهم فان تلك الآية تدل على
انه تعالى اهلك اهلها بشؤم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو سبب لهلاكهم ﴿قوله
او وتركنا فيها﴾ الظاهر ان يقال او على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرّر في النحو انه
اذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك وبزيد الا ان عطفه على ضمير فيها لما استلزم كون الجار
الثاني متعلقا بتركنا نبه عليه بزيادة تركنا فقال او وتركنا فيها الا ان المتعلق في الحقيقة هو الجعل المحذوف المدلول عليه
بقوله وتركنا لان الترك بمعنى الجعل ﴿قوله كقوله علفتها تبنا وماء باردا﴾ اوّله * لما حططت الرحل عنها وارداً *
قوله واردا حال من فاعل حططت والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا حذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا على
دلالة مايدل عليه لان الماء لايكون معلوفا بل هو مشروب وكذا قوله في موسى لايصح ان يتعلق بتركنا
اذ لايستقيم ان يقال تركنا في موسى كما يصح ان يقال تركنا في قرى قوم لوط آية لان ترك الشيء في الشيء ينبئ عن
ابقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشيء الثاني فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ماترك فيه فيجب ان يكون المعنى وجعلنا
في موسى اي في قصته وارساله الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية وهذه الآية تدل على ان
من خالف الرسول لايفلح ابدا فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره
في خلقه على ماتقتضيه الحكمة فكيف لاتنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته على البعث ومافيه من الحكمة
واذ ظرف لجعلنا المقدّر على الوجه الثاني او للآيات المقدرة على الوجه الاوّل اي وفي موسى آيات كافية للاعتبار
في وقت ارسالنا اياه ﴿قوله فاعرض عن الايمان به﴾ بيان لحاصل المعنى لان التولي بمعنى الاعراض والركن
بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشيء وجانبه عن نفسه والباء في بركنه للتعدية
كما في قوله تعالى ونأى بجانبه فانها معدّية لنأى بمعنى بعد وفي الوجه الثاني يكون الركن مستعارا لجنوده تشبيها
لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد منهما يعتمد عليه ويتقوّى به فعلى هذا تكون الباء للسببية او للمصاحبة اي
فاعرض بسبب من كان يتقوّى بهم من جنوده في ملكه او فاعرض ومعه اركان ملكه ﴿قوله كأنه جعل ماظهر
عليه من الخوارق منسوبا الى الجن﴾ مبني على ان يكون ماظهر من يد الساحر ايضا من آثار الجن وافعالهم كما ان
ماظهر من يد المجنون كذلك والفرق بينهما ان الساحر يقصد الجن ويأتيهم باختياره بخلاف المجنون فان الجن
يأتونه من غير مشيئته واختياره وقيل كلمة او ههنا بمعنى الواو لانه قالهما جميعا قال تعالى حكاية عنه ان هذا
لساحر عليم وقال في موضع آخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ﴿قوله تعالى وفي عاد﴾ اي وفي قوم هود
آيات ان كان معطوفا على قوله وفي الارض او وجعلناهم آية ان كان معطوفا على قوله وتركنا فيها وكذا قوله
وفي ثمود قوم صالح فانه ايضا على احد هذين الوجهين ﴿قوله سماها عقيما﴾ يعني ان العقيم هي المرأة التي لاتلد
وسمي الريح التي لاتنشئ سحابا ممطرا ولاتنبت نباتا ولاتلقح شجرا عقيما اما لكونها سببا في هلاك من ارسلت هي عليهم
فيكون تسميتها به من قبيل توصيف السبب بوصف المسبب او لتشبيهها بالمرأة العقيمة من حيث انها لاتنتج فائدة
﴿قوله وهي الدبور﴾ يعني اختلف في الريح العقيم التي ارسلت عليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الدبور
وقال علي رضي الله عنه هي النكباء وقال سعيد بن المسيب هي الجنوب والاوّل اصح لقوله عليه الصلاة والسلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور * والرياح اربع الدبور والصبا والجنوب والشمال فالدبور ماتهب من جانب المغرب
والصبا ماتهب من جانب المشرق والجنوب ماتهب عن يمين من يتوجه الى المشرق والشمال ماتهب من جانب
يساره والنكباء اسم مشترك يطلق على كل ريح تهب مابين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اي عادلة
مائلة عن مهاب اصول الرياح والنكباء ايضا اربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال تسمى
الصابية وتسمى النكيباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكثير لانهم يستبردونها جدا ونكباء الشمال والدبور
قرّة اي باردة وتسمى الجربياء ونكباء الجنوب والدبور حارّة تسمى الهيف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الريح

(الذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها
او ماء اسود منتن (وفي موسى) عطف على
وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا
في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا (اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو
معجزاته كاليد والعصا (فتولى بركنه)
فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه
او فتولى بما كان يتقوّى به من جنوده وهو
اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوّى به وقرئ
بضم الكاف (وقال ساحر) اي هو ساحر
(او مجنون) كأنه جعل ماظهر عليه من
الخوارق منسوبا الى الجن وتردّد في انه حصل
ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما (فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم) فاغرقناهم في البحر
(وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر
والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه
(وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)
سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور
او الجنوب او النكباء (ماتذر من شيء اتت
عليه) مرّت عليه (الا جعلته كالرميم)
كالرماد من الرم وهو البلي والتفتت

حمل البعير والشاة والعبد والامة فتلقيه بالوادى ولم تضرّ غريبا ليس منهم وكانت العمالقة تجيئ الوادى
ظر اليهم فلم يضرّهم شيأ ﴿قوله تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام﴾ يعنى ان المراد من الحين المذكور
ى هذه الآية هذه المدّة التى امهلهم الله تعالى فيها بعد ما عقروا الناقة وهى ثلاثة ايام وقد تغيرت
لوانهم فى تلك المدّة فاصفرّت فى اليوم الاوّل واحمرّت فى الثانى واسودّت فى الثالث وقيل هذا ضعيف
ان قوله فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتوّ كان بعد ماقيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى
هذا القول تمتعوا الى انقضاء ثلاثة ايام وعند انقضائها تأخذكم الصاعقة التى هى الهلاك بصيحة جبريل
عليه الصلاة والسلام بسبب استكباركم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل
ى ارض الله ولا تمسوها بسوء فان سنة الله تعالى قدجرت على ان لايمهل قوما اصرّوا على الكفر بعد ظهور
ما اقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة من الصخرة الصماء بسبب اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا بعد ماعاينوا
خروجها منها وجبت عليهم العقوبة العاجلة فقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم
انهم عتوا عن امر ربهم بعد ماقيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل المقدّر للناس وان يكون المعنى
تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ما امركم الله تعالى به وهو ان لا تمسوها بسوء وان تتركوها على حالها
لا تزاحموها فى شربها ومرعاها فانكم ان امتثلتم هذا الامر تمتعتم وعشتم زمانا مديدا على حسب ماقدّر الله
تعالى من الآجال والا يأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فعجلت عقوبتهم
قال الامام ابو الليث فى تفسيره قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعنى قال نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام
عيشوا الى منتهى آجالكم ولا تعصوا امر الله تعالى فعتوا عن امر ربهم يعنى تركوا طاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب
هذا التضعيف والاشكال انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم معطوفا على مجرّد قوله
قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما اجمل فى قوله وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة
اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفى ثمود وفى اهلاك ثمود ايضا آية وقوله فعتوا عن امر
ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التى فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى
من اهلى فانه قد مرّ مرارا ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر
لا ان مضمون مابعدها مرتب على مضمون ماقبلها فى الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جرى ذكره
من هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى
﴿قوله فاستكبروا عن امتثاله﴾ اشارة الى وجه تعدية فعل العتوّ بكلمة عن مع انه قد عدّى بكلمة على فى قوله تعالى
ايهم اشدّ على الرحمن عتيا وحاصله ان فيه معنى الاستكبار فعدّى تعديته قال تعالى لايستكبرون عن عبادته وحيث
استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر علينا ﴿قوله اى العذاب﴾ الصاعقة فى اللغة نار تسقط من السماء
فى رعد شديد استعيرت هنا لصيحة العذاب اى للعذاب المهلك من اىّ نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل
صعقة اى غشى عليه وقال تعالى فصعق من فى السموات اى مات قيل المراد بها ههنا الموت بصيحة جبريل
عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وهم ينظرون﴾ حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بها بيان عدم قدرتهم على
دفعها ويجوز ان يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى ان العذاب اتاهم لا على غفلة بل انذروا من قبل ثلاثة ايام
انتظروه ولم يؤخذوا على غفلة اخذ العاجز المحتال ﴿قوله كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ اى
لاصقين بمكانهم من الارض لايقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب وهذه الآية نزلت فى قصة
ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضدّ الجثوم وهو التلبد بالمكان واللصوق به يقال جثم الطائر
بالارض اذا تلبد بها ولصق وعلى الثانى يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوى عليه واقامه ولم يعجز عنه قال
قتادة وجماعة فى تفسيره ماقدروا ان يقوموا بعذاب الله فيدفعوه عن انفسهم ﴿قوله اى واهلكنا قوم نوح﴾
يعنى ان قوم منصوب بعامل مضمر يدل عليه ماقبله لان ماقبله يدل على الاهلاك ﴿قوله ويؤيده﴾ اى ويؤيد كون
وجه انتصاب قوم معطوفا على محل فى عاد قرآءة من قرأ وقوم بالجرّ عطفا على المجرور قبله من قوله وفى عاد
وفى ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع وكمال قدرته ثلاث
منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهى حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته بان

(وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام (فعتوا عن امر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرّة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) اى واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قرآءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجرّ (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان

يولدله ولد من عجوز عقيم وحكاية قرى قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عليه السلام فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين لكن المقصود منها انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين من فرعون والثلاث الاخيرة تدل عليه من حيث كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفى هود وفى صالح وفى نوح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من ذكر الحكايات الست شرع فى بيان سائر مايدل على كمال قدرته من الآيات فقال والسماء بنيناها بأيد والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير بنينا السماء بنيناها والايد والآد القوة يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو أيد اى قوى وقوله وانا لموسعون معناه وانا القادرون على خلقها وخلق ماهو ارفع منها واعظم وخصت السماء بالذكر لانه لاشئ اعظم منها مما نشاهده وقيل معناه وانا لموسعون مااردنا اتساعه كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال قدرته ببناء السماء وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شئ خلقنا زوجين اى من كل جنس خلقنا نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحياة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لايستغنى احدهما عن الآخر ولا تتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تذكروا فيعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات لايقبل التعدد والانقسام فتعرفوه بالوحدانية وتخصصوه بالعبادة والفاء فى قوله تعالى ففروا الى الله للدلالة على سببية ماذكر فى الآية السابقة لما ذكر بعدها اى فاذا علمتم ان الله تعالى فرد لانظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ فى طاعته وعبادته وهو قوله ولاتجعلوا مع الله الها آخر اى لاتجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر ﴿ قوله او الاول مرتب ﴾ يعنى انه لاتكرير فيه بناء على ان الاول تعليل للامر والثانى تعليل للنهى فانه تعالى امر اولا بالفرار اليه بالايمان والطاعة وعقبه بقوله انى لكم منه نذير مبين تأكيدا للائتمار بالامر المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا كذلك تأكيدا للانتهاء عمانهى عنه ﴿ قوله اى الامر مثل ذلك ﴾ يعنى ان محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى امر كل قوم بالنسبة الى رسولهم مثل امر كفار مكة معك من حيث ان الرسل قبلك كذبوا كما كذبت وقيل فيهم اقوال مختلفة كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ما اجمله بقوله كذلك فقال ما اتى الذين من قبلهم ﴿ قوله ولايجوز نصبه بأتى ﴾ بان يكون صفة لمصدره المحذوف اى ما اتاهم من رسول اتيانا مثل اتيانك قريشا الا قالوا او بما يفسره وهو قوله الا قالوا ساحر بأن يكون التقدير الا قالوا قولا مثل قولك لان هناك مانعا لفظيا وهو ان مابعدما النافية لايعمل فيما قبلها والاستفهام فى قوله تعالى أتواصوا به للتعجيب والتوبيخ والضمير فى به يرجع الى القول المدلول عليه بقالوا قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بناء على ظن ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تنفع من علم الله انه يؤمن وقال الكلبى معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم من حيث يزدادون به بصيرة ﴿ قوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة ﴾ جواب عما يقال حق اللام ان تدخل على الغرض المطلوب من الفعل وهو العلة الغائية الحاملة للفاعل على الفعل كما يقال اكلت لدفع الجوع ولبست لدفع الم البرد ولم تدخل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لايفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو كامل فى نفسه يستحيل ان يكون مستكملا بغيره او ان تدخل على غايته المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها لها بالغرض الحامل للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لو صدر من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا للفاعل كما فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فان انتفاع الناس بما خلق فى الارض لما كان غاية مترتبة على خلقه وكان حاملا للخلق فى الجملة اذا كان الخلق صادرا ممن يفعل لغرض شبه بالغاية المطلوبة من الفعل فادخل عليها لام الغرض لذلك المعنى فما معنى اللام فى هذه الآية * وتقرير الجواب نعم ان العبادة ليست غرضا مطلوبا من الخلق ولاغاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس الا انها شبهت بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة وقابلة

(والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اولموسعون السماء اوما بينها وبين الارض اوالرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) اى من عذابه المعد لمن اشرك اوعصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات اومبين مايجب ان يحذر عنه (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم مايجب ان يفر منه (انى لكم نذير مبين) تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون) كالتفسير له ولايجوز نصبه بأتى اومايفسره لان مابعدما النافية لايعمل فيما قبلها (أتواصوا به) اى كأن الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما انت بملوم) على الاعراض بعدما بذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولاتدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه اومن آمن فانها تزداده بصيرة (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

لها فانهما من حيث تأتي منهما العبادة وانهما هديا اليها بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما صارا بذلك كأنهما خلقا للعبادة وانها مترتبة على خلقهما فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في خلقهما على تلك الصورة ووصف الصورة بكونها مغلبة للعبادة لكونها بحيث تصدر عنها العبادة بسهولة لتحقق اسبابها وكثرة دواعيها فصارت بذلك كأنها جعلت غالبة عليها متمكنة فيها ولما وجه الكلام باخراج اللام عن ظاهر معناها بحملها للمبالغة في خلقهما بحيث تأتي منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره يعني ان المانع من حمل الكلام على ظاهره امران احدهما ان الدليل يمنع حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يستلزم تعارض الآيتين لان من خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة ولما صرف الكلام عن ظاهره بأن جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض ﴿قوله وقيل معناه﴾ يعني قيل ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها في الحقيقة داخلة على ما هو سبب للعبادة وهو الامر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في تفسير الآية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتي ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقوله الا ليعبدوا الله ﴿قوله اوليكونوا عبادا لي﴾ فيه ان عبد بمعنى صار عبدا غير مستعمل ولا موجود في كتب اللغة ﴿قوله انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم﴾ اذ منهم من يحتاج الى كسب عبده في نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين به في قضاء حوائجه بان يستخدمه في طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثياب نفسه وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهي ليستعدوا لفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالتذلل والانقياد وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير وما اريد فان الارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الاطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالارزاق ونفي الاهم يستلزم نفي مادونه بطريق الاولى كأنه قيل ما اريد منهم من عين ولا عمل ﴿قوله تعالى ان الله هو الرزاق﴾ تعليل لعدم ارادته الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في مهامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان من يستعين بغيره في اموره يكون عاجزا لا قوة له وقوله المتين مرفوع في قرآءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان او خبر مبتدأ محذوف اي هو المتين او على انه صفة لذو القوة او الرزاق وقرئ بالجر على انه صفة للقوة وتذكير وصفها لكون تأنيثها غير حقيقي او لكونها في تأويل الابداع والاقتدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب والمتانة شدة القوة ثم انه تعالى لما بين ان كفار قريش كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كذب كفار الامم الماضية رسلهم بين جزآء تكذيبهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا والفاء فيه فاء فصيحة اي اذا عرفت حال اولئك الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين نصيبا مثل نصيبهم عبر عن النصيب بالذنوب تشبيها لقسط كل واحد من العذاب بذنوب السقاة فانهم يقتسمون الماء من الآبار على النوبة ذنوبا ذنوبا قال الشاعر

* لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب *

اي البئر وفيه اشارة الى ان العذاب يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم ثم نهاهم عن استعجال العذاب فقال فلا يستعجلون والنون المكسورة نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فيقول متى يكون هذا الوعد فنهى عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين ذنوبا لكن أخر ذلك الى يوم القيامة ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون اي من عذاب يوم القيامة والويل الشدة من العذاب وقيل اسم واد في جهنم * تم بعون الله تعالى ما يتعلق بالذاريات

﴿سورة الطور مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم﴾

﴿قوله وهو جبل بمدين﴾ من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور تينا والآخر طور زيتا احدهما ينبت التين والآخر ينبت الزيتون ﴿قوله او ماطار﴾ فيكون الطور صفة بمعنى الطائر كالقل

وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة اوليكونوا عبادا لي (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا (ان الله هو الرزاق) الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) من يوم القيامة او يوم بدر * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

﴿سورة والطور مكية وهي اربعون وتسع او ثماني آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ماطار من اوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او في الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة

والكثر بمعنى القليل والكثير يقال ماله قل ولا كثر ﴿قوله او فى الواح موسى﴾ لمناسبة الطور ﴿قوله الرق الجلد﴾ يعنى ان الرق فى الاصل مارق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر مارق لاجل الكتابة تشبيها له بالرق والمنشور منه مايبسط وينشر لقرآءة ﴿قوله او الضراح﴾ بضم الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضريح البعيد وقيل هو من المضارحة وهى المقابلة لانه مقابل للكعبة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه بيت فى السماء الرابعة بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه بعد ذلك حتى تقوم الساعة فهو معمور بكثرة زوّاره من الملائكة لحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو البيت الذى بناه آدم فى الارض فرفع ايام الطوفان الى السماء ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل الله بيتا من ياقوتة فى الارض فى زمان آدم عليه السلام ووضعه بمكة فكان آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو البيت المعمور طوله كما بين السماء والارض قال صاحب الكشف وماجاء فى الحديث انه فى السماء السابعة لاينافيه فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا واما الذى كان فى زمان آدم فرفع بعد موته فهو فى السماء الرابعة على مانقله الازرقى فى تاريخ مكة وسمى ضراحا لانه ضرح ورفع الى السماء على مامرّ ان الضرح هو الابعاد ﴿قوله يعنى السماء﴾ لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فانها بمنزلة السقف للارض ومرفوعة فوق كل شئ وقيل المراد به العرش ﴿قوله اى المملوء﴾ من قولك سجرت الاناء اى ملأته او الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته لماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا ويزاد بها فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر يسجر فيكون جهنم وقيل يحمى البحر فيكون شراب اهل النار ﴿قوله او المختلط﴾ فان المسجور فى اللغة اللبن الذى ماؤه اكثر منه ويقال عين سجرآء اذا خالطت بياضها حمرة قال الربيع بن انس البحر المسجور اى المختلط العذب بالملح فان البحار كلها تجمع يوم القيامة وتجعل بحرا واحدا او المختلط بمافيه من الحيوانات المائية وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا وقال عكرمة هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم ﴿قوله ووجه دلالة هذه الامور الخ﴾ يعنى ان الايمان انما تذكر فى القرآن من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليه فهو تعالى خص هذه الامور بجعلها مقسما بها لاختصاصها بمزيد الدلالة على تحقق المقسم عليه ففى الاقسام بها تعظيم لشأنها من حيث دلالتها على ثبوت المدّعى ولاخفاء فى دلالتها باسرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ومايدل عليها يدل على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا فى الاخبار بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم ﴿قوله ويوم ظرف﴾ لم يبين ان عامله ماهو اشارة الى جواز انه واقع او دافع والظاهر ان العامل فيه واقع وان الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله تأكيدا لماسبقه لان جعله ظرفا لقوله واقع يوهم ان احدا يدفع عذابه فى غير ذلك اليوم وهو باطل لان عذاب الله تعالى ماله من دافع فى كل وقت فلاوجه لتقييده فى ذلك اليوم ﴿قوله اى اذا وقع ذلك فويل لهم﴾ اشارة الى ان فى الكلام معنى الشرط وان الفاء فى قوله فويل جزآئية جيئ بها لربط مدخولها بالشرط المحذوف والجملة الشرطية لبيان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل يومئذ للمكذبين وهو لاينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لالعصاة المؤمنين وقوله تعالى الذين هم فى خوض يلعبون حال من المنوى فيه ويجوز ان يكون لغوا متعلقا بيلعبون مقدّما عليه ويكون يلعبون هو الخبر والموصول مع صلته صفة للمكذبين لم يقصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم والخوض فى الاصل عام يطلق على الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل والاندفاع فيه ﴿قوله يدفعون اليها بعنف﴾ يعنى ان الدع هو الدفع بعنف وشدّة يقال دععته ادعه دعا اى دفعته بجفوة قال تعالى يدع اليتيم اى يدفعه قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا * فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فى النار وهم بعدآء عنها وقوله تعالى يسحبون فى النار على وجوههم يدل على انهم فيها * والجواب من وجوه الاوّل ان الملائكة

(يسحبونهم)

(فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة اوقلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردّد فى المجيئ والذهاب وقيل تحرك فى تموّج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) اى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) اى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار

يسحبونهم فى النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى نار والدفع فى نار اشدّ واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون اى يكون لهم سحب فى حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال والثانى يجوز ان يكون فى كل زمان يتولى امرهم ملك فالى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملائكة يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها ﴿قوله فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين﴾ اى يكون حالا مقدرة من مرفوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا اليها فادخلوها مقدرا فى حقهم ان يدعوا اليها فيجيبون فيدفعون اليها ﴿قوله او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار﴾ يعنى ان قوله تعالى هذه النار مقول قول مقدر ويوم يدعون ظرف لذلك القول اى فيقال لهم تلك المقالة يوم يدعون ثم يوبخون لما عاينوا ما كانوا يكذبون بها فيقال لهم أفسحر هذا وقوله هذا مبتدأ وقوله أفسحر خبره قدّم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام ولان شأن البلغاء تقديم ما الهم به مزيد العناية والاهتمام وهو فى هذا المقام توبيخ المشركين بنسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات الى السحر والتغطية على الابصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضى معطوفا عليه حتى يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدّره فقال اى كنتم تقولون الوحى هذا سحر فالاحوال التى شاهدتموها اليوم مما يصدّق ذلك الوحى أسحر هو ايضا ومصداق الشئ ما يصدّقه واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدّق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها وأشار بقوله فهذا المصداق الى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان تكون النار فى تأويل المصداق ونظير هذا الاسلوب ان يستدل المدّعى على مذهبه بحجة فيقول الخصم له ما ذكرته تمويه باطل لا يثبت به المدّعى فيأتى المستدل بحجة اوضح من الاولى مسكتة للخصم ويقول أفتمويه هذا ايضا تعبيرا له بالالزام وطعنا فيه بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قال له اوّلا كأنه قيل انكم كنتم فى الدنيا منكرين للبعث وما يتفرّع عليه من الثواب والعقاب فان كنتم صادقين فى ذلك الانكار لزم ان لا يكون ما اصابكم اليوم من عذاب النار عذابا ولا ما شاهدتموه فى صورة النار نارا ومن المعلوم ان من رأى شيأ ولم يكن المرئى فى نفس الامر ذلك الذى رآه فخطأه يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئى واما لامر عائد الى الرآئى فاىّ هذين الامرين كان سبب خطاكم فقوله أفسحر هذا اى هل فى المرئى تلبيس وتمويه حتى خيل لكم انه نار مع كونه ليس بنار فى نفس الامر ام هل فى بصركم خلل فكلمة ام متصلة والاستفهام للانكار اى ليس شئ منهما ثابتا فثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم باعمالكم وان الذى ترونه حق وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع وبعد هذا التقريع يقال لهم اصلوها اى قاسوا حرّها وما فيها من العذاب الشديد اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لا خلل فى ابصاركم فاصلوها ﴿قوله اى الامران﴾ اشارة الى ان قوله سوآء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا او لا تصبروا اى الامران سوآء عليكم اى صبركم وتركه مستويان فى عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدّة الواقعة ابتداء لا جزاء فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه الصبر لا محالة بخلاف الصبر الذى تعلق بالشدّة الواقعة جزاء فانه لا ينفع الصابر البتة لان الجزآء المؤبد واجب الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدا وقوله تعالى ان المتقين فى جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من جملة ما يقال للكفار زيادة فى غمهم وتحسرهم ﴿قوله فى آية جنات واى نعيم﴾ يعنى ان تنكير جنات ونعيم اما للتعظيم او للنوعية والخصوص وفاكهين منصوب على انه حال من المنوى فى الظرف قيد كونهم فى جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حبورهم وسرورهم فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة قد يتوهم ان من يدخلها وانما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها كما هو شأن ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه فلما قيل ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما هو شأن المتفرّج بالبستان لا كالناطر والعمال ثم زاد فى بيان نزهة خاطرهم وكمال حبورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان استقرارهم فى النعيم ليس الا فى حال كونهم متلذذين لا يشوب سرورهم وحبورهم شئ من الكدر وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبران وحينئذ يجوز ان يكون فى جنات ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا آخر عند من يجوّز تعدد الخبر وقوله بما آتاهم متعلق بفاكهين وما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثانى لآتاهم اى متلذذين بسبب ما آتاهم اى اعطاهم ربهم اياه او مصدرية اى متلذذين بايتائهم ربهم ما خصهم به من الكرامة

وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدّر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فيقال لهم ذلك (أفسحر هذا) اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه مقصود بالانكار والتوبيخ (ام انتم لا تبصرون) هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدّ ابصاركم كما سدّت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا (اصلوها فاصبروا او لا تصبروا) اى ادخلوها على اىّ وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سوآء عليكم) اى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستوآء فانه لما كان الجزآء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى آية جنات واىّ نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو

(ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية اوفى جنات اوحال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال اومن فاعل آتى اومفعوله اومنهما (كلوا واشربوا هنيئا) اى اكلا وشربا هنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهوالذى لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه اوبدله وقيل الباء زآئدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنا كم ماكنتم تعملون اى جزآؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق اوللسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن اولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حوراى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنابهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل

قوله عطف على آتاهم ان جعل مامصدرية **و**التقدير متلذذين باتيانهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولايجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ماموصولة لان المعطوف على الصلة يكون فى حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولاعائد لها فى الجملة المعطوفة لان التقدير حينئذ فاكهين بالذى آتاهم ربهم اياه وبالذى وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس فى الجملة الثانية مايعود على الموصول لان وقاهم قد اخذ كلا مفعوليه ولو قدر العائد لبقى بلاعامل بخلاف آتاهم فان مفعوله الثانى محذوف هو العائد الى الموصول **قوله** اوفى جنات اى او هو عطف على قوله فى جنات لان التقدير ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم **قوله** اوحال معطوف على قوله عطف اى ويجوز ان تكون الواو حالية لاعاطفة فتكون كلمة قد مقدرة لما تقرر من ان الماضى المثبت اذا وقع حالا لابد من اقتران الجملة بكلمة قد ظاهرة اومقدرة وذو الحال اما المستكن فى الظرف اوفى الحال او هو اما فاعل آتى او مفعوله اوكلاهما وقوله تعالى كلوا واشربوا محكى بقول مقدر اى يقال لهم ذلك وهنيئا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى اكلا وشربا هنيئا او على انه صفة للمفعول به المحذوف اى طعاما وشرابا هنيئا فانه ترك ذكر المأكول والمشروب للدلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمريء صفتان من هنيء الطعام ومريء اذا كان سائغا لاتنغيص به اى اذا كان بحيث لايورث الكدر من نحو التخم والسقم يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اى كدره وتنغصت عيشته اى تكدرت **قوله** وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا فلايكون هنيئا صفة لمحذوف بل تكون من المصادر التى حذفت عواملها وجوبا لكثرة الاستعمال واقيمت هى مقامها والتقدير هنيئا ماكنتم تعملون اى جزآء ماكنتم تعملون هنيئا والمصدر على وزن فعيل كثير كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره قوله

هنيئا مريئا غيرداء مخامر ۞ لعزة من اعراضنا مااستحلت

فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم هو مقام فعله ومااستحلت فاعل الفعل المحذوف اى هنؤ لعزة مااستحلت من اعراضنا هنيئا قيل عليه وزيادة الباء فى الفاعل لم تسمع الافى فاعل كفى ولاهى قياسية فلاوجه لتجويزها ههنا **قوله** متكئين حال من الضمير فى كلوا واشربوا وعلى سرر متعلق بمتكئين ومصفوفة اى منتظمة بعضها الى جنب بعض وتقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء على السرر للايماء الى ان اهل الجنة فارغون من الكلفة بالكلية لان الاتكاء هيئة مخصوصة بالمتنعم الفارغ من الكلفة والتعب **قوله** الباء لما فى التزويج جواب عمايقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوليه بلا واسطة حرف الجر يقال زوجته امرأة ولايقال زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فما وجه تعديته بالباء ههنا * اجاب عنه اولا بانه انما عدى بالباء باعتبار مافى ضمنه من معنى الايصال والالصاق وثانيا بانها ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن فى التزويج بعطف قوله تعالى والذين آمنوا على حور عين ولولم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لماجاز العطف المذكور لاستحالة تحقق عقد النكاح بين المتقين واخوانهم المؤمنين واذاكان تزويجهم بالمؤمنين بطريق وصل بعضهم بعضا والصاقه به يكون تزويجهم بالحور العين ايضا بذلك الطريق لابان يعقد بينهم عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قول ولما فى التزويج من معنى الالصاق عطف والذين آمنوا على حور هكذا فى بعض النسخ ولعلها هى النسخة الصحيحة وفى اكثر النسخ اولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور ولاوجه له بعد قوله لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق وهو ظاهر واختار المصنف ان يكون قوله تعالى والذين آمنوا معطوفا على قوله بحور عين والمعنى قرناهم بحور وبالذين آمنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين كما قال اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذريتهم معطوفا على قوله وزوجناهم اى ومن كرامة المتقين ان الله يجمع بينهم وبين ذريتهم فى الكرامة ويلحقها بهم لتقربها اعينهم ثم بين ان ايمان الذرية يكفى فى الحاقها بهم فقال بايمان ألحقنابهم ذرياتهم اى اولادهم الصغار والكبار فان الكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لخير الابوين اى لمن آمن منهما فبسبب ايمانه تبعا يلحق بابيه كما ان الكبير يلحق به بايمانه بنفسه ثم ذكر قول من قال قوله تعالى والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنابهم فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية بالآباء فان تعلق الحاق الذرية بمتابعتهم الآباء فى الايمان يشعر بعلية المتابعة للالحاق فان الباء فى قوله بايمان يجوز ان تكون بمعنى فى فتتعلق

(باتبع)

بالتبع وان تكون على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اى ملتبسين بايمان ﴿قوله للمبالغة فى كثرتهم﴾ يعنى والتصريح
بما ذكره فان الذرية لو لم تقع على الواحد لما جمع لان لفظ الجمع موضوع لان يطلق على آحاد مفرده ﴿قوله وقيل
بايمان حال﴾ عطف على قوله اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان يعنى ان الباء للظرفية وقيل للملابسة فتكون حالا
من المفعول الاوّل وهو الضمير او الثانى وهو الذرية او منهما اى اتبعناهم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى
واتبعناهم يكون معطوفا على زوّجناهم ويكون اتبعناهم بهم عبارة عن ضمهم اليهم والحاقهم فيكون قوله بعد ذلك ألحقنا
بهم ذرياتهم تكرارا ﴿قوله وماالتناهم﴾ اى ما انقصنا الآباء المتقين من ثواب عملهم من شئ من النقص
لما كان الحاق الذرية بالآباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب بينه وبين ولده فينتقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك
الوهم بقوله تعالى وماالتناهم ﴿قوله يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم﴾ اى على الاولاد بتبليغهم درجة
الآباء بمحض التفضل الالهى من غير عمل يؤدى اليها وعلى الآباء بان يقرن بهم اولادهم وتقرّبهم اعينهم من غير ان
ينقص من اعمالهم شئ وذلك تفضيل عظيم فى حق الكل وقوله تعالى من شئ مفعول ثان لألتناهم ومن مزيدة فيه ومن
عملهم فى محل النصب على انه حال من شئ لانها فى الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا ﴿قوله بعمله مرهون
عندالله﴾ تمثيل كأنّ نفس العبد مرهون عندالله بعمله الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان
عمل صالحا كما امر به فكها اى خلصها والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه
مطالب به ونفس المرء بمنزلة الرهن المرهون عند المرتهن فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك من الرهن شئ
كذلك العمل الصالح ما لم يصل اليه تعالى لاتتخلص نفس المرء منه قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ «حق الله
تعالى على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد عليه تعالى ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ» فانه
صريح فى ان التوحيد والطاعة بمنزلة الدين الثابت لله تعالى على العبد ووجه مناسبة الآية بما قبلها انه تعالى
لما ذكر حال المتقين وانه وفر عليهم ما اعدّه اليهم من الثواب والتفضل انزل هذه الآية لتدل على انهم فكوا رقابهم
وكان موضعه بحسب الظاهر آخر ما ورد فى تفضيل اجر المتقين وهو قوله هو البر الرحيم ليكون كلاما اجماليا فى
بيان حال الفريقين وهما المدفوعون الى نار جهنم والمتقون الا انه انزلها فى خلال بيان اجزية المتقين ليدل على
ان خلاص رقابهم من بعض اجزيتهم ايضا ثم ذكر ما زيدهم على ما ذكر قبله من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة
اى واتبعنا ما اعطيناهم من ثواب اعمالهم فانه تعالى لما قال ماالتناهم واوهم ذلك انهم يجازون بما يساوى عملهم
دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على التساوى بل بالزيادة والامداد وقتا
بعد وقت مايشتهونه وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لا تنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما فى قوله
مما يشتهون للعموم لانواع اللحمان وقوله تعالى يتنازعون وقوله لا لغو فيها ولا تأثيم فى محل النصب على انه صفة
كأسا وفيها اى فى شربها وقيل فى الجنة وفسر التنازع بالتعاطى على طريق التجاذب الذى يقصد به الملاعبة
وفيه نوع لذة اذ لا يتصوّر فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكأس قدح فيه خمر ولا يسمى كأسا ما لم يكن فيه شراب
كما لا يسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام ﴿قوله اى لا يتكلمون بلغو الحديث﴾ لان شربها لا يذهب بعقولهم
حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام الذى يجرى بين العلماء
والحكماء متلذذين بذلك يقال اثمه اذا جعله ذا اثم واشار بهذا التفسير الى ان اللغو فى الكلام والتأثيم فى الفعل
﴿قوله وذلك مثل قوله لا فيها غول﴾ اى فى عدم اعمال لا فانه اذا وقع بينها وبين اسمها فاصل وجب الرفع
والتكرير نحو لا فى الدار رجل ولا امرأة لانها يضعف عملها بالفصل فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفى الدار
خبره فكذا غول مبتدأ وفيها خبره وقد تقرّر فى النحو انه يجوز فى نحو لا حول ولا قوة رفع الاسمين على ان الاول منهما
مبتدأ والثانى عطف عليه وبالله خبره ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم
على قرآءة الجمهور فانهم قرأوا برفع الاسمين وتنوينهما وقرأ ابن كثير والبصريان بفتحهما من غير تنوين لان كل
واحد منهما اسم ليس بمضاف ولا مشابه للمضاف فبنى على ما ينصب به ﴿قوله تعالى كأنهم لؤلؤ﴾ صفة ثانية
لغلمان او حال منهم لانهم قد وصفوا او من المنوىّ فى لهم قوله يتساءلون حال من فاعل اقبل اى اقبلوا متساءلين قال
ابن عباس رضى الله عنه يتذاكرون ما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف وقيل يتساءلون عن اعمالهم فى الدنيا
التى بها وصلوا الى دار النعيم بوعد الله تعالى ويدل عليه قول المسئولين فى جوابهم انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا

وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم
التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية
تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى
الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية
او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى
للالحاق المتابعة فى اصل الايمان (ألحقنا بهم
ذريتهم) فى دخول الجنة او الدرجة لما
روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع
ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه
لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن
عامر والبصريان ذرياتهم (وماالتناهم)
وما انقصناهم بهذا الالحاق (من عملهم من
شئ) فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة
الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان
يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال
لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت
وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت
يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل
واحد (كل امرئ بما كسب رهين) بعمله
مرهون عندالله فان عمل صالحا فكها والا
اهلكها (وامددناهم بفاكهة ولحم مما
يشتهون) اى وزدناهم وقتا بعد وقت
مايشتهون من انواع النعم (يتنازعون فيها)
يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا)
خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير
فى قوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) اى لا يتكلمون
بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا
وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن
كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم)
اى بالكأس (غلمان لهم) اى مماليك
مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين
سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون
فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه
السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب (واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن احواله
واعماله

مشفقين والخوف من العذاب اصل التقوى كلها لانه يدخل فيه خوف التقصير فى الطاعة و خوف ملابسة المعصية فيجتنب عند ذلك من كل واحد منهما باقصى مايمكن لما وصف الله تعالى اهل الجنة بانه زوّجهم بحور عين و باخوانهم المؤمنين وانه يلحق بهم ذريتهم المشاركين لهم فى اصل الايمان و انه يمدّهم فى كل وقت بما يشتهون وانهم يتناولون فيها كأسا يطوف عليهم بها الغلمان الموصوفون قال بعده وأقبل بعضهم على بعض على ماهو عادة اهل المجلس يشرعون فى التحادث ليتم به استئناسهم كما قيل

وما بقيت من اللذات الا ❊ احاديث الكرام على المدام ❊

اى الخمر ﴿ قوله عذاب السموم ﴾ السموم فى الاصل الريح الحارة التى تدخل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها به فى نفوذ حرّها ولما قرّر فوز المتقين بالسعادة لاجل التذكير والانتفاع بالموعظة قال فذكر اى فذكر ولا تبال بما قالوا فى حقك انه كاهن او مجنون فانك بحمد الله برئ مما يقولون فان من كان ارجح عقلا و صدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون و الكهانة مع ان الجنون و الكهانة متناقضان لا يجتمعان فى شخص لان الكهانة تقتضى التدبر و الفراسة فاين هى من الجنون و الكاهن من يخبر عن المغيبات الآتية من غير وحى وقوله تعالى بنعمة ربك حال من المنوى فى كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر ما وقوله ولا مجنون عطف عليه والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك اى بانعامه عليك بجميع الاخلاق الحميدة و الفضائل الشريفة التى افضلها النبوّة و الوحى و بحمده فهى حال لازمة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفارق هذه الحال ويجوز ان تكون الباء فى قوله بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسم ما وخبرها ويكون جواب القسم حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير بنعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون ﴿ قوله تعالى ام يقولون ﴾ قال المصنف فى آخر الآيات ام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ردّ الله تعالى قولهم فى حقه عليه الصلاة و السلام انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله نتربص به فى موضع الرفع على انه صفة شاعر وصفوا الشاعر به لانهم كانوا يحترزون عن ايذاء الشعراء ويقولون الشعر يحفظ و يدوّن فلا نعارضه مخافة ان يغلبنا بقوّة شعره بل نصبر ونتربص موته و هلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ يتفرّق اصحابه فان اباه قد مات شابا و نحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه ﴿ قوله تعالى قل تربصوا ﴾ ليس امر ايجاب او ندب او اباحة لان تربصهم هلاكه عليه الصلاة و السلام حرام لا محالة فهو امر تهديد كما يقول السيد لعبده استمرّ وافعل ما شئت فانى غير غافل عنك ﴿ قوله مايقلق النفوس من حوادث الدهر ﴾ يريد ان الريب بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائى و الاخفش و الفرّاء سمى به الدهر لانه يقطع قوّة الانسان فان المنون من المنّ وهو القطع يقال منه اذا قطعه فريب المنون عبارة عن حوادث الدهر وتقلبات الزمان التى تورث قلقا واضطرابا للنفوس وقيل سميت ريبا تشبيها لها بالريب الذى هو الشك فى التزلزل و عدم الثبات و قال الخليل المنون الموت سمى منونا لانه يقطع العمر و ريبه اوجاعه ثم اضرب عن توبيخهم و الانكار عليهم بنسبة المقالات المتناقضة اليهم فى حقه عليه الصلاة و السلام الى نسبتهم الى السفه و الجهل الذى حملهم عليها فقال ام تأمرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول كأنه قيل دع تفوّههم بهذه المقالات المتناقضة و انظر الى ما فيهم مما هو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المتبصرين الى ماهو ادخل فى الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كأنه قيل دع كونهم سفهاء عديمى العقل و القول بان المؤدّى الى تلك الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحدّ فى العناد فانه هو الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب عن الانكار عليهم بمجاوزتهم الحدّ فى العناد الى توصيفهم بما هو ابلغ فى الذم وهو ان ينسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ان يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه وهو اقبح من الطغيان الذى هو مجاوزة الحد فى العناد لان الافتراء ابعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق لاسيما ان يفترى على الله تعالى مع ان كونه مفتريا مع كونهم عاجزين عن الاتيان باقصر سورة منه متنافيان * و التقوّل تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب ثم كذبهم فى نسبتهم التقوّل اليه عليه الصلاة والسلام وقال بل لا يؤمنون اى ليس الامر كما زعموا من احتمال تحقق شئ من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوّته وبالقرآن عنادا واستكبارا مع وضوح دلائل حقيقتهما ثم الزمهم الحجة وبين انهم طاغون معاندون فى

(قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة او التوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (انا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البرّ) المحسن وقرأ نافع و الكسائى بفتح همزة انه (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما انت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصوا هلاكى (ام تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله و الشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون و امر الاحلام به مجاز عن ادآئها اليه (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحدّ فى العناد وقرئ بل هم (ام يقولون تقوّله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدّوا فصحاء فهو ردّ للاقوال المذكورة بالتحدى و يجوز ان يكون ردّا للتقول فان سائر الاقسام من الاقوال ظاهر الفساد

(ام خلقوا من غير شئ) ام أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لايعبدونه او من اجل لاشئ من عبادة ومجازاة (ام هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله (ام خلقوا السموات والارض) وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لا يوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض وقالوا الله اذلو ايقنوا ذلك لما اعرضوا من عبادته (ام عندهم خزآئن ربك) خزآئن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزآئن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (ام هم المسيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا قرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (ام لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (ام له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لايعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب (ام تسألهم اجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك (ام عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم يكتبون) يحكمون منه (ام يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم او شركة ما يشركون به

جميع ماذكروه من المطاعن فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اى ان كان الامر كما زعموا انه كاهن او مجنون او شاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه عليه الصلاة والسلام في حد نفسه واحد منهم فيجب ان يقدروا على ماقدر هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثال ماأتى به تعين ان ما اتى به كلام آلهي واجب القبول وانه عليه الصلاة والسلام رسول مؤيد من عند الله ﴿قوله ام أحدثوا وقدروا من غير محدث﴾ على ان كلمة من لابتدآء الغاية اى بل أيقولون انهم خلقوا من غير خالق خلقهم وموجد اوجدهم وعلى الثانى تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شئ اى عبثا ام يدعون انهم خلقوا انفسهم فلما لم يمكنهم ان يدعوا واحدا من هذين الامرين ضرورة استحالة الخلق بل كانوا مضطرين الى الاقرار بان لهم صانعا غيرهم فما الذى يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة ووجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية امر البعث والجزآء ذكر مايزيل استبعادهم ويدل على وحدانية المبدئ وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعو الى التوحيد واخلاص العبادة له تعالى فكأنه قيل كيف يكذبونه وفي خلق انفسهم مايدل على صدقه في دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقون لامحالة والمخلوق لابد له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل ❁ وفي كل شئ له آية ❁ تدل على انه واحد ❁
والخلق الاول دليل على جواز الخلق الثانى وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذا ثبت حقية المبدأ والمعاد ثبت حقية امر الرسالة بناء على ان خالقه يصدقه في دعوى الرسالة بما اظهره على يده من المعجزات التى لايقدر عليها احد الا الواحد القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم وانكار انهم خلقوا انفسهم الى انكار انهم خلقوا السموات والارض فقال ام خلقوا السموات والارض اى ليس الامر كذلك ولما لم يمكنهم ان يدعوا خلق شئ من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وجب عليهم توحيده ونفى الشركاء عنه وان يصدقوا من صدقه وان يؤمنوا بجميع ماجاء به من عند ربه ولما كان انكار كونهم خالقين لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وكان الظاهر من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب عنه بقوله بل لايوقنون والمعنى انهم وان اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين في ذلك الاعتراف اذلو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته وتصديق رسوله واطاعته فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير ان يقدر لقوله بل لا يوقنون مفعول اى لا يوقنون بان الخالق الرزاق المحيى المميت القادر على كل شئ هو الله تعالى ومن شك في مثل هذا المطلب الجلى لايبعد منه ان يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة وفي بعض النسخ لم توجد كلمة الواو في قوله اذا سئلوا وقالوا الله ولا وجه له ﴿قوله على الاشياء﴾ اشارة الى ان عدم ذكر مفعول مسيطرون لقصد العموم والمسيطر المسلط القاهر الذى لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء ويدبر امر الربوبية ويختار مايشاء ثم انه تعالى لما ابطل من الاحتمالات العقلية مايصلح ان يكون مبنى تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام وطعنهم فيه بانه كاهن او مجنون او شاعر شرع في ابطال قولهم نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يستمعون فيه يصعدون فيه فيستمعون كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون ﴿قوله تعالى يستمعون فيه﴾ صفة لسلم وفيه متعلق بمحال محذوف فتقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم ﴿قوله فيه تسفيه لهم﴾ بيان لمناسبة تلك المقالات لهذا المقام فان مدلول الآية الانكار عليهم حين جعلوا لله تعالى مايكرهون من الاناث ولانفسهم البنين كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون والمقام مقام توبيخهم على اقوالهم المتناقضة ومقالاتهم الزآئغة المتعلقة بتكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ومن بلغ في السفاهة الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له مالا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمق ويستحيل ان يترقى روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل مقتضى طباعهم الفاسدة التشبث بالكلمات الخرافات فانهم كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم ﴿قوله الغيب اللوح المحفوظ﴾ على ان يكون الغيب بمعنى الغائب او يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا قال قتادة قوله تعالى ام عندهم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى أعندهم

(وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ) اى شيأ من الاغناء فى ردّ العذاب (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى (وان الذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين (ولكن اكثرهم لايعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك باعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من اىّ مكان قمت او من منامك اوالى الصلاة

الغيب الذى كتب فى اللوح المحفوظ حتى علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو ردّ لقولهم انا لانبعث ولو بعثنا لم نعذب كما قال تعالى خبرا عن قول البعض ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب فان كان قوله تعالى ام عندهم الغيب جوابا لقولهم نتربص به ريب المنون يكون وجه اتصال قوله ام يريدون كيدا بماقبله انه يكون جوابا آخر له كأنهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم أتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون به كيدا فتقولون نقتله فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب فانكم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانكم جاهلون مجزيون بكيدكم من غير ان يتم لكم مرادكم ولايعود ضرر مكركم الاعليكم وان كان جوابا لانكارهم باحوال الآخرة يكون المعنى بل انهم لايكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا الك كيدا واساءة فهم المكيدون لاانت فانك انت المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا فان القصر المدلول عليه بقوله هم المكيدون اضافى فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم من ان يعود عليهم ضرر كيدهم فتعالى الله عن ان يكون له شريك يقاومه ويدفع ماأراده وفى الصحاح الكسفة القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا انتهى وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو فى الكسف بالسكون واختار المصنف قول الاخفش وقرئ فى جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا فى هذه الآية فانه على الافراد لاغير اى بسكون السين والمعنى ان عذبناهم بسقوط كسف من السماء عليهم كما زعموا فى قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب اجتمع بعضه مع بعض فتثاقل فسقط علينا وليس بسماء وقوله فذرهم جواب شرط محذوف اى اذا بلغوا فى المكابرة والعناد الى هذا الحدّ وتبين انهم لايرجعون عماهم عليه من الكفر فدعهم حتى يموتوا على الكفر ﴿قوله وقرئ يلقوا﴾ ثلاثيا من لقى مبنيا للفاعل ووجهه ظاهر ويلقوا على بناء المفعول من باب التفعيل ويومهم مفعول به لاظرف وقوله من صعقه اى الثلاثى او من اصعقه اى الرباعى وكلاهما بمعنى اماته فيصعقون على الاوّل مثل يقصون وعلى الثانى مثل يكرمون وقرأ باقى السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل اى يموتون يعنى ان صعق يتعدّى ولايتعدّى كسعد وسعدته انا فهو مسعود قال تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة يقال صعق زيد اى مات وصعقه غيره اى اماته ويصعقون على قرآءة باقى السبعة من صعق اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدّى او من اصعقه وقوله يوم لايغنى بدل من يومهم الذى اى حتى يلاقوا يوم موتهم الذى لاينفعهم كيدهم فيه ولاهم ينصرون اى لايمنعهم من العذاب مانع ﴿قوله يحتمل العموم﴾ بان يراد بهم كل من ظلم بعبادة غيرالله ويحتمل الخصوص بان يراد بهم كفار مكة ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم اياه فيكون قوله للذين ظلموا من ايقاع الظاهر موقع المضمر للتسجيل على ظلمهم ﴿قوله دون عذاب الاخرة﴾ يعنى ان ذلك اشارة الى اليوم الذى فيه يصعقون والمعنى لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب القبران حمل الذين ظلموا على العموم والمؤاخذة فى الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل على الخصوص ﴿قوله فى حفظنا﴾ يعنى ان قوله باعيننا مثل فى الحفظ والكلاءة يعبر به عنه تشبيها لحفظ الله تعالى وكلاءته بمراقبة الحافظ مايحفظه ﴿قوله وجمع الاعين لجمع الضمير﴾ فانه تعالى لما عبر عن ذاته المقدسة بضمير المتكلم مع غيره تعظيما لنفسه جمع ماأضيف اليه ليطابق المضاف بالمضاف اليه الاترى انه يجوز افراد المضاف حيث افرد المضاف اليه فى قوله ولتصنع على عينى ﴿قوله من اىّ مكان قمت﴾ متعلق بقوله تعالى تقوم اى اذاقمت من مجلس اىّ مجلس كان قل سبحان الله وبحمده اى سبح الله ملتبسا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة لك وعن ابى هريرة رضى الله عنه من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الاانت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لمابينهما ويحتمل ان يكون المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك لماقيل ان المراد به ان تقول عند القيام من النوم الحمدلله الذى احيانى بعد ماأماتنى واليه البعث والنشور فانه روى انه كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند الانتباه وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة ويحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلاة

لماروى عن الضحاك والربيع انهما قالامعناه اذاقمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولااله غيرك بعدتكبيرة الافتتاح وعن عائشة رضى الله عنها انهاقالت مثل ذلك ﴿قوله واذا ادبرت النجوم من آخر الليل﴾ يعني ان الجمهور على كسر الهمزة من ادبار النجوم على انه مصدر ادبر اذا ذهب وانصرف اقيم مقام الظرف وانتصب على الظرفية اى فسبحه وقت ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الآخر واعقاب النجوم غيبتها بضوء الصبح وغروبها * هذا آخر مايتعلق بسورة الطور والحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

﴿قوله اقسم بجنس النجوم﴾ سمي نجوم السماء اى نجم كان نجما لطلوعه فان كل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع ويحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما لها بالغلبة قال قائلهم

* ان بدا النجم عشيا * ابتغى الراعي كسيا *

وقال ايضا

* طلع النجم عشيه * وابتغى الراعي كسيه *

فانها انماتطلع عشيا فى قلب الشتاء اوان شدة البرد يقال ان الثريا سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضي عياض فى الشفاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما عن ابى هريرة مرفوعا ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الارفع واراد بالنجم الثريا وهوى النجم سواء اريد به نجوم السماء كلها او الثريا وحدها اما غروبه واما انتثاره يوم القيامة كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واما انقضاضه لرمي الشياطين عند استراقهم السمع واما طلوعه وعلل الاحتمالات الثلاثة الاول بقوله فانه يقال هوى يهوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وعلل الاحتمال الرابع بقوله هويا بالضم اذا صعد فان الهوى بفتح الهاء هو السقوط من علو الى سفل والهوى بضم الهاء الطلوع وفعله واحد والاختلاف انما هو فى المصدر وكل واحد من غروب النجوم وانتثارها وانقضاضها لرمي الشياطين لكونه سقوطا من علو الى سفل يصح ان يطلق عليه الهوى بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعها الهوى بضم الهاء وفائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء او ضمها انه اذا كان النجم فى وسط السماء يقل نفعه حيث لايهتدى به السارى حينئذ لانه لايعلم المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال بخلاف مااذا لم يكن فى وسط السماء بان يكون فى جانب المشرق او المغرب فانه حينئذ يتميز به جانب المشرق عن المغرب والجنوب عن الشمال ﴿قوله او بالنجم﴾ عطف على قوله بجنس النجوم اى او اقسم بالنجم من نجوم القرآن فان النجم فى الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون امتيازه منوطا بتعيين طلوع الكوكب وغروبه ويسمى تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما والفعل المفرق منجما ثم يطلق النجم على الفعل الواقع فى وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القرآن القطع النازلة فى اوقات متفرقة قال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم بالقرآن اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة فالمراد بهويه نزوله ﴿قوله او النبات﴾ عطف ايضا على قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذى لاساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض او طلوعه منها وارتفاعه ﴿قوله على قوله﴾ متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعنى ان قوله تعالى ماضل صاحبكم هو المقسم عليه وذلك ان قريشا قالوا ضل محمد عن دين آبائه وغوى فانزل الله تعالى ماضل صاحبكم وماغوى بل اهتدى ورشد فان الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اى هو مهتد راشد وليس كما يزعمون من انه قد ضل وغوى وذهب اكثر المفسرين الى ان الغي والضلال واحد والمصنف اشار الى الفرق بينهما بقوله فى تفسير ماضل ماعدل عن الطريق المستقيم وفى تفسير وماغوى وما اعتقد باطلا وحاصل ماذكره من الفرق ان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الافعال والاقوال والعقائد فلذلك يقال ضل بعيرى ولا يقال غوى فالضلال هو العدول عن الطريق المستقيم الذى بينه الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال او الاقوال او العقائد او الاخلاق والغواية هو العدول عن الطريق المستقيم فى باب العقائد فيكون قوله تعالى وماغوى من قبيل التخصيص بعد التعميم لمزيد العناية بنفي الخاص فالمراد نفي

(ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته

سورة والنجم مكية وآيها احدى اوثنتان وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم

مانسبوه اليه من العدول عن سنن الصواب فى كل واحد من باب الاعتقاد و العمل فالله تعالى تولى جواب ماقالوا له عليه الصلاة و السلام فقال ماضل صاحبكم وماغوى و ماصاحبكم بمجنون و ماهو بقول شاعر و لابقول كاهن ومانطق عن الهوى وسائر الانبياء كانوا يجيبون بانفسهم فان قوم نوح لماقالوا له عليه الصلاة و السلام انا لنراك فى ضلالة اجابهم بقوله ياقوم ليس بى ضلالة و لماقال عاد لهود انالنراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة و لماقال فرعون لموسى عليه الصلاة و السلام انى لاظنك ياموسى مسحورا قال له و انى لاظنك يافرعون مثبورا و نحو ذلك ﴿قوله وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى﴾ اى عن ميل نفسه و شهوته من غير ان يوحى اليه شئ وهو اشارة الى ان تعدية النطق بعن مبنى على تضمنه معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب تجعل عن مكان الباء تقول رميت عن القوس اى بالقوس قال اوّلا ماضلّ وماغوى بصيغة الماضى ثم قال ومانطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها اى ماضلّ وماغوى ابدا حيث اعتزلكم و ماتعبدون قبل ان يبعث رسولا ومانطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربّه والوحى فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الكتاب الالهى الموحى وقوله يوحى صفة لوحى وفائدة المجيء بهذا الوصف دفع توهم المجاز اى هو وحى حقيقة لامجرّد تسميته وحيا والوحى بالمعنى المصدرى له معان وهى الارسال و الالهام و الكتابة و الاشارة و الكلام و الافهام ﴿قوله واحتج به من لم ير الاجتهاد له﴾ قال صاحب الكشف وجه الاحتجاج ان الله تعالى اخبر بان جميع ماينطق به وحى وماكان عن اجتهاد فليس بوحى فليس مماينطق به ثم نقل جواب صاحب الكشاف بقوله واجاب بان الله تعالى اذاسوّغ له الاجتهاد كان له الاجتهاد ومايستند اليه كله وحيا لانطقا عن الهوى ثم قال واعترض عليه بانه يستلزم ان تكون الاحكام التى يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه عليه الصلاة و السلام اوحى اليه ان يجتهد بخلاف سائر المجتهدين ثم اورد اعتراض المصنف فقال وماقيل من انه حينئذ بالوحى لاوحى فغير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام حيثما ظننت كذا فهو حكمى انتهى كلامه ﴿قوله ملك شديد قواه﴾ اشار الى ان شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف هو الملك وقيل هو البارى تعالى كقوله الرحمن علم القرآن وضمير علمه يجوز ان يكون للرسول اى لقوله صاحبكم اى علم محمدا صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بوحى الله تعالى وهو الظاهر فيكون المفعول الثانى محذوفا اى علمه الرسول بان نزل به عليه وبينه له ولعل مراد المصنف بقوله فانه الواسطة فى ابداء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول وان ثانى مفعولى علم محذوف ليذهب ذهن السامع الى كل ماظهر على يده من الخوارق قرآنا كان او غيره وان طريق تعليم ذلك اياه عليه الصلاة و السلام كونه واسطة فى ابداء تلك الخوارق وقوله تعالى ذو مرّة نعت بعد نعت للموصوف المحذوف و المرّة القوّة وشدّة العقل ايضا ورجل مرير اى قوى ذو مرّة كذا فى الصحاح و الحصافة استحكام العقل وصحة الرأى وفى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم العين حصافة واحصاف الامر احكامه حمل قوله تعالى شديد القوى على قوّته فى جسمه واستدل عليها بماروى من قلعه قرى قوم لوط وصيحته بثمود وحمل قوله ذومرّة على قوّته فى عقله وعلمه دفعا للتكرار وتساعده اللغة ايضا ﴿قوله تعالى فاستوى﴾ معطوف على قوله علمه اى علمه وهو على غير صورته الحقيقية ثم استوى على صورته التى جبل عليها وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحى ليتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من ضبطه الوحى وتلقيه فلما احب النبى عليه السلام ان يراه فى صورته التى جبل عليها استوى له بتلك الصورة قيل مارآه احد من الانبياء على حقيقته الاصلية غير محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فانه عليه الصلاة و السلام رآه على صورته مرّتين رآه مرّة فى الارض اى فى جبل حرا وقيل بأجياد وهو جبل بمكة طلع جبريل عليه السلام عليه من جانب المشرق وهو الافق الاعلى فملأ الافق وسدّ الارض وملأها فخرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدمى فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه ورآه اخرى بتلك الصورة وهو فى السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة اسمية فى موضع الحال من المنوى فى استوى ﴿قوله فتعلق به﴾ دفع لمايقال الظاهر ان يقال ثم تدلى اليه فدنا منه لان التدلى سبب للدنوّ فلايتفرّع على الدنوّ بل الدنوّ يتفرّع عليه ووجه الدفع ان التدلى هو الاسترسال مع التعلق وجرّد ههنا لمعنى التعلق الذى هو متفرّع على الدنوّ * روى عن الامام الواحدى انه قال تقديره ثم تدلى

(فدنا)

(وماغوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ماينسبون اليه (ومانطق عن الهوى) ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ماالقرآن او الذى ينطق به (الا وحى يوحى) الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لاالوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذو مرّة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل مارآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة و السلام مرّتين مرّة فى السماء ومرّة فى الارض وقيل استولى بقوّته على ماجعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) افق السماء والضمير لجبرائيل (ثم دنا) من النبى (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدّة قوّته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة يقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق

فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم حتى صار بعدما بينهما قدر قوسين على التقديم و التأخير وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه عليه السلام وتحوّل عن المكان الذى كان فيه فتدلى اى فنزل اليه لان التدلى وان كان بمعنى الامتداد من علوّ الى سفل يستعمل ايضا فى النزول من العلوّ بالانتقال عنه ﴿قوله كقولك هو منى معقد الازار﴾ اى فى كونه عبارة عن غاية القرب فان قاب قوسين خبر كان فلو جعل اسم كان ضمير جبريل عليه السلام لزم منه ان يحكم عليه بانه قاب قوسين اى قدرهما و الشخص لايكون مقدارا فأوّله بانه من قبيل قولك هو منى معقد الازار فى كونه عبارة عن غاية القرب فان اصل الكلام ان يقال فكان قرب جبريل من محمد عليهما الصلاة و السلام مثل قرب احدى القوسين من الاخرى فحذف المضاف وأداة التشبيه للمبالغة فى بيان قربه منه كما يقال هو منى معقد الازار والاصل ان يقال قربه منى واتصاله بى كاتصال معقد الازار بى فعدل عنه الى هذه العبارة لقصد المبالغة ﴿قوله او المسافة بينهما﴾ عطف على قوله جبريل و القاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب و فى التيسير كانت عظماء العرب اذا أرادوا تأكيد عهد وتوثيق عقد لاينقض ولا يرفض احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما و نزعاهما جميعا و رميا عنهما سهما واحدا يشيران بذلك الاتحاد الكلى و الاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الآخر و سخط احدهما سخط الآخر فكأنهما قالا اكدنا المحبة بيننا والتزمنا القربة فمقبولك مقبولى ومردودك مردودى وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبريل ومحمد صلوات الله عليهما مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار مابين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب ﴿قوله اوادنى على تقديركم﴾ يعنى ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القرءآن اى لو رآهما رآء منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب اوأدنى اذ لايلتبس عليه مقدار القرب وكما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فانه تعالى عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ماجرت به عادة المخاطبة بيننا ﴿قوله وفيه تفخيم للوحى به﴾ اى فى قوله تعالى فاوحى الى عبده مااوحى على تقدير ان يكون المنوى فى كل واحد من الفعلين ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام تفخيم لما تقرر من ان التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما فى قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم اى الذى لايكتنه كنهه ولا يقادر قدره ﴿قوله اوالله اليه﴾ على ان يكون المنوى فى الفعل الاوّل ضمير جبريل وفى الثانى ضمير البارى اى فاوحى جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم مااوحى الله تعالى اليه ﴿قوله وقيل الضمائر كلها لله﴾ اى ثم دنا الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الآية وكذا موصوف شديد القوى هو الله تعالى كقوله الرحمن علم القرءآن والقوى جمع القوّة فقوله فاستوى الظاهر ان معناه حينئذ فاستوى القرءآن فى صدره اى فى صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين علمه ربه او فى صدر جبريل وقيل المعنى ثم دنا محمد عليه الصلاة والسلام من ربه عزوجل دنوّ الرتبة والمنزلة واعطاء المنية واجابة الدعوة لا المكان والمسافة كقوله تعالى فانى قريب اجيب فتدلى اى هوى للسجود فكان قاب قوسين وهو تمثيل لكمال دنوّه من ربه على اصطلاح العرب فان المحبين والحليفين فى الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفاء فى الود والمحبة ألصقا قوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد منهما يحامى عن صاحبه فاوحى الله عزوجل الى عبده محمد ما كذب فؤاد محمد فيما رأى وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى ﴿قوله من صورة جبريل او الله تعالى﴾ اشارة الى الاختلاف الواقع بين فضلاء الامة فى انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه ليلة الاسرآء اولا فانكرته عائشة رضى الله عنها وقالت من حدّث ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب وقالت ان المرئى فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى هو صورة جبريل حيث قالت ولكنه رأى جبريل فى صورته مرّتين ووافقها ابن مسعود رضى الله عنه فى ان المرئى هو جبريل وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئى هو الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام رأى ربه ثم انهم اختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرّتين وقال انس والحسن وعكرمة رأى محمد ربه بعين رأسه وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين بالرؤية * واعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص برؤيته فى الآخرة ولان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارآءة لا بقدرة العبد

(فكان) جبريل كقولك هو منى معقد الازار او المسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (او ادنى) على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس (فاوحى) جبريل (الى عبده) عبدالله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (مااوحى) جبريل وفيه تفخيم للوحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله هو الرزاق ذو القوّة المتين ودنوّه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد مارأى) مارآه ببصره من صورة جبرآئيل او الله تعالى

فاذاحصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالارآة وان حصل من طريق القلب كان معرفة فالله تعالى قادر على ان يحصل مدرك المعلوم فى البصر كما قدر على ان يحصل مدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع بما ينبئ عن الاتفاق على الجواز وقوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها وما الاولى نافية والثانية موصولة وعائدها محذوف ومحلها النصب على انها مفعول كذب المشددة وعلى نزع الخافض فى قرآءة التخفيف اى ما كذب الفؤاد فى الذى رآه ببصره فلو قال الفؤاد الذى يراه بصرك ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر ليست مطابقة لما نشأ فى الارتسام فى الحس المشترك كما اذا ارتسمت صورة الانسان من شبح الانسان المرئى من بعيد وقال الفؤاد فى حق الصورة المرتسمة فى الحس المشترك لااعرفك حقا مطابقا للشبح المرئى لكان كاذبا لانه قدعرفها حقا واعتقد كونها مطابقة للشبح قال المكى من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول الكذب فيه ان لو قال له لااعرفك ولا اعتقدك لانه قدعرفه بقلبه واعتقده حقا كما رآه ببصره وجعله مرئيا فيكون قوله لااعرفك كذبا فاذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح ان يقال له انه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئى ﴿قوله اى ما كذب بصره﴾ بنصب البصر على نزع الخافض ايضا اى وما كذب الفؤاد فى حق بصره بان يقول له حكايتك لاتطابق المحكى بان قال انه لم تحك صورة المرئى على الوجه المطابق له ﴿قوله فان الامور القدسية﴾ جواب عما يرد على قوله اى ما كذب بصره بما حكاه له من ان ادراك القلب لما يحس بالبصر ومعرفته المتعلقة بالمحسوسات بالبصر متفرع على استعمال حاسة البصر وارتسام الصورة فى الحس المشترك فكيف يمكن للفؤاد ان يكذب فى حق البصر بان قال انه لم يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانته بالبصر * وتقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة فى ان الفؤاد يدركها بنفسه ولا يستعين فى ادراكها بالقوى الحاسة من حيث انه تعالى لم يخلق فى الحواس قوة الاحساس بها ثم انه تعالى لما خلق فى حاسته عليه الصلاة والسلام قوة الاحساس بالصورة التى جبل عليها جبريل وقدعرفها قبل ذلك بفؤاده فقدعرفها من طريق البصر ايضا فيمكن له ان يصدق ويكذب فى حق البصر اى يصدق ويكذب فيما حكاه له ﴿قوله او ما رآه بقلبه﴾ عطف على قوله ما رآه ببصره وهذا على قول من يقول انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده لا بعين رأسه فالمعنى حينئذ ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بان قال فى حقه انه هاجس شيطانى وتخييل كاذب اذ ليس فى وسع الانسان معرفة الرب تعالى ﴿قوله واشتقاقه من مرى الناقة﴾ الجوهرى مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط او غيره والمراد به الجدال بالباطل وكان حقه ان يتعدى بفى لانه يقال جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها انكر الله تعالى عليهم فى جدالهم معه عليه السلام حين اسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به * فان قيل الظاهر ان يقال افماروه على ما رأى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه بعد ما اسرى به فما الحكمة فى ايراده بصيغة المضارع * فالجواب انه على حكاية الحال الماضية احضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين وتعجيبا لهم ﴿قوله وقرأ حمزة الخ افتمرونه﴾ اى بفتح التاء من غير الف بعد الميم على انه من فعله المسند الى الغالب فى باب المبالغة او من مريته حقه اذا علته وجحدته اياه ﴿قوله مرة اخرى﴾ يعنى ان نزلة لما كان اسما للمرة من الفعل اقيمت مقامها فكانت فى حكمها فى كونها منصوبة على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع موقع عامله المحذوف المنصوب على انه حال من مفعول رآه اى رآه نازلا نزلة اخرى والواو فى ولقد رآه يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون حالية اى كيف تجادلونه فيما رآه وتقولون انه لم ير جبريل وانما رأى شيطانا كما يرى الكهنة الشياطين وهو قد رآه على وجه لاشك فيه رآه مرتين مرة بالافق الاعلى اى بناحية من السماء التى هى اعلى اطراف الكون ومرة عند سدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه بها على صورته التى خلق عليها قال رأيته عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح يتناثر منها الدر والياقوت وهى مقام جبريل عليه السلام ام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء كلها فكان امام الانبياء فى بيت المقدس وامام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل السماء والارض قال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولو ان رجلا ركب نجيبة وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه تحمل

(لاهل)

اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المرآء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى) مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو

لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمر وقيل هي شجرة غير طوبى ثابتة في يمين العرش فوق السماء السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان تكون من قبيل اضافة الشئ الى مكانه كقولك شجرة بلدة كذا ومكان كذا فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملك ﴿قوله والكلام في المرئى والدنو ماسبق﴾ من ان المرئى هل هو جبريل او الله عز وجل فانه روى عن كعب الاحبار انه قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وادنى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز في رآه لجبريل والمعنى انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من عند ربه ليلة الاسراء رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول رآه على تقدير ان يكون المرئى جبريل واما اذا كان المرئى هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لانه تعالى منزه عن ان يحل في زمان او مكان ويجوز ان يكون ظرفا لرأى على التقديرين على ان يكون الظرف ظرفا للرآئى ورؤيته لا للمرئى كما اذا قلت رأيت الهلال في بيتي وقوله تعالى اذ يغشى السدرة في محل النصب على انه بدل من قوله نزلة اخرى وقدمر انه منصوب اى رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام اذ يغشى السدرة مايغشى قيل يغشاها الملائكة حتى تغطى السدرة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى * وفي ابهام مايغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى الاتيان ايضا هو المناسب ههنا ﴿قوله وقيل يغشاها الجم﴾ عطف على معنى قوله مايغشاها بحيث لايكتنهها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل هو فراش من ذهب او جراد من ذهب او هو الملائكة الذين يعبدون الله عندها وقيل بل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الآلهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قوله ولعلها شبهت بالسدرة﴾ كأنه جواب عما يقال العالم العلوي ليس فيه شئ مما هو في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصنوبر فاوجه قوله عند سدرة المنتهى * فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورآئحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة ﴿قوله تعالى مازاغ البصر﴾ اى اى شئ رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل ان يستيقنه ويطلع على حقيقته او قصر نظره على ما امر برؤيته ولم يلتفت يمينا ولا شمالا على انه وصف له بالتأدب ﴿قوله لقد رأى الكبرى﴾ على ان الكبرى مفعول رأى ومن آيات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه اى رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات ﴿قوله وقد قيل انها المعنية بما رأى﴾ اى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى * قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير الله عز وجل ليلة المعراج وانما رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبريل على صورته وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان عليه الصلاة والسلام رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ماينبغي ان يبتدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم اللات والعزى ومناة كما هي عليه من العجز والهوان فكيف تشركونها بالله العزيز العليم فلو رأيتم اياها حق الرؤية لعلمتم انها لاتصلح شريكا لله تعالى في استحقاق التعظيم ﴿قوله وهي فعلة من لوى﴾ اى من لوى على الشئ يلوى اذا عكف عليه او من لوى الرجل رأسه اذا اماله فانهم كانوا يعكفون عليها ويميلون اعناقهم اليها اصله لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار لات والعامة على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه في الاصل اسم فاعل من لت السويق اذا بله بالماء قيل كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات نحتوا على صورته حجرا وسموه باسمه وعبدوه فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه فكسرها واحرقها بالنار ﴿قوله سمرة﴾ هي نوع من الشجر روى ان خالدا كان يقول حين يقطعها * اليوم كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد اهانك * فلما قطعها رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيأ فقال عليه الصلاة والسلام مابلغت فعاودها

والكلام في المرئى والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهى اليها علم الخلائق او اعمالهم او ماينزل من فوقها او يصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهو شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوى اليها المتقون او ارواح الشهدآء (اذ يغشى السدرة مايغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لايكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوز بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ماعدا عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه او من مزيدة (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف

ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضي الله عنه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ﴿ **قوله** من مناه اذا قطعه ﴾ وقيل من منى يمنى اى صب سميت الصخرة مناة لان دماء النساء البكر كانت تصب عندها وألفها منقلبة عن ياء والتاء زآئدة لتأنيث الصخرة فوزنها فعلة وميمها اصلية وقرأ ابن كثير مناءة بالمد والهمز من النوء اصله منوأة فنقلت حركة الواو الى النون قبلها فقلبت الفا ومعناه موضع الاستمطار من الانوآء والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلة ماسقط من ساعة سقوطه وذلك في ثلاثة عشر يوما ماخلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحرّ والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعي الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا والجمع انوآء فوزن الكلمة حينئذ مفعلة فألفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زآئدة فانهم كانوا يستمطرون عندها الانوآء تبركا بها ﴿ **قوله** صفتان للتأكيد ﴾ اما كون الثالثة للتأكيد فظاهر واما الاخرى فانها وان افادت معنى زآئدا على ماافاده الموصوف لانها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما اثبت له فالاخرى تصلح مخصصة للمناة الاانه لايصح ان تحمل الاخرى في الآية على هذا المعنى اذلامشارك للمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان تكون بمعنى المغاير مطلقا فتكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى فهي مغايرة لهما ﴿ **قوله** او الاخرى من التأخر في الرتبة ﴾ اى ويجوز ان تكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة في الرتبة الوضيعة الذليلة في القدر كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة ذليلة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها على صورة الآدمي والعزى شجرة وهي لكونها من اقسام النبات اشرف من المناة التي هي صخرة فظهر ان مناة متأخرة عنهما رتبة ﴿ **قوله** وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم ﴾ اى سادّ مسدّه فان رأيتم تستدعي مفعولين امالكونها بمعنى افعلتم واللات وماعطف عليه مفعوله الاوّل والجملة الاستفهامية سادّة مسدّ مفعوله الثاني كأنه قيل افعلتم هذه الاصنام حاكمة بان يكون لكم الذكر وله الانثى واما لكونها بمعنى اخبروني والمعنى افتمارون بعدما تبين لكم رفعة شأنه وحقية رسالته فاخبروني ان هذه الاصنام هل هي بنات الله مع وأدكم البنات وكراهتكم اياهن * فانه قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لأفرأيتم ولم يعد منها ضمير على المفعول الاوّل * قلنا استغنى عن الضمير بتعريف الانثى فانه في قوّة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر ان يقال وله هن اى تلك الاصنام الاانه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير رعاية الفواصل والاشارة الى علة الانكار والتوبيخ والفاء في قوله افرأيتم للتعقيب كالتي في قوله افتمارونه فانه تعالى صوّر امر الوحي اوّلا تصويرا تاما وحقق ان ماينطق به وحي اوحي اليه بواسطة ملك شديد قواه لانه رأى ذلك الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة ثم قال افتمارونه على مايرى اى افتجادلونه بعد هذه البينات على مايرى من الآيات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لايتصوّر معه ان يكون له شائبة ارتياب في ان مااوحي اليه كلام الهي يلقيه اليه ملك مقرّب عنده كيف وقد رآه نزلة اخرى وعرفه حق المعرفة ثم قال لقد رأى من آيات ربه تنبيها على ان ماذكر الى هنا من الآيات الكبرى فهو ابعد شيء عن الضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية ثم عطف قوله افرأيتم على افتمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة الانكار فانه اذاتبين عظمة الله في ملكوته وان رسوله اى المرسل يسد الآفاق ببعض اجنحته ويهلك المدآئن بشدّته وقوّته ولايمكنه مع هذا ان يتعدّى السدرة في مقام جلال الله تعالى وعزته فقد تحقق واتضح ان ماذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء له تعالى وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الانكار اى انكم مع مارأيتم فيما ليس بمظنة للمرآء اخبروني هل هؤلاء الاخساء بنات الله تعالى والمقصود التهكم بهم والتنبيه على انه نتيجة مرآئهم وان من بلغ في الضلال الى ان كان معتقده مثل هذا لايبعد منه ان ينسب من هو في اعلى درجات الرشاد والسداد الى الضلالة والغواية وان يماري معه فيما اتضح كنار على علم ﴿ **قوله** فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا ﴾ فان الصفات في المؤنث لاتأتي الاعلى فعلى بضم الفاء كحبلى وفعلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولاتأتي على فعلى بالكسر الافي بناء الاسماء كالشعرى والدفلى وفي المصدر كالذكرى فظهر ان اصل ضيزى بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض اصله بيض

وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانوآء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته اوهياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ماتستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا

وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به (ان هي الا اسماء) الضمير للاصنام اي ماهي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها انتم) سميتم بها (وآباؤكم) بهواكم (ماانزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم ان ماهم عليه حق تقليد او توهما باطلا (وماتهوى الانفس) وماتشتهيه انفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه (ام للانسان ماتمنى) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ماتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها (فلله الآخرة والاولى) يعطي منهما مايشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيأ) وكثير من الملائكة لاتغني شفاعتهم شيأ ولاتنفع (الا من بعد ان يأذن الله) في الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له (ويرضى) ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) اي كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا (ومالهم به من علم) اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغني من الحق شيأ) فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لايدرك الا بالعلم والظن لااعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات ومايكون وصلة اليها

جمع ابيض مثل سود جمع اسود ولو ابقيت الضمة على حالها وابدلت الياء واوا لزم الثقل لان الكسرة والياء اخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس اذليس في الصفات فعلى بالكسر **قوله** على انه مصدر نعت به كالذكرى ولايجوز كونه نعتا اصليا لما مر من انه ليس في الصفات فعلى **قوله** اي ماهي باعتبار الالوهية اي ماهي باعتبار ان يعبر عنها باسم الآلهة الا اسماء عارية عن مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بمايشعر مدحا تقول ماهو الا اسم وكذا اذا كان ضميرهي للصفة او للاسماء يكون المعنى ماذكر * فان قيل الاسماء لاتسمى وانما يسمى بها فكيف قيل سميتموها * قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله الاسماء تطلقونها عليها جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها يقال سميت زيدا بمعنى ذكرته بهذا الاسم وان كان للاصنام يكون سميت متعديا الى مفعولين بنفسه فان الاصنام باعتبار الآلهة وكذلك الصفات التي يصفون الاصنام بها والاسماء التي يسمونها بها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كأنه قيل وماهذه الالفاظ الا اسماء اطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان تتعلقون به فسر قوله تعالى سميتموها انتم بقوله سميتم بها اشارة الى ان انتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وان قوله وآباؤكم معطوف على ذلك الضمير **قوله** وقرئ بالتاء كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام الخطاب الا ان العامة قرأوا بياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كأنه قطع الكلام معهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم فان من اتبع ظنه وماتشتهيه نفسه بعد ماجاءه الهدى والبيان الشافي لايعد انسانا ولايعتد به وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون اي هم يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان مااعتقدوه **قوله** ام منقطعة ومعناها الاضراب عن اتباعهم التوهم الباطل والهوى الى انكار ماهو افحش منه وهو ان يكون لهم ماتمنونه من شفاعة آلهتهم وسائر متمنياتهم اي للانسان كل ماتمناه والدليل عليه قوله وكم من ملك الخ **قوله** وكثير من الملائكة اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء وخبره لاتغني وجمع ضمير شفاعتهم مع انه راجع الى الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون فلاتنفع شفاعتهم بل معناه انهم لايشفعون لانه لايؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام في قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقوله من يشاء يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس والثاني هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم مأذونون في الشفاعة للمؤمنين لان الكل يستغفرون للمؤمنين فلاوجه للتخصيص ثم انه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم بان اعظم اجناس الخلق لاشفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخس الموجودات من غيران يؤذن لهم فانهم كانوا يقولون نحن لانعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها صور الملائكة فنضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة للقرب رد الله تعالى عليهم بقوله ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقدعلم الجواب عن اصل اعتذارهم بقوله وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يؤذن لهم في ان يشفعوا لمن يشاء ان يشفع لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفع لهم **قوله** تعالى تسمية الانثى منصوب بنزع الخافض اي كتسمية الانثى والجار والمجرور في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي تسمية مثل تسمية الانثى اي ليذكرون الملائكة ذكرا كذكر الاناث حيث يذكرونهم بينات الله تعالى **قوله** اي كل واحد منهم لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اول الملائكة بكل واحد منهم * فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لايؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان ربطوا مركب الميت على قبره زعما منهم انه يحشر عليه * اجيب عنه بانهم ماكانوا يجزمون بل ينكرون ويقولون لاحشر ثم يقولون فان كان فلناهم شفعاء بدليل انه تعالى حكى عنهم قولهم وماأظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وايضا انهم لايؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينه الرسل فهم لايؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما يزعمونه آخرة **قوله** وقرئ بها اي وقرئ مالهم بها من علم بدل به فيكون ضمير بها اما للملائكة او للتسمية على حذف المضاف اي مالهم بانوثة الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم فانهم جاهلون بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقادا لايطابق الواقع **قوله** فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لايدرك الا بالعلم فسر العلم بحقيقة الشيء وهي ماعليه الشيء في نفس الامر وحكم عليها

بانها لاتدرك الابالبقين واشار الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية هي الاحوال الثابتة للاشياء في انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي تبحث عنها اهل الحكمة والاعتبارية هي المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية فالاولى لايتوصل اليها الابالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول الى اليقين * فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لايغني شيأ من المعارف الحقيقة مع انه قد يصيب ويتعلق بحقيقة الشئ وماهو عليه في نفس الامر * فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الاان الواجب على المكلف في المطالب الاعتقادية التيقن بماهو الحق ولايكفيه الظن به فالظن بالوحدانية مثلا لايغني من الحق ولاينوب منابه ولاينفع صاحبه ولاينزله منزلة الحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به والظن بالوحدانية لايغني موحدا ثم انه تعالى لماذكر انهم تركوا الهدى الذي جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وماتهوى الانفس فرّع عليه قوله فأعرض عن من تولى عن ذكرنا اى عن كتابنا ووعظنا فلم يصدّقه ولم يقبله او قيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رأيهم فقال ذلك مبلغهم من العلم فان امر الدنيا ومايتمتع به فيها اخس الحظوظ واوضعها لايقتصر احد من العقلاء عليه اذهو من اخلاق البهائم التي لاترغب الافي الحاضر التافه الفاني قيل كل مافي القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال ورد بان الامر بالقتال لاينافي الامر بالاعراض عن الدعوة وانما يتنافيان ان لوكان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان فانه تعالى امر رسوله عليه الصلاة والسلام اوّلا بدعائهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امره بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم بان قال له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لمالم ينفع ذلك قال له ربه اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان اذ لم يبق سبيل الى معالجتهم بالغذآء الصالح ولا بالدوآء النافع فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدّى داؤهم الى الصالحين ويشيع الفساد في الامة فلماكان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة معهم لم يكن احدهما منافيا للآخر **قوله والجملة اعتراض** حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله **قوله وهو علة لمادل عليه ماقبله** يعني ان قوله تعالى ليجزي متعلق بمحذوف هو قوله خلق العالم دل عليه قوله لله مافي السموات ومافي الارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون المحذوف قوله ميز الضال من المهتدي الذي هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فجملة قوله لله مافي السموات معترضة جيئ بها لتأكيد الجزآء وتقريره اى ميز احد الفريقين عن الآخر ليجازي كل واحد من آحاد الفريقين بمايليق به من الجزآء **قوله اوباحسن من اعمالهم** مقابل لقوله او بمثله فان من جاء بالسيئة لايجزى الامثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى على الاوّلين صفة المثوبة الاان الحسنى على الاوّل منهما من قبيل زيد الافضل وعلى الثاني من قبيل زيد افضل من عمرو والحسنى على الثاني صفة اعمالهم **قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر** يجوز ان يكون منصوب المحل على انه بدل او بيان او نعت للذين احسنوا او بتقدير اعني ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين * فان قيل اذاكان بدلا من الذين أحسنوا فلم تخالفا في الصلة حيث كانت صلة الاوّل ماضيا وصلة الثاني مستقبلا * قلنا للاشعار بان ترك المعصية سوآء كانت بارتكاب المحرّمات او بترك الواجبات ينبغي ان يستمرّ عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأباله وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب مرّة عنها وانهمك عليها في باقي زمانه لايستحقها بخلاف الحسنات المتطوّع بها فان من آتى بها ولومرّة يؤجر عليها فقوله الذين يجتنبون على جميع التقادير يدل على ان المحسن هو الذي لايسيئ ولايرتكب القبيح الذي فحش قبحه واتضح فالذين احسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا تبين المسيئ والمحسن لان من لايجتنب الكبائر يكون مسيئا والذي يجتنبها يكون محسنا * فان قيل الكبائر جمع كبيرة وهي صفة فاموصوفها * قلنا انها صفة الفعلة كأنه قيل الفعلات الكبائر من الاثم * فان قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب في الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر الحسنات * قلنا الحسنة لاتكون كبيرة لانها اذا قوبلت بمايجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر ولولا ان الله عزوجل يقبلها لكانت هباء ضائعا بخلاف السيئة فانها من العبد الذي انعم الله عليه بانواع النعم تكون كبيرة **قوله كبائر الاثم** معناه الكبائر من الاثم فان الاثم جنس يدخل تحته الكبائر والصغائر وقد تقرّر ان المضاف اليه اذاكان جنس المضاف

(فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) فأعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الاعنادا واصرارا على الباطل (ذلك) اى امر الدنيا اوكونها شهيته (مبلغهم من العلم) لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرّر لقصور هممهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ماعليك الاالبلاغ وقد بلغت (ولله مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ماعملوا من السوء او بمثله او بسبب ماعملوا من السوء وهو علة لمادل عليه ماقبله اى خلق العالم وسوّاه للجزآء او ميز الضال من المهتدي وحفظ احوالهم لذلك (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة اوباحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ماأوجب الحدّ وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير كبير الاثم على ارادة الجنس اوالشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا

تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة وفسر الكبائر بما يكبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش اخص منها وفسرها بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر للتغليظ والمبالغة فى الذم كعطف جبرآئيل وميكائيل على الملائكة فى المدح كأنه قيل والفواحش منها خاصة ﴿قوله الاماقل وصغر﴾ يعنى ان اللمم الصغير من الذنب من ألم بالمكان اذا نزل نزولا من غير لبث طويل ويقال ألم بالطعام اذا اقل اكله منه وكان عليه الصلاة والسلام يقول ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبدلك ماالما فيكون الاستثناء منقطعا لان اللمم وهو الصغير من الذنب لايدخل تحت الكبائر والفواحش والمعنى لكن اللمم قد غفره الله تعالى فان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات مابينهن اذا اجتنبت الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ﴿قوله تعالى هو اعلم بكم﴾ يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وبمن اهتدى تقريرا لاحاطة علمه باحوال الفريقين فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلاتزكوا انفسكم عليه ظاهرا فانه تعالى لما قال نحن اعلم بحال الفريقين ونجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة ان يقول بعض الكفرة نحن نعمل امورا فى جوف الليل المظلم فى البيت الخالى فكيف يعلمها الله فرد الله تعالى عليهم وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم منكم حيث يعلم احوالكم حين ابتدأ خلقكم وحين صوركم فى الارحام فكيف لايعلم من احسن منكم ممن اساء ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله ليجزى الذين اساؤا واحسنوا وتأكيدا لامر الجزآء فانه تعالى لما قال ليجزى كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لان يقول من انكر الحشر والجزآء هذا يقتضى ان يحشر من فى القبور ويجمع اجزآءهم المتفرقة بحيث لايختلط شئ من اجزآء البعض باجزآء الباقين وذلك غير ممكن فرد الله عليهم وقرر احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزآء كل شخص فيعيدها الى بدنه فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلاتزكوا انفسكم على ماقبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزآء والمعنى فلاتزكوا انفسكم من العذاب ولاتقولوا تفرقت الاجزآء بحيث امتنع جمعها فلا حشر ولاجزآء فان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد مادام فى بطن امه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لايسمى الا ولدا وسقطا * فان قيل اذا كان الجنين اسما للولد مادام فى بطن امه فما فائدة قوله فى بطون امهاتكم * قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لايخفى عليه شئ من احواله واختار الحسن البصرى كونه متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ماهى صانعة وماهى اليه صائرة فلا تزكوا انفسكم ولاتطهروها عن الآثام ولاتمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية والتحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية ﴿قوله ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم﴾ اى منه او بخلق كل واحد منكم من التراب فانه اصل كل واحد من بنى آدم من حيث ان النبات المتولد منه يصير غذآء ويصير الغذآء دما ويصير الدم نطفة والنطفة انسانا ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام بالاعراض عمن تولى وعلل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل واهتدى وانه يجازى كل واحد على حسب حاله فرع قوله افرأيت الذى تولى تعجيبا من حاله وانكارا عليه جهله وبخله باعطاء ماالتزمه ﴿قوله من قولهم اكدى الحافر﴾ يعنى ان اصل الاكدآء ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ماتعذر على الانسان وقيل ارأيت بمعنى اخبرنى وأعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرنى ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ماغاب عنه من احواله واحوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما ﴿قوله تعالى ام لم ينبأ﴾ اى لم يخبر بما فى صحف موسى يعنى اسفار التوراة وفى الكواشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه انزل على ابراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة وام منقطعة اى بل ينبأ أضرب عن انكار ان يكون عنده علم الغيب الى تقرير انه نبئ واخبر بما فى الصحف ﴿قوله وابراهيم﴾ عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم والجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه وبالعمل بما امره الله على التمام او هو بمعنى اوفى * الجوهرى اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه اياه تاما وافيا ومن جملة وفائه بما عاهد الله تعالى عليه انه عهد ان لايسأل مخلوقا فاتاه جبريل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا ﴿قوله يرتاد ضيفا﴾ اى يطلبه يقال ارتاده ارتيادا اى طلبه ﴿قوله وتقديم موسى﴾ أى مع ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام متقدم عليه فى البعثة

(الااللمم) الاماقل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر مايشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو اعلم بكم) اعلم باحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم اجنة فى بطون امهاتكم) علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام (فلاتزكوا انفسكم) فلاتثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة من المعاصى والرذائل (هو اعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام (افرأيت الذى تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه (واعطى قليلا واكدى) وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم ان صاحبه يتحمل عنه (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وفر وأتم ماالتزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرآئيل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التوراة كانت اكثر واشهر عندهم

فلذلك قدّم فى قوله تعالى صحف ابراهيم وموسى ثم انه تعالى بين مافى صحفهما فقال ان لاتزر وازرة وزر اخرى اى لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لاتؤاخذ نفس باثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم روى عن ابن عباس انه قال كانوا قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى جاءهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لاتزر وازرة وزر اخرى وان فى ان لاتزر هى المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان والتقدير انه الشان لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى * فان قيل الآية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لايحمل عنه ونظم الآية لايدل عليه لان النفس الوازرة مثقلة بوزرها فكل واحد يعلم انها لاتحمل شيأ غير ذلك الذى عليها فلو قال لاتحمل فارغة وزر اخرى لكان اولى واظهر * فالجواب ان المراد من الوازرة هى التى يتوقع منها الحمل والوزر لاالتى وزرت وحملت ثقلا وقوله وان ليس للانسان معطوف على قوله ان لاتزر وان فيه ايضا هى المخففة من الثقيلة وللانسان خبر ليس والا ماسعى اسمها اى الاسعيه ويجوز ان تكون ما موصولة وقوله وان سعيه سوف يرى معطوف على ان لاتزر ايضا والمعنى ان المذكورات كلها فى الصحف وقوله يرى خبر ان وهو من رؤية العين وفيه ضمير يعود على اسمها وهو السعى والمراد بالسعى العمل كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس عدم اثابة الانسان بسعى غيره وفعله منسوخ الحكم فى هذه الشريعة فالحصر المستفاد من قوله تعالى ليس للانسان الا ماسعى منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فانه يدل على ان الذريات يدخلون الجنة بعمل آبائهم وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ماسعوا اى ماعملوا وسعى لهم غيرهم لماروى ان امرأة رفعت صبيالها عليه الصلاة والسلام من المحفة فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل يارسول الله ان امى افتلتت نفسها اى ماتت فجأة واظنها انها لو تكلمت لتصدّقت فهل لها اجر ان تصدّقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لاينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه عليه الصلاة والسلام يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكبائر فى الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعى الغير وكذا كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير وايضا انه تعالى يخرج طائفة من النار ممن لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع من غير سعيهم وايضا اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق عنه بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وانه يسقط الحج المفروض عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا الصلاة والدعاء له فيها ينتفع بها الميت وهى من عمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لاتحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب ايضا كثيرة فلابدّ من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى فانه لاشتماله على النفى والاستثناء يدل على ان الانسان لاينتفع الا بعمل نفسه ولايجزى الا على قدر سعيه ولايزاد عليه وذلك يخالف الاقوال الواردة فى انتفاعه بعمل غيره وفى مضاعفة ثواب اعماله ولايصح ان يؤوّل بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فقول المصنف وماجاء فى الاخبار الى الخ جواب عن هذا الاشكال وتقرير الجواب ان معنى الآية ان الانسان لاينتفع بسعى غيره وعمله اذا عمل الغير لنفسه ولم ينو ان يكون ثواب عمله لغيره واما اذا عمل العامل ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فحينئذ ينتفع غيره بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فلما كان العامل بمنزلة الوكيل عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل الغير بنفسه وصار الغير منتفعا بعمل غيره اذ عمله كعمل نفسه بهذا الاعتبار فكأنه قيل وان ليس للانسان الا ماسعى بنفسه حقيقة او حكما فان عمل الوكيل عمل للموكل حكما وايضا ان سعى الغير انما لاينفعه اذا لم يوجد له سعى قط فاذا وجد له سعى بان يكون مؤمنا صالحا كان سعى الغير تابعا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فان علاقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه الصلاة والسلام * مثل المؤمنين فى توادّهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر * وقال عليه الصلاة والسلام * المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد لاخيه فى الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى فى شد عضد اخيه فكان سعيه سعيه ﴿ قوله اى يجزى العبد سعيه ﴾

(يعنى)

(ان لاتزر وازرة وزر اخرى) ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجرّ بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لاتزر كأنه قيل مافى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لايؤاخذ احد بذنب غيره ولايخالف ذلك قوله كتبنا على بنى اسرآئيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سنّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره (وان ليس للانسان الاماسعى) الا سعيه اى كما لايؤاخذ احد بذنب الغير لايثاب بفعله وماجاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه (وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزآء الاوفى) اى يجزى العبد سعيه بالجزآء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا والهاء للجزآء المدلول عليه بيجزى والجزآء بدله

يعني ان فعل الجزآء يتعدّى الي مفعولين كما في قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقولهم جزاك الله خيرا فاحد المفعولين في الآية هوالمرفوع المستتر في يجزى وثانيهما المنصوب البارز و التقدير ثم يجزى الانسان سعيه اى جزآء سعيه فحذف المضاف و الجزآء الاوفى مفعول به بواسطة حرف الجرّ عدّى اليه الفعل بنزع الخافض ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا للنوع ويجوز ان تكون الهاء في يجزاه ضمير الجزآء المدلول عليه بيجزى فيكون منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزآء الأوفى مفعولا مطلقا ايضا لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا منه او عطف بيان له او منصوبا بتقدير اعنى ﴿ قوله وقرئ بالكسر ﴾ العامة على فتح الهمزة من انّ وما عطف عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى و ابراهيم وقرئ بكسر الهمزة في الجميع على انه ابتدآء كلام لبيان ان انتهاء رجوعهم الى موقف حساب الله تعالى فيجازيهم باعمالهم و المنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء ﴿ قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى ﴾ قيل معناه ان مايعمله الانسان فبقضائه وحكمه وخلقه حتى الضحك و البكاء وقال الكلبي اضحك اهل الجنة بفضله ورحمته وابكى اهل النار بعدله و سخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك قوما عند الموت باسماع وأبشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم ﴿ قوله تدفق في الرحم ﴾ يقال منى المنيّ وامناه اى انزله واراقه وصبه وفسره الاخفش بقوله تخلق على انه من منى المانى اى قدّر المقدّر ومما يدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متناسب الاجزآء يخلق الله تعالى منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انه تعالى بعد ماخلقهم اوّلا من نطفة كذا يخلقهم ثانيا من تراب كما قال وان عليه النشأة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعل لامحالة على ماتقتضيه الحكمة ثم قال وانه هو اغنى اى اعطى مايغنى عن الغير واقنى اى اعطى القنية وهى اسم لمايقتنى اى يدّخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتأثيل التأصيل ومال مؤثل اى متخذ اصل مال يحفظ ويدّخر لقصد الاستثمار والاستنماء وفي الصحاح اقتناء المال وغيره اتخاذه وفي المثل لاتقتن من كلب سوء جروا واقناه الله اعطاه مايقتنى من القنية والنشب قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لاللتجارة واقناه الله ايضا اى ارضاه والقنى الرضى تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الضأن فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنى ﴿ قوله يعنى العبور ﴾ اشارة الى ان الشعرى شعريان احداهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الغميصاء فصلت المجرّة بينهما لزعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرّة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص في العين ماسال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا ﴿ قوله ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلاة والسلام ابن ابى كبشة ﴾ لايريدون بذلك اتصال نسبته عليه الصلاة والسلام اليه وان كان الامر كذلك بل يريدون به موافقته عليه الصلاة والسلام اياه في ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد وكان ابو كبشة الخزاعى جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه عبدها وقال لا ارى شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها وليس شئ مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة والمعنى ان الشعرى مربوب فاعبدوا ربه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه في خلافه اياهم بابى كبشة وسموه بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشة العرب في عبادة الشعرى ﴿ قوله لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح ﴾ اشارة الى انه ليس هناك عادان احداهما اقدم زمانا من الاخرى حتى يكون وصف احداهما بالاولى للاحتراز عن عاد الاخيرة بل ليس هناك الا عاد واحدة هم اعقاب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهم قوم هود عليه السلام اهلكهم الله بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدّم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلذا سماهم الله تعالى عادا الاولى وهو قول المصنف وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم قال الكشاف في تفسير سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبنى هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدّهم ولمن بعدهم عاد الاخرى فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو وان كان موافقا لمانقله المصنف من ان عادا عادان عاد اولى وعاد اخرى الا انه مخالف له من حيث ان ارم هى الاولى على هذا القول وهى اخرى

(وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك مابعده (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى) لايقدر على الاماتة و الاحياء غيره فانه القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنه بفعل الله على سبيل العادة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق في الرحم او تخلق او يقدّر منها الولد من منى اذا قدر (وان عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأه (وانه هو اغنى واقنى) واعطى القنية وهى ماينأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية (وانه هو رب الشعرى) يعنى العبور وهى اشدّ ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها (وانه اهلك عادا الاولى) القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم

على مانقله المصنف ﴿ قوله وقرئ عادا الاولى ﴾ اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الاصل فان التنوين اذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما في قرآءة من قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا في الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدأوا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح همزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة وهم صرفوا عادا اما لانه اسم للحي او الاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه وان كان مؤنثا اسما للقبيلة الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عادا لؤلى بادغام التنوين في لام التعريف بعد نقل حركة همزة اولى الى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وابدال واو اولى همزة فانه لما قصد التخفيف بالادغام نقل حركة الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من اصله ولما نقل الحركة الى اللام اعتد بتلك الحركة اذ لا يمكن الادغام في ساكن ولا فيما هو في حكم الساكن وقرأ ورش وابو عمرو عاد الولى بادغام التنوين في اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو على حالها غير مبدلة همزة وروى المصنف قرآءة اخرى وهي ان تحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وان لا يدغم التنوين في لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها فان العرب اذا نقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام التعريف مثلا تجعله في حكم الساكن ولا تعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين وان كان قبلها همزة وصل لا يستغنى عنها فتقول لم يذهب الحمر ورأيت زيادا النجم من غير ادغام التنوين في اللام والحمر والنجم بهمزة الوصل لكون اللام في حكم الساكن فقرآءة عادا الاولى مبنية على هذا الاصل ﴿ قوله عطف على عادا ﴾ فيكون منصوبا باهلك ولا يجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر من ان ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى والمؤتفكة اهوى ايضا معطوف على عادا اي واهلك المؤتفكة وهي قرى قوم لوط عليه السلام ومفعول اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اي اسقطها من السماء بعدما رفعها اليها على جناح جبريل عليه السلام يقال افكه فائتفك اي قلبه فانقلب ويجوز ان تكون المؤتفكة منصوبة بأهوى والمنوي فيه وفي قوله تعالى فغشاها ضمير الباري عز وجل اي ألبس الله المؤتفكة ما ألبسها من العذاب الذي من جملته ما امطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة والثاني قوله ماغشى والمنوي في قوله ماغشى ايضا ضمير الباري ومفعولاه محذوفان احدهما ضميرها والثاني ضمير المؤتفكة اي فغشاها الله ماغشاه اياها ﴿ قوله انذار من جنس الانذارات ﴾ جعل النذير مصدرا بمعنى الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القرآن لان القرآن انما تعلق به الانذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين ولا شك ان اقتصاصها ليس بمنذر بل هو انذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام فانه منذر ليس الا وتأنيث الاولى على تقدير كونه صفة النذر بمعنى المنذرين لكون النذر بمعنى الجماعة اذ الاوجه ان يقال من جنس المرسلين الاولى الا بذلك التأويل ﴿ قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو ﴾ يعني ان الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة او القيامة وان اللام فيها للعهد فلذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذ لو كانت للجنس لما صح اذ لا فائدة في ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه ايضا * قلت لا نسلم ذلك لانه انما لا يفيد اذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبني على تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم ﴿ قوله او الآن ﴾ عطف على قوله اذا وقعت اي اذا وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله قال محيي السنة وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدآئدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد الا الله وبهذا قال قتادة والضحاك ويجوز ان يكون المعنى القيامة التي وصفت لك بالازوف هي آزفة في نفس الامر فكيف لا تستعدلها ﴿ قوله ليس لها نفس قادرة على كشفها ﴾ الكشف على الاول بمعنى الازالة بالكلية وعلى الثاني يكون بمعنى الازالة ايضا الا انه لا يكون بمعنى الازالة بالكلية بل يكون بمعنى التأخير الى امد بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اي ليس لها نفس مبينة تبين انها متى تقوم ﴿ قوله تعالى وانتم سامدون ﴾ يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اي انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين والسمود قيل الاعراض والغفلة عن الشيء فسر السمود بثلاثة اوجه الاول كون الانسان لاهيا غافلا قال الشاعر

* الا ايها الانسان انك سامد * كانك لاتفنى ولا انت هالك *

(والثاني)

وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد الولى بادغام التنوين في اللام (وثمودا) عطف على عاد لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف (فما أبقى) الفريقين (وقوم نوح) ايضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم واطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط (أهوى) بعد ان رفعها فقلبها (فغشاها ماغشى) فيه تهويل وتعميم لما اصابهم (فبأي آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية (افمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزآء (ولا تبكون) تحزنا على ما فرطتم (وانتم سامدون) لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) اي واعبدوه دون الآلهة * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

والثاني الاستكبار والثالث الغناء قال عكرمة السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه تم هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت نبيا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقول من قال انه سينشق يوم القيامة الا انه قيل انشق بلفظ الماضي لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ما وعد الله رسوله من اشراط الساعة كلها قد مضى الا اربعة طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقال ابن مسعود رأيت حرا بين فلق القمر وهذا صريح في ان كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ذهب احد النصفين عن موضع الآخر وبقي النصف الآخر في موضعه واول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى أزفت الآزفة فكأنه تعالى اعاد ذلك مع الدليل فان انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام ونبوته وزمانه من أشراط الساعة وايضا ان من ينكر خراب العالم يقول ان الافلاك وما فيها من الكواكب لا تقبل الخرق والالتئام فاذا انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب الساعة استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها الا اقتراب زمان وقوعها **قوله وقوله وان يروا** مرفوع بالعطف على فاعل قوله ويؤيد الاول اي ويؤيد وقوع الانشقاق في عهده عليه السلام قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ووجه كونه مؤيدا لذلك انه مسوق لذمهم بان حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهي الاعراض عن تأمل الآيات والاهتداء بها الى الحق الصريح والذم بهذا الطريق انما يحسن اذا رأوا قبله آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا اليها رأسا والتنكير في قوله آية للتعظيم اي وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا الخ **قوله مطرد** اي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها الى السحر فانه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية فقالوا هذا سحر مستمر اي دائم لا يختص تعلقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الامور في جميع الازمان قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فنستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فتعجبوا منه **قوله او محكم** معطوف على مطرد والمرة القوة والشدة فالسحر الذي يؤثر في الاجرام العلوية كما يؤثر في الاجرام السفلية يكون قويا مستحكما يقال حبل مرير الفتل اذا اشتد فتله ويحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر مستبشع وان يكون من المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اي ذهب واستمر مثله ويقال امر الشيء اذا صار مرا وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة فهو مر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كطاب واستطاب وقر واستقر فقولهم انه سحر مستمر اي مار يذهب ويفنى تمنية منهم لانفسهم وتعليلا لها واطماعا في غير مطمع **قوله وذكرهما بلفظ الماضي** مع ان الظاهر ان يقال ويكذبوا ويتبعوا لكونهما معطوفين على قوله يعرضوا ويقولوا **قوله تعالى وكل امر مستقر** الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع مبتدأ وفسره المصنف بقوله منته الى غاية اشارة الى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل وتنكشف جلية الحال وتتضح الشبهة والالتباس فالحقائق انما تظهر عند العواقب فان لكل امر غاية في الدنيا وكذا في الآخرة ينتهي اليها لا محالة فاذا انتهى اليها يستقر ويتم امره ويتبين حاله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذلك امر تكذيبه فالآية وعيد للمشركين ووعد للرسول وللمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اي كل نبأ وان طالت مدته

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اومار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا اهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل امر مستقر) منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة

فلا بدّ ان ينتهي الى غايته و تنكشف حقيقته من الحقية و البطلان ﴿ قوله و قرئ بالفتح ﴾ اى بفتح القاف على انه مصدر ميمي بمعنى الاستقرار فلا بدّ من تقدير مضاف اى وكل امر ذو استقرار و قرئ بكسر القاف وجرّ الكلمة ايضا فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت و هو الساعة ثم انه تعالى بعد ما اوعد كفار مكة بخذلانهم في الدنيا وشقاوتهم في العقبى و وعد الرسول و المؤمنين بالنصرة في الدنيا و السعادة في الآخرة امر رسوله عليه السلام بان يتولى عن دعوتهم و مناظرتهم بالحجة و البرهان و فرّع الامر بالاعراض على قوله جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر فما تغني النذر تعليلا للامر المذكور و الانباء هي الاخبار العظام فان النبأ و الانباء لم يرد في القرآن الا لما له وقع و شان عظيم و الزجر المنع و النهي و ازدجر افتعل منه اصله ازتجر وقد تقرّر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاي و الدال و الذال تقلب دالا لان الزاي حرف مجهور و التاء حرف مهموس فتقلب حرفا يناسب الزاي في الجهر و يناسب التاء في المخرج وهو الدال فيصير ازدجر و المزدجر في الآية مصدر ميمي بمعنى الازدجار اى الزجر فان بناء افتعل و ان شاع كونه لمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته و امتدحته و هذا هو المناسب في هذا المقام فقولنا زجره و ازدجره بمعنى واحد اى نهاه و منعه عن السوء و ارتفاع مزدجر يجوز ان يكون على الابتداء و فيه خبره و ان يكون على انه فاعل لقوله فيه لاعتماده على الموصول او الموصوف فان ما يجوز كونها موصولة و موصوفة فالجملة بعدها صلتها او صفتها ﴿ قوله نفي او استفهام انكار ﴾ اى يجوز ان تكون ما نافية فيكون مفعول تغني محذوفا اى فما تغني النذر شيأ و ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون في موضع النصب على انها مفعول مقدم لتغني اى اى شئ تغني النذر اذا خالفهم اهل مكة و كذبوهم ﴿ قوله و يجوز ان يكون الدعاء فيه ﴾ اى في البعث و الاعادة مثل كن في التكوين ابتداء بان لا يكون ثم داع من اسرافيل و غيره بل يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه نفاذ مشيئته تعالى و عدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة المدعو المطيع لدعاء الداعي المطاع من غير توقف و تردد كما قيل ان امر كن في الابداء و التكوين كذلك و من قال ان الدعاء و النداء على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس و يدعو و ينادي قائلا ايتها العظام البالية و اللحوم المتمزقة و الشعور المتفرّقة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعوا لفصل القضاء و منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ و جبريل عليه السلام يدعو و ينادي بذلك و لما حذفت الواو من يدعو في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط ايضا تبعا للفظ و حذفت ياء الداعي اكتفاء بالكسرة و النكر بضمتين صفة على فعل و قرئ بسكون الكاف كما في قوله تعالى لقد جئت شيأ نكرا و كلاهما بمعنى المنكر و الشئ الشديد الفظيع يسمى نكرا لان النفوس تنكره و قرئ نكر بضم النون و كسر الكاف و فتح الراء على انه فعل ماض مبني للمفعول في موضع الجرّ على انه صفة لشئ و خاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا اصليا في العمل قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائي خاشعا ابصارهم و باقي السبعة خشعا و القرآءة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل و ما جرى مجراه اذا قدّم على فاعله الظاهر يفرد و يذكر فيقال تخشع ابصارهم و لا يقال تخشعن ابصارهم فان تأنيث الجمع غير حقيقي لكونه بمعنى الجماعة و الفعل اذا اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي جاز الحاق علامة التأنيث بالفعل و تركها نحو طلع الشمس و قوله تعالى فمن جاءه موعظة فكذا اذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا اى سوآء كان جمع سلامة او جمع تكسير و سوآء كان واحد المكسر حقيقي التذكير او التأنيث كرجال و نسوة او مجازي التأنيث كايام و دور و كذا واحد المجموع بالالف و التاء ينقسم الى هذه الاقسام الاربعة نحو الظلمات و الزينبات و الجبليات و الغرفات فحكم المسند الى ظاهر هذه الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي في جواز الحاق علامة التأنيث و تركه و اما الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة طي يقولون اكلوني البراغيث فقرآءة خشعا ابصارهم جاءت على تلك اللغة فكذا اسماء الفاعلين اذا اسندت الى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم و جاز ايضا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة ابصارهم و جاز الجمع ايضا على لغة طي نحو خشعا ابصارهم فقوله و قرئ خاشعة على الاصل و هو ان لا يجمع اذا اسند الى ظاهر الجمع و ان يؤنث لكونه مسندا الى المؤنث و ان كان تأنيثه غير حقيقي و لم يجعل المصنف قرآءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة اكلوني البراغيث لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل عليها فيما اذا كان المسند فعلا او ما يشبه الفعل و يجري مجراه و هو جمع السلامة مثل قائمين غلمانهم و كريمين آباؤهم و اما اذا كان المسند مما لا يشبه الفعل كجمع

(ولقد جاءهم) في القرآن (من الانباء) انباء القرون الخالية او انباء الآخرة (ما فيه مزدجر) ازدجار من تعذيب او وعيد و تاء الافتعال تقلب دالا مع الدال و الذال و الزاي للتناسب و قرئ مزجر بقلبها زايا و ادغامها (حكمة بالغة) غايتها لا خلل فيها و هي بدل من ما او خبر لمحذوف و قرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغني النذر) نفي او استفهام انكار اى فاى غناء يغني النذر و هو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم (يوم يدع الداع) اسرافيل و يجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون و اسقاط الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف و انتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله و هو هول القيامة و قرأ ابن كثير نكر بالتخفيف و قرئ نكر بمعنى انكر (خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث) اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول و افراده و تذكيره لان فاعله غير حقيقي التأنيث و قرئ خاشعة على الاصل و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و عاصم خشعا و انما حسن ذلك و لا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل و قرئ خشع ابصارهم على الابتداء و الخبر فتكون الجملة حالا (كأنهم جراد منتشر) في الكثرة و التموّج و الانتشار في الامكنة (مهطعين الى الداع) مسرعين مادّي اعناقهم اليه او ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب

التكسير فجمع مثل هذا المسند اولى من افراده ليطابق فاعله ولا محذور فى كونه مخالفا للفعل فى الحكم لانه لا يشبه الفعل فكذلك خشعا ابصارهم وقبح قاعدين غلمانهم ولم يصح قعودا غلامهم والظاهر ان قوله تعالى يخرجون من الاجداث استئناف لبيان عاقبة المتولى عنهم ان كان يوم منصوبا بيخرجون ولبيان مايكون فى ذلك اليوم ان كان منصوبا باذكر وقوله تعالى كأنهم جراد فى موضع الحال من فاعل يخرجون اى يخرجون مشبهين بالجراد وكذا مهطعين والاهطاع الاسراع اى مسرعين الى جهة الداعى منقادين اذلاء وقيل هو الاسراع مع مدّ العنق وقيل هو النظر * الجوهرى هطع الرجل اذا أقبل ببصره على الشئ لايقلع عنه يهطع هطوعا وأهطع اذا مدّ عنقه وصوّب رأسه وأهطع فى عدوه اى أسرع ثم انه تعالى شرع فى ذكر بعض الانبياء فقال كذبت قبلهم قوم نوح

﴿قوله وهو تفصيل بعد اجمال﴾ يعنى ان قوله تعالى كذبت قبلهم لايقدّر له مفعول بل ينزل منزلة اللازم اى فعلوا فعل التكذيب والتكذيب لابدّ له من متعلق الا انه اجمل ثم فصل بقوله فكذبوا عبدنا فتكون الفاء فيه للتعقيب فى الذكر كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال ﴿قوله وقيل معناه﴾ اى قيل ان الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل على المجمل بل هى لترتيب مضمون مابعدها على ماقبلها فى التحقق والوجود وذلك بان يقصد تعلق قوله كذبت قبلهم بالمفعول الا ان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا تكذيبا عقيب تكذيب اوكذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل فان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسا ويقول لاتعلق للبارى تعالى بالعالم السفلى وانما امره الى الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبه تكذيب الرسل جميعا فلما بعث اليهم نوح عليه الصلاة والسلام كذبوه ايضا على مقتضى ماذهبوا اليه فتكذيبهم اياه تكذيب له عقيب تكذيب الرسل عليهم السلام وقولهم فى حقه عليه السلام هو مجنون مبالغة فى تكذيبهم اياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين انه يقول مالا يقبله العقل ويأباه وليس مرادهم انه عليه السلام مجنون حقيقة لانه مكابرة محضة ﴿قوله وزجر﴾ يعنى ان قوله تعالى وازدجر افتعل بمعنى فعل كقوله مافيه مزدجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه عليه بالفاء اى لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته اليهم دعا ربه بانى غلبنى قومى بالتكذيب وانواع الاذية على طول الزمان فانتقم لى ممن كذبنى ﴿قوله وهو مبالغة وتمثيل﴾ يعنى جعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة فى كثرة الماء هذا على ان تكون الباء فى قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما تقول فتحت بالمفتاح ويحتمل ان تكون للحال اى فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوّة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع اربعين يوما وجعل الكلام استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب بل هى انما تنزل من السحاب الا انه شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدّة بنزولها من السماء بان غلبت على ابوابها وانصبت منها ولم يتأت للابواب ان تسدّها وقيل كل واحد من السماء والابواب وفتحها حقيقة اذلا بعد فى ان يكون للسماء ابواب تفتح وتغلق حتى روى عن على رضى الله عنه ان ابواب السماء هى المجرّة ولا بعد ايضا ان ينزل المطر من تلك الابواب ﴿قوله فغير للمبالغة﴾ اى غير العيون من المفعولية الى التمييز للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض معناه فجرنا وسيلنا مافيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزاء الارض كلها بجعلها عيون ماء ولاشك فى انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى الماء بدل فالتقى ماء السماء وماء الارض والظاهر ان قوله تعالى على امر حال من الماء اى فالتقى مياه السماء والارض كائنة على المقدار الذى قدّر الله تعالى فى الازل ان تكون عليه او التقيا كائنا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويا له كما قال مقاتل قدّر الله ان يكون الماآن سواء وكانا على ماقدّرا او فالتقى الماء مستوليا على ماقدّره الله تعالى من هلاك قوم نوح انتهى ﴿قوله جمع دسار﴾ مثل كتاب وكتب وكما ان الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان المسمار يدفع دفعا شديدا ﴿قوله اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها﴾ اى كالشرح يعنى ان قوله تعالى ذات الواح ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من الواح ودسر حسن اقامتها مقام السفينة فان تقدير الكلام وحملناه على سفينة ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجرى فى محل الجرّ على انه صفة ذات الواح وباعيننا فى موضع النصب على انه حال من المنوى فى تجرى اى بمرأى منا محفوظة بحفظنا ﴿قوله

(كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون او كذبوه بعدما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر على التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجنّ وتخبطته (فدعا ربه انى) اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخرّ مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدّة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على امر قد قدر) على حال قدّرها الله فى الازل من غير تفاوت او على حال قدّرت وسوّيت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدّره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات اخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدّى مؤدّاها (تجرى باعيننا) بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا

اى فعلنا ذلك ﴾ الاشارة الى الافعال المذكورة بقوله ففتحنا وفجرنا وحملنا اى فعلنا كله جزآء للكفور وهو نوح عليه الصلاة والسلام فان انجاءه واهلاك مكذبيه جزآء له على ما تحمله من اذيتهم على ان يكون المراد بالكفر هو ضدّ الشكر وهو جحود النعمة فان الكفر بهذا المعنى يتعدّى بنفسه يقال كفره كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضدّ الايمان ويكون التقدير لمن كان كفر به فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير فان الكفر الذى هو ضدّ الايمان يعدّى بالباء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله والجمهور على ان كفر بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل والمراد بمن كفر قوم نوح ﴿ قوله اى السفينة ﴾ يعنى الموصوفة بقوله ذات الواح ودسر ثم قيل المراد ترك عينها على الجودىّ من ارض الجزيرة وقيل بارض الهند وقيل المراد ترك مثلها فى الناس فانهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن فلما رأوا تلك السفينة صنعوا امثالها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظم فضله لعباده عن قتادة انه قال ابقى الله سفينة نوح على الجودىّ حتى ادركها اوآئل هذه الامة وكذا عن ابن عباس قال الامام ابو الليث قوله تعالى تركناها آية يعنى سفينة نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم يعنى تلك السفينة كانت باقية بعينها على الجبل الى قريب من خروج النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس الى هنا كلامه ﴿ قوله او الفعلة ﴾ وهى انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم ﴿ قوله معتبر ﴾ يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والانابة ثم انه تعالى لما بين انه اجاب دعوة نوح بان فتح ابواب السماء بالماء المنهمر وفجر الارض عيونا وانه حمل من آمن من عباده على السفينة علم منه انه تعالى عذب قومه باسرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك العذاب وايعادا لمشركى مكة فكيف كان عذابى الذى عذبتهم به وكيف كان عاقبة انذارى وعنادهم والنذر يحتمل ان يكون مصدرا كالانذار كما حكى عن الفرآء انه قال تقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون جمع نذير الذى بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فالمعنى فكيف كان عاقبة انذاراتى لهم بالعذاب ألم اعذبهم بمرّة واحدة بعد ما تتابعت وتواترت عليهم انذاراتى التى هى آثار رحمتى ﴿ قوله باردة ﴾ على ان يكون الصرصر مأخوذا من الصرّ بكسر الصاد وهو برد يضرّ بالنبات والحرث وفى الصحاح ريح صرصر اى باردة ويقال اصلها صرر من الصرّ فابدلوا مكان الرآء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف وعن المبرد ان الصرصر الريح الشديد الصوت من صرّ الباب او القلم اذا صوّت وقيل الصرصر الدآئمة الهبوب من اصرّ على الشئ اذا دام وثبت ﴿ قوله تعالى فى يوم نحس ﴾ العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانهم يجوّزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوّزونها الا بتأويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون فى مسجد الجامع مثلا تأويله مسجد الوقت الجامع وتأويل الآية فى يوم عذاب نحس ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وقرئ بتنوين يوم ووصفه بنحس كقوله تعالى فى ايام نحسات جعل الاستمرار اوّلا بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس اذ لا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحو ستة ايام فانه يجوز استمرارها ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة لليوم بان يكون اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام علىّ يوم ولدت ويوم اموت حيث قال او استمرّ عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتدّ حتى اهلكم على ان يكون الاستمرار من المرّة وقوله او على جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى فى سورة الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى وقت غروب الشمس فى الاربعاء الآخر وتشاءم بعض الناس بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على انه تعالى قال فى حقه يوم نحس مستمرّ ولا وجه له لان المراد انه نحس على المفسدين بمشيئة الله تعالى اذ لم يظهر نحسه فى حق هود ومن آمن به ولا فى حق سائر المفسدين والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين وقوله تعالى تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز كونه حالا منها لكونها موصوفة وقوله تعالى كأنهم حال من الناس اى نازعة للناس مشبهين باعجاز نخل وهى اصولها التى قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم

(جزاء لمن كان كفر) اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين (ولقد تركناها) اى السفينة او الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمرّ (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرءآن) سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدّكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة او شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمرّ) استمرّ شؤمه او استمرّ عليهم حتى اهلكم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتدّ مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرّره للتهويل وقيل الاوّل لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى

لا رؤس والمنقعر المنقلع عن اصله وقعر الشئ اصله يقال قعرت النخلة اى قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت
النخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل فى صفة منقعر باعتبار لفظه وتأنيثه فى قوله تعالى اعجاز نخل خاوية
اعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم الريح نزعا بعنف كأنهم اعجاز نخل تقعرهم فيتقعرون وفيه
شارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض لجسامتهم فكأنهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يتصدون لمقاومة الريح
م الريح لما صرعتهم وألقتهم على الارض كانت كأنها قلعت اعجاز نخل منقعر ﴿قوله بالانذارات او المواعظ﴾
الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثانى على ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار والموعظة كالنكير بمعنى
الانكار والثالث على ان يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه
الصلاة والسلام لان تكذيبه فيما جاء به تكذيب للرسل جميعا فى الحقيقة لانهم متفقون فى اصول الدين ﴿قوله
الاول اوجه للاستفهام﴾ اى كونه منصوبا على الاشتغال بمعنى أنتبع بشرا منا نتبعه اوجه لانه حينئذ تكون
اداة الاستفهام داخلة على الفعل على الاصل ﴿قوله كأنهم عكسوا الخ﴾ يعنى كأن صالحا عليه الصلاة
والسلام يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران هائلة فى العقبى وهى المراد بالسعر الذى
هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول ﴿قوله تعالى من بيننا﴾ حال من هاء
عليه اى أخصص بالرسالة والوحى منفردا من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا والاستفهام للانكار
الاشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله أشر يأشر أشرا فهو أشر من باب علم ﴿قوله وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون﴾
ى بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثانى انه خطاب الله تعالى وكلامه لهم
على سبيل الالتفات من الغيبة فى قوله فقالوا وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر
الشين وتخفيف الراء فى قوله من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ
يقظ وحذر وحذر وقرئ ايضا الاشرّ بفتح الشين وتشديد الراء وهو افعل تفضيل من الشرّ اصله اشرر كما ان خيرا
صله اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة دورانهما فى الكلام ثم ان ثمود لما كذبوه وتعنتوا عليه سألوه ان يخرج
لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهى الناقة التى اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها
سم المخاض ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع فدعا صالح ربه فأوحى الله تعالى اليه فقال تعالى انا مرسلوا الناقة
ى باعثوها ومخرجوها من الصخرة كما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقق ما اقترحه القوم يشبه
الامتحان اى محنة لهم واختبارا فان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب حيث يظهر بها للخلق ويتميز من
تبع الهدى والبينة ممن يتبع الهوى فمن اصرّ على الضلال بعدما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة
الله جرت كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ﴿قوله قسمة بينهم﴾ اى
مقسوم او ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم فى القسمة ﴿قوله لها يوم ولهم يوم﴾ اشارة الى ان
كون الماء الذى يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان الماء قسمان قسم لها وقسم لهم بل المراد ان
يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة بان يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما ﴿قوله يحضره صاحبه﴾
اشارة الى ان حضره واحتضره بمعنى والظاهر ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان استعمال الحضر
بالضاد فى معنى المنع ليس بمعهود والذى بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء فى قوله تعالى فنادوا صاحبهم فصيحة
فصح ان فى الكلام محذوفا تقديره فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى
مواشيهم فان الناقة مع فصيلها كانت تمشى فى الصيف فى مصيف مواشيهم فتهرب المواشى منهما فتبقى فى موضعها
الذى تمشى فيه وكانا يمشيان وقت الشتاء فى مشتى المواشى فتهرب المواشى منهما فيبقين فى الضيق فغلب عليهم
الشقاوة فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمرّ اذا صدرت عن الماء فتحاماها القوم
وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به بقية الرهط اى نبهوه على صدورها ومجيئها وقدومها من مكمنه ودعوه
الى قتلها وشجعوه عليه فتعاطى اى فاجترأ على تعاطى قتلها والاقدام عليه فان التعاطى عبارة عن الاقدام على
الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه اى فتعاطى صاحبهم آلة العقر فعقرها
ها قيل كمن لها فى اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شدّ عليها فكشف عرقوبها فخرّت
رغت رغاة واحدة ثم نحرها والعرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود والعقر الجرح

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾
كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ
او الرسل ﴿فقالوا أبشرا منا﴾ من جنسنا
او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل
يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام ﴿واحدا﴾ منفردا
لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم ﴿نتبعه
انا اذا لفى ضلال وسعر﴾ جمع سعير كأنهم
عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه
على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه
ناقة مسعورة ﴿ءألقى الذكر﴾ الكتاب
والوحى ﴿عليه من بيننا﴾ وفينا من هو احق
منه بذلك ﴿بل هو كذاب أشر﴾ حمله بطره على
الترفع علينا بادعائه ﴿سيعلمون غدا﴾ عند نزول
العذاب بهم او يوم القيامة ﴿من الكذاب
الاشر﴾ الذى حمله أشره على الاستكبار
عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه
وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على
الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كحذر فى حذر والاشرّ اى الابلغ
فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
﴿انا مرسلوا الناقة﴾ مخرجوها وباعثوها
﴿فتنة لهم﴾ امتحانا لهم ﴿فارتقبهم﴾ فانتظرهم
وتبصر مايصنعون ﴿واصطبر﴾ على اذاهم
﴿ونبئهم ان الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم
ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب
محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر
عنه غيره ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدار بن سالف
احيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى
قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها
والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿فكيف كان
عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة﴾
صيحة جبرآئيل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾
كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى
يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر
المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا﴾

ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل او سحرين (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوه بالعذاب متشا كين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا اعينهم) فمحضناها وسوّيناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرآئيل صفقة فاعماهم (فذوقوا عذابى ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اوّل نهار معين (عذاب مستقرّ) يستقرّ بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرءآن للذكر فهل من مدّكر) كرّر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادّكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فاخذناهم اخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يامعشر العرب (خير من اولئكم) الكفار المعدودين قوّة وعدّة او مكانة ودينا عند الله تعالى (ام لكم برآءة فى الزبر) ام انزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من العذاب (ام يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام او منتصر من الاعدآء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اى الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل احد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوّة وعن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه (والساعة ادهى) اشدّ والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوآئه (وامرّ) مذاقا من عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) يجرّون عليها (ذوقوا مس سقر) اى يقال لهم ذوقوا حرّ النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم

ثم استعير للقتل والحيز تصغير احمر صغر تحقيرا له وكان قدار احمر اشقر ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام والعامة على كسر الظاء من المحتظر على انه اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره والهشيم حطام الشجر والنبت اليابس ومن اتخذ لغنمه حظيرة يقيها عن البرد والريح يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليها الزمان بليت وتكسرت وصارت هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح الظاء اما على انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة فالمعنى كهشيم الحظيرة التى تمنع بها المواشى عن البرد والريح او على انه مصدر ميمى بمعنى الاحتظار سمى الشجر المتخذ للحظيرة محتظرا لكونه مادّة للاحتظار او اسم مكان اطلق على مادّة المحتظر باعتبار توهم المكانية فيها ﴿قوله ريحا تحصبهم﴾ اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وهى الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لكونها فى تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قول الملائكة لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذى ارسل عليهم نفس الحجارة لا التى تحصبها الا انه قيل ههنا ارسلنا عليهم ريحا حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح الحاصبة بالحجارة والاستثناء فى قوله تعالى الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو ضمير القوم المذكور بقوله كذبت قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه ونوّن سحرا لان المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه تعالى باعتبار كونه سببا آمرا له بان يخرج بهم بقطع من الليل اى يخرج فيه لمجاء العذاب قومه وقت السحر والسحر سحران الاوّل قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه والباء فى قوله بسحر يجوز ان تكون بمعنى فى وان تكون للحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين فى وقت السحر ﴿قوله تعالى فتماروا﴾ تفاعلوا من المرية اى تشاركوا فى الشك فيما انذرهم به وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا وحده وعدّى فتماروا بالباء واصله ان يتعدّى بفى لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل فكذبوا بالنذر متشاركين * والمراودة الطلب والارادة اى طلبوا منه وارادوا ان يسلم اليهم اضيافه ويخلى بينهم وبينهم فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه باذن الله تعالى فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة عن مجرّد انهم لم يروا الرسل وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا ﴿قوله تعالى بكرة﴾ قرأ العامة بالتنوين لكونها نكرة فلا وجه لمنع الصرف وقرئ غير منوّن على ان يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف ﴿قوله قوّة وعدّة﴾ يعنى ان الخيرية مع انه لا خير فى كل واحد من الفريقين اما باعتبار القوّة وكثرة اسباب المقاومة واما باعتبار الدنيا وكثرة اسباب زينتها ﴿قوله ام يقولون﴾ قرأ العامة ام يقولون بياء الغيبة على الالتفات ﴿قوله ممتنع لا نرام﴾ اى لا نزال عن موضعنا يقال رامه يريمه ريما اى برحه وزال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر روى ان اباجهل كان يعلف كل يوم فرسا له فرقا من ذرة وكان يحلف باللات والعزى ليقتلنّ عليه محمدا فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الاقران فى الحرب واذ حمل بعضهم على بعض جعلوا يقولون نحن جميع منتصر ممن عادانا فقتل على يد ابن مسعود رضى الله عنه ﴿قوله وهو من دلائل النبوّة﴾ لان الآية نزلت بمكة واخبر بها انهم سيهزمون فى الحرب فكان كما قال ولا طريق الى علم الغيب الا الوحى فعلم ان الآية وحى الهى ﴿قوله لم اعلم ماهو﴾ اى لم اعلم اىّ جمع يهزم أجمعنا ام جمع الكفار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين ﴿قوله تعالى بل الساعة﴾ اضراب عن ذكر هزيمتهم فى الدنيا ﴿قوله تعالى يوم يسحبون﴾ يجوز ان يكون ظرفا لقوله فى ضلال وسعر وان يكون ظرفا للقول المقدر بعده اى يقال لهم فى ذلك اليوم ذوقوا مس سقر ﴿قوله فان مسها سبب للتألم بها﴾ علة لتفسير مس سقر بحرّ النار وألمها يعنى ان مس النار لما كان سببا للتألم بها صح ان يعبر عن المسّ بالتألم والاحتراق مجازا مرسلا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال الى قوله مسّ سقر نزل فى حق القدرية وعنه ايضا انه قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاوّلون والآخرون اين خصماء الله فتقوم

قدرية فيؤمر بهم الى النـار و يقول الله تعالى ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وعنه عليه الصلاة
السلام انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال
سعر وكثرت الاحاديث فى حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر و ينسـبون الحوادث كلها الى الاوضاع
فلكية و اتصالات الكواكب و يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء مشركوا قريش
خاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقنـاه
قدر رواه مسلم فى صحيحه فان مذهبهم ذلك* واعلم ان المسلين فى مسألة القدر طوآئف فطائفة تقول كل مايجرى
ى العالم من الخير و الشرّ و الافعـال و الاقوال بقضاء الله تعالى و قدره لااختيار للعبد فيه وتسمى هذه الطـائفة
جبرية بسكون الباء و فتحها ومعنى الجبر القهر و الاكراه و يقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم و اقوالهم
لااختيار لهم فيها و اضافة الفعل اليهم كما يقال جرى النهر ودارت الرحى ومن ذهب الى هذا القول لاسـقاط
تكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لانه يفضى الى ابطال الكتب والرسل لانه اذا لم يكن للعباد اختيار
يكونوا مكلفين فلم يبق لانزال الكتب و بعثة الرسل حينئذ فائدة وان قالوا هذا القول لاعن اعتقاد بل قالوه
عظيم الله تعالى و تحقير انفسهم واظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لايكفرون به بل يصيرون مبتدعين فاسقين
انهم خالفوا الاجماع فى الاعتقـاد والطـائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل مايصدر
ن العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون واقعا بقدرتهم ودواعيهم ولايتعلق به بخصوصه قدرة الله تعالى
ارادته وانما نسبوا الى القدر لان بدعتهم نشأت من قولهم فى القدر لنفيه لالاثباته وهذه الطائفة قد نفوا هذه
تسمية عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبر لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لانهم
سـندوا الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم ان قالوا هذا القول من اعتقاد جريان العجز
جوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين وان قالوه لاعن اعتقاد ذلك بل عن خطأ ظنونهم واجتهادهم
لتنزيه الله تعالى عن افعالهم القبيحة فليسوا بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسـقين لانهم خالفوا
لاجماع وفيه مذهب آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر
قيل هو اقرب الى الحق منهما لكونه مطـابقا للعقل وموافقا لكتاب الله وكلام رسوله ولما نقل عن الراسخين
ى العلم انه لاجبر ولاتفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول عن جعفر الصادق كذا فى شرح المصابيح
لامام الخلخالى* قال الامام كل فرقة فى خلق الاعمال تذهب الى ان القدرى خصمها فالجبرى يقول القدرى من يقول
طاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى
و الجبرى الذى يقول حين يزنى العبد و يسرق الله تعالى قدّر ذلك فهو قدرى لاثباته القدر حيث قال كل
احد من الخير والشرّ بقدر الله تعالى لااختيار للعبد فيه والفريقان متفقان على ان القائل بان الافعـال
خلق الله وكسب من العبد ليس بقدرى والحق ان القدرى هو الذى ينكر القدر رأسا وينسب الحوادث الى
لاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم ماكانوا يقولون مثل مايقوله
معتزلة من ان الله تعالى خلق لى سلامة الاعضاء وقوّة الادراك ومكننى من الطاعة والمعصية وهو قادر على
ن يخلق فىّ الطـاعة الجاء والمعصية الجاء وعلى ان يطعم الفقير الذى اطعمه انا بفضل الله تعالى واقداره اياى
ليه بل كانوا يقولون انطعم من لو يشاء اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام انتهى ﴿ قوله اى انا
خلقنا كل شئ مقدّرا ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بقدر حال من كل شئ وانه بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما
ن يحمل على تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت
ليه المنفعة المنوطة بخلقه كما فى قوله تعـالى وخلق كل شئ فقدّره تقديرا بان جعل جميع مافيه من الاوضاع
الاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر
لذى يذكر فى جنب القضاء* قال المصنف فى شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية
نظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشـياء فى اوقاتها انتهى كلامه فقوله تعـالى
قدر اى بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى ﴿ قوله وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لانعتا ﴾ يعنى
ن الجمهور على نصب كل على الاشـتغال وحينئذ يتعين ان يكون خلقناه تأكيدا وتفسـيرا لخلقنـا المضمر

ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته
اذا لوّحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) اى
انا خلقنا كل شئ مقدّرا مرتبا على مقتضى
الحكمة او مقدّرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه
وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده
وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى
ان يجعل خلقناه خبرا لانعتا ليطابق المشهورة
فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر

الناصب لكل و التقدير انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشيء لان الصفة كما لا تعمل فيما قبل الموصوف لا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبلها ايضا فاذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه تأكيدا او تفسيرا للضمير الناصب بخلاف ما اذا رفع كل شيء على الابتداء لانه حينئذ يجوز ان يكون خلقناه صفة لكل شيء و بقدر خبرا فيكون المعنى كل شيء موصوف بكونه مخلوقا لنا فهو بقدر وقضاء سابق من الله تعالى و المفهوم ان من الموجودات ماهو مخلوق لغير الله تعالى وانه ليس بقدر كما تقوله المعتزلة ويجوز ان يكون خلقناه خبرا لا نعتا وحينئذ تكون قرآءة الرفع موافقة لقرآءة النصب في الدلالة على ان الاشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب اهل السنة ﴿ قوله ولعل اختيار النصب ههنا ﴾ جواب عن ما يقال كيف اختار الجمهور قرآءة النصب مع ان التركيب من قبيل قولك زيد ضربته والمختار فيه الرفع لان النصب يحتاج الى حذف العامل او اضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه بعامل معنوى لا يتلفظ به حتى يقال حذف او اضمر * وتقرير الجواب انه على قرآءة النصب يكون كل شيء باقيا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص بالصفة فيكون الكلام نصا في الدلالة على المقصود وهو كون الاشياء باسرها مخلوقة لله تعالى بقدر بخلاف قرآءة الرفع فان قوله خلقناه حينئذ وان جاز كونه خبرا فيكون الكلام دليلا على ماهو المقصود الا انه يجوز كونه نعتا لا خبرا فلا يفيد الكلام ماهو المقصود فاختير قرآءة النصب لما فيها من النصوصية على المقصود و المشهور ان قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر متعلق بما قبله كأنه قيل ذوقوا مس سقر فان كل شيء خلقناه بقدر و يجوز ان يكون متعلقا بجميع ما ذكر في السورة من اهلاك الاشرار وانجاء الاخيار ووعيد اهل مكة من المشركين ووعد المؤمنين ثم بين ان خلق الكائنات اهون شيء عليه وايسره فقال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واللمح النظر بسرعة واختلاس يعني ان قضائي وخلقي ايسر واسرع من لمح البصر والمقصود تهديد المشركين بالاهلاك فلذلك عقبه بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة الاشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم اليها عقاب الآخرة فقال وكل شيء فعلوه يعني الاشياع قبلكم في الزبر اي مكتوب في دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا كتبه وتنكير جنات للتعظيم اي في جنات لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها وقرأ الجمهور ونهر بفتحتين على الاصل وقرئ بسكون الهاء للتخفيف وكلاهما واحد الانهار اكتفى بواحد لكونه اسم جنس يتناول الانهار وهو المراد ههنا بدليل ذكره بقرب جنات كأنه قيل في جنات وانهار من الماء والخمر واللبن والعسل والظاهر ان يقال في جنات عند انهار لان الانسان انما يلتذ بالانهار بان يكون عندها لا بان يكون فيها فالمعنى في خلال الانهار وما بينها من الامكنة وكذا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون معناه في خلال العيون ﴿ قوله او سعة ﴾ عطف على قوله انهار يعني ان النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل ايضا بمعنى السعة يقال انهرت الطعنة اى وسعتها واستنهر الشيء اذا اتسع ويسمى النهار نهارا لسعة ضيائه وقال الضحاك ليس المراد بالنهر هنا نهر الماء وانما المراد سعة الارزاق لان المادة تساعد هذا المعنى ويجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار ومن قرأ نهر بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كأسد وأسد او جمع نهر بالفتح والسكون كرهن ورهن وسقف وسقف ﴿ قوله في مكان مرضي ﴾ اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق في انه من اضافة الموصوف الى الصفة وان الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى في مقعد صدق يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من المنوى في قوله في جنات لوقوعه خبرا وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات بدل بعض من كل لان المقعد بعضها او بدل اشتمال لانها مشتملة عليه والاول اظهر والمراد بالعندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمليك من الملك والتنكير فيه وفي قوله مقتدر للتعظيم اشار اليه المصنف بقوله عند من تعالى امره انتهى ﴿ قوله في كل غب ﴾ اى من اعتاد ان يقرأها يوما ويتركها يوما * تم هنا بحمد الله ورحمته ما يتعلق بسورة القمر وسأبدأ بكشف اسرار سورة الرحمن مستعينا به ومتوكلا عليه سبحانه وتعالى

﴿ سورة الرحمن مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ قوله مكية ﴾ اى عند ابن عباس والضحاك ومدنية عند مقاتل وابن حبان والواقدى وقيل مكية الا آية وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الآية فانها مدنية ﴿ قوله تعالى الرحمن ﴾ مبتدأ والجمل الثلاث بعده اخبار مترادفة وعلم يتعدى الى مفعولين

ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود (وما امرنا الا واحدة) الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن (كلمح بالبصر) في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر (ولقد اهلكنا اشياعكم) اشباهكم في الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شيء فعلوه في الزبر) مكتوب في كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور في اللوح (ان المتقين في جنات ونهر) انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا الافهام * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿ سورة الرحمن مكية او مدنية ﴾
﴿ او متبعضة وآيها ست وسبعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب

(حذف)

حذف مفعوله الاوّل فى الآية والتقدير علم جبريل القرءآن وقيل علم محمداً صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان القرءآن
وهذا اولى لان المقصود تعداد ما انعم به على نوع الانسان مطلقا حثا على شكره وتنبيها على تقصيرهم فيه ولان قوله
عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه ﴿ قوله صدّرها بالرحمن ﴾ جواب لما فوجب ان يكون
مسببا عما قبله فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم باعتبار الكيفية اى باعتبار ان الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمن
هى جلائل النعم فلذلك يقال يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام فلا يقال له تعالى
باعتبار تلك النعم رحيما بخلاف النعم الدنيوية فان منها ماهى جليلة ومنها مادون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم
بالرحمن كما يوصف به باعتبار النعم الاخروية فصح ان يجعل قوله صدّرها بالرحمن مرتبا على كون السورة
مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية ﴿ قوله وقدّم ماهو اصل النعم ﴾ ليس معطوفا على قوله صدّرها
بل هو جواب عما يقال كيف قدّم تعليم القرءآن للانسان على خلقه مع انه متأخر عن خلقه بحسب الوجود * فاجاب
عنه بانه قدّم تعليم القرءآن ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر الخ يعنى ان تعليم القرءآن
وان كان متأخرا عن خلق الانسان الا انه قدّم عليه ايماء الى ان خلق الانسان ليس مقصودا لذاته بل المقصود الاصلى
من خلقه والحكمة الداعية اليه هو استكماله بحسب قوّته النظرية العملية بمعرفة مبدئه ومعاده وان يتحلى
بعبادة ربه وذلك انما يكون بتلقى الوحى وتعرّف مايستنبط من علومه فلما كان تعليم القرءآن وتعرّف احكامه
هو المقصود الاصلى والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان يقدّم عليه لان الاهم اقدم فلذلك قدّم تعليم القرءآن
على خلق الانسان وقدّم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم متفرعا على الخلق ضرورة ان الكمالات
كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه فى حكم اصل الخلق من حيث ان المقصود
منه ايضا تعليم القرءآن واحكام الشرع لانه لولا البيان لما تمكن من تعلم القرءآن وتعليمه وقوله مصدّق لنفسه
اى باعجازه وقوله ومصداق لها اى لسائر الكتب السماوية لاشتماله على خلاصتها ﴿ قوله لمجيئها على نهج
التعداد ﴾ اذ مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الانسان فيه يقتضى ايرادها على نهج
التعداد اذ به يظهر ان كل واحدة منها مستقلة فى الاعتداد والاعتناء بشانها منفردة عن النعم الباقية ولو جئ
بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة وفاتت هذه الفائدة ﴿ قوله بجريان بحسبان ﴾ اشارة الى ان قوله الشمس
مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر بمعنى الحساب
كالشكران والغفران والرجحان وقيل الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجرى بحساب
فى منازل لا يعدوها فالشمس تقطع بروج السماء فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها فى ثمانية وعشرين
يوما ثم انه تعالى لما ذكر نعمة ايجاد نفس الانسان الذى هو اصل جميع النعم وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين
عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوآئد لا تحصى
ثم ذكر فى مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب
والثمار وحشيش الدواب والنجم كل نبات ينجم من الارض ولا يبقى له ساق فى الشتاء والشجر نبات يبقى ساقه
﴿ قوله تعالى يسجدان ﴾ من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما طبعا بانقياد المكلفين طوعا اى قصدا
واختيارا وهو المسمى بالسجود عند اهل اللغة فسمى المشبه باسم المشبه به ﴿ قوله وكان حق النظم فى الجملتين ﴾
يعنى ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة فى انهما اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر
اذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع الى المبتدأ كما فى تلك الجمل الا انهما جرّدتا عن الضمير الرابط اعتمادا على
وضوح المراد فانه من المعلوم ان الحسبان حسبانه الذى قدّره لها وان المسجود له هو الرحمن ولا يذهب الوهم الى
احتمال آخر ﴿ قوله وادخال العاطف بينهما ﴾ لما بين ان الجمل الثلاث الاول اخليت عن العاطف لكون المقصود
منها تبكيت من انكر الرحمن وآلاءه بتعديد نعمه عليه واحدة بعد واحدة وذلك يقتضى الاخلاء عن العاطف حتى
يعلم ان كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف بين الجملة الرابعة والخامسة
جريا على مايقتضيه ظاهر الحال فانه قد تقرّر فى علم المعانى انه اذا اتت جملة بعد جملة اخرى وكان للاولى محل
من الاعراب فان قصد تشريك الثانية للاولى فى حكم اعراب الاولى عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك
المذكور ثم ان كان العطف بالواو وجب ان يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر او يعطى ويمنع

اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله (خلق الانسان علّمه البيان) ايماءً بان خلق البشر وما يميّز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرّف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد (الشمسُ والقمرُ بحسبان) بجريان بحساب معلوم مقدّر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجمُ) النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له (والشجرُ) الذى له ساق (يَسْجُدانِ) ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له لتطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جرّدتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان مايحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره

لما بين المنع والاعطاء من التضادّ والجهة الجامعة بين الجملتين في الآية ان جرالشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود الشمس والقمر وانقيادهما طبعا في كون الجميع من قبيل الانقياد لامر الله تعالى وحاصلا بتقديره وتدبيره في ملكه ﴿قوله خلقها مرفوعة محلا﴾ يعني ان المراد برفع السماء خلقها رفيعة القدر والمرتبة وقيل رفعها على الارض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل على انه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل اراد به القدر والمنزلة المعنوية والالوجب ان يعطف المرتبة عليها بكلمة او احترازا عن الجمع بين الحقيقة والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة في رفع الشئ مكانا عليا ومجاز في رفع مرتبته وقدره الا ان يقال الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز عند الائمة الشافعية فالمصنف بنى العطف بالواو على مذهبه ﴿قوله العدل او مايعرف به مقادير الاشياء﴾ اى يجوز ان يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة امور العباد فانه اذا وفى كل ذى حق حقه ووفر على كل مستعدّ مااستحقه استراح الخلق وانتظم امر العالم فيكون وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل والجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية وكذا ان اريد بالميزان آلة الوزن اى وامرنا باستعمال مايعرف به مقادير الاشياء عند الاخذ والاعطاء لئلا يبخسوا الناس اشياءهم ﴿قوله كأنه لما وصف السماء الخ﴾ اشارة الى بيان التناسب بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع الميزان والمصنف جعل الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان بمعنى العدل بقوله بان وفر على كل مستعد الخ اى كان عادلا مجانبا عن الجور والظلم فى جميع ماابدعه من اجزاء العالم ولم يفعل شيأ من المصنوعات الاعلى حسب ماتقتضيه الحكمة فانظر الى اجزاء وجودك كيف عدل سبحانه وتعالى ترتيبها فانه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم عمادا مستبطنا وجعل اللحم مكتنفا اياه وجعل الجلد حافظا له محيطا به فلو عكس هذا الترتيب واظهر ما ابطن لبطل النظام ووضع كل واحد من اعضائك فى موضعه الخاص عدلا وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما وذلك ان السماء والارض متناسبتان من جهة التقابل وكذا وضع الميزان فى الارض باىّ معنى كان مناسب لخلق السماء الرفيعة القدر والرتبة من حيث ان كل واحد من الوضعين يوجب شرفا لمحله ولما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف الارض ومافيها بما نوط به مصالح اهلها ﴿قوله لان لاتطغوا﴾ يعني ان كلمة ان هى الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان ولام العلة مقدرة قبلها متعلقة بقوله ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحدّ والتقدير وضع الميزان لئلا تجاوزوا فى الميزان اى فى العدل او فى آلة التسوية وقرأ عبدالله لاتطغوا بغيران على اضمار القول اى قال لكم لاتطغوا فمن قال الميزان هو العدل قال الطغيان الجور ومن قال انه آلة التسوية قال طغيانه البخس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معناه لاتخونوا من وزنتم له ثم قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى قوّموا وزنكم واجعلوه مستقيما ملتبسين بالعدل فان القسط العدل وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن ملابسا بالعدل وعدم تركه فى المعاوضات وقوله تعالى ولاتخسروا الجمهور على رفع التاء وكسر السين من اخسر بمعنى نقص كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى لاتنقصوا ماتوفون به من الحقوق وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسرت الشئ واخسرته اى نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى ايضا وقرئ بفتح التاء والسين ايضا من باب علم وهذا البناء لازم لايتعدّى بنفسه فيكون اصله لاتخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل وقيل لاحاجة الى ذلك لان خسر بكسر السين قد جاء متعدّيا قال تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة واجيب عنه بان خسر الذى فى الآية ليس من ذلك الاترى ان خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة معناه ان الخسران واقع لهما وانهما يعدمان وهذا المعنى ليس بمراد فى الآية قطعا وانما المراد لاتخسروا الموزون فى الميزان ﴿قوله وتكريره مبالغة﴾ جملة اسمية يعني ان قوله ولاتخسروا الميزان تكرير لقوله لاتطغوا فى الميزان من حيث المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يقول الطغيان فى الوزن نقص الموزون فيكون قوله ولاتخسروا الميزان تكريرا له قيل ذكر الميزان فى هذا الموضع ثلاث مرات فالاولى بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان والثانية بمعنى المصدر اى لاتطغوا فى الوزن والثالثة بمعنى المفعول اى لاتخسروا الموزون ﴿قوله خفضها مدحوّة﴾ يعني ان المراد بالوضع ههنا ماهو ضدّ الرفع اى والارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوّة وقوله للانام علة للوضع والانام ماعلى ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الجنّ والانس وقيل هم بنوا آدم خاصة اى وضعها

(والسماءَ رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزانَ) العدل بان وفر على كل مستعدّ مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او مايعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التى هى من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب (ان لاتطغوا فى الميزان) لان لاتطغوا فيه اى لاتعتدوا ولاتجاوزوا الانصاف وقرئ لاتطغوا على ارادة القول (واقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان) ولاتنقصوه فان من حقه ان يسوّى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوّة (للانام) للخلق وقيل الانام كل ذى روح

لاجل ماخلق فيها من الخلق او من الحيوان ثم فصل ماينتفع به الخلق ممافيها من النعم فقال فيها فاكهة ثم خص
ن بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضل ثمرها على سائر الفواكه لانه ممايقتات و يتفكه به «قوله جمع كم» اى
كسر الكاف و تشديد الميم والكفرّى بضم الكاف والفاء و تشديد الرآء وعاء طلع النخلة والطلع مايطلع من
النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهى غصن النخلة مادام عليه الخوص وهو ورق النخل واذا جرّد عنه
لخوص يسمى جريدا والجمار شحمة النخل وبالفارسى * پيه درخت خرما * جعل الكم اوّلا مرادفا للكفرّى ثم جعله عاما
كل مايغطى من الليف الذى يغطى الجذع والسعف الذى يغطى الجمار والكفرّى الذى يغطى الثمر فكلامه
ن قبيل اللف والنشر المرتب لان الليف يغطى الجذع والسعف يغطى الجمار والكفرّى يغطى الثمر «قوله
العصف ورق النبات اليابس» وهو تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الرياح اى تقطعه و تذهب به او هو بقل الزرع
هو اوّل ماينبت منه وكل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح بها رآئحة طيبة اى يشم وهو الرزق
لغة حمير والعرب تقول خرجت اطلب ريحان الله اى رزقه وفى الحديث * الولد ريحان الله * والريحان فى الاصل
صدر ثم اطلق على الرزق وهو على وزن فيعلان فى الاصل وعينه محذوفة او على وزن فعلان وهو واوى واصله
وحان قلبت واوه ياء لخفة الياء «قوله وقرأ ابن عامر والحب» اى قرأ كل واحد من لفظ الحب
ذو العصف والريحان بالنصب عطفا على قوله والارض وضعها على تقدير وخلق الحب ذا العصف والريحان او على
لاختصاص اى اخص الحب وفيه بحث لانه لم يدخل فى مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصصه من بينهما «قوله
انه ينتفع به» تعليل لقوله او كل مايكم ووجه التعليل ان توصيف النخل المعدودة من جملة مافى الارض من النعم
قوله ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد النعم الجليلة فكما ان
لكموم وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة فكذا مايكمها فلا وجه لتخصيص الاكمام بالكفرّى وعصف الحب ايضا
ن النعم الجليلة لكونه علف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرأ الاسماء الثلاثة منصوبة قدّر فعلا ينصبها
وحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو يصلح ان يكون وجها لمن قرأ برفع الريحان ومن قرأ
الريحان بالجرّ عطفه على العصف اى وفيها الحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو رزق
لانسان ومن قرأ برفع الثلاثة فوجه الرفع فيها انها معطوفات على المرفوع قبلها وهو فيها فاكهة اى وفيها ايضا هذه
لاشياء ذكر اوّلا مايتناول للرفاهية ومحض التلذذ وهو الفاكهة وثانيا مايصلح للتلذذ والتغذى ايضا وهو ثمر النخل
ثالثا مايصلح للتغذى فقط وهو الحب «قوله ويجوز ان يراد وذا الريحان» اى يجوز ان يكون انتصاب الريحان
ناء على انه فى الاصل مجرور باضافة ذا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان
كون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع بهذا بان يكون اصله وذو الريحان وفعل به ماتقدم وقرأ حمزة والكسائى
والريحان بالجرّ عطفا على العصف وماعدا ذلك بالرفع عطفا على الفاكهة ووجهه ظاهر «قوله وهو فيعلان»
اصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احداهما بالسكون ثم ادغمت الياء فى الياء ثم خفف فصار ريحان على
وزن فيلان «قوله وقوله ايها الثقلان» مجرور بالعطف على القول المذكور قبله وكون الخطاب فيه للثقلين
لا يستلزم كونه لهما فى قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما فى بعض
آياتها يدل على توجهه اليهما فى البواقى فلما كان الجنّ مكلفين كالانس خوطب الجانّ بهذه الآيات حثا لهما على شكر
لنعم بالايمان والطاعة وتجديد النشاط من الطاعة ولازم شكر آلائه وتقريعا للمشركين الذين اتخذوا مع الله تعالى
آلهة اخرى والآلاء جمع الى كمعى وامعاء روى عن جابر رضى الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتا للجنّ كانوا احسن منكم ردّا ماقرأت عليهم مرّة فباى آلاء ربكما
تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلائه
واستنادها اليه تعالى خاصة ومن اشرك بربه الذى رباه بهذه النعم الجليلة من لا يقدر على شئ منها فكأنه يزعم ان من
اتخذه شريكا له تعالى له مدخل فى هذه النعم وهو جحود لاستنادها اليه تعالى خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه
فى قوّة الجحود لانعامه تعالى بها «قوله له صلصلة» اى صوت يسمع اذا مسه ادنى شئ لغاية يبسه والصلصال
اسم لهذا الطين مالم يطبخ فاذا طبخ بالنار يسمى فخارا وخزفا شبه الصلصال الذى خلق منه الانسان بالفخار فى غاية
يبسه حتى اذا اصابه ادنى شئ صوّت وقيل لانه مجوف «قوله وقد خلق الله تعالى آدم الخ» بيان لوجه التوفيق

(فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) اوعية الثمر جمع كم او كل مايكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرّى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمرة (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر مايتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض وماعدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف (فباى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه

(وخلق الجانّ) الجنّ اوأباالجنّ (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما (فبأى آلا ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوآئد التى لاتحصى كاعتدال الهوآء واختلاف الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاور ان وتماس سطوحهما اوبحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله اومن الارض (لايبغيان) لايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولا يتجاوزان حدّيهما باغراق مابينهما (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدرّ وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدرّ يخرج من الملح فعلى الاوّل انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن جمع جارية

بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى مواضع اخر خلقه من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذه من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنونا اى مثله ثم يبس فصار صلصالا كالفخار * قال الجوهرى الحمأ المسنون المتغير المنتن وقال فى موضع اخر الحمأ الطين الاسود ﴿ قوله الجنّ اوابا الجنّ ﴾ يعنى ان الجانّ يحتمل ان يكون اسم جنس كانسان وان يكون اسما لابى الجنّ وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به اباهم كما ان المراد من الانسان ابونا آدم عليه السلام فهو تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من صلبه وكذلك الجانّ الاوّل خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه ومن فى قوله من مارج لابتدآء الغاية وفى قوله من نار للبيان كما اختاره المصنف ويجوز ان يكون للتبعيض والمارج اللهب الخالص الذى لايشوبه شئ من الدخان وقيل اللهب المضطرب من مرج اذا اضطرب واختلط بعضه ببعض من بين احمر واصفر واخضر فان النار المشتعلة تنشأ فيها الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط ﴿ قوله مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما ﴾ وقيل مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما والاوّل اشهر وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان مابينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه ان له مابينهما ايضا وقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين خبر مبتدأ محذوف اى هو سبحانه رب المشرقين وقيل هو مبتدأ خبره مرج البحرين واختلاف المشارق والمغارب يترتب عليه منافع لاتحصى كما اشار اليه المصنف بقوله مما فى ذلك من الفوآئد التى لاتحصى ﴿ قوله تعالى يلتقيان ﴾ فى موضع الحال من البحرين اى متلاقيين لاحائل بينهما فى رأى العين وكذا قوله لايبغيان فى موضع الحال من مفعول مرج او من فاعل يلتقيان اى غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من البحرين او من فاعل يلتقيان والخليج من البحر ماانشق وانفصل منه والخليج النهر ايضا ثم ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب يكون التقاؤهما عبارة عن اتصال احدهما بالآخر وتماس سطوحهما بانتهاء العذب الى الملح بجريانه اليه فانه حينئذ يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية مع ان شأنهما الممازجة واتصال كل واحد منهما بالآخر وان كان المراد بهما بحرى فارس والروم يكون المراد بالتقائهما التقاءهما فى البحر المحيط وبالحاجز بينهما الارض وبالبغى مجاوزة الحد فان كل واحد منهما لايجاوز ماحدّ له ولاينبسط على وجه الارض الحاجزة بينهما ولايغرقها لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا ﴿ قوله وان صح ان الدرّ يخرج من الملح ﴾ جواب عما يقال اللؤلؤ لايخرج الا من المالح فكيف قيل منهما وقوله وان صح اشارة الى ان خروج الدرّ من الملح فقط ليس بقطعى وظاهر كلام الله تعالى اولى باعتبار مما يزعم بعض الناس فانه من المعلوم ان فى البرّ اشياء تخفى على التجار المتردّدين فيه فكيف بما فى قعر البحر وعلى تقدير تسليم أنه يخرج من الملح فقوله فعلى الاوّل اى على ان يراد بالبحرين الملح والبحر العذب واما اذا اريد بهما بحرا فارس والروم فلاسؤال ولاتوجيه لان كلا منهما ملح ومعنى قوله تعالى يخرج منهما انه يحصل ويتكوّن بسبب اجتماع الملح والعذب والتقائهما بان يكون احدهما بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق ان يقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع خروجهما من الملح دون العذب كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى فقوله لانه يخرج من مجتمعهما اى من اجتماعهما على ان يكون المجتمع مصدرا ميميا فان الغوّاصين يقولون انهما انما يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وقيل منهما على حذف المضاف اى من احدهما كقوله تعالى نسيا حوتهما اى نسى احدهما وقوله على رجل من القريتين اى احدى القريتين ﴿ قوله وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج ﴾ بضم الياء وفتح الرآء والباقون بفتح الياء وضم الرآء وقرئ نخرج بضم النون ويخرج بضم الياء اى يخرج الله تعالى * واعلم ان اصول المركبات واركانها اربعة التراب والماء والهوآء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرّم وبين بقوله وخلق الجانّ من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل آخر لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهوآء له تأثير عظيم فى جرى السفن المشابهة للاعلام فقال وله الجوار المنشآت فى البحر وخصها بالذكر لان جريها فى البحر لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البرّ اذاهم يشركون وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى السواحل والمرامى كما تسمى المرأة المملوكة ايضا جارية لكون شانها الجرى

والسعى فى مصالح سيدها والجمهور على كسر الرآء فى قوله تعالى وله الجوار لما تقرّر فى النحو ان كل جمع من المنقوص على وزن فواعل يائيا كان كجوار او واويا كدواع فهو فى حالتى الرفع والجرّ كقاض فى اسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسرة على حرف العلة وحذفه لالتقاء الساكنين وهما التنوين وحرف العلة ونقل التنوين الى عين الكلمة واما فى حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها ثم اذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما فى هذه الآية يحذف التنوين ايضا وتبقى عين الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الرآء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة اسما برأسه وجعل المحذوف فى حكم المنسى كثمان فى قوله

❁ لها ثنايا اربع حسان ❁ واربع فكلها ثمان ❁

وقد تقدّم هذا البحث فى قوله تعالى ومن فوقهم غواش فى سورة الاعراف ﴿قوله المرفوعات الشرع﴾ وهو بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها فسر المنشآت اوّلا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشأه الله تعالى اذا رفعه يقال نشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيا بقوله او المصنوعات اى المخلوقات على ان الكلمة من انشأه الله تعالى اى خلقه ويؤيد الاوّل ماروى عن مجاهد انه قال المنشآت هى السفن التى رفع قلعها فاما التى لم يرفع قلعها فليست من المنشآت ﴿قوله اى الرافعات الشرع﴾ اسند رفع الشرع الى السفن اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفى البحر متعلق بالمنشآت وكالاعلام حال امامن المستكن فى المنشآت واما من الجوارى ﴿قوله ذاته﴾ والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه شائع خصوصا اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤسا بقولهم ياوجه العرب تشبيها لهم بالوجه الظاهر الذى هو اشرف الاجزآء والاعضاء التى يتوجه اليها فى الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر باوّليته ظهور الانسان بوجهه ثم اشار الى انه لاحاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو فى الاصل بمعنى الجهة واصل لها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها من الثقلين وغيرهما فان ويبقى وجه الله تعالى ﴿قوله ولو استقريت الخ﴾ اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لاتخلو عن وجه يتوجه اليه كما ذكر فى قوله فى جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك ضائع الاماتوجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته فانه باق * قال الامام النسفى قيل ويبقى وجه ربك اى كل عمل يتقرّب به اليه ويبتغى به وجهه اى رضاه اى يهلك الجنّ والانس ولايبقى لهم الاماتوجهوا به اليه ﴿قوله ذو الاستغناء المطلق﴾ تفسير لكونه تعالى ذا الجلال فان الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال نهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام وقيل فى تفسيره الذى يجل ويكرم على كل مايتصوّر او الذى يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلك وما اكرمك او الذى يجل عن احاطة العقول والافهام به فى العزة والعلوّ ويكرم عباده المؤمنين بالتقرّب والدنوّ وهذه الصفة من عظائم صفات الله تعالى روى عنه عليه افضل الصلاة والسلام انه قال * ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام * وعنه عليه الصلاة والسلام انه مرّ برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال * قد استجيب لك * واشار المصنف الى النعمة المداول عليها بهذه الآية بقوله اى مما ذكرنا وابقاء مالايحصى فان الآية تدل على الامتنان بابقاء ماهو بصدد الفناء وفيها ايضا حث على العمل المنجى وتحذير عن المهلك وايضا يترتب على افناء الكل الاعادة والحياة الدآئمة ﴿قوله والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ﴾ اى لايستغنى عنه احد من اهلها وان لم ينطق البعض منهم بحاجته ﴿قوله تعالى يسأله من فى السموات والارض﴾ يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اى يبقى مسئولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله ويبقى وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من فى الارض فكيف يكون فى ذلك الوقت مسئولا لمن فى الارض فقول المصنف والمراد بالسؤال جواب عن هذا الاشكال مبنى على كونه حالا من فاعل يبقى * واجيب عنه بوجوه الاوّل انهم فانون فى حدّ انفسهم وانما يبقون بابقاء الله تعالى اياهم فيصح كونه تعالى مسئولا من قبلهم وان كانوا فى معرض الفناء بافناء الله تعالى اياهم والثانى انه تعالى يكون مسئولا لهم معنى لاحقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسألونه بلسان الحال وان تعذر عليهم ان يسألوه نطقا والثالث ان قوله تعالى ويبقى يدل على الاستمرار فيبقى ويعيد من كان على الارض فيكون مسئولا والرابع ان السائلين هم الملائكة الذين يكونون فى الارض فانهم فيها وان لم يكونوا اهلها ولايضرهم زوالها فعندما

٤٣١

وقرئ بحذف الياء ورفع الرآء كقول الشاعر

لها ثنايا اربع حسان *

واربع فكلها ثمان *

(المنشآت) المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر رحمهما الله تعالى بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير (فى البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان) من خلق موادّ السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرآئها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين (فان ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حدّ ذاتها الا وجه الله تعالى اى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان) اى مما ذكرنا قبل وابقاء مالايحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدآئمة والنعيم المقيم (يسأله من فى السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر مايهمهم ويعنّ لهم والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره

يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا تفنى الملائكة فى تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيأمرهم بما يريد **(قوله كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه)** اشارة الى جواب مايقال كيف قال كل يوم هو فى شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة* وتقريره انه لامنافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر فى الازل وجف القلم بما يكون فى كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بتكوينه فيه فيوجد اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه فهى شؤون يبديها لاشؤون يبتدى بها ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية يتوعده وقال لافعلن بك كذا وكذا فارسل اليه محمد بن الحنفية يقول ان الله تعالى ينظر فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة الى اللوح المحفوظ وهو فى كل ذلك يعز ويذل ويعطى ويمنع فارجو ان يرزقنى الله تعالى ببعض نظراته ان لايجعل لك على سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك بهذه الكلمات ووضعها فى خزانته فكتب اليه ملك الروم يتوعده فى شئ فكتب عبد الملك بتلك الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه صاحب الروم انه والله ماهذا من كنزك ولا من كنز اهل بيتك لكنه من كنز اهل بيت النبوة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم الخ **(قوله اى ستتجرد لحسابكم)** لما ورد ان يقال ما وجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل فى شغل لايمكن معه فعل آخر وهذا انما يكون فى حق من يشغله شان عن شان والله تعالى منزه عن ذلك *اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا ومايتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان من اشغاله وتجرده لمهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهى الفراغ فى الهيئة الاولى وهى انتهاء الشؤون الى شأن واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص بمهمه على فراغه من سائر اشغاله وان كان بين الترتبين فرق فاحش من حيث ان الترتب فى الثانى مبنى على ارتفاع المانع حيث كان سائر اشغاله مانعا عن تعلقه بذلك المهم ولامانع فى حقه تعالى ومع ذلك أخر امر المجازاة الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الحساب والجزاء والوجه الثانى من الجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة والجزاء على الاعمال من غير ان يشغله شأن عن شان مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك عن كل مايشغلنى عنه حتى لايكون لى شغل سواه يريد به التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء فى مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن يشغله شان عن شان تكون كناية عن التوفر فى النكاية فان من فرغ من كل شئ يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت عمن لايشغله شان عن شان تعذر حملها على اصل معناها لان المفروغ منه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصور المانع فى حقه تعالى فتعين كونها مستعملة فى التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ عما يمنع عنه تشبيها للتجرد المذكور بالفراغ عما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر فى النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ لمجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم فهو استعارة تصريحية تبعية **(قوله لثقلهما على الارض)** الثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها ثقلا حسيا وجعل ماسواهما كالعلاوة ويجوز ان يكون اطلاق الثقلين عليهما من قبيل اطلاق القمرين على الشمس والقمر **(قوله اولرزانة رأيهما)** اى لما لهما من الثقل المعنوى فان الثقل ماله وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتمييز وتحمل الامانة والتكليف ويجوز ان يكون الثقل بمعنى المثقل فانهما مثقلان بالتكليف **(قوله الا بقوة)** يعنى ان السلطان القوة التى يتسلط بها على الامر لما بين الله تعالى انه سيجئ وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بهما كان مظنة ان يقال فلم اخر ذلك مع ماله من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو

(خوف)

(كل يوم هو فى شأن) كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله تعالى لايقضى يوم السبت شيأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم ايها الثقلان) اى ستتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لايفعل فيه غيره وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض اولرزانة رأيهما وقدرهما اولانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) اى فاخرجوا (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا مافى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لاتنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى مافوق السموات العلى

خوف الفوت وهو لم يخف ذلك قسم الدهر كله قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والآخر مدة يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزآء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوآئب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب عما قضاه فيهما فقوله فانفذوا امر تعجيز والمراد بيان انهم لامهرب لهم من قضاء الله ولا خروج لهم عن ملكه وانهم لا يفوتونه ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم فظهر بهذا التقرير ان قوله تعالى يامعشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد قوله الابسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأي آلاء ربكما بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له في موقف الحساب آلاء متعلقة بالمساهلة في الحساب والعفو عن جرآئم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فيكون المذكور ثانيا من قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكورة في الموضعين هي ماينبه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها فارين من قضائه واما ان كان معناه ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها لتعلموا مافيها من عجائب صنع الله فحينئذ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية الى العلم وبالآلاء مانصبه الله من المصاعد العقلية والنقلية ويكون قوله يامعشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد الفكرية والنقلية تقريرا لكون وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكثير الكامل الذى لاتعدد بعده الابتركيبه بمافيه من الآحاد تقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اى اثنا عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة ﴿ قوله تضيء كضوء سراج السليط الخ ﴾ استشهاد لكون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند اهل اليمن هو دهن السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لالهب فيه وانشد البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤسهم قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى ﴿ قوله ونحاس بالجر عطفا على نار ﴾ اى وقرأ ابن كثير ونحاس بالجر عطفا على نار وهو ضعيف لانه لايكون شواظ من نحاس سوآء كان النحاس بمعنى الدخان او الصفر المذاب وقيل هو توجيه لقرآءة الجر وتقدير الكلام شواظ من نار وشيء من نحاس فيكون شيء مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة لشيء كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شيء لدلالة ماقبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم ذكرها في قوله من نار فبقي النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرأ الباقون برفع نحاس عطفا على شواظ اى يرسل هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ ونحاس بكسر النون وهو اما لغة بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب كلحاف ولحف وصحاف وصحف وقرئ ونحس بضم النون والحاء ورفع السين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اما جمع نحاس او جمع نحس جاء في الخبر انه يحاط على الخلق بالملائكة وبلهاب من نار ثم ينادون يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسيره ان الخلائق اذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ من نار الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا في موضع واحد فيكون قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لمايكون يوم القيامة بعض التفصيل تحذيرا من هوله والتحذير نوع من الآلاء ثم زاد نوعا آخر من التفصيل فقال فاذا انشقت السماء اى بنزول الملائكة اى اذا انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة اوللسقوط والانتقاض والظاهر ان كلمة اذا فيه شرطية محذوفة الجزآء ليفرض السامع بعد تحقق انشقاق السماء وخرابها كل هائل اى رأيت هولا عظيما اوكان ماكان مما لا يخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان تكون للظرفية المجردة فان جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهني يكون المعنى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمرآء مثل الورد الاحمر ورقيقة مذابة مثل الدهن بان تصل حرارة الشواظ الى السماء فتجعلها كالاسرب الاحمر المذاب ويحتمل ان تكون الفاء للتعقيب الزماني بين الله تعالى اولا انه اذا بعثر مافي القبور

(يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال
تضيء كضوء سراج السليط *
لم يجعل الله فيه نحاسا *
اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابوعمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزآء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء

وحشر الموتى من الجنّ والانس يرسل عليهم شواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا فى موقف الحساب ثم بين ان هذه الحالة الثابتة فى الارض تؤدّى الى انشقاق السماء و نزول من عليها من الملائكة الى الارض فقد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رأتهم الانس والجنّ هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به ﴿قوله تعالى فكانت وردة﴾ من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اى كانت مثل الورد الاحمر من حرارة النار ومثل الدهن فى رقة القوام والميعان واشار المصنف بقوله مذابة كالدهن الى انه صفة لوردة وان الدهان اما اسم لما يدهن به كالحزام فانه اسم لما يحزم به اى يشدّ او جمع دهن كرمح ورماح ﴿قوله من باب التجريد﴾ وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها لكمالها فيه جرّد من السماء سماء اخرى مسماة بالوردة كما جرّد الشاعر من نفسه كريما آخر لكمال صفة الكرم فيه واللام فى قوله فلئن بقيت موطئة للقسم ولأرحلنّ جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لقوله لأرحلنّ وروى تحوى الغنائم صفة لغزوة وقوله او يموت ويموت بمعنى الاان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعنى بالكريم نفسه لان فحوى الكلام تدل على انه لا يريد كريما آخر والظاهر ان يقال الاان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف بالكرم الاانه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ فى وصف نفسه بالكرم والتنوين فى قوله تعالى فيومئذ عوض عن الجملة اى فيوم اذا انشقت السماء لا يسأل عن ذنبه هل هو مذنب اولا ان اراد احد ان يطلع على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فلا يحتاج حينئذ فى تمييز المذنب من غيره والاطلاع على حاله لمن اراد ذلك الى ان يسأل عن ذنبه ويعلم حاله من جهته وهو لا ينافى ان يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وايضا يوم القيامة لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسأل فى بعض المواطن ولا يسأل فى آخر * والجانّ ان كان اسما للجنّ فالامر ظاهر وان كان اسما لابى الجنّ فالمراد به ههنا فروعه كما يطلق اسم الجدّ العالى على القبيلة ﴿قوله تعالى بالنواصى﴾ قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير بالنواصى منهم او بنواصيهم وليس فى قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا تكاد تقول اخذت الدابة بالناصية بان تعدّى اخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدّم ذكرهم والنواصى جمع ناصية وهى شعر مقدّم الرأس اى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدّم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار قال الضحاك يحتمل ان الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ويلقون فى النار وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام عن انس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * والذى نفسى بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوّة الى قوّتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصى والاقدام * اجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون اى التى كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع الضمير ويجوز ان يكون هذا الكلام خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا اى قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن وهو الذى انتهى حرّه من أنى الحميم يأنى انيا فهو آن اى يعاقبون بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى هنا مواعظ ومزاجر وقد ذكرنا ان كل ذلك نعمة من الله تعالى للانزجار به عن المعاصى وقد اكتفى المصنف بقوله آنفا فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزآء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كون كل ما ذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء ثم شرع فى بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر المصنف اوّلا ان المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب واضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك يوم الدين وانه الذى بعث من فى القبور وجمعهم فى هذا المقام لاجل الحساب والجزآء ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة) اى حمرآء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة *

نحو الغنائم او يموت كريم *

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان) اى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) اى فيوم تنشق السماء (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جانّ) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودآ ذودآ على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدّم رتبة (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان) اى مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهى ما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حارّ (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضيف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه *

مقام الذئب كالرجل اللعين *

المراقبة والحفظ اى ولمن يعلم ان الله تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فيخافه لذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته
جنتان قيل جنة لخوفه من الله وجنة لتركه شهوته فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لا بالخائف وعلى الوجهين
اى على تقدير كونه اسم مكان او مصدرا كما انه مضاف الى الرب لفظا فهو مضاف اليه تعالى من حيث المعنى ايضا
والمعنى موقوف الرب او قيام الرب ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث المعنى ويكون المعنى
خاف موقف نفسه عند ربه او وقوف نفسه عنده لاجل الحساب الا انه اضيف الى الرب تهويلا وتفخيما كما ان الاجل
فى الحقيقة للعبيد الا انه قد اضيف اليه تعالى فى قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فان الاضافة يكفى فيها ادنى
الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما ويكون تقدير الكلام ولمن خاف ربه كما فى قول الشاعر

❊ وماء قد وردت لوصل اروى ❊ عليه الطير كالورق اللجين ❊
❊ ذعرت به القطا ونفيت عنه ❊ مقام الذئب كالرجل اللعين ❊

اللجين الخبط وهو ما سقط من الورق عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه اى طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا اهدى الطير الى الماء والذئب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شئ ينصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحوش ومعنى البيت ورب ماء قد وردته لأرى محبوبتى اروى وقد جاءت اليه لتغسل رأسها او ثيابها وروى ان رجلا استفتى سفيان الثورى فى رجل قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق فافتى بانه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه استنباطا من هذه الآية **قوله وكذلك ما جاء مثنى بعد** كقوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان فان تثنية النعم المذكورة مبنية على ما ذكر من الاحتمالات وهى ان الخطاب لما كان للثقلين صارت النعم المذكورة بلفظ المثنى لهما على سبيل التوزيع كأنه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان عين وزوج للخائف الانسى وعين وزوج للخائف الجنى او تقول عين وزوج بفعل الطاعات وعين وزوج بترك المعاصى لان مدار التكليف عليهما او تقول عين وزوج يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة او احداهما روحانية والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان فقوله تعالى ذواتا تثنية ذات تأنيث ذو والافنان جمع فن وهو النوع او جمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال المصنف الافنان التى هى جمع فنن هى الغصنة والغصنة بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة فى جمع قرط ولما كانت الغصنة هى التى تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين فى مقام المدح بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كأنه قيل ذواتا اوراق وثمار وظلال **قوله حيث شاؤا** التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان وقيل معناه تجريان دائما لا تنقطعان ابدا والسلسبيل اسم عين فى الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمى بذلك لانه يجرى فوق الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه وقيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله **قوله تعالى متكئين** حال من قوله من خاف جمع حملا على معنى من فى قوله ولمن خاف بعد الافراد حملا على لفظها والعامل فيها الاستقرار اى استقر بهم جنتان فى هذه الحالة وقيل حال عاملها محذوف اى يتنعمون فيهما متكئين والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته **قوله تعالى بطائنها من استبرق** جملة اسمية فى موضع الجر على انها صفة لفرش والاستبرق ما غلظ من الديباج اى الثخين منه قيل هو معرب استوره والسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى ما يجتنى من الشجر سواء كان مجتنيا بالفعل او كان بصدد الاجتناء ودان من الدنو اصله دانى مثل غاز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تدنو الشجر حتى يجتنيها ولى الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وعن قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك **قوله لم يمس الانسيات انس** يعنى ان الطمث المس فى كل شئ يمس يقال للربع ما طمث ذا المربع قبلنا احد وما طمث هذه الناقة حبل قط اى ما مسها عقال وقيل اصل الطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر بازالة عذرتها ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى قول المصنف اشارة الى ان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعمها التى من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنوا الانس بالحور العين التى من جملتها الانسيات وتوقف ابو حنيفة رحمه الله تعالى فى هذه المسألة بناء على ان الاثابة لا تجب عليه تعالى وانما هى تفضل الهى يتبع فيها النص ولم يرد فى حق من آمن من الجن الا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم فى جهنم ويجعل من آمن منهم ترابا

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها والاخرى تفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان) انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهو الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان فان جنتان يدل على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان

كأنهنّ الياقوت والمرجان) فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان هل جزآء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وهو الجنة (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقرّبين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان مدهامّتان) خضرا وان تضربان الى السواد من شدّة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوّارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاولين وكذا مابعده (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذآء وثمرة الرمان فاكهة ودوآء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان فيهنّ خيرات) اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهنّ يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهنّ (فبأىّ آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جانّ) كحور الاولين

قال تعالى حكاية عنهم ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه يقطع بان مؤمنى الجنّ يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن لا يقول بهما وذهب الى اثابتهم بالجنة والحور العين من الجنيات انما يذهب اليها استدلالا بهذه الآية فانه تعالى لما خاطب مؤمنى الجنّ والانس بقوله فبأىّ آلاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات فى الخيام وبكونهنّ لم يطمثهنّ انس قبلهم ولا جانّ فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما اعدّ لهم من الحور العين ثم قيل المراد بالقاصرات الحور العين المخلوقات فى الجنة ولم يطمثن اصلا وقيل هنّ المؤمنات من نساء الدنيا والمعنى على هذا انه لم يطمثهنّ بعد النشأة الثانية احد وقيل هنّ نساء الثقلين اى لم يطمث الجنية ولا الانسية بعد النشأة احد وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف اى قاصرات طرفهنّ على ازواجهنّ وقيل قاصرات طرف غيرهنّ عليهنّ اى اذا رآهنّ لم يتجاوز طرفه الى غيرهنّ والاصل نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وقوله لم يطمثهنّ صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لا تفيد تعريفا او حال لتخصيص النكرة بالاضافة وقوله كأنهنّ الياقوت صفة اخرى لقاصرات او حال منهنّ لكونهنّ خصصن بالوصف اى مشبهات الياقوت فى حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذى هو صغار اللؤلؤ فى بياض البشرة وصفاء لونها وصفاء اللؤلؤ انصع بياضا ﴿ قوله ومن دون تينك الجنتين ﴾ اى دون الاولين فى الفضل والقدر على ان يكون دون بمعنى الادنى رتبة ومنزلة لا بمعنى غير قال ابن جريج هى اربع جنتان منهما للسابقين المقرّبين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان منهما لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل قوله تعالى ومن دونهما معناه وسواهما وغيرهما فعلى هذا تكون الجنان الاربع لكل اهل الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هاتين الجنتين للمقرّبين وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاولين فى الفضل والشرف انه تعالى وصف الاولين بكثرة الاشجار والفواكه حيث قال ذواتا افنان ووصف الاخريين بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الارض حيث قال مدهامتان اى مائلتان الى السواد من الدهمة وهى السواد يقال ادهامّ الزرع ادهيماما فهو مدهام اذا علاه السواد ريا وقال فى حق الاولين فيهما عينان تجريان وفى الاخريين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران بحيث كلما اخذ منه شئ فار آخر مكانه ولا يكفى هذا القدر فى الجريان وقال فى الاولين فيهما من كل فاكهة زوجان وفى الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان فان فاكهة اقل من كل فاكهة زوجان وقال فى الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهائر رفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال فى الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرىّ حسان وتفاوت ما بينهما يعلم مما ذكره المصنف فى تفسير الرفرف والعبقرىّ وفى هذا كله بيان لتفاوت ما بينهما وان الاولين افضل من الاخريين ﴿ قوله عطفهما على الفاكهة ﴾ جواب عما يقال لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها * وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام بيانا لفضله وتنبيها على شرفه فكأنهما لمزيتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل وميكال وايضا النخل ثمره فاكهة وغذآء والرمان فاكهة ودوآء فلم يخصا للتفكه بهما فصارا باعتبار ما فيهما من القيد الزآئد كأنهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم انه تعالى لما ذكر جنتى السابقين المقرّبين وجنتى اصحاب اليمين قال فيهنّ خيرات حسان اى فى الجنان الاربع نساء ذوات خير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسره بان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل فى باطنهنّ الخير وفى ظاهرهنّ الحسن وقوله حور بدل من خيرات وهو جمع حورآء وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات فى الخيام لسن بالطوّافات فى الطرق هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير الا ان الظاهر ان ضمير فيهنّ راجع الى الجنان المدلول عليها بقوله ومن دونهما جنتان ويدل عليه قول المصنف كحور الاولين اى فلا حاجة الى وصف الجنان الاربع بان فيهنّ الحور بعد قوله فى حق الاولين فيهنّ قاصرات الطرف ﴿ قوله اى مخدرة ﴾ اى مستورة من الخدر وهو الستر ﴿ قوله او مقصورات الطرف على ازواجهنّ ﴾ لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قيل تقول لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيأ احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك والخيام جمع خيمة وهى اعواد تنصب وتظلل بالثياب وهى تكون لاهل البوادى ابرد من الاخبية واما خيام الجنة فروى قتادة

عن ابن عباس قال الخيمة درّة مجوّفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وعن عبدالله بن قيس الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * الخيمة درّة مجوّفة طولها فى السما ستون ميلا وفى كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الاخرون ﴿ قوله وهم لاصحاب الجنتين ﴾ اى الضمير فى قوله قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله ومن دونهما جنتان اى لمن دونهم وقوله تعالى متكئين على رفرف حال منهم كأنه قيل ولمن دون الخائفين المقرّبين وهم اصحاب اليمين جنتان متكئين فيهما على رفرف والنمارق جمع نمرقة وهى وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل نمرقة قيل الرفرف الخضر فراش اذا استقرّ عليه الولى طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا حيثما يريده الولى روى فى حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى رب العرش فقال عليه الصلاة والسلام * انه طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى * ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم بين يدى الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الامور فى محل الدنو والقربة كما ان البراق تركبها الانبياء عليهم السلام وهى مخصوصة لركوبهم فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولى ويطير به على حافات تلك الانهار حيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره وقوله تعالى خضر نعت لرفرف وعبقرىّ عطف على رفرف وحسان نعت لعبقرى ﴿ قوله تعالى تبارك ﴾ تفاعل من البركة وقيل اصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل فى الخير او يكون معناه علا اسم ربك اى ارتفع شأنه عن القرطبى انه قال لعل المراد بالاسم الاسم الذى افتتح به السورة فانه تعالى افتتح السورة باسم الرحمن ذكر خلق الانسان والجنّ وخلق السموات والارض وصنعه وذكر انه كل يوم هو فى شان ثم وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر السورة تبارك اسم ربك اى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كأنه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتى فن رحمتى خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض فلذلك اثنى على صفة الرحمة * تمت السورة الرحمن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوّة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ سورة الواقعة هى مكية غير قوله ثلة من الاوّلين وقوله أفبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما ﴾

﴿ نزلتا فى سفره عليه السلام الى المدينة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سماها واقعة ﴾ مع انها امر سيقع ولم تقع بعد لانها لتحقق وقوعها كانت كأنها واقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد ﴿ قوله وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر ﴾ فيكون اذا بمعنى الوقت المجرّد منصوبا على انه مفعول به ﴿ قوله او كان كيت وكيت ﴾ فيكون اذا ظرفا وحينئذ تكون شرطية وجوابها مقدّر وهو العامل فيها ولم يجعله منصوبا بليس لوقعتها كاذبة لانّ ليس مثل ما النافية فى انه لا حدث فيها وما ليس فيه معنى الحدث لا يكون عاملا فى الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق حدّ الفعل عليها ﴿ قوله اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى ﴾ اى تفترى عليه بان تسند اليه ما لا يصح اسناده اليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لا يبعث الموتى ولا يجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها المرفوع على انه اسم ليس واللام فى قوله لوقعتها لام التاريخ كما فى قوله تعالى قدّمت لحياتى بمعنى انها بمعنى الوقت وهى مع عاملها المحذوف فى محل نصب على انها خبر ليس اى ليس نفس كاذبة حاصلة حين تقع بانكار شئ مما اخبر به الله تعالى مطلقا او انكار خصوص القيامة ونفيها لان كل نفس فيها حينئذ مؤمنة صادقة قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وقال ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة ﴿ قوله او ليس لاجل وقعتها كاذبة ﴾ عطف على قوله واللام مثلها فى قوله قدّمت لحياتى كأنه قيل واللام بمعنى الوقت او على اصل معناها فالمعنى اذا قامت القيامة بان نفخت النفخة الثانية يعترف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقعة فكل من اخبر عنها حينئذ تعين له ان يصدق ولا يمكن له ان يكذب بانكار وقوعها كما انكره فى الدنيا اما بلسان المقال او الحال فان من انهمك

وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (وعبقرىّ حسان) العبقرىّ منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجنّ فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فاظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

﴿ سورة الواقعة مكية وآيها ﴾

﴿ تسع وتسعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفسها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدّمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق

اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعدآء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن محازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته اوسيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم ازواجا) اصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعدآء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان اوسبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابى النجم

انا ابو النجم وشعرى شعرى *

او الذين سبقونا الى الجنة *

(اولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم

فى اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وانكر وقوعها بلسان الحال ﴿ قوله اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها ﴾ عطف على قوله اى لايكون حين تقع نفس تكذب فان الكذب فيه بمعنى الاخبار بما لايطابق الواقع وهو فى هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة ما لايطاق تحمله فقوله لوقعتها حينئذ يجوز ان يكون متعلقا بقوله كاذبة كأنه قيل اذا قامت القيامة لاتكون نفس تشجع صاحبها فى حق وقعتها بان تقول له انك تطيقها وماهو اشد منها فلا تبال بها اى ولاتكون نفس تطيق زلزلة الساعة فانك بنفس القيامة ﴿ قوله فى الخطب العظيم ﴾ متعلق بقوله من قولهم فقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فى محل النصب على انه حال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة مصدقة فى وقوعها ومؤمنة بجميع النفوس بالله وبجميع ما اخبر به ﴿ قوله تخفض قوما ﴾ الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى خافضة قوما الى النار ورافعة آخرين الى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به ويجوز ان ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى انها ذات وضع ورفع وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلاث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة رافعة وجاز كثرة الاحوال لان الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الاحوال ﴿ قوله او بيان لما يكون حينئذ ﴾ الفرق بين الوجهين ان الكلام على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة الملزومة لصريح مضمون الكلام وعلى الثانى يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال الى الملزوم ﴿ قوله او ازالة الاجرام ﴾ بالجر عطف على قوله خفض اعدآء الله ﴿ قوله والظرف متعلق بخافضة رافعة ﴾ يشعر بانه منصوب بهما معا وذلك لايجوز لانه لايتوارد عاملان على معمول واحد الا ان يقال المراد ان كل واحد منهما متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اى ترفع وتخفض وقت رج الارض وبس الجبال او حال وقد مقدرة وعاملها الفعل السابق والرج التحريك الشديد ورجت اى زلزلت وحملت على ان تضطرب بحيث لم يبق عليها بناء ﴿ قوله تعالى فكانت ﴾ بمعنى فصارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب للخلائق باسرهم قسمهم ثلاثة اصناف اثنان منها فى الجنة وواحد فى النار ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون ﴿ قوله من تيمنهم بالميامن ﴾ خبر مبتدأ محذوف يعنى ان اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشأمة على اصحاب الهوان والدناءة ناشئان من تيمنهم بجانب اليمين وتشأمهم بجانب الشمال حتى انهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لاعطائه جهة يمينه اياهم بان يطير ويمر من جانب يسارهم الى جانب يمينهم ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا ارادوا ان يصفوا احدا بكونه ذا الرفعة او الدناءة عندهم وفى الصحاح المشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة واخذ بهم شأمة اى ذات الشمال وتظرت يمنة وشأمة والشؤم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والايمن والميمنة خلاف الايسر والميسرة الى هنا كلامه وقيل وصف السعدآء باصحاب الميمنة والاشقياء باصحاب المشأمة لانه يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين ويؤخذ باهل النار ذات الشمال ﴿ قوله والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما ﴾ يعنى ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وقوله اصحاب الميمنة خبره والجملة خبر الاول وكذا قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة واكتفى عن الراجع الى المبتدأ فيهما بصريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اى شئ هم فوضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة فى وصفهم بما دل على المدح كأنه قيل ما تدرى ما لهم من الخير والكرامة وما لاصحاب المشأمة من الشر والعذاب ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولايكون ذلك الا فى موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون فانه جملة اسمية اخبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة فى مدحهم اى والسابقون من عرف حالهم من البسط والشرح كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى * كأنه قال وشعرى ما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبراعته ﴿ قوله من غير تلعثم ﴾ اى تردد يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى والتوانى من الونى وهو الضعف يقال ونى فى الامر ينى ونيا وونيا اى ضعف فهو وان وتوانى فى حاجته اى قصر وفتر فسر المصنف قوله تعالى والسابقون ثلاثة اوجه فسره اولا بقوله والذين سبقوا الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا فى حيازة الفضائل وثالثا بقوله او الانبياء وفسر قوله والسابقون الذى هو الخبر بقوله هم الذين عرفت حالهم ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث

(جعل)

جعل متعلق السبقين واحدا ثم اشار الى جواز ان يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق الاوّل ماذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثانى الجنة حيث قال اوالذين سبقونا الى الجنة وهو معطوف على قوله هم الذين عرفت حالهم قيل السابقون اربعة منهم سابق امة موسى عليه الصلاة والسلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابوبكر وعمر رضى الله عنهما ويحتمل ان يكون السابقون الثانى تأكيدا للاوّل تأكيدا لفظيا واولئك المقرّبون جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر الاوّل والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف على السابقون الثانى لانه تمام الجملة ويجعل قوله اولئك المقرّبون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله فى جنات النعيم خبرا ثانيا اوحالا من المنوىّ فى المقرّبون اى اولئك الموصوفون بالسبق هم المقرّبون عندالله تعالى فى جنات النعيم اوكائنين فيها ﴿قوله اى هم كثير من الاوّلين﴾ اشارة الى ان قوله ثلة خبر مبتدأ محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاوّلين فى موضع الصفة لثلة اى السابقون المقرّبون جماعة كثيرة من الامم السالفة ويجوز ان تكون خبر اولئك وقوله عليه السلام * ان امتى يكثرون سائر الامم * وقوله عليه السلام * اهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا * لا ينافى كون سابق الامم السالفة اكثر من سابق هذه الامة لان الانبياء المتقدّمين كثيرة جدا ومن ضرورته ان يكثر السابقون الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابق هذه الامة ومن المعلوم ان تابعى هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الامة اكثر من مجموع الامم السالفة مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاوّل مع ان السابقين من المجموع الاوّل اكثر من سابق هذه الامة وزادوا على عدد من سبق من الآخرين قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وسبقوا الى الايمان بهم اكثر ممن عاين نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وسبقوا الى الايمان به * ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعوا هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة وقد قال تعالى فى حق اصحاب اليمين ثلة من الاوّلين وثلة من الآخرين وكثرة اصحاب اليمين من الاوّلين يستلزم كثرة تابعيهم * اجاب عنه بقوله ولا يردّه الخ يعنى ان اللازم كثرة تابعيهم فى انفسهم وذلك لا يردّ قلتهم بالنسبة الى تابعى هذه الامة ﴿قوله وروى مرفوعا﴾ اى انه عليه الصلاة والسلام قال * الثلتان جميعا من امتى * فالمعنى ثلة من الاوّلين من سابق هذه الامة وقليل من الآخرين من آخر هذه الامة فى آخر الزمان ﴿قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع﴾ وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة من جملة بنى آدم ﴿قوله والموضونة المنسوجة بالذهب﴾ قاله ابن عباس وقال عكرمة الموضونة المشبكة بالدرّ والياقوت وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم وقيل اصله وضنت الشئ اى ركبت بعضه مع بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها ﴿قوله حالان من الضمير فى على﴾ اى من الضمير المنوى فى الفعل الذى تعلق به الجارّ فى على سرر كأنه قيل استقرّوا على سرر متكئين ﴿قوله تعالى ولدان﴾ اى غلمان وهو جمع وليد وهو الذى لم يبلغ بعد روى عنه عليه السلام ان اطفال الدنيا خدم اهل الجنـة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها وابو حنيفة رحمه الله تعالى توقف فيهم لان الثواب بفضل الله تعالى ووعده لا بالعمل ولا نص فيهم وقيل هم خدم خلقوا فى الجنة على صورة الغلمان ﴿قوله من خمر﴾ يعنى ان المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجارى من الماء والخمر وقدّر موصوفه الخمر بشهادة الكاس وهو القدح الذى فيه خمر وقوله تعالى لا يصدّعون عنها من التصديع وبناء فعل هنا ليس للتعدية لان الثلاثى منه متعدّ يقال صدع فهو مصدوع اذا اصيب رأسه بالوجع بل هو لكثرة الصداع او المصدوعين ومعنى عنها بسببها ﴿قوله تعالى لا يصدّعون عنها﴾ يجوز ان يكون مستأنفا اخبر تعالى عنهم بانهم لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب خمر الدنيا فانها لذة بلا اذى وان يكون حالا من ضمير عليهم وعن سببية بمعنى الباء ﴿قوله ولا ينزفون عقولهم﴾ اشارة الى ماذكره فى سورة الصافات من ان اصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزفت الركوة حين نزفتها اذا لم تترك فيها ماء والنفاد فى الآية اما للعقل او للشراب فان نفاد الشراب مخل بنشاط اهل المجلس ﴿قوله وقرئ لا يصدّعون﴾ اى بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدّعون اى يتفرّقون فالمعنى حينئذ لا يتفرّقون كما يتفرّق اهل الشرب من مجلس الشراب لهم من مهمات الدنيا وذلك التفرّق يمنعهم من

(ثلة من الاوّلين وقليل من الآخرين) اى هم كثير من الاوّلين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابق هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يردّه قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاوّلين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (باكواب واباريق) حال الشرب وغيره والكوب آناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لا يصدّعون عنها) بخمار (ولا ينزفون) ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى وقرئ لا يصدّعون بمعنى لا يتصدّعون اى لا يتفرّقون

(وفاكهة مما يتخيرون) يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها حور او لهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجرّ عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا (كامثال اللؤلؤ المكنون) المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء (جزآء بما كانوا يعملون) اى يفعل ذلك كله بهم جزآء باعمالهم (لايسمعون فيها لغوا) باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لايقال اثمتم (الا قيلا) الا قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لايسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشوّ السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود) لاشوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرآئحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من اسفله الى اعلاه (وظل ممدود) منبسط لايتقلص ولا يتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بأكمل ما يتصوّر لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لاتنقطع فى وقت (ولا ممنوعة) ولا تمنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارآئك ويدل عليه قوله (انا انشأناهنّ انشاء)

الاستمرار على صفاء الاجتماع فى المجلس ﴿قوله تعالى وفاكهة﴾ مجرور بالعطف على اكواب اى وبفاكهة وتخير الشئ واختياره عدّه خيرا ومن فى قوله مما يتخيرون اما للتبيين الجنس لان كل جنس من اجناسها فى الفضل سوآء او للتبعيض اى من اىّ جنس يتخيرونه من اجناس الفاكهة او من اجناس ما يستلذونه من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى مما يشتهون عن ابن عباس قال يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلا بين ايديهم على ما يشتهونه فاذا اخذوا منه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من بين اللحوم لان توسع العرب كان بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يشتهونه عند الملوك واحتيج فى توجيه عطف قوله حور على اكواب الى اعتبار المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى يطوف عليهم الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لايطوفون عليهم بالحور ﴿قوله باطلا﴾ الباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت اليه لعدم الفائدة فى سماعه وخلوّه عن معنى يعتدّ به وان لم يكن كذبا ولا فحشا والتأثيم مصدر اثمته اى قلت له اثمت اى لايؤثم بعضهم بعضا وقوله الا قيلا مستثنى منقطع لانه لايندرج تحت اللغو والتأثيم وسلاما سلاما اما بدل من قيلا اى لايسمعون فيها الا سلاما سلاما او صفة لقيلا اى ولكن يسمعون قولا ذا سلامة مما يكره اى قولا سالما وكلاما حسنا او مفعول لقوله قيلا والمعنى لايسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكى بقوله قيلا اى الا ان يقول بعضهم لبعض اسلم سلاما او اسلم مما يكره سلاما او سلم الله عليك سلاما ومعنى التكرير فى سلاما انهم يفشون السلام بينهم او يسلمون سلاما بعد سلام ﴿قوله تعالى فى سدر مخضود﴾ اى هم فى خلال نبق خضد شوكه اى قطع والخضد وان كان قطع الشوك من الشجر ونزعه منه الا ان المصنف فسر المخضود بقوله لاشوك له على معنى انهم فى سدر خلق بلا شوك كأنه نزع منه شوكه بعد ان كان فيه وعن مجاهد من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿قوله وشجر موز﴾ واليه ذهب اكثر المفسرين وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد وعن السدّى انه يشبه طلح الدنيا ولكن ثمرته احلى من العسل كان اوراق السدر صغار وبينهما من الاشجار ما هو متوسط الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لها نور طيب وان كان لايؤكل منه شئ فيقصد منه النزهة والزينة دون الاكل قال مجاهد ولكن ثمرتها احلى من العسل قيل كان لاهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فنظر المسلمون اليه فقالوا ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وقال تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا وقرئ وطلع منضود بالعين استدلالا بقوله تعالى لها طلع نضيد قيل اشجار الجنة ليس لها ساق بادية بل ثمارها منضودة اى مقطوعة من عروقها الى افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها ما هو احسن منها انتهى ﴿قوله لايتقلص﴾ اى لاينقص يقال ظل قالص اذا نقص طرف منه وهو شان ظل الدنيا ﴿قوله يسكب لهم﴾ اى يصب لهم من مكان وله خرير وصفاء وهو اعجب المياه فى مرأى العين وقيل ينصب من ساق العرش وقال سفيان يجرى من غير اخدود وقيل دآئم الجرى لاينقطع وما اشار اليه من التعميم بقوله اين شاؤا وكيف شاؤا هو مستفاد من عدم ذكر متعلق مكسوب ﴿قوله او مصبوب سائل﴾ اى جار لاينقطع يعنى كون الماء مسكوبا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا كثيرا او عن كونه جاريا غير منقطع ابدا * وروى عن الامام انه قال معناه مسكوب من فوق لان اكثر ماء العرب من الابار والبرك ولايسكب وقيل جار فى غير اخدود بل يجرى فى الهوآء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار فى بلادهم عزيزة لايصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا فى الجنة خلاف ذلك ﴿قوله لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصوّر لاهل المدن﴾ اى من الاستقرار على السرر شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى من خلال السدر والظل والماء الموصوف بالاوصاف المذكورة ﴿قوله لاتنقطع فى وقت﴾ اى من الاوقات حتى وقت الاخذ بل ينبت مكانها مثلها ﴿قوله ولا تمنع عن متناولها بوجه﴾ كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع التوصل الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا ﴿قوله او منضدة﴾ اى مبسوطة بعضها فوق بعض يقال نضد متاعه ينضده من باب ضرب اذا وضع بعضه على بعض قيل لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقرّ الا بعد سبعين خريفا ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على ان المراد بالفرش النساء وجه الدلالة

ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير انشأناهنّ راجعا الى قوله وحور عين او الى النساء المدلول عليهنّ بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع الرجل عليها مع اهله بناء على ان العرب تسمى المرأة فراشا ولباسا وازارا ﴿قوله ابدآء او اعادة﴾ الاوّل على ان يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتى انشأهنّ الله تعالى فى الجنة انشاء اى انشاء عجيبا من غير ولادة والاعادة على ان يكون المراد بهنّ نساء الدنيا ومما يدل على ان المراد بهنّ نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهنّ ابكارا لان المنشآت فى الجنة لاشك فى كونهنّ ابكارا والجعل بمعنى التصيير يستدعى ان يكنّ قبل ذلك ثيبات ويدل عليه ايضا ان ام سلمة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها قال يا ام سلمة هنّ اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا وفى رواية عمشا مكان شمطا جعلن بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستوآء كلما اتاهنّ ازواجهنّ وجدوهنّ ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يدخلنى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام ان الجنة لايدخلها العجائز فولت تبكى فقال عليه الصلاة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية عربا اترابا والشمط جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامرأة شمطاء وجمعها شمط اذا خالط بياض شعر رأسه سواده والعمش فى العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها فى اكثر الاوقات والرجل اعمش والمرأة عمشاء والرمص وسخ يجتمع فى المؤق والرجل ارمص والمرأة رمصاء ﴿قوله جمع عروب﴾ كرسل ورسول من اعرب اذابين والعروب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل وطيب النفس والملاعبة بما ينشطه فى قربانها ﴿قوله او صفة لابكارا او لاترابا﴾ اى مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين مثل ازواجهنّ وقد اشار اليه المصنف بقوله وكذا ازواجهنّ ﴿قوله اولقوله ثلة من الاوّلين﴾ فاللام سوآء جعل لاصحاب اليمين صفة او خبرا متعلقة بمحذوف هو الصفة او الخبر ﴿قوله فى سموم﴾ السموم فى الاصل ريح حارة تدخل فى مسام البدن والمراد بها فى الآية حرّ النار تشبيها بالسم فى نفوذه فى المسام ومسام البدن منافذه وثقبه والحممة الفحم وفى الحديث لايستنجى احدكم بالحممة اى بالفحم والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم اصحاب الشمال فى مقاساة حرّ نار جهنم فتحرق بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادون عذابا فوق عذابهم بحرّ النار فيستغيثون بالظل فيغاثون بظل من يحموم فاذا اتوه لم يجدوه باردا ولا كريما بل يكون مالقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه قبل ذلك ﴿قوله ولانافع﴾ فان الكرم صفة لكل مارضى ويحمد فى بابه قال الراغب وكل شئ اشرف فى بابه فانه يوصف بالكرم وعن الفرآء ان العرب تنفى كل شئ غير مستحسن بنفى الكرم فيقولون الدار لاواسعة ولا كريمة وقيل الكريم ماكرم على غيره لانتفاعه به وما لاينتفع به غيره لايكون كريما والظل يقصد لفائدتين احداهما برودته التى يستروح بها من يأوى اليه من غير ان يقصد به دفع اذى الحرّ عنه وثانيتهما مجرّد دفع اذى الحرّ عمن يأوى اليه مع قطع النظر عن ان يفيده روح البرد او من غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهوآء فان من يأوى اليها يتخلص بها من اذى حرّ الشمس وان لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شئ من هاتين الفائدتين ونظير هذه الآية قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب ﴿قوله نفى بذلك﴾ اى بقوله لابارد ولا كريم مااوهم الظل من الاستروآح يعنى مقتضى الظاهر ان يقال ويحموم حارّ ضارّ الا انه عدل عن ذلك الى قوله وظل للتهكم بهم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لما نفى عنه ماهو المطلوب من الظل وهو البرد والكرم تعين ان ذكر الظل انما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل البارد الكريم غيرهم اى غير هؤلاء ازديادا لتحسرهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التى اوجبت لهم هذا العذاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اى قبل ان يصيروا الى هذا العذاب فى الدنيا مترفين يقال اترفته النعمة اذا اطغته ومن لم يتوسل بما انعم الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى العبودية بل صرفه الى مايشتهيه فقد اترف وطغى فعلى هذا المترف صفة ذم كالاصرار على الحنث وقيل الترفة النعمة والمترف المنعم فهو فى حدّ نفسه ليس للذم وانما حصل الذم بقوله وكانوا يصرّون على الحنث فان صدور المعاصى ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فكأنه قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا فى الدنيا منعمين ولم يشكروا نعم الله تعالى عليهم بل اصرّوا على الذنب العظيم والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لايستحقه المطيع بطاعته بخلاف

اى ابتدأناهنّ ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هنّ اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهنّ الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما اتاهنّ ازواجهنّ وجدوهنّ ابكارا (فجعلناهنّ ابكارا عربا) متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن رآءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله (أترابا) فان كلهنّ بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهنّ (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا أو لأترابا او خبر لمحذوف مثل هنّ اولقوله (ثلة من الاوّلين وثلة من الآخرين) وهو على الوجوه الاوّل خبر محذوف (واصحاب الشمال مااصحاب الشمال فى سموم) فى حرّ نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود يفعول من الحممة (لابارد) كسائر الظل (ولا كريم) ولانافع نفى بذلك ماأوهم الظل من الاستروآح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرّون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم

العقاب فانه منه تعالى عدل يصيب المذنب جزآء المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان هناك ظلما ﴿ قوله كرّرت الهمزة ﴾ يعنى ان الهمزة الاولى دخلت لانكار البعث مطلقا والثانية لانكاره وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتى دخلت العاطف لانكار بعث آبائهم الذين هم اقدم موتا واتم انحلالا وكل واحد من هذه الامور اشدّ انكارا مما قبله فانهم اشاروا فى استبعادهم للبعث وتكذيبهم اياه الى امور اعتقدوها مقرّرة لصحة انكارهم له الاوّل الموت اشاروا اليه بقولهم أئذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اى طال عهد موتنا بعد كوننا حيوانا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا والثانى طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم زادوا وقالوا فى هذه الحال يقال لنا انكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلاثة احدها تصدير الكلام بان وثانيها زيادة اللام فى خبرها وثالثها ترك صيغة الاستقبال والعدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول لان البعث امر كائن فى الحال ثم زادوا وقالوا أوآباؤنا الاوّلون بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على ان ذلك اشدّ انكارا من حيث ان الآباء اقدم موتا واشدّ تلاشيا واضمحلالا وقولهم أوآباؤنا معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التأكيد كما قامت كلمة لا المؤكدة للنفى مقامه فى قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وقرئ باسكان الواو على انها او العاطفة التى هى لاحد الشيئين او الاشياء اى انبعث نحن او آباؤنا مبالغة فى الانكار وزيادة فى الاستبعاد لانهم اقدم موتا فبعثهم ابعد انكارا لان نبعث كل واحد منهم ومن آبائهم وقوله مادل عليه مبعوثون اى انبعث اذا متنا لا هو لما تقرّر ان ما بعد كلمة ان وما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما ﴿ قوله وقرئ لمجمّعون ﴾ بتكثير المفعول كما فى قوله تعالى وغلقت الابواب قال الحسن لمجموعون فى القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة الى لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشئ ما وقت به ذلك الشئ اى حدّ وعين ﴿ قوله من يوم معين ﴾ بيان ما فى قوله ما وقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من كما فى خاتم فضة اى الى الميقات الذى هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند اوّل جزء منه فان بقاء الدنيا موقوت محدّد بتحقق اوّل جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف اذا بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى مكتوبا مبين الوقت وقيل قوله تعالى لمجموعون معناه لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى فى ﴿ قوله من الاولى للابتدآء ﴾ اى لابتدآء الغاية اى مبتدؤن الاكل من شجر والمراد ثمره والثانية لبيان جنس ذلك الشجر قيل اختلف الناس فى الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان ذلك فى الفم مرّ وفى اللمس حارّ وفى الرآئحة منتن وفى النظر اسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء فى قوله فمالئون المتوسطة بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتيبهما فى الوجود والعجب من جمعهم اياهما وكذا الفاء فى فشاربون الاوّل وكذا فى قوله فشاربون شرب الهيم فان مجرّد اكلهم من ذلك الشجر امر عجيب واعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يفضى الى ان يأكل كل واحد منهم الى ان يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب ﴿ قوله لغلبة العطش ﴾ اى لاجل حرارة ما اكلوه ومرارته وقوله وهو دآء يشبه الاستسقاء اى دآء معطش تشرب منه الابل الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وعطف قوله فشاربون شرب الهيم على ما سبق بيان لزيادة العذاب اى لا يكون شربكم ايها الضالون عن الهنئ كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده منتنا معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الأهيم فانه يشرب ولا يروى هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد ويحتمل ان يكون المراد من البطون ما فى بطن الانسان من الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء والاوّل اظهر والثانى ادخل فى التعذيب واعجب منه ان يحملهم العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهى فى الحرارة المقطع للامعاء واعجب من ذلك كله كونهم شاربين اياه بالحرص كما تشرب الابل الهيم الماء الطيب ﴿ قوله جمع أهيم وهيماء ﴾ فاصله هيم بضم الهاء كحمر فى جمع احمر وحمرآء فابدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك فى بيض جمع ابيض وبيضاء والصدى العطش وقوله ولا يقضى عليها هيامها اى لا يميتها ﴿ قوله وقيل الهيم الرمال ﴾ عطف على قوله الابل التى بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك لا يروى من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن سحب فى جمع سحاب فاسكنت الياء للتخفيف وقلبت ضمة الهاء كسرة لاجل الياء كما فى بيض ﴿ قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص

(وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) كرّرت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطف فى قوله (أوآباؤنا الاوّلون) للدلالة على ان ذلك اشدّ انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة (قل ان الاوّلين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمّعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقت به الدنيا وحدّ من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الاولى للابتدآء والثانية للبيان (فمالئون منها البطون) من شدّة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها *

وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين

من الاخر﴾ جواب عما يقال كيف يصح عطف الشاربين على الشاربين مع انه ليس من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات فى الطرفين و لا من قبيل عطف الصفات لانهما صفتان متفقتان فكانا من عطف الشئ على نفسه وهو لايجوز * وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم او غيره وكذا الشرب كشرب الهيم اعم من شرب الحميم و مادة الاجتماع ظاهرة ﴿قوله وفيه تهكم﴾ اى قوله تعالى هذا نزلهم من قبيل الاستعارة التهكمية و هى عبارة عن تشبيه احد الضدين بالآخر من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه بان شبه فى الآية ماقدم للتعذيب بما اعد للتكرمة و هو النزل ثم اطلق اسم النزل على المشبه ﴿قوله بالخلق او بالبعث﴾ يعنى لما كان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيضا على التصديق بمعنى فهلا تصدقون وكان التصديق مطلقا بحسب التعلق حيث لم يبين متعلقه ذكر انه يحتمل ان يكون المراد فهلا تصدقون بانا خلقناكم * ولما ورد عليه انه مامعنى التحضيض على التصديق بالخلق و هم مصدقون بانه تعالى خلقهم و انشأهم اول مرة و التحضيض انما يتصور على مالم يحصل بعده اشار الى جوابه بقوله متيقنين محققين للتصديق بذلك بان تعملوا على مقتضى ذلك فانهم لما انكروا البعث و النشأة الثانية وعملوا على حسب مايقتضيه هذا الانكار من الاصرار على الكفر و الانهماك فى الشهوات كأنهم كانوا مكذبين بالنشأة الاولى فان المصدق اذا لم يجر على موجب تصديقه يكون بمنزلة المكذب فالتحضيض فى الحقيقة تحضيض على الاعمال التى هى نتيجة التصديق بالخلق وثمرته فقول المصنف بالاعمال الدالة عليه متعلق بقوله محققين بالخلق او بالبعث يعنى ان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيض على التصديق بمعنى فهلا تصدقون و التصديق لابدله من مصدق ولم يذكر ذلك فيحتمل ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم و ان كانوا مصدقين به كقوله تعالى و لئن سألتهم من خلق السموات و الارض ليقولن الله الا انهم منزلون منزلة المكذب من حيث انهم لايجرون على مايقتضيه ذلك التصديق و هو الايمان والطاعة و قد تقرر ان العالم بالشئ ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على الكفر و اتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الاول فصح تحضيضهم على التصديق به و يحتمل ان يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالا بقوله افرأيتم ماتمنون بالخلق الاول ثم انه تعالى لما قال نحن خلقناكم استدل بقوله افرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف بان الخالق فى الابتداء هو الله تعالى فان المنى امر ممكن و الممكن لابدله من موجد غيره و ان موجده لايكون مخلوقا آخر و الالدار او تسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار كأنه لما قال نحن خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله افرأيتم ماتمنون اى ان زعمتم ذلك فأخبرونى و مفعولها الاول ماتمنون و الثانى الجملة الاستفهامية يقال منى الرجل النطفة وأمناها بمعنى اى صبها فقوله تعالى ماتمنون سواء قرئ بفتح التاء او بضمها معناه ماتصبونه فى ارحام النساء قال القرطبى يحتمل عندى ان يختلف معناهما فيكون امنى بمعنى انزل عن جماع و منى بمعنى انزل احتلاما و هذه الآية احتجاج عليهم و بيان للآية الاولى و اذا ثبت عندكم انا خلقنا صورة الانسان من النطفة المقذوفة فى الارحام فلتكن اعمالكم موافقة لهذا العلم او فاعترفوا بالبعث ايضا فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة و قوله تعالى ألم يك نطفة من منى تمنى يحتمل ان يكون من الثانى ﴿قوله قسمناه عليكم و أقتنا موت كل﴾ يعنى ان تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين الاول جعله مقسوما عليهم و الثانى جعل ما اصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم فمنهم من يعيش الى ان يبلغ الهرم و منهم من يموت شابا او صبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لهما كان قوله تعالى و مانحن بمسبوقين نفيا لان يعجزه احد عن كل واحد منهما و يفوت من تنفيذ مشيئته فى حقه بان يتخلص من الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لايكون السبق بمعنى الفوات بل يكون بمعنى الغلبة كما يقال سبقته على الشئ اذا اعجزته عنه و غلبته ولم تمكنه منه ﴿قوله على الاول حال﴾ يعنى على تقدير ان يفسر قوله تعالى و مانحن بمسبوقين بقوله لايفوتنا احد يهرب به من الموت او بتغيير وقته يكون قوله تعالى على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما ان يكون حالا من فاعل قدرنا اى قدرنا بينكم الموت عازمين على ان نبدل منكم اشباهكم بان نهلككم و نأتى باشباهكم مكانكم قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لاتعلمون من الصور و الصفات فالسعداء يبعثون على احسن الصور

(هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء فاظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) اى ماتقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها (أأنتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (و ما نحن بمسبوقين) لايسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على ان نبدل امثالكم) على الاول حال او علة لقدرنا و على بمعنى اللام و مانحن بمسبوقين اعتراض

والاشقياء على اقبحها وهم لايعلمون ماتنشئ بذلك اليوم منها واما بان يكون علة لقدرنا بان تكون كلمة على بمعنى اللام وعلى هذا اى على تقدير كونه متصلا به بكونه حالا او علة يكون قوله تعالى ومانحن بمسبوقين اعتراضا حسنا لتقرير قدرته على مايشاء ﴿قوله وعلى الثانى صلة﴾ اى ان فسر قوله تعالى ومانحن بمسبوقين بلا يغلبنا احد يكون قوله على ان نبدّل صلته اى متعلقا بمسبوقين فان السبق بمعنى الغلبة يتعدّى بعلى كما اشار اليه بقوله من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ولان نفى المغلوبية فى اثبات القدرة وهى تتعدّى بعلى فكذا ما بمعناها ﴿قوله والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم﴾ اشارة الى ان احد المفعولين وهو المتعدّى اليه بحرف الجرّ محذوف فان الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم اشار الى جواز ان يكون الامثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشان اطلق عليها لفظ المثل تشبيها لها بالمثل السائر المثل مضربه بمورده الذى هو المعنى العرفى للفظ المثل والمعنى على ان نبدّل صفاتكم ونغيرها وننشئكم فى صفات وخلق وهيئات لاتعلمونها وماعهدتم نظائرها ﴿قوله تعالى وننشئكم﴾ عطف على نبدّل اى وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرّر امكان النشأة الثانية وحرّض على التذكر والاستدلال من العلم بالنشأة الاولى على النشأة الثانية اى هلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى بلا سبق مثال ومواد اخر فهو على الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة الاولى اى الخلقة الاولى ﴿قوله وفيه دليل على صحة القياس﴾ حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فان معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسا على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدّق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور * واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدّقون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرّده فى خلق النطفة التى هى مادّة تكوّنهم فقال افرأيتم ماتمنون الخ ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرّده فى خلق مابه يعيشون ويكون سببا لبقائهم فى المأكول والمشروب وماهو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار فذكر من كل نوع ماهو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل فيه ومن المشروب الماء كذلك ومن المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية وادخل فى كل واحد منها ماهو دونه فقال افرأيتم ماتحرثون اى اخبرونى ماتحرثونه اضيف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث الذى هو القاء البذر فى الارض فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق والساق والسنبل منه لامدخل لاختيار العبد فيه اصلا روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولنّ احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى وحده * ثم قال ابو هريرة اماسمعتم قوله تعالى ءأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي المستحب لكل من حرث شيأ ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ افرأيتم ماتحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين يقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك ثم قال سمعناه من ثقة وجرّبناه فوجدناه كذلك والهشم كسر الشئ اليابس من النبات والهشيم من النبات اليابس المتكسر قيل هذه الآية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما انعم الله عليهم والثانى البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت زرعهم بعد تلاشى بذره وانتقاله الى اسوء حالة تحت التراب حتى صار زرعا اخضر ثم قوى واشتدّ وانبت سنابل ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفى هذا البرهان قناعة للناظرين والجمهور على فتح الظاء وسكون اللام فى قوله فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرار وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان نقلت حركة اللام الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اصله تتفكهون اى فظلتم النهار كله تتعجبون من يبسه بعد حضرته يقال ظلت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه بمعنى تعجب ويقال بمعنى ندم اى تتندّمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم بالحرمان من اجلها ﴿قوله لمغرمون غرامة ما انفقنا﴾ اى من البذر والمؤنة على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل المغرم المهلك من قوله تعالى ان عذابها كان غراما اى هلاكا والجملة محكية بقول مقدّر فى موضع الحال اى قائلين بهذا القول ﴿قوله او محدودون﴾ من الحدّ بمعنى المنع اى ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع

وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم اونبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل (وننشئكم فيما لاتعلمون) فى خلق او صفات لاتعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم ماتحرثون) تبذرون حبه (ءأنتم تزرعونه) تنبتونه (ام نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على مااصبتم لاجله من المعاصى فتتحدّثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا او محدودون لامجدودون

(قوله)

﴿قوله فعلقة بالاستفهام﴾ اى الداخل على المفعول الثانى عن العمل فيه ولا تمنع عن العمل فى المفعول الاوّل ذكر فى شرح الرضى انه اذا صدّر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاوّل نحو علمت زيدا من هو وجوّز بعضهم تعلقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التى بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وليس بقوى ﴿قوله ملحا﴾ اى شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه اذ الملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال مالح الا فى لغة رديئة والاجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا ﴿قوله وحذف اللام الفاصلة﴾ جواب عما يقال قد التزمت البلغاء ادخال اللام فى جواب لو للفصل بين ما يتمحض للشرط وهو كلمة ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنا لمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهى كلمة لو فلذلك دخلت اللام فى جواب لو فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فلم لم تدخل فى قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قلنا ان لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة عن تعليق حصول شئ على حصول غيره وذلك يستدعى ان يكون المعلق امرا استقباليا ولو للمضى فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلقت احداهما بالاخرى بان يكون امتناع مضمون الثانية منهما منوطا بامتناع مضمون الاولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط وليس لها عمل فى شئ منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج الى ان ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام فى جوابها لتكون علامة ودليلا على التعليق المذكور * وتقرير الجواب انها حذفت فى جواب لو الثانية اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالاولى وانها لا بدّ منها فى جواب لو مطلقا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لان الشئ اذا علم موضعه واشتهر انه لا بدّ منه لا يبالى باسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فقوله او الاكتفاء اشارة الى تحقق القرينة اللفظية وقوله لعلم السامع اشارة الى تحقق القرينة المعنوية * وقوله وتخصيص ما يقصد لذاته جواب عما يقال القرينة الحالية قائمة فى كل واحد من آيتى المطعوم والمشروب فلم اختصت آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس الامر * وتقرير الجواب ان المطعوم مقصود لذاته والمشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فكان الاوّل اهم وفقده اصعب واشدّ فكان هذا مرجحا لاختصاصه بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة ﴿قوله تقدحون﴾ اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد وهو جمع زند يقال ورى الزند وريا اى خرجت ناره واوريته انا والزند العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهى الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد والقدّاح الحجر الذى يورى النار والعرب تقدح بعودين يحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والمطروقة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما من شجر ولا عود الا فيه النار سوى العناب فان عوده لا نار فيه ولهذا تدق اهل القصارة بخشبه ويدق عليه ﴿قوله كما مرّ فى سورة يس﴾ وهو قوله فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى والتبصير والتبصرة التعريف والايضاح كما ان التبصر التأمّل والتعرّف فهو تعالى جعل النار تبصرة لامر البعث او تبصرة فى ظلمة الليالى وتذكرة وانموذجا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الانسان لتكون حاضرة عندهم فى اكثر الاوقات ليذكروا بها نار جهنم وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام * ناركم هذه التى توقدونها يا بنى آدم جزؤ من سبعين جزأ من حر جهنم ﴿قوله للذين ينزلون القوآء﴾ اى من المسافرين واهل البادية فانهم اشدّ احتياجا الى النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويصطلون من البرد ويجففون ثيابهم ويصلحون طعامهم اذ لا يوجد الطعام الحاضر فى البوادى الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يتمتعون بها ايضا يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القوآء كما يقال أصحر اذا نزل فى الصحرآء ويقال ايضا اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها قال النابغة

✼ يا دارمية بالعلياء فالسند ✼ اقوت وطال عليها سالف الابد ✼

قدم كونها تذكرة على كونها متاعا لانها امر دينى قد غفل الناس منها فكانت اهم واولى بالتقديم ﴿قوله فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره﴾ كأن قائلا قال الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم اى فنزهه عما لا يليق بشأنه

(افرأيتم الماء الذى تشربون) اى العذب الصالح للشرب (ءأنتم انزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فعلقة بالاستفهام (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد (فلو لا تشكرون) امثال هذه النعم الضرورية (افرأيتم النار التى تورون) تقدحون (ءأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون) يعنى الشجرة التى منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة فى امر البعث كما مرّ فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القوآء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدآئع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجيب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدّها من النعم (فلا اقسم) اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء

يرون تأثيرة او بمنازلها ومجاريها وقيل بنجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم به
من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لايترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم
عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد اوحسن مرضي في جنسه (في كتاب مكنون) مصون وهو اللوح (لايمسه الاالمطهرون) لايطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة اولايمس القرآن الاالمطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الاالمطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولايتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم (انكم تكذبون) اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانوآء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به اوتكذبون اى بقولكم في صفة القرآن انه سحر وشعر اوفي المطر انه من الانواء (فلولا اذابلغت الحلقوم) اى النفس (وانتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن اقرب اليه) بقدرتنا وعلمنا اوملائكة الموت اى ونحن اعلم بحال المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه مايجري عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتأكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته (ان كنتم صادقين) في اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فاما ان كان من المقربين) اى ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله
استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) (روى)
ذات تنعم (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك) ياصاحب اليمين (من اصحاب اليمين) اى من اخوانك يسلمون عليك (واما ان كان من المكذبين الضالين)
اى من اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم مااوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك مايجد في القبر من سموم
النار ودخانها (ان هذا) ان الذي ذكر في السورة اوفي شأن الفرق (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه
عما لايليق بعظمة شانه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

الاعلى من النقائص فانه تعالى لما رد على من انكر البعث بان قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون بان ذكر مايدل على صحة البعث وقدرته عليه وبدأ بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق مابه بقاء الانسان فبدأ بذكر ماهو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ماهو اصل المشروب وهو الماء الذي يعجن به الخبز ويشرب ثم ذكر النار التي يطبخ بها معظم المطعومات وبين بهذا كله ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتدآء يقدر على ان يعيدكم للحساب والجزآء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث في حقه تعالى فانهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل اجزآء الموتى فثبت بهذا ان الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم عما يقول الجاهلون فلم قال فسبح باسم ربك العظيم * وتقرير الجواب ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على ذكر دلائل صحة البعث لايستدعي ان يكون تعلق التسبيح بمفعوله مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم وجعل الباء في قوله باسم ربك للالة اما بتقدير الذكر المضاف الى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فأحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى او بواسطة ذكره تعالى وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المصنف بقوله فان اطلاق اسم الشئ ذكره فانه اراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعني ان اطلاق اسم الشئ لما كان سببا لذكره صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا قيل ويجوز ان يجرى النظم على ظاهره من غير تقدير المضاف ولا ارتكاب المجاز بكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته عن سوء الادب وهذا ابلغ في الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لانه يلزم منه ذلك بالطريق الاولى غاية مافي الباب ان يعدى فعل التسبيح الى مفعوله بواسطة الباء مع انه يتعدى اليه بنفسه كما في قوله سبح اسم ربك الاعلى ولامحذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرا لايعدى اليه بحرف ﴿ قوله ويدل عليه قرآءة فلأقسم ﴾ اى يدل على ان لام الابتدآء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال ﴿ قوله تعالى بمواقع النجوم ﴾ قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد قال الحسن اراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها عند الرجم ﴿ قوله لما في غروبها من زوال اثرها ﴾ او لعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات معروفة اولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم ﴿ قوله تعالى في كتاب مكنون ﴾ صفة اخرى لقرآن او حال من الضمير في كريم او خبر مبتدأ محذوف وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون اى محفوظ من التبديل والتحريف وقوله تنزيل على قرآءة الرفع اى هو تنزيل بمعنى منزل وعلى قرآءة النصب اى نزل تنزيلا لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه ﴿ قوله اولايمس القرآن الاالمطهرون من الاحداث ﴾ وهو قول عطاء وطاوس واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي ومالك وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه ﴿ قوله صفة ثالثة او رابعة ﴾ اى ان كان لايمسه خبرا اى غير نهي فتنزيل صفة رابعة وان كان نفيا بمعنى نهي فتنزيل صفة ثالثة للقرآن او ان كان لايمسه صفة كتاب فتنزيل صفة ثالثة وان كان صفة لقرآن فتنزيل صفة رابعة ﴿ قوله تعالى فروح ﴾ جواب اما وامان فاستغنى بجواب اما عن جوابها الا ان ان قد يحذف جوابها في مواضع ويقرأ بفتح الرآء وضمها فالفتح مصدر والضم اسم له وقيل هو المروح به ﴿ قوله فسلام لك ﴾ اى سلامة لك يامحمد منهم فلاتهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ماتحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقال الفرآء وغيره فسلام لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من اصحاب اليمين كالرجل يقول اني مسافر عن قليل فتقول له انت مصدق مسافر عن قليل وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين ﴿ قوله فنزل ﴾ فله نزل وقوله وتصلية قرئ بالرفع عطفا على نزل وبالجر عطفا على حميم ﴿ قوله اى حق الخبر اليقين ﴾ وقيل المعنى حقيقة اليقين والعظيم صفة لربك وقيل للاسم وقوله فسبح قيل معناه فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زآئدة * تم ماتعلق بسورة الواقعة والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

وى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية
يعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بدأ الله تعالى سورة بنى اسرآئيل بلفظ المصدر والحديد
الحشر والصف بلفظ الماضى والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا لجميع ضروب
صيغ التسبيح فى كلامه المجيد واشارة الى ان المكوّنات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات
لا يختص بتسبيحها وقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى والمستقبل ووجه الاشارة انه تعالى
ا اخبر عن تسبيح جميع المكوّنات السماوية والارضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضى واخرى بصيغة
المضارع دل ذلك على ان كل واحد من الصيغتين جرّدت عن الدلالة على الزمان الذى هو مدلول الهيئة فاذا لم تكن
خصوصية الزمان مقصودة فى كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتهما على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض اجزآئه
على بعض فكان كل واحدة منهما لاستمرار الازمنة مع ان التسبيح لما اسند الى جميع المكونات كان المراد به
ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذى يمكن تحققه من الجميع وهو الدلالة الجبلية على تنزه الخالق
عن جميع النقائص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان وقبول العدم بحسب وجوده الجبلى المستفاد
من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله وعن سائر النقائص بتنزيهه وتبليغه الى كمالاته الممكنة بالاسباب
السماوية والارضية وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر بامكانه الذاتى الجبلى الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة
استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كما انه معدن كل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت ان كل موجود ممكن
يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته فان الامكان الذاتى لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود
لذاته وكان وجوب وجوده مستلزما لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحا ومنزها لخالقه عن جميع النقائص
لاجل امكانه الذاتى اللازم له فى جميع الازمنة فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا فى جميع الازمنة فوجب
ان تجرّد كل واحدة من الصيغتين عن الدلالة على الزمان الذى هو مدلول الهيئة وتحمل كل واحدة منهما على
استمرار الازمنة ﴿قوله ومجيء المصدر مطلقا﴾ اى عن الدلالة على الزمان والفاعل ﴿قوله وهو معدّى
بنفسه﴾ كما فى قوله وسبحوه بكرة واصيلا وسبح اسم ربك ويسبحونه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد منقول
من سبح الثلاثى وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فعدّى بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية فمعنى سبحته بعدته
عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كانت اللام فيه لام الاجل والاختصاص ويكون الفعل منزلا منزلة اللازم ويكون
معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت لك
الدلالة على اخلاص النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه ﴿قوله حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح﴾
فان العزيز هو الغالب على كل شيء بحيث لا يتصوّر منازعته فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم اشارة الى
كمال العلم لانه الذى افعاله على وفق الحكمة والصواب فيعتبر فى مفهوم الحكمة كل واحد من اتقان العلم والعمل
لا شك ان من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع النقائص ﴿قوله تعالى له ملك السموات﴾
جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة عن استغناء الذات فى ذاته وفى جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج
كل ما عداه اليه فى ذواتهم وصفاتهم فالملك والخلق ليس الا لله الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * وقوله
يحيي ويميت جواب عن سؤال كأنه قيل كيف يتصرّف فينا * فاجيب بانه يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء
فى الدنيا وهو على كل شيء قدير ﴿قوله ولو بالنظر الى ذواتها﴾ يعنى ان المراد باوّليته تعالى كونه سابقا على كل
ما سواه من الموجودات بالذات من حيث انه موجدها ومحدثها وبآخريته بقاؤه بعد فناء الموجودات ولو بالنظر
الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها بل يكفى فى فنائها كونها بحيث
اذا نظر اليها فى حدّ ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف البارى تعالى فانه
اذا نظر اليه فى حدّ ذاته وقطع النظر عن جميع ما عداه يجده العقل موجودا باقيا ويحكم بان وجوده وجميع صفات
كماله مقتضى ذاته فهو تعالى باق فى ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقا سوآء كان فناؤها بطريان العدم عليها او بكونها
فى حدّ ذاتها عارية عن الوجود وكون وجوداتها مستفادة من الغير ﴿قوله او هو الاوّل الذى تبتدئ منه
الاسباب﴾ اى ويجوز ان تكون اوّليته تعالى عبارة عن كونه بحيث اذا نظر الى سلسلة الموجودات المرتبة
فى الوجود كان تعالى مبدأ سلسلة الاسباب وتكون آخريته عبارة عن كونه بحيث تنتهى اليه سلسلة المسببات فان

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية﴾

﴿وآيها تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات والارض) ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا فى بنى اسرآئيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفى كل حال وانما عدّى باللام وهو معدّى بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرّف فيها (يحيي ويميت) استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له (وهو على كل شيء) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاوّل) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذواتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاوّل الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات

الوجود يبتدأ منه تعالى و لا يزال ينزل فينزل حتى ينتهي الى الوجود الاخير الذى يكون سببا لكل ماعداه و لايكون مسببا لشئ آخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اوّلا ثم اذا اخذت تترقى من هذ الوجود الاخير درجة درجة حتى تنتهى فى آخر الترقى اليه تعالى فهو تعالى اوّل فى نزول الوجود منه تعالى الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه تعالى قال القرطبي اختلف فى معانى هذه الاسماء و قد شرحها رسول الله صلى الله عليه و سلم شرحا يغنى عن قول كل قائل فانه روى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم انت الاوّل فليس قبلك شئ و انت الآخر فليس بعدك شئ و انت الظاهر فليس فوقك شئ و انت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين و أغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب و بالباطن العالم ببواطن الاشياء * قيل القول بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم التكرار فى قوله و الله بكل شئ عليم ﴿قوله او الاوّل خارجا و الآخر ذهنا﴾ فانك اذا نظرت الى ترتيب السلوك و لاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو تعالى آخر ما يرتقى اليه درجات العارفين و كل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته و المنزل الاقصى هو معرفة الله تعالى فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف و اوّل بالاضافة الى الوجود الخارجى فمنه المبدأ اوّلا و اليه المرجع آخرا ﴿قوله و الباطن حقيقة ذاته﴾ لان حقيقة ذاته غير مدركة لا عقلا و لا حسا باتفاق المحققين من اهل السنة و المعتزلة ولما تعاضدت الادلة على انه تعالى يدرك بالحاسة فى الآخرة لم يفسر المصنف كونه تعالى باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها ظاهرة بظهوره و الباطن بكنه حقيقته و بطونه بهذا المعنى لا ينافى كونه مرئيا فى الآخرة و فسره صاحب الكشاف بانه غير مدرك بالحواس و هو تفسير بحسب التشهى تأييدا لما ذهب اليه من استحالة الرؤية و الحق انه تعالى ظاهر بوجوده باطن بكنهه و انه تعالى جامع بين الوصفين ازلا و ابدا و البطون بهذا المعنى لا ينافى الرؤية فى الآخرة لان الرؤية بالحاسة لا تقتضى معرفة الحقيقة و على هذا يكون التذييل بقوله و هو بكل شئ عليم لئلا يتوهم ان بطونه تعالى عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما فى الشاهد ﴿قوله او الغالب على كل شئ﴾ على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه و غلب عليه فالمعنى هو الغالب الذى يغلب كل شئ و لا يغلب عليه فيتصرف فى الكائنات على سبيل الغلبة و الاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه و انه الباطن الذى يعلم بواطن الاشياء و ليس تحته شئ حتى لا يصل اليه علمه ﴿قوله و الواو الاولى و الاخيرة﴾ يعنى ان الواو المتوسطة بين الاوّل و الآخر لعطف المفرد على المفرد و كذا المتوسطة بين الظاهر و الباطن و اما الواو الثانية المتوسطة بين الظاهر و الباطن فهى لعطف المجموع الثانى على المجموع الاوّل و لو جعلت لعطف الظاهر على احد الوصفين الاوّلين لفات التناسب بخلاف ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اوّلا على الآخر ثم احد المتقابلين المذكور ثانيا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الاوّل و المجموع الثانى بالواو المتوسطة فان الكلام حينئذ يفيد انه تعالى كما انه متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا و ابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من المجموعين ازلا و ابدا فما من وقت يصح اتصافه تعالى بالاوّلية و الآخرية الا و يصح فيه اتصافه بالظاهرية و الباطنية معا فمن فسر باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلا على انتفاء الرؤية فى الآخرة فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوّز ادراكه تعالى بالحاسة فى الآخرة و قوله تعالى هو الذى خلق السموات تحقيق لعزته و كمال قدرته كما ان قوله يعلم ما يلج تحقيق لحكمته و كمال علمه ﴿قوله لا ينفك علمه و قدرته عنكم﴾ اشارة الى انه تعالى ليس معنا بالمكان و الحيز و الجهة بل المعية مجاز عن العلم و القدرة على طريق ذكر السبب و ارادة المسبب ﴿قوله و لعل تقديم الخلق﴾ اى على قوله يعلم ما يلج مع انه متأخر عن العلم تابع له تأخرا ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الانيق مما يستدل به على علمه و قدرته تعالى ﴿قوله تعالى آمنوا بالله﴾ خطاب لكفار قريش اى قد اوضحت لكم الدلائل الدالة على انه لا تحق العبادة الا لى فاعبدونى و آمنوا بى و برسولى و صدقوه فيما يخبر به عنى ﴿قوله و فيه حث على الانفاق و تهوين له﴾ اما اذا كان معنى كونهم مستخلفين ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله تعالى حقيقة بخلقه اياها و انشائه لها و ليس للعبد الا ان يتصرف فيها بسبب استخلافه تعالى اياه و جعله بمنزلة الوكيل فى التصرف فيها تصرفا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلان الانفاق من مال الغير سهل هين اذا اذن فيه مالكه و لا سيما اذا اثاب عليه بالجنة و اما ان كان معناه ان ما فى ايديكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث و من المعلوم ان ما انتقل عن قبلهم اليهم لابد ان ينتقل

او الاوّل خارجا و الآخر ذهنا (و الظاهر و الباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله و الباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ و العالم بباطنه و الواو الاولى و الاخيرة للجمع بين الوصفين و المتوسطة للجمع بين المجموعين (و هو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر و الخفى (هو الذى خلق السموات و الارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض) كالبذور (و ما يخرج منها) كالزروع (و ما ينزل من السماء) كالامطار (و ما يعرج فيها) كالابخرة (و هو معكم اينما كنتم) لا ينفك علمه و قدرته عنكم بحال (و الله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه و لعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات و الارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (و الى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و هو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها و التصرف فيها و فيه حث على الانفاق و تهوين له على النفس

نهم الى غيرهم ايضا فلأن انفاق ماهو بصدد التحوّل والانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة
تنفقه اكتسابا لمرضاة الرحمن وثواب الآخرة قبل ان يخرج من يدها ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق فى سبيل
لله وضمن لمن فعل ذلك اجرا كبيرا فقال فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير فهو فى موضع جواب الامر والفاء
لدلالة على سببية الايمان والانفاق لماذكر من الاجر الكبير واعيد ذكرهما صريحا للمبالغة فى الدلالة على سببيتهما
﴿قوله وبناء الحكم على الضمير﴾ اى لاعلى الاسم الظاهر بان يقول فللذين آمنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل
لموصول مبتدأ وجعل الاجر الكبير مبتدأ ثانيا ولهم خبر الثانى وجعل الجملة خبر المبتدأ الاوّل للمبالغة المذكورة
﴿قوله اى وما تصنعون غير مؤمنين به﴾ يعنى ان قوله تعالى لاتؤمنون بالله فى موضع النصب على انه حال من
لفاعل المعنوى للفعل المستنبط من ما الاستفهامية وقد تقرّر فى النحو ان عامل الحال قد يكون معنى الفعل
المراد به مايستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف النداء والتمنى والترجى والتشبيه وحرف
لاستفهام فان فيها معنى الفعل نحو ذا زيد قائما ويا زيد قائما وليتك عندنا قائما ولعله فى الدار قائما وكأنه اسد صائلا
مالك قائما فان كلمة مافيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها والاستفهام يطلب الفعل فيستنبط
معنى الفعل من اداة الاستفهام وحرف الجرّ فى لكم وان كان يتعلق بالفعل اوشبهه فلذلك يعمل فى الحال فى نحو
زيد فى الدار قائما الا ان المصنف اختار ان الحال فى الآية معمول لما الاستفهامية لالحرف الجرّ حيث قال اى
ماتصنعون غير مؤمنين ولم يقل ماحصل لكم غير مؤمنين ولعله مجرّد اعتبار ﴿قوله حال من ضمير تؤمنون﴾
اى مالكم غير مؤمنين بالله مدعوّين الى الايمان بالحجج والآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال الاولى
عاملة فى الثانية واختلف ذو الحال فيهما وفى الاحوال المترادفة يتحد العامل وذو الحال ﴿قوله قبل ذلك﴾ اى
قبل دعوة الرسول اياكم الى الايمان وكون القبلية بالنسبة الى الدعوة مستفاد من كون الماضى المصدّر بقد
حالا من مفعول يدعوكم ﴿قوله بنصب الادلة والتمكين من النظر﴾ لم يحمل الميثاق على الميثاق المأخوذ عليهم
حين اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام وقال لهم ألست بربكم لان الكلام مسوق لبيان انه لم يبق لهم
عذر فى ترك الايمان بعد ان دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة واخذ الله الميثاق وما اخذ منهم وقت اخراجهم
من ظهر آدم غير معلوم لهم الا بقول الرسول ومالم يعرفوا صدق الرسول لايكون ذلك سببا لوجوب اجابتهم الرسول
بادعاهم اليه فذكر اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهره لامدخل له فى توبيخهم وتبكيتهم بترك الايمان بخلاف
الميثاق المأخوذ بنصب الادلة والتمكين من النظر فقوله تعالى ومالكم لاتؤمنون الى آخر الآية كلام خرج مخرج
الاستبطاء والاخبار بارتفاع موانع الايمان وتحقيق مايوجبه على اكمل وجه واتمه اى اىّ عذر لكم فى ترك الايمان
بالله وآياته وقد اقيمت البراهين على حقيقة ماتؤمرون به سمعا وعقلا فان قوله والرسول يدعوكم فى قوّة ان يقال
قد قامت البراهين السمعية وقوله وقد اخذ ميثاقكم بمنزلة ان يقال وقد نصبت الادلة العقلية المؤدّية الى تصديق
الرسول فى جميع ماجاء به حتى كنتم بسببها كأنكم اعترفتم بمؤدّى تلك الادلة من اجل قوّة دلالتها عليه وقوله تعالى
ان كنتم مؤمنين شرط حذف جوابه وهو ماشار اليه المصنف بقوله فان هذا موجب لامزيد عليه لانه لاموجب
يزيد على تظاهر الادلة السمعية والعقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بعد قوله ومالكم
لاتؤمنون والدفع مايتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل ان كنتم مؤمنين بشئ لاجل دليل فمالكم لاتؤمنون الآن
وقد تطابقت الادلة النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لايمكن الزيادة عليها ثم انه تعالى ذكر بعض تلك الادلة الدالة على
وجوب الايمان فقال هو الذى ينزّل على عبده آيات وهى المعجزات التى اعظمها القرآن ثم حرّض على الانفاق فى
سبيله من وجه آخر فقال ومالكم ان لاتنفقوا اى فى ان لاتنفقوا الحذف الجار ﴿قوله تعالى ولله ميراث السموات﴾
جملة حالية من فاعل الاستقرار الذى تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق اموالكم والحال انكم تعلمون انه
تعالى مهلككم ووارث اموالكم وهذه حال منافية للبخل بها لان انفاقها بحيث يستخلف عوضا يبقى خير
من هلاكها بغير شئ ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله فقال لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح
وقسيم من انفق من قبل محذوف اى ومن انفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد عليه قال عليه الصلاة والسلام * فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مدّ أحدهم ولانصيفه * وذلك لان ماقبل الفتح كان حال مساس الحاجة الى الجهاد والنفقة ثم اعز الله الاسلام

(فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) اى وماتصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لاتؤمنون والمعنى اىّ عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد اخذ ميثاقكم) اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعو وقرأ ابوعمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزّل على عبده آيات بينات ليخرجكم) اى الله او العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ان لاتنفقوا) واى شئ لكم فى ان لاتنفقوا (فى سبيل الله) فيما يكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما ولايبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوّة اليقين وتحرّى الحاجات حثا على تحرّى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق

بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس فى دين الله افواجا ﴿قوله تعالى وكلا﴾ منصوب على انه مفعول مقدم ومن قرأه مرفوعا جعله مبتدأ وجعل الجملة التى بعده خبره بحذف العائد اى وعده الله ومثله قول الشاعر

قد اصبحت ام الخيار تدعى ۞ علىّ ذنبا كله لم اصنع

برفع كله اى لم اصنعه الا ان حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى ان البصريين لا يجوّزونه الا فى ضرورة الشعر بخلاف حذفه فى الصلات والصفات نحو قوله أهذا الذى بعث الله رسولا اى بعثه وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ اى لا تجزى فيه نفس ﴿قوله ليطابق ما عطف عليه﴾ وهو قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين فانه جملة اسمية واذا قرئ كل بالرفع يكون المعطوف ايضا اسمية فيحصل التطابق بينهما ﴿قوله فانه اوّل من آمن وانفق﴾ روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالى ارى ابابكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال قال يا جبريل انفق ماله قبل الفتح علىّ قال فأقرئه من الله عز وجل السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر فقال يا ابابكر هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال أعلى ربى اغضب انى عن ربى لراض ونزول الآية فى شأن ابى بكر لا ينافى دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والانصار الذين انفقوا وقاتلوا من قبل الفتح على الذين انفقوا من بعد وقاتلوا معه عليه السلام وقيل هذا التفضيل لجميع الصحابة ويؤيده ما روى سفيان عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى قوم بعدكم يحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يا رسول الله نحن افضل ام هم قال لو ان احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولا نصيفه ففرّقت هذه الآية بينكم وبين الناس وتلا لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة كذا فى تفسير الفقيه ابى الليث ثم انه تعالى حرّض على الانفاق فى سبيله بطريق آخر فقال من ذا الذى يقرض الله ﴿قوله تعالى يقرض﴾ استعارة تبعية حيث شبه الانفاق فى سبيل الله باقراضه فاطلق عليه اسم الاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض واليه اشار المصنف بقوله فانه كمن يقرضه ﴿قوله وحسن الانفاق﴾ مبتدأ وقوله بالاخلاص خبره ولا يكون الانفاق حسنا الا بان يبتغى به وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وبان يكون ما انفقه احب الاموال اليه واكرم عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون ولقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ولقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة ان تعطيها وانت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا وبان يتحرّى افضل الجهات ويصرفه صدقة الى الاحوج فالاحوج وان جمع بين جهتى سدّ حاجة الفقير وصلة الرحم فهو افضل ﴿قوله وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه﴾ اى حسن رضى فى بابه وهو اشارة الى ان قوله تعالى وله اجر كريم جملة حالية من مفعول يضاعفه واطلاق التضعيف يدل على ان الاضعاف المنضمة الى الاجر زائدة على ما انفقه من المال كمية وكيفية ﴿قوله وقرأ عاصم﴾ قال صاحب التيسير فى فرش سورة البقرة قرأ عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا وفى الحديد بنصب الفاء والباقون برفعها ووجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام كما فى قولك هل تزورنا فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما يقال المنصوب بان المضمرة لابدّ ان يكون مترتبا على الفعل المستفهم عنه كما فى المثال المذكور فان احسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا لم يقع الاستفهام عن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذى يقرض فكيف ينصب الفعل بعده بان مضمرة ۞ وتقرير الجواب ظاهر قيل هذا السؤال ممنوع الا ترى انه ينصب الفعل بعد الفاء فى جواب الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومن داع فاستجيب له ومتى سيرك فارافقك ومن ابوك فنكرمه ومن قرأ فيضاعفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض ﴿قوله ظرف لقوله وله﴾ اى ظرف للاستقرار الذى تعلق به قوله وله اى استقرّ له اجر فى ذلك اليوم وان كان معمولا لاذكر يكون مفعولا به لا ظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين وبين ايديهم ظرف ليسعى ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا بايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين ﴿قوله ما يوجب نجاتهم وهدايتهم﴾

(اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) اى من بعد الفتح (وكلا وعد الله الحسنى) اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتدآء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى ابى بكر فانه اوّل من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوّضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرّى اكرم المال وافضل الجهات (فيضاعفه له) اى يعطى اجره اضعافا (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر (يسعى نورهم) ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

(يعنى)

يعنى ان النور مستعار لصحائف الاعمال تشبيها لها بالنور فى كونها سبب النجاة من النار والاهتدآء الى طريق الجنة فان السعدآء يؤتون صحائف اعمالهم من قدامهم ومن جهة أيمانهم فتكون دليلا لهم الى الجنة ويستضيئون بنورها على الصراط المستقيم وهم يسعون لانهم لومشوا الهوينا لماسعى النور بين ايديهم وبايمانهم لانه لوسعى وهم يمشون الهوينا لزم ان يفارقهم ولايكون بين ايديهم ولابايمانهم ثم اختلف فى النور المذكور فى هذه الآية فقال قوم المراد نفس النور على ماروى عنه عليه الصلاة والسلام قال كل مثاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه فى العظم والصغر فمنهم من يضيئ له نور كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره كالجبل ومنهم من لايضيئ له نور الاموضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة ويتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ثم يسلب نورهم لنفاقهم فذلك قول المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا اى خشية ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فاذا بقى المنافقون فى الظلمة لايبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم استضاؤا فى الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيئ اهل السعادة بما ظهر لهم من النور فى العقبى فقد ذكر فى المصابيح برواية انس رضى الله عنه ان اسيد ابن خضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبى صلى الله عليه وسلم ولما ارادا انهما ينقلبان اى يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية أضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها حتى اذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيق هو معرفة الله تعالى وان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هى النور فى القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا وقال آخرون المراد من النور مايكون سببا للنجاة وهو مااختاره المصنف ﴿ قوله تعالى بشراكم ﴾ مبتدأ واليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى مصدرا بمعنى البشارة والجنة عينا ومن المعلوم ان العين لاتكون خبرا عن الحدث والمعنى ذكر المصنف لصحة الاخبار وجهين الاول ان تكون البشرى بمعنى المبشر به والثانى تقدير المضاف فى الخبر وعلى التقديرين تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر مع مقوله حال اخرى من المؤمنين اى يوم تراهم ساعيا نورهم مقولا لهم بشراكم اليوم دخول جنات وقوله تعالى خالدين نصب على الحال وذوالحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر الى مفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يجعل تقدير الكلام بشراكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين وان اول المبتدأ بالمبشر به يكون عامل الحال مادل عليه بشراكم اى تبشرون بها خالدين فيها ولايجوز ان يكون العامل فيها بشراكم لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبى ﴿ قوله انظرونا او انظروا الينا ﴾ معنى انظرونا فى قرآءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه وتقلب الحدقة الى جانب المرئى والنظر بالمعنى الثانى لايتعدى بنفسه فى غير الشعر وانما يتعدى بالى فلهذا اخره المصنف عن الاحتمال الاول عن ابى اليمامة رضى الله عنه قال يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورا ويترك الكافر والمنافق ولايعطيان شيأ فيمضى المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم اى انظرونا نصب منه حظا لانهم يسرع بهم الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم ﴿ قوله وقرأ حمزة أنظرونا ﴾ اى بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار بمعنى الامهال ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن طلب التؤدة فى مشيهم يقال اتأد فى مشيه اذامشى مشياهوينا على التؤدة والوقار والاتئاد افتعال من التؤدة ولما ورد ان يقال الذى يطلبه المنافقون من المؤمنين ان يتئدوا فى مشيهم ولايسرعوا فيه لاان يمهلوا للمنافقين فما معنى قولهم انظرونا بفتح الهمزة * اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين فى مشيهم والظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور معطوف على قوله قيل ارجعوا ورآءكم ومتفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاء بانوار معارفهم واعمالهم بقى المنافقون فى ظلمة نفاقهم وحرموا من اللحوق باصحاب الانوار والاستضاءة بانوارهم كما يحرم الاعمى من الانتفاع بنور البصر فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور حائل باطن ذلك السور وهو الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة التى هى

(بشراكم اليوم جنات) اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى ماتقدم من النور والبشر وبالجنات المخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه (قيل ارجعوا ورآءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له باب) يدخل فيه المؤمنون (باطنه) باطن السور او الباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من جهته لانه يلى النار (ينادونهم ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوآئر (وارتبتم) وشككتم فى الدين (وغرتكم الامانى) كامتداد العمر (حتى جاء امر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) الشيطان او الدنيا

النور الذي يؤدّيهم الى الجنة وظاهره اى الذى يلى المنافقين من قبله العذاب اى عذاب الظلمة التى تؤدّى الى السقوط فى حفر النيران فعلى هذا يكون قوله تعالى فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بماذكر اوهو حجاب الاعراف وقرئ فضرب على بناء الفاعل وهو البارى تعالى او الملك الا ان الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هو قوله بسور والباء صلة والتقدير ضرب بينهم سور وقوله له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله باطنه مبتدأ وقوله الرحمة مبتدأ ثان وفيه خبره والجملة خبر المبتدأ الاوّل والمبتدأ الاوّل مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله ينادونهم مستأنف اى ينادى المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى مثل ماتصلون ونقرأ مثل ماتقرأون ونفعل مثل ماتفعلون من الافعال الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق واصل الفتن الاحراق وغرّكم بالله اى بحلم الله تعالى وتأخيره العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة على وزن فعول كصبور وقرئ بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل مسند الى مصدره مثل جدّ جدّه والفدية مايفتدى به مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال فبسبب ماانتم عليه فى الدنيا ايها المنافقون لايقبل منكم يوم القيامة فدآء لارتفاع وقت التكليف ومجئ يوم الجزآء وعطف الكافر على المنافق لماأوهم ان لايكون المنافق كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اشار الى دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الا ان المراد بالذين كفروا فى هذه الآية الكافر الجاهر اى المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذى يبطن الكفر

﴿قوله كقول لبيد * فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها﴾ يصف بقرة وحشية اكل السبع ولدها فصارت متبوعة وقيل بل نفرت من صوت الصائد وكلامه ولم تقف لتنظر أقاصدها خلفها ام امامها فغدت فزعة مذعورة لاتعرف منجاها من مهلكها والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدّام سميا فرجين لكون كل واحد منهما مفروجا مكشوفا على ان الفرج فعل بمعنى مفعول اى غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدّامها مولى المخافة اى اولى موضع لان يكون فيه الخوف وقوله فغدت يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتدأ وتحسب مع ما فى حيزه خبره والضمير فى تحسب عائد الى اسم غدت والجملة خبر غدت والضمير فى انه للمبتدأ وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى ومولى المخافة خبر ان وقوله خلفها وامامها اما بدل من كلا واما خبر مبتدأ محذوف اى هما خلفها وامامها فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه هو اولى لكم وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه انه احرى بكم واجدر فهو مفعل من اولى كما ان مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لايشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة الرجل المسلم اى ان هذا مما يعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل فيه انه عالم وانه فقيه ويجوز ان يكون مفعلا من الولى اى هى مكانكم عن قريب ويجوز ان يكون المعنى ناصركم لاناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمراد نفى التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لاتحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية بتقدير المضاف اى هى ذات ولايتكم بمعنى توليكم من قولهم ولى الوالى البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما

﴿قوله وألما يأن﴾ اصلها لم يأن زيدت عليها ما وادغم فصار ألما وكلمة لم نفى لقوله فعل وألما نفى لقوله قد فعل يقال انى يأنى انيا مثل رمى يرمى رميا وآن يئين اينا مثل باع يبيع بيعا وكلاهما بمعنى حان وجاء اناه اى وقته وحينه قال الشاعر

* ألمايئن لى ان تجلى غوايتى * واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا *

لجمع بين اللغتين واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى المنافقين الذين اظهروا الايمان وفى قلوبهم النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت فى الذين آمنوا على الحقيقة فان المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لايكون له ذلك فلعل طائفة من المؤمنين ماكان فيهم مزيد خشوع ولارقة قلب فحثوا عليه بهذه الآية ويحتمل ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد خشوع ثم زال عنهم شدّة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها روى عن الاعمش انه قال ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا فى العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ماكانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء

(فاليوم لايؤخذ منكم فدية) فدآء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا (مأواكم النار هى مولاكم) هى اولى بكم كقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه *
مولى المخافة خلفها وامامها *

وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا (وبئس المصير) النار (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم بهم لذكر الله) ألم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى وألما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

(وما نزل من الحق) اى القرءان وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان
يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف وقرئ انزل (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم اومابينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لمافى كتابهم من فرط القسوة (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة اولاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) كى تكميل عقولكم (ان المصدّقين والمصدّقات) ان المتصدّقين والمتصدّقات وقدقرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدّقوا الله ورسوله (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا اوصدّقوا وهو على الاوّل للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص (يضاعف لهم ولهم اجر كريم) معناه والقرآءة فى يضاعف مامرّ غير انه لم يجزم لانه خبران وهو مسند الى لهم اوالى ضمير المصدر (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون والشهدآء عند ربهم) اى اولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين او الشهداء اوهم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدّقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم اوعلى الامم يوم القيامة وقيل والشهدآء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذاجئنامن كل امة بشهيد اوالذين استشهدوافى سبيل الله (لهم اجرهم ونورهم) لهم مثل اجر الصدّيقين والشهدآء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك

يدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب ﴿ قوله عطف احد الوصفين على الآخر ﴾ فان القرءآن انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو ايضا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان اى الجامع بين كونه كتابا منزّلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان يراد بالاوّل ذكر الله مطلقا وبالثانى القرءآن كما فى قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ﴿ قوله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف ﴾ على بناء الفاعل وباقى السبعة كذلك الا انهم شدّدوا اى وقرئ نزّل مشدّدا مبنيا للمفعول ونزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على نسق ماقبله وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات على ان تكون كلمة لا ناهية ويكون الفعل مجزوما بها وان تكون نافية ويكون الفعل منصوبا عطفا على تخشع كما فى قرآءة الغيبة ﴿ قوله اومابينهم وبين انبيائهم ﴾ عطف على اعمارهم وقسوة القلب غلظته ويبسه وفى الآية اشارة الى ان عدم الخشوع فى اوّل الامر يفضى الى قسوة القلب المؤدّية الى الكفر نعوذ بالله من ذلك ﴿ قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر ﴾ يعنى ان قوله تعالى يحيي الارض بعد موتها استعارة تمثيلية والمعنى تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القرءآن باحياء الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشئ الى كماله المتوقع بعد خلوّه عنه ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه ترغيبا فى الخشوع المذكور فان التمثيل المذكور يتضمنه تشبيه قساوة القلب بموت الارض وتشبيه طريان خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة بحياة الارض الميتة ترغيب لامحالة فى تحصيل الخشوع وترك القسوة فالآية تمثيل لاثر الذكر فى القلوب بعد قسوتها وبيان انه يحييها كما يحيي الغيث الارض ويحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض الميتة فمن قدر على الثانى فهو قادر على الاوّل فحقه ان تخشع القلوب لذكره وما نزل من آياته وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها فان قوله ترغيبا يحمل الآية على التمثيل دون الحقيقة ﴿ قوله عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام ﴾ لا على لفظ المحلى لان عطف الفعل على الاسم قبيح ﴿ قوله وهو على الاوّل ﴾ اى على القرآءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال عطف قوله واقرضوا على المصدّقين بتشديد الصاد عطف الشئ على نفسه بحسب الظاهر لان المراد بالاقراض هو التصدق والانفاق لاغير * اجاب عنه بان المعطوف تصدّق خاص مقيد بكونه حسنا مقرونا بالاخلاص فتغايرا وحسن العطف وعلى قرآءة تشديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لانه فى معنى الذين آمنوا وانفقوا ﴿ قوله معناه والقرآءة فى يضاعف مامرّ ﴾ اى فى سورة الفرقان فى تفسير قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب قال فيه يضاعف بدل من يلق لانه فى معناه وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او على الحال وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضاعف وقرئ يضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ﴿ قوله وهو مسند الى لهم ﴾ يعنى ان القائم مقام فاعل يضاعف اما الجار والمجرور بعده او ضمير التصدّق او التصديق على حذف المضاف اى يضاعف لهم ثواب التصديق ﴿ قوله اى اولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين ﴾ جواب عما يقال كيف حكم على كل من آمن بالله ورسله بانه هو الصدّيق والشهيد مع ان الظاهر ان كل واحد منهما اخص من المؤمن لان الصدّيق هو السابق الى التصديق والشهيد من استشهد فى سبيل الله * اجاب عنه اوّلا بان قوله اولئك هم الصدّيقون والشهدآء اى على سبيل التشبيه ثم بين تعالى وجه التشبيه بقوله لهم اجرهم ونورهم اى لهم اجر مثل اجر الصدّيقين والشهدآء ولهم نور مثل نورهم * ولما ورد ان يقال كيف يسوّى بينهم فى الاجر ولابدّ من التفاوت * اجاب عنه بقوله لكنه من غير تضعيف اى انه تعالى يعطى المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى اجرهم مع اضعافه اجر اولئك واجاب ثانيا بان المراد بالصدّيق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذى ذكرته بل الصدّيق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق والشهيد من يشهد لله تعالى بالوحدانية وباتصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل بقيامهم بمقتضى الرسالة من الدعوة والتبليغ اومن يشهد على الامم كما قال تعالى لتكونوا شهدآء على الناس والمراد انهم عدول يوم القيامة تقبل شهادتهم للعباد وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن كذلك ثم نقل جوابا آخر وهو ان قوله تعالى والشهدآء عند ربهم جملة اسمية والمراد بهم الانبياء اوالذين استشهدوا فى سبيل الله فلا يلزم ان يكون كل مؤمن شهيدا ﴿ قوله او الاجر والنور الخ ﴾ اى ويجوز ان تكون الضمائر فى قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين آمنوا بالله ورسله

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر امور الدنيا اعنى مايتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدًّا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرّر ذلك بقوله (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحرّاث او الكافرون بالله لانهم اشدّ اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لايتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفرّ ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على مايوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها (سابقوا) سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار (الى مغفرة من ربكم) الى موجباتها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فاظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض (اعدّت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره (ما اصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة اوللارض اوللانفس (ان ذلك) ان ثبته فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدّة والمدّة

و يكون المعنى لهم الاجر والنور الموعود ان لهم فلاحاجة حينئذ الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يسوّى بينهم فى الاجر ولابدّ من التفاوت حتى يحتاج الى دفعه ﴿ قوله ثم قرّر ذلك ﴾ فان محل الكاف فى قوله كمثل اما النصب على انه حال من الضمير فى لعب لانه بمعنى الوصف او من معنى ماذكر اى انها لعب تشبه غيثا او تثبت بهذه الصفات مشبهة غيثا واما الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة او خبر لمبتدأ محذوف اى مثلها و صفتها العجيبة مثل صفة غيث و نبات الغيث ماينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا اما الحرّاث لانهم يكفرون البذر اى يغطونه ويسترونه بتراب الارض واما الكفار بالله تعالى ﴿ قوله ثم يهيج ﴾ اى ييبس بعد زمان قريب يقال هاج النبت هياجا اى يبس ﴿ قوله ثم عظم امور الآخرة ﴾ معطوف على قوله حقر امور الدنيا ﴿ قوله تعالى فى الآخرة ﴾ خبر مقدم ومابعده مبتدأ والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو داخلة فى حيز قوله اعلموا أخبر الله تعالى بعد بيان ان الحياة العاجلة لايتوصل بها الى الفوز ان فى الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى سبق رحمة الله تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بسبق المغفرة والرضوان الذى هو اعظم السعادات ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ماذكره من تحقير امور الدنيا بقوله وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور وهو المتاع الذى يميل اليه الطبع اوّل ما رآه اغترارا بما لاح فى ظاهره من جهة الحسن كالاوانى المتخذة من الزجاج والحلى المموّه بماء الذهب فان اخذه احد اغترارا بما ظهر على ظاهره واراد ان ينتفع به يتسارع اليه الهلاك ويتبين انه زخرف لاقيمة له ولارواج فكذلك الدنيا فى حق من آثرها النفس ذاتها واراد ان يتمتع بها فان أفضل مافيها من النعيم هى الحياة فمن صرفها الى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذى يفعله الصبيان فانهم يتعبون انفسهم فى ذلك غاية التعب ثم تنقضى تلك المتاعب عن قريب من غير فائدة وبمنزلة اللهو الذى يفعله الشبان فان من اشتغل به لايبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة حيث يرى المال ذاهبا والعمر خائبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانها فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضارّ مجتمعة عن سعيد بن جبير قال الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة واما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعمت الوسيلة ثم انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الآخرة وفخم شأنها حث على المسارعة الى نيل ماوعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال سابقوا والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لايسابق اليها حقيقة والمضمار مايضمر فيه الخيل وتضمير الفرس بان تعلفه حتى يسمن ثم تردّه الى القوت وذلك يكون فى اربعين يوما وهذه المدّة تسمى مضمارا ويسمى به الموضع الذى يضمر فيه الخيل ايضا ﴿ قوله وقيل المراد به البسطة ﴾ اى لا العرض الذى هو فى مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا ﴿ قوله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة ﴾ لان مالم يخلق بعد لايوصف بانه اعدّ وهيّئ ﴿ قوله وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه ﴾ اذ ذكر ان الجنة اعدّت لمن آمن ولم يذكر مع الايمان شئ آخر وقالت المعتزلة هذه الآية لايمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاوّل ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لاتفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والثانى انها لو كانت موجودة الآن لكانت فى احدى السموات السبع وماكان فى واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضه كعرض السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لابدّ من التأويل وذلك بان يقال انه تعالى لما كان قادرا لايعجز عن شئ وحكيما لايصح الخلف فى وعده وقد وعد بالجنة لكل من آمن واطاع كانت الجنة كالمعدّة المهيئة لهم بناء على ان كل ماسيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا اذا عزم عليه وان لم يحضره بعد والجواب ان قوله كل شئ هالك عام وقوله اعدّت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص واذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص يخصص العام مطلقا اى سواء علم تاريخ نزولهما وايهما نزل اوّلا اولم يعلم هذا عند الشافعية وذهبت الحنفية الى ان المتأخر فى النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولايحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية واما قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت فى احدى السموات ومايكون فى واحدة منها لايكون عرضه كعرض كل السموات والارض فالجواب عنه انها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عليه الصلاة والسلام * سقف الجنة عرش الرحمن * ولا بعد فى كون المخلوق فوق الشئ اعظم منه الا ترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه فوق السماء السابعة ﴿ قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الآية ﴾ وان كان حثا على مكارم الاخلاق

ن الصبر على الضرآء والشكر على السرآء وتمهينا لارذيلتين اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدّى الى الأشر والبطر
الخروج عن حدّ الشكر والتحزن على مافات منها حزنا مطغيا مخرجا عن حدّ الصبر والرضى بالقضاء الا ان المقصود
لاهم منه الحث على الجهاد كما هو المقصود بما سبق من قوله تعالى ومالكم ان لاتنفقوا فى سبيل الله وقوله لايستوى
كم من انفق من قبل الفتح وقاتل الى آخر الآيات ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة
ن ان المؤدّى الى الجنة او النار مما صدر من بنى آدم لايكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع الموجودات مثبتة
ى اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجادها الى الموادّ الخارجية واحدا بعد واحد فالاوّل
و المسمى بالقضاء والثانى هو المسمى بالقدر *قال الامام انه تعالى لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة فى الكتاب
ن حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها فى الكتاب محال وخص من الحوادث مايتعلق بالارض
بالانس ولم يدخل فيها احوال السموات ومايتعلق بها مما يكون من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الارضية
الانسية وفى كل ذلك اشارات واسرار وهذه الآية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود
كتوبة فى اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك لتستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع
الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع علمه
ايقدمون عليه من المعاصى علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة ﴿قوله اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا﴾ يعنى ان اللام
ى قوله لكيلا متعلقة بما يدل عليه قوله الا فى كتاب ﴿قوله ليعادل مافاتكم﴾ فان أتاكم ذكر فى مقابلة فاتكم والفعل
ى قوله فاتكم للفائت فينبغى ان يكون فى مقابله ايضا للآتى لا للمؤتى ووجه من قرأ آتاكم بالمدّ ماذكره المصنف من
الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لابدّ له من سبب بخلاف فواتها وقوله وقرأ ابو عمرو بما اتاكم اى مقصورا من
الاتيان اى بما جاءكم قال ابو علىّ الفارسى لان اتاكم معادل لقوله فاتكم للفائت فكذا ينبغى ان يكون فى مقابلة الآتى
قوله بما اتاكم وقرأ باقى السبعة آتاكم ممدودا من الايتاء اى بما اعطاكم اياه ووجه هذه القرآءة اى القرآءة الممدودة
ى بمعنى الاعطاء من الايتاء مافيها من الاشعار الذى ذكره المصنف حيث قال وعلى الاوّل فيه اشعار بان فواتها
حقها الخ ﴿قوله والمراد به﴾ اى بقوله لكى لاتأسوا ولاتفرحوا اى ليس المراد به نفى الاسى والفرح على
الاطلاق فانه مامن احد الا وهو يفرح بنعمة الله تعالى ويحزن على فواتها وليس مجرّد الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم
هما مايؤدّى الى مالايجوز من البطر والاختيال والافتخار بازخارف الفانية على الناس والنظر اليهم بعين الاحتقار
من عدم الرضى بالقضاء والتسليم لامر الله واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لايحب كل مختال
ى فرح يخرجه فرحه عن حدّ الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتى من النعم على الناس قيل لبزرجمهر ايها الحكيم
لك لاتحزن على مافات ولاتفرح بما هو آت قال لان الفائت لايتلافى بالعبرة والآتى لايستدام بالحبرة ويؤيد هذا
معنى قوله عليه الصلاة والسلام *من عرف سرّ الله فى القدر هانت عليه المصائب* وكيف لايهون عليه ذلك وقد علم
وقوع كل ماوقع واجب وعدم كل مالم يقع واجب ايضا من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذى
ون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبته كذلك فى اللوح المحفوظ فلو لم يكن على الوجه الذى تعلق به العلم
القضاء الازلى لانقلب العلم جهلا فمن علم ان الامر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولايشتدّ فرحه بحدوث
آرب حيث علم ان الامر منوط بمجرّد المشيئة الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها ﴿قوله فان المختال بالمال
ضنّ به غالبا﴾ علة لكونه بدلا من كل مختال على معنى لايحب الذين يبخلون فان من فرح بالمال فرحا مطغيا واختال
فتخر به على الناس فانما يفعله لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه ان يبخل به عن الصرف الى حقوق الله تعالى
﴿قوله خبره محذوف﴾ وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غنى عنهم ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر فان الله
نى﴾ اى باسقاط لفظ هو لسقوطه فى مصاحف المدينة والشام وقرأ الباقون باثباته لثبوته فى مصاحفهم فاتبع كل فريق
امه من المصاحف ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى مايوجب المغفرة والجنة ولم يفصل ان موجباتها ماهى
ل ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان اى ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله
باب العقائد والاخلاق واعمال الجوارح واستعمل الميزان فى معاملة الخلق فقد سارع الى مايوجب المغفرة
لجنة ﴿قوله اى الملائكة﴾ قدّم هذا الاحتمال لان قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان يدل على ان الرسل منزلون
نهم يصحبون الكتاب حال النزول والانبياء ليسوا بمنزلين فضلا عن ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء

(لكيلا تأسوا) اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا (على مافاتكم) من نعيم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاوّل فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلابدّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله (والله لايحب كل مختال فخور) اذ قل من يثبت نفسه حالى السرآء والضرآء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضنّ به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنىّ الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضرّه الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنىّ (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم (بالبينات) بالحجج والمعجزات

يكون معهم حالا مقدرة من الكتاب اى انزلناه صائرا معهم ﴿قوله تعالى ليقوم﴾ متعلق بانزلنا والقسط العدل اى
انزلناهما لتحقق الناس ماامروا به من العدل باتباع الكتاب واستعمال الميزان فينتظم به امر دينهم ودنياهم بسلوك
الصراط المستقيم الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنات ﴿قوله وانزاله انزال اسبابه﴾ يعنى ان
الميزان بمعنى مايوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر فالمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال ههنا
بمعنى الانشاء والهيئة كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل هو من باب علفتها تبنا وماء باردا
وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى والسماء رفعها ووضع
الميزان والمراد بوضعه الامر باستعماله وروى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام
وقال مر قومك يزنوا به وقيل المراد بالميزان العدل وبانزاله انزال الامر به ﴿قوله تعالى فيه بأس شديد﴾ جملة
حالية من الحديد قيل معناه فيه من خشية القتل خوف شديد وقال محيى السنة فيه قوة شديدة فى الحرب وفى الصحاح
البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى انه متخذ منه آلتان للحرب آلة الدفع
وآلة الضرب قال اهل المعانى معنى انزلنا الحديد احدثناه وانشأناه كما فى قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
وقوله وانزلنا عليكم لباسا وذلك ان اوامر الله تعالى واحكامه تنزل من السماء وروى انه عليه الصلاة والسلام
قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل النار والحديد والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله
عنه قال نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة السندان
روى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركى اورس والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد وهو مايحدّ به
الحديد والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركى چكوج فعلى هذا الانزال على حقيقته
وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد بعد قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى
ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال مايوزن به يتوقفان على وال صاحب سيف يقيم به امر السياسة ويقهر به
من تجاوز القسط وتعدى وظلم فان الظلم من شيم النفوس الامارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم ثم قال
ومنافع للناس اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ماتوقف عليه التعايش من
الصنائع وآلات المحترفة ﴿قوله والعطف على محذوف﴾ يعنى ان قوله تعالى وليعلم الله معطوف على علة محذوفة
يدل عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اى ليقاتلوا وينتفعوا به وليعلم الله
حذف ماحذف اعتمادا على قيام مايدل عليه وللدلالة على ان المقصود الاصلى من انزال الحديد هو المذكور فعلى
هذا تكون اللام متعلقة بقوله وانزلنا الحديد ويحتمل ان تكون متعلقة بمحذوف معطوف على انزلنا ﴿قوله بالغيب
حال من المستكن فى ينصره﴾ اى ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا احكام الآخرة ولا احدا من رسله
فان المعتبر فى الطاعة ماوقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد بالغيب الغيبة عن التصور ويجوز
ان يكون المراد بها الغيبة عن الناس اى ينصر دين الله وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح
مجاهدة لاعلاء الدين بالغيب اى ملتبسا بالغيبة عمن يراه من الناس اى يفعل مافعله عن اخلاص لا كالمنافق
الذى يفعل اذا رآه الناس ولا يفعل اذا غاب عنهم واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله وليعلم الله ونحن نقول
المعنى ليعلم الله من ينصر دينه ورسله موجودا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم فى الازل بانه سيوجد ثم انه
تعالى لما اجمل ذكر الرسل الملتبسين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وانزل الحديد
ذا البأس الشديد يستعين به الخلق فى نصرة الدين وتقوية المرسلين فصل ههنا ما اجمله من ارسال الرسل بالكتب
فقال ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وقدم قوله فى ذريتهما وهو ثانى مفعولى جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص
فانه ماجاء بعدهما احد بالنبوة الا كان من اولادهما ﴿قوله بان استنبأناهم﴾ اى استنبأنا بعضا من ذريتهما
لان جعل الذرية ظرفا للنبوة يدل على كونها فى بعض منهم والكتاب هو الوحى المتلو الذى من شأنه ان يكتب وقيل
هو مصدر بمعنى الكتابة يقال كتبت كتابا وكتابة وهو الخط بالقلم والفاء فى قوله فمنهم للتعقيب فى الذكر لان تفصيل
المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكره من الامرين
﴿قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ اى اتبعنا على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم
المدلول عليه بقوله ارسلنا ﴿قوله او من عاصرهما﴾ معطوف على قوله من ارسلا اليهم احتاج الى ان يعتبر معهما

(وانزلنا معهم الكتاب) ليبين الحق ويميز
صواب العمل (والميزان) ليسوّى به
الحقوق ويقام به العدل كما قال (ليقوم الناس
بالقسط) وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده
وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام
ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
به الاعداء كما قال (وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع
للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها
(وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال
الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على
محذوف دل عليه ماقبله فانه حال يتضمن تعليلا
او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله
(بالغيب) حال من المستكن فى ينصره (ان
الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه
(عزيز) لايفتقر الى نصره وانما امرهم
بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال
فيه (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى
ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب
الخط (فمنهم مهتد) فمن الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ارسلنا (وكثير منهم
فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم
والدلالة على ان الغلبة للضلال (ثم قفينا على
آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم) اى
ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى
والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم
او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان
الرسل المقفى بهم من الذرية

ارسلا اليهم او من عاصرهما لاقتضاء ضمير الجمع فى قوله على آثارهم ذلك برسلنا موسى و الياس و داود وسليمان
ونس وغيرهم وعيسى من ذرية ابراهيم من جهة الام كما انه من ذرية نوح ايضا يقال قفوت اثره اقفو قفوا اى
عته وقفيت على اثره بفلان اى اتبعته اياه ﴿قوله وامره اهون﴾ اى امر فتح همزة أنجيل اهون من فتح باء
طيل لان انجيل لفظ اعجمى فلا محذور فى كونه مخالفا لاوزان العرب بخلاف برطيل فانه لفظ عربى فبفتح الباء فيه
ار بحيث لم يوجد له نظير فى الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف مالو كسر الباء فيه فان له نظائر كثيرة فى الالفاظ
ربية كالقنديل والاحليل والابريق والاكسير والبرطيل حجر مستطيل يدخل فى الحلق لاجل التداوى به شبهت
شوة به فسميت برطيلا على طريق الاستعارة واللغة الشائعة برطيل بكسر الباء ويستعمل بفتح الباء ايضا بطريق
شذوذ والمراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون واتباعهم قيل الرأفة اللين والرحمة الشفقة والمراد بهما
الآية المودة فكان بعضهم يود بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء بينهم ﴿قوله اى وابتدعوا
هبانية﴾ على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير ﴿قوله
رهبانية مبتدعة﴾ على ان تكون معطوفة على قوله رأفة ورحمة مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة
هبانية وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير ويرد على هذا ان يقال كيف تكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله
لى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم وهما متنافيان بحسب الظاهر والجواب عنه منع التنافى بناء على ان الرهبانية
ى الفعلات المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات وترك العادات ولزوم الخلوات من الافعال التى يكون
رة الانسان واكتسابه مدخل فيها بخلاف الرأفة والرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان
ما فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى وتوصيف ما يكون بكسب الانسان واختياره بانه
دع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق والايجاد والى العبد بالكسب والاختيار ويرد
ى الاعراب الاول ان يقال كيف يجوز ان تكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدرة المفسر بالظاهر مع ان جعل
هبانية مبتدعة منهم فى مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث
قل العبد بفعلها وهو مذهب اهل الاعتزال والجواب عنه ما مر من ان اسناد ابتداعها اليهم لا يستلزم استقلال
رتهم بها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور والرهبان بفتح الرآء صفة مشبهة كالعطشان ابلغ من الراهب بمعنى
ائف يقال رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبا بالضم ورهبانا بالفتحات الثلاث اى خاف فهو راهب
هبان والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان للمبالغة فى العبادة ﴿قوله كأنها منسوبة الى الرهبان﴾
م الرآء لم يجعلها منسوبة حقيقة بل جعلها مصدرا كالرهبانية لانه لا ينسب الى الجمع وهو باق على صيغته بل
الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال فى النسبة الى المساجد مثلا مسجدى ولا يقال مساجدى ثم قد يكون لفظ
ع لكونه اسما لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها وان كان جمعا فى نفسه فينسب اليه وهو باق على صيغته فيقال
النسبة الى الانصار والاعراب والفرآئض انصارى واعرابى وفرآئضى قيل فى وجه ابتداع النصارى الرهبانية
خذها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام فقاتلوهم ثلاث
ات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فقالوا لا نقاتلهم مرة اخرى والا افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا
ى نتفرق فى الارض ونتجرد فيها للعبادة فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة
حملوا المشاق على انفسهم بالامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعبد فى الجبال والغيران والكهوف والديارات
صوامع عن ابن عباس رضى الله عنه قال ان فى ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام غير الملوك
وراة والانجيل وساح قوم فى الارض متعبدين ﴿قوله وقيل متصل﴾ اى قيل انه استثناء متصل مما هو
ول لاجله والمعنى ما كلفناهم بها وما طلبنا منهم ان يفعلوها بشئ مما من الاشياء من دفع العقاب عنهم وحصول
واب والرضوان لهم الا ابتغاء رضوان الله فصار المعنى كتبناها عليهم وامرناهم بها ابتغاء مرضاة الله وهذا
ى مجاهد وقوله وهو اى كونها مكتوبة عليهم ندبا وابتغاء لمرضاة الله يخالف قوله تعالى ابتدعوها لانه يفهم
انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم وانها لم تكتب الا ان يقال لا تنافى بين كونها مكتوبة عليهم وبين اختراعهم اياها
تلقاء انفسهم لان التنافى انما يكون ان لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع وليس بلازم وقوله او ابتدعوها
وايها اولا اى قبل سائر الناس والحديث ضد القديم واستحدثوها اى فعلوها حدثا جديدا لم يسبقهم سائر الناس

(وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رءآفة على فعالة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع الراهب كراكب وركبان (ما كتبناها عليهم) ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم

فيها و الابتداع بهذا المعنى لاينافى كونها مكتوبة عليهم و اتيانهم بها بعد الكتبة و الابتداع بناء عليها ﴿قوله استثناء منقطع﴾ لان المستثنى هو الابتداع المقارن بالابتغاء و وجه الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد و التذليل المتناول للايجاب و الندب او كون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كأنه قيل ما تعبدناهم بالرهبانية لشئ من الاشياء و اعتبر معه كون الكتبة متناولا للايجاب و الندب ليصح حصر العلة فى الابتغاء فان كتبنا لوكان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لان من فعل الواجب لايفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا و بهذا التوجيه و ان صح الاتصال و الحصر الا انه يبقى ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافى ابتداعهم اياها فاجاب عنه اولا بجواز ان يكون الندب بعد الابتداع و ثانيا بجواز ان يكونوا ندبوا اليها من اول الامر و ان يكون معنى الابتداع الانتداب اليها اولا ﴿قوله فارعوها جميعا﴾ جعل الضمير المرفوع فى قوله فارعوها للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجميع لان بعضهم قد رعاها بدليل قوله فآتينا الذين آمنوا فان معناه آتينا الذين رعوها حق رعايتها و ثبتوا على ما التزموه ولم يضيعوا شيأ من حقوقه التى من جملتها الايمان بنبى آخر الزمان صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة و السلام * من آمن بى و صدقنى و اتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون * وحق رعايتها منصوب على انه مفعول مطلق لقوله فارعوها كقولك ما عرفناك حق معرفتك اى كمال معرفتك وفى الآية دليل على ان من شرع فى فعل لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه اتمامه و رعايته و ان شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق اسم الفسق و الوعيد روى عن ابى امامة الباهلى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * احدثتم قيام رمضان و لم يكتب عليكم قيامه و انما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام اذا فعلتموه و لاتتركوه فان ناسا من بنى اسرآئيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فارعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال و رهبانية ابتدعوها الآية * ثم انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلاة و السلام ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق الا انه عبر عنه بلفظ آتينا بناء على تحقق وقوعه و لم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود و النصارى فامرهم بتقوى الله و الايمان بسيد المرسلين عليه و عليهم الصلاة و السلام و وعدهم ايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به و بمن قبله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية بين به ان الاجر الموعود لمن آمن به من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين عليهم عليه الصلاة و السلام و بين ايضا ان الاجر الموعود كفلان * و لما ورد ان يقال هذا معقول فى حق من آمن بعيسى وراعى دينه الى ان بعث نبينا عليهما الصلاة و السلام لانه قد استمر على الدين الحق الى ان نسخ و تبين عنده حقية الدين الناسخ وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثانى فاستحق بذلك لان يعطى كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى عليه الصلاة و السلام فليست اليهود على الدين الحق حتى آمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم فكيف يثابون على دينهم السابق * اجاب عنه بقوله و لايبعد الخ و لم يرض المصنف بقول من قال الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره عليه الصلاة و السلام لما ثبت ان قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزل فى من آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبد الله بن سلام و اضرابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف اجرهم ﴿قوله يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم﴾ وهو النور الذى يمشون به فى الآخرة على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيامة يبرزلهم من صحائف اعمالهم وقيل المراد به الهدى و البيان الذى يتبعه المؤمن و سلك به سلوكا معنويا الى جناب القدس وهو سبيل واضح يؤدى سالكه الى مرضاة الرحمن ﴿قوله و لامزيدة﴾ فانها تزاد كثيرا كما فى قوله تعالى ما منعك ان لاتسجد و اللام فى قوله تعالى لئلا يعلم متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله و تؤمنوا برسوله يؤتكم كذا و كذا ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا عصره عليه الصلاة و السلام ولم يؤمنوا به ان الشان لايقدرون اى ليعلموا عدم قدرتهم على شئ مما ذكر من فضله وهما الكفلان من رحمته و النور و المغفرة و يعلموا ان الفضل بيد الله يتفضل به على من يشاء من عباده فيؤتى المؤمنين منهم اجرين و نورا و مغفرة ﴿قوله وهو مشروط بالايمان به﴾ لان قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر ان المضارع انما يجزم بعد الامر لتضمن الامر معنى الشرط و كون المضارع المجزوم فى موضع الجزاء له و متوقفا على حصوله و ذلك لان الفعل المطلوب بصيغة الامر

(فارعوها) فارعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث و القول بالاتحاد و قصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة و السلام و نحوها اليه (فآتينا الذين آمنوا) اتوا بالايمان الصحيح و حافظوا حقوقه و من ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة و السلام (منهم) من المتسمين باتباعه (اجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا ايها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (و آمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة و السلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد عليه الصلاة و السلام و ايمانكم بمن قبله و لايبعد ان يثابوا على دينهم السابق و ان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره (و يجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (و يغفر لكم) الكفر و المعاصى (و الله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) اى ليعلموا و لا مزيدة و يؤيده انه قرئ ليعلم و لكى يعلم و لان يعلم بادغام النون فى الياء (ان لايقدرون على شئ من فضل الله) ان هى المخففة و المعنى انه لاينالون شيأ مما ذكر من فضله و لا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به

يكون مطلوبا لنفسه فلا يجزم بعده الفعل و قد يكون مطلوبا لغيره فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه فى معنى
زآء لما قبله و معنى كون الفعل المطلوب بصيغة الامر مطلوبا لغيره كون ذلك الغير متوقفا على حصوله و توقف
ره عليه هو معنى كونه شرطاله * روى ان اهل الكتاب و هم بنوا اسرآئيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل
ديان بسبب كونهم اهل الكتاب و يقولون الوحى و الرسالة فينا و الكتاب و الشرع ليس الا لنا و انه تعالى خصنا بهذه
ضيلة العظيمة من بين جميع العالمين فانزل الله تعالى هذه الآية فخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم
م ان تتقوا الله و تؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى فى الآخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك و بيناه لكم ليعلم
ل الكتاب ان الشأن لا اجر لهم و لا نصيب من فضل الله و ان كانوا مجتهدين فى التدين بدين من بعث قبله لانه كفر
رض الله عليهم فى ذلك الوقت فاحبط اعمالهم و المقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه
صلاة و السلام من اهل الكتاب اعتقاد انهم مفضلون على سائر اهل الاديان من حيث كونهم اصحاب كتاب
ى فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه ابدا و كون من تمسك به مفضلا على غيره لان
كمة الالهية قد تقتضى كون بعض احكامه موقتا بوقت متعين فينتهى ذلك الحكم بمجيئ ذلك الوقت و يكون
سوخا فيه و يظهر بعد ذلك حكم جديد و لا فضل للمرء فى اتباع الحكم المنسوخ و انما الفضل بتقوى الله تعالى و طاعته
كلف به فى كل وقت فلذلك كان اجر من اتبع الدين القويم و دام على اتباعه الى زمان بعثة نبينا صلى الله عليه و سلم
ذا علم بعثته آمن به و اتبع دينه ضعف اجر من مات قبله و امامن ادرك عصره و لم يؤمن به فليس له شيء من الاجر
ون اعماله محبطة بالكفر به ﴿ قوله او لا يقدرون على شيء من فضله الخ ﴾ فانهم كانوا لا يعدونه عليه
صلاة و السلام اهلا لان يبعث رسولا و ينزل عليه الكتاب و يقولون لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
ظيم فبين تعالى بهذه الآية ان من آمن به عليه الصلاة و السلام هو الذى يضاعف اجره و يجعل له النور و المغفرة
قال فعلنا ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف فى امر النبوة و قيل كلمة لا ليست بمزيدة و ان الضمير فى لا يقدرون
س لاهل الكتاب بل هو للنبي و المؤمنين و المعنى فعلنا ذلك و بيناه لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشأن لا يقدر النبي
لمؤمنون به على شيء من فضل الله * و لما ورد ان يقال كيف يصح هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون المعنى و لئلا يعلم
ل الكتاب ان الفضل بيد الله و من المعلوم ان انتفاء علمهم به ليس مما يصح ان يقصد فضلا عما ذكر و وجه الملازمة
قوله و ان الفضل بيد الله معطوف على مفعول العلم المنفى البتة فيلزم ان يكون المعنى ما ذكر * اشار الى دفعه بقوله
كون و ان الفضل عطفا على ان لا يعلم اى لا نسلم كونه معطوفا على مفعول العلم المنفى بل هو علة معطوفة على العلة
سابقة اى فعلنا ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرون على شيء و يعتقدوا و يعلموا ان الفضل بيد الله
يس فى هذا القول الازيادة اضمار فى قوله و ان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام و يعتقدوا ان الفضل بيد الله
ما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى جعل اللفظ الموجود صلة و الاضمار اولى من الحذف ﴿ قوله فيكون و ان
فضل عطفا على ان لا يعلم ﴾ اى بتقدير فعل و تقدير الكلام لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشان لا يقدر النبي
ن آمن به على شيء من فضل الله و ليعتقدوا ان الفضل بيد الله قيل و ليس فى هذا القول الازيادة اضمار و هى
له و ليعتقدوا ان الفضل و اما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شيء موجود ملحوظ و من المعلوم ان الاضمار
لى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا و اما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره
همالباطل فعلنا ان هذا القول اولى ﴿ قوله و قرئ ليلا ﴾ بكسر اللام الاولى و اسكان الياء بعدها
لاصل لأن لا يعلم حذفت همزة أن فبقيت لن لا فادغمت النون فى اللام فبقى للا فاجتمع ثلاث لامات فثقل النطق
فابدلت الوسطى منهن ياء تخفيفا كما قالوا دينار فى دنار و ديوان فى دوان ﴿ قوله و قرئ ليلا ﴾ بفتح اللام
ولى و اسكان الياء بعدها اصله لان لا يعلم على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر كما يفتحها مع المضمر بناء على ان الاصل
الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة ان فصار لن لا فادغمت النون فى اللام فصار للا ثم ابدلت اللام الوسطى
فصار ليلا و قرأ العامة لئلا بكسر لام كى و بعدها همزة مفتوحة محققة و ورش يبدلها ياء محضة و هو تخفيف
ى نحو مية و فية فى مئة و فئة * تم هنا ما يتعلق بسورة الحديد و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد
على آله و صحبه اجمعين

﴿ سورة المجادلة مدنية فى قول الجميع الا فى رواية عن عطاء انه قال العشر الاول مدنى و باقيها مكى و قال ﴾

او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه و هو النبوة فيخصونها بمن ارادوا او يؤيده قوله (و ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم) و قيل لا غير مزيدة و المعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي و المؤمنون به على شيء من فضل الله و لا ينالونه فيكون و ان الفضل عطفا على ان لا يعلم و قرئ ليلا و وجهه ان الهمزة حذفت و ادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء و قرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله و رسوله

﴿ سورة المجادلة مدنية و قيل العشر ﴾
﴿ الاول مكي و الباقي مدني و آيها ﴾
﴿ ثنتان و عشرون ﴾

الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ﴿قوله ظاهر منها﴾ اى قال لها زوجها اوس انت علىّ كظهر امى وكان به لمم فاشتدّ به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية فقال لها ما اراك الا وقد حرمت علىّ فقالت والله ما ذكرت طلاقا وكان ذلك اوّل ظهار وقع فى الاسلام ولم يتبين بعد حكمه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه عليه الصلاة والسلام فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الىّ ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه الصلاة والسلام * ما اراك الا وقد حرمت عليه * فهتفت وشكت وذكرت فاقتها ووحدتها حيث كان اهلها منقرضين ولم يبق منهم احد وقالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم الىّ جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا فاعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الاوّل فقال * ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اؤمر فى شأنك بشئ * فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك ما صنع بى زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صحبتى ونفضت له بطنى يعنى انى بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة رضى الله عنها تغسل الشق الآخر من رأسه صلى الله عليه وسلم وهى فى مراجعة الكلام معه عليه السلام وبث الشكوى الى الله تعالى فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها اى فى قول زوجها او فى شأنه ومجادلتها هى انه عليه الصلاة والسلام كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا قالت عائشة رضى الله عنها تبارك الذى وسع سمعه كل شئ انى لأسمع كلام خولة ويخفى علىّ بعضه وهى تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اى تخاطبه فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات الاربع وفى الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له فى مهمه احد سوى ربه كفاه الله ذلك المهم * روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرّ بهذه المرأة فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو رضى الله عنه واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف الطويل فقال والله لو حبستنى من اوّل النهار الى آخره لمازلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ﴿قوله وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع﴾ كلمة قد لابد ان تفيد معنى التحقيق ثم انه قد يضاف اليه فى بعض المواضع اذا دخلت على الماضى التقريب من الحال مع التوقع فتدل على ان الكلام المصدّر بها المتوقع للمخاطب واقع عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اى حصل عن قريب ما كنت تتوقعه وكلمة قد تدل على ثلاثة معان التحقيق والتوقع والتقريب وفى الصحاح قد حرف لا تدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لما يفعل وزعم الخليل ان هذا لمن ينتظر الخبر تقول قد مات فلان لمن يتوقع موته ولو اخبرته به وهو لا ينتظره لم تقل قد مات فلان ولكن تقول مات وقد تكون قد بمعنى ربما انتهى وأثر المصنف او فى قوله او المجادلة ايذانا بان التوقع من احدهما يكفى لمجئ قد فحينئذ تكون او لمنع الخلوّ دون الجمع ﴿قوله تعالى والله يسمع تحاوركما﴾ اى تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والخطاب فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المرأة التى ذكرت بلفظ الغيبة تغليبا للخطاب على الغيبة روى انه لما نزلت هذه الآيات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقرأ عليه الاربع آيات فقال هل تستطيع العتق قال لا والله قال هل تستطيع الصوم قال لا والله انى لو لم آكل فى اليوم مرّة او مرّتين لكل بصرى ولظننت انى اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعيننى منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثلها فتصدّق به على ستين مسكينا قيل الظهار ليس بمشتق من الظهر الذى هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر فى هذا الموضع من سائر الاعضاء التى هى مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ههنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه وكل من علا شيأ فقد ظهره به سمى المركوب ظهرا لأن راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن علوّه عليها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال

من ناحية الظهر فكان امرأة الرجل مركب للرجل وظهر له ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امرأتي اي طلقتها وفي قولهم انت عليّ كظهر امي حذف واضمار لان تأويله ظهرك عليّ حرام اي ملكي اياك وعلوّي عليك حرام كما ان علوّي على امي وملكي عليها حرام عليّ فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والآدمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الآدميات انما يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب والاستعلاء ﴿قوله وفي منكم تهجين لعادتهم فيه﴾ جواب عما يقال قوله تعالى منهم لا يخلو اما ان يكون خطابا للعرب مطلقا او للمسلمين منهم وعلى كل واحد من التقديرين يلزم ان يكون حكم الظهار مختصا بالعرب او بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم ولا اختصاص له بالعرب وهو ظاهر ولا بالمسلم عند الامام الشافعي فانه يصح ظهار الذمي عنده كما يصح طلاقه * وتقرير الجواب ان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتخصيص فائدة اخرى وقوله تعالى منكم له فائدة اخرى في هذا الموضع وهو تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الآية دليل على عدم صحة ظهار الذمي ونحن نقول انه تعالى خص المظاهر بكونه من المؤمنين وخص المظاهر منهنّ بكونهنّ من نساء المؤمنين فلا يصح ظهار الذمي ولا ظهار المؤمن من امته فانه قد صرّح في كتب الأئمة الحنفية بان شرط الظهار ان تكون المرأة منكوحة ويكون الرجل من اهل الكفارة حتى لا يصح ظهار الذمي وحكمه حرمة الوطئ والدواعي الى وجود الكفارة وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فقرّر الشرع اصله ونقل حكمه الى تحريم موقت بالكفارة * قال صاحب الكشاف في سورة الاحزاب كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل الجاهلية ووجه التوفيق انهم كانوا يعدّونه طلاقا مؤكدا باليمين على الاجتناب ﴿قوله واصل يظهرون يتظهرون﴾ من اظهر بمعنى تظهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر وادغمت التاء الثانية من يتظهرون في الظاء فصار يظهرون فهو من باب التفعل واصل اظاهر تظاهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون ادغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل ﴿قوله وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم﴾ فانهم لا يعملون ما بمعنى ليس بناء على ان اصل العوامل ان تختص بالقبيل الذي تعمل فيه من الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما تدخل على القبيلين غير مختصة باحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوّة مشابهتها بليس وهي اللغة الفصيحة التي ورد عليها القرآن الكريم قال تعالى ما هذا بشرا وعليها قرآءة الجمهور ههنا حيث قرأوا امهاتهم بالنصب اي بكسر التاء ﴿قوله بامهاتهم بزيادة الباء﴾ في خبر ما وهذه ايضا كقرآءة امهاتهم بكسر التاء مبنية على لغة اهل الحجاز فان الباء لا تزاد في خبر ما الا اذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بني تميم ﴿قوله اذ الشرع انكره﴾ اي انكر قوله وهو تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن ألحقه الله تعالى بامه فكان تشبيهها بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا شرعا والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب والبهتان فان قيل المظاهر انما قال انت عليّ كظهر امي انشاء لتحريم الاستمتاع بها فان حكم الظهار في الشرع ان يحرّم على الزوج وطأها بعد الظهار ما لم يكفر والكلام الانشائي لا يوصف بالكذب * قلنا ان قوله ان كان خبرا فهو كذب لا محالة وان كان انشاء فهو متضمن لكلام كاذب وهو الزوجة المحللة ملحقة بالام المحرّمة ابدا ولا شك انه كلام كاذب ﴿قوله مطلقا او اذا تيب عنه﴾ فان مغفرة ما دون الشرك من الكبائر مشروطة بالتوبة عند المعتزلة خلافا لاهل السنة فانهم يقولون انها غير مشروطة بالتوبة بل هي موكولة الى مشيئة الله تعالى ان شاء يغفر له ابتداء وان شاء يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخل الجنة برحمته ﴿قوله اي الى قولهم﴾ يعني ان اللام في قوله تعالى لما قالوا بمعنى الى لانهما يتعاقبان كثيرا نحو يهدي للحق والى الحق واوحى لها واوحى اليّ وان كلمة ما فيه مصدرية فكأنه قيل ثم يعودون الى قولهم اي يتداركونه بمعنى يدركونه ويصلون الى ما افسده ذلك القول والى ما فات عنهم بسببه من وجوه الانتفاع بالزوجات بالمنافع المتوقفة على قيام الزوجية يقال تدارك القوم اي تلاحقوا بان لحق آخرهم اوّلهم والذي يلوح من كلام المصنف انه فسر العود الى القول والى ما فات بسببه بالتدارك والوصول اليه على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشيء من اسباب الوصول اليه فاذا عاد الغيث على ما افسد بهدم شيء من البنيان واغراق بعض البساتين يراد به انه تدارك ووصل الى ما افسده بان جبره جبرا يعادله بل هو افضل منه وانفع من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشي وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك فلفظ العود فيه ايضا مجاز مرسل بمعنى

(الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت عليّ كظهر امي مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم انثى وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ما هنّ امهاتهم) اي على الحقيقة (ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم) فلا تشبه بهنّ في الحرمة الا من الحقها الله بهنّ كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهذه ايضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع انكره (وزورا) محرّفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام (وان الله لعفوّ غفور) لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اي الى قولهم بالتدارك اي منه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر منها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو اقل ما ينتقض به

التدارك والوصول والعود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى ما فارق عنه والآخر ان يصير ويتحوّل الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل العود والعود بهذا المعنى لا يلزم ان يكون رجوعا الى ما فارق عنه والعود الذى قلنا انه سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحوّل الى الشئ مطلقا والمثل المذكور يضرب لمن شرّه قليل ونفعه للناس اكثر من ضرره ومعنى الآية على هذا والله اعلم والذين يقولون قولا يقتضى بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية كالوطئ ودواعيه والامساك على سبيل الزوجية وذلك القول هو التشبيه المعهود فانه يحرّم عليهم جميع ذلك ويبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بان يفعلوا شيأ مما حرّموه به وفوّتوه على انفسهم فعليهم تحرير رقبة الخ وفعل ذلك المحرّم عليهم بسبب ذلك القول تدارك له اى لحوق لما فات منهم بسببه ونقض لما يقتضيه وهو الامتناع عنه ومعنى العود الى القول تدارك ما فات عنهم بسببه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرّم عليهم جميع ما يتوقف على قيام النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونفس هذا التشبيه منكر من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصلح سببا لوجوب الكفارة التى هى دائرة بين العبادة والعقوبة فعلق وجوبها بالظهار والعود جميعا فان العود لما فيه من معنى الامساك بالمعروف وتدارك ما افسده عليه بالقول المنكر يصلح سببا لوجوب الكفارة والتدارك والادراك معناه اللحوق والوصول يقال استدركه ما فات وتداركه اذا لحقه ووصل اليه والمصنف فسّر تدارك المظاهر ما فات منه بسبب الظهار بقوله وهو نقض ما يقتضيه قوله المنكر فان حكمه ومقتضاه هو التحريم وفوات حل الاستمتاع فمتى عاد المظاهر الى قوله وادرك ما فات عنه بسببه تجب عليه الكفارة ونظير عود المظاهر الى القول الذى فات عنه بسببه حل الاستمتاع بالمنكوحة بنقض حكم ذلك القول وابطاله عود الغيث على ما افسده بابطال اثره وتدارك ما فات بسببه ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الامام الشافعى هو امساكها عقيب الظهار وعدم تطليقها بطلاق بائن متصل بالظهار فان امساكها على وجه الزوجية زمانا يمكن تطليقها فيه عود الى القول ونقض لما يقتضيه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرّم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بها والامساك على وجه الزوجية فى ذلك القدر من الزمان اقل ما يستمتع به اذ به يحصل دفع الوحشة والاستئناس بها فى تلك المدّة فيكون الامساك المذكور نقضا لما يقتضيه قوله المنكر وتداركا لما فات بسببه وهو المراد بالعود فتجب الكفارة به وكون التدارك المذكور متراخيا عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة ثم من حيث الامساك المذكور لا يكون عودا ونقضا لمقتضى التشبيه الا بعد مضىّ زمان يمكن ان يطلقها فيه فلما توقف كونه عودا على مضىّ ذلك الزمان كان متراخيا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى العود المذكور عبارة عن استباحة شئ مما حرّم عليه بالظهار من نفس الجماع ودواعيه والعزم عليه وعند الامام مالك هو عبارة عن استباحة نفس الجماع والعزم عليه وعند الحسن بنفس الجماع لانه الاصل المقصود من عقد الزوجية وما عداه من التوابع والمقدّمات فيكون حكم الظهار ومقتضاه بالذات هو تحريم هذه المنفعة والامتناع عنها ونقض هذا الحكم انما يكون باتيان ضدّه الذى هو مباشرة نفس الجماع ﴿قوله او بالظهار فى الاسلام﴾ عطف على قوله بالتدارك يعنى انه قيل العود الى القول هو التكلم بالتشبيه المنكر فى الاسلام بعد ما تكلم به فى الجاهلية والتعبير عما سبق فى الجاهلية بلفظ المضارع للدلالة على اعتيادهم له واستمرارهم عليه فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه فى الجاهلية وكلمة ثم لاستبعاده فى حالة الاسلام وهذا القول يستلزم ان تجب الكفارة بمجرّد التكلم بالظهار فى الاسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار او مات المظاهر منها لزمته الكفارة بتحقق موجبها وهو مجموع الظهار والعود بالمعنى المذكور وهو تكلم لفظ الظهار فى الاسلام عودا وهو خلاف ما عليه علماء الامصار ﴿قوله او بتكراره﴾ وهو ايضا معطوف على قوله بالتدارك يعنى ان الظاهرية قالوا العود اعادة لفظ الظهار وتكراره حتى لو لم يكرّر لا كفارة عليه ثم ان التكرار لا يلزم ان يكون باعادة لفظ الظهار بل يكفى فيه اعادته معنى بان يحلف على ما قال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط وجوبها وهو العود الى الظهار لفظا او معنى ولو قال امرأتى علىّ كظهر امى ان فعلت كذا فتى فعل ذلك حنث فتكون مباشرته لذلك الفعل تكرارا للظهار معنى حيث صار مظاهرا بمباشرته بالسبب الذى صدر منه سابقا فيجب عليه الكفارة حين حنث لان شرط وجوبها وهو مجموع الظهار والعود تحقق حينئذ وانما قلنا مجموع الظهار والعود شرط لوجوب الكفارة لما تقرّر فى النحو ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل

وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار او كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم

ظرف يتضمن معنى الشرط و قدوقع المبتدأ فى الآية اسما موصولا صلته فعل وعطف عليه فعل آخر بكلمة ثم فلزم
ن يكون مجموع الفعلين شرطا لوجوب الكفارة ﴿قوله او الى المقول فيها﴾ عطف على قوله اى الى قولهم
فى الوجوه السابقة اوّل الفعل المصدّر بما المصدرية بالمصدر ثم ابقى المصدر على اصل معناه فكان المراد بما قالوا
قول حقيقة و فى هذا الوجه جعل المصدر المأوّل بمعنى المفعول اى المقول فيها و هى النساء المذكورة فى قوله تعالى
الذين يظاهرون من نساءهم و حذف لفظ فيها كما قالوا مشترك بمعنى مشترك فيه ثم العود الى النساء بتدارك مافات
نه فى حقهن ونقض حكم قوله المنكر يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول الامام
شافعى يكون بامساكهن مدة يمكن للظاهر ان يطلقهن فيها و على قول ابى حنيفة والامام مالك بالعزم على الاستمتاع
ن و على قول الحسن بوطئهن وعن الفرآء ان اللام فى قوله تعالى لما قالوا بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوه
ريدون الوطئ ﴿قوله فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة﴾ فعلى الاوّل يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ و خبره
حذوف اى فعليهم تحرير رقبة ويكون المبتدأ مع خبره فى محل رفع على ان الجملة خبر المبتدأ الاوّل و هو قوله والذين
ظاهرون و دخلت الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط و على الثانى يكون قوله فتحرير رقبة خبر مبتدأ محذوف
التحرير جعل الرقيق حرًّا ﴿قوله ومن فوآئدها الدلالة﴾ وجه الدلالة ان الفاء لما دلت على سببية مجموع
الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على وجوب تكرار الكفارة بتكرّر المجموع ضرورة ان تكرّر السبب يوجب
كرّر المسبب الا عند اتحاد المجلس كقرآءة آية السجدة فى موضعين ﴿قوله قياسا على كفارة القتل﴾ فان
رقبة مقيدة بالايمان فى كفارة القتل قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة فتكون مقيدة به فى كفارة الظهار ايضا و ان ذكرت
يها من غير تقييد فان الامام الشافعى رحمه الله تعالى يحمل المطلق على المقيد و ان ورد كل واحد منهما فى حادثة
على حدة غير الاخرى و ابو حنيفة لا يحمله عليه الا عند اتحاد الحكم والحادثة ﴿قوله لعموم اللفظ و مقتضى
التشبيه﴾ فان الآية قد اوجبت الكفارة قبل التماس فلزم ان يحرم التماس قبلها و لفظ التماس عام يتناول مس
كل واحد منهما الآخر وكذا مقتضى التشبيه و حكمه ان يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر فتكون الآية
دليلا على حرمة التماس مطلقا وكذا المس كما يتناول المس بالوطئ يتناول سائر ضروب المسيس فيحرم جميع
وجوه الاستمتاع انتهى ﴿قوله او ان يجامعها﴾ اشارة الى ان الامام الشافعى له قولان فى ان المحرّم بالظهار
ماهو قال الامام اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللامام الشافعى فيه قولان احدهما انه يحرّم الجماع فقط و القول الثانى
و هو الاظهر انه يحرّم جميع جهات الاستمتاع و هو قول ابى حنيفة ﴿قوله تعالى توعظون به﴾ الوعظ
النصح والتذكير بالعواقب و لما كان ايجاب الكفارة التى هى عقوبة السيئة دليلا على ان المظاهر قد ارتكب سيئة
موجبة للعقوبة كان موعظة رادعة عن ارتكابها ﴿قوله و الذى غاب ماله واجد﴾ اى و العاجز هو الذى
لا يملك الرقبة و لا قيمتها ﴿قوله و ان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع﴾ اى لا يلزمه استئناف الشهرين
عند الامام الشافعى لان التكفير بالصوم مشروط بالتتابع و قد وجد لان الليل ليس محلا للامساك عن المفطرات
خلافا لابى حنيفة و الامام مالك فانه يجب استئناف الشهرين عندهما لانه و ان لم ينقطع التتابع بالمس ليلا الا انه
قد فقد كون الكفارة قبل المسيس و قد شرط ذلك فى الكفارة بالصوم ايضا و من لم يوجب الاستئناف يقول نعم ان
تقديم صوم شهرين على التماس شرط الا انه على تقدير عدم الاستئناف يتحقق تقديم البعض عليه و على تقدير الاستئناف
يتأخر الكل فالاوّل اولى ﴿قوله ستين مدًّا﴾ المدّ ربع الصاع بالاتفاق بين اهل الحجاز و اهل العراق الا ان
اهل الحجاز فسروا المدّ بانه مكيال يسع رطلا و ثلث رطل و فسره اهل العراق بما يسع رطلين فالصاع الحجازى خمسة
ارطال و ثلث رطل و العراقى ثمانية ارطال و الرطل مائة و ثلاثون درهما عن انس رضى الله عنه انه عليه الصلاة
و السلام كان يتوضأ بالمدّ رطلين و يغتسل بالصاع ثمانية ارطال ﴿قوله او مرض مزمن﴾ اى ممتدّ لا يرجى
برؤه فانه بمنزلة العاجز بسبب كبر السنّ و يجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام والشبق شدّة اشتهاء الضراب فانه
عليه الصلاة والسلام امر سلمة بن صخر بان يعدل من الصيام الى الاطعام بسبب عجزه من التحرير والصيام لاجل شبقه
و يحتمل ان يكون الشبق متناولا لشدّة اشتهاء الطعام و قلة الصبر عنه لما روى انه عليه الصلاة و السلام قال لاوس
بن الصامت زوج خولة هل تستطيع الصوم قال لا والله ان اخطأنى ان آكل فى اليوم مرّة او مرّتين لكلّ بصرى
و لظننت انى اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا ﴿قوله وهو نظير قوله﴾ اى فى كونه من باب التغليظ

او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها (فتحرير رقبة) اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية و من فوآئدها الدلالة على تكرّر وجوب التحرير بتكرّر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل ان يتماسا) ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ و مقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) اى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة فيردع عنه (والله بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية (فمن لم يجد) اى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا) فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف و ان افطر بعذر ففيه خلاف و ان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة و مالك (فمن لم يستطع) اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفرط ان يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدًّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو رطل و ثلث لانه اقل ما قيل فى المخرج فى الفطرة و قال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من برّ او صاعا من غيره و انما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه فى خلال الطعام كما قال ابو حنيفة (ذلك) اى ذلك البيان او التعليم للاحكام و محله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله و رسوله) اى فرض ذلك لتصدّقوا بالله و رسوله فى قبول شرآئعه و رفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) لا يجوز تعدّيها (وللكافرين) اى الذين لا يقبلونها (عذاب اليم) و هو نظير قوله ومن كفر فان الله غنىّ عن العالمين

﴿قوله تعالى وتلك حدود الله﴾ اى الاحكام التى بيناها معالم فاصلة بين الحق و الباطل من تخطاها فقد تعدّى و ظلم نفسه و الحدّ النهاية الحاجزة بين الشيئين و تحديد الدار تعيين نهاياتها يقال فلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه شبه ماشرعه الله تعالى من الاحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فاطلق عليه اسم الحدّ والحدّ ايضا المنع ومنه قيل للبوّاب حدّاد لانه يمنع عن الدخول من غيراذن و يقال للسجان ايضا حدّاد لانه يمنع عن الخروج فالمحادّة مفاعلة من الحدّ بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج انه قال المحادّة ان تكون فى حدّ يخالف حدّ صاحبك فتكون المحادّة كناية عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة و قوله كبتوا اى خذلوا من قولهم كبت الله فلانا اى اذله وخذله وقيل اهلكوا او قيل اخزوا كما اخزى الله الذين من قبلهم من اعداء الرسل و الكب القاء الشخص على الارض على وجهه يقال كبه لو جهه اى صرعه فاكب هو على وجهه ومن النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت غيرى وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم بذلك وان يكون اخبارا عما سيكون بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فيكون وعيداً لكفار مكة وقد انجز الله تعالى ذلك يوم بدر وقيل يوم الخندق و الظاهر ان قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين صفة ثانية لآيات فانها كما انها واضحات الدلالة فانها ايضا عذاب للكافرين تهينهم وتذهب عزهم ﴿قوله كلهم او مجتمعين﴾ يعنى ان قوله جميعا منصوب اما على انه تأكيد للضمير المنصوب فى يبعثهم او على انه حال منه بمعنى مجتمعين فى حال واحدة و قوله تعالى ألم تر ان الله يعلم الآية استفهام تقرير والمعنى انك قد علمت انه لايغيب عن علمه شئ مما فيها فلايخفى عليه ايضا نجوى المتناجين و هو تأكيد لكونه تعالى شهيدا عليهم و على كل شئ مطلعا عالما بكل المعلومات بحيث لايخفى عليه سرّ ولاعلانية ﴿قوله مايقع من تناجى ثلاثة﴾ اشارة الى ان كان تامة وان نجوى مصدر بمعنى التناجى وهو المكالمة سرّا وان ثلاثة مجرور باضافة نجوى اليه من قبيل اضافة المصدر الى فاعله يقال نجوته نجوى اذا ساررته والقوم تناجوا اى تساروا ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة اى مايحدث ومايقع نجوى ثلاثة نفر الا وهو تعالى رابعهم ويجوز ان يقدر مضاف ويكون التقدير مايقع من ذوى نجوى ثلاثة او اهل نجوى ثلاثة وان يأوّل المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة وعلى التقديرين يكون ثلاثة مجرورا اما على الاوّل فعلى انه صفة للمضاف المقدّر واما على الثانى فعلى انه صفة النجوى بمعنى متناجين والنجوة والنجا ما ارتفع من المكان الذى تظن انه نجاك من حيث انه لايعلوه السيل اشتق منه النجوى لماذكر من ان السرّ امر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل احد ان يطلع عليه ﴿قوله الا الله يجعلهم اربعة﴾ اعلم ان الواحد من المتعدّد يعتبر على وجهين الاوّل ان يصير ذلك الواحد العدد الناقص عن عدد مأخذ ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدّد الى العدد الذى اشتق هو منه والثانى ان يصير واحدا من هذا العدد تقول فيه الثانى والثالث بمعنى واحد من الاثنين وواحد من الثلاثة اى ان اضفته الى عدد هو مأخذ هذا الواحد لا الى عدد ناقص منه بواحد فتقول ثانى اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وان اضفته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة تضيف الواحد باعتبار التصيير الى العدد الناقص من مأخذه فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة وتريد مصير اثنين ثلاثة ومصير ثلاثة اربعة فالمصنف جعل قوله تعالى الا هو رابعهم والا هو سادسهم من قبيل الواحد من المتعدّد باعتبار تصييره لاضافته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلاثة والخمسة فمعنى رابع ثلاثة مصير ثلاثة اربعة ومعنى سادس خمسة مصير خمسة ستة والمفرد من المتعدّد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدّد لايضاف الا الى عدد يساوى العدد الذى اشتق منه مايدل على هذا المفرد فيقال رابع اربعة وثالث ثلاثة وثانى اثنين اى احدها ﴿قوله والاستثناء من اعم الاحوال﴾ يعنى ان قوله الا هو رابعهم والا هو سادسهم والا هو معهم كل واحد من هذه الجمل بعد الا فى موضع النصب على الحال لما تقرّر ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدّر هو الاحوال العامة اى مايوجد شئ من هذه الاشياء فى حال من الاحوال الا فى حال من هذه الاحوال ﴿قوله وتخصيص العددين﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة واهمل امر الاربعة فى البين فما الحكمة * فاجاب عنه اوّلا بان الآية نزلت فى قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجى مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلاثة وخمسة فلما كان اصحاب التناجى معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى مايتناجى ثلاثة ولاخمسة كما يرونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذينك العددين ولا اكثر الا والله معهم يسمع ويعلم مايقولون وثانيا بانه تعالى لم يذكر الاثنين والاربعة لانه تعالى وتر يحب

(ان الذين يحادّون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعادين فى حدّ غير حدّ الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) اخزوا واهلكوا واصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول او ماجاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين او باضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع احدا غير مبعوث او مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (احصاه الله) احاط به عددا لم يغب عنه شئ (ونسوه) لكثرته او تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لايغيب عنه شئ (الم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كليا وجزئيا (مايكون من نجوى ثلاثة) مايقع من تناجى ثلاثة ويجوز ان يقدّر مضاف او يؤوّل نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السرّ امر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل احد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اوّل الاوتار او لان التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما

الوتر فخص بالذكر اول الاعداد المفردة وثانيها او اكتفى بذكرهما عن ذكر الباقي تنبيها على فردانيته تعالى واشارا لما هو
احب الاعداد عنده وثالثها ان اقل مالابد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون
الاثنان منهم كالمتنازعين في النفي والاثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم
المقصود منها وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلابد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول فلهذا السبب
لابد ان يكون عدد ارباب المشاورة فردا فذكر تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما عن الباقي ﴿قوله وقرئ
ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال﴾ وذو الحال معرافعه محذوفان والتقدير مايكون من اهل نجوى يتناجون ثلاثة
وحذف لدلالة نجوى عليه وان اول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه وقرئ ماتكون بتاء التأنيث
لتأنيث النجوى والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تأنيث النجوى غير
حقيقي ﴿قوله ولا اقل مما ذكر﴾ اي من العددين كالواحد والاثنين فدخل الواحد في الادنى لان الواحد قد يحدث نفسه
بشئ فهو تناجيه نفسه وتساره قرآءة الجمهور في قوله تعالى ولا ادنى في موضع الجر بالعطف على ثلاثة على طريق
الجوار لخمسة وكذا قوله ولا اكثر اي ومايكون من متناجين ادنى ولا اكثر الا هو معهم فتكون كلمة لا في الموضعين
زآئدة لتأكيد النفي المعتبر في المعطوف عليه وقرئ ولا اكثر بالرفع اما على كونه معطوفا على محل من نجوى فانه
فاعل كان التامة ومن زآئدة كأنه قيل ومايكون ادنى ولا اكثر فكلمة لا فيهما ايضا للتأكيد واما على كونه معطوفا
على محل لا ادنى ان جعلت كلمة لا فيه لنفي الجنس وقد تقرر ان اسم لا اذا كان نكرة مفردة بني على مايرفع به وتقرر
ايضا انه يجوز في المعطوف على المنفي بلا الرفع عطفا على محل المبني والنصب عطفا على لفظه فيقال فلا اب وابن وابنا
برفع الابن ونصبه فلهذا جاز في لاحول ولاقوة رفع قوة ونصبها مع التنوين فيهما وبناء حول على الفتح اما الرفع
فعلى ان تكون لا الثانية زآئدة لتأكيد نفي الاولى ويعطف قوة على محل لاحول واما النصب فبالعطف على
لفظه وكون لا زآئدة ايضا ﴿قوله ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين﴾ ويوهمونهم بذلك انهم يتناجون
فيما يسوؤهم فيحزنون لذلك فلما كثر ذلك شكا المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بان
لايتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية ﴿قوله فيقولون السام عليك﴾ السام الموت وهم
يوهمونه عليه السلام انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم بقوله عليكم بدون الواو وروى
ان عائشة رضي الله عنها لما سمعت قولهم السام عليك قالت لهم عليكم السام واللعنة والغضب اي لعنة الله وغضبه
فقال عليه الصلاة والسلام مه يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ماقالوا قال
اولم تسمعي مارددت عليهم يستجاب لي فيهم ولايستجاب لهم في فقالت اليهود فيما بينهم اذا كان رسولا كما يقول
فلم لايستجاب دعاؤه علينا فنزل قوله تعالى واذا جاؤك الآية وقولهم انعم صباحا من النعومة اي ليصر صباحك ناعما
لينا لابؤس فيه ولاشدة ﴿قوله وعن يعقوب فلا تنتجوا﴾ بمعنى فلا تتناجوا في الصحاح النجو السر بين اثنين يقال
نجوته نجوا اي ساررته وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اي تساروا والنجي على فعيل هو الذي تساره ﴿قوله
اي النجوى بالاثم﴾ يعني ان تعريف النجوى للعهد الخارجي من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك ﴿قوله توسعوا
فيه﴾ الفسحة الوسعة والفسيح الواسع وفسح له في المجلس يفسح اي وسع له وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح
فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا قال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به
الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لايضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف
والتألف بان يفسح بعضهم لبعض وتطيب نفسه بذلك ولايتحرج بالمزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال والصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سوآء كان
مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة ولا يختص بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كل احد احق بمكانه الذي
سبق اليه لقوله عليه الصلاة السلام من سبق الى من لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه مالم يتأذ بذلك
فيخرج لضيق موضعه وعنه عليه الصلاة والسلام لايقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالفه في مقعده فيقعد فيه
ولكن يقول افسحوا ﴿قوله تعالى انشزوا﴾ اي ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا
اليها ذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد
والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخرهم عهدا بالنبي صلى الله عليه

الجلس (انما كانوا) فان علمه بالاشياء
ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف
الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)
تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزآء
(ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته
المقتضية للعلم الى الكل على سوآء (الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما
نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا
رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه الصلاة
والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) اي
بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن
يعقوب وهو يفتعلون من النجوى (واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون
السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه
وتعالى يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى (ويقولون في انفسهم) فيما بينهم
(لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا بذلك
لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا
(يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير)
جهنم (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا
تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول)
كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا
(وتناجوا بالبر والتقوى) بما يتضمن خير
المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول
(واتقوا الله الذي اليه تحشرون) فيما تأتون
وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى)
اي النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان)
فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين
آمنوا) بتوهمهم لانها في نكبة اصابتهم
(وليس) الشيطان او التناجي (بضارهم)
بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) بمشيئته
(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالي
بنجواهم (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم
تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه وليفسح
بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي
تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس
ويدل عليه قرآءة عاصم بالجمع او مجلس
رسول الله عليه السلام فانهم كانوا

(يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوآئهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بماجمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولاتقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدّقوا قدّامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقرآء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا او اختلف فى انه للندب اوللوجوب لكنه منسوخ بقوله ءأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا

وسلم فقال تعالى واذا قيل انشزوا عن مجلسه عليه السلام فانشزوا فان له حوائج ولاتمكثوا وقال مجاهد واكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا اليها ولاتقصروا وقول المصنف انهضوا للتوسعة اى لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد انه اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لاتحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل لكم قوموا جيعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولاتثاقلوا عن القيام ويحتمل ان يراد انه اذاقيل لكم قوموا من مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع آخر اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم ووسعوا لاخوانكم بذلك ويؤيده ماروى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى الصفة وكان فى المجلس ضيق وكان عليه الصلاة والسلام يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم وقدسبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فردّ عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردّوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يافلان قم يافلان فأقام من المجلس بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله تعالى قوله ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا الآية ﴿قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا﴾ مجزوم على انه جواب الامر وقوله والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين آمنوا على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المصنف وقيل يجوز ان يكون من قبيل عطف الصفات بان تكون الصفات لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله الذين آمنوا العلماء وعن ابن عباس انه قال تم الكلام عند قوله منكم وينتصب قوله والذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او برفع درجات وانتصاب درجات على انه مفعول ثان ليرفع ويحتمل ان يكون حالا بمعنى ذوى درجات او ظرفا او منصوبا على اسقاط الخافض اى الى درجات بين الله تعالى فى هذه الآية انه يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن وانه يرفع علماء المؤمنين على غير العلماء منهم فثبت ان الرفعة عند الله انما تكون بالعلم والعمل لابالسبق الى صدور المجالس ﴿قوله مستعار ممن له يدان﴾ يعنى ان النجوى ليس لها يدان حتى يضاف اليها لفظ بين ويجعل مدلوله ظرفا لتقديم الصدقة فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وقد تقرر ان لفظ يدين فى نحو قولك جلست بين يدى فلان مجاز اريد به الجهتان الواقعتان فى سمت يديه ومابينهما هو جهة الامام اطلق لفظ اليدين عليهما على طريق اطلاق اسم الشئ على مايدانيه ويتصل به وانما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان مابين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهى ليست ظرفا للجلوس بل ظرفه هو جهة الامام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين وهما جهتا اليمين والشمال فثبت ان بين اليدين بمعنى بين الجهتين المسامتتين لليدين فاذا اضيف لفظ بين يدى الى من ليس له يدان فضلا عن ان يكون ليديه جهتان كما فى نحو بين يدى الله وبين يدى نجواكم يكون لفظ بين يدى مستعارا من بين جهتى يدى من له يدان بان ينزّل مابين تينك الجهتين منزلة المعنى الاصلى للفظ بين اليدين ثم يطلق لفظ بين اليدين على مايشبه مابين تينك الجهتين فلفظ بين يدى فى قوله تعالى فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة مستعار من بين جهتى يدى من له يدان وهو جهة الامام شبه بها ماقبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم فى كل واحد منهما فهى استعارة متفرّعة على المجاز المرسل فقول المصنف تصدّقوا قدّامها فيه مسامحة والظاهر ان يقال تصدّقوا قبلها لان القدّام من ظروف المكان والنجوى لاقدّام لها لان الجهة انما تكون للمتمكن الا انها تقع فى زمان فيكون لها قبل وبعد ان لم يكن لها قدّام وخلف * قال صاحب الكشاف مستعار ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضى الله عنه افضل مااوتيت العرب الشعر يقدّمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ﴿قوله وفى هذا الامر﴾ يعنى ان هذا التكليف يشتمل على فوآئد اولاها تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم مناجاته فان الانسان اذا وجد الشئ مع المشقة استعظمه وان وجده مع السهولة استحقره وثانيتها ان تقديم الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقرآء وثالثتها مايدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه فانزل الله هذه الآية فلما نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسئلة فصار انزال هذه الآية بمنزلة النهى عن الافراط فى السؤال ومن فوآئد انزالها الميز المذكور ﴿قوله وهو وان اتصل به تلاوة﴾ جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى ءأشفقتم ناسخا لوجوبه وهو متصل به والحكم لاينسخ بكلام متصل

(واختلاف)

واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقال الكلبي مابقي ذلك التكليف الاساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بقي ذلك التكليف عشرة ايام ﴿قوله وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره﴾ اى ماروى عن علي رضي الله عنه من قوله ماعمل بها احد غيري لايوجب القدح في غيره بنسبة ترك الواجب اليهم على القول بوجوبها لان ترك الواجب انما يلزم ان لو تحقق منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه عن القرطبي انه قال ماروى عن علي رضي الله عنه ضعيف لانه تعالى قال فاذلم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء ﴿قوله وهو يشعر بالندبة﴾ لان نحو قوله تعالى ذلكم خير لكم انما يستعمل في التطوع لافي الواجب الا ان قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ادل على الوجوب لان ماكان مغفورا بناء على تعذره يكون واجبا عند فقدان العذر ﴿قوله أخفتم الفقر من تقديم الصدقة﴾ على ان يكون مفعول ءأشفقتم محذوفا ويكون قوله ان تقدموا في محل النصب على انه مفعول ءأشفقتم وعلة الخوف محذوف فقد اشار اليها بقوله لمايعدكم الشيطان ﴿قوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه﴾ فان التوبة اذا اسندت اليه تعالى تكون بمعنى الرجوع عن عقوبة المذنب بناء على رجوعه عن الذنب فان اشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم اليه تعالى فقام ترخيصه تعالى لهم في عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال وتاب الله عليكم ﴿قوله واذ على بابها﴾ يعني انها للماضي والمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة وقيل بمعنى اذا في كونها للاستقبال كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان اذا من الظروف وفيها معنى الشرط وان من حروف الشرط ومعنى الآية فاذا لم تفعلوا ماامرتم به عجزا وشحا وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان نسخ ذلك الحكم ورخص لكم في ان لاتفعلوه فلاتفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات * فان قيل قوله تعالى ءأشفقتم وقوله فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف فحاشى من الصحابة ذلك * اجيب بمنع دلالته عليه وذلك لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم ان ارادوا المناجاة فلابد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة وماتوقف هي عليه من تقديم الصدقة لعدم عروض مهم يقتضيها في مدة بقاء التكليف لايكون مقصرا لان هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شأنها ان تقع عند اقتضاء الحاجة اياها ولاسيما قد ذكر انهم انما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الافراط في السؤال ويقتصروا على السؤال عند طريان الحاجة اليه فلايكون ترك المناجاة مطلقا تقصيرا في التكليف وانما يكونون مقصرين فيه لو ناجوا في مدة بقاء التكليف به من غير تقديم الصدقة ولايمكنهم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لايمكنهم من ذلك فليس في الآية مايدل على صدور التقصير منهم والاستفهام التقريري في قوله تعالى ءأشفقتم يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف ابدا لكثرة مايقتضي المناجاة وعدم تيسر تقديم الصدقة في كل مرة فقال هذا القول واما قوله تعالى وتاب الله عليكم فليس معه مايدل على انه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل ان يكون المراد انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف هذا كلام الامام ولاحاجة الى هذا التكلف بما اشار اليه المصنف بقوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه فتأمل ثم انه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الى قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم ساق الكلام الى هنا عاد الى ذم المنافقين بموالاتهم اليهود فقال الم تر الى الذين تولوا قوما الآية التولي مرافقة العدو يقال منه تولاه ﴿قوله كمن يحلف بالغموس﴾ فان المحلوف عليه فيه كذب والغموس ان يحلف على امر قد مضى بانه قد وقع او لم يقع وهو يعلم انه كاذب وان حلف على امر قد مضى وهو يظن ان الامر كما قال وهو ليس كذلك في نفس الامر فهو لغو وروى عن عائشة رضي الله عنها ان اللغو مايجري على اللسان من غير قصد اليمين سواء كان في امر قد مضى او في امر سيكون مثل ان يقول لا والله او بلى والله وروى عن ابي حنيفة مثله وسميت الاولى غموسا لانها تغمس صاحبها في الذنب ثم في النار قال عليه الصلاة والسلام * الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق واليمين الغموس * ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسا بل شبهه به في كون الحالف متعمدا للكذب لان الغموس هو الحلف على الماضي متعمدا للكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال ﴿قوله وفي هذا التقييد دليل الخ﴾ اعلم انه لاواسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور فان صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة

وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ماعمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) اى ذلك التصدق (خير لكم واطهر) اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبة لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) اى لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلاتصدق ادل على الوجوب (ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة اوأخفتم التقديم لمايعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم ان لاتفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لمارأى منهم مماقام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أو ان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فلاتفرطوا في ادائهما (واطيعوا الله ورسوله) في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك (والله خبير بماتعملون) ظاهرا وباطنا (الم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود (ماهم منكم ولامنهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته ومالايعلم وروي انه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبدالله ابن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله مافعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت

حكمه للواقع وكذبه عبارة عن عدم مطابقته له وقال النظام صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من يقول السماء تحتنا معتقدا ذلك صدق وقوله السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس وقال الجاحظ صدقه مطابقته للواقع مع الاعتقاد بانه مطابق وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاده انه غير مطابق له فالخبر انما يكون كاذبا لمجموع الامرين عنده وهما عدم مطابقة حكمه للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له فاستدل المصنف على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال لو اعتبر في كذب الخبر علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله ويحلفون على الكذب بالجملة الحالية وهي قوله وهم يعلمون خاليا عن الفائدة لان كذب المحلوف عليه اذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم ان يكون قوله وهم يعلمون ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا كان كذب الخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهري انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فانه خبر كاذب مع ان المخبر لا يعلم مطابقته للواقع ﴿ قوله وروى ﴾ عطف على قوله وهو ادعاء الاسلام فان الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم ما شتمنا وما فعلنا شيأ يوجب هتك حرمتك فانهم قد فعلوا ذلك الا انهم لما خافوا من القتل حلفوا انهم ما فعلوه وهم يعلمون انهم كاذبون في هذا الانكار ﴿ قوله متفاقما ﴾ اى عظيما يقال تفاقم الامر اى عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظم من توصيفه بالشدة فقوله فتمرنوا اى تعودوا من قولهم مرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وتمرنهم على سوء العمل مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضي اى هذا العمل السيئ دأبهم القديم والتحريش الاغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق وكانوا يثبطون عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم ﴿ قوله وعيد ثان ﴾ اى لئلا يلزم التكرار وقيل المراد بالكل عذاب الآخرة كما في قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ثم انه تعالى لما بين انهم انما يحلفون على الكذب لتكون ايمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن انفسهم واولادهم والاستيلاء على اموالهم بين انه لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم التي كانوا يحمونها بالنفاق والايمان الكاذبة من عذاب الله تعالى في الآخرة شيأ قليلا وقوله يوم يبعثهم الله منصوب بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم او باصحاب النار او بالاستقرار المدلول عليه بقوله فلهم عذاب مهين او باضمار اذكر ﴿ قوله ويقولون كما يحلفون لكم ﴾ الظاهر ان يقال كما يحلفون لكم في الدنيا ويقولون انهم لمنكم بين ان المحلوف عليه في الدنيا قولهم للمؤمنين انهم لمنكم وان المحلوف عليه في الآخرة قولهم ما كنا مشركين والمعنى انهم لشدة توغلهم في الكذب والنفاق في الدنيا بقوا في الآخرة على هذا الخلق الرديء مع معاينة ما اوعدوا من الاهوال وانكشاف الاحوال وانقلاب خفايا الامور ظواهر فظنوا انه يمكنهم ترويج كذبهم على علام الغيوب بالايمان الكاذبة كما تستروا بها واتخذوها جنة في الدنيا ﴿ قوله من حذت الابل وحزتها ﴾ يقال حاذ الابل يحوذها ويحوزها اى يسوقها كذا في الصحاح وليس المراد ان استحوذ بالذال مشتق من الحوز بالزاى الا ان يراد بالاشتقاق الاشتقاق الاكبر وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في المخرج لا في جوهر الحروف ﴿ قوله وهو مما جاء على الاصل ﴾ يعني استحوذ بالذال فصيح لموافقة استعمال الفصحاء كاستصوب واستنوق وان شذ قياسا اذ القياس ان يقال استحاذ بقلب الواو ألفا بعد نقل حركتها الى الحاء وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه حيثما اراد سببا لارتكابهم المعاصي غير ذاكرين الله تعالى ومقامهم بين يديه ومجازاتهم بما صنعوا ﴿ قوله في جملة من هو اذل خلق الله تعالى ﴾ لان ذل احد الخصمين على حسب عز الآخر فلهذا كانت عزة الله تعالى غير متناهية ﴿ قوله اى بالحجة ﴾ لم يذكر الغلبة بالسيف مع ان من بعث بالحرب من الرسل غالبون بالسيف كما انهم غالبون بالحجة والبرهان لان الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فانها انما تثبت لمن امر منهم بالحرب عن الزجاج انه قال غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة قيل في سبب نزول هذه الآية ان المؤمنين لما قالوا لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا اى يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله ابن سلول أتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي ثم انه تعالى لما ذم المنافقين وعجب من موالاتهم قوما غضب الله عليهم بين انه لا يجتمع الايمان بالله واليوم الآخر مع توادّ اعداء الله وموالاتهم لان شرط الايمان بالله محبته وطاعته وهما

(يقتضيان)

(اعدّ الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل واصرّوا عليه (اتخذوا ايمانهم) اى التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم واموالهم (فصدّوا عن سبيل الله) فصدّوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاوّل عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله على انهم مسلمون ويقولون (كما يحلفون لكم) في الدنيا انهم لمنكم (ويحسبون انهم على شئ) في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروّج الكذب على الله كما تروّجه عليكم في الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى من حذت الابل وحزتها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (اولئك حزب الشيطان) جنوده واتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوّتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرّضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين) في جملة من هو اذل خلق الله (كتب الله) في اللوح (لأغلبنّ انا ورسلي) اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء (ان الله قويّ) على نصر اوليائه (عزيز) لا يغلب عليه في مراده

يقتضيان معاداة اعدآئه قال بعض العارفين

تودّ عدوّى ثم تزعم انني ❀ صديقك ليس القول عنك بعازب

فقال لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون فقوله يوادّون صفة لقوم بعد صفة او حال منه ﴿ قوله اى لا ينبغى ان تجدهم الخ ﴾ اشارة الى ان المؤمن لا يصير منافقا خارجا عن الايمان بان حصل فى قلبه وداد أعدآء الله تعالى لكنه يكون عاصيا صاحب كبيرة وان دل ظاهر النظم على انه لا يجتمع فى القلب وداد أعدآء الله تعالى والايمان وان اىّ قلب حصل فيه مودّة عدوّ الله تعالى يصير صاحبه منافقا خارجا عن الايمان ولا يخفى انه نهى وزجر عن موالاتهم بابلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم ثم زاده توكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الى قوله او عشيرتهم ثم بقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ثم بمقابلة قوله اولئك حزب الله بقوله فى حق اضدادهم اولئك حزب الشيطان وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت الىّ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية» فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حادّ الله ورسوله اى خالفهما وعاداهما واستدل الامام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم ﴿ قوله اى من عند الله ﴾ يعنى ان ضمير منه لله تعالى ومن لابتدآء الغاية والروح مستعار امالنور القلب فانه تعالى لما نوّر قلوبهم بحيث ميّزوا بها ما ينجيهم عما يرديهم ورغبوا بذلك فى الارتقاء الى المدارج الروحانية والتخلص عن دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببا للحياة الابدية كالروح للحياة البدنية فاطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة واما للقرآن او النصر على العدوّ فان كل واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان كالروح الذى هو سبب للحياة الحسية ﴿ قوله وقيل الضمير فى منه للايمان ﴾ اى بروح من الايمان فانه فى نفسه روح للقلوب من حيث كونه سببا للحياة كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فتكون كلمة من للبيان وقيل الروح مستعار لجبريل عليه الصلاة والسلام فانه تعالى ايدهم وقوّاهم به على كثير ممن كان يحاربهم * تمت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبىّ بعده والآن اشرع بتوضيح ما يتعلق بسورة الحشر مستعينا بالله سبحانه وتعالى

﴿ سورة الحشر اربع وعشرون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ﴾

﴿ قوله صالح بنى النضير ﴾ رهط من اليهود من ذرية هرون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرآئيل انتظارا لبعثة رسول صلى الله عليه وسلم وكان كعب بن الاشرف سيدهم ﴿ قوله فلما ظهر ﴾ اى لما غلب عليه السلام على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم فى حقية امره فلما كانت وقعة احد ارتابوا واظهروا العداوة له عليه الصلاة والسلام ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب مع اصحابه الى مكة واتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة فقتل كعبا غيلة والقتل بطريق الاغتيال ان يخدع المقتول فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله قيل خرج محمد بن مسلمة وابو نائلة ورجلان آخران فاتوه بالليل وقالوا أتيناك نستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليهم فقتلوه وقيل كان جلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة خمس فاجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة من اهل الابيات على بعير واحد ماشاؤا من غير السلاح وما تركوه فلرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فجلا اكثرهم الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة وهى مدينة بقرب الكوفة والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اجلوا عن البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا فى الصحاح ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لا يجوز الآن وانما كان كذلك فى اوّل الاسلام ثم نسخ والآن لا بدّ من قتالهم وسبيهم او ضرب الجزية عليهم ﴿ قوله فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب ﴾ اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى لاوّل الحشر

(لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله) اى لا ينبغى ان تجدهم وادّين اعدآء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادّوهم (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) ولو كان المحادّون اقرب الناس اليهم (اولئك) اى الذين لم يوادّوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه (وايدهم بروح منه) اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدوّ وقيل الضمير فى منه للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه او بما وعدهم من الثواب (اولئك حزب الله) جنده وانصار دينه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿ سورة الحشر مدنية وآيها ﴾
﴿ اربع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا اباسفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاوّل الحشر) اى فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك

متعلقة باخرج وانها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس و ياليتنى قدمت لحياتى سميت جزيرة العرب بها تشبيها لها بالجزيرة الواقعة فى خلال البحر فان بحر الحبشة و بحر فارس و الفرات و دجلة قداحاطت بها و قوله اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اشارة الى ان اوّلية الاخراج لاتستدعى اخراجا ثانيا يكون هذا الاخراج اوّلا بالاضافة اليه بل اوّليته عبارة عن كون الشئ غير مسبوق بآخر مثله واخراج بنى النضير اوّل اخراج اصابهم من حيث انه غير مسبوق بحشر و اخراج آخر فهم اوّل من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب بمعنى ان اخراجهم فى هذه المرّة اوّل اخراج اصابهم فان اهل الكتاب لكونهم اهل عز و منعة لم يصبهم الاخراج قبل هذه المرّة ثم اشار الى جواب ان يكون اوّلية هذا الاخراج بالنسبة الى الاخراج الثانى الذى اصاب اهل الكتاب وهو اخراج عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام فقال او فى اوّل حشرهم للقتال ﴿ **قوله** او ان نارا تخرج من المشرق ﴾ عطف على قوله انهم يحشرون اليه اى آخر حشرهم اما حشر الناس الى الشام باىّ حاشر كان او الى المغرب بان تحشرهم النار اليه قال قتادة تأتى نار تحشر الناس من المشرق المغرب تبيت معهم حيث باتوا و تقيل معهم حيث قالوا و تأكل من تخلف منهم وذكر ان تلك النار ترى بالليل و لاترى بالنهار ﴿ **قوله** تعالى ماظننتم و ظنوا ﴾ الظنّ الاوّل فيه على بابه و الثانى بمعنى العلم و اليقين بشهادة وقوع انّ المشدّدة بعده فانه قد تقرّر فى النحو انه لايعمل فى انّ المشدّدة ولا فى المخففة الافعل العلم و اليقين الا ان يقال سلط فى الظن على ان المشدّدة هنا اجرآء له مجرى اليقين لشدّته و قوّته حتى صار بمنزلة العلم ﴿ **قوله** وتغيير النظم ﴾ يعنى الظاهر ان يقال و ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله لان متعلق ظنهم انما هو ان تمنعهم وثاقة الحصن من ان يظفر عليه احد و العبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ماذكر من العبارة و الذى عليه النظم مخالف للظاهر من وجهين الاوّل تقديم الخبر على المبتدأ و الثانى ايراد لفظ لاحاجة اليه و هو الضمير الذى جعل اسم ان الا انه غيرت العبارة الظاهرة الى ماعليه نظم التنزيل لماذكره المصنف من الدلالة و توضيح المقام ان البلاغة و ان كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا ان مقتضى الحال ليس منحصرا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر فان البلغاء كثيرا ما يخرجون الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الاخراج فانّ شأنهم النظر الى جانب المعنى و وضوح الكلام على وجه يؤدّى الى ماقصدوه من الاغراض و ان أدّى ذلك الا مايعدّه النحوىّ خلاف الظاهر كما فى هذه الآية فانه قدّم فيها الخبر على المبتدأ ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعة فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا انه لايخرجهم منها احد و كذا اسناد الجملة الى ضميرهم فان اصل المعنى و ان أدّى الى ان يجعل حصونهم اسم ان و مانعتهم خبرها الا انه لما جعل اسم ان ضميرا و جعلت الجملة خبرها حصل تقوّى الحكم بتكرار الاسناد كما حصل بكلمة ان المشدّدة فدل الكلام على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة و منعة بسببها و يجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم لان اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد و قد اعتمد ههنا على اسم ان الا ان الكلام حينئذ يخلو عن الفائدتين المذكورتين ﴿ **قوله** و هو الرعب ﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما سار اليهم بالكتائب قال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب و القتال فارسل اليهم المنافقون عبدالله و اصحابه ان لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولانخذلكم و لئن اخرجتم لنخرجنّ معكم فغلقوا الابواب على ازقة حصونهم و حصنوها مترصدين فرصة القتال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى و عشرين ليلة و قذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب و فل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة و يأسهم من نصر المنافقين اياهم فاضطرّوا الى ان تطلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يصالح معهم فلم يرض الا ان يخرجوا من المدينة على مايأمرهم به فقبلوا ذلك اضطرارا و كانوا اهل سلاح و قصور منيعة فلم يمنعهم شئ منها ﴿ **قوله** و قرئ فآتاهم ﴾ اى بالمدّ وحذف المفعول وهو العذاب ان كان الضمير لبنى النضير و النصر ان كان الضمير للمؤمنين ﴿ **قوله** الذى يرعبها ﴾ اشارة الى ان الرعب عند اهل اللغة هو الخوف الذى يرعب الصدور اى يملأها الجوهرى رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادى و سنام رعيب اى سمين ممتلئ والآية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الآية دلت على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال و بالجملة فالفعل لايحصل الا عند حصول داعية متولدة فى القلب و حصول تلك الداعية لايكون الا من الله تعالى و لاشك ان نفس الخلق ليس الا منه تعالى فكانت الافعال باسرها مسندة اليه

(تعالى)

او فى اوّل حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر اليه او فى اوّل حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر (ماظننتم ان يخرجوا) لشدّة بأسهم ومنعتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فأتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوّة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها

تعالى بهذه الطريق وقد اشار الشريف الجرجانى المحقق نوّر الله مرقده الى هذا ببيت مفرد وهو قوله

❁ ظفره نظام وحال بهشمى ❁ نسبتهم للجو كسب اشعرى ❁

ومن المعلوم ان القول بالجبر المحض لاوجه له الان مناط الامر هو الطهارة والنجاسة الفطريتين وان الخاتمة مبنية على الفاتحة ولايكتسب الا ما ساعد عليه استعداده الفطرى آه منه ثم آه ﴿قوله نكاية﴾ اى غيظا وقهرا الجوهرى نكيت فى العدوّ نكاية اذا فتكت فيه وجرحت عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المجال و يسعوا كيف شاؤا وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارهم فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها فبين بهذا وجه اخرابها بايدى الفريقين وذكر المصنف فى وجه اخرابها بايديهم انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخرّبونها من داخل لئلا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين ونقلوا ما امكنهم نقله من الخشب الجيدة والساج النفيس ﴿قوله وعطفها﴾ يعنى ان اسناد الاخراب بايدى المؤمنين الى انفسهم اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل ﴿قوله وقيل الاخراب التعطيل﴾ عطف على ما يفهم من قوله وهو ابلغ لما فيه من التكثير اى وقيل فى الفرق بين الاخراب والتخريب واو فى قوله او ترك الشئ خرابا مبنى على اختلاف العبارة لان تركه خرابا بمعنى تركه بلا ساكن وهو معنى التعطيل وبنى ابو عمرو قرآءة التشديد على هذا الفرق لان بنى النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل خربوها بالهدم والنقض كما يدل عليه قوله تعالى بايديهم وايدى المؤمنين ﴿قوله فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا﴾ الغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الاشرف واصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وحالفوا اباسفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ومعناه النظر الى امور ليعرف بها شيأ آخر من جنسها كأنه قيل تدبروا وانظروا فيما نزل بهم بشئوم غدرهم واعتمادهم على غير الله تعالى وقيسوا عليه جميع ما فيه غدر واعتماد على غيره تعالى وايقنوا بسوء عاقبته ﴿قوله تعالى ولولا ان كتب الله﴾ اى لولا ان قضى عليهم الخروج وان فيه مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان وان مع ما فى حيزها فى محل الرفع على الابتدآء لان لولا اذا كانت بمعنى الامتناع لايليها الا المبتدأ ولهذا فتحت ان بعدها لكون ما بعدها فى موقع المفرد لوجوب كون المبتدأ مفردا وخبره محذوف فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت ﴿قوله استئناف﴾ اذ لو كان معطوفا على قوله لعذبهم فى الدنيا لزم ان ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء لحصول الشرط ﴿قوله او الى الاخير﴾ فالمعنى على الاوّل ذلك الاخراج والخزى واخراب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وما اعدّ لهم فى الآخرة وعلى الثانى ذلك العذاب المعدّ لهم فى الآخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اى عادوه وخالفوا امره ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اى فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا ﴿قوله اى شئ قطعتم﴾ اشارة الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة بيان لها وقوله فبأذن الله خبر مبتدأ محذوف اى قطعها وتركها باذن الله والجملة جواب الشرط والمصنف فسر اللينة بالنخلة مطلقا من اىّ نوع كانت كما ذهب اليه مجاهد وعطية قال الامام محيى السنة فى تفسيره اختلفوا فى اللينة فقال قوم هى النخلة كلها ما خلا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من الثمر الالوان واحدها لون ولينة اصلها لونة قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وقال الازهرى اللينة هى انواع النخل كلها الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هى النخل كلها من غير استثناء وقال مقاتل هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهى شديدة الصفرة يرى نواها من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود ثمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها احب عندهم من وصيف * قال الامام فان قيل لم خصت اللينة بالقطع قلنا ان كانت من اللون فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشدّ ﴿قوله وقرئ على اصلها﴾ فيه وجهان الاوّل انه جمع اصل كرهن ورهن وسقف وسقف والثانى انه تخفيف اصولها حذفت الواو منها اكتفاء بالضمة كما فى قول الشاعر * فلو ان الاطبا كان حولى * اصله كانوا فحذفت الواو لما ذكر ﴿قوله علة لمحذوف﴾ وقيل انه معطوف على قوله باذن الله لان التعليل والسببية من واد واحد ﴿قوله فنزلت﴾ اى استصوبا رأى كل واحد ممن قطعها اخزآء للكافرين وتحسيرا لهم وممن امسك عن قطعها وندم على ما فعله من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نية كل واحد منهم أما من قطعها فلزيادة غيظ على

(يخربون بيوتهم بايديهم) ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وايدى المؤمنين) فانهم ايضا كانوا يخرّبون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخرّبون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا يا اولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه فى الكتب الاصولية (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من اوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معدّ لهم او الى الاخير (ما قطعتم من لينة) اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان (او تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على اصولها) وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن (فباذن الله) فبامره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم

الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتحالفهم مع مشركي مكة على معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومحاربته واما من تركها فلتبق غنيمة للمسلين وقد ندم بعض من قطعها قبل نزول الآية على مافعل خشية
ان يكون ذلك منه افسادا فى الارض وقد قال تعالى واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
ولم يندم آخرون وقالوا نغيظهم بقطعها قال تعالى ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح واستدل بعضهم
بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان كل مجتهد مصيب لان كل فريق
اتبع اجتهاده وانه تعالى استصوب رأى كل واحد منهما وقيل لا يجوز الاجتهاد مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم
بين اظهرهم وانما فعلوا ذلك بامره عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم
فيما لم ينزل عليه وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان فى موضع القتال ﴿ قوله وما اعاده عليه ﴾ يعنى ان أفاء
أفعل من الفيء بمعنى الرجوع يقال فاء يفيء فيئا اى رجع وافاءه غيره اى رجعه ويقال للخراج والاموال المغنومة
من الكفار فيء لرجوعها الى المسلين من الكفرة واشار بقوله بمعنى صيره له او رده عليه الى ان العود له معنيان
احدهما ان تحول الشيء الى مافارق عنه وثانيهما مجرد ان يتحول اليه من آخر وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا
بان يحصل له قبل ذلك فقوله بمعنى صيره له اشارة الى هذا المعنى وقوله او رده عليه اشارة الى المعنى الاول ثم بين
وجه كون المال المغنوم معادا اليه عليه الصلاة والسلام بعد مافارق عنه مع انه لم يحصل له قبل ذلك بقوله فانه
كان حقيقا بان يكون له فهو بهذا الاعتبار صار كانه كان فى يده ثم فارق عنه ووقع فى ايدى الكفرة غصبا منه فاعاده الله
عز وجل عليه بعد ماذهب منه وكلمة ما فى قوله تعالى وما أفاء الله شرطية فى محل النصب على انها مفعول افاء
وقوله فما اوجفتم جواب الشرط او موصولة مرفوعة المحل على الابتداء ومابعدها خبرها والايجاف من الوجف
وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا البعير واوجفته انا اذا حركته وحملته
على الاسراع ومن فى قوله من خيل صلة اى خيلا ولا ركابا والركاب الابل خاصة غلب على الابل كما ان الراكب غلب
على راكب الابل فانه يقال لراكب الفرس فارس وواحد الركاب راحلة ولا واحد لها من لفظها قال المفسرون
ان بنى النضير لما جلوا عن اوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم وطلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يخمسها كما فعل بغنائم بدر انزل الله تعالى هذه الآية وبين انها فيء لم يوجب المسلمون عليه خيلا ولا ركابا
ولم يقطعوا اليه مسافة لان ديار بنى النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ركابا
الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل ركب حمارا مخطوما بليف ثم قال ولكن الله سلط رسله عليهم
وعلى ما فى ايديهم بان القى رهبة فى قلوبهم فهابوا ورضوا بالجلاء وترك الاموال فجرى سلطان الرسول عليهم
بتسليط الله عز وجل وذلك سنته فى رسله الماضين وهو قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بما يشاء ولما
نزلت هذه الآية لم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير كما قسم غنائم بدر وانما قسمها
بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة وعن عمر انه عليه السلام كان ينفق مما يحصل
من غلة اراضى بنى النضير على اهله نفقة سنة ويجعل مابقى منها فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله ٭ قال الامام
ومعنى الآية ان الصحابة رضى الله عنهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة
فقال تعالى الغنيمة ما اتعبتم انفسكم فى تحصيلها واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فانكم ما تحملتم
فى تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يصرفه كيف شاء ثم قال وههنا سؤال
وهو ان اموال بنى النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب
ان تكون تلك الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيء ولاجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول
ان هذه الآية مانزلت فى قرى بنى النضير لانهم اوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون بل هو فى فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الاموال والقرى فى يد الرسول
صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقى
فى السلاح والكراع فلما مات عليه الصلاة والسلام ادعت فاطمة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام
كان ملكها فدك فقال ابو بكر رضى الله عنه انت اعز الناس علىّ فقرا واحبهم الىّ غنى لا اعرف صحة قولك
ولا يجوز لى ان احكم بذلك فشهد لها ام ايمن ومولى رسول الله صلى عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذى

(وما أفاء الله على رسوله) وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) من بنى النضير او من الكفرة (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بنى النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب فى قلوبهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

يجوز قبول شهادته في الشرع فلم تلق فأجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول وجعل ينفق منه على من كان
ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك
في آخر عهد عمر الى عمر وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمان يجريه كذلك ثم صار الى علي فكان يجريه
هذا المجرى فالائمة الاربعة اتفقوا على ذلك والقول الثاني ان هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين
يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة وايجاف الخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم
يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيأ الا ثلاثة نفر وكذلك الحكم في كل ما فتح على الامة مما لم يوجف عليه المسلمون خيلا ولا ركابا سوآء حصل
في ايدي المسلمين بان يجلوا اصحابه عن اوطانهم ويخلوه للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤسهم او مال غير
الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كما فعله بنوا النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة
منهم حمل بعير مما شاؤا سوى السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفيء ويصرف الى ما يصرف اليه الجزية والخراج
بخلاف ما يفتح عنوة وقهرا فانه غنيمة يقسم بين الفقرآء بعد التخميس والمصنف اشار الى القولين اللذين نقلهما
الامام عن المفسرين بقوله من بني النضير او من الكفرة وبقوله وذلك ان كان المراد فيء بني النضير اي عدم الايجاف
على هذا التقدير مبني على قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا اليها رجالا واما ان كان المراد ما خوّله الله تعالى
رسوله من الكفرة من غير معاونة المسلمين وقهرهم كاموال فدك فالامر ظاهر * قال الامام ابو الليث روى عن الزهري
انه قال كانت اموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لانهم لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها صلحا فقسمها بين
المهاجرين ﴿قوله بيان للاول﴾ اي غير اجنبي عنه بل هو متصل به فلذلك كان تخلل العاطف بينهما كتخلل
شيء اجنبي بين الشيء وبيانه بين الله تعالى اولا ان ما خوّله الله رسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرا فلا يقسم
قسمها ثم بين له عليه الصلاة والسلام ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما
على الاقسام الخمسة فان الاموال المقسومة تقسم على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة
اسهم سهم منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنوا هاشم وبنوا المطلب فانهم لما منعوا
من الزكاة لكونها غسالة اموال المسلمين جعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل
فكذا الفيء فانه ايضا يخمس ويصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة بناء على ان ذكر الله تعالى في قوله فلله انما
هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله وقيل انه يسدس ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف
ما بقي وهو خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة والقول الثالث في قسمة
الفيء انه يخمس ويجعل اربعة اخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس الباقي
ايضا على خمسة اسهم سهم منها له عليه الصلاة والسلام وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم
لابناء السبيل فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيء مقسوما على خمسة وعشرين سهما بان يخمس كل خمس منها
روما للتصحيح احد وعشرون سهما منها للنبي صلى الله عليه وسلم واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين
وابناء السبيل وبعد انتقاله عليه الصلاة والسلام الى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيء الى الامام
في قول والى المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام في قول آخر
والى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم في قول ثالث وهذا في اربعة
اخماس الفيء واما القسم الذي كان له عليه الصلاة والسلام من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته
عليه الصلاة والسلام بلا خلاف لقوله عليه الصلاة والسلام * ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم *
وكانت الغنائم في شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيء منها لاحد واذا غنمت الانبياء اشياء جمعوها فتنزل نار من
السماء فتأخذها فخص نبينا صلى الله عليه وسلم من بينهم بان احلت له الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام
احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ﴿قوله تعالى كيلا يكون دولة﴾ علة لقوله فلله اي تولى الله تعالى قسمة
الفيء وبين كيفية قسمته لئلا يغلب الاغنياء الفقرآء على الفيء على حسب قوتهم دون الفقرآء والضعفاء كما كان
في الجاهلية فان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد

(ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان
للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل) اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس
لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة
الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان
ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم
الرسول الى الامام على قول والى العساكر
والثغور على قول والى مصالح المسلمين على
قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه
السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف
المذكور (كيلا يكون) اي الفيء الذي حقه
ان يكون للفقرآء وقرأ هشام في رواية بالتاء

المرباع ماشاء كما قال شاعر هم لك المرباع فيها والصفايا * فبين الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته ثم قال وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيء والغنيمة فخذوه اوجميع ما آتاكم به من الشرآئع والاحكام فاقبلوه فان الآية وان نزلت فى اموال الفيء فهى عامة فى جميع ما امر به النبى ونهى عنه والدولة بالضم اسم لما يتداوله القوم بينهم والمعنى كيلا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك وبالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم كالغرفة والغرفة فانه بالضم اسم لما يوخذ بالاغتراف وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة وقيل الدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم ويستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان ﴿ قوله او اخذه غلبة تكون بينهم ﴾ عطف على الفيء فى قوله بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم فيكون توجيها ثانيا القرآءة دولة بالفتح وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيء وجعل دولة بمعنى التداول وقدر قبلها ما يضاف اليها وجعل بينهم ظرفا للتداول وجعل اسم كان فى هذا الوجه الاخذ المضاف الى الفيء وجعل الدولة بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبا على انه خبرها وجعل بين الاغنياء ظرفا لكان التامة فى قوله كيلا يكون والدولة مرفوع على انها فاعل لكان التامة وذكره متأخرا تصريحا بكون بين ظرفا له فالمعنى على هذا الوجه كيلا يقع بين الاغنياء منكم اخذه دولة اى اخذه بجهة الاستيلاء والغلبة كما كان فى الجاهلية فان اهلها كانوا يقولون من عزبز اى من غلب سلب ويجعلون استحقاق مال الغنيمة منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء كان يستقل به كما فى زماننا هذا وفى كثير من النسخ اى اخذه غلبة تكون بينهم اى بين اهل الجاهلية فلا يكون متعلقا بخصوص احدى القرآءتين بل يكون بيانا لوجه التعليل بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء على القرآءتين كأنه قيل منع كون الفيء متداولا بين الاغنياء مأخوذا بطريق الغلبة والاستيلاء لان اخذه بهذا الطريق يكون بين اهل الجاهلية فلا ينبغى لاهل الاسلام ان يستنوا بسنتهم ويسلكوا سبيلهم ﴿ قوله لانه حلال لكم او فتمسكوا به ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب على قوله من الفيء او من الامر وكذا قوله عن اخذه او عن ايتائه ﴿ قوله فان الرسول لا يسمى فقيرا ﴾ جواب عما يقال لم لا تجعل قوله تعالى للفقرآء بدلا من مجموع المصارف المذكورة بقوله تعالى فلله وللرسول الى قوله وابن السبيل بل جعلته بدلا من قوله لذى القربى وما عطف عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا عقبها قيد لا يكون ذلك القيد مختصا ببعضها بل تكون كلها سوآء فى ذلك القيد الا ان يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها فالدليل عليه فيما نحن بصدده * وتقرير الجواب انه تعالى ليس من المصارف وانما ذكر اسمه للتبرك به وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصح ادخاله فى جملة من ابدل منهم المصارف المذكورة من فقرآء المهاجرين والانصار والتابعين لهم الى يوم القيامة والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان من المصارف الا انه لا يصح ادخاله فى جملة المبدل منهم لان ادخاله فيهم يستلزم تسميته فقيرا ضرورة انه يجب ان يتحد مفهوم البدل والمبدل منه صدقا فى بدل الكل من الكل ولا تجوز تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان من حيث ان اصله كسر فقار الظهر يقال فقرته اذا كسرت فقار ظهره كما يقال كبدته اذا ضربت كبده وسميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما يغلبان الانسان ويكسران فقار ظهره واذا لم تصح تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا فعدم صحة تسميته تعالى فقيرا اولى ولانه تعالى اخرج رسوله من الفقرآء حيث وصفهم بقوله وينصرون الله ورسوله فانه ينافى دخوله عليه الصلاة والسلام فى جملة المبدل منهم والا لكان المعنى اعنى باولئك الخمسة المذكورين الذين هم الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقرآء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم انهم ينصرون الله ورسوله ووصف المهاجرين بالفقرآء دليل على ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فانه كانت لهم ديار واموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقرآء ﴿ قوله ومن اعطى اغنياء ذوى القربى ﴾ بناء على ان ذكرهم بهذا اللفظ يشعر ان علة استحقاقهم للفيء انما هى القرابة نفسها من غير اعتبار شيء آخر معها فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لا يجعلون قوله للفقرآء المهاجرين بدلا من قوله لذى القربى بل مما بعده من الاصناف الثلاثة وان جعلوه بدلا من الاصناف الاربعة يجعلون اعتبار الفقر فى ذى القربى مختصا باستحقاقهم فيء بنى النضير فانه عليه الصلاة والسلام لم يعتبر فى قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الانصار شيأ منه الا ثلاثة نفر بهم حاجة ومن جعل استحقاق ذى القربى مشروطا بالفقر نظرا الى انهم استحقوه عوضا عن الصدقة التى هى غسالة

(اموال)

(دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما اعطاكم من الفيء او من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) عن اخذه او عن ايتائه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف (للفقرآء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بنى النضير

اموال المسلمين فوجب ان يكون استحقاقهم له مشروطا بما هو شرط في استحقاق الصدقة فله ان يجعل قوله للفقراء
بدلا من ذي القربى وما عطف عليه بدل الكل ﴿قوله حال مقيدة لاخراجهم﴾ يعني انه حال من واو اخرجوا
توصيفا لهم بما يفيدهم فخامة الشان ﴿قوله فانهم لزموا المدينة والايمان﴾ يعني ان المراد بالدار المدينة التي
هي دار الهجرة تبوّأها الانصار قبل المهاجرين اي نزلوا فيها واتخذوها مباءة اي منزلا واستقروا فيها يقال
تبوّأت منزلا اي نزلته وبوّأته منزلا اي هيأت له منزلا وانزلته فيه * واشار ايضا الى جواب ما يقال كيف عطف
الايمان على الدار مع ان الايمان ليس من قبيل المنازل التي تبوّأوا فيها * وتقرير الجواب ان المعنى لزموا الايمان لزوم
الانسان منزله ومستقره وشبه الايمان في النفس بمنزل الانسان ومستقره وجعل نسبة التبوء اليه تخييلا
للتشبيه المضمر * واجاب عنه ثانيا بان المعنى تبوّأوا دار الهجرة ودار الايمان لان اهلها نصروا الايمان واهله
فحذف المضاف من دار الايمان واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه كما حذف المضاف اليه من الاوّل
وعوّض عنه اللام وثالثا بان انتصاب الايمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال الايمان ليس من قبيل المنازل
حتى يتبوّأ فيه بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف وابقى العاطف كما في
قوله * متقلدا سيفا ورمحا * اي وحاملا رمحا وقوله * علفتها تبنا وماء باردا * اي وسقيتها ماء ورابعا بان المراد
بالدار والايمان شئ واحد وهو المدينة وسميت بالايمان على طريق تسمية المحل باسم ما حل فيه او تسمية المظهر
والمصير باسم ما ظهر فيه وصار اليه ﴿قوله من قبل هجرة المهاجرين﴾ فانه قد روى انه قلت دار كانت
بالمدينة الا كان الاسلام قد دخلها قبل هجرة النبي اليها صلى الله عليه وسلم حتى روى انهم قد صلوا صلاة الجمعة
قبل الهجرة واشار بهذا التفسير الى جواب ما يقال كيف يصح ان يقال ان الانصار لزموا الايمان قبل
المهاجرين وليس الامر كذلك * وتقرير الجواب انه ليس المعنى انهم لزموا الايمان قبل المهاجرين ليرد ما ذكر بل
المعنى انهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور وقيل في جوابه ان الكلام محمول على التقديم والتأخير والتقدير
والذين تبوّأوا الدار من قبلهم والايمان فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدا لتبوّئهم الدار فقط وهذا السؤال
والجواب انما يتجهان على ان يوجه قوله والايمان بالوجه الاوّل والثالث ولا يتجه شئ على الوجه الثاني والرابع
لان المراد بالايمان فيهما هي المدينة اما بتقدير المضاف او بتسمية المدينة ايمانا مجازا فكان المعنى على الوجهين
والذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين والامر كذلك فلا حاجة الى تقدير المضاف ﴿قوله كالطلب﴾ اي
طلب ما اوتي المهاجرون مما يحتاج اليه الانصار * قال الجوهري الحزاز ايضا وجع في القلب من غيظ ونحوه اطلق اسم
الحاجة على الحزازة والحسد ونحوهما على طريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم لان جميع ذلك ينشأ عن الحاجة
روى انه عليه الصلاة والسلام لما غنم غنيمة بني النضير دعا ثابت بن قيس فقال له ادع لي قومك قال الخزرج
يا رسول الله قال الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه
بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان رضيتم قسمت بينكم
وبين المهاجرين ما افاء الله عليّ من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم واموالكم
وان ابيتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسمه بين
المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا فنادت الانصار جميعا رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم * اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار * فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار
الا ابا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم اجمعين ﴿قوله حتى ان من كان الخ﴾ اشارة الى
ان قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم وان نزل بسبب ايثارهم المهاجرين على انفسهم بالفيء الا انه عام يتناول سائر
ايثاراتهم منها ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد
اي شدة الجوع فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث عليه السلام الى ازواجه هل عند كنّ طعام فاجبنه
والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال عليه الصلاة والسلام ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال من
يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله
فاكرميه ولا تدخري عنه شيأ فقالت ما عندي الا قوت الصبيان فقال قومي فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى
يناموا ولا يطعموا شيأ ثم اسرجي وائردي فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين سراج فاطفئيه وتعالى

(الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بانفسهم واموالهم (اولئك هم الصادقون) الذين ظهر صدقهم في ايمانهم (والذين تبوّأوا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوّأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاوّل وعوّض عنه اللام او تبوّأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا *

وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوّأوا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون في صدورهم) في انفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما اوتوا) مما اعطى المهاجرون من الفيء وغيره (ويؤثرون على انفسهم) ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوّجها من احدهم

نمضغ ألسنتنا ليظن الضيف انا نأكل معه فيأكل حتى يشبع ففعلت فبانا تلك الليلة طاويين فلما اصبحنا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن انس رضي الله عنه اهدى الى رجل من الانصار رأس شاة مشوى وكان مجهودا فقال لعل جارى احوج اليه منى فبعثه الى جاره فتداوله تسعة نفر ثم عاد الى الاول فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم الآية*فان قيل كيف استحقوا المدح بايثار الغير على انفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الاخبار بان افضل دينار ماينفقه الرجل على نفسه وعياله وبه امر عليه السلام من سأله عن التصدق*قلنا الاحاديث فيمن لم يثق بالصبر على الفقر لانه يخشى عليه التعرض للمسألة والآية وردت فى الانصار فانهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى فى قوله والصابرين فى البأساء والضراء وايثار مثلهم افضل والايثار تقديم الغير على النفس فى حظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الاخروية* حكى عن ابى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الرى ومعهم ارغفة معدودة لاتكفى الا قليلا فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل احدمنهم شيأ منه ايثارا لصاحبه على نفسه ﴿ قوله وهى فرجه ﴾ شبه حالة الفقر والحاجة بفرج البناء فى اشتمال كل واحدة منهما على معنى النقصان والاحتياج الى المصلح ﴿ قوله حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴾ اشارة الى ان الشح اشد من البخل كما اشار اليه الجوهرى بقوله الشح البخل مع حرص فان البخيل يبغض الانفاق والحريص يحب المال فمن جمعهما صار شحيحا قيل ليس الشح ان يمنع الرجل ماله عن مستحقه انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال *اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم *حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال كسرى لاصحابه اى شئ اضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لايشبع ابدا وكل ذلك يدل على ان الحرص معتبر فى مفهوم الشح وانما اضيف الى النفس لانه غريزة فيها ﴿ قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم ﴾ عطف ايضا على المهاجرين ولم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره فيما سبق فيكون يحبون حالا من فاعل تبوأوا ويقولون حالا من فاعل جاؤا فلما كانت الآيات معطوفا بعضها على بعض وكان المراد بقوله والذين جاؤا من بعدهم التابعين لهم باحسان استوعبت الآية جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء فى الفيئ كأنه قيل هذا المال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللاصناف الاربعة الفقراء من المهاجرين والانصار والتابعين لهم قيل ويجوز ان يكون قوله تعالى والذين تبوأوا الدار فى محل الرفع على الابتداء والخبر يحبون او محذوف اى افلحوا وفازوا وكذا قوله والذين جاؤا يجوز ان يكون مرفوع المحل على الابتداء ويقولون خبره عن مالك بن اوس قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوأوا الدار والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حير نصيبه لم يعرق منها جبينه وهذا يدل على انه جعل هذه الآيات متعاطفة وعن عمر رضي الله عنه مايدل على ان المراد بهذه الآية الاراضى التى افتتحت عنوة دون اموال اهلها فانه روى انه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الاراضى بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الآية الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم شاور فيه عليا وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاشاروا بترك القسمة وان يقر اهلها عليها ويضع على رؤسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج ففعل فجعل اراضيهم خراجية ليصل نفعها الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن وهو مذهبنا فى الاراضى المأخوذة من الكفار عنوة اذ للامام ان يقسمها بين الغانمين ان رأى ذلك اصلح والا اقر اهلها عليها ويضع عليهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج وحملوا قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه على غير الاراضى والرقاب من الاموال ولو كانت هذه الآية وهو قوله تعالى ما افاء الله على رسوله منسوخة لذكرت الصحابة ذلك لعمر واخبروه بنسخها فظهر بذلك انها محكمة*فان قيل لم قالوا ربنا اغفر لنا ولاخواننا بتقديم الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لاخوانهم فى الدين*قلنا رجوا بذلك ان يغفر لهم فيكونوا بذلك اقرب الى الاجابة فى حق غيرهم ﴿ قوله ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴾ لانهم المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم وقد بين الله تعالى ان من شأن

(ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهى فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين

من جاء من بعد المهاجرين والانصار ان يذكر السابقين وهم المهاجرون والانصار بالرحمة والدعاء فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجا عن جملة اقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات* روى ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن على بن الحسين فسبوا ابابكر وعمر رضى الله عنهما ثم سبوا عثمان رضى الله عنه فاكثروا فقال لهم أمن المهاجرين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال فقد تبرأتم من هذين الفريقين وانا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عزوجل فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية لانه تعالى امر من تبعهم ان يستغفرلهم لابان يسبهم فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن تبعهم قوموا عنى فعل الله بكم وفعل قال الشعبى تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خيراهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خيراهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شراهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفارلهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة قال المفسرون فى معنى الآية علم الله تعالى انه سيقع من الصحابة اشياء ثم يذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع فى قلوب بعضهم كراهية بعض ذلك فتغير قلوبهم فأمروا بالاستغفارلهم وان لايجعل الله فى قلوبهم غلا لمؤمن تنبيها على ان ذلك مما يرجى عفوالله عنه وانه يجب على من جاء بعدهم محبتهم وحسن الاعتقاد فيهم والدعاء والاستغفار لهم ثم انه تعالى عجب السامعين من شأن المنافقين مع يهود بنى النضير وذلك ان عبدالله بن ابىّ وعبدالله ابن نفيل ورفاعة بن زيد وغيرهم قالوا لليهود الذين بينهم وبينهم اخوّة واشتراك فى الكفر بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم او اخوّة الصداقة والموالاة وكانوا يدا واحدة على المؤمنين فى السرّ لئن اخرجتم الخ واللام فى لئن أخرجتم لام توطئة القسم وفى لنخرجنّ لام جواب القسم فان القسم مقدّر قبل حرف الشرط حذف للعلم بوجودها واجيب القسم دون الشرط لسبق المقسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وكذا الكلام فى قوله تعالى لئن اخرجوا لايخرجون معهم فان قوله لايخرجون جواب القسم فلذلك رفع ولم يجزم اخبرالله تعالى انهم قالوا لليهود هذه المقالات ثم شهد على انهم كاذبون فيها فقال والله يشهد انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال لئن اخرجوا لايخرجون معهم الآية اى لئن اخرج اليهود من المدينة لايخرج المنافقون معهم ولئن قوتل اليهود لاينصرهم المنافقون كما وعدوهم وكان الامر كما ذكره الله تعالى لان اليهود اخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم فبان بهذا كذبهم فيما قالوه وفيه دليل على صحة النبوّة لانه عليه الصلاة والسلام اخبر بالغيب وكان كما اخبر وقيل وجه دلالته عليها ان المنافقين انما راسلوا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليهم احد غير اليهود وظاهر انهم لم يخبروا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون الآية علم انه تعالى اطلع رسوله على ما اخفوه عنه **قوله على الفرض والتقدير** جواب عما يقال انه تعالى نفى ان يتحقق نصرة المنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لايجوز وجوده فاوجه قوله ولئن نصروهم بكلمة ان التى من حقها ان تستعمل فيما يحتمل وجوده* وتقرير الجواب ان ما نفى الله تعالى وجوده لايمتنع فرضه وتقديره فكلمة ان ههنا لم تدخل على نصرتهم بل دخلت على فرض نصرتهم وهو مما يحتمل وجوده **قوله اذ ضمير الفعلين** وهما قوله تعالى ليولنّ وقوله ثم لاينصرون فان كان كلا الضميرين لليهود يكون المعنى لئن نصر المنافقون اليهود لينهزمنّ اليهود ثم لاينصرون ابدا بل يخذلهم الله وان كان الضميران للمنافقين يكون المعنى لينهزمنّ المنافقون بهلاكهم ثم لاينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ويضرهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرتهم اليهود ثم انه تعالى بين ان خوف المنافقين من المؤمنين اشدّ من خوفهم من الله تعالى فقال لأنتم اشدّ رهبة اى اشدّ مرهوبا جعله مصدرا من المبنى للمفعول لان انتم خطاب للمؤمنين والخوف ليس من حالهم بل هو حال المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة امر نسبىّ قائم بالفاعل متعلق بالمفعول فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببا لان يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببا لان يحدث فيه هيئة المرهوبية فلفظ المصدر قد يستعمل فى اصل معناه وهو الامر النسبىّ وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدرى به فيقال له حينئذ انه مصدر من المبنى للفاعل وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال انه مصدر من المبنى للمفعول كما فى هذه الآية والمعنى انهم يظهرون لكم انهم يخافون الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله لانهم لايخافون الله

(يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى لاخواننا فى الدين (ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبينهم اخوّة الكفر او الصداقة والموالاة (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجنّ معكم ولانطيع فيكم) فى قتالكم او خذلانكم (احدا ابدا) اى من الرسول والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاوننكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بانهم لايفعلون ذلك كما قال (لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان كذلك فان ابن ابىّ واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوّة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولنّ الادبار) انهزاما (ثم لاينصرون) بعد بل يخذلهم ولاينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين (لأنتم اشدّ رهبة) اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله

(ذلك بانهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين (الا فى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (او من وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار واما ل ابو عمرو فتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتدّ بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله رسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لايعقلون) مافيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين فى اغرآء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) اغراه على الكفر اغرآء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برئ منك) تبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزآء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه خبر لان وفى النار لغو (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدّمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوّه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدّمن للآخرة كأنه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد او الاوّل فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم انفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها او أراهم يوم القيامة من الهول ماانساهم انفسهم (اولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق

البتة او لايظهر فيهم شئ من آثار خوف الله بخلاف ماأضمروه فى صدورهم من خوف المؤمنين فانه اشدّ واقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى نفاقا مع ان قلوبهم خلو من خوفه تعالى ﴿قوله تعالى ذلك﴾ اى شدة خوفهم منكم بأنهم قوم لايفقهون عظمة الله وشدة نقمته حتى يخشوه حق خشيته ثم اخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم فقال لايقاتلونكم الا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بين ان بأسهم بينهم شديد بالادّعاء والقول حيث يوعدونكم بانهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم ولم يبق لكم ذلك البأس ﴿قوله تعالى ذلك﴾ اى تشتت قلوبهم بانهم قوم لايعقلون مافيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولايعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية فان صلاح القلب يوجب صلاح الجسد وفساد القلب يؤدّى الى فساد الجسد ﴿قوله اى مثل اليهود﴾ على ان قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف اى مااصابهم من الحال العجيبة الشان كما اصاب من قبلهم من زمان قريب وقريبا نعت لظرف محذوف اى وقتا وزمانا قريبا والمصنف جعله تمثيلا باعتبار قيامه مقام المضاف المحذوف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال المراد بالذين من قبلهم بنوا قينقاع امكن الله منهم قبل بنى النضير وقيل هو عام فى كل من انتقم الله منهم على كفرهم قبل بنى النضير من نوح الى سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام مثل حال اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا فى ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم ثم مثل حال المنافقين فى اغرآء اليهود على القتال بان قالوا لهم انا معكم ولا نخذلكم فاغترّ اليهود بقولهم فدرّبوا الازقة وتهيئوا للحرب فخذلهم المنافقون وتبرأوا منهم بحال الشيطان حين اغرى الانسان على الكفر فاغترّ الانسان باغرآئه فكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرأ منه وليس المراد ان الشيطان آمر للانسان بل هو مسلط عليه بحيث يلجئه الى المعصية لان شأنه ليس الا الاغرآء على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية اليه فقوله اكفر استعارة تبعية شبه اغرآءه على الكفر بالوسوسة باغرآء الآمر المأمور فاطلق اغرآء الآمر على اغرآئه وقد اغرى ابليس كفار قريش يوم بدر وقد تمثل لهم بصورة سراقة ابن مالك الكنانى وشجعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لاغالب لكم اليوم وانى جار لكم اى مجير لكم من بنى كنانة وكانت قريش تخاف من بنى كنانة لمابينهم من الاحنة فلما ترآءت الفئتان ورأى الشيطان جبريل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى مثل هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قال انه الشيطان تمثل بصورة سراقة ﴿قوله وقيل راهب﴾ اسمه برصيصا روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان فى بنى اسرآئيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان مشهورا بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوّذهم ويداويهم فيبرأون على يده وأتى بامرأة قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان له حملها لم يزل به الشيطان يخوّفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ثم ذهب الشيطان فى صورة رجل الى اخوتها واخبر بالذى فعله الراهب وانه دفنها فى مكان كذا فبلغ ذلك ملكهم فسار الملك فى الناس فاتوه فاستنزلوه من صومعته وهدّدوه ليصدقهم فاقرّ لهم بالذى فعله بها فامر الملك بصلبه فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذى زينت هذا كله والقيتك فيه فهل لك ان تطيعنى فيما اقول لك فاخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرا والعياذ بالله تعالى فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اسجد لغير الله فلما كفر اى سجد قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين ﴿قوله وقرئ عاقبتهما﴾ بالرفع على انها اسم كان وخبرها انهما فى النار وقرأ العامة بنصب عاقبتهما على انها خبر كان واسمها قوله انهما فى النار لان ان مع مافى حيزها اعرف من عاقبتهما فهو اولى بالاسمية وايضا قرأ العامة خالدين على انها حال من المنوىّ فى قوله فى النار اى فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما ثابتان فى النار خالدين فيها وقرئ خالدان بالرفع على انه خبر أن وفى النار لغو متعلق بالخبر مقدما عليه فيكون قوله فيها تأكيدا لقوله فى النار عن المبرد انه قال نصب خالدين على الحال اولى لئلا يلغى الظرف مرتين اى فى النار وفيها ثم انه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين بانهم قوم لايفقهون عظمة الله تعالى حتى يخشوه حق خشيته ولايعقلون مافيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ويتمسكوا به مجتمعين عاد الى موعظة المؤمنين فقال ياايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية ﴿قوله نسوا حقه﴾ وهو طاعته فى جميع ماكلفوا به بامتثال اوامره والاجتناب عن

تواهيه و المراد بنسيان حق الله مايلزم النسيان من الترك فالمعنى تركوا ما كلفوا به ترك الناسين له عن ابن عباس رضي الله عنه قال يريد بالناسين قريظة و النضير و بني قينقاع و الفاء في قوله تعالى فانساهم انفسهم للسببية و ذكر للانساء وجهين فالمعنى على الاول بسبب انهم نسوا حق الله خذلهم في الدنيا و جعلهم ناسين انفسهم بحيث لم يسعوا في عمل صالح ينجيها و لم يجتنبوا عن عمل سيئ يرديها و لم يخلق فيها داعية الاهتمام لاستكمالها و على الثاني بسبب انهم نسوا حق الله اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لا يرتد اليهم طرفهم و افئدتهم هواء و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى و لكن عذاب الله شديد ثم انه تعالى لما حرض المؤمنين على تقديم ما ينفعهم في الآخرة و شنع على الذين نسوا حق الله و طاعته بين تباعد ما بين الفريقين فقال لا يستوي اصحاب النار و اصحاب الجنة و اشار المصنف الى ان المراد باصحاب الجنة من استأهل للجنة بملازمة طاعة الله تعالى و الاجتناب عن معصيته و باصحاب النار من استحق النار بان نسي تقوى الله تعالى و طاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم و منع عنهم توفيقه و عونه و عبر عن الفريقين باصحاب الجنة و اصحاب النار زيادة في تصوير عدم استوائهما بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد ما بين الجنة و النار و عدم استوائهما مما لا يخفى على احد فالتعبير عن الفريقين باصحاب الجنة و اصحاب النار يكون زيادة توضيح لعدم استوائهما يوم الدين و عدم استوائهما و ان كان امرا معلوما بالضرورة الا انه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيها على عظم ذلك الفرق و ترغيبا للمؤمنين في استكمال نفوسهم بملازمة التقوى و الطاعة بتنزيلهم منزلة من لا يعرف الفرق بين الجنة و النار و البون البعيدين اصحابهما لعدم جريهم على ما يوجب العلم بايثار العاجلة و اتباع الشهوات فان العالم بالشيء اذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبري كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تنزيلا له منزلة من لا يعرف انه ابوه و ترغيبا في رعاية حقه ﴿قوله و احتج به اصحابنا﴾ اي احتجت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالذمي اذ لو قتل المسلم به و الحال ان الذمي يقتل بالمسلم لزم ان يستوي اصحاب الجنة و اصحاب النار في ان كل واحد منهما يقتل بالآخر و هو خلاف ما دل عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار و اصحاب الجنة فانه يدل دلالة ظاهرة على انهما لا يستويان في شيء من الاحكام و الحنفية يقولون انه و ان كان عاما بحسب الظاهر الا ان سياق الكلام يخصصه بالاستواء في منازل الآخرة و يجوز استواؤهما في الاحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر و كذا يملك الكفار اموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون اموال الكفار بالقهر و الاستيلاء حتى اذا غلب المسلمون عليهم و قد اخذوا اموال المسلمين قهرا و وجد اصحاب تلك الاموال اموالهم باعيانها في جملة مال الغنيمة فعند الامام الشافعي يرد مال المسلم الى المسلم لعدم خروجه عن ملك المسلم و عند الحنفية لا يرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار اياه بالاستيلاء على مذهبه ثم انه تعالى لما بين بانزال القرآن هذه المواعظ المرغبة في اكتساب اسباب الفوز و الفلاح و المنفرة عن الانهماك في اتباع الحظوظ العاجلة عظم شأن القرآن فقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل و كلفناه بما فيه لتشقق من خشية الله مع كمال قساوته و صلابته حذرا من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن فيا عجبا من قساوة الكافر حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن و قوة تأثيره و اعرض عما فيه من العبر و استخف بحقها كأن لم يسمعها و انه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته للان ﴿قوله تمثيل و تخييل﴾ الظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير و التبيين و قوله و تخييل عطف تفسير له و المعنى ان هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرآن و قوة تأثيره و انه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته و صلابته لرأيته ذليلا متصدعا من خشية الله خوفا من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن و اقامة ما فيه من التكاليف و الاحكام و المراد منه توبيخ الانسان بانه مع ضعف بنيته و وهن قواه لا يتخشع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد و عظائم الوعيد و ما جرى على الامم الماضية بمقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيئا منها فهذه الآية مثل اي قول غريب في بيان عظمة القرآن و دناءة حال الانسان و بيان لصفتها العجيبة فهي من جملة الامثال الواقعة في مواضع من التنزيل فقوله تعالى و تلك الامثال اشارة الى هذا المثل و الى غيره من الامثال الواقعة في التنزيل و قد مر مرارا ان لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار منه لكل امر غريب و صفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر في الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة ﴿قوله تعالى خاشعا متصدعا﴾ حالان من الضمير المنصوب في قوله لرأيته لانه من رؤية البصر و الخاشع الذليل و المتصدع المتشقق اي ذليلا بما كلفه من طاعته متشققا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه ثم انه تعالى لما وصف

(لا يستوي اصحاب النار و اصحاب الجنة) استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة و الذين استمهنوها فاستحقوا النار و احتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر (اصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل و تخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة و لذلك عقبه بقوله (و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه و الى امثاله و المراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه و قلة تدبره و التصدع التشقق و قرئ مصدعا على الادغام

القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم قدر الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذى لا اله الا هو ﴿قوله وتعلق العلم﴾ مجرور معطوف على الوجود وقوله او المعدوم والموجود مرفوع معطوف على قوله ماغاب وماحضر وكذا قوله او السرّ والعلانية ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ يعنى ان القدّوس بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة ومعناهما البليغ فى النزاهة عن سمات المحدثات وعوارض الممكنات ونظيرهما السبوح بالضم والفتح فى البناء والمعنى وفعول بالفتح قليل فى الصفات واكثر مايأتى منه فى الاسماء نحو تنور وسمور وهبود لجبل فى اليمامة ﴿قوله ذو السلامة﴾ يعنى ان السلام فى الاصل مصدر بمعنى السلامة ونحو انت السلام من قبيل رجل عدل ويدل على كونه مصدرا فى الاصل قولهم دار السلام وسلام عليكم ومنك السلام اى انت الذى تعطى السلامة وقيل انت الذى يسلم على عباده فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقولهم واليك يرجع السلام اشارة الى معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقولهم وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه تعالى ماداموا احياء ﴿قوله واهب الامن﴾ على ان المؤمن بكسر الميم الثانيه اسم فاعل من آمنه بمعنى اعطاه الامن من كل خوف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف ويجوز ان يكون من آمن بمعنى صدّق فانه تعالى كما يؤمن الناس من ان يظلمهم ويعاقبهم من غير ذنب فهو ايضا يصدّق عباده المؤمنين فى توحيدهم وطاعتهم له ومن قرأ بفتح الميم الثانية اراد انه تعالى يؤمن ويصدّق به المؤمنون فهو مؤمن به فلابدّ من تقدير الحال والا لامتنع اطلاقه وهو معنى باطل تعالى الله عن ذلك * عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واوّل من يخرج من وافق اسمه اسم نبىّ حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبىّ قال الله عز وجل لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا فى اللباب ﴿قوله مفيعل من الامن﴾ فيكون بمعنى المؤمن اصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما يقال فى ارقت هرقت ولما قلبت هاء ابقيت ولم تحذف مع ان همزة الافعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين فى المضارع للمتكلم وحمل الباقى عليه وبقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف فبقيت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء فى مضارع هراق اصلها اراق يريق فلما قلبت همزة الافعال هاء فى المضارع ابقيت على حالها ﴿قوله الذى جبر خلقه على ما اراده﴾ اى اكرههم عليه وقهرهم قيل اللغة الشائعة فى هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا لغة تميم وكثير من الحجازيين ومن عدا هذين الفريقين جعلوا الجبار فعالا من اجبره على كذا اى قهره واستدلوا به على مجيئ صفة المبالغة من المزيد على الثلاثى قال الفرّاء لم اسمع فعالا من افعل الا فى جبار ودرّاك فانهما من اجبر وادرك ﴿قوله او جبر حالهم بمعنى اصلحه﴾ فان جبر بمعنى اصلح فهو تعالى يغنى الفقير ويجبر الكسير * وعن ابن عباس قال الجبار بمعنى الملك العظيم وجبروت الله عظمته ومنه نخل جبار والعرب تسمى الملك بالجبار لكونه عظيم الشان ﴿قوله الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة﴾ يعنى ان صيغة التفعل للتكلف باظهار مايحصل باصله او باظهار الزيادة على ما كان منه ولما كان التكلف مستحيلا فى حقه تعالى جعل صيغة التكلف فى حقه للدلالة على ان ماقام به من الفعل على اتم مايكون واكمله من غير ان يكون هناك تكلف واعمال حقيقة ومنه مايقال ترحمت على ابراهيم بمعنى زدت الرحمة فى حقه ورحمته باحق مايتصوّر من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى انه البالغ فى الكبرياء اقصى المراتب ﴿قوله اذ لا يشاركه فى شئ من ذلك﴾ علة لتنزهه عن الشريك والمنوى فى يشرك راجع الى ما الموصولة فى قوله مايشركون اى كيف يكون له شريك فى الالوهية والاله يجب ان يكون موصوفا بما ذكر من الصفات وشئ مما سواه لا يشاركه فى شئ منها ويجوز ان تكون ما مصدرية ﴿قوله الموجد لها بريئا من التفاوت﴾ اى من العيب والخلل وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأنّ بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومفهوم البارئ الجاعل لما يوجده بريئا من التفاوت فكان الايجاد معتبرا فى مفهومه فلذلك فسره كثير من المفسرين بالموجد * قال الامام الخلق هو التقدير وهو تعالى خالق بمعنى انه يقدّر افعاله على وجوه مخصوصة فالخالقية راجعة الى صفة الارادة والبارئ بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يستعمل فى اختراع الاجسام دون الاعراض واما المصوّر فمعناه انه يخلق صورة الخلق على مايريده وقدّم ذكر الخالق لان ترجيح الارادة مقدّم على تأثير القدرة وقدّم البارئ على المصوّر لان ايجاد الذوات مقدّم على ايجاد الصفات وقال الامام

(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدّم الغيب لتقدّمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السرّ والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدّوس) البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجارّ (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه (المتكبر) الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة او نقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا يشاركه فى شئ من ذلك (هو الله الخالق) المقدّر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئا من التفاوت (المصوّر) الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى (له الاسماء الحسنى) لانها دالة على محاسن المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبىّ عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ماتقدّم من ذنبه وماتأخر

فى المقصد الاقصى قد يظن ان هذه الاسماء يعنى الخالق البارئ المصوّر مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان تكون كذلك بل كل مايخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى التقدير اوّلا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من حيث انه مقدّر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصوّر من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب * ثم هنا ما يتعلق بسورة الحشر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دآئما الى يوم الدين

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله الممتحنة﴾ بكسر الحاء المختبرة اضيفت السورة الى الجماعة الممتحنة حيث انه ذكر فيها امر جماعة المؤمنين بالامتحان وان فتحت الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التى نزلت فيها آية الامتحان ﴿قوله فان بها ظعينة﴾ الظعينة المرأة مادامت فى الهودج واذا لم تكن فيه فهى المرأة والهودج شئ يحمل فيه النساء على ظهر البعير والعقيصة الضفيرة وقيل هى التى تتخذ من شعر المرأة مثل الرمانة واصل العقص الليّ وادخال اطراف الشعر فى اصوله وسارّة اسم تلك المرأة التى هى معتقة بنى المطلب ﴿قوله ولا غششتك منذ نصحتك﴾ النصح الخلوص وصفاء القلب والغش ضدّه يقال غشه يغشه اذا اظهر له خلاف ما اضمره فى قلبه ونصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن التصديق والاذعان لنبوّته والانقياد لاوامره ونواهيه ولما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبى صلى الله عليه وسلم اى قبل عذره فقال اما انه قد صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله تعالى اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت اى لعل الله تعالى رضى عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعددهم فغفر لهم جميع ماوجد منهم وماسيوجد من الذنوب لان ذلك قطب امر الدين واول نصرة المؤمنين روى ان حاطبا لما سمع نداء ياايها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان ﴿قوله او اخبار﴾ عطف على قوله المودّة فيكون مفعول تلقون محذوفا وتكون الباء سببية لا مزيدة اما اذا كانت المودّة مفعولا به فانها قد تزاد فى المفعول به لتقوية التعدية ﴿قوله والجملة حال﴾ اى لا تتخذوا ملقين اليهم المودّة او ملقين اليهم اسراره صلى الله عليه وسلم بسبب مابينكم من المودّة او صفة لاولياء اى اولياء تلقون اليهم انتم بالمودّة اعترض على كونها حالا او صفة بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم والتقييد بالحال او بالوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف بل الظاهر انها استئناف فلا محل لها من الاعراب كأنه لما قيل لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء اتجه ان يقال كيف نتخذهم اولياء فقيل تلقون اليهم بالمودّة *واجيب بان قولك التقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف غير لازم لان عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لامفهوم للحال ولا للصفة هنا البتة ﴿قوله جرت على غير من هى له﴾ فان القاء المودّة وان كان صفة لاولياء لفظا الا انه جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى ومثل هذه الصفة اذا عبر عنها بلفظ الفعل لايجب ابراز ضمير الغير الذى جرت هى عليه من حيث المعنى بان يقال مثلا تلقون اليهم انتم بالمودّة وانما يجب ابرازه فى الاسماء فانه اذا وقع بدل تلقون ملقين وجب ان يقال اولياء ملقين اليهم انتم بالمودّة *فان قيل كيف قيل لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء والعداوة والصداقة لكونهما متنافيين لايجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع عن امكان اجتماعهما *قلنا انما يتنافيان عند اتحاد النسبة ولا اتحاد لها هنا لان الكفار اعدآء المؤمنين من حيث انهم حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد احبهما المؤمنون واطاعوهما وكون الكفار اعدآء المؤمنين من هذه الحيثية لاينافى كونهم اولياء المؤمنين من حيثية اخرى كتظاهرتهم فى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله تعالى عن ذلك ﴿قوله حال من فاعل احد الفعلين﴾ اى من ضمير لاتتخذوا او من ضمير تلقون اى لاتتخذوهم اولياء وهذه حالهم او تلقون اليهم مودّتكم وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون حال من فاعل كفروا اى كفروا مخرجين الرسول واياكم من مكة عن ابن عباس قال كان حاطب ممن اخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم او استئناف لبيان كفرهم وعتوّهم

﴿سورة الممتحنة وهى ثلاث عشرة آية مدنية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء) نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارّة مولاة بنى المطلب فنزل جبرآئيل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم فجحدت فسلّ علىّ رضى الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ماحملك عليه فقال ماكفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدّقه رسول الله وعذره (تلقون اليهم بالمودّة) تفضون اليهم المودّة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودّة والجملة حال من فاعل لاتتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هى له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل احد الفعلين (يخرجون الرسول واياكم) اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه

كأنّ قائلا يقول كيف كفروا فقيل يخرجون الرسول والمؤمنين من ديارهم * فان قيل لم لم يذكر ما اخرجوا منه قلنا لتناول الاخراج اخراجهم من ديارهم واموالهم وعشائرهم وما احبوه مما يتمتعون به ﴿قوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم﴾ فى محل النصب على انه مفعول له لقوله يخرجون اى يخرجونكم لاجل ايمانكم او كراهة ايمانكم وقوله ان تؤمنوا خطاب للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليه وقوله بالله ربكم التفات من التكلم فى قوله عدوّى الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان وهو الالوهية والربوبية ﴿قوله علة للخروج﴾ يعنى انتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم لاجلى وطلب مرضاتى لاتتولوا اعدآئى فقد علق النهى عن موالاة الكفار على خروجهم المقيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضات فيكون هذان الامران عمدتين للتعليق لما تقرّر من ان التقييد هو مدار الفائدة ويعتمد عليه الحكم المقيد كأنه قيل لاتتولوا اعدآئى ان كنتم مجاهدين فى سبيلى وطالبين مرضاتى وان كان المعلق عليه صورة هو الخروج ﴿قوله وجواب الشرط محذوف﴾ لان نفس لاتتخذوا لا يصلح جوابا لان جواب الشرط لا يتقدّم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادا عليه والكوفيون يجيزون تقدّمه عليه ﴿قوله بدل من تلقون﴾ فيكون معربا باعرابه ويشبه ان يكون من قبيل بدل الاشتمال لان القاء المودّة والقاء اسراره عليه الصلاة والسلام اليهم بسبب المودّة يكون سرّا وجهرا فابدل منه تسرّون لبيان انه باى نوع وقع الالقاء ويجوز ابدال الفعل من الفعل كما فى قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وقول الشاعر

* متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تضرّما *

﴿قوله اواستئناف﴾ اى انتم تسرّون ولم يرد بالاستئناف كونه جوابا لسؤال مقدر بل اراد به كونه منقطع التعلق عما قبله لفظا وفسره بقوله اىّ طائل لكم فى اسرار المودّة بناء على ان قوله تسرّون اليهم بالمودّة مسوق للانكار بمعنى انه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظا يتضمن الاستفهام الانكارى كأنه قيل اىّ نفع لكم فى الاسرار والحال انه لافرق بين الاسرار والاعلان بالنسبة الىّ وهما سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرّون ﴿اى منكم﴾ على ان اعلم افعل تفضيل اى انا اعلم منكم بما تخفون وما تعلنون قيل هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته للرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه فى ايمانه لان المعاتبة لاتكون الامن المحب لحبيبه كما قيل

* اذا ذهب العتاب فليس ودّ * ويبقى الودّ ما بقى العتاب *

ثم انه تعالى اخبر المؤمنين بعداوة اهل مكة لهم وشدة شكيمتهم فيها وانه لاينفعهم القاء المودّة اليهم فقال ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم ﴿قوله ويحبه﴾ اى بحيّ ودّوا وحده يعنى انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا وهو مضارع وكذا الشرط وهو يثقفوكم ولما كانت هذه الافعال الثلاثة مضارعة كان الظاهر ان يكون ودّوا مضارعا ايضا ليكون الشرط والجزآء وما عطف عليه على سنن واحد الا انه جاء وحده بلفظ الماضى للاشعار بان ارتداد المؤمنين اهمّ الاشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل اظهار العداوة وبسط الايدى والالسن وقيل ان يثقفوكم ايضا وذلك لان العدوّ أهم شئ عنده ان يضيع اعز شئ عند من يعاديه وهم يعلمون ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون انفسكم واموالكم دونه فهو اعز عليكم من الدنيا وما يتعلق بها فلما كان ارتداد المؤمنين اعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شئ جاء ودّوا بلفظ الماضى للاشعار بذلك وبان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوهم ويجوز ان لايكون ودّوا معطوفا على جواب الشرط بل يكون معطوفا على قوله وقد كفروا اى وقد كفروا وأحبوا كفركم ثم انه تعالى اخبر ان القرابات والاولاد التى يوالون الكفار من اجلها ويحامون عنها لاتنفعهم فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة على ان يكون الظرف متعلقا بقوله لن تنفعكم ثم يستأنف بقوله يفصل بينكم اى يقضى الله بينكم بالحق الا ان المفهوم من تحرير المصنف ان يكون الظرف متعلقا بقوله يفصل ويكون الفصل بمعنى التفريق بين الارحام بادخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار وبان تفريقهم من بعض بسبب ما عراهم من الهول اى غشيهم ولما اعتذر حاطب فى افشائه سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهاره موالاة الكفار بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وليس لهم من يحميهن من قبلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا الخ بين الله تعالى خطأه فى رأيه بان اخبره اوّلا ان من الاهم وتوقع حماية ارحامه واولاده منهم اعدآء

(فقال)

(ان تؤمنوا بالله ربكم) لان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن اوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا (تسرّون اليهم بالمودّة) بدل من تلقون او استئناف معناه اىّ طائل لكم فى اسرار المودّة او الاخبار بسبب المودّة (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية (ومن يفعله منكم) اى يفعل الاتخاذ (فقد ضل سوآء السبيل) اخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء) ولاينفعكم القاء المودّة اليهم (ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم كالقتل والشتم (وودّوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودّوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم

فقال ان يثقفوكم الآية ثم اخبره ثانيا ان ارحامك واولادك الذين توالى الكفار لاجلهم سيفرّون منك عن قريب فقال لن تنفعكم ارحامكم الآية ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد﴾ اى يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشدّدة على بناء الفاعل من التفصيل وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على بناء المفعول من التفصيل وقرأ عاصم يفصل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على بناء الفاعل من الثلاثى وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو يفصل بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق وكذا التفصيل الاان بناء التفعيل فيه للتكثير والتكرير والفاعل فيما بنى له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بنى للمفعول الظرف بعده وهو بينكم وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فى احد الاوجه وهذه اربع قراآت للقرّاء السبعة وهناك قراآت اخر من الشواذ ثم قال تعالى والله بما تعملون من افشاء سرّه عليه السلام الى اهل مكة واتخاذهم اولياء ونحوذلك بصيراى عالم ولم يقل خبير مع انه ابلغ من العليم بناء على ان الخبر بالضم هو العلم بالشئ مع طمأنينة القلب لان الخبير وان كان ابلغ من ذلك الوجه الاان البصير فيه مبالغة من وجه آخر لدلالته على كون المعلوم فى انكشافه للعالم به بمنزلة المشاهد بحس البصر ثم انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضرب به مثلالهم حين تبرأ من قومه ليتأسوا به فقال قد كانت لكم اسوة حسنة قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة فى الموضعين من هذه السورة وفى سورة الاحزاب ايضا والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة نقل عن صاحب الكشاف انه قال القدوة والاسوة لكل واحد منهما معنيان احدهما الاقتداء والاتباع وهو الاصل والثانى المقتدى به والمؤتسى به الجوهرى ائتسى به اى اقتدى به واختار المصنف ان تكون الاسوة اسما لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به ههنا تبرّؤه من اهل الشرك وما يعبدونه من الاصنام ﴿قوله صفة ثانية﴾ اى لاسوة فان اسوة اسم كان ولكم خبرها وفى ابراهيم صفة ثانية لاسوة او خبر كان ولكم لغو متعلق بعامل مقدّر من الافعال الخاصة بناء على ان اللام فيه للبيان فلما قيل قد كانت اسوة حسنة فى ابراهيم كأنه قيل لمن تقول هذا الكلام فاجيب لكم اى اقول لكم ﴿قوله او حال﴾ عطف على قوله صفة ثانية وكذا قوله او صلة لها اى ويجوز ان يكون فى ابراهيم متعلقا بحسنة تعلق الظرف بعامله ولايجوز ان يكون متعلقا باسوة لانها مصدر موصوف بحسنة ووصف المصدر اجنبىّ عنه ولايجوز الفصل بينه وبين معموله باجنبى الاان يقال انه ظرف وقد تقرّر انه يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيره فلايبالى بالفصل بين المصدر ومعموله اذا كان ظرفا ﴿قوله ظرف لخبر كان﴾ وهو ماتعلق به لكم اوفى ابراهيم ولايجوز كونه ظرفا لاسوة لما ذكر آنفا ﴿قوله تعالى وحده﴾ مصدر فى موضع الحال اى واحدا منزها عن الشريك ﴿قوله استثناء من قوله اسوة حسنة﴾ فانه تعالى لما قال قد كانت فى اقوالهم وافعالهم اسوة تتأسون بهم فيها استثنى قوله لابيه لاستغفرنّ لك منها وبين انه لااسوة لكم فيه كما قال تعالى ماكان للنبىّ والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا اولى قربى وكان استغفار ابراهيم قبل النهى اوكان لموعدة وعدها اياه فظن ابراهيم عليه السلام انه قد انجزها فلما تبين انه مصرّ على الشرك تبرأ منه فلايحل لكم ان تستغفروا للمشركين من بعد ماتبين لكم انهم اصحاب النار فلايغفر لهم ابدا وقوله تعالى وماأملك لك من الله من شئ من جملة قول ابراهيم لابيه الذى استثناه الله تعالى مما يؤتسى به من اقواله وافعاله *فلما ورد ان يقال كيف يصح كونه من تمام قوله المستثنى وهو فى نفسه كلام حسن يحسن ان يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء اشار الى دفعه بقوله ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه يعنى ان ماذكر انما يدل على عدم صحة كونه مقصودا بالاستثناء ومستثنى بانفراده واما اذا استثنى مجموع مقالته وكان المقصود بالاستثناء من ذلك المجموع استثناء جميع اجزآئه وقرن به مابعده من كلام ابراهيم تحقيقا لوعده فكأنه قال لأستغفرنّ لك ومافى طاقتى الاهذا فهو مبذول لا محالة فلما كان هذا تابعا لماقبله ومتفرّعا عليه وهومن كلام ابراهيم ادخل فى المستثنى ولايلزم من عدم صحته عدم صحة كون مجموع مقالته مستثنى لانه فى قوّة ان يقال لاستغفرنّ لك وليس فى وسعى وطاقتى الاالاستغفار فهو مبذول لك فحكى الله تعالى هذا المجموع عنه عليه الصلاة والسلام واستثناه مما اثبت فيه من الاسوة والمقصود من الاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لابيه الكافر بقوله لاستغفرنّ لك ولما كان مابعده مذكورا لتحقق الوعد المذكور وبيانا لوجهه ادخل فى المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه

(يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفرّ بعضكم من بعض فمالكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفرّ منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قدكانت لكم اسوة حسنة) قدوة اسم لما يؤتسى به (فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكنّ فى حسنة او صلة لها لالأسوة لانها وصفت (اذقالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انابرآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومماتعبدون من دون الله كفرنابكم) اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتدّ بشأنكم وآلهتكم (وبدابيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة (الاقول ابراهيم لابيه لأستغفرنّ لك) استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس ممايبغى ان تأتسوا به فانه كان قبل النهى اولموعدة وعدها اياه (وما املك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه

مع ان قوله و ما املك لك من الله من شيء يدل على انه لو ملك له ماهو اكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقا بماقبله وفي معناه فكان حقيقا بالاستثناء ﴿قوله متصل بماقبل الاستثناء﴾ اى هو داخل فى جملة ماانبته الله تعالى فى ابراهيم ومن معه ممايؤتسى به من الاقوال و الافعال الدالة على تخلقه بالاخلاق الحميدة المرضية كقوله و ما املك لك وفصل بينه و بين ماقبل الاستثنا بالاستثناء ﴿قوله او امر من الله﴾ اى ويجوز ان لايكون من جملة مقالة ابراهيم عليه الصلاة و السلام بل يكون امرا من الله سبحانه للمؤمنين باضمار قولوا اى اظهروا لهم العداوة ولايهولنكم كثرة عددهم و عددهم وقولوا ربنا عليك توكلنا الآية اى قولوا عليك اعتمدنا و اليك رجعنا بالاعتراف من ذنوبنا و اليك المرجع فى الآخرة ﴿قوله بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لاتحمله﴾ فعلى هذا تكون الفتنة مصدرا بمعنى الفتون و عن الزجاج انه قال لاتظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنونا بذلك وعن مجاهد قال لاتعذبنا بايديهم و لابعذاب من عندك فيقولوا لوكان هؤلاء على الحق لمااصابهم هذا ﴿قوله وابدل قوله لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر من لكم﴾ ليس من قبيل بدل الكل من الكل لما تقرر فى النحو انه لايبدل ظاهر من ضمير المتكلم او المخاطب بدل الكل من الكل فلايقال فى المسكين كان الامر و لاعليك الكريم المعوّل لئلاينتقص المقصود بالنسبة عن غيره فى الدلالة على الذات المرادة مع اتحاد الذات و الظاهر ان مافى الآية من قبيل بدل الاشتمال لان التابع لكونه اعم من المتبوع يشمله و غيره ﴿قوله تعالى لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر﴾ اى يخافه و يخاف عقابه فى الآخرة او يرجو ثواب الله تعالى بالائتساء بهم فان الرجاء كمايكون بمعنى التوقع و الامل يكون بمعنى الخوف ايضا قال تعالى مالكم لاترجون لله وقارا اى لاتخافون عظمة الله تعالى و قال الشاعر * اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * اى لم يخف ولم يبال ﴿قوله فانه يدل على انه لاينبغى لمؤمن ان يترك التأسى بهم﴾ تعليل انفهام مزيد الحث على التأسى بابراهيم من البدل ﴿قوله تعالى و من يتول﴾ اى ومن يعرض عن الائتساء بالانبياء و سنة المؤمنين و يوال الكفار فان الله هو الغنى عن خلقه و عن موالاتهم و نصرهم لاهل دينه اذ لم يخلقهم لحاجة اليهم بل هو ولى دينه و ناصر حزبه و الحميد المستحق للحمد فى ذاته و فى جميع افعاله و هو وعيد بليغ لمن يتولى عن التأسى بهم اشار اليه المصنف بقوله فانه جدير بان يوعد به الكفرة ﴿قوله فوعدهم الله تعالى بذلك﴾ فان عسى من الله تعالى وعد و لايخلف الله وعده و هو معنى قولهم عسى من الله واجبة ﴿قوله تعالى لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين﴾ اختلفوا فى المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك القتال و المظاهرة فى العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على ان لايقاتلوه و لايخرجوه فامر الرسول عليه الصلاة و السلام بالبرّ و الوفاء الى مدة اجلهم وقال مجاهد هم الذين آمنوا بمكة و لم يهاجروا و قيل هم النساء و الصبيان و عن عبد الله بن الزبير انها نزلت فى اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه و كان ابو بكر تزوج امها قتيلة ثم طلقها فى الجاهلية ثم قدمت مشركة على بنتها اسماء فى المدة التى كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة و السلام و بين كفار قريش الخ ﴿قوله بدل من الذين﴾ اى بدل اشتمال لان بينهم و بين البرّ ملابسة بغير الكلية و الجزئية فالمنهى عنه قصدا هو برّهم بالقول و حسن المعاشرة و الصلة بالمال لاانفسهم اذا انفسهم انماذكرت توطئة للمقصود و القسط العدل اى المعاملة بمايعادل معاملتهم معكم فانهم اذا لم يخرجوكم من دياركم و لم يؤذوكم فهذا برّ منهم فالعدل معهم ان تبرّوهم ايضا و بهذا استدل ابو حنيفة و محمد رحمهما الله فى دفع ماسوى الزكاة من الصدقات الى اهل الذمة و استثنى الزكاة من جملتها لحديث معاذ رضى الله عنه خذها من اغنيائهم و ردّها الى فقرائهم ﴿قوله فاختبروهن بمايغلب على ظنكم﴾ قيل انه كان من ارادت منهنّ اضرار زوجها قالت سأهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر عليه السلام بامتحان من هاجرت اليه مظهرة للايمان و اختلفوا فى انه عليه الصلاة و السلام باى شئ يمتحنهن فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان يمتحنهن بان يستحلفهنّ بالله ماخرجت بغضا لزوجها و لارغبة من ارض الى ارض و لاالتماسا لدنيا و لاعشقا لرجل من المسلمين و لالحدث احدثته و ماخرجت الارغبة فى الاسلام و حبالله و رسوله فاذا حلفت بالله الذى لااله الاهو على ذلك اعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها و ماانفق عليها و لايردّ نفسها لقوله تعالى فان علمتموهنّ مؤمنات فلاترجعوهنّ الى الكفار و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان امتحانهنّ ان يشهدن ان لااله الاالله و ان محمدا رسول الله فاذا شهدن به مع طيب النفس لايرجعن الى الكفار و عن عائشة رضى

(ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) متصل بماقبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لماوصاهم به من قطع العلائق بينهم و بين الكفار (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لاتحمله (و اغفر لنا) مافرط (ربنا انك انت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل و يجيب الداعى (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسى بابراهيم و لذلك صدّر بالقسم و ابدل قوله (لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر) من لكم فانه يدل على انه لاينبغى لمؤمن ان يترك التأسى بهم و ان تركه مؤذن بسوء العقيدة و لذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودّة) لمانزل لاتتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين و تبرّأوا منهم فوعدهم الله بذلك و انجزاذ اسلم اكثرهم و صاروا لهم اولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لمافرط منكم فى موالاتكم من قبل و لمابقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم) اى لاينهاكم عن مبرّة هؤلاء لان قوله (ان تبرّوهم) بدل من الذين (و تقسطوا اليهم) تفضوا اليهم بالقسط اى العدل (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها و لم تأذن لها فى الدخول فنزلت (انماينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم) كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين و بعضهم اعانوا المخرجين (ان تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (و من يتولهم فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى غير موضعها (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ) فاختبروهنّ بمايغلب على ظنكم موافقة قلوبهنّ السنتهنّ فى الايمان (الله اعلم بايمانهنّ) فانه المطلع على مافى قلوبهنّ

الله عنها انها قالت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ الآية اى بقبول هذه الشروط سماهن مؤمنات قبل الامتحان لمشارفتهن الايمان بالامتحان و قبول الشروط المذكورة وكانت المهاجرات اذا قدمن قعدن عنده عليه السلام فيقول عليه الصلاة و السلام لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ و يتلو عليهن الآية الخ فاذا اقررن بذلك قال قد بايعتكن فارتفعن قالت عائشة رضي الله عنها و الله ما مست يده عليه الصلاة و السلام يد امرأة فى المبايعة الا بقوله و الآية التى فى هذه السورة نزلت عام الحديبية فانه عليه الصلاة و السلام صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه و من لحق بالمسلمين مسلما منهم ردّ عليهم وكانت المصلحة فيه فى ذلك الوقت فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فاقبل زوجها مسافر فقال اردد علىّ امرأتى كما هو الشرط و هذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت فنسخ ذلك الحكم فى حق النساء حث الله تعالى فيهن ان لا يرددن اليهم و فى الرجال ان يردّوا اليهم و ذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن و العجز عن الصبر على الفتنة ثم انه تعالى نفى حل كل واحد من الزوجين للآخر اذا اسلمت المرأة و الزوج كافر ثم الايمان قد ذكر فى هذه الآية على ثلاثة اوجه الاوّل الايمان المدلول عليه بمجرّد الاقرار باللسان و الهجرة اليناوهو قوله اذا جاءكم المؤمنات و صفهن بالايمان بناء على انهن اظهرن ذلك و الثانى الايمان المدلول عليه بالامارات التى تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن ألسنتهن و هو قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات اى فان غلب على ظنكم اخلاصهن فى الايمان فان غلبة الظن حجة فى الشرع قائمة مقام العلم و الثالث الايمان الحقيقى الذى هو طمأنينة القلب على الاعتقاد الحق و هو قوله الله اعلم بايمانهن و فائدة ايراد هذه الجملة مع ان مضمونها معلوم لا شبهة فيه بيان انه لا سبيل لنا الى الاحاطة بحقيقة الحال و ليس فى وسعنا الا الاكتفاء بالظن الغالب الذى يحصل بالامتحان ﴿قوله و التكرير للطابقة﴾ اى بين الزوجين فى ان كل واحد منهما لا يحل للآخر و نفى الحل من جانب و ان كان مستلزما لنفيه من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة التزاما بل صرّح بنفى الحل من الجانبين للمبالغة فى ثبوت الحرمة اذا اسلمت المرأة و الزوج كافر ﴿قوله لزمه ردّ مهورهن﴾ لئلا يلحق الخسران بازواجهن من وجهين الزوجة و ما دفع اليها من المال و الحكم بردّ الصداق انما هو فى نساء اهل العهد و امامن لا عهد بينه و بين المسلمين فلا يردّ عليهم شئ من المهر * قال الامام ابو الليث فى تفسير قوله تعالى و آتوهم ما انفقوا يعنى و أعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ثم نقل عن مقاتل انه قال يعنى ان تزوّجها احد من المسلمين فدفع المهر الى الزوج فان لم يتزوّجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شئ و اعلم انه تعالى علق رفع الجناح فى تزوّج هؤلاء المهاجرات بايتاء اجورهن فيجب ان يتقدّم ايتاء الاجور على عقد النكاح حتى يحل النكاح و يرتفع الجناح ثم ان فسرت الاجور بالمهور التى تكون من جانب المسلمين يجب على المسلمين ان يسوقوا لهن مهورهن قبل العقد ليدفعنه الى ازواجهن من الكفار و ان فسرت بالمهور التى انفقها ازواجهن الكفار فلا بدّ ان يدفعها المسلمون اليهن على سبيل القرض ليدفعنه الى ازواجهن الاوّل ثم يتزوّجهن المسلمون على ما أدّوا اليهن من الدين فيكون ما وجب عليهم بالعقد و الدخول قصاصا عما وجب عليهن بالقرض و ان دفع المسلمون اليهن مهور ازواجهن الاوّل بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن هذا هو المفهوم من الكشاف و الظاهر ان قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار نهى للائمة عن ردّهن الى الكفار بعد ان علموهن مؤمنات و رجع يتعدّى و لا يتعدّى يقال رجع بنفسه رجوعا و رجعه غيره و كذا قوله و آتوهم ما انفقوا امر لهم بان يعطوا ازواجهن الكفرة ما دفعوا اليهن من المهور من بيت المال الذى لا يتعين له مصرف اذا طالب الزوج الكافر ردّها فانه لما امتنع من ردّها الى زوجها الكافر لحرمة الاسلام امر الامام بردّ المال وفاء للعهد بقدر الامكان و اذا لم يطالبها زوجها الكافر او ماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لا يغرم الامام شيأ لعدم تحقق المنع من قبله و قوله تعالى و لا جناح عليكم ان تنكحوهن اى فى ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن المراد بالاجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من يتزوّجهن من المسلمين و المراد بايتائها الذى هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الايتاء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية فان استحلال البضع بعقد النكاح لا ينفك من لزوم ايتاء المال و ان ما أعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر فى نكاحهن و احتجّ ابو حنيفة رحمه الله تعالى بقوله و لا جناح عليكم ان تنكحوهن على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة و بقى الآخر حربيا وقعت الفرقة بمجرّد تباين الدارين و لا يرى

(فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات و انما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) اى الى ازواجهن الكفرة لقوله (لا هن حل لهم و لا هم يحلون لهن) و التكرير للطابقة و المبالغة او الاوّل لحصول الفرقة و الثانى للمنع عن الاستئناف (و آتوهم ما انفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور و ذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردّهن لورود النهى عنه لزمه ردّ مهورهن اذ روى انه عليه الصلاة و السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق و تزوّجها عمر رضى الله عنه (و لا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن و بين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر

العدّة على المهاجرة ويبيح نكاحها بدون العدّة الا ان تكون حاملا وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تجب عليها العدّة ووجه احتجاج ابى حنيفة انه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهنّ بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضىّ العدّة فلولا ان الفرقة تقع بمجرّد الوصول الى دار الاسلام لكان الجناح ثابتا فى نكاحهنّ وعند الامام الشافعى رحمه الله لاتقع الفرقة بمجرّد تباين الدارين وانما تقع باسلامها او بالسبى وان سبيامعا اما الاوّل فلانه تعالى حرّم المسلمة على الكافر واما الثانى فلانّ السبى يقتضى صفاء الملك للسابى ولا يتحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها فقول المصنف فان الاسلام حال بينهنّ وبين ازواجهنّ الكفار يشعر بان الحائل هو الاسلام دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبنى على مذهبه ﴿قوله بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب﴾ يعنى ان العصمة فى الاصل وان كانت مصدرا بمعنى الحفظ والمنع الا ان المراد بها فى هذه الآية ما يكون سببا لاعتصامهنّ كما ان الفتنة فى قوله تعالى ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا بمعنى سبب الافتتان والامساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى ولاتتعلقوا بعقد الكوافر ونكاحهنّ ولايكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجية بعد ما اسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت ازواجكنّ فيها كافرات وهذا معنى قول المصنف والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدى بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه وقيل المراد بالكوافر المرتدّات اى اذا ارتدّت فلا تتعلقوا بما كان بينكما من العقد فانه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها عنكم ولا وجه للتخصيص فان الكوافر تعم المشركات والمرتدّات بين الله تعالى بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله اذا آتيتموهنّ اجورهنّ حكم النساء اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وبين بقوله ولاتمسكوا بعصم الكوافر حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازواجهنّ وهجرتهم او حكم اللاتى ارتددن على ما قيل ﴿قوله تعالى واسألوا ما انفقتم﴾ اى اذا ارتدّت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوّجها منهم وكذا يسأل كل حربى اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها ممن تزوّجها منا وظاهر قوله تعالى وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام الا ان المراد امر المؤمنين بالاداء بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ﴿قوله تعالى يحكم بينكم﴾ يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا لامحل له كأنه قيل بين من يحكم الله تعالى فاجيب بان قيل يحكم بينكم وان يكون حالا من حكم الله والجملة اذا وقعت موقع الحال لابدّ ان تكون مشتملة على ضمير ترتبط به الجملة بذى الحال وذلك الضمير اما مستتر فى يحكم عائد الى الحكم على جعل الحكم حاكما على المبالغة كما فى جدّ جدّه او ضمير بارز محذوف للعلم به منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليحكم والمستتر فيه عائد الى الحكم على جعل الحاكم الله بينكم * روى انه لما نزل قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ادّى المؤمنون مهور المهاجرات المؤمنات الى ازواجهنّ المشركين وأبى المشركون ان يؤدّوا شيأ من مهور الكوافر الى ازواجهنّ المسلمين اى قال المسلمون رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين قد حكم الله عزّ وجل بيننا بانه ان جاءتكم امرأة منا توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به وابوا الانقياد لحكم الله تعالى من اداء ما انفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فانزل الله تعالى وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار وقال ابن زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين واتت امرأة من المشركين الى المسلمين فقال القوم هذه عقبتكم اى نوبتكم قد اتتكم فنزلت اى ان تفرّ واحدة من ازواجكم الى الكفار مرتدّة وسألتم منهم ان يؤدّوا المهر اليكم فأبوا فان هاجرت امرأة منهم اليكم مسلمة فآتوا من فرّت امرأته الى الكفار مرتدّة مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولاتؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصا جعل قوله تعالى فعاقبتم من العقبة بمعنى النوبة فان المعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا اذا جاء فعل كل واحد منهما عقيب فعل الآخر واداء كل واحد من المسلمين والكفار لايلزم ان يعقب اداء الآخر لجواز ان يتوجه الاداء الى احد الفريقين مرارا متعدّدة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون اى لايتناوبون فى الاداء الا انه شبه ما حكم به على الفريقين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه فاطلق على الاداء المذكور اسم العقبة بمعنى التعاقب فيه ثم اشتق منه فعاقبتم على طريق الاستعارة التبعية ﴿قوله وقيل معناه﴾ اى معنى قوله تعالى وان فاتكم شئ الآية

(ولاتمسكوا بعصم الكوافر) بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولاتمسّكوا بالتشديد (واسألوا ما انفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ما انفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعنى جميع ما ذكر فى الآية (يحكم بينكم) استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ من ازواجكم الى الكفار) احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او شئ من مهورهنّ (فعاقبتم) فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) من مهر المهاجرة ولاتؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدّمة ابى المشركون ان يؤدّوا مهر الكوافر فنزلت

نه ان انفلتت واحدة من ازواجكم الى الكفار وامتنعوا ان يغرموا مهرها فانبذوا اليهم عهدهم وقاتلوهم حتى
ذا ظفرتم وغلبتم عليهم وغنمتم شيأ فاعطوا من انفلتت زوجته اليهم من تلك الغنيمة مثل ماانفق عليها ولعل وجه
فسير قوله تعالى فعاقبتم بان قال واصبتم من الكفار عقبي وهى الغنيمة اى فغنمتم معاقبة الكفار اى عقاب المسلمين
ياهم بانواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمى بالسهم ونحو ذلك اذ المعاقبة سبب للاغتنام
اطلق اسم المعاقبة واريد المسبب مجازا مرسلا ﴿قوله نزلت يوم الفتح﴾ اى لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
كة وجاءته النساء يبايعنه نزلت وشرط الله تعالى فى مبايعتهن ان يأخذ عليهن هذه الشرط حتى تقبل بيعتهن
لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسفل منه وهند بنت عتبة
نتقبة متنكرة مع النساء خوفا من ان يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ابايعهن على
ن لايشركن بالله شيأ فقالت هند انك لتأخذ علينا عهدا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان عليه الصلاة والسلام
دبايع الرجال على الجهاد وعلى الاسلام فقط ثم قالت عبدنا الاصنام فما اغنت عنا ثم قال عليه الصلاة والسلام
لايسرقن فقالت هند ان اباسفيان رجل ممسك وانى اصبت من ماله هنات فلاادرى أتحل لى ام لا فقال ابو سفيان
ا اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند
نت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يانبي الله عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام خذى مايكفيك وولدك
المعروف ثم قال ولا يزنين فقالت هند أو تزنى الحرة فقال عمر لو كان قلب نساء العرب مثل هند مازنت امرأة منهن
فقال عليه الصلاة والسلام ولايقتلن اولادهن اى بالوأد فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا يوم بدر وكان ابنها
حنظلة بن ابى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال
عليه الصلاة والسلام ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك
المراد بالبهتان الولد المبهوت به وليس المعنى على نهيهن عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى ازواجهن لان ذلك
د نهى عنه بقوله ولا يزنين وصف الولد الملتقط الذى تلحقه المرأة بزوجها بكونه مفترى بين يديها ورجليها لانها تقول
هذا ولدى منك حملته فى بطنى الذى هو بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى والبهتان فى الاصل مصدر يقال
بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا اى قال عليه مالم يفعله وزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت
زوجها هذا ولدى منك فقد بهتته به حيث قالت عليه مالم يفعله وجعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة
ى وصفهن بالكذب فلما سمعت هند هذا قالت والله ان البهتان لقبيح وماتأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال
عليه الصلاة والسلام ولايعصينك فى معروف فقالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ
بايعهن عليه الصلاة والسلام بهذه الخصال الست فقبلنها ومامست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة قط
لا امرأة تملكها غير انه بايعهن بالكلام عن اميمة بنت رقيقة انها بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقالت
ا رسول الله صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة وما بايعهن الا بالكلام بهذه الآية
قيل بايعهن وعلى يده ثوب قطرى اى كتان غليظ وقيل امر عمر رضى الله عنه ان يبايعهن عنه ففعل وعلى يده
وب ذكر الله تعالى فى صفة بيعتهن خصالا ستاهن اركان مانهى عنه فى الدين وكان يكثر تركها فى النساء وكانت
حرمتها دآئمة فى كل زمان وفى كل حال بخلاف اركان ماامر به من الصلاة والزكاة فانها منوطة باوقات مخصوصة
شرآئط معينة فكان التنبيه على اشتراط مادام واستمر فى كل وقت اهم وآكد ثم انه قدم من هذه المنهيات ماهو الاقبح
على ماهو أدنى منه فى القبح ثم وثم الى آخرها وكذا قدم ماهو اكثر وقوعا فيما بينهم وقوله تعالى يبايعنك
ى موضع الحال من المؤمنات اى مبايعات وقوله يفترينه اما فى موضع الجر على انه صفة بهتان او فى موضع النصب
على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه
مقدرا وجوده بين ايديهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين
﴿قوله فى حسنة تأمرهن بها﴾ وهى تعم كل امر فيه رشدهن كالنهى عن النياحة والدعاء بالويل والثبور وتمزيق
الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الاذارحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر
الا مع ذى محرم ﴿قوله تنبيه على انه لاتجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق﴾ ووجه التنبيه انه لم ينبه على معصيته
عليه الصلاة والسلام مطلقا بل قيد النهى عنها بكونها فى المعروف فقيد كونها فى المعروف اشعر بان معصيته عليه الصلاة

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى اى غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضى التقوى منه (ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء (ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن اولادهن) يريد وأد البنات (ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولايعصينك فى معروف) فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لايأمر الا به تنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)

و السلام فى المنكر غير منهى عنها مع العلم بانه عليه الصلاة والسلام لايأمر بالمنكر ولما لم تجز طاعته فى المنكر مع انه سيد الكائنات علم انه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق سميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها فان الامة اذا التزموا قبول ماشرط عليهم من تكاليف الشارع طمعا فى ثواب الرحمن وهربا من أليم عذابه وضمن عليه السلام ذلك بمقابلة وفائهم بالعهد المذكور صار كل واحد منهم كأنه باع ماعنده بما عند الآخر **﴿قوله يعنى عامة الكفار او اليهود﴾** نهى الله المؤمنين فى اوّل السورة عن موالاة المشركين الذين اخرجوا الرسول واياهم بسبب ايمانهم بالله ثم نهاهم فى آخرها عن موالاة الكفرة مطلقا وعن موالاة اليهود خاصة وقوله تعالى غضب الله عليهم صفة لقوما وكذا قوله قد يئسوا وقوله من الآخرة متعلق بيئسوا اى يئسوا من البعث والحساب والجزآء لان المشركين لايؤمنون بالآخرة واليهود وان كانوا يؤمنون بها الا انهم لما كذبوا خاتم النبيين حسدا وعنادا مع علمهم بانه رسول صادق يئسوا من ان يكون لهم فى الآخرة ثواب الجنة ونعيمها وقوله من اصحاب القبور يحتمل ان يكون متعلقا بيئس الثانى فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية يأسهم فيكون المعنى لاتتولوا عامة الكفار الذين يئسوا من الآخرة يأسا مثل يأسهم من اصحاب القبور اى من ان يبعثوا ويحتمل ان يكون من لبيان الجنس لا لابتدآء الغاية فيكون المعنى لاتتولوا اليهود الذين يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الآخرة وثوابها وذلك ان الكافر اذا وضع فى قبره اتاه ملك مهيب يسأله من ربك ومادينك ومن رسولك فيقول لاادرى فيقول الملك ابعدك الله انظر الى منزلك من النار فينظر اليه فيدعو بالويل والثبور فيقول هذا لك ياعدوّ الله فيفتح له باب من الجنة فينظر اليه فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك لنزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الآخرة فذلك قوله تعالى للاحياء من الكفار يئسوا من الآخرة اى من خيرها كما يئس الاموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار * تمت سورة الممتحنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿سورة الصف مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم﴾

﴿قوله والاكثر حذف ألفها مع حرف الجرّ﴾ اىّ حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم فلما اعتنقا وصارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر استعمالهما معا اقتضى ذلك تخفيف اللفظ فحذفت لذلك الف ما الاستفهامية وليس المراد منها حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله تعالى محال لانه تعالى عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله لانه ان اخبر انه فعل فى الماضى او فى الحال ولم يفعله كان كذبا وان وعد ان يفعل فى المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم منه وفيه دلالة على ان كل من ألزم نفسه عملا فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو ان ينذر نذرا مطلقا كقوله لله علىّ صوم او صلاة او صدقة اومقيدا بشرط كقوله ان قدم غائبى او ان كفانى الله تعالى شرّ كذا فعلىّ صدقة **﴿قوله المقت اشدّ البغض﴾** اشارة الى ان هذا النظم فيه مبالغة من وجوه اختار طريق التمييز وعدم الاقتصار على ان يجعل قولهم هذا بغضا كبيرا بل جعل اشدّ البغض والفحشه ولم يقتصر ايضا على جعله اشدّ البغض مطلقا بل جعله اشدّ البغض عندالله تعالى فان ما كبر عنده مع انه يصغر عنده كل كبير يكون اكبر الكبائر **﴿قوله ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عنده تعالى﴾** يعنى ان الكلام من قبيل طاب زيد نفسا من حيث ان كبر مسند الى قوله ان تقولوا ما لاتفعلون ومقتا تمييز لرفع الابهام المستقرّ فى نسبة المقت الى قولهم هذا محوّل من الفاعلية والاصل كبر مقت قولكم هذا حوّل الكلام عن هذا الاصل واسند الكبر الى ان تقولوا وجعل مقتا تمييزا رافعا للابهام عن الذات المقدّرة فى نسبة الكبر الى قولهم هذا فانه لا ابهام فى مفهوم الكبر ولا فى قولهم هذا بل الابهام فى الذات التى اسند اليها الكبر حقيقة فان التقدير كبر شئ شيأ من نسبة الكبر الى قولهم هذا وقوله مقتا فسر ذلك الشئ ورفع الابهام عنه والحكمة فى اختيار هذا الاسلوب الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير ووجه الدلالة انه لو قيل كبر مقت ان تقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما يفهم كونه ذا مقت يمقته الله تعالى لان الاضافة انما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف اليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما اذا جعل المقت تمييزا عن ذات نشأت عن النسبة الى الفاعل فانه يدل على ان المنسوب اليه فى الاصل

(هو)

يا ايها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت فى بعض فقرآء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها او لعلمهم بانه لاحظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاوّل وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿سورة الصف مدنية وقيل مكية﴾

﴿وآيها اربع عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجرّ وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجرّ لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عندالله ان تقولوا ما لاتفعلون) المقت اشدّ البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه

و المقت الذي عبرعنه بقوله ان تقولوا ثم فسر ذلك القول بالمقت بناء على ادّعاء ان ذلك القول هو نفس المقت
بالغة فى تعلق المقت به و فى المنع عنه كما فى قولك رجل عدل و قوله مبالغة فى المنع عنه مفعول له لقوله و نصبه
لى التميز لكن بعد تقييده بقوله للدلالة ثم انه تعالى لما انكر على عدم ثبات المجاهدين فى موضع القتال يوم احد
بعد مابين لهم انه احب الاعمال عند الله تعالى بين لهم ان مايحبه الله تعالى و رضاه هو ثبات المجاهدين كثبوت
بناء المرصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون الآية و المحبة لكونها كيفية انفعالية لاتسند اليه تعالى
لا بتأويل وهو ان يراد بها الرضى عن الخلق او الثناء عليهم و المعنى انه تعالى يرضى عمن ثبت فى مكانه عند
مجاهدة الكفار كثبوت البناء و التراص التضام و التلاصق عن سعيد بن جبير قال هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين
كيف يكونون عند قتال عدوّهم فلا يجوز الخروج من الصف الالحاجة تعرض للانسان او لرسالة يرسله الامام
او منفعة تظهر فى الانتقال عن المقام كفرصة تنتهز ولاخلاف فيها و فى الخروج من الصف للمبارزة خلاف فقيل انه
لا باس فيه ارهابا للعدوّ و طلبا للشهادة و تحريضا على القتال و قيل لايبرز احد طلبا لذلك لان فيه رياء الا ان يطلب
الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر و فى غزوة خيبر ﴿قوله حال من المستكنّ فى الحال الاولى﴾ لان صفا بمعنى
مصطفين ففيه ضمير و قوله كأنهم بنيان حال منه على التداخل و هو ان تعمل الحال الاولى فى الثانية و يكون الحالان
لشيئين مختلفين و ترادف الحالين ان يكونا لشئ واحد و البنيان واحد كالبناء و لذلك وصف بقوله مرصوص و لم
يقل مرصوصة ثم انه تعالى لما عير من لم يثبت فى موضع القتال بعدم الوفاء و حث المؤمنين على الثبات فيه و علمهم
بلسان الرسول كيف ينبغى ان يكونوا حال القتال ذكر بعده قصة موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام و انهما
امرا قومهما باتباع دين الله تعالى و طاعة رسوله فيما دعاهم اليه و انهم زاغوا عن الحق و اتبعوا اهوآءهم فخذلهم
الله تعالى و لم يوفقهم للاهتدآء و قبول الحق جزآء على اختيارهم الباطل و عدم سعيهم فى اصابة الحق
بالنظر فى الدلائل المنصوبة فقال و اذ قال موسى لقومه الآية اى و اذكر اذ قال او حين قال لهم ما قال كان كذا و كذا
فيكون منصوبا بما دل عليه ما بعده كأنه قيل حين قال لهم زاغوا ﴿قوله و قد لتحقيق العلم﴾ كأنه قيل تؤذوننى
عالمين انى رسول الله اليكم علما يقينا لاشبهة فيه و طريق ايذآئهم انهم نسبوا اليه الادرة و ان قارون حمل امرأة
على ان تدعى على موسى انه زنى بها و قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة و قولهم اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون و قولهم انت قتلت هرون عليه الصلاة و السلام و غير ذلك و الزيغ الميل يقال ازاغه عن الطريق اى اماله
عنه و المعنى فلما عدلوا عن الحق امال الله قلوبهم عن قبوله جزآء على ما ارتكبوا من ايذآئهم نبيهم و دل ذلك على انه
تعالى خالق لافعال عباده كلها حسنها و قبيحها و انه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال و يهدى من علم منه اختيار
الاهتدآء ﴿قوله لانه لانسب له فيهم﴾ لان النسب المعتبر ما يكون من قبل الاب ﴿قوله لانه لغو﴾
يعنى ان قوله اليكم متعلق برسول لانه بمعنى مرسل او ارسلت و الظرف اللغو لايعمل لان حروف الجرّ لاتنصب
بنفسها بل بما فيها من معنى الفعل فاذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لاتتضمن معنى الفعل فلا تعمل و احمد من جملة
اسماء نبينا صلى الله عليه و سلم و الظاهر انه منقول من الوصفية بناء على انه فى الاصل اسم تفضيل بمعنى احمد
الحامدين لربه فان الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم كلهم حامدون لربهم و نبينا احمد اى اكثرهم حمدا و كذا
محمد فانه منقول من الوصفية لكونه فى معنى محمود و لكن فيه معنى المبالغة و الكثرة فانه محمود فى الدنيا بكونه
سيد المرسلين و جامع فضائل الانبياء اجمعين كما قال

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف	وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له	حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

محمود فى الآخرة بما اختص به فيها من الشفاعة الكبرى و الحوض المورود و المقام المحمود كما قال

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته	لكل هول من الاهوال مقتحم

روى عنه عليه الصلاة و السلام انه قال * ان لى اسماء انا احمد و انا محمد و انا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر و انا الحاشر
الذى يحشر الناس على قدمى و انا العاقب الذى ليس بعدى نبى * رواه البخارى ﴿قوله تعالى فلما جاءهم﴾ اى
جاءهم عيسى بالمعجزات من احياء الموتى و ابرآء الاكمه و الابرص و نحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى
الرسالة * عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار أتقياء

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكنّ فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكر او كان كذا (ياقوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالأدرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقرّرة للانكار فان العلم بنبوّته يوجب تعظيمه ويمنع ايذآءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لايهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرآئيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لانسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى) فى حال تصديق لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين مافى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (اسمه احمد) يعنى محمدا عليه السلام والمعنى دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اوّل الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام

كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير و القليل من الرزق و رضى الله عنهم باليسير من العمل ﴿ قوله
ممن يدعى الى الاسلام ﴾ اى ممن يدعوه ربه الى الاسلام على لسان نبيه عليه الصلاة و السلام فيجعل مكان
اجابته اليه افترآء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحرا فان السحر كذب و تمويه فمن قال فى حقه انه ساحر فقد كذب
و وصفه بانه كذاب و تكذيب من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة باظهار المعجزات الباهرة على يده و تكذيب
حقية رسالته نفى للثابت فيكون افترآء للكذب على الله و كذا تسمية المعجزات سحرا اثبات لمانفى عنه فقوله فانه
يعم الخ تعليل لتناول الافترآء للتكذيب و التسمية فان تكذيبه عليه الصلاة و السلام نفى للثابت و تسمية ماظهر
على يديه من الآيات و المعجزات سحرا اثبات للمنفى و كلاهما افترآء عليه تعالى ﴿ قوله وقرئ يدّعى ﴾
اى بفتح الياء و الدال المشدّدة و كسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو فان فعل و افتعل قديكون بمعنى واحد
نحو لمسه و التمسه فالضميران و هما قوله وهو و المستتر فى قوله يدّعى يرجعان الى الجلالة فهذه القرآءة من
حيث المعنى كالقرآءة المشهورة وهى قرآءة يدعى بضم الياء و سكون الدال الخفيفة و فتح العين على بناء المفعول
و الضميران فى هذه القرآءة يرجعان الى من ﴿ قوله و اللام مزيدة ﴾ اى فى مفعول الارادة فان اصله ان يطفئوا
زيدت اللام مع فعل الارادة تأكيدا له فان اللام لمافيها من معنى الارادة تصلح مؤكدة لمضمون فعل الارادة فانك
اذا قلت جئتك لاكرامك يفهم منه معنى الارادة كما ان اللام لمافيها من الدلالة على الاختصاص زيدت لتأكيد
معنى الاضافة المقتضية للاختصاص فى نحو لاابالك فان اصله لاابالك ﴿ قوله او يريدون الافترآء ليطفئوا ﴾
على ان اللام للعلة و المفعول محذوف وهو افترآء الكذب على الله تعالى و الاطفاء الاخماد شبهت حالهم فى اطفاء
نور الاسلام بمجرّد القول بالفم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿ قوله مبلغ غايته بنشره ﴾ اشارة
الى جواب ماعسى ان يقال الاتمام لايكون الاعند النقصان فمامعنى نقصان نور الله الذى هو دينه او كتابه او حجته
و تقريره حاشى نور الله تعالى عن النقصان فى ذاته بل المراد نقصان اثره الذى هو ظهوره فى الآفاق و علوّه على
ظلمة الجهل الشائعة فى البلاد و كذا المراد بالاكمال فى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يريد به اظهاره
و نشره بتكثير اهله بحيث يتمكنون من قهر اعدآء الدين و عن ابى هريرة ان ذلك يكون عند نزول عيسى عليه
الصلاة و السلام من السماء * قيل سبب نزول هذه الآية انه عليه الصلاة و السلام ابطأ عليه الوحى اربعين يوما
فقال كعب بن الاشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد اطفأ الله تعالى نور محمد فما كان لينزل عليه و ما كان ليتم امره
فحزن عليه الصلاة و السلام لذلك فانزل الله سبحانه و تعالى هذه الآية و اتصل الوحى بعده ﴿ قوله و قرأ ابن
كثير الخ ﴾ علم منه ان الباقين قرأوا بتنوين متم و نصب نوره فالاضافة تخفيف و التنوين هو الاصل و الجملة
فى محل النصب على الحالية من فاعل يريدون و لو فى قوله تعالى و لوكره الكافرون شرطية بمعنى ان و جوابها
محذوف مدلول عليه بماقبلها اى و ان كرهوا ذلك فان الله تعالى يفعله لامحالة و هذه الجملة حال من الحال المتقدمة
و هى قوله تعالى و الله متم نوره على طريق التداخل و لعل الحكمة فى ذكر لفظ الكافرين ههنا و ذكر لفظ المشركين
فيما بعده ان هذا المقام مقام ارغام الكافرين بنعمة الله تعالى فان اتمام النور و نشره فى الآفاق من النعم فلا جرم
تكون كراهة ذلك غاية فى كفران النعمة مقتضية لتجهيلهم و ارغامهم فاوثر لفظ الكافرين لكونه أليق بهذا
المقام و اماقوله و لوكره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار الدين الحق الذى اوّل اركانه التوحيد و التبرئ
من الشرك و كان كفار مكة انما يكرهون هذا الدين الحق من اجل توغلهم فى الشرك و اصرارهم عليه فكان
المناسب لهذا المقام اذلالهم و ارغامهم باظهار مايكرهونه من الحق و ليس المراد من اظهاره ان لايبقى فى العالم
من يكفر به بل المراد ان يكون اهله عالين غالبين على اهل سائر الاديان بالحجة و البرهان و السيف و اللسان الى
ان لايبقى دين آخر فى آخر الزمان لماروى انه اذا نزل عيسى عليه الصلاة و السلام لم يبق فى الارض دين سوى
دين الاسلام ثم انه تعالى لماعير الصحابة الذين حضروا حرب احد بعدم الوفاء بعهدهم ثم علمهم ان العمل المرضى
عند الله تعالى ان يقاتلوا فى سبيل الله تعالى مصطفين مشبهين بالبنيان المرصوص بين ان العمل المذكور هو
التجارة الرابحة بين العبد و مولاه فقال ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة الآية جعل الايمان و الجهاد
المذكورين تجارة تشبيها لهما بها فانها عبارة عن مبادلة المال طمعا للربح و من آمن و جاهد بماله و نفسه
فقد بذل ماعنده و فى وسعه لنيل ماعند ربه من جزيل ثوابه و النجاة من أليم عقابه مع طمع الزيادة عليه بحكم

(و من اظلم ممن افترى على الله الكذب و هو
يدعى الى الاسلام) اى لا احد اظلم ممن يدعى
الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير
الدارين فيضع موضع اجابته الافترآء على الله
بتكذيب رسوله و تسمية آياته سحرا فانه يعم
اثبات المنفى و نفى الثابت و قرئ يدّعى يقال
دعاه و ادعاه كلمسه و التمسه (و الله لايهدى
القوم الظالمين) لايرشدهم الى مافيه فلاحهم
(يريدون ليطفئوا) اى يريدون ان يطفئوا
و اللام مزيدة لمافيها من معنى الارادة تأكيدا
كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا
لها كما فى لاابالك او يريدون الافترآء ليطفئوا
(نور الله بافواههم) يعنى دينه او كتابه
او حجته بطعنهم فيه (و الله متم نوره) مبلغ
غايته بنشره و اعلائه و قرأ ابن كثير و حمزة
و الكسائى و حفص بالاضافة (و لوكره
الكافرون) ارغامالهم (هو الذى ارسل
رسوله بالهدى) بالقرآن او المعجزة (و دين
الحق) و الملة الحنيفية (ليظهره على الدين
كله) ليعليه على جميع الاديان (و لوكره
المشركون) لمافيه من محض التوحيد و ابطال
الشرك

قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ﴿قوله استئناف مبين للتجارة﴾ فان الاستفهام فى قوله تعالى هل ادلكم عرض لدلالة على التجارة حثالهم وتشويقا الى طلبها واستعلام انها ماهى فكأنهم قالوا يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها ونجو بسببها من العذاب الاليم فاجيبوا بان قيل تؤمنون بالله وفى التيسير لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم لم ينزل معه مابعده وكانوا فى شوق الى معرفته ليعملوا به فبقوا على ذلك ستة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله فهو تفسير للتجارة فلا محل له ويجوز ان يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى تلك التجارة تؤمنون والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج الى الرابط كخبر ضمير الشان وان يكون فى محل النصب بتقدير اعنى اى تؤمنون وعن الاخفش ان قوله تؤمنون عطف بيان للتجارة على اصل الكلام ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما فى قوله *

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * اصله ان احضر فلما حذفت ان بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده عن العوامل اللفظية وكذا فى الآية فكأنه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا احتياجه الى التأويل ﴿قوله والمراد به الامر﴾ يعنى ان قوله تعالى تؤمنون فى معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وقيل انه مجزوم على انه جواب الاستفهام وهو هل ادلكم على تجارة على طريق قولك هل تأتينى اكرمك ورد عليه انه لو كان جواب الاستفهام لكان المعنى ان دللتكم على التجارة يغفر لكم ومن المعلوم ان مجرد دلالتهم لا يوجب مغفرتهم فانها انما تترتب على الاجابة والامتثال والوجه فى انفهام معنى الامر من لفظ الخبر ان الاستفهام عن الدلالة المتعلقة بالتجارة انما هو التشويق والاغراء على طلبها والاغراء على الشئ يستلزم ان يكون ذلك الشئ مطلوبا للمغرى فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم ولما فسرت التجارة بالايمان والجهاد لزم ان يكونا مطلوبين للمستفهم مأمورا بهما من قبله فهذا وجه قوله والمراد به الامر الا انه عبر عن الامر بلفظ الخبر ايذانا بان المأمور به مما لا يترك بل حقه ان يسارع اليه المكلف مع قطع النظر عن الايجاب والتكليف كما فى نحو غفر الله له ﴿قوله ان كنتم من اهل العلم﴾ نزله منزلة اللازم وجعل كونهم من اهل العلم شرطا لكون الايمان والجهاد خيرا لهم لان عمل الجاهل لا يعتد به ولا يثاب هو عليه لان الاعمال بالنيات ﴿قوله اولشرط اواستفهام دل عليه الكلام﴾ اى على كل واحد منهما فان ماقبله يدل على ان تقدير الكلام ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ويدل ايضا على ان تقدير الكلام هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم على معنى ان تقبلوا وتفعلوا مادللتكم عليه يغفر لكم ﴿قوله ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى﴾ اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو لكم والموصوف المحذوف نحو قولك المثوبة او العدة او الخصلة او النعمة اى ولكم الى هذه المثوبة او الى هذه العدة مثوبة اخرى او عدة اخرى وقوله تحبونها صفة ثانية لذلك المحذوف ايضا ﴿قوله او تحبون﴾ اى او منصوبة باضمار تحبون الذى يفسره قوله تحبونها على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون تحبونها حينئذ نعتا الاخرى لانه مفسر للعامل المضمر قبله ﴿قوله وهو على الاول﴾ اى قوله نصر على ان يكون قوله واخرى فى موضع الرفع على الابتداء مرفوع على انه بدل من اخرى او عطف بيان له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو نصر وتكون الجملة تفسيرا للنعمة الاخرى ولم يلتفت اليه المصنف لان التقدير لا يصار اليه من غير ضرورة بخلاف ما اذا كانت اخرى منصوبة فانه لا يحتاج الى تقدير المبتدأ ﴿قوله وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب﴾ اى وقد قرئ نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى المنصوبة بفعل مضمر كما مر اى يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم نعمة اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص اى بتقدير اعنى او على انه مصدر فعل محذوف اى تنصرون نصرا او يفتح لكم فتحا قريبا ﴿قوله عطف على محذوف﴾ هو قل مقدر قبل يا ايها الذين آمنوا كما ذهب اليه صاحب المفتاح ﴿قوله او على تؤمنون﴾ فيه بحث وهو ان المصنف صرح بان تؤمنون استئناف مبين للتجارة التى امر بها المؤمنون معنى وهو صحيح لان ايمان المؤمنين وجهادهم يصلح بيانا وتفسيرا لتجارتهم فلو جعل قوله وبشر المؤمنين معطوفا على تؤمنون لكونه فى معنى الامر للزم ان يكون بيانا لتجارة الذين آمنوا وهو بعيد لان المخاطب بقوله وبشر هو النبى صلى الله عليه وسلم وتبشيره عليه الصلاة والسلام كيف يصلح بيانا لتجارة المؤمنين الا ان يقال قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا يتناول النبى صلى الله عليه وسلم وامته لانه عليه الصلاة والسلام اول المؤمنين ايمانا واكملهم

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ماذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ماذكر من المغفرة وادخال الجنة (واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا

فلما خوطب الجميع بقوله ياايها الذين آمنوا وقيل لهم هل ادلكم على تجارة الآية بين تجارة الامة بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله وبين تجارته عليه الصلاة والسلام بتبشير المؤمنين بما وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر ولاشك ان تبلغ الرسالة اربح التجارات وانفعها لان مايترتب عليه من الثواب اجل واعظم مما يترتب على تجارة الامة فلما كان قوله وبشر صالحا لان يفسر به التجارة صح عطفه على قوله تؤمنون * فان قيل كيف يكون قوله تؤمنون بالله فى معنى الامر بالايمان وهو فى معنى الامر بتحصيل الحاصل لان المخاطبين بهذا الامر هم المخاطبون بقوله تعالى ياايها الذين آمنوا * اجيب عنه بانه يمكن ان يكون المراد بالذين آمنوا المنافقين من حيث انهم آمنوا فى الظاهر ويمكن ايضا ان يكون المراد بهم اليهود والنصارى لانهم آمنوا بكتبهم ورسلهم كأنه قيل ياايها الذين آمنوا بالانبياء السابقة والكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام والظاهر ان يكون المراد من آمن من هذه الامة ويكون المأمور به فى حقهم الثبات على الايمان كما ان المأمور به فى قوله كونوا انصار الله الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها ﴿قوله لان المعنى كونوا بعض انصار الله﴾ وهذا المعنى يستفاد من تنكير انصار اذ القصد الافراد والبعضية ولذلك قرأ نافع وابن كثير انصار الله بتنوين انصارا وباللام الجارة داخلة على لفظة الله وقرء الباقون باضافته الى لفظ الجلالة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان يكون مزيدة فى المفعول لتقوية العامل لكون العامل فرعا فى العمل اذ الاصل كونوا انصاراً لله وان تكون غير مزيدة فى المفعول ويكون الجار والمجرور نعتا لانصاراً والاول اظهر والقراءة بالاضافة فرع القراءة بالتنوين مخففة منها ويؤيد القراءة بالاضافة الاجماع على الاضافة فى نحن انصار الله فانه لايتصور جريان الخلاف هنا لكونه مرسوما بالالف وقيل فى الكلام اضمار اى قل لهم يامحمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى اى كونوا انصاراً مثل كون الحواريين لدين الله انصارا ﴿قوله ليطابق الخ﴾ علة لتفسير الانصار بالجند وتضمن الكلام معنى التوجه فانه لو ابقى الانصار على اصل معناه وكان المعنى من ينصر دينى لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عليه الصلاة والسلام لانه عليه الصلاة والسلام سأل عمن ينصره وهم اجابوا بانهم ينصرون الله ولو لم يعتبر معنى التوجه فى الكلام للزم ان يعدى فعل النصرة بالى وليس كذلك فلما جعل الانصار بمعنى الجند واعتبر معنى التوجه فى الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب لان الجند يتبع امير العسكر فى تحصيل مقصود السلطان وظهر وجه تعدية النصرة بالى وهو كونها متضمنة لمعنى التوجه فكان المنصور فى كل واحد من السؤال والجواب هو الله تعالى فكأنه قيل من جندى متوجها الى الله تعالى واظهار دينه فاجاب الحواريون بقولهم نحن انصار الله متبعين اياك فتكون اضافة انصارى على خلاف اضافة انصار الله لان الاضافة فى انصارى معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصارى ضمير يرجع الى من ومفعوله دين الله والمعنى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله تعالى واظهار دينه فالاضافة لمجرد الدلالة على اختصاص المضاف اليه بخلاف الاضافة فى انصار الله فانها لفظية من قبيل اضافة الناصر الى المنصور فتحصل المطابقة بين القولين لان محصول قول عيسى عليه الصلاة والسلام من ينصر دين الله مختصا بى وكائنا معى فاجابوه باانا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين رسوله ﴿قوله والتشبيه باعتبار المعنى﴾ فان ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم انصاراً لقول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله لان اداة التشبيه دخلت على ماهو بمعنى المصدر وهو القول لان كلمة ما فى قوله كما قال مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب المصير الى جانب المعنى وذلك اما بان يجعل الكلام خطابا من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يقدر قل قبل قوله ياايها الذين آمنوا وتقدير الكلام قل لهم كما قال عيسى فالكاف منصوبة المحل على انها صفة مصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى للحواريين واما بان يجعل الكلام ابتداء خطابا من الله تعالى للمؤمنين فان المعنى حينئذ انصروا دين الله تعالى نصرا مثل نصر الحواريين عيسى بن مريم او كونوا انصار الله كونا مثل كون الحواريين انصار عيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم من انصارى الى الله اى وقت قوله لهم من انصارى الى الله لان كما قال فى تأويل القول اقيم المصدر مقام الوقت كما فى آتيك خفوق النجم وصياح الديك ﴿قوله والحواريون اصفياؤه﴾ وخواصه وحوارى الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص سموا حواريين لخلوصهم عن كل ماينافى صفاء المحبة والاخلاص من العيوب روى انه تعالى قال لعيسى عليه الصلاة والسلام اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون

(ياايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله) اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا

(فاسألهم)

اسألهم النصر فآتاهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدّقوه
نصروه ﴿قوله وذلك﴾ اى تأييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعد مارفع عيسى عليه الصلاة والسلام فانه
عليه الصلاة والسلام لما رفع الى السماء تفرّق قومه اربع فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله
رفعه اليه وفرقة قالوا كان ثالث ثلاثة وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل
فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الكافرون على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
على جميع الانبياء فحينئذ ظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة وذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم
فاصبحوا ظاهرين اى عالين غالبين من قولك ظهرت على الحائط اذا علوت عليه وظاهرين خبر أصبح بمعنى صار
وقال زيد بن علىّ فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روى ألستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان
ينام والله تعالى لاينام وانه كان يأكل ويشرب والله تعالى منزه عن ذلك * تمت سورة الصف والحمدلله رب العالمين

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن﴾

﴿قوله تعالى الملك﴾ صفة مشبهة دالة على الثبات اى الذى يملك كل شئ ولا يزول عنه ملكه ﴿قوله لان
اكثرهم لايكتبون﴾ تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالاميين يعنى لما كان اكثرهم امّيا
لايكتب ولا يقرأ سمى الجميع امّيا على التغليب لان الامى عبارة عمن لايقرأ وهم ليسوا باهل كتاب وقيل الاميون هم
الذين لايكتبون وقريش كانت كذلك قيل بدت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار
والحيرة مدينة من بغداد والامى منسوب الى امة العرب وقيل الى الام لان من بقى على ماخلق عليه لم يكتب ولم
يقرأ كان منسوبا الى امه لبقائه كما ولدته امه واحتج اهل الكتاب بقوله تعالى بعث فى الاميين رسولا منهم على انه صلى الله
عليه وسلم كان رسولا الى العرب خاصة لان الاميين هم العرب من بين الامم وهو ضعيف لان تخصيص الشئ
بالذكر لايستلزم نفى ماعداه الاترى الى قوله تعالى ولاتخطه بيمينك لانه لايلزم منه ان يخطه بشماله ولان تصديقه
فى دعوى الرسالة يستلزم تصديقه فى جميع ماجاء به ومن جملته قوله وما ارسلناك الا كافة للناس ﴿قوله تعالى يتلو
عليهم﴾ هو وما بعده صفات لقوله رسولا ووجه الاستدلال والامتنان بان بعث فيهم رسولا اميا موصوفا بما ذكر
من الصفات كونه دليلا على كمال قدرته وحكمته وكونه لطفا عظيما للمكلفين من حيث كون ذلك برهانا قاطعا على
صحة نبوّته بحيث لو لم يكن له سواه عليه السلام معجزة لكفاه وفسر الحكمة بالشريعة وهى ماشرعه الله تعالى لعباده
من الاحكام سواء ذكرت فى القرءآن او لم تذكر والمعالم جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق والمراد بها ههنا
الدلائل التى يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية والعملية ويحكم بها اى بتلك القواعد ﴿قوله وازاحة
لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم﴾ فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال مبين قبل البعثة اضمحل توهم ان يتعلم
الرسول ماجاء به من الحكمة النظرية والعملية من احد منهم ﴿قوله وان هى المخففة﴾ اى من الثقيلة واسمها ضمير
الشأن المضمر واللام فى قوله لفى ضلال هى الفارقة بين النافية والمخففة ﴿قوله عطف على الاميين﴾ والمعنى
بعثه فى الاميين الذين كانوا فى زمان بعثه عليه الصلاة والسلام وفى آخرين منهم اى من الاميين وهم العرب
وما فى قوله لما يلحقوا زآئدة للتأكيد اى لم يلحقوا بهم بعد ان لم يكونوا فى زمانهم وهو صفة لآخرين من بعد وصفه
بقوله منهم وقوله وسيلحقون مبنى على ان فى لما توقعا وانتظارا لانه نفى لقولك قد لحق * قال الامام وصفت العرب بانه
عليه الصلاة والسلام مبعوث فيهم وفى آخرين منهم مع انه عليه الصلاة والسلام مبعوث الى الناس كافة عربهم
وعجمهم للاشارة الى شرف العرب كلهم الى قيام الساعة ومن فى منهم للتبيين اذ لا وجه لجعلها للتبعيض وهو ظاهر
انتهى ﴿قوله او المنصوب فى يعلمهم﴾ اى ويعلم آخرين منهم وعلى التقديرين المراد بالآخرين العرب لانهم
وصفوا بقوله منهم اى من الاميين وعن ابن عباس وجماعة ان المراد بالآخرين غير العرب من الطوآئف اى طائفة
كانت ووصفهم بكونهم من الاميين مبنى على انهم ان اسلموا صاروا منهم لان المسلمين كلهم امة واحدة وان اختلفت
اجناسهم واما من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام ولم يدخل فى دينه فانه بمعزل عن الدخول فى قوله آخرين
وان كان عليه الصلاة والسلام مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله تعالى فى الآية الاولى يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم ويعلمهم * روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ قوله تعالى وآخرين منهم وعنده

(فآمنت طائفة من بنى اسرآئيل وكفرت
طائفة) اى بعيسى (فايدنا الذين آمنوا على
عدوّهم) بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع
عيسى (فاصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين
عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له
مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى
عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث
فى الاميين) اى فى العرب لان اكثرهم
لايكتبون ولايقرأون (رسولا منهم) اى من
جملتهم اميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه
اميا مثلهم لم يعهد منه قرآءة ولا تعلم (ويزكيهم)
من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب
والحكمة) القرآن والشريعة او معالم الدين
من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة
لكفاه (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)
من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدّة
احتياجهم الى نبىّ يرشدهم وازاحة لما يتوهم
ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة
واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف
على الاميين او المنصوب فى يعلمهم وهم الذين
جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه تم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون

سلمان الفارسي فقيل يارسول الله من هؤلاء فوضع يده عليه الصلاة والسلام على سلمان ثم قال لوكان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء ﴿قوله ذلك الفضل الذى امتاز به﴾ اى امتاز به سيد البشر وهو كونه مبعوثا لاهل عصره ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا ومعلما لهم الكتاب والحكمة وهو امىّ ثم انه تعالى بعدما بين انه الذى بعث سيد المرسلين فى عصره من الاميين وفيمن سيلحق بهم الى يوم القيامة شرع فى ذم اليهود بانهم قرّآء التوراة عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب الايمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بما ينجيهم من شقاوة الدارين وشبههم بالحمار الذى يحمل اسفار العلم والحكمة ولا ينتفع بهما ووجه التشبيه حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شئ فى الانتفاع به مع الكدّ والتعب فى استصحابه ومزاولته فقال مثل الذين حملوا التوراة الآية والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر واشبار قال الفرآء الاسفار الكتب العظام سميت اسفارا لانها تكشف ما فيها من المعانى اذا قرئت من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها والحمار لا يدرى أسفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفى هذا التشبيه تنبيه على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعمل بها لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود ﴿قوله ويحمل حال﴾ اى من الحمار اى كمثله حاملا اسفارا والعامل فيها ما فى المثل من معنى الفعل وجاز ان يكون فى محل الجرّ على انه صفة للحمار لان المعرف تعريف العهد الذهنى يعامل معاملة المنكر فيوصف بالجملة كما فى قوله

ولقد امرّ على اللئيم يسبنى ﴿قوله اى مثل الذين كذبوا﴾ يعنى ان قوله تعالى مثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا الى المعرّف بلام الجنس وقوله الذين كذبوا هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا واحتيج الى تقدير المضاف لما تقرّر من انه يجب فى باب نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح او الذم صدقا وذاتا ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبرعنهم بالذين كذبوا الا بتقدير المضاف ﴿قوله ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم﴾ عطف على قوله الذين كذبوا من حيث المعنى فحينئذ يكون المخصوص بالذم محذوفا والتقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بذم مثلهم ذم انفسهم لانك اذا ذممت الصفة فقد ذممت الموصوف بها ﴿قوله اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه﴾ ذكر ان اليهود كانوا يفتخرون على العرب بقولهم نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم ونحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة البهم ولنا السبت ولا سبت لكم فردّ الله عليهم طعنهم وافتخارهم على العرب بهذه الاشياء الثلاثة بعدما نزه نفسه عما لا يليق بشانه الاعلى مثل ان يكون له الشركاء والابناء كما قالوا عزير ابن الله ونحن ابناؤه فقال يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض وذب عن العرب ما قالوا لهم بقوله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن افترائهم وافتخارهم بادعاء انهم اولياء الله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرآئيل بان يقول لهم ان كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله ان يميتكم بان تقولوا اللهم امتنا وخلصنا من دار البلايا والآفات واوصلنا الى ما عندك من الكرامات فان المراد بتمنى الموت طلبه وسؤاله من الله تعالى بناء على ان اولياء الله تعالى لهم عنده كرامة ومنزلة رفيعة لا يصلون اليها الا بالموت فينبغى لهم ان يتمنوا ذلك ليصلوا اليها ثم انه تعالى بكتهم بقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم مع انهم وجدوا نعته وصحة نبوّته فى التوراة فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم خالدين فى النار ابدا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال «والذى نفسى بيده لو تمنوا الموت ما بقى على ظهرها يهودى الا مات» ﴿قوله والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف﴾ اى باعتبار تضمن صفته التى هى الاسم الموصول معنى الشرط فان الموصوف بالموصول فى حكم الموصول فكما ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف جاز دخول الفاء فى خبره فكذا اذا كان موصوفا بالموصول المذكور جاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته اياه كأنه قيل أن فررتم من الموت فانه ملاقيكم * ولما ورد ان يقال ان صح ما ذكرتم من ان الموصوف بالموصول متضمن لمعنى الشرط لزم ان يكون الفرار من الموت شرطا لملاقاته اياهم وان يتوقف عليه الملاقاة وليس كذلك فان الموت ملاقيهم فرّوا منه او لم يفرّوا اشار الى جوابه بقوله وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وتقريره انه علق لحوق الموت بهم على فرارهم منه للمبالغة فى الدلالة على انه لا ينفعهم الفرار البتة ووجه المبالغة فيها ان الفرار عن الشئ سبب للفوات عنه عادة فلما جعل الفرار من الموت سببا لملاقاته كان ذلك ابلغ دليل على انه لا ينفع الفرار منه ولا يتصوّر الفوات عنه ﴿قوله وقد فرى﴾

(بغيرها)

(وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة او نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوّة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا) تهوّدوا (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على اعمالهم (قل ان الموت الذى تفرّون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد فرى بغيرها

رها ﴾ اى قرئ انه ملاقيكم بغير فاء اما على انه كلام مستأنف وخبر ان هو الموصول كأنه قيل ان الموت هو
شئ الذى تفرّون منه ثم استؤنف وقيل انه ملاقيكم واما على انه هو الخبر وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت
انه تعالى ردّ طعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم
لجمعة الآية فانه تعالى هدى المسلمين بهذه الآية الى ماهو سيد الايام وعيد المؤمنين والجمهور على ضم ميم
لجمعة وقرئ باسكانها والضم هو الاصل والاسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع ﴿ قوله اى اذن
ا ﴾ قالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن الاذان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان رضى الله عنه احتيج الى زيادة الاعلام فامر
ن يزاد نداء على سطح الزوراء وهى داره واستحسنه الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ﴿ قوله بيان لاذا ﴾ يعنى
ن كلة من فى قوله تعالى من يوم الجمعة بيانية جئ بها تفسيرا لاذا وبيانا لها قيل عليه انه يقتضى ان يكون اذا عبارة
ن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الاذان منه وجوابه ان مالزم من تفسير وقت الاذان
يوم الجمعة ان يكون يوم الجمعة ظرفا للاذان وهو لا يستلزم الا وقوع الاذان فى جزء منه لامحذور فيه * روى عنه
عليه الصلاة والسلام انه قال سميت الجمعة جمعة لان الله تعالى جمع فيها خلق آدم وقال خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقيل
سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس للصلاة
فيه وقيل اوّل من سمى الجمعة جمعة كعب بن لوى سماها بها لاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم
العروبة وقيل اوّل من سماها جمعة الانصار وذلك انهم قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه فى كل اسبوع وللنصارى
كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه فاختاروا يوم العروبة لذلك واجتمعوا فيه الى اسعد
بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم
وقبل ان تنزل آية الجمعة ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهى اوّل جمعة كانت فى الاسلام واما اوّل جمعة جمعها النبى
صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء يوم الاثنين
لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاوّل حين امتدّ الضحاء ومن تلك السنة بعدّ التاريخ الاسلامى فاقام بها
الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف
فى بطن واد لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اوّل خطبة جعلها بالمدينة وقال
فيها * الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس
وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى وفرّط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة
وان يأمره بتقوى الله فمن يعمل به على وجل ومخافة من ربه كان عنوان صدق على مايبغيه من الآخرة ومن
يصلح الذى بينه وبين الله من امره كان ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ماقدّم وما كان مماسوى ذلك يودّ
لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذى صدق قوله وانجز وعده لاخلف لذلك
فانه يقول مايبدّل القول لدىّ وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السرّ والعلانية فانه من
يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته
وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرّطوا فى جنب الله فقد
علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه
وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة ولا حول
ولا قوّة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح مابينه وبين الله يكفه الله مابينه وبين
الناس ذلك بان الله تعالى يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر الله اكبر
ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم * تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة هنا اللهم ارزقنا بركتها والاتعاظ بها
فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى الخطبة وفيه تعريض

ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) اى اذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه اليه واوّل جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها

اليهود بانهم ماوفقوا لما سعد به المؤمنون من اصابة ماهو سيد الايام و خير ماطلعت عليه الشمس من الايام و يوم المزيد الذى يزيد خيره و بركته للعالمين فيه وقد روى فى الحديث هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا و غد لليهود و بعد غد للنصارى و لما اطلق الذكر على الخطبة ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه الى ان الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضى الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله و ارتج عليه فقال ان ابابكر و عمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوّال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه احد واما عندى الامام الشافعى وسائر الائمة رحمهم الله فلابدّ من خطبتين مشتملتين على خمسة اركان لفظة الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم للمواظبة عليهما ثم الوصية بتقوى الله ثم القرآءة بشئ من القرآن آية او بعضها فى احداهما ثم الدعاء للمؤمنين فى الثانية واما الزوآئد التى احدثوها فبدعة وقوله قصدا نصب على المصدر اى مسرعين اسراعا وسطادون العدو و الاسراع المفرط منهى عنه لقوله عليه الصلاة و السلام * اذا خرجت الى الجمعة فامش على هينتك * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظنّ ان المراد من السعى الاسراع فى المشى و قرأ ابن مسعود كذلك ثم قال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى و ليست هذه القرآءة منهم قرآءة القرآن المنزل بل هى تفسير منهم لمعناه وجاز قرآءة القرآن بالتفسير فى موضع التعسير كما قال الفرآء وغيره معنى السعى فى الآية المضىّ ثم قال السعى و المضىّ و الذهاب واحد وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة و الوقار فما ادركتم فصلوا و مافاتكم فأتموا * فلذلك قال الحسن اما والله ماهى بالسعى على الاقدام ولكن بالقلوب و النيات و الخشوع و الابتكار فانه سعى و مسارعة الى المغفرة وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر و بعد الفجر مغتصة ابي مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اوّل بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة

قوله و اتركوا المعاملة يعنى ان المراد الامر بترك كل مايشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا و انما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم و بواديهم فاذا حان وقت الصلاة اغتصت الاسواق بهم وتميل طباعهم الى التجارات فامروا بالاقبال على الجمعة وترك ماسواها وعامة العلماء على ان ذلك لايوجب فساد البيع بل كراهته لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فاشبه الصلاة فى الارض المغصوبة و الثوب المغصوب و الوضوء بماء مغصوب وقال الامام مالك هو فاسد **قوله اطلاق لما حظر عليهم** اى اباحة لما حرّم عليهم من المعاملة و الاشتغال بامور الدنيا فان كل واحد من الانتشار فى الارض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليس بواجب بل هو امر مباح قال ابن عباس رضى الله عنه ان شئت فاخرج و ان شئت فصل الى العصر و ان شئت فاقعد و نظير هذه الآية قوله تعالى و اذا حللتم فاصطادوا فانه اباحة لما حرم بقوله لاتقتلوا الصيد و انتم حرم **قوله و اذكروه فى مجامع احوالكم** قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله تعالى فمن اطاع الله فقد ذكره و من لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح و الذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال الله تعالى لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و الذكر الذى امر بالسعى اليه اوّلا هو ذكر خاص لايجامع التجارة اذ المراد منه الخطبة و الصلاة امر الله تعالى به اوّلا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعة الله تعالى فى جميع ماتأتونه وتذرونه و الذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب و ارادة المسبب لان ذكر الله تعالى سبب لطاعته **قوله فخرج الناس اليهم** ذكر ابو داود ان السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وقد كان خليقا لفضلهم ان لايفعلوا ماروى عن مقاتل بن حبان انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل مافى العيدين الى ان اتفق له عليه الصلاة و السلام انه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع فى الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبى قدم بتجارته من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من برّ و دقيق و غيرهما وكان دحية اذا قدم من السفر تلقاه اهله بالطبل و الدفوف فلما علم الناس قدومه خرجوا اليه ولم يظنوا ان فى ترك سماع الخطبة شيأ فانزل الله تعالى و اذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اى تفرّقوا عنك خارجين اليها فقدّم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة على صلاة الجمعة بعد ذلك قيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية **قوله و افراد التجارة بردّ الكناية** يعنى انه اعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع

(وذروا البيع) و اتركوا المعاملة (ذلكم خير لكم) اى السعى الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير و ابقى (ان كنتم تعلمون) الخير و الشرّ الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) اذّيت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه فى مجامع احوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها) روى انه عليه الصلاة و السلام كان يخطب للجمعة فمرّت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة بردّ الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير

تقدّم ذكرهما معا لكونها اصلا مقصودا فى نفسها و اللهو كان متفرعا عليها وليس اللهو مقصودا كالتجارة فظاهر قوله و افراد التجارة يشعر كونه جوابا لما يقال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه لهذا السؤال لان العطف بأو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين فلذلك أوّل قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ومن اورده مع عدم اتجاهه لخفه ان يجاب بان العطف با و لا يثنى معه الضمير و ان عاد السائل وقال لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد شيئين من غير تعيين فالمناسب ان يذكر ما يرجع الى احدهما من غير تعيين كذلك يجاب بان تعيين التجارة برد الكناية لانها المقصودة ﴿ قوله او للدلالة ﴾ عطف على قوله لانها المقصودة وقيل الكلام مبنى على الحذف و التقدير و المراد اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى اختصاراً لدلالة الاوّل عليه ﴿ قوله فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه ﴾ روى عن بعض السلف انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم انى اجبت دعوتك فصليت فريضتك و انتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فحدّثته عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم وكان فيما حدّثته ان قلت له انه عليه الصلاة و السلام قال * فى يوم الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى يسأل الله شيأ الا اعطاه * قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدّثته بمجلسى مع كعب الاحبار و ماحدّثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اىّ ساعة هى هى آخر ساعة فى يوم الجمعة فقلت كيف تكون هى آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال عليه الصلاة والسلام * لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى * وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبدالله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم * من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها * قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك * تمت سورة الجمعة والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة المنافقين مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن ﴾

﴿ قوله الشهادة اخبار عن علم ﴾ اى عن علم يقينى لكون سندها علما شهوديا ضروريا من جملة المشاهدات فقول من قال اشهد ان زيدا قائم فى قوّة قوله اعلم علما يقينيا انه قائم و اخبر بذلك عن علم يقينى فلما كان صدق الخبر عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به و هو مضمون قولهم انك لرسول الله صادقا لمطابقة حكمه للواقع فلذلك صدّقه الله تعالى حيث قال والله يعلم انك لرسوله وكذبهم فى تسميتهم ذلك الاخبار شهادة لان قولهم نشهد انك لرسول الله معناه نخبر به عن العلم بمضمونه وهو مواطأة القلب اللسان فى الاخبار وليس لهم بما شهدوا به اعتقاد بل يعتقدون خلاف ما اخبروا عنه فكانوا كاذبين فى قولهم نشهد و فى تسميتهم هذا الاخبار شهادة مجاز لان الشهادة كما تطلق على الحق تطلق على الزور مجازا كاطلاق البيع على الفاسد و لما كان ظاهر الآية دليلا على ماذهب اليه النظام من ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث انه تعالى حكم بان المنافقين كاذبون فى قولهم انك لرسول الله مع ان حكمه مطابق للواقع لانه تعالى انما كذبهم لاخبارهم بما يخالف اعتقادهم فقد ثبت ان الكذب باعتبار عدم مطابقة الحكم للاعتقاد كان الصدق باعتبار مطابقة الحكم للاعتقاد اشار المصنف الى الجواب عن استدلاله ببيان ان التكذيب راجع الى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو ان اخبارهم بانك رسول الله شهادة بمعنى كونه اخبارا عن علم يقينى ومن المعلوم ان هذا الخبر الضمنى كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه اخبارا بما ليس فى قلوبهم لان فى قلوبهم الخبيثة اعتقاد انك رسول الله غير مطابق للواقع والله يعلم انك لرسوله * فان قلت اىّ فائدة فى انه جيئ بقوله والله يعلم انك لرسوله جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * قلنا جيئ بها لفائدة وهى انه لو قيل قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله ليزول هذا الوهم ﴿ قوله اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب ﴾ مثل حلفهم بالله انهم لمنكم والحال انهم ماهم من المسلمين فانهم كلما اطلع منهم على شئ من النفاق كانوا يحلفون انهم برآء منه كما قال تعالى خبرا عنهم يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفون بالله

والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرّد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه (وتركوك قائما) اى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ماتوهمون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من يأتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

﴿ سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدّق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبى

(فصدّوا عن سبيل الله) صدّا او صدودا (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدّهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدّم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم اوالى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب انهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرّا اوآمنوا اذاراأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرّنوا على الكفر واستحكموا فيه (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابىّ جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فى جمع مثله فتعجبه هياكلهم ويصغى الى كلامهم (كأنهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية من العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) اى واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول (هم العدوّ) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على ان الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق

ماقالوا يحلفون بالله انهم لمنكم * روى البخارى عن زيد بن ارقم انه قال كنت مع عمى فسمعت عبدالله بن ابىّ بن سلول يقول لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ويقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل عليه الصلاة والسلام الى عبدالله بن ابىّ واصحابه فحلفوا ماقالوا فصدّقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فاصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فانزل الله عزوجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجنّ الاعز منها الاذل فارسل الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله صدّقك يازيد فالمراد بالايمان التى اتخذوها جنة هى حلفهم بانهم ماقالوا ذلك فانهم اتخذوها جنة يستترون بها من اراقة الدماء وسبى الذرارى والنساء واستغنام الاموال كما يتوقى بالجنة فى الحرب من مضرّة الاعداء ويحتمل ان يكون المراد بايمانهم قولهم نشهد انك لرسول الله قال القرطبى من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت وقال فى ذلك كله بالله فلا خلاف فى انها يمين وكذلك عند الامام مالك واصحابه وان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله يكون يمينا اذا اراد ان يقول بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا يمين ولو قال اشهد لقد كان كذا بدون النية كان يمينا ايضا احتجاجا بهذه الآية فانه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الامام الشافعى لايكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى عنهم فى سورة برآءة بقوله يحلفون بالله ماقالوا انتهى كلامه فقول المصنف حلفهم الكاذب مبنى على قول الامام الشافعى وما بعده مبنى على قول ابى حنيفة رضى الله عنه ﴿قوله صدّا او صدودا﴾ الاوّل مصدر صدّ المتعدى والثانى مصدر اللازم يقال صدّه عن الامر اى صرفه عن الامر وصدّ عنه اى اعرض فانهم كما صدّوا بانفسهم عن سبيل الله صرفوا الناس عنه ايضا ﴿قوله اشارة الى الكلام المتقدّم﴾ كأنه قيل قلت فى حقهم انهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم آمنوا الخ ﴿قوله تعالى فطبع على قلوبهم﴾ قرآءة العامة على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجارّ بعده وقرئ على بناء الفاعل واسناده الى ضمير البارئ تعالى * فان قيل اذا كان الطبع مسندا اليه تعالى كان ذلك لهم على الله تعالى بان يقولوا اعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا * اجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله بسوء افعالهم وانهماكهم فى اتباع الشهوات فعاقبهم الله تعالى بان خذلهم وتركهم وانفسهم الامارة بالسوء ﴿قوله فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر﴾ هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين ذوات الخشب من حيث انها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه والجامع بينهم وبين الخشب المسندة هو انهم مع كونهم اشباحا خالية عن العلم والعقل لاينتفع بهم بشئ من منافع الاجسام كالخشب المسندة فان الخشب المنتفع بها ما كانت فى سقف او جدار ونحوهما من مواضع الانتفاع بها وما كان متروكا فارغا غير منتفع به مسندا الى الحائط هو البطال الخالى عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم وقيل شبهوا بالمسندة منها لان الخشب المسندة الى الحائط يكون احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى فكذا المنافق فان باطنه الى جهة الكفرة وظاهره الى جهة المسلمين وبناء التفعيل فى قوله مسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها اسندت الى مواضع ﴿قوله وقيل الخشب﴾ اى بضمتين جمع خشباء لم يرض به لان فعلاء الصفة لايجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة وسكون كحمراء وحمر قرأ قنبل وابو عمرو والكسائى خشب باسكان الشين والباقون بضمها وقرئ بفتحتين على انه جمع خشبة مثل مدرة ومدر ومن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة ايضا نحو ثمرة وثمر ومن قرأه بضمة وسكون جعله جمع خشب كاسد واسد او جمع خشبة كبدنة وبدن او خشباء كحمرآء وحمر وجعله تخفيف خشب بضمتين ﴿قوله دعر جوفها﴾ اى فسد وفى بعض النسخ نخر اى بلى والخبر خلاف المنظر والمرءى وقوله تعالى يحسبون كل صيحة فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى كأنهم والعامل فيها معنى التشبيه ويجوز ان يكون مستأنفا وكل صيحة مفعول اوّل ليحسبون وعليهم المفعول الثانى اى يحسبون كل ماسمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارّة لهم بناء على قولهم انها صيحة عدوّ يريدهم بسوء لفرط جبنهم وغلبة الرعب والوهم على قلوبهم او لما فى قلوبهم من الرعب يكشف الله اسرارهم بان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فعلى هذا يكون قوله تعالى هم العدوّ اى كاملوا العداوة جملة مستأنفة اخبر

(الله تعالى)

الله تعالى عنهم بذلك فان اعدى العدوّ هو من يداريك ويتبسم فى وجهك وصدره مملوء حقداً وعداوة ﴿قوله
ويجوز ان يكون صلته﴾ اى ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بيحسبون اى باعتبار كونه متعلقا بمفعوله الاوّل صفة
لصيحة وتكون جملة هم العدوّ مفعولا ثانيا كما اذا طرح لفظة هم وقيل يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدوّ
والظاهر ان يقال هى العدوّ لان الضمير للصيحة او هو العدوّ على ان يكون الضمير لكل الا انه قيل هم العدوّ نظرا الى
الخبر كما فى قوله تعالى هذا ربى فان هذا اشارة الى الشمس فينبغى ان يقال هذه الا انه ذكر المبتدأ نظرا الى الخبر او على
تقدير مضاف اى اهل كل صيحة ﴿قوله تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ من باب تنازع الفعلين واعمال الثانى
لان تعالوا يطلب رسول الله ان يتعدّى اليه بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثانى فرفع
وحذف من الاوّل اذ التقدير تعالوا اليه ويجوز ان لا يكون من باب التنازع لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث
هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل اليه فانه روى عن الكلبى لما نزل من القرآن مابين نفاقهم مشى اليهم عشائرهم
من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه
ان يستغفر لكم فأبوا ذلك وزهدوا فى الاستغفار فنزلت لوّوا رؤسهم اى امالوها واعرضوا يقال لوى الرجل رأسه
اى امال واعرض قرأ نافع لووا بالتخفيف والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤس قرأ الجمهور أستغفرت
بفتح الهمزة من غير مدّ وهى همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ آستغفرت لهم بالمدّ على انه اشبع
همزة الاستفهام للاظهار والبيان لا على ان همزة الوصل قلبت ألفا كما يفعل بالتى مع لام التعريف فى نحو آلسحر
وآلله اذن لكم لان اثبات همزة الوصل غير التى تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند اهل
العربية وذلك لان حق همزة الوصل ان تسقط فى الدرج ولم تسقط ماتصحب منها لام التعريف بل قلبت ألفا ﴿قوله
روى ان اعرابيا نازع انصاريا﴾ وكان الاعرابى اجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له
المريسيع من مياه بنى المصطلق وهو حى من خزاعة بين مكة والمدينة ويقال لتلك الغزوة غزوة بنى المصطلق وغزوة
المريسيع ايضا وكانت قبل غزوة الخندق ﴿قوله حتى ينفضوا﴾ اى يتفرّقوا قرأ العامة ليخرجنّ بضم الياء
وكسر الراء مسندا الى الاعزّ والاذل مفعول به وقرئ ليخرجنّ بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعزّ فاعلا للفعل
اللازم ونصب الاذل على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل فلما حذف المصدر اقيم المضاف اليه مقامه
واعرب باعرابه او على انه حال من الاعزّ بتقدير المضاف اى مثل الاذل وقرئ ايضا ليخرجنّ الاعزّ بضم الياء وفتح
الراء على بناء المفعول ورفع الاعزّ قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا اى اخراج الاذل او حالا اى مثل الاذل
ولنخرجنّ بضم نون العظمة وكسر الراء ونصب الاعزّ على انه مفعول به ونصب الاذل على المصدرية اى اخراج
الاذل او الحال اى مثل الاذل واللام فى لئن رجعنا موطئة للقسم المحذوف قبلها وليخرجنّ جواب القسم المحذوف
واغنى جواب القسم عن جواب الشرط * روى ان عبدالله بن ابىّ لما انصرف عن غزوة بنى المصطلق مع الغزاة
واراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله وكان مخلصا وقال وراءك والله لاتدخلها حتى تقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاعزّ وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى
انه قال له لئن لم تقرّ لله ولرسوله بالعزة لأضربنّ عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجدّ قال اشهد
ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا
فلما بان كذب عبدالله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لكم فلوى
رأسه ثم قال امرتمونى ان او من فآمنت فأمرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فابقى الا ان اسجد لمحمد فنزل قوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث بعده الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات بعد العود من غزوة تبوك كما ذكره
صاحب الكشاف فى سورة برآءة وروى انه لما مات استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل
قوله تعالى لن يغفر الله لهم ثم انه تعالى لما ذكر شح المنافقين باموالهم ومنعهم عن صرفها الى انصار دين الله من
فقرآء المهاجرين بان حكى عنهم قولهم لاتنفقوا على من عند رسول الله وذكر ايضا تعززهم باولادهم وعشائرهم
حيث حكى عنهم قولهم ليخرجنّ الاعزّ منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم عن اخلاق المنافقين فقال يا ايها الذين
آمنوا لاتلهكم لايشغلكم التصرّف فى الاموال والسعى فى تدبير امرها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها والسرور
بالاولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى واداء فرائضه ومن يشتغل بما يلهيه عما يعنيه من امر

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لوّوا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا
عن ذلك (ورأيتهم يصدّون) يعرضون عن
الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار
(سوآء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله
لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة
الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق
(هم الذين يقولون) اى للانصار (لاتنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون
فقرآء المهاجرين (ولله خزآئن السموات
والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن
المنافقين لايفقهون) ذلك لجهلهم بالله
(يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ
الاعزّ منها الاذل) روى ان اعرابيا نازع
انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابىّ فقال
لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعزّ الاذل
عنى بالاعزّ نفسه وبالاذل رسول الله عليه
السلام وقرئ ليخرجنّ بفتح الياء وليخرجنّ
على البناء للمفعول ولنخرجنّ بالنون ونصب
الاعزّ والاذلّ على هذه القرآءات مصدرا او
حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج
او مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله
الغلبة والقوّة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
(ولكنّ المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم
وغرورهم

(يايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولااولادكم عن ذكر الله) لايشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال (ومن يفعل ذلك) اى اللهو بها وهو

الشغل (فاولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني (وأنفقوا مما رزقناكم) بعض اموالكم ادخارا للآخرة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اى يرى دلائله (فيقول رب لولا اخرتني) امهلتني (الى اجل قريب) امد غير بعيد (فأصدّق) فأتصدّق (واكن من الصالحين) بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء ومابعده وقرأ ابو عمرو وأكون منصوبا عطفا على أصدّق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولم يمهلها (اذا جاء اجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله في الغيبة * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿ سورة التغابن مدنية اومكية ﴾
﴿ الاقوله تعالى يايها الذين آمنوا ﴾
﴿ ان من ازواجكم وهي ثماني ﴾
﴿ عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافي السموات ومافي الارض) بدلالتهما على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سوآء ثم شرع فيما ادّعاه فقال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره وموجه اليه مايحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب اعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوّركم فاحسن صوركم) فصوّركم من جملة ماخلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فأحسنوا سرآئركم حتى لايمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرّون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) فلايخفى عليه مايصح ان يعلم كليا كان اوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اوّلا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء

الآخرة فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم بايثار مايفنى على مايبقى ﴿ قوله والمراد نهيهم عن اللهو بها ﴾ اى عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال لهوت بالشئ ألهو لهوا اذا لعبت به من باب غزوت اغزو غزوا الاانه وجه النهي عن الالهاء الى الاموال والاولاد للمبالغة في نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله تعالى وطاعته فان كونهما ملهيين شاغلين اياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بهما عن الطاعة والنهي عن اللازم ابلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن اللازم فيكون كناية كما في قولك لاارينك ههنا ابلغ في الدلالة على نهي المخاطب عن الحضور عندك من ان تقول لاتحضر عندي فكذا قوله تعالى لاتلهكم اموالكم ولااولادكم ابلغ في الدلالة على نهي المؤمنين عن الاشتغال بهما من ان يقال لاتكونوا لاهين مشتغلين بهما وهذا وجه قوله وتوجيه النهي اليها للمبالغة ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المراد نهيهم عن اللهو لانهي الاموال والاولاد عن الالهاء توجهت مضرّة ارتكاب المنهي عنه اليهم لااليهما ﴿ قوله يرى دلائله ﴾ يعني ان المراد بالموت دلائله ومقدماته لان طلب الامهال وتأخير الموت ممن مات غير معقول بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية فانه يتأسف على تقصيره ويستزيد مدّة يتدارك فيها تقصيره فاخبر الله تعالى انه لايؤخر من انقضت مدّته وحضر اجله فقال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ولاينفعه التحسر بعد فوات الوقت ﴿ قوله تعالى فأصدّق ﴾ مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا اخرتني ﴿ قوله وجزم اكن للعطف على موضع الفاء ومابعده ﴾ فانه لولا الفاء في فأصدّق لكان مجزوما بان مقدّرة كما في قولك ليت لي مالا انفقه لان المعنى ان يكن لي مال انفقه ومثله قوله تعالى من يضلل الله فلاهادي له ويذرهم فيمن جزم يذرهم ونقل سيبويه عن الخليل انه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولاموضع هاهنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله تعالى من يضلل الله فلاهادي له فمن جزم عطفه على موضع فلاهادي له لانه لو وقع موقعه فعل لجزم لوجود اداة الشرط ﴿ قوله وقرئ بالرفع على انا اكون ﴾ لم يرد ان في الكلام مبتدأ محذوفا لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل اراد بيان ان الواو في واكون للاستئناف وانه كلام مبتدأ فصوّر الكلام بصورة الاسمية لكونها اظهر في الاستئناف ﴿ قوله ليوافق ماقبله ﴾ وهو الاخبار عمن اتاه الموت فيتمنى الامهال ويقول لولا اخرتني ومن قرأ بتاء الخطاب نظر الى قوله لاتلهكم وانفقوا مما رزقناكم

تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة التغابن مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

﴿ قوله للدلالة على اختصاص الامرين ﴾ اى على تأكيد الاختصاص المدلول عليه باللام في قوله له الملك فان اللام تشعر باصل الاختصاص سوآء قدّمت او اخرت واختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شئ ومبدعه ونافذ فيه مشيئته وارادته يتصرّف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به تعالى لان اصول النعم وفروعها انما هي بخلقه وايجاده ورشحة من بحر جوده واحسانه ولولا انه تعالى انعم بها على عباده لماقدر احد على ان يبذل مقدار جناح بعوضة ولاماهو احقر منه افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه وملكوته حيث حكم بان كل شئ ينزهه ويقدسه عما لايليق بعلوّ شأنه ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعمة وافضال ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شئ ثم قرّر ماادّعاه بما يدل عليه من دلائل الانفس فقال هو الذي خلقكم والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية فان مابعدها تفصيل لما اجمل في قوله خلقكم فكأنه قيل هو الذي تفضل عليكم باصل النعم كلها وهو نعمة الخلق والايجاد على حسب اختلاف استعداداتكم فبسبب ذلك حصل اختلافكم بالكفر والايمان فمنكم كافر ومنكم مؤمن في علم الله تعالى في الازل فمن تعلق العلم الازلي بكفره اوايمانه فخرج الى عالم الاعيان فانما يخرج اليه على حسب ماعلمه الله تعالى وقدّره وعلم في الازل به ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان انه بصير بالعباد ومجازيهم على حسب ماعملوا كأنه جعل اثبات القدرة دليلا على صحة البعث والجزآء ثم ذكر مايدل على ماادّعاه من دلائل الافاق فقال خلق السموات والارض والمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة الى ماهو اقبح منها ولما كان الجزآء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لايعزب عن علمه شئ من احوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط * ثم شرع في تهديد كفار قريش بقوله

الم يأتكم نبأ الذين كفروا حيث خوّفهم بما نزل بمن قبلهم من الكفار وجعل ما اصابهم من العقوبة فى الدنيا بالاضافة الى ما أعدّلهم فى الآخرة ذوقا من معظم طعام او شراب ﴿قوله اذ البشر يطلق للواحد والجمع﴾ لانه اسم جنس والجنس يتحقق فى ضمن كل فرد من جميع الافراد وهو فى الآية بمعنى الجمع ولذلك جمع ضمير يهدوننا وقوله أبشر مرفوع على انه فاعل فعل مضمر يفسره مابعده كما فى قوله وان احد من المشركين استجارك وهو اولى من جعله مبتدأ ومابعده خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء فى قوله فكفروا سببية لا للتعقيب اى فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوا استصغارا للرسل ولم يعلوا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا وقوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اى وكان الله غنيا عن ايمانهم وطاعتهم فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيأ من ملك الله وانما ضرر ذلك على انفسهم ثم انه تعالى لما بين ان سبب الوبال والعذاب المذكورين هو تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم بين ان لهم معصية اخرى وهو انكارهم البعث فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادّعاء العلم بالشئ ولاعلم وأن مع مافى حيزها قائم مقام المفعولين كأنه قيل زعموا كونهم غير مبعوثين وهى مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى زعموا ان الشأن لم يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وبلى ايجاب للنفى المذكور قبله اى بلى يبعثون ثم ابتدأ فقال وربى لتبعثن وليس الامر مقتصرا على البعث بل يعقبه الحساب والجزآء * فان قيل كيف يفيد القسم فى اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة * اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه عليه الصلاة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادا جازما لامزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على ان يقسم بربه الا ان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس فى اعتقاده ولما ذكر ان ما نزل بالامم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله امرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذى انزل عليه كيلا يذوقوا وبال امرهم فى الدنيا والعذاب الاليم فى العقبى ﴿قوله وقرأ يعقوب نجمعكم﴾ بنون العظمة ليوافق قوله والنور الذى انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيامة وهو يوم يجمع الله فيه الاوّلين والآخرين والجنّ والانس واهل السماء واهل الارض وقيل يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبى وامته ﴿قوله يغبن فيه بعضهم بعضا﴾ اى يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو اخذ الشئ من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون الا فى عقد المعاوضة ولا معاوضة فى الآخرة فاطلاق التغابن على مايكون فيها انما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار فان حقيقة التغابن متفرعة على تحقيق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن احد التاجرين الآخر بان يوقعه فى الخسران ولم يتحقق بين اهل الجنة واهل النار فى الدنيا معاملة يتفرّع عليها تغابنهما فى الآخرة حقيقة فحمل الكلام على الاستعارة فشبه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوءها بالتغابن وذلك لان كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار مايؤدّى الى سعادة الآخرة فاختار كل فريق مايشتهيه مما كان قادرا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرّع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن قيل اشدّ الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه وعبد اطاع الله تعالى بعدم خيانته فى مال سيده وعصى سيده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى وولد ورث مالا من ابيه وابوه كان بخيلا وعصى الله فيه بعدم انفاقه فى سبيله فدخل ابوه ببخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة قال عليه الصلاة والسلام * لايلق الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد * اما مشابهة نزول السعدآء منازل الاشقياء من الجنة لو كانوا سعدآء بالغبن فظاهرة لان السعدآء اخذوا منازل الاشقياء من الجنة من غير رضى الاشقياء ولا شعور لهم به واما مشابهة نزول الاشقياء منازل السعدآء من النار لو كانوا اشقياء بالغبن فانها ليست بظاهرة لان منازل السعدآء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الاشقياء فيها شبيها بغبن السعدآء اياهم الا انه شبه ذلك بالغبن ايضا تهكما بالاشقياء واستهزآء بهم ﴿قوله واللام فيه﴾ يعنى ان اللام فى التغابن لتعريف الجنس فمثل هذا التركيب يفيد حصر جنس التغابن فى ذلك اليوم كما فى قوله تعالى ذلك الكتاب وزيد الشجاع ووجه ايثار ما يفيد الحصر مع ان التغابن يكون فى دار الدنيا أشار

(ألم يأتكم) ايها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام (فذاقوا وبال امرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بانه) بسبب ان الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا اذ البشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنىّ) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادّعاء العلم ولذلك يتعدّى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما فى حيزه (قل بلى) اى بلى تبعثون (وربى) قسم أكد به الجواب (لتبعثن ثم لتنبؤنّ بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى انزلنا) يعنى القرءآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤنّ او مقدّر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزآء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعدآء منازل الاشقياء لو كانوا سعدآء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيق هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) اى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضارّ وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ما اصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب واحوالها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) اى فان توليتم فلا بأس عليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا (فاحذروهم) ولا تأمنوا غوائلهم

الى جوابه بان سعادة الآخرة لكونها أجل كل سعادة وافضلها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لا يعدّ ما دونه فقدا بالنسبة اليه وفقدها انما يتحقق فى ذلك اليوم فصح بهذا الوجه حصر الغبن فى ذلك اليوم فالتنبيه على هذا المعنى اوثر ما دل على الحصر ﴿قوله تعالى خالدين فيها ابدا﴾ خالدين حال من الهاء فى يدخله ووحده اولا حملا على معناه وابدا نصب على الظرف وكذا خالدين الثانى نصب على الحال من اصحاب النار والعامل فيها ما فى اولئك من معنى الفعل ثم انه تعالى لما حكم بان يوم القيامة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين بان يأخذ كل واحد منهما منزل صاحبه فصل ذلك بالآيتين اللتين بعد وهما قوله تعالى ومن يؤمن الى قوله وبئس المصير حيث بين فيهما ان السعداء اختاروا مما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ما اداهم فى الآخرة الى الفوز بدفع المضارّ وجلب المنافع والاشقياء اختاروا منه ما اداهم الى اشدّ العذاب والحرمان من وجوه المنافع باسرها فغبن المؤمن الكافر باختيار ما تمكن عليه الكافر من الايمان والطاعة وغبن الكافر المؤمن بان اخذ منه ما يقدر عليه من الكفر والمعصية فصار كل واحد منهما مغبونا والكافر وان لم يأخذ ما تمكن عليه المؤمن مما رغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونا بفواته منه الا انه جعل مغبونا تهكما بالكافر كما مرّ فظهر بهذا ان الدنيا لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هى موضع التغابن وانه تعالى انما جعل يوم القيامة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت ظهور تغابن الفريقين فى الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلا للتغابن ثم انه تعالى لما بين ان الايمان والطاعة مناط كل خير وسعادة وان الكفر والمعصية مناط كل شرّ وبلاء وكان هذا مظنة ان يتوهم انه لو كان الامر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب فى اموالهم وابدانهم فقال تعالى ما اصاب من مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى الا بتقديره وارادته وقضائه ومشيئته على ان الاذن مستعار للتقدير والارادة تشبيها لهما بالاذن من حيث ان كل واحد منهما مفض الى الفعل سبب له فانه تعالى اذا قدّر المصيبة واراد اصابتها لاحد فكأنه اذن للمصيبة ان تصيبه بين الله تعالى بهذه الآية ان المصيبة انما تصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكم لا يعرفها الا هو منها حصول اليقين بان ليس شئ من الامر فى يدهم فيتبرأون بذلك من حولهم وقوّتهم الى حول الله وقوّته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله تعالى الى غير ذلك ﴿قوله تعالى ومن يؤمن بالله﴾ اى ومن يصدق بالله ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للثبات اى لعدم الاضطراب بما اصابه بان يقول قولا ويظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى وعدم الرضى به بل يسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن ايقن بانه مملوك لله تعالى منحصر فى قبضة قدرته وبان مرجعه الى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون ايضا بما ينفر عنه الطبع ﴿قوله وبالنصب﴾ عطف على قوله بالرفع يعنى من قرأ يهد مبنيا للمفعول كما قرأ قلبه مرفوعا قرأه ايضا منصوبا بنزع الخافض اى يهد فى قلبه كما فى قوله تعالى الا من سفه نفسه اى فى نفسه وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلما سقط حرف الجرّ نصب ما بعده اى عدّى الفعل بنفسه فنصب ما بعده ﴿قوله حتى القلوب واحوالها﴾ يعنى ان قوله تعالى والله بكل شئ عليم تذييل لتقرير قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وانما يقرّره اذا دخلت احوال القلوب من الايمان والكفر فى كل شئ دخولا اوّليا وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اى فى جميع الاوقات ولا تشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته وليكن جل همتكم فى السرّاء والضرّاء العمل بما شرع لكم * ولما ورد ان يقال كيف يستمرّ المرء على الطاعة حالة الضرّاء وهى تغلب على المرء * دفعه بان الايمان بالوحدانية وبان الكل من عند الله يقتضى التوكل عليه فى دفع المضارّ وجلب المنافع والتبرى من الحول والقوّة والاعتماد على حول الله تعالى وقوّته والاستمرار على طاعته وطاعة رسوله فقال الله لا اله الا هو الآية * روى عن عطاء انه قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هذه الآيات يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فانها نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة * وقيل كان رجال يسلمون من اهل مكة ويريدون ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فيتعلق بهم ابناؤهم وزوجاتهم فيقولون انت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع ويقيم لحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لا يطيع ويهاجر اليه عليه الصلاة والسلام فيرى الذين

سبقوه فى الهجرة قد تفقهوا فى الدين فيعزم فى نفسه على انه ان جمعه الله تعالى واياهم فى دار الهجرة يعاقبهم ويمنع عنهم برّه وان لا يتفضل عليهم بوجه تام لما جمع الله تعالى بينه وبين اهله واولاده ومنعهم ما ينتفعون به وعظ الله من فعل ذلك بقوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فامرهم بالعفو عنهم وقد علم من الآية ان العدوّ لا يكون عدوّا بسيفه وسنانه وانما يكون عدوّا بسوء افعاله فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الازواج والاولاد والاموال وغيرها فهو عدوّ له ولا ينبغى له ان يأمن غوائلهم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته ﴿قوله اى افعلوا ما هو خير لها﴾ يعنى ان خيرا منصوب بمضمر يدل عليه الاوامر السابقة فالامر بالافعال الخاصة يدل على الامر بفعل الخير مطلقا فلذلك كان هذا الكلام تأكيدا للحث على الاوامر المذكورة سابقا وبيانا لكون كل واحد من الامور المذكورة قبله خيرا وبين وجه الحث عليها بانها خير لانفسكم وهذا الوجه هو المنقول عن صاحب الكتاب ولم يجعل خيرا منصوبا بقوله انفقوا لان الانفاق لا يتعدى الا الى ما هو من جنس الاموال الا ان يفسر الخير بالمال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وانه لحب الخير فحينئذ يكون منصوبا على انه مفعول لأنفقوا وهو عند الكسائى والفرآء صفة مصدر محذوف اى انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وعند ابى عبيدة خبر لكان المقدّر المجزوم على انه جواب الامر اى انفقوا يكن خيرا لانفسكم ثم قال ومن يوق شح نفسه اى يقه الله عن الشح الذى هو الحرص على المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون ثم بين ما يفوز به المنفق فقال ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم سمى صرف المال فى وجوه الخير اقراضا لله تعالى تشبيها له به فى عود مثل المصروف اليه * والشكور هو الذى يقبل اليسير من العمل ويجازى به الثواب الجزيل فالشكور المطلق ليس الا الله لان زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة * تمت سورة التغابن والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على خير انبيائه

﴿سورة الطلاق مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم﴾

﴿قوله لانه امام امته﴾ يعنى ان النداء عام كالحكم الا انه عليه الصلاة والسلام خص بالنداء صورة اظهارا لتقدّمه واعتبارا لترؤسه ﴿قوله اولان الكلام معه﴾ يعنى لا نسلم ان المقام مقام تعميم النداء بل المقام يقتضى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالنداء لان الكلام معه وليس المراد الا تعميم الحكم ﴿قوله والمعنى اذا اردتم تطليقهنّ﴾ ولو كان المعنى اذا اوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله فطلقوهنّ لعدتهنّ عليه وجه والتعبير عمن هو بصدد التطليق مطلقا مجاز باعتبار ما يأول اليه كقوله تعالى حكاية انى اعصر خمرا وقوله عليه الصلاة والسلام * من قتل قتيلا فله سلبه * وليس المراد به المقتول حقيقة لان قتله محال سمى من يريد التطليق ويقبل عليه مطلقا لكونه مشارفا له وجعل المشارف للشئ بمنزلة من شرع فى ذلك الشئ فان تنزيل المشارف للشئ منزلة من شرع فيه كثير الا ترى الى انه عليه الصلاة والسلام جعل الماشى الى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال * اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسرعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى صلاة * وقال عليه الصلاة والسلام * لا يزال احدكم فى الصلاة ما انتظر الصلاة ﴿قوله اى وقتها﴾ على ان اللام للتأقيت بمعنى فى كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاوّل الحشر فمعنى الآية فطلقوهنّ فى عدّتهنّ اى فى الزمان الذى يصلح لعدّتهنّ وهو الطهر فان المطلقة اذا كانت ممن تحيض فان عدّتها لا تنقضى الا بانقضاء ثلاثة قروء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهنّ ثلاثة قروء والتربص الانتظار والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على اقرآء وقروء والائمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على ان الغرض من ايجاب العدة العلم ببرآءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالاطهار ولان قوله عليه الصلاة والسلام * دعى الصلاة ايام أقرآئك * صريح فى ان المراد به الحيض والامام الشافعى حمله على الاطهار ودلائل الفريقين مذكورة فى موضعها وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا طلق الرجل حال طهرها فانه لا تنقضى عدّتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة عند الحنفية وعند الشافعية لما شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدّتها واتفق الفريقان على ان زمان الطلاق المشروع هو زمان الطهر الخالى عن الجماع لما روى نافع ان ابن عمر طلق امرأته وهى حائض طلقة واحدة فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها فان

(وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما اموالكم واولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاعتكم (واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) فى وجوه الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدّر جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) بصرف المال فيما امره (قرضا حسنا) مقرونا باخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) بجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

﴿سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم اولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهنّ على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهنّ لعدّتهنّ) اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت

ارادان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدّة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى والطلاق البدعى ان يطلقها فى حالة الحيض او فى طهر قدجومعت فيه او يوقع ثلاثا بكلمة واحدة فى اىّ حال كان وهو واقع وصاحبه آثم فلما كانت العدّة عند الشافعية هى الاطهار الثلاثة كان المناسب ان تكون اللام فى قوله تعالى لعدّتهنّ للتأقيت بمعنى فى عدّتهنّ اى فى الوقت الذى يصلح لعدّتهنّ وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله طلقوهنّ واما من حمل القروء على الحيض وعدّ العدّة بها فانه لا يمكنه جعل اللام للتأقيت للاجماع على ان الطلاق فى حالة الحيض منهى عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيجعل تقدير الكلام فطلقوهنّ مستقبلات لعدّتهنّ اى متوجهات اليها واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدّم على القرء الاوّل من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة لعدّتها كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرّم اى مستقبلا لها وفى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل عدّتهنّ والمراد ان يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضى عدّتهنّ وهذا احسن الطلاق واجمله فى السنة وهو ابعد عن الندم من تفرقة الثلاث فى ثلاثة اطهار والامام مالك رحمه الله لا يرى السنىّ الا واحدة فى طهر خلا عن الجماع ويكره الثلاث مجموعة كانت او متفرّقة وعند الامام الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف فى الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح كله فى وقت السنة وعندنا يراعى التفريق والوقت ليكون سنيا والآية تدل على ايقاع الطلاق فى الطهر ودلت السنة على ان ذلك الطهر يجب ان يكون خاليا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيا وهى ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال فى حق ابن عمر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها ﴿قوله وظاهره يدل على ان العدّة بالاطهار﴾ كما ذهب اليه الامام الشافعى لانه تعالى لما قال فطلقوهنّ لعدّتهنّ اى فى زمان عدّتهنّ وهو الزمان الذى يصح ان تعتدّ فيه وهو زمان الطهر لان زمان العدّة لو كان زمان الحيض لكان معنى الآية فطلقوهنّ فى زمان الحيض والتطليق فيه بدعىّ حرام بالاجماع فعلم منه ان طلاق من تحيض ينبغى ان يكون فى الطهر وان عدّتها تكون بالاطهار لا بالحيض ﴿قوله واضبطوها وأكملوها﴾ امر الله تعالى الذين طلقوا النساء بان يضبطوا فصول عدّتها واكمالها سوآء كانت عدّتها بالاقرآء او بالاشهر ليتمكنوا من تفريق الطلاق على الاقرآء اذا ارادوا تطليقها ثلاثا وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة ان حدثت لهم داعية الرجعة وليعلموا بقاء زمان وجوب الانفاق عليهم وانقضائه ثم امرهم بان يتقوا الله ولا يعصوه فيما امرهم به ونهاهم عنه بقوله ولا تضاروهنّ لتضيقوا عليهنّ ومن الضرار بها ان يراجعها فى عدّتها لا لقصد الامساك بالمعروف والاحسان بل ليطلقها ثانيا تطويلا للعدّة عليها ﴿قوله من مساكنهنّ﴾ اى التى يسكنها قبل الطلاق اشارة الى ان اضافة البيوت اليهنّ مع انها بيوت الازواج لملابستها بهنّ من حيث السكنى ﴿قوله وفى الجمع بين النهيين﴾ اى بين النهى عن الاخراج والخروج دلالة على انها تستحق على الزوج ان يسكنها فيما تسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى انه يلزمها ان تلازم مسكن الفراق فان النص بعبارته لما اثبت حرمة الاخراج عليه اثبت بدلالته انها تستحق على الزوج السكنى وكذا لما اثبت حرمة الخروج عليها اثبت بدلالته ان يجب عليها ملازمة مسكن الفراق وقوله ملازمة مسكن الفراق مرفوع على انه فاعل لزومها ﴿قوله اما لو اتفقا على الانتقال جاز﴾ هذا عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى واما عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فلا اثر لاذن الازواج فى اباحة خروجهنّ لان وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على ان خروجها منه حرام بصريح نهى الشارع عنه وحق الشرع لا يسقط باسقاط العبد وقال الامام الشافعى هو حق العبد فان المعتدّة تستحق على الزوج النفقة والسكنى لكونها محتبسة فى منزل الزوج لمنفعة تعود اليه فان العدّة انما وجبت عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس فانه لو لم تجب العدّة عليها لربما تزوّجت بآخر واتت بولد لستة اشهر فلا يعلم ان الولد لايهما فلما كانت محبوسة لمنفعة ترجع على الزوج وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه وكذا الزوج يستحق عليها ان تلازم مسكنه مادامت فى العدّة لان العدة من توابع النكاح ومقتضياته ففى حال بقاء العدّة صار النكاح كأنه قائم فيستحق عليها ان تكون فى مسكنه حال العدّة كما تكون فيه حال قيام النكاح فلما كان الحق لا يعدوهما جاز لها الانتقال اذا اتفقا عليه ﴿قوله مستثنى من الاوّل﴾ وهو النهى عن الاخراج وحينئذ يحتمل ان يراد بالفاحشة بذآؤها على زوجها وأحمائها والبذآء بالمدّ الفحش بالقول واطالة اللسان والاحماء المرأة ام زوجها وكل شئ من قبل الزوج مثل الاب والاخ فهم احماء واحدهم حم ويحتمل ان يراد بها الزنى فتخرج ليقام عليها

(الحدّ)

ومن عدّ العدّة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدّة بالاطهار وان طلاق المعتدّة بالاقرآء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضدّه ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله عنه لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدّة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة اقرآء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدّة والاضرار بهنّ (لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ) من مساكنهنّ وقت الفراق حتى تنقضى عدّتهنّ (ولا يخرجن) باستبدادهنّ اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاوّل والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحدّ عليها

الحدّ فيحل للازواج اخراجهنّ من بيوتهنّ لبذآئهنّ وسوء خلقهنّ روى ان فاطمة بنت قيس كانت فى نساء
فاستطالت على احمائها فى عدّتها فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعتدّ فى بيت ابن ام مكتوم واذا زنت
تخرج لاقامة الحدّ عليها ثم تردّ الى منزلها ﴿قوله اومن الثانى﴾ وهو النهى عن الخروج فحينئذ يكون
المراد بالفاحشة خروجهنّ قبل انقضاء العدّة ويكون المعنى ولايخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا
ابلغ فى المنع عن الخروج من حيث دلالته على علة المنع عنه وهى كونه فاحشة وقوله تعالى الا ان يأتين حال من
فاعل لايخرجن اومن مفعول لاتخرجوهنّ اى لايخرجن اولاتخرجوهنّ فى حال من الحالات الا فى حال كونهنّ
آتيات بفاحشة وان مع الفعل فى تأويل المصدر اى الا اتيانا بمعنى آتيات بفاحشة اوالا ذوات اتيان بفاحشة
﴿قوله الاشارة الى الاحكام المذكورة﴾ وهى ان يطلق الرجل امرأته اذا شاء تطليقها وقت عدّتهنّ
اى فى الزمان الذى يصلح لعدّتهنّ وهو زمان طهر لم يجامعها فيه وماسواه من الاحكام والحدود وهى الامور
المانعة من المجاوزة شبهت احكام الله تعالى بها فاطلق عليها اسم الحدود ﴿قوله وهو الرغبة فى المطلقة﴾
اى بعد الرغبة عنها وتطليقها على الوجه المذكور فان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالامر ههنا الرغبة فى الرجعة
والندامة على عزيمة الطلاق والميل الى امساكها بالمعروف والآية تعليل للمحافظة على الاحكام المذكورة
من تطليقهنّ لعدتهنّ واحصاء العدة والتجانب عن الاخراج والخروج فان التطليق على الوجه المذكور لمالم
يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فان العدّة اذا لم تكن مضبوطة
اوانتقلت المرأة من منزل زوجها اشكل امر الرجعة وهذا يدل على ان الاحسن ان يطلقها الرجل واحدة ثم
يتركها حتى تنقضى العدّة اويفرّق تطليقها ويطلقها ثلاثا فى ثلاثة اطهار لانه حينئذ يمكن للزوج رجعتها ان ندم
على مافعل بخلاف ما اذا اوقع الثلاث دفعة واحدة لانه حينئذ لايمكنه ان يراجعها ولان يستأنف نكاحها
الا بعد التحلل بزوج آخر فانه اذا جمع الثلاث فى وقت واحد لم يبق معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
﴿قوله شارفن آخر عدّتهنّ﴾ فسر بلوغ الاجل الذى هو آخر العدّة بمقاربة انقضائه كما فسر قوله
طلقتم النساء بقوله اردتم طلاقهنّ لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهنّ آخر العدّة حتى يقال اذا بلغن آخر عدّتهنّ
فانتم بالخيار ان شئتم الرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم ترك الرجعة وابقاء الفراق ﴿قوله على الرجعة
او الفرقة﴾ لما كان الامر بالاشهاد للندب عند ابى حنيفة وعند الامام الشافعى فى احد قوليه كان معنى الآية
واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا اذ لانزاع فى كونه مندوبا عند كل واحد منهما فايراد كلمة او فى قوله او الفرقة
بناء على ان الواقع احدهما والمعنى ان اختار الرجعة اشهد عليها وان اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدّتها
اشهد عليها ﴿قوله تبريا من الريبة﴾ علة الاشهاد على الرجعة فانه اذا راجعها ولم يشهد عليها يتهم
فى امساكها بانه امساك المطلقة وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه علة لكل واحد من الاشهاد على الرجعة وعلى
الفرقة فانه ان لم يشهد على الرجعة لربما انكرت المرأة بعد انقضاء العدّة رجعته فيها وان لم يشهد على الفرقة
لربما يموت احدهما فيدّعى الباقى منهما ثبوت الزوجية ﴿قوله وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة﴾
اشارة الى ان الامام الشافعى له قولان فى قول يجب الاشهاد على الرجعة وفى قول آخر لايجب بل هو مندوب
فى كل واحد من الرجعة والفرقة وهو قول ابى حنيفة رحمهما الله ﴿قوله يريد الحث على الاشهاد
والاقامة﴾ يعنى ان قوله ذلكم يجوز ان يكون اشارة الى ماذكر عن قريب وهو الاشهاد والاقامة
وان يكون اشارة الى جميع ما فى الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدّة والامتناع عن
الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادآئها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصا لوجه من غير
توقع جعل ورجح الاوّل افراد المشار اليه والثانى كونه اشدّ ملاءمة لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا
لاسيما على تقدير كونه معترضا اى جملة اعتراضية بين قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم
الآخر وبين قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية فان القولين مرتبطان فانه على تقدير كونه معترضا
يكون المقصود منه تأكيد ماذكر من اوّل السورة الى هنا مما تعلق بطلاق النساء وامساكهنّ واذا كانت
الاشارة الى ذلك المجموع ايضا يتلاءم الكلامان ﴿قوله من الطلاق فى الحيض﴾ فانه منهى عنه
فى ضمن قوله تعالى واتقوا الله ربكم ويكون المعنى ومن يتق الله وطلق للسنة ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من

اومن الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على
ان خروجها فاحشة (وتلك حدود الله)
الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعدّ
حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرّضها للعقاب
(لاتدرى) اى لاتدرى النفس اوانت
ايها النبى او المطلق (لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة
اواستئناف (فاذا بلغن اجلهنّ) شارفن
آخر عدّتهنّ (فأمسكوهنّ) فراجعوهنّ
(بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب
(اوفارقوهنّ بمعروف) بايفاء الحق واتقاء
الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا
لعدّتها (واشهدوا ذوى عدل منكم) على
الرجعة او الفرقة تبريا من الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم
وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (واقيموا
الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة (لله)
خالصا لوجهه (ذلكم) يريد الحث على
الاشهاد والاقامة اوعلى جميع مافى الآية
(يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)
فانه المنتفع به والمقصود تذكيره (ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما
سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا
اوضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار
بالمعتدّة واخراجها من المسكن وتعدّى حدود
الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها
بان يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج
من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا
من وجه لم يخطر بباله اوبالوعد لعامة المتقين
بالخلاص من مضارّ الدارين والفوز بخيرهما
من حيث لايحتسبون

مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويرزقه من وجه لايخطر بباله ان اعطاها مهرها وافيا وأدّى الحقوق قل ماله او كثر وقوله بان يجعل الله له مخرجا متعلق بقوله بالوعد على الاتقاء وقوله او بالوعد لامامة المتقين معطوف على قوله بالوعد فان وعد عامة المتقين يؤكد ماسبق من قوله واتقوا الله ربكم كان الوعد على الاتقاء عمانهى عنه صريحا او ضمنا مماذكر من اوّل السورة الى هنا يؤكد ذلك ﴿قوله او كلام جيئ به﴾ عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بماسبق عليه لكونه تأكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر فى هذا الموضع من حيث انه تعالى امر المؤمنين بامساكهنّ او تطليقهنّ بالمعروف وذكر امورا شتى ثم اشار الى جميع ذلك بطريق الفذلكة وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمتقين الذين يذكرون الله تعالى واليوم الآخر فى جميع شؤنهم فلما انجرّ الكلام الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد على ايمانهم واتقائهم بالخلاص من مضارّ الدارين والفوز بخيرهما من حيث لايحتسبون استطرادا اى من غير ان يقصد به تعلقه بما كلف به المؤمنون فى حق امساك النساء وتطليقهنّ وان دخل فيهم الذين يتقون عمانهى عنه بالآية المتقدمة صريحا او ضمنا مماسبق من الآيات ﴿قوله وعنه عليه الصلاة والسلام الخ﴾ تأييد لكونه استطرادا ﴿قوله تغفل عنها العدوّ﴾ اى اغتنم غفلتهم عنها واخذها منهم على غفلة وفى الصحاح تغفلته اذا اهتبلت غفلته والاهتبال الاغتنام ووجدان الفرصة ﴿قوله وقرأ حفص بالاضافة﴾ اى برفع بالغ من غير تنوين وجرّ امره على اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الاصل لان بالغ اسم فاعل بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما ينصبه بلغ فى قوله فاذا بلغن اجلهنّ وقرئ بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره اى على انه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى ان الله امره نافذ ويحتمل ان يكون ارتفاع امره على الابتداء وبالغ خبره والجملة خبر ان وبالغا حال من فاعل قدجعل فيكون لفظ الجلالة فى قوله قدجعل الله من وضع الظاهر موضع الضمير ﴿قوله وهو بيان لوجوب التوكل﴾ فلذلك لم يعطف على قوله ومن يتوكل على الله ووجه كونه بيانا له ان من كان بالغا امره ولايعجزه شيئ من المطالب وجعل لكل شيئ من الشدّة والرخاء وغيرهما من الحوادث المتجددة تقديرا او مقدارا حدا معينا او اجلا ونهاية ينتهى اليه البتة ولايتأتى تغييره لاجرم يجب على كل عاقل ان يتوكل عليه ولايبقى له سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضى بقضائه ووجه كونه تقريرا لماتقدم وتمهيدا لما سيأتى ظاهر ﴿قوله تعالى واللائى﴾ مبتدأ ويئسن من المحيض صلته ومن الاولى لابتدآء الغاية متعلقة بيئسن والثانية للتبيين متعلقة بمحذوف وقوله ان ارتبتم شرط وقوله فعدّتهنّ مبتدأ وثلاثة اشهر خبره والجملة الاسمية جواب الشرط والفاء فيها فاء الجواب والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر اللائى ومتعلق الارتياب محذوف والتقدير ان ارتبتم فى عدّتهنّ فعدّتهنّ كذا وواحد اللائى التى وقوله واللائى لم يحضن مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر المبتدأ الاوّل فقدّره الزمخشرى جملة حيث قال والمعنى فعدّتهنّ ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدّر مفردا كما فعله المصنف حيث قال واللائى لم يحضن بعد كذلك او مثلهنّ وقوله واولات الاحمال مبتدأ واجلهنّ مبتدأ ثان وان يضعن حملهنّ خبر الثانى والجملة خبر الاوّل ويجوز ان يكون اجلهنّ بدل اشتمال من اولات وان يضعن خبره واولات واحدتها ذات ولا واحد لها من لفظها * روى انه لما نزلت عدّة ذوات الاقرآء والمتوفى عنها زوجها فى سورة البقرة قال بعضهم يارسول الله ان ناسا يقولون قديبق من النساء مالم يذكر فيه شيئ قال ماهو قال الصغار والكبار وذوات الاحمال فنزلت الآيات الثلاث لبيان عدّتهنّ ﴿قوله وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهنّ ازواجهنّ﴾ يعنى ان الحكم بانقضاء العدّة بوضع الحمل حكم كل من كانت ذات حمل سوآء كانت مطلقة او متوفى عنها زوجها لماروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لو وضعت مافى بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدّتها وحلت للازواج وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين اما بوضع الحمل او بانقضاء اربعة اشهر وعشر فايهما ابعد من الآخر تعتدّ به لانه لما وقع التعارض بين قوله تعالى واولات الاحمال اجلهنّ ان يضعن حملهنّ وبين قوله تعالى فى سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهنّ اربعة اشهر وعشرا واقتضت الآية الاولى ان تنقضى عدّتها بوضع الحمل وان وضعت عقيب موت زوجها بيوم او ساعة واقتضت الآية الثانية ان لاتنقضى عدّتها الابمضى اربعة اشهر وعشر لجمع بينهما احتياطا

او كلام جيئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لأعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرأها ويعيدها روى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدوّ فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لاحول ولاقوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدوّ فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ امره) يبلغ مايريده ولايفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر (قدجعل الله لكل شيئ قدرا) تقديرا او مقدارا او اجلا لايتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدّة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهنّ (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهنّ اى جهلتم (فعدّتهنّ ثلاثة اشهر) روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهنّ ثلاثة قروء قيل فما عدّة اللائى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) اى واللائى لم يحضن بعد كذلك (واولات الاحمال اجلهن) منتهى عدّتهنّ (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهنّ ازواجهنّ

وعامة الصحابة على ان عدّتها انما تنقضي بوضع الحمل واختاره المصنف حيث قال والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم وتفصيل المقام ان كل واحدة من اولات الاحمال والمتوفى عنها زوجها عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهما في الحامل المتوفى عنها زوجها وصدق الاولى بدون الثانية في الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الاولى في المتوفى عنها زوجها وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم يخالف حكم الاخرى فتعارضت الآيتان بحسب الظاهر اذ المراد بالتعارض ان يكون اقتضاء احد الدليلين من الحكم في مادّة معينة خلاف مايقتضيه الدليل الآخر والآيتان كذلك في مادّة تناولهما وهي الحامل المتوفى عنها زوجها وانما قلنا انهما متعارضتان بحسب الظاهر بناء على ماتقرّر من امتناع التعارض الحقيقي بين الادلة الشرعية لان التعارض الحقيقي بينها ان يكون بان ينزّل الشارع دليلين متناقضين في زمان واحد وهو تكليف بما لايطاق وهو وان كان جائزا عند الاشاعرة الا انه غير واقع بالاتفاق فلابدّ ان يكون نزول احد المتعارضين سابقا على نزول الآخر فيكون المتأخر نزوله ناسخا للمتقدم ان علم تاريخ نزولهما وان جهل توهم تعارضهما بالنسبة الينا وان لم يتعارضا في الواقع ومانحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فانهما متعارضتان بحسب الظاهر في مادّة تناولهما ﴿قوله والحكم معلل هنا﴾ وذلك ان الحكم بان اجلهنّ وضع حملهنّ رتب على الموصوفات بكونهنّ اولات احمال وتعليق الحكم بالوصف الصالح للعلية مشعر بالعلية لذلك الحكم كما اذا قلت المسكر حرام بخلاف حكم يتربصن اذ لا تعرّض فيه لعلية الحكم فاختار المصنف ان يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها في جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرّة كانت اوامة مطلقة اومتوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك ان تخصص عموم قوله ازواجا في قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل المتوفى عنها زوجها واستدل عليه بوجوه الاوّل ان اولات الاحمال عام بذاته اي بالنظر الى نفس لفظ اولات الاحمال مع قطع النظر عن امر خارج عن نفس مفهوم اللفظ بخلاف عموم ازواجا فانه نكرة في سياق الاثبات ولاعموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام بالعرض فان عموم ازواجا انما يستفاد من وقوعه في حيز صلة الموصول اي بالنظر الى نفس لفظ ازواجا وقولهم ان ازواجا في آية المتوفى عنها تم لاولات الاحمال وغيرها لم يريدوا به بنفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة كونها في حيز صلة الموصول العام بذاته ولما كان عموم ازواجا بالعرض لم يصلح معارضا لعموم العام بذاته فلذلك حملت الازواج في آية المتوفى عنها زوجها على غير الحوامل والثاني ان الحكم في آية سورة الطلاق معلل بكون المعتدة ذات حمل لما اشتهر من ان تعلق الحكم على الوصف الصالح للعلية تعليل لذلك الحكم به ولاشك ان كون الرحم مشغولا بحق الغير يصلح لان يكون علة لكون المرأة ممنوعة عن التزوّج الى فراغ رحمها منه وهذه العلة متحققة في كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها فوضع حملها يكون علة لفراغ رحمها منه وعدم وضعها يكون علة لممنوعيتها عن التزوّج الى فراغ رحمها منه كالحامل المطلقة وان يكون الاعتداد بالتربص المذكور في سورة البقرة مختصا بمن لم تكن ذات حمل لان الحكم بان عدّة المتوفى عنها زوجها التربص المذكور غير معقول المعنى بل هو امر تعبدي لاتعرّض فيه للعلة والحكم المعلل اقوى فهو بالاعتبار اولى وعدم تخلفه عما تخلفت العلة فيه اجدر واحرى والثالث انه عليه افضل الصلاة والسلام حكم بانقضاء عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها بمجرّد وضع حملها من غير ان يمضي عليها بعد وفاة زوجها اربعة اشهر وعشر فهذا الحديث صريح في اعتبار عموم اولات الاحمال للمطلقات والمتوفى عنهنّ ازواجهنّ وتخصيص ازواجا بغير الحامل كما فعله عمر رضي الله عنه فيما روينا عنه آنفا والرابع يتوقف بيانه على مقدّمة وهي ان الائمة الحنفية والشافعية رحمهم الله اختلفوا فيما اذا تعارض الخاص والعام فذهب الشافعية الى ان الخاص يخصص العام مطلقا اي سوآء علم تاريخ نزولهما اولم يعلم والحنفية ذهبوا الى ان المتأخر في النزول عاما كان اوخاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولايحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية اذا عهدت هذه المقدّمة فنقول آية سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة ولما تعارض الدليلان وكانت آية الطلاق متأخرة في النزول فلايخلو اما ان تقدّم آية الطلاق ويعمل بها في حق المتوفى عنها زوجها ايضا اوبالعكس فاللازم من الاوّل تخصيص عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل وهو صحيح

والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوّجي ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء العام على الخاص والاوّل راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) في احكامه فيراعي حقوقها (يجعل له من امره يسرا) تسهل عليه امره ويوفقه للخير

على كل واحد من المذهبين اما على مذهب الامام الشافعي فلأن الخاص الذى هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الامام الشافعي واما على مذهب ابى حنيفة فلأن آية سورة الطلاق لتأخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة فى سورة البقرة وخصصتها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل بآية سورة الطلاق موافق واحد من المذهبين بخلاف العمل بآية سورة البقرة فانه لا يوافق مذهب الحنفية لانهم يجعلون مقدم النزول منسوخا بالمتأخر فلا يعملون به وانما يوافق مذهب الشافعية وقيل هو بناء العام على الخاص وحاصله تخصيص العام بالخاص وهو ان يخصص العام بالخاص لانه ان حكم بالتربص فى حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم ان يخصص عموم اولات الاحمال بحملها على المطلقات مع انها بحسب مفهومها تعم المتوفى عنها زوجها قال المصنف فى اصوله المسمى بالمنهاج الخاص اذا عارض العام يخصصه علم تاريخه املا وابو حنيفة يجعل المتقدم منسوخا ويوقف حيث جهل لنا اعمال الدليلين اولى انتهى كلامه يعنى اذا خصص العام بالخاص يعمل الخاص فى جميع افراده والعام فى بعض افراده ولو جعل العام ناسخا للخاص كان ابطالا للخاص بالكلية مثلا اذا كان المتوفى عنها زوجها خاصا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم اولات الاحمال ناسخا لحكم المتوفى عنها زوجها وقد فرضنا كونها خاصا بمن لم تكن ذات حمل لزم ابطال حكمها فى حق جميع افرادها واعمال الدليلين بقدر الامكان اولى من ابطال احدهما بالكلية هذا ما تيسر لى فى توضيح المقام بعون الله تعالى ولى الانعام والاطعام فان اصبت الحق فبفضل الله واحسانه وان اخطأت فمن قصور فهمى ونقصانه ثم انه تعالى لما حث على التقوى فى عامة احكامه التى يدخل فيها احكام المعتدات دخولا اوليا بين كيفية التقوى فى حكمين على طريق الاستئناف فكأنه قيل كيف يتق الله تعالى فى حق المعتدات فاجيب بان قيل اسكنوهن من حيث سكنتم الى آخر الآيات ﴿ قوله اى مكانا من مكان سكناكم ﴾ اشارة الى ان من فى قوله من حيث سكنتم للتبعيض والمبعض محذوف فكأنه قيل اسكنوهن مكانا هو بعض من مكان سكناكم ثم فسر مكان سكناهم بقوله من وجدكم اى مما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث فى الواو الوسع والطاقة وقرئ بهن جميعا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه ﴿ قوله وهو عطف بيان ﴾ نوقش فيه بانه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العوامل وانما عهد هذا فى البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من حيث سكنتم كأنه قيل اسكنوهن من وجدكم اى مكانا مما تطيقونه ﴿ قوله تعالى ولا تضاروهن ﴾ اى لا تؤذوهن فى شأن السكنى بسبب من الاسباب كانزال من لا يوافقهن فيه او شغل مكانهن باسبابكم ونحو ذلك لتضيقوا امر السكنى عليهن ﴿ قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات ﴾ وذلك انه تعالى لما ذكر السكنى اطلقها لكل معتدة ولما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان غير الحامل من المعتدات لا نفقة لها وهو مذهب الامام الشافعي فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابى حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل معتدة سوآء كانت مطلقة ثلاثا او واحدة رجعية او بائنة مادامت فى العدة اما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى المدة وكونه فى معرض الزوال بانقضاء العدة لا يسقط النفقة كما لو آلى او علق طلاقها بمضى شهر مثلا فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعا وعند الامام الشافعي لها السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لهذه الآية ﴿ قوله بعد انقطاع علقة النكاح ﴾ اى بوضع حملهن فان حكمهن بعد انقطاعها حكم الاماء فيجوز استئجارهن لارضاع ولدهن عند الحنفية خلافا للامام الشافعي فانه لا يجوز استئجارها لارضاع ولدها بناء على انه لما لم يجب عليها ارضاع ولدها صارت كالاجنبية فقول المصنف بعد انقطاع علقة النكاح لا يناسب مذهبه فان استئجار الام للارضاع يجوز عنده حال قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها لا يجوز الا ان يقال انه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء فى قوله فان ارضعن لكم ﴿ قوله وليأمر بعضكم بعضا ﴾ يعنى ان الائتمار افتعال من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والخطاب للازواج من الرجال والنساء والمراد نهيهم عن ان يحمل بعضهم بعضا على المعسرة والضيق فيما يتعلق بارضاع الولد بان يكلف كل واحد منهما الآخر فوق ما ينبغى وما يعتاد ثم انه لما ذكر فى هذه السورة حدودا ونهى عن تعديها ذكر الذين تعدوا حدوده من الامم الماضية وما حل بهم تأكيدا لايجاب المحافظة على ماذكر من الحدود والاحكام وتخويفا من التقصير فى رعايتها فقال وكأين

(ذلك) اشارة الى ماذكر من الاحكام (امر الله انزله اليكم ومن يتق الله) فى احكامه فيراع حقوقه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له اجرا) بالمضاعفة (اسكنوهن من حيث سكنتم) اى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان ارضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن اجورهن) على الارضاع (وائتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له اخرى) امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اى عاجلا او آجلا

من قرية اى وكثير من اهل قرية عتت والعتو بمعنى العناد وهو لا يتعدى بعن وعدى بها فى الآية لتضمنه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها وكأين بمعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير ﴿ قوله لاربح فيها اصلا ﴾ مبنى على ان تنوين خسرا للتعظيم ﴿ قوله تعالى الذين آمنوا ﴾ منصوب باضمار اعنى بيانا للمنادى فى قوله يا اولى الالباب او عطف بيان للمنادى او نعت له ﴿ قوله يعنى بالذكر جبريل عليه الصلاة والسلام ﴾ على ان يكون اطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة فى كونه ذكرا او على انه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرآن المنزل والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى او لكونه آمرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا فى المرتبة الثانية او على ان يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الامير فانه عليه الصلاة والسلام مذكور فى السموات او على ان الذكر بمعنى ذى الذكر الذى هو الشرف ﴿ قوله او اظبته على تلاوة القرآن ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام شبه بالذكر وهو القرآن لشدة ملابسته به تلاوة او تبليغا فاستعير له اسم الذكر وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا للاستعارة ويجوز ان يكون الانزال مجازا مرسلا عن الارسال بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه صلى الله عليه وسلم سبب لارساله ﴿ قوله او اراد به ﴾ اى بالذكر القرآن فيكون رسولا منصوبا بفعل محذوف دل عليه انزل اى انزل الله اليكم القرآن وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر يدل على ارسال الرسول ﴿ قوله او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله ﴾ فان المصدر المنون لكونه فى تأويل ان مع الفعل يعمل عمل فعله كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فكأنه قيل قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ولكن رسول الله ونحوهما ﴿ قوله او بدله على انه بمعنى الرسالة ﴾ والمعنى حينئذ قد انزل اليكم رسالة اى ما يدل على حقية الرسالة فعلى هذا يكون قوله يتلو عليكم حالا من اسم الله ﴿ قوله تعالى مبينات ﴾ قرآءة الجمهور على لفظ اسم المفعول اى بينها الله كما قال قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل اى تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وعلى التقديرين هو حال من الآيات واللام فى ليخرج متعلق بانزل لا بقوله يتلو لانه مذكور على سبيل التبعية بخلاف انزل وفاعل انزل اما ضمير البارى تعالى او ضمير الرسول او الذكر ولفظ الماضى فى قوله تعالى يا اولى الباب الذين آمنوا مبنى على انهم كانوا مؤمنين قبل نزول هذه الآية وقبل خطابهم بما فيها من النداء ﴿ قوله والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين آمنوا ﴾ يعنى ان المراد بالموصول الذى هو تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور فى قوله ليخرج الذين آمنوا فيكون الموصول الثانى من وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بان المراد بالنور الذى اخرجوا اليه هو الايمان والعمل الصالح * ولما ورد ان يقال الامتنان على الذين آمنوا قبل نزول الآية بان يقال يا أيها الذين آمنوا الآن قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصى الى نور الايمان والطاعة بلام الغاية ولفظ المضارع المشعرين بانهم غير خارجين عنها حال نزول الآية فاسد لانه يستلزم ان يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه * اشار الى جوابه بقوله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن وتقريره ان اللازم من جعل الاخراج غاية للانزال ان لا يكون الاخراج حاصلا زمان الانزال وهو لا ينافى كونه حاصلا زمان الخطاب فالمعنى ايها المؤمنون الآن قد انزلنا اليكم ذكرا قبل هذا الآن ليحصل لكم ما انتم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح ﴿ قوله او ليخرج من علم الخ ﴾ عطف على قوله ليخرج الذين آمنوا اى ويحتمل ان يكون المراد بالموصول الثانى ما هو اعم من الاول لان المراد بالموصول الاول هم الذين اتصفوا بالايمان وقت النداء وهو وقت نزول الآية ولا محذور فى ان يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول قد انزل الله اليكم ذكرا ليخرج من علم انه يؤمن او قدر انه يؤمن ولا شك ان من علم الله انه يؤمن او من قدر ايمانه اعم من الموجودين المؤمنين وقت النداء ﴿ قوله تعالى خالدين فيها ﴾ حال من الضمير المنصوب فى يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين حملا على معناه ووحد ضميره له حملا على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال من ضمير يدخله على الترادف لان ذا الحال واحد وقد انتصب عنه حالان او من المنوى فى خالدين على التداخل ﴿ قوله فيه تعجب وتعظيم ﴾ فان الجملة الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب قد يقصد بها التعجب كما فى قول الشاعر

* وجارة جساس أباءت بنابها * كليبا غلت ناب كليب بوآؤها *

(وكأين من قرية) اهل قرية (عتت عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال امرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة امرها خسرا) لاربح فيها اصلا (اعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يا اولى الالباب) ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور فى السموات او ذا ذكر اى شرف او محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل منه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة (يتلو عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد احسن الله له رزقا) فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب

جملة خبرية قصد بها التعجب وكان كل واحد من جساس وكليب رئيس القبيلة على حدة وجارة جساس امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس وكان لها ناقة مسنة فرآها كليب فى حماه فرماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة الى ابن اختها جساس فغضب فقتل كليبا قصاص الناقة بسوس فهاجت حرب بين بكر وهى قبيلة جساس ووائل وهى قبيلة كليب اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم وقيل اشأم من بسوس وبها سميت حرب بسوس وضرب لكل مايعتنى بشأنه ويبالغ فى حفظه اعز من حمى كليب والاباءة الاقتصاص وأبأت القتيل بالقتيل اذا قتلته من البوآء وهو السوآء والناب الناقة المسنة وجعل قوله تعالى قد احسن الله له رزقا من قبيل ماقصد به التعجب لانه لوجعل خبرا محضا لما كان فى ذكره كثير فائدة لان المراد بالرزق مارزقوه فى الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما تدركه العقول والاوهام ﴿ قوله اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض ﴾ اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو دل عليه الفعل الناصب للسموات ولم يجعله معطوفا على سبع سموات كما ذهب اليه صاحب الكشاف لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه فى غير موضع الضرورة وقرئ مثلهن بالرفع على الابتدآء وخبره من الارض قدم عليه ذهب الجمهور الى ان الارض سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ان الارضين ايضا سبع لكنها مطبقة بعضها فوق بعض لافتوق بينها بخلاف السموات قال القرطبى والاول اصح لان الاخبار دالة على ذلك ﴿ قوله اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن ﴾ وهو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره على ايدى الملائكة والثقلين * تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق ومنه وكرمه

﴿ سورة التحريم مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة ﴾

﴿ قوله فواطأت ﴾ اى فوافقت روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى ويحب العسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة بنت عمر رضى الله عنهما فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت والله لنحتالن له فاتفقت انا وسودة وصفية على ان نقول اذا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منا يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فلنقل عند ذلك فما هذه الرآئحة الكريهة وكان عليه الصلاة والسلام يشتد عليه ان توجد منه الرآئحة الكريهة ويحبه ان يوجد منه الرآئحة الطيبة لمناجاته الملك فانه سيقول سقتنى حفصة شربة عسل فلنقل جرست نحله العرفط وهو نبت له رآئحة كرآئحة الخمر ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من عند حفصة ودخل علينا قالت كل واحدة منا ما اتفقنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام * لن اعود الى شرب العسل ﴿ قوله تفسير لتحرم ﴾ اى عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم يتصور منه تعالى حمل على المعاتبة فى ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرا منه عليه الصلاة والسلام ولما خفى وجه كون التحريم منكرا فسره بما اظهر كونه منكرا فان ابتغاء مرضاة الازواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لانهن احق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن فانه عليه الصلاة والسلام متفضل بذاته وفضيلتهن انما هى بالانتساب اليه وعلى تقدير كونه حالا من فاعل تحرم يكون الانكار راجعا الى القيد وتقدير كونه استئنافا ببيان الداعى الى الانكار انه تعالى لما انكر عليه التحريم اتجه له ان يسأل ويقول لم تنكر على يارب فيما حرمته على نفسى وقد وجد ذلك من الانبياء قبلى كما قلت فى كلامك المجيد الا ما حرم اسرآئيل على نفسه فقيل له لانك تبتغى مرضاة ازواجك ومثلك لاينبغى له ذلك فهو استئناف لبيان الداعى الى الانكار ببيان مادعاه الى التحريم وانه لايصلح داعيا اليه ﴿ قوله فانه لايجوز تحريم ما احله الله ﴾ فان ما احله الله تعالى لايحرم الا بتحريم الله تعالى اياه بوحى منزل متلو او غير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد احله الله تعالى فقد كفر * فان قيل اذا لم يجز ذلك فما وجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا له لا اعتقاد كونه حراما بعدما احله الله تعالى فان ذلك لايتصور من عوام المسلمين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز ان يعد ذلك زلة يعاتب عليها

(الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتدآء والخبر (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك) روى انه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رآئحة المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضاة ازواجك) تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لايجوز تحريم ما احله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

لان الامتناع عن الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه ففيه شائبة سوء الادب فلذلك
عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الانكارى ﴿قوله قد شرع لكم تحليلها﴾ فسر قوله تعالى فرض بذلك لان
الفرض بمعنى الايجاب لا يعدى باللام واشار بقوله تحليلها الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف العين اصله تحللة نحو
تكرمة من كرّم والتحليل حل ما عقدته فان الحالف كأنه عقد على نفسه البرّ ومحافظة اليمين وتحليل اليمين
يكون على وجهين الاوّل ان يستثنى بان يقول ان شاء الله متصلا بيمينه فان الاستثناء لما كان مانعا عن انعقاد اليمين
صار بمنزلة تحليلها فان كلمة ان شاء الله اذا اتصلت بالكلام السابق ترفع حكمه من اىّ جنس كان فان موسى
عليه الصلاة والسلام لما وصل ان شاء الله بوعده فى قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا ثم لم يصبر لم يكن بعدم
صبره مخلف وعده فان خلف الوعد من امارة النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام * آية النفاق ثلاث وان صام
وصلى وزعم انه مسلم اذا حدّث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان * فحاشا من الانبياء ان يكون فيهم آية
النفاق فعلم بذلك ان اقتران الاستثناء بالوعد يخرج الوعد من كونه منعقدا فكذا اقترانه باليمين يخرجها
عن الانعقاد فلذلك جعل بمنزلة التحليل فان كان المراد بتحلة الايمان فى الآية الاستثناء يكون المعنى قد شرع الله لكم
تعقيب ايمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف باتيان المحلوف عليه والوجه الثانى من وجهى تحليل اليمين
الحنث فمن حنث فى يمينه باتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه ويجب عليه الكفارة لازالة عقوبة الحنث
فان الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر ان يكون انحلال اليمين بها وليس كذلك بل هى موجب انحلالها
بالحنث الا ان التزام الكفارة لما كان طريقا الى تحليلها بالحنث صار منزلة السبب للتحليل فقال ذلك ﴿قوله
واحتج به من رأى التحريم مطلقا﴾ اى سواء حرّم نحو الثوب والدابة او حرّم امرأته فمن حرّم على نفسه
شيأ منها لا يصير محرّما عليه لانه قلب المشروع والعبد لا يقدر عليه الا ان الحنفية اعتبروه يمينا فى كل شئ
واعتبروا الامتناع عن المنفعة المقصودة بما حرّمه على نفسه فمن حرّم على نفسه الطعام او الشراب ثم اكل او شرب
لزمه كفارة يمين ومن حرّم امته او امرأته ثم وطئها او اقدم على شئ من دواعى الوطئ لزمته الكفارة وعند
الامام الشافعى تحريم الحلال ليس بيمين مطلقا ولا يجب عليه الكفارة بذلك اصلا الا فى النساء والجوارى فان
حرّم عليه زوجته او امته لا يكون ذلك يمينا عنده الا انه يجعله سببا لوجوب الكفارة عليه بمجرّد تحريمه اياها
سوآء قربها او لم يقربها لما ذكره المصنف من انه تعالى انكر نفس التحريم واوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو
لا يستلزم كونه يمينا وان توقف وجوب الكفارة على الحنث بالقربان كما ذهب اليه الحنفية فانه عليه الصلاة
والسلام كفر عن تحريمه بان اعتق رقبة الا انه لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام اعتق بعد استباحة ما حرّمه عليه
او قبل الاستباحة ﴿قوله مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل﴾ ذكر الامام محيى
السنة نقلا عن المفسرين انه عليه الصلاة والسلام كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب
رضى الله عنها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فرجعت
فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال عليه الصلاة والسلام
ما يبكيك فقالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى ما رأيت لى حرمة
وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهنّ فقال عليه الصلاة والسلام اليس هى جاريتى احلها الله لى اسكتى فهى
حرام علىّ التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهنّ فلما خرج عليه الصلاة والسلام قرعت حفصة الجدار
الذى بينها وبين عائشة رضى الله عنها فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه امته مارية
وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه
وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله حتى حلف ان لا يقربها فنزلت فهذه الرواية صريحة فى انه عليه الصلاة
والسلام اتى بلفظ اليمين بعد التحريم فوجوب الكفارة مبنى عليه ولفظ التحريم لا اثر له فيها وذكر الامام محيى السنة
ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما رأى الكراهية فى وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسرّ اليها شيئين تحريم الامة على
نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده فى ابى بكر وبعده فى ابيها عمر رضى الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة فاطلع الله
تعالى نبيه على افشاء حفصة اياه وعرف النبى حفصة بعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه (واذ اسرّ النبىّ الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما (فلما نبأت به) اى فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث (واظهره الله عليه) واطلع النبى عليه السلام على الحديث اى على افشائه (عرّف بعضه) عرّف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت

يعني ذكر الخلافة كره عليه الصلاة والسلام ان ينتشر ذلك في الناس تكرّما منه عليه الصلاة والسلام وحلما فانه قيل ما استقصى كريم قط وكلمة اذ في قوله تعالى واذ أسرّ النبيّ الى بعض ازواجه مفعول به لاذكر المقدر فهو مفعول به لاظرف والمعنى اذكر اذ أسرّ النبي وفاعل نبأت مستتر فيه يرجع الى بعض ازواجه والاصل في نحو نبأ وأنبأ ان تعدّى الى مفعولين الى الاوّل بنفسه والى الثاني بحرف الجرّ وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاوّل اعتمادا على مايدل عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة في هذه الآيات فان قوله تعالى فلما نبأت به تعدّى الى اثنين وحذف اوّلهما والثاني مجرور بالباء وهو ضمير الحديث اى نبأت حفصة صاحبتها التي هي عائشة بالحديث الذي أسرّه اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير المنصوب في اظهره للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اى على افشائه فعلى هذا يكون اظهر متضمنا معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه واظهره السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ اى اطلع الله النبي على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام والمرفوع المستتر في عرّف للنبي ومفعوله الاوّل محذوف اى عرّف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ماافشته الى صاحبتها بان قال لها على طريق العتاب الم اك امرتك ان تكتمي سرّي ولاتبديه لاحد وذكرلها بعض الذي افشته وقال لها انك قد ذكرت كذا وسكت عن بعض ولم يذكره لها تكرما من الاستقصاء وقد قيل ان الكريم لايبالغ في العتاب وهذا المعنى على قرآءة التشديد في عرّف وهي قرآءة الجمهور وقرأ الكسائي بتخفيف الرآء قال الفرآء معناه غضب فيه وجازى عليه وهو من قول العرب انا اعرف الاحسان اى اجازي عليه وفي التنزيل وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازي عليه وانما احتيج الى هذا التأويل على قرآءة التخفيف لان تلك القرآءة لاتحتمل غيره لانه تعالى اعلمه بجميع ما انبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى واظهره الله عليه قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه قال لوكان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها وقيل همّ بطلاقها حتى قال له جبريل لاتطلقها فانها صوّامة قوّامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها ﴿قوله لكن المشدّد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب﴾ يعني ان كل واحدة من قرآءتي التشديد والتخفيف تدل على معنى المجازاة الا انه في قرآءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف واريد السبب الذي هو المجازاة فان عتاب المسيء ومجازاته سبب لتعريف اساءته كما ان معرفة اساءة المسيء سبب لمجازاته فان مجازاة المسيء بها تعرف اساءته كما ان معرفة اساءته سبب لمجازاته * روى انه عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه وحلف ان لايدخل عليهنّ شهرا من شدّة غضبه عليهنّ حين عاتبه الله تعالى بسببهنّ وقعد في مشربة مارية ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت الناس يقولون انه عليه الصلاة والسلام طلق نساءه فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت لها أطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادري هو معتزل في هذه المشربة فأتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت أطلقت نساءك يارسول الله فقال لا فقلت الله اكبر وفيه تفصيل كثير ذكره في المعالم فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت مارية حتى نزلت آية التخيير قالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك كنت اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك قد دخلت مع تسع وعشرين اعدّهنّ فقال عليه الصلاة والسلام ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لي ياعائشة اني ذاكر لك امرا فعليك ان لاتعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قال ان الله عز وجل قال ياايها النبي قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكنّ واسرّحكنّ سراحا جميلا وان كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجرا عظيما فخيرني بمقتضى هذه الآية الكريمة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائر نسائه فقلن كلهنّ مثل ماقلت رضي الله عنهنّ اجمعين وكانت تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي ابن اخطب المخزومية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهنّ وعن سائر الصحابة اجمعين والمستتر في قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والبارز في نبأها به ضمير حفصة والمجرور في به ضمير الحديث الذي افشته حفصة اى فلما اخبر النبي حفصة بما اظهره الله عليه من انها افشت سرّه عليه الصلاة والسلام

(قالت)

(واعرض عن بعض) من اعلام بعض تكرّما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قرآءة الكسائي بالتخفيف فانه لايحتمل ههنا غيره لكن المشدّد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاوّل قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) فانه اوفق للاعلام

قالت حفصة له عليه الصلاة و السلام من اخبرك هذا بناء على انها ظنت ان عائشة اخبرته بذلك ثم انه تعالى لما ذكر ان بعض ازواج رسول الله افشت سرّه صلى الله عليه وسلم و نبأت به صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات و عاتبهما بان اخبرهما ان قلوبكما زاغت عن الحق و اوجب عليهما التوبة فقال ان تتوبا الى الله اى من التعاون و ايذآئه عليه الصلاة و السلام * روى عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عن المخاطب بقوله تعالى ان تتوبا من هما حتى حج او حججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل و عدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يديه فتوضأ فقلت له من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ماسألته عنه قال هما حفصة و عائشة ﴿قوله فقد وجد منكما مايوجب التوبة﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس جزآء للشرط من حيث ان صغو قلوبهما كان سابقا على الشرط فلا يصح كونه جزآءله لان الجزآء يجب ان يكون مترتبا على الشرط مسببا عنه بل جزآء الشرط محذوف و المذكور يدل عليه من حيث انه علته اى ان تتوبا فقد أتيتما بما وجب عليكما اذ وجد منكما مايوجب التوبة و هو ميل قلوبكما عن الواجب حيث احببتما ماكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته و اجتناب العسل وكان عليه افضل الصلاة و اشرف التسليم يحب العسل و النساء اى ان صغو القلب الى اجتناب جاريته عليه الصلاة و السلام ذنب موجب للتوبة و جمع القلوب مع ان الشخصين لا يكون لهما اكثر من قلبين لبعد الالتباس و للاحتراز عن الجمع بين تثنيتين فى لفظ واحد ﴿قوله و قرأ الكوفيون بالتخفيف﴾ اصله تتظاهرا فحذفوا احدى التاءين و قرأ الباقون بتشديد الظاء بادغام التاء فيها و المعنى و ان تعاونا على مايسوءه من الافراط فى التعيير و افشاء سرّه عليه الصلاة و السلام و جوابه ايضا محذوف و قد اشار اليه بقوله فلن يعدم من يظاهره و كيف يعدم المظاهرة و الله مولاه اى وليه و ناصره و لفظ هو فى قوله تعالى هو مولاه يجوز ان يكون فصلا لا محل له و مولاه خبران و يجوز ان يكون مبتدأ و مولاه خبره و الجملة خبران و هذا الوجه هو الاولى لان المقام مقام الدلالة على تقوّى الحكم و الايذان بان نصرته عزيمة من عزآئمه تعالى و انه يتولى ذلك بذاته و فى جعله فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط ضمير الفصل بين المبتدأ و الخبر المعرفتين يفيد الحصر و اذا انحصرت الولاية له عليه الصلاة و السلام فى الله تعالى كيف يصح عطف جبريل و مابعده عليه فانه لا يقال زيد هو المنطلق و عمرو بل يقال لا غير ﴿قوله رئيس الكروبين﴾ اشارة الى وجه تعظيم جبريل بتخصيصه بالذكر و عدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة و الكروبيون بتخفيف الرآء بمعنى المقرّبين من كرب الشئ اذا دنا و قرب قيل فى هذا اللفظ ثلاث مبالغات احداها ان كرب ابلغ من قرب و الثانية انه على وزن فعول و هو من اوزان المبالغة و الثالثة زيادة الياء فيه و هى تزاد للمبالغة كاحمرىّ ﴿قوله متظاهرون﴾ يعنى ان الظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة و افراد لفظه بناء على ان فعيلا يطلق على الواحد و الكثير كفعول و فى التنزيل خلصوا نجيا و حسن اولئك رفيقا ﴿قوله و لذلك عم بالاضافة﴾ اى ولكون المراد بالصالح جنس من آمن و عمل صالحا عم باضافته لكل فرد من افراد الجنس المذكور فان اضافة اسم الجنس تفيد العموم ﴿قوله و بقوله بعد ذلك﴾ اى و المراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة ﴿قوله من جملة من ينصره الله به﴾ يعنى ان المراد بالبعدية البعدية بحسب الرتبة و الاشارة الى نصرة الله تعالى بتوسط صلحاء المؤمنين و لا شك ان مظاهرة الملائكة اعظم من نصرة سائر مايكون واسطة فى نصرة الله تعالى اياه عليه الصلاة و السلام لانه تعالى مكن الملائكة على مالم يمكن الانسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لان تظاهر الملائكة على موالاته عليه الصلاة و السلام ليس بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانا ثم انه تعالى لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما و انه يجب عليكما ان تتوبا شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه الصلاة و السلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه عليه الصلاة و السلام ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا عليكما فانه تعالى يبدله حينئذ ازواجا خيرا منكما الا انه تعالى خاطب جميعهنّ مع ان الخطاب السابق ليس الا مع اثنتين منهنّ على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن الجميع بما يعبر به عن الحاضرين فان الخطاب السابق انما كان مع حفصة و عائشة فكذا هذا الخطاب الا انه ادخل الغائبات فى الخطاب و خوطبن جميعا بطريق تغليب الحاضر على الغائب و يحتمل ان يكون التعبير عن الجميع بقوله طلقكنّ بناء على قصد تعميم الخطاب للجميع قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا و قيل هو ايضا واجب و لكن الله تعالى علقه بشرط و هو التطليق و لم يطلقن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين الا انه عليه الصلاة و السلام اذا طلقهنّ لعصيانهنّ له و ايذآئهنّ اياه كان غيرهنّ من

(ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة و عائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة و هو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه السلام بحب مايحبه و كراهية مايكرهه (و ان تظاهرا عليه) و ان تتظاهرا عليه بما يسوءه و قرأ الكوفيون بالتخفيف (فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير) فلن يعدم من يظاهره من الله و الملائكة و صلحاء المؤمنين فان الله ناصره و جبريل رئيس الكروبين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه و اعوانه و الملائكة متظاهرون و تخصيص جبريل لتعظيمه و المراد بالصالح الجنس و لذلك عم بالاضافة و بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به (عسى ربه ان طلقكنّ ان يبدله ازواجا خيرا منكنّ) على التغليب او تعميم الخطاب و ليس فيه ما يدل انه لم يطلق حفصة و ان فى النساء خيرا منهنّ لان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة و المعلق بما لم يقع لا يوجب وقوعه

الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا منهن وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله تعالى عالما بانه عليه الصلاة والسلام لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقوله وقرأ نافع وابو عمرو بالتخفيف هذا مخالف لما ذكر فى التيسير فى فرش سورة الكهف من انه قرأ نافع وابو عمرو ان يبدلهما وفى التحريم ان يبدله وفى نون والقلم ان يبدلنا فى الثلاثة بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف فينبغى ان يكون ما فى الكتاب سهوا من الناسخين وقوله تعالى ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى ربه ان يبدله وازواجا مفعول ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة للازواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات الى قوله ثيبات واخليت هذه الصفات كلها عن العاطف وجئ به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فى واحد بخلاف سائر الصفات ﴿قوله مقرات مخلصات﴾ فرق بين الاسلام والايمان اولا بان الاسلام هو الاقرار باللسان والايمان هو الاخلاص وثانيا بان الاسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح والايمان هو التصديق القلبى والاسلام بهذا المعنى لا يستلزم الايمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة ﴿قوله مصليات﴾ هكذا فسره الحسن وفى الصحاح القنوت فى الاصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمى القيام فى الصلاة قنوتا وفى الحديث * افضل الصلاة طول القنوت * ومنه قنوت الوتر وفيه ايضا اصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد اى مذلل والعبادة الطاعة والتعبد التنسك ثم انه تعالى لما عاتب نساء النبى صلى الله عليه وسلم ودلهن على رشدهن امر الناس جميعا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبأن يأمروا ازواجهم واولادهم بذلك ويعلموهم الخير فقال يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم قوله قوا امر لجماعة الحاضرين من وقاه يقيه اى حفظه قال عمر رضى الله عنه يا رسول الله نقى انفسنا فكيف لنا باهلينا قال عليه الصلاة والسلام * تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما امركم الله به * وقوله تعالى نارا مفعول ثان لقوله قوا لان وقى يتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وقوله تعالى وقودها الناس صفة لنارا والوقود بفتح الواو الحطب وبالضم مصدر بمعنى التوقد وقرئ به فلا بد من تقدير مضاف اى ذو وقودها ﴿قوله تلى امرها﴾ اى ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسى الحقيقى بل المراد الاستعلاء المعنوى وهو الاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور ﴿قوله او غلاظ الخلق شداد الخلق﴾ لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة لو ضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا لهووا فى النار وقال عليه الصلاة والسلام فى حق خزنة جهنم * ما بين منكبى احدهم كما بين المشرق والمغرب ﴿قوله فيما مضى وفيما يستقبل﴾ لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لان العصيان عبارة عن مخالفة الامر وترك المأمور به فيكون انتفاء العصيان باتيان المأمور به فيكون عطف قوله ويفعلون ما يؤمرون على ما قبله كعطف الشئ على نفسه اشار بما ذكره الى الفرق بين الجملتين بان اتيان المأمور به علق اولا بقوله ما امرهم وثانيا بقوله ما يؤمرون فاختلفت الجملتان باختلاف المتعلق وتقرير الوجه الثانى ان المراد بعدم العصيان تقبل ما امروا به والالتزام باتيانه من غير استثقال وتردد وبفعل ما امروا به اتيانه حسبما التزموه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بترك المعاصى وفعل الطاعات بين لهم ان العذر لا يقبل يوم القيامة فقال يا ايها الذين كفروا الآية ثم نبه المؤمنين على ان طريق وقاية الانفس من النار هو التوبة النصوح فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴿قوله اى بالغة فى النصح﴾ اشارة الى ان نصوحا من ابنية المبالغة مثل صبور وشكور والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة قال الاصمعى الناصح الخالص من العسل وغيره وكل شئ خلص فقد نصح وقيل النصح الصدق من قولهم نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اى صدقته وانصحتها انا اى ارويتها ومنه التوبة النصوح وهى الصادقة التى يقلع بها صاحبها عن المعصية قلبا وقالبا ويندم على ما صدر منه كمال الندامة ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحا نفسه خالصا فى ارادة الخير لها فان التائب اذا صدق الله تعالى فى توبته بان توجه اليه بكليته راجعا عن المعصية باتم وجوهه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق وقال وهو صفة التائب وجعل اسناد النصح

وقرأ نافع وابو عمر وان يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات او منقادات مصدقات (قانتات) مصليات او مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات (ثيبات وابكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلى امرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما امرهم) فيما مضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) اى بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة

(الى)

تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على

الماضي من الذنوب الندامة وللفرآئض الاعادة وردّ المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء (يوم لايخزى الله النبيّ) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره (نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم) اى على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (ياايها النبيّ جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذ بلغ الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم او مأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولايحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيا) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما (وقيل) اى لهما عند موتهما او يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم وبين الانبياء (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لاتضرّهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعدآء الله (اذ قالت) ظرف المثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قريبا من رحمتك اوفى اعلى درجات المقرّبين (ونجنى

الى التوبة اسنادا مجازيا كما فى جدّ جدّه ﴿قوله او فى النصاحة﴾ عطف على قوله فى النصح اى وقيل كون التوبة نصوحا عبارة عن كونها بالغة فى خياطة ماخرقه الذنب واصلاحه * الجوهرى النصح بالفتح مصدر قولك نصحت الثوب خطته ومنه رفأت الثوب ارفؤه رفئا اذا اصلحت ما وهى منه وربما لم يهمز ﴿قوله تقديره ذات نصوح﴾ ذكر لانتصاب نصوحا على تقدير كونه مصدرا ثلاثة اوجه الاوّل انه صفة توبة بتقدير المضاف ويجوز ان يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثانى انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة توبة اى تنصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اى لاجل النصوح لانفسكم ﴿قوله يجمعها ستة اشياء﴾ زاد الكشاف سابعا وهو قوله وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصى فالمذكور على نقله سبعة اشياء لكن ردّ المظالم واستحلال الخصوم فى حكم شئ واحد من حيث اشتراكهما فى كون الذنب الذى تاب عنه من حقوق العباد كما ان قوله وللفرآئض الاعادة على تقدير ان يكون الذنب حقا لله تعالى كترك صلاة او صوم او تفريط فى زكاة فان التوبة عن امثالها لاتصح حتى ينضم الى الندم قضاء مافات منها كأنه قيل ان كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة عنه تكون بالاعادة والقضاء وان كان من حقوق العباد فلايخلو اما ان يكون ماليا او متعلقا بالعرض فاذا كان ماليا فالواجب ردّه ان كان باقيا وردّ عوضه ان كان تالفا وان كان متعلقا بالعرض كالسفاهة والغيبة فالواجب استحلال الخصم ﴿قوله عطف على النبي﴾ اى ولايخزى الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستأنفا او حالا وان جعل الموصول مبتدأ ونورهم يسعى خبره يكون قوله يقولون خبرا بعد خبر ثم انه تعالى لما عاتب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهنّ الى ماهو اصلح لهنّ ثم خوّف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم الى التوبة النصوح دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد ودعا كل طائفة الى ماهو الاصلح لها فقال ياايها النبي جاهد الكفار ثم انه تعالى لما حكم بان مأوى الكفار والمنافقين جهنم زعم الذين بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم او بينهم وبين المؤمنين نسبة او وصلة بنسب ان ينتفعوا بها فابطل الله تعالى زعمهم بان مثل حالهم بحال امرأتين كافرتين كانتا تحت نبيين فانهما لم ينتفعا بالانتساب الى ذينك العبدين المكرّمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينهما وبين زوجيهما فى الطريقة والسيرة فكذلك الكفار والمنافقون لاينتفعون بالانتساب الى المقرّبين عند الله تعالى وفى ضرب هذا المثل نوع تعريض بأمى المؤمنين حفصة وعائشة رضى الله عنهما بان وصلتهما بالنبي صلى الله عليه وسلم لاتغنى عنهما من الله شيأ اذا عصتا وتظاهرتا على مايسوءه ولذلك ذكر امرأتين تحت نبيين ﴿قوله تعالى كانتا تحت عبدين﴾ جملة مستأنفة لبيان حال الامرأتين حتى يتضح التمثيل ﴿قوله يريد به﴾ اى بنظم الكلام على هذا الاسلوب حيث وضع الظاهر موضع الضمير فان الظاهر ان يقال كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله بالنفاق﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان خيانتهما لم تكن بالبغى لانه مابغت امرأة نبي قط وانما خانتا بسبب انهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق قطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع ان ينفعه صلاح غيره ثم انه تعالى لما مثل حال الكفار بحال امرأة نوح وامرأة لوط فى انهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما مثل ايضا حال المؤمنين بحال امرأة فرعون فى انها لم تضرّها وصلة الكافر وجوزيت على حسب اخلاصها وصبرها على اذية الكفار لثباتها على دينها وبحال مريم ام عيسى عليه الصلاة والسلام فى انه تعالى اكرمها بمجرّد صلاحها فى نفسها مع كونها ارملة لازوج لها صالح ولا طالح فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا الآية وضرب بمعنى جعل وصير ومثلا مفعوله الاوّل وامرأة فرعون مفعوله الثانى بتقدير المضاف اى جعل الله مثلا للذين آمنوا مثل امرأة فرعون والمثل المقدّر بمعنى الحال او القصة الغريبة وهذا تصريح بان المثل اريد به معناه المجازى وهو الحال او القصة الغريبة فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله اذ قالت اى شبه ومثل حالهم بحالها وقت قولها رب ابن لى عندك بيتا وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل انها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدآئه ثم بينت مكان القرب فقالت فى الجنة ويحتمل ان يكون قولها عندك كناية عن ارتفاع درجتها فى الجنة كأنها قالت رب ابن لى عندك بيتا رفيعا فى جنة المأوى التى هى اقرب الجنان الى العرش * روى انه لما غلب موسى عليه الصلاة والسلام السحرة آمنت آسية امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد وألقاها فى الشمس قيل امر فرعون بان يلقى عليها صخرة وهى فى الاوتاد فدعت الله تعالى بقولها رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فرفع

روحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه وقيل استأنفت وملت صحبة فرعون فسألت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها فى الجنة حتى رأته قبل موتها ﴿قوله فى فرجها﴾ قال المفسرون المراد بالفرج ههنا الجيب فان جبريل عليه الصلاة والسلام قدّجيب درعها باصبعيه ثم نفخ فى جيبها لحبلت بعيسى فعلى هذا يكون قوله تعالى فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج فى قوله تعالى احصنت فرجها هو العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق فى الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى ومالها من فروج * قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع واختار ان يحمل على اصل معناه العرفى ووصفها الله تعالى بقوله احصنت فرجها ابطالا لقول من قذفها بالزنى والعياذ بالله تعالى وقوله فنفخنا من باب اسناد الفعل الى السبب الآمر والاصل نفخ جبريل بامرنا من روحنا اى روحا من ارواحنا وهو روح عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله اى فى مريم﴾ قيل فعلى هذا يدل الكلام على احيا مريم لان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء مريم بل المراد احياء عليه الصلاة والسلام فى بطن مريم فينبغى ان يكون تقدير الكلام حينئذ نفخنا الروح فى عيسى فيها بمعنى احييناه فيها ﴿قوله كفضل الثريد على سائر الطعام﴾ فان العرب لايؤثرون على الثريد شيأ من الطعام وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذآء واللذة وسهولة التناول ونحو ذلك * تمت سورة التحريم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين آمين آمين

﴿ سورة الملك مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى تبارك﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اى تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذى بيده الملك اى على كل موجود لامتصرّف فى العالم غيره لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقيل انه تفاعل من البركة وهى النماء والزيادة اى كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت صنوف احسانه الى جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير يبرك بروكا اى استناخ وكل شئ ثبت واقام فقد برك اى دام برّه ودام خيره ﴿قوله بقبضة قدرته التصرّف﴾ يعنى ان اليد مجاز بمعنى القدرة وهى الصفة المؤثرة على وفق الارادة شبهت هذه الصفة فى الغالب بالجارحة التى هى معظم مبادى التأثير فى الشاهد فعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرّف فى الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولان الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعى الحمل على العموم ﴿قوله على كل مايشاء﴾ اشارة الى ان الشئ مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير ومعنى مشيئ الوجود مايشاء الله وجوده وان كان موجودا فى الجملة الا ان مشيئة الوجود تستدعى سبق العدم فيكون معدوما ممكنا ولا يتناول الواجب والممتنع بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه مستولٍ على التصرّف فى الموجودات كلها وبقوله وهو على كل شئ قدير قدرته على المعدومات الممكنة بامرها وانه لايخرج شئ من المعدومات والموجودات عن ملكه وقدرته فيكون قوله وهو على كل شئ قدير تكميلا لقوله بيده * فان قلت ماذكرته يدل على ان الشئ اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لانقول به بل هو مذهب المعتزلة وايضا قولك الشئ لايتناول الواجب والممتنع ينافى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيأ لاكالاشياء * قلنا كون المعدوم الممكن شيأ بمعنى مشيئ الوجود لاينافى كون الشئ مختصا بالموجود لان ماشاء الله وجوده موجود فى الجملة لان مراد الله تعالى لايتخلف عن ارادته وقولنا الشئ لايتناول الواجب هو الشئ بمعنى مشيئ الوجود لاالشئ بمعنى الشائى فان الشئ اذا اطلق على البارى تعالى يكون بمعنى الشائى واما فى قوله تعالى خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل فان الشئ فيهما بمعنى مشيئ الوجود فلا حاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل العقل واحتج بعضهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشئ فقال لو كان شيأ لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن نقول انه تعالى ليس بشئ بمعنى مشيئ الوجود ولايلزم منه ان لايكون شيأ اصلا لانه تعالى شئ بمعنى انه شائى ﴿قوله او اوجد الحياة وازالها﴾ جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زآئدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالاحساس والحركة الارادية فكونها متعلقا للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او الحمل (من روحنا) من روح خلقناه بلاتوسط اصل (وصدّقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه (وكتابه) وماكتب فى اللوح اوجنس الكتب المنزلة ويدل عليه قرآءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدّت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدآئية * عن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الاالاربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا .

﴿ سورة الملك مكية ثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) بقبضة قدرته التصرّف فى الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير (الذى خلق الموت والحياة) قدّرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدّره

كون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد و التكوين فلا يتعلق الا بما يقبل الايجاد * فاجاب عنه اوّلا بان الخلق
ان كان يستعمل فى الايجاد الا انه فى الاصل بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدّرته قبل القطع قال الحجاج
خلقت الافريت ولا وعدت الا وفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بان لانسلم ان الموت صفة عدمية بل
و صفة وجودية مضادّة للحياة كالحرارة و البرودة يقبل كل منهما الايجاد و التكوين الا ان ايجاد احد الضدّين
كان مستلزما لازالة الآخر من محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الآية على
ن الموت صفة وجودية وقالوا انه لو كان امرا عدميا لما تعلق به الخلق و التكوين ﴿قوله وقدّم الموت﴾
ع ان الحياة متقدّمة على الموت امالان المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة و العلقة و المضغة وبالحياة الحالة المرتبة
لى نفخ الروح فى الجنين واما لان المقصود من سوق الآية تحريض المكلفين على حسن العمل و الموت ادعى الى هذا
قصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين اقوى الزواجر عن المعاصى واقوى الدواعى الى حسن
عمل ولاشك ان ماهو ابلغ فى التأدية الى الغرض المسوق اليه الكلام اهم فقدّم على الثانى ﴿قوله ليعاملكم
عاملة المختبر﴾ يعنى ان البلوى وهو الاختبار و الامتحان ليس على حقيقته لانه انما يتصوّر ممن يخفى عليه
قبة الامر بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان يشبه صورة منتزعة من عدّة امور بصورة اخرى
لها و يدّعى دخول الاولى فى جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر
تجوّز فى مجموع ذلك اللفظ المركب لا فى مفرداته بل هى باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما فى قولك
ى اراك تقدّم رجلا وتؤخر اخرى فكذا فى هذه الآية الكريمة شبهت حاله تعالى مع المخاطبين الذين كلفهم بالاوامر
النواهى بعد ما مكنهم من فعل الطاعة و المعصية و بين لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ماثبت فى علمه
ازلى من طاعة المطيع ومعصية العاصى ليجازيهم على حسب علمه بما يصدر عنهم فانهم لا يستحقون الثواب
العقاب بما فى علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للدلالة
لى حال المختبر مع المختبر لحاله تعالى مع المخاطبين و مايظهر من خلق المكلفين و تكليفهم من طاعتهم و معصيتهم
ختيارهم غير ماتعلق به العلم الازلى منهما فان العلم الازلى يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان
لا يقعان لان ذلك لا يكون علما و مايظهر من خلقهم و تكليفهم هو تحققهما و وقوعهما بالفعل فمعنى قوله تعالى
يبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعد ما علم انه سيحصل ولا يلزم منه تجدّد علمه تعالى و حدوثه بل
تجدد انما هو فى جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلى هربا من تجدّد علمه تعالى
ذهبت المسلمون الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئى فيعلم عند وجودها انها وجدت و عند عدمها انها
دمت كما انه تعالى يعلم فى الازل انها ستوجد فى وقت و تعدم فى آخر فلا يعتبر علمه الازلى بل المعتبر تعلقاته على حسب
ير المعلوم و اللام فى قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة
عند اهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لا يفعل لغرض بل المقصود بيان
لحكمة المترتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية فى ان كل واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل * فان قيل الابتلاء
ما يكون بالاحياء و التكليف فما معنى خلق الموت للابتلاء * والجواب عنه يعلم من قوله آنفا ولانه ادعى الى حسن
عمل فان معنى الآية انه تعالى اعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل و تتمكنون بها منه و سلط عليكم الموت الذى
و داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث و الجزاء الذى لابدّ منه لبقاء حكمه
ملكه ليعاملكم معاملة المختبر و يظهر ما فى علمه الازلى و يميز المطيع من العاصى فيجازى كل احد بما يستحقه ﴿قوله
صوبه و اخلصه﴾ فان احسن الاعمال ما كان اصوب بان يكون موافقا للسنة و اخلص بان لا يشوبه شئ سوى
بتغاء وجه الله و العمل اذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل و اذا كان صوابا و لم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل
ضا و فسر حسن العمل بحسن العقل لان حسن العمل يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من
م عقله يكون اشدّ خوفا من الله تعالى و اكثر للموت ذكرا و احسن له استعدادا ﴿قوله جملة واقعة﴾ يعنى
ن قوله تعالى ايكم مبتدأ و احسن خبره و عملا تمييز و الجملة الاسمية سادّة مسدّ المفعول الثانى لفعل البلوى و قوله
تضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدّى الى مفعول واحد بنفسه و انما يتعدّى الى الثانى بواسطة
باء و قد اخذ ههنا مفعوله و هو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعى مفعولا ثانيا يتعدّى

و قدّم الموت لقوله و كنتم امواتا فاحياكم و لانه
ادعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم
معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون (ايكم
احسن عملا) اصوبه و اخلصه و جاء مرفوعا
احسن عقلا و اورع عن محارم الله و اسرع
فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل
البلوى المتضمن معنى العلم و ليس هذا من باب
التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق
الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين
(و هو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من اساء
العمل (الغفور) لمن تاب منهم

اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعة * وتقرير الدفع نعم ان الامر كذلك الا انه متضمن لمعنى العلم فكأنه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدّت الجملة الاسمية التى بعده مسدّه ثم ان فعل البلوى لما كان فى قوّة افعال القلوب التى من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت أزيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اىّ الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعوله الثانى باىّ لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت انى اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم أزيد افضل ام عمرو واعلم لايعمل فيما بعد الف الاستفهام فكذا لايعمل فى اىّ لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله انه اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة مصدّرة بكلمة الاستفهام لايكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية اذيلزم منه وقوعها خبرا والانشاء لايقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق يكون اعراب الجملة المعلق عنها كاعرابها اذا لم يتقدّم عليها فعل القلب فيلزم ما ذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق حينئذ لايستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشرى على ان الفعل لايعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثانى بان الفعل لا اثر له فى لفظ الجملة بل فى محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة وجب ان لايفرّق بين كونها مصدّرة باداة التعليق وغير مصدّرة بها صورة او لفظا كما فى قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الا فى محل ابوه قائم سواء صدّرت الجملة باداة التعليق ام لا فلا وجه لجعل الاوّل من باب الاعمال والثانى من باب التعليق بل يجب ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشرى انه قال اذا قلت علمت لزيد منطلق فهذا تعليق للفعل عن العمل فى اللفظ والصورة فكذا يمنع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده مايستوجب صدر الكلام فلايعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل تقديرا لان معنى قولك علمت لزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزءين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لايذكر شئ من المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت لزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس مما نحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا صدّر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لايعلق فعل القلب عن المفعول الاوّل نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ابو من هو وجوّز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ماوقع بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وعلمت ابو من بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا ماهو قائما مع ان المعنى علمت مازيد قائما ﴿قوله اذا خصفتها طبقا على طبق﴾ اى اذا خرزتها واضما طبقاتها بعضا على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع سموات للمبالغة فى مطابقة بعضها بعضا او مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع ﴿قوله او ذات طباق﴾ عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال او جمع طبقة كرحبة ورحاب فلابدّ من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالتحريك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات ﴿قوله صفة ثانية﴾ اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قرّرناه ولما جعله صفة ثانية وقد تقرّر ان الجملة الواقعة صفة لابد من كونها مشتملة على مايعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع العظيم عظيم والاصل ماترى فيهنّ وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه ﴿قوله والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك﴾ وجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه ﴿قوله وان فى ابداعها نعما﴾ ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها الى الرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة ﴿قوله متعلق به﴾ اى بقوله ماترى على وجه التسبب اخبر انه لاتفاوت فى خلقهنّ ثم قال فارجع البصر اى ارفع نظرك الى السماء مرّة بعد اخرى حتى يصح عندك مااخبرت به بطريق المعاينة اذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء للسببية تدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يؤمر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال ورجع يجيء لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره ﴿قوله فى ارتياد الخلل﴾

(الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوّت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرّة اخرى متأملا فيها لتعاين مااخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرّتين) اورجعتين اخريين فى ارتياد الخلل

اى فى طلبه يقال راده يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى طلبه ﴿قوله كما فى لبيك وسعديك﴾ فان اصلهما ألب لك ألبابين اى اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعدك اى اعينك اسعادتين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف ألب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكثير كما فى نحو كرّتين ومرّتين وقوله كرّتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين آخرتين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان تكرّر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيلا بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصر لا يبلغ غاية الكلال برجعه كرّتين اثنتين فقط ﴿قوله طردا بالصغار﴾ تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هو انه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسأ يستعمل لازما ومتعديا يقال خسأت الكلب اى طردته وخسأ الكلب بنفسه ولا يجوز ان يكون خاسئا فى الآية مشتقا من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسئ الذى لم ير مايهواه وقوله تعالى ينقلب جواب الامر وخاسئا حال من البصر وقوله وهو حسير جملة حالية من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فتكون حالا متداخلة * واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لا يتم الا بعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اوّلا على كمال قدرته بقوله الذى خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شمول علمه بقوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر مايدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى تدل على كون صاحبها عالما حكيما ﴿قوله اقرب السموات الى الارض﴾ اشارة الى ان الدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قربى انما هو بالنسبة الى ما تحتها من الارض لان القربى بالنسبة الى العرش هى السماء السابعة والمصابيح السُرُج استعيرمنها للكواكب تشبيها لها بها فى الاضاءة والتنوير ﴿قوله ولا يمنع ذلك﴾ جواب عما يقال قد اتفق اهل الهيئة على ان الكواكب الثابتة مركوزة فى الفلك الثامن فعلى تقدير صحة ماذهبوا اليه كيف يوجه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا * وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لا يقتضى كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لا يحجب بعضها ما كان مركوزا فيما فوقها ﴿قوله رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها﴾ اى بسقوطها يقال انقض الحائط اذا سقط وكذا انقض الطائر والشهب جمع شهاب وهى شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس ما يرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هى قارة ثابتة فى مواضعها لم ينقص شئ منها بالرجم مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسببة عنها فان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التى هى قارة فى الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها فى موضعها * روى ان السبب فى جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع خبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرّب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمى بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيلتبس على الناس امر النبوّة بامر الكهانة وهذا لا يستلزم ان لا تكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد قبلها لاسباب أخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه فى كتبهم وانما يدل على ان الذى جعل بعد البعثة ما ترجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الصحابة اذ رموا بنجم فانار الجوّ منه فقال ما كنتم تقولون اذا حدث فى الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر فى السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهى الى هذه السماء وتخطفه الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه ﴿قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا﴾ اى قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمى بل هو من الرجم الذى هو ان يتكلم الرجل بالظن كما فى قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) اقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا فى السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه

والبحر ومعرفة الاوقات فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به وتعدّى وظلم ولماذكر ان الكواكب من جملة منافعها ان يرجم بها الشياطين فى الدنيا بين ان لهم فى العقبى عذابا فوق ذلك وهو مااعدّه الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهى مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضى ثم ان الله تبارك وتعالى لما اثبت كمال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعدّلهم اى للرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لايختص بهم بل يعم الكفرة فقال وللذين كفروا بربهم الخ وعذاب جهنم فى قرآءة الجمهور مرفوع على الابتدآء وقوله وللذين كفروا خبره قدّم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور شبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوّله وقيل الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق قال مقاتل اذاطرحوا فيها كما يطرح الحطب فى النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطاء سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا فهو على حذف المضاف ﴿قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم﴾ جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التى من شأنها الغيظ فكيف وصف به * فاجاب عنه اوّلا بحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم بامتياز المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل بان شبهت جهنم فى النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والغيظ اشدّ الغضب والغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام والتغيظ اضمار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد فى بعض الاخبار اتقوا الغضب فانه جمرة فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه ﴿قوله قالوا بلى قدجاءنا نذير﴾ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المخاطب بها مع انهم لو اقتصروا على قولهم بلى لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم فى قبول قول النذير ﴿قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال﴾ اشارة الى ان قوله ان انتم الا فى ضلال كبير من مقالة الكفار اى وقلنا لهم مانزل الله من شئ على ألسنتكم ان انتم يامعشر الرسل الا فى ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقرّوا بانه تعالى ازاح عللهم عنهم ببعثة الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه بتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهنم حيث قالوا وهم فى النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا اليوم فى اصحاب السعير * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومايجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ﴿قوله والنذير اما بمعنى الجمع﴾ اى على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الا فى ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للمنذرين لابدّ ان يكون النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير بقوله ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالرجيف والانين على حذف المضاف او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كأنهم لكثرة انذارهم وغلوّهم فى ذلك واتفاقهم فيه كانوا انذارا واحدا ﴿قوله او الواحد﴾ عطف على قوله الرسل فى قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد ويكون قوله ان انتم خطابا له ولامثاله ﴿قوله او اقامة تكذيب الواحد﴾ عطف على التغليب ﴿قوله ويجوز ان يكون الخطاب﴾ عطف على مايفهم من قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه فى الدنيا من ضلالهم فى باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا عليه فى جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ اذا ضاع وهلك ﴿قوله فأسحقهم الله سحقا﴾ يعنى ان سحقا منصوب على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف ناب المصدر مناب عامله فى موضع الدعاء كما فى رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التى يجب فيها حذف المفعول المطلق سماعا واختلف النحاة فى انه مصدر لفعل ثلاثى او لفعل رباعى جاء على حذف الزوآئد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله اى ابعده

(تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير) اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدّر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قدجاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (او نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا فى اصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لاينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فأسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته

(والسحق)

السحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما فى قوله فان اهلك فذلك كان قدرى
ى تقديرى ومن جعله مصدرا لفعل ثلاثى بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه لان
ستعمال الثلاثى متعديا فى غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم العين فهو سحيق اى بعيد
اسحقه الله اى ابعده وقرأ العامة سحقا بسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل
صلا للمخفف واللام فى قوله لاصحاب السعير للبيان كما فى رعيالك وسقيالك ﴿قوله والتغليب للايجاز
والمبالغة﴾ هكذا فى اكثر النسخ ووجد فى بعضها والتغيير بدل التغليب وليس فى نظم الآية تغليب بالمعنى
لمتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجميع فى كون اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له وليس
ى قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل فى غير ما وضع له غاية ما فى الباب ان يطلق اصحاب السعير
على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام فى الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع
نه ليس بمستعمل فى الخاص بل هو مستعمل فى اصل معناه وهو من يلابس السعير ويدخلها سوآء كان
خالدا فيها او لا كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام ياصاحبى السجن فاطلاق اصحاب السعير
واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا للفظ فيما وضع له فلا يكون من
اب التغليب العرفى فاذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد وبعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التى
وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال قوله فى سورة الملك والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل يريد ان
الاصل ذكر الفعل والاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب فحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر وللمبالغة بان ذكر
السحق اولا مبهما من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعنى بالدعاء ولو
ذكر الفعل لفات هذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل
ان علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب ووقع
فى بعض النسخ والتغليب بدل قوله والتغيير وهو سهو من قلم الناسخ اذلا وجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر
قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجى چلبى سلمه الله انه سمع من لفظ المولى خواجه
زاده رحمه الله انه استصوب عبارة التغيير وقطع بان عبارة التغليب خطأ والله اعلم ﴿قوله غائبا عنهم﴾
على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثانى يكون حالا من فاعل يخشون وعلى قوله او بالمخفى عنهم
يكون الباء للآلة وتكون متعلقة بيخشون وتكون الالف واللام فى قوله بالغيب بمعنى الذى وقوله تعالى ان الذين
يخشون ربهم اما جملة استئنافية اوردت جوابا للسؤال الناشئ عن بيان حال الكفرة فكأنه قيل فاذا حال من
احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك الى خطاب
الكفار فقال واسرّوا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل
صلى الله عليه وسلم فيقول بعضهم لبعض أسرّوا قولكم كى لايسمع اله محمد فنزلت آية وأسرّوا قولكم او اجهروا به
وظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والجهر ومعناه الاخبار بانه لافرق بين اسرار ماتخوضون فيه من الاقوال
والافعال واعلانه فى علم الله بذلك واحذروا من ارتكاب مايكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا ثم علل
استوآء الامرين فى علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور قبل ان يعبر بها اصلا لاسرا ولاجهرا فعلمه
تعالى بها بعد التعبير عنها اولى ثم انكر ان يعزب عن علمه شئ من مضمرات الصدور مما عبر عنه سرا وجهرا فقال
ألايعلم من خلق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم
ومفعوله محذوف وان يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشار الى الاول بقوله الا يعلم
السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثانى بقوله او ألايعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة ﴿قوله المتوصل
علمه الى ماظهر من خلقه ومابطن﴾ الظاهر ان ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه منفهم من عبارة
اللطيف بل المراد انه منفهم منه بطريق الدلالة لان مدلوله هو العالم بالخفيات كما صرح به فى شرح المواقف ومن
يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الاولوية فلذلك اعتبر فى مفهوم اللطيف وصول علمه الى ماظهر ايضا
قال الامام حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده المنير انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها
ومادق منها ولطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف

والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ
الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم
بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه
بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفى
عنهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم
(واجر كبير) يصغر دونه لذائذ الدنيا
(وأسرّوا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها
سرا او جهرا (ألايعلم من خلق) ألايعلم السر
والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته
(وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى
ماظهر من خلقه ومابطن او ألايعلم الله من خلقه
وهو بهذه المثابة

فى الادراك ثم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذى هو اخص من العليم * وقال الامام الرازى واعلم انهم اختلفوا فى اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة التى تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به خلق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسر بما ذكره الغزالى اندفع التكرار ﴿قوله والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد﴾ جواب عما يقال من انه لم يذكر فى نظم الآية لفظان يكون احدهما فاعلا ليعلم والآخر مفعوله فما الذى دعاك الى اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطى ويمنع بان ينزل منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه ثالث وهو ان تجعل من خلق فاعل يعلم ولا يقدر له مفعول ويكون المعنى ألا يكون عالما من هو خالق والخلق انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتد بها لانه فى قوة تقييد الشئ بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون فى معنى دعوى العلم فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اى يعلم فى حال علمه ولا فائدة فى هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه * فان قيل لا نسلم ذلك بل هو فى معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن وقد فسره المصنف بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شئ * قلنا اذا نزل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطى ويمنع يكون الحدث الذى هو مدلول الفعل عاما شاملا لجميع افراده بحسب تفاهم العرف فى المقام الخطابى كما صرح به صاحب المفتاح كان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان فى العموم فيلزم تقييد بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم كل شئ من هو عالم بكل شئ ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرده فى خلق الكائنات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرع على العلم فكيف يتصور ان لا يعلم ما خلقه قال بعده هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فلا تغتروا بذلها وانقيادها لكم ولا تجترأوا على معصيته سرا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ما تسرون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التى هى مأمنكم وموضع استقراركم انا الذى ذللتها لكم وجعلتها مسكنا لكم وسببا لمعاشكم اذ لو شئت لحولت ذلها صعوبة وما فيها من الامن خوفا بان نخسف بكم الارض كما خسف بقارون وبداره الارض او ننزل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما انزل على اصحاب الفيل وقوم لوط واطيعوا الله سرا وعلانية لعلكم تفلحون * والذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل اى ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين ومنه دابة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشى عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار فيها وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لما تيسر شئ منها ولو كانت مثل الذهب او الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد فى الشتاء وايضا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول ومنقادة لنا ﴿قوله جوانبها او جبالها﴾ شبهت جوانب الارض او جبالها بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منه فاطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا فى مناكبها مثلا لفرط التذليل اى بيانا عجيبا وتصويرا غريبا لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفى الذى هو القول السائر للبيان العجيب تشبيها له به فى الغرابة والوجه فى كونه بيانا غريبا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشى فى جوانب الارض او جبالها التى بمنزلة المناكب من البعير كان امكانه فى اواسطها او سهولها اتم واولى ﴿قوله وهو بدل من من﴾ يعنى ان قوله تعالى من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول ءأمنتم وان يخسف بدل اشتمال منه اى ءأمنتم من فى السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اى ءأمنتم من فى السماء ارساله ﴿قوله او على زعم العرب﴾ عطف على قوله على تأويل من فى السماء امره يعنى ان قوله من فى السماء لا يجوز ان يكون المراد به البارى عز شأنه

(لاستحالة)

والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (ءامنتم من فى السماء) يعنى الملائكة المتوكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وبرواية البزى ءامنتم بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها ألفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين (ان يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال

استحالة كونه تعالى فى مكان وجهة فلا يجوز ان يراد به البارى تعالى الا على تأويل من فى السماء سلطانه
امره او على ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لامثالهم اين شركائى
أنه تعالى قال لهم أتأمنون من اعتقدتم انه اله متمكن فى السماء وانه قادر على مايشاء ان يخسف بكم الارض
لجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا غاب وذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا اى غيبه فيها
قوله والمور التردّد فى المجئ والذهاب وقد قالوا ان الله يحرّك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب
تحرّك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين
قوله ان يمطر عليكم حصباء اى حصى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اى حجارة من السماء كما ارسلها على
وم لوط واصحاب الفيل وفى الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء وحصب فى الارض
هب فيها والحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى ومعنى الآية هل حصل لكم امان من هذين واذ لا
مان لكم منهما فامعنى تماديكم فى الشرك والتكذيب وهذا عناد شديد والعياذ بالله **قوله وتهديد لقومه** اى
أكيد للتهديد السابق بايراد مثال ومصداق له كأنه قيل اولم تروا انى كيف انكرت على المكذبين قبلكم بتغير حالهم
التدمير والاستئصال فكيف تأمنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب ثم اورد برهانا يدل على
درته على ايقاع ماهدّدهم وخوّفهم به فقال اوّلا اولم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا قل هو الذى انشأكم
جعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذى ذرأكم فى الارض ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام
نهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا اوحال من الطير اى كائنات فوقهم وصافات حال
مامن الطير او من المنوى فى الظرف ان جعلته حالا **قوله تعالى ويقبضن** عطف على صافات عطف الفعل
على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهوآء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما
ن الاصل فى السباحة هو مدّ الاطراف بسطها وقبضها وقتا بعد وقت لايقصد لذاته وانما يفعل ليتوصل به
لى ماهو الاصل فى السباحة وهو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو صف الاجنحة والقبض يطرأ
على الاصل للاستظهار به على التحرّك فجئ بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدّد
قتا بعد وقت والمعنى انهنّ صافات ويكون منهنّ القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات
يقبضن محذوف اى صافات وقابضات اجنحتهنّ كما اشار اليه بقوله اى باسطات اجنحتهنّ ثم اشار الى ان الصف الواقع
حال البسط انما هو للقوادم حيث قال فانهنّ اذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه
هى عشر فى كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله مايمسكهنّ الا الرحمن لاينافى توصيفهنّ بقوله صافات
قابضات لان امساكهنّ مع ثقلهنّ وضخامة اجسامهنّ مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهنّ فى الهوآء
سند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهنّ على اشكال وخصائص هيأتهنّ له او الهامهنّ كيفية البسط والقبض
على الوجه المطابق للمنفعة فان رحمة الرحمن وسعت كل شئ ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة
قوله يعلم كيف يخلق الغرائب اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة عن حذاقة
واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها **قوله عديل لقوله اولم يروا** يعنى ان كلمة ام الداخلة على
من الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة أولم يروا والمعنى اولم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على
تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنهم اعتمدوا على مالهم من الجند الذى يمنعهم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام
مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم كانوا يعتقدون انهم يحفظون من النوآئب ببركة آلهتهم
فكأنهم الجند لهم قيل كان الكفار الممتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على مالهم
من الانصار والاعوان والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى
ما زعموه اوّلا بقوله ام من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثانى بقوله ام من هذا الذى
يرزقكم ان امسك رزقه فاستبان الحق وحصل الالزام فقال اوّلا ان الكافرون الا فى غرور وقال ثانيا بل لجوا فى عتوّ
ونفور واللجاج التمادى فى العناد ولما وصفهم بالعتوّ والنفور نبه على مايدل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشى
مكبا على وجهه الآية فقوله تعالى مكبا حال من فاعل يمشى وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد
لان الكب لايكون الا على الوجه والمشى مكبا يكون بصعوبة المسلك وعدم استوآئه باشتماله على ارتفاع

(فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردّد
فى المجئ والذهاب (ام امنتم من فى السماء
ان يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم
حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى
اذا شاهدتم المنذر به ولكن لاينفعكم العلم
حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب
وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام
وتهديد لقومه المشركين (اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات) باسطات اجنحتهنّ فى الجوّ
عند طيرانها فانهنّ اذا بسطنها صففن قوادمها
(ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها
جنوبهنّ وقتا بعد وقت للاستظهار به على
التحرّك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة
بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه
(ما يمسكهنّ) فى الجوّ على خلاف الطبع (الا
الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهنّ
على اشكال وخصائص هيأتهنّ للجرى فى
الهوآء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق
الغرآئب ويدبر العجائب (أم من هذا الذى هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل
لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا فى امثال
هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم
بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند
ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه
فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه
اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ
وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم
وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون
الا فى غرور) لامعتمد لهم (ام من هذا الذى
يرزقكم) ام من يشار اليه ويقال هذا الذى
يرزقكم (ان امسك رزقه) بامساك المطر
وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم
(بل لجوا) تمادوا (فى عتوّ) فى عناد
(ونفور) وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه

وانخفاض ومزالق فيعثر سالكه فى كل ساعة ويخرّ على وجهه فى كل خطوة فحاله عكس حال من يمشى على صراط مستقيم فانه يمشى سويا اى مستويا سالما من العثور والخرور ﴿ قوله يقال كببته فأكب ﴾ اى يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشعه يقال قشعت الريح السحاب فاقشع اى كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكون بناء افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انفض فى ان الهمزة فيه للصيرورة وليس من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع اكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما فى قولهم اجرب الرجل اى صار ذا جرب واراب اى صار ذا ريبة والام اى فعل مايلام عليه كأنه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع فى الكب اى صار ذا كب * الجوهرى يقال أنفض القوم اى هلكت اموالهم وفنى زادهم ﴿ قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد ﴾ اى تشبيههما بالسالكين اى تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقا يعثر سالكه فى كل ساعة ويخرّ على وجهه فى كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوى الاجزآء مستقيما عديم الانحراف سالما من المزالق والمهالك يمشى سالكه سويا قائما سالما عن العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله افمن يمشى مكبا وامن يمشى سويا استعارة تبعية شبه كل واحد من التدين بدين الشرك والتوحيد بالمشى على الصراط الوعر المنحرف والمشى على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشى على التدين المذكور واشتق منه يمشى فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكب على احواله لما ذكره من الاشعار بان ما عليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا ﴿ قوله فى مكان متعاد ﴾ اى غير مستوى الاجزآء كأنّ بعضه يعادى بعضا * الجوهرى نمت على مكان متعاد اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متعادية ذات جحر وهى المكامن ذوات الاخاقيق وهى شقوق فى الارض واحدها اخقوق وهو الشق فيها ﴿ قوله وقيل المراد بالمكب الاعمى ﴾ عطف على قوله ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخرّ على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزآئه اى وقيل انه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل فى بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشى سويا كناية عن البصير المهتدى والمراد من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحا لحال الاوّل وتحسينا لحال الثانى وكذا اذا كان المراد بالمكب من يحشر على وجهه الى النار وبالماشى سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاوّل انما يحشر مكبا على وجهه لانكبابه فى الدنيا على المعاصى والثانى يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوىّ فى الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشى مكبا او بالاعمى او بمن يحشر على وجهه الى النار امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقبح حالهم ويعيبهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا امانحها ولم يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يقبلوا ماسمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال قلما افعل هذا اى لا افعله ولما كان المقصود من ذكر مايدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه اثبات صحة البعث والجزآء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشار به الى ان جميع ماتقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزآء وسخرية وايهاما للضعفة انه لا اصل له كيلا يستعجلوا فى القبول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من قبيل يستهزىء بهم فى ان لفظ المضارع للاستمرار التجددى فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير للعلم بوقت الوقوع فالعلم الاوّل حاصل عندى وهو كاف فى الانذار به واما العلم الثانى فهو مختص بالله تعالى لم يعلمنى به لاخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما رأوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القربة منصوب على الحالية من مفعول رأوه فانه من رؤية العين اى ذا زلفة اى قريبا منهم او جعل نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود برؤيته وجوههم ثم بنى للمفعول عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال سيئت اى اسودّت وعلتها الكآبة والغبرة يقال ساء الشىء اى قبح وسىء يساء اى قبح فهو يستعمل لازما ومتعديا خص الوجوه بالحزن لان اثر السرور والكآبة يظهر فيها ﴿ قوله تطلبون ﴾ اى تتمنون وتسألون مستعجلين وقوعه بكم قال الفرآء تدعون وتدّعون

(افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) يقال كببته فأكب وهو من الغرآئب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق انهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخرّ على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزآئه ولذلك قابله بقوله (امن يمشى سويا) قائما سالما من العثور (على صراط مستقيم) مستوى الاجزآء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوىّ البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا هو الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ماتشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجله (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) للجزآء (ويقولون متى هذا الوعد) اى الحشر او ماوعدوا من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) اى علم وقته (عند الله) لايطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) اى الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) اى ذا زلفة اى قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذى كنتم به تدّعون) تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او بسببه تدّعون ان لابعث فهو من الدعوى

بمعنى واحد فكذا تطلبون وتطلبون ﴿قوله وقرأ الكسائى بالياء﴾ اى فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله تعالى فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى يعطيهم الجواز وهو الامان من العذاب والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة ﴿قوله غائرا فى الارض﴾ اى ذاهبا ناضيافيها بحيث لا يرى ولا يستنبط يقال غار الماء يغور غورا اى نضب وغورا خبر اصبح وكان لاهل مكة بئران بئر زمزم وبئر بمحول ﴿قوله جار اوظاهر﴾ فالمعين على الاول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء معونا اذا جرى والميم اصلية وعلى الثانى اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال عنت الشئ اعينه اى اصبته بعينى فانا عائن وهو معين والميم على هذا مزيدة * تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه

﴿سورة القلم مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وقيل اسم الحوت﴾ قال يحيى بمعنى السمكة كما فى قوله تعالى فى حق يونس عليه الصلاة والسلام وذا النون فالمراد بالحوت الذى يسمى بالنون اما جنس الحوت او فرد معين منه وهو اليهموت الذى بسطت الارض على ظهره فتحرك فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليها اسم النون على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت فى انها يستخرج منها مايكتب به كما يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس اى او المراد بالحوت مايشبه الحوت وهو الدواة وقوله فان بعض الحيتان بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق اسم المشبه به على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشرى واما قولهم هو الدواة فما ادرى اهو وضع لغوى ام شرعى اى لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا فتصدى لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروى عن الاكابر * وقال الامام روى عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله تعالى به قيل البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن فضل بيان البنان ان ماتثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم والدواة ماقام دين ولما صلح عيش ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو كون ن من اسماء الحروف انه جيئ به على سبيل التعداد للتحدى فانه لو كان اسما لغير حروف الهجاء لكان حقه ان يلى العامل ويعرب على حسب مااقتضاه العامل كما اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين يدل على انه من اسماء حروف الهجاء وقف عليه لان الاصل فيماسيق على سبيل التعداد ان يوقف عليه ﴿قوله هو الذى خط اللوح﴾ اى يحتمل ان يكون المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ماجاء فى الخبر خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال والارزاق ثم جف القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويحتمل ان يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به فى السماء والارض من القلم الاعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان ﴿قوله واخفى ابن عامر﴾ فانه ادغم النون فى الواو فى يس والقرآن وفى ن والقلم وقرئ باظهارها على الاصل فان الاصل فى اسماء حروف التهجى ان يوقف على كل واحد منها وينفصل عما بعده فان وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده فيقدر الادغام فانه لايتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال وان لم يوقف عليه فهو فى حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبيين والاظهار على التقديرين ومن ادغم نظر الى ان هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما حكما فلأن همزة الوصل لاتقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم فى العدد واحد اثنان ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا انها فى تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكما ادغمت فى الواو وقال الفراء واظهارها اعجب الى لانها حروف هجاء وهى كالموقوف عليها وان اتصلت صورة لان الاصل فى المسوق على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه ﴿قوله وقرئت بالفتح﴾ وهى اما فتحة بناء كما فى اين وكيف واما حركة اعراب بان تكون منصوبة بفعل محذوف مثل اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله والقلم او تكون منصوبة بنزع الخافض وهو حرف القسم وايصال فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لانها علم للسورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر قبلها حرف القسم نحو الله

(قل ارايتم ان اهلكنى الله) اماتنى (ومن معى) من المؤمنين (او رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) اى لايجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) للعلم بذلك (وعليه توكلنا) للوثوق عليه وللعلم بان غيره بالذات لايضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء (قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار او ظاهر سهل المأخذ * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

﴿سورة القلم وهى ثنتان وخمسون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الحوت الذى عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف (والقلم) هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد

لأفعلن" وهذا الوجه ضعيف لان حذف حرف الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها ﴿ قوله على التعظيم ﴾ لان القلم الذى خط اللوح قلم واحد مشخص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بذلك التأويل وان اريد به جنس القلم يكون فى معنى الجمع فيصح الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقى الكلام فى وجه اسناد الفعل الى الآلة وفى التعبير عنها بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبنى على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث انها تظهر المراد وتبين المقصود مثلهم ﴿ قوله او لاصحابه او للحفظة ﴾ الظاهر ان الاول مبنى على ان يراد بالقلم الجنس والثانى على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه ﴿ قوله ومامصدرية ﴾ فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب ﴿ قوله والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى ﴾ اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتأكيد النفى والباء فى قوله بنعمة متعلقة بمحذوف هو فى موضع النصب على انه حال من المنوى فى مجنون اى ما انت بمجنون ملتبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأى واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه ﴿ قوله والباء لا تمنع عمله فيما قبله ﴾ جواب عما يقال كيف يعمل مجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لا يقع الا حيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار وان جاز ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان المنفى حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفى المقيد من حيث انه مقيد لا يلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل من ان نفى المقيد يرجع الى نفى قيده فكون الحال قيد الجنون يستلزم ثبوت اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفى للفرق بين قولنا الجنة المقيدة بكونها فى حال كذا منفية وبين قولنا الجنة منتفية فى حال كذا فان القيد فيه للنفى * روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خديجة رضى الله عنها الى حرا فلم تجده فاذا به ووجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه صلى الله عليه وسلم وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسألته فقال لها ارسلى الى محمد فارسلته فاتاه فقال هل امرك جبريل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت تلك الواقعة فى ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون فى خمس آيات منها اول هذه السورة ثم قال ابن عباس ان اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية رواه الامام فى الكبير ﴿ قوله على الاحتمال او الابلاغ ﴾ اى على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة او على تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والممنون اما من من الشئ اذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذا ومن من عليه منة اى امتن عليه اى وان لك لأجرا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسره بقوله غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه الرد انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلأن الثواب عندهم محض تفضل وانما سمى اجرا لتشبيهه بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلان الثواب وان كان اجرا عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح ان يمن به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن عليه بالاجر المترتب عليه وكلمة على فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازى فدلت على انه عليه الصلاة والسلام مشتمل على الاخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليها حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة فنفس الاتيان شئ وسهولة اتيانها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة هى الخلق وسمى خلقا لرسوخه وثباته وصيرورته بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان توقف حصولها على اعمال وطول رياضة ومجاهدة ﴿ قوله فقالت كان خلقه القرآن ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومتخليا

(وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه اولاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لاجرا) على الاحتمال او الابلاغ (غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون

ما زجر عنه القرآن من سيئاتها ﴿قوله ايكم الذى فتن بالجنون﴾ اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى الجنون خبره وسمى الجنون مفتونا لانه فتن اى محن بالجنون وان الباء مزيدة فى المبتدأ كما فى قولك بحسبك زيد قيل هذا الوجه ضعيف لان الباء لاتزاد فى المبتدأ الا فى لفظ حسب فقط ﴿قوله اوبايكم الجنون﴾ على ان تكون الباء للالصاق كما فى قولك به داء ويكون المفتون مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجيء المصدر على وزن المفعول نحو معقول وميسور ومجلود يقال مالفلان معقول ولا مجلود اى ماله عقل ولا جلادة وعلى قوله اوباى الفريقين منكم الجنون تكون البـاء بمعنى فى وفسر ضمير الخطاب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجماعة قريش والا لعبر عن الفرد بالفريق ويدل على كون الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولفريق قريش ماسبق من قوله تعالى فستبصر ويبصرون فان خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولا تدخل فيه الامة فينبغى ان لاتدخل الامة فى خطاب ايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وجعل عليه الصلاة والسلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا اخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح ان يقال لجماعة وفرد آخر يقابلهم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء فى المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر ﴿قوله وهم المجانين على الحقيقة﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر ويبصرون الا انه وضع الضال والمهتدى موضع المجانين والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله ﴿قوله تهييج للتصميم على معاصاتهم﴾ اى على عصيان رؤسائهم فان عاصاه بمعنى عصاه فانهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام الى ان يكف عنهم ويكفوا عنه فنهاه الله تعالى عن ذلك وامره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل مانزل ﴿قوله تلاينهم﴾ لان الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة ﴿قوله والفاء للعطف﴾ جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه جواب التمنى كما فى قوله تعالى فلو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب وتسقط نونه اى تمنوا لو فعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان يكون كلمة لو مصدرية فان بعض النحاة نصوا على جواز كونها مصدرية ﴿قوله اوللسببية﴾ اى لسببية ادهانه عليه الصلاة والسلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمنى باضمار أن يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون بسبب ادهانه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يتعين الرفع واذا كان لمعنى واحد طريقان فللبليغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى فهو لايخاف لاسيما ان الاسمية تدل على العدة بثباتهم على الملاينة والموافقة وقوله اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون يحتمل ان يكون للاستقبال بمعنى فيدهنون حينئذ وان يكون بمعنى الحال بمعنى فهم يدهنون الآن طمعا فى ادهانك معهم ﴿قوله حقير الرأى﴾ وكفى دليلا على حقارة رأيه كونه حلافا فانه يدل على انه لايعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى فى ادنى شيء وكفى بهذه الآية زاجرا عن الاعتياد بالحلف ﴿قوله عياب﴾ اى على سبيل الاغتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد او العصا او نحوهما واستعير للبالغ الذى يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم تشبيها للطعن باللسان بالطعن بنحو اليد او العصا وقيل الهماز هو الذى يضرب الناس ويطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس فى وجوههم واللماز الذى يسبهم فى غيبتهم وقيل بالعكس ﴿قوله يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح﴾ بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا اى مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقراء وفسر بالايمـان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابناء واهل وعشيرة وابناء عم وكان يمنعهم عن الاسلام ويقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله عليه وسلم لاانفق عليه شيأ ابدا والمصنف عمم الخير اذ لادليل يخصصه ببعض وجوه الخير ﴿قوله جاف غليظ﴾ وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوى الذى يوضع فى الميزان فلا يزن شعرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا ﴿قوله من مثالبه﴾ اى معايبه جمع مثلبة وهى العيب وقوله بعد ماعد من مثالبه يدل على ان كونه عتلا زنيما اقبح معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل

(فستبصر ويبصرون بايكم المفتون) ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة اوبايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اوباى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو اعلم بالمهتدين) الفائزين بكمـال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك اوتوافقهم فيه احيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (اثيم) كثير الاثم (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ماعد من مثالبه

معصية و الزنيم يتولد من النطفة الخبيثة و الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد و لذلك قال عليه الصلاة و السلام * لا يدخل الجنة ولد الزنى و لا ولده و لا ولد ولده * و فى الحديث * حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسيئ الى من احسن اليها * وقال عليه الصلاة والسلام * ان اولاد الزنى يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير * و قال عليه الصلاة و السلام * لا تزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب * و قال عكرمة اذا كثر اولاد الزنى قل المطر و قوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى الرتبى و الدعى من كان ملصقا بالقوم و ليس منهم قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

❁ وانت زنيم نيط فى آل هاشم ❁ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ❁

وقيل الزنيم من لا يعرف من ابوه كما قيل

❁ زنيم ليس يعرف من ابوه ❁ بغى الام ذو حسب لئيم ❁

و كان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم اى اصلهم ادّعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده و قيل بغت امه و لم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية * روى انه دخل على امه شاهرا لسيفه و قال ان محمدا ذمنى بعشر صفات و جدت منها تسعة فى نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقة الحال و الا ضربت عنقك فقالت امكث و انا اصدقك و تأمل ان تفعتك بما فعلت و الا فما قبنى اعلم ان اباك كان غنيا و خفت ان يموت فينقطع ذكره و يتفرق فى غير ولده ماله فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى و الزنمة من كل شئ الزيادة و زنمة الشاة شئ يقطع من اذنها فيسترخى و يصير اذلك كالشئ المعلق من خارج و هى فى الاصل الهنة النابتة فى عنق الماعز ﴿قوله قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا﴾ اشارة الى ان قوله ان كان مفعول له و ان المصدرية مع ما فى حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله قال اساطير الاوّلين لما ذكره بل هى متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها و التقدير يكفر و يكذب لان كان ذامال و وجه دلالتها على هذا المحذوف ان قوله فى حق الآيات انها اساطير الاوّلين كفر و تجحيد و تكذيب ﴿قوله و يجوز أن يكون علة للا تطع﴾ اى للاطاعة المنهى عنها اى لا تطعه مع هذه المثالب ليساره و كثرة ابنائه ﴿قوله ءان كان﴾ اى بهمزتين مفتوحتين و عدم ادخال الف بينهما ﴿قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل﴾ لما ورد على قرآءة ان الشرطية انه كيف يصح منه تعالى ان يعلق النهى عن الاطاعة على كونه ذامال و اعوان مع انه يدل على جواز الاطاعة عند انتفاء الامرين * اشار الى دفعه اوّلا بانه ليس المراد تعليق النهى عن الاطاعة على يسار المطاع حقيقة الا انه اورد صورة التعليق بكون شرط اليسار قريبا من التعليل به فكما جاز التعليل فى النهى عن الشئ جاز فيه التعليق ايضا فقوله لا تطعه ان كان ذامال و بنين فى قوّة ان يقال لا تطعه لان كان ذامال و بنين من حيث ان الشرط مسبب للحكم فكأنه قيل لا تجعل يساره سببا لاطاعته و ثانيا بان الشرط ليس من قبل الناهى بل من قبل المخاطب كأنه قيل لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة مع ما فيه من المثالب التى تقتضى هجره بالكلية و نظير حرف الشرط الى المخاطب هنا حرف الترجى اليه فى نحو قوله تعالى لعلكم تتقون لعلكم تذكرون لعله يتذكر او يخشى ﴿قوله سبحانه و تعالى سنسمه﴾ اى سنجعل له سمة اى علامة يعرف بها و عبر عن انفه بالخرطوم استهانة له و تحقيرا لان الخرطوم لا يستعمل الا فى الفيل و الخنزير ﴿قوله و قد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر﴾ قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان ابا جهل قتل يوم بدر و الثلاثة الاخر وهم الوليد و الاسود و الاخنس ماتوا قبله فلم يسم احد بذلك الوسم الذى يبقى اثره مدّة حياته ﴿قوله و قيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال﴾ و ذلك لان الوجه اكرم موضع فى الجسد و الانف ابين عضو منه و الوسم على الانف فيه غاية الاذلال و الاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه ﴿قوله او نسوّد وجهه يوم القيامة﴾ فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء و ارادة الكل اى سنجعل له فى الآخرة علامة يعرف بها اهل القيامة انه كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة و السلام اقبح العداوة ﴿قوله بلونا اهل مكة﴾ لما وصفهم الله تعالى بالجنون و الضلال حيث قال فستبصر و يبصرون بايكم المفتون و هو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذاقهم بعض وبال امرهم فى الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع و القحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف و العظام المحترقة لتمرّدهم و كفرهم نعم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى قوله

(زنيم) دعىّ مأخوذ من زنمتى الشاة و هما المتدليتان من اذنها و حلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادّعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده و قيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف و عداده فى زهرة (ان كان ذامال و بنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين) اى قال ذلك حينئذ لانه كان متموّلا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله و يجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذامال و قرأ ابن عامر و حمزة و يعقوب و ابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألأن كان ذامال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال و قرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع الغنى فكأنه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف و قد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثرها و قيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه و رغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسوّد وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا اهل مكة بالقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين و كان لرجل صالح و كان ينادى الفقرآء وقت الصرام و يترك لهم ما اخطأه المنجل او ألقته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين الصباح

(ولعذاب)

ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والكاف فى كما فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف ومامصدرية اى بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولايستثنون جملة مستأنفة او حال ثانية من ضمير ليصرمنها اومن المنوى فى مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كما فى قولهم قمت واصك وجهه ولاحاجة اليه وسمى قوله ان شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه اداة الاستثناء لمافيه من الاخراج غير ان المخرج بان شاء الله خلاف المذكور بان شاء الله بخلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاءنى القوم الازيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجيئ زيد ان شاء الله تعالى فالمراد به اخراج مالا تعلق به المشيئة من المجيئ وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور ماتعلق به مشيئة الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه اولان قول ان شاء الله يؤدّى معنى الاستثناء فسمى مايؤدّى معناه باسمه والفرق بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج به خلاف المذكور ومحصول الوجه الاوّل سمى استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث كونه مؤدّيا لمعنى الاخراج وان كان هذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر فى الاستثناء ومحصول الثانى سمى استثناء على طريق تسمية مايؤدّى معنى الشيئ باسم ذلك الشيئ فان قولك لااخرج ان شاء الله يؤدّى معنى قولك لااخرج فى حال ما الا حال ان شاء الله خروجى فانه استثناء متعارف اخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال ﴿قوله اولايستثنون حصة المساكين﴾ عطف على قوله ولايقولون ان شاء الله فالاستثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا ﴿قوله كالبستان الذى صرم ثماره﴾ شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شيئ منها فيه كما روى عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان تشبيهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه فى المشبه به بالنسبة الى المشبه كما قيل

* ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى *

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الاضداد ويقال لهما الصريمان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم فى الآية الليل المظلم لان الجنة لما احترقت واسودّت صارت كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شيئ من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ اوكالرمال فان الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لاتنبت شيأ وعلى التقديرين شبهت الجنة وهى محرقة بالرملة التى لاتنبت شيأ ولايتوقع منها نفع ولاصلاح نقل عن القرطبى انه قال فى الآية دليل على ان العزم على المعصية ممايؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقدصح انه عليه الصلاة والسلام قال * اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار * قيل يارسول الله هذا القاتل فمابال المقتول قال * انه كان حريصا على قتل اخيه * وعن الراغب قال اوّل مايعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهمّ ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه متى صار اهما او ارادة اوعزما فذلك عمل مأخوذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال ان الله يعلم مافى انفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام * ان الله تجاوز لامتى ماحدثت به نفسها * وقوله عليه الصلاة والسلام * من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه * هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات وبين قوله عليه الصلاة والسلام * ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه * والله اعلم ﴿قوله اى اخرجوا﴾ على ان تكون ان مفسرة حيث تقدّمها ما هو بمعنى القول وقوله او بان اخرجوا اليه غدوة على ان تكون ان مصدرية اى تنادوا بهذا الكلام ﴿قوله وتعدية الفعل بعلى﴾ مع ان اصل غدا ان يتعدّى بالى اما لتضمنه معنى الاقبال اومعنى الاستيلاء حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وغفلوا عما اراد الله تعالى بهم

(ولايستثنون) ولايقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه اولان معنى لااخرج ان شاء الله ولااخرج الا ان يشاء الله واحدا ولايستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها اوكالنهار بابيضاضها من فرط اليبس ممبا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه اوكالرمال (فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم) اى اخرجوا اوبان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدوّ للصرام بغدوّ العدوّ المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له

(فانطلقوا وهم يتخافتون) يتسارّون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (ان لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لاارينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على نكد لاغير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درّها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لايقدرون فيها الاعلى النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الاعلى حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال الشاعر

اقبل سيل جاء من امر الله *
يحرد حرد الجنة المغله *

اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة (فلما رأوها) اوّل ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هى بها (بل) اى بعدما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا بل (نحن محرومون) حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) رأيا اوسنا (الم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) اولولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم اولانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه مالا يريده (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم بدّلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف

وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف لدلالة ماقبله عليه ﴿ قوله وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ﴾ يقال اخفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد ويقال خفت الصوت خفوتا اى سكن والخفت والمخافتة والتخافت اسرار النطق واخفدت الناقة فهى مخفد اذا اظهرت انها حلت ولم يكن بها حل ﴿ قوله ان مفسرة ﴾ لان التخافت فى معنى القول ويحتمل ان تكون مصدرية اى يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارّة لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو فى صورة نهى المسكين عن الدخول والمراد نهى انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك لاارينك ههنا فان دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم على سبيل الكناية التى هى ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ولايخفى ان ذكر الشئ بدليله ابلغ من مجرّد ذكره وقرّر ابن مسعود وجها آخر فى كلمة ان على اضمار القول اى وهم يتخافتون يقولون لايدخلنها اليوم ﴿ قوله وغدوا قادرين على نكد لاغير ﴾ على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا على تضمنه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدّم عليه للحصر والتخصيص والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد واتفق خيره ﴿ قوله او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان ﴾ فعلى هذا لايكون قوله على حرد متعلقا بقادرين بل بمحذوف هو حال من فاعل غدوا او خبره لكونه بمعنى اصبحوا وقوله قادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد اى وغدوا واقعين فى النكد وقد كانوا عند انفسهم فى ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها فالمقدور عليه فى الوجه الاوّل هو الحرد والنكد ﴿ قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد ﴾ بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على مافهم مماقبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدّما عليه للحصر او بمحذوف كما فى الوجه الاوّل ﴿ قوله وقيل الحرد القصد والسرعة ﴾ يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد واقبل فيكون على حرد فى محل النصب على انه حال من فاعل غدوا اى غدوا كائنين على قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد ﴿ قوله وقيل الحرد علم للجنة ﴾ اى لجنتهم اى اقبلوا على جنتهم وقت الغدوات قادرين عند انفسهم على صرامها ﴿ قوله بجنايتنا على انفسنا ﴾ بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين ﴿ قوله ويدل على هذا المعنى ﴾ اى على ان المراد بتسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ماحكى عنهم من قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدّسوه عن كل سوء ونقصان لاسيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا على انفسهم بكونهم ظالمين فى قصدهم حرمان المساكين اتباعا لشح انفسهم فكأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم حيث قالوا انا كنا ظالمين وان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله عن ان يجرى فى ملكه مالا يريده بان تقولوا لنصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا تنزه ربنا عن ان يجرى فى ملكه شئ الا بارادته ومشيئته وهو فى معنى الاستثناء واختلف اهل التفسير فى ان ماقاله اهل تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا راغبون هل هو توبة منهم فمنهم من توقف فى ذلك وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل مايكون من المشركين اذا اصابتهم الشدّة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك بطريق التوبة والاخلاص * روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منه عنقودا كذا فى معالم التنزيل وفى التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم ﴿ قوله اولولا تستثنون ﴾ عطف على قوله لولا تذكرونه اى بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعنى ان المفسرين قد اختلفوا فى ان المراد بالتسبيح ماهو فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القرآن يدل على ان القوم حين اقسموا ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم فى تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم اياه ثم لما عاينوا وقوع ماحذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اى هلا تستثنون فتقولون ان شاء الله وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكاة ماخرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فلم يغيروا عزمهم فلما رأوا العذاب

ذكرهم ما قال لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلاجرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قيل انهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة ﴿قوله والى لانتهاء الرغبة﴾ لما كان المشهور ان تعدى الرغبة بكلمة فى او بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخر ان معنى الرغبة الرجاء والطلب وان كلة الى لبيان انه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم ﴿قوله مثل ذلك العذاب﴾ يعنى ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعند يجوز ان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذى تعلق به للمتقين وان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل ﴿قوله اى فى الآخرة﴾ لما استحال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى انها لا مالك ولا حاكم فيها الا الله عز وجل او عندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مظهر قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى الملابسة المثبتة له قال النحويون الفرق بين عند ولدى انه اذا قيل المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده او غائبا كائنا فى شئ يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا قيل المال لدى زيد فانه لا يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده ﴿قوله ليس فيها الا التنعم الخالص﴾ اى لا يشوبها شئ مما يكدر ما فيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه وذلك لا يكون الا بان لا يكون فيها الا النعيم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص التنعم والاستراحة * عن مقاتل قال لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلابد وان يفضلنا عليكم فى الآخرة فان لم يكن التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله تعالى فيه على وجه الانكار بقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله مالكم كيف تحكمون وكيف فى موضع الحال من المنوى فى لكم الراجع الى ما ﴿قوله واصله ان لكم بالفتح﴾ جواب عما يقال ان الجمهور قرأوا بكسر همزة ان والحال ان كلة ان مع ما فى حيز واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين * وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء فى اسمها فان لام الابتداء لا تدخل على ما فى حيز أن المفتوحة تقول علمت انك عاقل بالفتح وتقول علمت انك لعاقل بالكسر وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم ﴿قوله ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا﴾ وجهان آخران لكسر ان تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون كسر ان فيها العدم وقوعها موقع المفرد فحكاها الله تعالى فى القرآن بصورتها وان كانت فى تأويل المفرد فى هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه لا يخلو عن بعد لان كلة فيه فى قوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون تأبى ان يكون هذا النظم بصورة هذا المدروس الواقع فى الكتاب المفروض الا ان يقال انها مقحمة فيه تأكيدا لما ذكر اولا وليست واقعة فى النظم المحكى وتقرير الثانى انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون بان ينزل تدرسون منزلة اللازم ويكون المعنى توقعون القرآءة فيه كما فى قوله * يجرح فى عراقيبها نصلى ثم يبتدأ ويقال ان لكم فيه لما تخيرون اى ليس لكم ذلك ﴿قوله عهود مؤكدة بالايمان﴾ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل ضمنا لكم واقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان ﴿قوله متناهية فى التوكيد﴾ يعنى كون الايمان بالغة عبارة عن كونها فى غاية القوة والصحة وكل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ ﴿قوله حتى نحكمكم فى ذلك اليوم﴾ اى حتى نجعلكم حكاما فى ذلك اليوم ونطيعكم فيما تحكمون او هو متعلق ببالغة اى تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها فى لزومها وتأكدها بحيث تنتهى الى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شئ الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتباعنا لحكمكم ﴿قوله بذلك الحكم قائم﴾ اشارة الى ان قوله بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اى سل الذين يدعون ان لهم علينا عهودا مؤكدة بالايمان على ان نحكمهم

(انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) اى فى الآخرة او فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (ام لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره (ام لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (سلهم ايهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه

يوم القيامة و نطيعهم فيما يحكمون به من ان نجعلهم كالمسلين او نفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى و بالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم معلق بسلهم لان السؤال فى معنى العلم لكونه سبباله ثم انه تعالى لما انكر عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلين و المجرمين مستندا الى دليل عقلى حيث قال مالكم كيف تحكمون او الى دليل نقلى حيث قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن و المسيء حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء فثبت ان مازعموه باطل من كل الوجوه ﴿ قوله وقيل المعنى ﴾ قال الامام قوله تعالى ام لهم شركاء فى تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء يعتقدون انها شركاء الله تعالى و يعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب و الخلاص من العقاب و انما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى و هذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء الوجه الثانى ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم فى هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم و المجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم و المراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول و ذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم و بين انه لا وجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك فى بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق و يوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا فكأنه تعالى قال ان كانوا صادقين فى انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر و يصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب باذكر المقدر و يجوز ان يكون العامل المحذوف غير اذكر و يكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ و اشعارا بان ثم من الكوائن مالا يوصف لعظمته ﴿ قوله وكشف الساق مثل فى ذلك ﴾ يعنى انه استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر و صعوبته فمعنى الآية يوم يشتد الامر و يتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة و لا يد ثمة و لا غل و انما هو مثل فى البخل بان شبهت حال الشدة عليهم من الامر فى الموقف بحال المخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء مايستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية * روى انه سئل من ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

* سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق *

ثم قال هو يوم كرب و شدة ﴿ قوله او يوم يكشف عن اصل الامر ﴾ معطوف على قوله يشتد الامر اى و يجوز ان يكون من باب التمثيل بان يشبه اصل الامر و حقيقته بساق الشجر و يطلق عليه اسم المشبه به على سبيل استعارة التصريحية و تنكير ساق للتهويل و الدلالة على انها شدة خارجة عما يتخيله الانسان كأنه قيل يوم يكشف عن شدة واى شدة لا يمكن وصفها ﴿ قوله او للتعظيم ﴾ على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر و حقيقته وقرأ الجمهور يكشف بياء تحتية على بناء المفعول و عن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل و اسناد الفعل الى ضمير الساعة و على بناء المفعول ايضا و اسناده الى ضمير الحال ﴿ قوله ان كان اليوم يوم القيامة ﴾ شرط لقوله توبيخا يعنى انهم اختلفوا فى هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيامة او آخر ايام الرجل فى دنياه او يوم مرضه او هرمه و عجزه عن اداء الصلاة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار و المنافقين يدعون الى السجود فيه لكن على سبيل التكليف لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد و لا تكليف بل على سبيل التوبيخ و التخجيل على تركهم السجود فى الدنيا ثم انه تعالى حال مايدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود و يحول بينهم و بين الاستطاعة و يجعل ظهورهم مثل صياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون كأن ظهورهم ادخلت فيها السفافيد فلا تنحنى فيبقون قياما كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم و ندامتهم على مافرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاعضاء و المفاصل و ذهب آخرون الى انه ليس المراد منه يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود و يوم القيامة ليس فيه تعبد و تكليف بل المراد به يومه الذى عجز فيه عن اداء الصلاة من ايام الدنيا امامن القسوة النازلة بهم من هول ماعاينوه عند النزع و اما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم و قد كانوا يدعون الى السجود

(زمان)

(ام لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذلا اقل من التقليد و قد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع مايمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر و تزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر و يصعب الخطب و كشف الساق مثل فى ذلك و اصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا *

او يوم يكشف عن اصل الامر و حقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر و ساق الانسان و تنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول و الفاعل و الفعل للساعة او الحال (و يدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته او زوال القدرة عليه (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) يلحقهم ذل (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا او زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون فيه مزاحوا العلل فيه

زمان الصحة بقول المؤذن حيّ على الصلاة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون * قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقوله تعالى خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء خاشعة ذليلة متواضعة لظهور امر خشوع الجميع فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ثم انه تعالى لماخوّف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في تخويفهم بذكر وعيده ومافي قدرته من القهر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهو القرآن وقيل القيامة والمعنى كل امره الىّ فاني اكفيكه اى اذا علمت يوم القيامة واشتداد الاهوال الآتية فيه فكل امر المكذبين الىّ وهذه تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه ﴿قوله ومن﴾ منصوب بالعطف على ضمير المتكلم او انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف ﴿قوله سندنيهم من العذاب درجة درجة﴾ اى حتى نوقعهم فيه ﴿قوله وهو الانعام عليهم﴾ اى ادناؤهم من العذاب من حيث لايعلمون انه استدراج هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لاهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد ذنبا جدّد الله له نعمة وانساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لايشعر العبد انه استدراج * روى ان رجلا من بني اسرآئيل قال يارب كم اعصيك وانت لاتعاقبني فاوحى الله تعالى الى نبيّ زمانه ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لاتشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الآية ﴿قوله لانه في صورته﴾ اى في صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولاخفاء ان الاهلاك بما في صورة الاحسان في صورة الكيد والاحتيال ﴿قوله تعالى ام تسألهم اجرا﴾ معطوف على قوله ام لهم شركاء اى لاتلتمس منهم اجرا على ماتدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والطاعة والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل هي سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة ثم انه تعالى لمابالغ في تزييف طريق الكفار وفي زجرهم عماهم عليه قال له عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك اى لقضائه اولماحكم به من امهالهم وتأخر نصرتك عليهم ﴿قوله تعالى اذنادى﴾ منصوب بمضاف محذوف اى لايكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندآئه ربه وتوبته وهو في بطن الحوت وهو في ذلك الوقت كان مكظوما اى مملوأ غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لايوجدنك مايوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلي ببلائه فان يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت ونداؤه مااخبر الله تعالى به عنه وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته تصريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر ندآءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف يصح ان ينهى احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذ نادى في بطن الحوت مع ان حاله وقت ندآئه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لاينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندآئه الحالة التي اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة تصريحا وقد ذكرت تلك الحال صريحا في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبناله ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذنادى لايتعلق بلاتكن اذ الندآء طاعة فلا ينهى عنها فالاوجه ان يكون مفعولا به لاذكر مقدّرا ﴿قوله وحسن تذكير الفعل﴾ مع كونه مسندا الى النعمة للفصل بينه وبين فاعله بالضمير المنصوب مع ان تأنيث النعمة غير حقيقي وفيما اسند الى ظاهر غير حقيقي يجوز الامران ولان النعمة والانعام بمعنى واحد وتدارك فعل ماض بمعنى ادركه ويدل عليه قرآءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التأنيث في آخره وقرئ ايضا لولا ان تدّاركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية في الدال بعد قلبها دالا وجعل هذه القرآءة مبنية على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان تقدّر ان تلك الحال واقعة في حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها في حال التكلم ولايفعل هذا فيما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا فتقصد بسلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب وتصوّره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل ان يقول رأيت الاسد فآخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان مايكون على حكاية الحال الماضية لايدخله علم الاستقبال لان دخوله عليه ينافي الغرض

(فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) كله الىّ فاني اكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لايعلمون) انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (واملي لهم) وامهلهم (ان كيدي متين) لايدفع بشئ وانماسمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته (ام تسألهم اجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) بحملها فيعرضون عنك (ام عندهم الغيب) اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولاتكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذنادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلي ببلائه (لولا ان تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتدّاركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه

المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك قال المصنف في تصوير المعنى حينئذ لولا ان كان يقال فيه تداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك ان يحمل قوله تداركه على حكاية الحال وليس مراده بتقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضي تقديره لما عرفت من ان حكايتها لاتقتضي تقدير القول بل يكفي فيها ان يقدّر وقوعها في حال التكلم ويعبر عنها بمايدل على وقوعها فيه ﴿قوله مليم﴾ اسم فاعل من الام الرجل بمعنى اتى بمايلام عليه ﴿قوله وهو حال﴾ اى من مرفوع قوله لنبذ يعتمد عليها الجواب يعني ان جواب لولا في الحقيقة مفهوم قوله وهو مذموم وان كان في الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضي ان يكون جوابها منتفيا والمنتفي ههنا ليس نفس النبذ بالعرآء لان ذلك قد وقع بقوله تعالى في الآية الاخرى فنبذناه بالعرآء بان سخرنا الحوت لان يلقيه فيها بل المنتفي هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعرآء محمودا وارسله الى مائة الف او يزيدون من حيث انه ادركته نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعرآء عرصة القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن منّ الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذه بعرآء الدنيا ويدل على هذا القول قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴿قوله بان ردّ الوحي اليه او استنبأه﴾ يؤيد الاول ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ردّ الله تعالى اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه اى قبل شفاعته في نفسه وقومه وقبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص لابدّ له ان يختار هذا القول لان احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابدّ ان يكون معجزة وذلك يقتضي ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه ﴿قوله وفيه دليل على خلق الافعال﴾ فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله من الصالحين فانه صريح في ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه ﴿قوله ينظرون اليك شزرا﴾ الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه او على وجه يؤذن بالغضب والعداوة ﴿قوله اذ روى انه كان في بني اسد عيانون﴾ وكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة ايام فلا يمرّ به شيء من الابل او الغنم او غيرهما فيقول لم اركاليوم ابلا وغنما احسن من هذه او مثلها الا مانه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط طائفة منها هالكة فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من شرّهم ومن الناس من انكر اصابة العين وقال انها لاحقيقة لها لان تأثير الجسم في الجسم لايعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير والمصنف اشار الى جوابه بقوله يكون من خصائص بعض النفوس فان النفوس مختلفة في جواهرها وهيئاتها واذا كان كذلك لايمتنع ايضا اختلافها في لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور ﴿قوله وقرأ نافع ليزلقونك﴾ بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعدّ وبالكسر لازم يقال زلقته فزلق اى اسقطته فسقط مثل حزنته فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اى ازل رجله ﴿قوله وقرئ ليزهقونك﴾ من زهقت نفسه اى هلكت وازهقها غيره اى اهلكها ﴿قوله ينبعث عند سماعه بغضهم﴾ يعني ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك ﴿قوله بين انه ذكر عام﴾ اى للجنّ والانس يتعظون به ويستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم ما لاحدّ له ولا حصر فمن يظهر مثل هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى العمل بما فيه كيف يقال في حقه انه مجنون والحال انه من ادل الامور على كمال عقله وعلوّ شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وخيبته فان ذا الفضل لايعرفه الا ذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة ❁ فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

تمت سورة نون والحمد لله رب العالمين

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله اى الساعة او الحالة التي يحق وقوعها﴾ اى يجب والحاقة اسم فاعل من حق الشيء يحق بكسر الحاء اى وجب حذف موصوفها وهو الساعة او الحالة وكذا على قوله او التي تحق فيها الامور الا انه من حققته احقه بالضم

(لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان ردّ الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حلّ به ما حلّ فاراد ان يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدّة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله اوانهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة في امره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) اى الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اى يعرف حقيقتها

اذا عرفت حقيقته و صرت منه على يقين فعلى هذا الحاقة بمعنى القارقة للامور بحقيتها سميت الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازى على طريق ليله قائم ونهاره صائم فان الاخلاق هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها يوم القيامة فاسند العرفان الى الوقت مجازا ﴿قوله او يقع فيها حواق الامور﴾ اى ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشئ يحق بالكسر اى ثبت و الثبوت وصف لما يقع فى الساعة من الحساب و الجزاء و صف به نفس الساعة على الاسناد المجازى ايضا فقوله على الاسناد المجازى متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين ﴿قوله خبرها ما الحاقة﴾ يعنى ان ما مبتدأ ثان و الحاقة خبره و الجملة خبر الاول * و لما ورد ان يقال الجملة الواقعة خبر المبتدأ لابد فيها من العائد و لا عائد فى هذه الجملة * اجيب بانه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذى اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ماهى اى اى شئ هى وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشأنها و تعظيما لهولها فان معنى التفخيم و ان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع المضمر يكون ذلك ادل عليه و آكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير فى نظمهم و نثرهم لقصد التعظيم و التفخيم فيقولون زيد ما زيد بدل ان يقال ماهو لتعظيم شأنه و تفخيم امره فان دلالة الظاهر على ماهو منشأ التعظيم و التهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على التعظيم لشأنها بيان المعنى الاستفهام و قوله لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير ﴿قوله و اى شئ اعلمك ماهى﴾ اشارة الى ان ما الاولى استفهامية و معناها التفخيم و التعظيم و كذا ما الثانية و كل واحدة منهما مبتدأ و ما بعدها خبر و الجملة الثانية فى محل النصب على انها مفعول ثان لا درى بل هى سادة مسد المفعول الثانى و الثالث له لانه بمعنى اعلم و هو يتعدى الى ثلاثة و ادراك غير عامل فيها لما فيها من معنى الاستفهام ﴿قوله تقرع الناس بالافزاع﴾ اى تصيبهم بها كأنها تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتق منه فهى استعارة تبعية وكان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود و عاد بها اى بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة و فخم شأنها شرع فى ذكر من كذب بها و ما حلق لهم بسبب التكذيب تذكيراً لاهل مكة و تخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الا انه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما فى القارعة من الدلالة على الشدة و الهول ما ليس فى ضمير الحاقة و ثمود قوم صالح عليه الصلاة و السلام و كانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام و الحجاز و عاد قوم هود عليه الصلاة و السلام و كانت منازلهم بالاحقاف و الاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت او اليمن كله ﴿قوله بالواقعة المجاوزة للحد﴾ يعنى ان الطاغية صفة لمحذوف هى الواقعة و ان الطغيان مجاوزة الحد فى اى شئ كان و ان الباء فيها للاستعانة كما فى كتبت بالقلم و تلك الواقعة هى الصيحة المجاوزة فى قوتها و شدتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة اى الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى ﴿قوله او بسبب طغيانهم﴾ على ان تكون الطاغية مصدرا بمعنى الطغيان كالكاذبة و العافية و تكون الباء سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب و عقر الناقة و نحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود بطغواها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ﴿قوله و هو لا يطابق قوله و اما عاد فاهلكوا﴾ اى جعل الطاغية بمعنى الطغيان و جعل الباء سببية لا يلائم قوله فاهلكوا بريح لان الباء فيه للاستعانة لا السببية فجعلها فى الجملة الاولى للسببية لا يلائم ما بعدها ﴿قوله من الصر او الصر﴾ الاول بفتح الصاد و هو الصوت يقال صر الجندب صريرا و صر القلم و الصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات و الحرث ﴿قوله كأنها عتت﴾ اى عصت و تمردت و غلبت على خزانها فجعل قوله تعالى عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء و قال الكلبى عتت الريح على خزانها فلم تطعهم و لم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضبا لله تعالى و لم يخرج قبل ذلك و لا بعد شئ منها الا بقدر معلوم و قال عليه الصلاة و السلام طغى الماء على خزانه يوم نوح و عتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل و عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال المراد بعتوها غلبتها عليهم فانهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء او الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم عن اماكنهم و تهلكهم ﴿قوله اذ لو كانت﴾ علة لوجه كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا للوهم المذكور و تقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومى الفلكى لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار و جعله سببا لها الا ان الاتصال المذكور يقتضى اياها لذاته اذ لو كان كذلك لما حصل منه تخويف قريش و تحذيرهم عن التكذيب بسبب

او يقع فيها حواق الامور من الحساب و الجزاء على الاسناد المجازى و هى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) و اصله ماهى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها و التهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها (و ما ادراك ما الحاقة) و اى شئ اعلمك ماهى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد و ما مبتدأ و ادراك خبره (كذبت ثمود و عاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع و الاجرام بالانفطار و الانتثار و انما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة و هى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب و غيره على انها مصدر كالعافية و هو لا يطابق قوله (و اما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اى شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته و هو استئناف او صفة جئ به لنفى ما توهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها و المسبب

كونه مؤديا الى عداوته تعالى ﴿قوله متتابعات﴾ بين الله تعالى اولا زمان تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا فى تلك المدة بل كان على التتابع والتوالى بحيث لم يخل يوما من تلك الايام ولا ليلة من لياليها عن ذلك فقال حسوما اى متتابعة من غير فتور ولا انقطاع فى تلك المدة وقوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اى ارسلها عليهم بقدرته فى حال كونها متتابعة الهبوب فى تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع الى ان تستأصل القوم وتقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود وعهود جمع شاهد وعاهد فقوله حسوما بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام ومعنى الحسم فى اللغة القطع بالاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وسمى كى الدابة ذات الدآء الى ان يزول عنها الدآء باصله وتنقطع مادة الدآء بالكلية حسما لان الفاعل يعيد الكى على الدابة كرة بعد اخرى الى ان يستأصل المادة ويقطعها بالكلية ولما كانت الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم فى اعادته الكى على الدابة مرة بعد اخرى حتى ينحسم ما بها فسمى ذلك التتابع حسما وسميت الرياح من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها لها بمن يحسم دآء الدابة فى تتابع الفعل واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال ﴿قوله ويجوز ان يكون مصدرا﴾ عطف على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اى سخرها عليهم لاجل حسمهم واستئصالهم او على انه مصدر مؤكد لفعله المقدر اى تحسمهم حسما وتستأصلهم استئصالا وتكون الجملة فى محل النصب على انها حال من الضمير المنصوب فى سخرها ويؤيده القرآءة بفتح الحاء فان حسوما فى هذه القرآءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعا مستأصلا ﴿قوله وهى كانت ايام العجوز﴾ وهى ايام فى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة تسميها العرب ايام العجوز اما لانها فى عجز الشتاء او لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا وهو بفتحتين بيت فى الارض فانتزعتها الريح فاهلكتها ﴿قوله تعالى صرعى﴾ حال من القوم لان الرؤية بصرية اى لو كنت عندهم فى ذلك الوقت رأيتهم فى مهابها مصروعين والكاف فى كأنهم فى موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد او من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باعجاز نخل خاوية الاجواف لا شئ فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اى خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية قيل كانت الريح تدخل فى افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية ﴿قوله من بقية الخ﴾ يعنى يجوز ان تكون الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعافية وعلى التقادير كلها قوله من باقية مفعول ترى ومن زآئدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع فى ذكر قصص سائر المكذبين فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه ﴿قوله قرى قوم لوط﴾ سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من أفكه على الشئ اذا قلبه وأتفكت البلدة باهلها اى انقلبت ﴿قوله بالخطأ﴾ على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعافية وما بعده على ان تكون صفة لمحذوف هو الفعلة او الافعال والبناء للنسب كتامر ولابن اى بالفعلة ذات الخطأ او الافعال ذات الخطأ ﴿قوله زآئدة فى الشدة﴾ اى على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة كانت زآئدة فى القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأكله آكل الربا زآئدا على ما اعطاه ﴿قوله جاوز حده المعتاد﴾ يعنى ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه ﴿قوله وهو يؤيد من قبله﴾ بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الجائين بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان ﴿قوله تشبيها بكتف﴾ يعنى ان تعى تشبه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلهما باسكان الوسط فلذلك اسكن فى تعيها

(سبع ليال وثمانية ايام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القرآءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) فى مهابها او فى الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم اعجاز نخل) اصول نخل (خاوية) متأكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية او نفس باقية او بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولها (فاخذهم اخذة رابية) زآئدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) اى آباءكم وانتم فى اصلابهم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة) عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف

(قوله)

﴿قوله والوعى ان تحفظ الشئ﴾ فيقال وعيت العلم ووعيت ماقلته ويقال اوعيت المتاع فى الوعاء
﴿قوله ان من هذا شأنه﴾ اى ان معنى التنكير فيه للتقليل مع التعظيم وان من وعى هذه الفعلة انما يعيها ويحفظها
لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم عن الاعمال الباطلة بما ينجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا لنجاة
جم غفير ودوام نسلهم فتكون الاذن التى هذا شأنها اذنا معظمة ﴿قوله وقرأ نافع اذن بالتخفيف﴾ اى
بسكون الذال والباقون بضمتين وهى مؤنثة وتصغيرها اذينة ﴿قوله وتنبيها على امكانها﴾ فان ماذكره فى شرح
حال المكذبين بعد مابالغ فى تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فكان ذلك تنبيها على امكان القيامة
لان القدرة على هذه الامور العظام تدل على القدرة على البعث والنشور كما ان حكمة القادر تدل على
وقوعها وشرع بعد ذلك فى تفاصيل احوال القيامة فذكر اوّلا مقدّماتها فقال فاذا نفخ فى الصور الآية
﴿قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر الخ﴾ يعنى ان المصدر المبهم وهو الذى يكون لمجرّد التأكيد نحو
ضربت ضربا لايجوز اقامته مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او الضرب الفلانى لان
مايقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله فى افادة ما يفيده والمصدر المبهم لايفيد امرا زائدا على مدلول الفعل
فلا يقام مقام الفاعل ونفخة فى هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لاتطلق على مجرّد النفخ بل تطلق
على النفخ المقيد بقيد المرّة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة الفصل بينهما وجواز التذكير مبنى على كون تأنيث النفخة
غير حقيقى ﴿قوله وقرئ نفخة بالنصب﴾ اى على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه
اذا لم يوجد المفعول به فجميع المفاعيل سوآء فى جواز اقامتها مقام الفاعل وحمل المصنف النفخة على النفخة
الاولى وهى التى لايبقى عندها حيوان الاّ مات ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وهذه الحالة تكون عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك فيومئذ وقعت الواقعة
هى صيحة القيامة * قال الامام المراد من هذه النفخة الواحدة هى النفخة الاولى لان عندها خراب العالم ثم قال
فان قيل اما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية فاجاب عنه بقوله جعل اليوم
اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون
كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته ﴿قوله فضربت الجملتان﴾ اشارة الى وجه
تثنية ضمير دكتا والظاهر ان يقال دككن لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة الا انه جعل
الجبال كلها جملة واحدة والارض جملة اخرى فعبر عنهما بضمير التثنية ونظيره قوله تعالى فى حق السموات والارض
كانتا رتقا حيث لم يقل كنّ ﴿قوله فيومئذ وقعت الواقعة﴾ جواب لقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل
من اذا وتكرير لمعناه كرّره لطال الكلام والبدل مع متبوعه منصوبان بوقعت يومئذ فى قوله فهى يومئذ واهية
ظرف لواهية اى فالسماء يوم اذ نفخ فى الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوّة كالعهن المنفوش
بعد ان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدّا ﴿قوله تعالى والملك على ارجائها﴾
قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها حتى يأمرهم
الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم يفزعون فيندّون كما تندّ الابل
فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا رأوا ملائكة فيرجعون الى حيث جاؤا ﴿قوله ولعله تمثيل لخراب الدنيا﴾
الظاهر انه اشارة الى ماأورده الامام الرازى بقوله * فان قيل الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى
ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون
فكيف يقال انهم يقفون للحفظ على ارجاء السماء يومئذ * واجاب عنه بقوله قلنا الجواب من وجهين الاوّل انهم
يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى ان المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله
واشار المصنف الى جوابه الاوّل بقوله وان كان على ظاهره فلعلّ هلاك الملائكة اثر ذلك بعد ماأجاب عنه
من قبل نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ماذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء
بتشققها واسترخائها والتجاء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان فعبر عن الهيئة المشبهة بما
يعبر به عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون فى جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف والتجاء الاهل اليها حتى يرد
ان يقال ان اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها ﴿قوله او فوق الثمانية﴾ يعنى

والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان
تحفظه فى غيرك (اذن واعية) من شأنها
ان تحفظ ما يجب حفظه لتذكره واشاعته
والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة
على قلتها وانّ من هذا شأنه مع قلته سبب
لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع
اذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة
واحدة) لمابالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل
المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها
عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل
وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل
الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى
التى عندها خراب العالم (وحملت الارض
والجبال) رفعت من اماكنها بمجرّد القدرة
الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة
(فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان
بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل
هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
ارضا لاعوج فيها ولا امتا لان الدك سبب
التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها
وارض دكاء للتسعة المستوية (فيومئذ)
فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة
(وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى
يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك)
والجنس المتعارف بالملك (على ارجائها)
جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل
لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضوآء
اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على
ظاهره فلعلّ هلاك الملائكة اثر ذلك
(ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها
فى نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية املاك
لماروى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى

ان ضمير فوقهم راجع الى الحملة الثمانية و المعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من قوله فوقهم و يومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة ﴿ قوله ولعله ايضا تمثيل ﴾ جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر فى العرش متمكن فيه وجه الاستدلال انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا فى العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لاسيما وقد أكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون و العرض انما يكون ان لو كان الاله حاضرا فى العرش * قال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس فى العرش و ذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان فى العرش فلو كان الاله فى العرش للزم ان تكون الملائكة حاملين له تعالى و ذلك محال لانه يقتضى احتياج الله تعالى اليهم و ان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لا بد فيه من التأويل فذكر فى تأويله ماذكره المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فكما ان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى انه يحضر يوم القيامة عرشا محفوفا بالملائكة تصويراً لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه فى التعبير عن عظيم العظماء لا ان له عرشا يقعد عليه ويحتاج الى حمله فى وقت محاسبة الخلق والله اعلم ﴿ قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ﴾ اى بامراره اياهم عليه ليعرف حالهم يعنى قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة بالعرض المذكور قال الجوهرى عرضت الخيل على عينى اذا امررتهم عليك ونظرت حالهم ﴿ قوله هذا وان كان بعد النفخة الثانية ﴾ جواب عما يقال كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هى النفخة الاولى التى عندها خراب العالم مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة النفخة الثانية لان العرض والحساب انما يكون عندها ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لما دل على ان المراد بها النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله تعالى بعد ذلك يومئذ تعرضون لا ينافى ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد ﴿ قوله سريرة ﴾ والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم وتسرونها من اعمالكم فان السر و السريرة الذى يكتم ويخفى والجملة مستأنفة لبيان ان العرض المذكور ليس لخفاء شئ من افعالكم عليه كما قال لا يخفى على الله منهم شئ بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد ﴿ قوله اوعلى الناس ﴾ عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم بقوله لا يخفى اى لا يخفى منكم يوم القيامة ماكان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية فى الدنيا فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك خزيهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السرآئر فما له من قوة ولا ناصر فقوله تعالى لا تخفى منكم خافية زجر عظيم عن المعصية لتأديتها الى الافتضاح على رؤس الاشهاد ﴿ قوله تبجحا ﴾ بالجيم ثم الحاء ومعناه الفرح يقال بجحته فتبجح اى فرحته ففرح فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين و الفائزين بالنعيم المؤبد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته ﴿ قوله وفيه لغات اجودها ها يا رجل ﴾ بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤما هاؤم وهاء هاؤما هاؤن ﴿ قوله ومفعوله محذوف ﴾ يعنى ان قوله تعالى هاؤم لكونه بمعنى خذوا وتناولوا يقتضى مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا قوله اقرأوا يقتضى ذلك فتنازعا فى قوله كتابيه واعمل الثانى لكونه اقرب العاملين واعمال الاقرب فى مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما فى الوجود على العامل الثانى والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد لان بعده من الاسم الظاهر الذى بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعيف عند وجود ماهو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابى فكان يجب ان يقول اقرأوه لما تقرر فى النحو انه ان اعمل الفعل الاول والحال ان الثانى يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول الثانى بل يجعل ضميرا بارزا وذلك لان الثانى مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الامكان فحقه ان يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرأوا علمنا انه هو العامل فى كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ﴿ قوله تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل ﴾ بيان لما هو الاصل فى هاء السكت لان هاء السكت انما جيئ بها تحصينا لحركة الحرف الموقوف عليها

وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام و على هذا قال (يومئذ تعرضون) تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان و الصعقة و النشور و الحساب و ادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لا تخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال و المبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرآئر وقرأ حمزة و الكسائى بالياء للفصل (فامامن اوتى كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرأوا كتابيه) ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرأوه اذ الاولى اضماره حيث امكن و الهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل

(وبيانا)

و بيانا لها فانه اولم يجأ بها و وقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظا لحركتها فثبت انه لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف و تسقط فى الوصل الا ان القرآء السبعة اتفقوا فى كتابيه و حسابيه على اثبات هاء السكت فيهما فى الوصل ايضا اجرآء للوصل مجرى الوقف و اتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى هذه المواضع و ما كان ثابتا فيه لا بدّ ان يكون ثابتا فى اللفظ الا ان اثباته فى اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها و ان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان ما ثبت فى الرسم لا بدّ ان يثبت فى اللفظ و لذلك اتفقوا فى ماليه و سلطانيه و ماهيه فى القارعة على اثباتها فى الحالتين الا حمزة فانه اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا و اثبتها وقفا على الاصل و لم يعمل بالاصل فى كتابيه و حسابيه و اثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين و الهاء التى فى قاضية و فى هاوية و فى خاوية و ثمانية و عالية و دانية و الخالية فانها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء و يوصلن بالتاء و قيل لا بأس باسقاط هاء السكت حال الوصل فى جميع هذه المواضع مع اجماع السبعة على خلافه بناء على ان الوقف و الابتدآء و ما هو من قبيل الارآء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر ﴿قوله اى علمت﴾ فسر الظنّ بالعلم لانه لو ابقى على اصله لكان بمعنى انه ظننت انى احاسب فى الآخرة و الاعتقاد بالبعث و الحساب من جملة العقائد الدينية التى يجب الايمان بها و الايمان لا يحصل بالشك و الظن بل لا بدّ للمؤمن ان يتيقن بحقية البعث و الحساب و ما يتفرع عليهما فلذلك فسره به فالمعنى انى علمت و تيقنت فى الدنيا ان الله تعالى يبعثنى و يحاسبنى فاجتهدت فى الطاعات و جانبت السيئات ما استطعت فنجانى الله تعالى برحمته و فضله من اهوال هذا اليوم و جعلنى من الآمنين فيه كما وفقنى فى الدنيا للايمان به و الخوف من اهواله و العمل له عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اوّل من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه و له شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر رضى الله عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة ﴿قوله ذات رضى﴾ اى رضى بها صاحبها و النسبة قد تكون بالحرف نحو رومىّ و بصرىّ و قد تكون بصيغة نحو تامر و لابن و راضية من هذا القبيل و يجوز ان تكون من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة و هو لصاحبها ﴿قوله و ذلك﴾ اى كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة امور فان مآل الوجهين كون العيشة مرضية و الشئ انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور الاوّل كونه منفعة صافية من الشوآئب و الثانى كونه دائما لا يرقب زواله و انقطاعه و الثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضى به و اكرامه و الا كان استهزآء و استدراجا و عيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا و يصحون فلا يمرضون ابدا و ينعمون فلا يرون بأسا ابدا و يشبون فلا يهرمون ابدا ﴿قوله فى جنة عالية﴾ بدل من عيشة باعادة الجار و يجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية و العلوّ ان اريد به العلوّ فى المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات و ان اريد به العلوّ فى الدرجة و الشرف فالامر كذلك و ان اريد علوّ أبنيتها و ما فيها من الاشجار فالامر كذلك فهى عالية من جميع الجهات ﴿قوله جمع قطف﴾ بكسر القاف و سكون الطاء و هو العنقود و القطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا و القطاف وقت القطف و المصنف غلب القطف فى جميع ما يجتنى من الثمر عنبا كان او غيره و معنى السرعة انه اذا اراد ان يأخذها بيده قائما او جالسا او مضطجعا انقادت له و كذا ان اراد ان تدنو الى فيه دنت ﴿قوله باضمار القول﴾ اى يقال لهم كلوا و هذا امر امتنان و اباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف ﴿قوله و جمع الضمير﴾ اى بعد قوله فهو فى عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من فى قوله فاما من اوتى كتابه و هو فى معنى الجمع ﴿قوله اكلا و شربا هنيئا﴾ على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف و قوله او هنئتم هنيئا على ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف و كل شئ يأتيك من غير تعب فهو هنئ اى لا تكدير فيه و لا تنغيص و معنى الاسلاف فى اللغة تقديم ما ترجوا ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض و منه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله و المعنى بما عملتم فى الدنيا و الباء اما سببية او للمقابلة اى بدل ما اسلفتم ﴿قوله يا ليت الموتة التى متها﴾ الموتة و ان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام و القاضية القاطعة للحياة اى يا ليت الموتة التى متها لم احى بعدها تمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى و ان لم يبعث للحساب و لا يلق ما اصابه من الجهالة و سوء العاقبة ﴿قوله او يا ليت هذه الحالة﴾ اى او يكون ضمير ليتها للحالة التى شاهدها عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ تمنى

(انى ظننت انى ملاق حسابيه) اى علمت و لعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا او ذلك لكونها صافية عن الشوآئب دآئمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية و الاشجار (قطوفها) جمع قطف و هو ما يجتنى بسرعة و القطف بالفتح المصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول و جمع الضمير للمعنى (هنيئا) اكلا و شربا هنيئا او هنئتم هنيئا (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا (و اما من اوتى كتابه بشماله فيقول) يقول لما يرى من قبح العمل و سوء العاقبة (يا ليتنى لم اوت كتابيه و لم ادر ما حسابيه يا ليتها) يا ليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ كأنه صادفها امرّ من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموت و لم اخلق حيا

ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لانه رأى تلك الحالة اشنع وامرّ مما ذاقه من مرارة الموت وشدّته فتمناه عندها والوجه الثالث ان يكون ضمير ليتها لحياة الدنيا وهو ظاهر ﴿قوله ومانفى﴾ اى يجوز ان تكون ما فى ما اغنى نافية وما فى مالى موصولة ولى صلتها فحينئذ يكون مفعول اغنى محذوفا والتقدير لم يدفع عنى الذى كان لى فى الدنيا من الاموال والاتباع شيأ من عذاب الآخرة ويحتمل ان يكون مالا مضافا الى ياء المتكلم والمعنى لم يغن عنى المال الذى كان لى فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن امر الآخرة وضرّنى فضلا عن ان ينفعنى ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى والاستفهام للانكار والمعنى اىّ شئ اغنى عنى ما جمعته من الاموال والاتباع اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب * والسلطان من السلاطة وهى القهر والغلبة يطلق على الوالى لاتصافه بها وعلى الحجة والبرهان ايضا لكونه سببا لها وفسر فى الآية بكل واحد من المعنيين كأنه يتحسر ويقول كان لى فى الدنيا ملك وتسلط على الناس او حجة أحتج بها عليهم فالآن بطل ذلك وبقيت ذليلا مبهوتا فحينئذ يقول الله تعالى لخزنة النار خذوه فغلوه اى اجعلوا يده الى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليدين الى العنق بالقيد ﴿قوله ثم لا تصلوه﴾ اى لا تدخلوه الا الجحيم اى لا تحرقوه الا فيها يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته النار اصلاء وصليته تصلية والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة ﴿قوله تعالى سبعون ذراعا﴾ فى محل الجرّ على انه صفة سلسلة وذراعا تمييز وقوله فى سلسلة متعلق بقوله فاسلكوه اى ثم اسلكوه فى سلسلة من صفتها كيت وكيت اى أدخلوه فيها والسلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها وتقديم فى سلسلة على عامله كتقديم الجحيم على قوله صلوه فى الدلالة على قصر الفعل عليه ﴿قوله بان تلفوها على جسده﴾ يعنى ان المراد بادخال العاصى فى السلسلة جعله محاطا بها على طريق ادخال الخيط فى اللؤلؤة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فى السلسلة كما يكون الثعلب فى الجبة والثعلب طرف الرمح الداخل فى جبة السنان وهى الزج وذلك انما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بينها مرهقا محاطا مضيقا عليه * الجوهرى رهقه بالكسر يرهقه رهقا اى غشيه قال تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والمراهق الذى ادرك ليقتل ﴿قوله وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدّة﴾ يعنى ان قوله فغلوه عطف على ما قبله بفاء التعقيب وعطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة ثم للدلالة على التراخى وظاهر ان التراخى الزمانى غير مراد لان المقام مقام التهديد والتهويل ولاشك ان التهديد بتوالى العذاب اشدّ وافظع من التهديد بتفريقه فى الازمنة فتعين ان المراد التراخى الرتبى ثم ان كلمة ثم والفاء الواقعتين فى الجملة الاخيرة ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغى ان تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على قول اضمر قبل قوله خذوه اى قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وتكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشدّ واهول مما قبله من الاوامر مع تفاوت المأمور بها من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصليته الجحيم وسلكهم اياه فى السلسلة الموصوفة واشير بكلمة ثم الى ان امرهم بالاخير اشدّ من امرهم بما امروا به قبله ﴿قوله تعليل على طريقة الاستئناف﴾ اى بيان لسبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة فى عظم جريمته كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك لازالة استعظام الجزاء فان السائل لما استفظع الجزاء واستهوله فسأل عن السبب الذى يوجب هذه العقوبة الهائلة كان الواجب ان يبالغ فى عظم الجريمة وقبحها ويقال كيف لا يشتدّ عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التى هى اقبح الجرائم واشنعها كيف لا وقد تقدّم مرارا ان مدار التكليف امران احدهما تعظيم امر الله والثانى الشفقة على خلق الله فمن لا يصدّق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم امره ومن لم يحض غيره على طعام المسكين فقد ترك الشفقة على خلق الله فمن اخل بهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه وفى قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم هذه الجريمة احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل والحض الحث على الفعل واظهار الرغبة فى اتباعه وايقاعه وهو لا يتعلق بما هو من قبيل الاعيان وانما يتعلق بما هو من قبيل الافعال والطعام عين لانه اسم لما يطعم ويؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه فاشار المصنف الى توجيه نظم الآية بقوله ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه بمعنى ان نظم الآية

(ما اغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا (خذوه) يقول الله تعالى لخزنة النار (فغلّوه ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) اى طويلة (فاسلكوه) فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدّة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله

مبنى على تقدير المضاف اى لايحث على بذل طعامه او على ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام و استعمل بمعناه كما يقام العطاء مقام الاعطاء فى كلامهم ﴿ **قوله** ويجوز ان يكون ذكر الحض ﴾ كأنه جواب عما يقال الظاهر ان يقال ولايبذل طعام المسكين اى ولايطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولايحض على بذل طعامه او اطعامه وانما قلنا الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق لبيان عظم جريمته ولاشك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه ﴿ **قوله** وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ﴾ على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقام الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لاعلى معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لاتستلزم اهلية الاداء كما تقرر فى الاصول ﴿ **قوله** تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولاطعام ﴾ حميم اسم ليس وقوله ولاطعام عطف عليه وله خبره وقوله اليوم وههنا ظرفان لما تعلق به له والمعنى فليس له يوم يقال فى حقه خذوه فغلوه ههنا اى فى الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه او يخفف عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس له طعام يأكله لبخله عن الاطعام الامن غسلين وهو ماينفصل من ابدانهم من القيح والدم * روى انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم فالياء والنون زائدتان فى غسلين ﴿ **قوله** من خطئ الرجل الخ ﴾ يقال خطئ الرجل يخطأ خطئا فهو خاطئ على وزن علم يعلم علما فهو عالم اذا تعمد الخطئ بمعنى الذنب فان الخطأ المضاد للصواب لايقال فى الفعل منه خطئ فهو خاطئ بل يقال اخطأ فهو مخطئ او تخطأ فهو متخطئ اى اراد الصواب فصار الى غيره من غير ان يتعمده ويقصده ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرءآن فقال فلا اقسم بما تبصرون وكلمة لافيه يجوز ان تكون نافية للقسم على ان هذا القول قول رسول كريم اى لااقسم عليه لانه او ضوحه يستغنى عن تأكيده بالقسم ويجوز ان تكون صلة ويكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما فى الدنيا والآخرة فان منها مايبصر ومنها مالايبصر وان يكون لرد انكارهم البعث واستئناف قسم على حقية القرءآن ﴿ **قوله** وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴾ فان قيل لاشك ان القرءآن كلام الله تعالى فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام * اجيب بان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة فالقرءآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره فى اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه وهو ايضا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة النبوة ﴿ **قوله** لما ظهر لكم صدقه ﴾ مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة الى انتصاب قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف للفعل الذى بعده وان ما مزيدة للتأكيد ﴿ **قوله** المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تأتيه الشياطين ويلقون اليه ماسمعوه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان مايلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين اليه فانهم لايلقون فيه ذمهم وسبهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى مابلغه عليه الصلاة والسلام منافية لمعانى اقوال الكهنة فانهم لايدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معانى اقواله عليه الصلاة والسلام فلو تذكر اهل مكة معانى القرءآن ومعانى اقوال الكهنة لما قالوا بانه قول كاهن ﴿ **قوله** وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء ﴾ اى بياء الغيبة فيهما اى فى قوله يؤمنون ويذكرون على الالتفات وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله بما تبصرون ومالاتبصرون ﴿ **قوله** كأنها جمع افعولة ﴾ اشارة الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور غير انها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه واقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعا له بل قال كأنها جمع افعولة للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف فى التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم ﴿ **قوله** نياط قلبه ﴾ الجوهرى النياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين عرق فى القلب متصل بالرأس اذا انقطع مات صاحبه

ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولاطعام الامن غسلين) غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لايأكله الاالخاطئون) اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلااقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فأقسم ولا مزيدة او فلارد لانكارهم البعث واقسم مستأنف (بما تبصرون ومالاتبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرءآن (لقول رسول) يبلغه عن الله فان الرسول لايقول عن نفسه (كريم) على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما السلام (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ماتؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولابقول كاهن) كما تزعمون تارة اخرى (قليلا ماتذكرون) تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرءآن للشعر امر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعانى القرءآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كأنها جمع افعولة من القول كالاضاحيك (لأخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه بضرب عنقه

وهو تصوير لاهلاكه بافظع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من احد عنه) عن القتل او المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المؤمنين به (وانه لحق اليقين) اليقين الذى لاريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها
اربع واربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اوابوجهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء اوالرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم

قوله وهو تصوير لاهلاكه بافظع ماالخ — يعنى انه تعالى لم يكتف بان يقول لو نسب الينا قولا لم نقله لاهلكناه او لضربنا عنقه بل عدل الى مايدل على سخط الله تعالى عن من افترى عليه للدلالة على ان الافتراء عليه موجب لذلك والوجه فى كون الاهلاك بان يأخذ الجلاد بيمين الجانى فيضرب عنقه افظع وجوه الاهلاك ان الجلاد حينئذ يضرب بالسيف فى جيده مواجهة من جهة امامه وهو اشد على المقتول من ان يضرب عنقه من جهة قفاه لانه ينظر الى السيف حينئذ فان الجلاد اذا اراد ان يضرب قفا المقتول اخذ بيساره فيضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقع الضرب فى جيده مواجهة يأخذ بيمين المقتول ويضرب بالسيف فى جيده من جهة امامه ولاشك انه اشد على المقتول وافظع **قوله** وقيل اليمين بمعنى القوة — فالمعنى لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا كما فى قوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين *

اى بالقوة وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا عنه القوة والقدرة على التكلم بذلك القول على ان الباء صلة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او ذكر الملزوم وارادة اللازم **قوله** وصف لاحد — مبنى على اصل بنى تميم فان كلمة ما فى قوله تعالى فما منكم المشبهة بليس وبنوا تميم لايعملونها لدخولها على القبيلين فاعراب الآية على اصلهم ان من احد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم خبره وحاجزين صفة لاحد مجرور حملا على لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه فانه يعم كل احد لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى كأنه قيل فما منكم قوم يحجزون اى يمنعون عن المقتول او عن قتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين وقوله من احد على اصل الحجازيين اسم ما وخبرها حاجزين وجمع الخبر لما تقدم ومنكم حال لانه فى الاصل كان صفة لاحد ولما تقدم عليه امتنع كونه صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتعين كونه حالا مثل موحشا فى قوله لمية موحشا طلل وقوله عنه يتعلق بقوله حاجزين على القولين وضميره للمقتول او لقتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله لاخذنا ثم لقطعنا ثم انه تعالى لما بين حقية القرآن وانه لتنزيل رب العالمين بين الحكمة فى تنزيله فقال وانه لتذكرة للمتقين اى عظة لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف من مال اليها وغلبه حبها فانه يكذب به لكون الايمان به يستدعى ايثار الآخرة على الدنيا وهو عكس مايحبه ويهواه فيكون نفس القرآن او تكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيامة اذا رأى ثواب من آمن به وعمل بمقتضاه وفى الدنيا ايضا اذا رأى دولة المؤمنين والضمير فى قوله تعالى وانه لحسرة اما القرآن او التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين **قوله** اليقين الذى لاريب فيه — اشارة الى ان الحق واليقين لفظان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لايتطرق اليه الريب وكذا اليقين * قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اى حق لابطلان فيه ويقين لاريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال صاحب الكشاف فى الفصل يقال هذا العالم حق العالم وحق العلم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى لحق اليقين اى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب بشئ آخر انتهى واليقين اسم العلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لايوصف علم رب العزة باليقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال انما هو كقولك علم اليقين ومحض اليقين وقيل انه من قبيل اضافة الشئ الى نفسه اذا اختلف اللفظان

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه * سيرضيكما منها سنام وغاربه *

والنجا هو الجلد من قولك نجوت جلد البعير عنه وانجيته اذا سلخته والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه اى أتياه ليلا **قوله** فسبح الله بذكر اسمه العظيم — على ان مفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى نزه ذات الله تعالى عن الرضى بالتقول عنه بان تقول سبحان الله * تمت سورة الحاقة والحمد لله رب العالمين

سورة المعارج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ولذلك — اى ولكون سأل بمعنى دعا عدى بالباء مثل دعا يقال دعوت الله تعالى بكذا اى استدعيته

(وطلبته)

و طلبته قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون في الجنة كل فاكهة وسأل يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى
الدعاء و الطلب يقال سألته الشئ ونقل الطيبي عن الامام الواحدى ان الباء في بعذاب زائدة للتأكيد كما في قوله
تعالى وهزى اليك بجذع النخلة والمعنى سال سائل عذابا واقعا وفي الصحاح سألته الشئ وسألته عن الشئ سؤالا
ومسئلة وقوله تعالى سأل سائل بعذاب وقع اى عن عذاب قال الأخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان
وقد تخفف همزته فيقال سال سائل والامر منه سل ومن الاول اسأل ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر سال﴾ اى
بغير همز والباقون بالهمز ذكر المصنف لقرآءة الالف الساكنة وجهين الاول ان يكون من السؤال الا انه نقلت همزته
فقلبت ألفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا في هنأ هناه ولا هناك المرتع والقياس في مثله ان تسهل الهمزة بجعلها
بين بين اى بين الهمزة والالف وهي لغة قريش قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

٭ سالت هذيل رسول الله فاحشة ٭ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ٭

فعلى هذا يكون سال الهمزة من سأل مهموز العين وتكون همزة سائل اصلية وقيل قوله وهو اما من السؤال
معناه انه منه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبناء فان السؤال مهموز العين وسال اجوف وان ترادفا من
حيث المعنى لما روى ان لغة قريش ان يقولوا سال يسال كخاف يخاف وان الف سال منقلبة عن الواو وانهم
يقولون هما يتساولان فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثاني ماذكره بقوله او من
السيلان فعلى هذا تكون الف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما في باع فهو بائع والمعنى جرى واد في جهنم
بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة او يوم بدر فقد روى ان نضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط قتلا يوم بدر صبرا
ولم يقتل صبرا غيرهما ﴿قوله للكافرين صفة اخرى لعذاب﴾ وصف العذاب اولا بانه واقع اى نازل لا محالة
سوآء طلبه او لم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لا يتخطاهم وان كان متعلقا بقوله واقع تكون اللام فيه بمعنى على
او على بابها اى بعذاب نازل عليهم او لاجلهم ﴿قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا﴾
روى انه تعالى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال
المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع
فالسؤال على هذا لا يكون من سألته الشئ وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء بل يكون من سألته
عن الشئ ماهو وبمن يقع فحقه ان يعدى بمن الا انه عدى بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته فعلى هذه
الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه يقال لمن سأل ان ذلك العذاب لمن هو وعلى من يقع اى هو
للكافرين على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله ذى المصاعد﴾ اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع
معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج
اما معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال في استجماع الآداب والسنن
وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما معارج المؤمنين في سلوكهم في مراتب المعارف الالهية
المكاشفات والتجليات ولا شك في تفاوت طبقات اولياء الله تعالى في ذلك او معارجهم في دار ثوابهم وهي الجنة
ولا شك ايضا في تفاوتها واما معارج الملائكة ومنازل ارتقائهم بحسب الامكنة وهي السموات فانهم يعرجون فيها
ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها او بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية وبحسب تفاوت قوتهم في تدبير
هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة في جميع ذلك فتلك المعارج سوآء كانت للاعمال او للمؤمنين
او للملائكة بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله ذى المعارج ﴿قوله استئناف لبيان
ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها﴾ فيه اشارة الى ان ضمير اليه للمعارج بتأويل المكان او المصدر بناء على ان الجمع
المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس وقوله اليه وفي يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف
سنة تمييز لخمسين وكان مع مافي حيزها في موضع الجر على انه صفة ليوم ﴿قوله على التمثيل والتخييل﴾ متعلق
بقوله لبيان يعني ان القول بان عروج الملائكة والروح الى تلك المعارج في مبدأ الصعود يكون في المدة المذكورة
ليس على التحقيق بل هو جملة مستأنفة جيئ بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والمعنى انها في ارتفاعها او بعد
مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها في خمسين الف سنة وان كانوا يعرجون
اليها في اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران في ملك الله تعالى ﴿قوله وقيل

وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال
على لغة قريش قال
سالت هذيل رسول الله فاحشة ٭
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ٭
او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل
على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغفور
والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق
وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة
وهو عذاب النار (للكافرين) صفة اخرى
لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال
كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على
هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع)
يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته به
(ذى المعارج) ذى المصاعد وهي الدرجات
التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح
او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار
ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان
الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج
وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى
انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان
يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا

تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة ﴾ اى على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لا يجرى لاحد سواه تعالى فيه حكم و تدبير فجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى بالذهاب اليه وقوله في يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اى كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة الى الانسان و وجه الشبه ماذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه مايقطعه الانسان فيها لو فرض وقوله لان عطف على قوله والمعنى اى ان المعنى على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة و الظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق في موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره كمقدار خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء و الحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لو ولى الحساب غير الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و احسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك هو الجنة والقيلولة هي النوم في الظهيرة وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل يا رسول الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام * والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا * ولا يلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة في اثنائه الى العرش ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة ﴿ قوله وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة ﴾ بيان لوجه التوفيق بين الآيتين وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال في آية هذه السورة وفي قوله تعالى في سورة السجدة ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه اكره ان اقول في كتاب الله تعالى بما لا اعلم اى لا اعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ماذكره المصنف في وجه التوفيق ان المراد بالف سنة هو زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء خمسمائة سنة منها زمان عروجهم من الارض الى مقعر السماء وخمسمائة اخرى زمان عروجهم من مقعرها الى محدبها والاظهر ان يقال المراد بالف سنة زمان نزولهم من السماء الى الارض وعروجهم منها الى السماء خمسمائة للنزول وخمسمائة اخرى للصعود لانه تعالى قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وقدر بها مدة الصعود و النزول جميعا ﴿ قوله وقيل في يوم متعلق بواقع ﴾ عطف على ما يفهم مما تقدم من كونه متعلقا بقوله تعرج وهو الاظهر وعلى تقدير كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف وعامله اى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴿ قوله لان السؤال كان عن استهزآء او تعنت ﴾ الاول مبنى على ان يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر واباجهل انما سألا ما سألاه عن استهزآء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب بالوحى والثانى على ان يكون السؤال بمعنى السؤال عن الشيء ماهو وبمن يقع ومتى يقع فان كفار مكة انما سألوه عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه ﴿ قوله او تضجر ﴾ مبنى على ان يكون السائل هو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله او بسال ﴾ عطف على قوله بسأل يعنى ان قرئ سأل سائل او سال سائل بالالف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير في قوله تعالى انهم لاهل مكة فانهم كانوا يستبعدون العذاب او البعث والقيامة عن الامكان فرد الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان او من الوقوع لان كل ما هو آت قريب ﴿ قوله اى يمكن يوم تكون ﴾ فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لا وجه له لان الممكن ممكن في جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة قبل وقوع هذا الممكن كأنه قيل و نراه قريبا من الامكان يوم يكون كذا وكذا انتهى ﴿ قوله او لمضمر دل عليه واقع ﴾ اى يقع في ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اى يوم تكون السماء كالمهل كان ما لا يدخل تحت الوصف وان علق في يوم بقوله واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لا يكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة لما مر ان قوله تعرج الملائكة والروح الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الا في مدة خمسين الف سنة وذلك لا يتوقف على كون المراد به يوم القيامة واذا لم يكن المراد به يوم القيامة لا يصح ابدال هذا اليوم منه الا بان يكون بدل غلط وهو لا يقع في القرآن

وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرآئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزآء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء النصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب او ليوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه او من الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع او بدل من في يوم ان علق به

«قوله كالفلزات» جمع فلز بالكسر وتشديد الزاى وهو ماينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة مايروى من ان السماء الدنيا من حديد «قوله ولا يسأل قريب قريبا عن حاله» اى لايكلمه لان لكل احد مايشغله عن السؤال فالسؤال من سألته عن الشئ ومفعوله بالواسطة محذوف اى لايسأله عن حاله «قوله اولا يسأل منه حاله» اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اى لايسأل حميم عن حميم ليعرف حاله من جهته كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسأل عن عمل نفسه «قوله استئناف» فى جواب من قال لعله لايبصره فكيف يسأل عن حاله فقال يبصرونهم اى يعرّفونهم اى يعرّف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يمنعه عن المسألة خفاء مكانه ومع ذلك لايسأل عن حاله لشغله بنفسه اولاستغنائه عن السؤال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة عن حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك من السؤال وفى الصحاح البصر العلم وبصرت بالشئ اى علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم عدى بالتضعيف الى ثان وقام الاوّل مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجرّ فيقال بصرته به وقد يحذف الجار فيقال بصرته اياه ومافى الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاوّل اى لايسأل حميم عن حاله حميمه فى حال كونه معرّفا اياه وان يكون صفة حميما اى حميما مبصرين لان معناه العموم لا التثنية لان كل واحد من الحميمين نكرة فى سياق النفى «قوله او استئناف» كأنّ السائل عاد فقال كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يودّ المجرم «قوله لانه بمعنى تعذيب» والمصدر المنوّن ينصب المفعول وكلمة لو قد تكون مصدرية ومنه مافى الآية «قوله وعشيرته» وهى القبيلة وهم بنوا اب واحد والفصيلة فى الاصل القطعة المفصولة ويطلق على الآباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء الاقربون لتقدّم قوله وبنيه «قوله الضمير للنار» ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبران اى ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدأ مضمر اى هى نزاعة ويجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان وان كان ضمير انها للقصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبر انّ «قوله او الحال المؤكدة» اى من لظى لان لظى بمعنى جهنم لاتكون الا نزاعة فلا معنى للحال الا على وجه التأكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما «قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية» اى متلهبة وهو معناه فى اصل اللغة والنار المتلهبة لايلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان تكون حالا منتقلة «قوله والشوى الاطراف» اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ومنه يقال للرامى اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فأشواه اى اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اى قلاعة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا «قوله كقول ذى الرمة» استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار ووصف الثور الوحشى بقوله

❊ امسى بوهبين مجتازا لمرتقة ❊ من ذى الفوارس تدعوانفه الربب ❊

وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدّى باللام لتضمنه معنى الطلب اى طالبا لمرتقة وروى مختارا بالخاء المعجمة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهى اوّل ماينبت من الارض وفى مجمل اللغة الربة نبات يبقى فى آخر الصيف وتدعوانفه اى تجذبه ليأكل وكذا دعوة لظى من فرّ عنها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق فى جرم النار فتدعو كل كافر ومنافق باسمائهم بلسان فصيح فتقول الىّ يا كافر الىّ يامنافق فان مستقرّك فىّ ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحبّ وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على الاسناد المجازى حيث اسند عمل الداعى الى المدعوّ اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المنوى فيها وان يكون خبرا بعد خبر لان او خبرا لمبتدأ محذوف «قوله حرصا وتأميلا» الاوّل علة لجمع المال والثانى لابقائه على طريق اللف والنشر المرتب فان جمع المال مبنى على الحرص وحب الدنيا وابقاءه مبنى على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولاشك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقد مرّ ان الوعى ان تحفظ الشئ

والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردىّ الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجوّ أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لايطلب من حميم حميم اولا يسأل منه حاله (يبصرونهم) استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او مايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم (يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه) حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث تمنى ان يفتدى بأقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب وعند الشدآئد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين او الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتدآء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتدآء لاينجيه (انها) الضمير للنار او مبهم يفسره (لظى) وهو خبر او بدل او للشأن او القصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذى الرمة ❊ تدعو أنفه الربب ❊ مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرّ عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا

في نفسك و الابعاد ان تحفظه في غيرك ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق و الاشفاق على الخلق
بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع و انه مجبول عليه بحيث صارت هذه الرذيلة كأنها غرزت فيه
كسائر الغرائز الطبيعية التي خلق الانسان عليها فقال ان الانسان خلق هلوعا و الهلع صفة مركبة من
صفتين ذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه و البخل و الامساك البالغ عند اصابة الخير قيل اصل
الهلع في اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وفعله هلع يهلع مثل علم يعلم هلعا فهو هالع و هلوع و الجزع ضد
الصبر و انتصاب هلوعا على انه حال من المنوي في خلق وهي حال مقدرة فان الهلع ليس خصلة ضرورية حاصلة
بخلق الله تعالى الانسان عليها و الا لما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة و المجاهدة غاية ما في الباب ان الانسان
اذا خلي و طبعه لا يظهر عليه الا مقتضى نفسه الامارة بالسوء من ايثار العاجل على الآجل لكونها في عالم
الظلمات فلا يميل الانسان الا الى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة و الاجسام الظلمانية و لا يلزم من ذلك ان تكون
تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها و ان لا تكون من العوارض المكتسبة بالقصد و الاختيار فظهر بهذا انه يجوز
ان يكون قوله تعالى هلوعا و جزوعا و منوعا من الاحوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها من الاحوال المحققة
فقال او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها و رد به على صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا قبيح
لا يصح اسناده اليه تعالى فليس بكلام على حقيقته بل المعنى ان الانسان لايثار الجزع و المنع و رسوخهما فيه
كأنه مجبول عليهما و كأنه امر خلقي ضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل اي يعجول في اكثر
اموره و اغلب احواله و لو كان المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة عنه
لكنها تنفك عنه فانه حين كان جنينا في البطن و صبيا في المهد لم يكن به هلع و لأن قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا
ذم و الله تعالى لا يذم فعله و يدل على كونه ذما استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية اوصاف و هو ما ذكره الى قوله
و الذين هم على صلاتهم يحافظون و اشار المصنف الى جواز ان تكون الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل
عليها الانسان و انه اذا خلي و طبعه لا يظهر منه الآثار تلك الصفات و مقتضياتها من الافعال و الاقوال الا انه لما
اعطى العقل و ميزان الشرع و بين له غوائل الاخلاق الذميمة و محاسن الاخلاق الجيدة تخلق بمخالفة طبعه
و موافقته لشرعه و مجاهدة نفسه الامارة حتى تحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال و الامور الجبلية يجوز تبديلها
بالرياضة و المجاهدة فان لكل داء دواء متى اصاب الداء ازاله و ارتكاب القبيح انما يتصور ممن يكلف باتباع
المأمور به و اجتناب المنهي عنه لا ممن يفعل ما يشاء بقدرته و يحكم ما يريد بعزته و لا يسأل عما يفعل فلا يكون شيء من
افعاله تعالى قبيحا فلا يصح ان يقال خلق الانسان هلوعا قبيح * فان قيل حاصل معنى الهلع ان يكون الشخص نفورا
عن المضار طالبا للراحة و هذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه الله تعالى * فالجواب ان المذموم هو كون الشخص
بحيث يقصر نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا في حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها نافرا عما يكون شرفا
بالنسبة اليها و كان الواجب عليه ما ذكره المصنف من الاستغراق في طاعة الحق و الاشفاق على الخلق و الرضى
بجميع ما اصابه من الفقر و المرض و نحوهما و صرف ما رزقه الله تعالى من النعم كالمال و الصحة و نحوهما الى
ما يؤدي الى سعادة الآخرة و لا يطلب شيأ منها لكونها منفعة عاجلة ﴿ قوله لمضادة تلك الصفات لها ﴾ علة
لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة بعد لما كانت
مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها في موضع واحد وجب ان يكون الموصوفون بتلك الصفات
مستثنيات من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا و الا لزم اجتماع الامور المضادة ﴿ قوله لا يشغلهم عنها
شاغل ﴾ اي عن ادائها في اوقاتها * قال الامام فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم
يحافظون و اجاب عنه بقوله معنى دوامهم عليها ان لا ينسوها في وقت من الاوقات و محافظتهم عليها ترجع الى
الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه و هذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلاة و تارة
بامور لاحقة لها و تارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهي ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب
بدخول اوقاتها و بالوضوء و ستر العورة و طلب القبلة و وجدان الثوب و المكان الطاهرين و الاتيان بالصلاة
في الجماعة و في المساجد المباركة و ان يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس و الالتفات
الى ما سوى الله تعالى و ان يبالغ في الاحتراز عن الرياء و السمعة و اما الامور المقارنة فهي ان لا يلتفت يمينا و لا شمالا

(ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل
الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا)
يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا)
يبالغ في الامساك و الاوصاف الثلاثة احوال
مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها
و اذا الاولى ظرف لجزوعا و الاخرى لمنوعا
(الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات
المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من
حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق
و الاشفاق على الخلق و الايمان بالجزاء
و الخوف من العقوبة و كسر الشهوة و ايثار
الآجل على العاجل و تلك ناشئة من الانهماك
في حب العاجل و قصور النظر عليه
(الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم
عنها شاغل

(وان)

ان يكون حاضر القلب عند القرآءة فانهما الاذكار مطلقا على حكم الصلاة واما الامور المتراخية فهى ان لايشتغل بعداقامة الصلاة باللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز عن الاتيان بشئ من المعاصى والمنكرات ﴿قوله تصديقا باعمالهم﴾ فان مجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لايؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين على الاحوال المذكورة ﴿قوله خائفون على انفسهم﴾ فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون محظورا وتكون جميع شؤنهم طاعة ربهم ومع ذلك لايأمنون عذابه ﴿قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك﴾ وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فاولئك هم العادون اى المتعدون عما حدلهم ودخل فى هذا حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا روى ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية ﴿قوله وقرأ ابن كثير لامانتهم﴾ اى بالافراد لان الامانة اسم الجنس مايؤتمن عليه الانسان سوآء كان من جهة البارى تعالى اومن جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من الشرآئع وامانات الدين كما يتناول ماحملوه من امانات الناس فلاحاجة الى لفظ الجمع ومن قرأه بلفظ الجمع نظر الى اختلاف الانواع وكذا الكلام فى افراد الشهادة وجمعها واكثر المفسرين على ان القيام بالشهادة اداؤها عند الحكام على من كانت هى عليه من قريب اوبعيد شريف اووضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ماقبلها عطف الخاص على العام اظهارا لفضلها وان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها ابطالها وتضييعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المراد بالشهادة شهادة ان الله واحد لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ﴿قوله لايختنون﴾ اى لايضيعون الامانة فان عدم رعايتها يكون بالاهلاك وبالانكار قال اخنى عليه الدهر اى اتى عليه واهلكه ﴿قوله وانافتها﴾ اى اعلاء قدرها يقال اناف على كذا اذا شرف عليه ﴿قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى﴾ مثلا فى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون مبالغات من حيث تعريف المسند اليه بالموصول فانه يقتضى ان يكون ذات المسند اليه معلوما للمخاطب حاضرا فى ذهنه بكونه متصفا بمانسب اليه من مضمون الصلة ولايخفى ان اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة فى المحافظة عليها ومن تكرير المسند اليه لتقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك زيد هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلاتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثى تكون للمبالغة فى ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرر أن توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقى والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفى جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك ولما ذكر ان المستغرقين فى طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون فى جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال فما للذين كفروا قبلك مهطعين * روى ان المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزؤن به عليه الصلاة والسلام وبالقرآن ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الآية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما فى قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار فى موضع الرفع على الابتدآء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان للاستقرار الذى تعلق به للذين او ظرف لمهطعين او هو حال من المنوى فى الذين اى اى شئ ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اى شئ ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين عن هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين او حال من المنوى فى مهطعين فتكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو او الياء الساقطة قال الاصمعى يقال فى الدار عزون من الناس اى اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزائها الى غير من تعزى اليه الاخرى من قولهم عزوته الى ابيه وعزيته لغة فيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اى انتمى وانتسب ﴿قوله اوانكم مخلوقون من اجل ما تعلمون﴾ اى ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع هكذا ان تكون كلمة من بمعنى الاجل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا ﴿قوله او استدلال﴾ عطف على قوله تعليل وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله استدلال

فجرم (والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض يدل على انه لاينبغى لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم (والذين هم بشهاداتهم قائمون) لاينكرون ولايختنون ماعلموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلاتهم يحافظون) فيراعون شرآئطها ويكملون فرآئضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى (اولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى وكان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح مايقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ماتعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ فى منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه

لما كان قولهم لو صح ما يقول لنكون فيها افضل حظا مشتملا على امرين دعوى استحالة النشأة الثانية و الطمع الفاسد المبنى على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع اوّلا بقوله كلا ثم استدل على امكانها بقوله خلقناهم مما يعلمون كأنه قال من قدر على خلق البشر السوىّ من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرا على بعثه ثم انه تعالى هدّدهم بقوله فلا اقسم وكلمة لا صلة او ردّ لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستأنف ويحتمل ان يكون اصله فلأقسم فاشبعت الفتحة لحصل الف وقوله على ان نبدّل خيرا منهم اصله على ان نبدّلهم بدلا خيرا منهم لحذف المفعول الاوّل وموصوف خيرا وجمع المشارق و المغارب اما لان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او المراد بالمشرق ظهور حياة كل شئ وبالمغرب موته ﴿قوله تعالى فذرهم﴾ متفرّع على قوله وما نحن بمسبوقين اى اذا تبين انه لا يفوتنا ما نريد منهم وبهم من خير وشرّ وانه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل واشتغل انت بما امرت به فانهم ملاقون عن قريب اليوم الذى وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم وان يكون منصوبا باضمار اعنى والاجداث جمع جدث وهو القبر وسراعا حال من الضمير فى يخرجون وكأنهم حال ثانية منه او من المنوى فى سراعا فتكون حالا متداخلة ﴿قوله منصوب للعبادة او علم﴾ يعنى ان نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قرآءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سوآء نصب لان يعبد من دون الله او نصب علامة لموضع الملك فى نزوله ومسيره وهو المراد بالعلم والمعنى انهم يسرعون الى الموقف كاسراعهم الى صنمهم الذى يعبدونه ويسرعون اليه ايهم يستلمه اوّلا قيل كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى اوّلهم على آخرهم او كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون اليه ليبلغوه فهم يتبادرون فى السبق اليه والنصب بضمتين واحد الانصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم والسكون اما تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر أو جمع نصب بالفتح والسكون ﴿قوله تعالى خاشعة﴾ حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة فى موضع الحال منه ايضا اى يغشاهم هوان المذنبين ويجوز ان يكون استئنافا يقال رهقه اى غشيه وهو من باب علم ﴿قوله تعالى كانوا يوعدون﴾ اى يوعدونه فى الدنيا وان لهم فيه العذاب لحذف العائد من الصلة الى الموصول * تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله بان انذر اى بالانذار﴾ يجعل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لا يتعدّى الى مفعول ثان بدون توسط حرف الجرّ قدّر الباء الجارة لحذف الجار واوصل الفعل فمحل ان انذر النصب على نزع الخافض او الجرّ على ارادته وقوله او بان قلنا له انذر اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون شيأ مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما او لا فجوّزه سيبويه وابو علىّ ومنعه غيرهما قال ابو علىّ فى قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كلمة ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا من ما او من الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة ان المخففة لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا فكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار مبنى على مذهب سيبويه وابى علىّ وقوله او بان قلنا له انذر مبنى على مذهب غيرهما فان غيرهما يقولون ان ان المصدرية مع صلتها تكون فى تأويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تأويل ارسلناه بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون تصدير صيغة الامر بأن المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى فحيثما صدّرت صيغة الطلب بأن المصدرية للايذان يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حاله فيكون تقدير الآية ارسلناه بأن قلنا له انذر اى ارسلناه ارسالا ملقيا بهذا القول الموضوع لطلب الانذار ﴿قوله وقرئ بغيرها﴾ اى بغير ان فلابدّ من اضمار القول اى قائلا أنذر وان فى قوله ان اعبدوا الله كالتى فى قوله ان أنذر قومك فى جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم انه عليه الصلاة والسلام امر

(فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدّل خيرا منهم) اى نهلكم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مرّ فى آخر الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة او علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) مرّ تفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر) بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان

(قومه)

قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول الامر بجميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول الامر بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر بعد ذكر الامر بهما تأكيدا لذلك الامر ومبالغة فى تقريره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه فى دعواه الرسالة ﴿قوله بعض ذنوبكم وهو ماسبق﴾ اى على الايمان اشارة الى ان فائدة ذكر من التبعيض فانه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الايمان او تأخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتأخرة عن الايمان لاتكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ماسبق على الايمان وهو مالا يتعلق بحقوق العباد ﴿قوله وهو اقصى ماقدر لكم بشرط الايمان والطاعة﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام وعدلهم بمقابلة امتثالهم لما امروا به ان يؤخرهم الله تعالى الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهما متناقضان بحسب الظاهر * وتقرير الجواب ان الله تعالى جعل فى الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذى لايمكن تأخيره والمعلق هو الحكم بان قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قبل ذلك بما شاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام * ان استقامت امتى فلهم يوم وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم * فاليوم هو الذى لايمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة واىّ الاجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذى عبر عنه بالمجيئ فى قوله ان اجل الله اذا جاء لايؤخر اى لايؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا بمجيئه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدّر به اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذى قدره وتعلقت به ارادته وان صح اضافته الى العبد لكونه نهاية عمره فالاجل المعلق اذا تحقق شرط كونه اجلا وتعلقت به ارادته تعالى لايؤخر الا انه يؤخر اذا فقد شرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع به فانه لايؤخر بوجه ﴿قوله وقيل اذا جاء الاجل الاطول﴾ عطف على قوله ان الاجل الذى قدّره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذى لايمكن تأخيره بوجه من الوجوه اى الوقت الذى سماه الله تعالى اجلا اذا جاء لايؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير فان المسمى ضرورىّ الوقوع لايمكن تأخيره ﴿قوله لعلمتم ذلك الخ﴾ اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لايعلمون ذلك مع انه تعالى خلقهم مشتملين على اسباب العلم وآلات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم فى حب الدنيا وانهماكهم فى الالتذاذ بها ﴿قوله واسناد الزيادة الى الدعاء﴾ من قبيل اسناد الفعل الى السبب والمعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازدادوا فرارا عند دعوتى ويجوز اسناد الزيادة الى السورة فى قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فان ضمير زادتهم يعود الى السورة والمعنى ان الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزول السورة ﴿قوله والتعبير بصيغة الطلب﴾ مع ان معنى الطلب ليس بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطى والستر كما فسر به للمبالغة فى الاهتمام بالتغطى كأنهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم لئلا يروا الداعى بغضا له ولما جاء به ﴿قوله مستعار من أصرّ الحمار على العانة﴾ وهى القطيع من حمر الوحش يقال صرّ الفرس اذنيه اذا سوّاهما وضمهما واذا نقل الى باب الافعال وقيل أصرّ الفرس يكون لازما وهو من النوادر شبه الاقبال على الكفر والمعاصى باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها فسمى الاقبال عليه اصرارا واشتق منه اصرّ ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوأ الاحوال وهو حال الكدم والطرد للسفاد ﴿قوله اى دعوتهم مرّة بعد اخرى﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام عطف بكلمة ثم اوّلا دعوته اياهم مجاهرة وهى الدعوة على رؤس الاشهاد فى المحافل ثم عطف بها دعوته اياهم على وجه الاعلان والاسرار بان يخلو بالواحد فالواحد منهم فيعلن ويسرّ اليه فى الدعوة وما عطف عليه هذان المعطوفان ليس الا قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشئ فهذا الاسلوب يدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ اوّلا بالمناصحة فى السرّ فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان

(قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مرّ نظيره فى الشعرآء وفى أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ماسبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة (ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان اجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدّر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لايؤخر) فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كأنهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت) الى الايمان (قومى ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والطاعة (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدّوا مسامعهم عن استماع الدّعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الىّ من فرط كراهية دعوتى اولئلا اعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصرّوا) واكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصرّ الحمار على العانة اذا صرّ اذنيه واقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اى دعوتهم مرّة بعد اخرى وكرّة بعد اولى على اىّ وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد اولتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء اوصفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به اوالحال فيكون بمعنى مجاهرا

(فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدلهم عليه ما هو أوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمونث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة (وقد خلقكم اطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله

والاسرار فكان حاصل الكلام ما ذكره المصنف بقوله اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكنني وثم اما للدلالة على تراخى بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان **قوله وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا** اشارة الى وجه قوله عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم وبيان فائدته بعد ما امرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله اليهم **قوله ولذلك** اى ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصى كما يمحو الذنوب والمعاصى يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى وعد عليه الصلاة والسلام لهم على ما هو اوقع فى قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال يرسل السماء عليكم مدرارا فانه مجزوم على انه جواب الامر فانهم لما قالوا ان كنا على باطل فكيف يقبلنا من عصيناه قال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصى فان شأنه تعالى الغفارية وبين لهم ان الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصى يجمع لهم مع الحظ الوافر فى الآخرة منافع الدنيا وخيراتها **قوله وقيل لما طالت الخ** عطف على قوله كأنهم لما امرهم الخ فيكون وجها آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها **قوله فوعدهم بذلك** اى بما هو اوقع فى قلوبهم * والمدرار من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء **قوله والسماء يحتمل المظلة** على ما قيل من ان المطر ينزل منها الى السحاب ويطلق السماء ايضا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت فعلى التقديرين يكون المعنى يرسل ماء السماء فحذف المضاف ويطلق على نفس المطر ايضا كما فى قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فحينئذ لا حاجة الى تقدير المضاف **قوله لا تأملون له توقيرا** على ان الرجاء على اصله وهو الامل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم **قوله ولله بيان للموقر** اى للذى يفعل التوقير والتعظيم فكأنهم لما سمعوا قوله مالكم لا ترجون ان توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا لمن التوقير والتعظيم اى من الذى يعظمنا ويوقرنا فقيل لله اى التوقير لله واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له فلما قدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فتعين كونه للبيان **قوله مبالغة** اى فى عدم اعتقادهم له عظمة فان من لا يكون له الرجاء التابع لادنى ظن ذاتى يكون له الاعتقاد الجازم والمعنى على هذا مالكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم فى انفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة وهو انه خلقكم اطوارا وخلق السموات طباقا وغير ذلك فعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه على الاول بيان للموقر **قوله تعالى طباقا** اما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب او مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة او على حذف المضاف اى ذات طباق ويجوز ان ينتصب على انه مصدر لفعل مقدر اى طوبقت طباقا بمعنى انها جعلت طبقة فوق اخرى * قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضى كون بعضها منطبقا على الآخر وهذا يقتضى ان لا يكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها متوازية لا مماسة وهو المروى عن المبرد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيها باسرها بل فى السماء الدنيا فأجاب بان هذا كما يقال السلطان فى العراق ولا يراد أن ذاته حاصلة فى جميع احياز العراق بل يراد ان ذاته حاصلة فى حيز من جملة احياز العراق فكذا هنا وهذا هو المراد بقول المصنف لما بينهن من الملابسة كالبلدان المتباينة حيث جاز ان يقال فى حق ما فى واحدة منها انه فيهن واشار صاحب الكشاف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس وجهها مما يلى السماء وظهرها مما يلى الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجها الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله فيهن من حيث ان كل واحدة منها منورة بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض **قوله مثلها به** يعنى ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل فى الجو بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الحيلولة وما يستند اليها

(من)

من الظل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لايقتضي المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضي كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فانه ذاتي فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به ﴿قوله فاستعير الانبات للانشاء﴾ استعارة اصلية ثم اشتق من الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع ما رسخ عروقه في الارض ولاشك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بني آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه السلام منها اومن حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذآء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة في العدول الى المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا انباتا كانوا محدثين لامحالة حدوث النبات ﴿قوله واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا﴾ يعني ان نباتا منصوب بفعل مقدّر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه وقد شكا نوح عليه السلام الى ربه سبب عصيان قومه اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصوني تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد ﴿قوله بحيث صار ذلك سببا﴾ اشارة الى ان اسناد الزيادة الى المال والولد من قبيل اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب التي يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها فيما خلقت لاجله الا انها اذا جعلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت اسبابا لزيادة خسارة الآخرة ﴿قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ﴾ وذلك يستفاد من توصيف مفعول اتبعوا بقوله لم يزده ماله وولده الاخسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال واولاد أدّت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للاتباع ﴿قوله ابلغ من كبارا﴾ يعني ان كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة ابلغ من كبارا بالضم والتخفيف كما ان المخفف ابلغ من كبير ونظيره الطويل ثم الطوال والمكر الكبار هو احتيالهم بصدّ السفلة من قبول دعوة نوح والايمان به وتحريش الناس على اذاه وعلى الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرنّ ودّا ولا سواعا اي عبادتها لاسيما هذه الآلهة الخمسة التي هي ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كأنهم قالوا هذه الاجسام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى آبائكم بانكم كنتم جاهلين ضالين واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سفاهة شديدة لايجترئ عليها عاقل فلما كان في لفظ آلهتكم اشارة الى هذه المعاني كان صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكرا او حيلة خفية ﴿قوله خصوصا﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ولاتذرنّ ودّا ولاسواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة بناء على انها اكبر اصنامهم ﴿قوله فلما ماتوا صوّروا﴾ قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اختار خلص اصحابهم ان يسلكوا سبيلهم في باب العبادة فقال لهم ابليس لو صوّرتموهم ونظرتم اليهم احيانا كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد كانوا يعبدونها فعبدوها فابتدآء عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجمة على وزن مسجد وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن * قال الامام قولهم انتقلت هذه الاصنام الخمسة الى العرب فيه اشكال لان الدنيا قد تخربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولايمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها في السفينة وامسكها لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا وغيرة في حفظها هذا كلامه ويزول اشكاله بما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من ان تكون تلك الاصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء ايام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب اصنام اخر اللات لثقيف وهو ابو قبيلة من هوازن مضر ويقال له مضر الحمرآء ولاخيه ربيعة الفرس لانهما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب واعطى ربيعة الخيل والعزى لسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر ومنات لهذيل واساف ونائلة وهبل

(والله انبتكم من الارض نباتا) انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكوّن من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاوّل دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصوني) فيما امرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما تبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد أدّت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح (وقالوا لاتذرنّ آلهتكم) اي عبادتها (ولاتذرنّ ودّا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) ولاتذرنّ هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوّروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودّا بالضم

لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة ﴿ **قوله** للتناسب ﴾ لان ماقبلها اسمان منصرفان منوّنان وهما ودّا وسواعا وكذا مابعدهما وهو نسرا فنوّنا ايضا للتناسب كانوّن سلاسلا كذلك ﴿ **قوله** عطف على رب انهم عصوني ﴾ يعني ان قوله لاتزد الظالمين الاضلالا مقول ثان لنوح عطف الله تعالى احد مقوليه على الآخر وان الواو فيه من كلامه تعالى لامن كلام نوح لاستلزامه عطف الانشاء على الاخبار فهو عليه السلام قال كل واحد من القولين من غير عطف احدهما على الآخر فأحدهما قوله رب انهم عصوني وثانيهما قوله لاتزد الظالمين الاضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاوّل بكلمة الواو النائبة عن لفظ قال ﴿ **قوله** ولعل المطلوب ﴾ جواب عما يقال لايليق بالنبي المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلال في امر دينهم وزيادتهم فيه مع انه عليه السلام قد بعث اليهم ليصرفهم عنه ﴿ **قوله** ومامزيدة ﴾ يعني انها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الامن اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية وزيادتها فائدة اخرى وهي تفخيم قبح خطاياهم لانها ابهامية وابهام الشئ يدل على انه مما لايمكن وصفه ولايقادر قدره ﴿ **قوله** وقرأ ابوعمرو مما خطاياهم ﴾ كل واحد من لفظي الخطايا والخطيئات جمع خطيئة الاان الاوّل جمع تكسير والثاني جمع سلامة وقد تقرّر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التي هي افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لايطلق على مادون العشرة الابالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم فلعل اباعمرو انما قرأ خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر الى ان جمع السلامة سوآء كان بالواو والنون او بالالف والتاء لمطلق الجمع كما ذكر في شرح الرضي وهو قوله والظاهر ان كل واحد من جمعي السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشترك كان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى مانفدت كلمات الله ﴿ **قوله** المراد عذاب القبر ﴾ تمسك اصحابنا في اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاوّل ان الفاء في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا تدل على ان الادخال حصل عقيب الاغراق فلايمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم اخلاء اللفظ عن مدلوله الوضعي من غير دليل والوجه الثاني ان قوله تعالى فادخلوا اخبار عن الماضي وهو انما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الآية وقال مقاتل والكلبي معنى الآية انهم سيدخلون في الآخرة نارا وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه كائن لامحالة فكأنه قد كان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ولانه لما تحقق سبب الادخال ومن حق المسبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمتحقق وعبر عنه بلفظ الماضي ولايخفى ان ماذكر انما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ولايكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لاوجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات في ماء او نار واكلته السباع والطير اصابه مايصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشدّ العذاب وعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر ﴿ **قوله** فيعال من الدار او الدور ﴾ يعني ان ديارا على الاوّل احد ينزل الدار ويسكنها على الثاني احد يدور في الارض بان يذهب ويجيئ وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لوكان من الدوران لم يبق على الارض جنيّ ولاشيطان وليس كذلك فينبغي ان يكون من الدار ويكون المعنى اهلك كل نازل دارا وساكنها من الكفار اي كل انسيّ منهم ﴿ **قوله** لافعال والالكان دوّارا ﴾ اي لكان ينبغي ان تفتح واوه ولاتقلب ياء لان اصل دار دور فقلبت واوه ألفا فلما ضعفت عينه كان دوّارا بواو صحيحة مشدّدة اذلاوجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من الدور ﴿ **قوله** قال ذلك لما جرّبهم ﴾ جواب عما يقال كيف عرف انهم لايلدون الافاجرا كفارا حتى دعا في حقهم بان يهلكم الله تعالى جميعا واخبر عنهم بانهم لايلدون الا فاجرا كفارا اي الاماسيكون فاجرا كفارا اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشئ بما سيؤول اليه * وتقرير الجواب انه عليه السلام عرف ذلك بالتجربة والاستقرآء فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم واستقرى احوالهم واخلاقهم حتى قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير في العتوّ والعناد وكأنه عليه السلام عرف ذلك بالاستقرآء عرفه بالنص ايضا قال

وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلية والعجمة (وقد اضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء اوللاصنام كقوله انهنّ اضللن كثيرا (ولاتزد الظالمين الاضلالا) عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لافي امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيئاتهم) من اجل خطيئاتهم ومامزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابوعمرو مما خطاياهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال اولان المسبب كالمعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد نوع من النيران اعدلهم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به مافعل باصل سيد لافعال والالكان دوّارا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) قال ذلك لما جرّبهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم

(قتادة)

قتادة انه عليه السلام دعا عليهم بعدان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن فحينئذ دعا
عليهم بذلك لماأيس من ايمانهم وتيقن باطراد النجاسة فى جيعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله
تعالى دعاءه واهلكهم جيعا * فان قيل مابال صبيانهم اغرقوا * قلنا اغرقوا لاعلى وجه التعذيب كايموتون بسائر
الاسباب فكم من صبى يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة فى تعذيب الآباء والامهات
اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام فى مثله يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى
وقيل لم يكن فيهم صبى وقت العذاب لانه تعالى اخرج كل من يؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم ثم اعقم ارحام
نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا
ويؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال ﴿ قوله لمك بن متوشلخ ﴾
انه عليه السلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ابن يزد بن فهلائيل بن يونس بن
قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل عليه السلام الى قومه وهو ابن
خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة * روى عنه عليه السلام انه
قال اوّل نبى ارسل نوح وارسل الى جيع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جيعا ثم
انه عليه السلام لما دعا باهلاك من علم انه لا يرجى منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين
والمؤمنات الا انه خص نفسه اوّلا بالدعاء ثم ذكر من هو اشدّ اتصالا به ثم ذكر من هو دونه فى الاتصال به لكونهم
اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرّة
اخرى فقال ولا تزد الظالمين الاتبارا اى هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه
من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح فى السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيهم اولاده
الثلاثة وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يغفر له بعدد كل
مؤمن فى الارض حى اوميت ويرد عليه مثل الذى دعالهم من كل مؤمن فى الارض وعن انس انه عليه الصلاة
والسلام قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة فيثنى الله تعالى عليه فى الاوّلين والآخرين خيرا
بدعائه لهم فيؤجره مثل اجورهم اجمعين ولا ينقص من اجورهم شئ كذا فى التيسير * تمت سورة نوح عليه
افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الجن مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وقرئ احى ﴾ يعنى ان القرآءة المشهورة اوحى على لفظ الماضى المبنى للمفعول من باب الافعال وقرئ
وحى بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى يقال وحى اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء
المعنى الى النفس فى خفاء كالالهام وانزال الملك وقرئ احى بضم الهمزة من غير واو واصله وحى قلبت الواو
همزة كما فى اقتت واخرت وهذا القلب جائز فى كل واو مضمومة وجوّزه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح
واعاء اخيه ﴿ قوله تعالى انه استمع ﴾ لاخلاف فى فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه
قائم مقام الفاعل لاوحى وضمير انه للشأن اى اوحى الىّ ان الشأن استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول
استمع لدلالة مابعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرآنا ﴿ قوله والجن اجسام عاقلة خفية ﴾ كثير من الفلاسفة
ينكرون وجود الجن فى الخارج روى ان اباعلى بن سينا حدّ الجن بانه حيوان هوآئى يتشكل باشكال مختلفة
ثم قال وهذا شرح للاسم اى بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سوآء كان
معدوما فى الخارج او موجودا ولم يعلم وجود فيه فان التعريف الاسمى لايكون الا كذلك بخلاف التعريف
الحقيقى فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية فى الذهن وجمهور ارباب الملل المصدّقين بالانبياء قداعترفوا
بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاوّل ان الجن اجسام
عاقلة خفية والقول الثانى انهم ليسوا اجساما واللا جسمانية لايقتضى مشاركتها لذاته تعالى فى ذاتى مشترك
يلزم امتيازها عنه بفصل مميز ويلزم ترك الواجب ثم ان تلك الجواهر المجرّدة مختلفة بالماهية وان كانت
متشاركة فى بعض الاوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخيرات وبعضها دنيئة خسيسة مائلة الى

(رب اغفرلى ولوالدىّ) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى او مسجدى او سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الاتبارا) هلاكا * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

﴿ سورة الجن مكية وآيها ثمان ﴾
﴿ وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اوحى الىّ) وقرئ أحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (انه استمع نفر من الجن) والنفر مابين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوآئية وقيل نوع من الارواح المجرّدة

الشرور والآفات والخيرة فقد تكون منزهة عالية عن تدبر الاجسام بالكلية وهى الملائكة المقربون وقد تكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم صلحاء الجن فانها حسنة مشرقة خيرة والكدرة الشريرة السيئة هى المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالماهية يقدر على افعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر وقيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب ما فى ذلك العالم الروحانى من انكشاف الاسرار الروحانية وان تخلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت فى قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل الغواية فى كل باب من بابى الاعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذى فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن فى افعالها وتدبيرها فى ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة فى النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت فى النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة **﴿ قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ﴾** كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن اى استمع القرآن نفر منهم ووجه دلالة الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم يرهم انه عليه السلام لو رآهم لما استندت معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحى وذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى انه عليه الصلاة والسلام امر بالمسير الى الجن ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه السلام امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معى فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابى دب خط على خطا فقال لا تجاوزه فانك ان فعلت لم ترنى ولم ارك ابدا ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كأنهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصرى فقمت فاومى الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم * قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضى الله عنهم من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امره بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم ويقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم وما عرف انهم ماذا قالوا واى شئ فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا وثالثها ان تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى رسوله ما قالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهى التى ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين وهى قرية باليمن غير التى بالعراق والذين اتوه بنخلة جن غيرهم **﴿ قوله بديعا مباينا ﴾** اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا فى الاصل الا انه ههنا بمعنى العجيب للمبالغة وهو الذى يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث انه يدعو الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره **﴿ قوله وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر ﴾** لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهى مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول وقد اتفق القراء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اتفقوا على فتح الهمزة فى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع وعلى كسرها فى قوله تعالى انا سمعنا والبواقى محمول عليهما فما كان من الموحى مفتوح

وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانه من جملة الموحى به

وماكان من قول الجنّ مكسور فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجنّ فكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهى قوله تعالى قل اوحى الىّ انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله فانهم فتحوا الهمزة فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان فى قوله وان لو استقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحى كأنه قيل اوحى اليه انه استمع وان لو استقاموا والضمير للشأن فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك وقيل لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار فى مثله شائع كثير ﴿قوله ووافقهم نافع﴾ اى فى القرآءة بالكسر فى غير المواضع المستثناة من تلك المواضع وكذا فى قوله وانه لما قام اما على الاستئناف او على كونها من قول الجنّ ﴿قوله وفتح الباقون الكل﴾ لفظ الكل على ظاهره لانه لاخلاف فى كسر ما كان محكيا بعد القول فينبغى ان يكون مراده بالكل كل ما كان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة التخصيص قوله على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار فى المعطوف ولا على لفظ المجرور لان البصريين لايجوّزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فى المعطوف وان اجازه الكوفيون ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لآمنا كان ما عطف عليه ايضا كذلك فكان فى موضع المفرد ففتح فكأنه قيل صدّقناه وصدّقنا انه تعالى جدّ ربنا ﴿قوله مستعار من الجدّ الذى هو البخت الخ﴾ يعنى ان الجدّ فى اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا وفى رواية جدّ فى اعيننا اى جل قدره وعظم يكون بمعنى الدولة والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لاينفع ذا الجدّ منك الجدّ اى لاينفع ذا الغنى غناه وانما تنفعه الطاعة منك وكذلك الحديث الآخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقرآء واذا اصحاب الجدّ محبوسين يعنى اصحاب الغنى فى الدنيا فالجدّ فى الآية يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه او استغناؤه المطلق الذاتى تشبيها لكل واحد منهما ببخت الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمى المشبه باسم الجدّ والبخت على سبيل الاستعارة ﴿قوله والمعنى﴾ اى المراد الاخبار بتعالى جدّه سوآء كان الجدّ بمعنى العظمة او السلطان او استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فهو استئناف لبيان ان المعنى ذلك كأنه قيل وما امارة فردانيته بتعالى الجدّ فقيل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدّا ربنا بنصب جدّا على التمييز من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدّا ثم قدّم المميز كما فى قولك حسن وجها زيد وقرئ جدّ ربنا ايضا بكسر الجيم وهو ضدّ الهزل وضدّ التوانى فى الامور ايضا فالمعنى تعالى صدق ربوبيته وحق الاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد والالهية لايشوبها شئ من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذ ان للحاجة اليهما فى الاستئناس والذكر وبقاء النسل بعد فوت الوالد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا تبرأ اوّلا من الشرك وثانيا من دين النصارى واليهود ﴿قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا﴾ ضمير انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان ايضا والجملة التى بعد كان مفسرة لاسم كان لانه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلابدّ من جملة تفسره فهى فى موضع خبر كان ﴿قوله قولا ذا شطط﴾ يعنى ان الشطط فى نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحدّ والقدر فى اىّ شئ كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لايوصف بانه فى نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحدّ الا على طريق المبالغة كما فى رجل عدل وانما يقال قول شاطط او ذو شطط فقدّر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر مبالغة لفرط ما اشط اى ابعد ذلك السفيه فى ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى ﴿قوله اعتذار﴾ كأنهم قالوا ظننا ان الشان لن تقول الانس والجنّ على الله كذبا فلذلك صدّقنا سفهاءنا فى ان لله شريكا وصاحبة وولدا فلما سمعنا القرءآن وتبين لنا انه الحق علمنا انهم قد كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا فى تلك الجهالة بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر فى آيات الله تعالى ﴿قوله جعله مصدرا﴾ اى مصدرا مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى تقوّلا كأنه قيل لن تقوّل تقوّلا ولايجوز ان يكون صفة لتقوّلا المحذوف المؤكد لفعله لان التقوّل لايكون الا كذبا فلا فائدة فى توصيفه بالكذب وان فيه مخففة من الثقيلة اى ظننا انه والضمير للشأن وكذا ضمير انه فى قوله وانه كان رجال اى وان الشأن كان رجال من الانس ورجال

ووافقهم نافع وابوبكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدّر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدّقناه وصدّقنا انه تعالى جدّ ربنا اى عظمته من جدّ فلان فى عينى اى عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجدّ الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ بيان لذلك وقرئ جدّا بالتمييز وجدّ بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرءآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد ﴿ وانه كان يقول سفيهنا ﴾ ابليس او مردة الجنّ ﴿ على الله شططا ﴾ قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحدّ او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى ﴿ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجنّ على الله كذبا ﴾ اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقوّل لايكون الا كذبا ﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ ﴾ فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه

اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجنّ ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول ثان لزاد واختلفوا فى فاعله فقيل الانس اى فزاد الانس الجنّ باستعاذتهم بهم كفرا وعتوّا حتى قالوا سدنا الجنّ والانس وقطعوا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجنّ اى فزاد الجنّ الانس بذلك طغيانا فى الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم وأمنوا فى منزلهم ظنوا ان ذلك من الجنّ فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والمصنف اشار الى جواز الوجهين وتقديم الوجه الاوّل قال مقاتل اوّل من تعوّذ بالجنّ قوم من اهل اليمن ثم قوم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روى عن رجل انه قال خرجت مع ابى الى المدينة اوّل ماذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدّانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى ياعامر الوادى جارك الله فنادى مناديا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتدّ حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمه فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجنّ خطيئة والرهق الاثم فى كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجنّ اذ كانوا سببا لها او زاد الانس الجنّ كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجنّ كانوا اسبابا لزيادة غيهم ﴿قوله والرهق فى الاصل غشيان الشئ﴾ اى اتيانه على وجه الاستيلاء والاحاطة بالمأتى قال تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة استعمل فيما يأتى من نحو الاثم والشرّ والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال الرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجنّ خوفا من ان يغشاهم الجنّ ثم انهم زادوا فى ذلك الغشيان فانهم لما تعوّذوا بهم ولم يتعوّذوا بالله تعالى استذلوهم واجترأوا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاوّل هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها ﴿قوله والآيتان من كلام الجنّ بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله﴾ الآية الاولى هى قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم فمعناها على ان تكون من كلام الجنّ ماقال مقاتل ان مؤمنى الجنّ لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا الجنّ لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنا مثل ظنكم يامعشر الجنّ ان الشأن لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى او لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرءآن المعجز آمنوا به وصدّقوه فى جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يامعشر الجنّ مثل مافعله الانس ومعناها على ان تكون من جملة الوحى اى وان الجنّ ظنوا كما ظننتم ياكفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجنّ بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجنّ اظهر واولى لان ماقبلهما ومابعدهما من كلام الجنّ وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به الى ان جريان الاحتمالين انما هو على تقدير القرآءة بكسر ان فيهما واما على تقدير القرآءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين ﴿قوله ساد مسدّ مفعولى ظنوا﴾ اعمل الفعل الاوّل وهو ظنوا مع ان ظننتم ايضا يقتضى مفعولين والمختار فى مثله عند البصريين اعمال الثانى ولعل الوجه فى اختياره اعمال الاوّل ان ما فى قوله كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل فلا ينازعه المصدر فيه فتعين اعمال الفعل الاوّل ﴿قوله طلبنا بلوغ السماء﴾ بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى بلوغ السماء وخبرها شبه الطلب باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدّى الى غاية مطلوبه فان اللمس يؤدّى الى ادراك مايدرك باللمس كما ان الطلب يؤدّى الى ادراك المطلوب فسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية ﴿قوله اسم جمع﴾ يعنى ان الحرس بفتحتين اسم مفرد فى معنى الجمع وهو الحرّاس فانه جمع حارس وهو الحافظ كما ان الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد وقوله فوجدناها بمعنى اصبناها وصادفناها فيتعدّى الى مفعول واحد وهو ها وجملة ملئت حال ولابدّ فى مثلها من كلمة قد ظاهرة او مقدّرة وان لم تكن ظاهرة ههنا فهى مقدّرة ويحتمل ان تكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت فى موضع المفعول الثانى اى فعلناها مملوءة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء ماء وشهبا عطف على حرسا وهو فى الاعراب حكمه وهى جمع شهاب وهو الشئ المضئ الذى يتولد من نار الكواكب التى هى زينة للسماء يرى كأنّ كوكبا انقض وترجم به الشياطين لا بانفس الكواكب ومردة الجنّ كانوا يقعدون فى مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء

(فزادوهم) فزادوا الجنّ باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوّا او فزادوا الجنّ الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجنّ او بالعكس والآيتان من كلام الجنّ بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (ان لن يبعث الله احدا) ساد مسدّ مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه تطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حرّاسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار

القائها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة لذلك قالوا فمن يستمع الآن يجد لها شهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب ﴿قوله مقاعد خالية من الحرس﴾ على ان يكون للسمع صلة لنقعد وقوله او صالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد ﴿قوله اى شهابا راصداله﴾ على ان يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولد من نار الكواكب ويكون رصدا مصدرا بمعنى فاعل ومنصوبا على انه صفة شهابا اى شهابا راصدا له ولاجله فان الشهاب لما كان معدّا له صار كأنه راصد له مراقب اياه ليهلكه ﴿قوله او ذوى شهاب راصدين﴾ على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد الحرس ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوى شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوى شهاب راصدين اياه ليرجموه بما معهم من الشهب * فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا * اجيب عنه بان ذكر تينك الفائدتين لا يقتضى اقترانهما بحسب الزمان ويجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روى عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابىّ بن كعب كان ذلك موجودا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده الى ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعدما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث رمى بها فرأت قريش امرا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اولى رأيهم فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لا تعرف فاخبروه فقال فى الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبى فما مكثوا الا يسيرا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجنّ عن استراق خبر السماء رأسا لئلا تلتبس على الناس احوال الرسول المستندة الى الوحى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الآن هو الملء والكثرة وقوله تعالى نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنّ وما رآهم لكنه عليه الصلاة والسلام انطلق فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسل علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شىء حدث فاضربوا فى مشارق الارض ومغاربها فمرّ النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخل يصلى باصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فأوحى الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام قل اوحى الىّ انه استمع نفر من الجنّ رواه الشيخان فى صحيحيهما ﴿قوله تعالى أشرّ﴾ يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن فى الارض خبره وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده اى اريد شرّ وهذا احسن لتقدم طلب الفعل وهو اداة الاستفهام ﴿قوله المؤمنون الابرار﴾ فسر الصالحين بهم اى الابرار الكاملين فى الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة مبتدأ محذوف اى ومنا قوم دون ذلك فى الصلاح وهم مقتصدون وما يكون ارفع من المقتصدين الابرار ويجوز ان لا يكون ظرفا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن اى ومنا غير الصالحين وهذا قول الجنّ اى قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بسيد المرسلين انا كنا قبل استماع القرآن دون الصالحين اى مؤمنين دون الطبقة الاولى فى اعمال الخير اذ المؤمنون بالانبياء المتقدمين متقدمون فى اعمال الخير وما احدثنا بايماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام ما لم يكن فى جنسنا ويدل عليه انه كان فى زمن موسى وعيسى

(وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه من الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مرّ بيان ذلك فى الصافات (وانا لا ندرى اشرّ اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) اى دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون

عليهما الصلاة و السلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فهذا ترغيب منهم فى الايمان لمن رجعوا اليهم منذرين ﴿ قوله ذوى طرآئق ﴾ لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرآئق و مذاهب اوّله بثلاثة اوجه الاوّل تقدير ما اضيف الى طرآئق و الثانى حمل الكلام على التشبيه البليغ و الثالث تقدير ما اضيف الى اسم كان و تقدير موصوف قددا اى كانت طرآئقنا طرآئق قددا و قيل تقدير الكلام كنا فى طرآئق مختلفة كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * فحذف الجار و اوصل الفعل قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين و يهودا و نصارى و مجوسا و قال الحسن الجنّ امثالكم فمنهم قدرية و مرجئة و رافضة و شيعة ﴿ قوله علمنا ﴾ يعنى ان الظنّ هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لا يفوت الله تعالى و لن يسبقه سوآء كان مستقرّا فى الارض او هاربا منها الى السماء من العقائد الدينية التى يجب الايمان بها و الايمان لا يحصل بالظن فلذلك فسره باليقين و قوله بالارض و هربا حالان من فاعل نعجز اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها و هاربين منها الى السماء و لن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا سوآء كنا ساكنين مستقرّين فى الارض او هاربين فيها من موضع الى آخر و محصول المعنى على الوجه الثانى ان الفرار و عدمه سيان فى ان شيأ منهما لا يفيد فواتنا عن نفاذ ارادته فينا و فائدة ذكر الارض حينئذ الاشارة الى ان الارض مع سعتها و انبساطها ليست منجى منه تعالى و لا مهربا و يحتمل ان تكون اللام على الوجه الثانى للعهد اى لن نعجزه سوآء ثبتنا فى ارضنا التى نسكن فيها ام هربنا منها الى موضع آخر و اللام على الاوّل لاستغراق اجزآء الارض و المهروب اليه العالم العلوىّ المباين للارض ﴿ قوله فهو لا يخاف ﴾ قدر المبتدأ و جعل قوله لا يخاف خبرا عنه و جعل الجملة الاسمية المصدّرة بالفاء جزآء الشرط و الجزآء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لما لم يؤثر فى الجزآء من حيث الاعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الاعراب وجب دخول الفاء لتدل على انها جزآء الشرط ﴿ قوله و قرئ فلا يخف ﴾ على ان لا ناهية و صحبت الفاء الدالة على الجزآئية لما تقرّر ان الجزآء اذا كان جملة طلبية كالامر و النهى يجب مقارنتها لعلامة الجزآء و لا يجوز كونها نافية و الا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزآء و دلالته على الجزائية ﴿ قوله و الاوّل ادل على تحقيق نجاة المؤمن و اختصاصها به ﴾ جواب عن قول صاحب الكشاف * فان قلت اى فائدة فى رفع الفعل و تقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له و وجوب ادخال الفاء و كان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما فى قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم * و تقرير الجواب نعم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوّى الحكم و تقريره فى ذهن السامع بسبب تكرار الاسناد الحاصل بسبب تقديم المسند اليه و تخصيص الخبر الفعلى بالمسند اليه المتقدّم بحيث لا يشاركه فيه غيره و ليس المراد بقوله و اختصاصها به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوّى و التخصيص لان اجتماعهما فى مثل هو عرف و انت أنت عرفت خلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر و السكاكى و انما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدّم كان مؤخرا على انه فاعل معنى ثم قدّم ليفيد التخصيص و اما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوّى ﴿ قوله او جزآء بخس ﴾ بتقدير المضاف اى لا يخاف جزآء بخس و لا جزآء رهق على ان البخس و الرهق من افعال المكلف لا من افعال البارى تعالى كما فى الاوّل ﴿ قوله و انا منا المسلمون الآية ﴾ من كلام الجنّ لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام ببيان احوال الفريقين اى منا بعد استماع القرآن من اسلم و منا من كفر و القاسط الجائر لانه عادل عن الحق و المقسط العادل لانه عادل عن الجور يقال قسط اذا جار و اقسط اذا عدل * روى ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول فىّ قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط و العدل فقال الحجاج يا جهلة جعلنى جائرا كافرا و تلا قوله تعالى و اما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون و ههنا تم اقوال الجنّ و قوله تعالى و ان لو استقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اى اوحى الىّ ان الشأن استمع نفر من الجنّ و ان الشأن لو استقاموا على طريقة الاسلام لوسعنا عليهم فى الدنيا و بسطنا لهم فى الرزق و كلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون و الغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر العين فى الماضى و فتحها فى المضارع اذا غزر و صف به الماء للمبالغة فى غزارته كرجل عدل ﴿ قوله تعالى يسلكه عذابا ﴾ اصله يسلكه فى عذاب لقوله تعالى ما سلككم فى سقر و قولهم سلكت الخيط فى الابرة فحذف الجار و اوصل الفعل كما فى قوله تعالى و اختار موسى قومه و الصعد مصدر صعد يصعد صعدا و صعودا و صف به العذاب لانه يصعد المعذب اى يعلوه و يغلبه فلا يطيقه

(كنا طرائق) ذوى طرآئق اى مذاهب او مثل طرآئق فى اختلاف الاحوال او كانت طرآئقنا طرآئق (قددا) متفرّقة مختلفة جمع قدّة من قدّ اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (ان لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا او لن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) اى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف و قرئ فلا يخف و الاوّل ادل على تحقيق نجاة المؤمن و اختصاصها به (بخسا و لا رهقا) نقصا فى الجزآء و لا ان ترهقه ذلة او جزآء بخس و لا رهق لانه لم يبخس حقا و لم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان تجتنب ذلك (وانا منا المسلمون و منا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق و هو الايمان و الطاعة (فمن اسلم فاولئك تحرّوا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وان لو استقاموا) اى ان الشان لو استقام الجنّ او الانس او كلاهما (على الطريقة) المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق و تخصيص الماء الغدق و هو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش و السعة و لعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه و قيل معناه ان لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة و لم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة و نعذبهم فى كفرانه (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته او موعظته او وحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب و يغلبه مصدر وصف به

قوله عذابا صعدا يعني ذا صعد ومشقة او عذابا صاعدا شاقا قدمر ان القرآء السبعة اتفقوا على فتح ان في قوله تعالى
وان المساجد لله على انه من جملة الموحى به والفاء في قوله فلا تدعوا سببية اي اذا كان الامر كذلك فلا تعبدوا فيها
غيره وذهب الخليل الى ان تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا
مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته فالمصنف اشار الى ضعفه بانه حينئذ يلزم الغاء فائدة الفاء
السببية لان معنى السببية يستفاد حينئذ من لام التعليل عن قتادة قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا
كنائسهم وبيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص المسلمون له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم ﴿قوله لانه قبلة
المساجد﴾ تعليل لاطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام او المساجد في قوله قبلة المساجد جمع مسجد
بفتح الجيم وهو مصدر ميمي بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود يعني ان المسجد الحرام وان كان مكانا
معينا الا ان له تعددا اعتباريا من حيث ان كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد في سجدته الى جزء من
اجزآئه فكان المسجد الحرام مساجد باعتبار كون اجزآئه جهات السجود ﴿قوله ومواضع السجود﴾ على
ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله وآرابه السبعة وقوله
والسجدات ووجد في بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وفسرت بمواضع السجود
على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وبآرابه السبعة وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اي بفتح الجيم
متعلق بالتفاسير الاربعة المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الى آخره فان المسجد بالفتح يصح ان يكون مصدرا
بمعنى السجود واسما لمكان السجود اي ما يسجد عليه من الآراب السبعة فانها مواضع السجود من الجسد
قال عطاء مساجد اعضائك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام امرت ان
اسجد على سبعة آراب وهي الوجه واليدان والركبتان والقدمان والآراب الاعضاء جمع ارب وهو العضو واصله
أأراب بهمزتين كجمل واجمال والمساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان الاصل في المصدر
ان لا يثنى ولا يجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات
السجود ﴿قوله وانما ذكر لفظ العبد﴾ يعني ان الظاهر ان يقال وان الشأن لما قمت ادعوه اي اعبده كادوا
يكونون علي لبدا لان هذا الكلام من جملة الموحى به الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع
والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدا له ﴿قوله او كاد الجن والانس﴾ عطف على قوله
كاد الجن الاول على ان يقرأ وانه بفتح الهمزة ويكون الكلام من جملة الموحى به والثاني على ان يقرأ بكسر الهمزة
وهي قرآءة نافع وابي بكر على انه ابتدآء كلام من الله تعالى او على انه من قول الجن لقومهم بان قالوا حين رجعوا
اليهم لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي كاد كفار الانس والجن يتلبدون ويتظاهرون عليه ليبطلوا الحق
الذي جاء به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة
والطعن عليهم في اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن اظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقا
لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود ترغيب قومهم في قوله
والانقياد له ﴿قوله وهو جمع لبدة﴾ يعني ان الجمهور قرأوا لبدا بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة
كقربة وقرب واللبدة الشيء المتلبد اي المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعة متراكبة
مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدا في جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء
مخففة وهو جمع لبود كصبر في جمع صبور ﴿قوله يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي﴾ لف ونشر مرتب فاذا
كان معنى الآية المتقدمة واوحي الي لما قمت اعبد الله كاد الجن تلبد علي وتعجب مما رأوا من عبادتي لله تعالى وحده
متبرئا من الشرك والاوثان كما هو دأبهم لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره فلا جرم ازدحموا عليه
متعجبين يكون معنى قوله قال انما ادعو ربي انه عليه السلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا
ليس ما ترون من عبادتي لله تعالى ورفضي الاشراك به يتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له
شريكا وان كانت الآية المتقدمة ابتدآء كلام من الله تعالى او من قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن
يزدحمون عليه ويتظاهرون لابطال امره يكون معنى الثانية انه عليه السلام قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي
اي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي

(وان المساجد لله) مختصة به (فلا تدعوا
مع الله احدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل
ان مقدرة باللام علة للنهي ألغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها
جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا
وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد
ومواضع السجود على ان المراد النهي
عن السجود لغير الله وآرابه السبعة
والسجدات على انه جمع مسجد (وانه لما قام
عبد الله) اي النبي وانما ذكر لفظ العبد
للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه
والاشعار بما هو المقتضي لقيامه (يدعوه)
يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون
عليه لبدا) متراكبين من ازدحامهم عليه
تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قرآءته
او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين
لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد
بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر
لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ
لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر
جمع لبود (قال انما ادعو ربي ولا اشرك به
احدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب
تعجبكم او اطباقكم على مقتي

وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي على قرآءة حمزة وعاصم ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله ادعو ربي فحكى الله تعالى عنه بقوله قال

﴿قوله ولا نفعا﴾ اي يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضرّ بمعنى الكفر والغي على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان الرشد سبب النفع والضرّ مسبب عن الغي وعبر به حتى يكون في تقدير الكلام اشعار بالمعنيين الاوّل لا املك لكم ضرّا ولا نفعا والثاني لا املك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضارّ والمرشد والمغوي هو الله تعالى وان احدا من الخلق لاقدرة له عليه فاني وان اردت منكم الاهتدآء والرشد بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الغي بالكفر والعصيان فانكم قابلتموني بالمخالفة والتظاهر على عداوتي وبغضي فليس في يدي ادخالكم في الرشد ولا ابقاؤكم في الكفر والغي وليس في يدي ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغي ولا نفعكم بالاثابة على الرشد والايمان ﴿قوله منصرفا وملتجأ﴾ يقال ألحد في دين الله والتحد فيه اي مال عنه وعدل ويقال للملجأ ملتحد لان اللاجئ يميل اليه اي لن ينقذني مما قدّر الله تعالى عليّ من السوء احد ان استحفظته ولن اجد من دونه ملتحدا لاعدل اليه الا هو ﴿قوله فان التبليغ ارشاد وانفاع﴾ يعني انه استثناء متصل من قوله لا املك لكم ضرّا ولا رشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض تأكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله لا املك ﴿قوله او من ملتحدا﴾ اي لن اجد موضعا اميل اليه في الالتجاء الا بلاغا اي لا ينجيني ولا يجيرني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به ﴿قوله اومعناه ان لا ابلغ بلاغا﴾ على ان لا يكون الكلام استثناء بل شرط والاصل ان لا فادغم فان شرطية فعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولا نافية والمعنى ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط وابقاء اداته قليل جدّا وقد انضم اليه في الآية حذف الجزآء لان نفس الجزآء لا يتقدم على الاداة عند البصريين ﴿قوله عطف على بلاغا﴾ كأنه قيل لا املك الا التبليغ والرسالة ومن الله صفة بلاغا اي بلاغا كائنا من الله تعالى وليست كلمة من متعلقة بقوله بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور انما هي كلمة عن دون من ﴿قوله في الامر بالتوحيد﴾ اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان ومخالفة الامر سوآء كان عصيان الكفر او عصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بانه مخلد في النار ابدا فثبت مدّعى جمهور المعتزلة * وتقرير الجواب عن استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان الا انه قد تقرّر ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرآئن المتعاقبة والعصيان المذكور في الآية من هذا القبيل فان المقصود من امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لمشركي قريش ايها المصرّون على الشرك قد اوحي اليّ ان الشأن استمع هذا القرآن نفر من الجنّ فآمنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كأنه قيل مالكم تصرّون على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجنّ قد آمنوا بالقرآن وتبرأوا من الشرك اوّل استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكأنه قيل ومن يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصرّ على الشرك والضلال فانه مخلد في النار ابدا فليس في الآية دليل على ما ادّعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين ﴿قوله والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني﴾ اي المشار اليه بقوله او كاد الجنّ والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجنّ والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا من وقعة بدر واظهار دين الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاوّل وقيل اي يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا وسمعوا تعين كون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم

وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده (قل اني لا املك لكم ضرّا ولا رشدا) ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين (قل اني لن يجيرني من الله احد) ان ارادني بسوء (ولن اجد من دونه ملتحدا) منحرفا وملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فأن على فجزاؤه أن (خالدين فيها ابدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) هو أم هم

بعددهم والمعنى لايزالون على هذه الحال حتى اذا رأوا ماوعدون يتبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن فى قوله تعالى من اضعف يجوز ان تكون موصولة فى موضع النصب بقوله فستعلمون ويكون اضعف خبر مبتدأ محذوف اى فستعلمون الذى هو اضعف وان تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء واضعف خبرها والجملة فى موضع النصب سادّة مسدّ مفعولى العلم لانها معلقة للعلم قبلها وناصرا وعددا منصوبان على التمييز قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ماوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذى توعدنا به فأنزل الله تعالى قل ان ادرى أقريب ماعدون الآية والمعنى ان وقوعه متعين متيقن به واما وقت وقوعه فغير معلوم لنا ﴿قوله تعالى أقريب﴾ خبر مقدّم وماتوعدون مبتدأ ويجوز ان يكون أقريب مبتدأ وان لم يكن مسندا اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وماتوعدون فاعل له سدّ مسدّ الخبر وما موصولة والعائد محذوف اى أقريب الذى توعدونه نحو أقائم الزيدان* فان قيل أليس قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لاادرى اقريب هو ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان مابقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه فى اىّ ساعة فغير معلوم ﴿قوله على الغيب المخصوص به علمه﴾ اخذه من اضافة الغيب الى ذاته المقدّس فان الاضافة تفيد اختصاص المضاف اليه بين اوّلا انه تعالى عالم بجميع ماغاب عن حس الخلق بناء على ان اللام فى الغيب للاستغراق ثم بين انه لايطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا للاشارة الى ان مالايختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول اما بواسطة الانبياء عليهم الصلاة والسلام او بنصب الدلائل وترتيب المقدّمات او بان يلهم الله تعالى بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة الملك والحمل على هذا المعنى متعين للقطع بان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية انه تعالى لايطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قديطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه الصلاة والسلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبر بظهور نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ظهور زمانه ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين وارباب الملل والاديان مطبقون على علم التعبير والمعبر قديخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا به ﴿قوله ويستدل به على ابطال الكرامات﴾ وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب الكرامات من الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالاطلاع على ماسيقع فى المستقبل من المغيبات* وتقرير الجواب ان المراد بالرسول الملك وبالاظهار مايكون بغير واسطة فاللازم من الاستثناء ان يختص الاظهار بغير واسطة بالملك وذلك لاينافى اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب تلقيا من الملائكة الهاماتهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم ان يكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلايكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد اشتهر بين العلماء انه تعالى يطلع رسله على مايشاء من الغيب ليستدل على نبوّتهم بالآية المعجزة وهى الاخبار عن الغيب على ماهو به والاظهر فى الجواب ان يقال الرسول من البشر يتلق من الملك بالذات والولى لايتلق بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبى فلاحاجة الى تخصيص الرسول بالملك لان معنى الآية لايطلع على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه عليه بواسطة ان يتلقاه من الملك وبالذات ولايطلع الولى عليه بان يتلقاه من الملك بالذات وذلك لاينافى ان يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم مع انه يجوز ان يتلق النبى الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المصنف فى قوله تعالى آخر حمعسق وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا حيث قال ان المراد بالوحى مابهم الشافه به كما روى فى حديث المعراج والاسرآء فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبى على بعض المغيبات بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك وقوله على الغيب المخصوص به علمه قسيم مانصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذى يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال فانه يسلك اى يدخل من بين يديه اى يدى الرسول ومن خلفه رصدا اى حرسا من الملائكة يحفظون الوحى من ان يسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول ﴿قوله اى ليعلم النبى الموحى اليه﴾ فقوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل

(قل ان ادرى) ماادرى (اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدّتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ماوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لامحالة ولكن لا ادرى وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلايطلع (على غيبه أحدا) اى على الغيب المخصوص به علمه (الا من ارتضى) بعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن ويستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حرّاسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قدابلغ جبرآئيل والملائكة النازلون بالوحى

اخبرناه بحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر ان رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هي ﴿قوله او ليعلم الله﴾ اى ليعلم ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هي اى يعلم تبليغهم الرسالات كما هي موجودة واصل المعنى ليبلغ الانبياء رسالات ربهم كما هي محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هي لكونه ابلغ فى الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازماله ومتفرّعا عليه وقد تقرّر ان ذكر الشئ كناية ابلغ من التصريح به وقوله ليتعلق علمه به موجودا مبنى على ان نفس علم الله تعالى ليس مما يتفرّع على وجود شئ من الحوادث بل المتفرّع عليه هو تعلقه بالاحوال الحادثة على حسب ماهى عليه والتبدل والتغير انما هو فى المعلوم لا فى العلم فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئى فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد وتعدم ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذى يتعلق به الجزآء وذلك هو العلم بكونه موجودا قيد التبليغ بقوله موجودا فقال ليتعلق علمه به موجودا والعلم انما يتعلق بالتبليغ موجودا حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه سيقع لا يتعلق به الجزآء * تمت سورة الجنّ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿سورة المزمل مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وبالمزمل﴾ اى بتخفيف الزاى وفتح الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذى زمله غيره وبكسر الميم وتخفيف الزاى ايضا اى المزمل نفسه فحذف المفعول من زمله فى ثوبه اى لفه فيه وتزمل فى ثيابه اى تدثر وتلفف فيها وازدمله اى احتمله والزمل الحمل ﴿قوله لانه كان نائما او مرتعدا﴾ قيل كان عليه الصلاة والسلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه تلك الحالة التى كان عليها من التزمّل للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن وقيل يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية امره عليه الصلاة والسلام ان يختار التهجد على التزمّل ويؤيد هذا المعنى امره عليه الصلاة والسلام بالقيام الى الصلاة بعده وهو قوله تعالى قم الليل اى قم للصلاة وقيل كان فى اوّل ما اوحى اليه كما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى فأتى اهله وقال زملونى دثرونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل عليه السلام وناداه وقال يا أيها المزمّل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس بتهجين لحاله بل كان تهوينا عليه وتحسينا لحاله اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان متزملا فى مرط لعائشة رضى الله عنها وهو يصلى قيل عليه ان هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه الصلاة والسلام قد بات فى بيت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهى طفلة والباقى على النبى صلى الله عليه وسلم وليس فى هذه الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها روى انه تزوجها فى شوّال سنة عشرين من النبوّة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهى بنت سبع سنين فنداؤه صلى الله عليه وسلم بالمزمّل تحسين لحاله التى كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة ﴿قوله اى قم الى الصلاة او داوم عليها﴾ الاوّل على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثانى على ان يكون للتحسين ﴿قوله وقرئ بضم الميم﴾ يعنى قرأ العامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف للقيام ان استغرقه الحدث الواقع فيه وحدّ الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل لا فى الجزء القليل منه وهو نصفه او انقص القيام من نصفه او زد عليه كأنه قيل قم نصف الليل او انقص من النصف او زد عليه وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه ﴿قوله وقلته بالنسبة الى الكل﴾ اى لا بالنسبة الى النصف الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولا يتصوّر ان يكون اقل منه ﴿قوله او نصفه بدل من الليل﴾ بدل البعض من الكل وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدّم عليه كأنه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه لما هو اقل من النصف يكون المعنى حينئذ النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان يقوم فيما هو اقل من

او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (واحاط بما لديهم) بما عند الرسل (واحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كل جنىّ صدّق محمدا او كذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة آية او عشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المزمل) اصله المتزمّل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدأ الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرّن بعد فى قيام الليل او من تزمّل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوّة (قم الليل) اى قم الى الصلاة او داوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف (الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف

النصف كالثلث و بين ان يقوم فيما هو انقص من ذلك الاقل كالربع و بين ان يقوم فيما هو ازيد منه كالنصف ﴿قوله او النصف﴾ عطف على قوله للاقل من النصف اى على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل و يكون الاقليلا مستثنى من نصفه يجوز ان يكون ضمير منه و عليه للنصف و يكون المعنى حينئذ قم اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان تقوم الثلث مثلا اوزد على النصف و يفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير بين ثلاثة امور لان فيه حرفى عطف و ليس كذلك اذ ليس ههنا الا امران فقط و هما اما القيام فى اقل من النصف او فى ازيد منه لان مدلول قولنا قم نصف الليل الاقليلا و قولنا او انقص من نصفه واحد فلم يبق الا الامران فقط فلذلك جعل احد شقى التخيير ان يقوم فيما هو اقل من نصف الليل على البت و جعل شقه الآخر ان يختار احد الامرين و هما القيام فيما هو اقل من النصف و القيام فيما هو اكثر منه ﴿قوله او الاستثناء من اعداد الليل﴾ عطف على قوله و الاستثناء من الليل جوّز اوّلا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل و اجزآئه بان يكون تعريف الليل لاستغراق اجزآئه ثم جوّز ان يكون من افراده و اعداده كأنه قيل قم فى جميع الليالى الاقليلا من افرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين مايقوم به من اجزآء الليل بان خيره بين قيام النصف و الناقص منه و الزآئد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى و قصرها فالنصف اذا استوى الليل و النهار و النقص منه اذا قصر الليل و الزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ و اختلفوا فى سبب النسخ فقيل انه كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه و على المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة فكان الرجل لايدرى فى اىّ مقدار من الليل صلى و كم بقى منه فكان يقوم الليل كله مخافة ان لايحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحم الله تعالى و خفف عنهم فنسخ فريضته بقوله فى آخر هذه السورة فاقرأوا ماتيسر من القرآن وكان بين ايجاب قيام الليل و بين نسخه سنة كاملة و قيل سنتان ﴿قوله ثغر رتل ورتل﴾ هو بفتح التاء و كسرها و ثنايا مفلجة متباعد ماينها يقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل و ترتيلا مصدر مؤكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل اكد ايجابه بالمصدر ليعلم انه لابدّ للقارئ منه ليتمكن هو و من حضره من التأمل فى حقائق الآيات و يستشعر عظمة الله تعالى و جلاله عند الوصول الى ذكر الله و يقع فى الخوف و الرجاء عند الوصول الى آية الوعد و الوعيد فحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى و ينفتح عليه اسرار الكلام الالهى ﴿قوله و الجملة اعتراض﴾ اى بين قوله ياايها المزمّل قم الليل الاقليلا و بين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق بالاوّل مناسب له فوسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد فكأنه تعالى قال انما امرتك بقيام الليل لانا سنلقى عليك قولا ثقيلا فلابدّ لك ان تسعى فى صيرورة نفسك مستعدّة لتلقى ذلك القول العظيم و ذلك الاستعداد لاتحصل الابصلاة الليل فان النفس تستعدّ بها لقبول الفيض الالهى من حيث ان الشواغل الحسية و العوآئق الجسمانية تكون ساكنة فى الليلة الظلماء فاذا اشتغل الانسان فيها بعبادة ربه و ترتيل كلامه يتنور قلبه و يتقوّى روحه فيزداد مناسبة و اتصالا بعالم الغيب فيستعد لتلقى المعارف الآلهيه و الالهامات الربانية ﴿قوله و يدل على انه﴾ اى التهجد عطف على قوله يسهل يعنى ان الفائدة الثانية للاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التى يشتمل عليها القرآن فعليك بملازمة هذا التكليف و الاستئناس به لئلا يثقل عليك امثاله ﴿قوله مشق﴾ بالميم الظاهر انه تحريف من الناسخين و الاصل شق بكسر الشين و هى الشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس يقال شق على الشئ يشق شقا و مشقة و الاسم الشق بالكسر و لم يسمع اشق علىّ فهو مشق ﴿قوله اورصين﴾ اى محكم ثابت و هو عطف على قوله ثقيل على المكلفين و الرزانة الوقار و الثقل يعنى او ان ثقله عبارة عن بلاغته و اعجازه بحسب النظم و دقة المعانى فالثقل على الاوّل راجع الى ثقل العمل به و على هذا الى ان جهات حسنه و كماله ثابتة مستقرّة لاتزول ابدا كثبوت الشئ الثقيل فى محله ﴿قوله فيفصم﴾ اى يقلع يقال افصم المطر اى اقلع و انجلى ﴿قوله ليرفض﴾ اى يرشح عرقا ﴿قوله و على هذا﴾ اى على ان يكون قولا ثقيلا صفة للمصدر لاللمفعول به اى سنلقى القاء ثقيلا و قول الشاعر

✻ نشأنا الى خوص برى نيها السرى ✻ و ألصق منها مشرفات القماحد ✻

نشأنا اى قمنا و الخوصاء الناقة الغائرة العينين و الذكر اخوص و جمعهما خوص و النى بفتح النون الشحم و اللحم

او النصف و التخيير بين ان يقوم اقل منه على البت و ان يختار احد الامرين من الاقل و الاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام و التخيير بين قيام النصف و الناقص منه و الزآئد عليه (و رتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة و تبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدّها من قولهم ثغر رتل و رتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها و يحملها امته و الجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد و يدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه و متانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السرّ و تجريد النظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار و الفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و ان جبينه ليرفض عرقا و على هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر و الجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعدّ للنفس مابه يعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ✻
و ألصق منها مشرفات القماحد ✻

يقال ناقة ناوية اى سمينة ونوق اى سمين وبرى اى اذهب واذاب من برى القلم بريا وبريت البعير اذا حسرته واذهبت لحمه والسرى سير الليل والصق اى طأطأ ونكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحدوة وهى القفا الذى هو مؤخر الرأس ومعقد الازار والمعنى قنا الى نوق غائرات الاعين اذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال اى قنا اليها ورحلناها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اى النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة ﴿قوله او قيام الليل﴾ على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذا قام ﴿قوله او ساعات الليل﴾ على ان تكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ * الجوهرى ناشئة الليل اوّل ساعاته يقال نشأ يفعل كذا اذا ابتدأ واقبل شيأ بعد شئ فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل مابين المغرب الى العشاء لان ناشئة الليل هى الساعة التى منها يبتدأ انشاء الليل وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلولم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة ﴿قوله اى كلفة او ثبات قدم﴾ تفسير ان لو طئا بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشئ اذا داسه برجله او جعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشدّ وطئا من التى تقوم بالنهار على ان يكون الوطئ عبارة عن الكلفة والثقلة كما يقال اشتدّت على القوم وطأة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملته معهم وفى الحديث * اللهم اشدد طأتك على مضر * والمقصود من الحكم بان النفس التى تنشأ بالليل من مضجعها اشدّ كلفة بيان انها اكثر ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدّة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام * افضل العبادات احمزها * اى اشقها او على ان تكون عبارة عن ثبات القدم فان النهار زمان التقلب للمعاش وتكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها فيكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام به فانه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة ﴿قوله اى مواطأة القلب﴾ تفسير لقرآءة ابى عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ومدّ الالف لان المواطأة هى الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته فان فسرت ناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى انها اشدّ من جهة مواطأة القلب اللسان لها وان فسرت بقيام الليل او بالعبادة الناشئة بالليل او بالساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة او المبتدأة يكون المعنى ان الناشئة باحد المعانى اشدّ من جهة موافقة قلب القائم لسانه فى تلك الناشئة ﴿قوله واسدّ مقالا او اثبت قرآءة﴾ يعنى انه يجوز ان يكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام بمعنى الثبات والاستمرار وهدوء الاصوات سكونها يقال هدأ هدأ وهدوءا سكن واهدأه غيره اسكنه والسبح التصرّف فى المعاش والتقلب فى الامور ومنه السباحة فى الماء وسبخ الصوف والقطن جعله منفوشا لتفتت اجزآئه وتيسير غزله ﴿قوله وجرد نفسك عما سواه﴾ اشارة الى ان تبتيلا مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام تبتل اليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلا ﴿قوله ولهذه الرمزة﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهى ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه تعالى وذلك لا يحصل الا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه فذكر اوّلا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابدّ منه وان كان مقصودا بالعرض لا بالذات لانه نوع تعلق بغير الله فلا يكون مقصودا لذاته وفى وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل ايضا ﴿قوله فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور﴾ لان جميع ماسواه يكون ممكنا محدثا محتاجا الى غيره فكيف يصلح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لا اله الا هو لاجرم يفوض جميع الامور اليه ومن لا يفوّض ذلك اليه فهو لا يعلم بحقيقة لا اله الا هو ومن اتخذه وكيلا يستريح من معارضة زيد وعمرو والاغتمام على مافاته من المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع فى دائرة التسليم والرضى فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملته مع ربه من اوّل السورة الى هنا اتبعه ببيان كيفية معاملته مع الخلق فقال واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا مايجد منهم الايذآء والمنافرة فيعتريه بسبب ذلك الغموم

او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث به او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاوّل من نشأت اذا ابتدأت (هى اشدّ وطئا) اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص (واقوم قيلا) واسدّ مقالا او اثبت قرآءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرّق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزآئه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل مايذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقرآءة قرءآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرّد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجرّ على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور (واصبر على مايقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله

فلابدّ لاهل الاختلاط من الصبر الجميل وترك المخالطة بان يخالفهم فى افعالهم السيئة ولايخاصمهم ولايسمعهم القبيح وينصح لمن رجا منهم القبول وذلك هو الهجر الجميل فقد أستراح منهم ثم لما خطر بالبال ان من بعث لدعوة الخلق وارشادهم كيف يهجر المكذبين مع ان تهديدهم بالمجازاة على الكذب ادخل فى ظهور آثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله وذرنى والمكذبين يعنى نعم ان الامر كذلك الا انه ينبغى ان تكل امر مجازاتهم الىّ وان لاتهتم بهم وانا اكفيكهم وقوله تعالى والمكذبين يجوز ان يكون انتصابه على انه مفعول معه او على انه معطوف على ياء المتكلم فى ذرنى والاوّل هو الانسب بالمقام والثانى اوفق بصناعة العربية لان المتبادر من نحو قولك ضربت زيدا وعمرا انما هو مجرّد مشاركة الواو لماقبلها فى ملابسة معنى العامل بكل واحد منهما وهو معنى العطف ولايفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية وانما يفهم ذلك اذا كان الفعل المذكور قبلهما لازما فانه اذا كان لازما يكون مابعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب نصا على قصد المعية والمصاحبة فى ملابسة الفعل فان العطف لايدل الا على ان مابعد الواو مشارك لما قبلها فى ملابسة الفعل لكل واحد منهما والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل ايضا على كون تلك الملابسة فى زمان واحد مثلا اذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيد مشاركا للمتكلم فى ملابسة السير لكل واحد منهما وفى وقوعهما معا بخلاف ما اذا قلت سرت انا وزيد بالعطف فانه انما يدل على مشاركتهما فى السير فقط ولايدل على المعية فيه فظهر ان النصب انما يكون نصا على المعية والمصاحبة اذا كان الفعل لازما وذرنى فى الآية متعدّ والنعمة بفتح النون التنعم وهو مطاوع نعم يقال نعّمه الله وناعمه فتنعم والنعمة بالكسر ماانعم به عليك ﴿قوله تعليل للامر﴾ اى بالامهال فان تعداد ماعنده من اسباب التعذيب بيان لاقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة فى مهواة وهى مابين الجبلين والغصة الشجى ومايقف فى الحلق ولاينساغ فيه والطعام ذو الغصة هو الطعام الذى يقف فى الحلق لاينزل ولايخرج وتنكير عذابا وابهام كيفيته يدل على كونه فى نهاية الهول والشدّة بالنسبة الى ماتقدم عليه من الامور الثلاثة وكونه للتهويل لاينافى كونه للنوعية ﴿قوله فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات﴾ بيان لكون تلك العقوبات مما يصح ان يعاقب بها الارواح ولم يتعرّض لبيان كونها عقوبات للاشباح لظهوره واستغنائه عن البيان وكون الارواح العاصية بعد مفارقتها عن الابدان باقية على التقيد بحب الشهوات والتعلق بها المانع من التخلص الى عالم المجرّدات بمنزلة الانكال والقيود المانعة عن الوصول الى ماهو من المشتهيات ثم يتولد عن تلك القيود الروحانية روحانية شبيهة بالجحيم فان شدّة ميلها الى مافارقت عنه من الشهوات الدنيوية وعدم تمكنها من الوصول اليها يوجب حرقة شديدة وروحانية شبيهة بالاحراق بنار الجحيم وهى حرقة فراق المشتهيات ويصير تألم الروح بألم هذا الفراق على الاستمرار والدوام بمنزلة طعام ذى غصة لايسوغ ولايخرج من الحلق ثم حرمانه من ان يتجلى له نور جمال الله تعالى ويتلذذ بالمعارف الالهية والاسرار الربانية وينخرط فى سلك المقربين عذاب اليم اشدّ عليه من جميع العقوبات الثلاث ﴿قوله فسر العذاب﴾ جواب لما اشار به الى ان اللائق بهذا المفسر ان يفسر العقوبات الثلاث الاول بمايعم العقوبات الروحانية وان يكون ماذكره من تفسير العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى للاشارة الى كون العذاب متناولا له كما يتناول العذاب الجسمانى ﴿قوله منثورا﴾ اشارة الى ان مهيلا اسم من هلت الشئ اذا صببته من غير كيل وحساب اى تكون الجبال بعدما كانت اوتاد الارض قطعة مجتمعة كالرمل المهيل لاتماسك اجزاؤها بل تصير شيأ منثورا اى متفرّق الاجزاء بان ينسف الله تعالى اجزاءها اى يقلع بعضها من بعض ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحرّكها كما قال ويوم نسير الجبال فعند ذلك تصير مهيلا اى رملا سائلا متناثرا ثم انه تعالى لما خوّف المكذبين اولى النعمة باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا الآية فان المقصود تهديد اهل مكة بالاخذ الوبيل وان فى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيعا لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لالكونه عصيان موسى وفيه ان عصيان المخاطبين افظع وادخل فى الذم اذ ازداد لهذا الرسول وصفا آخر اعنى شاهدا عليكم وادمج فيه انهم لو آمنوا لكانت الشهادة لهم لاعليهم ﴿قوله تعالى فكيف تتقون﴾ مرتب على الارسال الذى ترتب عليه عصيانهم اى فكيف تتقون اهوال القيامة وما اعدّلكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ماانتم عليه ومتم على الكفر وقوله ان كفرتم الخ اتى بحرف الشرط اشارة الى ان ارسال هذا الرسول

كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الىّ امرهم فان فىّ غنية عنك فى مجازاتهم (اولى النعمة) ارباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا او امهالا (ان لدينا انكالا) تعليل للامر والنكل القيد الثقيل (وجحيما وطعاما ذاغصة) طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجرّدات متحرّقة بحرقة الفرقة متجرّعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لمافى لدينا انكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا ارسلنا اليكم) يااهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرّفه لسبق ذكره (فأخذناه اخذا وبيلا) ثقيلا من قولهم طعام وبيل لايستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (فكيف تتقون)

لايبقى لاحد شبهة تقيه من الكفر كيف وهو النور المبين فكيف بقاؤهم على الكفر بعد ارسال الرسول الذى حقه ان يقرر الامور المشكوك فى وجودها ﴿قوله تقون انفسكم﴾ فسر تتقون بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب يوم اى بتقدير المضاف فان وقى يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لايظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه ﴿قوله تعالى يجعل الولدان شيبا﴾ صفة ليوما والعائد الى الموصول ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع أشيب بمعنى ذى الشيب وهو بياض الشعر ﴿قوله وهذا على الفرض﴾ اى لا على الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصيروا شيبا حقيقة بل الكلام مبنى على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لكان اشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب روى ان رجلا نام وهو حالك الشعر ثم اصبح ورأسه كالثغامة فقيل له فى ذلك فقال رأيت القيامة فى المنام والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ﴿قوله او على التمثيل﴾ بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولدان ﴿قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول﴾ لا لكثرة اهواله فيكون المعنى انه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والمشيب وهو لا ينقضى بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول فى ان الكلام مبنى على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد من الوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول من مدة بلوغ الطفل اوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبنى على عادة العرب فانهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن غاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة ومالاح كوكب وماتعاقبت الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فاظنك بغيرها من الخلائق ﴿قوله الضمير لله تعالى﴾ وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اى وان وعده تعالى بكون يوم القيامة على ما وصف به من الشدائد كائن لامحالة لانه تعالى لايخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله فالمعنى كان وعده تعالى اياه مفعولا ﴿قوله هذه الآيات الموعدة﴾ بكسر العين اى الناطقة بالوعيد وهى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا وفسر اتخاذ السبيل اليه بالتقرب اليه والتوسل بالطاعة والاتقاء عما يؤثم لكونه طريقا الى رضاه ورحمته ﴿قوله استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه﴾ الظاهر انه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشئ مستلزما لقلة مابينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها مايفهم من قول عائشة رضى الله عنها ان الله تعالى فرض القيام فى اول هذه السورة فقام نبى الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى آخر هذه السورة اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل الله التخفيف فى آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا ﴿قوله عطفا على ادنى﴾ والمعنى يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل ويكون نصفه بدلا من قليلا وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثى الليل والمعنى يعلم انك تقوم اى تصلى اقل من ثلثى الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل والاقل من الثلثين هو النصف والاقل من النصف هو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بان يكون قوله نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا استثناء من النصف ويكون ضمير منه وعليه للاقل على معنى قم اقل من نصف الليل

تقون انفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض او على التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وعلا او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) ان يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) اى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى

(وهو)

وهو الثلث وانقص مما هو اقل من النصف بقيام الربع اوزد على ذلك الاقل من النصف بقيام النصف ﴿قوله ويقوم ذلك جماعة﴾ يعنى ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل فى يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وماعطف عليه ﴿قوله فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص﴾ علة لقوله لايعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقا اى سوآء كان المبتدأ معرّفا اومنكرا مظهرا او مضمرا مقدّما او على نية التأخير على انه فاعل معنى فانه تعالى لما كان هو الذى يزيد فى ساعاتهما وينقص من غير ان يكون لنا مدخل فى شئ من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة واما نحن فانا نعلم ذلك بالتحرّى والاجتهاد الذى يؤدّى الى الخطأ احيانا ﴿قوله ولن تستطيعوا ضبط الساعات﴾ فان الاحصاء قد يكون بمعنى العدّ وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا اى ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذى امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة القدر الذى يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لايصيب ماامر به من القيام فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لايطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذى فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام فى المقدار الذى فرض عليهم القيام فيه حيث قال قم الليل الا قليلا نصفه الخ ويمكن ان يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لا انهم لايقدرون عليه اصلا كما يقال لااقدر ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وصعب عليه ذلك ﴿قوله ورفع التبعة فيه﴾ رفعها عن التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص فى ترك ماقدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب فى رفع التبعة فى تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة فى المشبه الذى هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص ﴿قوله قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور﴾ وهو التخيير بين القيام فى احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اصابة تلك المقادير المعينة نسخت فرضيته رعاية للمقدار المنصوص عليه وبقى اصل الوجوب فان الامر فى قوله تعالى فاقرأوا ماتيسر من القرآن يدل على ان ماتيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه فى ثلث الليل او ربعه او نحوهما ثم نسخ اصل وجوبها ايضا بالصلوات الخمس والتطوّع ﴿قوله او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر﴾ عطف على قوله فصلوا ماتيسر يعنى ان قوله فاقرأوا اما مجاز بمعنى فصلوا على اطلاق اسم الجزء على الكل واما حقيقة على ان المعنى ايجاب تلاوة القرآن فى غير الصلاة كيفما تيسر لحصول الامن من النسيان والفوز برضى الرحمن والوقوف على اعجازه بتلاوته ومافيه من دلائل التوحيد والبعث والجزآء ونحوها من العقائد الدينية ثم قيل الامر بتلاوته خارج الصلاة للوجوب وقيل للندب والاستحباب روى عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى كل يوم او فى كل ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وعن عبدالله بن عمر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن فى كل شهر مرّة قال قلت انى اجد قوّة على ان اقرأه فى اقل من ذلك قال فاقرأه فى عشرين ليلة قال قلت انى اجد قوّة على انى اقرأه فى اقل من عشرين قال فاقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك وقيل قوله تعالى فاقرأوا ماتيسر ايجاب للقرآءة فى صلاة الليل لا لايجاب نفس الصلاة فى الليل وقيل انه لايجاب القرآءة فى كل صلاة واختلف العلماء فى قدر مايلزمه فى الصلاة فقال الامام مالك والامام الشافعى هو فاتحة الكتاب بخصوصها لايجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة بآية واحدة من اى آيات القرآن كانت وعنه ثلاث آيات لانها اقل سورة ﴿قوله المسافرة للتجارة﴾ سوّى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى الحاجات حيث جمعهما فى قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه السلام * مامن جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عندالله بمنزلة الشهدآء * ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴿قوله وآتوا الزكاة الواجبة﴾ قال الامام وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة

(وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من اصحابك (والله يقدّر الليل والنهار) لايعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدّر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم ان لن تحصوه) اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدّر ورفع التبعة فيه (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل عبر من الصلاة بالقرآءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرّر الحكم مرتبا عليه وقال (فاقرأوا ماتيسر منه) والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة

غيرها وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ماروى انه تعالى افترض قيام الليل فى اوّل هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة القدر المفروض وامسك الله تعالى خاتمة السورة اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله تعالى فى آخر السورة التخفيف بفسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ودام الامر على ذلك مادام عليه الصلاة والسلام بمكة حتى نسخت فرضية أصله فى المدينة بالصلوات الخمس ﴿قوله او باداء الزكاة على احسن وجه﴾ وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقراء ومراعاة النية وهى ان تقصد باخراجها مجرّد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى احوج الفقراء الصالحين ووجه هذا التفسيران قوله تعالى وآتوا الزكاة امر بمجرّد ادائها على اىّ وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ما انفقه يعود اليه على احسن الوجوه ﴿قوله والترغيب﴾ منصوب بالعطف على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات او الامر باداء الزكاة على احسن وجه او الترغيب فيه اى فى سائر الانفاقات او فى اداء الزكاة على احسن وجه والتعبير عن كل واحد منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرّح به عقيبه وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ هو تأكيد للمفعول الاوّل لتجدوه او فصل بينه وبين المفعول الثانى فان ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل يتوسط بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة او افعل من كذا لان افعل من كذا يشبه المعرفة فى امتناعه من حرف التعريف وليس معنى كون تعريف الخبر شرطا لتوسط ضمير الفصل ان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانه انما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس انما يقع اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة وبتوسطه يندفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لا لبس فيه وذلك عند اختلاف الاعراب وعند كون المبتدأ ضميرا وكون الخبر أفعل من كذا اتساعا او حملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهى انه يفيد ضربا من التأكيد لانه عبارة عن المبتدأ وتكرير له والتكرير يفيد التأكيد ومعنى الآية وماتقدّموا لانفسكم من المال تجدوه اى تجدوا ثوابه عندالله اى فى الآخرة خيرا من ثواب ما اخرتموه الى حضور الموت واسبابه وما تقدّموا لانفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما اخرتم من الطاعة ﴿قوله وقرئ هو خير﴾ على ان هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل لضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكافية بقوله وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبرا ولا موضع له عند الخليل

﴿ سورة المدّثر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله وهو لابس الدثار﴾ الدثار الثوب الذى يلبس فوق الشعار والشعار مايلبس مما يلى الجلد سمى به لانه يلى الجسد وشعر البدن والمدّثر المتغشى بالدثار لينام فيستدفئ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل ماذكر من الرواية قال صاحب الكشف وهذه الرواية لاتدل على انها اوّل سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله مالم يعلم للاحاديث الصحاح فى ذلك ولانها كانت فى حراء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام «لست بقارئ» فانه لا يتصوّر الا اذا انزل ذلك اوّلا والا لكان الامتناع عنه معصية والوجه ان يراد بالسورة فى قول من قال انها اوّل سورة نزلت السورة الكاملة انتهى * اعلم انهم اختلفوا فى ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ماهو فقال اكثر المفسرين المراد به الدثار الحقيق ثم اختلفوا فى سبب تدثره عليه الصلاة والسلام بذلك فنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك الذى رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ من حيث انه رأى مالم ير قبل ولم يستأنس به بعد فظن ان به مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر اغتماما لما سمع ان قريشا قد اجتمعوا فقالوا قد اختلفت كلمتنا فى الاخبار عن حال محمد فمن قائل انه مجنون ومن قائل هو كاهن ومن قائل هو شاعر او ساحر ووفود

(واقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرّح به فى قوله (وماتقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع احوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿ سورة المدّثر مكية وآيها ست وخمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها المدّثر) اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيأ فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدّثر ولذلك قيل هى اوّل سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت

العرب يجتمعون فى ايام الحج ويسألون عن امره واذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لايصدّقونكم لعلمهم بان هذا كله لايجتمع فى رجل واحد فيحملون تكذيبكم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد تجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال الوليد بن المغيرة انى فكرت فيه واخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر من شأنه ان يفرّق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المرأة وزوجها وشأنه ذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتدّ عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه مفكرا كما يفعله المغموم وقال بعضهم انه عليه الصلاة والسلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائما فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وانت وحدك بانفرادك قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شأنه كيف يليق به التفرّغ للاستراحة والتلفف بالدثار فأزل عنك الغفلة وكن على جِدّ وصدق عزيمة فى القيام على مقتضى منصبك وانذر قومك وقال آخرون ليس المراد بالدثار ماهو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوّة والكمالات النفسانية تشبيها لها بما هو دثار حقيقة من حيث ان كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه كما يقال ألبسه الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم فكأنه قيل يا أيها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكأنه قيل يا أيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل فى هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهى ان المنذر اذا انذر عن شدّة الامر وهجوم العدوّ عن قريب يرتفع لأعلى المواضع ويتجرّد عن ثيابه وينادى قومه ياصحباه النجاة النجاة ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى بيا أيها المدثر فكأنه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لاينبغى لشأنك وانما اللائق ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام «انا المنذر العريان» ﴿قوله وقرئ المدثر﴾ اى بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشدّدة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اى غطاه به فهو مدثر اى مغطى والامر فى قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اى دثر بهذا الامر وعصب به اى احيط به يقال عصب القوم بفلان اى احاطوا به ﴿قوله قم من مضجعك﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيق واضطجاعه فى مضجعه باحد الاسباب المذكورة وقوله اوقم قيام عزم وجدّ على ان يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوّة والاصطفاء او بدثار الاختفاء بجبل حراء ﴿قوله فانذر مطلق﴾ يعنى انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظا ولاتقديرا للتعميم والاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار ﴿قوله اومقدّر بمفعول﴾ اى عام او خاص حسبما تعين القرينة عمومه او خصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدّر خاصا فيقال تقديره قم فأنذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوحدوا ربك وان وجد مايدل على عمومه قدّر عاما فيقال تقديره قم فأنذر البشر كافة والمقدّر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذى قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه بمن وقع عليه سواء كان عاما او خاصا على حسب تعيين القرينة فقد قيد تعلقه به وانما يصير مطلقا اذا لم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد فكون الانذار حينئذ مطلقا ظاهر وكذا كونه مفيدا للتعميم فى المفعول ﴿قوله وخصص ربك﴾ مستفاد من تقديم المفعول ﴿قوله عقدا﴾ بان تعتقد انه تعالى منزه عن الشركاء والاضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات ﴿قوله وقولا﴾ بان تقول الله اكبر ﴿قوله والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط﴾ فان حق الفاء السببية ان يكون مابعدها سببا لازما لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شئ يترتب عليه مابعدها علم ان مابعدها جواب شرط محذوف وان المعنى وما يكن فكبر ربك اى اىّ شئ يكن فلاتدع تكبيره اى وصفه بالكبرياء وهذا آكد فى افادة الاختصاص بالنسبة الى مجرّد تقديم المفعول فى نحو زيدا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذى هو وقوع شئ ما * فان قلت كيف يكون ربك مفعول كبر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها * قلنا الفاء فى الحقيقة داخلة على الاسم اى مايكن فربك كبر ﴿قوله اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه﴾ عطف على قوله لافادة معنى الشرط اى او هى فاء جواب الامر بالقيام المتعقب للانذار فان الامر بالقيام لما صح ان يكون سببا لتكبيره تعالى عن ان يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما يزعم المشركون فى حقه تعالى تحقق معنى الفاء من غير

وقيل المراد بالمدّثر المدّثر بالنبوّة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك اوقم قيام عزم وجِدّ (فأنذر) مطلق للتعميم او مقدّر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين اوقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال ومايكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاوّل من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اوّل مايجب معرفة الصانع واوّل مايجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرّين به

(وثيابك فطهر) من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلاة محبوب فى غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها وهو اوّل ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدميمة فيكون امرا باستكمال القوّة العملية بعد امره باستكمال القوّة النظرية والدعاء اليه اوفطهر دثار النبوّة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدّى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولاتمنن تستكثر) ولاتعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهوان يهب شيأ طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه اونهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة اولاتمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم اومستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف اوالابدال من تمنن على انه من منّ بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع فى قول الشاعر

الا ايهذا الزاجرى احضرى الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى *

(ولربك) ولوجهه اوامره (فاصبر) فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (فى الناقور) فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على أذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلق فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرّهم

تقدير شرط آخر فكأنه قيل قم للانذار والتحذير من عذاب الله فكبر ربك عمايقول الظالمون فى حقه ﴿ قوله وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها ﴾ فيكون لفظ الثياب على حقيقتها ويحمل لفظ التطهير على المجاز او الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم فان التقصير مستلزم للطهارة قال عليه الصلاة والسلام * ازار المؤمن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيمابينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففى النار ﴿ قوله اوطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدميمة ﴾ اى القبيحة شبه النفس بالثوب لكونه يلابس نفس الانسان ويشتمل عليه فعبر به عن النفس مجازا ﴿ قوله اوفطهر دثار النبوّة ﴾ على ان الثياب مجاز مستعار لحلة النبوّة والكمالات النفسانية كالدثار امر عليه الصلاة والسلام بتطهير دثار النبوّة عما يدنسه من الحقد والضجر فان الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدّا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه الصلاة السلام اظهار جزع وقلة صبر فقيل له عليه الصلاة والسلام قم فانذر ولاتحملنك سفاهتهم على ترك انذارهم بل حسن خلقك ووسع صدرك ﴿ قوله تعالى والرجز ﴾ قرآءة جمهور القرآء بكسر الرآء وهو العذاب كما فى قوله تعالى حكاية عن قوم موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك اى لئن كشفت عنا العذاب ﴿ قوله ولاتعط مستكثرا ﴾ اى لاتعط شيأ من مالك لتأخذ اكثر منه فالمنّ بمعنى الاعطاء ﴿ قوله نهى عن الاستغزار ﴾ اى نهى تنزيه فى حق جميع المكلفين فان الاستغزار ليس بحرام فى حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام * المستغزر يثاب من هبته * اى يعوّض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشئ يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير اى كثر يكثر فهو كثير ﴿ قوله اونهيا خاصا به عليه الصلاة والسلام ﴾ اى نهى تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الالتذاذ بامساك المال وجمعه ﴿ قوله اولاتمنن على الله بعبادتك ﴾ على انه من باب منّ عليه منة اذا امتن عليه واعتدّ بما فعله وعلى الاوّل كان من منّ عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا لتجرّده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا على انه حال من فاعل لاتمنن كقوله تعالى فذرهم فى خوضهم يلعبون اى لاعبين والسين فيه على الاوّل للطلب وعلى الثانى للوجدان وان قرئ تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاوّل انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجرآء للوصل مجرى الوقف والثانى انه بدل من تمنن بدل اشتمال كأنه قيل ولاتمنن ولاتستكثر فان شأن اهل الامتنان ان يستكثر مايعطيه وان يعتدّ به فصح ابداله منه بدل اشتمال والثالث ماذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان يكون تستكثر مجزوما على انه جواب النهى على ان يكون المنّ بمعنى المنة والمعنى لاتمنن بعطيتك تستكثر وتتزوّد من الثواب الجزيل سلامة عطيتك من الابطال بالمنّ قال تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقرآءة السكون وهو قوله وان تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا ﴿ قوله وبالنصب على اضمار ان ﴾ ويؤيده قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه ولاتمنن ان تستكثر اى لان تستكثر فيكون المنّ بمعنى الاعطاء اى لاتعط للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * بروايته على النصب ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولاتمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر لخلوّه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لاتعمل مضمرة الافى مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع احضر فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ﴿ قوله فاستعمل الصبر اوفاصبر على مشاق التكاليف ﴾ الاوّل على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لايعتبر تعلقه بمايصبر عليه من الطاعات ومايصبر عنه من المعاصى والثانى ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كأنه قيل اذا سمعت هذه التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها لاجل امر ربك اولوجهه الكريم ثم انه تعالى بعدما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى ماهو اللائق بشأنه ومنصبه شرع فى شرح وعيد الاشقياء وبيان ماهو المنذر منه فى حقهم فقال فاذا نقر فى الناقور والنقر فى الاصل بمعنى القرع والنكت الذى هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ماهو سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت واتفق المفسرون على ان الناقور الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام مرّة للاصعاق ومرّة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ماينقر فيه ﴿ قوله والفاء للسببية ﴾ يعنى

انها فاء جواب الامر كما في قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفاء السببية
قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان مابعدها سببا قبلها كما في الامثلة المذكورة وقد يكون ماقبلها سببا
لمابعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ماهو جزاء في المعنى لان المعنى اذا كان كذا
فاكرمه كما ان الاولى داخلة على ماهو شرط في المعنى ومابعد الفاء في الآية شرط في المعنى اى اذا كان بين ايديهم
يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلق انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء في قوله فذلك فاء الجزاء فان اذا شرطية
وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل في اذا والمعنى اذا نقر
في الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك
وبنى على الفتح لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كأنه قيل فيوم اذ نقر في الناقور يوم عسير ﴿قوله اذ التقدير
فذلك الوقت وقوع يوم عسير﴾ جواب عما يرد على قوله ويومئذ ظرف لخبر المبتدأ وهو يوم عسير
من ان يومئذ كيف يكون ظرفا ليوم عسير والزمان لايكون ظرفا للزمان وانما يكون ظرفا للحدث * فاجاب
بان المراد من اليوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم ويرد على هذا الجواب ان يومئذ كيف
يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لايتقدم عليه فينبغي ان يكون مراده بكون يومئذ ظرفا لوقوع يوم عسير
كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت النقر يوم عسير واقعا ذلك اليوم العسير يوم النقر فاليوم الذى
عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذى حكم عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد
واقع في ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا المعنى
بقوله اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير ﴿قوله تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه﴾
جواب عما يقال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن عنه ووجه كونه تأكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا
لليسر بالكلية ان قوله يسير نكرة في سياق النفي فيعم جميع افراده ووجه كونه مشعرا بيسره على المؤمنين انه لما
أكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير بالنسبة الى الكافرين فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين
كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لابارد ولاكريم تعريض بظل الجنة وهذا اغيظ للكافرين بجمعه بين
وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى على الكافرين متعلق بعسير لابيسير لانه
لما لم يجز تقدم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقدم معمول المضاف اليه عليه اولى ثم انه تعالى
لما بين ان اليوم الذى ينفخ فيه في الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام خل بيني
وبين الوليد المغيرة الذى نعت في قومه بالوحيد زعما منهم انه لانظير له في وجاهته ولا في ماله وكان ينعت نفسه ويقول
انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى في العرب نظير ولا لأبي نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما او استهزاء كقوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كون قوله وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعنى ﴿قوله او ارادة انه
وحيد﴾ عطف على قوله تهكما اى سماه به على ارادة انه وحيد في الكفر والخبث وانواع الشرارة او على ارادة
انه وحيد عن ابيه اى لااب له والزنيم من ألحق بالقوم وليس منهم ﴿قوله مبسوطا كثيرا﴾ وصف بان ماله
ممدود لامتداد مكانه وتكثيره ايضا فان المال الكثير اذا عد يمتد عدده والمال الذى يمتد مكانه يوصف بالامتداد
لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود مابين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم
والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لاينقطع نفعه صيفا
ولاشتاء فالممدود هنا كما في قوله وظل ممدود اى لاينقطع او ممدود بالنماء بان يكون نماء ماله ممدا لاصله يقال
مددنا القوم اى صرنا مددهم وامددناهم بغيرنا وامددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه
بين انبساط جاهه ورياسته فان الاولين لايستلزمان الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف مفعول مهدت
للتفخيم مع الاختصار فاتم الله تعالى فيه نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند اهل الدنيا
وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة
والراحة وعلى الرزق ايضا قال عليه الصلاة والسلام * الولد ريحان الله تعالى * اى رزقه ﴿قوله ان ازيد
على ماأوتيه﴾ اى ان ازيد عليه في الدنيا لانه مشرك والمشرك لا يؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع ان يثاب
في الآخرة زيادة على ماأوتي في الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا له عن طمعه وطلب الزيادة في الدنيا ويؤيده

واذا ظرف لمادل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرني ومن خلقت وحيدا) نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرني وحدى معه فاني اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركني في خلقه احدا او من العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لايحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولايحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم (ثم يطمع ان ازيد) على ماأوتيه وهو استبعاد لطمعه اولانه لامزيد على ماأوتي اولانه لايناسب ماهو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا)

ماروى انه بعد ما نزل قوله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا ما زال فى نقصان من ماله وولده ومات فقيرا وعن الحسن انه قال ثم يطمع ان ازيد فاعطيه مالا وولدا كما قال تعالى افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأُوتين مالا وولدا ﴿قوله ردع له عن الطمع وتعليل﴾ يعنى ان قوله كلا ردع وقوله انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل لم حرم مما طمع فيه وانعكس حاله فاجيب بان شأنه ان يعاند آيات الله فكيف يبقى ما انعم به عليه فضلا عن ان يزيد عليه ﴿قوله سأغشيه عقبة﴾ فسر الارهاق بالاغشاء والتكليف كما فى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الصعود جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع عليه يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع عليه رجله ذابت فاذا رفعها عادت ﴿قوله او بيان للعناد﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انه فكر وقدر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا لبيان كنه عناده فيكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان انه مع كونه محروما مما طمع فيه من ان يزاد على ما عنده من الاموال والابناء فهو من اشد اهل النار عذابا يوم القيامة ﴿قوله استهزاء به اولانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه﴾ اى على القرآن يعنى ان لفظ قتل كيف قدر انما يذكر عند التعجب والاستفهام وما تخيله طعنا فى القرآن فى غاية الركاكة والسقوط ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة خاطره فى نفس الامر اى اصاب ما لم يبلغ اليه ذهن امثاله من المعاندين ﴿قوله روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم﴾ اشارة الى كونه معاندا فى انكار آيات الله تعالى حيث اعترف بانه يعلو ولا يعلى وبيان لما حمله على التفكير والتقدير وهو انه لما رأى ان القرآن لا يشبه كلام الشعراء ولا كلام الكهنة ولا كلام المجانين ولا شيأ من كلام الانس والجن قال ان له لحلاوة لاشتماله على المعانى اللطيفة والاحكام الموافقة لمقتضى الحكمة وان عليه لطلاوة وهى بفتح الطاء وضمها بمعنى الحسن والقبول والماء الغدق اى الكثير ومكان غدق اى كثير مخصب وقوله ان اعلاه لمثمر واسفله لمغدق استعارة بالكناية شبه القرآن العظيم فى نفسه بشجرة غضة طرية استحكم اصلها بكثرة الماء فى اسفلها وعلا فرعها فى السماء واثبت له الاعلى والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله غدقا على طريق التخييل ولما رآه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لاجرم حمله خبث طبعه على ان يتفكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وان يقدر فى نفسه ما يقول فى حقه ﴿قوله فقام فأتاهم﴾ اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ما تقولون فى هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال قد سمعنا بقول الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكم لما تجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف تنسبون اليه الجنون وما رأيتموه يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين تخنق المجنون فقالوا له فما تقول فى حقه فأخبرهم بما قدر فى نفسه ان يقول فى حقه عليه الصلاة والسلام فقال ما هو الا ساحر وما كلامه الا سحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده فجعل ما يلق احد منهم النبى صلى الله عليه وسلم الا قال يا ساحر يا ساحر واشتد على النبى صلى الله عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزينا متفكرا فى امره فانزل الله يا ايها المدثر الى قوله ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر يعنى انه كلام الانس وليس من عند الله ﴿قوله تكرير للمبالغة﴾ اى للمبالغة فى المعنى الذى قصد بايراده اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزاء واستعظاما لقوة تخيله فى نفس الامر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ فى الاستعظام واللعن من الكرة الاولى يعنى ان كلمة ثم فى قوله ثم قتل للتراخى بحسب الرتبة وفيما بعده على اصلها اى للتراخى بحسب الزمان اى ثم اعاد النظر والتأمل فى طلب ما يدفع به القرآن ويرد ما رجا ان يتضح له ما لم يطلع عليه فى المرة الاولى فلم يتهيأ له ذلك فلذلك عبس اى كلح وقطب ما بين عينيه وقبضه تغيظا من عدم وجدانه ما يدفع به القرآن فاضطر الى ان قال ان هذا الا سحر يؤثر اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك اثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل فى اطلاقه ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقا ﴿قوله والفاء للدلالة﴾ يعنى انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب ما يطعن به فى القرآن ولم يتمالك ان يتفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع حم السجدة لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن فكيف يقول

فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان حاله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به اولانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها (ثم نظر) اى فى امر القرآن مرة بعد اخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم ادبر) عن الحق او الرسول (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها

بعد ذلك ان هذا الاقول البشر من اعتقاد انتهى ﴿قوله بيان لذلك﴾ اى لما اجل من فخامة شأنها اى لا تبقى لهم لحما الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا الا اكلتهم مرّة اخرى وهكذا ابدا ﴿قوله والعامل فيهما معنى التعظيم﴾ اى المستفاد من ما الاستفهامية فى قوله ماسقر فانه يستنبط منها معنى التعظيم والمعنى استعظم امرها فى كونها لا تبقى ولا تذر ﴿قوله لا تبقى على شئ يلقى فيها﴾ اى لا تترحم عليه وفى الصحاح ابقيت عليه اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علىّ وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله ولا تدعه حتى تهلكه﴾ يعنى انها لا تقنع بمجرّد التعذيب بنوع من انواع العذاب بل تبالغ فى تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لا تبقى ولا تذر لفظان مترادفان بمعنى واحد كرّر للتأكيد كقولك صدّعنى واعرض ﴿قوله مسوّدة لاعالى الجلد﴾ فسر قوله لوّاحة بمسوّدة ومغيرة للبشرة واعالى الجلد اى ظواهره اشارة الى ان لوّاحة اسم فاعل مبنىّ للمبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره وسوّده وهى لوّاحة اى مغيرة ومسوّدة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها اشدّ سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لا ينافى قوله تعالى لا تبقى ولا تذر لان ذلك بعد الالقاء فيها والتسويد قبله ﴿قوله او لائحة للناس﴾ على ان لوّاحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر وقيل لوّاحة للتهويل والبشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترونّ الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴿قوله وقرئت بالنصب﴾ اى بتقدير اعنى وقيل منصوبة على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم او من المنوى فى لا تبقى ولا تذر وقرأ الجمهور لوّاحة بالرفع بتقدير هى لوّاحة ﴿قوله ملكا او صنفا﴾ يعنى ان تمييز تسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويسلطون على اهلها من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولا يعلم عدد كل صنف منهم الا الله وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو * روى ان خزنة النار تسعة عشر ملكا مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة يرفع الواحد منهم سبعين الفا فى كفه فيرميهم حيث اراد فى جهنم ﴿قوله والمخصص لهذا العدد﴾ قال ارباب الحكمة فى وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد ان سبب فساد النفوس الانسانية فى قواها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب مجموعها اثنتا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لا جرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الانسان ملك او صنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التى كل واحدة منها نعمة آلهية يتوسل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية وقد توسل بها الى معصية من انعم بها عليه والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهى التى لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة او الحفظ وهى الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهى التى لا تختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة ﴿قوله ست منها لاصناف الكفار﴾ وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس واهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون فى كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع يناسب امرا من تلك الامور الثلاثة التى هى اسباب تعذيبهم فيها فيكون فى ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلى امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية او صنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية او اصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لا يعذبون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يستولى على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك او صنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر ﴿قوله او ان الساعات اربع وعشرون﴾ يعنى خصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التى خصت لتصرف فى المعصية كذلك فكان اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة

(سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (وما ادراك ماسقر) تفخيم لشأنها وقوله (لا تبقى ولا تذر) بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه (لوّاحة للبشر) مسوّدة لأعالى الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتى عشرة والطبيعية السبع او ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامّة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة فى الصلاة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية

وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين (وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبالله تعالى روى ان اباجهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت (وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الاالعدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لاتنفك منه وافتنانهم به استقلالهم له واستهزآؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لمارأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له

الواقعة فى ساعة واحدة من تلك الساعات ﴿ قوله فيما هو كاسم واحد ﴾ فان تسعة عشر ليس اسما واحدا فى الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ولذلك بنى الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبنى الاسم الثانى ايضا لتضمنه معنى حرف العطف وهذا الاسم المركب فى الآية فى محل الرفع على الابتدآء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة يوجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثانى للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين بالآخر انتهى ﴿ قوله وتسعة أعشر جمع الخ ﴾ يعنى ان تسعة اسم عدد اضيف الى مميزه وهو أعشر جمع عشير يعنى معاشر ومصاحب كأنه قيل عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر جماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم ﴿ قوله ولا يستروحون ﴾ اى لا يميلون ولا يلاينون مع المعذبين وفى الصحاح استروح اليه اى استنام وفيه ايضا استنام اليه اى سكن اليه واطمأن روى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابى كبشة ان خزنة النار تسعة عشر يخوفكم بهم وانتم الجمع العظيم وروى وانتم البهم اى الشجعان الاقوياء أيعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار فقام ابو الاسود بن اسيد بن كلدة وهو رجل من بنى جمح وكان من شجعان العرب واقويائهم وكان يقوم على اديم ويجتمع جماعة على ان يجروه من تحت رجليه ويزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا وينقطع الاديم قطعا قطعا ورجله ثابتة على حالها فقال يامعشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشى بين ايديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن وعشرة بمنكبى الايسر عن النار ونمضى حتى ندخل الجنة وروى انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين منهم فلما قال ابو جهل وابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لاتقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا فى كل شيئين لاتساوى بينهما والمعنى لاتقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذى يحبس الناس ويمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى لم نجعلهم من جنسكم فتساوونهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقهم البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم ﴿ قوله وماجعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم ﴾ جواب عما يقال ان جعل من نواسخ الابتدآء فوجب ان يكون مفعوله الثانى مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولا يصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية * وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا وماجعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتنان الكفار اثر العدد المذكور فعبر عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر ثم بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم اياه واستبعادهم ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به قائلين لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد ﴿ قوله ولعل المراد الجعل بالقول ﴾ جواب عما يقال كيف يصح جعلهم فى نفس الامر على هذا القدر معللا وسببا لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق وليس ايجادهم واحداثهم تسعة عشر سببا لشئ من ذلك وانما السبب ماذكر من الامور هو الاخبار عن عددهم بانه تسعة عشر * وتقرير الجواب ان الجعل يطلق على معنيين احدهما جعل الشئ متصفا بصفة فى نفس الامر وثانيهما الاخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور فى الآية الجعل بالمعنى الثانى والمعنى وما جعلنا عدتهم بالاخبار عنها الا عددا يلزم افتتان الكفار به لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق اياه فحينئذ يظهر وجه السببية وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة كقوله قلت اطبخوا لى جبة وقميصا ﴿ قوله لمارأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ﴾ فان العدد المذكور لما كان موجودا فى كتابهم وانه عليه الصلاة والسلام اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه الصلاة والسلام انما علم ذلك بسبب الوحى الالهى فيستيقنون بنبوته عليه الصلاة والسلام وبكون القرآن كلاما الهيا ﴿ قوله بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ﴾ فعلى الاول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية لازدياد متعلقه فان الايمان قد كان يزداد به يوما فيوما فى زمان الوحى بحسب ازدياد مايجب الايمان به فان من آمن بجميع ماجاء من عند الله

قبل نزول مايدل على عددالزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر فآمنوا به ايضا فلاشك انه يزداد ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه وعلى الثانى يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة بتصديق اهل الكتاب به وبموافقة كتابهم لكتاب اولئك كما استيقن اولئك لموافقة كتابهم لكتابنا ﴿قوله وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان﴾ جواب عما يقال لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة فى قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون * وتقرير الجواب الاول كونه تأكيدا وتقرير الجواب الثانى ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دليله او طريان ماتوهم كونه واقعا او معارضا لتلك المقدمة فثبوت اليقين فى بعض الاحوال لاينافى طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكونا بحيث لايطرأ عليهما شك وارتياب اصلا ﴿قوله فتكون الآية اخبارا بمكة﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية من اوائل مانزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب قاطع بالتكذيب او شاك غير مصدق ولامكذب واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها * وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون لايقتضى تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر فى علم الله تعالى انه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره * فان قيل كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لااشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ﴿قوله المستغرب استغراب المثل﴾ اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذى هو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار والمراد بانكاره انكار انه من عند الله وقوله مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ﴿قوله وقيل لما استبعدوه﴾ اى لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله تعالى منه مااشتهر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفى * فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا * اجيب بان الذين فى قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين فى الظاهر بان القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم او على سبيل الفرض والاستدلال بان القرآن لوكان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام ﴿قوله مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى﴾ اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ماتقدم ذكره من الاضلال والهدى فى قوله وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون وفى قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا اى كاضلال الله اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضل ويخزى من يشاء ويهدى ويرشد من يشاء كارشاد الصحابة ثم ان اباجهل لما استقل خزنة جهنم وقال ليس لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لايعسر عليه تقسيم الخزنة عشرين ولكن له تعالى فى اختيار هذا العدد حكمة لايعلمها الا هو ويحتمل ان يكون المعنى ومايعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب اهل النار الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لاينافى ان يكون لهم من الاعوان مالايعلم عددهم الا الله ﴿قوله وماسقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى﴾ فان سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لاتبقى ولاتذر الخ تذكرة للبشر اى انذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكره عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا ويعلوا كمال قدرة الله تعالى وان لايحتاج فى تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره ﴿قوله وحفص اذ أدبر﴾ اى بسكون الذال وأدبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومضى كاقبل وقبل ومن اختار اذا قال لان مابعده اذا اسفر وايضا هى فى مصحف عبد الله مكتوبة بألفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا ليس فى القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا

(ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان اونفى لمايعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون فى التكذيب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين (ومايعلم جنود ربك) جموع خلقه على ماهم عليه (الا هو) اذ لاسبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها ومايوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهى) وماسقر او عدة الخزنة او السورة (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها (والقمر والليل اذا دبر) اى ادبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ أدبر على المضى

واختار ابن عباس اذ بالسكون ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة فى ان دبر وادبر هل هما بمعنى واحد او لا فقال الفرآء والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال وكذا الدبور والقبول يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف وقولهم ادبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا دبر اذا اقبل بعد مضىّ النهار ﴿قوله اى البلايا الكبر كثيرة﴾ تعريف البلايا الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم ويجوز ان يكون للجنس ويكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها انها من بينهنّ واحدة فى العظم لانظير لها كما تقول هو احد الرجال وهى احدى النساء ويؤيد الاوّل ماروى عن مقاتل والكلبى انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهنّ ﴿قوله وانما جمع كبرى على كبر﴾ يعنى ان فعلى يجمع على فعالى كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل بل هو جمع فعلة نحو ركبة وركب فينبغى ان لا يجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا لكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة كما جمع قاصعاء على قواصع تنزيلا لها منزلة قاصعة مع ان فاعلاء لا يجمع على فواعل اذ هو جمع فاعلة لا جمع فاعلاء وفى الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا ألف التأنيث بمنزلة الهاء ﴿قوله والجملة﴾ اى جملة قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم فان القسم فى قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كأنه قيل بحق هذه الامور ان سقر لاحدى الكبر فيكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا فان القسم وان واللام انما يصدر بها الكلام مع المنكر ﴿قوله او تعليل لكلا﴾ اى للامر بالارتداع كأنه قيل ارتدع عن انكار سقر لانها احدى الكبر وتأكيد الجملة بان واللام لوقوعها جوابا للمنكر لا لوقوعها جوابا للقسم وجواب القسم محذوف كأنه قيل والقمر ان الامر كذلك والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الامر بالارتداع وعلته وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز ان يكون قوله انها لاحدى الكبر جوابا وتعليلا كما قرّرنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلا وجه حينئذ لان يكون قوله انها لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير الجملة بالمؤكدات مبنيا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر ﴿قوله تمييز﴾ اى من نسبة احدى الكبر الى اسم ان فيصح ان ينتصب على التمييز كأنه قال انها من معظمات الدواهى من جهة كونها نذيرا كما تقول هى احدى النساء زمانا على قول من يقول النار هى المنذرة وحذفت التاء من نذيرا كما فى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اى شئ قريب او ذات قرب منهم على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر او لتأويل النار بالعذاب ﴿قوله او حال مما دلت عليه الجملة﴾ لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لا تنصب الحال ﴿قوله بدل من للبشر﴾ باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وقوله تعالى ان يتقدم مفعول شاء والمعنى ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعة ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اى نذيرا لمن شاء التقدّم الى الخير والجنة بالطاعة او التأخر عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد الشرّ فهو متمكن منه ايضا فليفعل وفيه نوع تهديد كما فى الوجه الثانى * فان قلت قد تقرّر ان مفعول شاء واراد لا يذكر فى الكلام الفصيح الا ان يكون فيه غرابة فاى غرابة فيه حتى ذكره فى هذا الوجه دون الوجه الثانى * والجواب ان اختيار التأخر والحرمان عن الخير مع التمكن من التقدّم والفوز بالخير امر غريب وان المعنى انها لاحدى الكبر نذيرا للكافرين المتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فعبر عنه بقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ﴿قوله او لمن شاء خبر لان يتقدم﴾ فلا يكون ان يتقدم مفعول شاء بل يكون فى محل الرفع على الابتدآء ولمن شاء خبر قدّم عليه ومحصول المعنى انه لا قسر ولا الجاء بل المكلف مختار فى كل ما اتاه او تركه فليفعل ما اراد وفيه نوع تهديد كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿قوله ولو كانت صفة لقيل رهين﴾ لان فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فعلم ان التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول اى اسم لما رهن والتاء التى فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى الاسمية فان الصفة اذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج الى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرئ رهينة كما يقال

(والصبح اذا اسفر) أضاء (انها لأحدى الكبر) اى لأحدى البلايا الكبرى اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقالها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز اى لأحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بدل من للبشر اى نذير للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين

في سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) مايجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى اتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة معرضين) اى معرضين عن التذكير يعني القرآن او مايعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع لهم عن اعراضهم (انه تذكرة) واى تذكرة (فمن شاء) ان يذكره (ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله) ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو اهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (واهل المغفرة) حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم * عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿ سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم

كل نفس رهينة اى محبوسة من قولهم رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته كذا اى تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما اوجبه عليه من التكاليف التي هي خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقي نفسه محبوسة عنده تعالى ﴿ قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال ﴾ فانهم ليسوا بمكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هي نفوس المكلفين والملائكة واطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون في المستثنى منه الا ان تعم النفس الكل ﴿ قوله او من ضميرهم ﴾ عطف على اصحاب اليمين ﴿ قوله تعالى يتساءلون ﴾ يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اى يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يجيئ بمعنى فعل كما يقال تداعينا اى دعونا وعلى التقدير بن ليس المجرمون مسئولا عنهم بل هم المسئول منهم فلا بد من توجيه مجيئ عن فان قوله ما سلككم في سقر سؤال للمجرمين وقوله يتساءلون عن المجرمين سؤال عنهم فلا يتطابقان وانما يتطابقان لو قيل يسألون المجرمين ما سلككم في سقر وتوجيه الكلام ان قوله ما سلككم في سقر مع جوابه حكاية من قبل المسئولين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسئولون في جواب من سألهم قلنا لهم ما سلككم في سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين الخ الا ان الكلام جيئ على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه ﴿ قوله تعالى فما تنفعهم ﴾ الفاء فيه سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لا محالة بحيث لا ينفعه شفاعة الشافعين باسرهم عجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرآن فقال فما لهم عن التذكرة معرضين وكلمة ما في محل الرفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور في لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل في الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة في لهم وكأنهم حمر حال بعد حال والاستفهام في ما لهم للانكار اى اي شئ ثبت لهم معرضين عن وعظه مشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخر واستسخر واستنفر ابلغ من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار ﴿ قوله اى اسد ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه ان القسورة هو الاسد بلسان الحبشة سمي بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب فكذا المشركون اذا سمعوا القرآن ورأوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ما هو اقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء ﴿ قوله فيه من الله تعالى الى فلان ﴾ اى لن نتبعك حتى يصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عند الله رب العالمين الى فلان ابن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلي اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون اباؤهم اياه عليه الصلاة والسلام لعدم ايتاء الصحف وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم أثبت كونه تذكرة بليغة فقال انه تذكرة ﴿ قوله شاء ان يذكره ﴾ اى ان يجعله على ذكر منه ويتعظ به ذكره اى جعله نصب عينه لان نفع ذلك راجع اليه وانه ممكن من ذلك قرأ الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بتشديد الذال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى تتذكرون ويتذكرون ﴿ قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى ﴾ كما هو مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل * تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة القيامة اربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد ﴾ اى لتأكيد القسم شائع اراد بلا النافية ما هو في صورة النافية

بشهادة قوله للتأكيد فان ماتكون للتأكيد لاتكون نافية كما ان النافية لاتكون مؤكدة وكلمة ماولا كثيرا ماتكون صلة زآئدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله مامنعك ان لاتسجد وقوله فبما رحمة من الله وقول امرئ القيس

* لاوابيك ابنة العامرىّ * لايدّعى القوم انى افرّ *

والمعنى وابيك لايدّعى القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة **قوله** ابنة العامرى منادى حذف منه حرف النداء اى ياابنة العامرى انا لاافرّ من الحرب وانا مشهور متميز بذلك حتى لايدّعى ذلك احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لافى الآية لنفى ماينافى المقسم عليه وردّ من قال بذلك فكأنه قيل ليس الامر كما زعم منكروا البعث ثم استأنف القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتأكيد اى لنفى ماينافى المقسم عليه تأكيدا للقسم وجواب القسم فى الآية محذوف يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اذهو لايصلح جوابا لكونه جملة انشائية كأنه قيل اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ثم اكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لايقدر على احياء من فى القبور بجمع عظامهم النخرة واجسادهم البالية المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لاههنا لنفى القسم والمعنى لااقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الاقسام عليه **قوله** اوبالجنس يعنى ان قوله تعالى اللوّامة اماصفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتى تلوم المقصرين فى التقوى واما مؤكدة بناء على ان تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقية الا انها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود النفس المطمئنة اى المستقرّة الثابتة على الحق المتقية بحيث لاتلتفت عنه الى ماسواه فان القوّة العاقلة اذا اخذت فى سلسلة الاسباب والمسببات وانتهت فى مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذى هو مستغن عن جميع ماسواه فى ذاته وصفاته وافعاله وان جميع ماسواه يحتاج اليه فى جميع شؤونه فلاجرم تقف عنده وتطمئنّ اليه ولاتنتقل عنه الى غيره فتثبت فى مقام العبودية فلا يزعجها عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوّامة للنفس الامّارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة فى بحار معرفته وملاحظة جلاله وجماله اخص من المتقية عما يؤثم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوّامة صفة مؤكدة **قوله** وضمها الى يوم القيامة جواب عما يقال ماالمناسبة بين القيامة وبين النفس اللوّامة حتى جمع الله تعالى بينهما فى القسم * وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا لعظمته فانه امر عظيم الشان تظهر فيه الاشياء بحقائقها فصح لذلك ان يجعل مقسما به وجعلت النفس اللوّامة ايضا مقسما بها لما بينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها وهو من بدآئع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزآء كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض كما مرّ فى سورة الزخرف **قوله** اويجمع الله بفتح الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام اى أيبعث ويجمع وان فى قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه وبلى ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع كأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكنّ فى نجمع المقدّر بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاوّل والسلاميات عظام الاصابع واحدتها سلامى والبنانة واحدة البنان وهى اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اقدر اومن قدر على جمع الحواشى والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر **قوله** فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا يعنى على تقدير ان يكون قوله بل يريد معطوفا على أيحسب يجوز امران الاوّل ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه وتقدير الكلام بل اريد استفهم عن شئ اوّلا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كأنه قيل منشأ انكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الاجزآء اوارادة ان يدوم على مااعتاده من المعاصى وانواع الفجور امامه اى فيما يستقبله من الزمان وهو قول المصنف لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اى مع بقاء اصل الاستفهام على حاله

قال امرؤ القيس

لاوابيك ابنة العامرىّ *

لايدّعى القوم انى افرّ *

وقد مرّ الكلام فيه فى قوله فلااقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولااقسم بالنفس اللوّامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها اوالتى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة اوالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة اوبالجنس لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برّة ولافاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرّا قالت ليتنى ماكنت قصرت اونفس آدم فانها لم تزل تلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب اوالذى نزل فيه وهو عدىّ بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لوعاينت ذلك اليوم لم اصدّقك اويجمع الله هذه العظام (ان لن نجمع عظامه) بعد تفرّقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على ان نسوّى بنانه) نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام اوعلى ان نسوّى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدّر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اوعن الاستفهام

(والامر)

والامر الثانى ان يكون المعطوف ايجابا استفهم اوّلا على سبيل الانكار على حسبانه ثم اضرب عن اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم عليه من الاوّل كأنه قيل دع الانكار على حسبانه امرا باطلا فى حقنا فان فيه ما هو اقبح من ذلك وهو انه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه فى قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن النظر فى الدلائل المؤدّية الى تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ فان انكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى فالله تعالى اشار الى الاوّل بقوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اى ان لن نقدر على جمع ما تفرّق من اجزآئه غربا وشرقا بتفريق الرياح واكل السباع اياها وما اختلط من اجزآء كل شخص باجزآء غيره حتى يبعث كل احد بعينه بجميع اجزآئه ويحاسب ويجازى بما عمل فى الدنيا ثم انه تعالى ردّ هذه الشبهة بقوله بلى قادرين اى نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على انه تعالى عالم بالجزئيات باسرها فيكون عالما باجزآء كل شخص متميزة عن اجزآء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا واشار الى المنشأ الثانى لانكار البعث بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعنى ان الانسان الذى هو عبد بطنه وفرجه واسير ماله وجاهه فان فكرة البعث تكدّر عليه انهماكه فى استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضى حبس نفسه الامارة بالسوء عن اطلاقها فى قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلا ينتهى عن المعاصى ولا يخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى يأتيه الموت وهو على شرّ احواله واسوأ افعاله وقوله تعالى امامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب وما يتفرّع عليه ومفعول يريد محذوف والمعنى بل يريد الانسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقيد بقيود الايمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقى من عمره وفسر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لانه فى هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز فى حقه تعالى وارادة الفجور كأنه قيل ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمرّ على فجوره فى حال كونه سائلا على طريق الاستهزآء والسخرية ايان يوم القيامة فيوم القيامة مبتدأ وايان خبره ثم انه تعالى ذكر من علامات القيامة ههنا امورا ثلاثة اوّلها قوله فاذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر وثالثها قوله وجمع الشمس والقمر وقرأ نافع برق بفتح الرآء من باب نصر والباقون بكسرها فقيل هما لغتان فى التحير والدهشة وقيل برق بالكسر بمعنى تحير فزعا فتراه لا يطرف وبرق بالفتح من البرق اى لمع وتلألأ من شدّة شخوصه اى ارتفاعه يقال شخص شخوصا اى ارتفع ﴿قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره﴾ يعنى ان الاصل فيه ان الرجل اذا اكثر من النظر الى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك فى كل حيرة سوآء نشأت من النظر الى البرق ام لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير فى كل حيرة عرضت له من كثرة النظر من كل ما يفرّق البصر كالثلج ونحوه ثم اختلفوا فى ان هذه الحالة التى هى برق البصر متى تكون وتحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان الاخيران ظاهران لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم ايان اى متى يوم القيامة كأنه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لا بدّ من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لانه لما سئل بان يقال ايان يوم القيامة كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لا يطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزآء والسخرية فقيل فى جوابه ان من استهزأ اذا قرب موته وبرق بصره يتيقن حينئذ ان ما كان عليه من الانكار والاستهزآء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدآئم فيقول حينئذ اين المفرّ ﴿قوله ولا ينافيه الخسوف﴾ ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما فى الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما بهذا الطريق ينافى خسوف القمر لان خسوفه يقتضى المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلا يتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذى هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما فى الطلوع من المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا لخسوفه ايضا لان ما ينافى الملزوم ينافى اللازم ايضا اجاب عنه بانه ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فالله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر بأىّ طريق شاء وقرأ العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف على بناء المفعول لان خسف

(ليفجر امامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل ايان يوم القيامة) متى يكون استبعادا واستهزآء (فاذا برق البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدّة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق

يستعمل لازما ومتعدّيا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشئ وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ﴿قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت﴾ الاشارة بذلك الى برق البصر فمن حمله على مايلحق البصر عندالبعث او عندرؤية جهنم تيسرله ملاحظة ارتباط الكلام بماقبله ووجه عطف قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزآء واما من حمل برق البصر على ماهو من امارات الموت فيعسر عليه ملاحظة ارتباط الكلام بماقبله وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس فى ذلك لايكون فى زمان البروق الذى هو من امارات الموت فلايصح عطفهما عليه بالواو الجامعة* وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك ولابدع ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بمايكون من أمارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيهالها بالقمر فى ان نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرّفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التى هى الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له وبان تجعل الشمس استعارة للروح تشبيها للروح بالشمس فى ان كمالات عالم الارض تحتاج الى تأثير الشمس وحركاتها ويفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عندالموت وقوله وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا فى حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بمعنى بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجرّدات ﴿قوله او بوصوله﴾ اشارة الى تفسير آخر للجمع بان تجعل الشمس مستعارة للارواح العالية والعقول المجرّدة التى يستفاد منها انوار العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانسانى فحينئذ يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانسانى الى الارواح العالية ﴿قوله وتذكير الفعل﴾ حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اى لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى وهى الشمس وفى مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع ان فعل الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث وهذا الوجه لايصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مؤيدا للوجه الاوّل فكأنه قيل ذكر الفعل لاسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقى ﴿قوله تعالى يقول الانسان﴾ جواب اذا فى قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له واين المفرّ منصوب المحل بالقول اى يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره أين الفرار من حيث انه لايرى شيأ من امارات تمكنه من الفرار والمفرّ بفتح الميم وكسر الفاء اسم للمكان المفرّ اليه ﴿قوله مستعار من الجبل﴾ فان الوزر فى الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل مايلجأ اليه ويتحصن به تشبيها له بالجبل المنيع والمعنى لاشئ يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اى لاملجأ ثمة او فى الوجود ﴿قوله اليه وحده استقرار العباد﴾ على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام فى المستقرّ عوض عن المضاف اليه وانه بمعنى الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اى لايقدرون ان يستقرّوا الى غيره تعالى ولايتوجهون الا اليه واما استقرار امورهم على معنى لاترجع امور العباد الا الى حكمه لايحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقرّ بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار يومئذ مفوّض الى مشيئة ربك وحده من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقرّ مرفوع على الابتدآء والى ربك خبره ويومئذ ظرف معمول لماتعلق به الى ربك ولايجوز ان يكون معمولا للمستقرّ لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلايتقدم عليه معموله وان كان اسم مكان فلايعمل اصلا وكذا الكلام فى نحو قوله الى ربك يومئذ المساق ﴿قوله اى بما قدم من عمل عمله او بما اخر من سنة حسنة اوسيئة عمل بها بعده﴾ فاقدمه هو ماعمله بنفسه من الاعمال خيرا كان اوشرّا ولم تتعدّ نسبته الى من بعده وما اخره سوآء عمله هو بنفسه من ذلك او ابقاه سنة حسنة اوسيئة لمن بعده وعلى الاوّل ماقدمه وأخره ماعمله من عمل طاعة كان اومعصية ومالم يعمله من طاعة وعلى الثالث ماقدم وأنفق من امواله ايام حياته وماخلفه للورثة وعلى الرابع ماعمله فى حياته مقدّما ومؤخرا اى اوّل عمله وآخره ثم انه تعالى لما قال ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لايحتاج الى ان يخبر بذلك بناء على ان نفسه شاهدة عليه تخبر بجميع مافعله من الافعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قيل هذا فى حق الكفار فانهم ينكرون ماعملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم ﴿قوله حجة بينة على اعمالها﴾

وان حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ اين المفرّ) اى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفرّ (لاوزر) لاملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقرّ) اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدّم واخر) بما قدّم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدّم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة اوسيئة عمل بها بعده او بما قدّمه من مال تصدّق به وبما اخر فخلفه او باوّل عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على اعمالها

لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او على عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
(ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل مايمكن
ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع
معذرة على غير القياس كالمناكير فى المنكر
فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر
(لا تحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك)
قبل ان يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على
عجل مخافة ان يتفلت منك (ان علينا جمعه)
فى صدرك (وقرآنه) واثبات قرآءته
فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه)
بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه)
قرآءته وكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك
(ثم ان علينا بيانه) بيان ما اشكل عليك
من معانيه وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب

شارة الى ان الانسان مبتدأ و بصيرة خبره و على نفسه متعلق ببصيرة اى على اعمال نفسه و انّ تأنيث البصيرة مع
ونها خبرا عن الانسان و هو مذكر مبنى على انها صفة موصوف محذوف اى الانسان حجة بصيرة او مثل بصيرة
لى التشبيه البليغ شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها
يكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان الحجة شاهدة للدعوى فالانسان لما شابه الحجة من حيث كون
ل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه البليغ فقوله لانه شاهد بها اى شاهد بالاعمال
لى نفسه علة لحمل المشبه به على المشبه واشارة الى وجه الشبه ﴿ قوله وصفها بالبصارة على المجاز ﴾
راد بالمجاز المجاز العقلى كأنه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فامعنى
وصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير انما هو صاحبها * اجاب عنه بانه من قبيل الاسناد المجازى و وصف الحجة
وصف صاحبها بالدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتداء بها فان الهادى الى الطريق اذا كان بصيرا غير
عمى سهل عليه امر الدلالة وسهل على غيره الاهتداء به فوصف الحجة بكونها بصيرة للاشارة الى كونها سهلة
دلالة وسهلة الاهتداء بها فالمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة بدل حجة بصيرة و ان جعل تقدير الكلام
ل الانسان على نفسه عين بصيرة بها يكون الانسان مبتدأ و بصيرة مبتدأ ثانيا وعلى نفسه خبر الثانى والجملة
خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا
هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ والرقيب يطلق عليه العين البصيرة وجواب لو فى قوله تعالى ولو ألقى
معاذيره محذوف اى لم يقبل منه المعذرة ولو جاء بكل مايعتذر به فان العذر لا رواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرآئر
تظهر حقائق الاشياء كما هى ﴿ قوله وذلك اولى ﴾ اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع
معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح ومثقال ومثاقيل بخلاف ما اذا كان جمع
معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولا يجمع على معاذير الا على وجه الشذوذ كمنكر ومناكير ﴿ قوله
وفيه نظر ﴾ اى فى كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق القياس انما يكون وجها
لاولوية كون معاذير جمع معذار ان لو كان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع
معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا عن مفرد
لملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لا اولوية لاحدهما على الآخر والى كل
واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف
لقياس وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع
غير الملفوظ به بل المقدر فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع ﴿ قوله قبل ان يتم وحيه ﴾ اخذه من قوله
عالى فى سورة اخرى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما * روى انه عليه الصلاة
السلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه السلام اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ
جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة
لحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ﴿ قوله تعالى لتعجل به ﴾ اى باخذه دلت الآية
لى انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قرآءة جبريل عليه السلام وكان يسأله فى اثناء قرآءته عن مشكلات
عانيه لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله لا تحرك به لسانك الى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وعن الثانى
قوله ثم ان علينا بيانه فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ واثبات قرآءته فى لسانه
عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على ان القرآن مصدر بمعنى القرآءة مضاف الى مفعوله وان ثمة
ضافا مقدرا ﴿ قوله بلسان جبريل ﴾ اشارة الى ان قوله قرأناه من قبيل اسناد فعل المأمور الى الآمر
المعنى اذا قرأه جبريل عليك بامرنا وفرغ من قرآءته فاقرأه حينئذ وكرر كيلا يتفلت منك وكن تابعا له فى القرآءة
لا تقرأ معه ﴿ قوله وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ﴾ وجه الدلالة انه تعالى
كر البيان بكلمة ثم وهى للتراخى وانما قال عن وقت الخطاب لانه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة الى
لعمل لانه تكليف بما لا يطاق والاعتراض عليه بما روى من ان قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
لابيض من الخيط الاسود نزل ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض

واسود وكان يأكل ويشرب حتى يتبين له احدهما من الآخر فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع بان مافعله الصحابة كان فى صوم التطوّع ووقت الحاجة انما هو وقت الفرض من الصوم كذا فى التلويح ويجوز تأخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا بان يقترن باللفظ مايشعر بانه ليس المراد من اللفظ مايقتضيه ظاهره بل ان يقترن بمايشعر ان المراد بهذه النكرة فرد متعين وبهذا العام خاص وبهذا المطلق مقيد وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك ﴿ **قوله** وهو اعتراض بمايؤكد التوبيخ على حب العجلة ﴾ يعنى ان قوله تعالى لاتحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وبين قوله تعالى بل تحبون العاجلة * قال الامام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القرآن قدغير وبدّل وزيد فيه ونقص منه واحتجوا عليه بانه لامناسبة بين هذه الآية وماقبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان الاستعجال المنهى عنه انما اتفق للرسول صلى الله عليه وسلم عند انزال هذه الآيات عليه فلاجرم نهى عن ذلك الاستعجال فى هذا الوقت فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرّس اذا كان يلقى على تلميذه شيأ فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرّس فى اثناء ذلك الدرس لاتلتفت يمينا ولاشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام فى اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة فى اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيهما انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة حيث قال بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل فى امور الدين فقال لاتحرك به لسانك لتعجل به وقال فى آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما وبين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تأكيدا لماتضمناه من التوبيخ على حب العاجلة وتضمن الكلام الاخير اياه ظاهر واماتضمن الاوّل له فلما مرّ من ان المعنى ان انكار الكفرة للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدّة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفتهم عن النظر فى ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك فظهر به ان مؤدّاه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتأديته الى خسران الابد كأنه قيل لاتقتف آثارهم بان تهتم بعاجل الحال وتستعجل فى اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقرآءته متى شئت ﴿ **قوله** وقيل الخطاب الخ ﴾ اى وقيل فى وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم عدم مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر كأنه اذا عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القرآءة يتلجلج لسانه من شدّة الخوف ومن سرعة القرآءة فيقال له فاذا قرأناه فاتبع قرءآنه بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان مراده وشرح مراتب خيراته فالله تعالى يقدر على بيان جميع الاعمال الكافر على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال فهذا وجه حسن ليس فى العقل مايدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل تحبون العاجلة اضراب عن الردع المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه بمنزلة الامر الطبيعى الذى جبل عليه الانسان ليس ممايستحق الانسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ الاان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولايخلى بينها وبين ماجبلت هى عليه ولذلك عم الخطاب لكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيصه المخاطب دون غيره ﴿ **قوله** وان كان الخطاب للانسان ﴾ اى بطريق الالتفات عن الاخبار عن الجنس المتقدّم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا لايكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لايكون فيه التفات بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره ﴿ **قوله** ويؤيده القرآءة بالياء فيهما ﴾ وجه التأييد ان الفعل فى هذه القرآءة يتعين كونه مسندا الى ضمير الانسان المذكور قبل فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا بطريق الالتفات ثم انه تعالى لماوبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها فان الوجه ممايعبر به عن الكل كذا قيل الاانه لامانع من ان يراد بالوجه معناه الحقيقى فلا وجه للعدول عنه مع انعدام مايصرفه عن ارادته ثم قيل قوله وجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية اى الحسنة المتلألئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذ اى يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة

وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره اوبذكر مااتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرآءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع مافيه من اعمالك وقرآءته فاذا قرأناه فاتبع قرآءته بالاقرار اوالتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزآء عليه (كلا) ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس لجمع الضمير للمعنى ويؤيده قرآءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة

و جمالها و ذلك من اثر التنعم و الناضر الناعم و النضرة الحسن من كل شئ و البهاء الحسن يقال بهى الرجل و بهو ايضا فهو بهى و قيل وجوه مبتدأ و ناضرة خبره و يومئذ منصوب بالخبر وسوّغ الابتدآء بالنكرة لكون تنكير النوعية نازلا منزلة الوصف فى نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر ﴿قوله تراه مستغرقة فى مطالعة جماله﴾ مستفاد من تقديم قوله الى ربها ﴿قوله وليس هذا فى كل الاحوال﴾ جواب عما يقال كيف تكون مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرون فى الموقف وفى الجنة الى امور لاتحصى * وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلادليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال والاولى ان يقال التقديم لايتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولو سلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه لايعدّ نظرا كما فى قوله زيدا الجواد ﴿قوله وقيل منتظرة﴾ اذ من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما فى قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون اى فمنتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله ماينظرون الاصيحة واحدة وقوله انعامه اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى المنعم مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة ﴿قوله ورد﴾ اى ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لايسند الى الوجه فان قيل نعم انه لايسند الى الوجه بمعنى العضو الا ان القائل به يجوّز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولايخفى انه يصح اسناد الانتظار الى الكل * اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثانى من وجهى الرد ان النظر بمعنى الانتظار لايعدّى بالى بل يعدّى بنفسه فيقال نظرته ولايخفى ان هذا الوجه من الرد انما يتوجه على تقدير ان تكون كلمة الى حرف جر واما اذا كانت اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة انعامه فلايتوجه ﴿قوله وقول الشاعر﴾ جواب عما يقال لانسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدّى بالى * وتقرير الجواب ان النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لايستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن فى قوله من ملك تجريدية كما فى قولك رأيت من زيد اسدا بمعنى انه اسد ﴿قوله والبحر دونك﴾ اى اقل منك فى الجود والمعنى ان رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وانت ملك والحال ان البحر دونك فى الجود زدتنى نعما اى تعطينى فوق مارجوه والظاهر ان كون النظر بمعنى السؤال مبنى على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لايوجب الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذى يوجب ملوكيته من مقدماته ويعضد ذلك انه ينزل منزلته ويعبر به عنه كما تنزل زيارة الاغنياء من الفقرآء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى خبائه وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية * ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فسر النظر بنظر العين والرؤية فمن فسره بالانتظار فقد اتبع هواه وروى عنه عليه الصلاة والسلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لاتضامون فى رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لاتشبيه المرئى بالمرئى والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ﴿قوله شديدة العبوس﴾ كون البسر ابلغ من العبوس لاينافى ماسبق ان بسر اتباع لعبس والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سوّدها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار فأيست من رحمة الله تعالى وايقنت ان العذاب نازل بها وهى تظن ان يفعل بها فاقرة وهى الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها تكسر عظام الظهر اى فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال رأسته وبطنته اذا ضربت رأسه وبطنه والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمى الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله مفقورا وتظن مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر وباسرة على الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب بها ذهب جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذى تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذى الجلال والاكرام تتيقن فيه الاشقياء مايفعل بهم من الدواهى الفاقرة اذ يتبدل فيه المظنون بالعيان وتنكشف فيه الامور بحقائقها الا ان القياس النحوى يقتضى ان يكون الظن هنا على معناه لابمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده ان الناصبة وهى لاتقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التأكيد وان الناصبة لاتفيده فلذلك

(الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدّم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدّى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك *
والبحر دونك زدتنى نعما *
بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه

وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك والتردد فيقال علمت انك قائم وظننت ان تخرج واطمع ان يغفرلى ربى ولوقلت علمت ان يخرج زيد واظن ان زيدا يخرج كان قلبا للعادة المتعارفة من حيث انه اقترن ماهو علم التأكيد بما لا تقرير فيه وماهو عارمن التأكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجوانك تعطينى فذلك لاجل الدلالة على قوة الرجاء واذاقلت اخشى انه يفعل فهو لقوة الخشية وتقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال تتوقع اربابها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه الجمهور والمعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ماهم فيه وهم يقاسون شدة اشد الدواهى وافظعها يظنون ويتوقعون بعده ماهو اشد منه واهول لانهم حينئذ تيقنوا بعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم وتيقنوا ايضا بانه كما لانهاية للطفه ورحمته لانهاية ايضا لقهره وأليم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهى ظنوا ان يفعل بهم ماهو اشد منها وهكذا ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناضرة فى غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق فى مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب الوجوه الباسرة فى غاية النقمة والعناء وهو ان يتوقعوا فى كل لحظة ان يفعل بهم ماهو اشد مما هم فيه وافظع ﴿ قوله ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة ﴾ كأنه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء فى الآخرة وعلمتم انه لانسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيئوا لما بين ايديكم من الموت الذى تنقطعون به عن العاجلة وتنتقلون به الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين والتراقى جمع ترقوة وهى عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق والعاتق موضع الرداء من المنكب وبلوغ النفس التراقى كناية عن الاشراف على الموت والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اى الى موضع امر الله تعالى ان ترفع اليه فترفع اليه كما فى قوله تعالى انى ذاهب الى ربى معناه انى ذاهب الى حيث امرنى ربى ﴿ قوله تعالى وقيل من راق ﴾ معطوف على بلغت اى وقال من حضر المحتضر عند موته من الاحبة والاقارب هل من طبيب يرقى ويشفى برقيته فلا يلقون له اطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيأ والرقية هى التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب والاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كأن الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت ﴿ قوله ايكم يرقى بروحه ﴾ اى يصعد على انه من الرقى وفعله من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت واسترقيته فرقانى يرقينى رقية اى داوانى بها عن ابن عباس قال ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب ﴿ قوله وظن المحتضر ﴾ وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن انه فارق الدنيا وعبر عن المعرفة التى حصلت له حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه ببدنه متعلقة فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه التى ابى الله ان تسوى جناح بعوضة وهى الحياة العاجلة ولاينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة ويحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم ﴿ قوله او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة ﴾ على ان يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة فان الساق كثيرا ما يكنى به عن الشدة ويجعل مثلا فيه كما فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقولهم كشفت الحرب عن ساقها اى اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر ﴿ قوله سوقه الى الله وحكمه ﴾ يعنى ان المساق مصدر ميمى بمعنى السوق وان الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك والمعنى ان هؤلاء فى ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء ويجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى ﴿ قوله والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان ﴾ اى فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ويدل عليه قوله فيما بعد أيحسب الانسان ان يترك سدى فكأنه قيل لم يؤمن بالبعث ولاصدق بالرسول والقرآن ولاصلى وقيل فلاصدق ماله اى فلازكاه على ان فعل بمعنى تفعل ويأباه قوله ولكن كذب وتولى وجعله

(تظن) تتوقع اربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية اوقال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة اوملائكة العذاب من الرقى (وظن انه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلاصدق) ما يجب تصديقه اوفلاصدق ماله اى فلازكاه (ولاصلى) ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة

صاحب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اى أيحسب كذا بل أيريد كذا فى حال كونه منكرا للبعث فلا صدّق ولا صلى شرح الله تعالى كيفية اعماله المتفرّعة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين وبفروعه أما مايتعلق بفروع الدين فهو ماصلى ولكنه تولى واعرض واما مايتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويختال فى نفسه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان ﴿قوله من المط﴾ وهو المدّ يقال مطه يمطه اى مدّه وتمطط اى تمدّد وابدلت الطاء الاخيرة من تمطط الفا لكراهة اجتماع الامثال كما فى تقضي البازى وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت ألفه مبدلة من الواو يقال للمتبختر يتمطى لانه يلوى مطاه ويحرّكه فى تبختره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ﴿قوله ويل لك﴾ يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع ويل لك لقرب معناه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ماتكرهه على ان اولى فعل مثل أكرم من وليه يليه اى قربه نقل الى باب افعل فعدّى به الى مفعولين الاوّل الكاف والثانى محذوف وهو ماتكرهه واللام زآئدة فى المفعول كما فى ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابى جهل قال له النبي اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ان لم تؤمن فقال ابوجهل باى شئ تهدّدنى لاتستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لأعز اهل هذا الوادى فأنزل الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدّة اربع مرّات بل مرّة بعد مرّة كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرّتين ﴿قوله او اولى لك الهلاك﴾ اى ويجوز ان يكون اولى إسم تفضيل بمعنى احق واحرى ويكون خبر مبتدأ محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب اصله اويل فقدّم اللام على الياء فصار اولى كما فى شاكى وهارى اصلهما شائك وهائر والمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه مايكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك والنار وكرّر اولى للتأكيد وحذف لك من الثانى لدلالة الاوّل عليه ثم انه تعالى بعد ماانكر على عدىّ بن ربيعة واضرابه من منكرى البعث بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرّر الانكار عليه فقال أيحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لايؤمر ولاينهى ولايكلف فى الدنيا ولايحاسب بعمله فى الآخرة ولايثاب ولايعاقب عليه وتكرير الانكار بحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن ايضا الاستدلال على صحة البعث وتقريره أن اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لايليق بحكمته فاذا لابدّ من التكليف فى الدنيا ولايليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوّى بين المطيع والعاصى ولايميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لاتتأتى فى الدنيا فلابدّ من البعث والقيامة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابدآء على الاعادة فقال الم يك نطفة اى الم يكن هذا الانسان نطفة فى صلب ابيه يمنى بمعنى انه يصب فى الرحم ويمنى بالياء صفة منىّ وبالتاء صفة نطفة وهى الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خسة قدر الانسان اوّلا وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنيئ بشرا سويا ﴿قوله فعدّله﴾ اى جعل كل عضو من اعضاء الزوج معادلا لزوجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهيئاتها معادلا لما تقتضيه الحكمة

﴿سورة الانسان مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله استفهام تقرير وتقريب﴾ يعنى ان هل لاتستعمل الا فى الاستفهام لابمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لابدّ من ملاحظة اداة الاستفهام قبلها اما ملفوظة كما فى البيت اومقدّرة كما فى الآية * قال صاحب الكشاف فى المفصل ناقلا عن سيبويه ان هل فى قولهم أهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لاتقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولاتستعمل الا فى موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون هل موضوعة لتقريب مامضى وقوعه من الحال فسرت بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مختصة بالاستفهام التقريرى وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اتى أهل اتى وكان معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا بالانسانية

(ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر اقتصارا بذلك من المط فان المتبختر يمدّ خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه (اولى لك فاولى) ويل لك من الولى واصله اولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون اوفعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم اولى لك فاولى) اى يتكرّر ذلك عليه مرّة بعد اخرى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) مهملا لايكلف ولايجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الا بمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (الم يك نطفة من منىّ يمنى) وقرأ حفص بالياء (ثم كان علقة فخلق فسوّى) فقدّره فعدّله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابدآء على الاعادة على مامرّ تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل

على معنى انه وان كان شيأ الا انه كان شيأ لايعرف ولايذكر ولايدرى ما اسمه ولا مايراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ الانسان بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته ﴿ قوله كقوله ﴾ اى الشاعر واصل البيت

* سائل فوارس يربوع بشدّتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم *

ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدّتنا بفتح الشين وهى الحملة ويروى بكسرها وهى القوّة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحضيض والقاع المستوى من الارض اى الصحرآء والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير يقول سائل هذه القبيلة عن حال شدّتنا كانت قوية جلبت لنا العز والغلبة ام كانت دونها فجلبت الذل والمغلوبية ﴿ قوله طائفة محدودة من الزمان ﴾ فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدّها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحدّ فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتدّ الوهمى كما هو المشهور واختلفوا فى الانسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم فى هذه الآية ثم عقب بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون المراد بالانسان بنوا آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان فى الموضعين واحدا وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه مادام فى بطن امه لم يكن شيأ مذكورا الا انه نطفة او علقة او مضغة ولا قدر لشئ منها حتى يذكر ويعتنى بشأنه واذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف فى تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه اربعون سنة لما روى انه اتى عليه اربعون سنة وهو جسد ملق من طين قبل ان ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين وان كان شيأ موجودا لكن لم يكن شيأ مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم تم خلقه بتمام اربع اربعينات اعنى مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح فلأجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدّها ﴿ قوله بل كان شيأ منسيا ﴾ اشارة الى ان المنفى ليس اصل كونه شيأ بل المنفى هو كونه شيأ شريفا مذكورا بالانسانية فانه فى ذلك الحين كان شيأ خاملا لايعرف ولايذكر ولايدرى ما اسمه ولا مايراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم كان فى الرحم شيأ تافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضى ان يمضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الوقت ما كان شيأ مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين او الصلصال اذا كان مصوّرا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته انسانا باعتبار مايؤول اليه وان كان غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال ﴿ قوله والجملة حال من الانسان ﴾ تقديره اتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيأ مذكورا او وصف لحين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيأ مذكورا ﴿ قوله اخلاط ﴾ جمع خلط وهو المادّة التى يركب منها الشئ يقال اخلاط الطيب اى اجزآؤه وموادّه والامشاج واحدها امشج بفتحتين كمثل وامثال او مشج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشيئين مشجا اذا خلطتهما ﴿ قوله ووصف النطفة به ﴾ اى جمله وصفا لها مع كونها مفردا والامشاج جمعا ولا مطابقة بينهما وتقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا لما كانت اجزآء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف منفردة عن بعضها صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك ﴿ قوله وقيل مفرد ﴾ عطف على قوله جمع مشج اى وقيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبردة اكياش فى ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل اشراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبردا كياش وهو مايغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن ﴿ قوله وقيل الوان ﴾ عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفرآء وقيل الامشاج

كقوله * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتدّ الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) او آدم عليه السلام بين اوّلا خلقه ثم ذكر خلق بنيه (امشاج) اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزآء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادّة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر

هى الاطوار المختلفة التى ينتقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و التقدير من نطفة ذات امشاج لحذف المضاف

﴿قوله بمعنى مريدين اختباره﴾ اى بالامر والنهى و المحنة بالرخاء و الشدة يعنى انه حال مقدرة لامقارنة اذلا اختبار وقت خلقه اومقارنة ان كان الابتلاء مستعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من يفعل افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه يظهر بعد النقل امر آخر كما يظهر بعد الافعال الكائنة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو كالمسبب من الابتلاء فانه لماخلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه مايصح معه التكليف و الابتلاء وهو السمع و البصر وسائر مايتوقف عليه الفهم و التمييز فلذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو سبب له و المراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعاملها و المراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ماذكره بعد ذكر جعله سميعا بصيرا لكون الهداية و بيان سبيل الهدى و تعريفه بنصب الادلة و بعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس و اسباب الفهم و التعقل فان المراد بالسبيل سبيل الخير و الشر و النجاة و الهلاك ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منها و ذلك انما يكون بعد اعطاء العقل و اعطاء الحواس متقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم و المعارف الا ان الحواس الظاهرة و الباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية و التصديقية فانه اذا احس بها المحسوسات و تنبه لمابينها من المشاركات و المباينات حصل له المبادى التصورية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها على طريق الحركة فى الكيف الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه و رتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة و اذا تصور بها نسبا حكمية وحكم عليها بالايقاع و الانتزاع يحصل له مباد تصديقية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه التصديقية تحصل بالاكتساب الكفرى مثل الحكم بان هذا الاعتقاد و هذا العمل سبيل السعادة و النجاة و ذلك سبيل الشقاوة و الهلاك فثبت ان مرتبة التحلى بالحواس الظاهرة و الباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الاشياء و التصديق باحوالها وتعيين سبيل الخير و تمييزه عن سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله انا هديناه السبيل على اعطاء الحواس ﴿قوله تعالى اماشاكرا و اماكفورا﴾ حالان من الضمير المنصوب فى هديناه اى بيناله سبيل الهدى شاكرا او كفورا اى فى حاليه جميعا على ان تكون كلمة اما للتفصيل اى لتفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال اذلايعلم ان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه و طاعته لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين فصل و ذكر فى شرح الرضى ان كلتى او و امالهما ثلاثة معان فى الخبر الشك والابهام و التفصيل و فى الامر لهما معنيان التخيير و الاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولاتعرفه بعينه و الابهام اذا عرفته بعينه و قصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءنى زيد او عمرو اوجاءنى اما زيد و اما عمرو و لم تعرف الجائى منهما بعينه فاو و اما للشك و اذا عرفته و قصدت الابهام على السامع فهما للابهام و اذا لم تشك و لم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل هذا محصل مافيه ﴿قوله او للتقسيم﴾ بان يفرد ذو الحال من حيث انه مطلق و هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخول كلمة اماقيداله فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه و المعنى هدينا مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر وهو الموحد المطيع و الى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه فى حاليه جميعا و على التقسيم هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شكورا و تارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة ﴿قوله او من السبيل﴾ عطف على قوله من الهاء اى انهما حالان من الهاء او انهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اماسبيلا شاكرا اوسبيلا كفورا و وصف السبيل بالشكر و الكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف بوصف من سلكه ﴿قوله وقرئ أما بالفتح﴾ اى بفتح الهمزة على اما التفصيلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبخذ لان منابسوء اختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريقى الشاكر والكفور اتبعه الوعد و الوعيد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد الكافرين ثم ذكر ما اعد للشاكرين لماذكره المصنف و الاعتاد الاعداد و التهيئة وهى جعل الشئ عتيدا حاضرا لزمان الاحتياج اليه ﴿قوله هو جمع بر﴾ وهو من اطاع الله تعالى و امتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذى لا يؤذى الذر ولايضمر الشر وقيل الابرار هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصى

فان اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره اوناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء و لذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (اناهديناه السبيل) اى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اماشاكرا و اماكفورا) حالان من الهاء واماللتفصيل اوالتقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا اومقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و الاخذ فيه و بعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل و وصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل و اشعارا بان الانسان لايخلو عن كفران غالبا و انما المؤاخذ به التوغل فيه (انااعتدنا للكافرين سلاسل) بهايقادون (واغلالا) بهايقيدون (وسعيرا) بهايحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأنافع وهشام و الكسائى و ابوبكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع بر كارباب اوبار كاشهاد

﴿قوله من خمر فسر الكأس بالخمر﴾ على طريق ذكر المحل و ارادة الحال لما روى عن قتادة و الضحاك و ابن عباس انهم فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج بالكأس بل يمزج بما فيها من الخمر فالظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة و الكأس عند اهل اللغة الاناء الذى فيه الخمر و ان لم يكن فيه خمر فهو قدح ومزاج الشئ اسم لما يمزج به اى يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشئ ومنه مزاج البدن و هو ما يمازجه من الصفرآء والسودآء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها و الكافور طيب معروف و اشتقاقه من الكفر و هو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته ولانه ماء مكفور فى جوف ضيق من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوآء فيجمد و ينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قيل فى الآية سؤال هو ان مزج الكافور بالمشروب لا نجده لذيذا فما السبب فى ذكره ههنا والجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين فى الجنة ماؤها ابيض مثل الكافور فى لونه ورائحته و برده ولكن لا يكون فيه طعمه و لا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رآئحة الكافور عرض لا يكون الا فى جسم فاذا خلق الله تعالى تلك الرآئحة فى جرم ذلك الشراب سمى ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور فى رآئحته و ان كان طعمه طيبا و ثالثها لا بأس فى ان يخلق الله الكافور فى الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده و عذوبته و طيب عرفه يعنى ان كافورها و ان شارك كافور الدنيا فى البياض و البرودة وطيب الرآئحة لكنه يخالفه فى طعمه فانه حلو لذيذ والى الجواب الاول بقوله و قيل الكافور اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى بعض او صافه فسمى باسمه على سبيل الاستعارة و الى الثانى بان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل ﴿قوله ان جعل اسم ماء﴾ واما ان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيته فلا يصح حينئذ ابدال عينا منه الا غلطا وبدل الغلط لا يقع فى القرآن فعينا حينئذ بدل من محل من كأس على تقدير المضاف و التقدير يشربون خمرا خمر عين او منصوب بتقدير اعنى او باضمار يشربون يفسره ما بعده ولم يجعل عينا مفعول يشربون ومن صلة فلا تنصب مفعولا آخر ﴿قوله على تقدير مضاف﴾ لابد من تقديره على كل حال من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبنى على ان يجعل الكافور اسم ماء و العين التى هى منبع الماء لا تبدل من نفس الماء الا بتقدير مضاف اى ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كأس فلانه فسر الكأس بالخمر والعين لا تبدل من الخمر الا بان يكون التقدير خمر عين فقول المصنف اى ماء عين او خمرها لف ونشر مرتب ﴿قوله ملتذا او ممزوجا بها﴾ على ان تكون الباء فى بها متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف و هو ضمير العين ثم ان كان العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ملتذا بها وان كان بدلا من محل من كأس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ممزوجا بها ﴿قوله وقيل الباء مزيدة﴾ فيكون الضمير المجرور مفعولا به ليشرب اى عينا يشرب بها و الجملة على جميع التقادير صفة لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها او حال من عباد الله بمعنى مفجرين و التفجير الاجرآء يقال فجرت الماء افجره بالضم فجرا فانفجر اى سقته و اجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤا مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجرآء سهلا مستفاد من المصدر المؤكد فانه يدل على انه لا يمتنع عليهم كاجرآء انهار الدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار فى الآخرة شرح اعمالهم التى استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف يوفون بالنذر الآية كأنه قيل مالهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجب لله على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا ﴿قوله وفيه اشعار بحسن عقيدتهم﴾ حيث يؤمنون بالبعث والجزآء فان الاعتقاد به اصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية و العملية عن مقاتل قال فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر و فزعت الملائكة و فى الارض فنسفت الجبال واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل و بناء اطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة و صواب لكونها مضرة و شدة بالنسبة الى من تنزل عليه فلذلك فسره المصنف بقوله شدآئده ومن خاف من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب المعاصى ﴿قوله حب الله﴾ يحتمل

(يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته و بياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده (يشرب بها عباد الله) ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجرآء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان مارزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه (ويخافون يوما كان شره) شدآئده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله او الطعام او الاطعام (مسكينا ويتيما واسيرا) يعنى اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين

وجهين الاوّل ان يكون المصدر مضافا الى المفعول و الفاعل متروك اى حبهم الله تعالى و الثانى ان يضاف الى الفاعل و المفعول متروك اى على حب الله تعالى الاطعام و على تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام المذكور او للاطعام المدلول عليه بقوله و يطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله و الفاعل متروك اى على حبهم الطعام او الاطعام اى وهم يحبونه على ان يكون الجار و المجرور فى موضع الحال من فاعل يحبون و قوله مسكينا و ما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون فان مجامع الطاعات محصورة فى امرين التعظيم لامر الله و اليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر و الشفقة على خلق الله تعالى و اليه الاشارة بقوله و يطعمون الطعام فان الاطعام الذى هو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين و المواساة معهم باىّ وجه امكن و ان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع ﴿قوله فيقول أحسن اليه﴾ و ذلك لانه يجب الاطعام الى ان يرى الامام رأيه فيهم من قتل او منّ او فدية او استرقاق * فان قيل اذا كان الاسير الكافر من يكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه * قلنا القتل فى حال لا ينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى و لا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر و لذلك لا يحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلمين ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من تجب مواساتهم وهم ثلاثة احدهم المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه و الثانى اليتيم وهو الذى مات كاسبه و هو صغير و الثالث الاسير وهو الذى اخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا و لا حيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله انما نطعمكم لوجه الله و الثانى الاحتراز عن خوف يوم القيامة و هو المراد من قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا و العبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة و وصف اليوم به مجازا كما يقال صام نهاره ﴿قوله فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم﴾ يعنى ان قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لا نريد منكم جزآء و لا شكورا اى لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة ﴿قوله او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته﴾ عطف على تعبس يعنى ان اسناد العبوس الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم الى زمان فعلهم مثل صام نهاره او من قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلا على التشبيه المضمر فى النفس بان شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر فى شدة عبوسه لمن رآه تشبيها مضمرا فى النفس و جعل اثبات لازم المشبه به له و هو العبوسة دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية و التخييلية و الضراوة هى السطوة و الاقدام على ايصال الضرر بالعنف و الحدّة لكل من رآه و القمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين عينيه و هو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدّة العبوس ﴿قوله و جمعت قطريها﴾ يقال جمع فلان بين قطريه اذا تغير مغضبا كأنه جمع جوانبه لان يصول على من يغضبه و القطر هو الجانب و الناحية يقال طعنه فقطره تقطيرا اى ألقاه على احد قطريه اى على احد جانبيه فتقطر اى سقط و يقال اقطرّت الناقة اذا رفعت ذنبها و جمعت قطريها على ان اقطرّ فى اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله و جمعهم ما بين اعينهم و على ما ذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذى يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية ﴿قوله و الميم زآئدة﴾ لم يتعرض لزيادة الرآء مع ان قاعدة الصرف تقتضى زيادتها ايضا بناء على ان الرآء ليست من حروف الزيادة و هى حروف * هويت السمان * بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشدّ ما يكون من الايام و اطوله فى البلاء ﴿قوله و ايثار الاموال﴾ اشارة الى ان المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام و الكسوة و يدل عليه عطف قوله و حريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع و المجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العرى ﴿قوله بستانا يأكلون منه﴾ اشارة الى انه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار و هى دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى و فضله حتى يقال اىّ حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه فى جملة ما اعدّ فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لا يغنى عن ذكر الملبس ﴿قوله و اختبزت﴾ فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين و قال اطعمونى يطعمكم الله من موآئد الجنة فآثروه على انفسهم و آثروا اليتيم فى الليلة الثانية و الاسير فى الليلة الثالثة فلما آثروه اصبحوا فاخذ علىّ بيد الحسن و الحسين رضى الله

فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك و المسجون و فى الحديث غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾ على ارادة القول بلسان الحال او لمقال ازاحة لتوهم المنّ و توقع المكافأة المنقصة للاجر و عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ﴿لا نريد منكم جزآء و لا شكورا﴾ اى شكرا ﴿انا نخاف من ربنا﴾ فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم ﴿يوما﴾ عذاب يوم ﴿عبوسا﴾ تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته ﴿قمطريرا﴾ شديد العبوس كالذى يجمع ما بين عينيه من اقطرّت الناقة اذا رفعت ذنبها و جمعت قطريها مشتق من القطر و الميم مزيدة ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم﴾ بسبب خوفهم و تحفظهم عنه ﴿و لقاهم نضرة و سرورا﴾ بدل عبوس الفجار و حزنهم ﴿و جزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم على اداء الواجبات و اجتناب المحرّمات و ايثار الاموال ﴿جنة﴾ بستانا يأكلون منه ﴿و حريرا﴾ يلبسونه و عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن و الحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علىّ و فاطمة و فضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا و ما معهم شئ فاستقرض علىّ كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا و اختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه و باتوا لم يذوقوا الا الماء و اصبحوا صياما فلما امسوا و وضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة و قال خذها يا محمد هنأك الله فى اهل بيتك

منهم ودخل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ماأشدّ مايسوءني ماارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قدالتصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة الى آخرها ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية مافي الباب انها نزلت عندصدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فانه تعالى ذكر في اوّل السورة انه انماخلق الخلق للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح علتهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل بيت معين وان كانوا يدخلون فيهم دخولا اوّليا كما يدخلون في جميع الآيات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم من اتقياء الصحابة والتابعين فلاوجه لان يقال انها نزلت في حق عليّ بن ابي طالب خاصة رضي الله عنه وكرّم وجهه ﴿قوله او صفة لجنة﴾ اى لقاهم واعطاهم جنة متكئين هم فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ تكون جارية على غيرمن هي له فيجب ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذاجرى صفة او خبرا او حالا او صلة على غيرمن هو له لايستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه حينئذ فقوله تعالى لايرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين ودانية فانهما لايكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم من لايفرّق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولايجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة الاان تجعل حالا مقدّرة والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والاسرّة والستور والسرير لايسمى اريكة الااذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء واذا كان فارغا لايسمى سجلا وكذا الكأس لاتسمى كأسا الااذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير ﴿قوله يمرّ عليهم فيها هوآء معتدل﴾ يعني ان ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللاّزم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهوآء وخلوّها عن الهوآء الحار المؤذي بحرّه وعن الهوآء البارد المؤذي ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد مايلزمهما من خروج الهوآء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لايفيد هذا المعنى فقوله تعالى لايرون بمعنى لايجدون لان الهوآء ليس مما يرى وفي الحديث هوآء الجنة سجسج لاحرّ فيه ولاقرّ والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهوآء المعتدل والقرّ بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد ﴿قوله قداعتكر﴾ يقال اعتكر الظلام اى اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطيء انجلائه وزهرت النار زهورا اضاءت وزوى والزمهرير ماظهر بدل ماز هر اى وقرها ماطلع ﴿قوله والمعنى﴾ يعني ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان الجنة يكون هوآؤها مضيئا بذاته لايحتاج الى شمس ولاالى قمر وان اهلها في ضياء مستديم لاليل فيها ولانهار لانهما انمايحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما ﴿قوله اى وجنة اخرى﴾ على ان دانية صفة موصوف محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴿قوله والجملة حال او صفة﴾ اى على تقدير ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبره مقدّما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لايرون فتكون الواو فيها حالية لاعاطفة والمعنى لايرون فيها حرّا ولاقرّا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم * فان قيل كيف توصف الجنة بان ظلال مافيها من الاشجار دانية اى قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولاشمس في الجنة حتى يظل اهلها مافيها من الاشجار * فالجواب ان المراد بان اشجار الجنة تكون بحيث لوكان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمراد به في الآية الثمر مطلقا والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت العنبة اى قطعتها وسمي الثمر قطفا لانه يقطف كما سمي جنى لانه يجنى ﴿قوله معطوف على ماقبله﴾ فيكون تابعاله في حكم اعرابه فان نصبت دانية على الحالية تكون جملة ذللت ايضا حالا اى ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة اخرى اى جزاهم جنة ذللت ﴿قوله اوحال من دانية﴾ بتقدير قد وهذا الوجه مبني على ان يكون دانية منصوبا

(بالعطف)

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم في جزاهم او صفة الجنة (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) يحتملهما وان يكون حالا من المستكنّ في متكئين والمعنى انه يمرّ عليهم فيها هوآء معتدل لاحارّ محم ولابارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طيّ قال الشاعر

وليلة ظلامها قد اعتكر *

قطعتها والزمهرير ما زهر *

والمعنى ان هوآءها مضيء بذاته لايحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اما حال او صفة اخرى معطوفة على ماقبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ماقبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لاتمتنع على قطافها كيف شاؤا

بالعطف على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت
قطوفها لهم الا ان يكون المراد او حال من فاعل دانية كأنه قيل تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم
ثم انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدّم عليه وصف الاوانى التى يشربون بها
فقال ويطاف عليهم اى ويدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها
أأنية بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح ماقبلها
وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ولاخرطوم وافرادها بالذكر بعد ذكر
الآنية لشرفها بالنسبة الى غيرها كقوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون المراد بالآنية
مايشرب فيه كالقدح وبالكوب مايصب منه فى الاناء كالابريق كما اشار اليه بقوله واباريق ﴿قوله اى
تكوّنت﴾ اشارة الى ان كان تامة بمعنى حدثت فيكون قوارير الاوّل حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار
كونها تامة مع جواز كونها ناقصة وقوارير الاوّل خبرها انها اذا جعلت بمعنى تكوّنت وحدثت ينتقل الذهن
الى المكوّن المحدث وحيث لايكون الا الله كان المعنى تكوّنت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى فتكون اشارة
الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى * ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب المذكورة من فضة ومن قوارير
زجاجية * اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قوارير وانها
من فضة من باب التمثيل للتفهيم فانها فى نفسها ليست فضة ولازجاجية لماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها لما كانت
جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفها وبين بياض الفضة ولينها وصفت بانها من فضة تكوّنت حال كونها قوارير
والاصل فى مثل سلاسل وقوارير ان لاينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونوّنه شبهه
بالمفرد من حيث انه جمع جمع السلامة كما تجمع الآحاد المنصرفة حيث يقال صواحبات يوسف فى جمع صواحب
فلما جمع كما تجمع الالفاظ المفردة جعل فى حكمها وصرف مع ان ابا الحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا
جميع مالاينصرف الا افعل من بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر
واعلم ان القراء فى كلمتى قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف بدل التنوين كنافع
والكسائى وابى بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف كحمزة وحده والثالثة
تنوين الاوّل دون الثانى والوقف على الاوّل بالالف وعلى الثانى بدونها وهو لابى عمرو وابن ذكوان وحفص
ووجه القول الاخير ان الاوّل رأس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى ليس برأس آية فلم يوقف عليه بالالف
ومن لم ينوّنهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاوّل رأس آية وحمل الثانى على الاوّل للمناسبة بينهما ونصب
قوارير الاوّل على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة والجملة صفة لاكواب واما نصب
قوارير الثانى وهو قراءة الجمهور فعلى انه بدل من الاوّل للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة ﴿قوله
اى قدّروها فى انفسهم﴾ على ان يكون فاعل قدّروها ضمير اهل الجنة لاضمير الطائفين وقدّروها فى محل النصب
على انه صفة قوارير والمعنى قدّر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب
مايريدون ويشتهون فجاءت كما قدّروها فان منتهى مايريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل
اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره
بقوله قدّروها تقديرا ﴿قوله او قدّر الطائفون بها﴾ على ان ضمير قدّروها للخدام الطائفين ولابد من تقدير
المضاف حينئذ اى قدّر الخدام شراب القوارير على قدر رىّ الشارب من غير زيادة ولانقصان وهو ألذ للشارب لكونه
على مقدار حاجته فان كل واحد من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قُدِّروها بضم القاف وكسر الدال المشددة على
بناء المفعول منقولا الى بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدّرنيه فلان اذا جعلك قادرا له والمعنى جعلوا قادرين لها
كما شاؤا ﴿قوله مايشبه الزنجبيل﴾ كلمة ما فى قوله مايشبه الزنجبيل يحتمل ان تكون بألف ممدودة ويشبه
صفتها وبألف مقصورة ويشبه صلتها وعلى التقديرين لايكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء فى الجنة
يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما قيل ان الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون
عينا بدلا من زنجبيل بتقدير المضاف اى ماء عين وان كان الزنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى

(ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب)
واباريق لاعروة لها (كانت قوارير قوارير
من فضة) اى تكوّنت جامعة بين صفاء
الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد
نوّن قوارير من نوّن سلاسلا وابن كثير الاولى
لانها رأس الآية والباقون لم ينوّنوا اصلا
وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير
(قدّروها تقديرا) اى قدّروها فى انفسهم
فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدّروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدّر
الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف
شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدّروها
اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدّر منقولا
من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان
مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم
وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به

و يسقون فيها خمرا اخرعين فيها وصف الله تعالى اوانى مشروبهم فقال و يسقون فيها الآية وصف مشروبهم بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها فان السلامة هى ضدّ اللذع و هو الاحراق يقال لذعته النار اى احرقته ﴿قوله ولذلك﴾ اى و لكون السلسبيل بمعنى السلسال و السلسل اللذين هما من صفات الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته و صفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة ﴿قوله وقيل اصله سل سبيلا﴾ على انه كلام مركب من فعل امر من سألته الشئ و فاعل مستتر فيه ومفعول بارز والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما للعين فى الجنة او لمائها كما سمى الرجل تأبط شرّا • واعلم انه تعالى مزج شراب الابرار اوّلا كافورا و ثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهمّ حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حرّ عرصات القيامة وعبور الصراط و بقدر استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيه ثانيا الوان المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعلّ الوجه فى تأخير ذكر مايمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع فى ذكر اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الاوانى فقال ويطوف عليهم ولدان فانهم اخف فى الخدمة مخلدون دائمون على ماهم عليه من الشباب والغضاضة فى الحسن لايهرمون ولايتغيرون ويكونون على سنّ واحد على ممرّ الازمنة ﴿قوله وانبثاثهم﴾ اى تفرّقهم فى محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرّقا كان احسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا للمجتمع منه فى اللمعان والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المحفوظ المخزون لانهنّ لايمهنّ فى الخدمة فلاينتثرن انتثار الولدان ثم انه تعالى لما فصل بعض مافى الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بمايدل على ان مافيها من آثار الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العدّ والتفصيل فقال واذا رأيت ثم اى فى الجنة فان ثم منصوب على الظرفية ورأيت من رؤية البصر فتعدّى الى مفعول واحد الا انه فى الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع فى جميع ماوقعت الرؤية عليه كأنه قيل اذا وجدت الرؤية منك ثم اى فى الجنة لايحصل لك بتلك الرؤية الا ادراك نعيم كثير لاتوصف عظمته وملك كبير لايعرف كنهه وقيل مفعوله ثم وهو اسم لاظرف والمعنى اذا رأيت ذلك الموضع وقيل تقديره واذا رأيت ماثم على ان ما موصولة فى موضع النصب على انه مفعول رأيت وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين فانه لايجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ثم قيل الخطاب فى رأيت للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل من يصح ان يخاطب والنعيم مايتنعم به والملك الكبير ماذكر فى الحديث الذى اورده المصنف وزاد المصنف ان العارف له اكثر من ذلك وهو ان تنكشف له صور عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضئ مرآة قلبه بانوار العلوم اللدنية والمعارف الالهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية وحصول قوّة الاتصال بقدس الجبروت كما قيل تجوّع ترانى تجرّد تصل انتهى ﴿قوله ونصبه على الحال﴾ اختار قرآءة الجمهور وهم غير نافع وحمزة فانهم قرأوا عاليهم بفتح الياء وضم الهاء على الاصل فان الاصل فى هاء الضمير هو الضم مطلقا اى سوآء كان ضمير المفرد او المثنى او المجموع نحو منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهنّ وعنهنّ وفتحت فى منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو بهم اوفيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الالفاظ الثلاث وهى عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء فى جميع القرآن حيثما وقعت فيه نظرا الى ان الياء فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن فى الهاء الا الضم فكذا الحال اذا نطق ببدلها فمن قرأ عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرور فى قوله يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب سندس وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان عاليهم نكرة تكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلاجل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فان حق الحال ان يكون نكرة و يجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان و يكون ضمير الجمع فيه للولدان لا للابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام تعداد نعيم الابرار وكرامتهم

(عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل و سلسال و سلسبيل و لذلك حكم بزيادة الباء و المراد ان ينفى عنها لذع الزنجبيل و يصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرّا لانه لايشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت) ليس له مفعول ملفوظ و لا مقدّر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع (ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها و ماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم

(فالمناسب)

فالمناسب له ان تكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين ﴿قوله او حسبتهم﴾ اى ويجوز ان يكون
انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب فى حسبتهم اى حسبت الولدان لؤلؤا منثورا فى حال
كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للمطوف عليهم او من الاهل المقدّر
بعد رأيت اى رأيت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس ﴿قوله وقرأ نافع وحمزة بالرفع﴾ اى بسكون
الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وجعل المصنف قرآءة الرفع مبنية على ان يكون ثياب سندس مبتدأ
وعاليهم خبره على خلاف مااختاره الزمخشرى من ان يكون عاليهم مبتدأ وثياب سندس خبره بمعنى مايعلوهم من
اللباس ثياب سندس لانه يرد على مااختاره الزمخشرى ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة ولا يجوز الابتدآء
بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة لجاز الابتدآء بها ﴿قوله حلا على سندس
بالمعنى﴾ اى قرئ خضر بالجر على انه صفة سندس * وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو
جمع اخضر صفة لمفرد * وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان
فى معنى الجمع فيصح ان يوصف بالجمع كما فى قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال * واعلم ان القرآء السبعة فى خضر
واستبرق على اربع مراتب الاولى رفعهما النافع وحفص صفة لثياب كما فى قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا واستبرق
بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق كما فى قولك على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب
كتان والثانية خفضهما لحمزة والكسائى خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس
وثياب من استبرق والثالثة رفع الاول وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت لثياب وجرّ
استبرق عطف على سندس والرابعة عكس الثالثة اى خفض الاول ورفع الثانى جرّ خضر على انه نعت لسندس
ورفع استبرق عطف على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن
والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من
قدر مضافا اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد
من الاستبرق والسندس داخل فى اسم الحرير فى قوله ولباسهم فيها حرير ﴿قوله عطف على ويطوف عليهم﴾
على طريق عطف فعلية على فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه
واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون ﴿قوله ولا يخالفه﴾ جواب عما يقال انه تعالى قال فى سورة الكهف
يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ فكيف قيل ههنا من فضة
واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع فى ايديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ
او يجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال ليس من اهل الجنة احد
الا وفى يده ثلاثة اسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثانى يجوز
ان يكون ذلك بحسب التعاقب فى الاوقات اى يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث يجوز ان يكون ذلك
بحسب اختلاف اعمالهم ﴿قوله او حال من الضمير فى عاليهم﴾ عطف على قوله عطف على ويطوف عليهم اى
يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة
الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا لما مرّ ان ضمير عاليهم يجوز ان يكون مسندا الى
ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا
الى ضمير الولدان ايضا بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عليهم او من ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان قوله حلوا
على التقديرين يكون مسندا الى ضمير الابرار فيكون اسورة الفضة لهم لا للولدان ﴿قوله فانه يطهر شاربه﴾
يعنى ان الطهور بمعنى المطهر كما روى عن مقاتل انه قال هو عين ماء اى على باب الجنة ينبع من ساق شجرة منها
من شرب منه نزع الله تعالى ما كان فى بطنه من غش وغل وحسد وما كان فى جوفه من قذر واذى واشير الى هذا
المعنى بقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين فانه صريح فى ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر
باطنهم من الاخلاق الذميمة والاخلاط المؤذية وعن علىّ رضى الله عنه انه قال فى هذه الآية اذا توجه اهل الجنة
الى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فترى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير
ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج مافى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة

او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل
ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على
انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر
بالجرّ حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو
وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع
وحمزة والكسائى بالجرّ وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق
جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا
اساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم
ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فان حلىّ اهل الجنة
تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض
عليهم جزآء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا
تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال
من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين
(وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك
اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية
والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة
جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى
درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب
الابرار

الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا ثبت شرعا لاعقلا وليست الدار دار تكليف ثم انه تعالى لما أتم شرح ثواب الابرار قال انّ هذا اى يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من انواع البهجة والنعيم ان هذا كان لكم جزآء لاعمالكم التى قدّمتموها فى الدنيا لله تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى لعباده فى الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة لهم بان يقول هذا الذى شرحته لكم كان فى علمى وحكمى جزآءكم يامعشر عبيدى لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها والشكر اذا اسند الى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير ثوابه يقال شكر الله سعيك اى جزاك الله خيرا على ماسعيت واطلاق الشكر عليه مجاز تشبيها له بالشكر من حيث كونه فعلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر فى القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد فى حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق المبلغ وحقية رسالته بين ان مابلغه اليهم ليس بسحر ولاشعر ولا كهانة بل هو وحى الهى تفرّد الله تعالى بتنزيله مفرّقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال انا نحن نزلنا ولم يقل انزلنا للمبالغة فى تأكيد كونه وحيا الهيا بتصدير الكلام بانّ وتكرير الضمير الذى هو اسم انّ وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدا على تأكيد فكأنه تعالى يقول انّ هؤلاء الكفار يقولون انه سحر اوكهانة اونحو ذلك وانا الله رب العالمين اقول على سبيل التأكيد والتحقيق ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من قبلى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث بما قالوا فى حقه وفى شأنك فان ماقالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الاربعة وكون الواحد نصف الاثنين فأنت لامحالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق وان المقصود من بعثك ان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر بتأخير نصرك على اعدآء الدين فانه كائن لامحالة ﴿قوله واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان﴾ يعنى ان كلمة اوسوآء وقعت فى سياق الاثبات او النفى فمعناها احد الامرين او الامور الا ان ثبوت الشئ لاحد الامرين او الامور لايستلزم ثبوته للجميع فهى اذا وقعت فى سياق الاثبات تكون للاباحة او التخيير فان كان الجمع بين الامرين مما فيه فضيلة وشرف غالبا كما فى قولك جالس الحسن او ابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والافهى للتخيير نحو اضرب زيدا اوعمرا ولايجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفى احد الامرين او الامور والنهى عن احدهما فانه يستلزم نفى الجمع والنهى عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفى مايصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفى الجمع فاذا قلت لاتضرب زيدا اوعمرا فالتقدير لاتضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه ضرب احدهما وقد نهى عنه وكذا لوقيل لاتطع احدهما كان المعنى لاتطع كل واحد منهما فيكون كلمة او للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان * فان قيل فعلى ماذكرت يكون معنى او فى الآية النهى عن طاعة احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا * فالجواب انه لوقيل ولاتطعهما او ولاتطع آثما وكفورا لاحتمل جواز ان تطيع احدهما بخلاف مااذا قيل لاتطع احدهما فانه حينئذ يعلم ان النهى عن طاعة احدهما هو نهى عن طاعتهما ﴿قوله والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه﴾ اى من الاثم والكفر لاباعتبار انقسامهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لامحالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة واثمة فلامعنى لتقسيمهم فى انفسهم الى القسمين وانما التقسيم باعتبار مايدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لاتطع من يدعوك من الكفرة الى الاثم ولامن يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليل النهى بوصفى الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور وفى نهيه عليه الصلاة والسلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه الصلاة والسلام لايتصوّر فى حقه ان يطيع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة ولو انّ احدا استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم فظهر منه انه لابدّ لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرّع اليه فى ان يحفظه عن الفتن والآفات فى جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق

(والوليد)

(ان هذا كان لكم جزآء) على اضمار القول والاشارة الى ماعدّ من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرّقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع انّ مزيد لاختصاص التنزيل (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولاتطع منهم آثما اوكفورا) اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان يكون المطاوعة فى الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور

والوليد كان متوغلا في الكفر * روى ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع عن هذا الامر حتى ازوّجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اوّل حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع عليّ وقيل المراد بهما شخص واحد هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور مطلقا اي شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذي هو القول والاعتقاد اي وكن ذاكرا لله تعالى دائما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به الصلوات الخمس لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد به ذلك فالبكرة هي صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال الى الغروب وقيل لما بعد العصر الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والامر عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء اي الكفرة يحبون العاجلة اي يؤثرونها على الآخرة يعني ان الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر والاعراض عن اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما انزلنا عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقية امر النبوّة فان فيما بلغته اليهم كفاية في بيان الحق والارشاد اليه وانما الذي حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة **قوله امامهم او خلف ظهورهم** فان الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدّام فهي من الاضداد فهو ان كان بمعنى القدّام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان بمعنى خلف يكون ظرفا ليذرون كأنه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذ يكون قوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة تمثيلية بان شبهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه وراء ظهورهم فاستعمل مايدل على الحال المشبهة بها في الحال المشبهة **قوله مستعار من الثقل** الثقيل من صفات الاجسام الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة الا انه شبه يوم القيامة لشدّته وهوله بالشيء الثقيل الذي يتعب حامله **قوله وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه** يعني ان توصيف اليوم بالثقل والشدّة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه يصلح ان يكون تعليلا لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم من ثقل ذلك اليوم وشدّته والظفر فيه بجميع السعادات والكرامات **قوله واحكمنا ربط مفاصلهم** فسر الاسر بالربط كما ثبت ذلك عند اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصالهم بعضها ببعض كالعروق والاعصاب لما ذكر الله تعالى ان الذي دعاهم الى الاستمرار على ماهم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكأنه قيل لهم هبوا ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعة ايضا من حيث ان جميع ما انتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لاشريك له في خلق شيء منها كما يدل عليه تقديم المسند اليه في قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المنعم ان يطاع في جميع ما كلف به ولا يعصى بوجه ما وانتم اسأتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم في احسانه وفي ان يزيد عليكم ما تؤملونه ومثل هذه الرغبة تنافي العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلب عنهم جميع ما انعم به عليهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية ان لم تطيعوا هذا المنعم القادر على كل شيء شكرا لانعامه ورغبة في مزيد احسانه فلم تطيعوه خوفا من نقمته وقهره ففيه توبيخ عظيم على كفرهم **قوله ولذلك جيء باذا** فان حقها ان تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على ان المراد بالتبديل الاعادة والبعث فان المعاد مثل المبدأ من حيث اشتماله على الاجزاء الاصلية المبتدأة وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق الوقوع لاريب فيه فكلمة اذا حينئذ تكون في موقعها ويحتمل ان يكون المراد بتبديل امثالهم انشاء امثالهم في الدنيا لا بالبعث بل باتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطيع كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فحينئذ لايكون اذا مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمناسب للمقام ايراد كلمة ان والجواب ان ايجاد امثالهم في الدنيا بمنزلة محقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوّة ما يدعو اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب **قوله تقرّب اليه بالطاعة** فسر

(واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) وداوم على ذكره اودم على صلاتي الفجر والظهر او العصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم) امامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ الحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة او الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة

(وماتشاؤن الاان يشاءالله) وماتشاؤن ذلك الاوقت ان يشاءالله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل احد (حكيما) لايشاء الاماتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين اعدّلهم عذابا اليما) نصب الظالمين بفعل يفسره اعدّلهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتدآء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزآؤه على الله جنة وحريرا

﴿ سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) اقسم بطوآئف من الملائكة ارسلهنّ الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرآئع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بماأوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين الى الانبياء ذكرا (عذرا) للمحقين (اونذرا) للمبطلين او بآيات القرءآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فألقين ذكرا بحيث لايكون فى القلوب والألسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجوّ ففرقن فألقين ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته

السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها اليه اى اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدّته اختار سبيلا مقرّبا الى مرضاة ربه وهو الطاعة ﴿قوله الاوقت ان يشاء الله﴾ اشارة الى انّ ان مع الفعل فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه بالظرفية فى نحو قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرّغ اى ماتشاؤن الطاعة والتقرّب بها وقتا من الاوقات الاوقت ان يشاء الله تعالى مشيئتكم فان جميع مايجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه بخلق الله تعالى ومايخلقه الابمشيئته فلا يشاء ان يخلق فيكم مشيئة الطاعة الااذا علم منكم اختيار ذلك قرأ نافع والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام او على الالتفات من الغيبة فى قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون بياء الغيبة على وفق قوله خلقناهم ﴿قوله ليطابق الجملة المعطوف عليها﴾ فانها معطوفة على جملة يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين وقع منصوبا على انه من قبيل مااضمر عامله على شريطة التفسير فتطابقت الجملتان فى الفعلية بخلاف مااذا رفع والظالمون على الابتدآء فانه حينئذ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يضمر ناصب الظالمين بمايوافق لفظ المفسر وهو اعدّلهم بل اضمر مايناسبه فى المعنى مثل اوعد وكافأ لان لفظ اعدّ لايتعدى بنفسه * تمت سورة الانسان والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة والمرسلات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى والمرسلات﴾ جمع مرسلة بمعنى الطوآئف المرسلات بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة لمصلحة ومن حق جمع المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولايكفى فى صحة جمع المرسلات بالالف والتاء ان يقدر كونها صفة الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسلا بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هى جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون المرسلات بمعنى الطوآئف المرسلات من الملائكة ﴿قوله متتابعة﴾ اشارة الى ان عرفا حال من المنوى فى المرسلات وانه من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة فى تتابعهم وتلوّ بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤ كعرف الفرس اى متتابعين وفى الصحاح العرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف الفرس انتهى ﴿قوله باوامره﴾ اى بتنفيذ ماحكم به وامرهم بامضائه كتعذيب قوم وانجاء آخرين وليس المراد من ارسالهنّ بالاوامر ايصال اوامر الله الى الانبياء لانه لايبقى حينئذ للتخصيص بالاوامر فائدة ويكون قوله والناشرات تكرارا وعصفا مصدر مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الريح شدّة هبوبها شبهت الطوآئف المرسلات من الملائكة فى سرعة جريهنّ فى نزولهنّ وهبوطهنّ بالرياح الشديدة الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهنّ فى نزولهنّ بالارسال من غير مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على المرسلات بالواو لعدم كون نشر الشرآئع متفرّعا على الارسال ومتعقباله فان الملائكة اوّل مايبلغون الوحى الى الرسل لايصير ذلك الدين فى الحال مشهورا منتشرا بل اكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف النشر على ماقبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع فى الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب والتراخى ثم اذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى ان يتم مراسم الدين ومايتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان ينزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب وهذا وجه الترتيب على تقدير ان تكون الصفات الخمس لطوآئف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة ﴿قوله او بآيات القرءآن﴾ عطف على قوله بطوآئف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرءآن الموصوفة بتلك الصفات الخمس ﴿قوله بكل عرف﴾ اشارة الى ان انتصاب عرفا حينئذ بنزع الخافض ﴿قوله فعصفن سائر الكتب والاديان﴾ اى غلبنها وقهرنها يقال عصف الشئ اى اباده واهلكه وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت بهم ﴿قوله او برياح عذاب ورياح رحمة﴾ فعلى هذا يكون قوله والناشرات قسما مستأنفا برياح الرحمة بعدما اقسم برياح العذاب التى ارسلت عرفا اى متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة توصيفها بالعصف الذى هو شدّة الهبوب وهى امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل مابعدها على رياح الرحمة اخذا

من توصيفها بنشر السحاب اى بسطه فى الجو وتفريق اجزآئه بعضها عن بعض عب نشره قال الله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فقوله تعالى والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير فى معنى قوله فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد فى شكر نعمه صارت تلك الرياح كأنها القت الذكر فكان الاسناد اليها مجازيا ﴿قوله وعرفا اما نقيض النكر﴾ يعنى ان عرفا اما بمعنى المعروف والاحسان والخير كما فى قوله تعالى وائمر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه اى اجتمعوا ﴿قوله مصدران لعذر وانذر﴾ كون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا نحو شكرا وكفرا من مصادر الثلاثى واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفى الصحاح الانذار الابلاغ ولا يكون الا فى نحو التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى اى انذارى فانه صريح فى ان النذر اسم لمصدر انذر ﴿قوله او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار﴾ فان لفظ فعيل كثيرا ما يستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوه محوها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف اجناسه وانواعه ثم ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعى العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما فى قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاوّلين ﴿قوله ونصبهما على الاوّلين﴾ اى على ان يكونا مصدرين او جمعى ماهو بمعنى المصدرين بالعلية اى بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى لمحو ذنوب المحقين المعتذرين الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرّين ﴿قوله او البدلية﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا او نذرا على البدل بان يكونا مفعولين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا او نذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحى يكون بدل الكل من الكل فان ما القى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحو الاساءة وتخويف المصرّ عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله او ما يعم الموحد والمشرك معناه او ما يتناول احوال اهل التوحيد والشرك خاصة ﴿قوله وعلى الثالث﴾ وهو ان يكونا جمعى عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى فى الملقيات اى فالملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين او منذرين ﴿قوله بالتخفيف﴾ اى باسكان الذال فيهما وقرأ الباقون بتحريكها بالضم ﴿قوله تعالى انما توعدون لواقع﴾ اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على أن ما موصولة فى محل النصب على انها اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخص الموعود بمجيئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيامة فقط وقال الكلبى المراد ان كل ما توعدونه من الخير والشرّ لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول ﴿قوله محقت﴾ فى الصحاح الطموس الدروس والانمحاء يقال طمس الطريق وانطمس اى انمحى ودرس الطمس محوا لاثر الدال على الشئ فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت ذواتها لقوله واذا النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاوّل اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتدآء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاوّل اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجرّ باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم او جوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل يومئذ للمكذبين وقيل تقدير الكلام واذكر اذا النجوم طمست ﴿قوله صدعت﴾ اى انشقت والفرج الشق يقال فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع اى انشق ﴿قوله كالحب ينسف﴾ اى يطير فى الهوآء

وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال وعذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوّف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاوّلين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجيئ القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محقت او اذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف

(واذا الرسل اقتت) عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله اوبلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل (لأىّ يوم اجلت) اى يقال لأىّ يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما ادراك مايوم الفصل) ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعوّ عليه ويومئذ ظرفه او صفته (ألم نهلك الاوّلين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) اى ثم نحن نتبعهم نظرآءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب اوعلق فى الموضعين بواحد لان الويل الاوّل لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب (الم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدّره الله تعالى للولادة (فقدرنا) على ذلك اوفقدّرناه ويدل عليه قرآءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك اوعلى الاعادة

ليتخلص من تبنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقال حرقت الشئ حرقا اى بردته بالمبرد وشدّد للكثرة والمبالغة ﴿قوله عين لها وقتها﴾ فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله تعالى الرسل فيقول ما ذا اجبتم ﴿قوله بحصوله فانه لايتعين لهم قبله﴾ جواب عما يقال كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدّمات القيامة واماراتها كالثلاثة المتقدّمة وهى الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت وبين حياتهم فى الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدّمات القيامة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ماعين لهم فى الدنيا ليس الا انهم يجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا اجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولا يتعين لهم ذلك الا بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعين وقت حضورهم للشهادة لا تعين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشئ بمعنى تعين وقته انما يعتبر بالنسبة الى الزمانيات المتجدّدة لا بالنسبة الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلابدّ من اضمار الحدث فذلك الحدث هو الذى عدّ من علامات القيامة وفسر التوقيت ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل الشئ بالغا الى وقته المحدود بمجيئ ذلك الوقت وحصوله فكما ان تسويد الشئ وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشئ وتبليغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا فى الحقيقة مضافا الى حضور الرسل للشهادة على اممهم وسؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألنّ الذين ارسل اليهم ولنسألنّ المرسلين ﴿قوله اى يقال لأىّ يوم اخرت﴾ يعنى أن الجملة الاستفهامية فى محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا اى اذا كان كذا وكذا يقال لأىّ يوم اخرت هذه الامور التى هى طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون حالا من مرفوع اقتت اى اقتت مقولا فيها لأىّ يوم اجلت اى اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهى تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدّقهم ونحو ذلك ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من قوله ﴿قوله ويجوز﴾ عطف على قوله اى يقال وتقدير الكلام حينئذ واذا الرسل اعلمت وقت تأجيلها ﴿قوله وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل﴾ لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا وهلك هو هلاكا والويل موضوع موضع الاهلاك او الهلاك اشار به الى وجه وقوع ويل مبتدأ مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادّا مسدّ الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتدآء لذلك كما قالوا فى سلام عليكم والمصنف قدّر المفعول المكذبين المذكورين اوّلا فقال للمكذبين بذلك اى بيوم الفصل وبكل ما اخبر به الانبياء عنه وثانيا قدّره بان قال للمكذبين بآيات الله وانبيائه ليكون كل واحد من التكذيبين مغايرا للآخر بتغاير متعلقهما هربا من التكرار * واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فخوّفهم اوّلا بان اقسم على ان اليوم الذى يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك يوم الفصل ثم زاد فى التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاوّلين وهو يعم الكفار والذين هلكوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خوّف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم بانه اهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان سبب اهلاك الاوّلين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا منه ﴿قوله ثم نحن نتبعهم﴾ اختار قرآءة الجمهور وهى القرآءة برفع قوله نتبعهم على القطع عما قبله واستئناف الاخبار بما يفعله فى المستقبل باضمار المبتدأ اى نحن نتبعهم ويعضده قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه ثم نتبعهم بزيادة سين التسويف وقرآءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لو قرئ بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاوّلين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك لكون الاتباع واقعا فى حيز لم التى تقلب معنى المضارع الى الماضى وتنفيه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قرآءة الجزم الذين تأخر هلاكهم عن اهلاك المتقدّمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ثم انه تعالى خوّفهم بنوع ثالث فقال ألم نخلقكم من ماء مهين الآية وهو استفهام تقرير فمن اقرّ بقدرته تعالى على الابدآء لزمه ان يقرّ بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة ناقض نفسه مكابرة وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين ﴿قوله فقدرنا على ذلك اوفقدّرناه﴾ يعنى ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده قوله فنعم القادرون اى قدرنا على

(خلقه)

خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادّة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن الصور والهيئات ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة فى قدّر المشدّد فان قوله تعالى قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه بمعنى التقدير ويدل على كون ما فى الآية من التقدير قرآءة نافع والكسائى بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدّرون والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه واشكاله ومدّة حمله وحياته والقرار المكين الموضع المستقرّ الحصين وهو الرحم فان الماء الذى يخلق منه الولد لابدّ وان يثبت فى الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم اى مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لايعلمه غيره وذلك المقدار تسعة اشهر او اقل او اكثر ومالا يخلق منه الولد لايستقرّ فى الرحم ثم انه تعالى لما شرع فى النوع الرابع من تخويفهم بان ذكر ماانعم به عليهم من نعم الآفاق فقال الم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ماانعم به عليهم من نعم الانفس وهو انه اوجدهم من المادّة الخسيسة بعدما اثبتها فى الزاوية الخسيسة الى وقت الولادة وصوّرهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدّم ماذكر فيه نعم الانفس على ماذكر فيه نعم الآفاق لكون ما فى الانفس اصلا بالنسبة الى ما فى الآفاق فانه لولا الوجود وما يتفرّع عليه من القوى والآلات لما تيسر الانتفاع بشئ من النعم التى فى الآفاق حملهم على ان يقرّوا بانه الذى خصهم بهذه النعم التى كل واحدة منها اعجب من البعث وأدل على كمال قدرته وبديع حكمته ليستدلوا به على الاعادة ويستعدّوا لذلك اليوم فهذا هو وجه التخويف بهذه الآية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى ألم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض امّا للناس تشبيها لها بالام فى ضمها الناس الى نفسها احياء واموانا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كأنها تضمهم الى نفسها وكان الارض كفات لهم بمعنى انهم ينضمون اليها ويسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع مايحتاجون اليه فى معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضارّ وغير ذلك وايضا انها تكفت ماينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة ومعنى الكفت فى اللغة الضم والجمع يقال كفت الشئ يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفى الحديث «اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة» ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لايضيع شيأ مما يجعل فيه وذكر المصنف فى كفاتا اربعة اوجه الاوّل انه اسم لما يكفت كالضمام والجماع اسمان لما يضم ويجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كما يقال للخيط الذى يشدّ به الشئ شداد والثانى انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كصيام جمع صائم والرابع انه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الاوعية ويكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة «ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شئ واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع «اجاب عنه بقوله اجرى اى لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها ﴿قوله منتصبان على المفعولية﴾ فان كفاتا سوآء جعل مصدرا منوّنا او جمع اسم الفاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقديرين الم نجعلها كافتة احياء واموانا ﴿قوله وتنكيرهما التفخيم﴾ جواب عما يقال ان النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هى كفات لجميع الاحياء والاموات «وتقرير الجواب ان التنكير فيهما التفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ماذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لاينافى كونه عاما مستغرقا لجميع الافراد لانه فى معنى تكفت احياء لايعدّون واموانا لايحصرون واجاب ثانيا بانا لانسلم كون الارض كفاتا لجميع الاحياء والاموات بل هى كفات للبعض الذى هو احياء الانس واموانهم فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصرة فى احياء الانس واموانهم لان بعض الحيوان يكفته الهوآء والبعض الآخر يكفته الماء فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد او النوعية ﴿قوله او الحالية من مفعوله﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب احياء واموانا على انهما حالان من المفعول المحذوف اى الم نجعلها كافتة للانس والجنّ فى حال كونهم احياء واموانا وعلى التقديرين فهما منصوبان بكفاتا على ان يكون مصدرا وصفت به او جمع كافتة واما على تقدير كونه اسما لما يكفت او جمعا للكفت بمعنى الوعاء فلايكون عاملا لما تقرّر فى النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لاتعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر واسم الفاعل مفردا كان او جمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى ﴿قوله او بنجعل﴾ اى ويحتمل ان يكونا منصوبين بنجعل اما على انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا

(الم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها (احياء واموانا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما التفخيم او لان احياء الانس واموانهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت

مفعوله وعلى التقديرين يكون المراد بحياة الارض كونها منبتة وبموتها كونها مواتا لاتنبت ﴿قوله جبالا ثوابت﴾ على ان رواسي بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لاتزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف والشامخ العالي المرتفع ﴿قوله والتنكير﴾ اى وتنكير رواسي شامخات للتفخيم اذ من جملتها مالم يعرف ولم ير فان مايرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها وكذا في قوله ماء فراتا للتبعيض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد وفي السماء ايضا ماء فرات بل هي معدنه ومصبه والفرات الماء العذب لما عدّ الله تعالى انواع ماانعم به عليهم واستفهم عن انعامه عليهم بها استفهام تقرير كأنه قال قد انعمنا بها عليهم ثم هدّد بالويل على تكذيبهم وكفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء شرع في تخويفهم والوعيد عليهم ببيان مايقال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيامة فقال انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون والظاهر ان القائل هم خزنة النار او زبانية جهنم ﴿قوله خصوصا﴾ يعني ان المأمور به اوّلا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما والمأمور به ثانيا هو انطلاقهم الى نوع مخصوص منه واختلف في انطلقوا الثاني هل هو على لفظ الامر او الماضي فقرأ الجمهور انطلقوا على لفظ الامر وعن يعقوب انه قرأ انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضي اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرون اليه لايستطيعون الامتناع منه كأنه قيل كانوا يؤمرون في الدنيا بالايمان والطاعة فلا يلتفتون اليه ويكذبون من امر به فلما امروا في العقبى بالانطلاق الى ما كذبوا به سمعوا واطاعوا اضطرارا فلو اطاعوا في الدنيا لكان خيرا لهم قيل هو بعيد لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام باوّله على طريق قولك قلت له قم فقام ويمكن ان يقال تركت الفاء بناء على ان الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرها بعد ما يقال لهم بلفظ الامر ﴿قوله كقوله وظل من يحموم﴾ وهو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نار جهنم ﴿قوله يتشعب لعظمه﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ذي ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان الشعب من لوازم عظمته واستشهد قتادة على ذلك اى على ان المراد بظل المكذبين هو دخان نار جهنم بقوله تعالى احاط بهم سرادقها وقال سرادق النار هو الدخان تشبيها له بالسرادق وهو واحد السرادقات التي تمدّ فوق صحن الدار ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة اخرى في جوفه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا كتان فتلفحهم الشمس وتسفعهم ويأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم وعند ذلك اليوم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وعقابه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب والمؤمنون في ظل العرش تحت شجرة طوبى ولما كان عظم دخان جهنم مستلزما لتشعبه تشعب لامحالة وكون تلك الشعب ثلاثا لاازيد منها ولاانقص فلعل الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس والخيال والوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه فلاجرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعدّدها فان جميع مايصدر من الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لايصدر منه الا بواسطة القوّة الواهمة والغضبية والشهوية فلذلك تشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدّية اليه ﴿قوله وغير مغن﴾ اى وغير مبعد عنهم يعني ان قوله ولايغني في موضع الجرّ بالعطف على قوله لاظليل فانه مجرور على انه صفة لظل اى ظل غير ظليل وغير مغن وان مفعول يغني من اللهب محذوف وهو شيأ ومن في من اللهب لبيانه وان قوله ولايغني من اللهب من قول العرب أغن عني وجهك اى ابعده لان الغنيّ عن الشيء يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شيء عن شيء عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حرّ الشمس ولايدفع عنكم لهب النار واللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمرار واصفرار واخضرار ثم انه تعالى وصف النار التي كان هذا الظل دخانها بانها ترمي بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاوّل القصر والثاني الجمالات الصفر والمقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدا وقوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شررا جمع شررة وهي ماتطاير من النار في الجهات متفرّقا كالنجوم والقصر هو البناء العالي وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده

(وجعلنا فيها رواسي شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (واسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) اى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا (الى ظل) يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرّق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدّي الى هذا العذاب هو القوّة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم وردّ لما اوهم لفظ الظل (ولايغني من اللهب) وغير مغن عنهم من حرّ اللهب شيأ

(قوله)

قوله ويؤيده اى ويؤيدان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الرآين وهو جمع شرارة كان الشرر جمع شررة **قوله وقيل هو جمع قصرة** بالقصات كشجرة وشجر **قوله وهى** اى القصرة اصل العنق **قوله والهاء للشعب** اى ضمير انها فى قوله انها ترمى بشرر ضمير الشعب وقيل هى ضمير النار المدلول عليها باللهب **قوله جمع جمل** اى كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاوّل مثل جبال فى جمع جبل والثانى مثل حجارة فى جمع حجر ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات وبيوت على بيوتات وكذا يجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقديرين جمع الجمع قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة والباقون جمالات **قوله وقيل سود** يعنى قيل ان المشبه به هو الجمالات السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شئ من الصفرة ضعفه بناء على ان تسمية الاسود بالاصفر باعتبار مايشوبه شئ قليل من الصفرة لايخلو عن بعد **قوله والاوّل** اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر فى عظمته وقوله كأنه جمالات تشبيه له بالجمالات فى لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته **قوله وقد قرئ بها** اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من الشواذ **قوله بما يستحق** اى لان ينطق به لكونه عما ينتفع قائله اراد به دفع مايتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الا انهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع مانطقوا به حجة عليهم موجبا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لانه لاينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لاينتفع به ماجئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال او بشئ وحاصله ان يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون فى بعضها ولا ينطقون فى بعض فقوله فى هذه الآية لاينطقون بشئ اصلا حكاية لحالهم فى بعض تلك المواقف ولا ينافيه ان يختصموا وينطقوا فى موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم فى قوله هذا يوم لاينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى تقدّم من الوعيد واقع يوم لاينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هذا معرب وعند الكوفيين هو مبنى والفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدّم واجمع القرآء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا عن عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء فى جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن وليس كذلك فرفعوه عطفا على يؤذن وجعلوا الفاء لمجرّد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فيكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى مع قطع النظر من كون عدم الاعتذار مسببا عن عدم الاذن فلا يوهم الرفع ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر فى الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلا يؤذن لهم فى ذكر العذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للامر عليهم بوجه آخر وذلك لانه تعالى بين فيها انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عنهم فيجتمع عليهم فى هذا الموقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤوس الاشهاد وهو اشدّ من العذاب الجسمانى **قوله تقرير وبيان للفصل** اشارة الى فائدة قوله جمعناكم والاوّلين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاوّلين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم ليمكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاوّلين كان ذلك تقريرا لما يفهم من قوله هذا يوم الفصل **قوله تقريع** اى تخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لايتكلم به الامن تيقن عجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتا له **قوله لانهم فى مقابلة المكذبين** يعنى ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وذلك لان السورة من

(انها ترمى بشرر كالقصر) اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال او جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاوّل تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون) اى بما يستحق فان النطق بما لاينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن وأوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاوّلين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرّون فى انواع الترفه

اوّلها الى آخرها نازلة فى تقريع الكفار على كفرهم و تخويفهم من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الآية ايضا نازلة لهذا المقصود و الا لتفككت آيات السورة فى نظمها و ترتيبها و هذا المقصود انما يتم بان تكون الآية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب ايمانهم و توقيهم عن الشرك ليكون هذا نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم و بين المؤمنين كمال العداوة و البغضاء فلما بين الله تعالى فى هذه السورة اجتماع انواع العذاب على الكفار بين فى هذه الآية اجتماع انواع السعادة و الكرامة فى حق المتقين عن الشرك لتضاعف حسرة الكفار و اخزائهم فانهم اذا رأوا ذلك ازدادوا غما الى غمهم و عذابا روحانيا الى ماهم فيه من العذاب الجسمانى و الظلال جمع ظل و تنوينه للتعظيم و هو فى مقابلة ما انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب ﴿ قوله اى مقولا لهم ذلك ﴾ اى يعنى ان الجملة الامرية و ما فى حيزها فى موضع النصب على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوىّ فى قوله فى ظلال اى هم مستقرّون فى ظلال مقولا لهم ذلك و كذا قوله كلوا و تمتعوا فى موضع الحال من المنوىّ فى قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا و تمتعوا ﴿ قوله تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا ﴾ جواب عما يقال كون قوله كلوا و تمتعوا حالا من المنوىّ فى المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول فى الآخرة لان ثبوت الويل لهم انما هو فى الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم فى الآخرة ايضا و هو بعيد لان الكفار لا نصيب لهم فى نعيم الآخرة * و تقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم فى الآخرة الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل و التمتع لهم فى الآخرة حقيقة بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم ماهم عليه فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى و انهماكهم فى حب اللذة البشرية و الاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ و تحسير و تحزين ثم علل المأمور به و هو الاكل و التمتع اياما قلائل بقوله انكم مجرمون للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل و التمتع اياما قلائل ثم الهلاك و العذاب الابدىّ و يجوز ان يكون قوله كلوا و اشربوا كلاما مستأنفا خطابا للمذكورين فى الدنيا ثم خوّفهم بان اخبر ان شأنهم العصيان و ترك المأمور به و هو اما الركوع بمعنى الانقياد و الخضوع بالايمان و الطاعة و ترك الاستكبار و العناد و اما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء و ارادة الكل ﴿ قوله لانجبى ﴾ التجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع و فى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون جبية رجل واحد قياما لرب العالمين و قيل التجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه و هو قائم و الآخر ان ينكب على وجهه باركا و هو السجود كذا فى الصحاح ﴿ قوله فانها مسبة ﴾ اى ان هيئة التجبية هيئة تظهر و ترتفع فيها السه و هى الاست اى الدبر و انها زمان ظهور السه و ارتفاعها و فى التيسير فقالوا لانجبى اى لانجبى للركوع و السجود فعلوا أسته فقال عليه الصلاة و السلام * لاخير فى دين لا يكون فيه ركوع و لا سجود ﴿ قوله و قيل هو يوم القيامة ﴾ فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس فى الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى فى الدنيا ابتغاء لوجهه تمكن من السجود و من كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان ينحنى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف و ايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد بها كشف حالهم ﴿ قوله و استدل به على ان الامر للايجاب ﴾ وجه الاستدلال انه تعالى ذمّهم على مجرّد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرّد الامر للايجاب * فان قيل انما ذمّهم على كفرهم * فالجواب انه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة و انما ذمّهم فى هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على ان ترك المأمور به لا يجوز ﴿ قوله و ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴾ وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمّهم على حال كفرهم بترك الصلاة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع فى هذه الآية الصلاة و قد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكفار مخاطبون بفروع الايمان بمعنى انهم كما يستحقون الذم و العقاب بترك الايمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة ثم انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار و وعيدهم و خوّفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم و بين انهم فى اقصى درجات التمرّد و العناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع اعجازه و حسن نظمه فقال فبأىّ حديث بعده يؤمنون و هو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا به فبأىّ كتاب يؤمنون و قرئ بالتاء على خطاب الكفار و الله اعلم

﴿ سورة النبأ العظيم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(كلوا و اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) اى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) بمحض لهم العذاب المخلد و لخصومهم الثواب المؤبد (كلوا و تمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا و بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرّضوا انفسهم للعذاب الدآئم بالتمتع القليل (و اذا قيل لهم اركعوا) اطيعوا و اخضعوا او صلوا او اركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه و سلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانجبى فانها مسبة و قيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون و استدل به على ان الامر للايجاب و ان الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأىّ حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به و هو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة و المعانى الشريفة * قال عليه الصلاة و السلام من قرأ سورة و المرسلات كتب انه ليس من المشركين

﴿قوله اصله عن ما﴾ ادغمت النون فى الميم لقرب مخرجهما فان اجتماع الحرفين المتجانسين و المتقاربين فى الكلام يوجب ضربا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق و من جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة و أحد المتقاربين لا يدغم فى الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام ﴿قوله لما مر﴾ اى من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية تحذف ألفها تخفيفا للفظ الكثير التداول و فرقا بين ما الاستفهامية و الاسمية نحو لم وبم والى م وعن م وعلى م ونحوها وقرئ عن ما باثبات الالف على الاصل كما فى قول حسان

* على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرّغ فى رماد *

وطرح الالف اكثر استعمالا من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوى ومخرج النون ما بين طرف اللسان و ما فوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما فى المخرج فما سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة و الغنة قد جعلتهما كالمتقاربين فى المخرج والغنة مرة تخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت فى الخيشوم والاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه ﴿قوله كأنه لفخامته خفى جنسه فسئل عنه﴾ يعنى ان كلة ما سواء كانت لشرح المفهوم او كشف الشئ المعلوم الموجود اداة الطلب و السؤال يطلب بها شرح المفهوم او كشف الحقيقة العينية و المطلوب لا بد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشئ العظيم الشان المفخم القدر و ان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسئول عنه من حيث انه لفخامته و عظم شأنه صار كأنه يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسأل عنه كالاشياء التى جهلت مفهوماتها او حقائقها فطلبت بما و لاجل هذه المشابهة استعمل فيه كلة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ما يحبس ما العقبة ونحوها فان كلة ما فيها لمجرد التفخيم ﴿قوله او يسألون﴾ يعنى يجوز ان تكون صيغة التفاعل فى الآية على اصلها من الدلالة على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون كل منهما فاعلا له من وجه و مفعولا من وجه كالتخاصم و التقاتل و ان يكون بمعنى الفعل الثلاثى بان يكون المرفوع بها فاعلا ليس الا مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل وقد يستعمل ايضا فى ان يتحدثوا به و ان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى و اقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون ﴿قوله او الناس﴾ عطف على قوله لاهل مكة و الظاهر ان المراد بالناس اهل ذلك العصر من الكفار و المؤمنون اما المؤمنون فيتساءلون ويسألون عنه ليزدادوا يقينا فى ايمانهم بالبعث و اما الكفار فعلى سبيل السخرية و ايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساؤل او وعيد عليه يستدعى ان يحمل الناس على ما يعم اهل مكة و غيرهم من الكفار فقط فان قلت فما تصنع حينئذ بقوله فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين فى انكار الحشر فان منهم من يقطع بعدم بعثه و يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما نحن بمبعوثين ومنهم من يشك فيه و يقول ما اظن الساعة قائمة و لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى و جمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحانى و المشركون لا يثبتونه و يختلفون فى المعاد الجسمانى ﴿قوله بيان لشأن المفخم﴾ فتكون عن الاولى متعلقة بيتساءلون المذكورة و الثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر فالمعنى على اى شئ يتساءلون على سبيل تفخيم المسئول عنه و تعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبأ العظيم اى يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثانى لدلالة الاول عليه ﴿قوله او صلة يتساءلون﴾ اى ويجوز ان تكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فحينئذ تكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر الذى يفسره الظاهر فيتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المضمر ويكون ما بعده مفسرا له ويكون التعرض لفخامة شأن المسئول عنه مقصودا بالعرض و يدل على هذا الوجه قرآءة من قرأ عمه بهاء السكت فان هذه القرآءة تدل على انه وقف على عمه و ابتدأ بيتساءلون عن النبأ فهو يقتضى ان يتم الكلام عند قوله عم بان تكون كلة عن متعلقة بمضمر يفسره ما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتدأ و انما وقف بهاء السكت لان ألف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف و هذه هى الفائدة المطردة فى جميع ما يوقف عليه بهاء السكت ﴿قوله بجزم النفى و الشك فيه﴾ متعلق بمختلفون و هذا على تقدير ان يكون

﴿سورة النبأ مكية وآيها اربعون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفى جنسه فسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزآء كقولهم يتداعونهم و يترآءونهم اى يدعونهم و يرونهم او الناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم او صلة يتساءلون و عم متعلق بمضمر مفسر به و يدل عليه قرآءة يعقوب عمه (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفى والشك فيه او بالاقرار والانكار

ضمير يتساءلون لاهل مكة فانهم كما مرّ ليسوا بمتفقين على انكار الحشر بل منهم من ينفيه جزما ومنهم من يشك فيه وقوله او بالاقرار والانكار على تقدير ان يكون الضمير للناس كافة فانهم مختلفون فيه يقرّ به المسلمون وينكره الكافرون ﴿ قوله ردع ووعيد ﴾ يعنى ان كلا ردع عن التساؤل هزؤا وسيعلمون وعيد للسائلين بانهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم ﴿ قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشدّ ﴾ يعنى ان لفظة ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل فى التراخى الرتبى اى التباعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه فى الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازى هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد انما تكون بالحمل على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لما هدّدهم على استهزائهم بامر البعث والجزاء وبخهم بقلة الدين وسخافة العقل بان ذكرهم بعض ما عاينوا مما يدل على كمال قدرته ووفور علمه وحكمته كأنه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته الى هذه المثابة كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا فى كل فعل ﴿ قوله مصدر سمى به ما يمهد ﴾ اى يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطأته وسمى به مهد الصبى تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمراد الفراش وهو فى الاصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهدة اى ألم نجعل الارض بساطا ممهودا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ ﴿ قوله قطعا عن الاحساس والحركة ﴾ لما طعن بعض الملاحدة فى هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاوّل ان السبت فى اللغة يجيء لمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره سبتا اى قطعه وحلقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمى النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك فحسن ذكره فى اثناء تعداد النعم الجليلة والثانى انا لا نسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت وفى الصحاح والمسبوت الميت والمغشى عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها * قال الامام وهذا القول عندى ضعيف لان الاشياء المذكورة فى هذه الآيات من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت فى اثنائها ولعل المصنف اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذى لا يليق ذكره فى هذا المقام هو التوفى بمعنى الموت حقيقة ولا يمكن ان يكون المراد بالآية على تقدير ان يفسر السبات بالموت ما يفهم من ظاهرها بل هى من قبيل التشبيه البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح فى البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الآخر فلا بد من حملها على التشبيه البليغ والحال ان التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها فى مقام تعداد النعم وكذا الكلام فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فانه ايضا من قبيل التشبيه البليغ ﴿ قوله وقت معاش ﴾ يعنى ان قوله تعالى معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش فى عبارة المصنف مصدر ميمى يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل ما يعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب التعيش وهذا التفسير مبنى على ان يفسر السبات بالقطع عن الاحساس والحركة فتحصل المقابلة بين السبات والمعاش فانه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة ﴿ قوله او حياة تنبعثون فيه عن نومكم ﴾ مبنى على ان يفسر السبات بالموت رعاية للطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم ان لو قيل وجعلنا يقظتكم حياة الا انه عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا ﴿ قوله السحائب ﴾ ان فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من اعصرت السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد وهمزة اعصر للحينونة كما فى احصد الزرع اى حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه واما اذا كانت بمعنى الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل

(من)

(كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بأن الوعيد الثانى اشدّ وقيل الاوّل عند النزع والثانى فى القيامة او الاوّل للبعث والثانى للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مرّ تقريره مرارا وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبيّ مصدر سمى به ما يمهد للنوم عليه (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تنبعثون فيه عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحرّ والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير

من اعصرت الريح اى صارت ذات اعصار وهى الريح التى تستدير فى الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هى ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق **قوله** وانما جعلت مبدأ للانزال اى انزال الماء * جواب عما يقال كيف جاز ان تفسر المعصرات بالرياح وهى ليست مبدأ لانزال الماء بل المبدأ لانزاله هو السحاب * وتقرير الجواب ان الرياح وان لم تكن مبدأ قريبا لانزال الماء الا انها سبب لتكوّن مبدئه الذى هو السحاب لانه انما يتكوّن وينشأ وتمتلئ اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدأ للانزال بهذا الاعتبار **قوله** ويؤيده اى يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدأ للانزال باعتبار كونها سببا لتكوّن مبدئه القريب قرآءة من قرأ بالمعصرات بدل من المعصرات ووجه التأييد ان الباء للسببية والسببية فى المبدأ الآلى الذى هو الريح اظهر منها فى المبدأ المادّى وهو السحاب **قوله** يقال ثجه وثج بنفسه يعنى ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعدّيا بمعنى صبه غيره كما فى الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدى واختار المصنف كون ثجاجا فى الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال فى تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدّى حيث قال معناه صبابا كأنه يثج نفسه اى يصبها واياما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به **قوله** وقرئ ثجاحا بالجيم ثم بالحاء قرآءة الاعرج ويفهم من قوله ومثاجح الماء مصابه ان ثجح متعدّ بمعنى صب لا بمعنى انصب ومضارعه يثجح ويقال انثجح الماء فى الوادى اى سال فقوله ثجاحا بالحاء مرادف الثجاج المأخوذ من المتعدّى كما اختاره الزجاج **قوله** ما يقتات به القوت بالضم ما يقوم بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا ليكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات ألفافا ليتفكه بها الانسان والجنات الحدآئق الملتفة الاشجار قدّم الحب لانه هو الاصلى فى الغذآء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات فى الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه **قوله** جمع لف اختلفوا فى الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف فان الاوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فى واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع وقيل واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كحمر فى جمع حمرآء فيكون ألفافا جمع الجمع كخضرآء وخضر واخضار واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التى جاءت على وزن فعل لا تجمع على افعال فلا يقال فى جمع حمر احمار ولا فى خضر اخضار فالقول بان ألفافا جمع لف مخالف للقياس وفى هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير فى المفردات فلفظ لف لما كان نظير كقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضرّه عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوآئد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى يعنى ان القول بان ألفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوآئد لا نظير له ايضا وكأنه قاس بناء الجمع على تصغير الترخيم وهو ان تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على ما بقى نحو ان يقال حميد فى احمد ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة ويقال سويد فى اسود وخريج فى مخرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف زوائد الاسم ثم يجمع ما بقى منه **قوله** كان فى علم الله تعالى او فى حكمه لما كان الاصل فى كان الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان الذى يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان للماضى ويكون للحال او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقدّر قبل حدوث الزمان ايضا ولما لم يصح ان يكون المعنى كان ميقاتا فى زمان كذا فسره بقوله كان ميقاتا فى علم الله تعالى او فى حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء الازلى والتقدير الالهى فهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال **قوله** حدّا توقت به الدنيا اى نهاية ينتهى عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدأ فيه احوال الآخرة وتوصيف الحدّ بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث قيده بكونه حدا ينتهى عنده بقاء الدنيا او بكونه حدّا ينتهى اليه الخلائق من الجنّ والانس كالمعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقيد الاوّل بكونه زمان الوعد والثانى بكونه

وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدرّ اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق * او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضرآء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوآئد (ان يوم الفصل كان) فى علم الله او فى حكمه (ميقاتا) حدّا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدّا للخلائق ينتهون اليه

زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ماوعدالله من الثواب والعقاب اوبكونه وقتا لاجتماع الخلائق فى موقف الحساب لما فصل مايدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر ان يوم الفصل حدّ ينتهى عنده هذا النظام المحسوس ﴿قوله او بيان ليوم الفصل﴾ يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه منصوب بتقدير اعنى وافواجا حال من فاعل تأتون وهذا النفخ هى النفخة الاخيرة التى عندها يكون الحشر والنفخ فى الصور امابمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر فى جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام فى القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذى ينفخ فيه للبعث ﴿قوله تحشر عشرة اصناف من امتى﴾ فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الاصناف المحشورون احد عشر صنفا * قلت لعل الوجه فيه انه لايخفى على احد ان المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على كسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لايتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ماادّى الى ان يحشروا عليها من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنظر ومعرفة ماكان سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصى مع بيان الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية بقوله من امتى بمن التبعيضية ﴿قوله منكوسون﴾ النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بان تجعل الرجل اعلى والرأس اسفل ﴿قوله ثم فسرهم بالقتات﴾ جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة والثانى والثالث وهكذا على ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يفضى الى تطويل الكلام فيطلب بيانها من علم التفسير ﴿قوله وشقت﴾ اى تصدّعت بعد ان كانت شدادا لافطور فيها فيكون قوله وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى ﴿قوله فصارت من كثرة الشقوق كأنّ الكل ابواب﴾ لما لم يمكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لان نفس السماء اذا كانت بكليتها ابوابا لم يبق فيها مايعتمد تلك الابواب عليها حمله اوّلا على التشبيه البليغ للمبالغة فى كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدّا صارت السماء كأنها ليست الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى كثرنا العيون فى الارض بحيث صارت كأنها بكليتها عيون تتفجر وثانيا حمله على حذف المضاف اى فكانت ذوات ابواب ﴿قوله مثل سراب﴾ ووجه الشبه مااشار اليه بقوله اذ ترى على صورة الجبال فان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذى رآه فيه لم يجده شيأ فكذلك الجبال تصير فى عين الرائى كأنها جبال وليست كذلك فى نفس الامر لتفرّق اجزآئها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتتبدّد فتصير هباء منبثا مع استقرارها فى مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى فقل ينسفها ربى نسفا ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فتطيرها فى الهوآء كأنها غبار كما قال وهى تمرّ مرّ السحاب * واعلم ان الاحوال المذكورة الى هنا احوال عامّة القيامة ومن ههنا شرع فى وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذى يرصد فيه الراصد العدوّ اى يرقبه كالمضمار فانه اسم للمكان الذى تضمر فيه الخيل ويطلق على المدّة التى تضمر فيها الخيل ايضا وهى اربعون يوما والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان يعلفه حتى يسمن ثم يردّه الى القوت وذلك يتم فى اربعين يوما وفى الصحاح الراصد للشئ الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى مافيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمعمار فالمعنى ان جهنم تبالغ وتجدّ فى ترصد اعدآء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال بقوله او مجدّة فى ترصد الكفرة ويجوز ان تكون العبارة او محدّدة بالحاء المهملة من احددت النظر اذا توجهت ونظرت بالحدّ والاحكام فيكون المرصاد بمعنى المبالغ فى النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها كانت فى حكم الله تعالى مرصادا اى موضع ترصد او مجدّة فيه وقيل انها بمعنى صارت مرصدا ﴿قوله على التعليل لقيام الساعة﴾ المدلول عليه بقوله يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا كأنه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهى عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه او وقت تنتهى اليه الخلائق لان جهنم مرصاد لتجزى كل نفس بما كسبت لان الترقب لايكون الا لاقامة الجزآء

(يوم ينفخ فى الصور) بدل او بيان ليوم الفصل (فتأتون افواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشدّ نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت وأكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين الشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت ابوابا) فصارت من كثرة الشقوق كأنّ الكل ابواب وفصارت ذات ابواب (وسيرت الجبال) اى فى الهوآء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزآئها وانبثاثها (ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او مجدّة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى

وقوله مرصادا خبر كانت ومآبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصادا لهم وحدا لايتجاوزونه ثم ان كان مرصادا بمعنى مجدا فى ترصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلقا بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة النار الكفار يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا وكان فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا وعلى التقديرين يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لايجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ليكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا وهو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعمول له والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا نقل الامام عن الفرآء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقبه واستحقبه بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المصنف قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ماهو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا ﴿قوله وان كان فمن الخ﴾ اى وان كان فيه مايدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم ﴿قوله ولو جعل قوله تعالى لايذوقون فيها الخ﴾ جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا وهو دلالته على خروج الكفار منها * وتقرير الجواب هذا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى ما لا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لايستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج ﴿قوله او نصب احقابا بلايذوقون﴾ جواب رابع تقريره ماذكرتم من ان تناهى الاحقاب يدل على تناهى اللبث فيها المستلزم لخروجهم منها موقوف على قول من يرى تقديم معمول مابعد كلمة لا عليها فحينئذ لايكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث ﴿قوله ويجوز ان يكون جمع حقب﴾ اى بكسر القاف وهو جواب خامس عنه * تقريره ان ماذكرتم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا للابثين وليس بلازم لجواز ان لايكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى مجدبين يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لايذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسيرا لتكذيبهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه ﴿قوله والمراد بالبرد ماروحهم﴾ كأنه اشار الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لايذوقون فيها بردا ولا شرابا * وتقرير الجواب ان بردا وان كان نكرة واقعة فى سياق النفى المقتضى العمومية فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروح لقيام المخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا تخصيص بعد التعميم لكمال الماء البارد فى الترويح وقوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع لان الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح فى تسكين العطش فى شئ والحميم الماء الحار الذى انتهى حره والغساق صديد اهل النار ﴿قوله او النوم﴾ سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد اى اصابنى من البرد مامنعنى من النوم ﴿قوله اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق﴾ على ان جزآء مصدر مؤكد لفعله المحذوف وقوله وفاقا صفة لجزآء بتقدير المضاف اى جزآء ذا وفاق او بان يوصف الجزآء بنفس الوفاق للمبالغة فى وفاقه لاعمالهم ﴿قوله او وافقها وفاقا﴾ على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف لجزآء فتكون الجملة صفة جزآء والتقدير جوزوا بذلك جزآء وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم أتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار ابدا ﴿قوله بيان لما وافقه هذا الجزآء﴾ اى بيان للاعمال القبيحة الناشئة عن فساد القوة العملية فان من لايخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى بالطاعات ولما كان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب الشاق لايقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى انهم كانوا

(لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ (احقابا) دهورا متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة اوسبعون الف سنة فليس فيه مايقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الاحميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذآئقين الاحميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد ماروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق مايغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد (جزآء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لايرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزآء

لا يرجون حسابا معناه لا يخافون وكذا قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا معناه مالكم لا تخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوّتهم النظرية فقال وكذبوا بآياتنا كذابا ولاشك ان من فسدت كل واحدة من قوّتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان فى غاية الردآءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهول العقاب جزآء وفاقا فان مدّة عمره وان كانت متناهية الا ان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله فى عدم التناهى فان ماجوزى به من العذاب وان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على مافوقه من مراتب العذاب الا انه غير متناه بحسب المدّة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر فى مطلق عدم التناهى ﴿قوله مطرد شائع﴾ مثل كلم كلاما وفسر فسارا قال صاحب الكشاف وكنت افسر به فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ماسمع بمثله ﴿قوله قال فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه﴾ استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثى وان معناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثى فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثى ﴿قوله او المكاذبة﴾ عطف على الكذب فى قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاوّل ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هى الاصل فيه والثانى ان يكون للمبالغة تنبيها على كونهم مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر كاذب بمعنى بالغ فى الكذب فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوّة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لابدّ ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لامغالب له فيه فاذا اخرج الفعل الصادر ممن لامغالبة له فيه على زنة المفاعلة كان مبناه على تشبيه ذلك الفعل بما صدر عن المغالبين فى القوّة والكمال ﴿قوله وعلى المعنيين﴾ وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخفف حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال المصدر فى معنى اسم الفاعل ويؤيده قرآءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام التكذيب يعنى ان كذابا المخفف يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدّد لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية ﴿قوله ويجوز ان يكون للمبالغة﴾ عطف على قوله جمع كاذب اى ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البليغ فى الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد البالغ فى الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اى تكذيبا مفرطا كذبه ﴿قوله وقرئ بالرفع على الابتدآء﴾ وقرآءة الجمهور بالنصب على انه من باب مااضمر عامله على شريطة التفسير وهو الاولى فى هذا المقام بتقديره جملة فعلية * قال ابن الحاجب ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو جاءنى زيد وعمرا اكرمته ثم انه تعالى لمابين ان مايوجب الجزآء المذكور وهو فسادهم بحسب قوّتهم العلمية والنظرية بين ان تفاصيل احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شئ احصيناه كتابا وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه فان قوله فذوقوا مسبب عن تكذيبهم والاصل وكذبوا بآياتنا كذابا فذوقوا وفائدة الاعتراض تقرير ماادّعاه من قوله جزآء وفاقا كأنه قال انا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئى فاجازيهم جزآء وفاقا لاعمالهم وماانا بظلام للعبيد ﴿قوله وفى الحديث هذه الآية اشدّ مافى القرآن على اهل النار﴾ لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشدّ منه فتكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدّة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدّة كما اشرنا اليه سابقا ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ماوعد للابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز بماينبغى ويطلب فيكون حدآئق بدل اشتمال منه وان يكون اسم المكان الفوز وهو الجنة فيكون حدآئق بدل البعض والحدآئق جمع حديقة وهى كل بستان محوط عليه من قولهم أحدقوا به اى احاطوا به وتنكير اعنابا لتعظيم حالها ﴿قوله فلكت ثديهن﴾ اى استدارت فصارت كالكعب فى النتوء يقال فلكت ثدى الجارية تفليكا اى استدارت كفلكة المغزل ﴿قوله لدات﴾ اى مستويات فى السنّ واحدتها ترب وواحدة لدات لدة والهاء فيها عوض عن الواو والذاهبة من اوّله لانها من الولادة ﴿قوله ملأى﴾ فدهاقا مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اى ممتلئ وصف به الكأس للمبالغة فى امتلائها ﴿قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا﴾ اللغو هو ما يصدر من الكلام فى اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لاتتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة ولايكذب

(وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله
فصدقتها وكذبتها *
والمرء ينفعه كذابه *
وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة او كانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ احصيناه) وقرئ بالرفع على الابتدآء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط اولفعله المقدّر او حال بمعنى مكتوبا فى اللوح او فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية اشدّ مافى القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا او موضع فوز (حدآئق واعنابا) بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (اترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملأى وادهق الحوض ملأه (لايسمعون فيها لغوا ولاكذابا) وقرأ الكسائى بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لايكذب بعضهم بعضا

بعضهم بعضا فان كذابا بالتشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيهاشئ من ذلك ﴿قوله بمقتضى وعده﴾ جواب عما يقال انه تعالى جعل ماوعده للمتقين جزآء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم ثبوته * وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء فى نفس الامر وجزآء مبنى على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل الطاعة وقوله عطاء بدل الكل من قوله جزآء لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم وفى ابداله منه نكتة لطيفة وهى الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزآء وسيلة اليه وقيل انتصاب عطاء على انه مفعول به لجزآء بمعنى جزاهم عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى قيل يلزم عليه انتصاب جزآء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المصنف فى مثله والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لايكون كذلك لان الفعل لايؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه فى كتابه حيث قال ويعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لايلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان هذا الجواب يدفعه قول سيبويه ويعمل عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا ﴿قوله كافيا﴾ يعنى ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محسبا بمعنى كافيا من قولهم اعطانى مااحسبنى اى ما كفانى واحسبت فلانا اذا اعطيته مايكفيه حتى قال حسبى ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى اى كفانى من سؤالى ﴿قوله او على حسب اعمالهم﴾ فيكون ايضا صفة لعطاء اى عطاء كائنا بحسب اعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته وفى الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبا وحسبانا اذا عده وقدره والظاهر ان يقال على حسب ماوعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه فى مقابلة اعمالهم فان الجزآء وقع فى القرآن على ثلاثة اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثانى مادل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث مادل عليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقول المصنف او على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزآء مثل العمل وذلك انما يكون فى السيئة لافى الحسنة والكلام فى جزآء المتقين وجزآؤهم لايكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراده بقوله على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التى هى المراد بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف ﴿قوله وقرئ حسابا﴾ بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة من احسبه كذا اى كفاه وقياس فعال ان يبنى من الثلاثى كصبار وعلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بنى من افعل فى مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اى مجبر وادرك فهو دراك اى مدرك ثم انه تعالى لما بالغ فى وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض ومابينهما ﴿قوله بدل من ربك﴾ اختار قرآءة من قرأ بجر لفظى الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثانى صفة للاول او لمتبوعه وهذه القرآءة قرآءة ابن عامر وعاصم ثم ذكر ان اباعمرو وابن كثير المكى ونافعا المدنى قرأوا برفع الاول وان اباعمرو يرفع الثانى ايضا ثم ذكر ان حمزة والكسائى قرءا بجر الاول ورفع الثانى ولم اعلم مراد المصنف ماهو لاختلاف النسخ فى بيان اعراب هذه الآية وقد ذكر شهاب الدين فى معربه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثانى ويوافقه مافى التفسير للامام النسفى وهو قوله قرأ عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزآء من ربك والباقون كليهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض ومابينهما الرحمن وقرأ حمزة والكسائى رب بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا لانقطاعه عن الاول فرفع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازى رب السموات والرحمن فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهى قرآءة ابن كثير ونافع وابى عمرو والجر فيهما وهى قرآءة عاصم وابن عامر والجر فى الاول مع الرفع فى الثانى وهو قرآءة حمزة والكسائى وكذا فى شرح الشاطبية ﴿قوله اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه﴾ اى لايملكون من جهته تعالى ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من اثابة بعض وعقاب آخرين على ان تنكير خطابا للتنويع ولا يلزم من عدم تمليكه تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض ان لايأذن لهم فى الشفاعة والاعتراض على

(جزآء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزآء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض ومابينهما) بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتدآء (الرحمن) بالجر صفة له فى قرآءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قرآءة ابى عمرو وفى قرآءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر لمحذوف او مبتدأ خبره (لا يملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه

(يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرآئيل او خلق اعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا انذرناكم عذابا قريبا) يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿ سورة والنازعات مكية وآيها
خمس او ست واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بأن يهيؤها لادراك ما اعدلها من الآلام واللذات

الحاكم عبارة عن ان يتكلم فضولي في اثناء حكمه على قصد تغيير ما حكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصدا لتغيير الحكم ﴿قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق﴾ اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيامة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعي كونهم افضل الخلائق ﴿قوله تعالى الا من اذن﴾ يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو المختار لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له في الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لأحد الا لمن اذن له اى الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن في موضع الجر باضمار حرف الجر اى الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذي اريد به المشفوع له وذلك في قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدأ واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذي تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لا محالة والخطاب في قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا لمشركي العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام لكل احد مؤمنا كان او كافرا لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا * تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة والنازعات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله صفات ملائكة الموت﴾ توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعي ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة وانما يصح توصيف الملائكة بنحو النازعات والناشطات باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوآئف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوآئف مختلفة وجماعات متكثرة وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لان الواو الاولى للقسم وما بعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوآئف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشئ بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل والغرق اسم مصدر للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسره المصنف بقوله اى اغراقا في النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لاتفاقهما من حيث المعنى فان النزع نوع من الغرق والمصنف خص طائفة النازعات بالتي تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالابدان وذلك انه ليس من كافر يحضره الموت الا عرضت عليه جهنم فيراها قبل ان يخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة ينغمسون ومرة يرتفعون فعند ذلك يغرق روحه في جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصي بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله او نفوسا غرقة في الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة في اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتي تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطائفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة في الطيران الى عالم القدس وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا ويرى منزلته في الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه في الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه ﴿قوله يسبحون في اخراجها سبح الغواص﴾ يعني ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ما التقطه من قعر البحر فكما ان من سبح في الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتأذى نفسه ولا يدرى بالحركة فكذلك الملك

الذى ينشط روح المؤمن يخرجه برفق لئلا يصل اليه ألم وشدّة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ السابحات ﴿قوله فيسبقون﴾ فان قيل السبق لابدّ له من المسبوق فما فائدة المسبوق ههنا * قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء فى قوله فالسابقات فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب ادخال كل طائفة فى منزلتها والظاهر ان تدبير امور الثواب والعقاب فى الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لا من وظائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المصنف ان يهيؤها لادراك ما اعدّ لها من الثواب والعقاب اشارة الى ذلك ﴿قوله او الاوليان﴾ وهما النازعات والناشطات لهم اى لملائكة الموت والثلاث الباقية لطوآئف اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التى فيها تكون للقسم لا للعطف وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفا عليها على طريق عطف القصة على القصة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدآئى وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اوّلا بطوآئف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن سبح فى الماء واستعارة السبح للاسراع شايع كما يقال فى الفرس الجواد انه لسابح ﴿قوله او صفات النجوم﴾ عطف على قوله صفات ملائكة الموت فقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على انّ النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزعا اى اشتاق فكأن النجوم فى مسيرها الى جانب المغرب اشتاقت له اليه واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر ان النجوم تتحرّك حركة ذاتية من المشرق الى المغرب كما تتحرّك كذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغاربها عارضية تابعة لحركة الفلك الاعظم فينبغى ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على آثارها كذلك وان كانت هى فى انفسها مركوزة فى افلاكها او متحرّكة تبعا لافلاكها ﴿قوله وتنشط من برج الى برج﴾ نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول مرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها فى افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها فلاجرم عبر عن الاوّل بالنزع وعن الثانى بالنشط فتأمل ايها المسكين فى هذه الاسرار ﴿قوله فتدبر امرا نيط بها﴾ اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المنوطة بها المترتبة عليها مستندة اليها بحسب الظاهر وان كانت فى الحقيقة مستندة اليه تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها * فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة * قلنا المراد بالامر الجنس فصح ان يعبر به عن الجمع ﴿قوله فانها تنزع عن الابدان﴾ اى تقلع تعلقها عن الابدان قلعا شديدا شبه قلع التعلق بالنزع لانها تعلق من كثرة الاتصال بالشئ فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو فى صدد الموت فلان فى النزع اى فى قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كما انها تنزع اى تقلع تعلقها بالابدان عنها تنشط اى تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لاشتياقها الى الاتصال بالعالم العلوى ترتقى الى عالم الملائكة ومنازل القدس على اسرع الوجوه فى روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الاجساد فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاضلة فى النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم فى هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليه ابطأ ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلاجرم اوقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلوّ همتها فى تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوّتها لا يبعدان يظهر فيها آثار وتدبيرات فى هذا العالم فتكون من المدبرات الاترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه ﴿قوله او حال سلوكها﴾ عطف على حال المفارقة عن الابدان اى او هى صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها ﴿قوله اقسم الله بها على قيام الساعة﴾ يعنى ان جواب القسم محذوف وهو اما لتبعثن ويدل عليه ما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا أئذا كنا عظاما نخرة اى انبعث اذا صرنا عظاما نخرة واما لتنفخن فى الصور نفختين ويدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان واما ان القيامة واقعة لانه تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال

او الاوليان لهم والباقيات لطوآئف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوّتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسىّ باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البرّ والبحر فيسبقون الى حرب العدوّ فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدوّ فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه

و المرسلات عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة و قيل الجواب مذكور و هو اما قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة و التقدير و النازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة و ابصارها خاشعة و اما قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك و اما قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴿قوله وهو منصوب به﴾ اى بالجواب المحذوف الذى هو قيام الساعة و التقدير و النازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة * فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لاتقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى و انما تقع عند النفخة الثانية و يدل عليه قوله تعالى تتبعها الرادفة و بينهما اربعون سنة * اجيب عنه بان المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى يحصل فيه النفختان و لاشك انها تقع فى بعض ذلك الوقت الواسع و هو وقت النفخة الثانية و يدل عليه ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له و ان يكونا فى زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها و ذلك لايكون الا بان يكون المراد باليوم الوقت الواسع و الرجفة و الرجيف الحركة و الاضطراب و لفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد نزول الآية و الرجفة انما تحدث فى الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها ﴿قوله او الواقعة﴾ عطف على الاجرام الساكنة و المراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا لاضطراب الاجرام الساكنة و اسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه و الاصل ان يقال يوم ترجف الارض و الجبال بسبب حدوث الواقعة التى هى النفخة الاولى و ان فسرت الراجفة بنحو الارض و الجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجفة اليها حقيقة و حينئذ يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التى هى السماء و الكواكب سميت رادفة لانها فى تغير احوالها الى الانشقاق و الانتثار تتبع الاجرام الساكنة فى الرجفة و الاضطراب ﴿قوله او النفخة الثانية﴾ هذا على تقدير ان تفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما كان بعد شئ آخر يقال ردفه اى جاء بعده و النفخة الثانية تجيء بعد الاولى و كذا تغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء و انتثار الكواكب فانها ايضا تكون بعد رجفة السواكن و تزلزلها ﴿قوله وهى صفة لقلوب﴾ اشارة الى وجه الابتداء بقلوب و هى نكرة يعنى انها و ان كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله واجفة و النكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها فقلوب مبتدأ و يومئذ ظرف لواجفة و ابصارها مبتدأ ثان و خاشعة خبره و هو مع خبره خبر الاول و اضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف و اشار المصنف اليه بقوله اى ابصار اصحابها و يدل على تقدير الاصحاب ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب بقوله واجفة و لم يعرّفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لايخافون بل المراد قلوب الكفرة و مما يؤيد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة و هذا لايقوله الا الكفار ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون خشوع الابصار و ذلها ناشئا من الخوف بحيث يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب التى هى محل الخوف و هو من احوالها و خواصها و اضافة الابصار لما كانت فى معنى توصيفها بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة و بان سبب ذلها ما فى القلوب من الخوف و الوجفة و الوجيف خفقان القلب و اضطرابه و منه وجيف الفرس و البعير فى العدو و الايجاف هو حمل الدابة على السير السريع و للمفسرين عبارات كثيرة فى تفسير الواجفة و معناها واحد قالوا فى تفسيرها خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة و نحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكرى البعث و القيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم أئنا لمردودون فى الحافرة و ثانيها قولهم أئذا كنا عظاما نخرة و ثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة و هذه الاقوال صدرت عنهم فى الدنيا استبعادا للبعث و تعجبا منه و الحافرة فى الاصل عبارة عن الطريقة التى سلكها المرء اولا و اثر فيها قدمه بمشيه عليها جعل اثر القدم حفرا و سميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى انها ذو حفر كالبئر ثم اطلقت الحافرة على الحالة الاولى و اول الامر حتى قال الواحدى الحافرة عند العرب اسم لاول الشئ و ابتداء الامر قال الشاعر

أحافرة على صلع و شيب ❁ معاذ الله من سفه و عار ❁

يقول أأرجع الى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل و التصابى بعد ان شبت و صلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر

(يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبر (ابصارها خاشعة) اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل

وعار شديد فمعنى الآية أنردّ الى اوّل احوالنا فنصير احياء كما كنا ﴿قوله وقرئ في الحفرة﴾ على وزن
الكلمة وهو صفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه فحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقشرت بالاوساخ
وركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها مرّة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القرآءة بها الارض المنتنة المتغيرة بما فيها
من الاخباث واجساد الموتى والمعنى أئنا ونحن فى الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذورات لمردودون
فقوله فى الحفرة فى موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوز ان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها
﴿قوله وقرأ نافع اذا كنا على الخبر﴾ فكلمة اذا حينئذ معمول لقوله لمردودون بخلاف ما اذا قرئ أئذا
على الاستفهام فان عاملها حينئذ يكون محذوفا مدلولا عليه بقوله لمردودون والتقدير أنردّ اذا كنا عظاما نخرة
وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ يكون محذوفا لان حرف الاستفهام يمنع ان يكون مابعده
معمولا لما قبله والنخرة والناخرة تنبئ كل واحدة منهما عن البلى والفساد الا ان النخرة للدلالة على الثبوت والناخرة
على الحدث وقيل النخرة هي التى تنبئ عن البلى والتفتت والناخرة هي العظام الفارغة المجوّفة التى يحصل فيها
صوت عند هبوب الريح كشخير النائم لا من النخر بمعنى البلى ﴿قوله ذات خسران او خاسرة اصحابها﴾
يعنى ان اسناد الخسران الى الكرّة والحال انهم الخاسرون والكرّة مخسور فيها اما على ان يكون بناء الفاعل
للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى ظرفه وقوله تلك مبتدأ اشير بها الى الردّة والرجعة فى الحافرة
وكرّة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة والكرّ الرجوع
يقال كرّه وكرّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى كما يقال رجعه ورجع بنفسه والكرّة المرّة من الرجوع وقوله وهو استهزاء
منهم اى بأمر الحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع ثم انه تعالى
لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هى زجرة واحدة ﴿قوله متعلق بمحذوف﴾ يعنى ان الفاء
تعليلية لجملة محذوفة والتقدير لا تستبعدوا تلك الكرّة ولا تستصعبوها فانما هى سهلة هينة فى قدرة الله تعالى فما هى
الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهى نفخة اسرافيل
عليه الصلاة والسلام قال المفسرون يحييهم الله تعالى فى بطون الارض فيسمعونها فيقومون ﴿قوله لان السراب
يجرى فيها﴾ جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها فقيل لها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اى الجارية
الماء واختلفوا فى ان الساهرة هل هى ارض الدنيا ام ارض الآخرة فقال بعضهم هى ارض الدنيا وقال آخرون
هى ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الآخرة فقال ابو سعيد الساهرة هى
صحراء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا فى ذلك الانكار الى
حد الاستهزاء فقالوا تلك اذا كرّة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له قصة موسى
عليه الصلاة والسلام وما تحمله من المشاق العظيمة فى دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه ليكون ذلك
تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدا لمكذبيه كما اشار اليه المصنف بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم
عليه انتهى ﴿قوله أليس قد اتاك حديثه﴾ اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة
استغناء عنها بلفظة هل لكثرة وقوعها فى الاستفهام بحيث صارت كأنها علم استفهام بنفسها فاستغنى بها عن
الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال فلذلك
اتى المصنف فى تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اى أقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب ومعنى الاستفهام
حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه قبل ذلك كما فى ألم نشرح لك صدرك وألم يجدك يتيما وأليس الله بكاف عبده
وزاد كلمة ليس فى قوله أليس قد اتاك لكونها اظهر فى الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفى اثبات
وهذا المعنى مبنى على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن اتاه قبل ذلك فحينئذ يكون
الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار اذ لا وجه لحمله على الاقرار حينئذ ﴿قوله قد مرّ بيانه﴾ ذكر
فيها ان طوى بالضم اسم للوادى المقدّس فيكون عطف بيان له لكون الاسم اوضح وقيل ان طوى بالضم مثل
طوى بالكسر فى انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء مقصورا وهو الشئ المثنى والامر يعاد مرّتين يقال ناديته طوى وثنى
اى مرّتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودى اى نودى نداءين وان يتعلق بالمقدّس اى قدّس مرّتين وثنيت فيه
البركة والتقديس وقال الفرآء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم للمكان وهو

وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت
اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة (أئذا كنا)
وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا
على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وقرأ
الحجازيان وابو عمرو والشامى وحفص
وروح نخرة وهى ابلغ (قالوا تلك اذا كرّة
خاسرة) ذات خسران او خاسرة اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم (فانما هى
زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى
لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة
يعنى النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة)
فاذاهم احياء على وجه الارض بعدما كانوا
امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى
فيها من قولهم عين ساهرة التى يجرى ماؤها
وفى ضدّها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا
وقيل اسم جهنم (هل اتاك حديث موسى)
أليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب
قومك ويهدّدهم عليه بان يصيبهم مثل
ما اصاب من هو اعظم منهم (اذ ناداه ربه
بالواد المقدّس طوى) قد مرّ بيانه فى سورة طه

مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن صيغته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الى اذ لم اجد له فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن فاعل غير طوى وقيل طوى بمعنى يارجل بالعبرانية فكأنه قيل يارجل اذهب الى فرعون وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما انتهى واذ فى قوله اذناداه ظرف منصوب بحديث اى اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا بقوله اتاك لاختلاف وقتى الاتيان والندآء ضرورة ان الاتيان لم يقع فى وقت الندآء وقوله اذهب مقول قول مضمر اى اذناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين فى اى شئ تعدّى ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال آخرون انه طغى على بنى اسرآئيل بان استذلهم غاية الاذلال والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق والتعميم ويكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لايكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما ﴿ قوله هل لك ميل ﴾ اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف وان كلمة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع فى الكلام يقال هل لك فى الخير والتقدير هل لك رغبة فى الخير ومن قرأ تزكى بتشديد الزاى ادغم احدى التاءين فى الزاى لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف احدى التاءين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكى من النقائص لما توقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدّم الهداية الى معرفة الله تعالى لكونها اوّل مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد ثم رتب عليها ماهو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان من خشى الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن أمن تجرأ على المعاصى والمنكرات قال عليه الصلاة والسلام * من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل * يقال ادلج القوم اذا ساروا من اوّل الليل وان ساروا من آخر الليل يقال انهم ادّلجوا بتشديد الدال ﴿ قوله اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة ﴾ تعليل لكون المضاف المقدر فى قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته ﴿ قوله وهذا كالتفصيل ﴾ وذلك لان المأموربه فى قوله تعالى لموسى وهرون اذهبا الى فرعون فقولا له قولا لينا مفهومه مجمل يحتمل صورا شتى والمأموربه فى هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه الصلاة والسلام ابتدأ فى مخاطبة فرعون بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما لايليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرّح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلا فى الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لابدّ فى الدعوة الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿ قوله فذهب وبلغ فأرآه ﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله فأراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى اذهب الى فرعون فقل له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز كثير فى القرآن ﴿ قوله وهى قلب العصا حية ﴾ اعلم انهم اختلفوا فى الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاوّل انها اليد البيضاء لقوله تعالى فى سورة طه وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبى وقال عطاء هى قلب العصا حية وقال مجاهد هى مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اوّل ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان تكون مجموعهما واختار المصنف القول الثانى ثم استدل على ما اختاره بانها كانت مقدّمة فى الارادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه الصلاة والسلام فى نفسه خيفة منها وقصد ان يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك من ذلك الصنيع آية اخرى من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهر الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى هى الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا فى العصا ثم جعل فيها امورا اخر ازيد من ذلك منها حصول الحياة فى الجرم الجامد ومنها تزايد كميته وكبر جرمه وبطنه ومنها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث تغيب فيها وغير ذلك وكل واحد

(اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى الندآء معنى القول (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) بأدآء الواجبات وترك المحرّمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدّم والاصل

(من)

من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلنا ان الآية الكبرى هى العصا ﴿قوله او مجموع معجزاته﴾ وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهى كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التى اعطيها النبيون قبل موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر﴾ اى امر رسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه ان ما ظهر عليه الصلاة والسلام من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه فى يد موسى تصديقا له فى دعوى الرسالة وما روى من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا فى دعوى الرسالة انما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس للامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المصنف بقوله بعد ظهور الآية الى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهى ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشئا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا فى دعواه مصدقا من قبله تعالى فكأنه قيل فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله تعالى يسعى حال من فاعل ادبر سوآء كان السعى بمعنى السعى فى ابطال امره عليه الصلاة والسلام او بمعنى الاسراع فى المشى هاربا من الثعبان وسوآء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم ادبر لاستبعاد الادبار المقيد بحال كونه ساعيا فى ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم ﴿قوله اعلى كل من يلى امركم﴾ يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض وما بينهما او ما فيهما فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون لا يبعث اليه رسول يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزآء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلى امرهم ويحكم بينهم على امر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجرى بينهم البغى والاعتساف وذلك الذى يلى أمركم انا لا غيرى ﴿قوله اخذا منكلا﴾ يعنى ان نكالا مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف لاخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى بمعنى فى كضرب اليوم اى فى اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسيء فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى مثل ذلك الذنب والفعل المذكور لا ينكل فى الدار الآخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة فى الدنيا او فى الآخرة فان ما فعل فى الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل فى الآخرة ينكل من سمعه وصدق به وان لم يكن منكلا لمن يراه فى الآخرة فقوله لمن رآه مخصوص بالذات المنكل الواقع فى الدنيا وقوله او سمعه يتناول للاخذ الواقع فى الدنيا وللواقع فى الآخرة فان من سمع فى الدنيا بما عوقب به المذنب فى الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب ولفظ النكال والتنكيل ينبئ عن الامتناع عن الشيء وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو اذا امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ومخافة ونكل به على ذنبه تنكيلا اى عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما أتى به وقيل نكال الآخرة منصوب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور حملا على المعنى لان الاخذ فى قوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة اى تنكيلها ﴿قوله او على كلمته الآخرة وهى هذه﴾ عطف على قوله فى الآخرة بالاحراق وفى دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتى فرعون اللتين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا ينبئ عن انه تعالى يمهل ولا يهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب لما اضيف اليه من النكال ﴿قوله او للتنكيل فيهما او لهما﴾ عطف على قوله اخذا منكلا اى ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخرة على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الآخرة سوآء كانت الآخرة والاولى صفتين

او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم ادبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (فحشر) فجمع السحرة او جنوده (فنادى) فى المجمع بنفسه او منادٍ (فقال انا ربكم الاعلى) اعلى كل من يلى امركم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما او لهما

للدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى فى او كانتا صفتين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب الى سببه ﴿قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله﴾ نحو وعدالله و صبغة الله كأنه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى وقد مرّ انه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المذكور لان معنى اخذه الله نكله الله نكال الآخرة فان اخذه و نكله متقاربان معنى كما يقال دعه تركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان فى ذلك لعبرة اى فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة و السلام وخزى فرعون لعبرة لمن يخشى اى شأنه الخشية فانه يدع التمرّد على الله تعالى وتكذيب انبيائه خوفا من ان ينزل به مثل ما نزل بمنكرى بعثة موسى عليه الصلاة و السلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله و اوليائه وانبيائه كما نصر موسى عليه الصلاة و السلام فاعتبروا معاشر مكذبى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا لكم و اعلموا انكم ان شاركتموهم فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا فى حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكرى البعث فقال ءأنتم اشدّ خلقا اقسم الله تعالى اوّلا على قيام الساعة وبين مقدّماتها الهائلة و ذلة الكفرة فيها ثم التفت من خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هى زجرة واحدة اى لاتستصعبوها فانها سهلة هينة فى قدرة الله تعالى والآن شرع فى بيان سهولته فقال ءأنتم اشدّ خلقا وفسر المصنف الشدّة بالصعوبة لا الصلابة لانه لايلائم المقام اى اخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم و ضعف تأليفكم اصعب ام خلق السماء بلا مادّة مع عظم جرمها وقوّة تأليفها وهو استفهام تقرير ليقرّوا بأن خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لايقدر على اعادتكم وحشركم وهى ايسر واسهل فاعادتكم اولى بان تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لاتفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة ﴿قوله تعالى ءأنتم﴾ مبتدأ واشدّ خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشدّ خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها استعمل لفظ البناء فى موضع ذكر السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البيت لا فى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء وان البناء ابعد عن تطرّق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء فى هذا الموضع ﴿قوله ثم بين البناء﴾ اى لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاوّل ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشئ اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من جانب اعلاه الى اسفله سمى عمقا والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلوّ رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثانى من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله فسواها وفسره المصنف بوجوه ثلاثة الاوّل قوله فعدّلها اى جعلها متعادلة الاجزآء فى سلامتها من العيوب وفى مشابهة اللون وفى سائر الاوصاف والثانى قوله او فجعلها مستوية اى متساوية غير مختلفة الاجزآء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزآئها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع اجزآئها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فأىّ ضرر فى الدين ينشأ من كونها كرة ويحتمل ان يكون المراد باستوآئها كونها مسطحة ملساء والثالث قوله او فتممها واستعمال التسوية فى معنى الاتمام والاصلاح شائع والثالث من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها وانما اضافه اليها وحق حق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة فى الهوآء بسبب حيلولة الارض بينها و بين الشمس فهو فى الحقيقة ظل الارض الا انه اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة بين المضاف والمضاف اليه والظلمة الحاصلة فى الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره لم يرد ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال جعل المظلم مظلما فاوجهه والرابع من وجوه كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فسر المصنف الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف

ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية (ءأنتم اشدّ خلقا) اصعب خلقا (ام السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلوّ رفيعا (فسوّاها) فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كما لها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوّى فلان امره اذا اصلحه (واغطش ليلها) اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها

لدلالة الضحى عليه ﴿قوله يريد النهار﴾ اى يريد بضحى الشمس وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء
الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ماحل فيه فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو
اشرف مافيه فسمى النهار به لذلك لما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض
بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال بفعل مضمر مفسر بمابعده اى ودحا الارض وارسى الجبال
وقرئ بالرفع والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التى قبلها وبتقدير النصب يحصل
التناسب بينهما وكلمة بعد تقتضى ان يكون دحو الارض بعد خلق السماء ولايعارضه قوله تعالى فى سورة
حم السجدة ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها فى اربعة ايام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله الارض بأقواتها من غير ان يدحوها
قبل السماء فسوّاهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس فى خلق السماء والارض
ايهما كان اوّلا فى سورة البقرة وسورة فصلت وقيل كلمة بعد ههنا بمعنى مع كأنه تعالى قال والارض مع ذلك
دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك وقيل انها هنا بمعنى قبل كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور
من بعد الذكر اى من قبل الفرقان ﴿قوله ورعيها﴾ اى كلأها فان الرعى بكسر الراء الكلأ وبالفتح المصدر
والمرعى فى اصل اللغة يطلق على موضع الرعى بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدرى الا انه لم يسمع استعماله
فى المعنيين الاخيرين ويطلق ايضا على الرعى بكسر الراء وهو الكلأ وهو مجاز فى هذا المعنى مبنى على تشبيه
الكلأ بموضع الرعى بالمعنى المصدرى فى تعلق الرعى بالفتح بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى اذا اريد به
الكلأ مصدرا ميميا بمعنى المفعول ﴿قوله تمتيعا لكم﴾ على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه
اما على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اى متعناكم بها تمتيعا او على انه مفعول له اى فعلنا
ذلك تمتيعا لكم ﴿قوله وتجريد الجملة عن العاطف﴾ جواب عما يقال لم جرّد قوله اخرج عن العاطف مع
كون الجمل المتقدمة مصدّرة به اجاب عنه اوّلا بان هذه الجملة فى موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان
الماضى المثبت اذا وقع حالا لابدّ له من قد ظاهرة او مقدّرة للتنافى الظاهرى بين لفظ الماضى والحالية وباضمار قد
يكون الماضى قريبا من الحال فيرتفع التنافى وفى مثله يجوز ترك الواو كما فى قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم
فلذلك جرّد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها عن العاطف وثانيا بانها جرّدت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة
لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض وتمهيدها لسكنى الحيوان لايكون الا باشتمالها
على ما لابدّ منه فى تأتى السكنى فيها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال
عليها اوتادا لها لتستقرّ فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لايعطف على ماقبله فلذلك جرّدت
عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال ءانتم اشدّ خلقا ام السماء بناها اخبر
عن وقوعه وبين مايكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ماعمله وبراز الجحيم لجميع اهل الساهرة بحيث لاتخفى
على احد فقال فاذا جاءت الطامّة الكبرى اى بعد ماتبين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامّة
اى الحادثة التى تعلو على ماسواها وتقهره يقال جاء السيل فطمّ الركية اى دفنها وسوّاها وكل شئ كثر حتى علا
وغلب فقد طمّ ﴿قوله وماموصولة﴾ اى الذى سعاه وعمله فى الدنيا من خير او شرّ او مصدرية اى يتذكر
سعيه ﴿قوله لكل راء﴾ هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من ألفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم
وهذا العموم لاينافيه قوله تعالى فى سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرّزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو
لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها انها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرّون عليها حال مجاوزة
الصراط ويؤيده قوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ويحتمل ان يكون
اظهارها لكل راء عبارة عن اظهارها اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة
يجازوا بها جزاء وفاقا ولايلزم منه ان يراها كل راء بل يجوز ان لايراها الا اصحاب تلك الاعمال كما لايرى جنة الاعمال
الصالحة الا اهلها ﴿قوله دل عليه يوم يتذكر﴾ اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه وماعمله ويعرف كل
ما استحقه ومأواه ﴿قوله او مابعده﴾ اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا دل عليه قوله تعالى فاما من
طغى الى آخر الآية كأنه قيل فاذا جاءت الطامّة فان الامر كذلك اى فان الطاغى للجحيم وهى مأواه وان الخائف للجنة

(واخرج ضحاها) وابرز ضوء شمسها
كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار
(والارض بعد ذلك دحاها) بسطها
اومهدها للسكنى (اخرج منها ماءها)
بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو
فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة
عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان
للدحو (والجبال ارساها) اثبتها وقرئ
والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو
مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم
ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت
الطامّة) الداهية التى تطمّ اى تعلو على
سائر الدواهى (الكبرى) التى هى اكبر
الطامّات وهى القيامة او النفخة الثانية
او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى
الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر
الانسان ماسعى) بان يراه مدوّنا فى صحيفته
وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدّة
وهو بدل من اذا جاءت وماموصولة
او مصدرية (وبرّزت الجحيم) واظهرت
(لمن يرى) لكل راء بحيث لاتخفى على
احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى
على ان فيه ضميرا للجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم
من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب
فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر
الانسان او مابعده من التفصيل

وهى مأواه * فان قيل على ماذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ماأجمل سابقا ولم يسبق فى الكلام مجمل حتى تكون كلمة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة * قلنا انها ليست للتفصيل هنا بل هى حرف جيئ بها لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط وبيان ان الحكم ثابت البتة كما فى قولك اما زيد فنطلق فان معناه مهما يكن من شئ فزيد منطلق اى ان يقع فى الدنيا شئ يقع انطلاق زيد مرتبا عليه والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شئ ما فى الدنيا وفى شرح الرضى جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم يرفع دعوى لزوم التفصيل فيها ويحتمل ان يكون قوله او مابعده معطوفا على قوله يوم يتذكر والمعنى او دل على الجواب المحذوف مابعد قوله يوم يتذكر الانسان من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى يقع مالايدخل تحت الوصف والبيان ويكون قوله فامامن طغى تفصيلا لذلك المحذوف ﴿قوله واللام فيه سادة مسد الاضافة﴾ اى الى مايعود الى المبتدأ يعنى انه لابد فى الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ اذا كان جملة وكلمة من فى قوله من طغى موصولة فى موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هى المأوى خبره ولاضمير فيه يعود الى المبتدأ فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هى المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هى مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعنى ان ترك التعريف بالاضافة لعدم الحاجة الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى هنا هو الطاغى فلما لم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضف الاسم بل عرف تعريف الحقيقة للدلالة على ان حقيقة المأوى فى حقه هو الجحيم ليس الا وليست اللام فى المأوى لتعريف العهد اذلم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب لاصريحا ولا كناية فقوله واللام فيه سادة مسد الاضافة ليس معناه انه ترك الاضافة الى الضمير العائد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغنى غناء الاضافة الى الضمير فى افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى مايدل على الربط وعرف الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم ان لافادة الحصر ومثل هذا الضمير لاموضع له عند الخليل وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبره ﴿قوله مقامه بين يدى ربه﴾ يعنى ان المقام انما هو للعبد واضيف اليه تعالى لملابسته له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه والعبد انما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا وعلة لمخالفة الهوى ونهى النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول وكما ان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصل لجميع القبائح والسيئات فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل جميع الطاعات والحسنات ولذلك كان الوصفان الاولان سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان الاخيران سببا للسعادة الابدية ﴿قوله متى ارساؤها﴾ على ان ايان ظرف زمان بمعنى متى مبنى على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات فان المصدر الميمى واسمى الزمان والمكان مما زاد على الثلاثى يكون على لفظ اسم المفعول فيه وقوله تعالى مرساها مبتدأ وايان خبره ﴿قوله او منتهاها ومستقرها﴾ على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهى اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة كأن الساعة شئ متحرك يجرى الى جانب الوقوف مثل جريان السفينة الى مستقرها وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت وقوعها قائلين ايان مرساها استعجالا لها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما لاتباعهم انه لااصل لها كما قال تعالى يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴿قوله من ان تذكر وقتها لهم﴾ اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هى لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره فى مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال منهم عن وقت اتيانها وفيم انت فى مقابلة حكاية سؤالهم وهى قرينة دلت على ذينك المحذوفين والمعنى ماانت فى شئ من تبيين وقتها لهم لانك لاتعلم وقتها لان الاستفهام فى قوله فيم انت للانكار اى ان تبيين وقتها لهم لايزيدهم الاغيا فعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر ﴿قوله وقيل فيم﴾ عطف على فحوى كلامه السابق اى وقيل قوله فيم ليس خبرا مقدما لمابعده بل هو خبر مبتدأ محذوف اى فيم هذا السؤال الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده ثم استأنف

(فامامن طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هى المأوى) هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل اومبتدأ (وامامن خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها مأوى (يسألونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه (فيم انت من ذكراها) فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ماانت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكراها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها

بجملة انت من ذكراها بيانا لسبب الانكار على سؤالهم كأنه قيل انها قريبة غير بعيدة لانك علامة من علاماتها فارسالك يكفيهم دليلا على دنوّها و الاهتمام بتحصيل الاعتداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها ﴿قوله وقيل انه متصل بسؤالهم﴾ اى وقيل انه ليس من كلامه تعالى على احد الوجهين بل هو من تمة قول المشركين ايان مرساها و المعنى يسألونك عن الساعة قائلين متى ارساؤها و فى اىّ شئ انت متحاشيا من ان تذكر وقتها لنا فقال تعالى فى جوابهم الى ربك منتهى علمها ﴿قوله وهو لايناسب تعيين الوقت﴾ اى كون حالك مقصورا على الانذار لايناسب تعيين الوقت اذ لامدخل لتعيين وقتها فى الانذار و ان محض الانذار لايتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تعيين مايكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية و تحصيل الاستعداد لها بالايمان و الطاعة ﴿قوله على الاصل﴾ فان الاصل فى اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال الاعمال و الاضافة انما هى للتخفيف ثم انه تعالى لما بين كونه عليه الصلاة و السلام مبعوثا لمجرد الانذار من الساعة و شدآئدها بين ان شدتها بحيث انهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى قبورهم و يزعمون انهم لم يلبثوا فيها الآخر يوم او اوّله يوم ظرف لما فى كأنّ من معنى التشبيه * ولما ورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية و العشية لاضحى لها و انما الضحى لليوم * اشار الى جوابه بقوله اى عشية يوم او ضحاه يعنى ان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذى اضيف اليه العشية الا ان الضحى و العشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الآخر فلتلك الملابسة اضيف الضحى الى العشية و المراد اضافته الى يوم تلك العشية ومثله شائع فى كلام العرب يقولون آتيك الغداة او عشيتها و آتيك العشية او غداتها يريدون آتيك غداة النهار او عشية النهار الذى تلك الغداة اوّله فحذف ماحذف للاختصار ﴿قوله كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة﴾ عبارة عن استقصار مدة لبثه فيها بمايلق من البشرى و الكرامة فى البرزخ و الموقف * تمت سورة و النازعات بفضل الله تعالى و كرمه و احسانه و منه و لطفه

﴿سورة عبس مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى عبس﴾ يقال عبس اى كلح بوجهه يعنى ان النبى صلى الله عليه و سلم عبس و تولى اى اعرض بوجهه و الصناديد جمع صنديد و هو السيد الشجاع و كان عليه الصلاة و السلام يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم و رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه الاصاغر ﴿قوله على اختلاف المذهبين﴾ اى فى تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا و استدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له فأعمل البصريون الفعل الثانى لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى و الكوفيون اعملوا الفعل الاوّل اى عبس لان جاءه و ام مكتوم كنية ام ابيه و كان ابن ام مكتوم معروفا بجدته لابيه * روى انه لما نزلت الآية خرج عليه الصلاة و السلام فى طلبه و هو يقول من رأى الاعمى فلما لقيه عانقه و قال لن تزال فى عيالى مابقيت عيال محمد صلى الله عليه و سلم و روى انه عليه الصلاة و السلام ماعبس فى وجه فقير بعد نزول هذه الآيات ﴿قوله و قرئ أأن بهمزتين و بالف بينهما﴾ اى بهمزتين فقط و بهمزتين بينهما الف للفصل بين همزة الاستفهام و همزة ان و معنى الاستفهام الانكار و على هاتين القراءتين يوقف على تولى ثم يبتدأ بقوله أان جاءه على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله أأن على هاتين القراءتين ليس متعلقا بما قبله ﴿قوله و ذكر الاعمى للاشعار الخ﴾ جواب عما يقال انه تعالى لما عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم على مجرد انه عبس فى وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما منه تعالى لابن ام مكتوم و اذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه * اجاب عنه اوّلا بان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شأنه بل للاشعار بعذره فى الاقدام على مافعله و الدلالة على انه احق بالكرامة و ثانيا بانه كان لزيادة الانكار على مافعله من العبوس و التولى فان اهل الاعذار وسع الله فى حقهم مالم يوسع فى حق غيرهم كأنه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق و الرأفة فكيف يليق بك ان تخصه بالغلظة و التولى و انما قال لزيادة الانكار لان اصل الانكار مستفاد من قوله عبس و تولى باسناد الفعلين الى ضميره عليه الصلاة و السلام بصيغة الغيبة فان مقتضى الظاهر ان يقال عبست و توليت عمن جاءك بصيغة الخطاب

وقيل انه متصل بسؤالهم و الجواب (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها (انما انت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها و هو لايناسب تعيين الوقت و تخصيص من يخشى لانه المنتفع به و عن ابى عمرو منذر بالتنوين و الاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) اى فى الدنيا او فى القبور (الا عشية او ضحاها) اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار و لذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة و النازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

﴿سورة عبس مكية و هى احدى و اربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس و تولى ان جاءه الاعمى) روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و عنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله و كرر ذلك و لم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه و عبس و اعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكرمه و يقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و استخلفه على المدينة مرتين و قرئ عبّس بالتشديد للمبالغة و ان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين و قرئ أأن بهمزتين و بالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم للقوم او الدلالة على انه احق بالرأفة و الرفق

فالسلوك الى طريق الغيبة يشعر ان العابس و المتولى غير المخاطب و انه يشكى الى المخاطب من فعله و ذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصوّر وقوعه ممن جبل على خلق عظيم و بعث رحمة للعالمين و انما المتصوّر ان يقع ذلك من غيره و ان يشكو المتكلم الى المخاطب منه و هو انكار عظيم لو قوعه فيكون ذكر ذلك المستهزأ به بوصف الاعمى مفيداً لزيادة الانكار عليه كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس و الاعراض عنه و كان من حقه ان تزيد لعماه التعطف و الاهتمام بامره كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى قوله تعالى و ما يدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صوّر فعله مع الرسول صلى الله عليه و سلم فى صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه و يقبل على الجانى حين التهب غضبه و حمى رأسه مواجها اياه بالتوبيخ و الزام الحجة فكان الالتفات الواقع فى الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن مكتوم كان قد استحق التأديب و الزجر لانه و ان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه و سلم مع اولئك الكفار و يعرف بذلك شدّة اهتمامه صلى الله عليه و سلم بشأنهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة و السلام ايذآء له و لاشك ان ايذآءه عليه الصلاة و السلام معصية عظيمة و ايضا الاهم مقدّم على المهم و قد كان ابن ام مكتوم اسلم و تعلم ما يحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فانهم لم يسلموا بعد و قد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاستمرار على دعوتهم و تقرير الدلائل لهم و الزام الحجة عليهم اهم و أليق بحاله عليه الصلاة و السلام و كان قطع الكلام معهم و الاقبال على ابن ام مكتوم تقديما للنفع القليل على الخير العظيم و لا وجه له فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب و الزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله على ان ادّبه بترك الاقبال عليه و التولى عنه و الحال انه عليه الصلاة و السلام انما بعث ليؤدّب المؤمنين و يعلمهم محاسن الآداب * و اجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر كما ذكر الا انه عليه الصلاة و السلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره تقديم الاغنياء على الفقرآء و قلة المبالاة بانكسار قلوب الفقرآء و هو لا يليق بمنصب النبوّة و ثانيهما ان ابن ام مكتوم و ان كان قد استحق التأديب و التولى الا انه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة و السلام على ذلك بل على ما كان فى قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم و علوّ منصبهم و شرفهم و ان لم ينفر طبعه من الاعمى بسبب عماه و عدم قرابته و قلة شرفه فلما كان العبوس و التولى لهذه الداعية لا لاجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك ﴿ **قوله** و اى شئ يجعلك داريا بحاله ﴾ اى بحال هذا الاعمى قدّر لفعل الدراية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله و ما يدريك فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده على معنى و ما يطلعك على امره و عاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفى اى لا يدريك شئ ثم ابتدأ فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى و لعل فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى القطع و التحقق مجازا فان لعل و نحوه فى كلام العظماء يراد بها ذلك و تلقف الشئ تناوله بسرعة و المراد به ههنا الاستفادة و التعليم ﴿ **قوله** و قيل الضمير فى لعله للكافر ﴾ فعلى هذا كلمة لعل على اصل معناها الذى هو الترجى الكائن من قبله صلى الله عليه و سلم و لذلك قال انك طمعت فى اسلامه الخ ﴿ **قوله** و قرأ عاصم ﴾ اى قرأ فتنفعه بالنصب و الباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر و من نصبه نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية و ثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر و النهى و الاستفهام و النفى و التمنى و العرض و لا شبهة فى تحقق الشرط الاوّل ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدّرت ان بعد الترجى كما قدّرت بعد التمنى ليكون الفعل معها فى تأويل المصدر فعطف المصدر على المصدر الاوّل هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع و نظيره قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب ثم قال فأطلع بالنصب على قرآءة حفص و المعنى لعله يكون منى بلوغ الاسباب فالاطلاع الى اله موسى و يحتمل ان تكون كلمة لعل ههنا للتمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال و نصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح و سبب مجئ لعل بمعنى التمنى فى قولهم لعلى ساحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجوّ عن الحصول ﴿ **قوله** تعالى اما من استغنى ﴾ اى عن الله تعالى و عن الايمان و عن التزكى بماله من المال كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنه و قول المصنف فيما بعد يسرع طالبا للخير يدل على ان المعنى هنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا و التصدّى للشئ عبارة عن التعرّض له و التقيد به و الاهتمام بشأنه بالقلب و القالب بان تقبل عليه بوجهك و تميل اليه بقلبك و ضدّه التشاغل عنه بالميل الى

او لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله (و ما يدريك لعله يزكى) اى و اى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثار بما يتلقف منك و فيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (او يذكر فتنفعه الذكرى) او يتعظ فتنفعه موعظتك و قيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام و تذكره بالموعظة و لذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن و قرأ عاصم بالنصب جوابا للعل (اما من استغنى فانت له تصدّى) تتعرّض بالاقبال عليه و اصله تتصدّى و قرأ ابن كثير و نافع تصّدّى بالادغام و قرئ تصدّى اى تعرّض و تدعى الى التصدّى

غيره و يقال له التلهى و التغافل و اصل تصدّى تصدّد يقال تصدّد للشئ تصدّد اذا كان فى صدده و قربه و مواجهته و الصدد ما استقبلك و صار فى قبالتك و فى الصحاح الصدد القرب يقال داره صدد دارى اى قبالها نصب على الظرف و حذف تاء التفعل من تصدّد للتخفيف و ابدلت الدال الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى و من قرأ تصدّى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعل فى الصاد بعد قلبها صادا و قرئ تصدّى بضم التاء و تخفيف الصاد اى يحمل و تدعى الى التعرّض و التصدّى له اى يدعوك داع الى التعرّض و التصدّى له من الحرص و التهالك على اسلامه ﴿قوله و ليس عليك بأس﴾ اشارة الى ان ما فى و ما عليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها و عليك خبرها و قوله ألا يزكى فى موضع الجرّ بكلمة فى المقدّرة المتعلقة باسم لا و هو بأس المقدّر و الجملة فى موضع النصب على انها حال من فاعل تصدّى مقرّرة لجهة الانكار و يجوز ان تكون كلمة ما استفهامية على معنى اى شئ عليك ان لا يتزكى بالاسلام من تدعوه اى لا شئ عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية و قوله يسعى حال من فاعل جاءك و قوله و هو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى على التداخل اى يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى ان يقصر فى اداء شئ من تكاليفه و ما اوجبه عليه ﴿قوله للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنىّ و تلهيه عن الفقير﴾ لا عن مجرّد تعبيس الوجه و التولى عنه و وجه الاشعار انه تعالى ذكر المتصدّى له بوصف الاستغناء فأشعر ذلك ان سبب العتاب على تصدّيه عليه الصلاة و السلام هو جعل تصدّيه متعلقا بالمستغنى و كذا وصف المتلهى عنه بالسعى الى الخير و الافتقار و الخشية يدل على ان سبب العتاب هو التلهى عن من اتصف بالوصف المذكور و الظاهر ان المراد بالغنىّ المستغنى عما دعى اليه من التزكى بالايمان و الطاعة و بالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه الصلاة و السلام حاشاه ان يكون تصدّيه للصناديد لاجل شدّتهم و كثرة اموالهم و تلهيه عن الاعمى لعدمه و فقد ماله ﴿قوله ردع عن المعاتب عليه﴾ و هو تلهيه عليه الصلاة و السلام عمن جاءه يسعى و هو يخشى و تصدّيه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما تلا جبريل عليه الصلاة و السلام على النبىّ صلى الله عليه و سلم هذه الآيات عاد وجهه كأنما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرّى و انكشف ﴿قوله و الضميران﴾ اى ضمير انها و ضمير ذكره فان كانا للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم اليه عظم شأن القرآن و وصفه بانه هدى للناس و تذكرة لهم و ليس شرفه و علوّ قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان شرف الخلق بقبولهم اياه و اتعاظهم به فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه اليهم و دع الحرص على قبولهم و ايمانهم و اياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب من استغنى عنه و ان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب النبىّ صلى الله عليه و سلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد لتضمنه قلة المبالاة بشأن ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اى موعظة للسامعين فاتعظوا بها يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة و الآداب المرضية و لازموا باجلال الفقراء الطائعين تزكية نفوسهم عن المعاصى و تحليتها بالطاعات ﴿قوله صفة لتذكرة﴾ فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة و موصوفها و ان كان فى صحف خبرا ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين و نقل عن صاحب الكشاف انه انكر كونها اعتراضا و قال شرط الاعتراض ان يكون بالواو أو مجرّدا عنها و اما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم و اجيب بان هذا النقل منه ينافى ما صرّح به الزمخشرى فى قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فى سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه و يحتمل ان يكون فى صحف حالا من ضمير انها و على التقديرين لا يوقف على قوله فمن شاء ذكره و يوقف عليه ان جعل فى صحف خبر مبتدأ محذوف اى هى فى صحف و هو جمع صحيفة و هى الصحف التى انتسختها الملائكة من اللوح و هى مكرّمة عند الله مرفوعة فى السماء و يحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم الصلاة و السلام لقوله تعالى انّ هذا لفى الصحف الاولى و هى صحف الانبياء المتقدّمين اشار المصنف الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحى و السفرة كالكتبة لفظا و معنى جمع سافر و هو الكاتب من سفر اذا كتب و السفر بالكسر الكتاب و بالفتح مصدر بمعنى الكتابة ﴿قوله او سفرآء﴾ عطف على قوله كتبة اى و يحتمل ان يكون سفرة جمع سافر بمعنى سفير و هو الرسول الذى شأنه السفارة و التبليغ و الى المعنيين اشار المصنف بقوله جمع سافر من السفر او السفارة و هى الرسالة اما من الله تعالى الى الرسل فيكون السفرة الملائكة و اما من الله تعالى

(و ماعليك ألا يزكى) و ليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ (و اما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (و هو يخشى) الله و اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه و التهى و تلهى و لعل ذكر التصدّى و التلهى للاشعار بانّ العتاب على اهتمام قلبه بالغنىّ و تلهيه عن الفقير و مثله لا ينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه او اتعظ به و الضميران للقرآن او العتاب المذكور و تأنيث الاوّل لتأنيث خبره (فى صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان لانّ او خبر محذوف (مكرّمة) عند الله (مرفوعة) مرفوعة القدر (مطهرة) منزّهة عن ايدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحى او سفرآء يسفرون بالوحى بين الله تعالى و رسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة

الى الامة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر ﴿ قوله و التركيب للكشف ﴾ اى تركيب حروف السفرة سوآء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة و التبليغ ينبئ عن معنى الكشف و التبيين اما على الاول فلأن فى الكتابة معنى الكشف و التوضيح ويقال للكتاب سفر و للكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشئ ويوضحه واما على الثانى فلأن السفير يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه ولما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى يكرمون عند الله تعالى و الثانى انهم بررة اى اتقياء مطيعون فان كل واحد من الملائكة و الانبياء عليهم الصلاة و السلام كذلك * قال الامام قوله تعالى مطهرة بأيدى سفرة يقتضى ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بأيدى هؤلاء السفرة فقال القفال فى وجهه انها لما كانت لا يمسها الا ملائكة مطهرون قيل ذلك وهو قصر اضافى والمراد تنزهه عن ايدى الشياطين كما اشار اليه المصنف بقوله منزهة عن أيدى الشياطين وماذكر من قول الامام مبنى على ان تكون الباء فى قوله تعالى بأيدى سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة لصحف اى صحف كائنة بأيدى سفرة ويجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة فى فى قوله فى صحف اى انها مثبتة فى صحف كذا بايدى سفرة كذا ﴿ قوله دعاء عليه باشنع الدعوات ﴾ فان القتل اشد شر و أشنعه * فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز و القادر على كل شئ كيف يليق به ذلك * اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا انكروا فعل احد يقولون قتله الله و المقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف الصناديد بالاستغناء عن الهدى و التمادى فى الاغترار بما لهم من اسباب الردى وهددهم بقوله فمن شاء ذكره عجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكر و الاتعاظ بهذه التذكرة البليغة و الذكر الحكيم كأنه قيل اى سبب فى هذا الاستغناء و الترفع مع ان اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين الوقتين حامل العذرة فقال قتل الانسان ما اكفره وهو صيغة تعجب و التعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفى سببه فهو تعالى منزه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه اى اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته و وحدانيته وكمال قدرته و نفاذ مشيئته و من كفر بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان يتوارى فى قبره ويحتمل ان تكون كلمة ما فى ما أكفره استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع و التوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل المراد بالانسان الصناديد الذين اقبل عليه السلام عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقرآء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لعتوهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة ﴿ قوله بيان لما انعم عليه ﴾ ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى و ابتدأ باول ما انعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر عمره و الخصوصية وصف للنعمة التى بينها بقوله من مبدأ حدوثه فان حدوث من هو فى احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة ولا وجه لجعلها وصفا للمنعم عليه لان النعمة المذكورة ليست مخصوصة بالانسان الذى دعى عليه بقوله قتل الانسان ضرورة ان ما فيه من التعريف ليس للاستغراق ولا لنفس الحقيقة فلابد ان تكون الاشارة الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا ﴿ قوله و الاستفهام للتحقير ﴾ اى لتحقير اصله للاشعار بان كل من كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر و الكفران بحق من انعم عليه بهذه النعمة الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين ﴿ قوله فهيأه لما يصلح له من الاعضاء و الاشكال ﴾ لما كان خلق الشئ عبارة عن احداثه على وفق التقدير كان متفرعا على التقدير وقد جعل التقدير فى الآية متفرعا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة فان التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة ايضا فيقال قدره فتقدر بمعنى هيأه فتهيأ فالمعنى احدثه احداثا يراعى فيه التقدير الازلى فى حقه مما يتعلق باعضائه واشكاله وكمياته وكيفياته فهيأه لما يصلح له من الاحوال العارضة له و المصالح المتعلقة به فى بابى الدين و الدنيا ﴿ قوله او فقدره اطوارا ﴾ اى ويجوز ان تكون الفاء للترتيب فى الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله من نطفة خلقه فانه وان وقع جوابا لقوله من اى شئ خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله فقدره اى قدر فى حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وانما عطفه بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال ﴿ قوله وألهمه ان ينتكس ﴾ اى ينقلب عن الهيئة التى كان الجنين عليها فى بطن امه فان رأسه وهو فى بطن امه كان الى جانب

و التركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) اعزآء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء (قتل الانسان ما اكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه و الاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء و الاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم وألهمه ان ينتكس

صدر امّه و رجليه الى جانب رجليها وكانت فوهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولادة فاذا جاء وقت الولادة
انفتحت فوهة الرحم وانكس المولود بان ينقلب وتصير رجلاه الى جانب صدر امّه ورأسه الى جانب المخرج فيخرج
رأسه اوّلا ولا يخفى ان ماذكر تسهيل لسبيل الخروج فانه لولا الانفتاح والانتكاس لما تأتى الخروج ﴿قوله
او ذلل له سبيل الخير والشرّ﴾ اى ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشرّ وتيسيره
الاقدار على سلوكه وتمكنه منه والهداية الى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الانبياء وانزال الكتب واعطاء العقل
المميز والقوى والاعضاء المستوية ﴿قوله وتعريفه باللام﴾ يعنى ان الكلام فى الانسان المدعوّ عليه وبيان
ماانعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبيله باضافة السبيل اليه الا انه عرّف باللام للاشعار بانه غير مختص به
بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجنّ على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاوّل ﴿قوله
وفيه على المعنى الاخير ايماء﴾ وجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشرّ فهم ان المكلف مادام فى هذه
الدار فهو ابن السبيل وان سبيله يؤدّيه اما الى خير واما الى شرّ اى الى دار الجزاء بالثواب والعقاب والدار الآخرة
هى الدار التى يقرّبها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه حينئذ يحسن انتظام مابعد هذه الآية بها ﴿قوله
وعد الاماتة والاقبار فى النعم﴾ لما جعل قوله تعالى من اى شئ خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ما انعم الله تعالى
به على الانسان وكفرانه به وخفى وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك بانّ الاماتة وصلة فى الجملة
الى الحياة الابدية وبان الاقبار تكرمة وصيانة للميت من كونه طعمة للسباع وانما قال وصلة فى الجملة لان كونها
وصلة الى ماذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر * لايقال الكلام ههنا فى الكافر بقرينة قوله قتل الانسان
ما اكفره فكيف تعدّ الاماتة نعمة فى حقه مع ان الموت فى حقه مفتاح لكل بلاء ومحنة * لانا نقول الاماتة فى نفسها
شأنها ان تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة فى حق الكافر انما هو من
سوء اعتقاده وسيئات اعماله ﴿قوله والامر بالقبر﴾ منصوب بالعطف على الاماتة * فان قيل من اى شئ
استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة للامر * قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فأقبره فانه يقال قبر الحىّ الميت
يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله فى القبر فالمقبر
هو الله تعالى لانه هو الآمر بان يدفن اموات بنى آدم فى القبور اكراما لهم وانهم لو ألقوا على وجه الارض كسائر
الحيوانات اصاروا جزراً للطير والسباع والمراد بالانشار الاحياء والبعث منقول من نشر الميت ينشر نشورا اذا
عاش بعد الموت ﴿قوله غير متعين فى نفسه﴾ اى كما انه غير متعين فى علمنا ولعل الوجه فيه ان تعين الوقت
فى نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكوّر الليل والنهار ونشور الاموات انما يكون بعد خراب العالم فلا
سبيل لنا الى ان نقول ان وقت النشور متعين فى نفسه وان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت فى نفسه فرع تحققه ومالم
يتحقق فى نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين فى نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فان الموت
مثلا وان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين فى نفسه من حيث انه لايقع الا فى حدّ معين من حدود الزمان
﴿قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى هذه الغاية﴾ اشارة الى ان فى لما توقعا وانتظارا
ولذلك قال تعالى لما يقض ولم يقل لم يقض لان قضاء المأمور به كان متوقعا فى زمن كل احد لتعاضد دلائل وجوبه
عليه وتحقق ماهو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة ومعنى بعد فى مثل هذا
الموضع بالفارسية * هنوز * وكان اصله بعدما مضى من الزمان الى هذا الوقت ثم حذف المضاف اليه فبنى بعد على الضم
وقوله من لدن آدم الخ بدل من قوله بعد جيئ به ابرازاً لمعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما * نقل الامام عن مجاهد
انه قال فى تفسير الآية لايقضى احد جميع ماكان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لاينفك عن تقصير
البتة ثم قال وهذا التفسير عندى فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق وهو الانسان فى
قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر فانه لم
يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بان يتأمل فى دلائل الله تعالى ويتدبر فى عجائب خلقه وبينات
حكمته فكيف يصح ان يقال فى تفسير الآية لايقضى احد ما كان مفروضا عليه وكلمة ما فى قوله ما امره موصولة
وعائدها يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اوّلا فبقى ما امره هو ثم حذف العائد ثانيا ويجوز
ان يكون باقيا ويكون المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرفه

او ذلل له سبيل الخير والشرّ ونصب السبيل
بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير
وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه
سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان
الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه
بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره)
وعدّ الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة
وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات
الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن
السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور
غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى
مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو
عليه (لما يقض ما امره) لم يقض بعد من
لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بامره
اذ لا يخلو أحد من تقصير ما

و قس عليه امثاله ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شئ حقير قليل و هو اوّل ما انعم به عليه فى مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض مايترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليتضح ان تكذيبهم وكفرانهم فى غاية القباحة و الشناعة ذكر بعده ما انعم به عليه من النعم الخارجية و امره بالنظر اليه و التأمل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره و لا شك انه موضع للاعتبار ﴿قوله اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية﴾ فان ماذكر الى ههنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة فى نفس الانسان و هى خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره بأحسن الصور و الهيئات وما يتعاقب عليه من الاطوار و الحالات الى ان ينتهى الى دار الابد وماذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج اليها الانسان فى معاشه و بين انه كيف دبر فى خلق طعامه الذى هو قوام حياته و اقوى اسباب معاشه التى يستمد بها لموادّه وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض و بما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض و بلوغه الى اقصى كماله * قرأ ماعدا الكوفيين انا صببنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كأنه قيل فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء فان تكوّن الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر و بقائه معلقا فى جوّ السماء مع كثرته و غاية ثقله و غير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكه و المعنى فلينظر كيف حوّلنا احوال طعامه كما حوّلنا احوال نفسه فى بدء خلقه و جعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما اشتمال السببية فان الواجب فى بدل الاشتمال ان يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت * والكراب قلب الارض للحرث ﴿قوله واسند الشق الى نفسه﴾ اى جعل اسناد الشق بمعنى الكراب اليه تعالى مجازا مع انه تعالى هو الموجد لجميع الاشياء من الجواهر و الاعراض لكونه اسنادا الى غير ما هو له لان المراد بما هو له مايكون معنى الفعل قائما به و صفاله وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له اولغيره و سواء كان صادرا عنه باختياره كضرب او لا كمرض و مات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة و الى موجده الذى هو البارى تعالى مجاز و لاشك ان شق الارض قائم بمن حرثها وقلبها ﴿قوله لانها تقضب مرّة بعد اخرى﴾ فصارت لكثرة قضبها كأنها عين القضب فسميت قضبا للمبالغة فيه ﴿قوله عظاما﴾ الغلب جمع اغلب او غلباء كحمر فى جمع احمر أو حمراء واصله فى وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق و امرأة غلباء اى غليظة العنق و جماعة غلب اى غلاظ الاعناق ذكر المصنف فى وجه توصيف الحدآئق بالغلب قولين الاوّل ان الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكاثرة بحيث صارت كأنها شئ واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدآئق بالغلب والقول الثانى انه وصفت الحدآئق بالغلب لكونها ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها ﴿قوله ومرعى﴾ المرعى الذى لم يزرعه الناس سمى أبا امالانه يؤب اى يؤم ويقصد جزه لاجل الدواب و الابّ والامّ اخوان و النجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه واما لانه يؤب ويهيأ للرعى على انه من ابّ لكذا اذا تهيأله ﴿قوله تعالى متاعا لكم و لانعامكم﴾ اى تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اى انبتنا ذلك كله ممتعين لكم ﴿قوله وصفت بها مجازا﴾ فان الصاخة اسم فاعل من قولهم صخ لحديثه اى اصغى واستمع فهو صاخ اى مصغ ومستمع و النفخة ليس من شأنها ان تصغى وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فاسند الاصغاء و الاستماع الى النفخة المسموعة مثل عيشة راضية اى مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ الاذان اى تصمها لشدّة صوتها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اذا اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا و وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما بين ما انعم به على الانسان من النعم الذاتية و الخارجية توبيخا وتقريعا لمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان و الطاعة شرح بعده احوال القيامة للمناسبة بين شرحها و بين تعداد النعم المذكورة فى كونها داعية الى الايمان و الطاعة فان الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التأمل فى دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة و جواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفرّ المرء الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه و التقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه و قوله يوم يفرّ المرء بدل من اذا و لا يجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولا فى يوم لانه صفة لشأن و معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف ﴿قوله او الحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم﴾ بان يقول الاخ لم تواسنى بمالك ويقول الابوان قصرت فى برّنا

(فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة و الشعير (وعنبا و قضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرّة بعد اخرى (وزيتونا و نخلا وحدآئق غلبا) عظاما وصف به الحدآئق لتكاثفها و كثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أبّ اذا امّ لانه يؤم وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيأله لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم و لانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام و بعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفرّ المرء من اخيه وامّه و ابيه وصاحبته و بنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه او الحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم

(والصاحبة)

و الصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت و البنون لم تؤدّبنا ولم تعلّمنا وقيل اوّل من يفرّ من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصي ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة ﴾ اى في بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لانه شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم ألصق بالصلب واعلق بالنفس كأنه قيل يفرّ من اخيه وكيف لا يفرّ منه وهو يفرّ من ابويه وكيف لا يفرّ منهما وهو يفرّ ممن هو أحب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون ﴿ قوله وقرئ يعنيه ﴾ بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عناني الامر اى أهمني وقصدني ثم انه تعالى لما ذكر احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز احدهما عن الآخر بما يعرض لوجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما اذا اغبرّ وجه الزنجي فكأنه تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة يذرى ذلك التراب في وجوه الكفار * تمت سورة عبس بحمد الله وعونه

﴿ سورة التكوير مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله من كوّرت العمامة ﴾ التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة تقول كرت العمامة على رأسي اكورها كورا وكوّرتها تكويرا اذا لففتها فالطى واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف ﴿ قوله اولف ضوؤها ﴾ عطف على قوله لفت اى ويجوز ان يكون معنى كوّرت كوّر ضوؤها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير الضوء وذهاب انبساطه في الآفاق انما يكون باذهاب نفسها لانها مادامت باقية يكون ضوؤها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء والاسقاط ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يكوّر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الشمس والقمر ثوران مكوّران في النار يوم القيامة * ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال انى احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى ههنا اثنى عشر شيأ وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت كل نفس ما احضرت فكلمة اذا في قوله اذا الشمس كوّرت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى في آخر المعطوفات علمت نفس وارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعيل مالم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين فانهم لا يجوّزون ان يلى اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التي بعدها اخبارها بناء على ان التقدير خلاف الاصل والجملة على المذهبين في محل الجر باضافة اذا اليها ﴿ قوله انقضت ﴾ اى تساقطت وتناثرت * الجوهرى انكدر اى اسرع وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى في السماء نجم الاوقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها كانت في قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملائكة لانه قد مات من يمسكها ﴿ قوله ابصر خربان فضاء فانكدر ﴾ الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين وهو ذكر الحبارى والبيت للعجاج عمر بن بعمر التيمى واوّله

> ٭ اذا الكرام ابتدروا الباع بدر ٭ تقضى البازى اذا البازى كسر ٭
>
> ٭ دانى جناحيه من الطرد فر ٭ ابصر خربان فضاء فانكدر ٭

الباع قدر مدّ اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر اى اسرع اليه كانقضاض البازى على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض وقوله تقضى البازى مصدر منصوب بنزع الخافض اصله تقضض لما كثرت الضادات ابدلت الاخيرة ياء ﴿ قوله من كدرت الماء فانكدر ﴾ الكدر خلاف الصفو يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى وكدّره غيره فانكدر وتكدّر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه ﴿ قوله سيرت عن وجه الارض ﴾

وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفرّ من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفر الصبح اذا أضاء (ضاحكة مستبشرة) بما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿ سورة التكوير مكية وآيها ﴾ ﴿ تسع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كوّرت) لفت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره أوألقيت عن فلكها من طعنه فكوّره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * ابصر خربان فضاء فانكدر * اوظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض او في الجوّ

اى قلعت فصارت هباء منبثا او سيرت فى الجو كالسحاب لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقيل سيرها تحويلها من صفة الجرية بجعلها كثيبا مهيلا اى رملا سائلا وكالعهن وهباء منبثا * والعشار جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وقيل هو اسمها بعدما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشئ باسمه المتقدم وان كان قد جاوز حد أن يسمى به وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها مهاملا غير راع اشتغالا بانفسهم عند مجئ امارات قيام الساعة ﴿قوله او السحائب﴾ اى ويجوز ان يراد بالعشار السحائب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا فى هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى والوحوش جمع وحش وهو اسم لما لا يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث تختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما وتفرقها فى الصحارى والقفار والثانى ان تجمع احياء بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض فانه قد ثبت انه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والثالث ماروى عن ابن عباس ان حشر البهائم موتها ﴿قوله اذا اجحفت السنة﴾ يقال اجحف به اى اذهبه واستأصله والسنة القحط وبناء التفعيل هنا يحتمل ان يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثانى لتأييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى ﴿قوله احميت او ملئت﴾ فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملء وبمعنى الاحماء ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل فى احماء البحار انه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم فى البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها رياحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت وفى وجه امتلائها انه تعالى خلق الآن بين البحار حاجزا لايصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان اى لايتجاوزان حديهما باغراق مابينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال وتفتت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها الرفيعة فى اسافلها فتميل فى المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا غرقا تحت البحار وتصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال الست تكون فى مبادى قيام الساعة على ماروى عن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار متأججة قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة من الارض السابعة السفلى الى السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم والله اعلم كذا فى المعالم * ثم اعلم انه تعالى شرع فى ذكر الاحوال التى تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله فى الخير والشر قيل ذلك حين تكون الناس ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح المثل ﴿قوله تبكيتا لوآدها﴾ اى لمن دفنها فى القبر وهى حية وهو جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن قتله اياها * وتقرير الجواب ان هذه الطريقة افظع فى ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لايجوز الا بذنب عظيم فما ذنبك وباى ذنب قتلت فلا جرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد فى تبكيت النصارى وفى توبيخهم ﴿قوله وقرئ سألت﴾ اى بفتح السين والهمزة على لفظ

(واذا العشار) النوق اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن (سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوآدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءانت قلت للناس اتخذونى وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية

الماضي المبني للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغائبة على ان الموءودة هي السائلة تسأل الله تعالى او تسأل قاتلها قائلة باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءودة هي السائلة لان الظاهر ان يحكى كلامها بعبارتها وهذه القرآءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى على حكاية قول الموءودة كأمر اى بعبارتها حين سألت وقرئ ايضا سألت باى ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقرآءة الجمهور والظاهر ان يقرأ قتلت على لفظ حكاية قول الموءودة كأمر لانها هي السائلة كما ان الظاهر على قرآءة الجمهور ان يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل حينئذ هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكى قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت الموءودة بالاسم الظاهر جاز الامران اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذي هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان يقال في قرآءة سألت قتلت بضم التاء وفي قرآءة سئلت قتلت بكسر التاء

﴿ قوله وتنشر وقت الحساب ﴾ اى تفتح بعدما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على ما فيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴿ قوله للمبالغة في النشر الخ ﴾ يعني ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره او لتكثير محله او للمبالغة في شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفريقها بين الاصحاب فالتشديد للمبالغة في النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية انتهى ﴿ قوله قلعت وازيلت ﴾ بحيث ظهر ماوراءها وهو الجنة والعرش ﴿ قوله وانما صح الخ ﴾ اى صح ان تكون اذا المضافة الى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس مع ان كونها معمولة له يستلزم ان تكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال في زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة وتوضيح الجواب ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنى عشرة وابتدآء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الاولى الذي هو زمان التكوير وما يتبعه الى أن يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزآء عملها وفي ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما احضرت في صحيفة عملها او ما احضرته في موقف المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال لان نفس الاعمال اعراض لا يمكن احضارها كأنه قيل الزمان الذي يقع فيه هذه الامور الاثنا عشرة بأسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت ﴿ قوله ونفس في معنى العموم ﴾ جواب عما يقال من ان النكرة في سياق الاثبات للافراد او النوعية لا للاستغراق والعموم والمقام مقام الاستغراق والعموم لان العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات وحصول الجواب ان ماذكر اكثري لا كلي مطرد وان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الآية من هذا القبيل ثم انه تعالى لما فصل مايكون في مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده اقسم على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية ترهيبا للمشركين المنكرين للبعث والجزآء اى تأملوا ماذكر لتعلموا انه كلام الهي منزل من عندالله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بماذكر من الاوصاف وكلمة لا في قوله فلا اقسم يحتمل ان تكون صلة مؤكدة وان تكون ردا لكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس وان تكون لنفي القسم بناء على انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام الهي منزل به الروح الامين وبلغه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين ﴿ قوله والليل ﴾ عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل في اذا معنى القسم واذا مع مابعده في موضع الحال اى اقسم بالليل مدبرا ومقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضمير انه للقرآن وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء وفي الحديث «الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس» اى انقبض ولذلك سمي بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس الذي هو مقر الوحش والجواري جمع جارية اى الكواكب التي تجري في افلاكها وماسوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهي المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري خنس وكنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من اول البرج الى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس والنيران لا يكنسان لان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس

(واذا الصحف نشرت) يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او لشدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة ازلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما احضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا اقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ماسوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر (والليل اذا عسعس) اقبل ظلامه او ادبر

ولا كنوس لهما بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها تتقاصر في آخر البرج اذ كرّت راجعة الى اوّله فرجوعها من آخر البرج الى اوّله هو الخنوس كما ان اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها ﴿قوله وهو من الاضداد﴾ لان العسعسة رقة الظلام وذلك يكون في كل واحد من طرفي الليل فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل ويقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به في الآية اقبل الليل لتناسب قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم حينئذ يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة ويتضمن الكلام تكرار المقسم به لان ادبار احدهما يستلزم اقبال الآخر ﴿قوله اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم﴾ النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم المروّح المتحرك عند طلوع الصبح فاذا هب ذلك النسيم عند طلوعه قيل تنفس والنفس المروّح للقلب انبساطا وانقباضا جعل ذلك نفسا للصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به واريد المشبه ثم اشتق منه تنفس بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كني بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره وهي كناية متفرعة على الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشيء الملوّن بلون يشبه الغبار واضاء يجيء لازما ومتعديا وكلاهما يصح ههنا وفي بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا اضاء ﴿قوله فانه قاله عن الله تعالى﴾ يعني ان كون القرآن قول جبريل عليه السلام لا ينافي كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه عليه السلام قاله وبلغه عن الله تعالى * واعلم انه تعالى وصف جبريل عليه السلام ههنا بست صفات اولاها انه رسول فانه لا شك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيتها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية وثالثتها انه ذو قوة اى ذو قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف عن شيء مما يكلف به * روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك واثنى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتي فاني بعثت الى مدائن لوط وهي اربع مدائن وفي كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماء الدنيا اصوات الدجاج ونبيح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي فاني لم اومر بشيء فعدوته الى غيره وروى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة الى اقصى الهند ورابعتها قوله تعالى في حقه عند ذي العرش مكين اى ذي منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده تعالى انه تعالى جعله تالي نفسه في قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى وخامستها انه مطاع في ملائكته تطيعه الملائكة المقربون لعلمهم بمنزلته عند الله وسادستها انه امين على وحي الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذي العرش ثم انه ان اتصل بما قبله بان يكون ظرفا له يكون المعنى انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء تكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة ﴿قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون﴾ عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله على ان القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه قد رآه اى جبريل بالافق المبين ﴿قوله وهو ضعيف﴾ يعني ان ما ذكره المستدل انما يدل على مقصوده ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما الشريفة وبيان ان من ازدادت خصاله الشريفة فهو افضل وليس كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لا سيما هذه السورة المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحي الهي نزل به الملك المقرب عند ذي العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه لمجنون وترغيبا للسامعين في استماع القرآن وتصديق جميع ما ذكر فيه وهذا المقصود يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين يدي الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة وذلك لا يستلزم كونه افضل من رسل البشر

وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر (والصبح اذا تنفس) اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) ان القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى (ذي قوة) كقوله تعالى شديد القوى (عند ذي العرش مكين) عند الله ذي مكانة (مطاع) في ملائكته (ثم امين) على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما

بل الظاهر ان وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات و بما هو ازيد منها و افضل مما يدل على شرف رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب و الفضائل الشريفة مبلغ الرسالة اليه فاى مرتبة اعلى من مرتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه و بين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب ﴿قوله بمطلع الشمس الاعلى﴾ افق السماء ناحيتها و الآفاق النواحى الا ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له فى ابانة الاشياء واظهارها و انما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه وذلك الكوكب هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار تسبيه لها فى الجملة فان الابانة فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ماهو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع ويكون النهار فى غاية الطول و انما فعل ذلك حملا للبين على كمال الابانة فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع و اعلى وكان النهار اطول كانت الابانة و الاظهار اتم واكمل * روى انه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام ان يتراآى له فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها فقال ماقدر على ذلك وماذاك الى فاستأذن له فأتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله اى بصدره و رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء جناح له بالمشرق و جناح له بالمغرب فغشى عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بنى آدم الى آخر الكلام فقيل له عليه السلام ما رأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه الصلاة و السلام جاءنى جبريل اليوم فى صورته فاعترانى هذا من حسنه ﴿قوله من الظنة و هى التهمة﴾ اى وليس من الظن الذى يتعدى الى مفعولين اى هو ثقة فى جميع مايخبر به لايتوهم فيه انه يخبر بشئ من ذلك عن الهوى وهذه القرآءة اعنى القرآءة بالظاء هى قرآءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى فالظنين الرجل المتهم وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اى بخيل يقال ضننت بالشئ بكسر العين أضن به ضنا وضنانة فأنا ضنين اى بخيل وهو من باب علم فالمعنى يأتيه علم الغيب فلايبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولايكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القرآءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل والآخر قوله على الغيب فان البخل و مابمعناه لايتعدى بكلمة على وانما يتعدى بالباء فيقال فلان ضنين بكذا ولايقال ضنين على كذا ﴿قوله حافة اللسان﴾ اى جانبه والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهى اربع اسنان فى مقدم الفم اثنتان منها عليا و اثنتان منها سفلى وورآء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعيات اثنتان منها عليا و اثنتان منها سفلى وورآءها الانيب الاربع ثنتان من فوق وثنتان من تحت وورآءها الضواحك وهى اربع كذلك وورآءها الاضراس ثمانية من فوق وثمانية اخرى من تحت ﴿قوله استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن﴾ فان أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون والاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم فى تركهم ماهو الصواب والحق فى باب الاعتقاد والعمل وعدولهم الى ماهو الباطل فى ذلك بحال من يترك الجادة وهى معظم الطريق ويتعسف الى ماليس بسبيل قط فانه يقال له الى اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق وعدل عنه الى الباطل على سبيل الاستعارة والمعنى اى طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذى ظهرت حقيته ووضحت استقامته وان فى قوله ان هو نافية بمعنى ماهو والتذكير بمعنى التذكر والعظة والعالمين يعم جميع ماسوى الله تعالى ممن يعلم وممن لايعلم وخص ههنا بمن يعلم من الانس والجن حيث قيل لمن يعلم والمخصص هو العقل وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل وان يستقيم مفعول شاء كانه قيل ماهو الايمان وهداية للخلق اجمعين ماهو الاهداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحرى الحق واتباع البرهان والدليل وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يعطى الله تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة فلابد فى حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا وانتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى وهذا قول اصحابنا ﴿قوله يامن يشاءها﴾ اشارة الى ان الخطاب فى قوله وماتشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فأين تذهبون بل لبعض منهم وهم الذين

(ولقدرآه) ولقد راى رسول الله جبريل عليه السلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وماهو) وما محمد (على الغيب) على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لايبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل حافة اللسان ومايليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا (وماهو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب (ان هو الاذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم ان يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وماتشاؤن) الاستقامة يامن يشاءها (الا ان يشاء الله) الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لايشاءها فالخطاب لمن يشاءها منهم وجعل المصنف قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر مقام الزمان كما فى نحو آتيك خفوق النجم * روى انه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل وكل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * تمت سورة التكوير والله اعلم بالصواب

سورة الانفطار مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الله تعالى فى اوّل هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ماقدمت من خير وشرّ ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه اوّلا يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار مافيها من الكواكب وتساقطها متفرّقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها يخرّب كل ما على وجه الارض وينفذ بعض البحار الى بعض بارتفاع الحاجز الذى جعله الله تعالى برزخا بينهما فحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدّعها **قوله قلب ترابها واخرج موتاها** يعنى ان بعثرة الشئ عبارة عن تفريق اجزآئه وتقليبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وفى الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرّقه وبدّده وقلب بعضه على بعض ويقال بعثرت الشئ وبحثرته اذا استخرجته وكشفته وقال ابو عبيدة فى قوله تعالى بعثر مافى القبور ابرز واخرج مافيها انتهى وقيل ان بعثر مركب من بعث ورآء مأخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والرآء المضمومة اليه والمعنى بحث واخرج موتاها ومنه سميت سورة برآءة المبحثرة لانها بحثت عن احوال المنافقين **قوله من عمل او صدقة** اى يجوز ان يكون المراد بما قدّمته ماعمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدّما على موته وبما اخرته ماعمله بعد موته بان سنه لمن بعده سنة حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت أخرها عن موته اذ كان له مدخل فى مباشرة من بعده بان سنه له واسناد الفعل الى سببه شائع كثير مثل بنى الامير ويجوز ايضا ان يراد بما قدّمته الاموال التى تصدّق بها قبل موته لتكون ذخيرة له فى النشأة الاخرى وبما اخرته الاموال التى خلفها لمن بعده من ورثته **قوله ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع** فيكون المعنى علمت نفس ماعملته من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقدمر ان تنكير نفس فى الآيات لاينافى ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزآء والزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة * فان قيل فى اىّ موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم * قلنا اما العلم الاجمالى فيحصل له فى اوّل زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اوّل الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قرآءة الكتب والمحاسبة **قوله اىّ شئ خدعك** اشارة الى ان ما فى قوله ماغرّك استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء وغرّك خبره وان غرّك بمعنى خدعك وجرّأك على عصيانه يقال غرّه فلان يغرّه غرورا اذا خدعه وجرّأه عليه وآمنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مأمون والمعنى ما الذى خدعك وسوّل لك معصية ربك وآمنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ **قوله وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار** جواب عما يقال قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا للعوض فلما لم يكن الكريم مستعيضا بما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسئ وهذا يوجب الاغترار به وقد روى ان عليا رضى الله عنه دعا غلامه مرّات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام * وتقرير الجواب انا لانسلم ان كرم الكريم يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يأبى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصى وبين الموالى والمعادى

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرّقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث ورآء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ماقدّمت) من عمل او صدقة (واخرت) من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا ايها الانسان ماغرّك بربك الكريم) اىّ شئ خدعك وجرّأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لايقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغرّه الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لايعذب احدا ولايعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجدّ فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه

فثبت ان محض الكرم لايقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه قهاراً منتقما ذابطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغرّه الشيطان وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجدّ فى طاعته فان كل واحد منهما معطوف على قوله للمبالغة فكأنه قيل ايها العاصى كيف تجرأ على معصيته مع ان كرمه يستدعى ان لايسوّى بين المطيع والعاصى ولم تغترّ بما به يغرّك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعى الجدّ فى الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار بنى آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ماشئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله الذى خلقك فسوّاك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلاثة فى المخلوق لاجرم يكون ربامالكاله وكذا دلالته على الكرم لانه لاشك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض كرم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها مسوّاة اى تامّة الخلق سالمة عن النقصان فى خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى ﴿ قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء ﴾ الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادّة لكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر لئلا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان تكون احدى اليدين اطول من الاخرى وكذا الرجلان والاذنان ومثل ان تكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى لاتفاوت بين نصفيه لافى العظام ولافى اشكالها ولافى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة عنها فكل ما فى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر كانه عدل له ﴿ قوله اومعدّلة بمايستعدّها من القوى ﴾ عطف على قوله معتدلة والمنوىّ فى يستعدّها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اى والتعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا مناسبا لما بنى له من القوّة كاليد للبطش والرجل للمشى واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التى هى القوى المودعة فيها والبارز المنصوب فى يستعدّها راجع الى ما وانث العائد اليها لكونها عبارة عن القوى وذكر لقرآءة عدلك بالتخفيف وجهين الاوّل انه بمعنى المشدّد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى انه من العدول اى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء فى قوله فسوّاك فعدلك لافادة ان مابعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما فى نحو قولك اجبته فقلت لبيك والتسوية فى الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية ﴿ قوله اى ركبك فى اىّ صورة شاءها ﴾ اى الله تعالى على ان قوله فى اىّ صورة متعلق بركبك وان شاء فى موضع الجرّ على انه صفة لصورة فلذلك قدّر الضمير الراجع اليها بعد شاء ليربط به جملة الصفة بالموصوف ولم تعطف جملة ركبك على ماقبلها لانها بيان لقوله فعدلك اى فعدلك بان ركبك فى اىّ صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التى تشبه الاب والام او اقارب الاب او اقارب الام او لاتشبه واحدا منهم ﴿ قوله وقيل شرطية ﴾ اى قيل ماشرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزآء الشرط فيكونان فى موضع الجزم والمعنى ماشاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية فى موضع الجرّ على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون قوله فى اىّ صورة متعلقا بعدلك ولايجوز ان يتعلق بركبك لان ماكان فى حيز الشرط لايتقدّم عليه ﴿ فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف صلة عدلك مع ان ايا اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ماقبلها ﴿ قلنا من جعله متعلقا بعدلك جعل قوله فى اىّ صورة بمعنى التعجب كما فى قولك مررت برجل اىّ رجل كأنه قيل فعدلك فى صورة اىّ صورة اى فى صورة عجيبة ثم حذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجيب ﴿ قوله اضراب ﴾ اى اعراض عن ايجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو السبب فى اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزآء على ان يكون المراد بالدين الجزآء يقال دانه دينا اى جازاه وان اريد بالدين الاسلام كما قال ان الدين عندالله الاسلام يكون المعنى كيف ترتدعون عن الاغترار بالكرم وانتم مصرّون على تكذيب الاسلام الذى هو السبب الاصلى للاغترار به تعالى والجرآءة على عصيانه فان كل واحد من تكذيب الجزآء ومن تكذيب الاسلام والاصرار عليه سبب

(الذى خلقك فسوّاك فعدّلك) صفة ثانية مقرّرة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اوّلا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسوّاة معدّة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء اومعدّلة بمايستعدّها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت اوفصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات (فى اىّ صورة ماشاء ركبك) اى ركبك فى اىّ صورة شاءها ومامزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدّلك وانما لم تعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدّلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ماهو السبب الاصلىّ فى اغترارهم والمراد بالدين الجزآء او الاسلام

اصلى فى الاغترار والجرآة ﴿ قوله تعالى وان عليكم لحافظين ﴾ يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون اى تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون جملة مستأنفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزجروا عماهم عليه من الاصرار على الكفر والتكذيب فان من وكل به ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزآء من عظائم الامور عندالله تعالى فانه لولا ذلك لما وكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة الكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم عندالله تعالى بجدهم فى طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بنى آدم على علم منهم بجميع اعمالهم * فان قيل قوله تعالى ماتفعلون يعم افعال القلوب وهو من المغيبات التى لايعلمها الاالله تعالى فكيف يكتبها الملائكة وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع افعال المكلفين من افعال القلوب ومن افعال الجوارح * اجيب بان ماتفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثورى كيف تعلم الملائكة ان العبد هم بمعصية او بحسنة قال اذاهم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذاهم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ومحصول كلامه انا لانسلم ان افعال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل المغيبات التى لايعلمها الاالله بل هى بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعدان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد ذكر العاملين فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والمراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة ويصلونها اى يدخلونها صفة لجحيم او حال من المنوى فى الخبر ويوم الدين ظرف ليصلونها ولما بين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولا يخرجون منها فقال وماهم عنها بغائبين ويجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين ومايغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم ﴿ قوله تعجيب وتفخيم ﴾ يعنى ان قوله تعالى ومادراك مايوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما لشأن اليوم وقوله لاتدركه دراية دار اشارة الى ان مادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحى وقيل الخطاب للكافرين زجرا لهم وتهديدا ﴿ قوله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ﴾ فان اليوم الذى لاينفع المرء فيه الاالايمان والطاعة ولاتستطيع نفس ان تنفع نفسا ولاان تدفع عنها ضررا كيف يكون فيه حال من خالف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لاتملك بفتح الميم ثم اختلفوا فى انها فتحة اعراب او فتحة بناء فمن قال انها حركة اعراب ذكر لنصبه وجوها احدها ان تكون بدلا من يوم الدين فى قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان تكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اى يدانون ويجازون فى ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باذكر او اعنى فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بنى لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن يبنى على الفتح وقوله اوالخبر اى انه فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو يوم لاتملك فانه لما قيل وما ادراك مايوم الدين اخبر عنه بانه يوم لاتملك * تمت سورة الانفطار بحمدالله وعونه وحسن توفيقه

﴿ سورة المطففين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال مقاتل هى اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هى مدنية الاثمان آيات وهى من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة وقيل مكية وقال الكلبى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقرأها عليهم وقال * خمس بخمس * الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدى قدمها وبها رجل يسمى اباجهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما للغير ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى ﴿ قوله تعالى ويل ﴾ مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتدآء به امالانه اسم لواد مخصوص فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى لذابت واما لكونه دعاء فانه فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى ويلا او هلكوا ويلا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما فى سلام عليك فلما كان الويل فى الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتدآء بها لذلك وفى الصحاح الطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهو ان لايملأ الى اصباره اى رأسه وفيه ايضا البخس الناقص قال تعالى وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذانقصه وسمى البخس فى الكيل والوزن تطفيفا اى تقليلا لكون مايبخس شيأ طفيفا اى قليلا حقيرا فان من لايملأ المكيال الى جوانبه وكذا من لايسوى عمود الميزان

(وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لمايكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزآء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لمايكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه ومايغيبون عنها قبل ذلك اذكانوا يجدون سمومها فى القبور (وماادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لاتدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذلله) تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين اوالخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم * من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿ سورة التطفيف مختلف فيها ﴾
﴿ وآيها ست وثلاثون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان مايبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا ابخس الناس كيلا فنزلت فأحسنوه وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الاسلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماانزل الله الافشافيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الافشافيهم الموت ولاطففوا الكيل الامنعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر

لا ينقص الاشيأ قليلا من حق المشترى لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه ﴿قوله اى اذا اكتالوا من الناس﴾ يعنى ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل والوزن اعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحق الاكتيال ان يتعدى بكلمة من حيث يقال كلت من فلان ولا يقال كلت على فلان الا ان كلمة على اقيمت فى الآية مقام من لوجهين الاول الدلالة على ان المأخوذ الحق الثابت له على الناس فانه اذا قيل اكتلت منه لا يفهم منه الا انه اخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه اولا والثانى الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اى ظلمه فقولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه اخذا متضمنا التحامل عليه والوجه الاول اظهر ﴿قوله اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم﴾ يعنى ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير بالمكيال والميزان فاللغة الشائعة فيهما ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كاله او وزنه ونظم الآية اما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله

* ولقد جنيتك اكؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر *

والاصل جنيت لك اى لاجلك نوعين من الكمأة من اجودها فان اكؤا جمع قلة واحدها كم‌ء والكمأة جمع كثرة للكم‌ء ايضا على غير القياس والتنوين فى اكؤا للتعظيم والعساقل ضرب من الكماة الواحدة عسقول وهى الكماة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كماة صغار مزغبة على لون التراب وهى اردأ انواع الكماة والازغب الشعرات الصغار من ريش الفرخ ﴿قوله ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل﴾ اى لا يحسن ان يكون كلمة هم فى الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير المتصل فى كالوا او وزنوا العائدين الى المطففين لوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يجعل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون ما بعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بانفسهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل وهو الاكتيال والكيل لا فى المباشر والوجه الثانى ان الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا للمنفصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع فى امام المصاحف كما هو الاصل فى امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا ما يخالف القياس المقرر فى علم الخط ﴿قوله وفيه انكار وتعجب من حالهم﴾ فى الاجتراء على التطفيف والانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان ألا هنا ليست للتنبيه بل هى همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن فى موضع ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه وان لا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة على رؤس الاشهاد فى يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف فى حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على انه لا يظن ذلك وذلك امر عجيب حيث كان أسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون البعث ويقولون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴿قوله او بدل من الجار والمجرور﴾ فانه منصوب المحل ﴿قوله لحكمه﴾ قدر المضاف لان ذاته تعالى لا تكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك ﴿قوله وذكر الظن﴾ فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من القضايا التى يكفى المؤمن ان يظن بوقوعها لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة فى المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفى فى الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم فان ما يستعظمه الله تعالى لا شك انه يكون فى غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال اى لحكمه يدل على المبالغة فى المنع عن ذلك وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فان من كان مالكا للعالمين وكان العالم باسره مسخرا فى قبضته وقدرته كيف يمتنع عنه الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف فان مقتضى الربوبية ان لا يضيع شيأ من حقوق

(الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم او وزنوهم) اى اذا كالوا الناس او وزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار واوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره (الا يظن اولئك انهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم ما يكون فيه (يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرآءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفى هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه

المستحقين واصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اوّلا ويل للمطففين فانها كلمة تقال لمن استحق ان ينزل عليه بلية وآفة فيقال ويل لك زجرا له عما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين ينزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فاذكر بعده يكون للمبالغة فى المنع * قال اعرابى لبعض الملوك انك قد سمعت ماقال الله عز وجل فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فاظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بغير كيل ولا وزن ﴿قوله مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم﴾ جواب عما يقال اخبر الله تعالى بان كتاب الفجار فى سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كأنه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فامعناه * اجاب عنه المصنف اوّلا بان الكتاب فى قوله كتاب الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة اطلق فى الآية بمعنى المكتوب كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين بمعنى السفر الذى كتب فيه الاعمال والمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة وثانيا بان الكتاب الاوّل مصدر مستعمل فى اصل معناه وهو فى النظم مصدر مضاف والتقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة ﴿قوله اى مسطور بين الكتابة﴾ وفى الصحاح الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على مافيه بلا دقة نظر وامعان بوجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام الذم والتهويل ﴿قوله فعيل من السجن﴾ اختلف فى ان السجين علم لشئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن وهو الحبس كما ان الفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة وموضوع للمبالغة ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه سببا لحبس صاحبه ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق فانه يؤول الى حبس لايجد صاحبه فيه شيأ من الروح والسعة ﴿قوله اولانه مطروح﴾ اى ويجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع واوحشها وهو اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته لعنه الله فيطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم وخفة مقدارهم ولايصعد به الى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين ﴿قوله وقيل هو اسم مكان﴾ اى وقيل انه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشئ معين هو الارض السابعة السفلى او حية فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها فعلى تقدير ان يكون السجين اسم مكان لايصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الابان يقدر المضاف فى قوله ماسجين او فى قوله كتاب مرقوم ليصح الحمل واليه اشار المصنف بقوله والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم ﴿قوله للمكذبين بالحق﴾ اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان وقوله او بذلك اى ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ولم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم لكل مايجب ان يصدق به واما لدلالة القرينة عليه وهو يوم يقوم الناس فيه فعلى الاوّل يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه وعلى الثانى صفة موضحة ان كان ذات الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما ومجهولا من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة وان كان معلوما له من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة الموضحة لابدّ ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولايكون بينهما فرق الا بالاجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل وبيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث يصلح ان يكون معرّفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ﴿قوله المخدجة﴾ اى المنتجة نتيجة باطلة لايعتدّ بها من اخدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق والاعتداء هو التجاوز للحدّ عن النهج الحق وحمله المصنف على اهمال القوّة النظرية التى كادأن يعرف الانسان بها الحق لذاته كوجود الصانع ووحدته واستكماله لجميع صفات الجلال والجمال ومن يكذب بالبعث والقيامة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ليعلم انه تعالى عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وانه تعالى قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولاشك ان من وصف الله تعالى بما لايجوز ان يوصف به فقد اهمل قوّته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة ويعتقد بها والاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم

(كلا) ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار) مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم (لفى سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال (وما ادراك ماسجين كتاب مرقوم) اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق او بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة او موضحة او ذامة (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة (اثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها

(اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين) من فرط جهله و اعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ردّ لما قالوه و بيان لما ادّى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق و الباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ قلبه و الرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بل رين بالامالة (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدّر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) يقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاوّل ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء برّ اوردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفى عليين وماادراك ماعليون كتاب مرقوم) الكلام فيه مامرّ فى نظيره (يشهده المقرّبون) يحضرونه فيحفظونه اويشهدون على مافيه يوم القيامة (ان الابرار لفى نعيم على الارآئك) على الاسرّة فى الحجال (ينظرون) الى مايسرّهم من النعم والمتفرّجات (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع

و المعصية بسبب الاتباع للشهوة و الغضب فانه يستلزم اهمال القوّة العملية التى كمالها ان تعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين وهذا من الاعتدآء عن النظر فى شواهد النقل بانكار النبوّة و القدح فى كون القرآن من عندالله تعالى و الاعتدآء بهذا الوجه وان كان مندرجا فى الاعتدآء المذكور اوّلا الا انه خص بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال و الانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن انكرهما فهو فى غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين وفى الصحاح السطر بسكون الطاء الصف من الشئ ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس و السطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب و اسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او اسطارة بالكسر فأساطير الاوّلين احاديثهم واخبارهم الباطلة

﴿ قوله ردّ لما قالوه ﴾ من ان ماتتلى عليهم اساطير يعنى ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه وان وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرّد الاعراض عماسبق وجعله فى حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو أهمّ وههنا اضرب عنه لبطلانه فى نفسه وشرع فى بيان ماادّى بهم اليه كأنه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل كان ما كسبوه من الافعال القبيحة سببا لحصول الرين وهو الدنس و الصدأ فى قلوبهم فلذلك اضرب عن ذلك القول الباطل ﴿ قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات ﴾ تعليل لكون الانهماك فى المعاصى سببا لغلبة حب المعاصى عليهم فان الانسان كلما تكرّر عليه مباشرة المعصية حصلت فى قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها اتقاؤه عن ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها فذلك رين ودنس و ظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق و الباطل كما ان الطاعات لها انوار وضياء معينة لمعرفة الحق و الباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة و اسودادا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسودّ القلب كله و العياذ بالله تعالى لم يبق فى قلبه شئ من المعرفة والحياء ويرتفع بالكلية مايمنعه عن ارتفاع الشهوة و الغضب فيغلب عليه حب المعاصى بحيث لايقدر على الامتناع عنها وكلمة ما فى قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذى كانوا يكسبونه ﴿ قوله فلا يرونه بخلاف المؤمنين ﴾ وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لولم يروه فى الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بانهم محجوبون عن الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا فى معرض الوعيد و التهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا لهم لايجوز حصوله فى حق المؤمن فوجب ان لايحصل هذا الحجاب فى حق المؤمن

❁ يراه المؤمنون بغير كيف ❁	وادراك وضرب من مثال ❁
❁ فينسون النعيم اذا رأوه ❁	فياخسران اهل الاعتزال ❁

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار بل هو مجاز عن كونهم أذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم تلك بحال من كان محجوبا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه للدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام انهم عن رحمة ربهم اوعن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك ﴿ قوله تكرير للاوّل ﴾ وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفى سجين فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لايطففون ﴿ قوله الكلام فيه مامرّ ﴾ فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار اوكتابة اعمالهم لفى عليين اى لفى كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين فى الاصل جمع علىّ وهو فعيل من العلوّ للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا للعلوّ صاحبه غاية العلوّ وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فى ذلك المكان فقيل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى فعلى تقدير كونه اسم مكان لايحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على تقدير المضاف فى الاوّل او فى الثانى ويكون التقدير وماادراك ما كتاب عليين اوهو محل كتاب مرقوم ﴿ قوله على الاسرّة فى الحجال ﴾ وهى جمع حجلة بالتحريك وهى بيت العروس يزين بالاسرّة والثياب والستور فان الاسرّة لاتسمى اريكة الا اذا كانت فى الحجال عن الحسن قال كنا لاندرى

(يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
او الذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى مايختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله (ان الذين اجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مرّوا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين) ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما ارسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) هل اثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء * قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿ سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علىّ رضى الله عنه تنشق من المجرّة (وأذنت لربها) واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له

ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار فى الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان الابرار لفى نعيم والرحيق من الشراب مالاغش فيه ولاشئ يفسده ﴿قوله اى مختوم اوانيه﴾ من الاكواب والاباريق اى هو ممنوع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه ﴿قوله او الذى له ختام﴾ عطف على قوله اى مختوم اوانيه بالمسك اى يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعه اذا شرب رائحة مسك بان توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشئ وخاتمه آخره ﴿قوله والكلام فى الباء كما الخ﴾ اى كما مرّ فى سورة الانسان من انها اما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون متلذذين بها او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها او مزيدة اى يشربها بتقدير يشرب ماءها لان العين لاتشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان تكون بمعنى فى اى يشربون وهم فيها والجملة فى موضع الصفة لقوله عينا ﴿قوله يعنى رؤساء قريش﴾ اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار بن صهيب وبلال فنزلت ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما وصف كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سيقلب على الكفار فى الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اوّلها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مرّوا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين وقيل فاكهين اى متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى هم على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لايدرى هل له وجود اولا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعنى ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون مايصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم مايعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واىّ نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم * تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الانشقاق مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله انشقت بالغمام﴾ الانشقاق التصدّع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب والباء فيه للآلة كما فى قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتصدّع بغمام يخرج منها قيل يكون فى ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشدّ واوجل من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تنشق للسقوط والانتقاض ويؤيد الاوّل ماروى من انها تنشق من المجرّة وهى باب السماء يقال لها بالفارسية * راه كهكشان * وهى ترى فى الشتاء فى اوّل الليل فى ناحية السماء وفى الصيف فى اوّل الليل فى وسط السماء وتنتقل فى آخر الليل الى غير موضعها ويقال ان النجوم تقاربت فى المجرّة فطمس بعضها فصارت كالسحاب ﴿قوله واستمعت له﴾ الجوهرى اذن له اذنا استمع وانشد

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا	وكل ماسمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به	وان ذكرت بشرّ عندهم اذنوا

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ما اذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن * اى ما استمع الى شئ كاستماعه الى صوت نبى يقرأ القرآن المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاستحسان له اى لايعتدّ بشئ كاعتداده بذلك فان حقيقة الاصغاء والاستماع لما لم تتصوّر فى حقه تعالى حملت على غايتها التى هى الاعتداد والرضى واذا اسند الى نحو السماء ممن ليس من اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا عن المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء فى انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين اراد انشقاقها

بانقياد المستمع المطواع للآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل فى غايته التى هى انقياد المأمور المطيع فهو مجاز فى المرتبة الثانية * قال الامام انه لم يوجد فى جرم السماء مايمنع من تأثير قدرة الله تعالى فى شقها وتفريق اجزآئها فكانت فى قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى اتينا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة عن نفوذ القدرة فى الايجاد والاعدام وتفريق الاجزآء من غير ممانعة اصلا ﴿قوله فهو محقوق وحقيق﴾ اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد لقدرة من يؤثر فى وجوده وصفاته وافعاله ﴿قوله واكامها﴾ جمع أكم بفتحتين مثل جبل وجبال والاكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع أكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا فيستوى ظهر الارض وينبسط والمدّ بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشئ فامتدّ ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مدّت مدّ الاديم العكاظى فان الاديم اذا مدّ زال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه مأخوذ من مدّه اذا أمدّه اى يتزايد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب * واعلم انه لابدّ من الزيادة فى وجه الارض سوآء كان ذلك بتمديدها او امدادها لان الخلائق باسرهم من الاوّلين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لابدّ من الزيادة فى طولها وعرضها عن على بن الحسن انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام * اذا كان يوم القيامة مدّت الارض مدّ الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الاموضع قدميه * يعنى لكثرة الخلائق فيها ﴿قوله وتكلفت﴾ اى خلت غاية الخلوّ حتى لم يبق فى باطنها شئ فصارت بذلك كأنها تكلفت فى الخلوّ اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكلف غير متصوّرة فى الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاوّل فى حق السماء وهذا فى الارض ثم انه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزآءها ليكون ابهامه ادخل فى التهويل كأنه قيل اذا وقعت هذه الامور كان مالايدخل تحت الوصف والبيان خاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح فى اللغة السعى الشديد فى العمل وذلك العمل اما الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التى عملها فى الدنيا من الخير والشرّ فانه يسعى بها الى ربه فيحاسبه بها فالمعنى على الاوّل انك ساع مجتهد تسير مع انفاسك كما قيل انفاسك خطاك سيرا سريعا الى ربك اى الى لقائه بالموت فلاقيه عند مجيئ اجلك فانظر بأىّ عمل تلقاه اى فالقه بعمل يجيئك لابعمل يرديك وعلى الثانى انك كادّ بعملك فى دنياك كدّا وسعيا تسير الى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأىّ عمل تسير اليه ﴿قوله او الاكتفاء﴾ عطف على التهويل يعنى ان المحذوف امامبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لابهامه لكون ذلك ادخل فى التهويل او متعين وهو قوله علمت نفس ماتسعى فيه من خير وشرّ ولم يذكر اكتفاء بمامرّ ﴿قوله او بدلالة قوله﴾ عطف على قوله مامرّ وقوله عليه اى على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة ﴿قوله لاقى الانسان كدحه﴾ اى عمله الذى كدح فيه وتعب وفيه اشارة الى ان ضمير ملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لايبقى يمتنع تلاقيه فلابدّ من تقدير المضاف اليه اى فلاق حسابه وحكمه لامفرّ له منه ﴿قوله اى جهدا يؤثر فيه﴾ بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وهو تفسير لقوله كدحا لا بضمها ولذلك عطف عليه الكدّ فى الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس فى العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدة وجهه اذا خدشها ﴿قوله او فلاقيه﴾ عطف على قوله محذوف واذا كان قوله فلاقيه جواب اذا يكون قوله ياايها الانسان انك كادح معترضا بين الشرط والجزآء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله اى جزآء عمله واليه اشار بقوله والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه ﴿قوله لايناقش فيه﴾ يعنى ان الحساب اليسير هو العرض بان تعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدّة فيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام من نوقش فى الحساب فقد هلك * والحساب اليسير هو العرض وسوف من الله تعالى واجب ﴿قوله اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره﴾ يعنى ان قوله تعالى فى هذه السورة واما من اوتى كتابه ورآء ظهره لاينافى قوله فى سورة

(وحقت) اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدّت) بسطت بان تزال جبالها واكامها (وألقت مافيها) ما فى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخلوّ أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلية (وحقت) للأذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بمامرّ فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فلاقيه وياايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لايناقش فيه (وينقلب الى اهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور (واما من اوتى كتابه ورآء ظهره) اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه ورآء ظهره

الحاقة واما من اوتى كتابه بشماله لامكان الجمع بينهما بان تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل ورآء ظهره فيعطى كتابه بشماله خلف ظهره قيل ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من ورآء ظهره ولما اوتى كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهى المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لايزول ﴿قوله وقرأ الحجازيان﴾ وهما نافع وابن كثير والشامى وهو ابن عامر يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ ابو عمرو البصرى وعاصم وحمزة يصلى بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اى يدخله غيره لقوله تعالى ونصليه جهنم ﴿قوله فارغا عن الآخرة﴾ وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة فى الطاعات واجتناب المعاصى والمنكرات فابدله الله تعالى من ذلك السرور والامن غما وانما بخلاف المؤمن فانه لما كان متقيا عن المعاصى مجتهدا فى الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن فى الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن له فيها الاهم الآخرة والخوف من اهوالها ابدله الله تعالى من غمه ذلك سرورا ابدا لاينقطع ﴿قوله ظن ان لن يحور﴾ ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر ولن يحور خبرها والجملة سدت مسد مفعولى الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشأن لن يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما فى قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اى لتبعثن وعلى الثانى ليبدلن سروره بغم لاينقطع وبلاء لايزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يكن ليجوز فى حكمته ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله كفى بعلمه تعالى عن بعثه ومجازاته عليها وكلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون لرد الكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور اى يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله لا ثم قال بعد اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع عليه رد قوله وابطال ظنه ويجوز ان تكون كلمة لا صلة وقد مر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقى من الشمس فى الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة التى ترى فى المغرب بعد غروب الشمس واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وظاهر قول ابى حنيفة رحمه الله ان الشفق البياض الذى يعقب الحمرة الا ان اسد بن عمرو قال ان اباحنيفة رجع عن هذا القول واختار ان الشفق هو الحمرة كما قال به صاحباه والشفق فى الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق لطول اللبس والشفقة على الانسان رقة القلب عليه واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزآء الضياء فى البياض ارق وفى الحمرة اكثف فان اثر الشمس اعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثرها هو النور ويؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعى ان يكون المذكور قبله النهار فيكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم ﴿قوله وما جمعه﴾ اى ما كان منتشرا بالنهار فان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى مأواه والوسق ضم الشئ بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع وما فى قوله تعالى وما وسق موصولة او موصوفة بمعنى الذى جمعه او شئ جمعه اشار اليه المصنف بقوله وما جمعه بتقدير العائد فانه لابد من العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطة الظلمة بها فان ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكأنه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لاتبصرون وهذا المعنى لايحصل على تقدير أن تكون ما مصدرية لان المقسم به حينئذ يكون بوسق الليل وجمعه لا بما يجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم ﴿قوله مستوسقات لو يجدن سائقا﴾ اوله * ان لنا قلائصا حقائقا * والقلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهى الناقة التى استكملت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اى مجتمعات وتمنى ان يكون لها سائق ﴿قوله او طرده الى اماكنه﴾ عطف على قوله جمعه وستره يعنى ان الوسق فى اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد

(فسوف يدعو ثبورا) يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم (انه كان فى اهله) فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا اقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة (والليل وما وسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * او طرده الى اماكنه من الوسيقة

ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفى الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا ﴿قوله اجتمع وتم بدرا﴾ مبنى على ماقال من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى لماذكر ما اقسم به ذكر بعده مااقسم عليه فقال لتركبنّ طبقا عن طبق واختار المصنف قرآءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذى هو فى معنى الجمع لان النداء فى قوله ياايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبنّ بالياء وفتح الباء جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب اى ليركبنّ الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدآئد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كأنهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لامحالة وان الناس يلقون فيه الشدآئد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى مااعدّله من جنة اونار فهى نظير قوله تعالى بلى وربى لتبعثنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم ﴿قوله وهو لما يطابق غيره﴾ يعنى ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ماهذا بطبق هذا اى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ﴿قوله اومراتب من الشدّة بعد المراتب﴾ عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاوّل اسم مفرد اطلق على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات البيت اى مراتبه فالمراد بها فى الآية طبقات الشدّة ومراتبها التى بعضها اشدّ من بعض وهى الموت ومابعده من اهوال القيامة ﴿قوله اوهى وماقبلها﴾ اى اوهى هذه المذكورات وماكان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتدآء وجوده الى ان يموت ﴿قوله باعتبار اللفظ﴾ فان لفظ الانسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره وهى اما احواله التى يترقى عليه السلام فيها من الظفر والغلبه على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها واما مراتبه عليه الصلاة والسلام فى القرب من الله تعالى والاستحقاق لانواع فضله ورحمته بحيث لايعلم كنه ذلك غيره تعالى واما ماركبه من طبقات السماء كأنه تعالى يقول اقسم يامحمد على انك لتركبنّ حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلايحزنك كفرهم وتماديهم فى الكفر والتكذيب اولتركبنّ درجة بعد درجة فى القرب من الله تعالى والكرامة عنده اولتركبنّ السموات طبقا بعد طبق فانها سبع سموات طباقا فهى بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسرآء وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاوّل فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظة بعد فصح استعمال احداهما بمعنى الاخرى ﴿قوله وعن طبق صفة لطبقا﴾ اى لتركبنّ طبقا كائنا بعد طبق او حال من الضمير فى لتركبنّ وقوله مجاوزا لطبق على قرآءة تركبنّ بفتح البـاء وقوله اومجاوزين له على القرآءة بضم الباء ﴿قوله يوم القيامة﴾ خص يوم القيامة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لايؤمنون باكثر مايجب الايمان به بل بكله من حيث انّ الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيـامة وتشنيع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظنّ ان لن يحور ثم حكم بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطـارية على الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقرّ كل احد فيما اعدّله فان الشفق حالة مخالفة لماقبلها وهو ضوء النهار ولمابعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبسـاط ضوء النهـار بتغير احوال الحيوانات من التفرّق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يمثون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لابدّ ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على البعث والقيامة فلذلك فرّع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فمالهم لايؤمنون بالبعث والجزآء فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدّا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغوا فى امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر فعند

(والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبنّ طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدّة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة اومراتب من الشدّة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة واهوالها اوهى وماقبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبنّ بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبنّ حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا اوحال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق اومجاوزين له (فمالهم لايؤمنون) بيوم القيامة

(واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون اولايسجدون لتلاوته لماروى انه عليه الصلاة و السلام قرأو اسجدو اقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الابعدأن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر و العداوة (فبشرهم بعذاب اليم) استهزآء بهم (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع اومتصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم اجر غير ممنون) مقطوع اوممنون به عليهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه من وراء ظهره

﴿ سورة البروج مكية وآيها ثنتان ﴾
﴿ وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت اومنازل القمر اوعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها اوابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما اوالمبالغة فى الكثرة كأنه قيل ماافرطت كثرته من شاهد ومشهود اوالنبى وامته اوامته وسائر الامم اوكل نبى وامته اوالخالق والخلق اوعكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف اويوم النحر اوعرفة والحجيج اويوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له اوكل يوم واهله

سماعه لابد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ماكلفهم به * فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لامطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بماروى فى سبب النزول ﴿ قوله واحتج به ﴾ اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها فى معنى المنزل ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب ﴿ قوله استهزآء بهم ﴾ لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ اى من الضمير المنصوب فى قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا ولاشك ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى الامن تاب منهم وآمن بعد مانزلت هذه الآية فانهم وان كانوا فى الحال كفارا الا انهم متى تابوا واستحقوا لان تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الاليم واستحقوا لان يثابوا بأجر غير منقوص ولامقطوع لان نعيم الآخرة لاينقطع * تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة البروج مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور ﴾ اى المطلق اسم المقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف على بروج السماء الاثنى عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات اومقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاها ولايتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البروج تنبئ عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور ﴿ قوله واصل التركيب للظهور ﴾ اى للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها ومافيها من المحاسن ظاهرة للاعين فلذلك سميت بروجا ثم يقال برجت المرأة اى شبهت بالبرج فى اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة ﴿ قوله ومن يشهد ﴾ اى ومن يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذى هو يوم القيامة تنبيها على عظيم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم عطف عليه الشاهد وهو من يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذى هو ما فى ذلك اليوم من العجائب ﴿ قوله اوالنبى وامته ﴾ عطف على قوله ومن يشهد فى ذلك اليوم اى ويجوز ان يكون الشاهد من الشهادة لامن الشهود وهو الحضور فعلى هذا يكون المشهود بمعنى المشهود عليه لان الشهادة لاتتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد عليه الا انه حذف الصلة كما حذف من المشترك واصله مشترك فيه وعلى تقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوها فى تعيين المراد بهما الاول ماذكره بقوله اوالنبى وامته ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولاشك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته تكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام ويكون الرسول عليكم شهيدا والثانى ماذكره بقوله اوامته وسائر الامم لقوله تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس والثالث ماذكره بقوله اوكل نبى وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبى شاهد على امته والرابع ماذكره بقوله اوالخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا مطلعا على احوال خلقه والخامس ماذكره بقوله اوعكسه فان كل جزئى من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقدير ين يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وخالقها قال الشاعر

* فيا عجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد *

والسادس ماذكره بقوله او الملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فتكون كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ماذكره بقوله او يوم النحر فقد روى عن ابن عمر وابن الزبير والنخعى والثورى رضى الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهدلمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة والثامن ماذكره بقوله اوعرفة فانه ايضايوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى ولعادين على اقدامهم عدى والتاسع ماذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بماعمل فيه من خير وشر والعاشر ماذكره بقوله اوكل يوم واهله روى عن الحسن انه قال مامن يوم الاوينادى انا يوم جديدوانى على ماتعمل فىّ شهيد فاغتنمنى فلوغابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة ﴿قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل﴾ احتيج الى التقدير لان جواب القسم اذاكان جملة فعلية وكان الفعل ماضيامثبتا تصدّر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قدنحو والله لقد خرج ولايجوز الاقتصار على احدهما الاعند طول الكلام كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم يؤت فيه باللام لطول الكلام اوفى ضرورة الشعر كما فى قوله

✲ حلفت لها بالله حلفة فاجر ✲ لناموا ومان من حديث ولاصالى ✲

ويجب فى مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لاتدخل على الماضى المجرّد فمن قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقدقتل اى لقد لعن فحذف اللام كما فى قوله قد افلح من زكاها ثم حذف كلمة قد وقيل فى توجيه خلوّ الجملة عنهما ان الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج ﴿قوله والاظهر انه دليل جواب محذوف﴾ جعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ما اشار اليه من انّ السورة وردت لبيان شدّة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظيم سخطه وانّ ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرّض لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على ايذاء الكفار ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار فى جميع الازمنة مستمرّة على هذا المنهج وانه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لاوليائه المؤمنين فان ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن اصحاب الاخدود لاوجه له ولاسيما ان ذلك يؤدّى الى تقدير قد واللام وتقدير الكلام والسماء ذات البروج ان كفار قريش لملعونون لعنا مثل لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه اغلظ العقوبات لايقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فلذلك عبر به عن اللعن لكونه ابلغ فى التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوّة عنادهم ومبالغتهم فى ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار مكة ايضاملعونون للاشتراك فى العلة وهى الاصرار على الكفر والعناد والمبالغة فى ايذاء المؤمنين وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل فى افادة التسلية ﴿قوله فمال قلبه اليه﴾ فكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله اليه فاذا أبطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يابنىّ اذا استبطأك الساحر فقل حبسنى اهلى واذا استبطأك اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو بالطريق ذات يوم ظهرت حية قدحبست الناس الخ ﴿قوله فاقتلها﴾ اى بان تخلق فىّ قوّة ارمى بها هذا الحجر اليها واضربها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى فصار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وهو جميع داء الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال كفأت الاناء اى كببته وقلبته وتقاعست اى تأخرت فكأنها ارتدّت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك واولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاوّل فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فأبت فألقى الثانى ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذ الصبىّ منها ليلقيه فى النار فهمت بالرجوع فقال الصبىّ ياأمّاه لاترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولابأس عليك فألقى الصبىّ فى النار وألقيت امّه على اثره * عن عكرمة قال تكلم فى المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة

(قتل اصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقدقتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كمالعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بماجرى على من قبلهم والاخدود الخدّ وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قدحبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقدّه بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه فى سفينة ليغرّق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس فأمر بأخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبىّ فتقاعست فقال الصبىّ يااماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

والسلام ﴿قوله وعن علىّ رضى الله عنه﴾ عن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال اختلف فى احكام المجوس فقال عمر رضى الله عنه ماهم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وقال علىّ رضى الله عنه قد كان لهم كتاب وحرّم عليهم فى كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لهما ويحكما ماهذا الذى اتيت وما المخرج قالتا المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقال له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقرّ به ماجاءنا به رسول ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقرّوا به فجرّد عليهم السيف فابوا ان يقرّوا فخدّلهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب خلى سبيله ﴿قوله وقيل لما تنصر نجران﴾ اى اهل نجران اليمن روى انه وصل الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم الى التنصر فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودىّ بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الاخاديد وقيل سبعين ألفا * فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها * اجيب بانه لاتعارض لما روى عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق ﴿قوله صفة لها بالعظمة وكثرة مايرتفع به لهبها﴾ حطبا كان او غيره فان الوقود بالفتح وان شاع فى الحطب الا انه يطلق على مطلق ما تتقد به النار اى شئ كان قال تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من توصيف النار بكونها ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة ما يكون سببا لاتقادها واستشعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقى للتوصيف فائدة فانه من الظاهر المكشوف ان النار لاتخلو عن الوقود وكلمة اذ فى قوله تعالى اذهم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشئ جانبه والظاهر أن المراد باصحاب الاخدود الجبابرة الذين يقعدون على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع فى النار فمن ترك الاسلام تركوه ومن كان يصبر عليه ألقوه فى النار وأن ضميرهم فى قوله اذهم لهؤلاء الجبابرة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا ويخلون سبيل من شاؤا ﴿قوله وما انكروا﴾ يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اى وما عابوا منهم وما انكروا الا ايمانهم وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لدوامهم عليه فى الآتى حتى او كفروا فى المستقبل لما عذبوهم على مامضى فكأنه قيل الا ان يستمرّوا على ايمانهم ﴿قوله استثناء على طريقة قوله ولاعيب فيهم﴾ فان كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بمايشبه الذم فان كون سيوف الشجعان مشتملة على كسور فى حدّها من مصادمة الجيوش من اعز المحامد واجل المفاخر فكذا الايمان بالله تعالى اشرف جميع فضائل المكلفين وهم لغاية غوايتهم عدّوه قبحا وعاقبوهم به والمقصود من الآية بيان ان اصحاب الاخدود يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه وذلك ان من اتصف بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه وحميدا اى محمودا لجميع المخلوقات بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرّة من ذرّات الكائنات يثنى على صانعه بكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ماانعم به عليه من نعمة الايجاد وماتفرّع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث ثبت له ملك السموات والارض بحيث لايشاركه احد فى تصرّف شئ منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين ويخص بالعبادة فالجاهل الذى نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة يكون فى نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم واخر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم ولاشك ان اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدا لجميع الكائنات ويكون ابقاؤها موجودة وافناؤها مفوّضا الى محض مشيئته انما يكون عند حصول الكمال فى القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شئ شهيد وعيد لهم لان من لايخفى عليه شئ يجازى كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذهم عليها قعود اتبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين وبذكر ثواب اهل الايمان والطاعة ﴿قوله بلوهم بالاذى﴾ اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالسرّاء وقد يكون بالاذى والمراد بها فى الآية الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من اصحاب

وعن علىّ رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودىّ من حمير فأحرق فى الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة مايرتفع به لهبها واللام فى الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على مايفعلون يوم القيامة حين يشهد عليهم ألسنتهم وايديهم (وما نقموا) وما انكروا (منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم *
بهنّ فلول من قراع الكتائب *

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم

الاخدود وغيرهم لان كل واحد من اللفظ والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هى الاحراق لقوله ثم بالنار يفتنون ﴿ قوله العذاب الزآئد فى الاحراق ﴾ يعنى ان الفاتنين يعذبون فى الآخرة بنوعين من عذاب الاحراق الاوّل جزآء كفرهم والثانى جزآء فتنتهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفى الصحاح تحرّق الشئ بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والنوع الثانى وان كان من قبيل عذاب الاحراق بالنار الا انه خص باسم الحريق للدلالة على انه عذاب زآئد على النوع الاوّل من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما فى نفسه الا ان الثانى لما اجتمع مع الاوّل قوى واشتدّ وصار كأنه هو عذاب الحريق وان الاوّل ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق ﴿ قوله وقيل المراد الخ ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود وغيرهم وان المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة وعطف عليه ماقيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود فى الدنيا فانه روى انهم لما ألقوا المؤمنين فى النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واتباعه نار فأحرقتهم فاهلكوا بنفس مافعلوه بايديهم لاجل هلاك غيرهم ونجى الله تعالى المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دالا على انهم كانوا ملعونين فى تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر ماعدّه للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية * قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لاخصوص الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اكّد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدّة فقد تضاعف عنفه ثم استدل على شدّة بطشه بذكر اقتداره على الابدآء والاعادة بحيث لايقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون المقصود المبالغة فى الوعيد لبيان ان بطشه لايختص بالدنيا ولا بالآخرة بل ان شاء بطش فيها وان شاء يمهل العاصى ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا لحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود وذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اوّلها الغفور * قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الآية مذكورة فى معرض التمدّح والتمدّح بكونه غفورا مطلقا أتم واكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان تحمل على الاطلاق * قال الامام الغزالى الفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولاشك ان الغافرية مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليها اولى لاسيما فى مقام التمدّح فقول المصنف الغفور لمن تاب ينبغى ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر ﴿ قوله المحب لمن اطاع ﴾ على ان الودود فعول بمعنى فاعل والمحبة فى حقه تعالى يراد بها ارادة الكرامة والاحسان والانعام لمن اطاعه وهى صفة مدح له تعالى لانه لايجب عليه شئ وانما هو مجرّد فضل منه واحسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودّونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اتسع عليهم من فنون برّه واحسانه والودود بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله وافضاله ﴿ قوله وقيل المراد بالعرش الملك ﴾ فانهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استوى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه ﴿ قوله لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره ﴾ فهذه الآية من جملة مااستدل به الاشاعرة فى مسألة خلق الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان والطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لاقائل بالفصل * روى انه دخل على ابى بكر قوم يعودونه فقالوا ياخليفة رسول الله ألاندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الىّ قالوا فاىّ شئ قال لك قال قال انى فعال لما اريد ثم انه تعالى لما ذكر

(ولهم عذاب الحريق) العذاب الزآئد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ما روى ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن اطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة ربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجرّه حمزة والكسائى صفة لربك او للعرش ومجده علوّه وعظمته (فعال لما يريد) لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره

قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تأذى من المؤمنين من قبل المشركين ردف التسلية والايعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود ﴿قوله ابدلهما من الجنود﴾ جواب عما يقال كيف ابدل فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه فى الجمعية * واجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره فى حكم ذكر الجميع ﴿قوله لا يرعوون﴾ اى لا يمتنعون عن التكذيب يقال ارعوى يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع ﴿قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم﴾ على ان تنكير قوله فى تكذيب للتهويل والتعظيم ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم فى قبضته وحوزته كالشئ الذى احيط به من ورآئه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا فقوله والله من ورآئهم محيط من باب التشبيه البليغ اى كأنه محيط بهم فى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ثم زاد فى التعجب من حالهم فقال بل هو قرءآن مجيد ومعنى الاضراب عنه ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذى كذبوا به قرءآن معجز بنظمه مجيد شريف عالى الطبقة من بين الكتب وحيد فى نظمه واعجازه ﴿قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة القرءآن﴾ فالتقدير بل هو قرءآن مجيد محفوظ فى لوح واللوح بالفتح الذى يكتب فيه وبالضم الهوآء بين السماء والارض كذا فى الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح قال تعالى ههنا فى لوح محفوظ وقال فى آية اخرى انه لقرءآن كريم فى كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرءآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين * روى انه تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمرآء قلمه نور وكتابه نور طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وفى صدر اللوح لا اله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرأونه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى * تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الطارق مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله والسماء والطارق﴾ اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويخفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شانه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق او للعهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابو زيد انه الثريا وقال الفرآء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب اى نافذ او مضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى يفتح المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب ﴿قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما﴾ اى بالتشديد بمعنى الا والباقون بتخفيفها واختار المصنف قرآءة التخفيف فكلمة ان على هذه القرآءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وان المخففة مع ما فى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها او اذا

(هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود) ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم (والله من ورآئهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرءآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرءآن مجيد بالاضافة اى قرءآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن وقرئ فى لوح وهو الهوآء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) اى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم

(فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا مايسره في عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترآئب) بين صلب الرجل وترآئب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترآئب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب

استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين» والظاهر ان المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته في ترجح وجودها على عدمها تحتاج اليه في بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى يحفظه وابقائه يبقى الكائنات كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فكأنه تعالى اقسم على ان كل ماسواه ممكن محدث يحتاج في اصل وجوده وبقائه الى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به ويربيه بان يخلق له ماينتفع به ويدفع عنه مايضره وعدى الحفظ بعلى في قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها حسبما يشاء ﴿قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ﴾ اشارة الى وجه ترتيب هذه الآية على ماقبلها وذلك لان اجمال ماقبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان ماترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ماقدر له من ذلك يقبضه اليه ويجعله في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال ينبئ عن ذلك ولما كان ماقبلها متضمنا لهذه المعانى وكانت هذه المعانى سببا لتوصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزآء ويجتهد في ان لايكتب عليه حافظ اعماله سوى مايفرح به يوم العرض والجزآء ظهر بهذا التقرير ان ماذهب اليه شرف الدين الطيبى من ان الفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير غير موجه اذ لا حاجة في ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوصية من غير ارتكاب الحذف ﴿قوله بمعنى ذى دفق﴾ فان الدافق عند البصريين بمعنى ذى دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية ﴿قوله والمراد الممتزج من الماءين﴾ يعنى قيل خلق من ماء بتنوين الوحدة مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذى يخرج من صلبه وماء المرأة الذى يخرج من ترائبها وهى عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم منها تريبة بناء على ان الولد انما يتكون بعد اجتماع ذينك الماءين في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيأ واحدا فلذلك قيل من ماء واحد ولم يقل من ماءين وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه انه خارج من بينهما ﴿قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ﴾ جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه الآية فقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترآئب ان المنى انما ينفصل عن ذينك الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزآء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان يتولد منه تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط في الجماع يستولى الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزآء المنى يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزآئه انما يتربى ويتولد في الدماغ والدليل عليه ان المنى يشبه الدماغ في صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا في عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهى عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لاشك ان معظم الاعضاء معونة في توليد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهى التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم في كيفية تولد الاعضاء من المنى كلام بمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة خفى عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترآئب بناء على زعمهم ان المنى ينفصل عن جميع اجزآء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لأن يتولد منه مثل تلك الاعضاء فأشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق القائلين واعلم باحوال ماخلقه على اى وجه يتولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا صحة مازعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترآئب اللذين تتصل بهما معظم ماتتولد منه المنى المستقر في الاوعية كونهما اقرب الى تلك الاوعية ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجا له وان كان معظم

المخرج هو الدماغ والنخاع ولا ضرورة الى تخصيص الترآئب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من بين الصلب والترآئب للرجل واحتج على ما ذهب اليه بأن الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل ثم انه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترآئب فدل ذلك على ان الترآئب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لا ينافى ان يكون لمائها مدخل فى تكون الولد واجاب القائلون بان الترائب ترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه ﴿قوله والضمير﴾ اى ضمير انه للخالق اى ان من خلقه من مثل ذلك الشئ الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق بقادر * فان قيل ما وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله على رجعه على عامله الذى هو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شئ * قلنا التقديم قد لا يكون للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدم ههنا للاهتمام بالعلم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على الامر بالنظر فى مبدأ خلقه انما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع والاعادة والسرآئر جمع سريرة بمعنى السر وهو ما يكتم ويخفى والمراد بها فى الآية ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وما اخفى من الاعمال * والابلاء والابتلاء الاختبار * الجوهرى بلوته بلوا جربته واختبرته وبلاه الله بلاء وابتلاه ابتلاء اى اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل ﴿قوله وهو ظرف لرجعه﴾ قيل عليه لا يجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وهو خبر ان اعنى لقادر ولا ينتصب ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر فى كل الاوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يراد انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اى يبعثه يوم تبلى السرآئر * واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره ﴿قوله فى نفسه﴾ مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لما بقى للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان فى ذلك اليوم فحينئذ لا يكون له شئ من القوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره فى دفعه ولا شك انه يرجع معناه الى التحذير عما يؤدى اليه ﴿قوله سمى به كما سمى اوبا لان الله يرجعه﴾ اى يرجع نوعه بانزال مثل الاول سمى المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذى رجوع وأوب او لانه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذى صعد من البحار بان حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره ﴿قوله من النبات﴾ بيان ما فى قوله ما تصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمى به لكونه صادعا للارض والارض تتصدع به ولما لم يتأت خروجه من الارض الا بصدعها اياها جعل كأنه نفس الصدع فسمى به ﴿قوله او الشق﴾ عطف على قوله ما تصدع فان الصدع فى اللغة الشق والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة فى نفسه بل وسيلة الى خروج ما هو نعمة فى نفسه وهو النبات والعيون اخره فى الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة وبين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باى معنى كان نعمة فى نفسه ثم انه تعالى لما اقسم فى اول هذه السورة الكريمة على ان من آذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه وبين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على ان القرآن الذى بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل واشار الى كيفية خلقة النبات فى هذا القسم كما اشار فيما قبل الى كيفية خلقة الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع النباتات ثم انه تعالى بعد ما اخبر بحقية القرآن واقسم عليه بين انهم يكيدون كيدا فى ابطاله بالقاء الشبهات لابطال بعض ما اخبر به القرآن كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وقولهم من يحيى العظام وهى رميم وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهى تملى عليه بكرة واصيلا وبالطعن فى مبلغه بقولهم

(انه على رجعه لقادر) الضمير للخالق ويدل عليه خلق (يوم تبلى السرآئر) تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منهما وهو ظرف لرجعه (فما له) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) فانه جد كله

(ساحر)

ساحر وشاعر ومجنون ويقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
ويقتلوك او يخرجوك وتسمية ما كان من قبله تعالى فى حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث
لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كيدهم وجزآئه كما اشار اليه المصنف بقوله واقابلهم بكيدى
وذلك لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيق وتسمية جزآء ذلك الشئ
باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة كثير فى القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم
والله يستهزئ بهم بعد ما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزؤن ﴿قوله امهالا يسيرا﴾ اشارة الى ان رويدا ههنا
صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم اروِدهم فيكون الامر بالامهال
تكرر ثلاث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصلت بالثانى فيبقى الثالث بلا فائدة
واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه حينئذ يكون تصغير رود بضم الرآء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل
﴿قوله والتكرير﴾ اى تكرير الامر بالامهال حيث قيل امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير
البنية حيث بنى احد لفظى الامر من باب التفعيل والآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد
اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كأنهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة * واعلم ان رويدا
فى كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها ان يكون اسما لفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويدا زيدا
اى ارود زيدا وامهله ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثانى ان يكون
بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب
الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت
ويقيمون رويدا مقامه وما فى الآية من هذا القبيل والله اعلم * تمت سورة الطارق

﴿سورة الاعلى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله نزه اسمه﴾ يعنى ان الامر الالهى وارد بتسبيح اسمه تعالى الذى هو اللفظ الدال على ذاته المقدس
عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب فى تفسيره بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو فى المكان ويفسر الاستوآء على
العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستوآء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر
الالهى وارد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه لكن
المسمى اذا كان فى غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشئ مما يلابسه كما يقال سلام على المجلس السامى والمعروض الى
الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع اقحامه مع قطع النظر عن قصد التعظيم
فى قول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ولكن اقحامه لقصد التعظيم يكون اولى ومن الناس من تمسك
بهذه الآية مستدلا على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لا يقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا فمعنى سبح
اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف لانه
اذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون اولى ويجوز ان يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل وعلى كل
واحد من التقديرين لا دلالة فى الآية على اتحاد الاسم والمسمى * قال الامام ههنا دقيقة وهى ان قولنا اسم لفظ
وضع لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم
نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتأخرين وظنوا ان الاسم فى جميع المواضع
نفس المسمى انتهى كلامه فقوله فهاهنا الاسم نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان للاشياء وجودا فى الاعيان
ووجودا فى الاذهان ووجودا فى اللسان اما وجودها فى الاعيان فهو الوجود الاصلى الحقيقى والوجود
فى الاذهان هو الوجود العلمى الصورى والوجود فى اللسان هو الوجود اللفظى الدال على ما فى الذهن من
الصورة العلمية وتلك الصورة هى المنطبعة فى النفس من الوجود العينى الخارجى فلو لم يكن وجود فى الاعيان
لم تنطبع الصورة فى الاذهان ولو لم تنطبع الصورة فى الاذهان لما عبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والعلوم ثلاثة
امور متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام
فى مباحث الكيف وبحث الوجود الذهنى وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذى هو الموجود فى الاعيان بالوجود

(انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا)
فى ابطاله واطفاء نوره (واكيد كيدا)
واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى
منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين)
فلا تشتغل بالانتقام منهم اولا تستعجل باهلاكهم
(أمهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير
وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق
اعطاه الله بعدد كل نجم فى السما عشر
حسنات

﴿سورة الاعلى مكية وآيها تسع﴾
﴿عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن
الالحاد فيه بالتأويلات الزآئغة واطلاقه
على غيره زاعما انهما فيه سوآء وذكره لا على
وجه التعظيم

الاصلي كانه غير الصورة الذهنية التي عبرعنها بالعلم وكذا لفظ الاسم الذي عبر به عن المفهوم الكلي الذي هو نوع من انواع الكلمة ميز عن الافراد الخارجية لذلك المفهوم وكذا كل لفظ وضع بازآء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم ميز به نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما تقول في قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه ومحكوما عليه فلفظ زيد في المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر الا ان بينهما تغايرا اعتباريا فان الشخص الخارجي مسمى بزيد باعتبار وضعه بازآئه وهذا الاسم الموضوع بازآء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا ايضا غير المسمى ﴿قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى﴾ قيل ان علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهما قرأاها كذلك والظاهر انهما قرأاها امتثالا للامر لا على انها من القرآن لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى ورُوي ايضا ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قرأ في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل يا امير المؤمنين اتزيد هذا في القرآن قال ماهو قيل سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشيء فقلته امتثالا للامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان ربي الاعلى وهذه الآثار والاخبار تؤيد قول من يقول المأمور به تنزيه ذاته تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها كما يقال سلام على المجلس العالي قيل اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام * ياجبريل اخبرني عن ثواب من قالها في صلاته او في غير صلاته * فقال يا محمد مامن مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء واشهدوا ياملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات اتاه ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول يارب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ﴿قوله خلق كل شيء فسوّى خلقه﴾ اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوّى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع مايتوقف عليه كمالها في ذاتها ويتنظم به اسباب معاشها ﴿قوله اي قدّر اجناس الاشياء﴾ اي جعل اجناسها بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص في جثته واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزآئنه وما ننزله الا بقدر معلوم * قال صاحب الكشاف قدّر لكل حيوان مايصلحه فهداه به اليه وعرّفه وجه الانتفاع به ثم قال يحكى ان الافعى اذا اتى عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يردّاليها بصرها فربما كانت في بريّة بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم في بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك به عينها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى مالايحد من مصالحه وحوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لايحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى ﴿قوله انبت ما ترعاه الدواب﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المرعى الكلأ الاخضر وفي الصحاح الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى زمان الرعي والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم مشتق اطلق على الكلأ تشبيها له بمكان الرعي ﴿قوله يابسا اسود﴾ الاوّل تفسير قوله تعالى غثاء والثاني تفسير احوى فان الغثاء مايبس من النبات وصار هشيما يقذفه السيل على جوانب الوادي واحوى افعل من الحوّة وهي السواد والاحوى الاسود وهو صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحرّ او ان السيل يحمله فتعلق به اجزآء كدرة فيسودّ لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسودّ بذلك ﴿قوله وقيل احوى حال من المرعى﴾ وصف المرعى بكونه احوى اي اسود لشدّة خضرته كما قيل في وصف الجنتين مدهامتان اي سوداوان من شدّة خضرتهما فعلى هذا يكون في الآية تقديم وتأخير والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء ﴿قوله سنقرئك على لسان جبريل﴾ اي سنعلمك بان يقرأ عليك جبريل القرآن مرّات الى ان تحفظ حفظا لاتنساه بعد ذلك او سنجعلك قارئا بالهام

(القرآءة)

وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت (الذي خلق فسوّى) خلق كل شيء فسوّى خلقه بأن جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه (والذي قدّر) اي قدّر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذي اخرج المرعى) انبت ماترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء احوى) يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدّة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القرآءة

القرآءة بان نشرح صدرك ونقوّى خاطرك حتى تحفظه بالمرّة الواحدة حفظا لاتنساه فيكون حفظه عليه السلام لهذا الكتاب المطوّل من غير دراسة ولاتكرار ولا كتبة امرا خارقا للعادة ولاسيما هو امىّ فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوآئل مانزل بمكة وقد اخبرالله انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو أمىّ لايكتب ولا يقرأ فيحفظه ولاينساه الا ماشاءالله ان ينساه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى ماننسخ من آية اوننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب وقدوقع كما اخبر فيكون معجزا قيل كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرءآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه السلام لايفرغ من آخر الوحى حتى يتكلم عليه السلام باوّله مخافة النسيان فأنزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيأ لانه لايخلف وعده ولا فى قوله تعالى فلا تنسى نافية وعليه الجمهور لاللنهى لان الانسان لاينهى عن النسيان لانه لامدخل فيه للاختيار فلاينهى عنه فلذلك ثبت الالف فى فلاتنسى فى الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى التكلف فى توجيه ورود النهى عما ليس باختيارى فقال ان النهى وان كان عن النسيان صورة لكنه فى الحقيقة نهى عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل لاتغفل عن قرآءته وتكراره فتنساه واحتاج فى توجيه ثبوت الالف الى ان نقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآى كالتى فى الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف وقوله فلا تنسى اصلا اى لابطريق النسخ ولا بغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلا ﴿قوله وقيل المراد به القلة﴾ اى قلة المنسى الذى يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان تنسخ تلاوته فان المراد بنسيان ماشاء الله نسيانه حينئذ النسيان المستمرّ بحيث لايعقبه التذكر بعده فان النسيان الذى هو احد طريق النسخ لابدّ ان يكون مستمرّا واما انّ حمل الاستثناء على القلة فحينئذ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذى يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسىّ بهذا المعنى فانه عليه الصلاة والسلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء ان المستثنى هو المنسىّ الذى تعلقت المشيئة بنسيانه ولاشك ان تعلق المشيئة بنسيان شئ منه غير معلوم اذ يجوز ان لاتتعلق بشئ منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شئ منه فلاشك ان ماتعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقى بعد الاستثناء فدار أمر المستثنى بين ان ينتفى رأسا وبين القلة والندرة وماكان كذلك يكون فى غاية القلة فهذا وجه من حمل الاستثناء على القلة ﴿قوله اونفى النسيان﴾ مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة والنسيان المنفى على القولين الاخيرين هو النسيان الذى يعقبه التذكر الا انه على القول الاوّل يقصد استثناء القليل منه كأنه قيل فلا تنسى شيأ مما علمناه لك وقرأناه عليك نسيانا متعارفا وهو الذى يعقبه التذكر بعد الا قليلا منه وعلى القول الثانى لايقصد استثناء شئ منه ويكون قوله الا ماشاء الله لنفى النسيان المتعارف رأسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلا تنسى شيأ مما اقرأناك اصلا الا ماشاء الله نسيانه بان تنسخ تلاوته ولما كان قوله الا ماشاء الله مما يدل على القلة جاز ان يراد منه نفى النسيان رأسا فان استعمال القلة بمعنى النفى رأسا وارد فى كلامهم كما فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فان قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر ﴿قوله فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء او انساء﴾ تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر من احوال عباده وبما يخفى منها او علمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرءآن مع جبريل وبما يخفى فى نفسه مما يدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسى ماانساه من الوحى ولا يبقى ما ابقاه الا لمصلحة تعود اليهم ﴿قوله ونعدّك للطريقة اليسرى﴾ ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق بيانا لوجه تعدية قوله نيسرك بدون اللام فان العبارة الشائعة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان ولا يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى فالظاهر ان يقال نيسر اليسرى لك الا انه جعل الفاعل ميسرا للفعل فى هذا الموضع وكذا فى سورة الليل ايضا وفى قوله عليه الصلاة والسلام * اعملوا فكل ميسر لما خلق له * باعتبار التضمين ومعدّ وموفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدّية الى اليسر والراحة وقوله تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة

(فلاتنسى) اصلا من قوّة الحفظ مع انك امىّ ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الاماشاءالله) نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب ابىّ انها نسخت فسأله فقال نسيتها اونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى (انه يعلم الجهر وما يخفى) ما ظهر من احوالكم وما بطن اوجهرك بالقرآءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء اوانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدّك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى اوالتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لا نيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض

القرءآن او فى باب التدين و الطاعة و نون العظمة فى قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطى على عظمة المعطا وكيف لاوقدكان عليه الصلاة والسلام صبيا لااب له ولاام نشأ فى قوم جهال ثم انه تعالى جعله فى افعاله واقواله قدوة للعالمين و هاديا للخلائق اجمعين الى شريعة لم يهد الى مثلها احد من الاوّلين فكان بذلك سيد المرسلين وخاتم النبيين واى عطاء اجل و اعظم من هذا ﴿قوله بعد ما استتب لك الامر﴾ بيان لمعنى فاء التعقيب فى قوله فذكر يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرءآن وتيسر حفظه له بحيث لا ينسى شيأ منه الا ماشاء الله تعالى نسيانه اوتيسر سبيل الرشد و التدين امره بتذكير الخلق و دعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبي الهدى و الهداية و دولتى الكمال و التكميل ﴿قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الخ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة و السلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر و العصيان و يذكرهم ثواب الطاعة و الايمان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سوآء قبلوا منه التذكير وانتفعوا به ام لا فان نفعتهم الذكرى فيها والا فلا اقل من تزايد مثوباته عليه الصلاة و السلام بتكرار الانذار و التذكير وانقطاع حجة المعاندين حيث لايمكنهم ان يقولوا بعد الانذار و التذكير انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلو جب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين ان نفعتهم الذكرى * والمصنف اجاب عنه بثلاثة اجوبة تقرير الاوّل ان ماذكره من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير بأوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتضح الحق ويتبين الرشد من الغى بحيث يظهر ان من أصرّ على الكفر و الضلال بعده انما يصرّ لمحض العناد واثار الهوى على الهدى واما بعد ذلك فلا يجب اذلا فائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس و التلهف على من آثر الشقاوة الابدية على السعادة الدآئمة وتقرير الجواب الثانى ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان تقييدا للايجاب بحسب الظاهر الا انه لم يؤت به فى هذا الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكورين وتنبيها له عليه الصلاة و السلام يعنى ان هؤلاء لاتنفعهم الذكرى كما يقال فى حق رجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ماأراه يجيبك فكأنه قيل فذكرهم ومايظن اتعاظهم وقبولهم منك واذا لم يكن التعليق و التقييد مرادا بقى الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه وتقرير الثالث ان التقييد و التعليق بالنسبة الى طائفة معينة علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الذكرى لاتنفعهم لشدّة اعراضهم عن الهدى ونظيره قوله تعالى فذكر بالقرءآن من يخاف وعيد ويلزم من هذا الجواب انه عليه الصلاة و السلام اذا علم بنور النبوّة اوالوحى الالهى ان الضال لايؤمن ولاتنفعه الذكرى لاتجب عليه التذكرة ﴿قوله وهو يتناول العارف والمتردّد﴾ فان الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوّز وجوده ولكن لم يقطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من قطع بانكاره و القسمان الاوّلان يتناولهما مفهوم من يخشى الله دون الثالث فان من كان عارفا بالله تعالى و بكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد ويخشى الله تعالى وينتفع بالذكرى وكذا من تردّد و توقف الى ان يتبين الحق له ولايكون من اهل العناد و الاصرار فانه اذا سمع آية التخويف مثل ان يقال من كفر وتولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى ينكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلبه هواه وحمله ذلك على العناد و الاصرار فان قلبه يقبل عليه فلايصل اليه خوف الله تعالى وخشيته فلاينتفع بالذكرى لان الانتفاع بها مبنىّ على خشية القلب ولم يحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولايقبلها ولاينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس ﴿قوله الاشقى الكافر﴾ يعنى ان المراد بالاشقى اما جنس الاشقى وهو الكافر او فرد معين منه كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة و المفضل عليه على الاوّل جنس الفاسق وعلى الثانى سائر الكفرة وثم فى قوله تعالى ثم لايموت للتراخى الرتبى لان هذه الحالة افظع و اعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشدّة و الكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر فيقتضى مفضلا عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما فى اسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان فى جهنم نيرانا ودركات متفاوتة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاوتة فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى ولم يتأمل فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بان قال لا اله الا الله محمد رسول الله على ان يكون التزكى من الزكاء بمعنى الطهارة وقيل من الزكاء بمعنى النماء اى من صار زاكيا ناميا من جهة الاعمال الصالحة

(فذكر) بعد ما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية اولذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظنّ نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردّد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم او فى الدرك الاسفل منها (ثم لايموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حيوة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر و المعصية اوتكثر من التقوى من الزكاء اوتطهر للصلاة اوأدّى الزكاة

(يقال)

يقال زكا الزرع يزكو زكاء اى نما و كثر و الزاكى النامى الكثير و يقال ايضا تزكى بمعنى تصدق و ادّى الزكاة ﴿ قوله و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم ﴾ عطف على قوله ما يفهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه و لسانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعالى و اجلالا و من استدلاله على ذلك بقوله أقم الصلاة لذكرى فان من ذكر الله تعالى بكمال عظمته و كبريائه و بانواع فضله و احسانه دعاه ذلك الى الاشتغال بخدمته و طاعته و ذهب الامام ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الاحرام فيكون المعنى و ذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة و صلى عقيبه و احتج بهذه الآية على وجوب تكبيرة الاحرام حيث عدّت فى جملة ما علق به الفلاح و على انها ليست من اركان الصلاة من حيث ان الصلاة عطفت عليها بفاء التعقيب و الملابسة بالكل انما تكون بملابسة ركن من اركانها لاعقيبها و على ان افتتاح الصلاة و الشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكى على التطهر للصلاة لتكون الآية مسوقة لكل من حصل هذين الشرطين الطهارة و تكبيرة الاحرام و صلى عقيبهما و الائمة الشافعية قالوا هذه الآية و ان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى و صلى عقيبه لكن ليس فيها ما يدل على ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون بمعنى أنّ من ذكر الله تعالى بقلبه و لسانه و ذكر ثوابه و عقابه و عاد بعد ذلك الى فعل الصلاة فحينئذ يأتى بالصلاة التى احد اركانها و اجزائها تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير هذه الآية ذكر معاده و موقفه بين يدى ربه فصلى له * قال الامام و اقول هذا التفسير متعين و ذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاث اولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب و ثانيتها استحضار معرفة الله تعالى بذاته و صفاته و افعاله و ثالثتها الاشتغال بخدمته و طاعته فالمرتبة الاولى هى المرادة بقوله قد افلح من تزكى و ثانيتها هى المرادة بقوله و ذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب هو المعرفة و ثالثتها و هى الخدمة هى المرادة بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع و الخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لابدّ و ان يظهر فى جوارحه و اعضائه اثر الخضوع و الخشوع انتهى كلامه و اذا حمل التزكى على اداء الزكاة المفروضة تكون الآية نظير قوله تعالى و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة قيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاة على الزكاة اذا ذكرا معا و هذا التفسير يستلزم مخالفة العادة و تركها ﴿ قوله فلا تفعلون ما يسعدكم ﴾ اشارة الى ان المضروب عنه قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لاتفعلونه بل تؤثرون فان بل موضوعة لنفى ما تقدم و تحقيق غيره ﴿ قوله و الخطاب للاشقين ﴾ اشارة الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو فى معنى الجمع و نكتة الالتفات المبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ فى الذم مما يكون فى الغيبة و فى اضمار قل تحقير لشأنهم بالاشارة الا انهم لايستحقون لخطابه تعالى ﴿ قوله و قرأ ابو عمرو بالياء ﴾ على الاخبار عن الاشقين و هم غيب ﴿ قوله فان نعيمها ملذ بالذات ﴾ اى لايتناول الا لاجل الالتذاذ و التفكه و لايقصد به التغذى و دفع ألم الجوع و العطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا و انت تلتذبه و فى بعض النسخ تلذذ اى كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانه يقصد لا لذاته بل لما يترتب عليه من التقوّى و نحوه و الغوائل جمع الغائلة و هى الشرّ و المضرّة ﴿ قوله و الاشارة الى ما سبق من قد افلح ﴾ و المعنى ما ذكر من قوله قد افلح الى آخر الآيات الاربع مذكور فى صحف الانبياء المتقدمين بمعناه و ان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هنا ﴿ قوله فانه جامع امر الديانة ﴾ فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لاينبغى من العقائد الفاسدة و الاخلاق الذميمة و قوله و ذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى و قوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى الجوارح و تزيينها بطاعة الله تعالى و قوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة على السعادة الابدية و قوله و الآخرة خير و ابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة و ما فيها من التروّح و الثواب الجزيل و هذه امور لاتختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى * تمت سورة الاعلى بحمد الله و عونه و حسن توفيقه و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

﴿ سورة الغاشية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى الغاشية ﴾ الغطاء هو الغشاء و الغشاء هو الغطاء يقال غشيه يغشاه اى غطاه و كل ما احاط بالشئ

(و ذكر اسم ربه) بقلبه و لسانه (فصلى) لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم و قيل تزكى تصدق للفطر و ذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة و الخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة و قرأ ابو عمرو بالياء (و الآخرة خير و ابقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له (ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة و خلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم و موسى) بدل من الصحف الاولى * قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم و موسى و عيسى و محمد عليهم الصلاة و السلام

﴿ سورة الغاشية مكية و آيها ست ﴾
﴿ و عشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة او النار من قوله تعالى و تغشى وجوههم النار

(وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ماتتعب فيه بجرّ السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية في الحرّ (تسقى من عين آنية) بلغت اناها في الحرّ (ليس لهم طعام الا من ضريع) يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مماتتحاماه الابل وتتعافاه لضرّه وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولايغني من جوع) والمقصود من الطعام احد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة او متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لمارأت ثوابه (في جنة عالية) علية المحل او القدر (لاتسمع) يامخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع (فيها لاغية) لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجري ماؤها ولاينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك او القدر (واكواب) جمع كوب وهو اناء لاعروة له (موضوعة) بين ايديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابيّ) وبسط فاخرة جمع زربيّ (مبثوثة) مبسوطة

من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاوّلين والآخرين او لانها تغشى الناس بالاهوال والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اي قد اتاك خبر القيامة فتنبه لهولها ومافيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه لانه تعالى عرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احوال الغاشية وحال الناس فيها مالم يكن هو ولاقومه عالمين به على التفصيل ﴿قوله تعالى وجوه﴾ مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اي ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه صحة الابتدآء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والمذلة لما كان يظهر في الوجه اوّلا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه * قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع انما يظهر في الوجه فاسند الى ضميره لذلك ﴿قوله تعمل ماتتعب فيه﴾ اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وانّ ناصبة وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل ماتتعب فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى تعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب في العمل واذا كان كل واحد منهما خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار باسرها حاصلة في الآخرة فان الكفار لما تكبروا في الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اي ذليلين وعاملين في النار اعمالا يتعبون فيها * والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة ﴿قوله او عملت ونصبت﴾ اشار بلفظ الماضي الى ان المراد بالعمل والنصب ماصدر عنها في الدنيا والمعنى انها خاشعة في الآخرة وقد كانت في الدنيا عاملة ناصبة ولم تنتفع بشئ من عملها ونصبها الصادرين عنها في الدنيا لكونهما في غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة في موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة تعبة في الدنيا فيما لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية الكبرى ﴿قوله وقرأ ابو عمرو تصلى﴾ بضم التاء وسكون الصاد على بناء مالم يسم فاعله والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على تينك القرآءتين للوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام ﴿قوله بلغت اناها﴾ اي بالغة غايتها في الحرّ يقال آن الحميم يأني اناي انتهى حرّه والانا نهاية الحرّ ﴿قوله ولعله طعام هؤلاء﴾ جواب عما يقال قوله تعالى في هذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع ينافي قوله تعالى في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين فان احد الحصرين ينافي الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافي قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم * وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي واهلها من اهل النار فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزؤ مقسوم ثم اشار الى جواب آخر بقوله او المراد بهذه الآية حصر طعامهم المقيد بكونه مما يتحاماه الابل وتكرهه ولاتتناوله لمرارته في الضريع وذلك لاينافي ان يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين ﴿قوله ذات بهجة﴾ اي حسن على ان ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اي صار ناعما لينا وتكون نعومة الوجوه اي غضاضتها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال او على ان بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة في حق الوجه هو الحسن والبهجة ﴿قوله رضيت بعملها﴾ اشارة الى ان السعي بمعنى العمل يقال سعى يسعى سعيا اذا عدا وكذا اذا عمل وكسب والى ان اللام في قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير راضية لسعيها فلما تقدّم المعمول ضعف العامل فجيئ باللام في قوله لسعيها ويجوز ان تكون لام التعليل اي لاجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية جزآءه وثوابه ﴿قوله والتاء نافع﴾ لتأنيث لفظ لاغية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء لان التأنيث غير حقيقي ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة ﴿قوله او كلمة ذات لغو﴾ على ان تكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هي الكلمة او النفس واللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة ﴿قوله والتنكير للتعظيم﴾ اي رفعة شأنها من حيث انها تجري على وجه الارض من غير اخدود جريا لاينقطع وتجري لهم حيث ارادوا اجرآءها وماؤها اشدّ بياضا من اللبن واحلى من العسل ﴿قوله رفيعة السمك﴾ اي عالية الى جهة الفوق فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذا جلس المؤمن عليها يرى جميع ما اعطى له في الجنة من الملك والنعيم او رفعة قدرها من حيث

(اشتمالها)

اشتمالها على جميع جهات الحسن و الكمال فى ذواتها و اوصافها لما قرّر الله تعالى امر الغاشية وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشدّ العذاب و بعضهم سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على مايشاء اتبع ذلك ذكر مايدل على ثبوته وكمال قدرته فقال أفلا ينظرون الى الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثالهم على النظر و الاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق و علمه و حكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث و الفاء فى قوله تعالى أفلا ينظرون للعطف على مقدّر بعد همزة الاستفهام اى أيعرضون عن النظر الى مايدل على صحة البعث وقدرته تعالى عليه او الى ما اتاك من حديث الغاشية فلا ينظرون الى الابل الخ

﴿قوله باركة للحمل﴾ اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل و هو بالكسر ما كان على الظهر و الباء فيه للتعدية اى رافعة اياه و نهض بمعنى قام و ناء ينوء نوءا اى نهض بجهد و مشقة و ناء بالحمل اذا نهض به و الوقر بالكسر الحمل و يجمع على اوقار كحمل و احمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها امران احدهما اقتدارها على القيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب خلفها يسهل عليها رفع مقدمها ﴿قوله الى عشر﴾ وهو بكسر العين و سكون الشين مابين الوردين و هو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر كذا فى الصحاح ﴿قوله و قيل المراد بها السحاب﴾ تشبيها بالابل فى كثرة ماينط بها من حاجة الناس كالابل و اطلق الاسم المشبه به عليه مجازا و قرينة المجاز ذكره فى جنب ذكر السماء و الجبال وقوله كيف منصوب بخلقت على حدّ نصبها فى قوله تعالى كيف تكفرون و الجملة بدل من الابل بدل اشتمال لتكون فى محل الجرّ وقد دخلت الى على كيف فى قولهم انظر الى كيف تصنع فيجوز ابدالها مما دخلت عليه كلمة الى قرأ العامة خلقت و رفعت و نصبت و سطحت بضم فاء الفعل و كسر عين الفعل و تاء التأنيث الساكنة مبنيا للمفعول و القائم مقام الفاعل فى كل واحد منها منوى فيه عائد الى ماقبله وقرئ كل واحد منها بفتح الفاء و العين على بناء الفاعل و هو ضمير المتكلم وحده و حذف ضمير المفعول الراجع الى ماقبلها للعلم به و التقدير خلقتها و رفعتها و نصبتها و سطحتها ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون المقصود من حثهم على النظر الى انواع المخلوقات ان يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث اورده عقيب ذكر امر المعاد و رتب عليه الامر بالتذكير فانه عليه الصلاة و السلام انما يذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى و علمه و حكمته ثم انه تعالى حصر امره عليه السلام فى التذكير لانه عليه السلام لم يؤمر حينئذ الا بالتذكير و يؤيده قوله لست عليهم بمصيطر فتقتلهم و تكرههم على الايمان ثم نسختها آية القتال و يحتمل ان يكون المراد بالتسلط المنفى التسلط على قلوبهم بان تدخل الايمان فى قلوبهم كرها فلا نسخ ﴿قوله و عن الكسائى بالسين﴾ هكذا فى بعض النسخ و هو خطأ لان الكسائى ممن يقرأ بالصاد الخالصة و الصواب و عن هشام و هو ممن يروى عن ابن عامر الشامى فانه قرأ بمسيطر بالسين على الاصل لانه من السطر قال الجوهرى سطر يسطر سطرا اى كتب و المسيطر و المصيطر المسلط على الشئ يشرف عليه و يتعهد احواله و يكتبها عليه و اصله من السطر لان الكتاب مسطر و الذى يفعله مسطر و مسيطر انتهى وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد و الزاى اى يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد و لا زاى و الخلط المذكور اى خلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القرآء و الباقون بالصاد خالصة ﴿قوله لكن﴾ اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المقصود منه اثبات ولاية الله عز و جل و اقتداره على تعذيب من تولى و اعرض عن اجابة دعوته عليه الصلاة و السلام بعد مانفى تسلطه عليه السلام و ليس فيه اخراج بعض من دخل فى المستثنى منه عن حكمه فعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه اى فهو يعذبه الله اذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوما ﴿قوله و قيل متصل﴾ على انه استثناء من الضمير فى عليهم اى لست عليهم بمسيطر الا على من تولى عن الايمان و كفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك من قبله * ولما استشعر ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلطه عليه السلام عليهم باكراههم على الايمان تسلط على القلب بان يقبل الايمان و ذلك ليس فى وسع البشر اذ لا يستولى على القلب احد غير الله * اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار و قتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الايمان لكونه من الاسباب المؤدية الى الايمان ﴿قوله و كأنه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا﴾ جواب عما يقال من ان السورة مكية و انه عليه الصلاة و السلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى عن الايمان منهم * ومحصل الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة و السلام

(افلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته و حسن تدبيره حيث خلقها لجرّ الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار و ترعى كل نابت و تحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات و اكثرها صنعا ولانها اعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لا تميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم و حذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط و المركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث و لذلك عقب به امر المعاد و رتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما انت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا انما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمسلط و عن الكسائى بالسين على الاصل و حمزة بالاشمام (الا من تولى و كفر) لكن من تولى و كفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار و قتلهم تسلط و كأنه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا و عذاب النار فى الآخرة

باذنه للقتال والوعيد للكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم فى المال **قوله** اى فذكر الامن تولى وأصرّ فاستحق العذاب الاكبر الظاهر ان من هذه موصولة وتولى صلتها وكفر عطف عليه والفاء فى فيعذبه سببية دالة على ان التعذيب مرتب على التولى والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه بقوله فاستحق العذاب الاكبر وهذا المتولى عن الاجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاة والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر عليه الصلاة والسلام بتذكيره **قوله** ويؤيد الاوّل وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التأييد ظاهر وهو يوافق المعنيين حينئذ بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا **قوله** وقرئ بالتشديد والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر آب يؤوب اذا رجع وقرئ بتشديد الياء وذكر لها وجهين الاوّل كونه مصدرا على وزن فيعال من أيب على وزن فيعل نحو حوقل حيقالا وسيطر سيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار ايابا والثانى كونه مصدرا على وزن فعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ماقبلها كما فى ديوان اصله دوّوان فصار ايوابا ثم فعل مامرّ فصار ايابا وقوله تارة من الاياب وتارة من الاوب لمجرّد التفنن لان كل واحد من الاوب والاياب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب اوبا واوبة وايابا * تمت سورة الغاشية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ الامى وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الفجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اقسم بالصبح او فلقه الاوّل على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اوّل وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهرى الفجر فى آخر الليل كالشفق فى اوّله والثانى على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بان يشقها الضوء المذكور يقال فلقت الشئ فلقا اى شققته اقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه فان الشئ انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنيوية تحمل المكلف على شكر نعمة الله تعالى او بمجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله تعالى والفجر بقوله والصبح اذا تنفس من حيث ان الصبح جعل مقسما به فى كل واحد منهما واشار به الى ان المختار عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق **قوله** او بصلاته اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر ماوقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر لكونها ماوقع فى اوّل اليوم من اعمال المكلفين وبادروا اليها والى مقدّماتها اوّل يومهم ولان ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع مافيها من القرآءة كما قال تعالى ان قرءآن الفجر كان مشهودا اى تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القرآءة فيه واقسم بعشر ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفى الخبر مايوم من ايام العمل الصالح افضل من ايام التشريق **قوله** ولذلك اى ولاجل ان فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة متوجهين الى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بأنواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب فيه الآملون وفى الحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فدآء لانفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذى هو باقى اركان الحج بعد الحلق ورمى الجمار وروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الفجر بجنب الليالى العشر قرينة تخصيصه بأحد اليومين **قوله** او عشر رمضان عطف على عشر ذى الحجة فانها ايضا ليالى شريفة لما فيها من ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر فانه قد ورد فى الخبر المطلوبها فى العشر الاخير من رمضان وكان عليه الصلاة والسلام اذا دخل العشر الاخير من رمضان شدّ المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهنّ وامرهنّ بالتهجد **قوله** وتنكيرها للتعظيم جواب عما يقال ما بال الليال العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به * ومحصول الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها

وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى وأصرّ فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاوّل انه قرئ ألا على التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر أيب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام (ثم انّ علينا حسابهم) فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم

معلومة معهودة فى نفسها لما افهمت الفضيلة التى تستفاد من التنكير ﴿قوله على ان المراد بالعشر الايام﴾ الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان الايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام ﴿قوله والاشياء كلها﴾ عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها اما شفع اووتر ولا يتصور خلوّها عنهما معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات بأسرها وعمن خلقها لانه تعالى خلقها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لاتعدد فيه بوجه ما ﴿قوله ومن فسرهما الى قوله او اكثر منفعة موجبة للشكر﴾ لما فسر مجموع الاشياء بالشفع والوتر اوّلا ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ماذكره المفسرون فى تفسير الشفع والوتر تخصيصا بلا مخصص اشار الى انهم لايدّعون بماذكروه انحصار مدلولهما فى ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما مارأوه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اذ لامدخل فيها لغيرها اومدخلا فى الدين كالصلوات شفعها ووترها اومناسبة لما قبلها كيومى النحر وعرفة اواكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الاترى ان انتظام احوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ماذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رأى فى تخصيصه بالذكر فائدة معتدّا بها فلنذكر بعض ماذكره المفسرون فى تفسيرهما فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربعة والوتر بالافلاك التسع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثنى عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ماعدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالى العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسرهما بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه الصلاة والسلام * بعضها شفع وبعضها وتر * ومنهم من فسرهما بغير ماذكر ثم اختلفوا فى ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدهما ثم قال حمل الشفع والوتر على ماقلنا اولى من حملهما على يومى النحر وعرفة لان يومى النحر وعرفة قد اقسم بهما فى قوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذى الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار فى القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما تحصل فى هذه الايام التى بعد يوم النحر وقال البعض الآخر الشفع آدم وحوّاء والوتر مريم وقال آخرون الشفع العيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل الشفع الاعضاء والوتر القلب قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال له ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل فى تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكره قرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل فتحها لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم ﴿قوله والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوّة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة﴾ فان اصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرّض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرّض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يصيرون بذلك كأنهم اعيد لهم الحياة بعد الموت وينبثون بذلك لطلب الارزاق الممدّة للحياة الفانية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين * فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر * قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار مسيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر ﴿قوله او يسرى فيه﴾ فيكون الكلام من قبيل ما اسند فيه الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اى صام هو فيه وقام ليله اى قام فيه وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السير

وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها اووالخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اوشفع الصلوات ووترها اوبيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا اوبغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول مارآه اظهر دلالة على التوحيد اومدخلا فى الدين اومناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة الشكر وقرأ حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوّة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة اويسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا

فيه حافظ للسائر من حرّ الشمس فان السفر مع مقاساة حرّ الشمس اشدّ على النفس ومن شرّ قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحجاج تسرى فيها الى المزدلفة بعد افاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها والعامل فى اذا معنى القسم اى اقسم بالليل اذا مضى او يسرى فيه ﴿قوله وقد خصه نافع الخ﴾ ههنا ثلاث قراءآت الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهى قرآءة الكوفيين وابن عامر الشامى والثانية حذفها وقفا لا وصلا وهى قرآءة نافع وابى عمرو والثالثة عدم حذفها فى الحالين وهى قرآءة ابن كثير ويعقوب ووجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الرآء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لاتحذف فى الفعل حال الوقف فضلا عن حال الوصل فيقال هو يقضى ويغزو وانا ارضى ووجه الحذف فى الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لانها لام الفعل والاصل فيها ان لاتحذف ﴿قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل الخ﴾ فان تنوين الترنم يلحق القوافى فى الاسم والحرف والفعل بدلا من حرف الاطلاق اى من حرف المدّ واللين لترك الترنم فان الالف والواو والياء الواقعة فى القوافى يترنم بها لما فيها من المدّ فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم لخلوّ التنوين من المدّ فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه * فان قيل فما فائدة قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة * قلنا هى زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة ﴿قوله يدل عليه قوله الم تر كيف فعل﴾ فانه لما اقسم الله تعالى بامور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريرى مايدل على تعذيب المعاندين المغرورين بما اوتوا من الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله لنعذبنّ الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ﴿قوله تعالى الم تر﴾ ليس من رؤية البصر لانه عليه الصلاة والسلام لم يبصره مافعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذى يفيد العلم الضرورى بالمخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة ﴿قوله على تقدير مضاف﴾ لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم اذا كان ارم اسم جدّها فلابدّ من كون التقدير سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هى قوم هود عليه السلام غاية مافى الباب انهم سموه تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدّهم وعطف عليه قوله وقيل سمى اوائلهم يعنى قيل للاوّلين من اولاد عاد بن عوص عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدّهم وقيل لمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه اهلك عادا الاولى ﴿قوله ذات البناء الرفيع﴾ وهو مابناه شدّاد بن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه فى ثلاثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهى مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها فى البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار وجاز وصف ارم بذات القدود الطوال ايضا لما روى ان قدّ أحدهم اثناعشر ذراعا واكثر من ذلك وفى تفسير الكواشى قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحى فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عمادا لقومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اى سيدهم ولثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم ﴿قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا﴾ ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة غير عبد الله بن قلابة فانه خرج فى طلب ابل له فوصل الى جنة شدّاد فدخلها فحمل ماقدر على حمله مما هنالك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه مارأه فبعث معاوية الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿قوله والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة﴾ فالمعنى على الاوّل لم يخلق مثل تلك القبيلة فى القوّة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشدّ منا قوّة وعلى الثانى لم يخلق مثل مدينة شدّاد فى جميع بلاد الدنيا ﴿قوله ومضاربهم﴾ جمع مضروبة خيمة مضروبة كما مرّ فى جمع مقصورة ومن كثرت خيامه كثرت اوتاده ﴿قوله اولتعذيبه بالاوتاد﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امرأته فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى

وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم او المقسم به (قسم) حلف او محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به مايريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لاينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو لنعذبنّ يدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنوا هاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوآئلهم وهم عاد الاولى باسم جدّهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع او القدود الطوال اوالرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شدّاد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشدّاد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا اولتعذيبه بالاوتاد

فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابى فقالت الهى والهابيك والهالسموات والارض واحد لاشريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهى تبكى فقال مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لاشريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال ويحك اكفرى بالهك واقرّى بأنى الهك قالت لاافعل فمدّها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بآلهك والاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لوعذبتنى سبعين شهرا ماكفرت برب العالمين وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها وقال لها اكفرى بالهك والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لوذبحت جميع من على الارض على فىّ ماكفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت ياأمّاه لاتجزعى فان الله تعالى قدبنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فانك تفضى الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فأسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قدتزوج امرأة من اجل نساء بنى اسرآئيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعنى ان اصبر على مايفعل فرعون وانامسلمة وهو كافر فبينماهى تؤامر نفسها اذدخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت شرّ الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت مابى من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وحده لاشريك له وهو على كل شئ قدير فمدّها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهوّن لها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴿قوله صفة للمذكورين﴾ فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثانى يحتاج الى حذف العامل وهو اعنى والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره المصنف احسن بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم فهو احسن من حيث المعنى ﴿قوله ماخلطلهم من انواع العذاب﴾ فسر سوط العذاب بانواع العذاب الملتف بعضها ببعض التفاف طاقات السوط الذى يضرب به فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى مايعذب به والاضافة بمعنى من اى فصب عليهم ماهو كالسوط من العذاب ﴿قوله وقيل شبه بالسوط ماحل بهم﴾ فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا فى الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف ﴿قوله يترقب فيه الرصد﴾ وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمرتصد المرتقب وصيغة مفعال قدتكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه وقدتكون للمبالغة كالمعطار والمطعان لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتعين ان يكون اسما للمكان الذى يترقب فيه الرصد للباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد ﴿قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب﴾ اى لاعداده للعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعدّ العقاب للعصاة وههنا لماعدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدّى الى العقاب بالباء *الجوهرى رصدته ارصده اى رقبته ارقبه وارصدت له اى اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولامحيد للعباد عن موقف حسابه الا اليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى اولاخذ المكس اونحو ذلك ولامخلص لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة مايعبر به عن الحالة المشبه بها ﴿قوله كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة﴾ اى من اجل الآخرة وجزآئها فيجب ان يهتم الانسان بامر الآخرة ويسعى لها لكنه لايهتم الابامر الدنيا ولايخطر بباله امر الآخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه واعدّ للعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلاء منه تعالى اما الاوّل فبأنه أيشكر ام يكفر واما الثانى فبأنه أيصبر ام يجزع ويقول الانسان اذا اغناه ربه اكرمنى ربى بما اعطانى يظن ان مااعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهاننى ربى وهذا من صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله تعالى

(الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب اومرفوع (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ماخلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ماحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى مااعدّلهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلايريد الا السعى لها فأما الانسان فلايهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ماابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربى اكرمنى) فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى امّا من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله

(واما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير واما الانسان اذا ماابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربى اهاننى) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدّى الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمّه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاوّل مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد (بل لايكرمون اليتيم ولايحضون على طعام المسكين) اى بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لايكرمون اليتيم بالتفقد والمبرّة ولايحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولاتحاضون (ويأكلون التراث) الميراث واصله وراث (اكلا لما) ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورّثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ماجمعه المورّث من حلال وحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا (وجاء ربك) اى ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله وبرّزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وأنى له الذكرى) اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكير توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى لحياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان متمكنا منه (فيومئذ لايعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الأمر كله له او للانسان اى لايعذب احد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول

(المنهمك)

لطاعته والهوان حرمانه منها والعياذ بالله تعالى والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذا لمجرّد الظرفية معمول للخبر لكونه مؤخرا عنه تقديرا ﴿قوله والانهماك فى حب الدنيا﴾ فان كثرة الممارسة بالشيء تورث تأكد المحبة به فان من احب شيأ اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدّى الى الاعراض عن اكتساب مايؤدّى الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من قوليه وهما قوله التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق فى نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فأكرمه ﴿قوله ولم يقل فأهانه﴾ عطف على قوله ذمّه على قوليه يعنى انه تعالى لما قال فى الجملة الاولى فأكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول فى قسيمه فأهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان التقتير والتضييق ليس بأهانة بل قد يؤدّى الى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فانه اكرام فى نفسه وهو صادق فى قوله ربى اكرمنى ولكنه ذمّه على قول ذلك لا لكونه كاذبا فيه بل لسوء فكرته حيث ظنّ انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه تعالى كثيرا مايوسع على العصاة والكفرة لانه يفعل مايشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا فى حقهم ﴿قوله ولان التوسعة تفضل﴾ عطف على قوله ولذلك ذمّه على قوليه وحاصله ان الانكار والذم لايتوجه الى قوله ربى اكرمنى وانما يتوجه الى قوله ربى اهاننى كأنه قيل الانسان اذا اكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ﴿قوله وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد﴾ تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة ﴿قوله اى بل فعلهم اسوأ من قولهم﴾ يعنى ان بل هنا للاضراب عن ذمهم على قولهم الى ماهو ادخل فى الذم كأنه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ماهو شرّ منه وهو انه تعالى يكرمهم بتكثير المال وهم لايتفقدون احوال الايتام وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوء تغليبا للافعال على التروك ﴿قوله وقرأ الكوفيون ولاتحاضون﴾ اصله تتحاضون فحذفت احدى التاءين اى لايحض ولايحث بعضكم بعضا على اطعام جنس المسكين ومن لايحض غيره على اطعام المسكين فأن لايطعمه بنفسه اولى ﴿قوله اى جمع بين الحلال والحرام﴾ فان من جمع فى الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام فى الاكل ﴿قوله قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب الخ﴾ اى قرأوا الافعال الاربعة بياء الغيبة على اسنادها الى ضمير الانسان المقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد فى قوله اذا ماابتلاه ربه من حيث انه مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثانى جمع وقرأ الباقون بتاء الخطاب للانسان على طريق الالتفات للمبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم فى الغيبة ويحتمل ان يكون مبنى القرآءة بتاء الخطاب على تقدير قل اى قل لهم يامحمد كذا وكذا تحقيرا لهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله ياأيتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فانه يحصل له حينئذ الندامة على ماصدر منه ويتمنى ان لو كان افنى عمره فى التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال * الجوهرى الدك الدق ويقال دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سوّيته بالارض واندك سنام البعير اذا انفرش فى ظهره فمعنى الآية اذا كسر ماعلى الارض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وماكان مرفوعا عليها دكا بعد دك ﴿قوله مثل ذلك﴾ لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى فى ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته مالم يظهر بحضور وزرآئه وسائر خواصه فاستعمل فى الحال الاولى مااستعمل فى الثانية ﴿قوله يجرّونها﴾ الظاهر انها لاتنفك عن مكانها فالمراد بقوله وبرّزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها ﴿قوله وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله﴾ كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمنى وجه ﴿قوله الهاء لله﴾ لما ورد ان يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لايعذب ذلك المعذب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح * اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ انه لايتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فى يد غيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والمعنى لايملك احد التعذيب والايثاق فى ذلك اليوم الا الله تعالى وحده ﴿قوله او للانسان﴾ اى الكافر المتوغل فى عناده

المنهمك فى شهواته فتكون اضافة عذابه و وثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لايعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل مايعذب ذلك الانسان ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكن الى اليقين فلا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال ياأيتها النفس على اضمار القول اى يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه السلام فى الدنيا او على لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر المصنف فى بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وتبعثه طلب العقل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر أعلى منه لايقف عنده ايضا بل لايزال ينتقل من علة الى ماهو اعلى الى ان ينتهى الى واجب الوجود لذاته المستغنى عن جميع ماسواه فحينئذ يقف العقل ويطمئن اليه ولا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين ﴿قوله فتستقر دون معرفته﴾ اى عندها وتستغنى به عن غيره اى لاتطلب له سببا آخر والوجه الثانى ماشار اليه بقوله او الى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى او هى التى اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ماذكره بقوله او الآمنة اى هى النفس الآمنة التى لايستفزها اى لايحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قرآءة ابى بن كعب رضى الله عنه ياأيتها النفس الآمنة فعلى هذا يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الامن فى مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثانى يكون عبارة عن سكون اليقين فى مقابلة قلق الشك والريبة ﴿قوله الى امره او موعده﴾ لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على مازعموا فى حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآتية هو المكان ومن تمكن فيه رد المصنف تمسكهم بان معنى الآية ارجعى الى حكم ربك او ثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب تخاطب به النفس عند الموت او عند البعث فان خوطبت به عند الموت يكون المعنى ارجعى الى امر ربك وحكمه بالموت وان خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعى الى ثوابه بالبعث ﴿قوله ويشعر ذلك﴾ اى قوله تعالى ارجعى الى ربك يشعر بكون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن ووجودها قبل الابدان لايستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء وقوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعى اى راضية من الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت ﴿قوله فى جملة عبادى الصالحين﴾ يعنى يجوز ان يكون المراد بالمتشرفين باضافة التشريف الى ياء المتكلم عباده الصلحاء المتحلين بحلية الايمان والطاعة او الذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقديرين للمؤمن المحتضر لاالمجرد روحه ولما عبر عنه بالنفس قيل ارجعى وادخلى وقوله فتستضيئ بنورهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للامر فان الميت سوآء انضم الى اصحاب اليمين او الى المقربين يكون فى حالة شريفة وهى انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة مافى مقابلتها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلى جنتى اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت فى حق السعدآء قال فادخلى فى عبادى بالفاء الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لايحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى قال وادخلى جنتى بالواو لا بالفاء كذا فى التفسير الكبير وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فينجر اليه معنى الفاء ﴿قوله او ادخلى فى اجساد عبادى﴾ على ان يكون الخطاب للروح * تمت سورة الفجر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة البلد مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام﴾ قد اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها

(ياأيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لاريبها شك او الآمنة التى لايستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها (ارجعى الى ربك) الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث (راضية) بما اوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى) معهم او فى زمرة المقربين فتستضيئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿سورة البلد مكية وآيها عشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام

لشرفها بانه تعالى جعلها حرما آمنا وفيها البيت العظيم الذى هو قبلة اهل الشرق و الغرب ونزل فى حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس و امنا وجعل البيت المعمور بازائه و دحيت الارض من تحته ومقام ابراهيم الذى نزل فى حقه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عليه الصلاة و السلام فى حق مكة *ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرم الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى و لن تحل لاحد بعدى و لم تحل لى الا ساعة من نهار* الحديث و فضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو عن كبد و مقاساة مشقة و الظاهر ان كلمة لا فى لا اقسم صلة كما فى قوله ما منعك الا تسجد اى ما منعك ان تسجد و قول الشاعر

❁ تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة ❁ وكاد صميم القلب لا يتقطع ❁

اى يتقطع و لا صلة وقيل انها نافية و المعنى لا اقسم به و انت حل اى حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك ﴿قوله وقيده بحلوله عليه الصلاة و السلام فيه﴾ على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية و تكون الجملة الاسمية حالا من المقسم به فالحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه الصلاة و السلام حال فيه اظهارا لمزيد فضله فعلى هذا قوله تعالى حل نعت بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط و الحرم بمعنى الحرام و قد قرئ و حرم على قرية اهلكناها اى وحرام يقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اى نزل ﴿قوله وقيل حل مستحل تعرضك فيه﴾ فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم حل الشئ يحل حلا و حلالا و هو حل بل اى حلال مطلق و الجملة على هذا معترضة بين القسم و المقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق و الشدائد واعترض بين القسم و المقسم عليه بقوله و انت حل بهذا البلد اى حلالا يستحلون ايذاءك و لو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك بل قتلوك مع انهم لا ينتهكون فيه الحرمات فلا يقتلون فيه صيدا و لا يعضدون به شجرا و اى مكابدة لك مع عظم حرمته من ان تستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غيره و فيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم و تصبير على ما كان يكابده من اهل مكة و تعجب من جرآتهم و شدة عداوتهم له عليه الصلاة و السلام ﴿قوله او حلال لك﴾ على ان الحل بمعنى الحلال له اى ذو حل و حلال لك ان تقتل بمكة من شئت و تقاتل من قاتلك و الجملة على هذا ايضا اعتراض اقسم ببلده عليه الصلاة و السلام على ان الانسان لا يخلو من مقاساة شدة و اعترض بينهما بأن وعده فتح مكة باى طريق امكنه فتحها تتميما للتسلية و تنفيسا له عما لحقه من أذاهم فانه تعالى فتح على يده مكة و احلها له و جعله فى حل مما يصنع فيها من القتل و الاسر فقتل ابن خطل و هو متعلق باستار الكعبة و مقيس بن ضبابة و غيرهما و خرب دار ابى سفيان فقوله تعالى و انت حل بهذا البلد معناه و انت حل به فيما يستقبل و نظيره فى كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت و انهم ميتون و ذلك لان السورة مكية بالاتفاق و فتح مكة وقع فى سنة ثمان بعد الهجرة فأين فتحها من الهجرة فضلا عن وقت نزول الآية ﴿قوله وما ولد ذريته﴾ اى ذرية آدم عليه السلام ان كان هو المراد بالوالد و ذريته ابراهيم عليه الصلاة و السلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم و طالحهم لكونهم اشرف ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق و البيان و حسن الصورة و التدبير الغريبة و استخراج العلوم البديعة و فيهم الانبياء و الصلحاء الداعون الى الله تعالى و الناصرون لدينه وكل ما فى الارض خلق لاجلهم و قد قال تعالى فى حقهم و لقد كرمنا بنى آدم و قيل المراد بقوله و ما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كأنهم ليسوا من اولاده بل هم بهائم فى صورة البشر و على الثانى يكون القسم بابراهيم و بجميع اولاده من العرب و العجم و يحتمل ان يكون المراد بابراهيم و اولاده المؤمنين و يؤيد الثانى انه شرع ان يقال فى التشهد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و معلوم ان المراد بآله المؤمنون لا مطلق اولاده ﴿قوله او محمد صلى الله عليه وسلم﴾ عطف على قوله ذريته اى سواء اريد بالوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة و السلام يجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة و السلام آخر اولاد كل واحد منهما من الانبياء اقسم ببلده و باول آبائه و بنفسه او اقسم بمكة و ابراهيم بانى البيت الذى فيها و بولده الذى هو خاتم النبيين و المرسلين و مطهر ذلك البيت من الاصنام و المشركين ﴿قوله و ايثار ما على من﴾ جواب عما يقال لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال و من ولد فكيف اوثر ما على من * و تقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما و هو ان من لا تستعمل الا فى ذات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل فى صفة من يعقل للاشارة الى انها مما لا يكتنه كنهها و البلوغ الى اقصى مراتب الفضل و الشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان

وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله و اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم (وما ولد) ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم و التنكير للتعظيم و ايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت

(بحسب)

بحسب اتصافه به كما فى قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت اى بعلم انها وضعت موضوعا عجيب الشأن بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اى ومولود اى مولود عجيب الشأن وفى شرح الرضى وتستعمل ما فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد ماهو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون ومارب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه الصلاة والسلام ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالاوصاف وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة فى صفة من يعقل ومن لا تستعمل هكذا ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذى دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد فى مقام المدح تفخيم شأن الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه فى اتصافه بذلك **﴿ قوله ﴾** تعالى فى كبد **﴿** منصوب المحل على انه حال من الانسان اى مكابدا مهيئا لان تعتريه انواع الشدآئد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرفا فى واللام متقاربان تقول انما انت فى العناء وانما انت للعناء والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد فى الاصل مصدر بمعنى توجع الكبد وتألمه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعته كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش فالمراد من الكبد اما شدآئد الدنيا فقط او شدائد التكاليف فقط او شدآئد الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مآلك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار ولا شك ان ما بينهما كما يتناول شدآئد الدنيا يتناول شدآئد التكاليف ايضا وهو الشكر على السرآء بقضاء حقها والصبر على الضرآء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان فى كبد اخذ فى وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه اكثر المكابدة او يغتر هو بقوته اشد الاغترار وفى وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء فى حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله أيحسب ويحتمل ان يرجع الى جنس الانسان المذكور سابقا اى أيظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه خلق فى كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات عن نفسه وذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المغترين بكثرة اعوانهم وشدة قوتهم وأن فى قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى ان الشأن لن يقدر ولم يره وهى بجملتها تسد مسد مفعولى الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستأنف لبيان ما يقوله فى موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه انفقت مالا كثيرا فى وجوه المكارم والمبرات او فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعنى شئ من ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له صلى الله عليه وسلم بلى انه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم قصده ونيته فى الانفاق **﴿ قوله ﴾** او بعد ذلك فيسأله عنه **﴿** من اين كسبه واين انفقه اشار به الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه **﴿ قوله ﴾** يعنى ان الله تعالى يراه **﴿** بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره بمعنى لم يره احد حين كان ينفق ولم يقل ان الله رآه فيجازيه على انه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار وقوله او يجده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذلك فى كتابه الذى كتبه حفظة اعماله اى بل يرى ذلك منه ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه **﴿ قوله ﴾** ثم قرر ذلك **﴾** اى بين انه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم **﴿ قوله ﴾** واصله المكان المرتفع **﴾** وسمى طريق الخير والشر بنجدين لانه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريق الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل

(لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى (أيحسب) لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان (ان لن يقدر عليه احد) فينتقم منه (يقول) اى فى ذلك الوقت (اهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول (أيحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام (وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة)

﴿ قوله لما فيهما من مجاهدة النفس ﴾ بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة فان مخالفة النفس و ترك مقتضاها يشبه القحمة في صعوبة اقتحامها و الدخول فيها و فك الرقبة عبارة عن تخليصها من اسر الرق ﴿ قوله و لتعدد المراد بها ﴾ لما تقرر في النحو ان كلمة لا اذا دخلت على الماضي لابد من التكرير كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى و في الآية لم تكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها و ان لم تكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة و لا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بهما ﴿ قوله مفعلات ﴾ اى كل واحدة منها مصدر ميمي على وزن مفعلة من سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا و مجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى ذي مجاعة و قرب في النسب قرابة و مقربة و ترب الرجل اى افتقر بحيث كأنه اصق بالتراب و متربة اى مسكنة و فاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه و بين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع في الاطعام حينئذ جهتا الصلة و الصدقة و قرئ فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما و نصب رقبة على انها مفعول فك و الفعل في هذه القرآءة بدل من قوله اقتحم على سبيل البيان و التفسير كأنه قيل فلا فك رقبة و لا اطعم و قوله و ما ادراك ما العقبة اعتراض بين البدل و المبدل و المعنى انك لم تدر كنه صعوبتها و ثوابها و في قرآءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف اى هو فك اى اقتحام العقبة فك رقبة لان قوله و ما ادراك ما العقبة تقديره و ما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدأ راجعا الى المضاف المقدر و انما احتيج الى تقدير مضاف لانه اولم يقدر وجعل فك رقبة تفسير النفس العقبة لزم تفسير أحد المتباينين بالآخر لان الفك مصدر و العقبة ليست كذلك و بتقدير المضاف يندفع المحذور *قال الامام نقلا عن الفراء اذا قرئ فك و اطعم على لفظ الفعل الماضي كان من عطف الفعل على الفعل و اذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او اطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية و فيه بحث لان القرآءة على لفظ المصدر لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان في تلك القرآءة معطوفا على اقتحم لا على الفك كما اشار اليه المصنف بقوله عطفه على اقتحم او على فك بثم لتباعد الايمان عن العتق و الاطعام في الرتبة اى لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها و مستقلا في الانتفاع به لكونه معتبرا في نفسه غير متوقف على شئ من الطاعات و قيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في غاية امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط للانتفاع بالطاعات و في عد عدم التواصي بالصبر و بالمرحمة من وجوه كفرانه و سيئات خصاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء من المعاصي و المنكرات و على الامتثال بالاوامر و ملازمة الطاعات فقوله تعالى و تواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله و تواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى و مدار أمر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين و هو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وصداقة مع الخلق ﴿ قوله او بموجبات رحمة الله تعالى ﴾ يعني ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة و الشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى باى طريق امكن وان يراد بها ما يوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله في السببية و المرحمة بهذا المعنى اعم من المرحمة بالمعنى الاول و هي الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله و تواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة لكونها منبئة عن الانقياد لتكليف الشارع انما تتناول فعل الواجبات و ترك المحرمات و ما يوجب رحمة الله كما يتناولهما يتناول السنن و المستحبات و الآداب ايضا فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب الميمنة في القيامة و قد بين الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله في سدر مخضود و طلح منضود و ظل ممدود و ماء مسكوب و فاكهة كثيرة لا مقطوعة و لا ممنوعة و فرش مرفوعة و الميمنة اما بمعنى اليمين و اصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم و يسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة و اما بمعنى اليمن و الخير و السعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم و كذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمائلهم و يسلك بهم على جانب الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشؤم و الشر الذين هم

لما فيهما من مجاهدة النفس و لتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع في الماضي الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا و المسغبة و المقربة و المتربة مفعلات من سغب اذا جاع و قرب في النسب و ترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير و ابو عمرو و الكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم و قوله و ما أدراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها و ثوابها ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ عطفه على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق و الاطعام في الرتبة لاستقلاله و اشتراط سائر الطاعات به ﴿ و تواصوا بالصبر ﴾ و اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله ﴿ و تواصوا بالمرحمة ﴾ بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله ﴿ اولئك اصحاب الميمنة ﴾ اليمين او اليمن ﴿ والذين كفروا بآياتنا ﴾ بما نصبناه دليلا على حق من كتاب و حجة او بالقرآن ﴿ هم اصحاب المشأمة ﴾ الشمال او الشؤم

مشائيم على انفسهم بمعصيتهم ﴿قوله ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة﴾ اى الموضوع للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير اى ضمير الغائب شأن لايخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عنده تعالى فى مقام كرامته وذكرهم بمايشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لاتعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب اشارة الى انهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده ﴿قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته﴾ او صدأ فعل من المعتل الفاء الواوى مثل اوعد يوعد وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل امن يؤمن وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمز جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ماقبلها على لغة من يقول مؤسى ويقرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهى ان أسد اذنى اذا سمعته فكأنه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم الاترك الهمزة وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو اضبط لحذقه من ابى بكر على مانقله القرآء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت قيل فى قوله تعالى نار مؤصدة ان نار مبتدأ ومؤصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة اما مستأنفة لامحل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار أبوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل * تمت سورة البلد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة والشمس مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى والشمس الخ﴾ اقسم الله تعالى بماذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه اى اصلحها وانما هما بالعلم والعمل وجنبها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا فى الطاعات وتحذيرا عن المعاصى ﴿قوله وضوئها اذا اشرقت﴾ اى ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذى هو الطلوع يقال شرقت الشمس تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبى ضحى الشمس ضوءها اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الليل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد لليل وفى الحديث لايقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت ويدل عليه اضافة الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء ﴿قوله تلاطلوعه طلوع الشمس اول الشهر﴾ الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة تلاغروبه غروب الشمس وذلك فى ليلة الهلال فان تبعية القمر للشمس فى الطلوع لاتظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها فى الغروب فانها ظاهرة محسوسة ﴿قوله اوغروبها﴾ منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى طالعا عند غروب الشمس ليلة البدر ﴿قوله او فى الاستدارة﴾ عطف على ماقبله فى المعنى فكأنه قيل اذا تلاها فى الطلوع او فى الغروب او فى الاستدارة ﴿قوله فانها تتجلى اذا انبسط النهار﴾ اشارة الى ان اسناد جلى الى ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما فى نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليا لها ﴿قوله او الظلمة﴾ منصوب بالعطف على الشمس فى قوله جلى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا الى الظلمة واخويها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد فى صام نهاره لان الذى يغطى ضوء الشمس فى الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ماوقع عليه ضوءها لانفس الليل الذى هو زمان تلك الحيلولة ﴿قوله ولما كانت واوات العطف﴾ جواب عما يقال من ان الواوات الواقعة بعد قوله تعالى والشمس وضحاها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاسفراينى استقرينا مااستقرينا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان كل واحد من القسم

ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لايخفى (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لااقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿ سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) تلاطلوعه طلوع الشمس اول الشهر اوغروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين

واقعا فيه على مقسم عليه على حدة فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمولى عاملين مختلفين وهو لايجوز لان الحرف الواحد لاينوب عن عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور فى قوله تعالى والنهار اذا جلاها معطوف على معمون واو القسم الجارة وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم وبما اجاب به ظهر انه من قبيل العطف على معمولى عامل واحد كما فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فان الواو فيه لعطف بكر وخالدا على معمولى ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كما تعمل الجرّ لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب فى الظرف الذى بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجرّ وانيبت الواو منابهما فسدّ مسدّهما معا فهى عامل واحد عمل عملين مختلفين الجرّ والنصب فكان المجرور والظرف اللذان بعدها معمولى عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين بالواو لم يلزم العطف على معمولى عاملين وهذا الجواب لايجرى فيما اذا كان فعل القسم مصرّحا به كما فى قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرّح به وهو الظرف الاوّل فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو أن يقال لانسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم او للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب سوآء كان الزمان حالا او مستقبلا بل هو معمول لمضاف مقدّر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام بالشئ تعظيم له كأنه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدّر فيكون المجرور والظرف فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس معطوفين على معمول عامل واحد * فان قيل ماذكرته فى تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم فى الحال فلا يعمل فى اذا لانه ظرف لما يستقبل والفعل الحالى لايعمل فى الظرف المستقبل لان الفعل الحالى لايصير استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبا له * قلنا فرق بين اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا فالذى لايجوز هو الاوّل لا الثانى فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس وسائر مايترقب وجوده بعد زمان القسم ﴿قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية﴾ لم يردان كلمة ما يوصف بها نعتا نحويا كما يوصف بالذى فان ما ومن الموصولتين لايوصف بهما بخلاف الذى بل المراد ان ما قد تستعمل فى الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن صفة زيد ما زيد فيجاب عنه بانه فقيه او طبيب واذا اريد ان يسأل عن ذاته يقال من هذا والجواب عنه ان يقال هذا زيد ﴿قوله ولذلك افرد ذكره﴾ اى ولكون المقصود من ايثار ما على من الدالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادرية وجعل صلة ما يدل عليها لان شأن الصلة ان تميز الموصول وتعينه ﴿قوله تعالى وماطحاها﴾ الطحو الدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة والنفس ان حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوّة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى مايتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محرّكة وهى اثنتان شهوية وغضبية وبعضها مدركة وهى عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لامحرّكة ولامدركة وهى سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة ﴿قوله وجعل الماآت مصدرية يجرّد الفعل عن الفاعل﴾ اى يجرّد المنوىّ فى ألهمها عما يرجع هو اليه فان الماآت التى فى قوله وما بناها وماطحاها وما سوّاها ان كانت مصدرية لايكون مذكورا الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بها من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها لايصلح لان يرجع اليه المنوى فى ألهمها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله يجرّد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا فى ارجاع الضمير اذا كان المرجوع اليه لنباهة شأنه مما لايغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها ﴿قوله ويخل بنظم قوله فألهمها بقوله وما سوّاها﴾ وذلك انه على تقدير ان تكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام حينئذ ونفس وتسويتها فألهمها ولا خفاء فى ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لابعد فى ان تجعل ما مصدرية ويكون فألهمها عطفا على سوّاها بان يكون هو ايضا فى تأويل المصدر

(والسماء ومابناها) ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (والارض وماطحاها ونفس وماسوّاها) وجعل الماآت مصدرية يجرّد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فألهمها فجورها وتقواها) بقوله وماسوّاها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما

على معنى وتسويتها فإلهامها فجورها غاية مافى الباب ان يكون فألهمها كالافعال السابقة وهى بناها وطحاها وسوّاها فى تجرّدها عن الفاعل ويلتزم ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به * فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام المصدّر بالفاء بماقبله على تقدير ان تكون مامصدرية * قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ ويدل عليه كون الصبيّ محجورا عليه غيرمقبول الشهادة وغيرمكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما من حيث ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة ﴿قوله وحذف اللام للطول﴾ اى لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لماطال الكلام صار طوله عوضا عن اللام وقيل لما كانت اللام للتأكيد وقدايضا تفيد التأكيد استغنى بها عن اللام ﴿قوله وكأنه لماارادبه﴾ اى بقوله قدافلح من زكاها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة التى هى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منهما ومن المعلوم انهما لحركاتهماالوضعية والآنية وتغيراحوالهمامن الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعاللدوراوالتسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال ﴿قوله ويذكرهم﴾ عطف على قوله يدلهم ولاشك ان هذه الامور المقسم بهامن عظائم الآلاء ﴿قوله وقيل استطراد﴾ عطف على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستئصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجوه ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بل ذكر استشهادا لقوله قدخاب من دساها بخلاف قوله تعالى قدافلح من زكاها وقدخاب من دساها فان الاوّل وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثانى وعيد لاضدادهم بالخيبة والخسران ﴿قوله بسبب طغيانها﴾ يعنى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كانت اشبه برؤس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله او بما اوعدت به اى ويجوز ان يكون الطغوى اسما لعذابهم الذى اهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما فى قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالعذاب الذى حصل بهائم قال فاماثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى مااهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فجاز أن يراد بالطغوى فى هذه مااوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان فى اللغة عبارة عن مجاوزة الحدّ ﴿قوله تفرقة بين الاسم والصفة﴾ وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول فى الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحية من خزى الرجل اذا استحيى وريا من روى وصديا من صدى اى عطش فهو صديان وهى صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقول فى الاسم تقوى وبقوى فى اسمى الاتقاء والانتظار من تقى الله تقيا اى خافه وبقيته اى انتظرته وابقاء الياء على حالها فى الصفة اولى من ابقائها فى الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب يائه واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا ﴿قوله حين قام ظرف لكذبت﴾ اى كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ ظرفا فالطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذى الطغوى حين انبعث واختلفوا فى الاشقى الذى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاوّل قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاوّلين ويؤيده قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثانى قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها ﴿قوله ومن مالأه﴾ اى صاحبه وعاش معه ملاوة من الدهر اى حينا وسهله وفى بعض النسخ ومن والاه اى صادقه وهو من الولى بمعنى الصديق ﴿قوله فقال لهم﴾ عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذى وصفوها له عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من شربهم

(قد افلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوّة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوّة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمنّ الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (وقد خاب من دساها) نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت او طغوى (اشقاها) اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله)

ولها شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها من الماء فاستمرّوا على ما امرهم به صالح عليه الصلاة والسلام الى ان استضرّوا بذلك فى امر مواشيهم فهموا بعقرها فلما علم صالح ما عزموا عليه اعاد لهم الوصية فقال هذه ناقة الله لكم آية دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوّتى فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها ونصيبها من الماء فانكم ان تفعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انهم يعذبون ان فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه ﴿قوله اى ذروا ناقة الله﴾ اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق ﴿قوله وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة﴾ يقال دمت الناقة بالشحم اى طليت به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ثم كرّر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهذه قاعدة مطردة فى كل مضاعف من الثلاثى كرّروا فاؤه بين العين واللام نحو زلزل فى زل ﴿قوله او ثمود بالاهلاك﴾ على ان يكون ضمير سوّاها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاوّل يكون راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب فانهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير ﴿قوله اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود﴾ يعنى ان ضمير سوّاها ان رجع الى الدمدمة رجع اليها ضمير عقباها الا انه حينئذ لا بدّ من تقدير ما يضاف اليه العقبى ﴿قوله فيبق بعض الابقاء﴾ اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علىّ والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك التقوى بفتح التاء ﴿قوله والواو للحال﴾ فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من المنوىّ فى فسوّاها الراجع الى الله جل ذكره اى فسوّاها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لا يخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسوّاها ومتفرّعا عليها تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الليل مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اى يغشى الشمس او النهار﴾ يدل على الاوّل قوله تعالى فى السورة السابقة والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدّر على التقديرين ليس بعام الا انه حذف اعتمادا على ما يدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا يغشى كل ما يواريه ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم ﴿قوله ظهر بزوال ظلمة الليل﴾ هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدّر ليغشى النهار وقوله او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدّر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لا تحصى فانه لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك امتنّ سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴿قوله صنفى الذكر والانثى﴾ على ان تعريف الذكر والانثى للجنس وعلى الثانى للعهد ﴿قوله ان مساعيكم الخ﴾ اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وجريح وجرحى وبيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشمل جميع افراده لاسيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن الاعمال الصالحة بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والشتيت المتباعد المتفرّق يقال تشتت الامر تشتتا وشتاتا اى تفرّق وامر شت وشتيت اى متفرّق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالا بانها شتى لتباعد ما بين بعضها وبعض فان بعضها يؤدّى الى الجنان وبعضها الى عذاب النيران وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار ﴿قوله تفصيل مبين لتشتت المساعى﴾ اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزئتها فان اختلاف انفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم لا فائدة

اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسوّاها) فسوّى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدّق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوّاء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاسباب مختلفة لشتى جمع شتيت (فأما من اعطى واتقى وصدّق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى

(فى الاخبار)

فى الاخبار عنه **قوله** والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فتعلق الاعطاء جميع مايتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات فى تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء جميع ماكان ملابسته معصية وكل واحد منهما لما لم ينفع صاحبه بدون التصديق والايمان عقبه بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى اواطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والخلة بالفتح الخصلة واليسرى اعمال الخير بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ماادى الى يسر وراحة فهو خصلة يسرى ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها له من غير ان يعتريه من التغافل والكسل مايعترى المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله ويخليه وشأنه لعلمه باختيار المكلف ذلك **قوله** نفى او استفهام انكار اذا كانت كلمة ما نافية يكون مفعول يغنى محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيأ وان كانت استفهامية تكون فى محل النصب على انها مفعول يغنى اى اى شئ يغنى عنه ماله اى لايغنى شيأ **قوله** تعالى تردى يحتمل ان يكون من التردى بمعنى الهلاك والموت يقال ردى يردى من باب علم اى هلك وارداه غيره وهو ردى اى هالك وتردى تفعل منه للمبالغة ويجوز ان يكون من ردى فى البئر وتردى فيه اى سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدية الى دخوله النار وتردى فيها فمايغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع مقره وحاجته يعنى ان الذى ينتفع به الانسان هو ماقدمه من اعمال البر واعطاء الاموال فى حقوقها دون المال الذى يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزآء وبين ان من آثر الهدى يهون عليه طريق الهدى ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه مايؤدى الى العسر والعناء اخبر انه قد قضى ماعليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال ان علينا للهدى اى للارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرآئع بمقتضى حكمتنا او بموجب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر اى علينا طريقة الهدى التى تؤدى سالكها الينا والهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثانى بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ماهو سبب لتبينها مجازا **قوله** فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى فى معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتدآء فى الآخرة فان من تفرد بمالكية الدارين بملك ارشاد الانام الى الحق فى الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتدآء فى العقبى **قوله** او ثواب الهداية للمهتدين فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه فى الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدآئه فى الآخرة **قوله** او فلا يضرنا تركهم الاهتدآء فيكون استئنافا لبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كأنه قيل علينا ان نهديكم الى صراط مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن اساء فعليها لا تعود منفعة اهتدآئه ولا مضرة عدم اهتدآئه الينا وان اهتدآءكم لا يزيد فى ملكنا شيأ لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بما قبلها لا لبيان معناه لانه معلوم **قوله** لا يلزمها مقاسيا شدتها لما دل ظاهر قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها لكون الصلى بهذا الوجه كمال الصلى فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلى بهذا المعنى مخصوص فى الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشيئة الله تعالى فاما ان لا يدخلها رأسا او يدخلها ولكن لا يلزمها وجعل حمله صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع مايتوهم من ان منطوق قوله لا يصلاها الا الاشقى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثانى دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود فى الكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم **قوله** لقوله يتزكى استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال فى مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتى لا يكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذى كان داخلا فى حكم الصلة والصلات لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم

والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (واما من بخل) بما امر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار (وما يغنى عنه ماله) نفى او استفهام انكار (اذا تردى) هلك تفعل من الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا تركهم الاهتدآء (فأنذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) اى كذب الحق واعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى) الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتيانه مجازاتها

وبعض الاسم لامحل له وان كان حالا من المنوى فى يؤتى كان المعنى يؤتيه متزكيا اى متطهرا من الذنوب او متزايدا فى الخير زاكيا رفيع القدر عندالله تعالى لاللرياء والسمعة ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التى يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اى لابتغاء التوجه الى ربه ﴿ قوله اومتصل من محذوف ﴾ يدل عليه قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل على ان المراد لايؤتى ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا فى المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلا ﴿ قوله والآيات نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ﴾ هذا ماذهب اليه جهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك ويقولون انها نزلت فى حق علىّ بن ابى طالب ويستدلون عليه بأن قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت فى حقه فقوله الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اشارة الى مافى تلك الآية ونحن نقول لايمكن حمل الاتقى المذكور فى هذه الآية على علىّ رضى الله عنه لانه تعالى قال فى صفة هذا الاتقى ومالاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لايصدق على علىّ رضى الله عنه لانه كان فى تربية النبىّ صلى الله عليه وسلم اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان عليه السلام منعما عليه بنعمة يجزى عليها بخلاف ابى بكر فانه لم يكن لاحد عنده من نعمة دنيوية نعم كان للرسول صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا ان هذه النعمة لايجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ماأسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لاتصلح ان تكون نازلة فى حق علىّ رضى الله عنه تعين انها نزلت فى ابى بكر لان الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضى الله عنه روى ان بلالا كان مولى عبدالله بن جدعان فسلح اى تغوّط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوه الى عبدالله فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لآلهتهم فأخذوا يعذبونه فى الرمضاء اشدّ العذاب وهو يقول احد احد فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ينجيك احد احد ثم اخبر عليه السلام ان بلالا يعذب لاجل دينه فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى ومالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشترى الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال ابوه يابنىّ لوكنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال يمنع ظهرى ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يرضيه فى الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى * تمت سورة الليل والحمدلله رب العالمين حمدا دآئما ابدا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الضحى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فسر الضحى اوّلا بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة العطف عليه بقوله والليل وفسر قوله تعالى والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار اليها لامعنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله وقد اريد بالضحى النهار كله فى قوله تعالى افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه فى مقابلة قوله بياتا اى بآتين داخلين المساء ﴿ قوله سكن اهله ﴾ يعنى ان الاسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه اى ثبت وكان بحيث لايزداد بعد ذلك وكل ماثبت فى مكان فهو راكد فيه ﴿ قوله وتقديم الليل فى السورة المتقدّمة ﴾ يعنى ان كل واحد منهما له تأثير عظيم فى صلاح العالم فلذلك اقسم به الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار فانه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهوآء الى الحالة الاصلية ولذلك قدّم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدّم هذا تارة وذاك اخرى * فان قيل ماالسبب فى انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته * اجيب بانه وان كان ساعة منه الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل ﴿ قوله لتركه الاستثناء ﴾ روى ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اليهود اسألوه عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون

(وسألوه)

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لالمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وأمية بن خلف قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿ سورة والضحى مكية وآيها ﴾
﴿ احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولان فيه كلم موسى ربه اوالقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن اهله اوركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدّمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ماودّعك ربك) ماقطعك قطع المودّع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم (وماقلى) وماابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مرّ فى سورة الكهف

وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم ارجعوا اسأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه اثني عشر يوما وقيل عشرين يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فأخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودّعك ربك وما قلى * فان قيل ما ذكر من كون سبب احتباس الوحي ترك الاستثناء لا يدل على انه كان عن قلى فما وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى فظن انه صار ممقوتا روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل بل كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودّعك عند الرحيل مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي يدع ويذر فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل ﴿ قوله اوازجره سائلا ملحا ﴾ روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه اياه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدّمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ذلك فاشتراه عثمان ايضا وقدمه له فعاد السائل ثالثا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفا له لا غضبان عليه أسائل أنت يا فلان ام تاجر فتأخر عنه الوحي اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروي ايضا ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جرو والبيت فدخل تحت السرير فمات هنالك فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي حتى ان جبريل لا يأتيني قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فألقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخيره فقال اما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ﴿ قوله النهاية امرك خير من بدايته ﴾ على ان لا يراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية فالمعنى لا تظن ان ربك ودّعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه اياما بل كل حال يأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية ومن جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي احيانا بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا في ردهم مؤكدا بالقسم ما ودّعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتتابعه ﴿ قوله واللام للابتداء الخ ﴾ لانها لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولأنت سوف يعطيك ربك لا لام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد نحو والله لأضربنّ ﴿ قوله وجمعها مع سوف ﴾ فان لام الابتداء لما تجرّدت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخر والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة ﴿ قوله من الوجود بمعنى العلم ﴾ اي ألم يعلمك يتيما فآوى اي فجعل لك مأوى تأوي اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوي أويا على فعول وآويته اناء ايواء وكان عمه عليه الصلاة والسلام ان اباه عبدالله بن عبد المطلب توفي وامه عليه السلام حامل به ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب على الموت اوصى عليه عليه السلام اباطالب لان عبدالله واباطالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فلم ير عليه السلام من اثر اليتم شيأ فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى ﴿ قوله عن علم الحكم والاحكام ﴾ اي وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا في الطريق روي انه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم ردّه الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان تردّه الى جدّه حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبيّ وفيه حكاية طويلة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انه عليه الصلاة والسلام

اوازجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودّعه ربه وقلاه فنزلت ردّا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضارّ كأنه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو أعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادّخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردّك على جدّك فأزال ضلالك عن عمك او جدك

ضل فى شعاب مكة وهو صغير وما زال ضالا حتى كاد الجوع يقتله فرآه ابو جهل وهو منصرف عن اغنامه فردّه الى جدّه عبد المطلب وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرّع الى الله تعالى فى ان يردّ اليه محمدا ويقول يا رب ردّ لى محمدا اردده ربى واصطنع بذا يدا فما زال يردّد هذا الكلام حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه فقال له لا تدرى ماذا ارى من ابنك فقال عبد المطلب ماذا رأيت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فأبت الناقة ان تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة كأنّ الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب عليه ان يقتدى به ﴿قوله ذا عيال﴾ صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا اى افتقر وأعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليه قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل فى الآية الفقير * تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الم نشرح مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وقد شرح الله تعالى صدره عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق بعد ما ضاق عنهما جميعا فان مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يتأتى له دعوة الخلق ومعاناتهم فان دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافى الحضور مع الخالق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجمع بينهما فكان حاضرا مع الحق مستغرقا فى مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرا فكان غائبا حاضرا ﴿قوله أو ألم نفسحه بما اودعنا فيه الخ﴾ فانه تعالى ما فسح صدر احد من بنى آدم كفسحه لصدره المنير عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الاوّلين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم ﴿قوله وقيل انه﴾ اى ان قوله تعالى الم نشرح لك صدرك اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه اى حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فى صدره ﴿قوله او يوم الميثاق﴾ الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ما ذكره الامام النسفى ناقلا عن الكلبى ان جبريل عليه السلام اتاه فشق صدره وأبدى عن قلبه ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فيه ثم قال كان هذا حين جاءه بالبراق ليلة المعراج او حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها انه قد روى ان هذه الواقعة وقعت فى حال صغره عليه الصلاة والسلام وهى من المعجزات فلا يجوز ان تتقدّم نبوّته وثانيها ان تأثير الغسل فى ازالة الاجسام ولا شك ان الاخلاق والمعاصى ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيهما الغسل وثالثها ان القلب لا يصح ان يملأ علما وايمانا بل الله تعالى يخلقهما فى القلب واجيب عن الاوّل بان تقديم المعجزة عن البعثة يجوز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله كثير فى حقه عليه الصلاة والسلام وعن الثانى فى قوله ان الغسل له تأثير فى ازالة الاجسام بان ما فى القلب من الدم الاسود لا يبعد ان يكون حصوله فيه علامة مؤدّية للقلب الى ميله الى المعاصى وابعاده عن الطاعات وتكون ازالته عنه سببا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوّة الطبيعية اليها فتكون ازالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والايمان فصح ان يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والايمان واشار المصنف الى الجواب عن طعن القاضى فى هذه الرواية بما حاصله ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر فقال ولعله اى ولعل ما روى اشارة الى نحو ما سبق من تفسيح الصدر ﴿قوله مبالغة فى اثباته﴾ وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى ونفى النفى اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفى النفى اثبات له فكان ابلغ من اثباته ابتداء ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه وضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها والعبء بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ونقيض الرحل صوته عند تداعى اجزائه الى الانفكاك وشبه خطأه من تركه الافضل والاولى بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر

(ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فأغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه (واما السائل فلا تنهر) فلا تزجر (واما بنعمة ربك فحدّث) فان التحدّث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوّة والتحدّث بها تبليغها * قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او ألم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى انقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة

ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح ﴿قوله اوجهله بالحكم
والاحكام﴾ لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل
الدنية وفي التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس مالها وماعليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة
بين الانام ويدور عليها انتظام احوالهم ﴿قوله اوحيرته﴾ اي او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له
عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وذلك انه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله الى عظم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه
من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وسائر مايتبعهما من النعم فتثقل عليه تلك النعم ولايدري كيف يشكرها
فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه ويشكر نعمه زالت حيرته
فان اللئيم لايبالي بما اسبغ عليه من النعم المتظاهرة ولايستحيي من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الانسان الكريم
النفس فانه اذا تواترت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جدا بحيث
يكاد يموت من الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه ﴿قوله اوتلقي الوحي﴾ اي
او المراد من الوزر مااصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبريل عليه السلام حتى كان تأخذه الرعدة ويستولي
عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني ودثروني ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى ألفه وصار
يأتي بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه ﴿قوله وانما زاد لك﴾ جواب عما يقال ماالفائدة في زيادة
قوله لك في قوله الم نشرح لك ورفعنا لك وفي زيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما
فأي فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب ان زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد ابهام المشروح
والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال اوقع في الذهن
وابلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع ﴿قوله فلا تيأس من روح الله اذا
عراك مايغمك﴾ يعني ان قوله تعالى فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال
بالجزئي على الكلي كأنه قيل اذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول فتحقق
ان لمطلق العسر يسرا اي يسر وتيقن ان العسر الذي انت فيه لاينفك عن يسر عظيم وقس ماسيأتي عليك فيما بعد
من وجوه العسر على مامضى من احوالك فاي زمهرير لايعقبه ربيع ﴿قوله والمعنى بما في ان مع من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر﴾ يعني انهما متضادان لايتصور معيتهما فلابد من توجيه ذكر كلمة مع في هذا
المقام ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ اي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب فكما يكرر المفرد في مثل
جاءني زيد زيد كذلك كررت الجملة هنا ايضا ويحتمل ان تكون الجملة الثانية مستأنفة بان العسر المذكور اولا
متبوع بيسر آخر فان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد معرفا كان الثاني عين الاول فيكون العسر واحدا مع كونه
مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا فيه اوجنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة
اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لايلزم ان يكون الثاني عين الاول ويسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون
عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريراً للاول
وتأكيداً له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسران وهذا الاحتمال
ارجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما
والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه اولى * روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تعالى
خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا
﴿قوله تعالى فاذا فرغت فانصب﴾ جواب شرط محذوف اي اذا تقرر عندك ماعددناه عليك وما وعدناه لك
من النعم فاتعب في العبادة اذا فرغت من التبليغ شكرا لذلك فان الشكر يربط البعيد ويجلب المزيد والنصب التعب
يقال نصب في الشيء ينصب من باب علم اي تعب فيه وروى ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ما امر الله
بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعني انه تعالى امر ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها وان لايخلي
وقتا من اوقاتها منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى ﴿قوله ولاتسأل غيره﴾ الحصر مستفاد من تقديم الظرف

اوجهله بالحكم والاحكام اوحيرته اوتلقي
الوحي اوما كان يرى من ضلال قومه
مع العجز عن ارشادهم اومن اصرارهم
وتعذيبهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان
(ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها واي
رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة
وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في
ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه
بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل
ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر)
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر
وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح
والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك
وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من
المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر
واتصاله به اتصال المتقارنين (ان مع العسر
يسرا) تكرير للتأكيد اواستئناف وعدة
بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب
الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي
فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب
وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر
يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء
كان للعهد اوالجنس ويسرا منكر فيحتمل
ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول
(فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب)
فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك
من النعم السابقة ووعدنا بالنعمة الآتية
وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة
اوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء
(والى ربك فارغب) بالسؤال ولاتسأل
غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ
فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه *
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
ألم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

تمت سورة الم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبيّ بعده

﴿ سورة التين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ **قوله** وقيل المراد بهما جبلان ﴾ روى عن ابن عباس رضى عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لها بالسريانية طور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون ﴿ **قوله** او مسجدا دمشق وبيت المقدس ﴾ قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون ﴿ **قوله** اوالبلدان ﴾ الكوفة والشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التى حصل هو فيها والمعنى وجبل الموضع المسمى بسينين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد سينين المنازل وقال الكلبى هو الجبل ذو الشجر وقال مجاهد ومقاتل كل جبل ذى شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط ﴿ **قوله** من امن الرجل ﴾ يأمن بضم الميم فيهما فهو امين اى آمن بمعنى ذى أمن وهو الامانة يقال أمنت فانا آمن فالامين فعيل بمعنى فاعل وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين مايؤتمن عليه ﴿ **قوله** او المأمون فيه ﴾ عطف على قوله اى الآمن فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها وبركها ولانها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم ومولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم تيسير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى تأليف الاجزاء وتعديل الاعضاء والهيئات والاشكال وتكميله بالقوى الباطنة التى يتوسل بها الى الفضائل العلية والآداب والاخلاق المرضية يقال قوّمه تقويما فاستقام وتقوّم * روى ان ملكا من الملوك خلا بزوجته فى ليلة قمرآء فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى قال لايحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم لابكبر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى احسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهادى يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتنى فباتا بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فأخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابى حنيفة رضى الله عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور مالك لاتتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم قال ياامير المؤمنين فالانسان احسن المخلوقات ولاشئ احسن منه فلم تطلق امرأة الرجل فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعى زوجك لاتعصيه فماطلقك ﴿ **قوله** ونظائر سائر الممكنات ﴾ اى وبان خص باستجماعه مثال كل ممكن قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل مافى المخلوقات حاصل فيه ﴿ **قوله** بان جعلناه من اهل النار ﴾ على ان يكون اسفل حالا من مفعول رددناه ويكون المراد بكونه اسفل كونه فى غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهى نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه فى احسن الصور حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار ﴿ **قوله** او الى اسفل سافلين وهو النار ﴾ على ان يكون اسفل صفة مكان محذوف اى الى مكان اسفل امكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه الى النار التى هى اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء فى قوله الا الذين آمنوا متصلا والمستثنى منه الضمير المنصوب فى قوله ثم رددناه لانه فى معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس وتكون الفاء فى قولهم فلهم اجر لتعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كأنه قيل لايحولون عن كونهم فى احسن تقويم الى ان يكونوا من اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون فى الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل السافلين ارذل العمر بناء على ان من ردّ الى ارذل العمر يحوّل من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث

﴿ سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودوآء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودوآء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان (وطور سينين) يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى فيه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (فى احسن تقويم) تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه اسفل سافلين) بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار

يتقوّس ظهره و يضعف سمعه و بصره و يتداعى جميع قواه و اعضائه الى الانحلال و الاضمحلال فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان و الطاعة المخرجين عن كونهم مردودين الى ارذل العمر قد اثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر و عجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون الا بمعنى لكنّ وقوله الذين آمنوا و عملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره و دخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى ولكنّ الصالحين من الهرمى فلهم اجر و ثواب دائم غير ممنون اى غير منقطع بسبب طاعتهم و صبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة و الهرم فان المؤمن اذا عمل فى حال شبابه و قوّته و حياته فاذا مرض او هرم او مات فانه يكتب له حسناته تماما كما كان يعمل فى حياته وقوّته الى يوم القيامة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يارب ان عبدك فلانا قدمات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى سمواتى مملوءة بملائكتى و لكن اذهبا الى قبره و اكتبا له حسناته الى يوم القيامة * كذا فى تفسير الامام ابى الليث وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * المولود حين لم يبلغ الحلم ماعمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله تعالى ملكين ان يحفظاه ويسدّداه فاذا بلغ سنه فى الاسلام اربعين آمنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته و تجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله ماتقدم من ذنبه و ماتأخر و شفعه فى اهل بيته وكان اسمه اسير الله فى ارضه فاذا بلغ ارذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيأ كتب الله له مثل ماكان يعمل فى يوم صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه * كذا وجدته فى بعض التفاسير و وجدته ايضا معلقا على ظاهر التفسير الكبير نقلا عن تفسير الثعلبى من غير تفاوت بين عبارتهما انتهى

﴿قوله فأى شئ يكذبك يا محمد﴾ صلى الله عليك وسلم يعنى ان ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ويكذبك خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام و المعنى اى شئ ينسبك الى الكذب فيما اخبرت به من البعث و الجزاء بعد هذا البيان و الباء فى قوله تعالى بالدين ليست صلة للتكذيب بل هى مثلها فى قوله تعالى و الذين هم به مشركون فان تقديره و الذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزاء و الحساب فان من كذب بالجزاء و انكره فهو مكذب لمن اخبر به لامحالة و وجه كون ماذكر فى هذه السورة بيانا لحقية الدين حتى يصح ان يفرّع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور المذكورة على انه خلق الانسان المسوّى من الماء المهين وحسن ظاهره و باطنه باحسن تقويم و درّجه فى مراتب الازدياد و النماء الى ان استكمل و استوى ثم نكسه و ردّه الى ارذل العمر و بين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابداء على الوجه المذكور فهو قادر على الاعادة و الجزاء ثم حقق انه عليه الصلاة و السلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكارى أليس الله باحكم الحاكمين و انكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبت له فيما ذكره من الخلق و الردّ كونه احكم الحاكمين صنعا و تدبيرا و اذا ثبتت القدرة و الحكمة بما ذكره من البيان صح القول بامكان البعث و الجزاء و بوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر الى القدرة و اما الوقوع فبالنظر الى الحكمة فان عدم ذلك يقدح فى الحكمة كما قال تعالى و ماخلقنا السماء و الارض و مابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا و ذلك انه تعالى ان كان خلقها لالحكمة كان ذلك عبثا و هو لايجوز على الحكيم و ان كان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوّا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ماخلق لحكمة عائدة الى الانسان و هى اثابة المطيع و عقاب العاصى و تلك الحكمة لاتظهر فى الدنيا لانها دار ابتلاء و امتحان فثبت انه لابدّ من دار اخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الانسان و يستريح فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة و الجزاء كما مرّ غير مرّة و ان الحكيم هو المتقن للامور و يلزم بذلك كونه تام القدرة كامل العلم و من هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث و الجزاء و المعنى أليس من فعل ذلك ببالغ اتقان الامور وقيل معناه أليس الله تعالى بأقضى القاضين يحكم بينك و بين من يكذبك بالحق و العدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية حينئذ وعيد للمكذبين * تمت سورة التين و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

وقيل هو ارذل العمر فيكون (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات) منقطعا (فلهم اجر غير ممنون) لاينقطع اولايمنّ به عليهم و هو على الاوّل حكم مرتب على الاستثناء مقرّر له (فما يكذبك) اى فأى شئ يكذبك يامحمد دلالة او نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات و المعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق و المعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق و الردّ بأحكم الحاكمين صنعا و تدبيرا و من كان كذلك كان قادرا على الاعادة و الجزاء على مامرّ مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة و التين اعطاه الله العافية و اليقين مادام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اكثر المفسرين هذه السورة اوّل ما نزل من القرآن نزل بها جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس آيات من اوّل هذه السورة الى قوله مالم يعلم * عن الزهرى انه قال اخبرنى عروة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت اوّل مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء يعنى العزلة فكان يأتى حرا ويمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه ملك وهو على حرا فقال له اقرأ فقال له صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها يرجف بردآئه واخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زمّلونى زمّلونى فزمّلوه حتى ذهب منه الروع فذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك يعنى اقرأ بعون ربك ووحيه اليك كذا فى تفسير الامام ابى الليث وفيه ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما بلغ اربعين سنة كان يسمع صوتا فيناديه يامحمد ولايرى شخصه وكان يخشى على نفسه الجنون حتى رأى جبريل عليه السلام يوما فى صورته فغشى عليه فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها زوّجت مجنونا فلما افاق اخبر بذلك خديجة فجاءت الى ورقة ابن نوفل وكان يقرأ الانجيل ويفسره ثم جاءت الى عداس كان راهبا فقال ياخديجة ان له نبأ وشأنا يظهر امره فخرج عليه الصلاة والسلام يوما الى الوادى فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وامره بان يتوضأ ويصلى به ركعتين فلما رجع دخل على خديجة وعلمها الصلاة وقال جابر بن عبد الله اوّل ما نزل ياأيها المدّثر وقيل اوّل ما نزل فاتحة الكتاب وقال علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه اوّل ما نزل من القرآن قل تعالوا اتل ماحرّم ربكم عليكم

قوله اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه يعنى ان مفعول اقرأ محذوف وهو القرآن حذف للعلم به اذ القرآءة فى عرف الشرع لاتستعمل الا فى قرآءة القرآن وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرأ والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا به اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه تجب قرآءة التسمية فى ابتداء كل سورة وهى حجة للامام الشافعى رحمه الله تعالى فى جهره بالتسمية فى اوّل كل سورة مع ماجاء من الاحاديث المروية فى هذا الباب **قوله او مستعينا به** على ان الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم فانه عليه الصلاة والسلام لما امر بالقرآءة وتعسرت هى عليه فقال لست بقارئ قيل له اقرأ باسم ربك اى استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة فى تحصيل الذى عسر عليك فان ربك يعينك عليها بأن يوحى اليك ويعلمك مالم تكن تعلم والباء على الاوّل للالصاق والملابسة **قوله اى الذى له الخلق** على ان ينزّل خلق منزلة اللازم فلا يقدّر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرّده بالخلق وانه لاخالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرّض لبيان متعلّق الخلق يعنى الذى خلق الذى حصل منه الخلق وتفرّد به لاخالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفرّدا بالخالقية تعليل لامره عليه الصلاة والسلام بالقرآءة التى هى اصل جميع العبادات لان من تفرّد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبده ويتذلل له **قوله او الذى خلق كل شئ** وجه ثان لعدم ذكر مفعول خلق الاوّل اى ويجوز ان يقدّر له مفعول ويكون تعلقه به مرادا الا انه حذف قصدا للتعميم * ولما ورد ان يقال لما حكم بانه تعالى خلق كل شئ فقد علم ان خلق الانسان فى جملة ماخلق فلم افرده بالذكر بعد ذلك التعميم * اجاب عنه بقوله ثم افرد ماهو اشرف يعنى ان كثيرا ما يفرد ذكر الخاص بعد العام اظهارا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للدلالة على انه لغاية شرفه صار كأنه حقيقة منفردة خارجة من عداد ماسبق ولان المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقرآءة التى فى معنى الامر بالعبادة فقوله الذى خلق كل شئ وان كان كافيا فى بيان كونه تعالى مستحقا للعبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد ويعظم الا ان التعرّض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة **قوله او الذى خلق الانسان** وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاوّل اى ويجوز ان يقدّر له مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم اوّلا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انما يكون فيما يقصد تفخيم شأنه **قوله جمعه** فان علق جمع علقة كثمر وثمرة والعلقة الدم الجامد ومالا يكون جامدا فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد فأفاد انه تعالى خلق كل

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به (الذى خلق) اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ماهو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة فقال (خلق الانسان) او الذى خلق الانسان فأبهم اوّلا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان فى معنى الجمع

فرد من افراد الانسان من علقة على حدة ﴿ قوله نزل اولا مايدل على وجوده ﴾ فانه تعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرأ باسم ربك الذى لاشريك له الا انه لو قيل ذلك لأبوا ان يقبلوا ذلك لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم فدبر سبحانه وتعالى لاجل ان يسمعوا كلامه بان قدّم لهم مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لاسبيل لهم الى انكاره فانه لايمكنهم ان ينكروا كونهم مخلوقين من علق ولا ينكروا ان ذلك الخلق لابدّ له من خالق ولا ان يدّعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لايخلق شيأ ومن المعلوم بداهة ان مالايخلق شيأ لايصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود الله قادر حكيم فهو اسلوب لطيف فى الزام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره مايحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أباحنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بائمتهم واستغنائهم بهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم يسمعوا به رجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسئلة اقاويل(٩) أبى حنيفة فانهم حينئذ يستجيبون فلا يردّونها ﴿ قوله تكرير للمبالغة ﴾ يعنى ان اقرأ الثانى تكرير للامر بالقرآءة تاكيدا ومبالغة فى الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثانى ويكون مابعده كلاما مستأنفا بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبره وقوله علم الانسان مالم يعلم بدلا من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له ﴿ قوله او الاوّل مطلق ﴾ اى امر بمطلق القرآءة سوآء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام او على طريق تكرارها لنفسه طلب الثواب او على طريق التعليم والتبليغ للامّة واقرأ الثانى امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامّة او بأن يقرأ فى الصلاة ﴿ قوله ولعله لما قيل له ﴾ اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثانى جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقارئ اى اقرأ فان ربك الاكرم يعطك القرآءة وان لم تكن قارئا الا انه على هذا ينبغى ان تكون العبارة قيل له اقرأ وربك الاكرم بدون الفاء لان قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب لما ولا تدخل الفاء على جواب لما وليس فى الكلام مايصلح ان يكون جوابا لها غيره ﴿ قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة ﴾ فان الكرم افاضة ماينبغى لا لغرض فان من اعطى مالاينبغى لايكون كريما ومن اعطى ماينبغى توقعا لغرض لايكون كريما ايضا فظهر ان الكرم مختص به تعالى وانه لاينعم بما انعم به الا لمحض الكرم بخلاف غيره تعالى فانه يعطى طلبا للغرض والغرض لايجب ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمّة ونحوها كلها غرض ﴿ قوله اى الخط بالقلم ﴾ يعنى مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام علم الخط بالقلم وقرأ ابن الزبير كذلك ﴿ قوله لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد ﴾ بيان توجه كرمه الزآئد فى تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان اكرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد * روى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لايبقى قال فما قيده قال الكتابة والقلم وان كان لاينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه مادوّنت العلوم ولاقيدت الحكم ولاضبطت اخبار الاوّلين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهى لما استقامت امور الدين والدنيا وصف الله تعالى نفسه اوّلا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق تنبيها على ان الخالقية لاسيما خالقية اشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها ثم وصفها بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليمه الانسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لايعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب واعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية ومايؤدّى الى تقييدها وضبطها لان الاكرمية انما تكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشأن العلم فانه لو كان فى جملة المطالب ماهو اشرف منه لكان ذكره اولى فى مقام بيان اكرميته ﴿ قوله وقد عدد سبحانه الخ ﴾ يعنى انه لامناسبة بحسب الظاهر بين ان يصف الله تعالى نفسه بانه الذى خلق الانسان من علق وبانه الذى علم بالقلم لكنه فى التحقيق فى غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين اوّل احوال الانسان وهو كونه علقة وهى أخس الاشياء وبين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلد ان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من أخس الاحوال الى أعز المراتب واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما كان اوّل الواجبات معرفة الله تعالى نزل اوّلا مايدل على وجوده الخ واشار اوّلا الى مايدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى باسم ربك الذى خلق خلق الانسان

(٩) ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وجئنى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول (نسخه)

ولما كان اوّل الواجبات معرفة الله تعالى نزل اوّلا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة او الاوّل مطلق والثانى للتبليغ اوفى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزآئد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القرآءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اوّلا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل سمعا

من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم تنبيه على مايدل على معرفته تعالى سمعا فان ماحصل بنظر العقل من المعرفة عقلى وماحصل بالتعليم سمعى فان الاحكام التى لاسبيل الى معرفتها الا السمع هى حاصلة بالتعليم ﴿ **قوله** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴾ فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم ومباديها وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله علم الانسان مالم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمته ولما كان الرسول الذى بلغ هذه الآية لابدله من المرسل اليهم وهم جهال لايعرفون النعمة ولا المنعم فضلا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عماهم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك انما هو الطغيان قال مقاتل معنى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد فى ثياب ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبى يرتفع من منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام ﴿ **قوله** ولذلك ﴾ اى ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب يقال رأيتنى وعلمتنى ولو كانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وقوله تعالى ان رآه اصله لان رآه اى لرؤيته نفسه استغنى اى مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فحذفت اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واوّل السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال والظاهر ان كون الغنى سببا للطغيان انما هو فى حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون بخلاف اولى البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لايلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فانه قد نال من الملك مالم ينله احد من العالمين مع انه لم يزدد بذلك الاتواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضى الله عنه ماطغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه فى حال فقره لايتمنى الاسلامة نفسه وفى حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه ﴿ **قوله** نزلت فى ابى جهل ﴾ مبنى على ماروى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما انهما قالا هذه السورة اوّل مانزل الى قوله تعالى انّ الى ربك الرجعى ومابعده نزل فى ابى جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان فى قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز مفاخر الموجودات وهو التحلى بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذا اغناه ربه وزاده جاها ومالا فردعه عنه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة فى التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان وذهب اكثر المفسرين الى ان اوّل مانزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان مالم يعلم ثم نزل باقى السورة بعد زمان مديد فى حق ابى جهل لعنه الله ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بان يوضع فى هذا الموضع ويضم الى آخر الآيات الخمس التى هى اوّل مانزل من القرآن لان تأليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الاترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر مانزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى مانزل قبله بزمان طويل وما ذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روى ان اباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وترحما * وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذى يحلف به لان رأيته يفعل ذلك لاطأنّ على رقبته قال فقيل له هاهو ذاك فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فأتوه فقالوا مالك ياابا الحكم قال ان بينى وبينه لخندقا من نار فنزل قوله ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام * والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا فعضوا (٧) والهول الخوف والاجنحة اجنحة الملائكة ابصر اللعين اجنحتهم ولم يبصر اصحابها ﴿ **قوله** ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى ﴾ فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب بدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهى الا ان ايراد لفظ العبد ابلغ فى تقبيح النهى لان نهى العبد عن تعظيم

(مولاه)

(كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى رأى نفســه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبــة الطغيــان والرجعى مصــدر كالبشرى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجـاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبـالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى

(٧) واوّل القصة ان اللعين قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال لو رأيت الخ والعفر بالتحريك التراب وتعفير الوجه كناية عن السجود على الارض وكان ابوجهل يكنى فى الجاهلية بابى الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم سمى اباجهل فى الاسلام (تمخه)

مولاه اقبح من نهى فرد من افراد الانسان عنه و تنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله فى العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه ابلغ من نهى عبد ما اى عبد كان فكأنه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه

﴿ **قوله** والشرطية مفعوله الثانى ﴾ ان جعل رأيت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذى ينهى مفعوله الاوّل وجعلت الشرطية الاولى مفعوله الثانى وهى قوله ان كان على الهدى اوامر بالتقوى مع جوابها المحذوف وهو قوله ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على احواله من كونه على هدى فى نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته اوكونه آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاوّل اكتفاء عنه بجواب الشرط الثانى فان الشرط الثانى وهو قوله ان كذب و تولى مقابل للشرط الاوّل فان ذلك الناهى عن التكذيب للحق والتولى عن الصواب مقابل لكونه على هدى فى امره وآمرا بالتقوى فيما يأمر به فلما اجيب الشرط الثانى بقوله ألم يعلم بان الله يرى احواله علم انجواب الشرط الاوّل من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية وهى قوله ألم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز فى قولك ان اكرمتك أتكرمنى وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل كل واحد من رأيت الثانى والثالث تكريرا للاوّل لاجل التأكيد فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب فى قوله تعالى ارأيت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له فطنة وعقل سليم اوللانسان على الالتفات كما فى قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو الاظهر لا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا لابى جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال عمن ينهى بعض عباد الله فان من عبارة عن الكافر الناهى والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام فكأنه تعالى جعل الثالث حاكما بين الناهى وبينه عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنى الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته ويزعم انه على الحق فى ذلك النهى وفى امره بعبادة الاوثان واخبرنى ايضا عمن يقول فى حقه انه على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح فاحكمك فى حقه الم تعلم بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ ﴿ **قوله** وقيل المعنى ﴾ يعنى ان الضمائر كلها للكافر الناهى الاانه قيل ضمير ينهى وكذب وتولى عبارة عن الكافر الناهى وضمير كان وامر للعبد المنهى وان قوله تعالى ارأيت كلمة تعجيب عجب الله تعالى عباده من ابى جهل فى منعه العبد اذا صلى على ثلاثة اوجه الاوّل انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثانى ان المنهى عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهى عن الصلاة مكذب للحق متولى عنه غير قائل به والفرق بين القول الثانى والثالث مع ان ضمير ينهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان على الهدى اوامر للعبد المنهى هو ان الخطاب فى المواضع الثلاثة على القول الثانى للانسان على الالتفات وأرأيت للتعجب وعلى القول الثالث يكون الخطاب الاوّل له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثانى للكافر الناهى خاطبه توبيخا له على قبح فعله * ولما ورد على القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد أرأيت الثانى على تقدير ان لايكون تكريرا للاوّل بل يكون للتعجيب كما فى القول الثانى اوللتوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى * اجاب عنه اوّلا بان الذى يشق على ابى جهل من افعاله عليه الصلاة والسلام وان كان فى حق نفسه عبادة الاانه فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لانه عليه الصلاة والسلام كان كل من يراه وهو فى الصلاة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام امرا بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهى عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة فى مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة فى مقام التعجب من حال الناهى وفى مقام توبيخه لان التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل فى الذم ثم اجاب عنه ثانيا بان ماذكر من انه كما نهى عن الصلاة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلاة انما يتوجه ان لوقيل ينهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل ينهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهى عنه أهو الصلاة ام غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس فى الكلام اقتصار على ذكر النهى عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى عن عامة افعاله المحصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه رأى فى المصلى

(ارأيت ان كان على الهدى اوامر بالتقوى) ارأيت تكرير للاوّل وكذا الذى فى قوله (ارأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه اوآمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما يقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فاعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال ياكافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة

اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل فى وعيد قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرّح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابوحنيفة هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف رحمهما الله أيقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفرلى حيث قال له يقول ربنالك الحمد ويسجد ولم يصرّح بالنهى احتياطا عن ان يقول ذلك ﴿قوله ولنسحبنه بها الى النار﴾ وذلك فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر وتكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرّوه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد اليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر * روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه الصلاة والسلام من يقرأها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا فأجلسه عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قرآءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشقت اذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال ياجبريل أتضحك ويبكى ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام * خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال به ثواب المجاهدين * فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيله فلما رآه ابو جهل قال يارويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد أبغض الىّ منه فى حال مماتى فروى انه عليه السلام لما سمع ذلك قال * فرعونى اشدّ من فرعون موسى عليه السلام * فانه قال آمنت وهذا قد زاد عتوّا ثم قال اللعين لابن مسعود اقطع بسيفى هذا لانه احدّ وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجرّه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يامحمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن واللام فى قوله تعالى لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعدها مضمر اى لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ماقبلها تشبيها لها بالمنوّن المنصوب وقد كتبت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه بالالف على حكم الوقف واللام فى قوله بالناصية بدل من الاضافة اى لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور ثم وصفها بانها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى لانهما فى الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير الموصوفة لاتبدل من المعرفة لئلا يلزم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود وكل واحدة من قرآءتى رفع ناصية ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية وبين ناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احداهما فاجبت بانّ الاولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهى بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع لتشمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها ﴿قوله اى اهل ناديه﴾ قدّر المضاف لان نفس المجلس والمكان لايدعى ﴿قوله ينتدى فيه القوم﴾ اى يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولايسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة وهم كبار الجند واوّل كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ﴿قوله او زبنىّ على النسبة﴾ اى على انه بياء النسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع على زبانى ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوّضت تاء التأنيث عن احدى الياءين بعد حذفها كالاشاعثة فى جمع اشعثى وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الارض ورؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم وحذفت الواو من سندع فى الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت فى اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت فى الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ماخطر بباله من دعوة اهل ناديه واستعانته بهم فى مناصبته عليه السلام فانه ان فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لاطاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرّونه فى الآخرة

(كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدّة وقرئ لنسفعنّ بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجرّوه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنىّ على النسبة واصلها زبانى والتاء معوّضة عن الياء (كلا) ردع ايضا للناهى (لاتطعه) واثبت انت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرّب الى ربك وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

الى النار وكلمة ما فى قوله عليه السلام اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر فى علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى مصدر مذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربى السويق ملتوتا واخطب مايكون الامير قائما والظرف فى معنى الحال

سورة القدر قيل انها اول سورة نزلت بالمدينة وقيل انها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله بالنباهة﴾ النباهة الشهرة فى رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحا فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر ﴿قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر﴾ اى ما غاية فضلها او منتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر قال مجاهد قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير والنفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير فى ليلة القدر كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون فى هذه الليلة ﴿قوله وانزاله فيها﴾ جواب عما يقال القرآن لم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد بل انزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة فاوجه قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر * وأجاب عنه ثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم والتفريق فى ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت فى رمضان والثانى ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذى كان منجما فى ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جبرآئيل عليه السلام نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم السلام وهم الملائكة فى سماء الدنيا ثم كان ينزله على النبى عليه السلام منجما مفرقا على حسب المصالح فى ثلاث وعشرين سنة والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع فى ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه فى حق فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافى كون الانزال مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة واختلف فى تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم فى انها هل هى باقية تتكرر فى كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن فيها يقول انها كانت مرة ثم انقطعت * قال الامام النسفى رحمه الله تعالى قول من قال انها رفعت بعد وفاة النبى عليه السلام قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هى مختصة برمضان او لا فعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انها غير مختصة برمضان بل هى تدور فى كل السنة وبه قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن مع قوله انا انزلناه فى ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر فى رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور فى ليالى شهر رمضان مرة تكون فى العشر الاول وتارة فى العشر الاوسط واخرى فى العشر الآخر وهى اشهر الروايتين عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه الى انها تدور فى العشر الآخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سئل أى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر فى احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين * وذهب اكثر العلماء الى انها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هى لفظ هى وتلك اشارة اليها ومنها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى فى هذه السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين ففيه اشارة الى انها هى الليلة السابعة والعشرون ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام فقال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة واحدة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فأعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان وقال عبيد بن عمير كنت فى السابع والعشرين من رمضان فى البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبا سلسبيلا وقيل انها هى الليلة الاخيرة من رمضان استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام * ان الله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله (وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعله السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة

تعالى في كل ليلة من رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اوّل الشهر الى آخره * وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روى ان صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وقيل كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة الى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كلها الى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر ﴿قوله وتسميتها بذلك لشرفها﴾ اى على سائر الليالى على ان القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اى منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون راجعا الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زائد على شرف ما وقع في سائر الليالى ﴿قوله او لتقدير الامور فيها﴾ عن الواحدى ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار معين من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الله تعالى قدّر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدّر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين ابن الفضل اليس قد قدّر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدّر ﴿قوله وذكر الالف اما للتكثير﴾ فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يودّ أحدهم لو يعمر الف سنة واما لما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فعجب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر الذى حمل الاسرائيلى فيها السلاح في سبيل الله لك ولامتك من بعد ذلك الى يوم القيامة في كل رمضان وقيل كان الرجل فيما مضى لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد ﴿قوله تعالى والروح فيها﴾ يجوز ان يكون جملة اسمية في محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة ﴿قوله بيان لما له فضلت على ألف شهر﴾ يعنى ان قوله تنزل الملائكة جملة مستأنفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كأنه قيل لم ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه السلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلّمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد في بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا يناله بعبادته في الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم ينزلون يسلّمون علينا ويستغفرون لنا فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة ذلك ان يقشعرّ جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فان ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا اليها فكذا الملائكة اذا رأوا في ارواح

وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدّة ذلك الغازى (تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على الف شهر

المؤمنين صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا في زيارتهم وتمنوا لقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وماتتنزل الا بامر ربك وقال تعالى في هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا اولا فاذنوا وذكر في الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كانت كلها لقمة واحدة له وفي التيسير ينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه في تخوم الارض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لاتشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة اهل السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لاتراهم الايوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه الصلاة والسلام لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه القرآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لما قرئ ولاتيأسوا من روح الله بالضم كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحتي تنزل في اثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه ﴿قوله وتنزلهم الى الارض﴾ هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون في سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلأن يجعل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها اولى ولان مطلق النزول لايفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة بأسرهم ينزلون الى السماء الدنيا في ليلة القدر * فان قيل كل واحدة من السموات مملوءة بمافيها من الملائكة بحيث لايوجد في واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف تسع جميع ملائكة السموات الارض او السماء الدنيا * قلنا انما يرد ما ذكرت لو كان نزولهم على سبيل الاجتماع وليس بلازم لما روى انهم ينزلون فوجا فوجا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل ليفيد التدريج مدة بعد مدة ﴿قوله ماهي الاسلامة﴾ اشارة الى ان قوله هي مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما في نحو تميمي انا اى لايحدث فيها داء ولاشئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ماتنزل فيها انما هو سلامة وخير وفي الحديث * ان الشيطان لايخرج في هذه الليلة حتى يضئ فجرها * والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة ﴿قوله من اجل كل امر قدر في تلك السنة﴾ اى من خير وشر او بما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال مبني على ان يكون المراد بالليلة المباركة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فلا يظهر ان يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعا في ليلة القدر وفي ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثاني فلقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من الليلتين ليلة التقدير لايخلو عن بعد الا ان يقال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اى تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان تكتب في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير في النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يقدر في ليلة البراءة الآجال والارزاق وفي ليلة القدر تقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في ليلة القدر مايتعلق به اعزاز الدين ومافيه النفع

وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين (من كل امر) من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان (سلام هي) اى ماهي الاسلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى في غيرها السلامة والبلاء او ماهي الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين

العظيم للمسلمين و امالیلة البرآءة فیکتب فیها اسماء من یموت و تسلم الی ملك الموت ﴿ قوله على انه كالمرجع ﴾ ای على انه مصدر میمی على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمی من الثلاثی ان يجيئ على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل و يفعل بفتح العين و ضمها ان يكون على مفعل بفتح العين و مايكون سواء حمل على المصدر او اسم الزمان و لامعنى لكون مطلع الفجر اسم مكان و هو ظاهر و يفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل ای تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل و رزق و حياة و موت او من اجل كل امر من الخير و البركة و قيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هی ای من كل امر محدث سلامة هی حتى مطلع الفجر ای هی الی وقت طلوع الفجر * تمت سورة القدر بحمد الله و عونه و حسن توفيقه و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

﴿ سورة البينة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله فانهم كفروا بالالحاد فی صفات الله تعالى ﴾ بيان لوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذلك ان طريق الكفر غير منحصر فی انكار الدين الناسخ و تكذيبه بل قد يكون به مثل كفر اليهود و تكذيب عيسى عليه السلام و انكار دينه و قد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين و العدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بالالحاد فی صفات الله تعالى و العدول فيها عن الحق و الصواب كما قالوا فی صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلاثة انقلبت الى بدن عيسى عليه الصلاة و السلام و نحو ذلك فان عامة النصارى مثلثة و عامة اليهود مشبهة يقولون عزير ابن الله كما تقول النصارى المسيح ابن الله و اشترك الجميع فی تحريف كتاب الله تعالى و دينه و سائر ما يوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم و قيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا و المعنى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه و سلم منفكين من اليهود و النصارى الذين هم اهل الكتاب و لم يكن المشركون من العرب و غيرهم و هم الذين ليس لهم كتاب منفكين ای منفصلين زائلين و فيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه و سلم منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم محمد و لا وجه للكفر بمن لم يبعث بعد و لم يعلم خبر بعثته ﴿ قوله ومن المتبنين ﴾ لان كونها للتبعيض يستلزم ان يكون البعض من المشركين كافرا و البعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون حينئذ لم يكن الذين كفروا بعض اهل الكتاب و بعض المشركين فينبغی ان تكون للتبيين بان يذكر جنسا الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم يفصل ذلك المجمل بقوله من اهل الكتاب و المشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم او خبر الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الى ان تأتيهم البينة و كلمة حتى تقتضی ان ينتهی الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف و التفرق عند اتيانها لان حكم مابعد كلمة الغاية يكون مخالفا لحكم ماقبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية فذلك قوله تعالى و ما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول و القرآن بينة اما لكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة و السلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه الصلاة و السلام معجز باخلاقه الزاكية حيث بلغ فيها الى اقصى درجات الكمال و اعجز الحكماء المهذبين عن ان يتشبهوا به فی شیء من مكارم اخلاقه و كذا القرآن اعجز فصحاء العرب عن ان يأتوا بسورة من سوره فقوله او معجزة الرسول من اضافة الصفة الى موصوفها ای الرسول المعجز باخلاقه العظام و القرآن المعجز بالخامه من تحدى به ای باسكاته من طلب منه ان يأتی بمثله يقال لحم الصبی يلحم بفتح الحاء فيهما لحوما و لحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته و كلمته حتى الحمته ای ابكيته فی خصومة او غيرها و يقال تحديته اذا باريته ای عارضته فی فعله و نازعته الغلبة ﴿ قوله بدل من البينة بنفسه ﴾ على ان يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينا للحق او كونه معجزا باخلاقه ﴿ قوله او بتقدير مضاف ﴾ على تقدير ان يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق او المبين لنبوته عليه الصلاة و السلام باعتبار اعجازه و التقدير وحی رسول او كتاب رسول ﴿ قوله صفته او خبره ﴾ نشر على ترتيب قوله بدل من البينة او مبتدأ ﴿ قوله و الرسول و ان كان اميا ﴾ و جواب عما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه الصلاة و السلام و هو امی لا يكتب و لا يقرأ

(حتى مطلع الفجر) ای وقت مطلعه ای طلوعه و قرأ الكسائی بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبی عليه الصلاة و السلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

﴿ سورة البينة مختلف فيها و آيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) ای اليهود و النصارى فانهم كفروا بالالحاد فی صفات الله و من للتبيين (و المشركين) و عبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول (حتى تأتيهم البينة) الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه و القرآن بالخامه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته او خبره و الرسول و ان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فی الصحف كان كالتالی لها و قيل المراد جبرائيل و كون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتی ما فيها او انها لا يمسها الا المطهرون

عن كتاب وانما يقرأها بوحى اليه عن ظهر القلب * وتقرير الجواب انه عليه السلام وان كان اميا يتلو ما اوحى اليه عن ظهر القلب الاان متلوه الذى هو القرآن لما كان مصدقا مطابقا لصحف الاولين فى اصول الشرآئع والاحكام صار متلوه كأنه هو صحف الاولين فعبر عن متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشرى بقوله قراطيس والمراد مارسم فيها وقيل المراد بقوله رسول يتلو صحفا جبريل عليه الصلاة والسلام فلا اشكال فى نسبة التلاوة اليه ولم يرض به لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله تعالى فيها كتب قيمة﴾ جملة اسمية منصوبة المحل على انها صفة لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التى تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس الصحف ﴿قوله عما كانوا عليه او عن وعدهم﴾ نشر على ترتيب قوله عما كانوا عليه من دينهم او الوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق عن الوعد والمعنى ومانفرقوا عن الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بان اخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم وقوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على الوجه الثانى ووجه المشابهة بين الآيتين حينئذ اشتراكهما فى كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل فان من استفتح به عليه عليه الصلاة والسلام اى طلب الفتح والظفر على اعدآئه بحرمة النبى الموعود ومكانته عنده بان قال اللهم انصرنا عليهم بحرمة النبى الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد بانه عليه الصلاة والسلام اذا بعث يصدقه ويتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فانه كفر بمن صدقه قبل ﴿قوله للدلالة على شناعة حالهم﴾ فان افراد احدى الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر فى مقام الذم يدل على كونها اشنع حالا من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون بحقية امره عليه السلام من حيث ان نعوته وبعثته عليه السلام مذكورة فى كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم بحقية امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق ﴿قوله اى فى كتبهم بما فيها﴾ كل واحد من حرفى الجر متعلق بامروا وقدر المفعول الاول للدلالة على ان المراد بالامر الامر الوارد عليهم بألسنة انبيائهم وان المعنى وما امر اهل الكتاب على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثانى لان تعدية فعل الامر الى مفعوله الثانى بالباء دون اللام والمعنى ماامر اهل الكتاب بما امروا به فى الكتابين لشئ من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة وان احالوا ان يكون شئ من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل لغرض يكون ناقصا فى ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله تعالى لابد ان تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها به فى ترتبها على الفعل فى الوجود ونجع الله تعالى اهل الكتاب على تعكيس الامر ببيان ان الحكمة الاصلية فى جميع ماامروا به فى كتابهم هى العبادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه وأوامره بان قال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم عيسى ابن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة له تعالى فجاز ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب ايضا ويكون عطف قوله تعالى والمشركين فى اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هى صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وماامروا الا ان يعبدوا اى بان يعبدوا * روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ كذلك بناء على مانقل عن الفرآء فانه قال العرب تجعل اللام فى موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما فى قوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم اى ان يطفؤا ويريد الله ليبين لكم اى ان يبين وامرنا لنسلم اى ان نسلم بمعنى بان نسلم ولم يلتفت اليه المصنف لان جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر ﴿قوله تعالى مخلصين﴾ حال من الفاعل فى ليعبدوا وحنفاء حال ثانية منه او من المنوى فى مخلصين وفى انتصاب مخلصين على الحالية من فاعل ليعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتدآء العبادة الى انتهائها والاخلاص ان يأتى بما يفعله خالصا لداعية واحدة وهى قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع ما يأتى به من الافعال خالصا له ان لا يستثنى شيأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثنى شيأ منها لغيره مثل ان يفعله رياء وسمعة * واستدل بهذه الآية على انه لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين والعبيد

(فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وماتفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ماجاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (وماامروا) اى فى كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به

و الاماء لانتفاء الاخلاص فى دفعها اليهم و اذا كان انضمام صلة الوالدين و الاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى النجاة من عذاب النار و انما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا ولولم يحصل فى الدين لاثواب ولاعقاب البتة بان امرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة عبارة عن الاتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم و التذلل له ولذلك قيل صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلايكون فعله تعظيماله تعالى وقيل ايضا فعل اليهودى مثلا ليس بعبادة وان فعله قصدا لتعظيم ربه لكون مافعله غير مأمور به ﴿قوله مائلين عن العقائد الزائغة﴾ قال الجوهرى اصل الحنف الميل و الانقلاب و الاحنف هو الذى قلبت احدى ابهامى رجليه على الاخرى وعن ابى زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اى مستقيمين وانما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للمريض مطبوب وللمهلكة مفازة و المصنف راعى القولين حيث اعتبر فى مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل و الاستقامة لان الميل عن العقائد الزآئغة انما يكون بالاستقامة ﴿قوله دين الملة القيمة﴾ جعل القيمة نعتا لموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التى هى بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل صلاة الاولى و مسجد الجامع فكما انهما فى تأويل صلاة الساعة الاولى و مسجد الوقت الجامع فكذا الآية فى تأويل الملة القيمة او دين الشريعة القيمة او الكتب القيمة والملة و الدين متحدان بالذات و متغايران بالاعتبار فان الشريعة التى يبلغها الرسول الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه والدين ايضا العادة و الشأن كما فى قوله * وهذا دينه ابدا ودينى وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل فى الحق والباطل و الاسلام لايستعمل الا فى الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا هو من قبيل اضافة العام الى الخاص لان الملة المستقيمة اخص من الدين لما مرّ من ان الدين يستعمل فى الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فانّ قام الامر بمعنى استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقوله تعالى وذلك اشارة الى ما امروا به وهى الاعمال الصالحة التى معظمها اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد المطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى يتعبون انفسهم فى الطاعات من غير ان يحصلوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ويهملون الاعمال وهم المرجئة الذين يقولون لاتضرّ المعصية مع الايمان فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين فى هذه الآية و بين انه لابدّ من كل واحد من العلم و العمل فقال وما امروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة ﴿قوله او فى الحال بملابستهم ما يوجب ذلك﴾ فيكون من باب الاسناد المجازى حيث اسند اليهم كونهم فى النار وليسوا فيها فى الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها ﴿قوله واشتراك الفريقين فى جنس العذاب الخ﴾ جواب عما يقال لاشك ان كفر المشركين اشدّ واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين ينكرون التوحيد و الرسالة والكتاب و البعث وما يتفرّع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها واذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما فى العذاب * والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لايستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه ﴿قوله وقرأ نافع البريئة بالهمز﴾ على الاصل لانها فعيلة من برأ الله الخلق اى ابتدأه واخترعه وقرأ الباقون بياء مشدّدة بدون همزة كالنبى و الذرية فان اصلهما الهمز والقرآءة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس و الاصل الا ان القرآءة بدون الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمرّوا على ترك الهمزة فيه وفى النبى والذرية فكانت القرآءة بالهمزة كالشئ المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شرّ البرية لافادة الحصر اى شرّ البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شرّ من السرّاق لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام وشرّ من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشرّ من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال ﴿قوله تعالى جزاؤهم﴾ مبتدأ خبره جنات وفى الكلام حذف مضاف اى دخول جنات

(حنفاء) مائلين عن العقائد الزآئغة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ولكنهم حرّفوه وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) اى يوم القيامة او فى الحال بملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما (اولئك هم شرّ البرية) اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزآؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا)

وعند ظرف للجزآء وخالدين حال وذو الحال وعامله كلاهما محذوفان لدلالة قوله جزاؤهم عليهما والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور في قوله جزآؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو الخبر ﴿قوله فيه مبالغات﴾ اى في الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات في اعلاء قدرهم واجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان يقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك هم خير البرية كما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هكذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة في ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هي النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزآء فانه يتضمن الاعتناء بشأن ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزآء بانه من عند ربهم فانه يدل على علو قدر الجزآء وذلك يدل على علو قدر صاحبه عند ربه ومنها جمع جنات فانه يدل على ان لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع في قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشرا كذا روى مرفوعا ومنها تقييدها اضافة فانه يدل على انهم لا يخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها تقييدها وصفا بما يزداد لها نعيما من جرى الانهار المذكورة في القرآن من تحتها وهي نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المصنف اراد بالوصف في قوله ووصفا بما يزداد لها نعيما الوصف المعنوي الذي هو اعم من الوصف النحوي لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة فان الخلود في الجنة خير من دخولها كما ان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اضطرابها المقدر لها﴾ لما دلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وتعرفه بسببها بين معنى تعريف الاضافة بثلاثة اوجه وهي على الوجه الاول والثاني للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع ما يمكن في حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول الاضطراب الذي قدره الله تعالى للارض عند احد النفختين فانه قد سبق في علم الله تعالى وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها في الحكمة وما تقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال وتكون الارض بسببه قاعا صفصفا بانكسار ما عليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك نظير الهباء المنبث حتى تمهد الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لا تصير كذلك الا بزلزال شديد ونظيره قولك اكرم التقي كرامة واهن الفاسق اهانة تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد في غير المضاعف كالصلصال والقلقال الا نادرا نحو قسطال وهو الغبار ﴿قوله من الدفائن والاموات﴾ فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى يكون المراد بالاثقال الدفائن والكنوز فان الارض حينئذ تخرج جميع ما فيها من الكنوز فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت اليه احد وان اريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تكون الاثقال استعارة بان شبه ما في جوف الارض من الدفائن والاموات بأمتعة البيت فعبر عنه بالاثقال مجازا ﴿قوله لما يبهرهم من الامر الفظيع﴾ اى لما يغلبهم من الامر الهائل اشار به الى ان الاستفهام في قوله مالها للتفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سوآء كان ممن آمن بالبعث او كفر به يجوز ان يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير الا ان المؤمن يقول بعدما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يحشر اعمى كما عاش اعمى فيستمر على السكرة والحيرة وقوله مالها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شئ حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت

فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزآء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضي الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزآئهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم اقصى امانيهم (ذلك) اى المذكور من الجزآء والرضوان (لمن خشي ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها﴾

﴿تسع﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف (واخرجت الارض اثقالها) ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها) لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها

هذه الزلزلة الشديدة فان التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ماخفى سببه صح ان يكون السؤال عن السبب طريقا لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذ اى يومئذ زلزلت بدل من اذا ﴿ قوله تحدث الخلق ﴾ اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثانى حذف اولهما لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لاذكر الخلق بناء على ان السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى تحدث فى حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الاتيان تعلقه بمفعوله الثانى فانه لامدخل لذكر الخلق فى بيان هوله وانما يستحق التهويل بذكر ماتحدث به الا ان الارض لكونها جمادا لايمكن لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ماعليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت مدتها وان الآخرة قد اقبلت بمافيها من البعث والحساب والجزآء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة قد اقيمت مقام التحديث فعبر به عنها ﴿ قوله وقيل ينطقها الله تعالى ﴾ فتشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة لوقتها وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الا وهى تخبر به ﴿ قوله او اصل ﴾ عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها والثانى انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه فحينئذ يكون يومئذ اصلا معمولا لتحدث ظرفا له ﴿ قوله اذ يقال حدثته كذا وبكذا ﴾ جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء * واجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدى الفعل الى المبدل منه بنفسه والى المبدل بواسطة الحرف كأنه قيل تحدث ان ربك أوحى لها بان أحدث عليها احوالا دالة على انه لاى شئ زلزالها واخراجها واللام قد تستعمل بمعنى الى كما فى قوله * وشدها بالراسيات الثبت * اوحى لها القرار فاستقرت * ويجوز ان تكون اللام على اصل معناها اى فعلنا ذلك لاجلها فانها تتوسل بذلك الى التشفى من العصاة ﴿ قوله ولعل حسنة الكافر ﴾ جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتدآء واما بسبب اجتنابه الكبائر فامعنى الجزآء بمثاقيل الذر من الخير والشر * وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لايستحق بها ثوابا الا ان ذلك لاينافى ان يرى جزآء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت معفوة بان لايعذب بسببها الا ان ذلك لاينافى ان يرى جزآءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر ﴿ قوله او من الاولى ﴾ وهى التى فى قوله فمن يعمل مختصة بالسعدآء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرأ هشام باسكان هاء يره فى الموضعين وصلا ووقفا وباقى السبعة يقرأ ولهما باشباع ضمة الهاء اى موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغى للمرء ان يتهاون فى الذنب اليسير ويزعم ان المرء لايؤاخذ بمثله كما لاينبغى له ان يجتنب عن اعطاء شئ قليل نحو تمرة وكسرة استقلالا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام * اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ﴿ قوله والذرة النملة الصغيرة او الهباء ﴾ قال الكلبى الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك على الارض اى كفك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة فان مثقال الشئ ميزانه ومثله والله سبحانه وتعالى اعلم * تمت سورة الزلزلة والحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

﴿ سورة العاديات مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى والعاديات ﴾ جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة والياء التى فيها منقلبة عن الواو لكسر ماقبلها لانها من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى تضبح ضبحا

(يومئذ تحدث اخبارها) تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر (بان ربك اوحى لها) اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذلها فى ذلك تشفى من العصاة (يومئذ يصدر الناس) عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا اعمالهم) جزآء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعدآء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿ سورة والعاديات مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها احدى عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى

على تأويل العاديات بالجماعة او تضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدّر في موضع النصب على انه حال من العاديات والثاني انه مصدر مؤكد للعاديات لان الشرط في عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق المعنوي متحقق ههنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر في موضع الحال من المنوى في قوله والعاديات اى ضابحات او ذوات ضبح او على ادّعاء انها في انفسها ضبح للمبالغة كما في رجل عدل وكذا الكلام في انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اى فالتي تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالمقدحة فان الخيل تضرب بحوافرهنّ وسنابكهنّ الحجارة فتخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايرآء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوىّ في الموريات على معنى فالتي تورى النار قادحة او ذات قدح ﴿قوله بغير اهلها﴾ يعني انّ اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التي هي خيل الغزاة اسناد مجازي فان الاغارة في اللغة هي الاسراع على العدوّ للظفر عليهم وهو فعل اصحاب الخيل ﴿قوله اى في وقته﴾ يريد ان صبحا منصوب على انه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدوّ صباحا لانهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيأ وفي النهار يكون الاعدآء متهيئين للوقعة والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة ﴿قوله تعالى فأثرن﴾ معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى والخيل اللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن اصله فأثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفا لتحرّكها في الاصل وانفتاح ماقبلها الآن فصار أثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فبقى أثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج وارتفع وأثرته انا هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال نقع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى في اى فهيجن فيه صياح النوائح وارتفاع اصواتهنّ ويجوز ان يكون ضمير به للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لابدّ لها من مكان والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات اى فأثرن بسبب عدوهنّ نقعا فالباء سببية وما اختاره المصنف اظهر الا انه جوّز ان يكون ضمير وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى في قوله فوسطن * روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى حىّ من كنانة وامّر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فمكث ماشاء الله ان يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا في وقت الصبح جماعة الاعدآء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون في اقوالهم انهم قتلوا جميعا فعلى هذا تكون السورة مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له في القتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس ويكون المقسم به كل خيل عدت في سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة ﴿قوله العادية اثر كمالهنّ﴾ اى الساعية المسارعة في طريق الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية وضبحهنّ ما طرأ عليهنّ اثر بعثهنّ بالسعي في مباشرة اسباب ذلك الارتقاء ﴿قوله اذا ظهر لهنّ﴾ ظرف لقوله المغيرات على الهوى اى الماحيات لرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار القدس ﴿قوله تعالى لربه﴾ متعلق بكنود وقدّم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ماعليه والارض الكنود هى التى لاتنبت شيأ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * الكنود الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده * والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر ﴿قوله لظهور اثره عليه﴾ يعني ليس المراد بشهادة الانسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان آثار الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه ان يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضمير وانه للبارى تعالى لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية وعيدا وزجرا له عن المعصية من حيث انه تعالى يحصى عليه اعماله وعلى الاوّل يكون تأكيدا لكنوده وكفرانه ويؤيد الاوّل رجوع ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد الى

(فالمغيرات) بغير اهلها على العدوّ (صبحا) اى في وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) غبارا او صياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعدآء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهنّ الموريات بافكارهنّ انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهنّ مبدأ انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) لبخيل او لقوىّ مبالغ فيه

الانسان اى وان الانسان من اجل حبه للمال لبخيل ممسك او انه لقوى مطيق لحب المال مبالغ فى ايثار الدنيا وطلبها وهو فى حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدّية لقوله لشديد يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له قوى عليه ﴿قوله جمع محصلا فى الصحف﴾ يعنى ان تحصيل الشئ جعله حاصلا مجموعا فى غيره او جعله متميزا عن غيره فتحصيل ما فى الصدور اما جمعه واثباته فى الصحف او تمييزه عما لم يثبت فى الصدور ﴿قوله وتخصيصه لانه هو الاصل﴾ جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح * واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح وذكر مبدأ الشئ بمنزلة ذكر نفسه ﴿قوله اذا بعثر﴾ لايجوز ان يكون ظرفا ليعلم لان الانسان لايراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك وهو فى الدنيا فلابد ان يؤول النظم بوجه يفيد معنى اى أفلا يعلم الانسان الآن انه تعالى عالم بجميع ماعمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولايجوز ايضا ان يكون ظرفا لبعثر لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة فى بعضها ولا لقوله لخبير لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه مادل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى افلا يعلم الانسان فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم وكسر ان فى قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه فى حيز مفعول يعلم لوجود اللام فى خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله ومن فتح همزة ان قرأ خبير بلا لام ﴿قوله وانما قال ماثم قال بهم الخ﴾ اشارة الى جواب مايقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهى فى الاغلب لاتطلق الا على غير اولى العلم ولاتطلق على اولى العلم الا نادرا كما حكى ابوزيد سبحان ما سخركن لنا سبحان مايسبح الرعد بحمده وفى التنزيل وماملكت ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة فى ذلك * واجاب عنه بان ذلك لاختلاف شأنهم فى الحالين فانهم ماداموا فى القبور اموات وجمادات فعبر عنهم فى تلك الحال بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم عند حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه الصلاة والسلام * ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن * الحديث فانه عليه الصلاة والسلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من الحاقا للرقيق الذى يتعلق به العتق بالبهائم لانه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع فى الاسواق كالبهائم بخلاف المعتق بكسر التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التى هى الانسانية فعبر عنه بمن * تمت سورة العاديات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة القارعة مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من اسماء يوم القيامة سمى بها لأن الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب ذلك الاصطكاك سمى يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة اسند الفعل اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا قال المصنف فى سورة الحاقة فى تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار يعنى انه سمى زمان الحالة القارعة باسم القارعة ﴿قوله تعالى القارعة﴾ مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ الاول تفخيما لشأنها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اى شئ هى ثم زادها تفخيما فقال وما ادراك ما القارعة يعنى انك لاعلم لك بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية احد ولا وهمه وما فى قوله وما ادراك مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان والقارعة خبر الثانى والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان لأدرى ومفعوله الاول الكاف وادراك لايعمل فى مفعوله الثانى وهو قوله ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادرى مع مافى حيزه فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ الاول والفراش جمع فراشة وهو مايتهافت فى النار ليلا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه ﴿قوله فى كثرتهم﴾ لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لان الفراش جمع فراشة ويوم منصوب بما يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون

(أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف اوميز (ما فى الصدور) من خير اوشر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) يوم القيامة (لخبير) عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها عشر﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

الناس كالفراش ولا يجوز ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكور اوّلا لاستلزامه تخلل الفاصل بين العامل الذى هو من صلة لام التعريف وبين معموله باجنبى وهو الخبر هذا على تقدير ان تكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا يعمل ايضا ولا للمذكور ثانيا وثالثا اذ لا وجه لكونه ظرفا لشئ منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر ويوم منصوب به تقدير ستقوم القارعة يوم يكون ﴿قوله كالصوف ذى الالوان﴾ فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها اذا تفرّقت اجزآؤها وانحل تركيبها تصير مشابهة للعهن وهو الصوف الملوّن بألوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدّد الاجزآء ﴿قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته﴾ على ان الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وحظ عند الله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار ما يقابله من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع ان اضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما ان تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التى لا وزن لها ولا قدر او تكون خفيفة مرجوحة بان لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فمسكن المكلف على الاوّل هو الجنة وعلى الثانى هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان واحده لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيما له الا انه لا وجه لان يراد بثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها مطلقا لان ثقل احد الكفتين على الاطلاق مستلزم لخفة الاخرى بالنسبة اليها وغير قسيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لا يكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها فى قوة ان تجعل الموازين جمع موزون وان يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون الموازين جمع ميزان ذكر الامام فى الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو فى عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار او تصوّر صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لا توزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التى بازآئها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته قيل قد ذكر الله تعالى من ترجحت حسناته على سيئاته ومن ترجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف ﴿قوله ذات رضى﴾ بان رضاها صاحبها او مرضية الاوّل على ان البناء للنسب والثانى على ان يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضى ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية ﴿قوله فأواه النار﴾ على ان الهاوية من اسماء النار وان قوله تعالى فأمه هاوية من قبيل التشبيه شبهت النار بالام للعصاة لكونها تهوى بهم وتضمهم الى نفسها كما تضم الام الاولاد اليها وانهم يلتجئون اليها ﴿قوله تعالى ماهيه﴾ جملة اسمية سادّة مسدّ مفعول أدراك علقت هى عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهيه ضمير الهاوية والاصل هى دخلت الهاء عليها للسكت وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ماهى بغير هاء على الاصل ووقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدأ محذوف اى هى نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اى اشتدّ حرّه وتوصيف النار بها فى مقام المبالغة فى بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شئ من الحرارة * تمت سورة القارعة والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده

﴿سورة التكاثر مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله واصله الصرف الى اللهو﴾ اراد الذى يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والاغفال عن المهم اطلق الالهاء الذى هو الصرف الى اللهو على الاغفال عن المهم كقول امرئ القيس

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرّق اجزآئها وتطايرها فى الجوّ (فأما من ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير انواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضى او مرضية (وأما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه هاوية) فأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (وما ادراك ماهيه نار حامية) ذات حمى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مختلف فيها﴾

﴿وآيها ثمان﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم) شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل

(التكاثر) التباهي بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنوا عبد مناف فقال بنواسهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوا سهم وانما حذف الملهى عنه وهو مايعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عماهو اهمّ لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لايكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ماوراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاوّل او الاوّل عند الموت اوفي القبر والثاني عند النشور (كلا لوتعلمون علم اليقين) اى لوتعلمون مابين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره اولفعلتم مالايوصف ولايكتنه فحذف الجواب للتفخيم

فألهيتها عن ذي تمائم محول * فان جعلها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة الى اللهو ﴿قوله التباهي بالكثرة﴾ اى بكثرة الاعداد والعشائر كما يدل عليه سبب النزول فتعريف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر في الامور الدنيوية الفانية فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بمالايعنيهم عن امر الدين والآخرة والعمل لها ﴿قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم﴾ اى انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعني ان قوله تعالى حتى زرتم غاية لقوله ألهاكم وانه عطف عليه اى شغلكم التباهي والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم في ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبر بها عنه تهكما بهم فان التفاخر بالمواضع التي تدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فني وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به وفي هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم عكسوا الامر من حيث ان المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والاعراض عن الدنيا والمباهاة بها فمن توسل بزيارتها الى المباهاة بالدنيا فقد عكس الامر وتردّى في وادي الجهالة والضلالة ﴿قوله فكثرهم بنوا عبدمناف﴾ اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ماذكر في باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكرونه بعد فاعل مسندا الى الغالب فيه نحو كارمني زيد فكرمته اى غالبني في الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما غلب بنوا عبد مناف على بني سهم بالكثرة قال بنوا سهم ان البغي أهلكنا اى ان بغي الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدّوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا ذلك فزاد بنوا سهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اى دفنته في المقبرة واقبرته اى امرت بان يقبر ﴿قوله وانما حذف الملهى عنه﴾ ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهى والمعنى وانما حذف الذي ألهي عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو مايعنيهم من امر الدين فان حذف الشئ قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام فكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ماهو بمنزلته فكأنه قيل ألهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو مايعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة في التعرّض لكل ماحقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع مايناسب المقام مثل ألهاكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى وبرسوله وبجميع ماجاء به من عنده وعن الطاعة التي يقتضيها الايمان ﴿قوله وقيل معناه﴾ اى قيل ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والاعوان ولابزيارة القبور الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا مايعبر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات زار قبره فكأنه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك ولقائل ان يقول انها نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنوا فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عباس ءألهاكم التكاثر ويجوز ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع ﴿قوله كلا ردع﴾ اى عما اشتغلوا به من التكاثر اى ليس الامر كما تتوهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فان من مات وحده وبعث وحده وحوسب وحده لايكون سعيه للدنيا وبالا وحسرة عليه ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ اى لتكرير الردع والانذار المذكورين فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني لما كان اشدّ من الاوّل وابلغ جيئ بينهما بكلمة ثم ﴿قوله او الاوّل عند الموت﴾ في وقت مايبشر به المحتضر من جنة او نار او في القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك ومادينك ومن نبيك والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لايسعد بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة في هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا عاينتم في الاحتمال الاوّل متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسا على حدة لاتكريرا للتأكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى كرّر الردع فقال كلا لوتعلمون وتعلمون في المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون اشار اليه المصنف بان قدّر له مفعولا واحدا وهو قوله خطأ رأيكم وقوله مابين ايديكم ﴿قوله علم الامر اليقين الخ﴾ يعني ان علم منصوب بنزع الخافض وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة في كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لوتعلمون علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما في قوله تعالى وللدار الآخرة خير ومسجد

(الجامع)

الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ماهو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو وحق اليقين الفناء فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لاعلما فقط واتفقوا على ان جواب لو محذوف اى لو تعلمون مابين ايديكم من الامر كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره لاالتفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لاتعلمون ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة فحذف الجواب للتفخيم فان الوهم حينئذ يذهب كل مذهب فيكون التهويل اعظم كأنه قيل لو علمتم علم اليقين لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة ﴿قوله لانه محقق الوقوع﴾ فان قوله لترون الجحيم لو كان جوابا له لوجب ان لايحصل لهم رؤية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى الكلام انتفاءه لانتفاء الاول بناء على ما اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثانى لامتناع الاول وقوله تعالى لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لاترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح ومما يدل على ان قوله تعالى لترون الجحيم لايصح ان يكون جواب لو ان قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لامحالة ولا يخفى ان عطف ماهو كائن لامحالة على مالا يقع ولا يوجد قبيح فى النظم ولما لم يجز كونه جواب لو تعين كونه جواب قسم محذوف اوعدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين ايديهم من الامر فاللام فى لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون أبهم الوعيد اولا ثم فصله بقوله والله لترون الجحيم لما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ اى لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التوكيد للدلالة على ان تلك الرؤية واقعة لامحالة شاؤا اوأبوا ويجوز ان لايكون تكريرا للاولى بل تكون كل واحدة منهما لتأسيس رؤية غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتها من مكان بعيد فان الغاوين يرونها وهم فى الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والرؤية الثانية اذا وردوها وشاهدوا مافيها من الاهوال التى كانت من بعيد كرؤيتها ببعض خواصها واحوالها مثل لهبها ودخانها ولما كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشئ كما هو وجاز ان تكون مغايرة الرؤيتين بان يكون المراد بالاولى رؤية القلب وهى المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لاتحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر فى امر دينه واحوال معاده الا عند الموت وفى القبر وعند البعث قبل ان يبصروها ويشاهدوها ﴿قوله اى الرؤية التى هى نفس اليقين﴾ اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هى عين اليقين وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة ﴿قوله الذى ألهاكم﴾ اشارة الى ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فان ماسبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضى ان يكون النعيم الذى يسأل عنه انه هل ادى شكره بان تقوى به على طاعة المنعم او كفر به بان قصر همه على ان يأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب ولا يلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية فيكون مخصوصا بالنعيم الذى ضيع شكره وانتفع به كما تنتفع الانعام بشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ماروى ان ابابكر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يارسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك فى بيت ابى الهيثم الانصارى من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قد اذيب فى ماء عذب أتكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازى الا الكفور وقال الحسن لايسأل عن النعيم الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضى ان يسأل كل من ألهاه دنياه عن دينه عن شكر ماكان فيه من الخير والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذى ظنه سببا لسعادته هو الذى كان من اعظم اسباب الشقاوة له فى الآخرة ووجه الاستدلال على التخصيص بنحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق انه لايليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم يسأله اذ لا وجه لسؤال التوبيخ من حيث ان العبد اطاع ربه فيما انعم عليه ولا لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لايمن عليه بذلك فكيف يليق بكرمه تعالى ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسأله عن شكر نعمته ﴿قوله وقيل يعمان﴾ اى يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل كل واحد عن كل ما انعم الله تعالى به عليه انه هل شكر او كفر لقوله عليه الصلاة والسلام * اول مايسأل العبد يوم القيامة عن النعيم ان يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد * وقوله عليه الصلاة والسلام

ولا يجوز ان يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد واوضح به ماانذرهم منه بعد ابهامه تفخيما (ثم لترونها) تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

لا تزال قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به * وكل ما وصل منه تعالى الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام وروى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة الى المسجد فى ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضى الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام ما اخرجك يا ابابكر قال الجوع قال والله ما اخرجنى الا الذى اخرجك ثم دخل عمر رضى الله عنه فانطلقوا الى منزل ابى الهيثم الانصارى رضى الله تعالى عنه فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد فانصرف عليه السلام فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع صوتك يارسول الله لكن اردنا ان تزيد من سلامك فنتال به خيرا ثم قالت بابى انت وامى ان اباالهيثم خرج يستقى لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم بقربة من ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فقال عليه الصلاة والسلام أفلا نقيت لنا من رطبه فقال يارسول الله انى اردت ان تجزوا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال عليه الصلاة والسلام هذا والذى نفسى بيده انه من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة اكل شهى ورطب طيب وماء بارد * وقال الامام واعلم ان الاولى ان يقال السؤال يعم المؤمن والكافر ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع واختلفوا فى ان السؤال من النعيم اين يكون والمختار انه يكون فى موقف الحساب * فان قيل كيف يستقيم ان يكون فى موقف الحساب وقد اخبر الله تعالى ان هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث قلنا كلمة ثم فيه ليست للتراخى زمان السؤال عن سؤال مشاهدة الجحيم بل هى للترتيب فى الاخبار كأنه قيل ثم اخبركم انكم لتسألن يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل ان السؤال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسألون عن النعيم توبيخا لهم ليضطروا الى الاعتراف بالتقصير فى شكره فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشتغلتم فى الدنيا بالتنعم عن العمل الذى ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فبقيتم فى عذاب الهون والله اعلم

سورة العصر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة العصر مكية وآيها ثلاث ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها

قوله اقسم بصلاة العصر لفضلها اطلق العصر واراد مايقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال اذن للعصر اى لصلاة العصر وصليت العصر اى صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر * فثبت انها افضل الصلاة لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات يدل على فضلها لانه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام * من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله * اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله * قال الجوهرى الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه قال الخطابى وتر اى نقص وسلب فبقى وترا فردا بلا اهل ومال والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله ويروى بنصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا لوتر واضمر فيه مفعول مالم يسم فاعله عائدا الى الذى فاتته الصلاة ومن رفعه لم يضمر واقام الاهل مقام مالم يسم فاعله لانهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال رفعهما وروى ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث فقالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فولدت ولدا من الزنى فألقيت الولد فى دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك وقت تجارتهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان أداء

(صلاة)

صلاة العصر اشق عليهم و قد ثبت ان افضل الاعمال اشقها و فى الحديث * من حلف بعد العصر كاذبا لايكلمه الله
و لاينظر اليه و لا يزكيه ﴿ قوله او بعصر النبوة ﴾ و هو من زمان بعثته عليه الصلاة و السلام الى انقراض امته
فى آخر الزمان و من ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة و السلام انما مثلكم و مثل من كان قبلكم من
الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من
الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت
اليهود و النصارى و قالوا نحن اكثر عملا و اقل اجرا فقال و هل نقصت من اجركم شيأ قالوا لا فقال هذا فضلى اوتيه
من اشاء فكنتم اقل عملا و اكثر اجرا فهذا الخبر كله دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه الصلاة و السلام
و بامته فلاجرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذى هو كالظرف له و لجريان شرعه و دينه بهذه
المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف ﴿ قوله او بالدهر ﴾ اطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان
و هو الدهر كثير شائع و يجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجائب بحسب اختلاف فصوله
و تعاقب ليله و نهاره و اختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات و من جملة
مافيه من العجائب ان بقية عمر المرء لاقيمة له فانه لو ضيع ألف سنة ثم تاب و اناب اليه ثم توفى فى اللحة الاخيرة من
العمر بقى فى الجنة ابد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللحة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء
و اجل النعم فجاز ان يقسم به لشرفه * نقلست كه بيش شقيق بلخى پيرى آمد و كفت بسيار معصيتها كردم
اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق كفت كه دير آمدى دير آمدى و پير كفت زود آمدم زود آمدم شقيق كفت چكونه
پير كفت هركه پيش از مرك آيد زود آمده باشد شقيق كفت زود آمدى و نيك كفتى * فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان
اللحة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب فيها ﴿ قوله و التعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران ﴾ اى
و للتعريض بنفى ماينسبون اليه من الآفات مثل قولهم و مايهلكنا الا الدهر و وجه التعريض بالنفى المذكور
ان الاقسام بالشئ اعظام له و مايضاف اليه الخسران و يكون من شأنه ذلك لايعظم عادة و لانه لو نسب اليه شئ
الحوادث كما زعم الدهرية لكان شريكا له تعالى و مبغوضا عنده فلا يقسم به و الخسر و الخسران بمعنى واحد
كالكفر و الكفران و معناهما النقصان و ذهاب رأس مال الانسان و هو نفسه و عمره فهو فى جميع سعيه و صرفه عمره
فى اشغاله مهلك نفسه و مضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التى هى رأس ماله بل
اكتسب به سعادة الابد و ربح فى تجارته حيث ظفر بالشرف الباقى بمقابلة الخسيس الفانى ﴿ قوله و التعريف
للجنس ﴾ بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم و الاستغراق ﴿ قوله
و التنكير للتعظيم ﴾ اى لفى خسر عظيم لايعلم كنهه الا الله عز و جل و عظم الذنب اما لعظم من فى حقه الذنب او لانه
فى مقابلة النعم العظيمة و كل واحد من الوجهين حاصل فى ذنب العبد و معصية ربه فلاجرم كان ذلك الذنب
فى غاية العظم ﴿ قوله و هذا من عطف الخاص على العام ﴾ اى عطف التواصى بالامرين على العمل الصالح
مع ان العمل الصالح كما يتناول مايتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا مايتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص
على العام للمبالغة فى بيان فضله و شرفه من حيث ان عطفه عليه يؤذن بكونه امرا مغايرا له غير مندرج تحته
كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام لذلك ﴿ قوله و لعله سبحانه الخ ﴾ جواب عما يقال ما الحكمة فى انه
تعالى ذكر الحكم فى جانب الخسر و لم يذكر السبب و ذكر فى جانب الربح السبب و هو الامور الاربعة الايمان
و العمل الصالح و التواصى بالامرين و لم يذكر الحكم و هو الربح * و اجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن
بيان اسباب سعادة الانسان و مايؤدى به الى مرضاة الرحمن فاقتصر على بيان المقصود و ساق بيانه على وجه علم منه
اسباب الخسران حيث يحمل على ان من لم يباشر هذه الامور الاربعة فهو فى خسران و ايضا تعداد مثالب
القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران * تمت سورة العصر و الحمد لله رب
العالمين

﴿ سورة الهمزة مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى ويل ﴾ هى كلمة تهديد و وعيد و قيل هو اسم واد فى جهنم و اللمز العيب و اصله الاشارة بالعين و غيرها

او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على
الاعاجيب و التعريض بنفى مايضاف اليه
من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان
الانسان لفى خسران فى مساعيهم و صرف
اعمارهم فى مطالبهم و التعريف للجنس
و التنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا و عملوا
الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا
ففازوا بالحياة الابدية و السعادة السرمدية
(و تواصوا بالحق) بالثابت الذى لايصح
انكاره من اعتقاد او عمل (و تواصوا بالصبر)
عن المعاصى او على الحق او مايبلوا الله به
عباده و هذا من عطف الخاص على العام
للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا
على كماله و لعله سبحانه انما ذكر سبب الربح
دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود و اشعارا
بان ماعدا ماعد يؤدى الى خسر و نقص
حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر
كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة العصر غفر الله له و كان ممن تواصى
بالحق و تواصى بالصبر

﴿ سورة الهمزة مكية وآيها تسع ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة)

يقال لمز يلمز بضم العين وكسرها من المضارع وقرئ بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات ورجل لماز ولمزة اى عياب والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العياب والهمز مثل اللمز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه فى صدره ولهز الفصيل امه اذا ضربها برأسه عند الرضاع والهمز كالهزم الكسر يقال تهزم السقاء اذا يبس وتكسر وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا كذا فى الصحاح وللمفسرين الفاظ فى تفسير اللفظين قال ابن عباس رضى الله عنهما الهمزة المغتاب واللمز العياب وقيل الهمز الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل الهمز مايكون جهرا واللمز مايكون سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضى الله عنهما من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى بالويل فقال هم المشاؤون بالغيبة والنميمة المفرقون بين الاحبة الناعتون للناس بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد هو الطعن واظهار العيب فاذكره المصنف خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة فى الوصف كالتى فى علامة وراوية ولذلك يقال رجل همزة لمزة كما يقال امرأة همزة لمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل اى للمكثر المتعود لمأخذ الاشتقاق وان اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه ويقال ضحكة بالسكون اذا كان الناس يضحكون منه بان يكون مسخرة لهم فمفتوح العين هو الذى يفعل بغيره وساكن العين هو الذى يفعل به غيره ﴿قوله بدل من كل﴾ اى ويل للذى جمع او منصوب باضمار اعنى او مرفوع بتقدير هو الذى جمع وعلى التقادير هو وصف معنوى لكل من وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه لما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لايصح توصيفها بالموصولات ﴿قوله وجعله عدة﴾ وهو الذخيرة المعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال اعددت الشئ لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة ﴿قوله اوعده مرة بعد اخرى﴾ على ان يكون عدد من العدد بمعنى الاحصاء الا انه نقل الى بناء فعل لتكثير الفعل كما فى جمع على قرآءة التشديد فانه يدل على كثرة الجمع وتكرره بأن جمع من ههنا وههنا فى ازمنة متعددة متطاولة ويؤيد كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد بمعنى الاحصاء قرآءة من قرأ وعدده بالتخفيف باضافة لفظ العدد الى ضمير المال ونصبه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذى جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل قوله وعدده بفك الادغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقديرين تؤيد هذه القرآءة كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد لامن العدة ﴿قوله تركه خالدا فى الدنيا﴾ يعنى ان قوله تعالى اخلده ليس بمعنى يخلده كما قيل انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى معصية والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بل لفظ اخلده هنا على اصل معناه ويحسب يحتمل ان يكون حالا من المنوى فى جمع وان يكون مستأنفا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده كأنه قيل ماباله يجمع المال ويهتم به ويترك سبب الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه زعمه ان بقاء الحياة والسلامة من الامراض والآفات يدور على مراعاة الاسباب الظاهرة والتشبث بها يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده فى الدنيا وانه الذى تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب مسببه الذى هو الخلود فى الدنيا فالحسبان على هذا حقيقة ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى ايحسب ان ماله اخلده من قبيل الاستعارة التمثيلية بان لايكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال مخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فقال او حب المال اغفله الخ وتلك الحالة الشبيهة اما الغفلة عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة او طول الامل المسببان عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فان كل واحدة من تينك الحالين شبيهة بحال من يحسب ان المال مخلده فيعمل عمل من لايظن الموت ﴿قوله وفيه تعريض﴾ اى وفى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان المخلد فى النعيم المقيم هو السعى للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ماسعى واذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديا الى الويل والهلاك تعين ان المخلد فى الحياة الابدية والنعيم المقيم هو السعى للآخرة ﴿قوله التى من شأنها ان تحطم كل مايطرح فيها﴾ اى تكسره وتأكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفى الحديث «شر الرعاء الحطمة» وهو الذى من عادته من ان يضرب

الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس ابن شريف فانه كان مغتابا اوفى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا) بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل اوعده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب ان ماله اخلده) تركه خالدا فى الدنيا فأحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لايظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة (كلا) ردع له على حسبانه (لينبذن) اى ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها ان تحطم كل مايطرح فيها (وما ادراك ما الحطمة) ما النار التى لها هذه الخاصية

ويكسر وقد مرّ ان صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزى الهمزة اللمزة بان يلقى فى الحطمة جزآء وفاقا فكما ان من شان المطروح وعادته الطعن فى الاعراض فكذا من شأن المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل مايطرح فيه ﴿قوله وما اوقده لايمكن غيره ان يطفئه﴾ يعنى ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها تتقد ابدا وليست كسائر النار تتقد تارة وتخمد اخرى ﴿قوله من اوصدت الباب﴾ قد مرّ فى سورة البلد ان آصدتها واوصدتها لغتان بمعنى اطبقتها واغلقتها وان الاوّل افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثانى افعل من معتل الفاء مثل اوعد يوعد وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لافرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب ﴿قوله تحنّ﴾ اى تشتاق والاجبال جمع جبل وموصدة اى مطبقة مغلقة ﴿قوله اى موثقين فى اعمدة﴾ يعنى ان قوله تعالى فى عمد فى محل النصب على انه حال من الضمير المجرور فى عليهم اى ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين فى اعمدة والعمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع عمود كرسول ورسل ويجوز ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب وجمع القلة اعمدة والمقاطر جمع مقطرة وهى خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين يقال لها بالفارسية * كنده * وبالتركى * طمرق ﴿قوله يقطر فيها اللصوص﴾ اى يجعلون فيها قطارا كقطار الابل * تمت سورة الهمزة والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الفيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد عليه الصلاة والسلام بعد يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على ان عام الفيل هو العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وهو عليه الصلاة والسلام وان لم يشهد تلك الواقعة﴾ جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل فى الرؤية ان تكون بصرية وان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى قد رأيت وشاهدت مع انه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده * وتقرير جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهى العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا فى القوّة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا انه علم ضرورى لان طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لاسيما وقد تأيدت تلك الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى من الحجارة التى اهلك الله بها اصحاب الفيل عند ام هانئ نحو قفيز منها وهى مخططة بحمرة كالجزع الظفارى وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة الاشرم حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لايسمع لهم ركز فانحطا من الجبل فدخلا العسكر واذاهم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة التى شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضرورى بما يؤدّى الى العيان فكأنه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة المؤيدة بمشاهدة الآثار علما يوازى العيان فى الايقان ﴿قوله لان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة الخ﴾ يعنى ان الاشياء لها ذوات ولها هيئات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية والمقصود فى هذا المقام ليس نفس تذكير ما فعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار نفسه لايدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله وانما يدل عليه باعتبار مافيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير مايدل على الكيفيات على مايدل على نفس الذوات ﴿قوله فانها من الارهاصات﴾ بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه عليه الصلاة والسلام والارهاصات هى الخارقة للعادة الجارية على يدنبىّ قبل بعثته وقبل التحدى مأخوذ من الرهص بكسر الرآء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوّة وتقدمه عليها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودعوى النبوّة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من الرجس والاوثان ويدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناء خليل الرحمن بناه لتأتى اليه الناس افواجا من كل فج عميق طائفين

(نار الله) تفسيرلها (الموقدة) التى اوقدها الله وما اوقده لايقدر غيره ان يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البطن واشدّه تألما اولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا أطبقته قال

تحنّ الى اجبال مكة ناقتى * ومن دونها ابواب صنعاء موصده *

وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممدّدة) اى موثقين فى أعمدة ممدودة مثل المقاطر التى يقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائى بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ولذا قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام

وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر منه بامر رب العالمين ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك عتيقا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه فكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وقتلهم وخرب ما فيها من البيت لاختل ما قدره الله تعالى من الامور المتعلقة بها * والشرم الشق يقال شرمه اى شقه وسمى ابرهة بن الصباح اشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة وسببه ان اباه ضربه بحربة فهشم انفه وجبينه او سببه ان ارياطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله * واصحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة قد لبث فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياطا واجتمعت الحبشة من اعوان ارياط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أوان الموسم الى مكة لحج البيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم ير الملك مثلها وسماها القليس واراد أن يصرف اليها حج العرب ووجوههم فسمع بها رجل من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها الى ان قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت الذي يعظمونه فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل أججت اى اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه وبين مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ اى هيأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى سائر الجهات هرول اى اسرع في المشي ثم ان ابرهة كان قد اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في حق تلك المائتين من العير فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود اخذتك فقال انا رب الابل وللبيت رب يمنعه وامر قريشا ان يتفرقوا في الجبال والشعاب تخوفا عليهم من مضرة الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا ❁ يارب فامنع عنهمو حماكا

ان عدو البيت قد عاداكا ❁ فامنعهمو ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هي بحرية ولا بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق وسهل ودوى ابرهة اى اصابه داء ومرض فتساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه اى انشق صدره وخرج قلبه منه وانفلت وزيره ابو مكتوم وطائر يحلق خلفه فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ارى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك قومه عيانا كما سمع اخبارا ﴿قوله وقرئ ألم ترْ﴾ اى بسكون الراء جدا في اظهار اثر الجازم فان سقوط الالف يكفي في ظهور اثره واسكان الراء بعد سقوط الالف جدا في اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام من احوجته الضرورة الى العدول عن العبارة الفصيحة ولا يليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لأن كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فانهم كادوا للبيت اولا ببناء القليس وارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم * فان قيل انما سماه كيدا وهو كان لا يخفى ما اراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح بانه انما يريد هدم البيت وتخريبه * فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما ممن قعد في كنيسته الا ان الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته

(وبلدته)

وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فأرسل الله طيرا كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم ترْ جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) في تعطيل الكعبة وتخريبها (في تضليل) في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها

و بلدته فكان هدمه كيدا فى حق العرب ﴿قوله تعالى و ارسل﴾ عطف على قوله ألم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك و ارسل و ابابيل صفة الطير اى جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لا واحد له يقال جاء ابلك ابابيل اى فرقا و ترميهم صفة اخرى لطير او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة و الطير اسم جنس اطلق ههنا على آحاد الجنس و جماعته فمن قرأ ترميهم بالتاء نظر الى كونه بمعنى الجماعة و من قرأ بالياء نظر الى انه اسم جمع مذكر و انما يؤنث لكونه فى تأويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضميره تعالى اى يرميهم الله ﴿قوله معرب سنك كل﴾ ذكر فى بيان اخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة و هما سج وجيل فالسج الحجر والجيل الطين اى ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين و الثانى انه من السجل و هو الدلو الكبير الذى فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب و قوله تعالى حجارة من سجيل اى حجارة كائنة مما صبه الله تعالى من خزائن قهره و الثالث انه من الاسجال اى الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا جمل سجل اى مطلق مرسل و المعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم و العذاب يوصف بالارسال كما فى قوله تعالى و ارسل عليهم طيرا ابابيل و قوله تعالى و ارسلنا عليهم الطوفان و الرابع انه مأخوذ من السجل الذى هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل وجعل علما للديوان الذى كتب فيه اعمالهم فكأنه قيل بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب فى الكتاب المسمى سجيل ﴿قوله كورق زرع﴾ كما نقل عن الفراء انه قال العصف بقل الزرع وكونه مأكولا عبارة عن ان يقع فيه اكال فيفنيه و يخرجه عن ان ينتفع به شبه به اصحاب الفيل من حيث انهم فنوا و ضاعوا او من حيث ان الحجارة التى ارسلت عليهم خرقتهم و احدثت فيهم منافذ و شقوقا كالزرع الذى اكله الدود او عبارة عن ان يؤكل حبه و يبقى تبنه فالمعنى جعلهم كعصف مأكول الحب كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم و بقاء اجسادهم ﴿قوله او كتبن﴾ عطف على قوله كورق زرع اى و يجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصف به الريح عند التذرية و تفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اى تذهب بالقوم و تهلكهم و ناقة عصوف اى سريعة السير تعصف براكبها فتمضى به و يكون المراد بالتبن المأكول حينئذ التبن الذى اكله الدواب ثم ألقته روثا فييس وتفرقت اجزاؤه شبه به القوم فى تقطع اوصالهم و تفرق اجزائهم و فيه مبالغة حسنة و هو انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق اطلاق الملزوم و ارادة اللازم رعاية للادب و استهجانا لذكر الروث كما عبر بقوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم اكل الطعام من التبول و التغوط لذلك * روى انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش فى اعين الناس و قالوا هم اهل الله تعالى قاتل عنهم و كفاهم مؤونة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم * تمت سورة الفيل و الحمد لله على كل حال

﴿سورة قريش مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قريش قبيلة و ابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر و كل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة و من فوقه و ربما قالوا قريشى و القرش دابة تكون فى البحر من اعظم دوابه لا تمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته و يطلق القرش ايضا على الكسب و على الجمع يقال فلان يقرش لعياله اى يكسب فهو قارش و قرشهم اى جمعهم و تقرش القوم اى اجتمعوا و اختلفوا فى سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشا فقيل سموا بتصغير القرش الذى هو دابة عظيمة تكون فى البحر * روى ان معاوية سأل ابن عباس رضى الله عنه لم سميت قريش قريشا فقال سموا باسم دابة فى البحر تأكل و لا تؤكل و تعلو و لا يعلى عليها اى تشبيههم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر

* وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا *
* تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذى الجناحين ريشا *
* هكذا فى البلاد حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا *

(وارسل عليهم طيرا ابابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكله الدواب وراثته * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف و المسخ

﴿سورة قريش مكية وآيها اربع﴾

* ولهم آخر الزمان نبيّ * يكثر القتل فيهمو والخموشا *

فتصغير قريش للتعظيم كما فى قول الحباب بن المنذر * انا جذيلها المحكك * وعذيقها المرجب * يصف نفسه بالحذاقة فى الامور بحيث يرجع اليه فى معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب فى المعاطن لتحتك به الابل الجرباء والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تتكسر اغصانها وربما يبنى لها جدار تعتمد عليه لضعفها وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث فى تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصيّ بن كلاب فى الحرم حتى اتخذوه مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اى لتجمعهم فى الحرم وسمى قصيّ مجمعا شعر * ابوكم قصيّ كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر *

وقرأ ابن عامر لئلاف قريش بغير ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء فى الثانى وهو ايلافهم واختلاف القرآء فى سقوط الياء وثبوتها فى الاصل مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على انهم انما يتبعون الاثر والرواية لامجرّد الخط والرسم اما قرآءة ابن عامر ففيها وجهان الاوّل انه مصدر الف الثلاثى يقال ألفته الافا نحو كتبته كتابا ويقال الفت الشئ الافا وألفا وقد جمع الشاعر بينهما فى قوله

* زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف *

والثانى انه مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا فمعنى الاف قريش الفة قريش رحلة الشتاء واما على قرآءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعى ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة قالوا ألفت الشئ وآلفته ألفا وايلافا بمعنى واحد اى لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لالاف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم اياهما وثباتهم عليهما بحيث اذا فرغوا من احداهما اخذوا فى الاخرى وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان تكون اللام فى قوله تعالى لايلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فعل ربك باصحاب الفيل مافعل من تضليل كيدهم وتضييعه وارسال الطير الابابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش بالرحلتين وبقائهم عليهما فانه لوتم للحبشة ماعزموا عليه من هدم الكعبة وتخريبها لما امكن لهم ان يثبتوا على ماالفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع ولاضرع فليس لهم طريق معاش سوى التجارة وانها انما تتأتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحى كانوا يعظمونهم ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك آمنين فى اسفارهم لايتخطفون ولا يتعرّض لهم فى نفوسهم ولا فى اموالهم فلولم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل مافعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن اهل مكة هذا العزّ والشرف وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب بسلب اموالهم وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل ازداد رفع قدر اهل مكة وهيبتهم فى القلوب فاستمرّوا وداموا على ماألفوا به من رحلتهم فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة آلف انما زيدت لتعدية الفعل منه الى المفعولين والاصل ألفت الشئ وآلفته غيرى بمعنى لزمته والزمته غيرى كأنه تعالى قال فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنؤلف قريشا رحلتيها ولنبقيهم على ماألفوا به * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان السبب فى الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وجنوا على انفسهم جناية حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك مناخلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارّة وبلاد الشام رطبة باردة ليتجروا فيما بدالهم من التجارات فما ربح الغنى منهم قسمه بينه وبين فقرآئهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو أب اكثر مالا ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم

* الحافظون فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى *

﴿ قوله تعالى ايلافهم ﴾ بدل من الاوّل وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر كما نصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبنى للفعول مضافا الى مفعوله الاوّل واطلق عن مفعوله الثانى حيث لم يقيد بتعلقه به ثم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت

جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيراً لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد ﴿قوله والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط﴾ جواب عما يقال كون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا يستلزم ان يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له* وتقرير الجواب ان قوله فليعبدوا مع ما فى حيزه جواب شرط محذوف غاية ما فى الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال وبالضم الجهة التى يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال ﴿قوله فيمتارون﴾ اى يحملون الميرة وهى الطعام ﴿قوله او بمحذوف﴾ اى ويجوز ان لا تكون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا بأن تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا* قال الامام محيى السنة فى تفسيره حاكيا عن الكسائى والاخفش اللام فى قوله تعالى لايلاف هى لام التعجب كأنه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اى اعجبوا لزيد والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم فى اسفارهم الى مواضع تجاراتهم من ان يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر اى لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا ﴿قوله كالتضمين فى الشعر﴾ وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذى قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المعمول يتوقف فى تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به* فان قيل تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما فى احدى السورتين بما فى الاخرى فكيف جاز ان تتعلق هذه اللام بما فى السورة المتقدمة* قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة احتجاجا بما روى ان ابى بن كعب جعلهما سورة واحدة فى مصحفه وبما روى ان عمر رضى الله عنه قرأ فى الركعة الاولى من صلاة المغرب بسورة والتين وفى الثانية ألم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن الرحيم واما على ما ذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافى استقلالها عن الاولى لان القرآن كله كالسورة الواحدة او كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضى الله عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما ﴿قوله وقرئ ليألف قريش الفهم﴾ على لفظ امر الغائب باللام ﴿قوله بالرحلتين﴾ اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التى حملهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التى اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهى قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على بابها اى اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اى اطعمهم بعد الجوع الذى اصابهم من سيبويه قال الفرق بين عن ومن ان عن تقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضى المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم من بدء خوفهم قبل اللحاق

﴿سورة الماعون مكية وقيل مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله استفهام معناه التعجب﴾ يعنى انه وان كان فى صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة فى التعجب يقال ارأيت فلانا ماذا قال ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان تكون من رؤية البصر وان تكون بمعنى عرفت كأنه قيل أبصرت المكذب او أعرفته وان تكون بمعنى العلم فتكون بمعنى اخبرنى فتتعدى الى اثنين الاول الموصول والثانى محذوف قدره

والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرئ لالف قريش الفهم وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع) بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * قال عليه السلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿سورة الماعون مختلف فيها﴾

﴿وآيها سبع﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) استفهام معناه التعجب

الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت ياعاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائل ووضوح براهينه أيفعل ذلك لالغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض اولاجل الدنيا فكيف يجترئ العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية ﴿**قوله** سهل امرها﴾ اى امر هذه القرآءة يعني ان وقوع حرف الاستفهام في اوّل الكلمة جعل امر حذف الهمزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فانّ ريت في رأيت لم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان في الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة اوّل الكلام اوجب ثقل ووقوع همزة اخرى بعدها فسهل امر حذفها لذلك ايضا وحذفها في الآية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو قوله

❁ صاح هل ريت اوسمعت براع ❁ ردّ في الضرع ماقرى في العلاب ❁

لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة فلولم تحذف همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية وقوله صاح اصله ياصاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ماقرى اى ماجمع يقال قريت الماء في الحوض اى جمعت والعلبة مايحلب فيه من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب ﴿**قوله** بزيادة الكاف﴾ الضمير المرفوع في ارأيتك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على احوال المخاطب تقول ارأيتك زيدا وارأيتكما زيدا وارأيتكم زيدا بمعنى اخبرزيدا واخبرا واخبروا ﴿**قوله** بالجزآء او الاسلام﴾ فان الدين يستعمل بمعنى الجزآء كما في قوله تعالى مالك يوم الدين وبمعنى الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وتكذيب الاسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوّة والمعاد يكون ايضا بانكار شئ من الشرآئع ﴿**قوله** والذي يحتمل الجنس﴾ اى جنس من كان مكذبا بالدين اىّ شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت في ابي سفيان كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقيل نزلت في العاص بن وآئل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزآء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطفاء نائرة الجوع عن المحتاجين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في ابي جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبيّ فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبيّ صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ماكان يردّ محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابوجهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فيّ والدع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا ﴿**قوله** ولايحض اهله وغيرهم﴾ يعني ان مفعول يحض محذوف والمعنى انه لايحض نفسه ولايأمر به غيره ولابدّ ايضا من تقدير المضاف الى طعام اى لايحث غيره على اطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لو اعتقد بالبعث والجزآء لسارع الى مايؤدّي الى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه ودلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع عن المسكين الاما هو حقه وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك قضاء حوآئجهم الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن في نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزآء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزآء فلذلك رتب قوله فذلك الذي يدع اليتيم على قوله يكذب بالدين بالفاء السببية للايذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطرّين سببه التكذيب بالجزآء وجعل الزمخشري قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير ان لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذي يكذب بالجزآء وهو الذي يدع اليتيم ﴿**قوله** يرون الناس اعمالهم﴾ بيان معنى المفاعلة في قوله يرآؤن فانه مفاعلة من الارآءة فالمرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب فان قيل ماالفرق بين ان يقال عن صلاتهم وبين ان يقال في صلاتهم وما الحكمة في اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما تقال اذا كان الانسان شارعا في الصلاة خالصا لوجه الله تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرّع والابتهال ولكنه يعبر به عن السهو والغفلة في اتيانها بوسوسة الشيطان او بحديث النفس وذلك لايخلو

(عنه)

وقرئ أريت بلاهمزة الحاقا بالمضارع ولعل تصدّره بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف (الذي يكذب بالدين) بالجزآء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله (فذلك الذي يدع اليتيم) يدفع دفعا عنيفا وهو ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابوسفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اى يترك (ولايحض) اهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزآء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غيرمبالين بها (الذين هم يرآؤن) يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) الزكاة اوما يتعاور في العادة

عنه البشر ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن اداء الصلاة على ماهى فيؤدى ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها برعاية شروطها واركانها واوقاتها وسننها وآدابها فيقوم ويقعد ولايدرى مايفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو فى الصلاة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضى الله عنه قال الحمد لله على انه لم يقل فى صلاتهم لان السهو فيها قد يعترى بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لايكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره **﴿قوله او للسببية﴾** اى للدلالة على ان ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل والظاهر على هذا ان يقال فويل لهم الا انه وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان المراد من الماعون فى الآية الزكاة ويؤيده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * من قرأ سورة الماعون غفر له ان كان للزكاة مؤديا * فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالماعون اسم لما لايمنع فى العادة ويسأله الغنى والفقير وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانها ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها فى غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخباثة ومن اوصاف المنافقين قال الله تعالى فى حقهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتدا ثم قالت العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل فى منزله مايحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولايقتصر على اتخاذ مايهمه فقط

﴿سورة الكوثر مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى انا﴾ اصله اننا فحذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال * والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمى كل شئ كثير العدد او كثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة فى الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو الخير الكثير **﴿قوله وقيل﴾** يعنى ان المفسرين ذكروا فى تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه الصلاة والسلام ويدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا على من قال فى حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابنه القاسم وعبدالله بمكة وهما ابناه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضى الله عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعده الله تعالى فى اول السورة ان يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلئ منهم والحمد لله ثم قال فى آخر السورة ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيامة ولاشك ان له من الاتباع مالايحصيهم الا الله عز وجل وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرائيل وانهم يدعون عباد الله الى اتباع ماشرع لهم من اتيان مايسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام روى ان اتباع علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء ويتبعهم اممهم فربما يجيئ الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله عليه وسلم فربما يزيد عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى ألف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر فى الطبقات الحنفية انه روى عن ابى حنيفة رحمه الله ان نقلة مذهبه من الشيوخ واكابر العلماء نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عمن اقتدى به واهتدى باتباعه وقس عليه سائر الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن وفضائله لاتحصى ولعل المصنف انما لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذى هو الخير الكثير يتناول جميع ماانعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى فيجب ابقاؤه على مايعم خيرى الدنيا والآخرة لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله ومانعم به عليه من الخير الكثير امره بشكره تلك النعمة العظيمة فقال

والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا اعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن

فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اى اذا تقرّر عندك ما فضلت به من الكوثر قدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة ﴿قوله خلاف الساهى عنها المرآئى فيها﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فصل مقابل لقوله فى السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل لقوله فيها الذين هم يرآؤن ﴿قوله شكرا لانعامه﴾ اى لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكأنه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وهى ثلاثة الاوّل الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك النعم منه تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثانى الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثنى عليه بما هو اهله والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له بالطرق التى بينها الشارع والصلاة جامعة لهذه الاقسام كلها ﴿قوله خلافا لمن يدعهم﴾ يعنى ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذى يدع اليتيم ويمنعون الماعون فان ذبح البدن التى هى خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم ﴿قوله ان من ابغضك﴾ يعنى ان الشانئ بمعنى المبغض الذى هو ضدّ المحب يقال شنأته شنأ وشنأنا بفتح النون وسكونها اى ابغضته فالمعنى ان من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك لمخالفتك له هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكون الشانئ هو الابتر فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتراى مقطوع العقب روى ان عاص بن وآئل كان يمرّ بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقول انى لاشنؤك وانك الابتر من الرجال فنزلت * تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الكافرين مكية ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرّئتان من النفاق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله يعنى كفرة مخصوصين﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وآئل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن واياك فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك واخذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا من الذى بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك فالالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاىّ الا ان ما فيه من التعريف للاشارة الى المعهود بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لا يجوز ان يكون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلمنا بهذه القرينة ان الخطاب لكفرة المخصوصين الذين سبق فى علمه تعالى انهم سيموتون او سيقتلون على كفرهم ﴿قوله فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال﴾ لا انها لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فان لا قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقد تدخل على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه انها اذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال فمعنى القرينة الاولى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم لما ذكره من ان المضارع المصدّر بكلمة لا يكون للاستقبال ومعنى القرينة الثانية ولا انتم عابدون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه فى مقابلة لا اعبد ثم انهم اختلفوا فى ان القرينة الثالثة هل هى تأكيد للاولى اولا وكذا الرابعة هل هى تأكيد للثانية اولا واختار المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخريين لافادة معنى على حدة بان جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال والماضى فكان المعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه من عبادة الاصنام ولست فى الحال او فى الماضى بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها فى مقابلة الاولى وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفى وشموله

(فصل لربك) قدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرآئى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدّق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من ابغضك لبغضه لك (هو الابتر) الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذرّيتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

﴿سورة الكافرين مكية وآيها ست﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل فان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى فى الحال او فيما سلف (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده

لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ اى ويجوز ان تكون القرينة الثالثة تأكيدا للاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تأكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تأكيدا الثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فتكون ابلغ منها والفائدة على تقدير ان تحمل القرينتان على التأكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم يموتون على الكفر ولا يسلمون ابدا ويرد على تجويزه ان يكون قوله تعالى ولا انا عابد محمولا على الماضي كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابدا اسم فاعل وهو لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال فكيف يصح ان يعمل في قوله ما عبدتم وهو بمعنى الماضي الا ان يقال اعماله مبني على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما وهو لا ينافي كون مدلوله واقعا في الماضي في نفس الامر ﴿ قوله وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى ﴾ اى قبل البعثة لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة امتثالا لامر الله تعالى وقصدا لتعظيمه وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلال ذاته ومن مناسك الحج وافعاله على حسب ما تواتر من مشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان عبادة بمعنى المعرفة والايقان بالحق الا انه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لانه يجب كونها مسبوقة بامر الشارع ومأمورا بها من قبله ولا امر قبل البعثة ولان الشرائع السابقة على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشريعة عيسى واما شريعة عيسى فقد صارت منقطعة بسبب ان الناقلين عنه هم النصارى وهم كفار قبل بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم بسبب قولهم بالتثليث والذين بقوا على التوحيد قلوا غاية القلة وتفرقوا في البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام فما وقع بعد انقطاعها لا يكون على طريق الامتثال للشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالى فلذلك لم يكن نظم الآية ولا انتم عابدون ما عبدت وان كان هو المطابق لقوله ما عبدتم ﴿ قوله وانما قال ما دون من ﴾ جواب عما يقال المراد بقوله ما اعبد في القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبر عنه بكلمة ما والاصل فيها ان لا تطلق على اولى العلم اذا اريد بهم نفس ذواتهم واما اذا اريد ان يعبر عنهم بما يدل على غاية التعظيم والتحقير فحينئذ يعبر عنهم بكلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل في ذي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشان الذي سخر امثالكن لنا فكذا معنى الآية ولا انتم عابدون الاله العظيم الشأن الذي لا يستحق العبادة غيره ولما حمل ما في ما اعبد على المعبود بالحق حمل قوله تعالى ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود الحق ايضا بها للمقابلة والمشاكلة فان رعاية المقابلة تحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل ما مصدرية وحصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كانت ما موصولة وليست كذلك بل هي مصدرية والمعنى لا اعبد عبادتكم اى مثل عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام في اخواتها ﴿ قوله وقيل الاوليان بمعنى الذي ﴾ فالمعنى لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم تعبدون الله الذي اعبده والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك والتقليد ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والبرهان والظاهر ان مقصود القائل بحمل هذا القرآن الاربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب اذ لا تعرض لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذا المقام ايضا ﴿ قوله فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ﴾ جواب عما يقال كيف امر عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم لكم دينكم وهو اذن لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاة والسلام للمنع عن الكفر وايضا انه عليه الصلاة والسلام لما امر بان يأذن لهم في الكفر والثبات عليه لزم ان يكون ممنوعا عن الجهاد وهو عليه الصلاة والسلام مأمور به * وتقرير الجواب ان قوله تعالى لكم دينكم لما كان معناه انكم لا تتركونه ابدا فلا يفارق ذلك عنكم كان ذلك فذلكة لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وبيانا لمحصل معناه فليس فيه اذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالاصرار على الكفر والضلال ولا منع عن

ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والآخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي انتم عليه لا تتركونه (ولي دين) الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه

الجهاد ايضا وقيل هذه السورة نزلت قبل الامر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع الى كل واحدمنا من عمل صاحبه اثر البتة فالامر ظاهر وكذا ان فسر بالجزآء وقد يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما فى قوله تعالى ادعوا الله مخلصين له الدين وان فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله لكم دينكم ان دعاءكم لايسمع ولايقبل وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى عن طريق قبول الله تعالى اياه ولاتقبله الاصنام ايضا لقوله تعالى وان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم وانما يقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واتبع سبيله كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا ادعونى استجب لكم ﴿قوله والعبادة﴾ لعله تصحيف من الناسخين والعبارة الفصيحة العادة فان الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشان والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم من الشياطين ولى عادتى المأخوذة من الملائكة ومن الوحى ثم يجزى كل واحدمنى ومنكم على حسب عادته فالق الملائكة والجنة وتلقون الشياطين والنار اذلا وجه لاطلاق لفظ العبادة على اعمال المشركين الا ان يقال اطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها فى صحبة قوله ولى دين والمشاكلة من صنائع اهل البلاغة والله اعلم * تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين

﴿سورة النصر مكية وقيل مدنية فانه روى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اظهاره اياك﴾ يعنى ان نصر الله مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف للعلم به اى نصر الله اياك وان المراد بنصره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام اظهاره وجعله غالبا على اعدآئه من قريش وسائر العرب يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه وكذا الفتح فانه مصدر ايضا وما فيه من حرف التعريف عوض عن الاضافة ومفعوله محذوف وهو مكة فان فتحها هو الذى يقال له فتح الفتوح والتقدير وفتح مكة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالى فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فيه اى اذا جاءك النصر والفتح وكثرت الاتباع والامم فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار وقيل اذا منصوب بجاء وقيل جوابه محذوف والتقدير اذا جاءت هذه الاشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك وقيل حضر اجلك وعطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لان النصر الالهى سبب للفتح وتقييد النصر بالاضافة اليه تعالى مع ان النصر لايكون الا من الله تعالى كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله لتعظيم المضاف اى اذا جاءك نصر لايليق الا بالله ولا يفعله الا هو فسبح وقيل المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس امرا مخصوصا هو اياك ومكة بل الآية من قبيل ماحذف فيه المفعول للتعميم والمعنى اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه ﴿قوله وانما عبر عن الحصول بالمجيئ﴾ جواب عما يقال من ان المجيئ من خواص مايصح عليه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر فكيف اسند المجيئ اليهما والظاهر ان يقال اذا وقع او حصل نصر الله عز وجل * وتقرير الجواب انه عبر عن حصولهما بالمجيئ تشبيها لهما بما يصح الانتقال فى حقه من حيث ان الحوادث قدر وجودها فى الازل فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة وأوقاتا مقدرة لايحدث شيئ منها الا اذا تحققت اسبابه وحضرت اوقاته فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاسباب والاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيأ فشيأ وشبه وقوعها عند حضور أوقاتها بمجيئها اليها فأطلق اسم المجيئ على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكانت استعارة تبعية وكلمة اذا ظرف لما يستقبل فالآية بظاهرها تدل على ان هذه السورة نزلت قبل ان نصره الله تعالى نصرا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس فى دين الله افواجا ولهذا قيل انها مكية وعده الله تعالى وهو فيها انه سيهاجر منها ثم انه تعالى يفتحها له ويدخل الناس فى دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدآئه وقيل كلمة اذا هنا لمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما التسبيح والاستغفار وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى وقال مقاتل انه عليه السلام عاش بعد نزولها حولا * واعلم ان صفات الحق تعالى منحصرة فى قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح

(اشارة)

وقد فسر الدين بالحساب والجزآء والدعاء والعبادة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿سورة النصر مدنية وآيها ثلاث﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على اعدآئك (والفتح) فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهى صفات الجلال و التحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهى صفات الاكرام و لما امره الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية و الثبوتية امره بعده بالاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق وفيه ايضا طلب لما هو الاصلح و الاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا و هذا الطريق اعنى النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين فى مسيرهم منهم من يقول ما رأيت شيأ الا و رأيت الله بعده و منهم من يقول ما رأيت شيأ الا و رأيت الله قبله و لا شك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل و لكون هذه الطريقة اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق و هو النفس فذكر فى حق الاشتغال بالخالق امرين التسبيح و التحميد و فى حق الاشتغال بالنفس الاستغفار و هو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق و الى الخلق ﴿قوله تعالى يدخلون﴾ فى موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة و ان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا لها و افواجا حال من الضمير فى يدخلون و الفوج الجماعة الكثيرة روى انه عليه الصلاة و السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذا ظفر بأهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل و من كان من اراد هم بسوء ثم اخذوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال و قصة فتح مكة انه لما وقع صلح الحديبية و انصرف عليه الصلاة و السلام اغار بعض من كان فى عهد قريش على خزاعة وكانوا فى عهده عليه الصلاة و السلام فجاء سفير ذلك القوم و اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه الصلاة و السلام ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرنى ان النصر يجيئ من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان اباسفيان يجيئ و يلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة الا جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم و لا احد من اكابر الصحابة رضى الله عنهم و رجع الى مكة آيسا فتجهز عليه الصلاة و السلام للمسير الى مكة فخرج اليها و فتحها و وقف على باب المسجد و قال * لا اله الا الله وحده صدق وعده و نصر عبده و هزم الاحزاب وحده * ثم قال يا اهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام و السمع و الطاعة ثم صار الناس يدخلون فى دين الاسلام فوجا بعد فوج ﴿قوله جماعات كثيفة﴾ اى كثيرة ﴿قوله فتعجب﴾ اى قل سبحان الله و الحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه عليك و هو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة تقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك و لاسيما ان المقام مقام التعجب و لعل الوجه فى ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب يستبعد وقوعه كأنه يستقصر قدرة الله تعالى عليه و يخطر بباله ان يقول من يقدر عليه و يوجده ثم يتدارك انه فى هذا الزعم مخطئ فيقول سبحان الله تعالى تنزيها لله تعالى من العجز عن خلق مثله من العجائب و اعتقادا بانه تعالى على كل شئ قدير ﴿قوله او فصل له﴾ يعنى يجوز ان يكون المراد بالتسبيح الصلوة تسمية للمحل باسم ما حل فيه لان الصلاة لا تخلو عنه فكأنه جزؤ منها و قد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة فى مواضع من القرآن قال تعالى فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و قال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و حمل اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازى ايد هذا الاحتمال بما روى انه عليه الصلاة و السلام صلى ثمانى ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قيل انه عليه الصلاة و السلام صلاها شكرا لله تعالى و قال آخرون هى صلاة الضحى و قيل اربع للشكر و اربع للضحى ﴿قوله او فنزهه﴾ لما روى انه عليه الصلاة و السلام سئل ما المراد بالتسبيح فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى عن كل سوء فانه تعالى منزه فى ذاته و صفاته و افعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الاعلى ﴿قوله او فأثن على الله تعالى﴾ اى و يجوز ان يكون التسبيح لا بمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال و يكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام و صفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات و كماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال و الانعام عليه كالعظمة و الكبرياء و الملك و التقديس و العز و الجبروت و العلو و السمع و البصر و نحوها و صفات الاكرام صفات لها آثار فى الخلق كالرحمن و الرحيم و الغفار و الرزاق و الوهاب و الباسط و الغنى و نحوها و قوله بحمد ربك حال من المنوى فى فسبح اى سبحه حامدا له اى مقدرا ان تحمده بعد التسبيح ﴿قوله هضما لنفسك﴾ اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبى

(و رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة و الطائف و اليمن و هوازن و سائر قبائل العرب و يدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة و صلى ثمانى ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك و استقصارا لعملك و استدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره و عنه عليه الصلاة و السلام انى استغفر الله فى اليوم و الليلة مائة مرة و قيل استغفره لامتك و تقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا و رأيت الله قبله

المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بان يعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال فى المعرفة والعبادة و يقول ماعرفناك حق معرفتك وماعبدناك حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب اخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذاوصل العبد الى مرتبة فى العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر **قوله** كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين يعنى ان لفظ كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين ومن كان هذا شأنه أفلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انماتدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان فى الآية يدل على ان ذلك الثبوت فى الماضى وكونه تعالى توابا فى الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال او فى المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين او لكثرة ماتابوا منه من الذنوب **قوله** ولعل ذلك اى ولعل الوجه فى كون نزول هذه السورة نعياله عليه الصلاة والسلام ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس فى الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا او لان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قيل قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ففيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يستكثر من التوبة والاستغفار اذاقرب اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا

سورة المسد مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله هلكت او خسرت فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما فى قوله تبابة ام تابة اى ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب اى فى هلاك ويكون بمعنى الخسران ايضا كما فى قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اى غير تخسير بدليل انه يقال تب لفلان كذا اى استمر وتبت يدا ابى لهب اى استمرتا فى الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابى لهب نفسه كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة وماقدمت يداه اى نفسه فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب دعاء عليه بهلاك نفسه **قوله** وقيل انما خصتا الخ يعنى قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمى بهما سيد الكائنات وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين وابولهب هو ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان شديد المعاداة له روى انه عليه الصلاة والسلام خرج الى سوق ذى المجاز يدعو الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابولهب خلفه يرميه وكان قدادمى ساقه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب فلاتصدقوه وروى انه اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تعالى وتب **قوله** وقيل المراد بهما دنياه وآخرته تشبيها باليدين من حيث انه يتسبب بهما لما اصابه من الحوادث كما يتسبب الانسان بيديه لما يكسبه **قوله** لاشتهاره بكنيته دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون الآخر ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد ينعكس الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه انه قرأ عليه الصلاة والسلام تبت يدا ابولهب بالواو مع ان القياس ان يقرأ ابى لهب بالياء لكونه مضافا اليه ووجه التأييد ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية وهى ابو لهب بالواو صارت بمنزلة اسم العلم فلم تتغير فى شئ من الاحوال لان الاعلام لاتتغير بخلاف المضاف فى التركيب الاضافى فان اعرابه يتغير على حسب اختلاف العوامل فيقال هذا ابولهب ورأيت ابالهب كما يقال على بن ابو طالب ومعاوية بن ابوسفيان بالواو فيهما لان كل واحدة من الكنيتين لما كانت بمنزلة العلم لم تتغير لئلا يشكل فيهما المراد على السامع **قوله** او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله فان مرجعه لما كان نارا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بابى لهب كما يقال

(انه كان توابا) لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله اكملت لكم دينكم اولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذاجاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة ابى لهب مكية وآيها خمس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك (يدا ابى لهب) نفسه كقوله ولاتلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فأنذرهم فقال ابولهب تبالك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته اولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره اولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله اوليجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابى لهب بسكون الهاء وقرئ ابولهب كما قيل على بن ابو طالب

ابو الشرّ وابو الخير للشرّير والخير ﴿قوله وتب اخبار بعد دعاء﴾ يعنى ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وتعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا والجملة الثانية اخبار عن تحقق المدعوّ ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقدفعل على سبيل التفاؤل والعاويات فى البيت يروى بالواو من عوى الكلب يعوى اذا صاح وبالدال من عدا فى المشى اى اسرع فلعل المراد بها الكلاب الكلبة وهى التى يأخذها شبه الجنون يسرى مرضها الى من تعضه ووجه قرآءة وقدتب على كون الجملة الثانية اخبارا بعددعاء ان قد لاتدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول مثل قدخرج الامير لمن ينتظر خروجه فهذه القرآءة دلت على ان مابعدها ليس بدعاء كما قبلها ﴿قوله او الاوّل اخبار عما كسبت يداه﴾ اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما يترتب عليه من المنافع والثانى اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع فى الدنيا والآخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما يحصل بمباشرة اليدين ﴿قوله نفى لاغناء المال عنه﴾ اى ويجوز ان تكون كلمة ما حرف نفى لامحل لها من الاعراب فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنه ماله شيأ وهو استئناف جوابا عما كان يقول اللعين ان كان مايقوله ابن اخى حقا فأنا افتدى منه نفسى بمالى وولدى ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب بأغنى اى اىّ شئ اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب ﴿قوله وكسبه﴾ على ان كلمة ما فى قوله وما كسب مصدرية وقوله اومكسوبه على ان تكون ماموصولة او موصوفة اى والذى كسبه او شئ كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اىّ نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح ويحتمل ان يكون المراد بماله المال الذى ورثه من ابيه وبما كسب المال الذى كسبه بنفسه ويحتمل ان يكون المراد بماله مافى يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا حيث قال عليه الصلاة والسلام ان اطيب مايأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ﴿قوله وقدافترسه اسد﴾ اى اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لشدّة عداوته له عليه الصلاة والسلام * روى عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابى لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلاؤذينه فأتاه فقال يامحمد انى كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّ عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتدّ حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن الكلام لاجل حزنه وقال مااغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فأخبره بما وقع له ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يامعاشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم وانا خوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد وألقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

* من يرجع العام الى اهله * فما اكيل السبع بالراجع *
* كان لكم فى هذه عبرة * للسيد المتبوع والتابع *

فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لاينافيه كون الاخبار بلفظ الماضى لان وروده بلفظ الماضى مبنى على انه محقق الوقوع فى علمه تعالى ﴿قوله ومات ابو لهب بالعدسة﴾ وهى بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الابعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح فى حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى

(وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله

جزانى جزاه الله شرّ جزآئه * جزآء الكلاب العاويات وقدفعل *

ويدل عليه انه قرئ وقدتب او الاوّل اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه (مااغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب اواستفهام انكار له ومحله النصب (وما كسب) وكسبه اومكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظنّ انه ينفعه او ولده عتبة وقدافترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه

ام الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل ابو لهب يجرّ رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهري الى ظهره فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله ومع ذلك قالت الناس لقينا رجال ابيض على جبل برق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فأخذني وصرعني على الارض ثم برك عليّ يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه فشجته وقالت تستضعفه اذ غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا فلم يدفناه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة وعدوا ها كما تتقي الناس الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب والله اعلم فهو من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن الغيب وطابقه وقوعه لان السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان ﴿قوله وليس فيه مايدل على انه لا يؤمن﴾ اى حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على انه لاشك ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى ومن جملة ما جاء به انه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وذلك مما لا يطاق فالآية دليل على وقوع التكليف به مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل ايصال ما لا يطاق من العوارض اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في الجواز فمنعه الحنفية والغزالي من الشافعية والمعتزلة وجوّزه الاشعري ومن تابعه والمراد بما لا يطاق اعم مما يكون ممتنعا في نفسه كالجمع بين الضدين او ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على انه تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورا للمكلف في نفسه ﴿قوله عطف على المستكن في سيصلى﴾ وهى ام جميل بنت الحارث اخت ابي سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الشتم والذم

* وقد اتى بجميل * من سب ام جميل *

وقرأ الباقون بالرفع اما على ان قوله وامرأته حمالة الحطب جملة اسمية سيقت للاخبار عنها بذلك واما على ان وامرأته عطف على المستكن في سيصلى وحمالة صفة لامرأته وجاز ذلك لكون اضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضي او بدل او عطف بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اى هي حمالة او مبتدأ خبره في جيدها ﴿قوله يعني حطب جهنم﴾ جواب عما يقال انها كانت من بيت العزة اخت ابي سفيان فكيف يصح لها ان تكون حمالة الحطب واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الآثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها زوجها على ايذائه عليه الصلاة والسلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب في ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اذ توقد بها نار جهنم كما ان الحطب يوقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار فان النمام يعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر وعلى التقديرين يكون قوله في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقي ويلائمه ان يلقي حامله الحبل على جيده بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسعة فكيف تحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان فتنثرها بالليل في طريقه صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير قيل كانت ام جميل تأتي كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة حزمة ذات ليلة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها بان خنقها بذلك الحبل فقوله تعالى في جيدها

(حبل)

(سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا (وامرأته) عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهى ام جميل اخت ابي سفيان (حمالة الحطب) يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم

حبل من مسد تصويرلها بصورة الحطابة التي تحتطب لنفسها تحقيرا لشأنها لان الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن
في الكلام استعارة حتى يكون قوله في جيدها ترشيحا لها ﴿قوله او بيانا لحالها﴾ عطف على قوله تحقيرا لشأنها
اى ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه
في الدنيا جزآء وفاقا بعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفي جيدها سلسلة
من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة ﴿قوله والظرف﴾ وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله
وامرأته وقدمر انه مستكن في سيصلى فيكون في معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال وقوله او الخبر
اى او هو في موضع الخبر لقوله وامرأته على ان يكون مرفوعا بالابتدآء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على
المبتدأ روى عن أسماء رضي الله عنها انها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها
حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر رضي الله عنه وهي تقول

* مذمما قلينا * ودينه أبينا * وحكمه عصينا *

فقال ابو بكر رضي الله عنه يارسول الله قد أقبلت اليك وانا اخاف ان تراك فقال عليه الصلاة والسلام انها لن ترانى
وقرأ فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فلما انتهت الى ابي بكر رضي الله
عنه قالت له قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش انى
بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه الصلاة والسلام ما هجاها بناء على انه من باب المعاريض لان القرآن
لا يسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول ففيه دليل على جواز المعاريض والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله الضمير للشان او لما سئل عنه﴾ يعنى ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه في موضع التفخيم
وتفسير الشئ بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن
المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم
قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت
امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله أدعوكم من
عبادة الاصنام الى عبادة رب الانام فارسلوه ثانيا وقالوا قل له بين جنس معبودك أمن ذهب ام فضة فأنزل الله تعالى
هذه السورة فقالوا لنا ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت
والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد ﴿قوله وأحد بدل او خبر ثان﴾ يعنى ان هو اذا لم يكن ضمير الشان بل كان
ضمير ما سئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان تكون لفظة احد بدلا من الخبر وان تكون خبرا ثانيا والمشهور عند
النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ما هو انقص في الدلالة على الذات المراد
مقصودا بالنسبة وما هو أتم فيها توطئة لذكره وأحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لهذه
القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان أبا علي جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة جوز
المصنف ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك ﴿قوله يدل على مجامع صفات الجلال﴾
مجامع بفتح الميم الاولى جمع مجموعة انث لتأنيث ما هي عبارة عنه وهو صفات الجلال اى الصفات السلبية وسميت
صفات الجلال لكونها من الفضائل اللازمة ﴿قوله اذ الواحد﴾ اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله
وحد قلبت همزته واوا للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين الكلمة نحو أجوه
واشاح في وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركبها بشئ من اجزاء التركيب
اى لا تركيبا خارجيا ولا عقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة في الصفات وكون لفظة الله دالة على جميع صفات
الكمال ظاهر لانه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية والفواضل
المتعدية وأما كون احد دالا على جميع صفات الجلال فلان احدية الشئ عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لا تعدد فيه
لا في ذاته ولا في صفاته وافعاله ومعنى كونه واحدا في ذاته ان لا يكون منقسما الى أبعاض واجزآء خارجية ولا عقلية

(في جيدها حبل من مسد) اى مما مسد
اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله
وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة
الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها
تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم
حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب
جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة
من النار والظرف في موضع الحال او الخبر
وحبل مرتفع به * عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

﴿سورة الاخلاص مختلف فيها﴾

﴿وآيها اربع﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله احد) الضمير للشان كقولك
هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتدآء وخبره
الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو
او لما سئل عنه اى الذي سألتم عنه هو الله
اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك
الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل او خبر ثان
يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على
جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي
ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد
وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز
والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب
الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة
المقتضية للالوهية

والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا فى الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزآئه وكل واحد من اجزآئه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فى نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا فى نفسه ولو كان مركبا فى العقل لكان مشاركا لغيره فى ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لماسواه تقتضى الامكان فلو كانت تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا فى صفاته ان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه فى شئ من صفاته اذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا فى ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له ولو كان كذلك لكان مركبا مما به المشاركة والمما يزة وقدمر ان التركيب يستلزم الامكان وينافى الوجوب الذاتى فوجب كونه تعالى واحدا فى صفاته ومعنى كونه واحدا فى افعاله ان لا يكون له شريك فى افعاله فانه اذا كان له شريك فى افعاله لا يخلو اما ان يحتاج اليه فى فاعليته او كان كل واحد منهما مستقلا فى الفاعلية والتأثير والاول يستلزم الامكان والثانى يبطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيق مايكون منزه الذات عن التركيب الخارجى والعقلى وعن أنحاء التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه فى صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لا يكون جسما لان الجسمية تستلزم التركيب الخارجى لان كل جسم مركب فى ذاته من الاجزآء وان لا يكون متحيزا لان التحيز ايضا يستلزم التركيب الخارجى فان كل متحيز يمينه مغاير لشماله فيكون منقسما وان لا يشاركه احد فى نفس حقيقته ولا فى خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فيهما اى فى الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للالوهية تستلزم كونه تعالى مميزا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة وما به الامتياز وقدمر ان التركيب مناف للوجوب الذاتى فثبت ان الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذى فى وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد ﴿قوله ولعل ذلك﴾ اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير بها فى الاخرى وجواز القرآءة بها وبدونها فى الثالثة ان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولمخالفته لقومه فى امر العبادة بان ينفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشاقة لا تناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير ان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لانه عليه الصلاة والسلام ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته فى جميع ماجاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لا يجمعنا دين واحد ولا نتفق على عبادة معبود بل لكل واحد منى ومنكم معبود على حدة او ان يوادعهم اى يتركهم ومايدينون ولانه كيف يليق بالمؤمن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابدا ولا تعبد الله لحظة وانما يتأتى له ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه السلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان تقع منه عليه السلام لا من عند نفسه ولا بأن يكون مامورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام * عم الرجل صنو أبيه * وكل من كان فى منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان يكون معاملته مع اعمامه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذى هو كالاب فى استحقاق التعظيم والتكريم لاسيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا لم تصدر سورة تبت بكلمة قل صونا له عليه السلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبالك ألهذا دعوتنا فكأنه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما نزل عليك من قولى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اجيب عنك واشتمه فانزل قوله تبت يدا ابى لهب ففيه تنبيه على ان من لم يشافه السفيه كان الله تعالى ذابا عنه وناصرا له ومعينا فقد روى ان ابابكر رضى الله عنه كان اذا آذاه احد يبقى ساكتا ولم يكافئه بسوء فجاء رجل فشتمه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابوبكر فى الجواب سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوبكر ما السبب فى ذلك قال

وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى

(لانك)

لانك مادمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يدعوا اليه فجاز لذلك كونها مصدّرة بقل وكونها غير مصدّرة به وهذا مافهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره الا انه محل تأمل لان قوله وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لامدخل له فى هذا الكلام على تقدير عدم تصدير السورة بقل سوى كونه تاليا لكلام الله المنزل اليه وقوله يقول به يدل على انه عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل فبينهما تدافع ولان تعليل وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز التصدير به فى الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكمين المختلفين بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله وموادعته لهم معطوف على المشاقة بالواو فى اكثر النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او ويكون المعنى لانّ السورة من اوّلها الى آخرها اما مشاقة معهم بان يكون قوله تعالى لكم دينكم ولى دين فذلكة لماسبق وتقريرا له وتكون اللام فى قوله تعالى لكم ولى متعلقة بالثبات والدوام المقدّر كما اختاره المصنف واما ان آخر السورة موادعتهم ومتاركتهم وماقبله تمهيد له كما اشار اليه بقوله اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وكلا التقديرين لايناسب ان يكون منه عليه الصلاة والسلام وعطفه بالواو يشعر ان كون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر فى تفسيرها والجمهور كسروا تنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف* وعن ابن عمر انه قرأ احد الله الصمد بضم الدال من غير تنوين بناء على ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين فى انها من حروف الزيادة فلما شابهتها حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده فى نحو يغزو القوم ويرمى القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة فى الفعل المجزوم فقيل فلم يك ينفعهم ايمانهم ولاتك فى مرية وعن ابن عمر ايضا احد الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته فى ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة والتنوين وقال ادركت القراء تقرأها كذلك وصلا على السكون ﴿قوله السيد المصمود اليه﴾ على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمد الذى يصمد الناس اليه فى الحوائج اى تقصده والصمد بالسكون القصد ولاشك ان من يقصد اليه فى جميع المهمات ويرجع اليه فى جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ماعداه وكاملا فى جميع صفاته وأفعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلوّ القدر ﴿قوله وهو الموصوف به على الاطلاق﴾ قال حجة الاسلام الغزالى نوّر الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصدا لعباده فى مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذى يقصد اليه فى جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله ﴿قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته﴾ فان العرب بل اكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذى يقصد اليه فى الحوائج وان جميع ماسواه مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرّفا بخلاف احديته فانه لايخطر ببال اكثر الخلق ان فى الوجود ذاتا لاتركيب ولا انقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا فى صفاته بان لايكون له نظير وشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وواحدا فى افعاله بان لايكون له شريك فيها وذلك لانهم لايعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لايعرفون موجودا هو واحد فى ذاته لاتعدّد فيه بوجه فنكر لفظ احد لذلك ﴿قوله للاشعار﴾ وجه الاشعار ان قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية يشعر بان من لايكون صمدا لايستحق ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه اذ لو قيل هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشأن الله احد الصمد او ان المسئول عنه هو الله ومابعده بدل من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور وكرّر مع عدم الاحتياج اليه لابدّ ان يكون ذلك لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة فحمل عليها ﴿قوله لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها﴾ وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للاولى ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن أنحاء التركيب والتعدّد فى ذاته وصفاته وافعاله يكون مبدأ

(الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها

للكائنات باسرها حافظا لها ومدبرا فلاجرم لايصمد فى الحوائج الااليه فظهر به ان كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة على احديته ووجه كونها كالدليل على الاولى ان من كان صمدا وملجأ لارباب الحاجات لابدّ وان يكون فى اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الاحدية ﴿قوله لانه لم يجانس﴾ حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه وان القوّة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولاتكون وسيلة الى توليد المباين ونفى المجانسة يستلزم نفى المماثلة لان انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص علل المصنف نفى كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لابدّ ان يكون من جنس والده بصاحبة من يجانسه ولامجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى مايعينه فى حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولااحتياج ولافناء فلاولادة تتفرّع عليهما فكلمة اوفى قوله او يخلف عنه بعد وفاته لتقسيم احوال الوالد وقدّم نفى كونه والدا على نفى كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادّعوا ان له ولدا ولم يدّعوا ان له والدا فان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فبدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لماوقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولداً لغيره ثبت انه لم يلد غيره ﴿قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضى﴾ وعدم التعرّض بانه لايلد فى المستقبل مبنى على ان المقصود من الآية تكذيبهم فى قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان المسيح ابن الله وكذا عزيز ومرجع الجميع انه تعالى ولد فى الزمان الماضى ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لايلد فى شئ من الازمنة الثلاثة لماصح الاقتصار على لفظ الماضى ﴿قوله وذلك﴾ اى وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه مولودا لغيره ان المولودية تقتضى النقصان من وجهين الاوّل كونه معلولا لوالده مفتقرا اليه والثانى كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد من الامرين ﴿قوله اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله﴾ اشارة الى ان احدا اسم يكن وكفؤا خبره وله متعلق بكفؤا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة والكفؤ المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفؤا له اى مثلا له * ولما ورد على هذا التوجيه ان يقال على تقدير ان يكون قوله له ظرفا لغوا متعلقا بكفؤا كان حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام بدونه والاصل فى الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى وافصح فيكون تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف قدّم له فى الآية مع انه ظرف لغو تم الكلام بدونه باسم كان وخبره * اشار الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لايفتقر اليه الكلام فى تمامه والظرف المستقرّ يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما فى قولك لم يكن فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقرّ لانه خبر كان وتقرير الجواب ان الظرف اللغو وان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو مايجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدّم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما يقدّم المفعول على الفاعل اذا عرض له مايجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمقصود فى الآية ليس نفى ان يكون احد كفؤا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفى كونه كفؤاً لذاته تعالى ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا﴾ عطف من حيث المعنى على قوله اى ولم يكن احد يكافئه فانه يفهم منه ان له ظرف لغو متعلق بكفؤا اى ويجوز ان لايكون الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكنّ فى كفؤا على انه صفة له فى الاصل فلما قدّم عليه انتصب حالا فأحد اسم يكن وكفؤا خبره وله حال اوبان يكون الظرف خبرا ويكون كفؤاً منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له فى الاصل فلما تقدّم عليه انتصب حالا * قال ابو البقاء قوله احد اسم كان وفى خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفؤا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفؤا لان التقدير ولم يكن احد كفؤاً له وان يتعلق بيكن والوجه الثانى ان يكون الخبر له وكفؤا حال من احد أى ولم يكن له احد كفؤا فلما قدّم على النكرة انتصب حالا منها ﴿قوله ولعل ربط الجمل﴾ كأنه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث فى الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمرو طويل فان عطف الجملة الثانية على الجملة الاولى فيه لايصح مطلقا اى سوآء كان بين زيد وعمرو مناسبة كالاخوّة والصداقة ونحوهما اولم يكن لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القامة فينبغى ان لايصح ربط الجمل الثلاث فى الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ماوقع مسندا فيها وهو الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة * وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة من حيث ان كل واحدة منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردّا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم (ولم يكن له كفؤا احد) اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفؤا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدّم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكنّ فى كفؤا اوخبرا ويكون كفؤا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل

ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوًا احد أن ينفى عنه باقى اقسامه كالصاحبة والشركاء ونحوهما فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه ولتناسب المسند عطف بعضها على بعض ﴿ قوله قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف ﴾ اى بسكون الفاء مهموزا وقرأ حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرأ الباقون بضمتين مهموزا وفى التيسير قرأ حفص بضم الكاف والفاء منوّنا من غير همزة وحمزة باسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل فاذا وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منوّنا وقد تقرّر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوّله مضموم فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الا فى قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزؤا ﴿ قوله فان مقاصده محصورة ﴾ اى فى ثلاثة وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كانت كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه * روى عن سهل بن سعد انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرّة واحدة ففعل ذلك فأدرّ الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد عفوك عفوك عفوك ثلاث مرّات فقال عليه الصلاة والسلام غفرلك غفرلك ثلاث مرّات

﴿ سورة الفلق مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اى شققته فانشق وتشقق والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى وقرآنا فرقناه اى بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الاخرى والمصنف حكم بان كل واحد من لفظى الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اى بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه وذلك انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فيشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ماستره من الحجاب وزواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان يبقى الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما يفعل الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق وانفرق الصبح ويقال للشئ الجلى انه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة فى علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهى المعدومات الممكنة وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد ومظهر ما فى علمه من المكوّنات فكانت بأسرها مفلوقا عنها كالصبح صار مفلوقا عنه بفلق ظلمة الليل عنه فظهر ان مفهوم المفلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع ﴿ قوله ويخص عرفا بالصبح ﴾ هذا الفرق مبنى على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كزنجى لبس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده تقديم الظلمات على النور فى قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا ولا ضير اذ لكل وجهة ﴿ قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال ﴾ جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضى تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاوّل قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الامور الداخلة فى هذا العام فيكون التعظيم فى حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فاوجه تخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان كان فيه مناسبة لهذا المقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه

قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه

آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج من حال ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل له ثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب عليه اللحم فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد لكل مريض ومهموم خفة في وقت السحر * روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القي في الجب وجعته ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال ياجبريل ادع انت وانا اؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال ياجبريل وانا ادعو ايضا وانت تؤمن فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلاجرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل روى ان دعاءه في الجب كان هذا * ياعدتي في شدتي * ويا مونسي في وحشتي * ويا راحم غربتي * ويا كاشف كربتي * ويا مجيب دعوتي * ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني * وضعف ركني * وقلة حيلتي ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة حيث ان الخلق في الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المركب وتقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده ما لا يطاق حمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات المداول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويحترز منه ﴿ قوله ولفظ الرب ههنا اوقع ﴾ اى أليق وأنسب وقوعا جواب عما يقال ما السبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قرآءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال هنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية فناسب ذلك ان يعبر عمن يعيذ من تلك المضار باسم الرب فكأنه امر بان يقول يارب كما ربيتني من اول زمان تكويني الى هذا الوقت بانواع التربية فأدم تلك التربية بأن تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك وكلمة ما في قوله تعالى من شر ما خلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اى من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون مصدرية اى من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول ﴿ قوله وشره اختياري الخ ﴾ قسم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى اللازم والمتعدي اى الى ما لا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة والى ما يتعدى اثره الى فاعله كالظلم سوآء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب ﴿ قوله ليل عظم ظلامه ﴾ يعني ان الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كأنه لشدة ظلامه وتكاثفه ظرف امتلأ ظلمة قال ابن عباس رضي الله عنهما الغاسق الليل اذا اقبلت ظلمته واجتمعت وتكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسق الجرح اذا امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله للابستة له واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه ﴿ قوله وقيل السيلان ﴾ عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اى سال منه الصديد وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى من شر ما خلق يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سوآء كانت طبيعية او اختيارية وشر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه * وتقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تفخيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع

ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها (اذا وقب) دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل

تخرج فى الليل من آجامها و الهوام من مساكنها وكذا السرّاق وسائر مترصّدى الفرصة ينتشرون فيه لقصد الاضرار وعن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل فى تلك الساعة واما عسر دفع ماوقع فيه من الشرّ فلان ظلمة الليل أستر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرّة وغفلة فلا يمكن من دفعه بنفسه و لا بالاستعانة بغيره لان الغوث يقل فيه و لذلك يقال الليل أخفى للويل بمعنى انه أستر لما يؤدّى الى الويل و الهلاك فيكثر الاضرار فيه بما يؤدّى اليه ﴿قوله وقيل المراد به﴾ اى بالغاسق اذا وقب هو القمر مسمى به لانه يكسف فيغسق اى يذهب ضوؤه و يسود ووقوبه دخوله فى الكسوف و اسوداده ودليله ماروى انه عليه الصلاة و السلام اخذ بيد عائشة رضى الله عنها فأشار الى القمر وقال استعيذى بالله من شرّ هذا فانه الغاسق اذا وقب * قال الامام وعندى فيه اى فى تسمية القمر غاسقا وجه آخر وهو ان صح ان القمر فى جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق و انمحاق نوره فى آخر الشهر و المنجمون يقولون انه فى آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوّة لانه لا يزال ينتقص نوره و لا يزداد وسبب ذلك نحوسته و لذلك لاتشتغل السحرة بالسحر الذى يورث التمريض الا فى ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبىّ صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض و اذا فى قوله تعالى اذا وقب منصوب بأعوذ اى اعوذ بالله من كذا فى وقت كذا ﴿قوله والنفث النفخ مع ريق﴾ وقيل انه النفخ فقط اى بلا ريق ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و رزقها * الجوهرى التفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوّله البزق ثم التفل ثم النفث ﴿قوله وتخصيصه﴾ اى وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شرّه بخصوصه مع اندراجه تحت شرّ عالم الخلق وقد استعيذ منه مطلقا فلم يبق حاجة الى الاستعاذة من شرّه بخصوصه الا انه خص بالذكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شرّ السواحر النفاثات فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات بخصوصهنّ ويستعاذ من شرّهنّ لتكمل آيات السورتين احدى عشرة آية بعدد العقد التى عقدها لبيد بن اعصم اليهودىّ * روى ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فأغوته اليهود حتى اخذلهم مشاطة رأس النبى صلى الله عليه وسلم وعدّة اسنان من مشطه واعطاهم اياها فسحروه فيها وكان الذى تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها فى بئر لبنى زريق يقال لها ذروان فمرض النبى صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه واشتدّ عليه ذلك ثلاث ليال فجعل يتألم ولا يدرى ماعراه فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه مابال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره والراعوفة حجر من اسفل البئر يترك هناك اذا احتفرت البئر ليجلس عليه من ينقى البئر عند الاحتياج الى تنقيتها فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال ياعائشة اماشعرت ان الله تعالى اخبرنى بدآئى ثم بعث عليه الصلاة والسلام عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام واسنان من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ آية وحل عقدة فجعل عليه الصلاة والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وجعل عليه الصلاة والسلام يقول * بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك * والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضى الى القدح فى النبوّة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى ذلك التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لاتستلزم صدق الكفرة فى قولهم انه عليه الصلاة والسلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام مسحورا انه ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده فى بدنه فذلك مما لاينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوّته وعقله واما الاضرار به من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه الصلاة

وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ﴿ومن شرّ النفاثات فى العقد﴾ ومن شرّ النفوس اوالنساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه، لما روى ان يهوديا سحر النبى عليه الصلاة والسلام فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوّذتان واخبره جبرآئيل بموضع السحر فارسل عليا كرّم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر

والسلام لم يكن من حيث انه نبيّ وانما اثر في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته مايعرض لسائر البشر الاترى ان ماعرض له من كسر ثناياه يوم احد لم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة هى العصمة مما يخل بامر نبوّته ﴿ قوله وقيل المراد بالنفث فى العقد الخ ﴾ عطف على قوله من شرّ النفوس السواحر او النساء السواحر فيكون معنى الآية من شرّ جنس النساء اللاتى شأنهنّ ان ينفثن فى عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات لطيفة او محاولات خفية فيغلبن عليهم ويحوّلنهم عن آرآئهم وعزائمهم التى صمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدهنّ عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام يامعشر النساء تصدّقن فانى رأيتكنّ اكثر اهل النار فقلن وبم يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير مارأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكنّ والحازم الضابط لامره المتبصر فى سيره شبهت عزائم الرجال وآرآؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء بميل طباع الرجال اليهنّ يتصرّفن فيهم ويحوّلنهم من رأى الى رأى ومن عزيمة الى اخرى فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعوّذ من شرهنّ ولذلك قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

* ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شرّ الشياطين *

وقال بعض الظرفاء فى جوابه

* ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين *

﴿ قوله وافرادها بالتعريف ﴾ جواب عما يقال لم عرّف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع فى كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شرّيرة فعرّف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل حاسد وغاسق شرّيرا فنكر تنكير النوعية ﴿ قوله لاغتمامه بسروره ﴾ تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اى لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بما فيه من النعمة * روى عن على رضى الله عنه انه قال لله درّ الحسد مااعدله بقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود ﴿ قوله وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ﴾ ذكر المصنف تخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شرّ عالم الخلق لانها اما من قبيل الاجسام او الجسمانيات وجها مستقلا مناسبا له وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضرّ غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكراها رؤية غيره كان كأنه كل السبب لشرّ الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شرّه بخصوصه ﴿ قوله ويجوز أن يراد بالغاسق مايخلو عن النور ومايضاهيه كالقوى ﴾ فسر الغاسق اوّلا بالليل العظيم الظلمة وفسر وقوبه بدخول ظلامه فى كل شئ وفسره ثانيا بالقمر ووقوبه بدخوله فى الكسوف ثم فسر النفاثات اوّلا بالسواحر ثانيا بجنس النساء اللاتى يبطلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور فى كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوّة النامية النباتية يزيد بها النبات فى الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهى الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور مايختص بها من الآثار فى الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهى المرادة بالغاسق وشرورها مايترتب عليها بحسب طبائعها من المضرّات وفسر الحاسد بالحيوان بان جعله كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير ان الانسان لايتضرّر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرّر عن الاجسام العنصرية وهى اما جمادات او نباتات او حيوانات فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة ﴿ قوله فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ﴾ جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان فى مقام الامر بالاستعاذة من شرّ الحيوان يدل ان منشأ شرّ الحيوان منحصر فى وصف حسده وليس كذلك * وتقرير الجواب ان باقى الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شرّ الحيوان

وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزآئم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شرّيرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شرّ حاسد اذا حسد) اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لايعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق مايخلو عن النور ومايضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث فى العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده

وحاملاله على اضرار غيره الاان غالب مايحمله على الاضرار هو الحسد بذلك كأنه يحمل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى بضيف الشرّ الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذله ﴿قوله ولعل افرادها﴾ اى افراد الاجسام العنصرية التى هى الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها فى عالم الخلق للتنبيه على ان لها مزيد مدخل فى الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للمضرّة والله اعلم بالصواب

﴿سورة الناس مكية وقيل مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الناس عند صاحب الكشاف اصله اناس بشهادة قوله تعالى انهم اناس يتطهرون فحذفت منه الهمزة التى هى فاؤه فبقى ناس فهو من قولهم آنست الشئ بمعنى ابصرته والقياس يقتضى ان يجوز اطلاقه على كل مبصر الاانه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شئ واصله نوس لقولهم فى تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة فكان القياس ان يطلق على كل متحرك الاانه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانه يؤنس به وقيل هو من النسيان واصله الناسى بياء فى آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسى ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة وقرئ قل اعوذ رب بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح واجمع القرآء على ترك الامالة فى الناس وروى عن الكسائى الامالة فيه ان كان فى موضع الجر ﴿قوله لما كانت الاستعاذة الى قوله عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا﴾ جواب عما يقال ماالفرق بين السورتين حتى اضيف لفظ الرب فى السورة المتقدمة الى الفلق بمعنى جميع الممكنات المفلوق عنها واضيف ههنا الى الناس وهو رب العالمين وملكهم والههم وليست ربوبيته بالنسبة الى الناس خاصة * وتقرير الجواب ان ما وقع مضافا اليه فى السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه الصلاة والسلام هو المأمور بالاستعاذة وحق المستعيذ ان يستعيذ بسيد نفسه ومالكه ومدبر امره مقتضى الظاهر ان يقال فى السورتين اعوذ بربى الا انه لما كان الشرّ المستعاذ منه فى السورة المتقدمة ليس شرّ عالم الخلق بل شرّ عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الفاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشرّ هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالاجسام والشرّ المستعاذ منه فى هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفس الانسانية ناسب للمستعيذ فى السورة الاولى ان يدرج نفسه فى جملة من يتضرّر بشرّ عالم الخلق ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرّر بالشرّ المستعاذ منه فلذلك قيل فى تلك السورة برب الفلق بدل ان يقول بربى فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب فى هذه السورة ان يدرج المستعيذ نفسه فى جملة من يتضرّر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرّر بها وهو نوع البشر ويقول اعوذ برب الناس فى موضع ان يقول بربى فلذلك اضيف لفظ الرب ثمة الى مايعم الناس وغيرهم واضيف ههنا الى الناس خاصة الاان هذا التوجيه مبنى على ان يفسر الفلق بمايعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف فينبغى ان يكون تقرير السؤال هكذا لم عدل عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب الفلق فى احدى السورتين ولفظ رب الناس فى الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما كان امام امته كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم ان يدرج نفسه عند الاستعاذة من شرّ عالم الخلق فى جملة من يتضرّر من جهتهم انسانا كان او غيره وعند الاستعاذة من شرّ الموسوس الى الناس فى جملة من يتضرّر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذة فى السورة الاولى ليست لاجل نفسه خاصة بل لكل مايدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كأنه قيل اعوذ برب من يتضرّر بشرّ عالم الخلق من شره وبرب من يتضرّر بشرّ الموسوس الى الناس من شره واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافة لفظ الرب اليه فى تلك السورة ان الشرّ المستعاذ منه فيها شرور خفية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شرّ الفاسق والنفاثات والحاسد ولايخفى ان شرورها خفية فكان المناسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شأن المستعيذ ان يلتجئ الى من يخرجه مماهو فيه الى مايضاده ويدفعه وعبر عنه فى هذه السورة برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالنفوس الانسانية ﴿قوله فان الرب قد لايكون ملكا﴾ يعنى ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان التربية بمعنى السياسة والفوقية وهى لاتستلزم الملك وقد تكون بالتعليم والارشاد قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله * الجوهرى ربيت القوم

ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى عليه الصلاة والسلام لقد انزلت علىّ سورتان ماانزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولاارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

﴿سورة الناس مختلف فيها﴾

﴿وآيهاست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ) قرأ ورش فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (رب الناس) لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضارّ البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من المضارّ التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل اعوذ من شرّ الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لايكون ملكا والملك قد لايكون الها

اى سنهم وكنت فوقهم ومنه قول صفوان بن امية لأن يربنى رجل من قريش احب الىّ من ان يربنى رجل من هوازن فلما كان ملك الناس اخص من رب الناس صح ان يكون موضحاله وان يقلل اشتراكه الا انه لم يصح ان يكون معيناله لان ملك الناس قد يطلق على من يدبر أمرهم مع كونه بمعزل عن الالوهية فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالوهية مختصة به تعالى ﴿قوله وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة﴾ وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بأن كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم القادر على التصرّف فيهم فان الملك هو الذى يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره واٰلههم الذى يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حيثما شاء كيف لا يكون حقيقا بالعياذة قادرا عليها ﴿قوله واشعار على مراتب الناظر فى المعارف﴾ ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدّى بعلى فان الاشعار لا يتعدّى بعلى يقال شعرت بالشئ اشعر شعرا اى فطنت له ومنه قولهم ليت شعرى اى ليتنى علمت واشعرته فشعر اى ادريته فدرى ويقال اطلعتك على سرّى فان الاستعاذة اوّلا بلفظ الرب ثم توضيحه بلفظ الملك ثم بلفظ الاله تطلع السامع على ان اوّل ما يعرفه الناظر بنظره ان له ربا ثم يترقى فى باب المعرفة فيتحقق انه ملك ثم ينتهى الى معرفة انه اله فان الناظر فى المعارف يعلم اوّلا بسبب ما يرى عليه من النعم ان له ربا يربيه بأنواع النعم ثم يتغلغل اى يتعمق فى النظر حتى يتحقق اى يتيقن انه غنىّ عن الكل وان جميع ماسواه يفتقر اليه وهو المعنى بالملك فانه اذا علم ان جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود وما يتفرّع على اصل وجوده من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما يفاض عليه من خزآئن رحمته التى وسعت كل شئ ويتحقق عنده انه غنىّ عن الكل وانه ملكهم ﴿قوله ويدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة﴾ اى يمشى من قولهم درج الرجل والضب يدرج دروجا اى مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اوّلا الى ما تيسر مما يظنه مأمنا ثم يترقى منه الى ما هو اكمل واقوى فى كونه مأمنا ثم يترقى الى منتهى المطالب والملجأ الحقيق ولما كانت صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مبدأ معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اوّلا صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة فى الملجئية فقوله ويدرج عطف على قوله ويستدل اى يستدل الناظر ويمشى فى طريق نظره مشى من يمشى فى وجوه الاستعاذة المعتادة والظاهر ان العبارة وتدرّج بالعطف على قوله واشعار والمعنى وفى هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر فى المعارف وتدرّج اى ترق على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على وجوه تدرّج المستعيذ على ان تكون كلمة فى بمعنى على ويكون قوله تنزيلا علة للتدرّج اليه على وجوه تدرّج المستعيذ ويكون قوله اشعارا بعظم الآفة علة للتدرّج المذكور بعد تعليله بقوله تنزيلا ووجه الاشعار ان المستعيذ لما امر بان يتدرّج فى الاستعاذة بمن لا يدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه بان يصفه اوّلا بأوّل ما يحصل للناظر من اوصافه ويذكره بذلك الوصف ثم يذكره بما يحصل له ثانيا ثم بما يحصل له ثالثا وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذلك على عظم الشرّ المستعاذ منه لا محالة ﴿قوله وتكرير الناس﴾ جواب عما يقال لم لم يكتف باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرّة واحدة بأن يقال برب الناس ملكهم اٰلههم * اجاب عنه بوجهين الاوّل ان عطف البيان انما يؤتى به لايضاح المتبوع وتبيينه واظهار الاسم ادخل فى ايجاب الايضاح بالنسبة الى اضماره والثانى ان فى اظهار المضاف اليه فى كل واحد من هذه التراكيب الاضافية اشعارا بشرفه وذلك لانه تعالى لم يكتف فى مقام بيان كونه حقيقا لان يستعاذ به باضافة لفظى الملك والاله الى ضمير الانسان بل عرف ذاته بكونه ربا للناس ملكا للناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر ملكيته واٰلهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر فى كل مرّة ﴿قوله اى الوسوسة﴾ يعنى ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة كما ان الزلزال اسم بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة فى الاتصاف كما يقال رجل عدل للدلالة على بلوغه فى الاتصاف بالعدالة الى حيث صار كأنه نفس العدالة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اى من شرّ ذى الوسواس والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور على انه صفة للوسواس بمعنى الموسوس وصف به لان شأنه وحرفته وشغله الذى هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد ربه والوسوسة والخنس

وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم اوّلا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنىّ عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير ويدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شرّ الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه

واذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وولى والوسوسة الدعوة الى الشرّ عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفىّ ومنه وسواس الحلىّ فان صوته سمى وسوسة لخفائه وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشرّ بالوسوسة لان شياطين الجنّ تدعو الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها اما بأن تغرّ العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه او بأن تخيل اليه ان فى العمر سعة فتتوب بعدما قضيت شهوتك منها او لانهم يدعون الى المعصية بكلام خفىّ يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون اليها باخفاء ضررها واراءة المنافع والمصالح فى مباشرتها واظهار أنه ناصح له فى ذلك وليس مراده الا المكر والخيانة او يجعله مغرورا بأن يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه او امكان التوبة بعد مباشرتها ﴿قوله وذلك كالقوّة الوهمية﴾ شبه الشيطان بها من حيث انه يساعد الانسان فى اتباع المعاصى والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى خنس واعرض عنه واخذ فى المكر والحيلة ليصرفه عنها كما ان القوّة الوهمية تساعد العقل فى المقدّمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ﴿قوله ومحل الذى الجرّ﴾ على انه صفة الوسواس او النصب او الرفع على الذم وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقارى ان يقف على الخناس ويبتدئ بقوله الذى يوسوس لطول الكلام ﴿قوله من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى﴾ على معنى ان الشيطان الموسوس ضربان جنىّ وانسىّ كما قال تعالى شياطين الانس والجنّ * عن ابى ذرّ رضى الله تعالى عنه انه قال لرجل هل تعوّذت بالله من شرّ شيطان الانس فقيل له هل للانس من شيطان قال نعم واستدل بالآية ﴿قوله او متعلق بيوسوس﴾ فتكون من لابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة النـاس مثل ان يوقع فى القلب من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب ومن جهة الجنّ انهم يضرّون وينفعون ﴿قوله وقيل بيان للناس﴾ اى المذكور فى قوله تعالى فى صدور الناس بناء على جواز ان يطلق اسم الناس على الجن كما يطلق على الانس استدلالا بتسمية الجن نفرا ورجالا كما فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجنّ وقوله يعوذون برجال من الجنّ وكل واحد منهما من الالفاظ المستعملة فى الانس والمصنف رحمه الله تعالى عدّ هذا القول تعسفا بناء على ان اطلاقه على القبيلين بعيد عن اللغة فان اهل اللغة اتفقوا على ان كل واحد من لفظى الجن والانس موضوع بازاء حقيقة مباينة الحقيقة التى وضع بازائها اللفظ الآخر وعلى ان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانها اى تسترها عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افرادها للبصر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اى ابصر فكما لا يطلق اسم الجن على بنى آدم لعدم اجتنانهم عن اعين الناس فكذلك ينبغى ان لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الايناس والابصار بهم الا ان يكون الناس من النسيان ويكون اصله الناسى وحذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة فحينئذ يمكن ان يطلق اسم الناس على القبيلين لان نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما ولا يجوز ان يقرأ فى هذه السورة مالك الناس كما يقرأ مالك يوم الدين فى سورة الفاتحة والفرق ان المالك بمعنى الرب فقوله رب الناس افاد كونه تعالى مالكا لهم فلو قرئ بعده مالك الناس للزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فانه لم يذكر فيها مايدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار * واعلم ان فى هذه السورة لطيفة بالغة وهى ان المستعاذ به قد ذكر فى السورة المتقدّمة بصفة واحدة وهى انه رب الفلق وان المستعاذ منه فيها ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد بخلاف هذه السورة فان المستعاذ به ذكر فيها بثلاثة اوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر وقد تقرّر ان المطلوب فى السورة المتقدّمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بما ذكرنا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انه اعظم مرادا وأهم مطلوبا وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعدّدة ليست بتلك المثابة فى كونها مطلوبا مهما لمن استعاذ منها اللهم اجعل امر الدين اعز مطلوب لنا وثبتنا على نهج استقامه * واعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامه * نسألك العفو والعافية والمعافاة الدآئمة فى الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين * والحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين * وعلى سائر الانبياء والمرسلين * وعلى الملائكة المقربين * من اهل السموات واهل الارضين *

سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين

(الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوّة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدّمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجرّ على الصفة او النصب او الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس او للذى او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به مايعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى كقوله يوم يدعو الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين * عن النبىّ عليه الصلاة والسلام من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

هذا فهرس الجزء الرابع من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي